١٨١

قد وقف هذه النسخة الجليلة والمجلة الجميلة حضرت سلطاننا الأعظم السلطان ... سلطان السلاطين العظام
أكرم الخواقين الفخام ناصب رايات الشرع في الآفاق باسط ...
في العالمين على الإطلاق السلطان ابن السلطان السلطان الغازي
محمود خان لا زالت أوراق حسناته مكتوبة بمر الأعوام
بأيدي سفرة بررة كرام وقفا صحيحا شرعيا على طلبة
العلوم حرره [illegible] السيد [illegible]
درويش مصطفى المفتش بأوقاف الحرمين
الشريفين غفر له

سورة هود ٢٢٢ — سورة رعد ٢٧٤ — سورة نحل ٢٩٩ — سورة اسرا ٤١٨ — سورة حج ٤٨٧

سورة نور ٥٠٢

٧٥٢

آنلاغمه ٥١١، آنلاغمه ٧٢٨

٧٥١

مكرر ٢٢٤، مكرر ٢٦٤، مكرر ٢٨٠، مكرر ٢٩٩، مكرر ٤٩٠

مكرر ٥٩٨، مكرر ٦٧٩، مكرر ٦٨٢، مكرر ٧٠٦

٧٦٠

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وبين له من شعائر الشرائع كل ما جل ودق انزل عليه اظهر بينات
وابهج قرآنا عربيا غير ذي عوج مصدقا لما بين يديه من الكتاب ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب ناطقا
بكل امر رشيد هاديا الى صراط العزيز الحميد آمرا بعبادة الصمد المعبود كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود
تكاد الرواسي لهيبته تمور ويذوب منه الحديد ويميع صم الصخور حقيقا بان يسير به الجبال ويسير به كل صعب
محال معجزا الجم كل مصقع من مهرة قحطان وبكت كل مفلق من سحرة البيان • بحيث لو اجتمعت الانس والجن
على معارضته ومباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته نزله عليه على فترة من الرسل ليرشد الامة الى اقوم
السبل • فهداهم الى الحق وهم في ضلال مبين فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين فمن اتبع هداه فقد فاز بمناه
واما من عانده وعصاه واتخذ الهه هواه فقد هام في مرامي الردى وتردى في مهاوي الزور ومن لم يجعل الله
له نورا فما له من نور • صلى الله عليه وعلى آله الاخيار وصحبه الابرار ما تناوبت الانوار وتعاقبت الظلم
والاضواء وعلى من تبعهم باحسان مدى الدهور والازمان • فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الهادي ابو السعود
بن محمد العمادي ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم وما كان من حروفها مسطورا والحكمة الكبرى في تخمير طينة آدم
ولم يكن شيئا مذكورا ليست الا معرفة الصانع المجيد وعبادة البارئ المبدئ المعيد ولا سبيل الى ذلك المطلب الجليل
سوى الوقوف على مواقف التنزيل فانه عز سلطانه وبهر برهانه وان سطر آيات قدرته • في صحائف الاكوان ونصب
رايات وحدته في صفائح الاعراض والاعيان وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات العيلم وكل
نقطة جرى عليه قلم الابداع وكل حرف رقم في لوح الاختراع • مرآة لمشاهدة جماله ومطالع لمعرفة كماله وحجة نيرة
واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون برهانا جليا لا ريب فيه ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه بل ناطقا
آيات ربه فهل من سامع واع ومجيبا صادقا فهل له من داع • يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقتضى
يحاور تارة باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل والاستشهاد بتلك
الامارات والمخايل والتنبه لتلك الاشارات السرية • والتفطن لمعاني تلك العبارات العبقرية وما في تضاعيفها
من رموز اسرار القضاء والقدر وكنوز آثار التعاجيب والعبر مما لا يطيق به عقول البشر الا بتوفيق خلاق القوى
والقدر فاذن مدار المراد ليس الا كلام رب العباد اذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية • والمفسر لمشكلات
الآيات التكوينية • والكاشف عن خفايا حظائر القدس والمطلع على خبايا سرائر الانس وبه تكتسب الملكات
الفاخرة وبه يتوصل الى سعادة الدنيا والآخرة خلا انه مع ما فيه من علو الشان وسمو المكان ونهاية الغموض
وصعوبة المأخذ وعزة المنال في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية اعز من بيض الانوق وابعد من
مناط العيوق لا يتسنى العروج الى معارجه الرفيعة ولا يتأتى الرقي الى مدارجه المنيعة كيف لا وانه مع كونه متضمنا
لدقائق العلوم النظرية والعملية ومنطويا على دقائق الخفية والجلية حاويا لتفاصيل الاحكام الشرعية ومحيطا
بمناط الدلائل الاصلية والفرعية منبئا عن اسرار الحقائق والنعوت مخبرا باطوار الملك والملكوت عليه يدور فلك الاوامر
والنواهي واليه يستند معرفة الاشياء كما هي قد نسج على اغرب منوال وابدع طراز واحتجب بطلعته بسبحات الاعجاز

ملوت حقائقه الابية على العقول وزويت دقائقه الخفية عن اذهان الفحول يرد عيون العقول سحائبه
ويخطف ابصار البصائر بريقه ولمعانه ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته اساطين ائمة التفسير في كل عصر
من الاعصار وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين اسرة التقرير والتحرير في كل قطر من الاقطار فغاصوا
في لججه وخاضوا في ثبجه فنظموا فرائده في سلك التحرير وابرزوا فوائده في معرض التقرير وصنفوا كتبا جليلة الاقدار
والغوازير جميلة الآثار وأما المتقدمون المحققون فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام
وترتيب الاحكام حسبما بلغهم من سيد الانام عليه سوابغ التحية والسلام • واما المتأخرون المتقدمون
فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرائقة وابداء خباياه الفائقة ليعاين الناس دلائل اعجازه ويشاهدوا شواهد
فضله وامتيازه عن سائر الكتب الربانية والزبر العظيمة السبحانية فدونوا اسفارا بارعة جامعة لفنون
المحاسن الرائقة يتضمن كل منها فوائد ثرية تقربها عيون الاعيان وعوائد لطيفة يتشنف بها آذان الاذهان
لاسيما الكشاف وانوار التنزيل المتفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل فان كلا منهما قد احرز قصب السبق
اي احراز كأنه مرآة لاجتلاء وجه الاعجاز صحائفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان وقلائد
العقيان ولقد كان في سوابق الايام وسوالف الدهور والاعوام اوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما
وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على استمرار آناء الليل واطراف النهار ان انظم
درر فوائدهما في سمط دقيق وارتب غرر فرائدهما على ترتيب انيق واضيف اليهما ما الفيته في تضاعيف الكتب
الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في اصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق واسلك خلالهما بطريق
الترصيع على نسق انيق واسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل • ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ما سنح
للفكر العليل بالعناية الربانية وسمح به النظر الكليل بالهداية السبحانية من عوارف معارف تمتد اليها اعناق
الهمم من كل ماهر لبيب وغرائب رغائب ترنو اليها احداق الامم من كل نحرير اريب وتحقيقات رصينة تقيل
عثرات الافهام في مداحض الاقدام وتدقيقات متينة تزيل خطرات الاوهام من خواطر الانام في معارك
افكار يشتبه فيها الشؤون ومدارك انظار يختلط فيها الظنون وابرز من وراء استار الكمون من دقائق
السر المخزون في خزائن الكتاب المكنون ما تطمئن اليه النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز وخبايا
الكنوز واهديها الى الخزانة العامرة الغامرة للبحار الزاخرة لجناب من خصه الله تعالى بخلافة الارض واصطفاه
لسلطنتها في الطول والعرض الا وهو السلطان الاسعد الاعظم والخاقان الامجد الافخم مالك الامامة العظمى
والسلطان الباهر وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر رافع رايات الدين الازهر موضح آيات الشرع الانور
مرغم انوف الفراعنة والجبابرة معفر جباه القياصرة والاكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله
وجنده الغالب الهمام الذي شرق وغرب مثل النير فانتهى الى المشرق الاسنى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس او دنا
بخميس عرمرم متراكم الافواج وعسكر خضم متلاطم الامواج فاصبح ما بين افقي الطلوع والغروب وما بين
نقطتي الشمال والجنوب منتظما في سلك ولايته الواسعة ومندرجا تحت ظلال راياته الرائعة فاصبحت منابر
الربع المسكون مترنحة بذكر اسمه الميمون فياله من ملك استوعب ملكه البر البسيط واستغرق فلكه وجه البحر
المحيط فكانه فضاء ضربت فيه خيامه ونصبت عليه اوتاده واعلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل
على كافة الامم قاصم القياصرة وقاهر القروم سلطان العرب والعجم والروم سلطان المشرقين وخاقان الخافقين
الامام المقتدر بالقدرة الربانية والخليفة المعتز بالعزة السبحانية المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين وحماية
المقامين الجليلين المفخمين ناشر القوانين السلطانية عاشر الخواقين العثمانية السلطان ابن السلطان ابن السلطان السلطان
سليمان خان ابن السلطان المظفر المنصور والخاقان الموقر المشهور صاحب المغازي المشهورة في اقطار الامصار
والفتوحات المذكورة في صحائف الاسفار السلطان سليم خان ابن السلطان السعيد والخاقان المجيد السلطان

بايزيد خان لا زالت سلسلة سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان وارواح اسلافه العظام
متنزهة في روضة الرضوان وكنت اتردد في ذلك بين اقدام واحجام لقصور شاني وعزة المرام اين الحضيض
من الذرى شتان ما بين الثريا والثرى وهيهات اصطياد العنقاء بالشباك واقتياد الجوزاء من بروج الافلاك
فمضت عليها الدهور والسنون وتغيرت الاطوار وتبدلت الشؤون فابتليت بتدبير مصالح العباد برهة
في قضاء البلاد واخرى في قضاء العسكر والاجناد فحال بيني وبينما كنت اخال تراكم المهمات وتزاحم
الاشغال وهجوم العوارض والعلائق وهجوم الصوارف والعوائق والتردد الى المغازي والاسفار
والتنقل من دار الى دار وكنت في تضاعيف هاتيك الامور افكر في نفسي ان انتهز فرصة من الدهور
ويتسنى لي القرار وتطمئن بي الدار واظفر حينئذ بوقت خال اتبتل فيه الى الجناب ذي العظمة والجلال واوجه
اليه وجهتي واسلم له سري وعلانيتي وانظر لكل شيء بعين الشهود واتعرف سر الحق في كل موجود تلافيا لما قد فات
واستعدادا لما هو آت واتصدى لتحصيل ما عزمت عليه واتولى لتكميل ما توجهت اليه برفاهية واطمئنان وحضور
قلب وفراغ جنان فبينما انا في هذا الخيال اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال تحولت الاحوال والدهر حول فوقعت
امر اشق من الاول امرت بحل مشكلات الانام فيما شجر بينهم من النزاع والخصام فلقيت معضلة طويلة الذيول
وصرت كالهارب من المطر الى السيول فبلغ السيل الزبى وغمرني اي غمر غوار بما جرى بين زيد وعمرو فاضحيت
في ضيق المجال وسعة الاشغال اشهر ممن يضرب به الامثال فجعلت اتمثل بقول من قال لقد كنت اشكو الحوادث
برهة واستمرض الايام وهي صحاح الى ان تغشتني وقيت حوادث تحقق ان السالفات منائح فلما انصرمت
عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال ورأيت ان الفرصة على جناح الفوات وشمل الهيبا في شرف الشتات وقد تمشى الكبر
وتضاءلت القوى والقدر ودنا الاجل من الحلول واشرفت شمس الحيوة على الافول عزمت على انشاء ما كنت انويه
وتوجهت الى املاء ما طالت بتغيبه ناويا ان اسميه عند تمامه بتوفيق الله وانعامه ارشاد العقل السليم الى مزايا
الكتاب الكريم فشرعت فيه مع تفاقم المكاره علي وتزاحم المشاغل بين يدي متضرعا الى رب العظمة والجبروت
خلاق عالم الملك والملكوت ان يعصمني عن الزيغ والزلل ويقيني مصارع السوء في القول والعمل ويوفقني لتحصيل ما
اروم وارجو ويهديني الى تكميله على احسن الوجوه ويجعلني خير عدة وعتاد اتمتع به يوم المعاد فيا من توجهت
وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع ورفعت ايدي الضراعة والسؤال الى جنابه الرفيع افض علينا شوارق التوفيق
واطلعنا على دقائق اسرار التحقيق وثبت اقدامنا على مناهج هداك وانطقنا بما فيه امرك ورضاك ولا تكلنا الى
انفسنا في خطرة ولا آن وخذ بناصيتنا الى الخير حيث كان جئناك على جباه الامكان ضارعين ولابواب فضلك قارعين
انت الملاذ في كل امر مهم وانت المعاذ في كل خطب ملم لا رب غيرك ولا خير الا خيرك بيدك مقاليد الامور لك الخلق والامر واليك النشور

الفاتحة في الاصل اول ما شأنه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلقت على اول
كل شيء فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتاء
للنقل من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته
كأنه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقي بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى
يرد انه لا يستدعي في الخاتمة لما ان ختم الشيء عبارة عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن اجزائه
الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا
الكلام في الخاتمة فان بلوغ آخر الشيء يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذي تحققته والمراد
بالاول ما يعم الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها
الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا

في اشتهار

في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم في اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة
الله عز اسمه او من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفي فيها تحصله باعتبار تحققه في علمه عز وجل
او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي
صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما
في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية كونها مبدأ الكتاب على الترتيب
المعهود لا في القراءة في الصلوة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل اما الاول فبين اذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك
الصادق على ما يقرأ في الصلوة حتى يعتبر في التسمية مبدئيتها له واما الاخيران فلان اعتبار المبدئية من حيث
التعليم او من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب في ان الترتيب
التعليمي والترتيب النزولي ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشأ له اما لمبدئيتها له
واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وجل والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه
من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء
والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات والآيات
الواضحة الدلالة على معانيها لكونها بحيث تحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن لا ما اورده الامام
البخاري في صحيحه من انه يبدأ بقراءتها في الصلوة فانه لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه السلام
انها انزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر في ام القرآن كما انه الوجه في تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة
الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها وسورة الصلوة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية
لقوله عليه السلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات تثنى في الصلوة او لتكرر نزولها على ما
روي انها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد
آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم اختلفت الائمة في شأن
التسمية في اوائل السور الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومذهب مالك والمشهور من
مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل
والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب الى
ابن عمر ايضا وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عباس انها انزلت مع كل سورة
وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن مبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو
القول الجديد للشافعي ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعي لم يسبقه اليه
احد وقيل انها آية من الفاتحة مع كونها قرآنا في سائر السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها او لا ولا لكونها آية تامة
او لا وهو احد قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابي هريرة وقيل انها آية تامة في الفاتحة
وبعض في البواقي وقيل بعض آية في الفاتحة وآية تامة في البواقي وقيل انها بعض آية في الكل وقيل انها آيات
متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان يكون جزءا منها وهذا القول غير معزي في الكتب الى احد وانما
ذكره بعض المتأخرين وهو انها آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن في سائر السور ولولا
اعتبار كونها آية تامة منها لكان ذلك احد محتملي تردد الشافعي فانه قد نقل عنه انها بعض آية في الفاتحة واما في غيرها
فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرآنا او لا وقيل بين ان يكون آية تامة او لا قال الامام الغزالي والصحيح
من الشافعي هو التردد الثاني وعن احمد بن حنبل في كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابو الفرج
ونقل القرطبي عن مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القرآن ان هذا والمشهور من هذه الاقاويل هي الثلاثة الاول
على اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله عز وجل يقضي بنفي القول الاول

وهو جلال الدين السيوطي

بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها جزءا من القرآن لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة
منه كما لا يستدعي كونها آية منفردة منه واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من ان من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية
من كتاب الله تعالى وما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه من انه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله
الرحمن الرحيم وما روي عن ام سلمة رضي الله عنها من انه عليه السلام قرأ سورة الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية
فان دل كل واحد منها على نفي القول الثاني فليس شيء منها نصا في اثبات القول الثالث اما الاول فلانه لا يدل الا
على كونها آيات من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها آية تامة من كل واحدة
منها الا انه يلتجأ الى ان يقال ان كونها آيات متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان يكون جزءا منها قول
لم يقل به احد واما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور واما الثالث فناطق بخلافه فريع مساعد
للثاني في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدر بها كما انها كذلك في تسمية
المسافر عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة
تبركا اي بسم الله اقرأ او اتلو وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد وتقدير
ابدأ لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية مخل بما هو المقصود اعني شمول البركة للكل وادعاء ان فيه امتثالا
بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تقدير اقرأ من جهة المعنى فقط ليس بشيء فان مدار الامتثال
هو البدء بالتسمية لا تقدير فعل البدء اذ لم يقل في الحديث الكريم كل امر ذي بال لم يقل فيه او لم يضمر فيه ابدأ وهذا
الى آخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية الى نهج
الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسألة وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة
ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينها وبين
لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوائل على السكون قد ادخلت عليها
عند الابتداء همزة لان من دأبهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء وسمي وسميت وسُمى
كهُدى لغة فيه وقال والله اسماك سُمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفع
للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلالها
ورد عليه بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه
وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة ههنا فانها تكون تارة بذاته
وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة المفسرة عند الاصوليين من اصحابنا
بما يتمكن به العبد من اداء ما لزمه المنقسمة الى ممكنة وميسرة وهي المطلوبة باياك نستعين وتارة اخرى باسمه عز وعلا
وحقيقتها طلب المعونة في كونه معتدا به شرعا فانه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل
واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لا سيما
عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة الاولى ان قيل فلتحمل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان
التبرك لا يكون الا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل الاشتباه الا فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال
ارادة المسمى ويتعين حمل الباء على ان الاستعانة الثانية او التبرك وانما لم يكتب الالف لكثرة الاستعمال وقالوا
طولت الباء عوضا عنها والله اصله الاله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض الالف
واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياسي في حكم الثابت
فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص
الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل اسم جنس
يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود

بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه
من الالاهة والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهري على انه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب
لا على انه صفة منها بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم
ولا يقال شيء كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه
بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلا ومن معنى معين قائم بها على ان ملاك الامر
تلك الخصوصية فبأي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليها كما في الافعال ولذلك تعمل عملها كاسمي الفاعل
والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من
غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه يحار
في شأنه العقول والافهام واما اله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا تأله
واستأله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من اله الى فلان اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره
وسكون الارواح الى معرفته وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به وآلهه غيره اذا اجاره اذ العائذ به تعالى يفزع
اليه وهو يجيره حقيقة او في زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة
وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم
الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة
بعد ان كان اسم جنس في الاصل وقيل هو وصف في الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم
ويرده امتناع الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود
بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه
وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين
وقد جاء لضرورة الشعر في قوله الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان
من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحُم بالضم كما هو المشهور وقد قيل ان الرحيم ليس بصيغة مشبهة
بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلانا والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم
لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة
الينا على مسببه البعيد او القريب فان اسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي
هي انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب
في بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلى حظر وجود فعلانة فاعتبار الحاقه بامثاله في
الصرف وعدمه يستدعي الرجوع الى اصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان يقاس الى نظائرها من باب فعل يفعل
فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا في اصلها مما تحقق فيه وجود
فعلى فتمنع من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا وتقديمه
مع كون القياس تاخيره رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض
لانه باختصاصه به عز وجل صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولان ما يدل على جلائل
النعم وعظائمها واصولها احق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك
سلسلة الرحمة الحمد لله هو النعت بالجميل على الجميل اختياريا كان او مبدأ له على وجه يشعر بتوجيه النعت الى المنعوت
وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشد الى ذلك ما تراه بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق
بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله على منهاج تعلق عامة الافعال بمفعولاتها واما
الاول فتعلقه بمفعوله منبئ عن معنى الانهاء كما في قولك كلمته فانه معرب عما يفيده لام التبليغ في قولك قلت له ونظيره

شكر نعمه وعبادته وخدمته فان تعلق كل منها مبني على المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا واما المفعول به الذي هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما يقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يستدعي ان يلابسه ملابسة اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء منه كالاستعانة مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء تعلقه به كيفية لائقة بذلك النحو مغايرة لما اعتبر في النحوين الاخيرين فنظم القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخيرين من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية او الثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسالني المال فان التحديث مع كونه فعلا واحدا تعلق بك على الكيفية الثانية وبالحديث على الاولى وكذا السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في ان اختلاف هذه الكيفيات الثلاث وتباينها واختصاص كل من المقابل المذكورة بما نسب اليه منها مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان كان لا يتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف الفعل واختلاف المفعول فاذا الاختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين اختلافهما في كيفية التعلق لاختلافهما في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه ورشاقة قده واياما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى كالنصر والتاييد فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وانما المرادف للنصر الاعانة والمرادف للتاييد التقوية فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللائق بالارادة في مقام التعظيم واما ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفي قولهم لهذا الامر عاقبة حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود مما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فبمعزل من استحقاق الارادة ههنا استقلالا او استتباعا بجعل الحمد على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباته له عز وجل فائدة يعتد بها واما الشكر فهو مقابلة النعمة بالثناء واداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال كما قال من قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا فاذن هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من بين شعب الشكر ادخل في اشاعة النعمة والاعتداد بشانها وادل على مكانها لما في عمل القلب من الخفاء وفي اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر وملاكا لامر في قوله صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب كما هو شان المصادر المنصوبة بافعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية ليوافق ما في قوله اياك نعبد واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق اليه الاذهان والافهام ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر ببال احد ان يسال عن كيفيته على ان ما قدر من السؤال غير مطابق للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لكيفية حمدهم والاعتذار بان المعنى نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل لتوفيق المنزل المقرر بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي ان فرض السؤال من جهته تعالى فات نكتة الالتفات التي اجمع عليها السلف وان فرض من جهة الغير يختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا يتضح فساد ما قيل انه استئناف جوابا لسؤال يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شانكم معه وكيف

لا يظهر الا بحه

توجهكم اليه فاجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فان تنافي جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه تعالى مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله والحق الذي لا محيد عنه انه استئناف صدع به الحامد بمحض ما رحمة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شيء اخر كما ستحيط به خبرا وايثار الرفع على النصب الذي هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في كون تحية الخليل للملائكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص جميع افرادها به تعالى على الطريق البرهاني لكن لا بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فتكون الافراد الواقعة مقابلة لما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في المقام الخطابي منزلة العدم كما وكيفا وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل رب العالمين بالجر على انه صفة لله فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين ارادة الاستمرار وقرئ منصوبا على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة اعمال المصدر المحلى باللام ولزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نم ينم بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يمكن اطلاقه على الله تعالى جاز في اطلاقه الاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات اي القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كقولنا العالم بجميع اجزائه محدث وقيل هو اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل اريد به الناس فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم الكبير ولذلك سوى بين النظر فيهما في قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الاحق بالظهور وايثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم ينطلق على احاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق احاد مفرده وان لم يصدق عليها كما في قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمى به وان لم ينطلق عليها كانها احاد مفرده المقدر [illegible] منزلة الجمع [illegible] لكل واحد من احادها [illegible] لفظ العالمين [illegible] الاجناس التي [illegible] ما حكي عن وهب بن منبه انه قال لله تعالى ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاصهما بصفات العقلاء وما في حكمها من الاعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم ان عدم انطلاق العالم

على كل واحد من تلك الآحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة
الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حتما فانه كما يستدل عليه سبحانه بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل
عليه تعالى بكل جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته
في الكل فان كل ما ظهر في المظاهر مما عز وهان وحضر في هذه المحاضر كائنا ما كان دليل لائح على الصانع المجيد
وسبيل واضح الى عالم التوحيد واما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة الى بيانه اذ لا شيء مما احدق به نطاق
الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد
ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آنا واحدا لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم
ومهاوي البوار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي من فنون
الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته ما لا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه
كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدإ الاول عز وعلا فكما لا يتصور
وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه
جميع انحاء عدمه الطاري لما ان الدوام من خصائص الوجوب الذاتي وظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية
التي هي علله وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده
وهي المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده
او بقاؤه على ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في نفسها فابقاء تلك الموانع التي لا تتناهى على العدم
تربية لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وبالجملة فآثار تربيته عز وجل الفائضة على كل فرد من افراد الموجودات في
كل آن من آنات الوجود غير متناهية فسبحانه سبحانه ما اعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه العقول
بافكارها شانه لا يضاهى واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون وفي اقامة مراسم شكره قاصرون نسألك
اللهم الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك
الرحمن الرحيم صفتان لله فان اريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما يفيض على الكل
بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد بها ما يعم الكل في الاطوار
كلها حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في
عقبها للايذان بانه تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة على احسن
ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده
مالك يوم الدين صفة رابعة له تعالى وتأخيرها عن الصفات الاول مما لا حاجة الى بيان وجهه وقراءة
اهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة
والقدرة على التصرف الكلي في امور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما في قوله تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالكا بالنصب على المدح
او الحال وبالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدإ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم في العرف
عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد
ههنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان او شرا ومنه الثاني في المثل السائر كما تدين تدان والاول في بيت
الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا واما الاول في الاول والثاني في الثاني فليس بجزاء حقيقة
وانما سمي به مشاكلة او تسمية للشيء باسم مسببه كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمهما في قوله عز وجل اذا قمتم
الى الصلوة وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولعله هو السر في بناء المفاعلة من الافعال التي تقوم
اسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظائره فان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة باللص نزل منزلة

قيام المسبب به وهي العقوبة فصار كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة
الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم الى الدين لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الزمانية
الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه من القيامة والجمع
والحساب لكونه ادخل في الترغيب والترهيب فان ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته
واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء
المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور العالمين كلها في يوم الدين وخلو اضافته
عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار
الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة
ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري
مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء
الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا يرى انك تقول في
مالك عبده امس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة
اما للتعظيم والتهويل او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والاملاك بالكلية
واجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص
استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مفصحة عن وجوب
ثبوت كل واحد منهما له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاولى والرابعة فظ لانهما متعرضتان صراحة لكونه تعالى
ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى
ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما
دلت على وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعني بالاختصاص
اياك نعبد واياك نستعين التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج
البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضيه المقام لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في
استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الآخرين كما في قوله عز وجل
الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الآية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الآية
الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة
على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى اكمل تميز وتظهر
بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التالي بعدما
فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب للعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده
بجلائل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء
وبقاء على التفصيل الذي مر ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة
الى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في حظائر القدس حاضرا في محاضر الانس كانه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه
وهو يدعو بالخضوع والاخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك
بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد
ويستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلوة التي هي مناجاة
العبد لمولاه ومنتهى التبتل اليه بالكلية وايا ضمير منفصل وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتبيين
التكلم والغيبة والخطاب ولا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا بما

بما حكاه عن بعض العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب فمما لا يعول عليه وقيل هي الضمائر وإيا
دعامة لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ إياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك
بقلب الهمزة هاء والعبادة أقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد أي مذلل والعبادة أدنى منها وقيل
العبادة فعل ما يرضى به الله والعبودية الرضى بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه اللائق
وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى وإياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به
قال ابن عباس رض نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة
والاستعانة ولإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما أنها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وإن تعلق
الصفات المجراة أيضا والاستعانة من الأحكام المبنية على الصفات المذكورة ولأن العبادة من حقوق الله تعالى
والاستعانة من حقوق المستعين ولأن العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب
وعدمه وقيل لأن تقديم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول هذا على تقدير كون إطلاق الاستعانة
عن المفعول ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا ويحتمل أنه لما أن المسؤول هو المعونة في العبادة والتوفيق لإقامة رسومها
على ما ينبغي وهو اللائق بشأن التنزيل والمناسب لحال الحامد فإن استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من أفعاله
ليستعينه تعالى في إيقاعه ومن البين أنه عند استغراقه في ملاحظة شؤونه واشتغاله بأداء ما يوجبه تلك الملاحظة
من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من أفعاله وأحواله إلا الإقبال الكلي عليه والتوجه التام إليه ولقد فعل ذلك
بتخصيص العبادة به تعالى أولا وباستدعاء الهداية إلى ما يوصل إليه آخرا فكيف يتصور أن يشتغل فيما بينهما بما
لا يعنيه من أمور دنياه أو بما يعمها وغيرها كأنه قيل وإياك نستعين في ذلك فإنا غير قادرين على أداء حقوقه من غير
إعانة منك فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الإشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها عند العابد وأنها أشرف
المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من أعمال نفسه ومن الإذعان لما يعقبه من الدعاء ما لا يخفى وقيل
الواو للحال أي إياك نعبد مستعينين بك وإيثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين للإيذان بقصور نفسه وعدم لياقته
بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وأن ذلك إنما يتصور من
عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من زمرتهم كما هو ديدن الملوك وللإشعار باشتراك سائر الموحدين له في الحالة العارضة
له بناء على تعاضد الأدلة الملجئة إلى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم **اهدنا الصراط المستقيم**
إفراد لمعظم أفراد المعونة المسؤولة بالذكر وتعيين لما هو الأهم أو بيان لها كأنه قيل كيف أعينكم فقيل اهدنا والهداية
دلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم
والأصل تعديتها بإلى واللام كما في قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة
اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها إلى أنواع
لا تكاد تحصى منحصرة في أجناس مترتبة منها أنفسية كإفاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن
المرء أفاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من إقامة مصالحه
المعاشية والمعادية ومنها آفاقية فإما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الأدلة المودعة في كل فرد
من أفراد العالم حسبما لوح به فيما سلف وإما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الأحكام النظرية والعملية بلسان
المقال بإرسال الرسل وإنزال الكتب المنطوية على فنون الهداية التي من جملتها الإرشاد إلى مسلك الاستدلال بتلك
الأدلة التكوينية الآفاقية والأنفسية والتنبيه على مكانها كما أشير إليه مجملا في قوله تعالى وفي الأرض آيات للموقنين
وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي قوله تعالى إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون
ومنها الهداية الخاصة وهو كشف الأسرار على قلب المهدي بالوحي والإلهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتحيها
وطالب يستدعيها والمطلوب إما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وإما الثبات عليها كما روي

عن علي وأبي رض اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الأخير مجاز قطعا وأما على الأول فإن اعتبر مفهوم الزيادة
داخلا في المعنى المستعمل فيه كان مجازا أيضا وإن اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة
لأن الهداية الزائدة هداية كما أن العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ أرشدنا
والصراط الجادة أصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر من سطر الشيء إذا ابتلعه سميت
لأنها تسترط السابلة إذا سلكوها كما سميت لقما لأنها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من
المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن إخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الإمام وجمعه صرط ككتاب
وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنفية
السمحة المتوسطة بين الإفراط والتفريط **صراط الذين أنعمت عليهم** بدل من الأول بدل الكل وهو في حكم تكرير
العامل من حيث إنه المقصود بالنسبة وفائدته التأكيد والتنصيص على أن طريق الذين أنعم الله عليهم وهم المسلمون
هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم إلا إليه وإطلاق الإنعام
لقصد الشمول فإن نعمة الإسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بحذافيرها وقيل المراد بهم الأنبياء عم
ولعل الأظهر أن المراد بهم المذكورون في قوله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والشهداء والصالحين
بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم أصحاب موسى وعيسى عم قبل النسخ والتحريف وقرئ
صراط من أنعمت عليهم والإنعام إيصال النعمة وهي في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان من النعمة وهي اللين ثم أطلقت
على ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة إحصائها ينحصر أصولها في دنيوي وأخروي والأول قسمان
وهبي وكسبي والوهبي أيضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وإمداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فإنها مع كونها
من قبيل الهدايا نعم جليلة في نفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة
وسلامة الأعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات
المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته أعلى عليين مع المقربين
والمطلوب هو القسم الأخير وما هو ذريعة إلى نيله من القسم الأول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة
غير المغضوب عليهم ولا الضالين صفة للموصول على أنه عبارة عن إحدى الطوائف المذكورة المشهورة
بالإنعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما أضيف إليه كلمة غير
من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين أعني مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسبت بذلك تعرفا
مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله وإيذانا
بأن السلامة مما ابتلي به أولئك نعمة جليلة في نفسها أي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الإيمان
ونعمة السلامة عن الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا بأعيانهم فيكون بمعنى النكرة
كذي اللام إذا أريد به الجنس في ضمن بعض الأفراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم والضالين
اليهود والنصارى كما ورد في مسند أحمد والترمذي فيبقى لفظ غير على إبهامه نكرة مثل موصوفه وأنت خبير
بأن جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدليته مما أضيف إليه مما قبله فإن مدارها كون صراط
المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين أن ذلك من حيث
إضافته وانتسابه إلى كلهم لا إلى بعض مبهم منهم وبهذا تبين أن لا سبيل إلى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول
لما عرفت من أن شأن البدل أن يفيد متبوعه مزيد تأكيد وتقرير وفضل إيضاح وتفسير ولا ريب في أن قصارى
أمر ما نحن فيه أن يكتسب مما أضيف إليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصول وأما استحقاق أن يكون مقصودا
بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل أنعمت أو على الاستثناء إن فسر النعم
بما يعم القبيلتين والغضب هيجان النفس لإرادة الانتقام وعند إسناده إلى الله سبحانه يراد به غايته بطريق إطلاق

اسم الرب بالنسبة الينا على سبيه القريب ان اريد به ارادة الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان شبه
الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب
على الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد
الغضب اليه تعالى كالانعام جري على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها
كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري
أشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتاكيد ما افاده غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب
عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب لجواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب
والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب
عن التقاء الساكنين آمين اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رض سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين
فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا
وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه
كالختم على الكتاب وليست من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عن ابي حنيفة رح ان المصلي
ياتي بها مخافتة وعنه انه لا ياتي بها الامام لانه الداعي وعن الحسن رح مثله ويروى الاخفاء عن عبد الله بن مغفل
وانس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها لما روى وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك
بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني
والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم
العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

الم الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة اسماء لها لاندراجها
تحت حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص
على ذلك اساطين ائمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روي
عن ابن مسعود رض انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها
لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وفي رواية الترمذي والدارمي لا اقول الم حرف ذلك الكتاب
حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان
اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه ائمة الصناعة وانما المراد به عند الاطلاق ما يتركب منه
الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا فاريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين
ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة
في المصحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله العزيز والقرآن وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله
في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما هي المسميات البسيطة الواقعة في كتاب الله عز وجل
سواء عبر باسمائها او بانفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول الا على
ذات الموضوع لا اسمائها المؤلفة كما اذا قلت الالف مؤلفة من ثلاثة احرف فكما ان الحسنات في قراءة قوله تعالى
ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك في قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة وموافقة

بعددها لا بمقابلة اسمائها الملفوظة والالفاظ الموافقة في العدد اذ الحكم بان كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بانه
مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه ان استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى
المراد بالكلمات القرآنية فكما ان سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك الفواتح المكتوبة
لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا ترى
الى ما في الرواية الاخيرة من قوله صلعم والذال حرف والكاف حرف وكيف عبر عن طرفي ذلك باسميهما ملفوظين بانفسهما
ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائعة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ صدرا لاسمه ليكون هو المسموع
منه اولا خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهي معربة اذ لا مناسبة بينها وبين
مبني الاصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حين خلت عن العوامل
ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء وان وليها عامل مسها
الاعراب وقصر ما آخره الف عند التهجي لابتغاء الخفة لا لان وزانه وزان لا تقصر تارة فتكون حرفا وتمد
اخرى فتكون اسما كما في قول حسان رض ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد لم تسمع له لاء هذا وقد تكلموا في
شان هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة روي عن الصديق رض
انه قال في كل كتاب سر وسر القرآن اوائل السور وعن علي رض ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي
وعن ابن عباس رض انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل انها
اسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى او صفة من صفاته تعالى وقيل انها صفات الافعال الالف آلاؤه
واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من الله واللام من جبريل
والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من
حيث انها اصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء آخر وقيل وقيل ولكن
الذي عليه التعويل اما كونها اسماء للسور المصدرة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت
بها ايذانا بانها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ فلولا انه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته
ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من انها اسماء للقرآن والتسمية بثلاثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة
العرب اذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة
فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غايته الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور في عكسه بما تحققته
آنفا وانما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان يكون على
نهج التهجي دون التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل لاسيما في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش
فيه بمخالفة القياس واما كونها مسرودة على نمط التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون
ايقاظا لمن تحدي بالقرآن وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق
البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ولما تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الحوار
وامراء الكلام في نادي الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم في المضادة والمضارة
وتهالكهم على المعازة والمعارة وليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما في الباقي من فنون
الاعجاز فان النطق بانفس الحروف في تضاعيف الكلام وان كان على طرف الثمام يتناوله الخواص والعوام من الاعراب
والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما يتاتى ممن درس وخط واما ممن لم يحم حول ذلك قط فاعز من بيض الانوق
من مناط العيوق لاسيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب منبئ عن سر سري مبني على نهج عبقري
يحار في فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه الباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في تسع وعشرين
على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي على انصاف اصنافها تحقيقا او تقريبا كما ستقف

والتنبيه حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير فسبحان من دقت حكمته من ان ينالها الانظار وجلت
قدرته عن ان ينالها ايدي الافكار وايراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية جري على عادة الافتنان
مع مراعاة ابنية الكلم وتوزيعها على السور دون ايرادها كلها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة
وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل الى المطالبة بوجهه وعد بعضها آية دون بعض مبني على التوقيف البحت
اما الم فآية حيثما وقعت وقيل في آل عمران ليست بآية والمص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في شيء من
سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وكهيعص آية
وحم عسق آيتان وص وق ون لم تعد واحدة منها آية هذا على رأي الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح آيات عندهم
في السور كلها بلا فرق بينها واما من عداهم فلم يعدوا شيئا منها آية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد
لا تشم رائحة الاعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء للسور او للقرآن كان لها حظ منه
اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما النصب بفعل مضمر كاذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن
واما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل
على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا ان ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتأتى فيها الاعراب اللفظي وقد قرئت
بالنصب على اضمار فعل اي اذكر او اقرأ صاد وقاف ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة
لمفرد نحو حم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب اسماء السور من كتابه
وقد قرأ بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن فكانه جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافي
ايضا عن بعضهم قراءة ياسين ويجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار
فعل القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بها وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء
الاول وهو السر في جعل ما عدا الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى
عاطفة ولا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار
الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز في طاسين
ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية
وسيجيء تفاصيل سائر احكام كل منها مشروحة في مواقعها باذن الله عز سلطانه اما هذه الفاتحة الشريفة فان
جعلت اسما للسورة او للقرآن فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا الم اي مسمى به وانما صحت
الاشارة الى القرآن بعضا او كلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما
يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدأ اي المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع حقه ان يكون
قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وادعاء شهرتها يأباه التردد
في ان المسمى هي السورة او كل القرآن ذلك ذا اسم اشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب
والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
بعلو شأنه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضي او باعتبار
الوصول من المرسل الى المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان مصححا لايراده بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة
الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث
هو مسمى بالسورة ولئن ادعي اعتبار الحيثية الثانية فالاولى بناء على ان التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك
لتذكير الخبر وهو على الوجه الاول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان وقوله عز وعلا الكتاب اما خبر له
او صفة اما اذا كان خبرا لالم فالجملة على الوجه الاول مستأنفة مؤكدة لما افادته الجملة الاولى من نباهة المسمى لا محل لها
من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انه خبر للمبتدأ الاول واسم الاشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب

اما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بمعنى المفعول كاللباس بمعنى
الملبوس واصله الجمع والضم في الامور البادية للحس البصري ومنه الكتيبة
للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء الخفية عليه واطلق الكتاب على المنظوم عبارة قبل ما
ان ماله الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى السورة جميع القرآن الكريم وان لم يتم تنزيله عند نزول
السورة اما باعتبار تحققه في علمه تعالى او باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار نزوله جملة الى السماء الدنيا
حسبما ذكر في فاتحة الفاتحة واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اي الكاملة القصوى منه كما في
احراز الفضل كل الكتاب المعهود الغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره فيما بين الكتب على الطريقة قوله عليه السلام
الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب
الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كان ما عداه من الكتب
السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضي
الخصال وعلى قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد فالمدح كما ترى من حيث حصر كمال الجنس فيه ومن افراده
في الصورة الاولى من حيث حصر كمال الكل في الجزء ولا مساغ هنا لحمل الكتاب على الجنس لان فرد المعهود هو مجموع
القرآن المقابل لسائر افراده من الكتب السماوية ولا لبعضها الذي يطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءا منه اذ لا
لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حاله ولا يخص الكمال في المشهورة مشعر بنقصان سائر السور وان الحصر
الحصر بالنسبة اليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له
فذلك الكتاب على تقدير كون الم خبر مبتدأ محذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر الاول واما مبتدأ مستقل
خبره ما بعده وعلى تقدير كونه مبتدأ اما خبر له او مبتدأ ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدأ الاول
والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هي السورة او القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار
بعلو شانه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود
فمعنى البعد حينئذ ظاهر خلا انه ان كان المسمى هي السورة ينبغي ان يراد بالوعد ما في قوله تعالى انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القرآن فهو ما في التوراة والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة
او للقرآن واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب اما خبره او صفته والخبر
ما بعده على نحو ما سلف او يقدر مبتدأ اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب
وقوله تعالى لا ريب فيه اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلاث المذكورة
او على انه خبر ثان لالم او لذلك على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدأ المقدر لها على رأي من يجوز كون
خبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب
والعامل معنى الاشارة واما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مؤكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق
عاملة عمل ان لحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا
نكرة لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل
عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لا انه ركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف
اي لا ريب موجود ونحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه
عن الريب المفروض في الكتاب او الخبر هو الظرف فمعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا
وجعل المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق
وهذا مجوز له والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى
الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى نفيه

عن الكتاب بانه في علو الشان وسطوح البرهان بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيته وكونه وحيا منزلا من عند
الله تعالى لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا الا ترى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا الخ فانه في قوة
ان يقال ان كان لكم ريب فيما نزلنا او ان ارتبتم فيما نزلنا الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب
فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته تعالى ولم يقصد ههنا ذلك الاشعار
كما لم يقصد الاشعار بثبوت الريب في سائر الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول هدى مصدر
من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية اي ما شانه ذلك وقيل هي الدلالة الموصلة اليها
بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين ولا شك في ان عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره
فيه اعتباره في مفهوم الهدى المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير والتاثر ومحصله ان الهدى المتعدي هو التوجيه
الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبني على
امرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدي وكلا الامرين بمعزل من الثبوت
اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الاطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما
على وجه مخصوص به يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه الى ما شانه الايصال الى البغية كما
ان الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة
بين الفريقين ومحققة التقابل بينهما وانما النزاع في ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحصيل مفهوم الهدى
او لا بد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا فاذا تقرر
هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسب اعتبار عدمه
في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهي به قطعا لاستحالة التوجه الى تحصيل
الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى زيادته ولان التوجه الى المقصد تدريجي والوصول
اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما عدم الوصول فحيث كان امرا مستمرا مثل ما يقتضيه من الضلال
وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في آن من آنات تلك الازمنة لقارنه في ذلك الآن مقابله الذي
هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتب عليه لزم ان يكون
التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا
من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد
اصلا فبطل اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما واما
اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا وهو الامر الثاني فبيانه انه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي
يصدر عنه ويتم من قبله لكن لما لم يكن له في تحققه في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا
ثم لما كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متمائزة
في انفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها باسماء خاصة وعرض له بالقياس الى كل اثر من تلك الآثار اضافة
خاصة ممتازة عما عداها من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائرها وكانت تلك الآثار تابعة له في التحقق
غير منفكة عنه اصلا اذ لا مؤثر لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبرت الاضافة العارضة له بحسبها داخلة
في مدلوله كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكسار ذلك الجسم الذي هو
اثر خاص لذلك الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي هو اثر آخر له اسم القطع الى
غير ذلك من الاضافات العارضة له بالقياس الى آثاره اللازمة له وهذا امر مطرد في آثاره الطبيعية واما الآثار
التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجاب لها تترتب عليه تارة وتفارقه اخرى بحسب اسبابها الموجبة لها وعدمها

كما لا آثار الاختيا

كما لا آثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعيا اليها حيث كانت تلك الآثار مستقلة في انفسها
مستندة الى مؤثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة له لم تعد من متمماته ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها
داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب امتثال المأمور والاضافة العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان
الامتثال والاجابة وان عدا من آثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين
للمأمور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا من متمماتهما ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما
بحسبهما داخلة في مدلول اسم الامر والدعوة بل جعلا عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمأمور والمدعو سواء وجد
الامتثال والاجابة او لا اذا تمهد هذا فنقول كما ان الاجابة والامتثال فعلان مستقلان في انفسهما صادران
عن المدعو والمأمور باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الآثار الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها
وان كانا مترتبين عليهما في الجملة كذلك هدى المهدي اي توجهه الى ما ذكر من المسلك فعل مستقل له صادر عنه باختياره
غير لازم للهداية اعني التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وان كان مترتبا عليها في الجملة فكما لم يعدا
من متممات الامر والدعوة ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلولهما علم انه لم يعد الهدى من متممات
الهداية ولم يعتبر الاضافة العارضة لها بحسبه داخلة في مدلولها ان قيل ليس الهدى بالنسبة الى الهداية كالامتثال
والاجابة بالقياس الى اصليهما فان تعلق الامر والدعوة بالمأمور والمدعو لا يقتضي الا اتصافهما بكونهما مأمورا او
مدعوا وليس من ضرورته اتصافهما بالامتثال والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاوليين اصلا وهذا في الهدى بالنسبة
الى الهداية فان تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل بمفعوله يدل على اتصافه
بمصدره المأخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم للاتصاف بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار وجود اللازم
في مدلول المتعدي حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمأمور والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر من غير
تعرض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا يستدعي
الا اتصافه بالمدلولية التي هي عبارة عن المصدر المأخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبوله لتلك الدلالة الذي هو
معنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة الى طريق الحق والاهتداء عين الاجابة فكيف يؤخذ في مدلولها
واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا انما هو في الافعال
الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية فليست كذلك كما تحققته فيما
سلف ان قيل التعلم من الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلول التعليم قطعا فليكن الهدى مع الهداية كذلك
قلنا ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فان المعلم ليس
بمستقل في ذلك ففي اسناده اليه ضرب تجوز بل لان كلا منهما مفتقر في تحققه وتحصله الى الآخر فان التعليم عبارة عن القاء
المبادي العلمية على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيئا فشيئا على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا يساق اليه بعض منها الا بعد
تلقيه لبعض آخر فكل منهما متمم للآخر معتبر في مدلوله واما الهدى الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري يستقل
فاعله لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم يكن من متمماتها ولا معتبرا في مدلولها ان قيل
التعليم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتداء فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا للهدى في مدلول
الهداية قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسلك واستبداد المتعلم بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه
سوى كونه داعيا اليه وقد عرفت جلية الامر على ذلك التقدير ان قيل اليس تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم
فحيث لم يكن ذلك تعليما في الحقيقة فليكن الهداية ايضا كذلك ويحمل تسميته ما لا يستتبع الهدى بها على التجوز قلنا
شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك
واما تخلف الهدى عن الهداية فليس لشائبة قصور من جهتها انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدي بعد تكامل
ما يتم من قبل الهادي وبهذا التقرير اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شانه الايصال

الى البغية بتعريف معالم موقوتين مسالكه من غير ان يشترط في مدلولها الوصول فلا القبول وان الدلالة المقارنة لها
او لاجدها والمفارقة عنهما كل ذلك مع قطع النظر عن قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقية لها وان ما في قوله تعالى انك
لا تهدي من احببت وقوله تعالى ولو شاء لهداكم ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز وانكشف ان الدلائل
التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق والبيانات التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى كافة
البرية برها وفاجرها هدايات حقيقية فائضة من عند الله سبحانه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا
ان هدانا الله للمتقين اي المتصفين بالتقوى حالا او مآلا وتخصيص الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره
المنتفعون بآثاره وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس والمتقي
اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضر
في الآخرة قال عم جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم
الله واداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقي من يترك ما لا بأس به حذرا عن الوقوع فيما فيه بأس وعن ابي يزيد
ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقي
من تبرأ عن حوله وقوته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن ميمون بن مهران
لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن ابي تراب بين
يدي التقوى خمس عقبات لا يناله من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على القوة وايثار الذل
على العزة وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على الحيوة وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الى
ان يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستحي ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق
كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان للتقوى ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الكفر وعليه قوله تعالى
والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى
في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق
عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم
بموجب المشية الالهية المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوة والسلام حيث جمعوا
بذلك بين رياستي النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى معالم الارواح ولم يصدهم الملابسة
بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب
المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى
ونيلها فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره على العبارة المعبر عن ذلك
للايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اوليائه تعالى وتفخيم شانهم وان اريد به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين
فان عني بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب الطبقتين الاخيرتين تعين المجاز لان
الوصول اليهما انما يتحقق بهداية المرتبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فان اريد بالهدى الارشاد الى
تحصيل المرتبة الثالثة فان عني بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب المرتبة الثالثة
تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور واما ان اريد بكونه هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه او ارشادهم
الى الزيادة فيه على ان يكون مفهومها داخلا في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال
واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو
هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب او مبتدأ خبره الظرف المقدم كما اشير اليه والنصب على الحالية من ذلك
او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل ما في الجار والمجرور من معنى الفعل المنفي كأنه

قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال
كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى او لجعل المصدر بمعنى الفاعل
هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شأن ترتيب هذه الجمل ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها
السابقة ولذلك لم يتخلل بينهما عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدا مضمر او طائفة من حروف
المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة
ثانية مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه
اذ لا فضل اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له من المبتدا جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله
شائبة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله او يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول
فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب
البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه
الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى
جل له شانه حسبما تحققته الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه صفة مقيدة
له ان فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف
شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها حينئذ يكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف
اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها
امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية الى التجنب عن المعاصي
غالبا الا يرى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عم الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة
الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال
الثلث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب على المدح بتقدير اعني
او الرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سيأتي بيانه فالوقف
على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل واما على الوجوه الاول فحسن لاستقلال الموقوف
عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية فظ واما على تقدير النصب او الرفع على المدح
فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك
سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزم حذف الفعل والمبتدا في النصب والرفع روما لتصوير كل
منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح
وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان اي للتفنن الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان
تغيير الكلام المسبوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد
رغبة فيه من المخاطب وقيل لا ريب انه حال الموصول عند كونه خبر المبتدا محذوف كما لا بعد كونه مبتدا خبره اولئك
على هدى في ترتيبك ترجمة استيفية مبنية لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير المجرور في
والموصول عبارة عن المتقين وان كلا من اتصافهم بالايمان وعدم استرابتهم في الهدى والفلاح من النعوت الجليلة
فالتنبيه في اي الموصول جعل كاحد الصورة الاولى وليس من توابع المتقين ومع هذا تمام الوقف في الثانية منقطعا عنه وبعد
الوقف تاما قلت المرتبة ذلك ان المبتدا في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر فيه لا يكاد يحصل
لا تفهيم المتقين اجمالا احسب ان المتقين مقسوم الثبوت له بلا استيفاء غير مفيد السامع سوى فائدة التفصيل والترجيح
نظرا لكون ذلك في شكل الصفات رعاية لجانب المعنى ولان تم قطعا عن اعاة لجانب اللفظ كيفما كان لا بد في الخبر من ان لا
كان معلوم الانتساب الى المخبر عنه فحقه ان يكون وصفا له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب الى الموصوف حقه

ان يكون خبرا لحتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات واما الخبر في الثانية
فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لا ينبئ عنه المبتدأ من المعاني اللائقة كما تحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد
وانه يجعل ذلك منقطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والايمان افعال من الامن المتعدي الى واحد يقال
امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال آمنتيه غيري ثم استعمل في التصديق لان المصدق يؤمن المصدق اي يجعله
امينا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا
امن وطمأنينة ومنه ما حكي عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما صرت ذا امن وسكون وهو في الشرع لا يتحقق
بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها
وهل هو كاف في ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكن منه والاول رأي الشيخ الاشعري ومن تابعه فان الاقرار
عنده منشأ لاجراء الاحكام والثاني مذهب ابي حنيفة رح ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار
ركن يحتمل السقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين
والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر
عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يؤمنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به
الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت
لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظائره واياما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك
بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح
الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الشرائع والاحكام
واليوم الآخر واحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للايمان اما بتضمينه معنى
الاعتراف او بجعله مجازا من الوثوق وهو واقع موقع المفعول به واما مصدر على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يؤمنون
ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اي غائبين عن النبي صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما
روي ان اصحاب ابن مسعود رض ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال رض ان امر محمد كان بينا لمن رآه
والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من الايمان بغيب ثم تلا هذه الآية واما عن الناس اي غائبين عن المؤمنين لا
كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب
لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء حينئذ للآلة وترك ذكر المؤمن به على
التقادير الثلاث اما للقصد الى احداث نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما سيجيء
فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به **ويقيمون الصلوة** اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها
من ان يقع في شيء من فرائضها وسننها وآدابها زيغ من اقام العود اذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة عليها من قامت
السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمر
لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتماله
على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة
اقرب والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى وانما كتبتا بالواو مراعاة للفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص
بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين وهما العظمان الناتئان في اعلى الفخذين لان المصلي يفعله في ركوعه
وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع
والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة العطاء ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعي
وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانه منع

من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا يرى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون
من الحلال الصرف فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم ما رزقهم الله تعالى بقوله قل أرأيتم ما
انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم
لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق لهما بما روي عنه عم في حديث
عمرو بن قرة حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فأذن لي بالغناء
من غير فاحشة فقال صلى الله عليه وسلم لا آذن لك ولا كرامة نعمة كذبت اي عدو الله والله لقد رزقك الله
حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن
المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاد اخوان خلا
ان في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا
ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها
من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد
جوز ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عم ان علما
لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما
انزل اليك وما انزل من قبلك** معطوف على الموصول الاول على تقديري وصله بما قبله وفصله عنه مندرج
معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا او من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام اذ المراد
بالاولين الذين آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالآخرين
الذين آمنوا بالقرآن بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرابه وعلى المتقين على ان يراد بهم
الاولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للايذان بتنزههم عن حالتهم الاولى بالكلية لما فيها من كمال القبح
والمباينة للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الآخرين فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون
باصول الشرائع التي لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا
تحت المتقين ولا يكون توسيط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله الى الملك القرم
وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب او لان كل واحد
من الايمان بما اشير اليه من الامور الغائبة والايمان بما يشهد بثبوته من الكتب السماوية نوع متميز جليل على حياله
شأن خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يبرز له موصوف مستقل ولا يجعل احدهما تتمة الآخر وقد تبع الاول
باداء الصلوة والصدقة اللتين هما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك الامور والمؤمن بها تتمة لصفات كمال العلم
بالعمل وقرن الثاني بالايقان بالآخرة مع كونه منطويا تحت الاول تعريضا بما في اعتقاد اهل
الكتابين من الخلل كما سيأتي هذا على تقدير تعلق الباء بالايمان وقصر عليه [illegible]
[illegible] مع قطع النظر عن [illegible] والايمان بالكتب المنزلة التي [illegible]
[illegible]
بين الايمان بما يدركه العقل جملة والايقان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بالامور التي لا سبيل اليها [illegible]
وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير القبيلين وتباين السبيلين هذا وان يراد بالموصول الثاني [illegible]
فريق خاص منهم وهم مؤمنو اهل الكتاب خصوا بالذكر تخصيص جبريل وميكائيل اثر جريان ذكر الملائكة تعظيما لشأنهم
وترغيبا لامثالهم واقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمال والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني باعتبار تعلقها
بالاعيان المستتبعة لها فنزول ما عدا القرآن من الكتب الالهية الى الرسل [illegible]
[illegible] وحيا او [illegible] من اللوح المحفوظ [illegible] الى الرسل [illegible] والمراد بما انزل اليك

هو القرآن باسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا وما انزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر من انزل اليه من الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل الآية والايمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه على الكل عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش وبناء الفعلين للمفعول للايذان بتعين الفاعل والجري على سنن الكبرياء وقد قرئا على البناء للفاعل • وبالآخرة هم يوقنون الايقان اتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا اي يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا اولا وهل هو دائم اولا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين والآخرة تأنيث الآخر كما ان الدنيا تأنيث الادنى غلبتا على الدارين فجريا مجرى الاسماء وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجراء لضمة ما قبلها مجرى ضمتها في وجوه ووقتت ونظيره ما في قوله لحب المؤقدان الي موسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود وقوله تعالى اولئك اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وجل على هدى خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كأنه قيل على اي هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد او على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية منتزعة باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تأكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدى حسبما حققته لا سيما مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سؤال ينشأ مما سبق كأنه قيل ما للموصوفين بما ذكر من النعوت اختصوا بهدى ذلك الكتاب العظيم الشأن وصاروا احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بذلك مالكون لزمام اصل الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد حاد عن سنن الصواب من قال انه تقرير للجواب ان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واما على تقدير كونهما مفصولين عنه ففي محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كأنه قيل ما بال المتقين مخصوصين به فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة اي الذين هذه شئونهم احقاء بما هو اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذين قارعوا دون

رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجتهم في سبيل الله اولئك سواد عيني وسويداء قلبي واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول لما فيه من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والايماء الى بعد منزلته كما مر هذا وقد جوز ان يكون الموصول الاول جاريا على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدأ واولئك الخبر ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بغير المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح واولئك هم المفلحون تكرير اسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشأن المشار اليهم وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عمن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيد تشبيههم بالبهائم فتكون الجملة الثانية مقررة للاولى واما الافلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه اعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة حسبما اشير اليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب في اقتفاء اثرهم والارشاد الى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق ان الذين كفروا كلام مستأنف سيق لشرح احوال الكفرة الغواة المردة العتاة اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنائي في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى مسوقة لبيان رفعة شأن الكتاب في باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله او مفصولا عنه فانه مبني على سؤال نشأ من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم في الغواية والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وانما اوثرت هذه الطريقة ولم يقتصر على الكلام على بيان ان الكتاب هدى للاولين وغير مجد للآخرين ... وان من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء ودخول نون الوقاية عليها كانني ولعلني ونظائرهما واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني ايذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا فيه وعند الكوفيين لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب واجيب بان ارتفاعه مشروط بالتجرد عن العوامل والا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمالها فيه وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في مواقع الشك والانكار قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص منه غير المصرين بما اسند اليه من قوله تعالى سواء عليهم الخ والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور قال لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح بدنه وفي الشريعة انكار ما علم بالضرورة

تضاعيف نسخة

بمجي الرسول عم به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فان من
صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجتري على امثال ذلك اذ لا داعي اليه كالزنى وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث
القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات
التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم سواء
هو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى عليهم
متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية
لان الهمزة وام مجردتان عن الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله عز
وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص
كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتدا وسواء عليهم
خبر قدم عليه اعتناء بشانه والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به
اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى هذا
يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل انذارك
وعدمه سيان عليهم والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرير
معنى الاستواء وتاكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتدا وما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار
وعدمه سواء لا بيان كون المستوي الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف للاحتراز عنه افعال من نذر بالشيء
اذا علمه فحذره والمراد هٰهنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه لما انهم ليسوا باهل
للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث
لم يتاثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة راسا اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما وبتوسيطها والثانية
بين بين وبلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ
بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن لا يؤمنون جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال
ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل منه او خبر لان وما قبلها اعتراض بما هو
علة الحكم او خبر ثان على راي من يجوز كونه جملة والاية الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بما لا يطاق فانه
تعالى قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون قطعا استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع
مع كونهم مامورين بالايمان باقين على التكليف ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف
بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا يستدعي اغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء
والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وليس ما كلفوه
الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلفوا الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به النبي عم
اجمالا على ان كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوما لهم وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا يفيد الزام الحجة واحراز الرسول
عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون وفي الاية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات الباهرة
ختم الله على قلوبهم استئناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه او بيان وتاكيد له والمراد بالقلب محل
القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له او لما فيه من التعرض له كما في البيت
الفارغ والكيس المملوء والاول هو الانسب بالمقام اذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب
تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا اما على
طريقة الاستعارة التبعية بان يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول

بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه وحقه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة
الماضي واما على طريقة التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة
من ان يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من
محال معدة لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم وحيل بينها وبين ما اعدت لاجله
بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من امور عدة قد اقتصر من
جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي منوي مراد قصدا
بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب في تلك الالفاظ وان كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو امر عقلي
منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار
هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع
مجموع معاني تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود لم تكن الهيئة المنتزعة من معانيها مدلولا وضعيا لها ليكون
ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة
التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضع له ذهب قدماء المحققين كالشيخ
عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسما برأسه ومن رام تعليل الاقسام عد تلك الهيئة المشبهة بها من قبيل
المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل
الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث
عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى وورود الاية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون
افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه تعالى ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح
كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا
في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه
بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن
او بقلوب قد ختم الله تعالى عليها كما في سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته ومنها انه ذلك
بفعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت
في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق الى تحصيل ايمانهم طريق سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف
عبر عن ذلك بالختم لانه سد لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بترامي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر
والفساد ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وقربه ويعضده قوله تعالى
ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون
عنهم وعلى سمعهم عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على
قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم
للايذان بانها الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه طريق لها فلا ختم
عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم لما نفعهم ذلك حسبما نبئ عنه قوله تعالى ولو علم
الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل
لها وهو المراد هٰهنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم حاله على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال
ولان جنايتهم من حيث السمع الذي به يتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي به
يشاهد الاحوال الدالة على التوحيد وبيانه انها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل

تحصيل نسخ

حيث ذكرها قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولاً اصم ولان السمع وسيلة
الى استكمال العقل بالمعارف التى تتلقف من اصحابها وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار الاصل ولتقدير
المضاف اي وعلى حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل وعلى ابصارهم غشاوة الابصار جمع
بصر والكلام فيه كما سمعته فى السمع والغشاوة فعالة من التغشية اي التغطية بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة
والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على رأي سيبويه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها
وايثار الاسمية للايذان بدوام مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباصرة من الآيات المنصوبة فى الآفاق والانفس
حيث كانت مستمرة كان تعاميهم من ذلك ايضا كذلك واما الآيات التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها
اليها حينا فحينا اوثر فى بيان الختم عليها وعلى ما هي احد طريقي معرفته اعني القلب الجملة الفعلية وعلى رأي الاخفش
مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة وقيل
على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما
لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع ولهم عذاب عظيم
وعيد وبيان لما يستحقونه فى الآخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه
ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا فانه ينقخ العطش ويكسره وفراتا لانه
يرفت على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة
وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتعذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير
فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان فى الجثث والاحداث تقول رجل عظيم و
كبير تريد جثته او خطره ووصف العذاب به لتاكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة فى ذلك والمعنى
ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الآيات ولهم من الآلام
العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين ومن الناس
شروع فى بيان ان بعضا من حكيت احوالهم السالفة ليسوا بمقتصرين على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر والعناد
بل يضمون اليه فنونا اخر من الشر والفساد وتعديد الجنايات الشنيعة المستتبعة للاحوال الهائلة عاجلها وآجلها
واصل ناس اناس كما يشهد له انسان واناسي وانس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة فى الوقة وعوض عنها حرف
التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما واما ما فى قوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فشاذ وسموا بذلك
لظهورهم وتعلق الايناس بهم كما سمي الجن لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها
وانفتاح ما قبلها وبعضهم الى انه مأخوذ من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت الفا سموا
بذلك لنسيانهم ويروى عن ابن عباس رض انه قال سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما للعهد
او للجنس المقصور على المصرين حسبما ذكر فى الموصول كانه قيل ومنهم او من اولئك والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم
كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه او نعت لمقدر هو المبتداء كما فى قوله عز وجل
ومنا دون ذلك اي وجمع منا الخ ومن فى قوله تعالى من يقول موصولة او موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى
وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال الخ على ان يكون مناط الافادة والمقصود
بالاصالة اتصافهم بما فى حيز الصلة او الصفة وما يتعلق به من الصفات جميعا لا كونهم ذوات اولئك المذكورين
واما جعل الظرف خبرا كما هو الشائع فى موارد الاستعمال فيأباه جزالة المعنى لان كونهم من الناس ظاهر فالاخبار به
عار عن الفائدة كما قيل فان مبناه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقا وكذا مدار الجواب عنه بان الفائدة هو التنبيه
على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فتحقق من يتصف بها ان لا يعلم كونه من الناس فيخبر به ويتعجب منه وانت خبير
بان الناس عبارة عن المعهودين او عن الجنس المقصور واياما كان فالفائدة ظاهرة بل لان خبرية الظرف تستدعي

[illegible]

ان يكون اتصاف هؤلاء بتلك الصفات القبيحة المتصلة فى ثلث عشرة آية عنوانا للموضوع مفروغا عنه غير مقصود
بالذات ويكون مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولا ريب لاحد فى انه يجب حمل النظم الجليل على اجزل
المعاني واكملها وتوحيد الضمير فى يقول باعتبار لفظة من وجمعه فى قوله تعالى آمنا بالله وباليوم الآخر وما بعده
باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
اذ لا حد وراءه وتخصيصهم للايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء لادعاء انهم قد حازوا الايمان من قطريه واحاطوا
به من طرفيه وانهم قد آمنوا بكل منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقائد الفاسدة
حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما ايمانا فى الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم
الآخر بقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما
قالوا لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولون تمويها
على المسلمين واستهزاء بهم وما هم بمؤمنين رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما حجازية فان جواز دخول الباء
فى خبرها للتاكيد اتفاقي بخلاف التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة
للمبالغة فى الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم فى جميع الازمنة لا فى الماضي فقط كما يفيده الفعلية ولا يتوهمن ان
الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة
المقام تدل على دوام النفي قطعا كما ان المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول
حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما فى قوله تعالى ولو يعجل الله للناس
الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرار التعجيل
واطلاق الايمان عما قيدوه به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان فى شيء اصلا فضلا عن الايمان بما ذكروا
وقد جوز ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور ومدلول الآية الكريمة ان من اظهر الايمان واعتقاده
بخلافه فلا يكون مؤمنا فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بان من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه
او ينافيه مؤمن يخادعون الله والذين آمنوا بيان ليقولون وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون او استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من قاليه الذهن كانه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ اي يخدعون
وقد قرئ كذلك وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة فى الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او فى
الكمية كما فى الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد من المكروه
[illegible] المساعدة [illegible]
خادع [illegible]
مناسب للمقام [illegible]
انفسهم [illegible]
[illegible]
صلى الله عليه وسلم [illegible]
فوق ايديهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

صنيعهم صورة صنيع المتخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم اما الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا
ان الله يخدعهم مقابلة خدعهم له لم يتصور منهم التصدي للخدع واما الثاني فمقتضى المقام ايراد حالهم خاصة
وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة وبيان ان غائلتها آئلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه
قوله عز قائلا وما يخادعون الا انفسهم فالتعرض لحال الجانب الآخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو
حال من ضمير يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة
عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى وقرئ وما يخادعون
والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين الا
انفسهم لان ضررها لا يحيق الا بهم او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضا تغرهم
وتمنيهم الاماني الفارغة وقرئ وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يختدعون ويخدعون ويخادعون
على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لان الحي به وللقلب
ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد ههنا هو
المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى وما يشعرون
حال من ضمير ما يخدعون اي يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي ما يحسون بذلك لتماديهم في الغواية
وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اي ما يشعرون بشيء اصلا وجعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة
الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على مؤف الحواس مختل المشاعر في قلوبهم مرض المرض عبارة عما يعرض للبدن
فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في افاعيله ويؤدي الى الموت استعير ههنا لما في قلوبهم من الجهل
وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك الروحاني والتنكير
للدلالة على كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين
من استمرار عدم ايمانهم او تعليل له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم مرض يمنعه فزادهم الله مرضا بان طبع
على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب
مضمونها عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف
بنزول الوحي يزدادون كفرا ويجوز ان يكون المرض مستعارا لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند
مشاهدتهم لعزة المسلمين فزادهم تعالى ايام مرضا مما فعل بهم من القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزازه
بامداد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة وتاييده بفنون النصر والتمكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض على الاول
تعليلي لقوله تعالى يخادعون الله الخ كانه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم لا يجاهرون بما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم
ضعف مضاعف منعه حالهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف
العذاب للمبالغة كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجيع حقيقة للمولم والموجع
كما ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المولم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما سيجيء في قوله تعالى بديع السموات والارض
بما كانوا يكذبون الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة
لافادة دوام كذبهم وتجدده اي بسبب كذبهم او بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم
غير مؤمنين فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انشاء للايمان ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم وهو
ليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز ان يكون محمولا على الظاهر بناء على ان يحر
ان يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح به في قول الشاعر ببذل وحلم ساد في قومه الفتى وكونك اياه عليك يسير
اي لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سائر موجباته القوية اما لان المراد
بيان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور شركتهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم حسب اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار

على الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس الخ واما للايذان بان لهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من العذاب
ما لا يوصف واما للرمز الى كمال سماحة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم
السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق
رضي الله عنه ويروى مرفوعا ايضا الى النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روي ان ابراهيم عليه السلام
كذب ثلث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمي به لشبهه به صورة وقيل ما موصولة والعائد محذوف اي بالذي يكذبونه
على ان العائد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في بين في بان وقلص في قلص وللتكثير كما في موتت
البهائم وبركت الابل وان يكون من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متوقف
في امره متردد في رايه ولذلك قيل له مذبذب واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض شروع في تعديد بعض من قبائحهم
المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف زمان مستقبل يلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا في الامر
المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل ومعناه الانهاء والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا
على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشيء عن الحالة اللائقة به والصلاح مقابله
والفساد في الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش
والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي اليه من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون
الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيديك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو اما
معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل له من الاعراب ولا باس بتخلل البيان او الاستيناف
وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس توسيطا بالاجنبي وان جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن
الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الافساد في الارض قالوا اراءة للناهين ان ذلك غير صادر
عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك افسادا وادعاء كونه اصلاحا محضا كما سياتي توضيحه انما نحن مصلحون
اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الافساد والفساد ومشيرين بكلمة انما الى ان ذلك من
الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه واما ما تقدم من تمشية امرهم... واما عطفه على يكذبون بمعنى ولهم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الا انهم هم المفسدون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
على الاصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى ولكن لا يشعرون [illegible]

المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين وما بعدهما من رد مضمونهما ولو ان المراد
تفصيل جناياتهم وتعديد خبائثهم وهناتهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها لما فتح هذا الباب والله اعلم بالصواب
وإذا قيل لهم من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد آمنوا حذف
المؤمن به لظهوره او اريد افعلوا الايمان كما آمن الناس الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف
اي آمنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية او كافة كما في ربما فانها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة ويكون التشبيه
بين مضموني الجملتين اي حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية العاملون
بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك
يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بانسان وقد جمعهما من قال اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد
الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا
بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين المراجيح الرزان بضدها وصانهم
قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء مشيرين باللام الى من اشير اليهم في الناس من الكاملين او المعهودين او الى الجنس باسره وهم
مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأي يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه
مع انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين
له سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لا محالة ضلالا او لتحقير شأنهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء
ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله
وايا ما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل ان يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر من المؤمنين
الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير الاعلام والقدح في ايمانهم لزم كونهم مجاهرين
لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق والسياق وعن هذا قالوا ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين
قال الامام الواحدي انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه عم والمؤمنين بذلك
عنهم وانت خبير بان ابراز ما صدر عن احد المتخاصمين في الخلوة في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به في الكلام
فضلا عما هو في منصب الاعجاز فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم
مجاهرين فانه ضرب من الكفر انيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم اسمع غير مسمع فكما انه كلام ذو وجهين
مثلهم محتمل الشر بان يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه والخير بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون
به رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به
ولذلك نهي عنه كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به
من النفاق على معنى أنؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كايمان الناس حتى تأمرونا
بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين لارادة المعنى الاخير وهم معولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز وعلا
ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ابلغ رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التأكيد حسبما اشير اليه
فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغة الى حيث لا يدرون انهم سفهاء وعن هذا اتضح لك سر ما مر في
تفسير قوله تعالى انما نحن مصلحون فان حمله على المعنى الاخير كما هو رأي الجمهور ينافيه حالهم ضرورة ان مشافهتهم
الناصحين بادعاء كون ما نهوا عنه من الافساد اصلاحا كما مر اظهار منهم للشقاق وبروز باشخاصهم من نفق
النفاق والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مداراتهم المشركين كما ذكر في بعض التفاسير وبالاصلاح الذي يدعونه
اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وان معنى قوله تعالى الا انهم هم المفسدون انهم في تلك المعاملة مفسدون لمصالح
المؤمنين لاشعارها باعطاء الدنية وانبائها عن ضعفهم الملجئ الى توسيط من يتصدى لاصلاح ذات البين
فضلا عن كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه قطعا فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وانه يقتضي

ان يكون المنافقون في تلك الدعوى [illegible] قاصدين للاصلاح [illegible] ومن حيث لا يشعرون ولا ريب في
انهم [illegible] المؤمنين [illegible] اشير اليه فان
قولهم انما نحن مصلحون [illegible]
[illegible]
فرد عليهم [illegible] والله سبحانه اعلم [illegible]
الصحة والتوفيق والهداية الى الصواب [illegible] بلا يعلمون لما انه اكثر طباقا لذكر السفه الذي
هو فن من فنون الجهل [illegible] على ان المؤمنين ثابتون على الحق [illegible] الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك
مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال واما النفاق وما فيه من الفتنة والافساد وما يترتب عليه [illegible]
[illegible] وإذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم في اثناء المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين وما صدرت
به [illegible] المتعلق بالايمان [illegible] عبد الله بن
ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن ابي انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ
بيد ابي بكر رض فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رض فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي رض فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت وقيل قال له علي رض يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن
اني تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا
رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اي صادفته واستقبلته وقرئ اذا لاقوا وإذا خلوا من خلوت
الى فلان اي انفردت معه وقد يستعمل بالباء او من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك ذم اي جاوزك
ومضى عنك وقد يجوز كونه من خلوت به اذا سخرت منه على ان تعديته بالى في قوله تعالى إلى شياطينهم لتضمنه معنى الانهاء
اي واذا انهوا اليهم السخرية الخ والتعبير بها تقييد قولهم المحكي بذلك الانهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم الماثلون
منهم للشيطان في التمرد والعناد المظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم
وجعل سيبويه نون شيطان تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له
قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه فعلان من شاط اي هلك او بطل ومن اسمائه الباطل وقيل معناه هاج
واحترق قالوا إنا معكم اي في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لان
مدعاهم عندهم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتأكيد للانباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لانكار
الشياطين بخلاف معاملتهم مع المؤمنين فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال فيه والثبات
عليه إنما نحن في اظهار الايمان مستهزئون بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة وهو استيناف مبني على سؤال ناشئ من ادعاء
المعية كانه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين في الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انما نحن مستهزئون بهم فلا يقدح
ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا جوابهم انهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم او تأكيد لما قبله فان المستهزئ
بالشيء مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشيء السخرية منه يقال هزأت واستهزأت
بمعنى واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقته اي تسرع به وتخف الله يستهزئ بهم
اي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة في اللفظ او المقارنة في الوجود او يرجع وبال
الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما

في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم كاستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة فبما روي
انه يفتح لهم باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار
يضحكون وانما استونف للايذان بانهم قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المؤمنين الى غاية ظهرت شناعته عند السامعين
وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرهم الى ان يقولوا ما مصير امر هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه ان ذلك هو الذي ارهم ولا يحوجهم الى المعارضة
بالمثل وينبه على ان الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل
والهوان ما لا يوصف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز قائلا اولا يرون انهم يفتنون في كل
عام مرة او مرتين وما كانوا خالين في اكثر الاوقات من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من ذلك
كما ينبئ عنه قوله عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون **ويمدهم**
اي يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج اذا اصلحتهما بالحبر والزيت واسناده
الى يزيدهم للرمز الى ان ذلك منوط بسوء اختيارهم لما انه انما يتحقق عند الاستمداد او ما يجري مجراه من الحاجة الداعية اليه
كما في الامثلة المذكورة وقرئ يمدهم من الامداد وهو صريح في ان القراءة المشهورة ليست من المد في العمر فانه يستعمل باللام
كالاملاء قال تعالى ونمد له من العذاب مدا وحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير خلاف الاصل لا يصار اليه الا بدليل
في طغيانهم متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل امر والمراد افراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ بكسر الطاء وهي لغة
فيه كلقيان ولقيان وفي اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتأييد لما اشير اليه من ترتب المد على سوء اختيارهم
يعمهون حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو
التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه واسناد هذا المد الى الله تعالى مع اسناده في قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي
محقق لقاعدة اهل الحق من ان جميع الاشياء مستندة من حيث الخلق اليه سبحانه وان كانت افعال العباد من حيث الكسب
مستندة اليهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على مسلكه نكبوا الى شعاب التأويل فاجابوا اولا بانهم لما اصروا
على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم الطافه فتزايد الرين في قلوبهم فتسمى ذلك مددا في الطغيان فاسند ما ادوه اليه تعالى ففي المسند
مجاز لغوي وفي الاسناد عقلي لان اسناد الفعل الى المسبب له وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانيا بانه اريد بالمد في الطغيان
ترك القسر والالجاء الى الايمان كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند فقط وثالثا بان المراد
به معناه الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه اسند اليه سبحانه مجازا لانه بتمكينه تعالى واقداره **اولئك** اشارة
الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا كانهم حضار
مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء
خبره قوله **الذين اشتروا الضلالة بالهدى** والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال جنايتهم فيما حكي عنهم من الاقوال
والافعال باظهار غاية سماجتها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة
الجور عن القصد والهدى التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء
استبدال السلعة بالثمن اي اخذها به لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء و
مفهومه هو الجلب دون السلب الذي هو المعتبر في عقد البيع ثم استعير للاخذ شيء باعطاء ما في يده عينا كان كل منهما او معنى لا
للاعراض عما في يده محصلا به غيره كما قيل وان استلزمه لما مر ومنه قوله اخذت بالجمة رأسا ازعرا وبالثنايا
الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا
منه اخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه ولا اقتضى ذلك ان يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما
يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم اذ ذاك حسبما هو في البيت ولا ريب في انهم بمعزل من الهدى مستمرون على الضلالة استيجلاب
تحقيق ما يجري مجرى العوضين نقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلالة الشاملة لجميع اصناف
الكفرة حتى يكون حاصلة لهم من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد وهو عمههم المقرون بالمد في الطغيان

المترتب على ما حكي عنهم من القبائح وذلك انما يحصل لهم عند اليأس عن اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما
في حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وتآخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة
كأنه نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع الجدوى ولا مرية في ان هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه
من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها
ما حكي من النهي عن الفساد في الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم واخذوا بدلها الضلالة الهائلة
التي هي العمه في تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد يأباه ان اضاعتها غير مختصة بهؤلاء
ولئن حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من الشناعة ما في
اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على ان ذلك يفضي الى كون ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة
الى ههنا ضائعا وابعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه
يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل برونق
الترشيح الآتي هذا على تقدير كون الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بتجاوب اطراف النظم الكريم
واما اذا جعل ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوته صلى الله عليه وسلم
وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه في التوراة من نعوته وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين
ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق
ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند
لقاء المؤمنين فانها ضلالة مضاعفة **فما ربحت تجارتهم** عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب
مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال يقال ربح
في تجارته اي اشف فيها واصاب الربح واسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران اليها وهو لاربابها بناء على التوسع المبني
على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته الى
ما يلابسهم وايرادهما اثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد
الهدى بصورة خسار التجارة الذي يتحاشى عنه كل احد للاشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك ان التجارة في نفسها
استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة اذ
ليس من ضروريات الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد بها الا تقويتها كما في قولك رأيت
اسدا وافي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير الشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ البراثن معنى آخر
بل قد يكون مستعارا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله
فلما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي
الذي هو موضع يتخذه الطائر للتفريخ للرأس واللحية او للفودين اعني جانبي الرأس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة
لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول المستمر ترشيح
لتينك الاستعارتين بالاعتبارين المذكورين وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف اليهم **وما كانوا مهتدين**
اي الى طريق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك
في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فهؤلاء الذين كان رأس مالهم الهدى
قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كلتا الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة
راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتب على الاشتراء المذكور والاولى عطفها على اشتروا **مثلهم**
زيادة كشف لحالهم وتصوير لها غب تصويرها بصورة ما يؤدي الى الخسار بحسب المآل بصورة ما يفضي الى الخسار
من حيث النفس تهويلا لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء

عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الابي كيف لا وهو يرفع الحجاب عن وجوه المعقولات
الخفية وابرازها في معرض المحسوسات الجلية وابداء المنكر في صورة المعروف واظهار الوحشي في هيأة المألوف والمثل
في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده
وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا فيه غرابة صيرته جديرا بالتسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد
استعير لكل حال او صفة او قصة لها شان عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينها وبين شيء آخر تشبيه ومنه قوله عز
وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي قصتها
العجيبة الشان كمثل الذي اي الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا خلا انه وحد الضمير في قوله تعالى استوقد
نارا نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القائم مقام القائمين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة
صلة له دون نفسه بل انما هو وصلة لوصف المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه
فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه ان لا يجمع
ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شان اخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى
ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد او الفوج او الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف
مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والاستيقاد طلب الوقود اي سطوعها وارتفاع
لهبها وتنكيرها للتفخيم فلما اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس
ضياء والقمر نورا وتجيء متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد اي فلما اضاءت النار ما حول المستوقد او
فلما اضاء ما حوله والتانيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار نفسها فيما حوله على ان ذلك
ظرف لاشراق النار المنزل منزلتها لا لنفسها او ما مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول
لانه يدور ذهب الله بنورهم النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذي والجمع باعتبار المعنى اي اطفأ
الله نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد لا الا
ونحوه كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شب ضرامها او نحو ذلك وهو جواب لما او استئناف
اجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره او بدل من جملة التمثيل على
البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز والامن من الالتباس
كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في احيائها واسناد الاذهاب
الى الله تعالى اما لان الكل بخلق الله تعالى واما لان الانطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح ومطر واما
للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله
اذا اخذه وما اخذه الله عز وجل فما امسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر
الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد ازالته
بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرة
لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله
تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين ولا اثر واما لان المراد بالنار ما لا يرضى به الله تعالى
من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ووصفها باضاءة
ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا
بها في طرق العيث والفساد فاطفأها الله تعالى وخيب آمالهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد
فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب قال فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم والظلمة
ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرئ في ظلمات

بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة
التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيمة
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو النور الفطري
المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق او بالهدى الذي كانوا حصلوه من التورية حسبما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة
حتى كاد ينتفع بها فاطفأها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الابصار صم بكم عمي اخبار لمبتدا
محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتاويل المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض والصمم آفة مانعة من السماع
واصله الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه الحجر الاصم والقناة الصماء وصمام القارورة سدادها سمي به فقدان حاسة
السمع لما ان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه
والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث سدوا
مسامعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا
ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق
والانفس بعين التدبر واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية وهذا
عند مفلقي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال ويصعد حتى يظن الجهول بان له
حاجة في السماء لما ان المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى
لو لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم فهم لا يرجعون
الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي
تركوه وضيعوه او عن الضلالة التي اخذوها والآية نتيجة التمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى امر
التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة من غير تعرض لمشعري السمع والنطق ولا لاختلال مشعر الابصار وقيل الضمير المقدر
وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالآية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له بان ما اصابهم ليس مجرد
انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا
بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين في مكانهم لا يرجعون ولا يدرون أ يتقدمون أم يتأخرون
وكيف يرجعون الى ما ابتدؤا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم ونصب صما بكما عميا على
الذم كما في قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون واما على الحال من الضمير
المنصوب في تركهم والمرفوع في لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم فالضمير للمستوقدين او كصيب تمثيل لحالهم اثر
تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفى حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها
من حال الى حال حقيق بان يضرب في شانه الامثال ويرخى في حلبته اعنة المقال او يمد لشرحه اطناب الاطناب
ويعقد لاجله فصول ذوات ابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة لا بد ان يوفى فيه حق
كل من مقامي الاطناب والايجاز فما ظنك بما في ذروة الاعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعي عليهم فيه تفاصيل
جناياتهم وهو عطف على الاولى على حذف المضاف لما يستدعيه الضمائر المستدعية لذلك اي كمثل ذوي صيب
وكلمة او للايذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا
والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع وتاثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ عفا يرشح
البوبيع الصبا واسم ذات صادق الرعد صيب ولعل الاول هو المراد ههنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لما انه
اريد به نوع منه شديد هائل كالنار في التمثيل الاول وامد به ما فيه من المبالغات من جهة مادته الاولى التي هي
الصاد المهملة والياء المشددة والباء الشديدة ومادته الثانية اعني الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب
ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ او كصائب من السماء متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد

باسماء وهذه المظلة وهي في الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف اي ممنوع بقدرة الله
عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها اي كل
ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة قال ومن بعد ارض بيننا وسماء كما ان كل طبقة من طباقها سماء قال تعالى واوحى
في كل سماء امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام
لتعريف الماهية فيه ظلمات اي انواع منها وهي ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال ما يلزمه
من الغمام الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها لغيره كظلمتي الغمام والليل
لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته
ظلمتي الليل والغمام وهو السر في عدم جعل الظلمات هو الاصل المستتبع للبواقي مع ظهور ظرفيتها للكل اذ لو قيل او
كظلمات فيها صيب لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها ورعد وهو صوت يسمع
من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض او من انقلاع بعضها عند بعض عند
اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا وبرق وهو ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اي لمع وكلاهما
في الاصل مصدران ولذلك لم يجمعا وكونهما في الصيب باعتبار كونهما في اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه وكونهما
في الظلل الكائنة فيه والتنوين في الكل للتفخيم والتهويل كانه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف
وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او
حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن في الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب
والضمائر في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم للمضاف الذي اقيم مقامه المضاف اليه فان معناه باق وان
حذف لفظه تعويلا على الدليل كما في قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فان الضمير
للاهل المدلول عليه بما قام مقامه من القرية قال حسان يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل
فان تذكير الضمير المستكن في يصفق لرجوعه الى الماء المضاف الى بردى والا لانث حتما وايثار الجعل المنبئ عن دوام
الملابسة واستمرار الاستقرار على الادخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج الى الداخل للمبالغة في سد المسامع باعتبار
الزمان كما ان ايراد الاصابع بدل الانامل للاحتجاج في بيان سدها باعتبار الذات كانهم سدوها بجملتها لا بانامله
فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال
الجوارح على الوجه المعتاد وكذا الحال في عدم تعيين الاصبع المعتادة اعني السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة
استيناف لا محل لها من الاعراب مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل عند بيان احوالهم الهائلة فماذا يصنعون في
تضاعيف تلك الشدة فقيل يجعلون الخ وقوله عز وجل من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق
المقارنة للرعد من قولهم سقاه من الغيمة والصاعقة قصفة رعد هائل تنقض معها شقة نار لا تمر بشيء الا اتت عليه
من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان تكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الرواية
او مصدرا كالعافية وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او
بشدة الصوت وسد الآذان انما يفيد على التقدير الثاني دون الاول وقرئ من الصواقع لاستواء كلا البنائين في
التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع اي مجهر بخطبته حذر الموت منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفا
بالاضافة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره * واصفح عن شتم اللئيم تكرما ولا ضير في تعدد المفعول له فان الفعل يعلل
بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدرية اي يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف
وقرئ حذار الموت والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق
بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط شبه شمول قدرته
تعالى لهم وانطواء ملكوته عليهم باحاطة المحيط بما احاط به في استحالة الفوت او شبه الهيئة المنتزعة من شؤونه

معهم بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية في الصفة
متفرعة على ما في مصدرها من الاستعارة والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه به على ما هو العمدة
في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني الاحاطة والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما عرفته
في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية منبهة على ان ما صنعوا من سد الآذان بالاصابع لا يغني عنهم شيئا
فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد باس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى اصحاب
الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث
قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشئ من السخط اشد وقيل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على
ان المراد بالكافرين المنافقون قد دل به على انه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة وانما وسط بين احوال
المشبه به مع ان القياس تقديمه او تأخيره لاظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشأن المشبه يكاد البرق استئناف
آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك يخطف ابصارهم اي يختلسها
ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتآخذ اسبابه وتعاضد مباديه
لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا عاريا عن كلمة ان وشذ مجيئه اسما صريحا
كما في قوله فابت الى فهم وما كدت آئبا وكذا مجيئه مع ان حملا لها على عسى كما في قول رؤبة قد كاد من طول البلى ان يمصحا
كما تحمل عليه بالحذف لما بينهما من المقارنة في اصل المقاربة وليس فيها شائبة الانشائية كما في عسى وقرئ يخطف بكسر
الطاء ويخطف بفتح الياء والخاء وبنقل فتحة التاء الى الخاء وادغامها في الطاء ويخطف بكسرها على اتباع الياء للخاء و
يخطف من صيغة التفعيل ويتخطف مع قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم كلما ظرف وما مصدرية
والزمان محذوف اي كل زمان اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف اي كل وقت
اضاء لهم فيه والعامل في كلما جوابها وهو استئناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في اثناء ذلك الهول ايفعلون
بابصارهم ما فعلوا باذانهم ام لا فقيل كلما نور لهم البرق ممشى ومسلكا على ان اضاء متعد والمفعول محذوف
او كلما لمع لهم على انه لازم ويؤيده قراءة كلما ضاء مشوا فيه اي في ذلك المسلك او في مطرح نوره خطوات
يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لها
واذا اظلم عليهم اي خفي البرق واستتر والظلام وان كان غيره لكن لما كان الاظلام دائرا على استتاره اسند
اليه مجازا تحقيقا لما اريد من المبالغة في موجبات تخبطهم وتحيرهم ويجوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل
وعليه ما جاء في قول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا * ظلاميهما عن وجه امرد اشيب ويعضده قراءة اظلم
على البناء للمفعول قاموا اي وقفوا في اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لخفقة اخرى
عسى يتسنى لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء الى ملجأ يعصمهم وايراد كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان
بانهم حراص على المشي مترقبون لما يصححه فكلما وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال
التحير وتطاير اللب ما لا يوصف ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم كلمة لو لتعليق حصول امر ماض
هو الجزاء بحصول امر مفروض هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء ومن قضيته مفروضية الشرط
دلالتها على انتفائه قطعا والمنازع فيه مكابر واما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذي
عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة مدلولها
الوضعي لا محالة ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما في مادة الدوران الكلي كما في قوله عز وجل
ولو شاء لهداكم اجمعين وقولك لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود المشية علة لوجود الهداية حقيقة ووجود
المجيء علة لوجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضية فانتفى معلولاهما حتما
انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما في المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشائع

الثاني لامتناع الاول وتذييلا في الاستدلال بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على انتفاء الاول لكونه
خفيا او متنازعا فيه كما في قوله سبحانه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي قوله لو كان خيرا ما سبقونا
اليه فان فسادهما لازم لتعدد الآلهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين الى الايمان لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا
في انتفاء الازمين فتعين انتفاء الملزومين حقيقة في الاول وادعاء في الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم
لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما في المثالين الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة
الى سببية العلم بانتفاء الثاني للعلم بانتفاء الاول ومن لم يتنبه له زعم ان لا انتفاء الاول لانتفاء الثاني ولما
في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء فلا ان الجزاء المنوط بالشرط الذي هو طلوعها
ليس وجود اي ضوء كان كضوء القمر الجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشي من الطلوع
ولا ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بني الحكم على عدمه فاما ان يعتبر
هناك تحقق مدار آخر له اولا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول منافاة
تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة معلق
بسبب آخر له ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو ليس مدارا لوجود الضوء في الحقيقة وانما وضع موضع المدار
لكونه كاشفا عن تحقق مدار آخر له كما اذا قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء لسبب آخر كالقمر مثلا ولا ريب في ان
هذا الجزاء منتف عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة
تعين عدم الدلالة كما في قوله صلى الله عليه وسلم في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة
اخي من الرضاعة فان المدار المعتبر في ضمن الشرط اعني كونها ابنة اخيه من الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي هو
كونها ربيبته بل يجامعه ومن ضرورته مجامعة اثريهما اعني الحرمة الناشئة من كونها ربيبته والحرمة الناشئة
من كونها ابنة اخيه من الرضاعة وان لم يعتبر هناك تحقق مدار آخر بل بني الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على
اصلا كيف لا ومساق الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزاء على كل حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه
بالطريق الاولى كما في قوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم وقوله عم لو كان الايمان في الثريا
لناله رجال من فارس وقول علي رض لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الاجزية المذكورة قد نيطت بما ينافيها
ويستدعي نقائضها ايذانا بانها في انفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء اسبابها او تحقق اسباب انتفائها فكيف
اذا لم يكن على طريقة لو الوصلية في مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ولما تفاصيل وتفاريع
حررناها في تفسير قوله تعالى اولو كنا كارهين وقول عمر رض نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ان حمل على
تعليق عدم العصيان في ضمن عدم الخوف بمدار آخر نحو الحياء والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف كان من قبيل
حديث ابنة ابي سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والآية الكريمة واردة على
الاستعمال الشائع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من المشاق وانها قد بلغت من الشدة الى حيث
لو تعلقت مشيئته تعالى بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها
مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الآخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشيئة محذوف جريا على القاعدة المستمرة
فانها اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا كما في قوله فلو شئت
ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لفعل ولكن
لم يشأ لما يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة الآية والافراد في المشهور لان السمع مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستئنافية
وقيل على كلما اضاء وقوله عز وجل ان الله على كل شيء قدير تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى
على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما

كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفي في ذلك باعتبار تعلق المشيئة به من حيث العلم والاخبار
عنه فقط وقد خص هنا بالممكن موجودا كان او معدوما بقضية اختصاص تعلق القدرة به لما انها عبارة عن التمكن
من الايجاد والاعدام الخاصين به وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل
والقدير هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن
الموجود حال وجوده انه ان شاء ابقاءه على الوجود ابقاه عليه فان علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في
تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه اعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده
اوجده وان لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن
نفي العجز عنه واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر ما يقتضيه ارادته او بقدر قوته وفيه
دليل على ان مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانه شيء وكل شيء مقدور له تعالى واعلم ان كل واحد من التمثيلين
وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
بان يشبه المنافقون في التمثيل الاول بالمستوقدين واظهارهم الايمان بالنار وتمتعهم اياه بما شاهدوه من الدلائل
باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به باضاءتها ما حولهم وازالته باذهاب النور الناري واخذ الضلالة التي بعثها
بلاياتهم الظلمات الكثيفة وبقاءهم فيها ويشبهوا في التمثيل الثاني بالسابلة والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف
التي هي مدار الحيوة الابدية بالصيب الذي هو سبب الحيوة الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والاحزان وانكساف
البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله
الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد
يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم اذا اظلم عليهم لكن
لما على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في احد الجانبين بواحد من المفردات
الواقعة في الجانب الآخر على وجه التفصيل بل ينتزع فيه من المفردات الواقعة في جانب المشبه هيئة فتشبه بهيئة
اخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به بان ينتزع من المنافقين واحوالهم المفصلة في كل واحد
من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين واصحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة بحيالها
فتشبه كل واحدة من الاوليين بما يضاهيها من الاخريين هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شانه
الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع امر زائد عليه هو تشبيه الهيئة بالهيئة وايذانه بان اجتماع تلك
المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقية بان تكون مثلا في الغرابة يا ايها الناس اعبدوا ربكم اثر ما ذكر الله
علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شانه الى ثلاث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والاحكام وكافرة
قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها
من النعوت والاحوال وبين ما لهم من المصير والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاصغاء وتوجيها
لقلوبهم نحو التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشراك به وياء
حرف وضع لنداء البعيد اما اجلالا كما في قول الداعي يا الله ويا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصارا
لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين واما تنبيها على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه
على ان ما يعقبه امر خطير يعتنى بشانه واي اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المعرف باللام لا على انه المنادي اصالة
بل على انه صفة موضحة له مزيلة لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلا اشعارا بانه المقصود بالنداء
واقحمت بينهما كلمة التنبيه تاكيدا بمعنى النداء وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه ولما ترى من استقلال هذه الطريقة
بضروب من اسباب المبالغة والتاكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد من الاحكام
والشرائع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الابية ويتلقوها باذان واعية

وأكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتأكيد للايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما ان الجموع وأسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رض بعمومها شائعا ذائعا واما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من قضية اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود هذا الامر لما ان المأمور به القدر المشترك لا انشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة حسب تكرر اسبابها ولا انتفاء شرطها في الآخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها منتظم للامر بما لا يتم الا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فان امر المحدث بالصلاة مستتبع للامر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وروي عن ابن عباس رض ان كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا في كون بعض من الفريقين الاخيرين ممن لا يجدي فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر لقطع الاعذار وليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من الايمان بعدم ايمانهم اصلا اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم بسوء اختيارهم كذلك لا ان كونهم كذلك لورود النص بذلك فلا جبر اصلا ونعم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وانتم تعلمون وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأكيد موجب الامر بالاشعار بعليتها للعبادة **الذي خلقكم** صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف **والذين من قبلكم** عطف على الضمير المنصوب ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لاحد انكاره وقرئ وخلق من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم باقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما في اقحام اللام بين المضافين في لا ابا لك او بجعله موصوفا بالظرف خبرا لمبتدأ محذوف اي الذين هم اناس كائنون قبلكم **لعلكم تتقون** المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشائع في الاستعمال لان معاني الانشاءات قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت في الآية الكريمة جهة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنة لها لتعاضد اسبابها برجاء الراجي من المرجو منه امرا هين الحصول في كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية

حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما الى التمثيل بان يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى ما حقه ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني كلمة الترجي والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا واما جعل المشيئة اي ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالى فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اي خلقكم راجيا منكم التقوى او من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لانهم المأمورون بالعبادة اي خلقكم واياكم مطلوبا منكم التقوى او علة له فان خلقهم على تلك الحالة في معنى خلقهم لاجل التقوى كأنه قيل خلقكم لتتقوا او كي تتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان تكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال او العلة لتكميل عليته للمأمور به وتأكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل في الوجوب وايثار تتقون على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها لما ان التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا لزمتهم كان ما هو ادنى منها الزم والاتيان به اهون وان روعيت جهة المخاطب فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كأنه قيل اعبدوا ربكم راجين للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون وبالانتظام القدر المشترك بين ابتداء الانتظام والثبات عليه ليرتجيه ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب المخلد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصف المفعول لما في التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف الاول من مظاهر احكام الربوبية وكونه غريبا اجابة لما في التاخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل واما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة اي خلقكم واياكم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانكم مستعدين لما تزالوا مستعدين للتقوى جامعين لما به الآفاقية والانفسية كان حالكم بحيث يرجوه منكم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة معتاد بخلقكم وان لم يتحقق الرجاء قطعا واعلم ان الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى مطالعة الآيات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق ما لا ينتفي بذلك قضاء تقتنا وقد بين فيها اولا من تلك الآيات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل **الذي جعل لكم الارض فراشا** وهو في محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص او امدح او في محل الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدأ قال ابن مالك التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح استعمالا كما في المنادى وجوبا في المرفوع اجراء للوجهين على سنن واحد وقيل هو مبتدأ خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي ان يكون مناط النهي في حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه اعظم شانا وجعل بمعنى صير والمنصوب بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين والتشويق اليه لان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده فضل تمكن او لان في

وما عطف عليه من نوع طول فلو قدم لفات تجاوب اطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا
من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط
المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطا
ومهادا والسماء بناء عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها
اكثر واظهر اي جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماءة او سماءة
والبناء في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على امراته لما انهم كانوا اذا تزوجوا امراة
ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء عطف على جعل اي انزل من جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب
الى الارض كما روي عنه عم او المراد من السماء جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار وهو على الاولين لزيادة
التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اي كائنا من السماء قدم عليه لكونه
نكرة واما تقديم الظرف على الوجه الاول مع ان حقه التاخير عن المفعول الصريح فاما لان السماء اصله ومبدؤه
واما لما مر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى فاخرج به اي بسبب الماء من الثمرات
رزقا لكم وذلك بان اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او
بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المختلفة على المادة الممتزجة منهما وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته
تعالى ومشيئته فانه تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشياء بلا مباد ومواد كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن
له عز وجل في انشائها متقلبة في الاحوال ومتبدلة في الاطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لاولي الابصار عبرا
ومزيد طمانينة الى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة ومن للتبعيض لقوله تعالى فاخرجنا به من ثمرات
ولوقوعها بين منكرين اعني ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض
رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا
ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات
مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق وانما ساغ ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع
موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد او
لان الجموع يقع بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وعيون وقوله تعالى ثلاثة قروء او لانها محلاة باللام
خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اي رزقا كائنا لكم
او دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا اما متعلق
بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والافعال
الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وانما قيل اندادا باعتبار الواقع لا لان مدار النهي هو الجمعية وقرئ ندا وايقاع
اسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التي عليها
يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات واما معطوف عليه كما في قوله
تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات الجارية عليه تعالى للنهي او
لانتهائه او لان مآل النهي هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه وخصوها به والاظهار
في موقع الاضمار لما مر آنفا وقيل هو نفي منصوب باضمار ان جوابا للامر وياباه ان ذلك فيما يكون سببا للثاني ولا ريب
في ان العبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي
ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى اي خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث
كان مدار هذا النصب تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتمنى
البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل لكم على تقدير رفعه على المدح اي هو الذي حفكم بهذه الآيات العظام

والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركاء وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل عن مناطية النهي
مع عراقتهما فيها وهو خبر للموصول بتاويل مقول في حقه وقد عرفت ما فيه من لزوم المصير الى راي الاخفش في تنزيل
الاسم الظاهر منزلة الضمير كما في قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المنادي من نده ندودا
اذا نفر وناددته خالفته خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في المقدار وتسميتهم بعده
المشركون من دون الله اندادا والحال انهم ما زعموا انها تماثله تعالى في صفاته ولا انها تخالفه في افعاله انهم
لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة
على ان تدفع عنهم باس الله تعالى وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن يستحيل
ان يكون له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت
الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وقوله تعالى وانتم تعلمون حال من ضمير لا تجعلوا
بصرف التقييد الى ما افاده النهي من قبح المنهي عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل
لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور واصابة الراي او مقدر
حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون بطلان ذلك او تعلمون انه لا يماثله شيء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت
او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما في قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وحاصله تنشيط المخاطبين
وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب في النهي بجعل المنهي عنه القدر المشترك المنتظم لانشاء الانتهاء
كما هو المطلوب من الكفرة وللثبات عليه كما هو شان المؤمنين حسبما مر مثله في الامر واما صرف التقييد الى نفس النهي
فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهي على حالة العلم ضرورة شمول التكليف
العالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما ياتي بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح من
العالمين بقبحها اقبح وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا
فقد نأى عن التحقيق ان قلت اليس في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهي خلاص من امثال ما مر من التكلفات وحسن
الانتظام بين السباق والسياق اذ لا مجيد في آية التحدي من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه
من تربية محل المؤمنين ورفع شانهم عن حيز الانتظام في سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة
حسبما مر في صدر السورة الكريمة مستغنون في ذلك عن الامر والنهي قلت بلى انه وجه سري ونهج سوي لا يضل من
ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه فتامل وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم
الذي من جملته ما تلي من الآيتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسوله
صلى الله عليه وسلم كما ان ما ذكر فيهما من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر
في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها نزاهته عن ان يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم
في حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للايذان بان ذلك مما لا يكاد
يمكن صدوره عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد وهو لا يرتاب في شانه واما لان الجزم المذكور خارج
عن دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع واما
للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم
فيما نزلنا الى ما اشرنا اليه فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به
قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم
لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدائية
متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كون تحرير الريب للجملة وحاشاه ذلك وما موصولة
كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه وليس معنى كونهم في ريب منه ارتيابهم

في استتار معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وجل وايثار التنزيل المنبئ عن التدريج
على مطلق الانزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم كانوا اتخذوا نزوله
منجما وسيلة الى الانكار فجعل ذلك من مبادي الاعتراف به كانه قيل ان ارتبتم في شان ما نزلنا على مهل وتدريج فهاتوا
انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى
غاية ما يكون في التبكيت وازاحة العلل وفي ذكره عم بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف
والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو عم وامته
او جميع الانبياء عليهم السلام ففيه ايذان بان الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من قبل لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه
والامر في قوله تعالى فأتوا بسورة من باب التعجيز والقام الحجر كما في قوله تعالى فأت بها من المغرب والفاء للجواب
وسببية الارتياب للامر او للاتيان بالمأمور به لما اشير اليه من انه عبارة عن جزمهم المذكور فانه سبب للاول
مطلقا وللثاني بتقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتوا بمثله لانكم تقدرون
على ما لا يقدر عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم المترجمة واقلها ثلاث آيات وواوها اصلية
منقولة من سورة البلد لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على فنون رائقة من العلوم
احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار
فان سور القرآن مع كونها في انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهي من حيث
انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها القاري شيئا فشيئا وقيل واوها مبدلة من الهمزة فمعناها
البقية من الشيء ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى من مثله بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما
نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت
الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فأتوا ببعض ما هو
مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدار العجز مع انه المراد وبناء الامر على المجاراة
معهم بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم بهم يأباه ما سبق من تنزيله منزلة
الريب فان مبنى التهكم على تسليم ذلك منهم وتسويغه ولو بغير جد وقيل هي زائدة على ما هو رأي الاخفش بدليل قوله
تعالى فأتوا بسورة مثله بعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير حينئذ للمنزل عليه حتما لما ان رجوعه الى المنزل يوهم ان
له مثلا محققا قد ورد الامر التعجيزي بالاتيان بشيء منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عم
في البشرية والعربية والامية يهون الخطب بالجملة خلا ان تخصيص التحدي بفرد يشاركه عم فيما ذكر من الصفات المنافية
للاتيان بالمأمور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى او مجتمعين
مع انه يستدعي عراء المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فاين هذا من تحدي امة جمة وامرهم
بان يحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله ويتعاونوا
على الاتيان بقدر يسير مما تلي صفات الكمال الذي بجملته واحد من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر
او القائم بالشهادة او الناصر ومعنى دون ادنى مكان من الشيء يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ثم استعير
للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي
حكم الى حكم من غير ملاحظة انحطاط احدهما من الآخر فجرى مجرى اداة الاستثناء وكلمة من اما متعلقة بادعوا فتكون
لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى متجاوزين الله للاستظهار من حضركم كائنا من كان او الحاضرين في مشاهدكم
ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم الذين تفزعون اليهم في الملمات وتعولون عليهم في المهمات او القائمين بشهاداتكم
الجارية فيما بينكم من امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة او القائمين بنصرتكم
حقيقة او زعما من الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه من حكم الادعاء في الاول مع اندراجه في الحضور لتأكيد

تناوله لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم
اليه واما في سائر الوجوه فللتصريح من اول الامر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له تعالى قاصرين
استظهارهم على ما سواه والالتفات لتربية المهابة وادخال الروعة وقيل المعنى ادعوا من دون اولياء الله
شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان المقاولة والمناقلة ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله ايذانا بانهم لا يكادون
ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة وفيه انه يؤذن بعدم شمول التحدي لاولئك
الرؤساء وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فصحاءكم دعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قائلين الله يشهد ان ما ندعيه حق
فان ذلك ديدن المحجوج وفيه انه ان اريد بما يدعون حقيته ما هم عليه من الدين الباطل فلا مساس له بمقام
التحدي وان اريد مثلية ما اتوا به للمتحدى به فمع عدم ملاءمته لابتناء التحدي يوهم انهم قد تصدوا للمعارضة
واتوا بشيء مشتبه الحال متردد بين المثلية وعدمها وانهم ادعوها مستشهدين في ذلك بالله سبحانه وعند
مسيس الحاجة الى الامر بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى واني لهم ذلك وما نبض لهم عرق ولا نبسوا
ببنت شفة واما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على انها ظرف مستقر وقع حالا من ضمير
المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم اي ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى في اتخاذها
كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير عن الاصنام بالشهداء لتعيين مدار الاستظهار
بها بتذكير ما زعموا من انها بمكان من الله تعالى وانها تنفعهم بشهادتها لهم انهم على الحق فان ما هذا شانه يجب ان يكون
ملاذا لهم في كل امر مهم وملجأ يأوون اليه في كل خطب ملم كانه قيل اولئك عدتكم فادعوهم لهذه الداهية التي دهتكم
وتوجيه الالتفات الايذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال
عبادة ما لا احقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعي الذي هو ادنى مكان من الشيء لقدامه
كما في قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى فيكون ظرفا لغوا
معمولا لشهداءكم لكفاية رائحة الفعل فيه من غير حاجة الى اعتماد ولا الى تقدير يشهدون اي ادعوا شهداءكم
الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليعينوكم في المعارضة وايرادها بهذا العنوان لما مر من الاشعار
بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فان ما يقوم بهذا الامر في ذلك المقام
الخطير حقه ان يستعان به في كل مرام ذي امرهم على الوجهين بان يستظهروا في معارضة القرآن الذي اخرس
كل منطيق بالجماد من التهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من ههنا تبعيضية لما انهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى
في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما يقع في بعض تينك الجهتين كما تقول جئته من الليل
تريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في كما في سائر الظروف التي لا تتصرف
وتكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا تجر الا بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء مداره القوم ووجوه المحافل والمجامع
ودون ظرف مستقر ومن ابتدائية اي ادعوا الذين يشهدون لكم ان ما آتيتم به مثله متجاوزين في ذلك اولياء الله
ومحصله شهداء مغايرين لهم ايذانا بانهم ايضا لا يشهدون بذلك وانما تكرر المضاف الى الله رعاية للمقابلة فان
اولياء الله تعالى يقابلون اولياء الاصنام كما ان ذكر الله تعالى يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر ارخاء العنان
والاستدراج الى غاية التبكيت كانه قيل تركنا الزامكم بشهداء لا ميل لهم الى احد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا
بشهدائكم المعروفين بالذب عنكم فانهم ايضا لا يشهدون لكم حذرا من اللائمة وانفة من الشهادة البينة
البطلان كيف لا وامر الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملاءمة
لابتناء التحدي وعدم تناوله لاولئك الشهداء وايهام انهم تعرضوا للمعارضة واتوا بشيء احتاجوا في اثبات مثليته
للمتحدى به الى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك ان كنتم صادقين اي في زعمكم انه من كلام البشر وهو شرط حذف
جوابه لدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله الخ واستلزام المقدم التالي من حيث ان صدقهم

في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول
الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام لا سيما عند المظاهرة
والتعاون ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر به **فان لم تفعلوا** اي ما امرتم به من الاتيان
بالمثل بعدما بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول وراكبين متن كل صعب وذلول
وانما لم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهور تهالكهم على ذلك وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل
وجعل مصدر الفعل المامور به مفعولا له للايجاز البديع المغني عن التطويل والتكرير مع سر سري استدعاه المقام
وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المامور به لاظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول
اي المأتي به ضرورة استحالته وان مناط الجواب في الشرطية اعني الامر باتقاء النار هو عجزهم عن ايقاعه لا فوت
حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو نفس الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية من غير اعتبار تعلقها
بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل خاص متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه من القوة الى الفعل
واما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وانما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم
يتوسلون بذلك الى تجريد الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطي
ويمنع يفعل الاعطاء والمنع ويرشدك الى هذا قوله تعالى فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى ائتوني
بأخ لكم من ابيكم فانه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالامر ومرمى غرضه بالتكليف احضار بنيامين لم يكتف في الترتيب
الداعية لهم الى الجد في الامتثال والسعي في تحقيق المامور به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذي ورد به الامر بان يقول
فان لم تفعلوا بل اعاده بعينه متعلقا بمفعوله تحقيقا لمطلبه واعرابا عن مقصده هذا وقيل اطلق الفعل واريد
به الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة التعبير عن الاسماء الظاهرة بالضمائر الراجعة اليها حذرا من التكرار
او على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن الحال وايثار كلمة ان
المفيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة او تهكم بهم **ولن تفعلوا**
كلمة لن لنفي المستقبل كلا خلا ان في لن زيادة تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان وعند الفراء لا ابدلت
الفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب لمعنى المذكور وهي احدى الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزئي
الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لايجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به تعالى
وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء يداني في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف **فاتقوا النار** جواب
للشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كانه قيل فاذا
عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه منزلا من عند الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب
بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة
بها للمبالغة في تهويل شانه وتفظيع امره واظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في
تحقيق المكني عنه وفيه من الايجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا صح
ذلك كان لزومكم العناد وترككم الايمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار **التي
وقودها الناس والحجارة** صفة للنار موضحة لها زيادة هول وفظاعة اعاذنا الله من ذلك والوقود ما يوقد به
النار وترفع من الحطب وغيره بفتح الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى
انها من الشدة بحيث لا تمس شيئا من رطب او يابس الا احرقته لا كنيران الدنيا تتقد الا بما يوقد من حطب
او حشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول مقتضية لكون انتسابها الى ما نسب هي اليه معلوما للمخاطب بناء
على انهم سمعوه من اهل الكتاب قبل ذلك او من الرسول صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى
نارا وقودها الناس والحجارة فاشير هنا الى ما سمعوه اولا وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون جميع آياتها كذلك

كما هو المشهور

كما هو المشهور واما ان الصفة ايضا يجب ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب
فالخطب فيه هين لما ان المخاطب هناك المؤمنون والظاهر انهم سمعوا ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد
بالحجارة الاصنام وبالناس انفسهم حسبما ورد في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية
اعدت للكافرين اي هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم والمراد اما جنس الكفار والمخاطبون
داخلون فيهم دخولا اوليا واما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت
من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب
مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجاب العمل بها ومبينة لمن اريد بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال
باضمار قد من النار لا من ضميرها في وقودها الناس لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة او
عطف على الصلة بترك العاطف **وبشر الذين آمنوا** اي بانه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة
السابقة لكن لا على ان المقصود عطف نفس الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على ان عطف قصة
المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب
بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر على صيغة
المبني للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان
والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة فضلا من ان يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل
الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين
بالاتقاء على احداث الايمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من
يتأتى منه التبشير كما في قوله عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيامة فانه عليه السلام لم يأمر
بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتأتى منه ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شانه حقيق بان يتولى
التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به اثر السرور في البشرة وتباشير الصبح اوائل ضوئه
وعملوا الصالحات الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل النقل والعقل
واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التي اشير اليها في مطلع السورة الكريمة و
طائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على
تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه
ولا غناء باس لا بناء به **ان لهم جنات** منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله
لافعلن والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه
قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا كانها لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها
لما تحتها بالمرة نفس السترة وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر
ح ان يكون ماخوذا من الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات
والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما جنة الفردوس
وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات
متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها **تجري من تحتها الانهار** في حيز النصب على انه صفة جنات فان
اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف اي
من تحت اشجارها وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم
الجنة على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه
الماء الجاري والتين والعنب او عوض عن المضاف اليه كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا او للعهد والاشارة

الى ما ذكر في قوله عز وجل أنهار من ماء غير آسن والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر
كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز اللغوي او المجاري انفسها وقد اسند
اليها الجريان مجازا عقليا كما في سال الميزاب كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل
صفة اخرى لجنات اخرت عن الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار اهلها المتمتعين بها او خبر مبتدأ
محذوف او جملة مستأنفة كانه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات
الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتا موقع الحال
كانه قيل كلما رزقوا مرزوقا مبتدأ من ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتدأ من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب
الثانية ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا تقدم على المبين كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى ما
رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك وان اشرت الى ما تعاينه بحسب
الظاهر لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا مثل الذي رزقنا من قبل اي من قبل هذا في الدنيا ولكن
لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة
الى المألوف متنفرة عن غير معروف وليتبين مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك
او مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة لان طعامها متشابه الصور كما يحكى عن الحسن رض ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل
منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف وكما روي انه صلى الله عليه
قال والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها
مثلها والاول انسب لمحافظة عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا فيما عدا المرة الاولى يظهرون
بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كانهم قالوا
هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له هذه المرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس
رض من انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن
والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسرت
الآية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما رزقوه في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة الحال فيجوز ان
يريدوا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها
من فنون الكرامات من قبيل الثواب وأتوا به متشابها اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الاول راجع
الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي
الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق ولهم فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة كالحيض
والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما
لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال • واذا العذارى بالدخان تقنعت
واستعجلت نصب القدور فملت • فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء
بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وهو الله سبحانه وتعالى واما التطهر فيحتمل
ان يكون من قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر والانثى وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه
وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلودهم فيها
واستغنائهم عن الاولاد كما ان المدارية لبقاء النوع ليست بمعتبرة في مفهوم الرزق حتى يخل ذلك باطلاقه على ثمار
الجنة وهم فيها خالدون اي دائمون والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار
خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتأبيد في قوله عز وجل خالدين
فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد هنا الدوام قطعا لما يقضي به من الآيات والسنن وما قيل من ان

الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مدارة قياس
ذلك العالم الكامل بما نشاهد في عالم الكون والفساد وعلى انه يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها
الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متقاومة في الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى
شيء منها عند التفاعل على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض ويبقى هذه النسبة محفوظة فيما
بينهما ابدا ولا يعتريها التغير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا
على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضي به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت
حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها وبدوامها
تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يؤدي اليها من العقد والعمل ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا ما بعوضة شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال
وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والزام الحجة والافحام كافة البلغاء من اهل
المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس رض ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق
وقالوا الله اجل واعلى من ضرب الامثال وروى عطاء عنه رض ان هذا الطعن كان من المشركين وروي عنه
ايضا لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون
الله اولياء كمثل الآية قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله تعالى بهما المثل وجعلوا ذلك
ذريعة الى انكار كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز انه ليس مما يتصور فيه التردد فضلا
عن النكير بل هو من اوضح ادلة كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان
التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد
المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل واستعصائه عليه في ادراك الحقائق
الخفية وفهم الدقائق الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما لا يرتضيه • ولذلك شاعت الامثال في
الكتب الالهية والكلمات النبوية • وذاعت في عبارات البلغاء • واشارات الحكماء • ومن قضية وجوب التماثل
بين المثل والممثل به في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة
السفهاء باثارة الزنابير وجاء في عبارات البلغاء اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واضعف
من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر والحياء تغير النفس وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل وهو
حي واشتقاقه من الحيوة اشتقاق شظي ونسي وحشي من الشظا والنسا والحشا يقال شظي الفرس ونسي وحشي اذا اعتلت
منه تلك الاعضاء كأن من يعتريه الحياء يعتل قوته الحيوانية وتنتقص واستحيى بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه
وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد يحذف منه احدى اليائين ومنه
قوله • الا تستحي منا الملوك وتتقي • محارمنا لا يبوء الدم بالدم • وقوله اذا ما استحين الماء يعرض نفسه • كرعن بسبت
في اناء من الورد • فكما انه اذا اسند اليه سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يستحيي
من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله عم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى
يضع فيهما خيرا اريد به الترك اللازم على طريقة التمثيل حيث مثل في الحديثين الكريمين ترك تعذيب ذي الشيبة وتخييب
العبد من عطائه بترك من يترك ما يستحيي منه كذلك اذا نفي عنه تعالى في المواد الخاصة كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله
تعالى والله لا يستحيي من الحق اريد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهي لترك المستحيي عنه لا سلب وصف الحياء عنه
تعالى رأسا كما في قولك ان الله تعالى لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من شأنه
تعالى في الجملة فالمراد هنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى تعاضد الدواعي اليه
وتأخذ البواعث اليه اذ الاستحياء انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون ورود

على طريقة المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشياء كما في قول من قال الحق
مبلغ انباء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعه
في نفسه والا لكان انشاء الامثال السائرة في موارده ضربا لها دون استعمالها بعد ذلك
في مضاربها لتقدم الانشاء هناك والامثال الواردة في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها عين
انشائها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل بالاعتبار الاول قطعا وهو مأخوذ
اما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال في مضاربها تطبيقها
بها كان المضارب قوالب تضرب الامثال على مشاكلتها لكن لا بمعنى انها تنشأ بحسبها بعد ان لم يكن بل بمعنى انها
تورد منطبقة عليها سواء كان انشاؤها هناك كعامة الامثال التنزيلية فان مضاربها انما يحصل عند الضرب
واما من ضرب الطين على الجدار ليلتزق به بجامع الالصاق كان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها
ضربة لازب لا ينفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل ان يضرب على تقدير تعديته بنفسه النصب على المفعولية
وعلى تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه
بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كما
في قولك اعطني كتابا ما كأنه قيل مثلا ما من الامثال اي مثل كان وهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة للتقوية
النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات
او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت لكونها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها محذوف الصدر كما
في قوله تعالى تماما على الذي احسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحل ما على الوجهين
النصب على انه بدل من مثلا او على انها مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها ابهامية صفة لمثلا كذلك واما
على تقدير كونها استفهامية فهي خبر لها كأنه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واي مانع فيها حتى
لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر كجناحها على ما وقع في قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع
والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش وهو الخدش فما فوقها عطف على بعوضة
على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير رفعها
فهو عطف على ما الاولى على تقدير كونها موصولة او موصوفة واما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرها
اعني بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها او فشيء فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا
على تقدير كونها صفة للنكرة او زائدة وبعوضة خبر المضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو
بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا يخل بالشيوع بل يقرره ويؤكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية
اما الزيادة في المعنى الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ
بل في الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير الاول يجوز ان يكون ما الثانية خاصة استفهامية انكارية
والمعنى ان الله تعالى لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شيء فوقها في الصغر والحقارة فاذن له تعالى ان يمثل
بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها
حين ذكر ذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة
ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة في قوله عم ما اصاب المؤمن من مكروه
فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما تجاوزها في الالم كالمثال ما حكي من الخرور فاما الذين آمنوا شروع في تفصيل
ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقية صدوره عنه تعالى والفاء الدالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها

عليه ما قبلها كما تقول نضرب به فاما الذين الى آخره وتقديم بيان حال المؤمنين على ما حكي من الكفرة
مما لا يفتقر الى بيان السبب في تصدير الجملتين باما من احماد امر المؤمنين وذم الكفرة ما لا يخفى وهو حرف
متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شيء ولذلك يجاب بالفاء ولما يذكر توكيد ما صدر به
وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام فقد تذكر جميعا وقد يقتصر على واحد منها كما في قوله عز من قائل
فاما الذين في قلوبهم زيغ الى آخره قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي لا محالة وانه
منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر
وعوض المبتدأ عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين والمعهودين كما ان المراد بالموصول الآتي فريق
الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لاختلال المعنى اي فاما المؤمنون فيعلمون انه الحق من ربهم
كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل الى انكاره لا اتفاقا
مطلقا واللام للدلالة على انه مشهود له بالحقية وان له حكما ومصالح ومن لابتداء الغاية المجازية وعاملها
محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في الحق او من الضمير العائد الى المثل او الى ضربه اي كائنا وصادرا
من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والايذان بان ضرب المثل تربية لهم
وارشاد الى ما يوصلهم الى الكمال اللائق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور ومسد مفعوله الاول
والثاني محذوف عند الاخفش اي فيعلمون حقيته ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم
بموجبه كما في قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا للاشعار بقوة ما بينهما من التلازم
وظهوره المغني عن الذكر واما الذين كفروا ممن حكيت اقوالهم واحوالهم فيقولون ماذا اراد الله بهذا
مثلا اوثر يقولون على يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر ترتيب دلالة على كمال غلوهم في الكفر وترامي امرهم في العتو فان
مجرد عدم العلم بحقيته ليس بمثابة الانكار والاستهزاء به صريحا وتمهيدا لتعداد ما نعي عليهم في تضاعيف الجواب
من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شنائعهم المترتبة على قولهم المذكور على ان تعلم العلم بحقيته لا يعم
جميعهم فان منهم من يعلم بها وانما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الاذعان والقبول التام للجهل
والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه
لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتأمل وكن على
الحق المبين وماذا اما مؤلفة من كلمة استفهامية وقعت مبتدأ خبره ذا بمعنى الذي وصلته ما بعده والعائد
محذوف فالاحسن ان يجيء جوابه مرفوعا واما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى اي شيء فالاحسن في جوابه النصب
والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها اليه او القوة التي هي مبدؤه والاول مع الفعل والثاني قبله
وكلاهما مما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته عز وجل فقيل ارادته تعالى لافعاله كونه غير ساه فيها ولا مكره
ولافعال غيره امره بها فلا يكون المعاصي بارادته تعالى وقيل هي علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح
فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه عبارة عن ترجيح احد طرفي المقدور على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه
او معنى يوجبه وهي اعم من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال ومثلا نصب
على التمييز او على الحال كما في قوله تعالى ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة في ضرب المثل ولا القدح
في اشتماله على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه جل وعلا بل غرضهم التنبيه بادعاء انه من الدناءة والحقارة
بحيث لا يليق بان يتعلق به ارادة من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل به
من عنده سبحانه فقوله عز من قائل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب عن تلك المقالة الباطلة مورد
لما بيان انه مشتمل على حكم جليلة وغايات جميلة هي كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين
في الغواية فوضع الفعلان موضع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة في الدلالة على تحققهما فان ارادتهما دون وقوعهما

بالفعل وتجافيا عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لايهامه ثباتهما في تعلقها وليس كذلك فان
المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم
يتفكرون ونظائره واما الاضلال فهو امر عارض مترتب على سوء اختيارهم واوثر صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدد
والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كما تم قيل واذا اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال
على الهداية مع تقدم حال المهتدين على الغباوة فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا
يسوءهم ويفت في اعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين باما
وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل
فريق بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا يقدح في ذلك قلة اهل الهدى بالنسبة الى اهل الضلال
حسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور ونحو ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية
لتكميل فائدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد في الاولين الكثرة من حيث العدد وفي الآخرين من حيث الفضل
والشرف كما في قول من قال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال اي خلق
الاضلال اليه سبحانه مبني على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة
اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه التصريح بالسبب وقرئ يضل به كثير ويهدي به كثير على البناء
للمفعول وتكرير به مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتأكيدها وما يضل به اي بالمثل او بضربه
الا الفاسقين عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلاله ببيان صفاتهم القبيحة
المستتبعة له واشارة الى ان ذلك ليس اضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة
فيه وقرئ وما يضل به الا الفاسقون على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها
والفارة من جحرها اي خرجت قال رؤبة يذهبن في نجد وغورا غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا وفي الشريعة
الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الاولى التغابي
وهو ارتكابها احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة
من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي عليه يدور الايمان ولقوله
تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والعمل والكف
عن تكذيب الحق وجحوده لم يتسن لهم ادخال الفاسق في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي المؤمن والكافر لمشاركته كلا
واحد منهما في بعض احكامه والمراد بالفاسقين ههنا العاتون المادرون في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكي
عنهم ما حكي من انكار كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم
من القبائح للايذان بان ذلك هو الذي اعدهم للاضلال وادّاهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق
واصرارهم على الباطل صرفت وجوه افكارهم عن التدبر في حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت
ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير لما هم عليه
من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله في ابطال العهد من حيث
استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد المتعاهدين بالآخر فان شفع بالحبل وأريد به العهد كان ترشيحا للمجاز
وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور قد استعير له كما يقال شجاع
يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر في افاضته والعهد الموثق يقال عهد
اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد ههنا اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة
على وجوده تعالى ووحدته وصدق رسوله عليه السلام وبه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
والمعنى الظاهر منه او المأخوذ من جهة الرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه

واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه قوله عز وجل واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة الاول ما اخذه على جميع
ذرية آدم بان يقروا بربوبيته تعالى والثاني ما اخذه على الانبياء عليهم السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث
ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام
واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به
من القبول والالتزام وان رجع الى لفظ الجلالة يراد آياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين
اي من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقوه
بالقبول والالتزام او من بعد ان وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من المبني للمفعول
فالمعنى من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثقته تعالى اياه بانزال الكتب وانذار الرسل ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة
بين الانبياء والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع
ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل
مع العلو وقيل بالاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر فانه مما يؤمر به كما يقال
له شأن وهو القصد والطلب لما انه اثر للشأن وكذا يقال له شيء وهو مصدر شاء لما انه اثر المشية ومحل
ان يوصل اما النصب على انه بدل من الموصول او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى ويفسدون في الارض
بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه اولئك اشارة
الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون بها اكمل تميز ومنتظمون
بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الفساد هم الخاسرون الذين
خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات
بالايمان بها والتأمل في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح و
القطيعة بالصلة والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله التفات الى الخطاب للمذكورين مبني على ايراد
ما عدد من قبائحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام انكاري لا
بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الخ بل بمعنى انكار الواقع
واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان
كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده على الطريق البرهاني
وقوله تعالى وكنتم امواتا الى آخر الآية حال من ضمير الخطاب في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما عدد
فيها من الشؤون العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة من الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها
على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوب على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال
عند الاخفش اي في اي حال او على اي حال تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حياة لها
عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام
باعتبار عدم الحياة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا وقوله تعالى وآية لهم الارض الميتة فاحياكم بنفخ الارواح فيكم
والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة
بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه آنفا ثم يميتكم اي عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة
ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحياة الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي المستفاد من كلمة
ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحياة فان زمان الاماتة غير متراخ عنه ثم يحييكم بالنشور يوم

بالنفخ في الصور او للسؤال في القبور وايا ما كان فهو متراخ من زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت المستمر **ثم اليه ترجعون** بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اليه تنشرون من قبوركم للحساب وهذه الافعال وان كان بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لا يحتمل معا وقوع شيء منها لما هو حال منه في الزمان لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كأنه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال الكائنة منه ومآله التعجب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما ينكرونه من الاحياء الاخير والرجوع في سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم لما عاينوه من الدلائل القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل في ازاحة العلل والاعذار والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لكونها من طلائعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها يطلق على ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعند وصفه تعالى بها يراد بها صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته تعالى مقتض لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والاول هو الاليق بالمقام **هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا** ترق في الانكار وتاكيد له من الحيثيتين المذكورتين غير مسبكه عن سبك ما قبله مع اتحادهما في المقصود ايذانا لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء والاماتة والحشر ادخل في الحث على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدأ والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين والتشويق الى ما سلف اي خلق لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات او بالواسطة وفي امور دينكم بالاستدلال على شؤون الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من اللذات الاخروية والالام وما يعم جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو نعم يعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم مدخل في استقراره على ما هو عليه من النظام الاوثق الذي يدور عليه انتظام مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلانه ليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر ومما لا يتعلق به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين وليس المستبد به احد بالفعل **ثم استوى الى السماء** اي قصد اليها بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك مأخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا اما لعدم تحققه في خلق السفليات لما روي من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رحمه الله تعالى خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان يلتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما بينه من المزية والفضل على خلق السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما في الارض المتاخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن رحمه الله والمراد بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي سابقة الوجود واما جهات العلو **فسواهن** اي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لا انه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير فيهن بالنمو والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسماء فانها في معنى الجنس وقيل جمع سماوة او سماءة وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره قوله **سبع سموات**

كما في قوله

كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الاول بدل من الضمير وتأخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر ما خلق ما في الارض مع كونه اقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات ايضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يحصى هذا ما قالوا وسيأتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى **وهو بكل شيء عليم** اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض وما فيها على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فان علمه تعالى بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له بعضد **واذ قال ربك** بيان لامر آخر من جنس الامور المتقدمة المؤكدة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الارض وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين للخطاب بتوجيهه الى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة للايذان بان فحوى الكلام ليس مما يهتدي اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من الانباء عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة اخرى مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى مثلها ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل على الظرفية وقيل اذكر الحادث فيه بحذف المظروف واقامة الظرف مقامه واياما كان فهو معطوف على مضمر آخر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل له عليه السلام غب ما اوحي اليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل الاحوال السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المقدر هو اشكروا النعمة في خلق السموات والارض او تدبروا ذلك فغير سديد ضرورة ان مقتضى المقام تذكير المخاطبين بما يوجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه واين ذلك من مقام الجليل صلى الله عليه وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا وياباه انه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال الخ ولا ريب في انه لا فائدة في تقييد بدء الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم او باحياكم مضمرا وفيه ما فيه وقيل اذ زائدة ويعزى ذلك الى ابي عبيدة ومعمر وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله عز قائلا **للملائكة** للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في المقول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملك باعتبار اصله الذي هو ملأك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمال والتاء لتاكيد تانيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على انه مقلوب من مألك من الالوكة وهي الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسله تعالى او بمنزلة رسله عليهم السلام واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر علما تجري منها مجرى الشمس من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض حسبما جرى

عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقال طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كبرتهم انه عم قال اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيها ملك ساجد او راكع وروي ان بني آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم كل اولئك في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عم والملائكة الذين هم جنود جبرائيل عم لا يحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا باريهم العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود ربك الا هو وروي انه عم حين عرج به الى السماء رأى ملائكة في موضع بمنزلة سرف يمشي بعضهم تجاه بعض فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل عم الى اين تذهبون فقال جبرئيل عم لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ادري واحدا منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سأل واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله عز وجل يخلق في كل اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعمائة الف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم قدره وما اوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس رض انهم المختارون مع ابليس حين بعثه الله تعالى لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا وقد اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض فخفف الله تعالى عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تعالى تارة في الارض وتارة في السماء واخرى في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين انهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى **اني جاعل في الارض خليفة** في حيز النصب على انه مقول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهو من الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم عليه على ما هو مقتضى الصناعة فان مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره اولهما الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدأ وخبر والاصل في الارض خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة ثم صير في الارض خليفة بعد اللتيا والتي اني جاعل خليفة من الملائكة او خليفة بعينه كائنا في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك ليس مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي يقتضيه هو الاخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة فاذن قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما حذف فيه المفعول الاول وهو ضمير الاموال الدال الحال عليه وكذا في قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف فيه المفعول الاول لدلالة يبخلون عليه اي لا يحسبن البخل هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة ههنا اما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي فهي واضحة لوقوعه في اثناء ذكره عم على ما سنفصله كأنه قيل اني خالق بشرا من طين وجاعل في الارض خليفة واما ان حمل على انه لا حذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ان قلت كيف صح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه يجوز ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث جاز الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك التفصيل

بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فما ظنك بما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق والتقديم كما مر خلا ان يكون ما سيأتي من كلام الملائكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روي انه تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به اما آدم وبنوه واما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم ومن الخلافة في قريش واما من يخلف او خلف يخلف فيعمه عم وغيره من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته تعالى في اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم بقبول الفيض بالذات فيختص بالخواص من بينه واما الخلافة ممن كان في الارض قبل ذلك فتعم الجميع **قالوا** استئنافا وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملائكة فقيل قالوا **أتجعل فيها من يفسد فيها** وهو ايضا من الجعل المتعدي الى اثنين فقيل فيهما ما قيل في الاول والظاهر ان الاول كلمة من والثاني محذوف بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الاول ثمة تعويلا على ما ذكر ههنا فانهم لا يتخلفان على غرار ذلك انا طالما قد وشينا بالاعلاء بحذف المفعول الثاني اي اتجعلنا جازعين على غرائب والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل وتقديمه لما مر مرارا والثاني بيفسد وفائدته تاكيد الاستبعاد لما ان في استخلاف المفسد في محل افساده من البعد ما ليس في استخلافه في غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة من وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في الارض كيف لا وان ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه يقضي ببطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها باجراء احكام الله تعالى واوامره او يستخلف مكان المطبوعين على الطاعة من شأن بني نوعه الافساد وسفك الدماء وهو وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بذت على تلك المفاسد والغاها واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم الى معرفة ما فيه من الفضائل التي تجعله اهلا لذلك كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله سبحانه ولا شكا في اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه [illegible] فان منصبهم اجل من ان يظن بهم امثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا اما باخبار من الله تعالى كما نقل من قبل او بتلق من اللوح او باستنباط عما ركز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم او بقياس لاحد الثقلين على الآخر **ويسفك الدماء** السفك والسفح والسكب والسبك انواع من الصب فالاولان مختصان بالدم لا يستعمل في غيره الا [illegible] والتعبير عنه بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل واقطعه وقرئ يسفك [illegible] على البناء للمفعول [illegible] الراجع الى من موصولا او موصوفة اي يسفك الدماء فيهم **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة [illegible] استخلاف من من شأن ذريته الفساد مع وجود من ليس من شأنه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منه [illegible] علمهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر وكانهم تعرفوا ما فيه من القوى الشهوية التي دليلها الافراط الفساد في الارض والقوة الغضبية التي دليلها الافراط سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما اذا حواها القوة العقلية [illegible] بذلك من علو الدرجة ما يقصر عنه بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها في افعالها كالاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل

وغير ذلك مما نيط به أمر الخلافة والتسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه
من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وكذلك تقديسه تعالى من قدس
في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اي طهره فان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار والباء في بحمدك
متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير اي ننزهك عن كل ما لا يليق بشانك ملتبسين بحمدك على ما انعمت به
علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات
الانعام واللام في ذلك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما صلة للفعل كما في سجدت لله واما للبيان كما في سقيا
لك فيكون متعلقه بمحذوف اي نقدس تقديسا لك اي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما
لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد الذي اعظمه الاشراك بالتسبيح و
سفك الدماء الذي هو تلويث النفس باقبح الجرائم بتطهير النفس عن الاثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا للمنة
بل بيانا للواقع قال استيناف كما سبق اني اعلم ما لا تعلمون ليس المراد بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه
من الاشياء كائنا ما كان فان ذلك مما لا اشتباه لهم فيه حتى يفتقروا الى التنبيه عليه لا سيما بطريق التوكيد بل بيان
ان فيه عليه السلام معاني مستدعية لاستخلافه اذهلوا الذي خفي عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد فما
موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعاني والمعنى اني اعلم ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة فيه وانما
لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته تعالى به وغفلتهم عنه تفخيما
لشانه وايذانا بابتناء امره تعالى على العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدور قولهم عن الغفلة وقيل معناه اني اعلم
من المصالح في استخلافه ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله تعالى كلها حسنة وحكم وان
خفي عليهم وجه الحسن والحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل وبكون تعجبهم مبنيا على ترددهم
في اشتمال هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشانهم فانهم عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون في
انها ما ذا اهو امر راجع الى محض حكم الله عز وجل او الى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم اولا على وجه
الاجمال والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم ليستشرفوا اليها ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه
وحكمته وينزاح شبهتهم بالكلية وعلم آدم الاسماء كلها شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه
وتفسيرا لابهامه وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره على ان ما مر من المقاولة المحكية انما
جرت بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على احواله عليه السلام بان قيل انه لما نفخ الروح فيه
جاعل اياه خليفة فقيل ما قيل كما اشير اليه وايراده عليه السلام باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره
بعنوان الخلافة لا يلائم مقام تمهيد مباديها وهو اسم اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ وعاذر وعابر وفالغ
لا افعل والتصدي لاشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض بناء على ما روي عنه عليه السلام
من انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك اختلفت الوان ذريته او من الادم
والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم
باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله
عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال
على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد هنا اما الاول او الثاني وهو مستلزم للاول اذ العلم بالالفاظ
من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف
ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما في تفسير المهدي
وهو السر في ايثاره على الاعلام والانباء فانهما انما يتوقفان على سماع الخبر الذي يشترك فيه البشر والملك
وبه يظهر احقيته بالخلافة منهم عليهم السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات الحسية

خبر اعني تعليمه تعالى اياه ان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا باسماء جميع المسميات
واحوالها وخواصها اللائقة بكل منها او يلقي في روعه تفصيلا ان هذا فرس وشانه كيت وكيت وذاك بعير
وحاله ذيت وذيت الى غير ذلك من احوال الموجودات فيتلقاها عليه السلام حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته
المتفرعة على فطرته المنطوية على طبائع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة
ومجاهد وابن جبير رضي الله عنهم علمه اسماء جميع الاشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب وانبأ منفعة كل شيء
الى جنسه وقيل اسماء ما كان وما سيكون الى يوم القيامة وقيل معنى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء خلقه من اجزاء مختلفة
وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات
والهمه معرفة ذوات الاشياء واسمائها وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل
آلاتها وكيفيات استعمالاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن هناك
جملة مطوية عطف عليها المذكور اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلمه الخ ثم عرضهم على الملائكة الضمير
للمسميات المدلول عليها بالاسماء كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ
عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن او مسمياتها في الحديث انه تعالى عرضهم امثال الذر ولعله تعالى عرض عليهم
من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها فقال انبئوني باسماء هؤلاء
تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة
المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانباء اخبار فيه اعلام و
لذلك يجري مجرى كل منهما والمراد بها هنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار للايذان برفعة شان الاسماء وعظم
خطرها فان النبأ انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم ان كنتم صادقين اي في زعمكم انكم احقاء بالخلافة
ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان ادنى مراتب
الاستحقاق هو الوقوف على اسماء ما في الارض واما ما قيل من ان المعنى في زعمكم اني استخلف في الارض
مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وان اول الى ان يقال في زعمكم اني استخلف من غالب امره
الفساد وسفك الدماء من غير ان يكون له مزية من جهة اخرى اذ لا تعلق له بامرهم بالانباء وجواب
الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه قالوا استيناف واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا هل
خرجوا عن عهدة ما كلفوه او لا فقيل قالوا سبحانك قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد
جاء غير مضاف على الشذوذ وغير منصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين كما في قوله سبحان من علقمة
الفاخر واما ما في قوله سبحانه ثم سبحانا نعوذ له فقيل صرفه للضرورة وقيل الاول مصدر منكر كغفران
لا اسم مصدر ومعناه على الاول سبحتك عما لا يليق بشانك الاقدس من الامور التي من جملتها خلو افعالك
من الحكم والمصالح وعنوا بذلك تسبيحا ناشئا عن كمال طمانينة النفس والايقان باشتمال استخلاف آدم عليه السلام
على الحكم البالغة وعلى الثاني تنزهت عن ذلك تنزها ناشئا عن ذلك وارادوا بذلك ابرازهم قالوه عن اذعان بانه علموا
اجمالا بانه لم يكلف ما كلفوه وانه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وجل لا علم
لنا الا ما علمتنا اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه اذ لا اما علمتنا بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا
ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا وما في ما علمتنا
موصولة حذف من صلتها عائدها او مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالاسماء على وجه المبالغة حيث
لم يقتصروا على بيان عدمه بان قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه واشعروا بان كونه
من تلك الجملة غني عن البيان انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى تحقيقهم لقوله تعالى اني
اعلم ما لا تعلمون الحكيم اي المحكم مصنوعاته الفاعل لها حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر او

صفة الاول وأنت ضمير الفصل لا محل له من الاعراب او له محل منه مشارك لما قبله كما قاله الفراء او لما بعده كما
قاله الكسائي وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان وتلك الجملة
تعليل لما سبق من قصر علمهم بما علمهم الله تعالى وما فيهم من ذلك من علم آدم عم بما خفي عليهم فكأنهم قالوا انت العالم بكل
المعلومات التي من جملتها استعداد آدم عم لما نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض
من انواع المخلوقات التي عليها يدور فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم عم
ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالاحكام الواردة على ما في الارض وبناء امر الخلافة
عليها قال استئناف كما سلف يا آدم انبئهم اي اعلمهم اوثر على انبئني كما وقع في امر الملائكة مع حصول المراد معه
ايضا وهو ظهور فضل آدم عليه السلام ابانة لما بين الامرين من التفاوت الجلي وايذانا بان علمه عم امر واضح
غير محتاج الى ما يجري مجرى الامتحان وانه عم حقيق بان يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها ايضا والهاء
مكسورة فيهما بأسمائهم التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها فلما انبأهم بأسمائهم الفاء
فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام وينسحب عليه الكلام للايذان بتقرره وغناه عن الذكر
وللاشعار بتحققه في اسرع ما يكون كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا آتيك به قبل
ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسماء في موقع الاضمار لاظهار كمال العناية بشأنها والايذان بانه عم انبأهم
بها على وجه التفصيل دون الاجمال والمعنى فانبأهم بها مفصلة وبين لهم احوال كل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة
بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما رأوا انه عم لم يتلعثم في شيء من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة ما بين الاسماء
والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عم فلما انبأهم بذلك
قال عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الاجمالي واستحضارا له ألم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض لكن
لا لتقرير نفسه كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظائره بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة
في آدم عم لظهور مصداقه وايراد ما لا يعلمون بعنوان الغيب مضافا الى السموات والارض للمبالغة في بيان كمال
شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عم من الامور المتعلقة باهل السموات
واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما اشير اليه هناك كانه قيل الم اقل لكم اني اعلم
فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذي عاينتموه وقوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون عطف
على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين موصولة حذف عائدها اي اعلم ما
تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم قيل المراد بما تبدون قولهم اتجعل فيها الخ وبما تكتمون استبطانهم
انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم روي انه تعالى لما خلق آدم عم رأت الملائكة فطرته العجيبة وقالوا
ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه وقيل هو ما اسره ابليس في نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد
الكتمان حينئذ الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم قالوا في الآية الكريمة دلالة على شرف
الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه على الله تعالى وان
لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص
او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو الا من الله تعالى
وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا
ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة
عليهم السلام لانه اعلم وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها وإذ قلنا للملائكة عطف على الظرف الاول منصوب بما
نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة اي واذكر وقت قولنا لهم وقيل
بفعل دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت قولنا الخ وقد عرفت ما فيه مثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون

مقتضى الظاهر ايراده على منهاج ما قبله من الاقوال المحكية المتصلة به للايذان بان ما في حيزه نعمة جليلة
مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد
الاستقلال وكذا اظهار الملائكة في موقع الاضمار والكلام في اللام وتعديتها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ
بضم تاء الملائكة اتباعا لضم الجيم في قوله تعالى اسجدوا لآدم كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله اتباعا لكسر
اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة
فقيل امروا بالسجود له عم على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا
عما وقع منهم في شأنه وقيل امروا بالسجود له تعالى وانما كان آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه فكأنه
تعالى لما برأه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على
نمط بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم
واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله تعالى فسجدوا
عطف على قلنا والفاء لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك وعن وهب ان اول من سجد
جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام وقوله تعالى الا ابليس استثناء متصل
لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء
واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس رض ومنهم ابليس او لان الجن
ايضا كانوا مامورين بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك لم ينصرف
ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو اليأس قال انه شبه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي
واعلم ان الذي يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا الا ابليس الآية والتي في سورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله تعالى واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا الآية ان سجود الملائكة انما ترتب على الامر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح
فيه البتة كما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي به ورد الامر التعليقي ولكن ما في سورة
[illegible]

من غير تراخ المتفرع بعدم وجوب السعي عقيب النداء لقوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الآية
وبعدم وجوب اقامة الصلوة عقيب الاطمئنان لقوله تعالى فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب بعد دخول الوقت
كيف لا والحكمة الداعية الى ما نحن فيه من الامر التعليقي آثر ذي اثير انما هي حمل الملائكة عم على التأمل في شأنه عم
ليتدبروا في احوال الفطرة ويحيطوا بما لديه خبرا ويستشهدوا بما يشتبه عليهم في امره عم لانبائه على الحكم البالغة واسرار خفية طويت
عن علومهم ويقفوا على جلية الحال قبل ورود الامر التنجيزي ويحملهم الامتثال ولذلك قالوا ما قالوا وعاينوا ما
عاينوا وعدم نقل الامر التنجيزي في سلك الامور المذكورة في السورتين عند انتظامه فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم
ذكر الامر التعليقي عند حكاية الامر التنجيزي في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد
على اساليب مختلفة تحسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة في الكتاب العزيز وناهيك بما
نقل في توجيه قوله تعالى اني خالق بشرا مع عدم سبق معرفة الملائكة عم بذلك وحيث ميز البهم مع انه لم يرد به نقل فانه قد
وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعله تعالى القى اليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الامر التنجيزي اجمالا بان قيل مثلا
اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم شأنه فقعوا
له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا او القى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة
بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هذا خليفة في الارض فهناك ذكروا في حقه عم ما ذكروا فايده الله عز وجل بتعليم
الاسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزي اعتناء بشان المأمور به وتعيينا لوقته وقد
حكي بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يحسم مادة
الاشتباه ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الخ بدل من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى
اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملأ الاعلى الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس حسبما
اطبق عليه جمهور الائمة وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن خلافة آدم عم من التقاول الذي من جملته ما
صدر عنه عم من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه
تفصيلا من الامر التعليقي وما تعلق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عم
وعناد ابليس وما تبعه من لعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام
الاختصاص بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من ان احد المختصمين كما
ان ابليس قبل الخلق حتى وجه انبائه بالاسماء حينئذ نحو اذن بعد نفخ الروح وقبل السجود حتما باحد الطريقين
والله سبحانه اعلم بحقيقة الامر **ابى واستكبر** استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء او
انه لم يكن للتردد او التأمل والاباء الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب
ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به واستكبر من ان يعظمه او يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار
مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء
حيث قيل ابى ان يكون مع الساجدين **وكان من الكافرين** اي في علم الله تعالى او كان اصله من كفرة الجن فلذلك
ارتكب ما ارتكب على ما افصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه والجملة اعتراضية مقررة لما سبق من
الاباء والاستكبار او صار منهم باستقباح امره تعالى اياه بالسجود لآدم عم زعما منه انه افضل منه والافضل لا
يحسن ان يؤمر بالخضوع للمفضول كما ينصح عنه قوله انا خير منه جوابا حين قيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت
ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الواو على الفاء للدلالة على ان
محض الاباء والاستكبار كفر لا انهما سبب له كما يفيده الفاء **وقلنا** شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عم
بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة وابليس من الاقوال والافعال وقد تركت حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه
واستنظاره وانظاره اجتزاء بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح في ذلك

اختلاف

اختلاف وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على اذ
قلنا باضمار اذ وهذا تذكير لنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى
يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص اصل الخطاب به عم للايذان
باصالته في مباشرة المأمور به واسكن من السكنى وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو
ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود
رض وابن عباس رض وناس من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها آدم
بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه الايسر ووضع
مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند رأسه قاعدة فسألها ما انت قالت امرأة قال ولم خلقت
قالت لتسكن الي فقال الملائكة تجربة لعلمه عم ما اسمها قال امرأة قالوا لم سميت امرأة قال لانها من المرء اخذت
فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لانها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس رض قال بعث الله
تعالى جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة
وهذا كما ترى يدل على خلقها قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين
او بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم عم وحمل الاهباط على النقل منها الى ارض الهند كما في قوله
تعالى اهبطوا مصرا لما ان خلقه عم كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع
ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت
في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل
ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع **وكلا منها** اي من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما
تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة في ازالة العلل والاعذار وايذانا بتساويهما في مباشرة المأمور به
فان حواء اسوة له عم في الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه **رغدا** صفة للمصدر المؤكد اي اكلا
واسعا رافها **حيث شئتما** اي اي مكان اردتما منه وهذا كما ترى اطلاق كلي حيث اباح لهما الاكل منها على وجه
التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الماكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات حتى لا يبقى لهما عذر
في تناول ما منعا منه بقوله تعالى **ولا تقربا** من قرب الشيء بالكسر اقرب به بالفتح اذا التبست به و
تعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت منه **هذه الشجرة**
نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بتأويلها بمشتق يعني الحاضرة من الشجر اي لا تأكلا منها وانما
علق النهي بالقربان منها مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة او الكرمة او التينة وقيل
شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع
وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء **فتكونا من الظالمين** مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي
وايا ما كان فالقرب اي الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا
حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله تعالى **فازلهما الشيطان عنها** اي اصدر زلتهما
اي زلتهما وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازالهما عن الجنة بمعنى
اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى فان الازلال
اي الازلاق يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما اني لكما لمن الناصحين
والآيات مشعرة بانه عم كان ساكنا في الجنة على وجه الخلود وعلى وجه الكرامة والتشريف
الحيل واختلف في كيفية توصله اليهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم

على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم عم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية فدخلت معها وقيل أرسل بعض أتباعه فأزلهما والعلم عند الله سبحانه **فأخرجهما مما كانا فيه** أي من الجنة إن كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للإيذان بفخامتها وجلالتها وملابستها له أي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه أو من الكرامة والنعيم إن كان الضمير للجنة **وقلنا اهبطوا** الخطاب لآدم وحواء بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لأنهما أصل الجنس كأنهما هم وقيل لهما وللحية وإبليس على أنه أخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة أو يدخلها مسارقة أو أهبط من السماء وقرئ بضم الباء **بعضكم لبعض عدو** حال استغني فيها عن الواو بالضمير أي متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله أو استيناف لا محل له من الإعراب وإفراد العدو إما للنظر إلى لفظ البعض وإما لأن وزانه وزان المصدر كالقبول **ولكم في الأرض** التي هي محل الإهباط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر أعني لكم من الاستقرار **مستقر** أي استقرار أو موضع استقرار **ومتاع** أي تمتع بالعيش وانتفاع به **إلى حين** هو حين الموت على أن المغيا تمتع كل فرد من المخاطبين أو القيامة على أنه تمتع الجنس في ضمن بعض الأفراد والجملة كما قبلها في كونها حالا أي مستحقين الاستقرار والتمتع أو استينافا **فتلقى آدم من ربه كلمات** أي استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها ووفق لها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات دلالة على أنها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وعن ابن عباس رض قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال بلى يا رب ألم تنفخ في من روحك قال بلى قال يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة قال نعم والفاء للدلالة على أن التوبة حصلت عقيب الأمر بالهبوط قبل تحقق المأمور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليه عم للتشريف والإيذان بعلية لإلقاء الكلمات المدلول عليه بتلقيها **فتاب عليه** أي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود إليه واكتفي بذكر شأن آدم عم لما أن حواء تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في أكثر مواقع الكتاب والسنة **إنه هو التواب** أي الرجاع على عباده بالمغفرة أو الذي يكثر إعانتهم على التوبة وأصل التوب الرجوع فإذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية وإذا وصف به الباري عز وجل أريد به الرجوع عن العقاب إلى المغفرة **الرحيم** المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالإحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه **قلنا** استيناف مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا **اهبطوا منها جميعا** كرر الأمر بالهبوط إيذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع في أمنيته عم من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك وإظهار النوع رأفة به عم لما بين الأمرين من الفرق والتركيب والأول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان أن مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد إيتاء الهدى المؤدي إلى النجاة والنجاح وأما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا أوليا بل إنما هو دائر على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه على أن الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الإهباط المقترن بأحد هذين الأمرين فكيف بالمقترن بهما فتأمل وقيل الأول من الجنة إلى السماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض ويأباه التعرض لاستقرارهم في الأرض ورجوع الضمير إلى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتأكيد في المعنى كأنه قيل اهبطوا أنتم أجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاؤوا جميعا بخلاف قولك جاؤوا معا **فإما يأتينكم مني هدى** الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الأمر به وإما مركبة من إن الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لأنه مبني لاتصاله بنون التأكيد وقيل معرب مطلقا والصحيح التفصيل أنه إن باشرته النون بني وإلا أعرب نحو هل يقومان وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة والمعنى إن يأتينكم مني هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى **فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم**

يحزنون كما في قوله إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك وإيراد كلمة الشك مع تحقق الإتيان لا محالة للإيذان بأن الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب بل يكفي في وجوبه إقامة العقل ونصب الأدلة الآفاقية والأنفسية والتمكن من النظر والاستدلال وأتى بحرف الشك ... في مواقع القطع والجزم والحتم ... من تبع هداي منكم فلا خوف عليهم ... من فوات مطلوب أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك ... نفي الخوف والحزن ... بل يستمرون على السرور والنشاط ... واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته ... الجد والسعي في إقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما ... من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا ... في موضعه ... النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام ... إلى الضمير ... للتقوية والتأكيد ... ما هو أعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من إفاضة العقل ... والآيات الآفاقية والأنفسية ... وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** عطف على من تبع الخ قسيم له كأنه قيل ومن لم يتبعه ... وإنما أورد ما ذكر تنطعا لحال الضلالة وإظهارا لكمال قبحها وإيراد الموصول بصيغة الجمع للإشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للإيذان بتنوع الهدى إلى ما ذكر من النوعين وإيراد نون العظمة لتربية المهابة وإدخال الروع وإضافة الآيات إليها لإظهار كمال قبح التكذيب بها أي والذين كفروا برسلنا المرسلة إليهم وكذبوا بآياتنا التي ... عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا بآياته التي أنزلها على الأنبياء عم وأظهرها بأيديهم من المعجزات وقيل كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها إلى الجار والمجرور والآية في الأصل العلامة الظاهرة قال النابغة. توهمت آيات لها فعرفتها. لستة أعوام وذا العام سابع. وتقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل لأنها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لأنها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم أي بجماعتهم قال. خرجنا من النقبين لا حي مثلنا. بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا. واشتقاقها من أي لأنها تبين أيا من أي أو من أوى إليه أي رجع وأصلها أوية أو أيية فأبدلت عينها ألفا على غير قياس أو أوية أو أيية كرمكة فأعلت أو آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا **أولئك** إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه إشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للإشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الشر وهو مبتدأ وقوله عز وجل **أصحاب النار** أي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول أو اسم الإشارة بدل من الموصول أو عطف بيان له وأصحاب النار خبر له وقوله تعالى **هم فيها خالدون** في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى أصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الإضافة أو اللام المقدرة أو في محل الرفع على أنه خبر آخر لأولئك على رأي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الأصل المكث الطويل وقد استعمل على أن المراد به الدوام **يا بني إسرائيل** تلوين للخطاب وتوجيه له إلى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي لتذكيرهم بعض النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره بتذكير كلهم بالنعم العامة لبني آدم قاطبة بقوله تعالى وإذ قال ربك الخ وإذ قلنا للملائكة الخ ~~لأن المعنى كما أشير إليه بلغهم كلامي~~ لهم لأن المعنى كما أشير إليه بلغهم كلامي واذكرهم إذ جعلنا أباهم خليفة في الأرض وسجود الملائكة عم وتزيينا بتعليم الأسماء وقبلنا توبته والابن من البناء لأنه مبني أبيه ولذلك ينسب المصنوع إلى صانعه فيقال أبو الحرب وبنت فكر وإسرائيل لقب يعقوب عم ومعناه بالعبرية صفوة الله وقرئ إسرائل بحذف الياء وإسرال

يجد فيهما واسرايل بقلب الهمزة ياء واسرال بهمزة مفتوحة واسرئيل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص الطائفة
بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** بالتفكر فيها والقيام
بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة
الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تع وتقييد النعمة بهم لان الانسان مجبول على حب النعم فاذا
نظر اليها فاض عليه من النعم حملها النعم التي خلقها ادرك عصر النبي عم وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتي باسكان
الياء واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسورة ما قبلها **واوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة
اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني
الى المفعول فانه تع عاهدهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدهم
بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تع حقن
الدماء والاموال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله تع
الفوز باللقاء الدائم واما ما روي عن ابن عباس رض اوفوا بعهدي في اتباع محمد عم اوف بعهدكم في رفع الاصار
والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق
المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما
عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة والتاكيد **واياي
فارهبون** فيما تاتون وما تذرون خصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم
من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني
والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن
ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله تعالى **وآمنوا بما انزلت** افرد الايمان بالقرآن بالامر به لما انه العمدة القصوى في شان الوفاء
بالعهود **مصدقا لما معكم** من التورية والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرر
المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتورية انه
نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس
والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت
الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن
للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع وليس في التورية دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما
تدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن
الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تاخر نزول المتقدم
لنزل على وفق المتاخر ولو تقدم نزول المتاخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي
وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتاكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم يقتضي الايمان بما يصدقه
قطعا **ولا تكونوا اول كافر به** اي لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون
شانه وحقيته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه
كما سيجيء فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به ووقوع اول
كافر به خبرا من ضمير الجمع بتاويل اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا
حلة ونهيهم عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به
الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما

وذكرها الرضا والشكر قيل اراد
بها ما انعم به على آبائهم من النجاة
... وعليهم من ...

عنده فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل
اصله اوأل من وأل اليه اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته
واوا وادغمت **ولا تشتروا بآياتي** اي لا تاخذوا لانفسكم بدلا منها **ثمنا قليلا** هي الحظوظ الدنيوية فانها
وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة
في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان
وانما عبر عن المشتري الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة
فيها وقرنت الآيات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث
جعلوا ما هو المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا **واياي فاتقون** بالايمان واتباع الحق والاعراض
عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي
هي من مقدمات التقوى او لان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة المتناولة للفريقين واما
الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء امرهم بالتقوى الذي هو المنتهى **ولا تلبسوا الحق بالباطل** عطف على ما قبله
واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه
وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالآخر او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه او
تذكرونه في تاويله **وتكتموا الحق** مجزوم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن
الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء عمن لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا
بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رض وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه
اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت
النبي عم الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح المنهي
اذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره **وانتم تعلمون** اي حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او وانتم تعلمون
انه حق او وانتم من اهل العلم وليس المراد بالحال تقييد النهي به كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر **واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة** اي صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما
بمعزل عن كونه صلوة وزكوة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله **واركعوا مع الراكعين** اي في جماعتهم
فان صلوة الجماعة تفضل على صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في المناجاة وعبر
عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط
بن قريع السعدي لا تعاد الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه **اتامرون الناس بالبر** تقرير مع توبيخ
وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة فيه للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي
هو الفضاء الواسع يتناول جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة
الاقارب وبر في معاملة الاجانب **وتنسون انفسكم** اي تتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رض انها
نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل للاهل
والصلات التي كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي انهم
كانوا يامرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعات ويقدمون على المعصية
وقال ابن جريج كانوا يامرون الناس بالصلوة والزكوة وهم يتركونها ومدار الانكار والتوبيخ على الجملة المعطوفة
دون ما عطفت هي عليه **وانتم تتلون الكتاب** تبكيت لهم وتقريع كقوله وانتم تعلمون اي والحال انكم تتلون
التورية الناطقة بنعوت النبي صلى الله عليه وسلم الآمرة بالايمان او بالوعيد على العناد والفساد
وترك البر ومخالفة القول العمل **افلا تعقلون** اي انتم لا تعقلون ما فيه او قبح ما تصنعون حتى يصدكم

عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث الكيف وان لا تتأملون فلا تعقلون
فالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة من حيث الكم والعقل في الاصل المنع والامساك ومنه العقال
الذي يشد به وظيف البعير الى ذراعه لحبسه عن الحراك سمي به النور الروحاني الذي به تدرك النفس العلوم الضرورية
والنظرية لانه يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما يحسن والآية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ
بسوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل والمراد بها كما اشير اليه حث على
تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ يروى انه كان رجل من العلماء
مؤثر الكلام قويا لتصرف في القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد او اثنان من شدة تأثير وعظه
وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضر
يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت لتهدي الانام
ولا تهتدي الا ان ذلك لا ينفع يا حجر الشحذ حتى متى تسن الحديد ولا تقطع فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر مغشيا
عليه من فرسه فحملوه الى بيته فتوفي الى رحمة الله سبحانه واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كأنهم لما كلفوا
ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح
والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل
بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف
المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة
الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب
وجبر المصائب وروي انه عم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة بهما او
الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها واشتمالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى واذا رأوا تجارة او
لهوا انفضوا اليها او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه
الا على الخاشعين الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع
بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون ما ادخر لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون في مناجاة
ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة
والجملة حالية او اعتراض تذييلي الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله
تعالى ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بغاية احسانه اليهم او
يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون
الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين فالتعرض للعنوان المذكور
للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود رض يعلمون وكان الظن لما شابه العلم
في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف
وجعل خبران في الموضعين اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم كرر التذكير للتأكيد وليربط ما بعده من الوعيد الشديد به واني فضلتكم عطف
على نعمتي عطف الخاص على العام لكماله اي فضلت آباءكم على العالمين اي عالمي زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان
والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم آباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عم وبعده قبل ان يغيروا
واتقوا يوما اي حساب يوم او عذاب يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق فانتصب
شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزئ اي لا تغني عنها فيتعين النصب
على المصدرية وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة يوما والعائد محذوف اي

لا تجزي فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه فحذف الجار واجري المجرور مجرى المفعول به ثم حذف كما في قول
من قال فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا اي اصابوه ولا يقبل منها شفاعة ولا
يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له كان
فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها تساوي المفدي
وتجزي مجزاه ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة
الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسي والنصرة هنا اخص
من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكأنه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه
محتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او لا والاول الشفاعة والثاني
اما ان يكون باداء عين ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو ان يعطي عنه عدلا وقد تمسكت
المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للآيات الواردة في الشفاعة
والاحاديث المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولرد ما كانوا عليه من اعتقاد ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم
واذ نجيناكم من آل فرعون تذكير لتفاصيل ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الآلاء
اي واذكروا وقت تنجيتنا اياكم اي آباءكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره
اهيل وخص بالاضافة الى اولي الاخطار كالانبياء عم والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس
وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عم
مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر
الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام به فدخل مصر فرأى في ظاهره حملا من البطيخ بدرهم فقال في نفسه ان
تيسر لي اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين
اخذوا منه بطيخا فدخل البلد وما معه الا بطيخة فذهب يبيعها بدرهم ومضى لوجهه ورأى اهل البلد متروكين
سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بهم وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال
انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع في مقدار
ثلثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم
فابوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمني احد
وانما فعلت ما فعلت ليحضرني احد الى مجلسك فانبهك على اختلال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار
من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولني امورك ترني امينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت
مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون
اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون يوسف عم ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم
اي يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب اي افظعه وانه قبيح
بالنسبة الى سائره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم
او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك
ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لما ان فرعون رأى في المنام او اخبره الكهنة انه
سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله تعالى شيئا قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة الف مولود
او تسعين الفا وقد اعطى الله عز وجل نفس موسى عم من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا
احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء منه
وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اي استبقائهن على الخد

محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال السابقة ثم وعلى الثاني نعمة واصل البلاء
الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة
اطلق عليهما وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما **من ربكم** من جهته
تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عم وتوفيقه لتخليصكم منكم او بهما معا **عظيم** صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم
وفي الآية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار
والصبر على المضار **واذ فرقنا بكم البحر** بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها
وقد بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي واذكروا اذ فلقناه بسلوككم او ملتبسا بكم
كقوله تعالى تنبت بالدهن وصبغ او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد
للتكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط **فانجيناكم** اي من الغرق باخراجكم الى الساحل كما يلوح به
العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى **واغرقنا آل فرعون**
اريد فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى به منهم وقيل شخصه كما روي ان الحسن رض كان يقول
اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر قومه **وانتم تنظرون** ذلك وغرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق
البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عم
ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب
بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا نعلم
به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل اليه فرعون فرآه منفلقا اقتحمه هو وجنوده
فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه الوقعة كما انها معجزة لموسى عم عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة عظيمة لاوائل بني اسرائيل
موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب
الابية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلا تأثرت اوائلهم بمشاهدتها ورؤيتها
ولا تذكرت اواخرهم بتذكيرها وروايتها فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها **واذ واعدنا
موسى اربعين ليلة** لما عادوا الى مصر بعد مهلك فرعون وعد الله موسى عم ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عم بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله
تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة
ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها
تنزيلا لقبول موسى عم منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اي تمام اربعين
ليلة وقرئ وعدنا **ثم اتخذتم العجل** بتسويل السامري الها ومعبودا وثم للتراخي الرتبي **من بعده** اي من بعد
مضيه الى الميقات على حذف المضاف **وانتم ظالمون** باشراككم ووضعكم للشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير
اتخذتم او اعتراض تذييلي اي وانتم قوم عادتكم الظلم **ثم عفونا عنكم** حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه
اذا درسه وعديّ لازما قال عفت المنزل الخالي عفا من بعد احوال عفاه كل حنان كثير الويل هطال وقوله تعالى
من بعد ذلك اي من بعد الاتخاذ الذي هو متناه في القبح للايذان بكمال قبحه بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم
لعلكم تشكرون لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة **واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان**
اي التورية الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق
والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه
وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه
واذ قال موسى لقومه بيان لكيفية وقوع العفو المذكور **يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل** اي

آل

معبودا **فتوبوا** اي فاعزموا على التوبة **الى بارئكم** اي الى من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز
بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب للخلوص عن الغير اما بطريق التفصي كما في برئ المريض او
بطريق الانشاء كما في برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها
ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم بلطف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي
هو مثل في الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان تسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب **فاقتلوا
انفسكم** تماما لتوبتكم بالبخع او بقطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل
من عبده يروى ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون
بها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون عم فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى
سبعين الفا والفاء الاولى للسبب والثانية للتعقيب **ذلكم** اشارة الى ما ذكر من التوب والقتل **خير لكم عند بارئكم**
لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية **فتاب عليكم** عطف على محذوف على ان خطابا
مندرجا تحته على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه فان مبنى الجميع على التكلم الى
الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى الضمير بارئكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق والاحياء
لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتبنا
عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هنا وجوز ان يكون فتاب
عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام موسى عم لقومه تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى
انه بمعزل من اللياقة بجلالة شأن التنزيل كيف لا وهو حكاية لوعد موسى عم قومه بقبول التوبة منه تعالى
لا لقبوله تعالى حتما وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين
بتلك النعمة **انه هو التواب الرحيم** تعليل لما قبله اي الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم
وفي الانعام عليهم **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك** تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم من الجناية العظيمة
التي هي اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء التورية اياه او
تكليمه اياه او انه نبي او انه تعالى جعل توبتهم بقتل انفسهم **حتى نرى الله جهرة** اي عيانا وهي في الاصل مصدر
قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان الاول
في المسموعات والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول
وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون
المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل يعني انهم لما ندموا على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن
من الخاسرين امر الله تعالى موسى عم ان يجمع سبعين رجلا ويحضر معهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا
الى الطور وقع عليهم عمود من الغمام وتغشاهم كلهم وكلم الله موسى عم يأمره وينهاه وكان كلما كلمه تعالى اوقع على
جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى عم افعل ولا تفعل فعند
ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتي في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل عشرة آلاف من قومه
فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى مما يشبه الاجسام
ويتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة في الجهات والاحياز ولا ريب في استحالته انما الممكن في شانه تعالى
الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء الذين بلغوا من صفاء
الجوهر الى حيث تراهم كأنهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا
قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن
وهب انهم لم يموتوا بل لما رأوا تلك الهيئة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم

واشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عم ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم و
مشاعرهم ولم يكن صعقة موسى عم موتا بل غشية لقوله تعالى فلما افاق وانتم تنظرون اي ما اصابكم بنفسه او
باثاره ثم بعثناكم من بعد موتكم بتلك الصاعقة قيد البعث به لما انه قد يكون من الاغماء وقد يكون من النوم
كما في قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم الخ لعلكم تشكرون اي نعمة البعث او ما كفرتموه بما رأيتم من بأس الله تعالى وظللنا
عليكم الغمام اي جعلناه بحيث تلقي عليكم ظلها وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم بالتيه يظلهم من
الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى اي
الترنجبين والسماني وقيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم
السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا على ارادة القول اي قائلين لهم او قيل لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من
مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب
السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريقة المباثة معطوف
على مضمر قد حذف للايجاز وللاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا
بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه
النفي السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر
واذ قلنا تذكير لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت قولنا لآبائكم اثر ما انقذناهم
من التيه ادخلوا هذه القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهي بيت المقدس وقيل
اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة
على ان المأمور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى فيؤول الى ما في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية
وادخلوا الباب اي باب القرية على ما روي من انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عم كما سيجيء في سورة المائدة او باب
القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عم سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين لله
شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على
الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط رحالنا
في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما تفعلون من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول
واصل خطايا خطايي كخطائع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت
الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر
وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب للمحسن واخرج ذلك عن صورة الجواب
الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين
ظلموا بما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا آخر مما لا خير فيه روي انهم
قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل
غير الذي قيل لهم نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا
على المغايرة من كل وجه فانزلنا اي عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر من التبديل وانما وضع موضع الضمير
العائد الى الموصول الاول التعليل والمبالغة في الذم والتقريع والتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها
لسخط الله تعالى رجزا من السماء اي عذابا مقدرا منها والتنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم
للايذان بان ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم
فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة

فيه والمراد به الطاعون روي انه مات في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه
تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد وتغيير الترتيب لما اشير اليه مرارا
من قصد ابراز كل من الامور المعدودة في معرض امر مستقل واجب التذكير والتذكر ولو روعي الترتيب لوقع [illegible] لفهم
ان الكل امر واحد امر بذكره واللام متعلقة بالفعل اي استسقى لاجل قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر
روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلاث اعين يسيل كل عين في جدول
الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا او كان حجرا اهبطه الله تعالى مع آدم عم من الجنة
ووقع الى شعيب عم فاعطاه موسى عم مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله
عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل عم ان يحمله او كان حجرا من الحجارة وهو الاظهر في الحجة قيل لم يؤمر عم بضرب حجر
بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر
ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه ان لا تقرع الحجر وكلمه يطعك
لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام حجمه ذراع في ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله عم من آس الجنة ولها شعبتان
تتقدان في الظلمة فانفجرت عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كانه حصل
عقيب الامر بالضرب اي فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا واما تعلق الفاء بمحذوف اي فان ضربت فقد انفجرت
فغير حقيق بجلالة شأن النظم الكريم كما لا يخفى على احد وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان قد علم كل اناس
كل سبط مشربهم عينهم الخاصة بهم كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى
والماء وقيل هو الماء وحده لانه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار ويأباه ان المأمور به اكل النعمة العتيدة
لا ما سيطلبونه واضافته اليه تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب عادي
وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا الخ ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة
موسى عم ولا تعثوا في الارض العثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد حال كونكم مفسدين وقيل انما قيد به
لان العثي في الاصل مطلق التعدي وان غلب في الفساد وقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة الظالم المعتدي بفعله
وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عم الغلام وخرقه السفينة ونظيره العيث خلا انه غالب في الفساد واذ قلتم
تذكير لجناية اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد
القول المحكي الى اخلافهم وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد لم يريدوا
بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوال الاول وحصول ما طلبوا مكانه اذ [illegible] بل ارادوا
ان يكون هذا تارة وذاك اخرى روي انهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة [illegible]
[illegible] وطلبوا ما الفوه من الاشياء المتفاوتة [illegible] فادع لنا ربك اي سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر
للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي الاجابة يخرج لنا اي يظهر لنا ويوجد والجزم لانه جواب الامر مما تنبت
الارض اسناد مجازي باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والمفعول محذوف [illegible] من بقلها وقثائها وفومها وعدسها
وبصلها بيانية واقعة موقع الحال [illegible] البقل ما انبتته الارض من الخضر
والمراد به اطايبه التي تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرئ قثائها بضم
القاف وهو لغة فيه قال اي الله تعالى او موسى عم انكارا عليهم وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فماذا
قال لهم فقيل قال اتستبدلون اي اتأخذون لانفسكم وتختارون الذي هو ادنى اي اقرب منزلة وادون قدرا
سهل المنال وهين الحصول لعدم كونه بمدعو فيه وكونه تافها مرغوبا فيه [illegible] وقيل الدنو والقرب يعبر بهما عن
الخسة كما يعبر بالبعد عن الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة وقد حملت المشهورة على
ان الفها مبدلة من الهمزة بالذي هو خير اي بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون الآتي الحاصل

الأرز بالتركي [illegible]

كما في التبدل والتبديل في مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي
أكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال
فيما مر من صورة المناوبة **اهبطوا مصرا** أمروا به بيانا لدناءة مطلبهم او اسعافا لمرامهم اي انحدروا اليه من التيه
يقال هبط الوادي اذا نزل به وقرئ بضم الباء والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف
لسكون وسطه او لتأويله بالبلد دون المدينة ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود درهم غير منون وقيل مصر ايليم فعرب
فان لكم ما سألتم تعليل للامر بالهبوط اي فان لكم فيه ما سألتموه ولعل التعبير عن الاشياء المسؤولة بما للاستهجان بذكرها
كأنه قيل فانه كثير فيه مبتذل ينال كل احد بغير مشقة **وضربت عليهم الذلة والمسكنة** اي جعلتا محيطتين بهم احاطة
القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحائط
بطريق الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة واما لخوف ان يضاعف جزيتهم **وباؤا**
اي رجعوا **بغضب** عظيم وقوله تعالى **من الله** متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن من الله تعالى وصاروا احقاء به من قولهم باء فلان بفلان اي صار
حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب واصل البوء المساواة **ذلك** اشارة الى ما سلف
من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم **بانهم** بسبب انهم **كانوا يكفرون** على الاستمرار **بآيات الله** الباهرة
التي هي المعجزات الساطعة الظاهرة على يدي موسى عم مما عد وما لم يعد **ويقتلون النبيين بغير الحق** كشعيا
وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل ان يكون بحق الايذان بان ذلك عندهم ايضا
بغير الحق فلم يكن احد منهم معتقدا لحقية قتل احد منهم عليهم السلام وانما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى
والغلو في العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالى **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** اي جرهم العصيان والتمادي
في العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عم فان صغار الذنوب اذا دووم عليها ادت الى كبارها كما ان مداومة
صغار الطاعات مؤدية الى تحري كبارها وقيل كررت الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر والقتل فهو
بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وجوز الاشارة
الى المتعدد بالمفرد بتأويل ما ذكر او تقدم كما في قول رؤبة بن العجاج فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد
توليع البهق اي كان ما ذكر والذي حسن ذلك في المضمرات والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جاء الذي
بمعنى الذين **ان الذين آمنوا** اي بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون
عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم عن ورطة الكفر قطعا
والذين هادوا اي تهودوا من هاد اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا
من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب يهوذا كأنهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب
عم **والنصارى** جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة
كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عم او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران فسموا باسمها او نسبوا
اليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصري كمهري ومهارى **والصابئين** هم قوم بين النصارى والمجوس
وقيل اصل دينهم دين نوح عم وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب فهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج
من دين الى آخر وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما لانه من صبا اذا مال لما انهم مالوا من سائر الاديان الى
ما هم فيه او من الحق الى الباطل **من آمن بالله واليوم الآخر** اي من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا
بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق **وعمل صالحا** حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر **فلهم** بمقابلة ذلك **أجرهم** الموعود
لهم **عند ربهم** اي مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن اما في محل الرفع على الابتداء خبره جملة فلهم اجرهم
والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين الآية وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى

الموصول كما ان افراد ما في الصلة باعتبار لفظه والجملة كما هي خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم
الخ واما في محل النصب على البدلية من اسم ان وما عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم
من معنى الثبوت وفي اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت مأمون
عن الفوات **ولا خوف عليهم** عطف على جملة فلهم اجرهم اي لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب **ولا هم
يحزنون** حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما
يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار
بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين آمنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فحينئذ لا بد
من تفسير من آمن بمن اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات
والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف
وفائدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة
لاولئك الاقدمين في استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما ما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه
قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو
الترغيب في دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين آخر قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما
يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقية دينهم في الجملة على ان المنافقين والصابئين لا يتسنى في حقهم ما ذكر
اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا
بمنافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم دين سماوي
ثم خرجوا عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط
بين اسم ان وخبرها اليهم او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا الى كل واحدة
منها قصدا الى درج الفريق المذكور فيه ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من
مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة
التنزيل عن امثاله على ان المخلصين مع اندراجهم في حيز اسم ان ليس لهم في حيز خبرها عين ولا اثر فتأمل وكن على الحق
المبين **واذ اخذنا ميثاقكم** تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم بالمحافظة على ما في
التوراة **ورفعنا فوقكم الطور** عطف على اخذنا او حال اي وقد رفعنا فوقكم الطور كأنه ظلة وذلك ان
موسى عم جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبريل عم فقلع
الطور فظلله عليهم حتى قبلوا **خذوا** على ارادة القول **ما آتيناكم** من الكتاب **بقوة** بجد وعزيمة **واذكروا ما فيه**
اي احفظوه ولا تنسوه وتفكروا فيه فان ذلك ذكر بالقلب او اعملوا به **لعلكم تتقون** لكي تتقوا المعاصي [illegible]
[illegible] **ثم توليتم** اي اعرضتم عن الوفاء بالميثاق
من بعد ذلك [illegible] **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** بتوفيقكم للتوبة [illegible]
عليه وسلم [illegible] **لكنتم من الخاسرين** اي المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط
في مهاوي الضلال عند الفترة وقيل لولا فضله عليكم بالامهال وتاخير العذاب لكنتم من الهالكين [illegible]
[illegible] وكلمة لولا مركبة من لو الامتناعية وحرف النفي [illegible]
[illegible] مبتدأ خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده [illegible]
[illegible] **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت**
[illegible] فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عم
فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا برز

واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت
فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيل جناياتكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر
عقوبتهم بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار
على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجيز عمل كان في الظروف وقيل من الضمير المستكن في
قردة لانه في معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله
تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراده عز وجل وقرئ قردة
بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اي المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه و
تردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين
واشتهرت قصصهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية
وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ
قال موسى لقومه توبيخ آخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير جناية صدرت عن اسلافهم اي واذكروا وقت قول موسى
لاجدادكم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه
فطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم
بقاتله قالوا استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال او لا
فقيل قالوا اتتخذنا هزوا بضم الزاء وقلب الهمزة واوا وقرئ بالهمزة مع الضمة والسكون اي اتجعلنا مكان هزؤ
مهزوءا بنا او الهزؤ نفسه استبعادا لما قاله واستخفافا به قال استئناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
لان الهزؤ في اثناء تبليغ امر الله تعالى جهل وسفه نفى عنه عم ما توهموه من قبله على ابلغ وجه وآكده باخراجه مخرج
ما لا مكروه وراءه بالاستعاذة استفظاعا له واستعظاما لما اقدموا عليه من العظيمة التي شافهوه عم بها قالوا
استئناف كما مر كانه قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا ادع لنا اي لاجلنا ربك يبين لنا
ما هي ما مبتدأ وهي خبره والجملة في حيز النصب بيبين اي يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع
اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما
في ما الشارحة والحقيقية لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم وقيل كان حقه
ان يستفهم باي لكنهم لما رأوا ما امروا به على حالة مغايرة لما عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حياله
قال اي موسى عم بعد ما دعا ربه عز وجل بالبيان واتاه الوحي انه تعالى يقول انها اي البقرة المأمور بذبحها بقرة
لا فارض ولا بكر اي لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا اي اسنت من الفرض بمعنى القطع كانها قطعت سنها
وبلغت آخرها وتركيب البكر للاولوية ومنه البكرة والباكورة عوان اي نصف لا قحم ولا ضرع قال طوال مثل اعناق
الهوادي نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة
الى المتعدد فافعلوا امر من جهة موسى عم متفرع على ما قبله من بيان صفة المأمور به ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى
تؤمرون به كما في قولك امرتك الخير فافعل ما امرت به فان حذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية
الى مفعولين وهذا الامر منه عم لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتصوا به وقوله تعالى قالوا استئناف
كما مر كانه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الشافي والامر المكرر فقيل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى يتبين لنا
البقرة المأمور بها قال اي موسى عم بعد المناجاة الى الله تعالى ومجيء البيان انه تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها
لنا والبيان في كل مرة الى الله عز وجل لاظهار كمال المسارعة في اجابة سؤالهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به ويقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قانئ
وفي اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تأكيد كانه قيل صفراء شديدة

ما هي

الصفرة صفرتها كما في حججه وعن الحسن رحمه الله سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالة صفر قيل ولعل التعبير
عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته واما لان سواد الابل يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعالى تسر
الناظرين كما يأباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر وعن
علي رض من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا استئناف كنظائره ادع لنا ربك يبين لنا ما هي زيادة استكشاف
عن حالها كانهم في اثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة يشترك
فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها الى تشخيص ما هو المأمور بها ولذلك لم يقولوا ان البقرة تشابهت ايذانا بان
النعوت المعدودة ليست بمختصة للمأمور بها بل صادقة على سائر افراد الجنس وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة
البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء والادغام على التذكير والتانيث وتشابهت
مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبّه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة وفيه دلالة
على انهم ميزوها عن بعض ما عداها في الجملة وانما بقي اشتباه بشرف الزوال كما ينبئ عنه قولهم وانا ان شاء الله
مؤكدا بوجوه من التاكيد اي لمهتدون بما سألنا من البيان الى المأمور بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت
لهم آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا
ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية
وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وقرئ تسقي من اسقى مسلمة
اي سلمها الله تعالى من العيوب واهلها من العمل او اخلص لها لونها من سلم له كذا اذا خلص له ويؤيده قوله تعالى
لا شية فيها اي لا لون فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا
خلط بلونه لونا آخر قالوا عند ما سمعوا هذه النعوت الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة مميزتها عن جميع
ما عداها ولم يبق لنا في شأنها اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاوليين فان ما جئت به فيهما لم يكن في التعيين بهذه
المرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد رأوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف المشروحة في المرات الثلاث
من غير مشارك لها فيما عد في المرة الاخيرة والا فمن اين عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة بها دون غيرها وقرئ الآن
بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها الفاء فصيحة كما في فانفجرت اي فحصلوا البقرة
فذبحوها وما كادوا يفعلون كاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا اي
فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بعداء منه او اعتراض تذييلي ومآله استثقال استقصائهم واستبطاء لهم وانهم
لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهي خيط اسهابهم فيها قيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل
وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال
اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فتوفي الشيخ وشبت العجلة فكانت من احسن البقر واسمنها
فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا لما كانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة اذ
ذاك بثلاثة دنانير واعلم انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وان الامتثال في آخر الامر
انما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف في ان المراد المأمور به اولا هل
هو المعينة وقد اخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التغيير الى المعينة بسبب تثاقلهم في الامتثال وتماديهم في التعمق
والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول تمسكا بان الضمائر في الاجوبة اعني انها الى آخره للمعينة قطعا ومن قضيته
ان يكون في السؤال ايضا كذلك ولا ريب في ان السؤال انما هو عن البقرة المأمور بذبحها فيكون هي المعينة وهو
مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات
والخواص فسألوا عنها فرجعت الضمائر الى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم تكن
المراد من اول الامر المعينة والحق انها كانت في اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت يحصل الامتثال بدلالة

لمهتدون

وتنسب التحديد فيه
الى الغلط
منه

ظاهر النظم الكريم وتكرير الامر قبل بيان اللون وما بعده من كونها مسلّمة الخ وقد قال صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا
ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروي مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس ثم رجع الحكم الاول منسوخا بالثاني والثاني
بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريقة تقييده و
تخصيصه به شيئا فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما غدت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة
فان الامتثال بالامر بدون الوقوف على المأمور به مما لا يكاد يتسنى فيكون سؤالاتهم من باب الاهتمام بالامتثال
وإذ قتلتم نفسا منصوب بمضمر كما مرت نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
واسناد القتل والتدارء اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف تقريعا وتوبيخا وتخصيصهما بالاسناد
دون ما مر من جناياتهم لظهور قبح القتل واسناده الى الغير اي اذكروا وقت قتلكم نفسا محرمة فادّارأتم فيها اي
تخاصمتم في شأنها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر او تدافعتم بان طرح كل واحد قتلها الى الآخر واصله تدارأتم فادغمت
التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون اي مظهره لا محالة والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل للدلالة على الاستمرار واعمال مخرج لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على فادّارأتم
وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل او بتأويل الشخص
او القتيل ببعضها اي ببعض البقرة اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وهذا اول القصة
كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وانما
غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله
صلى الله عليه وسلم والافتيات على امره وترك المسارعة الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان تنعى عليهم بحيالها
ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما يخصه من التوبيخ وانما حكي الامر بالذبح عن موسى
مع انه من الله عز وجل كالامر بالضرب لما ان جناياتهم كانت بمراجعتهم اليه عم والافتيات على رأيه كذلك يحيي
الله الموتى على ارادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فضربوه فحيي وقلنا كذلك الخ فحذفت الفاء الفصيحة
فيحيى مع ما عطف بها وما عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك والخطاب في كذلك للحاضرين عند حيوة القتيل
ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول بل تنتهي الحكاية عند قوله تعالى
ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة اي مثل ذلك الاحياء العجيب يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم آياته ودلائله
الدالة على انه تعالى على كل شيء قدير ويجوز ان يراد بالآيات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على
امور بديعة من ترتب الحيوة على عضو ميت واخباره بقاتله وما يلابسه من الامور الخارقة للعادات لعلكم
تعقلون اي لكي تكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على قضية عقولكم ولعل الحكمة في اشتراط
ما اشترط في الاحياء مع ظهور كمال قدرته تعالى على احيائه ابتداء بلا واسطة اصلا اشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء
الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدين وان من حق الطالب
ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما يروى عن عمر رض انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار
وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب امارات لا تأثير لها وان من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت
الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة
رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلّمة عن دنسها لا شية بها من قبائحها بحيث يتصل اثره الى نفسه فيحيى بحيوة
طيبة ويعرب عما به تنكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارء والجدال ثم قست قلوبكم الخطاب
لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر استعيرت لنبو قلوبهم
عن التأثر بالعظات والقوارع التي تميع منها الجبال وتلين بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع
ان قلوبهم لم تزل قاسية لما ان المراد بيان بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما لان

الاستمرار على شيء بعد وجود ما يجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة
ما يزيلها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل والى جميع ما
عدد من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اي من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ب
بعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين اما بتأويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب
لا تعيين المخاطب كما هو المشهور فهي كالحجارة في القساوة او اشد قسوة اي هي في القسوة مثل الحجارة او زائدة
عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده
قراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء
اما للتفريع مشابهتها لها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك احمر خده فهو كالورد
واما للتعليل كما في قولك اغنيه تلبث في العبادة حق له وانما لم يقل اقسى منها لما في التصريح بالشدة من زيادة
مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين في الشدة واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان
من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها او من عرف حالها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه
للامن من الالتباس وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان لاشدية قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم التأثر وتحقيق
صدور الخير منها يعني ان الحجارة ربما تتأثر حيث يكون منها ما تتفجر منه المياه العظيمة وان منها لما يشقق اي يتشقق
فيخرج منه الماء اي العيون وان منها لما يهبط من خشية الله اي يتردى من الاعلى الى الاسفل تبعا لما اراده
الله عز وجل فيها من الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز من الانقياد لامره تعالى والمعنى ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد
لامره عز وعلا آت بما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فتكون اشد منها قسوة لا محالة واللام في لما
لام الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وقرئ يهبط بالضم وما الله
بغافل عما تعملون عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه
من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات وقوله تعالى افتطمعون تلوين
للخطاب وصرف له عن اليهود الى ما عددت جناياتهم ونعيت عليهم جناياتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين
والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما في قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله أأضرب ابي والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما في افلا يبصرون
على تقدير المعطوف عليه منفيا اي الا تنظرون فلا يبصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثاني على الاول مع
وجوب ان يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى ابعد ان علمتم
تفاصيل شؤونهم المؤيسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم متماثلون في شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا يأتي من
اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا ومحلها مع ما في حيزها في
النصب والجر على الخلاف المعروف واللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل فآمن له لوط اي
مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة للظهور والمراد بها [illegible]
الشرعي ويستقف على ما فيه من المزية باذن الله تعالى وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه
كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع على انه صفة لفريق اي فريق كائن منهم وقوله تعالى يسمعون كلام الله
خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف
منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو بعد قوله افتتخذونه وذريته اولياء من دوني اي والحال ان طائفة منهم قال
ابن عباس رض هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلم موسى عم بالطور وما امر به
ونهى عنه ثم يحرفونه عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة
حسبما تقتضيه مقام الكبرياء بل من بعد ما عقلوه اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام

رب العزة رؤية اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهولاء قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخر
كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس فثم للتراخي زمانا او رتبة وقال
القفال رحمه الله سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه تاويلا فاسدا وقيل رؤساء اسلافهم الذين
تولوا تحريف التورية بعد ما احاطوا بما فيها علما وقيل هم الذين غيروا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في عصره
وبدلوا آية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا ان يحمل
ذلك على تقدمه على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم بيانا فالاقرب هو الانسب
بالسماع والكلام اذ التورية وان كانت كلام الله عز وجل لكنها باسم الكتاب اشهر وآثار التحريف فيها اظهر ووصف
اليهود بتلاوتها اكثر لا سيما باقوام المباشرين للتحريف فان وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الانسب
ان يقال يتلون كتاب الله فالمعنى افتطمعون في ان يؤمن هولاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم وقد كان اسلافهم الموافقين
لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه يقينا ولا يستجيبون له بيهات
ومن ههنا ظهر ما في ايثار كم على بالله من الفخامة والجزالة وقوله عز وجل **وهم يعلمون** جملة حالية من فاعل يحرفونه
مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه او على الخطاء في بعض مقدماته بل
كان ذلك حال كونهم عالمين مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون **واذا لقوا** جملة مستانفة سيقت
اثر بيان ما صدر عن اشباههم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنائع المؤيسة عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب
آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما ستعرف على شرح لا المنافقين خاصة كما قيل تحرزا بالاتحاد
الفاعل في الشرط والجزاء حقيقة **الذين آمنوا** من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم **قالوا** اي اللاقون لكن لا بطريق
تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا
ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا العاتبين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض آرائهم من
اسناد القول الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف اي قال منافقوهم **آمنا** لم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا
نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الآتي **واذا
خلا بعضهم** اي بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اي اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين **الى بعض**
آخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما اشير اليه آنفا لان الخلو
انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام
الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب **قالوا** اي الساكتون موبخين لمن نافق على ما صنعوا
اتحدثونهم يعني المؤمنين **بما فتح الله عليكم** ما موصولة والعائد محذوف اي بينه لكم خاصة في التورية من نعت النبي
صلى الله عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد وتجويز كون هذا التوبيخ
من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب في دينهم كما ذهب اليه بعض تعسف لا يليق بشان التنزيل الجليل واللام في قوله تعالى
ليحاجوكم به متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تاكيد النكير وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا
في نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اي اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم
والمحدثون به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور
اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم **عند ربكم** اي في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اي في كتابه وشرعه
وقيل عند ربكم يوم القيمة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون يومئذ حدثوا به او لم يحدثوا
ولا اعتذار بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقية ديننا وصدق
نبينا اخص فيجوز ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير الى التحديث دون المحدث به ولا ريب في انه
مدفوع بالاخفاء لا يساعده الآية الكريمة كما ستقف عليه باذن الله عز وجل **افلا تعقلون** من تمام التوبيخ والعتاب

والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطاب لفاحترا وشيا
من الاشياء التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء اي تفعلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع
وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر عدم التعقل بعد الفعل هذا واما ما قيل من انه خطاب من
الله سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه
قوله تعالى **اولا يعلمون** فانه تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكي عنهم فيكون ايراد خطاب المؤمنين في اثنائه
من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان في تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف وفي تعميمه للنبي ايضا صلى الله
عليه وسلم كما في افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر
ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اي يلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون **ان الله يعلم
ما يسرون وما يعلنون** اي يسرونه فيما بينهم من المؤمنين وما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق
الاولى اي يظهرونه لاصحابهم حسبما سبق فحينئذ يظهر الله تعالى للمؤمنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحي الى النبي
صلى الله عليه وسلم فيحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاي فائدة
في اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح عليهم وهي حاصلة في الدارين حدثوا بها ام لا
لا بالتحديث به حتى يندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط او للموبخين او لآبائهم المحرفين اي ايفعلون ذلك و
لا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان واخفاء ما فتح
الله عليهم واظهار غيره وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم الاسرار على الاعلان للايذان
بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كان علمه بما
يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول
صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة
ونظيره قوله عز وعلا قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء لما ذكر
من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل في تعلق
المحاسبة به هو الامور البادية دون الخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة
العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه
بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية **ومنهم اميون** وقرئ بتخفيف الياء جمع امي وهو من لا يقدر
على الكتابة والقراءة [illegible] على الحالة التي ولدته
امه في الخلوص عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى انه باق على ما جبلت عليه الامة قبل ان تعرف الاشياء
اي على عادة الكاملة وروي عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع
كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وعن علي هم المجوس والحق الذي يقتضيه انهم جهلة اليهود والجملة
مستانفة مسوقة لبيان قبائح تلك الطائفة وقيل معطوفة على الجملة الحالية فان
مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وان لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما في مضمون الجملة الحالية
وما بعدها فان الجاهل بالكتاب في منأى من الايمان ليس بما يتخرج كلام الله بعد سماعه والعلم بمعناه كما
وقع من الاولين او النفاق والنهي عن اظهار ما في التورية كما وقع من الفريقين الآخرين اي ومنهم طائفة
جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة **لا يعلمون الكتاب** اي لا يعرفون التورية ليطالعوها ويتحققوا
ما في تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سياق النظم وسياقه **الا اماني**
بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية واصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا كتمنى في قوله تمنى
كتاب الله اول ليلة [illegible] ومعناها على الاول ما يقدره الانسان في نفسه وينتحله

على الوجه الاول

قاله ابو السعادة

على الوجه الثاني

وعلى الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب اي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو عنهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم رؤسائهم او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل الاماني على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم **وان هم الا يظنون** ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فانى يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحبال الاماني واتباع الظن عقب ببيان حال الذين اوقعوهم في تلك الورطة وبكشف كيفية اضلالهم لهم وتعيين مرجع الكل بالآخرة فقيل على وجه الدعاء عليهم **فويل** هو وما اشتد له من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة بافعال من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قاله الخليل وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك المعنى او بينه وبينها فرق وقيل ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس رض الويل العذاب الاليم وعن سفيان الثوري انه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدري رض عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد في جهنم يهوي الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب انه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريدة جبل قيح ودم وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله عز وعلا **للذين يكتبون الكتاب** اي المحرف او ما كتبوه من التاويلات الزائغة **بايديهم** تاكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبته بيميني **ثم يقولون هذا** اي جميعا على الاول وبخصوصه على الثاني **من عند الله** روي ان احبار اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤوا عليهم ما كتبوه فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي فان نسبة المحرف والتاويل الزائغ الى الله سبحانه صريحا اشد شناعة من نفس التحريف والتاويل **ليشتروا به** اي ياخذوا لانفسهم بمقابلته **ثمنا** هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتاويل وانما عبر عن المشترى الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا بالذات **قليلا** لا يعبأ به فان ذلك وان جل في نفسه فهو اقل قليل عند ما استوجبوه به من العذاب الخالد **فويل** تكرير لما سبق للتاكيد وتصريح تعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف بايراد بعضه في حيز الصلة وبعضه في معرض الغرض والفاء للايذان بترتبه عليه ومن في قوله عز وجل **مما كتبت ايديهم** تعليلية متعلقة بويل او بالاستقرار في الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف اي كتبته او مصدرية والاول ادخل في الزجر عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن التحريف **وويل لهم مما يكسبون** الكلام فيه كالذي فيما قبله والتكرير لما مر من التاكيد والتشديد والتصدي للتعليل بكل من المبادئ وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما انه من مبادي ترويج ما كتبت ايديهم فهو داخل في التعليل **وقالوا** بيان لبعض آخر من جناياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه من الاكاذيب التي اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب **لن تمسنا النار** في الآخرة **الا اياما معدودة** قليلة محصورة عددها ايام عبادتهم العجل اربعين يوما مدة غيبة موسى عليه السلام وحكى الاصم عن بعض اليهود ان عدد ايام عبادتهم العجل سبعة وروي عن ابن عباس رض ومجاهد ان اليهود قالوا الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما واحدا وروى الضحاك عن ابن عباس رض ان اليهود زعمت انهم وجدوا في التوراة ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانهم يقطعون

اي للكلي على الافراد

في كل يوم مسيرة سنة فيكملونها **قل** تبكيتا لهم وتوبيخا **اتخذتم** باسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها في الدرج وباظهار الذال وقرئ بادغامها في التاء **عند الله عهدا** خبرا ووعدا بما تزعمون فان ما تدعون لا يكون الا بناء على وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد **فلن يخلف الله عهده** الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا اي ان كان الامر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان عدم الاخلاف من قضية الالوهية واظهار العهد مضافا الى ضميره عز وجل لما ذكر اولا لان المراد به جميع عهوده لعمومه بالاضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقق مضمون كلامهم وان كان معلقا بما لم يكد يشم رائحة الوجود قطعا اعني اتخاذ العهد **ام تقولون** مفترين **على الله ما لا تعلمون** وقوعه وانما علق التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع ان ما اسندوه اليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والنكير فان التوبيخ على الادنى مستلزم للتوبيخ على الاعلى بالطريق الاولى وقولهم المحكي وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له لان ذلك الجزم لا يكون الا باسناد سببه اليه تعالى وام متصلة والاستفهام للتقرير المؤدي الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير كانه قيل ام لم تتخذوه بل تقولون عليه تعالى واما منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما تفيده همزتها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في قوله عز وعلا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون **بلى** جواب عن قولهم المحكي وابطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعدما اظهر كذبهم اجمالا وتفويضا الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظائفه عليه السلام مع ما فيه من الاشعار بانه امر بين لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف ايجاب مختص بجواب النفي خبرا واستفهاما **من كسب سيئة** فاحشة من السيئات اي كبيرة من الكبائر كدأب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم **واحاطت به** من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت **خطيئته** التي كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر حسبما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس وابي هريرة وعن ابي وائل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق ان الاولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقرئ خطيئاته وخطاياه ايذانا بكثرة فنونها **فاولئك** مبتدأ **اصحاب النار** خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ عن استحضار المشار اليه بما له من الاوصاف للتنبيه على انهم بسبب ذلك استحقوا صاحبة النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر الثلاثة لما ان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم في تلك الحالتين فان كسب السيئة واحاطة الخطيئة يتحقق في حالة الانفراد وصاحبة النار في حالة الاجتماع اي اولئك الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات واحاطة خطاياهم اصحاب النار اي ملازموها في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما يوجبها من الاسباب التي من جملتها ما هم عليه من تكذيب آيات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم بان يقال بلى انهم اصحاب النار الخ لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما مر من قصد الاشعار بالتعليل **هم فيها خالدون** دائما ابدا فانى لهم التقصي عنها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا حجة في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام التهويل **والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** جرت

الثنية الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب
اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل شروع في تعداد بعض آخر من قبائح اسلاف
اليهود مما ينادي بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
ليؤديهم التأمل في احوالهم الى قطع الطمع عن ايمانهم او اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم
اي اذكروا اذ اخذنا ميثاقهم لا تعبدون الا الله على ارادة القول اي وقلنا او قائلين لا تعبدون الخ وهو
اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول كيت وكيت وهو ابلغ
من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده
قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا الخ فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله الا ايها
الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق
او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قيل وحلّفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء
لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر اي وتحسنون او واحسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف
على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر اسكنه من الحراك واثخنه
عن التقلب وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا سماه حسنا مبالغة وقرئ كذلك وحُسُنا بضمتين وهي لغة اهل الحجاز
وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة بما فرض عليهم في شريعتهم ثم توليتم
ان جعل ناصب الظرف خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهذا التفات الى خطاب بني اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم
على اسلافهم لجريان ذكرهم كلهم حينئذ على نهج الغيبة فان الخطابات السابقة لاسلافهم محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل
لا تعبدون كأنهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت هي عليهم وان جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله عليه السلم
فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه تعميم للتولي بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ
اي اعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن
الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه وانتم معرضون جملة تذييلية اي وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة
ومراعاة حقوق الميثاق واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض واذ اخذنا ميثاقكم منصوب
بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب في عليهم اخلالهم بمواجب الميثاق المأخوذ منهم في حقوق العباد
على طريقة النهي اثر بيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجري مجراها على سبيل الامر فان
المقصود الاصلي من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم في التورية
وقوله تعالى لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم كما قبله اخبار في معنى النهي غير السبك اليه
لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك
بسفك دماء انفسهم واخراجها من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتصال القوي
نسبا ودينا للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير
انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم
من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سيأتي من قوله تعالى من ديارهم وانما الخطاب
فيها باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع
واما ضمير دماءكم فيحتمل الوجهين مفاد الاول كون المسفوك دماء ادعائية للمخاطبين حقيقة ومفاد الثاني كونه
دماء حقيقية للمخاطبين ادعاء وهما متقاربان في افادة المبالغة فتدبر واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يؤدي
الى قتل انفسكم قصاصا او ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة
الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي فمما لا يساعد

وسياق النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما ستقف عليه ثم اقررتم اي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وانتم
تشهدون توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل انها للحاضرين تشهدون اليوم على اقرار
اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ شديد واستبعاد قوي لما ارتكبوه بعد ما كان
ما كان من الميثاق والاقرار به والشهادة عليه فانتم مبتدأ وهؤلاء خبره ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل
منزلة اختلاف الذات والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون حسبما يعرب عنه الجمل الآتية فان
قوله تعالى تقتلون انفسكم الخ بيان له وتفصيل لاحوالهم المنكرة المندرجة تحت الاشارة ضمنا كأنهم قالوا كيف
نحن فقيل تقتلون انفسكم اي الجارين مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ تقتّلون بالتشديد للتكثير وتخرجون
فريقا منكم الضمير اما للمخاطبين والمضاف محذوف اي من انفسكم واما للمقتولين والخطاب باعتبار انهم جعلوا انفس
المخاطبين والا فلا يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان الذي عليه يدور فلك المبالغة في تأكيد
الميثاق وحسبما نص عليه ولا يظهر كمال قباحة جناياتهم في نقضه من ديارهم الضمير للفريق وايثار الغيبة مع جواز
الخطاب ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد اخراجهم من ديار المخاطبين
من حيث هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول والجملتان في حيز الصلة والمجموع هو الخبر لانتم
تظاهرون عليهم بحذف احدى التائين وقرئ باثباتهما وبالادغام وتظهرون بطرح احدى التائين من تتظهرون
ومعنى الكل تتعاونون وهو حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا مبينة لكيفية الاخراج دافعة لتوهم
اختصاص الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون التظاهر والمعاونة بالاثم متعلق بتظاهرون حال من
فاعله اي متلبسين بالاثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما ينفر عنه النفس ولا يطمئن اليه
القلب والعدوان وهو التجاوز في الظلم وان يأتوكم اسارى جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل بمعنى مفعول
من الاسر اي الشد او جمع اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح وقد قرئ اسرى ومحله النصب على الحالية تفادوهم
اي تخرجوهم من الاسر باعطاء الفداء وقرئ تفدوهم قال السدي ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التورية ان لا يقتل
بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت
قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنآن فكان كل فريق يقاتل
مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم
العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكن نستحيي ان نذل
حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة وهو محرم عليكم اخراجهم هو ضمير الشأن وقع مبتدأ ومحرم فيه ضمير قائم مقام
الفاعل وقع خبرا من اخراجهم والجملة خبر لضمير الشأن واخراجهم مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير
مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما يدل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تأكيد او بيان والجملة حال من الضمير في
تخرجون او من فريقا او منهما كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة هنا بالاخراج مع كونه قرينا
للقتل عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في امره بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل ولان مساق الكلام لذمهم
وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض افعالهم معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشيء من دية او
قصاص وهو السر في تخصيص التظاهر به فيما سبق واما تأخيره عن الشرطية المعترضة مع ان حقه التقديم كما ذكره
الواحدي فلان نظم افاعيلهم المتناقضة في سمط واحد من الذكر ادخل في اظهار بطلانها افتؤمنون ببعض الكتاب
اي التورية التي اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اي تفعلون
ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة وتكفرون ببعض وهو حرمة القتال والاخراج مع ان من قضية الايمان
ببعضه الايمان بالباقي لكون الكل من عند الله تعالى داخلا في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض
حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعي في المقام الخطابي اصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه

حتما واذ ليس ذلك ههنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه نحو باعتبار الوقوع قطعا لا ايمانهم بالبعض مع كفرهم
بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض لان كفرهم بالبعض وايمانهم بالبعض
كما يفيده ان يقال فتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض وبالعكس فما جزاء من يفعل ذلك منكم ما نافية
ومن ان جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انه صفتها وذلك اشارة
الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة الاسارى منكم حال
من فاعل يفعل الا خزي استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ والخزي الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو
قتل بني قريظة واجلاء بني النضير الى اذرعات واريحاء من الشام وقيل الجزية في الحيوة الدنيا في حيز الرفع
على انه صفة خزي اي خزي كائن في الحيوة الدنيا او في حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزي ولعل بيان
جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه لا اثر
له اصلا مع الكفر ببعض ويوم القيمة يردون وقرئ بالتاء او بصيغة الجمع نظرا الى معنى من بعد ما اوثر
الافراد نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع الى اشد العذاب لما ان معصيتهم اشد المعاصي
وقيل اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار وانما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل
مثلا واشد العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التنافي بين جزائي النشأتين وتقديم يوم القيمة على ذكر ما يقع
فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر وما الله بغافل عما تعملون من القبائح التي من جملتها هذا المنكر
وقرئ بالياء على نهج يردون وهو تأكيد للوعيد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى الذين اشتروا الحيوة الدنيا اي آثروا الحيوة الدنيا واستبدلوها بالآخرة واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها
فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع
الدنيوية فلا يخفف عنهم العذاب دنيويا او اخرويا ولا هم ينصرون بدفعه عنهم شفاعة او جبرا والجملة معطوفة
على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية او ينصرون مفسر للمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية على ما قبلها
ولقد آتينا موسى الكتاب شروع في بيان بعض آخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال
الاعتناء به والمراد بالكتاب التورية عن ابن عباس رض ان التورية لما نزلت جملة واحدة امر الله عز وجل موسى عم
بحملها فلم يطق بذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا بحملها فخففها الله تعالى لموسى عم فحملها وقفينا من بعده
بالرسل يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اي ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل
وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام
وآتينا عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات
او الانجيل وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال
وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ضليل اهواء الصبا تندمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه اي
قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة وهي روح عيسى عم كقولك
حاتم الجود ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عم لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل
بجبريل عم وقيل بالانجيل كما قيل في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره وتخصيص
من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس لما ان بعثتهم كانت
لتنفيذ احكام التورية وتقريرها واما عيسى عليه السلام فقد نسخ بشرعه كثيرا من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم
الباطل في حقه عم ببيان حقيته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عم افكلما جاءكم رسول من اولئك الرسل بما
لا تهوى انفسكم من الحق الذي لا محيد عنه اي لا تحبه من هوي كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بان
مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لا هوى انفسهم والموافقة له لا شيء آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت

من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا وللتعجب من شأنهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر
يناسب المقام اي ألم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم استكبرتم عن الاتباع له والايمان
بما جاء به من عند الله تعالى ففريقا منهم كذبتم من غير ان تتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار والفاء للسببية او
التعقيب وفريقا آخر منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقا في الموضعين
للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهائلة
او للايذان الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا بالنبي ما لم ينالوه من جهته سموه وسحروه وسموا الشاة حتى قال صلى الله
عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا بيان لفن آخر من قبايحهم على طريق
الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للاعراض عنهم وحكاية نظايرها
لكل من يفهم بطلانها وقباحتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون في عصر النبي عليه السلام قلوبنا غلف
جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد
عليه السلام ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي
عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رض
وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل لعنهم
الله بكفرهم رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته بان خذلهم
وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا ينفعهم
الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فاني لهم ادعاء العلم
الذي هو اجل آثارها وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدي اليها فقليلا ما يؤمنون
ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا
آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة
العدم والفاء لسببية اللعن لعدم الايمان ولما جاءهم كتاب هو القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل
من عند الله اي كائن من عنده تعالى للتشريف مصدق لما معهم من التورية عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات
الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب لتخصصه بالوصف
وكانوا من قبل اي من قبل مجيئه يستفتحون على الذين كفروا اي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين
ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج
بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس رض وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير
كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم
ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة كما في استعجب اي يسألون من انفسهم الفتح عليهم
او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وجل
فلما جاءهم تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى ما عرفوا عبارة عما سلف من الكتاب لان
معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به وايراد الموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال
مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادي الايمان به ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح
به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية له وقوله تعالى كفروا به جواب لما الاولى كما هو رأي المبرد وجوابهما معا كما قاله
ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه وقوله تعالى وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية
عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى و
لما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي

الذي عرفوه كفروا به فلعنة الله على الكافرين اللام للعهد اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان
حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام
فيهم وايا ما كان فهو تحقيق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء منصوبة
مفسرة لفاعل بئس واشتروا اي بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروها به في زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا
خلصوها من العقاب وبناء اتلا بد ان يكون المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله
ان يكفروا بما انزل الله اي بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيته وتبديل الانزال بالمجيء للايذان بعلو
شانه الموجب للايمان به بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا حتما دون اشتروا للفاصل من الفصل بما
هو اجنبي بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا
لا سيما وهو معلل بما سياتي من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاء وانما الذي بينه وبين علاقة هو كفرهم بما
انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لاجل ان ينزل الله من فضله الذي هو
الوحي على من يشاء اي يشاؤه ويصطفيه من عباده المستاهلين لتحمل عباء الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل
بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل ههنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكثره حسب
تكثره فباؤا بغضب على غضب اي رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسب ما اقترفوا من
كفر على كفر فانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى عم وقيل بعد قولهم عزير ابن
الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم وللكافرين اي لهم والاظهار في موضع الاضمار للاشعار بعلية
كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على الحسد المبني
على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل عليه عم واذا قيل من جانب المؤمنين لهم
اي لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لا سيما في لام التبليغ آمنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا والمراد
به الامر بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما آمنوا به فيما في حيز الصلة
وموافقته له في المضمون وتنبيها على ان الايمان بما عداه من غير ايمان به ليس بايمان بما انزل الله قالوا نؤمن اي
نستمر على الايمان بما انزل علينا يعنون به التورية وما نزل على انبياء بني اسرائيل عم لتقرير حكمها ويدسون فيه
ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما انفسهم فمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام
واما انبياء بني اسرائيل عليهم السلام وهو الظاهر لاشتماله على مزية الايذان بان عدم ايمانهم بالقرآن لما مر من بغيهم
وحسدهم على نزوله على من ليس منهم ولان مرادهم بالموصول وان كان هو التورية وما في حكمها خاصة لكن ايرادها
بعنوان الانزال عليهم مبني على ادعاء ان ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد بالانزال عليهم
ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل ويكفرون بما وراءه عدم
كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بني اسرائيل على الوجه الاخير وتجريد الموصول عند الاضمار
عما عرضوا به تعسف لا يخفى والوراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتواري به وهو خلفه
والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدأ اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون
بما عداه وليس المراد مجرد بيان ان ايمانهم بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون من
الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز اسمه وهو الحق اي المعروف بالحقية الحقيق بان يخص باسم الحق
على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير الحق وعاملها
ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اي احقه مصدقا لما معهم من التورية
والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال انه مصدق لما آمنوا به فيلزمهم الكفر بما آمنوا به
ومآله ادعوا الايمان بالتورية والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل تبكيتا لهم من جهة الله عز من قائل

بيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم فلم اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين
الاستفهامية والخبرية تقتلون انبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريق التغليب
وحيث كانوا مشاركين في العقد والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال
لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اي قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتورية كما تزعمون فلاي شيء تقتلون
انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ انبئاء الله مهموزا وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين تكرير للاعتراض لتاكيد
الالزام وتشديد للتهديد اي ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما
اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يتاتى الا على راي الكوفيين وابي زيد
وقيل ان نافية اي ما كنتم مؤمنين والا لما قتلتموهم ولقد جاءكم موسى بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل
تحت الامر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اي بالله
لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان
والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها التورية وليس بواضح فان المجيء بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل
اي الها من بعده من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه الى الطور فيكون التورية من جملة البينات وثم للتراخي
في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا وانتم ظالمون حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين
بعبادته واضعين لها في غير موضعها او بالاخلال بحقوق آيات الله تعالى او اعتراض اي وانتم قوم عادتكم
الظلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما انزل عليهم بتذكير
جناياتهم الناطقة بكذبهم اي واذكروا حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا
ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي خذوا بما امرتم به في التورية واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول قالوا استئناف
مبني على سؤال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فاذا قابل اسلافهم مثل
ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف
التورية فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها واشربوا في قلوبهم العجل على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه للمبالغة اي تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم وحرصهم على عبادته كما
يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما في قوله تعالى انما ياكلون
في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا
مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل توبيخا لحاضري اليهود اثر
ما تبين احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما ياتون ويذرون بئسما يامركم به ايمانكم بما انزل عليكم
من التورية حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اي ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد
الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ان كنتم
مؤمنين فانه قدح في دعواهم الايمان بما انزل عليهم من التورية وابطال لها وتقريره ان كنتم مؤمنين بها عاملين
فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يامركم به ايمانكم بها واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم
بمؤمنين بها قطعا وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة ما سبق عليه قل كرر الامر مع قرب العهد بالامر السابق
لما انه امر بتبكيتهم واظهار كذبهم في فن آخر من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفى بالاشارة اليه
في تضاعيف الكلام حيث قيل ان كانت لكم الدار الآخرة اي الجنة او نعيم الدار الآخرة عند الله خالصة اي
سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحالية من الدار وعند ظرف
للاستقرار في الخبر اعني لكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة يقال خلص لي كذا وكذا واللام
للجنس اي الناس كافة او للعهد اي المسلمين فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق الى التخلص

إليها من دار البوار وقرار الأكدار لا سيما إذا كانت خالصة له كما قال علي كرم الله وجهه لا أبالي
أسقطت على الموت أو سقط الموت علي وقال عمار بن ياسر بصفين الآن ألاقي الأحبة محمدا وحزبه وقال
حذيفة بن اليمان حين احتضر وقد كان يتمنى الموت حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم أي على التمني وقوله تعالى
إن كنتم صادقين تكرير للكلام لتشديد الإلزام وللتنبيه على أن ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الأمر فقط
بل في اعتقادهم أيضا وأنهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه أي إن كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى
ولن يتمنوه أبدا كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الإحجام عما دعوا
إليه الدال على كذبهم في دعواهم بما قدمت أيديهم بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عم
والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد من بين جوارح الإنسان مناط عامة صنائعه ومدار أكثر منافعه عبر بها
تارة عن النفس وأخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين أي بهم وإيثار الإظهار على الإضمار لذمهم والتسجيل عليهم
بأنهم ظالمون في جميع الأمور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه أي
عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية إلى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي
إلى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم موته أحد إذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي عليه السلام لو تمنوا الموت
لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الأرض ولتجدنهم أحرص الناس من الوجدان العقلي
وهو جار مجرى العلم خلا أنه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير وأحرص والتنكير في قوله تعالى على حياة
للإيذان بأن مرادهم نوع خاص منها وهي الحياة المتطاولة وقرئ بالتعريف ومن الذين أشركوا عطف على ما قبله
بحسب المعنى كأنه قيل أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وإفرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للإيذان بامتيازهم
من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فإن حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان أشد من حرص المشركين المنكرين
له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم إلى النار ويجوز أن يحمل على حذف المعطوف عليه أي وأحرص من الذين أشركوا
فقوله تعالى يود أحدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف ويجوز أن يكون في حيز الرفع صفة لمبتدأ محذوف
خبره الظرف المتقدم على أن يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله أي ومنهم طائفة يود أحدهم أنه كان أي كل
واحد منهم لو يعمر ألف سنة وهو حكاية لودادتهم كأنه قيل ليتني أعمر وأجري على الغيبة لقوله تعالى يود كما
تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على أنه مفعول يود إجراء له مجرى القول لأنه فعل قلبي وما هو بمزحزحه
من العذاب ما حجازية والضمير العائد إلى أحدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زائدة أن يعمر فاعل بمزحزحه
أي بمبعده ومنجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وأن يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وأن يعمر
مفسرة والجملة حال من أحدهم والعامل يود لا يعمر على أنها حال من ضميره لفساد المعنى أو اعتراض وأصل سنة سنوة
لقولهم سنوات وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وسنيهة وتسنهت النخلة إذا أتت عليه السنون والله بصير بما يعملون
البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه أي عليم بخفيات أعمالهم
فهو مجازيهم بها لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله
ابن صوريا من أحبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه بالوحي فقال عم جبريل عم فقال هو
عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي يأتيك لآمنا بك وقد
عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما
مسكينا فدفع عنه جبريل عم وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه وإلا فبأي حق تقتلونه وقيل
أمر الله تعالى أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي أنه كان لعمر رض أرض بأعلى المدينة وكان ممره على مدارس
اليهود فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال والله ما أجيئكم لحبكم ولا
أسألكم لشك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم ثم سألهم

عن جبريل عليه السلام فقالوا ذلك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل
يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل أقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن
يساره وهما متعاديان فقال عمر رض إن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا
لأحدهما فهو عدو للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل عم قد سبقه بالوحي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر وقال رض لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقرئ
جبرئيل كسلسبيل وجبرئل كجحمرش وجبريل وجبرال وجبرائيل كجبراعيل وجبرائل كجبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف
والعجمة ومعناه عبد الله فإنه نزله تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الأول لجبريل عليه السلام والثاني
للقرآن أضمر من غير ذكر إيذانا بفخامة شأنه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لا سيما عند ذكر شيء
من صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فإنه القابل الأول له ومدار الفهم والحفظ وإيثاره على الخطاب
على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لما في النقل بالعبارة
من زيادة تقرير لمضمون المقالة بإذن الله بأمره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبرئيل
عليه السلام إلى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه أي
من الكتب الإلهية التي معظمها التوراة حال من مفعوله وكذا قوله تعالى وهدى وبشرى للمؤمنين والعامل في الكل
نزله والمعنى من عادى جبريل من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فإنه نزل عليك كتابا مصدقا
لكتبهم أو فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم موافق له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم
وجحدوا موافقته له لأن الاعتراف بها يوجب الإيمان به وذلك يستدعي انتكاس أحوالهم وزوال رياستهم
وقيل إن الجواب فقد خلع ربقة الإنصاف أو فقد كفر بما معه من الكتاب أو فليمت غيظا أو فهو عدو لي وأنا عدوه
له من كان عدوا لله أريد بعداوته تعالى مخالفة أمره عنادا والخروج عن طاعته مكابرة أو عداوة خواصه
ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشأنهم وإيذانا بأن عداوتهم عداوته عز وعلا والله ورسوله
أحق أن يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل وملائكته ورسله وجبريل وميكال وإنما أفردا بالذكر مع أنهما أول من يشمله
عنوان الملكية والرسالة لإظهار فضلهما كأنهما عليهما السلام من جنس آخر أشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف
منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على أن عداوة أحدهما عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث
زعموا أنهما متعاديان وللإشارة إلى أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه
وأن من عادى أحدهم فكأنما عادى الجميع وقوله تعالى فإن الله عدو للكافرين أي لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم
عاداه الله وعاقبه أشد العقاب وإيثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر
للإيذان بأن عداوة المذكورين كفر وأن ذلك بين لا يحتاج إلى الإخبار به وأن مدار عداوته تعالى لهم وسخطه
المستوجب لأشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائل كميكاعل وميكائيل كميكاعيل وميكئل كميكعل
وميكئيل كميكعيل ولقد أنزلنا إليك آيات بينات واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى
وما يكفر بها إلا الفاسقون أي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فإن من ليس على تلك الصفة من الكفرة
لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم أفراد
ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رض أنه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا
بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام للعهد أي الفاسقون المعهودون وهم أهل الكتاب
المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا أو كلما عاهدوا عهدا الهمزة
للإنكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا
ومن جملة ذلك ما أشير إليه في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد أظل

زمان بني يخبج بتصديق ما قلنا فتكلم معه قتل عاد وارم وقرئ بسكون الواو وعلى ان تقدير النظم الكريم
وما يكفر بها الا الذين فسقوا ونقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله تعالى عهدا اما
مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه او مفعول له على انه بمعنى اعطوا العهد نبذه فريق منهم اي رموا بالزمام
ورفضوه وقرئ نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه بل اكثرهم لا يؤمنون اي بالتوراة وهذا
دفع لما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون وان من لم ينبذها انهم يؤمنون بها سرا ولما جاءهم رسول هو النبي
صلى الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم من عند الله متعلق بجاء او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه
بتأكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية مصدق لما معهم من التوراة من حيث انه صلى الله
عليه وسلم قرر صحتها وحقق حقية نبوة موسى عم بما انزل عليه او من حيث انه عم جاء على وفق ما نعت فيها نبذ
فريق من الذين اوتوا الكتاب اي التوراة وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ممن كانوا يستفتحون
به قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان عم كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصور منهم وافراد هذا
النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه
تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلوا الشياطين وايثارهم له عليه والمراد بايتائها اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف
على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم واما مجرد انزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع
الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ كتاب الله اي الذي
قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فاتفقت التوراة والفرقان فنبذوا التوراة
واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله
الخ وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترؤوا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن
نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعدما كانوا يستفتحون به من قبل فان ذلك قبول له وتمسك به فيكون
الكفر به عند مجيئه نبذا له كانه قيل كتاب الله الذي جاء به فان مجيء الرسول معرب عن مجيء الكتاب وراء ظهورهم
مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه كانهم لا يعلمون
جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم مشبهين بمن لا يعلمه فان اريد بهم احبارهم فالمعنى كانهم لا يعلمونه على وجه
الايقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ففيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم
يتجاهلون او كانهم لا يعلمون انه كتاب الله او لا يعلمونه اصلا كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة
مبالغة في اعراضهم عما في التوراة من دلائل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه منهم كتاب الله القرآن فالمراد
بالعلم المنفي في قوله تعالى كانهم لا يعلمون هو العلم بانه كتاب الله ففيه ما في الوجه الاول من الاشعار بانهم
متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جميل اليهود اربع فرق ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا
بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وعلا بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود
وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها بجهلهم بها
وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على جواب
لما اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال
ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا قبل
مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل على اشربوا
على ملك سليمان اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلقونها
الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عم حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا
يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الانس والجن والطير والريح التي تجري بامره

وقيل ان سليمان عم كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة
توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر من عمل سليمان عم وانه ما بلغ هذا
المبلغ الا بسبب هذه الاشياء وما كفر سليمان تنزيه لساحته عم من السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان
يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهته بذلك ولكن
الشياطين وقرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند
الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر
اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما في لكن من رائحة
الفعل كاف في العمل في الحال او في محل الرفع على انه خبر ثان للكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال
للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستأنفة هذا على تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه
الى فاعل اتبعوا فهي اما حال منه واما استئنافية فحسب واعلم ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا
في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة
والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله
اليهم ابراهيم عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلث فرق ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة
الوجود لذواتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلا ويشتغلون
بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة
عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون
ان الانسان يبلغ روحه بالتصفية في القوة والتاثير الى حيث يقدر على الايجاد والاحياء والاعدام والاماتة
وتغيير البنية والشكل ومنها ما يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات
الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الاول فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني
وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى
الى حيث يخلق الله سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه
كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الانبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك الانسان
ان كان خيرا متشرعا في كل ما يأتي ويذر وكان من يستعين به من الارواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة
لاحكام الشريعة الشريفة ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان
شريرا غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر ان من يستعين به من الارواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة
امتناع تحقق التضام والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة
وما يجري مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص
الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه
وخفي سببه او من الصرف عن الجهة المعتادة لما انه في اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهري عن الفراء ويونس
وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار
او هو نوع اقوى منه او على ما تتلوا وما بينهما اعتراض اي واتبعوا ما انزل الخ وهما ملكان انزلا لتعليم السحر
ابتلاء من الله للناس كما ابتلي قوم طالوت بالنهر او تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس او لان السحرة
كثرت في ذلك الزمان واستنبطوا ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما
الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين واظهار امرهم على الناس واما ما يحكى من ان
الملائكة عليهم السلام لما رأوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيروهم وقالوا سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة

الارض يعصونك فيها فقال الله عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان
نعصيك قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم
فاهبطا الى الارض بعدما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا
الى السماء مساء وقد نهيا عن الاشراك والقتل بغير حق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا
ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امراة من اجمل النساء تسمى زهرة وكانت
من لخم وقيل كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما رآياها افتتنا بها فراوداها
عن نفسها فابت فالحا عليها فقالت لا الا ان تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تقتلاه
ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا كلا من ذلك بعد اللتيا والتي ثم سألاها
ما سألا فقالت لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت وصعدت الى السماء
فمسخها الله تعالى كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم يطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان في عهد
ادريس عم فالتجآ اليه ليشفع لهما ففعل فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا الاول
لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد
الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله
من مقولة الامثال والرموز التي قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا
ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر **ببابل** الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع
حالا من الملكين او من الضمير في انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رض بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند
ومنع الصرف للعجمة والعلمية او للتانيث والعلمية **هاروت وماروت** عطفا بيان للملكين علمان لهما ومنع
صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت لانصرفا وامّا من الملكين بكسر اللام او قال كانا رجلين صالحين
فقال بهما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجن بهما المراد من الملكين بالكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت
وما يعلمان من احد من مزيدة في المفعول به لافادة تاكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق
كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام **حتى يقولا انما نحن فتنة** الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها
مع تعددهما لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيان
شان سواها لينصرف الناس عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل
التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل
او اتخذه ذريعة الى الاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان **فلا تكفر** باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر ان
غاية النفي ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان
اعتناء الملكين بشان النصح والارشاد والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل
اي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما ما يعلمان
احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تعالى وما انزل الخ نافية والجملة معطوفة على قوله
تعالى وما كفر سليمان جيء بها لتكذيب اليهود في القصة اي لم ينزل على الملكين اباحة السحر وان هاروت وماروت بدل
من الشياطين على انهما قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان
احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فتكون مثلنا فيأباه ان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال الناس
مما لا يلائمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال في حكم تنحية
المبدل منه **فيتعلمون منهما** عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن فتنة الخ
والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين **ما يفرقون به** اي بسببه وباستعماله

بين المرء وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وتشديد الراء بلا همزة **وزوجه** بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض
والفرك والنشوز عندما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب
العاديات ابتلاء لا ان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيوراه الناس ويعتقدون انه حق فيكفرون
فتبين ازواجهم **وما هم بضارين به** اي بما تعلموه واستعملوه من السحر **من احد** اي احدا ومن مزيدة لما ذكر
في قوله تعالى وما يعلمان من احد والمعهود وان كان زيادتها في معمول فعل منفي الا انه حملت الاسمية في ذلك على الفعلية
كانه قيل وما يضرون به من احد **الا باذن الله** لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التاثير بالذات وانما هو
بامره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة
بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها على النفي او الضمير المجرور في به اي
وما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ بضاري على الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور وفصل
ما بين المضافين بالظرف **ويتعلمون ما يضرهم** لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا **ولا ينفعهم**
صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص
عن الاغترار باكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب
عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان يجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن
لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه **ولقد علموا** اي اليهود الذين حكيت جناياتهم **لمن اشتراه** اي استبدل
ما تتلو الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتداء علق به علموا عن العمل
ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى **ما له في الآخرة من خلاق** اي من نصيب جملة من
مبتدا وخبر ومن مزيدة في المبتدا وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق
في الآخرة وهذه الجملة في محل الرفع على انها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل
متعديا الى اثنين او مفعوله الواحد ان جعل متعديا الى واحد فجملة ولقد علموا الى آخره مقسم عليها دون جملة لمن
اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم
ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وما له في الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف لكفاية
عنه جواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فيكون الجملتان معا مقسما عليهما **ولبئس ما شروا**
به انفسهم اي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي والله لبئس ما باعوا به انفسهم
السحر او الكفر وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم
الا تبارا ويجوز كون الشري بمعنى الاشتراء [illegible] المشترين [illegible] ما تتلو الشياطين ولا تعلق
الذم بالماخوذ المنوي كما هو المشهور [illegible] **لو كانوا**
يعلمون اي يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين
او حقيقة ما يتبعه من العذاب على ان المنفي هو العلم [illegible] والعلم الاجمالي بقبح
الفعل او ترتب العقاب من غير تعيين وجواب لو محذوف اي لما فعلوا ما فعلوا **ولو انهم آمنوا** اي بالرسول المحكي عنه
في قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ او بما انزل اليه من الآيات المذكورة في قوله تعالى ولقد انزلنا اليك آيات
بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتوراة التي اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله
وراء ظهورهم فان الكفر بالقرآن والرسول عليه السلام كفر بها **واتقوا** المعاصي المحكية عنهم **لمثوبة من عند الله خير**
جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم
الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة
للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة اي لشيء ما من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف

اي لافادة تاكيد الاستغراق

اي لاثيبوا وما بعده جملة مستانفة فان الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمني ومعناه
انهم من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة
لان المحسن يثوب اليه **لو كانوا يعلمون** ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم **يا ايها الذين**
امنوا خطاب للمؤمنين فيه ارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض آخر من جنايات اليهود **لا تقولوا راعنا** المراعاة
المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه و
كانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهي راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول
المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون النبي عليه السلام به يعنون به تلك المسبة
او نسبته عليه السلام الى الرعن وهو الحمق والهوج روي ان سعد بن عبادة رض سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم
لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه قالوا او
لستم تقولونها فنزلت الآية ونهي فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لألسنة اليهود عن التدليس وامرا بما في معناها و
لا يقبل التلبيس فقيل **وقولوا انظرنا** اي انظر الينا بالحذف والايصال او انتظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ
انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل اي قولا ذا رعن
كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب بالرعن اتصف به **واسمعوا** واحسنوا اسماع ما يكلمكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة
وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه من النهي والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا
سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا **وللكافرين** اي اليهود الذين
توسلوا بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا
عذاب اليم لما اجترؤا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه
ما يود الذين كفروا الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول
موضع الضمير للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهي عنه
كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه الآية بالخير فكانه اشير الى ان سبب تحريفهم له الى ما حكي
عنهم لو توقعهم في اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وكان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم
يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في قوله تعالى **من اهل الكتاب ولا المشركين** للتبيين كما في قوله
عز وعلا لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لما سعرفه **ان ينزل عليكم** في حيز النصب على
انه مفعول ليود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح الآتي وقوله تعالى **من خير** هو القائم مقام فاعله
ومن مزيدة للاستغراق والنفي وان لم يباشره ظاهرا لكنه ينسحب عليه معنى والخير الوحي وحمله على ما يعمه وغيره من العلم
والنصرة كما قيل يأباه وصفه فيما سيأتي بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التاخير عنه لاظهار كمال العناية
به لانه المدار لعدم ودهم ومن في قوله تعالى **من ربكم** ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعليته لتنزيل
الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعلقه بما فيه وتعرضهم
بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع ذلك التنزيل على
النبي عليه السلام وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بل وصف
مشترك بين الكل هو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى
اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء
الناشئون في مهابط الوحي وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة

الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم وما كانت اليهود بهذا الداء اشهر لا سيما في اثناء ذكر ابتلاءهم لم يلزم من نفي ودادتهم لما ذكر نفي ودادة المشركين
له فزيدت كلمة لا لتاكيد النفي **والله يختص برحمته** جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه
على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار
نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال علي رض بنبوته خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم فالفعل
متعد وصيغة الافتعال للانباء عن الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للسياق الموافق لقوله تعالى ان ينزل
الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة والباء داخلة
على المقصور اي يؤتي رحمته **من يشاء** من عباده ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب ارادته
تفضلا لا تتعداه الى غيره وقيل الفعل لازم ومن يشاء فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقديرين وقوله تعالى
والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله
ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة
البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونيهما واستقلالهما بشانهما فان الاضمار في الثانية
مبني عن توقفها على الاولى **ما ننسخ من آية او ننسها** كلام مستانف مسوق لبيان سر النسخ الذي هو فرد من افراد
تنزيل الوحي وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقية الوحي ورد كلام الكارهين له رأسا قيل نزلت حين قال المشركون
او اليهود الا ترون الى محمد عليه السلام يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل
يقال نسخت الريح الاثر اي ازالته ونسخت الكتاب اي نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد
منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ
ننسخ من انسخ اي نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننساها من النسء اي نؤخرها وننسها بالتشديد
وتنسها وتنسها على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من آية او ننسكها
وقرئ ما ننسك من آية او ننسخها والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها
او حكمها او كليهما معا الى بدل او غير بدل **نأت بخير منها** اي نوع آخر هو خير للعباد بحسب الحال في النفع والثواب
من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا **او مثلها** اي فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة
فما فوقها بل جار فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل
الآيات التي عليها يدور فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف
الاحوال ويتبدل حسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضي في حال
آخر نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام **الم تعلم** الهمزة للتقرير كما في قوله سبحانه اليس الله
بكاف عبده وقوله تعالى الم نشرح لك صدرك والخطاب للنبي عليه السلام وقوله تعالى **ان الله على كل شيء قدير**
ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش والمراد بهذا التقرير
الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة
الاشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول قدرته على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع
الضمير لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية وكذا الحال في قوله عز
سلطانه **الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض** فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور
خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان وليتأكد على ان يقال ان الله له ملك السموات والارض للقصد
الى تقوي الحكم بتكرر الاسناد وهو اما تكرير للتقرير واعادة للاستشهاد على ما ذكر وانما لم يعطف ان مع ما في حيزها
على ما سبق من مثلها روما لزيادة التاكيد واشعارا باستقلال العلم بكل منهما وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود

وتكون كل منهما

لجمع الجمع علم ندر بر

واما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الاشياء اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء
الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيها ايجادا واعداما وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته
لا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شانه كيف يخرج عن قدرته شيء من الاشياء وقوله تعالى وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير معطوف على الجملة خبر لان داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول
الخطاب بين السابقين للامة ايضا وانما افرد عليه السلام بهما لما ان علومهم مستندة الى علمه عليه السلام ووضع
الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم ان لتربية المهابة والايذان بمبادية الولاية والنصرة للقوة والعزة للتاكيد
بد الاستشهاد بما تعلق به من العلم على تعلق ارادته تعالى لما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ او بمثله فان
مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليا ونصيرا لهم فمن
علم ان الله تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض امره اليه تعالى ولا يخطر
بباله ريبة في امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون
اجنبيا من المنصور وما اما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدأ مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق
واما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يجيز تقديمه واسمها من ولي ومن مزيدة لما ذكر ومن دون الله في حيز
النصب على الحالية من اسمها لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله والمعنى ان قضية
العلم بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم في امر من امور دينهم او دنياهم الا ما هو
خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم
التي من جملتها ما قالوا في امر النسخ وقوله تعالى ام تريدون تجريد للخطاب النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص له
بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل
المساهلة منهم في ذلك وامارات التاثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة
منهم واستبعاده لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها للمبالغة في انكاره واستبعاده
ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه والمعنى بل اتريدون ان تسألوا وانتم مؤمنون
رسولكم وهو في تلك الرتبة من علو الشان وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في اموركم بفضل الله حسبما يوجبه
قضية علمكم بشؤونه سبحانه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ
وقيل سأله عليه السلام قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها
ويعلقون عليها الماكول والمشروب وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد محذوف
وما مصدرية اي سؤالا مشبها بسؤال موسى حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر
ان يقال كما سأل قوم موسى لان المشبه هو المصدر من المبني للفاعل اعني سائلية المخاطبين لا من المبني للمفعول اعني
مسؤولية الرسول عليه السلام حتى تشبه بمسؤولية موسى عليه السلام ولعله اريد التشبيه فيهما معا ولكنه اوجز النظم فذكر
في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسؤولية واكتفى بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الآخر كما ذكر
في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز ان يكون ما موصولة
على ان العائد محذوف اي كالسؤال الذي سئله موسى عليه السلام وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل جيء به للتأكيد
وقرئ سيل بالياء وكسر السين وبتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر بالايمان اي يختره ويأخذه لنفسه
بمقابلته بدلا منه وقرئ ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اي السؤال المذكور
او ارادته وحاصله ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الآيات الناسخة التي
هي خير محض وحق بحت واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم
الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم

للتصريح من اول الامر بانه كفروا وتداد وان كونه كذلك امر واضح غني عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك
يكفر حقيق بان يعد من المسلمات ويجعل مقدما للترتيب ولما المبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل
من باب اضافة الوصف الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف كانه نفس السواء على منهاج حصول
الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين حين قالوا
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الخ فاضافة الرسول صلى الله عليه وسلم على القولين باعتبار انهم من امة
الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان ترك قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم الكفر عليه
ود كثير من اهل الكتاب هم رهط من احبار اليهود روي ان فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس ونفرا من اليهود
قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا
الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر
بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام
دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال
اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة كما في قوله حلف ليفعلن
وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ودوا
ردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم كفارا لسروا بذلك من بعد ايمانكم متعلق بيردونكم
وقوله تعالى كفارا مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير اي يصيرونكم كفارا كما في قوله رمي الحدثان نسوة
آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا وقيل هو حال من مفعوله والاول
ادخل لما فيه من الدلالة على كون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين
مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوا
وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته واما لممانعة الايمان له كانه قيل من بعد ايمانكم
الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى حسدا علة لود او حال اريد به نعت الجمع اي حاسدين والحسد الاسف
على من له خير بخيره من عند انفسهم متعلق بود اي ودوا ذلك من اجل تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق
ولو على زعمهم او بحسدا اي حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة
وبما عاينوا في التوراة من الدلائل وعلموا انكم متمسكون به وهم منهمكون في الباطل فاعفوا واصفحوا العفو ترك المؤاخذة
والعقوبة والصفح ترك التثريب والتانيب حتى يأتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم
بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال وعن ابن عباس رضي الله عنه انه منسوخ بآية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لانها
لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الوارد بذلك من ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ ان الله على كل
شيء قدير فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف
على فاعفوا امروا بالصبر والمداراة والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وما تقدموا لانفسكم من خير
كصلوة او صدقة او غير ذلك اي اي شيء من الخيرات تقدموه لمصلحة انفسكم تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه وقرئ
تقدموا من اقدم ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين وقالوا
عطف على ودوا والضمير لاهل الكتاب جميعا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اي قالت اليهود لن يدخل
الجنة الا من كان هودا والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا
منهما الى قائله ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس مرادهم بما قالوا من اقام اليهودية والنصرانية
قبل النسخ والتحريف على وجهها بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه لاضلال المؤمنين وردهم الى الكفر والهود
جمع هائد كعوذ جمع عائذ وبزل جمع بازل والافراد في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ الا

من كان يهوديا او نصرانيا تلك امانيهم الاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة
مبينة لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره عن الجمع وقيل فيه حذف مضاف اي امثال تلك
الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة اليه والى ما قبله من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا ويرده
قوله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فانهما ليسا مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق والكذب وقيل
هاتوا اصله آتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا حجتكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب
النظر الجليل والذي يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي على طلب البرهان على اصل الدخول الذي يتضمنه دعوى
الاختصاص به فان قوله تعالى بلى الى آخره اثبات من جهته تعالى لما نفوه ومستلزم لنفي ما اثبتوه واذ ليس الثابت به
مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون المنفي مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل الدخول على حاله بل هو اختصاص
غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان المنفي اصل دخولهم ومن ضرورته ان يكون هو الذي كلفوا اقامة
البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك
ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات مدعاهم لان حرمانهم من الاختصاص
بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان عليه لا يقتضيان حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته واما نفس الدخول
بحيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته فهم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته اعجز واما الثابت به من انتظم
قوله سبحانه من اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء
ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذي هو من اخص خصائص الاخلاص او توجهه وقصده بحيث
لا يلوي عزيمته الى شيء غيره وهو محسن حال من ضمير اسلم اي والحال انه محسن في جميع اعماله التي من جملتها الاسلام المذكور
وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره صلى الله عليه
وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فله اجره الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن
دخول الجنة او عما يدخل هو فيه دخولا اوليا وايا ما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل
واستحالة نيله بدونه وقوله تعالى عند ربه حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار في الظرف والعندية للتشريف
ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة اي فله
اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها
ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعلا لفعل مقدر
اي بلى يدخلها من اسلم وقوله تعالى فله اجره معطوف على ذلك المقدر وايا ما كان فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام
والاحسان المختصين باهل الايمان قاض بان اولئك المدعين من دخول الجنة بمعزل ومن الاختصاص به بالف منزل ولا خوف
عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم
لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع في الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ
وقالت اليهود ليست النصارى على شيء بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه
على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت
اصواتهم فقالوا لهم لستم على شيء اي امر يعتد به من الدين او على شيء ما منه اصلا مبالغة في ذلك كما قالوا اقل من لا شيء
وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى ليست اليهود على شيء على الوجه المذكور وكفروا بموسى والتورية
لا انهم قالوا ذلك بناء للامر على المنسوخية التورية وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اي قالوا
ما قالوا والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اي كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه
حسبما نطق به فان كتب الله تعالى متصادقة كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به والكاف في محل النصب اما على انه
نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة القصر اي قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له قال الذين لا يعلمون

من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اي قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء واما على انها حال من المصدر
المضمر المعرف الدال عليه قال اي قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذي سمعت به مثل قولهم
اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفي قبله اي مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى
وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى
فان مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالهم ولان المحاجة المحوجة الى الحكم
انما وقعت بينهم يوم القيمة متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير فيه لاختلاف المعنى فيما كانوا فيه يختلفون
بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار والظرف الاخير متعلق بيختلفون
قدم عليه للمحافظة على رؤس الآي لا بكانوا ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار واستبعاد لان يكون احد
اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي
والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من
كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك في اي مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد مخصوص
روي ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه
واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رض ان طيطوس الرومي ملك النصارى واصحابه غزوا بني اسرائيل
وقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل
خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رض وانما اوقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى
والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها ابطلت
لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد
الحرام عام الحديبية فتعلقها بما تقدمها من جهة ان المشركين من جملة الجهلة القائلين لكل من عداهم ليسوا على شيء ان يذكر
فيها اسمه ثاني مفعولي منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها
الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان وان يكون مفعولا له اي كراهة ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها
بالهدم او التعطيل بانقطاع الذكر اولئك اي المانعون الظالمون الساعون في خرابها ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين
اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما كان الحق ان يدخلوها
الا على حال التهيب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها
او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه بالآخرة الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاصها مما استولوا عليه منهم وقد
انجز الوعد ولله الحمد روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهي عن تمكينهم من
الدخول في المسجد واختلف الائمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة رح مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد الحرام
وغيره لهم اي لاولئك المذكورين في الدنيا خزي اي خزي فظيع لا يوصف بالقتل والسبي والاذلال بضرب الجزية عليهم
ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم الظرف
في الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزي والعذاب لما مر من ان تأخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه
فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك
ولله المشرق والمغرب اي له كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي المشرق والمغرب لا يختص به من حيث الملك
والتصرف ومن حيث الحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة في المسجد الاقصى والمسجد الحرام
فاينما تولوا اي ففي اي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله ثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة
مبني على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدا والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط اي
هناك جهته التي امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد او مكان دون آخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمي

اي فهو عالم بما يفعل فيه ومثيب لكم على ذلك وقرئ بفتح التاء واللام اي فاينما تتوجهوا القبلة ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رض نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطائهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون وقالوا اتخذ الله ولدا حكاية لطرف آخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت الخ الا على صلة من بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستيناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اي صير بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه وتبرئة له عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان علم للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اي تنزه بذاته تنزها حقيقا به ففيه مبالغة من حيث اسناد البراءة الى الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد نزاهته تعالى عما لا يليق بلا اثباتها له تعالى وقوله تعالى بل له ما في السموات والارض رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشيء من المخلوقات ومن سرعة فنائه المحوج الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها بالآخرة مستغنية بدوامها وطول بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان اي ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها عزير والمسيح والملائكة كل التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما كائنا ما كان من اولي العلم وغيرهم له قانتون منقادون لا يستعصي شيء منهم عن تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان هذا شأنه لم يتصور مجانسته لشيء ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما جيء بما المختصة بغير اولي العلم تحقيرا لشأنهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا اليه بعض منهم وصيغة جمع العقلاء في قانتون للتغليب وكل من جعلوه لله ولدا له قانتون اي مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة بديع السموات والارض اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع نص عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشأه كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره ونظير السميع بمعنى المسموع في قوله امن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله تعالى مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو بديع الخ وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على البدل من الضمير في له على رأي من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم واذا قضى امرا اي اراد شيئا كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الخ فانما يقول له كن فيكون كلاهما من الكون التام اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والامتثال وانما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من طاعة المأمور المطيع للآمر المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وتلويح لحجة اخرى لابطال ما زعموه بان اتخاذ الولد شأن من يفتقر في تحصيل مراده الى مباديه يستدعي تراخيا وزمانا

وتبدل المواد وفعله تعالى متعال عن ذلك وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع آخر من قبائحهم وهو قدحهم في امر النبوة بعد حكاية قدحهم في شأن التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف في هؤلاء القائلين فقال ابن عباس رض هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغي او لعدم عملهم بموجب علمهم او لان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم اصلا وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركوا العرب لقوله تعالى فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لولا يكلمنا الله اي هلا يكلمنا الله بلا واسطة امرا ونهيا كما يكلم الملائكة او هلا يكلمنا تنصيصا على نبوتك او تأتينا آية حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار الى حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا ما آتاهم من البينات الباهرة التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات قاتلهم الله انى يؤفكون كذلك مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد الآية وقالوا هل يستطيع ربك الخ وقالوا اجعل لنا الها الخ تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء واولئك في العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة قد بينا الآيات اي نزلناها بينة بان جعلناها كذلك في انفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا تعليلهم الآية وفي تعريف الآيات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا آية فذة ونحن قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له الى الرد والجواب انا ارسلناك بالحق اي ملتبسا بالقرآن كما في قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما في قوله تعالى ويستنبئونك أحق هو وقوله تعالى بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار تقيده بالحال الاولى اي ارسلناك ملتبسا بالقرآن حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب ليختاروا لانفسهم ما احبوا لا قاسرا لهم على الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعدما بلغت ما ارسلت به وقرئ لن تسأل وما تسأل وقرئ لا تسأل على صيغة النهي ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلها كأنها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه او لا يستطيع السامع ان يسمع خبرها وحمله على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتأجج من النار والتعبير عنهم بصاحبية الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه الى الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتأكيد النفي لما مر من تصلب اليهود في امثال هذه العظائم اشد من النصارى والاستثناء ... بيان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى اي لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشأنهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في اقناطه صلى الله عليه وسلم من اسلامهم ما لا غاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل امنوا منه صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه عليه السلام ملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته وهذه حالتهم في انفسهم ومقالتهم فيما بينهم واما انهم اظهروها للنبي صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن ترضى عنك وان بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فانه تعالى قال قل ان هدى الله هو الهدى صريح في انه ما وقع منهم ... بعينه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها من ادعاء يلزم من الدعوة الى اليهودية والنصرانية وادعاء ان الاهتداء فيهما كقوله تعالى حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا اي قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يحق ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اي آراءهم الزائفة الصادرة

عنهم بقضية شهوات انفسهم وهي التي عبّر عنها فيما قبل بعلمهم اذ هي التي ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان الانبياء وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروه تغييرا **بعد الذي جاءك من العلم** اي الوحي والدين المعلوم صحته **ما لك من الله** من جهته العزيزة **من ولي** يلي امرك عموما **ولا نصير** يدفع عنك عقابه بحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وتوسط بينهما حرف النفي للتاكيد وهذا من باب التهييج والالهاب والا فاني يتوهم امكان اتباعه عم لملتهم وهو جواب القسم الذي وطاه اللام واكتفى به عن جواب الشرط **الذين آتيناهم الكتاب** هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه **يتلونه حق تلاوته** بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقرر له **اولئك** اشارة الى الموصوفين بايتاء الكتب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل **يؤمنون به** اي بكتابهم دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعض منه **ومن يكفر به** بالتحريف والكفر بما يصدقه **فاولئك هم الخاسرون** حيث اشتروا الكفر بالايمان **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** ومن جملتها التورية وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان به عليه السلام **واني فضلتكم على العالمين** افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعم السابقة لانافتها فيما بين فنون النعم **واتقوا** ان لم تؤمنوا **يوما لا تجزي** في ذلك اليوم **نفس** من النفوس **عن نفس** اخرى **شيئا** من الاشياء او شيئا من الجزاء **ولا يقبل منها عدل** اي فدية **ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون** وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة في النصح للايذان بان ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصة لما ان نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد واقبح **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات** شروع في تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابراهيم عم وان ما عليه اهل الكتاب اهواء زائغة وان ما يدعونه من انهم على ملته عم فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابراهيم عم وابنائه الانبياء عليهم السلام من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبكون ذلك النبي الذي استدعاه ابراهيم واسمعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية فاذ منصوب على المفعولية بمضمر تقدم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر لهم وقت ابتلائه عم ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات قد مر وجهه في اثناء تفسير قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر اي واذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجيء من قوله تعالى قال الخ والاول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنو اسرائيل ليتاملوا فيما يحكى عمن ينتمون الى ملته من ابراهيم وابنائه عم من الافعال والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا بسيرتهم والابتلاء في الاصل الاختبار اي تطلب الخبر بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مباديه العادية كمن يختبر عبده ليتعرف حاله من الكياسة فيامره بما يليق بحاله من مصالحه وابراهيم اسم اعجمي قال السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق والتقارب بين السريانية والعربي الا يرى ان ابراهيم تفسيره اب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة على ما روى البخاري في حديث الرؤيا ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في الروضة ابراهيم عم وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عم وايذان بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله الله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه اوامر ونواهي يظهر بحسن قيامه بحقوقها قدرته على الخروج من عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لارشادهم الى طريق اتقان الامور ببنائها على التجربة وللايذان بان بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مبنية على تلك القاعدة الرصينة وانه

بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهي التي اجيب بها دعوة ابراهيم عم كما سياتي واختلف في الكلمات فقال مجاهد هي المذكورة بعدها ورد بانه يابا الفاء في فاتمهن ثم الاستيناف وقال طاوس عن ابن عباس رض هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي سنة في شرعنا خمس في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وفي الخبر ان ابراهيم عليه السلام اول من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رض لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه كله الا ابراهيم ابتلاه الله تعالى بثلثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها في سورة براءة التائبون الخ وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الخ وعشر في المؤمنون وسال سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله سبحانه بسبعة اشياء بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هي محاجته قومه والصلوة والزكوة والصوم والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين الايات ثم قيل انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي واجيب بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرئ برفع ابراهيم ونصب ربه اي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن اولا **فاتمهن** اي قام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله تعالى ما سأله من غير نقص ويعضده ما روي عن مقاتل ان تفسير الكلمات ما سأل ابراهيم ربه بقوله رب اجعل الايات وقوله عز وجل **قال** على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشاء من الكلام فان الابتلاء تمهيد لامر معظم وظهور فضيلة المبتلى من دواعي الاحسان اليه فبعد حكايتهما تترقب النفس الى ما وقع بعدهما كانه قيل فاذا كان بعد بعد ذلك فقيل قال **اني جاعلك للناس اماما** او بيان لقوله ابتلى على راي من جعل الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصاب اذ بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على قال اي وقال اذ ابتلى الخ والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثاني اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع واكده لدلالة على انه جاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك اي لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تاخر عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يؤتم به وكل نبي امام لامته وامامته عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباع ملته **قال** استيناف مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم عم عنده فقيل قال **ومن ذريتي** عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي كما تقول وزيدا لمن يقول سأكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعلية من ذروت او ذريت والاصل ذرووة او ذرّوية فاجتمع في الاولى واوان زائدة واصلية فقلبت الاصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمعت واو وياء سبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء فصارت ذرية او فعيلة منهما والاصل في الاولى ذريوة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق احديهما بالسكون فصارت ذرية كالثانية فادغمت الياء في مثلها فصارت ذرية او فعيلة من الذرء بمعنى الخلق والاصل ذريئة خففت الهمزة بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة في المبدلة او فعيلة من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالي الامثال كما في تسري وتقضي وتظني فادغمت الياء في الياء كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة قلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ بكسر الذال وهي لغة فيها وقرا ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة فيها **قال** استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق **لا ينال عهدي الظالمين** ليس هذا ردا لدعوته عم بل اجابة خفية لها وعدة اجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عليه السلام بنيل عهد الامامة حسبما وقع في

من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع ما عداهم فإن التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل من ذلك التمييز إذ ليس معناه أنه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما أشير إليه ولعل إيثار هذه الطريقة على تعيين الجامعين لمبادي الإمامة من ذريته إجمالاً وتفصيلاً وإرسال الباقين لئلا ينتظم المتصلون بالأئمة من الأمة في سلك المحرومين وفي تفصيل كل فرقة من الإطناب ما لا يخفى مع ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع أطماعهم الفارغة من نيلها وإنما أوثر النيل على الجعل إيماء إلى أن إمامة الأنبياء من ذريته عليهم السلام كإسمعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمن وأيوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليماً كثيراً ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن إمامة إبراهيم عليه السلام تنال كلاً منهم في وقت قدره الله عز وجل وقرئ الظالمون على أن عهدي مفعول قدم على الفاعل اهتماماً ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر على الإطلاق وعدم صلاحية الظالم للإمامة وقوله تعالى وإذ جعلنا البيت أي الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على إذ ابتلى على أن العامل فيه هو العامل فيه أو مضمر مستقل معطوف على المضمر الأول والجعل إما بمعنى التصيير فقوله عز وجل مثابة أي مرجعاً يثوب إليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه أو أمثالهم أو موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثاني وإما بمعنى الإبداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى للناس متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة أي مثابة كائنة للناس أو بجعلنا أي جعلناه لأجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد الثائبين وأمناً أي آمناً كما في قوله تعالى حرماً آمناً على إيقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة أو على تقدير المضاف أي ذا أمن أو على الإسناد المجازي أي آمناً من حجه من عذاب الآخرة من حيث إن الحج يجب ما قبله أو من دخله من التعرض له بالعقوبة وإن كان جانياً حتى يخرج على ما هو رأي أبي حنيفة رح ويجوز أن يعتبر الأمن بالقياس إلى كل شيء كائناً ما كان ويدخل فيه أمن الناس دخولاً أولياً وقد اعتيد فيه أمن الصيد حتى إن الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه يتبعه فإذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى على إرادة قول هو عطف على جعلنا أو حال من فاعله أي وقلنا أو قائلين لهم اتخذوا الخ وقيل هو بنفسه معطوف على الأمر الذي تضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كأنه قيل توبوا إليه واتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل في إذ وقيل هي جملة مستأنفة والخطاب على الوجوه الأخيرة له عليه السلام ولأمته والأول هو الأليق بجزالة النظم الكريم والأمر صريحاً كان أو مفهوماً من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذي عليه أثر قدمه عليه السلام والموضع الذي كان عليه حين قام ودعا الناس إلى الحج أو حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى إما موضع الصلوة أو موضع الدعاء روي أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عمر رض فقال هذا مقام إبراهيم فقال عمر رض أفلا نتخذه مصلى فقال عليه السلام لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الأمر بركعتي الطواف لما روى جابر رض أنه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام إبراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى أن يدعى فيها ويتقرب إلى الله عز وجل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضي عطفاً على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون إليها وعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل أي أمرناهما أمراً مؤكداً أن طهرا بيتي بأن طهرا على أن أن مصدرية حذف عنها الجار حذفاً مطرداً وجاز كون صلتها أمراً أو نهياً كما في قوله عز وجل وأن أقم وجهك للدين حنيفاً لأن مدار جواز كونها فعلاً إنما هو دلالته على المصدر وهي محققة فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها إلا إذا كانت خبرية وأما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الأمر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الأمر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال أو أي طهرا على أن أن مفسرة لتضمن العهد معنى القول وإضافة البيت إلى الضمير للتشريف وتوحيد

الأمر بالتطهير ههنا إليهما عليهما السلام لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بإبراهيم عم فإن ذلك واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت وكان إسمعيل عليه السلام حينئذ بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر أن هذا بعد بلوغه مبلغ الأمر والنهي وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه إيراده إثر حكاية جعله مثابة للناس الخ والمراد تطهيره من الأوثان والأنجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به للطائفين حوله والعاكفين المجاورين المقيمين عنده أو المعتكفين أو القائمين في الصلوة كما في قوله عز وعلا للطائفين والقائمين والركع السجود جمع راكع وساجد أي للطائفين والمصلين لأن القيام والركوع والسجود من هيئات المصلي ولتقارب الأخيرين ذاتاً وزماناً ترك العاطف بين موصوفيهما أي خلوصه لهؤلاء لئلا يغشاه غيرهم وفيه إيماء إلى أن ملابسة غيرهم وإن كانت مع مقارنة أمر مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه وإذ قال إبراهيم عطف على ما قبله من قوله وإذ جعلنا الخ إما بالذات أو بعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا بلداً آمناً ذا أمن كعيشة راضية أو آمناً أهله كليله نائم أي اجعل هذا الوادي من البلاد الآمنة وكان ذلك أول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رض أنه عم لما أسكن إسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجهاً إلى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول إلى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جواباً حتى قالت آلله أمرك بهذا فقال نعم قالت إذاً لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادي فقال ربنا إني أسكنت الآية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا في سورة إبراهيم إن حمل على تعدد السؤال لما أنه عليه السلام سأل أولاً كلا الأمرين البلدية والأمن فاستجيب له في أحدهما وتأخر الآخر إلى وقته المقدر له لما يقتضيه من الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد في الدعاء والابتهال أو كان المسئول أولاً البلدية ومجرد الأمن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد أجيب إلى ذلك وثانياً الأمن المعهود أو كان هو المسئول أولاً أيضاً وقد أجيب إليه لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار على سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لأنه المقصد الأصلي أو لأن المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الأمن وإن حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر أن المسئول كلا الأمرين وقد حكي ذلك ههنا واقتصر على حكاية سؤال الأمن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل أفئدة الناس تهوي إليه كما سيأتي تفصيله هناك بإذن الله عز وجل وارزق أهله من الثمرات من أنواعها بأن تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك أو يجبى إليه من الأقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى أنه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رض أن الطائف كانت من أرض فلسطين فلما دعا إبراهيم عم بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقاً للحرم وعن الزهري أنه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة إبراهيم عم من آمن منهم بالله واليوم الآخر بدل من أهله بدل البعض خصهم بالدعاء إظهاراً لشرف الإيمان وإبانة لخطره واهتماماً بشأن أهله ومراعاة لحسن الأدب وفيه ترغيب لقومه في الإيمان وزجر عن الكفر كما أن في حكايته ترغيباً وترهيباً لقريش وغيرهم من أهل الكتاب قال استئناف مبني على السؤال كما مر مراراً وقوله تعالى ومن كفر عطف على مفعول فعل محذوف تقديره وارزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى فأمتعه معطوف على ذلك الفعل أو في محل رفع بالابتداء وقوله تعالى فأمتعه خبره أي فأنا أمتعه وإنما دخلته الفاء تشبيهاً له بالشرط والكفر وإن لم يكن سبباً للتمتيع لكنه سبب لتقليله وكونه موصولاً بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن عطف تلقين كأنه قيل قل وارزق من كفر فإنه أيضاً مجاب كأنه عم قاس الرزق على الإمامة فنبه تعالى على أنه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الإمامة الخاصة بالخواص وقرئ فأمتعه من أمتع وقرئ فنمتعه قليلاً تمتيعاً قليلاً أو زماناً قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار أي ألزه إليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فأمتعه قليلاً ثم اضطره بلفظ الأمر فيهما على أنهما من دعاء إبراهيم عم وفي قال ضميره وإنما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للإيذان بأن الكفر سبب لاضطرارهم إلى عذاب النار وأما رزق من آمن فإنما هو على طريقة التفضل والإحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة وأطره بإدغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة

فان حروف ضم شفويه عم فيها ما يجاورها بلا عكس **وبئس المصير** المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار **واذ يرفع**
ابراهيم القواعد من البيت عطف على ما قبله من قوله عز وجل واذ قال ابراهيم على احد الطريقين المذكورين في واذ
جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد
جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها
البناء عليها لا تنقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الذي بني عليها لكنهما لما التأما
صارا شيئا واحدا فكانها نمت وارتفعت وقيل المراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة لما يبنى عليه ويرفعها بناء
بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا
ثم تبيينها من تفخيم شانه ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت واستوطأ يعني يجعل هيئة
القاعدة المستوطأة مرتفعة عالية بالبناء روي ان الله عز وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له
بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند
اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم عليه السلام
اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو
البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابراهيم عم فامره سبحانه ببنائه وعرفه جبريل عم مكانه وقيل
بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابراهيم عليه السلام حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله سبحانه وتعالى
سحابة على قدر البيت وسار ابراهيم في ظلها الى ان وافت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها
لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر
الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت
الجنة فلما مسته الحيض في الجاهلية اسود وقال الفاسي في شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي تحصل من جملة ما قيل
في عدد بناء الكعبة انها بنيت عشر مرات منها بناء الملائكة عليهم السلام ذكره النووي في تهذيب الاسماء واللغات
والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل خلق آدم عليه السلام ومنها بناء آدم عم ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروى فيه
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله عز وجل جبريل الى آدم عليهما السلام يخبر
وحواء تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته حسبك يا آدم فلما بناه اوحى اليه ان يطوف به فقيل انت
اول الناس وهذا اول بيت وهكذا ذكر الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بناء بني آدم عندما رفعت
الخيمة التي عزى الله تعالى بها آدم عليه السلام وكانت ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة
فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى ان شمله الغرق في عهد نوح عليه السلام ذكره الازرقي بسنده الى وهب بن
منبه ومنها بناء الخليل عليه السلام وهو منصوص عليه في القرآن مشهور فيما بين قاص ودان ومنها بناء العمالقة ومنها
بناء جرهم ذكرهما الازرقي بسنده الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب
ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكل بل الجدار
من جدرانها وقال الحافظ السهيلي ان بناءها لم يكن في الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عم انتهى والله سبحانه اعلم
واسمعيل عطف على ابراهيم ولعل تاخيره عن المفعول للايذان بان الاصل في الرفع هو ابراهيم واسمعيل تبع له قيل انه كان
يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين **ربنا تقبل منا** على ارادة القول اي يقولان وقد قرئ به على انه حال
منهما عليهما السلام وقيل على انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان ربنا تقبل منا اذ يرفعان
اي وقت رفعهما وقيل واسمعيل مبتدأ خبره قول محذوف هو العامل في ربنا تقبل منا فيكون ابراهيم هو الرافع واسمعيل
الداعي والجملة في محل النصب على الحالية اي واذ يرفع ابراهيم القواعد والحال ان اسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض
لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الاجابة

وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها
ما هما بصدده من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية **انك انت السميع** لجميع المسموعات التي
من جملتها دعاؤنا **العليم** بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء التقبل من حيث
ان كونه تعالى سميعا لدعائهما بنائهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما في اعمالهما
مستدع له بموجب الوعد تفضلا وتاكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر نعتي السمع والعلم عليه تعالى
لاظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما جرى من
الامور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه
ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب لو قوعي في الحكاية لنظم الشؤون الصادرة عن جناب الله تعالى
في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام من الافعال والاقوال في سلك
آخر واما قوله تعالى ومن كفر الخ فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابراهيم لاقتضاء المقام واستيجاب ما
سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه اصلا كما ان وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال الكلام به سبحانه
لذلك **ربنا واجعلنا مسلمين لك** مخلصين لك او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد ما كان فالمطلوب
الزيادة والثبات على ما كانا عليه من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما
في الدعاء اولان التثنية من مراتب الجمع **ومن ذريتنا امة مسلمة لك** اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا بهم
بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا اصلح الاتباع وانما خصا به بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة
الالهية لا تقتضي اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك
قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة المسلمة امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جوز ان يكون من مبينة
تقدمت على المبين وفصل بها بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة
لك من ذريتنا **وارنا** من الرؤية بمعنى الابصار بمعنى التعريف اي بصرنا وعرفنا **مناسكنا** اي متعبداتنا في الحج او
مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ ارنا قياسا على فخذ
في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس **وتب علينا** استتابة لذريتنا
وحكاية عنهما لترغيب الكرة في التوبة والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما
وارشادا لذريتهما **انك انت التواب الرحيم** وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة قيل اذا اراد العبد ان
يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته **ربنا وابعث فيهم** اي في الامة المسلمة **رسولا منهم**
اي من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو الذي اجيب به
دعوتهما عليهما السلام روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى
عيسى ورؤيا امي وتخصيص ابراهيم عليه السلام بالاستجابة له لما انه الاصل في الدعاء واسمعيل تبع له عليهما السلام
يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من البينات **ويعلمهم** بحسب قوتهم النظرية **الكتاب** اي القرآن **والحكمة**
وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة **ويزكيهم** بحسب قوتهم العملية اي يطهرهم عن دنس الشرك
وفنون المعاصي **انك انت العزيز** الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد **الحكيم** الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة
والجملة تعليل للدعاء واجابة المسؤول فان وصف الحكمة مقتض لافاضة ما تقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث
الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة **ومن يرغب عن ملة ابراهيم** انكار واستبعاد لان يكون
في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء **الا من سفه**
نفسه اي اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبقها واهلكها وجهل نفسه قال المبرد وثعلب سفه
بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه

وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ونحو قوله ونأخذ بعده بذناب عيش
اجب الظهر ليس له سنام وقوله وما قومي بثعلبة ابن سعد ولا بفزارة الشعر رقابا وذلك لانه اذا رغب عما
لا يرغب عنه احد من العقلاء فقد بالغ في اذلال نفسه واذالتها واهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روي
ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث
من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر
فنزلت ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة الشيء
كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام لجواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها
اي وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين اي من المشهودين لهم بالثبات على الاستقامة
والخير والصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرره ولا حاجة الى جعله اعتراضا آخر او
حالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الآخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته
الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتامل وايثار الاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحي
اهل الآخرة امر مستمر في الدارين لا انه يحدث في الآخرة والتاكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند
المخاطبين فحاجتها الى التاكيد اشد من الاول التي تشاهد آثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف
وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته
حتى اذا تمعدد كان جزائي بالعصا ان اجلدا او بمحذوف من لفظها اي اعني في الآخرة نحو لك بعد رعيا وقيل هي متعلقة
باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتاخيرا تقديره ولقد اصطفيناه في الآخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ظرف
لاصطفيناه لما ان المتوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الآخرة
او تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه
ما نال ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له ربه
اسلم اي لربك قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله دلائل
التوحيد المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكواكب والقمر والشمس وقيل اسلم اي اذعن واطع وقيل اثبت
على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص او استقم وفوض امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض
لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه السلام لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته واضافة الرب في جوابه
عليه السلام الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه عليه السلام حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين
قاطبة لا لنفسه وحده كما هو المامور به ووصى بها ابراهيم بنيه شروع في بيان تكميله عليه السلام لغيره اثر بيان
كماله في نفسه وفيه توكيد لوجوب الرغبة في ملته عم والتوصية التقدم الى الغير بما فيه صلاح للمسلمين من فعل او قول
واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة
او لقوله اسلمت لرب العالمين بتاويل الكلمة كما عبر بها عن قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله
عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرئ اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي وصى بها هو ايضا بنيه
وقرئ بالنصب على بنيه يا بني على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول كما
في قوله رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا فهو عند الاولين بتقدير القول وعند الآخرين متعلق بالاخبار
الذي هو في معنى القول وقرئ ان يا بني وبنو ابراهيم عليه السلام كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان
وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرون وكان بنو يعقوب عليه السلام اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخر
وزبولون ودوانا وتغثونا وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف عليهم السلام ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام
الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام

والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اي فاثبتوا عليه ولا تفارقوه كقولك لا تصل الا و
انت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم وانه
يجب ان يحذروه غاية الحذر ونظيره مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الست تعلم ان يعقوب وصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة
مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عم وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى الحاضر
واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد
بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابراهيم
الى توبيخهم على افترائهم على يعقوب عليه السلام باليهودية حسبما حكي عنهم واما تعميم الافتراء ههنا لسائر الانبياء
عليهم السلام كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب عليه السلام بالذكر وما سيأتي من قوله عز وجل ام تقولون ان ابراهيم
الخ ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم وقوله تعالى اذ قال لبنيه بدل من اذ
حضر اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله لبنيه ما تعبدون من بعدي اي اي شيء تعبدونه
بعد موتي فمن اين لكم ان تدعوا عليهم ما تدعون رجما بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين
الامر تدريجا على خلاف ما زعموا وانه عليه السلام اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ
ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به يتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وكلمة ما يسأل بها عن كل شيء ما لم يعرف
فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن شيء بعينه واذا سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ عن حكاية سؤال يعقوب عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد الهك
واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق حسبما كان مراد ابيهم عليهم السلام بالسؤال اي نعبد الاله المتفق على وجوده
والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد او لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وقوله عليه السلام
في حق العباس هذا بقية آبائي وقرئ ابيك على انه جمع بالواو والنون كما في قوله فلما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا وقد
سقطت النون بالاضافة او مفرد وابراهيم عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك الها واحدا بدل من اله
آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرر المضاف لتعذر
العطف على المجرور او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون
اعتراضا محققا لمضمون ما سبق تلك امة مبتدأ وخبر والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة
التي تؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها قد خلت صفة لها اي مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله
صارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال
من الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة المحكية
لا تتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرتها
على الوجه الاول وجملة مبتدأة على الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد
منها في الحال اي لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما قيل في
قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اي ولي ديني لا دينكم وحمل الجملة الاولى على هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما
اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما الذي
يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء الا ما اكتسبوا
فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم لهم في الاعمال كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم
وتاتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون اي اجري السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها من الجملتين تقريرا
ظاهرا وان اريد مسببه اعني الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له وايا ما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم

التأكيد عن الامتناع بحسنات الامتثال ليتوا وانما اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية وهذا
وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول عن السيئات تقيل اي لا تؤاخذون بسيئاتهم فمن اين يتصور تحميلها
على غيرهم حتى يتصدي لبيان انتفاعه وقالوا شروع في بيان فن آخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في نفسهم
والضمير للكتابين على طريقة الالتفات المؤذن بايجاب حالهم لابعادهم من مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم
عند غيرهم اي قالوا للمؤمنين كونوا هودا او نصارى ليس هذا القول مقولا لكلهم اولا لاي طائفة كانت من الطائفتين بل هو
موزع اليهما على وجه خاص بتخصيصه حالهما اقتضاه مغنيا عن التصريح به اي قالت اليهود كونوا هودا والنصارى كونوا
نصارى فنقل بالنظم الكريم ما نقل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اعتمادا على ظهور
المرام تهتدوا جواب للامر اي ان تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبي عليه السلام اي قل لهم على سبيل الرد عليهم
وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابراهيم اي لا نكون كما تقولون بل نكون اهل ملته عم وقيل بل نتبع ملته
عليه السلام وقد يجوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته عم او كونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اي بل ملتنا او امرنا
ملته او نحن ملته اي اهل ملته حنيفا اي مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه كما في رأيت وجه هند قائمة
وفي قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا الخ وما كان من المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه
عليه السلام مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام برد مقالتهم
الشنعاء على الاجمال والارشاد لهم الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل اي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا
وارشادا ضمنيا لهم اليه آمنا بالله وما انزل الينا يعني القرآن قدم على سائر الكتب الالهية مع تأخره عنها نزولا
لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف
وان كانت نازلة الى ابراهيم عم لكن من بعده عليهم السلام حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها
جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام
او ابناؤه الاثنى عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى من التوراة والانجيل وسائر المعجزات
الباهرة الظاهرة بايديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وايراد الايتاء لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر
لما ان الكلام مع اليهود والنصارى وما اوتي النبيون اي جملة المذكورين وغيرهم من ربهم من الآيات البينات
والمعجزات الباهرات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم
التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما اوتوه
وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك
صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله صلى الله عليه وسلم ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤس
غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار
معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال
قلائل اي بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من
كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في آمنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون اي مخلصون له
ومذعنون حال اخرى منه او عطف على آمنا فان آمنوا الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان
المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لايمان اهل الكتاب لما انه مستجمع لما هو مقبول عندهم بمثل ما آمنتم به اي
بما آمنتم به على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويعضده
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بما آمنتم به وقراءة ابي بالذي آمنتم به او يكون الباء للاستعانة [illegible]
الظهور [illegible]
شهادتكم [illegible]

منفصلا وان يكون الملابسة اي فان آمنوا ملتبسين بمثل ما آمنتم ملتبسين به او فان آمنوا ايمانا ملتبسا بمثل
ما آمنتم ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبياء عليهم السلام فان ما وجد منهم هذا
عنهم من التشهاد والاذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لا عينه بخلاف المؤمن به فانه لا يتصور فيه التعدد فقد اهتدوا
الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق
يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق فيأباه ان المقام مقام تعيين طريق الحق
وارشادهم اليه بعينه لا بيان تجويز ان يكون له طريق آخر وراءه وان تولوا اي اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور
بان اخلوا بشيء من ذلك كان آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو ديدنهم ودينهم فانما هم في شقاق اي مستقرون في الشقاق
من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف والمعاداة والعداء من العدوة اي الجانب فان احد المخالفين يعرض
عن الآخر صورة ومعنى ويوليه خلافه ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اي هم مستقرون في خلاف
عظيم بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة اما جواب
الشرط كما هو الظاهر فالمراد بيان ما هو حادث بعد توليهم عن الايمان كجواب الشرط الاول واما ما وثرت الجملة الاسمية
للدلالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك [illegible] التنزيل
الجليل وقد قيل قوله تعالى فان آمنوا الخ من باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله والمعنى
فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مما ثلا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا واذ لا امكان له فلا امكان لاهتدائهم
ولا ريب في انه مما لا يليق بجمل النظم الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدي الى الجدال
والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التأييد
والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل فسيكفيكهم الله اي سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان
بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وتوهين الخطاب بتجريده للنبي عم
مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة في ذلك وللايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن
والمتاعب ومقاساة الشدائد في مناهضة الاعداء من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقه عم
اتم واكمل وهو السميع العليم تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك
من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في
قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين
صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر
على الوجه الذي فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم بآثاره الجميلة ومتداخلا في قلوبهم
كما ان شأن الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء
اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل مع استناده فيما سلف الى
ضمير المتكلمين للتشريف والايذان بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها في اذ مصدر مؤكد لقوله تعالى
آمنا داخل معه في حيز قولوا منتصب عنه انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمنا بمنزلة فعله كانه قيل صبغنا الله
صبغته وقيل هي منصوبة بفعل الاغراء اي الزموا صبغة الله واياما وسط بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء ببيان
انه الايمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة الى التسلية عليه السلام ومن احسن من الله مبتدأ وخبر والاستفهام
للانكار والنفي وقوله تعالى صبغة نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته احسن من
صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما اي لا صبغة احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل
صبغة على ما اشير اليه في قوله تعالى ومن اظلم ممن منع الخ وحيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن للحقيقي والفرضي المبني
على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون في صبغة غيره تعالى حسن في الجملة والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى التبجح

ولا ابتهاج ونحن له اي لله الذي اولانا تلك النعمة الجليلة عابدون شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام
ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على نتبع الاغراء
بتقدير القول اي الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون بقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة جاريا مجرى التعليل
للاغراء قل أتحاجوننا تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام
لما ان المامور به من الوظائف الخاصة به عم وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا في الله
اي في دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية وكذلك ما عطف عليها اي اتجادلوننا والحال
انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اي مالك امرنا وامركم ولنا اعمالنا الحسنة الموافقة لامره ولكم اعمالكم
السيئة المخالفة لحكمه ونحن له تعالى مخلصون في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه فانى لكم المحاجة وادعاء حقية
ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وكلمة ام في قوله تعالى أم تقولون اما معادلة للهمزة
في قوله تعالى اتحاجوننا داخلة في حيز الامر على معنى اي الامرين تاتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم
عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط كانوا هودا او نصارى فنحن بهم مقتدون والمراد كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة
دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم السلام وقرئ ام يقولون
على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عم
على نهج الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا في شان الله واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روي ان
اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا
كما اكرمكم باعمالكم كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من
يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا
ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي لا انتم فمع عدم ملاءمته لسياق النظم الكريم وسياقه
لا سيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما ان المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه من الاعمال
الصالحة والسيئة ولا ريب في ان امر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدين المبني على البعثة فكيف يتصور
اعتبار تلك الاعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب قل أأنتم أعلم أم الله اعادة
الامر ليست لمجرد تاكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس متصلا بما قبله بل بينهما كلام
للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما لحق قد اضرب عنه الذكر صفحا لظهوره وهو تصريحهم بما دبجوا عليه من الافتراء
على الانبياء عليهم السلام كما في قوله عز وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون
وقوله عز قائلا أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي فان تكرير قال في الموضعين وتوسيطه
بين قولي قائل واحد للايذان بان بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالاول والثاني بالتبعية والاستتباع كما
حرر في محله اي كذبتهم في ذلك وبكتهم قائلا ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وقد نفى عن ابراهيم عم كلا الامرين
حيث قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده
وهؤلاء المعطوفون عليه عليهم السلام اتباعه في الدين وفاقا فكيف تقولون ما تقولون سبحان الله عما يصفون
ومن أظلم انكار لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله وهي شهادته تعالى له عليه السلام
بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلي آنفا فعنده صفة لشهادة وكذا من الله جيء بهما للتعليل الانكار
وتاكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر عن

كتمانها وتقديم الاول مع انه متاخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى الى الاعلى والمعنى لا احد اظلم
من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان
للايذان بان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان او لا احد اظلم منا لو كتمنا فالمراد
بكتمها عدم في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب على نحو ما اشير اليه وفي اطلاق الشهادة مع ان المراد
بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في التورية والانجيل وما الله
بغافل عما تعملون من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام دخولا
اوليا اي هو محيط بجميع ما تاتون وما تذرون فيعاقبكم اشد العقاب بذلك وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير
لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم الى آخر الآية مسوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم
وتهديدهم بالوعيد تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة
في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل
المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود سيقول السفهاء اي الذين خفت احلامهم
واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات
الكذاب المتعمد بخلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روي عن ابن عباس ومجاهد
قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يانسون بموافقته عليه السلام لهم في القبلة وقيل هم المنافقون وهو
الانسب بقوله عز وجل الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة الاولى
وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون وانما يقولوه كراهة للتحويل الى مكة بل طعنا في الدين فانهم
كانوا يقولون رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم ايضا وقيل هم الكل داخلون في التحويل منهم جميعا فيكون
قوله تعالى من الناس اي الكفرة لبيان ان ذلك القول المحكي لم يصدر عن كل فرد من تلك الطوائف الثلث بل عن اشقيائهم
المعتادين الخوض في فنون الفساد وهو للايذان بان ذلك طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم من الناس مزيد فائدة
وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين التحويل وارتضائهم اياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقا او بالعبارة
المحكية ما ولاهم اي اي شيء صرفهم والاستفهام للانكار والنفي عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة
من المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة التي يجلس عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبر
اذا لم يهتد لجهة امره غلبت على الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلوة والمراد بها هنا بيت المقدس واضافتها الى ضمير
المسلمين ووصفها بقوله تعالى التي كانوا عليها اي ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها
لتاكيد الانكار فان الاختصاص بالشيء والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما ينافي الانصراف عنه فان اريد بالقائلين
اليهود فمدار الانكار كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم انه خطأ وان اريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد الى الطعن في الدين
والقدح في احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه لا لكراهتهم الانصراف
عنها او التوجه الى مكة وتعليق الانكار بما يوليهم عنها لا بما يوجههم الى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما ان ترك القديم
ابعد عند العقول وانكار سببه ادخل لا في الايذان بان المنكرين هم اليهود بناء على ان المنكر عندهم هو التحويل
عن خصوصية بيت المقدس الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه الى خصوصية قبلة اخرى واما المشركون فبناء
على ان المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه القطع والقدح لا التوجه الى الكعبة لانه الحق عندهم فانه بمعزل
من ذلك كيف لا والمنافقون من احد الفريقين لا محالة والاخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع
كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما يبكتهم فان مفاجاة المكروه على النفس اشق واشد والجواب العتيد لشغب الخصم الالد
اردّ وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا اقول عند ذلك فقيل قل الخ اي لله
تعالى ناحيتا الارض اي الجهتان كلها ملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل

انما هو بامر الله سبحانه ومشيئته يهدي من يشاء ان يهديه مشيئة تابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها الا هو الى صراط مستقيم موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المقارنة للحكم الابية والمصالح الخفية وكذلك جعلناكم توجيه الخطاب الى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتأييد ما في مضمون الكلام من التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك الجعل البديع جعلناكم امة وسطا لا جعلا آخر ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة بينها وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الافراط والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التي هي كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كأنه نفسها وسوي فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كدأب سائر الاسماء التي يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة رائقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذي عبر عنه بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة اي متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس بان الله عز وجل قد اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا اهل من مكلف وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هي الكيفية المتشابهة الحاصلة من العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار اليها بقوله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على احكام الدين واحوال الامم اجمعين حاويا لشرائط الشهادة عليهم روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة على المنكرين وزيادة لخزيهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم ويسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز وعلا ويكون الرسول عليكم شهيدا وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا من العدول الاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام وما جعلنا القبلة التي كنت عليها تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم رمزا الى ان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقة بان يختص معرفته به عليه السلام وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من ان الجعل تحويل الشيء من حالة الى حالة اخرى فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفا فينبغي ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثاني هو القبلة كلام صناعي ينساق اليه الذهن بحسب النظر الجليل لكن التأمل اللائق يهدي الى العكس فان المقصود افادته ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة

الوجود من الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او هي الصخرة لما روي عن ابن عباس من ان قبلته عليه السلام بمكة كانت بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة واما الصخرة فيتأتى ارادتها على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها اولا اعني الكعبة وعلى الثاني وما جعلنا التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة الا لنعلم استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعلنا ذلك لشيء من الاشياء الا لنمتحن الناس اي نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم من يتبع الرسول في التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات الى الغيبة مع ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع ممن ينقلب على عقبيه يرتد عن دين الاسلام او لا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول ما رددناك الى ما كنت عليه الا لنعلم الثابت على الاسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي اي ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين واسناده اليه سبحانه لما انهم خواصه او لتمييز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق بما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب الخ اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة اي شاقة ثقيلة وان هي المخففة من المثقلة دخلت على ناسخ المبتدأ والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اي ما كانت الا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان مزيدة كما في قوله واخوان لنا كانوا كرام واصله وان هي لكبيرة كقوله ان زيد لمنطلق الا على الذين هدى الله اي الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون على الايمان واتباع الرسول عليه السلام وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ما صح وما استقام له ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلاتكم اليها لما روي انه عليه السلام لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا لان يضيع لان نفي الارادة نفي توجيه الى ارادة الفعل تأكيدا وما لغرض توجيه الخبر لنفيه واما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حرف الجر في عمله وقوله تعالى ان الله بالناس لرؤوف رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه عز وجل بهما يقتضي لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤوف وتقديمه على رحيم مع كونه ابلغ منه لما ان الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وقيل الرحمة اكثر من الرأفة في الكمية والرأفة اقوى منها في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم صافية عن الآلام والرحمة ايصال النعم مطلقا وقد يكون مع الالم كقطع العضو المتأكل وقرئ رؤف بغير مد كندس قد نرى تقلب وجهك في السماء اي تردد وتصرف نظرك في جهتها تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة الفاء لافادة سببية ما قبلها لما بعدها كما في الفاء الداخلة على قد واللام جواب قسم محذوف اي فوالله لنولينك اي لنعطينكها او لنجعلنك تلي جهتها ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او لنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس والنصب على انه مفعول ثان وقيل قبلة نصب بنزع الخافض ترضاها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئته تعالى وحكمته فول وجهك الفاء لترتيب الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن

شطر المسجد الحرام اي نحوه وهو نصب على الظرفية من ولّ او على نزع الخافض وعلى انه مفعول ثان وقيل الشطر
في الاصل لما انفصل من الشيء ودار شطورا اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام
المحرم اي يحرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوا له وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة
الجهة لان في مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب روي عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه
وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك
في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى
باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء
مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول
صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التعرض
لاختلاف اماكنهم تاكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة
على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وتكون هي منصوبة
على الظرفية بكنتم فهو كقوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وان الذين اوتوا الكتاب من فريق
اليهود والنصارى ليعلمون انه اي التحويل او التوجيه المفهوم من التولية الحق لا غير لعلمهم
بان عادته تعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة ومعاينتهم لما هو مسطور في كتبهم من انه
عليه السلام يصلي الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بايتاء الكتاب وان مع
اسمها وخبرها سادة مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى
من ربهم متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على راي من يجوز حذف
الموصول مع بعض صلته اي الكائن من ربهم وما الله بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين
والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب ولئن اتيت الذين اوتوا
الكتاب وضع الموصول موضع الضمير للايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما يزعمهم منه
من الكتاب الناطق بحقية ما كابروا في قبوله بكل آية اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل
واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط
والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه للامة لما ان المحاجة والاتيان بالاية من الوظائف الخاصة به عليه السلام
وقوله تعالى وما انت بتابع قبلتهم جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة
لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالت اليهود لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي
ننتظره تغريرا له عليه السلام وطمعا في رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره
وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفي
هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود
تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق
فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم الزائغة المتخالفة من بعد ما جاءك من العلم
ببطلانها وحقية ما انت عليه وهذه الشرطية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات
على الحق اي ولئن اتبعت اهواءهم فرضا انك اذا لمن الظالمين وفيه لطف للسامعين
وتحذير لهم عن متابعة الهوى فان من ليس من شانه ذلك اذا نهي عنه ورتب على فرض
وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظنك بمن ليس كذلك واذن حرف جواب

وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ كان حدها ان تتقدم او تتاخر فلم تتقدم لئلا يتوهم
انها لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف ولان المذكور جواب القسم ولم تتاخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ
في التاكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب
من الانبياء عليهم السلام الذين آتيناهم الكتاب اي علماؤهم اذ هم العمدة في ايتائه ووضع الموصول موضع المضمر
قرب العهد للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى يعرفونه للرسول صلى الله عليه وسلم
والالتفات الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه
مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها انه عليه السلام يصلي الى القبلتين كانه قيل الذين آتيناهم الكتاب
يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه عليه السلام وانه
علم معلوم بغير اعلام فتامل وقيل الضمير للعلم او لسببه الذي هو الوحي او القرآن او التحويل ويؤيد الاول قوله عز وجل
كما يعرفون ابناءهم اي يعرفونه عليه السلام باوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم
وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رضي الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك فيه انه نبي واما ولدي فلعل
والدته خانت فقبل عمر رأسه وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا الحق وابوا قبول
هم الذين امنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه فهم
بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما كرر على وجه التعليل الحق بالرفع على انه مبتدا وقوله تعالى من ربك خبره
واللام للعهد والاشارة الى ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت
انه من الله تعالى كالذي انت عليه لا غير كالذي عليه اهل الكتاب او على انه خبر مبتدا محذوف اي هو الحق وقوله تعالى من ربك
اما حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول ليعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين اي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به وقيل
في انه من ربك وليس المراد به نهي الرسول عليه السلام عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عليه السلام وليس بقصد واختيار
بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل
اي لكل امة من الامم على ان التنوين عوض من المضاف اليه وجهة اي قبلة وقد قرئ كذلك او لكل قوم من المسلمين جهة
من جوانب الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف اي موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة
والمعنى ولكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد وجبر ضعف العامل وقرئ مولاها اي هو مولى تلك قد وليها
فاستبقوا الخيرات اي تسابقوا اليها بنزع الجار كما في قوله ثابي عليكم الحرب ومن يميل سواكم فاني لهم غير مائل وهو
ابلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها من امر القبلة وغيره مما
ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله اي في اي موضع تكونوا من
موافق او مخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشرها الله تعالى الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض
ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق ومن حيث خرجت تاكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت
الامر بحال السفر والحضر ومن متعلقة بقوله تعالى فول والفاء لمعنى الشرط اي ومن اي مكان خرجت اليه للسفر
فول وجهك عند صلوتك شطر المسجد الحرام اي افعل ما امرت به من اي مكان خرجت اليه فول الخ وانه اي هذا الامر
للحق من ربك اي الثابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم به احسن جزاء فهو وعد للمؤمنين
وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين ومن حيث خرجت اليه في اسفارك ومغازيك من المنازل القريبة
والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام المحاوم فيه كما مر آنفا وحيث ما كنتم من اقطار الارض مقيمين او

مسافرين حسبما يعرض لكم وكنتم على خرجتم فان الخطاب عامة لكافة المؤمنين المنتشرين في الآفاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيث ما خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين في الاماكن المختلفة من حيث اقامتهم فيها **فولوا وجوهكم** من محالهم **شطره** والتكرير لما ان القبلة لها شان خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري ان يؤكد امرها مرة بعد اخرى مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة **لئلا يكون للناس عليكم حجة** متعلقة بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك لئلا الخ والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية من اوصافه انه يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته **الا الذين ظلموا منهم** وهم اهل مكة اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها اخس الاباطيل من قبيل ما في قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء في نفي الحجة راسا كالذي في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ضرورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا الذين بحرف التنبيه مع انه استيناف **فلا تخشوهم** فان مطاعنهم لا تضركم شيئا **واخشوني** فلا تخالفوا امري **ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون** علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم اي وامرتكم بما ذكر لاتمامي النعمة عليكم لما انه نعمة جليلة ولارادتي اهتدائكم لما انه صراط مستقيم مؤد الى سعادة الدارين كما اشير اليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفي التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى وعطف على علة مقدرة اي واخشوني لاحفظكم عنهم واتم الخ او على قوله لئلا يكون الخ وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم الخ بينهما للمسارعة الى التسلية والتثبيت وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رض تمام النعمة الموت على الاسلام **كما ارسلنا فيكم رسولا منكم** متصل بما قبله والظرف الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الآخرة اتماما كائنا كاتمامي لها بارسال رسول كائن منكم فان ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكاد يدانيها نعمة وقيل متصل بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني بالطاعات صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريا على سنن الكبرياء **يتلو عليكم آياتنا** صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة **ويزكيكم** عطف على يتلو اي يحملكم على ما تصيرون به ازكياء **ويعلمكم الكتاب والحكمة** صفة اخرى مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تحليتها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث الشريفة من الشرائع وقوله عز وجل **ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** صريح في ذلك فان الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذلك الا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه ليس من شانهم ان يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي **فاذكروني** الفاء للدلالة على ترتب الامر على ما قبله من موجباته اي فاذكروني بالطاعة **اذكركم** بالثواب وعن حرض على الذكر مع الاشعار بما يوجبه **واشكروا لي** ما انعمت به عليكم من النعم **ولا تكفرون** بجحدها وعصيان ما امرتكم به **يا ايها الذين آمنوا** وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر **استعينوا** في كل ما تأتون وما تذرون **بالصبر** على الامور الشاقة على النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقاساة بلائهم المؤدية الى معالمهم **والصلوة**

التي هي ام العبادة ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين **ان الله مع الصابرين** تعليل للامر بالاستعانة بالصبر خاصة لما انه المحتاج الى التعليل واما الصلوة فحيث كانت اجل المطالب عند المؤمنين كما ينبئ عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة لم يفتقر الامر بالاستعانة بها الى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة ودخولها على الصابرين لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية **ولا تقولوا** عطف على استعينوا مسوق لبيان ان لا غائلة للمامور به وان الشهادة التي ربما يؤدي اليها الصبر حيوة ابدية **لمن يقتل في سبيل الله اموات** اي هم اموات **بل احياء** اي بل هم احياء **ولكن لا تشعرون** بحيوتهم وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحيوة الجسمانية وانما هي امر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رض ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع وقلت رايت في المنام سنة تسع وثلثين وتسعمائة اني ازور قبور شهداء احد رض وانا اتلو هذه الآية وما في سورة آل عمران واردد هما متفكرا في امرهم وفي نفسي ان حيوتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا على ذلك اذ رايت شابا منهم قاعدا في قبره تام الجسد كامل الخلقة في احسن ما يكون من الحياة والمنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدا منه ما فوق السرة والباقي في القبر خلا اني اعلم يقينا ان ذلك ايضا كما ظهر وانما لا يظهر لكونه عورة فنظرت الى وجهه فرايته ينظر الي متبسما كانه ينبهني على ان الامر بخلاف ما رايي فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته والآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة لاختصاصهم بمزيد القرب من الله عز وعلا **ولنبلونكم** لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم اتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء **بشيء من الخوف والجوع** اي بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالنسبة وكذا ما يصيب به معاندهم وانما اخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما اخبر به ويعلموا انه شيء يسير له عاقبة حميدة **ونقص من الاموال والانفس والثمرات** عطف على شيء او على الخوف وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وجل ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد **وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون** الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده **اولئك** اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم **عليهم صلوات من ربهم ورحمة** الصلوة من الله سبحانه المغفرة والرافة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة لما لغة كما في قوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرافة الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه **واولئك** اشارة اليهم اما بالاعتبار السابق او بالتكرير لاظهار كمال العناية بهم واما باعتبار حيازتهم ما ذكر

لما ذكر من الصلوات والرحمة المترتب على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم المهتدون
هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا والاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لما انه متقدم عليهما فلا يكون
للتأخير معا هو نتيجة لهما من داع بوجه وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله كالتذييل واولئك هم
المخصوصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء والفوز
بالمطالب المعنى واولئك هم الفائزون لمبلغهم الدينية والدنيوية فان من نال رافة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب
ان الصفا والمروة علما جبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة
فمن حج البيت او اعتمر الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين
المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريدهما عن التعلق به فلا جناح عليه ان يطوف بهما اي
في ان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التاء طاء فادغمت الطاء في الطاء وفي ايراد صيغة التفعل ايذان بان من حق الطائف
ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعي رحمهما الله انه ركن وايراده
بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما انه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال اساف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا
اذا سعوا بينهما مسحوا بهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو
تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او
نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف وخيرا حينئذ نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا
او على حذف الجار وايصال الفعل او على تضمين معنى فعل وقرئ تطوع واصله يتطوع مثل يطوف وقرئ ومن يتطوع
بخير فان الله شاكر اي مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد عليم مبالغ في العلم
بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كانه قيل ومن
تطوع خيرا جازاه الله او اثابه فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت في احبار اليهود الذين كتموا ما في التوراة
من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع
والاصم انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم الحكم للكل
والاقرب هو الاول فان عموم الحكم لا يأبى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا مع مساس الحاجة
اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شيء آخر في موضعه وهو
فعل هؤلاء ما انزلنا من البينات من الآيات الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى اي والآيات
الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المراد بالبينات
ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات الخ وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية ويأباه
الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة
ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى في الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه
او الاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي كائنا في الكتاب وتبيينه لهم تخليصه وايضاحه بحيث يتلقاه
كل احد منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بينا في نفسه وهدى مؤكد لقبح الكتم او تفهيمه لهم
بواسطة موسى عليه السلام والاول انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه ازالته ووضع غيره في موضعه فانهم
محوا نعته عليه السلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله عز وجل فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم
الخ اولئك اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعلية ما حكي عنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي
امرهم وبعد منزلتهم في الفساد يلعنهم الله اي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع
للصفات لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو
مبدأ الانزال والتبيين من صفة الجمال والرحمة ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم

باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين والمراد بيان دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل في قوله تعالى
الا الذين تابوا اي عن الكتمان واصلحوا اي ما افسدوا بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند
التحريف وبينوا للناس معانيه فانه غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا وآخرا فانه ادخل في ارشاد الناس
الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذي كانوا اوقعوهم فيه او بينوا توبتهم ليمحوا به ما كانوا فيه ويقتدي بهم اضرابهم وحيث
كانت هذه التوبة المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالايمان وقوله تعالى
فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للاشعار بعليته للحكم والفاء لتاكيد ذلك اتوب
عليهم اي بالقبول وافاضة المغفرة والرحمة وقوله تعالى وانا التواب الرحيم اي المبالغ في قبول التوبة ونشر الرحمة اعتراض
تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف
المبدأ في فعليه تعالى السابق واللاحق ان الذين كفروا جملة مستأنفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء
وتاكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة
والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه من ان وجود تلك الامور الثلاثة مستلزم للايمان الموجب لعدم الكفر كذلك
وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا اي ان الذين استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة وماتوا وهم كفار
لا يرعوون عن حالتهم الاولى اولئك الكلام فيه كالكلام فيما قبله عليهم اي مستقر عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين ممن يعتد بلعنهم وهذا بيان لدوامها الثبوتي بعد بيان دوامها التجددي وقيل الاول لعنتهم احياء وهذا
لعنتهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو
تريد من ان ضرب زيد وعمرو كما تقول اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة الخ وقيل هو فاعل لفعل مقدر اي ويلعنهم الملائكة
خالدين فيها اي في اللعنة او في النار على انها اضمرت من غير ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب
اما مستأنف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف اثر بيان كثرته من حيث الكم او حال من الضمير في خالدين على طريقة التداخل
او من الضمير في عليهم على طريقة الترادف ولا هم ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية
لافادة دوام النفي واستمراره اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم
خطاب عام لكافة الناس [illegible] لا اله الا هو
خبر ثان للمبتدأ او صفة اخرى للخبر [illegible] الوحدانية [illegible]
[illegible] الرحمن الرحيم خبران آخران للمبتدأ [illegible] التوحيد [illegible]
حيث كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها [illegible]
[illegible]
[illegible] ان في خلق السموات والارض [illegible]
[illegible] واختلاف الليل
والنهار [illegible]
[illegible] والفلك التي تجري في البحر [illegible]
[illegible]
[illegible] بما ينفع الناس [illegible] وما انزل الله من السماء من ماء
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الفلك والسحاب لوجهة العلو فأحيى به الأرض بأنواع النبات والأزهار وما عليها من الأشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يؤذن به إيراد الموت في مقابلة الإحياء وبث فيها أي فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على أنزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فأحيى الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد كأنه قيل وما أنزل في الأرض من ماء وبث فيها الخ أو على أحيى بحذف الجار والمجرور العائد إلى الموصول وإن لم تتحقق الشرائط المعهودة كما في قوله وإن لساني شهدة يشتفى بها وكن على من صبه الله علقم أي علقم عليه وقوله لعل الذي أصعدتني أن تردني إلى الأرض إن لم يقلد الخير قادره على معنى فأحيى بالماء الأرض وبث به فيها من كل دابة فإنهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحياء وتصريف الرياح عطف على ما أنزل أي تقليبها من مهب إلى آخر أو من حال إلى أخرى وقرئ على الإفراد والسحاب عطف على تصريف أو الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر بين السماء والأرض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه في الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشية الله تعالى ولعل تأخير تصريف الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وإنزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجي لما مر في قصة البقرة من الإشعار باستقلال كل من الأمور المعدودة في كونها آية ولو روعي الترتيب الخارجي لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض آية واحدة لآيات اسم إن دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا أي آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الألوهية به سبحانه لقوم يعقلون أي يتفكرون فيها وينظرون إليها بعيون وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم آية تصدقه في قوله تعالى وإلهكم إله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول وإلا فمن تأمل في تلك الآيات وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى بها عن سائرها فإن كل واحد من الأمور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبعا لآثار معينة وأحكام مخصوصة من غير أن تقتضي ذاته وجوده فضلا عن وجوده على نمط معين مستتبع لحكم مستقل فإذن لا بد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيئته متعال عن معارضة الغير إذ لو كان معه آخر يقدر على ما يقدر عليه لزم إما اجتماع المؤثرين على أثر واحد أو التمانع المؤدي إلى فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله بيان لكمال ركاكة آراء المشركين إثر تقرير وحدانيته سبحانه وتحرير الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء إلى الاعتراف بها القاضية باستحالة أن يشاركه شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة في صفة الألوهية والكلام في إعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الخ ومن دون الله متعلق بيتخذ أي من الناس من يتخذ من دون ذلك الإله الواحد الذي ذكرت شئونه الجليلة وإيثار الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات غب تعيينه بالصفات أندادا أي أمثالا وهي الأوثان وقيل الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون لا سيما في الأوامر والنواهي كما ينبئ عنه ما سيأتي من وصفهم بالتبري من المتبعين وقيل هي الأصنام وإرجاع ضمير العقلاء إليها في قوله عز وعلا يحبونهم مبني على آرائهم الباطلة في شأنها من وصفهم بما لا يوصف به إلا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لأنه أصابها ورسخ فيها والفعل منه حب على حدة لكن الاستعمال المستفيض على أحب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب أقل منه ومحبة العبد لله سبحانه إرادة طاعته في أوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز النصب إما صفة لأندادا أو حالا من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن إفراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي أي نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق ومن قضيته كونه مبنيا للفاعل كونه أيضا كذلك والظاهر اتحاد فاعلهما فإنهم كانوا يقرون به تعالى أيضا ويتقربون إليه تعالى فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحبهم لله تعالى أي يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في أصل الحب لا في وصفه كما أو كيفا لما سيأتي من التفاوت

البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول أي كما يحب الله تعالى ويعظم وإنما استغني عن ذكر من يحبه لأنه غير ملتبس وأنت خبير بأنه لا مشابهة بين محبتهم لأندادهم وبين محبوبيته تعالى فالصحيح ما أسلفناه في تفسير قوله عز قائلا كما سئل موسى من قبل وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وإبانة كمال قبح ما ارتكبوه والذين آمنوا أشد حبا لله جملة مبتدأة جيء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف أي المؤمنون أشد حبا له تعالى منهم لأندادهم ومآله أن حب أولئك له تعالى أشد من حب هؤلاء لأندادهم وفيه من الدلالة على كون الحب مصدرا من المبني للفاعل ما لا يخفى وإنما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لما أن المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضا وذلك إنما يتصور في حبهم لأندادهم لكونه منوطا بمباد فاسدة ومباد موهومة يزول بزوالها قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد إلى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما أياما فإذا وجدوا آخر رفضوه إليه وقد أكلت باهلة إلهها عام المجاعة وكان من حيس وأنت خبير بأن مدار ذلك اعتبار اختلاف حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الأهوال كما سيأتي بل اعتبار مختص بما يقتضيه مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبوه وغاية عظم ما اقترفوه وإيثار الإظهار في موضع الإضمار لتفخيم الحب والإشعار بعلته ولو يرى الذين ظلموا أي باتخاذ الأنداد ووضعها موضع المعبود إذ يرون العذاب المعد لهم يوم القيامة أي لو علموا إذ عاينوه وإيثار صيغة المستقبل لجريانها مجرى الماضي في الدلالة على التحقق في أخبار علام الغيوب أن القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وأن الله شديد العذاب عطف عليه وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الأمر فإن اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للإيذان بخروجه عن دائرة البيان إما لعدم الإحاطة بكنهه وإما لضيق العبارة عنه وإما لإيجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر أو المستمع من الضجر والتفجع عليه أي لو علموا إذ رأوا العذاب قد حل بهم ولم ينقذهم منه أحد من أندادهم أن القوة لله تعالى جميعا لا دخل لأحد في شيء أصلا لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بالتاء الفوقانية على أن الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب فالجواب حينئذ لرأيت أمرا لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ إذ يرون على البناء للمفعول وإن الله شديد العذاب على الاستئناف وإضمار القول إذ تبرأ الذين اتبعوا بدل من إذ يرون أي إذ تبرأ الرؤساء من الذين اتبعوا من الأتباع بأن اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم إليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول إبليس إني كفرت بما أشركتمون من قبل وقرئ بالعكس أي تبرأ الأتباع من الرؤساء والواو في قوله عز وجل ورأوا العذاب حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على تبرأ والضمير في رأوا للموصولين جميعا وتقطعت بهم الأسباب والوصل التي كانت بينهم من التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائغة والأغراض الداعية إلى ذلك وأصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرأ وتوسيط الحال بينهما للتنبيه على علة التبري وقد جوز عطفها على الجملة الحالية وقال الذين اتبعوا حين عاينوا تبرؤ الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا لو أن لنا كرة أي ليت لنا رجعة إلى الدنيا فنتبرأ منهم هناك كما تبرؤوا منا اليوم كذلك إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده لا إلى تبري آخر مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه في سلك الأمور المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية أي ذلك الإراء الفظيع يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم أي ندامات شديدة فإن الحسرة شدة الندم والكمد وهي تألم القلب وانحساره عما يؤلمه واشتقاقها من قولهم بعير حسير أي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل يرى إن كان من رؤية القلب وإلا فهي حال والمعنى أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم وما هم بخارجين من النار كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والأصل وما يخرجون والعدول إلى الاسمية لإفادة دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على قوة أمرهم فيما أسند إليهم كما في قولهم هم يفرشون اللبد كل طمرة

واجرد سببا وتبدأ المغالبا يا ايها الناس كلوا مما في الارض اي بعض ما فيها من اصناف المأكولات التي من جملتها ما
حرمتموه افتراء على الله من الحرث والانعام قال ابن عباس رض نزلت في قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة
وبني مدلج حرموا على انفسهم ما حرموا من الحرث والبحائر والسوائب والوصائل والحام حلالا حال من الموصول اي كلوه
حال كونه حلالا او مفعول لكلوا على ان من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد اي اكلا حلالا ويفيد الاولين قوله
تعالى طيبا فانه صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس
ويرده قوله عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا بها في اتباع الهوى فانه صريح في ان الخطاب للكفرة كيف لا
وتحريم الحلال على نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تعالى وانما
الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية وقرئ خطوات
بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها على الواو
وبفتحتين على انها جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهي اي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة
وان كان يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء
استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار معاملته معهم في ذلك والسوء في الاصل مصدر
ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا حزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراك
كلها في انها تسوء صاحبها والفحشاء اقبح انواعها واعظمها مساءة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء
اي وبان تفتروا على الله تعالى بانه حرم هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون انه تعالى امر به وتعليق امره بتقولهم على الله تعالى
ما لا يعلمون وقوعه منه تعالى لا بتقولهم عليه ما يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فان
التحذير من الاول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على ابلغ وجه واكده وللايذان بان العاقل
يجب عليه ان لا يقول على الله ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن ان يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه
منه قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك قطعي
فوجوبه قطعي والظن في طريقه واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا
بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم على نهج المباثة اي
اذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله الذي انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه
آباءنا اي وجدناهم عليه اما على ان لفظ على متعلق بمحذوف وقع حالا من آبائنا والفينا متعديا الى واحد واما على
انه مفعول ثان له مقدم على الاول نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تعالى من الحجج الظاهرة
والبينات الباهرة فجنحوا الى التقليد والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما
باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التورية لانها
تدعو ايضا الى الاسلام وقوله عز وجل اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استئناف مسوق من جهته تعالى
رد لمقالتهم الحمقاء واظهار لبطلان آرائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجب منه لا لانكار الوقوع كالتي في قوله
تعالى اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ
لها جواب قد حذف ثقة لدلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة
من الحكم الموجب والمنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها
منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى
تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة
للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال

وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان
غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لما انه
من ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصورة المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور
قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز
لو باق على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور
وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال مما يتعلق
لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان المقصود الاصلي انكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة
واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر
محقق لا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم لئلا يلبسوا من التصريح بنسبة آبائهم
الى كمال الجهالة والضلالة لجلاء التمرد فيركبوا متن العناد ومبالغة في الانكار من جهة ان اتباعهم لآبائهم حيث كان منكرا
مستقبحا عند احتمال كون آبائهم كما ذكر احتمالا بعيدا فلان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير ايتبعون
ذلك لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية
من آبائهم على طريقة قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كانه قيل ايتبعون دين آبائهم حال كونهم عاقلين وجاهلين
ضالين انكارا لما افاده كلامهم من الاتباع على اي حالة كانت من الحالتين غير انه اكتفي بذكر الحالة الثانية تنبيها على
انها هي الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضائها الحالة الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذي تعلق به الانكار حين تحقق
مع كون آبائهم جاهلين ضالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى ان قلت لا يكون المستفاد من الاستفهام
الانكاري بمنزلة النفي ولا ريب في ان الاولوية في صورة النفي معتبرة الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال
النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما
نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون آبائهم عاقلين ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو الذي يريد
عليه ايتبعون الخ فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك
في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل
المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قوله بل نتبع الخ واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيده
واستقباح ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع ونفيه مع كونه
بمنزلة صريح النفي كما مر آنفا في تحقيقه في قوله تعالى او لو كنا كارهين وقيل الواو حالية ولكن التحقيق ان المعنى يدور على معنى
العطف في سائر المقامات ايضا ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد
حذف لدلالة ما بعده عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع اليه الضمائر السابقة لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار
بعلة ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحاله الحقيقة لغرابتها بان تسمى مثلا وتسير في الآفاق فيما ذكر من دعوتهم
اياهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه راسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من حجته
الداعي الا الدعاء من غير ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى عليهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء من البهائم
فانها لا تسمع الا صوت الراعي وهتفه بها من غير فهم لكلامه وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة
كلمة ما عليه فانها عبارة عنه مشعرة مع ما في حيز الصلة بما هو مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم
فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القي اليهم من الآيات كمثل بهائم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة ودوي الصوت
وقيل المراد تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وقيل
تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته على البهائم وهذا غني عن الاضمار لكن لا يساعده قوله الا دعاء
ونداء فان الاصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما تشابه افراد الطرفين صم بكم عمي بالرفع على الذم

كما في الاوليين فانها حال من فاعل يعطي ولا يعطي منه

كما في الاخيرين فانها حال من المفعول المحذوف في الاول والمنصوب في لا تهنه منه

اي ما الفينا عليه آباءنا منه

اي لا يعقلون شيئا ولا يهتدون منه

ايهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون شيئا لان طريق التعقل هو التدبر في مبادي الامور المعقولة والتامل في ترتيبها وذلك
انما يحصل باستماع آيات الله ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة مع من يؤخذ منه العلوم فاذا كانوا صما
بكما عميا فقد انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
اي مستلذاته واشكروا لله الذي رزقكموها والالتفات لتربية المهابة ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته تعالى
لا تتم الا بالشكر له وعن النبي عليه السلام يقول الله عز وجل اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق
ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اي اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت على غير ذكوة والسمك والجراد خارجان عنها
بالعرف او استثناء الشرع خروج الطحال من الدم والدم ولحم الخنزير انما خص لحمه مع ان سائر اجزائه ايضا في حكمه لانه
معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه بمنزلة التابع وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال
اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندما سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان
لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق
وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد رحمه فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل
رحيم بالرخصة ان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه
لا مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون
ما انزل الله من الكتاب المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر آنفا قال
ابن عباس رض نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم ويشترون به اي يأخذون بدله ثمنا
قليلا عوضا حقيرا وقد مر سر التعبير عن ذلك بالثمن الذي هو وسيلة في عقود المعاوضة وقوله تعالى اولئك اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث
كانهم حضار مشاهدون وعلى ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدا
خبره قوله تعالى ما يأكلون في بطونهم الا النار والجملة خبر لان او اسم الاشارة مبتداء ثان او بدل من الاول والخبر ما يأكلون
الخ ومعنى اكلهم النار انهم يأكلون في الحال ما يستتبع النار ويستلزمها فكانه عين النار واكله اكلها كقوله اكلت دما ان لم
ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر او يأكلون في المآل عين النار عقوبة على اكلهم الرشى في الدنيا وفي بطونهم متعلق
بيأكلون وفائدته تأكيد الاكل وتقريره ببيان مقر المأكول وقيل معناه ملء بطونهم كما في قولهم اكل في بطنه واكل في بعض
بطنه ومنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا فلا بد من الالتجاء الى التعليق بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقديمه على حرف
الاستثناء ولان تعليقه بيأكلون يؤدي الى قصر ما يأكلونه الى الشبع على النار والمقصود قصر ما يأكلونه مطلقا عليها
ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح المؤمنين من فنون الكرامات السنية
والزلفى ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم مع ما ذكر عذاب اليم مؤلم اولئك اشارة الى ما اشير اليه بنظيره باعتبار اتصافهم بما ذكر
خاصة لا مع ما يتلوه من احوالهم الفظيعة اذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد اثباته ههنا فان المقصود تصويرهم بما شرعوه
من المعاملة بصورة قبيحة تنفر عنها الطباع ولا ايقاعها عقيب ما قرر اصلا ببيان حقيقة ما ابتدعوه واظهار كنه ما اختدعوه
وابداء فظاعة تبعاته وهو مبتدا خبره الموصول اي اولئك المشترون بكتاب الله عز وجل ثمنا قليلا ليسوا مشترين
للثمن وان قل بل هم الذين اشتروا بالنسبة الى الدنيا الضلالة التي ليست مما يمكن ان يشترى قطعا بالهدى الذي
ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شيء وان جل والعذاب اي اشتروا بالنظر الى الآخرة العذاب الذي لا يتوهم كونه مما يشترى
بالمغفرة التي يتنافس فيها المتنافسون فما اصبرهم على النار تعجيب من حالهم الهائلة التي هي ملابستهم بما يوجب النار
ايجابا قطعيا كانه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة بمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصصها كتخصص شر في شر
اهر ذا ناب خبرها ما بعدها اي شيء عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها خبرها اي اي شيء
اصبرهم على النار وقيل هي موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف اي الذي اصبرهم على النار او شيء اصبرهم

على النار امر عجيب تقطيع ذلك العذاب بان الله نزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون
من يرفضه بالتكذيب والكتمان ويركب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من افانين العذاب وان الذين اختلفوا
في الكتاب اي في جنس الكتاب الالهي بان آمنوا ببعض كتب الله وكفروا ببعضها او في التورية بان آمنوا ببعض الآيات
وكفروا ببعض كالآيات المغيرة المشتملة على امر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الكريمة فمعنى الاختلاف التخلف
عن الطريق الحق او الاختلاف في تأويلها او في القرآن بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم انه اساطير
كما حكي عن المفترين لفي شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع لمراضي الخصال والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا الخوض في امر القبلة
حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعي خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق على المغرب مع
تأخر زمان الملة النصرانية اما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه اليهود
الى المغرب ليس لكونه مغربا بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا في جانب الغرب فقيل لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه
الى تينك الجهتين على ان البر خبر ليس مقدما على اسمها كما في قوله سلي ان جهلت الناس عني وعنهم فليس سواء عالم وجهول
وقوله اليس عظيما ان تلم ملمة وليس علينا في الخطوب معول وانما اخير ذلك لما ان المصدر المأول اعرف من المحلى باللام
لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به والاعرف احق بالاسمية ولان في الاسم طولا فلو روعي الترتيب
المعهود لفات تجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لان كل فريق يدعي ان البر
هذا فيجب ان يكون الرد موافقا لدعواهم وما ذلك الا بكون البر اسما كما ينبئ عنه جعله مخبرا عنه في الاستدراك بقوله عز
وجل ولكن البر من آمن بالله وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال البر مما لا يختلف باختلاف
الشرائع وما يختلف باختلافها اي ولكن البر المعهود الذي يحق ان يهتم بشأنه ويجد في تحصيله بر من آمن بالله
وحده ايمانا بريئا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله
واليوم الآخر اي على ما هو عليه لا كما يزعمون من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وان آباءهم الانبياء يشفعون
لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتابين بحيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفي تعليق البر بهما من اول
الامر عقيب نفيه عن التوجه الى المشرق والمغرب من الجزالة ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدأ والمعاد
اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة والملائكة اي وآمن بهم وبانهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين انبيائه
بالقاء الوحي وانزال الكتب والكتاب اي بجنس الكتاب الذي من افراده القرآن الذي نبذوه وراء ظهورهم وغيروا تحريف
بكتمانهم نعوت النبي صلى الله عليه وسلم واشترائهم بما انزل الله تعالى ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفريق بين احد
منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين حملة الوحي وبين النبيين واضح وسيأتي في قوله تعالى كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله وآتى المال على حبه حال من الضمير في آتى والضمير المجرور للمال اي آتاه كائنا على حب المال
كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رض ان تؤتيه وانت
صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى
اي آتاه كائنا على محبته تعالى على قصد التقرب والقصد ففيه نوع تعريض بذي الرشى وآخذيها لتغيير التورية وقيل للمصدر
اي كائنا على حب الايتاء ذوي القربى مفعول اول لآتى قدم عليه مفعوله الثاني اعني المال للاهتمام به او لان في الثاني
مع ما عطف عليه طولا لو روعي الترتيب لفات تجاوب الاطراف في الكلام وهو الذي اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول
الثاني واليتامى اي المحاويج منهم على ما يدل عليه الحال وتقديم ذوي القربى عليهم لما ان ايتاءهم صدقة وصلة والمساكين
جمع مسكين وهو دائم السكون لما ان الخلة اسكنته بحيث لا حراك به او دائم السكون الى الناس والسائلين الذين الجأتهم
الحاجة والضرورة الى السؤال قال عليه السلام اعطوا السائل ولو جاء على فرس وفي الرقاب اي تصدق في فك الرقاب
بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في فك الاسارى وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها واياما كان فالعدو

عن ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية كالذين من قبلهم اما للايذان بعدم ثبوتهم فيها او ثبوتهم كما في الوجهين الاولين او بعدم
ثبوته ثابتاً كما في الوجه الاخير واما للاشعار برسوخهم في الاستحقاق والحاجة لما ان في الظرفية المنبئة عن تمكنهم لما
يؤتى واقام الصلوة اي المفروضة منها وآتى الزكوة اي المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقة
قدم على الفريضة مبالغة في الحث عليه او المراد بهما المفروضة والاول لبيان المصارف والثاني لبيان وجوب الاداء والموفون
بعهدهم عطف على من آمن فانه في قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء
والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالاً ولا يحلل حراماً من العهود الجارية فيما بين الناس وقوله تعالى اذا عاهدوا للايذان بعدم
كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب على الاختصاص غير سبكه عما قبله تنبيهاً على فضيلة الصبر ومزيته وهو
في الحقيقة معطوف على ما قبله قال ابو علي اذا ذكرت صفات المدح او الذم وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى
ذلك قطعاً لان تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشأنه كما مر في صدر السورة وقد
قرئ والصابرون كما قرئ والموفين في البأساء اي في الفقر والشدة والضراء اي المرض والزمانة وحين البأس اي وقت
مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احياناً وسرعة انقضائه اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار
اتصافهم بالنعوت الجليلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً من التنبيه على علو طبقتهم وسمو رتبتهم الذين صدقوا
اي في الدين واتباع الحق وتحري البر حيث لم يغيرهم الاحوال ولم يزلزلهم الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل
وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شأنهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات
البشرية برمتها تصريحاً او تلويحاً لما انها مع تكثر فنونها وتشعب شجونها منحصرة في خلال ثلث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة
مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى الاولى بالايمان بما فصل والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة
الخ ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق نظراً الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتباراً بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم
مع الحق واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان
بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول الدين وقواعده التي عليها بني اساس المعاش والمعاد
كتب عليكم اي فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولي على العفو فان الوجوب انما اعتبر بالنسبة
الى الحكام او القاتلين القصاص في القتلى اي بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم ان امرأة دخلت النار في هرة
ربطتها اي بسبب ربطها اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب
دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتباوؤا وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي ايضاً لان اعتبار
المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رأيت الوجه ههنا وانما تمسك في ذلك
هو ومالك رحمهما الله بما روي عن علي رض ان رجلاً قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده وبما
روي عنه رض انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رض كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين
اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس فان شرع من قبلنا
اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انها شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة في العصمة
وهي بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القصاص فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء
من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله في اسقاط القصاص وهو الواقع ايضاً في العادة اذ كثيراً ما
يقع العفو من بعض الاولياء فهو شيء من العفو وقيل معنى عفي ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه
بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال فيا دار عفاها جو كل معاند وقوله عفاه كل حنان كثير الوبل هطال
ليكون المعنى فمن محي له من اخيه شيء صرف للعبارة المتداولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود الى ما ليس
بمعهود فيهما ولا في استعمال الناس فانهم لا يستعملون العفو في باب الجنايات الا فيما ذكر من قبل وعفي يعدى بعن الى الجاني

والى الذنب قال تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن
عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بني آدم عليه السلام
لتحريك سلسلة الرقة والعطف عليه فاتباع بالمعروف فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافي بالمسامحة
ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعنيف وقوله عز وجل واداء اليه باحسان حث للمعفو عنه على ان يؤديها بالاحسان
من غير مماطلة وبخس ذلك اي ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود
القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الامة
بين الثلث تيسيراً عليهم وتنزيلاً للحكم على حسب المنازل فمن اعتدى بعد ذلك بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم
او قتل القاتل بعد العفو واخذ الدية فله بسبب اعتدائه عذاب اليم اما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما
في الآخرة فبالنار ولكم في القصاص حيوة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال غايته حيث جعل الشيء محل ضده
وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس نوعاً من الحيوة عظيماً لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به يردع
القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص
من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سبباً لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحيوة الاخروية
فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة والظرفان اما خبران لحيوة او احدهما خبر والآخر صلة له او
حال من المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب يا اولي الالباب
اي ذوي العقول الخالصة عن شوب الاوهام خوطبوا بذلك بعدما خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطاً لهم الى التأمل
في حكمة القصاص لعلكم تتقون اي تتقون انفسكم من المساهلة في امره والاهمال في المحافظة عليه والحكم به والاذعان
له او من القصاص فتكفوا عن القتل المؤدي اليه كتب عليكم بيان لحكم آخر من الاحكام المذكورة اذا حضر احدكم الموت
اي حضر اسبابه وظهر اماراته او دنا نفسه من الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده
عليها ان ترك خيراً اي مالاً وقيل مالاً كثيراً لما روي عن علي رض ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال
قال الله تعالى ان ترك خيراً وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رض ان رجلاً اراد الوصية وله عيال واربعمائة
دينار فقالت ما ارى فيه فضلاً واراد آخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة
قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيراً وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب اخر
عما بينهما للاستمرار وايثار تذكير الفعل مع جواز تأنيثه ايضاً او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الضمير
في قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه واذا ظرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدور الكتب عنه تعالى
بل من حيث تعلقه بهم تعلقاً فعلياً مستتبعاً لوجوب الاداء كما ينبئ عنه البناء للمفعول وكلمة الايجاب ولا مساغ لجعل
العامل هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما في قوله من يفعل
الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم في بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول
آية المواريث بقوله عليه السلام ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الآحاد
لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم في سلك المتواتر في صلاحيته للنسخ عند ائمتنا على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة
هي آية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى قد كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم
بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك الى آرائكم حيث قال بالمعروف
اي بالعدل فالآن قد رفع ذلك الحكم عنكم وتولى بنفسه تبيين طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات
واعطى كل ذي حق منهم حقه الذي يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئاً فيه مدخل لرأيكم اصلاً
حسبما يعرب عنه الجملة المنفية بلا النافية للجنس وتصديرها بكلمة التنبيه اذا تحققت هذا ظهر لك ان ما قيل من ان
آية المواريث لا تعارضه بل تحققه وتؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقاً والحديث من الآحاد وتلقي الامة

ايامًا بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من نسخ الوصية بما اوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفيرهم ما اوصى به الله تعالى عليهم بعزائم التحقيق وكذا ما قيل من ان الوصية للوارث كان واجبة بهذه الآية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت آية المواريث بيانًا للانصباء بلفظ الايصاء فهم منها بتنبيه النبي صلى الله عليه وسلم ان المراد منه هذه الوصية التي كانت واجبة كانه قيل ان الله تعالى اوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فان مدلول آية الوصية حيث كان تفويضًا للامر الى آراء المكلفين على الاطلاق وتسليم الزوج عن عهدة التكليف باداء ما ادى اليه آراؤهم بالمعروف فكون آية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق القاطعة بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما لا يشتبه على احد وقوله تعالى حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ مصدر مؤكد اي حق ذلك حقًا فَمَنْ بَدَّلَهُ اي غيره من الاوصياء والشهود بَعْدَ مَا سَمِعَهُ اي بعد ما وصل اليه وتحقق لديه فَإِنَّمَا إِثْمُهُ اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول في موضع الضمير الراجع الى من لتأكيد الايذان بعلية ما في حيز الصلة الاولى وايثار الجمع للاشعار بتعدد المبدلين انواعًا او كثرتهم افرادًا او الايذان بشمول الاثم لجميع الافراد إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وعيد شديد للمبدلين فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرئ من موصٍّ جَنَفًا اي ميلًا بالخطاء في الوصية أَوْ إِثْمًا اي تعمد الحيف فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ اي بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة الشريفة فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى الحق بخلاف الاول إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ بيان لحكم آخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صومًا فلن اكلم اليوم وقيل هو الامساك عن الشيء مطلقًا ومنه صامت الريح اي امسكت عن الهبوب والفرس اي امسكت عن العدو قال خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفي الشريعة هو الامساك نهارًا مع النية عن المفطرات المعهودة التي معظم ما تشتهيه الانفس كَمَا كُتِبَ في حيز النصب على انه نعت للمصدر المؤكد اي كتبًا كائنًا كما كتب او على انه حال من المصدر المعرفة اي كتب عليكم الصيام الكتب مشبهًا بما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صومًا مماثلًا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اي حال كونه مماثلًا لما كتب عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة المماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت والمقدار كما يروى ان صوم رمضان كان مكتوبًا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركوه وصامت يومًا من السنة زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا حرًا شديدًا فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ اي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال باداءه لاصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدًا والكثير يهال هيلًا والمراد بها اما رمضان او ما وجبت في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر وانتصابها ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبي بل بمضمر دل عليه اعني صوموا اما على الظرفية او المفعولية اتساعًا وقيل بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلًا له بل للمكتوب فلا يتحقق الظرفية ولا المفعولية المتفرعة عليها اتساعًا فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا اي مرضًا يضره الصوم او يعسر معه أَوْ عَلَى سَفَرٍ مستمرين عليه وفيه تلويح ورمز الى ان من سافر في اثناء اليوم لم يفطر فَعِدَّةٌ اي فعليه

جواب لما قيل ان الاصلاح حسنة فكيف يتعلق به المغفرة

الموتان بوزن البطلان الموت الكثير الوقوع

الهيل الصب من غير كيل

صوم عدة ايام المرض والسفر مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ان افطر فحذف الشرط والمضاف ثقة بالظهور وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فِدْيَةٌ اي اعطاء فدية وقرئ بالجمع طَعَامُ مِسْكِينٍ وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لما انه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يتقلدونه ويتطوقونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فزاد في الفدية فَهُوَ اي التطوع او الخير الذي تطوعه خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا على انفسكم وتجهدوا طاقتكم او والمرخصون في الافطار من المرضى والمسافرين خَيْرٌ لَكُمْ من الفدية او من التطوع او منهما او من تأخير الى ايام اخر والالتفات الى الخطاب للحث والتنشيط إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ اي ما في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره اي اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شَهْرُ رَمَضَانَ مبتدأ خبره ما بعده او خبر لمحذوف اي ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول لتصوموا او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اي احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علمًا ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان للحديث وارد على حذف المضاف للامن من الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش واما لارتماض الذنوب بالصيام فيه او لوقوعه في ايام رمض الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ خبر المبتدا على الوجه الاول او صفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزل فيه انه ابتدئ انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجمًا الى الارض حسبما يقتضيه المشيئة الربانية او انزل في شانه القرآن وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين منه والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ حالان من القرآن اي انزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وآيات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ اي حضر فيه ولم يكن مسافرًا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع والترتيب او لتضمين المبتدا معنى الشرط او زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدا والموصول صفة له ومن الجملة خبر له وقيل هي جزائية كانه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضر فيه فَلْيَصُمْهُ اي فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعًا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقوله شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ما بعده مخصصًا له كانه قيل وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا وان كان مقيمًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ وان كان صحيحًا فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ اي فعليه صيام ايام أخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ بهذا الترخيص لغاية رأفته وسعة رحمته وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق اي ولهذه الامور شرع ما مر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص لمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان تكون معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم

والاتساع في الظرف لا الاتساع في نصب المفعولية [illegible] كقوله [illegible] شهدناه

او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر اي يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تعالى يريدون ليطفئوا
بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدرية والموصولة
اي على هدايته اياكم او على الذي هداكم اليه ولتكملوا بالتشديد وإذا سألك عبادي عني في تلوين الخطاب وتوجيهه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى من تشريفه ورفع محله فإني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه
بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت أجيب دعوة الداع إذا دعان تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعي
بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات على ما هم عليه
لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد اي الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها ولما امرهم الله تعالى بصوم الشهر ومراعاة العدة
وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الكريمة الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم
مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم روي ان المسلمين
كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخيرة او يرقدوا ثم ان عمر رض باشر بعد العشاء فندم
وأتى النبي عليه السلام واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح
منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى
الافضاء والانهاء وايثاره هنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث وتقديم الظرف على القائم
مقام الفاعل لما مر من التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده
فضل تمكن هن لباس لكم وأنتم لباس لهن استئناف يبين سبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة
الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للآخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما على الآخر بالليل قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها
تثنت فكانت عليه لباسا او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم
استئناف آخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها
بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب فتاب عليكم عطف على علم اي تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم
اي محا اثره عنكم فالآن لما نسخ عنكم التحريم باشروهن المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني بها عن الجماع الذي يستلزمها وفيه دليل
على جواز نسخ الكتاب وابتغوا ما كتب الله لكم اي واطلبوا ما قدره الله لكم وقدره في اللوح من الولد وفيه ان المباشر
ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وقيل نهي عن العزل وقيل عن غير المأتى
والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر
شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين اسود وابيض واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله
تعالى من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا من الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض
فان ما يبدو بعض الفجر وما روي من انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون يأكلون و
يشربون حتى يتبينا لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما
في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح
جنبا ثم أتموا الصيام إلى الليل بيان لآخر وقته ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد اي معتكفون فيها والمراد
بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف
يكون في المسجد غير مختص ببعض دون بعض وان الوطء فيه حرام ومفسد له لان النهي في العبادات يوجب الفساد
تلك حدود الله اي الاحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى لعباده فلا تقربوها نهى عن تجاوزها نهي ان يقرب
الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن
رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك اي مثل ذلك التبيين يبين الله آياته

الصيام

الدالة على الاحكام التي شرعها للناس لعلهم يتقون مخالفة اوامره ونواهيه ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل اي
عن اكل بعضهم لاموال بعض على خلاف حكم الله عز وجل بعد النهي عن اكل اموال انفسهم في نهار رمضان اي لا ياكل بعضكم مال
بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرفية او الحال من اموالكم وتدلوا بها إلى الحكام عطف على النهي
او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم اليهم فريقا من أموال الناس
بالإثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او ملتبسين بالاثم وأنتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب
المعاصي مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة
فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله
وايمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين فسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي انه اختصم اليه خصمان فقال عليه السلام
انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له
بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما
ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه يسألونك عن الأهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا
كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج كانوا قد سألوه عليه السلام عن الحكمة
في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله العزيز الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس في
عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء وكذا في معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع
ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان
مدة مقسومة الى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها
كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءها
ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر فقال ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما
قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج ذكر عقيبه ما هو من افعالهم في الحج استطرادا او انهم لما سألوا
عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه السلام مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الاشياء وتركوا السؤال عما
يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها
او المراد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال وكونه من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البر بأن تعكسوا في
مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من أبوابها اذ ليس في العدول بر فباشروا الامور
من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا
لاعزاز دينه واعلاء كلمته وتقديم الظرف على المفعول الصريح لابراز كمال العناية بشان المقدم الذين يقاتلونكم
قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع
منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده
ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل
فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء فخاف المسلمون ان لا يوفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم
والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ويعضده ايراده في اثناء بيان احكام الحج ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال
المعاهد والمفاجأة به من غير دعوة او بالمثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري مجراهم
إن الله لا يحب المعتدين اي لا يريد بهم الخير وهو تعليل للنهي واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم
من حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال
فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود وأخرجوهم من حيث أخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح

لم يسلم من كفارها والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وبقاء تألم النفس بها وقيل شركهم في الحرم وصدهم لكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اي لا تفاتحوهم بالقتال هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم ثمة فاقتلوهم فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب وفي العدول عن صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي والشرط عدة بالنصر والغلبة وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر بعد ما رأوا قتالكم فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا بعد مقاتلتكم عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم الا لمن ظلم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وتنعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة ايضا وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذلك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص اي كل حرمة وهي ما يجب المحافظة عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة مقررة لما قبلها واتقوا الله في شأن الاقتصاد واحذروا ان تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شؤونهم بالنصر والتمكين وانفقوا في سبيل الله امر بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس اي ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة وهي والهلك والهلاك واحد اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اي اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على الفقراء ان الله يحب المحسنين اي يريد بهم الخير وقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله بيان لوجوب اتمام افعالهما عند التصدي لادائهما وارشاد للناس الى تدارك ما عسى يعتريهم من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما في انفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل فانه بيان لوجوب مد الصيام الى الليل من غير تعرض لوجوب اصله وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الآية كما ان وجوب الحج بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا مستلزما له اصلا فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعا وادعاء ان الامر باتمامهما امر بانشائهما تامين كاملين حسبما تقتضيه قراءة واقيموا الحج والعمرة وان الامر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل مما لا سداد له ضرورة ان ليس البيان مقصورا على افعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بل الحق ان تلك القراءة ايضا محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالهما كما ينبغي من غير تعرض لحالهما في انفسهما فالمعنى اكملوا اركانهما وشرائطهما وسائر افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشيء منها هذا وقد قيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل جعل نفقتهما حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من الاغراض الدنيوية وايا ما كان فلا تعرض في الآية الكريمة لوجوب العمرة اصلا واما ما روي من ان ابن عباس رضي الله عنهما قال ان العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضي الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما وفي رواية فاهللت بهما جميعا فبمعزل من افادة الوجوب مع كونه معارضا

بما روي عن جابر رضي الله عنه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عليه السلام الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر فان احصرتم اي منعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضي لوجهه مثل صده واصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعي رحمهما الله لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي اي فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واحتجوا بذبحه صلى الله عليه وسلم عام الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان محصره عليه السلام طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا محوجا الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة او قمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة آصع فاذا امنتم اي الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي فمن انتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي اي فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه عند الشافعي وعندنا هو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج اي في اشهره بين الاحرامين وقال الشافعي في ايام الاشتغال باعماله بعد الاحرام وقبل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وايام التشريق وسبعة اذا رجعتم اي نفرتم وفرغتم من اعماله وعند الشافعي اذا رجعتم الى اهليكم وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لا يعرف الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة كاملة صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد او مبينة كمال العشرة فانها اول عدد كامل اذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى التمتع عندنا والى الحكم المذكور عند الشافعي لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل الحل عند طاوس وغير اهل مكة عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه لا سيما في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة الحج اي وقته اشهر معلومات معروفات بين الناس هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت الاحرام به او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج اي اوجبه على نفسه بالاحرام او بالتلبية او بسوق الهدي فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج

في الحج اي في ايامه والاظهار في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشانه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم
والتقرب بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة على ان ذلك حقيق
بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي تضاعيف الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن
لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق
والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع
الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفات وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجزيكم خير جزاء وهو حث على فعل الخير
اثر النهي عن الشر وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا
يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل
على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى
ثم امرهم بان يكون المقصود بذلك هو الله تعالى فيتبرؤا من كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى
فلذلك خص بهذا الخطاب اولو الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء
ورزقا منه اي الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها ايام مواسم الحج وكانت
معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم منها بكثرة من افضت الماء
اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات
وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة
تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء
التانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة
تابى تقديرها لانها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام
كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال عرفت او لان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء
المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور
بها بقوله تعالى ثم افيضوا وقد قال النبي عليه السلام الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج او مقدمة للذكر المامور
به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل الامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين
عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر
انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل
واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه
فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم اي كما علمكم واذكروه ذكرا حسنا
كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله من قبل ما ذكر من هدايته
اياكم لمن الضالين غير العالمين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى
الا كما في قوله عز وعلا وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة
والخطاب لقريش لما كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت
ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى الكريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة
اليها والخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين اي الناسي على ان يراد به آدم عليه السلام من قوله تعالى فنسي والمعنى ان
الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ان الله غفور رحيم
يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم عباداتكم المتعلقة بالحج
وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم اي فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا في ذلك كما تفعلون بذكر آبائكم ومفاخرهم

وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او
اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعله ذكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كائنا مثل ذكركم آباءكم او
كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا او منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا
من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم
لآبائكم فمن الناس تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب به خير الدارين والمراد به
الحث على الاكثار والانتظام في سلك الآخرين من يقول اي في ذكره ربنا آتنا في الدنيا اي اجعل ايتاءنا ومنحتنا في
الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من حظ ونصيب لاقتصار همه على الدنيا او بيان لحاله في الآخرة
او من طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتاكيد لقصر دعائه على المطالب الدنيوية ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا
حسنة في الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الآخرة حسنة هي الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة
وروي عن علي كرم الله وجهه ان الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء وقيل
ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار
اولئك اشارة الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر من الاشارة
الى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل اليهما معا فالتنوين في قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الاول للتعظيم وعلى الثاني
للتنويع اي لكل منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه
ما قدرناه وتسمية الدعاء كسبا لما انه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار
لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شان قدرته او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات
واكتساب الحسنات واذكروا الله اي كبروه في اعقاب الصلوة وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام معدودات
هي ايام التشريق فمن تعجل اي استعجل في النفر او النفر فان التفعل والاستفعال يجيئان لازمين ومتعديين يقال تعجل
في الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول وفق للتاخر كما في قوله قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل
الزلل في يومين اي في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤس واليوم بعده فنفر اذا فرغ من رمي الجمار فلا اثم عليه
تعجيله ومن تاخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال او بعده وعند الشافعي رحمه الله بعده فقط فلا اثم عليه بما
صنع من التاخر والمراد التخيير بين التعجل والتاخر ولا يقدح فيه افضلية الثاني وانما ورد بنفي الاثم تصريحا بالرد على اهل
الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم للمتاخر لمن اتقى خبر لمبتدا محذوف اي الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم عن
المتعجل والمتاخر او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله
في مجامع اموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعبأ بكم وتنتظموا في سلك المغتنمين بالاحكام المذكورة والرخص او احذروا
الاخلال بما ذكر من الاحكام وهو الانسب بقوله واعلموا انكم اليه تحشرون اي للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث
واصل الحشر الجمع وضم المتفرق وهو تاكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك
من اقوى الدواعي الى ملازمة التقوى ومن الناس من يعجبك قوله تجديد للخطاب وتوجيه له اليه عليه السلام وهو
كلام مبتدا سيق لبيان تحزب الناس في شان التقوى الى حزبين وتعيين مآل كل منهما ومن موصولة او موصوفة
واعرابه كما بين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اي ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه
في نفسك لما تشاهد فيه من ملاءمة النحوي ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض الانسان بسبب عدم الشعور بسبب ما
يتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بقوله اي ما يقوله في حق الحيوة الدنيا ومعناها فانها التي يريد بما يدعيه من الايمان
ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى ان له قولا آخر ليس بهذه الصفة او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوته
وفصاحته لا في الآخرة لما انه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة وانت خبير بانه لا مبالغة
في سوء حاله فان مآل بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الآخرة وقيل معنى في الحيوة الدنيا مدة الحيوة الدنيا اي لا يصدر

منه فيها الا القول الحسن ويشهد الله على ما في قلبه اي يحسب دعائه حيث يقول الله يعلم ان ما في قلبي
موافق لما في لساني وهو عطف على يعجبك وقرئ ويشهد الله فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس
رض والله يشهد على ما في قلبه على ان كلمة على لكون المشهود به مضرا له فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله وهو
الد الخصام اي شديد العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الالد اليه بمعنى في كقولهم ثبت الغدر
او اشد الخصوم لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق
يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور في قوله او من المستكن
في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين واذا تولى اي من مجلسك وقيل اذا صار واليا سعى في الارض ليفسد
فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف حيث بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة
السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على
اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة وقرئ على البناء من الاهلاك والله لا يحب الفساد اي
لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض تذييلي واذا قيل له على نهج العظة والنصيحة اتق الله واترك
ما تباشره من الفساد او النفاق واخذه سوء مغبته اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم
الذي نهي عنه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم مبتداء وخبر اي كافيه جهنم
وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوي لاعتماده على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل
حسب اسم فعل ماض اي كفته جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش
وقيل ما يوطأ للجنب والجملة اعتراض ومن الناس من يشري نفسه مبتداء وخبر كما مر اي يبيعها ببذلها في الجهاد ومشاق
الطاعات وتعريضها للمهالك في الحروب ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب عليه القتل ابتغاء مرضاة الله
اي طلبا لرضاه وهذا كمال التقوى وايراده قسيما للاول من حيث ان ذلك يأنف من الامر بالتقوى وهذا يأمر بذلك
وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير ان
كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله فاتى المدينة فيشري
ح بمعنى يشتري جاء به لحال على صورة الشري والله رؤف بالعباد ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب والجملة
اعتراض تذييلي يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم اي الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين
وهي لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما معا كما في قوله خرجت
بها امشي تجر وراءنا على اثرنا اذيال مرط مرحل وهي في الاصل اسم للجماعة تكف مخالفها ثم استعملت في معنى جميعا وتاؤها ليست
للتانيث حتى يحتاج الى جعل السلم مؤنثا مثل الحرب كما في قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله السلم تأخذ
منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وانما هي للنقل كما في عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى
واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب
فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم القديم بعد اسلامهم او في شرائع الله تعالى كلها بالانبياء والكتب جميعا والخطاب
لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه
كلها فلا تخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما كلفوه الآن
ايذانا بان ما يدعونه لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق او بمخالفة ما امرتم به انه لكم
عدو مبين ظاهر العداوة او مظهر لها وهو تعليل للنهي او الانتهاء فان زللتم اي عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي لغة
فيه من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج القطعية الدالة على حقيته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز
غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يترك ما يقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستعصين على اوامره هل ينظرون
استفهام انكاري في معنى النفي اي ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه

الا ان يأتيهم الله اي امره وبأسه او يأتيهم الله بامره وبأسه فحذف المأتي به لدلالة الحال عليه وللالتفات الى الغيبة
للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف على طريق المباثة وايراد
الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها مترقبون لوقوعها في ظلل جمع ظلة كقلل
في جمع قلة وهي ما اظلك وقرئ في ظلال كقلال في جمع قلة من الغمام اي السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لما انه مظنة
الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع واقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث
يرتجى منه الخير والملائكة عطف على الاسم الجليل اي ويأتيهم الملائكة فانهم وسائط في اتيان امره تعالى بل هم الآتون
ببأسه على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الآتي اولا من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة واما
الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي
الامر اي تم امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على يأتيهم داخل في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه
فكانه قد كان او جملة مستأنفة جيء بها انباء عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله لا الى غيره
ترجع الامور بالتانيث على البناء للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتانيث من الرجوع سل
بني اسرائيل الخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد من اهل الخطاب والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقريرهم
كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة على ايدي الانبياء عليهم السلام وآية ناطقة بحقية الاسلام المأمور
بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الجملة
وآية مميزها ومن يبدل نعمة الله التي هي آياته الباهرة فانها سبب للهدى الذي هو اجل النعم وتبديلها جعلها
سببا للضلالة وازدياد الرجس او تحريفها وتأويلها الزائغ من بعد ما جاءته ووصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح
بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجيء للاشعار بانهم قد بدلوها بعدما وقفوا على تفاصيلها كما في قوله عز وجل
ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما حذف للايذان بعدم الحاجة الى التصريح
فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فانه شديد العقاب واظهار
الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا اي حسنت في اعينهم واشربت محبتها
في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله سبحانه
كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل اذ ما من شيء الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا
من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال
للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب كانوا يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا
واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية كانهم جعلوا السخرية مبتدئة منهم والذين اتقوا هم الذين آمنوا بعينهم وانما ذكروا
بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم
يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل سافلين او لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة او لانهم يتطاولون
عليهم في الآخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على دوام مضمونها
والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس
امة واحدة متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين آدم وادريس او نوح عليهم السلام او بعد الطوفان فبعث
الله النبيين اي فاختلفوا فبعث لخ وهي قراءة ابن مسعود رض وقد حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه مبشرين ومنذرين عن كعب
الذي علمته من عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور
في القرآن ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة متفقة على كلمة الكفر والضلال في فترة ادريس او نوح فبعث الله
النبيين فاختلفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم وانزل معهم الكتاب اي جنس الكتاب او مع كل واحد منهم
ممن له كتاب كتابه الخاص به لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم

وعموم النبيين لانبيائه في خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام بالحق حال من الكتاب اي متلبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله عز وعلا وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم اي الكتاب او الله سبحانه او كل واحد من النبيين بين الناس اي المذكورين ووضع المظهر موضع الاضمار لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه اي في الحق او في الكتاب المنزل ملتبسا به والواو حالية الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اي عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه المقام اي ما اختلفوا وما اختلف فيه الخ وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الا عنه كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلقت به اي اختلفوا بغيا وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه اي الحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما فيه ابهامه اولا وتفسيره ثانيا مما لا يخفى من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء عليهم السلام وقد بين فيه مآل اختلافهم وما لقي الانبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة والهمزة فيها للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبياء عليهم السلام ومن معهم من المؤمنين اي والحال انه لم ياتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر مستهم استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم البأساء اي الشدة من الخوف والفاقة والضراء اي الالام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اي انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤون الله تعالى واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بانواره متى نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعناء وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية كيف لا والرسل مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم ان الامر بلغ الغاية لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على تقدير القول اي فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزماني وفي ايثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتاكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لما انها في حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية تحقق الموعود للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكي وفيه رمز الى ان الوصول الى جناب القدس لا يتسنى الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون اي من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية واما موصولة حذف العائد اليها اي ما انفقتموه من خير اي خير كان ففيه تجويز الانفاق من جميع انواع الاموال وبيان لما في السؤال الا انه جعل من جملة ما في حيز الشرط او الصلة وابرز في معرض بيان المصرف حيث قيل فللوالدين والاقربين للايذان بان الاهم بيان المصارف المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمرو بن الجموح وهو شيخ هم له مال عظيم قال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت واليتامى اي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء بما ذكر في المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير واقع في اي مصرف كان فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة

لينتفع به كما نقل عن السدي كتب عليكم القتال بناء الفعل للمفعول ورفع القتال اي قتال الكفرة وقرئ ببنائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ كتب عليكم القتل اي قتل الكفرة والواو في قوله تعالى وهو كره لكم حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره مصدر وصف به المفعول او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التي من جملتها القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على ان في القتال خيرا لهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لها من الاعراب والله يعلم ما هو خير لكم فلذلك يامركم به وانتم لا تعلمون اي لا تعلمونه ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو شر لكم وانتم لا تعلمونه فلا تتبعوا في ذلك رايكم وامتثلوا بامره تعالى يسألونك عن الشهر الحرام روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويتبذر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار والمسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان قوله عز وجل قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم قتال مبتدا مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له اي قتال كائن فيه واما بالعمل ان تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان المراد مطلق القتال الواقع فيه اي قتال كان عن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدا وقد تخصصت بالعمل فيما بعده وما تلاه اي ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى وكفر به عطف على صد داخل في حيز الابتداء مثله اي وكفر بالله وحيث كان الصد عن سبيل الله فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن عطف قوله تعالى والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى الا انه ليس باجنبي محض وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف اي وصد المسجد الحرام واخراج اهله وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون منه اي من المسجد الحرام وهو عطف على كفر به اكبر عند الله خبر للاشياء المعدودة اي كبائر السائلين اكبر عند الله مما عنوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وافعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء اكبر من القتل اي افظع من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة في الدين حتى يردوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم لتذكير تاكد ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق ان استطاعوا اشارة الى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كانه قيل وانى لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه تحذير من الارتداد اي ومن يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب في الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد والجمع للنظر الى المعنى اي اولئك المصرون على الارتداد الى حين الموت حبطت اعمالهم الحسنة التي كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا لا تلافي له قطعا في الدنيا والآخرة بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية واولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح اصحاب النار اي ملازموها وملابسوها هم فيها خالدون كدأب سائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم

والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكأنهما
مستقلان في تحقيق الرجاء أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون بما لهم من مبادي الفوز رحمة الله
اي ثوابه اثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو على طريق التفضل
سبحانه لا لان في فوزهم اشتباها والله غفور مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده من خطأ رحيم يجزل لهم الاجر والثواب والاعتراض لتحقيق
لمضمون ما قبلها يسألونك عن الخمر والميسر تواردت في شأن الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم ان عمر رض ومعاذا ونفرا من الصحابة رض قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها
مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف رض ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم
فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم
دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار
فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رض اللهم بين لنا في الخمر بيانا
شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله تعالى فهل انتم منتهون فقال عمر رض انتهينا يا رب وعن علي رض لو وقعت قطرة منها
في بئر فبنيت في مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف فنبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رض لو ادخلت
اصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الايمان والتقى حقا رضوان الله عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اي ستره وسمي به من عصير العنب
ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كانها نفس الستر كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما والميسر
مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب
واما من اليسار لانه سلب له وصفته انه كانت لهم عشرة اقدح هي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس
والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل
ثمانية وعشرين الا لثلاثة هي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة
وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم
رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن
الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل
ويسمونه البرم وفي حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وهاتين
الكعبتين الموسومتين فانهما ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين
كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عن حكمهما وعما في تعاطيهما قل فيهما اثم كبير اي في تعاطيهما ذلك لما ان
الاول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال ومنافع للناس من كسب
الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ اثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان اثمهما ووصفه
بالكبر وتاخير ذكر منافعهما مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى واثمهما اكبر
من نفعهما اي المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ اقرب من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون
عطف على يسألونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة اي اي شيء ينفقونه قيل هو عمرو بن الجموح ايضا سأل اولا عن اي
جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس سأل ثانيا عن اي اصنافها ينفق امن خيارها
ام من غيرها او سأل عن مقدار ما ينفقه فقيل قل العفو بالنصب اي ينفقون العفو او انفقوا العفو وقرئ بالرفع
على ان ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون اي الذي ينفقونه العفو قال الواحدي اصل العفو في اللغة الزيادة
وقال القفال العفو ما سهل وتيسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدي وكانت الصحابة رض يكسبون المال
ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروي ان رجلا اتى النبي عم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها
مني صدقة فاعرض عنه فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا هاتها فاخذها فحذفها حذفا لو اصابته لشجته

ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه في الفضل وكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة
والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة متوافرا وحرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل والفريق او
لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي مثل ذلك البيان الواضح الذي هو عبارة
عما مضى في اجوبة الاسئلة المارة يبين الله لكم الآيات الدالة على الاحكام الشرعية المذكورة لا بيانا ادنى منه وقد
مر تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الآيات تنزيلها مبينة الفحوى واضحة المدلول لا انه تعالى
يبينها بعد ان كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون لكي تتفكروا فيها وتقفوا على
مقاصدها وتعملوا بما في تضاعيفها وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق بما يبين اي يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والآخرة
الآيات واما بمحذوف وقع حالا من الآيات اي يبينها لكم كائنة فيهما اي مبينة لاحوالكم المتعلقة بهما وانما قدم عليه التعليل
لمزيد الاعتناء بشأن التفكر واما بقوله تعالى تتفكرون اي تتفكرون في الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة في الاحكام
الواردة في اجوبة الاسئلة المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب
لمقام تعداد الاحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة فذلك حينئذ اشارة الى ما مر من البيانات
كلا او بعضا لا الى مصدر ما بعده فانه فعل مستقل ليس بعبارة عن تلك البيانات والمراد بالآيات غير ما ذكر والمعنى
مثل ذلك البيان الوارد في الاجوبة المذكورة يبين الله لكم الآيات والدلائل لعلكم تتفكرون في اموركم المتعلقة بالدنيا
والآخرة وتأخذون بما يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم حسبما يقتضيه تلك الآيات المبينة ويسألونك
عن اليتامى عطف على ما قبله من نظيره روي انه لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية تحامى الناس
عن مخالطة اليتامى وتعهد اموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي
التعرض لاحوالهم واموالهم على طريق الاصلاح خير من مجانبتهم اتقاء وان تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم
فاخوانكم اي فهم اخوانكم اي في الدين الذي هو اقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة ومواجبها المخالطة
بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح العلم بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد ومن
لتضمينه معنى التمييز اي يعلم من يفسد في امورهم عند المخالطة او من يقصد بمخالطته الخيانة والافساد مميزا له ممن يصلح
فيها او يقصد الاصلاح فيجازي كلا منهما بعمله ففيه وعد ووعيد خلا ان في تقديم المفسد مزيد تهديد وتأكيدا للوعيد
ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء ان يعنتكم اي يحملكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مخالطتهم
ان الله عزيز غالب على امره لا يعز عليه امر من الامور التي من جملتها اعناتكم وهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله عز وجل حكيم
اي فاعل لافعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها
ولا تنكحوا المشركات اي لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من الانكاح اي لا تزوجوهن من المسلمين حتى يؤمن والمراد بهن
اما ما يعم الكتابيات ايضا حسبما يقتضيه عموم التعليل الآتي لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون فالآية منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير
الكتابيات فهي ثابتة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا
من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت
هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت ولأمة مؤمنة تعليل
للنهي عن مواصلتهن وترغيب في مواصلة المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في افادة التأكيد مبالغة
في الحمل على الانزجار واصل امة امو حذفت لامها على غير قياس وعوض عنها تاء التأنيث ودليل كون لامها واوا رجوعها
في الجمع قال الكلابي اما الاماء فلا يدعونني ولدا اذا تداعى بنو الاموان بالعار وظهورها في المصدر يقال امت امة بينة
الاموة واقرت له بالاموة وقد وقعت مبتدأ لما فيها من لام الابتداء والوصف اي ولأمة مؤمنة مع ما بها من خساسة

الرق وقلة الخطر خير بحسب الدين والدنيا من مشركة اي امراة مشركة مع مالها من شرف الحرية ورفعة الشان
ولو اعجبتكم قد مر ان كلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها
جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه مع انصباب المعنى على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم
على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته
معه ثبوته مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك
لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال
المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كانه قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة في حيز النصب
على الحالية من مشركة اذ المآل والامة مؤمنة خير من امرة مشركة حال عدم اعجابها وحال اعجابها اياكم بجمالها ومالها
ونسبها وبغير ذلك من مبادي الاعجاب وموجبة الرغبة فيها اي على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد منافاة للخيرية تنبيها
على انها حيث تحققت معه فلان تتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق انها
عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان يكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها
تدبر ولا تنكحوا المشركين مادام فيه من الكفر ولعبد مؤمن مع ما به من ذل المملوكية خير من مشرك مع ما له من عز المالكية
ولو اعجبكم بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة الى ذاته وصفاته اولئك استيناف مقرر لمضمون التعليلين المارين اي
اولئك المذكورون من المشركات والمشركين يدعون من يقارنهم ويعاشرهم الى النار اي الى ما يؤدي اليها من الكفر والفسوق
فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم والله يدعو بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم الى الجنة والمغفرة اي
الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة على المغفرة مع ان حق التخلية ان تقدم على التحلية لرعاية
مقابلة النار ابتداء باذنه متعلق بيدعو اي يدعو ملتبسا بتوفيقه الذي من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنيهم الى الخير
ونصحهم اياهم فهم احقاء بالمواصلة ويبين آياته المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة للناس لعلهم يتذكرون
اي لكي يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران هذا وقيل معنى والله يدعو واولياء الله يدعون وهم
المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا وانت خبير بان الضمير في المعطوف على الخبر اعني قوله تعالى
ويبين لله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعو باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصلة لمن عمل بها اليهما وهذا
وان كان مستدعيا لاتحاد مرجع الضميرين الكائنين في الجملتين المتعاطفتين الواقعتين خبرا للمبتدا لكن يفوت حسن المقابلة
بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم ما اوضحناه اولا وايراد التذكر ههنا للاشعار بانه
واضح لا يحتاج الى التفكر كما في الاحكام السابقة ويسألونك عن المحيض عطف على ما تقدم من مثله ولعل حكاية
هذه الاسئلة الثلثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك في وقت
على حدة والمحيض مصدر من حاضت المراة كالمجيء والمبيت روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يواكلونهن كدأب
اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سأل عن ذلك ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فنزلت قل
هو اذى اي شيء يستقذر منه ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء في المحيض اي فاجتنبوا
مجامعتهن في حالة الحيض قيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد
شديد والثياب قليلة فان آثرناهن هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم
انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن
ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد بين الامرين ولا تقربوهن حتى يطهرن
تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهن لا عدم القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة
فان كان ذلك في اكثر المدة حل القربان كما انقطع والا فلا بد من الاغتسال او من مضي وقت صلوة وعند الشافعي ان يغتسل
بعد الانقطاع كما ينص عليه القراءة بالتشديد ويبنى عليه قوله عز وجل فاذا تطهرن فان التطهر هو الاغتسال فاتوهن من حيث

امركم الله من المأتي الذي حلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يبدو منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه
ومن سائر الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها
بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر نساؤكم حرث لكم اي مواضع حرث لكم شبهن
بها لما بين ما يلقى في ارحامهن وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه فاتوا حرثكم لما عبر
عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فاتوهن من حيث امركم الله انى شئتم اي من اي جهة شئتم
روي ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امراته في قبلها من دبرها ياتي ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وقدموا لانفسكم اي ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة واتقوا الله
بالاجتناب عن معاصيه التي من جملتها ما عد من الامور واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا لتحصيل ما تنتفعون به
واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون به وبشر المؤمنين الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بحسن القبول
والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من الامور التي تسر بها القلوب وتقر بها
العيون وفيه مع ما في تلوين الخطاب وجعل المبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا يخفى
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح
بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه في حديث الافك والعرضة فعلة
بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشيء فيصير حاجزا عنه كما يقال فلان عرضة للخير وعلى المعرض
للامر كما في قوله فلا تجعلوني عرضة للوائم فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله مانعا للامور الحسنة التي تحلفون
على تركها وعبر عنها بالايمان لملابستها بها كما في قوله عليه السلام لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت
غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله تعالى ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم
او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام في لايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة لما فيها من معنى
الاعتراض اي لا تجعلوا الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة اي برزخا حاجزا بان تحلفوا به تعالى على تركها او
لا تجعلوه تعالى عرضة اي شيئا يعترض الامور المذكورة ويحجزها بما ذكر من الحلف به تعالى على تركها وقد جوز ان يكون اللام
للتعليل ويتعلق ان تبروا الى آخرها بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها وانت خبير بانه يؤدي الى الفصل بين العامل
ومعموله باجنبي وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا الله معرضا لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من نزل فيه
ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا حينئذ علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل من التوسط
في اصلاح ذات البين والله سميع يسمع ايمانكم عليم يعلم نياتكم فحافظوا على ما كلفتموه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم
اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به في الايمان ما لا عقد معه ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان وهو المعني بقوله عز وجل ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعند نا هو ان يحلف
على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما
يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم
ظانا انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني
لا يلزمكم الكفارات بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان
فقط والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة
والجملة اعتراض مقرر لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الله وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة
اذ هي التي يتعلق بها المغفرة والحلم دونه للذين يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى واستعماله بمن
لتضمينه معنى البعد اي للذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك

لي منك كذا وقرئ آلوا من نسائهم وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر
فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه ان فاء اليها في المدة بالوطي
ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت
الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف اتساعا اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير
مطالبة بفيء او طلاق فان فاؤ اي رجعوا من اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان
احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم البث الا ريثما اتحول فان الله غفور رحيم يغفر للمولي بفيئته التي هي كتوبته اثم
حنثه عند تكفيره او ما قصد بالايلاء من ضرار المرأة وان عزموا الطلاق واجمعوا عليه فان الله سميع بما جرى
منهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة التي لا تخلو عنها الحال عادة عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار
وترك الفيئة ما لا يخفى والمطلقات اي ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان
عدة من لا تحيض لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرآن او شهران يتربصن خبر في معنى الامر
للتأكيد باشعاره بان المأمور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكأنهن امتثلن بالامر بالتربص فخبر عنه موجودا
محققا وبناؤه على المبتدأ مفيد لزيادة تأكيد بأنفسهن الباء للتعدية اي يقمعنها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل تتربص بها
وفيه مزيد حث لهن على ذلك لما فيه من الاباء عن الاتصاف بما يستنكف منه من كون نفوسهن طوامح الى الرجال فيحملهن
ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به ثلاثة قروء نصب على الظرفية او المفعولية بتقدير مضاف اي يتربصن مدة ثلاثة
قروء او يتربصن مضي ثلاثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض لقوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق
الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر ولان المقصود
الاصلي من العدة استبراء الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه
مستقبلات لعدتهن وهي الحيض الثلث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان الآخر
شايع ذائع وقرئ ثلاثة قرو بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد استعجالا في العدة وابطالا
لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر جواب لشرط محذوف يدل عليه
ما قبله دلالة واضحة اي فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله واليوم الآخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا
وبعولتهن البعولة جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك والتاء لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة او مصدر بتقدير مضاف اي
اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة فالضمير لبعض افراد المطلقات احق بردهن
الى النكاح بالرجعة اليهن في ذلك اي في زمان التربص وصيغة التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمرأة تاباها وجب
ايثار قوله على قولها لا ان لها ايضا حقا في الرجعة ان ارادوا اي الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن
ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح لصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الضرار ولهن عليهم
من الحقوق مثل الذي لهم عليهن بالمعروف من الحقوق التي يجب مراعاتها ويتحتم المحافظة عليها وللرجال عليهن درجة
اي زيادة في الحق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او مزية في الفضل لانهم قوامون
عليهن حراس لهن ولما في ايديهن يشاركونهن فيما هو الغرض من الزواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والانفاق والله
عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه حكيم ينطوي شرائعه على الحكم والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام
بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق لا تربص بعده ولما روي انه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال او تسريح
باحسان وهو مبتدأ بتقدير مضاف خبره ما بعده اي عدد الطلاق الذي يستحق الزوج فيه الرجعة حسبما بين آنفا مرتان
اي اثنتان وايثار ما ورد به النظم الكريم عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد
ثابتا حينئذ ايضا فامساك اي فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف اي بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح
باحسان بالطلقة الثالثة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم او بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد به

الطلاق الشرعي وبالمرتين مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة والمعنى
ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين اما الثالث فان ذلك بدعة عندنا
فقوله تعالى فامساك الخ حكم مبتدأ وتخيير مستأنف والفاء فيه للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق
فاختاروا احد الامرين ولا يحل لكم ان تأخذوا منهن بمقابلة الطلاق مما آتيتموهن اي من الصدقات وتخصيصها بالذكر
وان شاركها في الحكم سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان يأخذوا مما آتوهن بمقابلة
البضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان يأخذوا مما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى شيئا اي نزرا يسيرا فضلا
عن الكثير وتقديم الظرف لما مر مرارا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند المرافعة
وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان
وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن ان لا يقيما حدود الله اي ان لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ
يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام
ان لا يقيما اي الزوجان حدود الله بمشاهدة بعض الامارات والمخائل فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت
به لا على الزوج في اخذ ما افتدت به ولا عليها في اعطائه اياه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض
زوجها ثابت بن قيس فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله
ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة
فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها تلك اي
الاحكام المذكورة حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك والجمع المعتدون
باعتبار معنى الموصول هم الظالمون اي لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل في المواقع
الثلاثة الاخيرة موقع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد فان طلقها
بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل له من بعد اي من بعد هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره اي حتى تتزوج غيره
فان النكاح ايضا يسند الى كل منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة بما روي ان امرأة
رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه
مثل هدبة الثوب فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا الا ان تذوقي
عسيلته ويذوق عسيلتك وبمثله يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطي والعقد مستفاد من لفظ
الزوج والحكمة من هذا التشريع الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط
التحليل مكروه عندنا ويروى عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد عند الاكثرين لقوله صلى الله عليه
لعن الله المحلل والمحلل له فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما اي على الزوج الاول والمرأة ان يتراجعا
ان يرجع كل منهما الى الآخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله التي اوجب مراعاتها على الزوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير
الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان ان الناصبة لتوقع المنافي للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم زيد
وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا حدود الله اي احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة يبينها
بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما سيأتي بناء على ان بعضها يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر
ثان عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال من حدود الله والعامل معنى الاشارة لقوم يعلمون
اي يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان او لان ما سيلحق بعض النصوص من البيان
لا يقف عليه الا الراسخون في العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن فان الاجل كما يطلق على المدة
يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد هنا بقوله عز وجل فامسكوهن
بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ الاجل اي فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى

ينقضي اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة للحكم في بعض صوره اعتناء بشانه ومبالغة في ايجاب
المحافظة عليه ولا تمسكوهن ضرارا تاكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه
اي لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة
فيها بل ليطول عليها العدة فنهي عنه بعد ما امر بضده لما ذكر وضرارا نصب على العلية والحالية اي لا تمسكوهن للمضارة
او مضارين واللام في قوله لتعتدوا متعلقة بضرارا اي لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اي ما ذكر
من الامساك المؤدي الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته في الشر والفساد فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمه
لهن بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهي داخلة فيها دخولا
اوليا هزوا اي مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا في المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام والحدود من قولهم لمن
لم يجد في الامر انت هازئ كانه نهي عن الهزء بها واريد ما يستلزمه من الامر بضده اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها
وارعوها حق رعايتها والا فقد اخذتموها هزوا ولعبا ويجوز ان يراد به النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة
بلا رغبة فيها عمل بموجب آيات الله بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزء وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ثم يقول
انما كنت العب فنزلت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق
واذكروا نعمة الله عليكم حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية اي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها
والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله اي كائنة عليكم او صفة لها على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته
اي الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا يقدح في عمله
تاء التانيث لانه مبني عليها كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كالموارد وما انزل عليكم
عطف على نعمة الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن في قوله عز وجل من الكتاب والحكمة بيانية اي من القرآن
والسنة والقرآن الجامع للعنوانين على ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وفي ابهامه اولا
ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى وفي افراده بالذكر مع كونه اول ما دخل في النعمة المامور بذكرها اظهار لخطره ومبالغة في البعث
على مراعاة ما ذكر ما قبله من الاحكام يعظكم به اي بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا واتقوا الله
في شان المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله بكل شيء عليم فلا يخفى عليه شيء مما تأتون وما تذرون
فيؤاخذكم بافانين العقاب واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ
الاجل حقيقة بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة
اذا نشب بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب للاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلا ان ترجع
الى زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه
تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التزوج بالزوج الاول قبله ايضا لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس
فيه دلالة على ان ليس للمرأة ان تزوج نفسها والا لما احتيج الى نهي الاولياء عن العضل لما ان النهي لدفع الضرر عنهن فانهن
وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون
مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع
شائع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة الازواج
او من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره
عن الكل في استتباع اللائمة وسراية الغائلة ان ينكحن اي من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل
على اجراء ان مع المشهور وقيل هو بدل اشتمال من الضمير المنصوب في تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن
ازواجهن ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا فباعتبار الاخير
اذا تراضوا ظرف لان لا تعضلوا وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز

المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى بينهم ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه بالمعروف
الجميل عند الشرع المستحسن عند الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف
اي تراضيا كائنا بالمعروف واما بتراضوا اي تراضوا بما يحسن في الدين والمروءة وفيه اشعار بان المنع من التزويج بغير
كفو او بما دون مهر المثل ليس من باب العضل ذلك اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه
والخطاب لجميع المكلفين كما فيما بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم واما بتأويل القبيل والفريق واما لان الكاف
لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء
للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر
الامتثال باوامره ونواهيه ... منكم متعلق بكان
وتيسيرها واما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن اي كائنا منكم ذلكم اي الاتعاظ به والعمل بمقتضاه ازكى لكم اي انمى
وانفع واطهر من ادناس الآثام واوضار الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك او والله
يعلم ما فيه صلاح اموركم من الاحكام والشرائع التي من جملتها ما بينه ههنا وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم وامتثلوا بامره
ونهيه في كل ما تأتون وما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن شروع في بيان الاحكام المتعلقة بالاولاد
واعتبر كما هو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيق مضمونه ومعناه الندب او الوجوب ان خص بما اذا لم يرتضع الصبي
ثدي الغير او فقدان الظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهز عطفهن نحو الاولاد والحكم
عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين التأكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير تحقيقي
لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن يتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام
الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام
ترضع له كما يقال ارضعت فلانة لفلان ولده وعلى المولود له اي الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة
للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤنة المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار
الام وهو غير جائز عندنا ما دامت في النكاح او العدة جائز عند الشافعي بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه
لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او تفسير للمعروف وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد
ما لا يطيقه وذلك لا ينافي امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما قبله وتقريب له اي لا يكلف
كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القراءتين
لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته
اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف
وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه وللتنبيه على انه جدير بان يتفقا
على استصلاحه ولا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله تعالى وعلى المولود له
رزقهن الخ وما بينهما تعليل او تفسير معترض والمراد به وارث الصبي ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصباته وقال
الشافعي هو وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبي
مال وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق
والكسوة فان ارادا اي الوالدان فصالا اي فطاما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير معتاد
عن تراض متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي صادرا عن تراض منهما اي من الوالدين لا من احدهما فقط لاحتمال اقدامه
على ما يضر بالولد بان تمل المرأة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة وتشاور في شان الولد وتفحص عن احواله واجماع منهما
على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهي استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته وتنكيرهما للتفخيم فلا جناح
عليهما في ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار رأيهما واجتهادهما على ان صلاح الولد في الفطام وقلما يتفقان

علي نية الوقف

على الخطاء وإن أردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام إلى الخطاب للآباء لترقيهم إلى الامتثال بما أمروا به أن تسترضعوا
أولادكم بحذف المفعول الأول استغناء عنه أي أن تسترضعوا المراضع أولادكم يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها إياه
وقيل إنما يتعدى إلى الثاني بحرف الجر يقال استرضعت المرأة للصبي أي أن تسترضعوا المراضع لأولادكم فحذف حرف الجر أيضا
كما في قوله تعالى وإذا كالوهم أي كالوا لهم فلا جناح عليكم أي في الاسترضاع وفيه دلالة على أن للأب أن يسترضع الولد ويمنع
الأم من الإرضاع إذا سلمتم أي إلى المراضع ما آتيتم أي ما أردتم إيتاءه كما في قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
وقرئ ما أتيتم من أتى إليه إحسانا إذا فعله وقرئ ما أوتيتم أي من جهة الله عز وجل كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم إلى التسليم بالمعروف متعلق بسلمتم أي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط
محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب إلى ما هو الأليق والأولى فإن المراضع إذا أعطين
ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك أدخل في استصلاح شؤون الأطفال واتقوا الله في شأن مراعاة الأحكام المذكورة
واعلموا أن الله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد
والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف أي وأزواج الذين يتوفون منكم أي يقبض أرواحهم بالموت فإن التوفي
هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته منه أي أخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين ويذرون
أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا أو على حذف العائد إلى المبتدأ في الخبر أي يتربصن بعدهم كما في قولهم
السمن منوان بدرهم أي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء أي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لأنها غرر
الشهور والأيام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير في مثله أصلا حتى إنهم يقولون صمت عشرا ومن البين في ذلك
قوله تعالى إن لبثتم إلا عشرا ثم إن لبثتم إلا يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير أن الجنين إذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة أشهر
وإن كانت أنثى يتحرك لأربعة فاعتبر أقصى الأجلين وزيد عليه العشر استظهارا إذ ربما يضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ
يقتضي تساوي المسلمة والكتابية والحرة والأمة في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الأمة وقوله تعالى وأولات الأحمال
خص الحامل منه وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم أنها تعتد بأبعد الأجلين احتياطا فإذا بلغن أجلهن أي انقضت عدتهن فلا جناح
عليكم أي أيها الحكام والمسلمون جميعا فيما فعلن في أنفسهن من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة
بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه إشارة إلى أنهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم أن يكفوهن عن ذلك
وإلا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فلا تعملوا خلاف ما أمرتم به ولا جناح عليكم خطاب للكل فيما عرضتم به
التعريض والتلويح إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لأسلم عليك وأصله إمالة
الكلام عن نهجه إلى عرض منه أي جانب والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد
للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف
بالقول والفعل فقيل هي مأخوذة من الخطب أي الشأن الذي له خطر لما أنها شأن من الشؤون ونوع من الخطوب وقيل
من الخطاب لأنها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض بخطبتهن
أن يقول لها إنك لجميلة أو صالحة أو نافعة ومن غرضي أن أتزوج ونحو ذلك مما يوهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها
عليه إن رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح أو أكننتم في أنفسكم أي أضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا
علم الله أنكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن إظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت
ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن أي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن
نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لأن مسببه الذي هو الوطء مما يسر به وإيثاره على
اسمه للإيذان بأنه مما ينبغي أن يسر به ويكتم وحمله على الوطء ربما يوهم الرخصة في المحظور الذي هو التصريح بالنكاح
وقيل انتصاب سرا على الظرفية أي لا تواعدوهن في السر على أن المراد بذلك المواعدة بما يستهجن وفيه ما فيه
إلا أن تقولوا قولا معروفا استثناء مفرغ مما يدل عليه النهي أي لا تواعدوهن مواعدة ما إلا مواعدة معروفة

غير منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح أو إلا مواعدة بقول معروف ولا تواعدوهن بشيء من الأشياء
إلا بأن تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لأدائه إلى جعل التعريض موعودا وليس كذلك
ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الأمر إذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام
لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح أي
لا تعزموا عقد عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله أي العدة المكتوبة المفروضة آخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة
النكاح أي لا تبرموها ولا تلزموها ولا تقدموا عليها فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده واعلموا أن الله يعلم
ما في أنفسكم من ذوات الصدور التي من جملتها العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه بالاجتناب عن العزم ابتداء أو إقلاعا
عنه بعد تحققه واعلموا أن الله غفور يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا
بتأخيرها على أن ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لإدخال الروعة
لا جناح عليكم أي لا تبعة من مهر وهو الأظهر وقيل من وزر إذ لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي عليه السلام
يكثر النهي عن الطلاق فظن أن فيه جناحا فنفى ذلك إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن
بضم التاء في جميع المواقع أي مدة عدم مسيسكم إياهن على أن ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل أبو البقاء أنها
شرطية بمعنى إن فيكون من باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثاني قيدا للأول كما في قولك إن تأتني إن تحسن إلي أكرمك
أي إن تأتني محسنا إلي والمعنى إن طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى أقعد من الأول لما أن ما الظرفية إنما يحسن
موقعها فيما إذا كان المظروف أمرا ممتدا منطبقا على ما أضيف إليها من المدة أو الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها
ما دامت السموات والأرض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى أن التطليق ليس كذلك وتعليق
الظرف بنفي الجناح ربما يوهم إمكان المسيس بعد الطلاق فالوجه أن يقدر الحال مكان الزمان والمدة أو تفرضوا
لهن فريضة أي إلا أن تفرضوا لهن أو حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرا على أن فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل
اللفظ من الوصفية إلى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز أن يكون مصدرا صيغة وإعرابا والمعنى أنه لا تبعة
على المطلقة بمطالبة أصلا إذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال إلا في حال التسمية المهر فإن عليه حينئذ نصف المسمى
وفي حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مهر المثل وأما إذا كان بعد المساس فعليه في صورة التسمية تمام المسمى
وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة أو عاطفة لمدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم
مسيس ولا فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في إيجاب المتعة
جبر إيحاش الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع قدره وعلى
المقتر قدره أي ما يليق بكل منهما وقرئ بسكون الدال وهي جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مبينة
لمقدار المتعة بالنظر إلى حال المطلق إيسارا وإقتارا أو حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط أي على الموسع
منكم إلخ أو على جعل الألف واللام عوضا من المضاف إليه عند من يجوزه أي على موسعكم إلخ وهذا إذا لم يكن مهر مثلها
أقل من ذلك فإن كان أقل فلها الأقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم متاعا أي
تمتيعا بالمعروف أي بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا أو مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا
على المحسنين أي الذين يحسنون إلى أنفسهم بالمسارعة إلى الامتثال أو إلى المطلقات بالتمتيع بالمعروف وإنما
سموا محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن قبل ذلك
فريضة أي وإن طلقتموهن قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق أي عند النكاح مهرا على أن الجملة حال من فاعل
طلقتموهن ويجوز أن يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة إليهما وتقرر الفرض من المبني للفاعل أو للمفعول وإن لم يكن
حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذا الحال في اتصاف المطلقة بكونها
مفروضا لها فيما سبق فنصف ما فرضتم أي فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر أو فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في أن

المنفي في الصورة السابقة اتماما وتبعة المهر وقرئ بالنصب اي فادوا نصف ما فرضتم ولعل تاخير حكم التسمية مع
انها الاصل في العقد والاكثر في الوقوع لما ان الاية الكريمة نزلت في انصاري تزوج امراة من بني حنيفة وكانت مفوضة
فطلقها قبل الدخول بها فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام عند اظهار ان لا شيء له متعها
بقلنسوتك الا ان يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف المفروض معينا في كل حال الا حال عفوهن فانه
يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه ونظام الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتانيث وانما الفرق في الاعتبار والتحقيق فان الواو في الاول
ضمير والنون علامة الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان وتاثيره فيما عطف على محله
من قوله تعالى او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو الذي بيده عقدة النكاح اي يترك الزوج المالك لعقده وحله
ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمي ذلك
عفوا في صورة عدم السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه فمرجع الاستثناء حينئذ الى منع الزيادة في المستثنى
منه كما انه في الصورة الاولى الى منع النقصان فيه اي فلهن هذا القدر بلا نقصان ولا زيادة في جميع الاحوال الا في حال
عفوهن فانه حينئذ لا يكون لهن القدر المذكور بل ينتفي ذلك وينحط او في حال عفو الزوج فانه حينئذ يكون لهن الزيادة على ذلك القدر
هذا على التفسير الاول واما على التفسير الثاني فلا بد من المصير الى جعل الاستثناء منقطعا لان في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب
عليه هذا عندنا وفي القول القديم للشافعي ان المراد عفو الولي الذي بيده عقدة نكاح الصغيرة وهو ظاهر المأخذ الا ان
الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى الى آخره فان اسقاط حق الصغيرة ليس في شيء من التقوى وعن جبير بن مطعم
انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم
اي لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب
ان الله بما تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اي داوموا على ادائها
لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المنبئة عن المبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف بيان احكام
الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشانها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشانهم بل نسيانهم
النسيان ايضا كما ينبئ عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة
الآخذ بعضها بحجزة بعض والصلوة الوسطى اي المتوسطة بينها او الفضلى منها وهي صلوة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم
يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال صلى الله عليه وسلم انها الصلوة التي شغل
عنها سليمان بن داود عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل
وملائكة النهار وقيل هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم لما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها وقيل هي صلوة الفجر
لانها بين صلوتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة العصر وقيل صلوة المغرب لانها
متوسطة من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلوتي النهار والليل ووتر النهار ولا تنقص في السفر وقيل هي
صلوة العشاء لانها بين الجهريتين الواقعتين في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم انه عليه السلام قرأ
والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون ح احدى الاربع قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل و
قرئ وعلى الصلوة الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوصطى وقوموا لله اي في الصلوة قانتين
ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشيء من اركانها
وقيل خاشعين وقال ابن المسيب رحمه الله المراد به القنوت في الصبح فان خفتم اي من عدو او من غيره فرجالا جمع راجل
كقيام جمع قائم او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا اي فرجلا
او ركبانا جمع راكب اي فصلوا راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف في الجملة
وقد جوز الشافعي اداءها حال المسايفة ايضا فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اي فصلوا صلوة الامن

عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر محذوف اي ذكرا كائنا كما علمكم
اي كتعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه ان يكون الصلوة المؤداة موافقة لما
علمه الله تعالى وايراده بذلك العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله تعالى شكرا يوازي تعليمه اياكم ما لم تكونوا
تعلمونه من الشرائع والاحكام التي من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتي الخوف والامن هذا وفي ايراد الشرطية
الاولى بكلمة ان المنبئة عن مشكوكية وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع
وكثرته مع الايجاز في جواب الاولى والاطناب في جواب الثانية المبنيين على تنزيل مقام وقوع المأمور به فيهما منزلة
مقام وقوع الامر تربية مستدعية لاجراء مقتضى المقام الثاني من الجلالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولي الابصار والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام توسطت بينها لما أشير
اليه من الحكمة الداعية الى ذلك وصية لازواجهم اي يوصون او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيده قراءة
من قرأ كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدأ او الخبر اي حكم الذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا وصية لازواج او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية او عليهم
وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل وصية متاعا الى الحول منصوب بيوصون ان اضمر والا فبالوصية او
بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كما في قولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم
اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالنفقة
والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما في التلاوة
متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي هي باقية فان خرجن
عن منزل الازواج باختيارهن فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من معروف لا ينكره الشرع
كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة
مسكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة مع اخذ النفقة وبين الخروج
مع تركها والله عزيز غالب على امره يعاقب من خالفه حكيم يراعي في احكامه مصالح عباده وللمطلقات
سواء كن مدخولا بهن او لا متاع اي مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة وبه قال سعيد بن جبير وابو العالية
والزهري وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة [illegible] بالمعروف
شرعا وعادة حقا على المتقين [illegible] كذلك اي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم آياته [illegible]
التي شرعها لعباده لعلكم تعقلون [illegible] الم تر [illegible]
[illegible]
الى الذين خرجوا من ديارهم [illegible]
وهم الوف [illegible]
حذر الموت [illegible]
[illegible]

الى الجهاد فهربوا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال لهم الله موتوا اما عبارة عن تعلق
ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب وقت وادناه واسرع زمان واوحاه
بامر آمر مطاع الى مأمور مطيع كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم احياهم عطف اما على مقدر يستدعيه
المقام اي فماتوا ثم احياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته واما على قال
لما انه عبارة عن الاماتة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد
ولم ينفع منه المفر فاولى ان يكون في سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل عظيم على الناس قاطبة اما اولئك فقد
احياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار
ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار
واظهار الناس في مقام الاضمار لمزيد التشنيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر يعينه ما قبله كانه
قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر لا مرد
له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله عز وجل والا فنصر عزيز وثواب واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة
السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه في انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا وشرا فسارعوا الى الامتثال والخروج الى الله
والمساهلة من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة او بدل منه واقراض
الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد هنا اما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال
في سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا قرضا حسنا اي اقراضا مقرونا
بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه
في معنى أيقرضه وقرئ بالرفع اي فهو يضاعف اجره وجزاءه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية
والمسببية ظاهرا وصيغة المغالبة للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على انه
حال من الضمير المنصوب او مفعول ثان بتضمين المضاعفة معنى التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف اسم للمصدر والجمع للتنويع
كثيرة لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض ويبسط اي يقتر على بعض ويوسع على بعض
او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم
ولعل تأخير البسط عن القبض في الذكر للايماء الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبصط بالصاد لمجاورة الطاء
واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال خيرا او شرا الم تر تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه للايذان باستقلاله
في التعجيب مع ان له مزيد ارتباط بما توسط بينهما من الامر بالقتال الى الملأ من بني اسرائيل الملأ من القوم وجوههم واشرافهم
وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لانهم يملؤون العيون مهابة والمجالس بهاء او لانهم مليئون
بما يبتغى منهم ومن تبعيضية ومن في قوله تعالى من بعد موسى ابتدائية وعاملهما مقدر وقع حالا من الملأ اي كائنين بعض بني
اسرائيل من بعد وفاة موسى عليه السلام ولا ضير في اتحاد الحرفين لفظا عند اختلافهما معنى اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه
المقام اي الم تر الى قصة الملأ او حديثهم حين قالوا لنبي لهم هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عم وقيل شمعون بن صفية
بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام وقيل اشمويل بن بالي بن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل قال مقاتل هو من نسل
هرون عليه السلام قال مجاهد هو شمويل بن هلقانا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اي انهض للقتال معنا اميرا
نصدر في تدبير امر الحرب عن رأيه وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف مبني
على السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب للامر والوصف لملكا قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق
اليه الذهن كانه قيل فماذا قال لهم النبي حينئذ فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره
بالشرط للاعتناء به اي هل قاربتم ان لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانما لم يذكر في معرض الشرط ما
التمسوه بان قيل هل عسيتم ان بعثت لكم ملكا الخ مع انه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة في بيان

تخلفهم عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلأن لا يقاتلوا عند عدم فرضيته اولى
ولان ايراد ما ذكروه ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين
وهي ضعيفة قالوا استئناف كما سبق وما لنا الا نقاتل في سبيل الله اي اي سبب لنا في ان لا نقاتل في سبيل الله وقد
اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار
والاوطان والاغتراب عن الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت رأس
العمالقة وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر
وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين
نفسا وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي عليه السلام ذلك
وبعث الملك تولوا اي اعرضوا وتخلفوا لكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجيء
تفصيله وانما ذكر هنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التباين والتنافي الا قليلا منهم وهم الذين
اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي
عن القتال وترك الجهاد وتنافي اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عليه السلام
وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم اي قال لهم بعدما اوحي اليه ما اوحي ان الله قد بعث لكم
طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه منع صرفه وملكا حال منه روي انه عليه السلام لما دعا
ربه ان يجعل لهم ملكا اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا استئناف كما مر انى يكون له الملك
علينا اي من اين يكون او كيف يكون ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى حالية والثانية عاطفة
جامعة للجملتين في الحكم اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال
وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط بني اسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام
وسبط المملكة بسبط يهوذا ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين
قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقاء قال ان الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم
اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم
ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب
لا ما ذكرتم وقد خصه الله منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وجل وزاده بسطة في العلم والجسم اي العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات
ايضا وقيل قد اوحي اليه ونبئ والجسم قيل طول القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان
يمد يده فينال رأسه وقيل الجمال وقيل القوة والله يؤتي ملكه من يشاء لانه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد
فله ان يؤتيه من يشاء من عباده والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق به واظهار الاسم
الجليل لتربية المهابة وقال لهم نبيهم توسيطه فيما بين قوليه المحكيين عنه عليه السلام للاشعار بعدم اتصال احدهما
بالآخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستتبع للاحق كأنهم طلبوا منه عليه السلام آية تدل على انه تعالى
اصطفى طالوت وملكه عليهم روي انهم قالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت اي الصندوق وهو
فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كالملكوت والرهبوت
والمشهور ان يوقف على تائه من غير ان تقلب هاء ومنهم من يقلبها اياها والمراد به صندوق التوراة وكان قد رفعه الله
عز وجل بعد وفاة موسى عليه السلام سخطا على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك
طالوت قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف والقوم ينظرون
اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه
تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فكان عند آدم عليه السلام

الى ان توفي فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقي في ايدي بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان عليه السلام يضع فيه التورية وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس بني اسرائيل وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير وهلكت من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران يسيرا وقد وكل الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فيه سكينة من ربكم اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو التورية المودعة فيه بناء على ما مر من ان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهر وذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل تحمله الملائكة حال من التابوت اي ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شأن التابوت فهو من تمام كلام النبي عليه السلام لقومه او الى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على التقديرين بتأويل الفريق او غيره كما سلف لآية عظيمة لكم دالة على ملك طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن بيت المقدس واصل فصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وتجوز كون فصل برأسه ممتازا من المتعدي بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا كصد صدودا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من طالوت اي ملتبسا بهم ومصاحبا لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا فبعد ما ظهر له ما تعلقت به مشيئته تعالى من جهة النبي عليه السلام او بطريق الوحي عند من يقول بنبوته قال ان الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن شرب منه اي ابتدأ شربه من النهر بان كرع لانه الشرب منه حقيقة فليس مني اي من جملتي واشياع المؤمنين وقيل ليس بمتحد بي ومتحقق من قولهم فلان مني كأنه بعضه لكمال اختلاطهما ومن لم يطعمه اي لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اي نوما فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني وانما اخر من الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة ما يغرف وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف او بمحذوف وقع صفة لغرفة اي غرفة كائنة بيده روي ان الغرفة كانت تكفي الرجل

لشربه واداوته ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش فشربوا منه عطف على مقدر يقتضيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه الا قليلا منهم وهم المشار اليهم فيما سلف بالاستثناء من التولي وقرئ الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى واعراضا عن نظم اللفظ جانبا فان قوله تعالى فشربوا منه في قوة ان يقال لم يطيعوه فحق المستثنى ان يرد مرفوعا كما في قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف فان قوله لم يدع في حكم لم يبق فلما جاوزه اي النهر هو اي طالوت والذين آمنوا معه عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا عن الموصول كأنه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل من الايمان قالوا اي بعض من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكي السلاح قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال مخاطبهم فقيل قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله قيل اي المخلصون منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وانما عبر بذلك الوصف لانبائه في ايمان الباقين فان درجات المؤمنين في التيقن والتوقع متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمتخلفين عنهم كأنهم قالوه اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما كم من فئة اي فرقة وجماعة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثاني فلة قليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية كانت او استفهامية مفيدة للتكثير وهي في حيز الرفع بالابتداء خبرها غلبت اي كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة باذن الله اي بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده وقد روعي في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل اطاقت فئة بفئة كثيرة حسبما وقع في كلام اصحابهم مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد فان العلم به ربما يورث اليأس من الغلبة ولا لتوقع ثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان يكون مدار الحكم الوارد على الموصول لا اقل من ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى لقاء نصره وتأييده عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنة نصره تعالى بمقارنته سبحانه حيث قيل والله مع الصابرين فان المراد به معية نصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاثابة كما فعل يأباه انهم انما قالوه تشجيعا لجوابهم وتأييدا له بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا وتثبيتا لهم على الصبر المؤدي الى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة الله تعالى تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبي او من جهة التابوت والسكينة انهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده وايراد خبر ان اسما مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه ولما برزوا اي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض في موطن الحرب لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعدد وايقنوا انهم غير مطيقين بهم عادة قالوا اي جميعا عند تقوي قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثاني متضرعين الى الله تعالى مستعينين به ربنا افرغ علينا صبرا على مقاساة شدائد الحرب واقتحام موارده الصعبة الضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال وايثار الافراغ المعرب عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى وثبت اقدامنا في مداحض القتال ومزال النزال وتثبيت القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر في حيز واحد وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين في موضع الضمير العائد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال افراغ

الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سؤال التثبيت للاقدام المتفرع عليه ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى فهزموهم
اى كسروهم بادى مكث باذن الله بنصره وتأييده اجابة لدعائهم وايثار هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل
فآتاهم الله ثواب الدنيا الخ للمحافظة على مضمون قولهم غلبت فئة كثيرة باذن الله وقتل داود جالوت
كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت معه ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى
الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار وقال له كل منها انك
بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته قيل لما ابطأ على ابيه خبر اخوته في المصاف ارسل داود اليهم ليأتيه بخبرهم
فاتاهم وهم في القراع وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد يبارزه احد وكان ظله ميلا فقال داود لاخوته
اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فنحا ناحية اخرى ليس فيها اخوته وقد مر به طالوت وهو يحرض الناس
على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه بنتي واعطيه شطر مملكتي
فبرز له داود فرماه بما معه من الاحجار بالمقلاع فاصابه في صدره فنفذت الاحجار منه وقتلت بعده ناسا كثيرا
وقيل انما كلمته الاحجار عند بروز جالوت في المعركة فانجز له طالوت ما وعده وقيل انه حسده واخرجه من
مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب بطلبه الى ان قتل وملك داود عليه السلام واعطى النبوة وذلك قوله
عز وجل وآتاه الله الملك اى ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها والحكمة اى النبوة ولم يجتمع
في بني اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر وما اجتمعوا قبله على ملك قط
وعلمه مما يشاء اى مما يشاء الله تعالى تعليمه اياه لا مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لان معظم ما علمه تعالى
اياه مما لا يكاد يخطر ببال احد ولا يقع في امنية بشر ليتمكن من طلبه ومشيئته كالسرد بالانة الحديد ومنطق الطيور والدواب
ونحو ذلك من الامور الخفية ولولا دفع الله الناس بعضهم الذين يباشرون الشر والفساد ببعض آخر منهم يردهم عما هم عليه
بما قدر الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية او غيره وقرئ دفاع الله على ان صيغة المغالبة للمبالغة لفسدت الارض
وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض ويصلحها وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين
على الكفار لفسدت الارض بعيثهم وقتل المسلمين او لولا يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض
قاطبة ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقادر قدره على العالمين كافة وهذا اشارة الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض
المقدم منتج لنقيض التالي خلا انه قد وضع موضعه ما يستتبعه ويستوجبه اعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا
بانه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير ان يجب عليه ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كانه
قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا يفسد الارض وينتظم به مصالح العالم وينصلح احوال الامم تلك اشارة
الى ما سلف من حديث الالوف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه
آيات الله المنزلة من عنده تعالى والجملة مستأنفة وقوله تعالى نتلوها عليك اى بواسطة جبريل عليه السلام اما حال من الآيات
والعامل معنى الاشارة واما جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب بالحق في حيز النصب على انه حال من مفعول نتلوها
اى ملتبسة باليقين الذي لا يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ بما يجدونها موافقة لما في كتبهم او من
فاعله اى نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اى ملتبسا بالحق والصدق وانك
لمن المرسلين اى من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالات الله واجراء اوامره واحكامه عليهم فان تعرفك لها
لا تجري بيننا وبين غيرهم فهي شهادة منه سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يستوجبها والتأكيد
من مقتضيات مقام الجاحدين تلك الرسل استئناف فيه رمز الى انه صلى الله عليه وسلم من افاضل الرسل
العظام عليهم الصلاة والسلام اثر بيان كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبي صلى الله
عليه وسلم واللام في الكل للاستغراق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل
الى الذين ثبت علمه عليه السلام بهم فضلنا بعضهم على بعض في مراتب الكمال بان خصصناه بمآثر جمة تقتضيه

عما اثر جليلة خلا عنه غيره منهم من كلم الله تفصيل للتفضيل المذكور اجمالا اى فضله بان كلمه تعالى بغير سفير وهو
موسى عليه السلام حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة وفي الطور وقرئ كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله من المكالمة فانه كلم الله
تعالى كما انه تعالى كلمه ونؤيده كليم الله بمعنى مكالمه واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الى ما بين
التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت ورفع
بعضهم درجات اى ومنهم من رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير
الاسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار
بكونه منهم فان ذلك في قوة بعضهم فانه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة
بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه وللاشعار بانه العلم الفرد الغني عن التعيين
وقيل انه ابراهيم عليه السلام حيث خصه تعالى بكرامة الخلة وقيل ادريس عليه السلام حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولو العزم
من الرسل عليهم السلام وآتينا عيسى ابن مريم البينات الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
والاخبار بالمغيبات والانجيل وايدناه اى قويناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اى بالروح المقدسة كقولك رجل صدق
وهي روح عيسى وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل
بالانجيل كما مر وافراده عليه السلام بما ذكر لرد ما بين اهل الكتابين في شأنه عليه السلام من التفريط والافراط والآية ناطقة
بان الانبياء عليهم السلام متفاوتة الاقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع ولو شاء الله ما اقتتل الذين
من بعدهم اى جاؤا من بعد الرسل من الامم المختلفة اى لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع
الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره لو شاء هدى
الناس جميعا ما اقتتل الخ وليس بذاك من بعد ما جاءتهم من جهة اولئك الرسل البينات المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة
الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سنتهم المؤدي الى الاقتتال ومن متعلقة باقتتل ولكن
اختلفوا استدراك من الشرطية اشير به الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها الا انه قد
وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان بان الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء
كانه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا فمنهم من آمن اى بما جاءت به اولئك الرسل
من البينات وعملوا به ومنهم من كفر بذلك كفرا لا ارعواء له عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم
فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم ولو شاء الله عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف والشقاق
المستتبعين للاقتتال بحسب العادة ما اقتتلوا وما نبض منهم عرق التطاول والتعادي لما ان الكل تحت ملكوته
تعالى فالتكرير ليس للتأكيد كما ظن بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم
كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم
ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد اى من الامور الوجودية والعدمية
التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم فان الترك ايضا من جملة الافعال اى يفعل ما يريد حسبما يريد من غير ان يوجبه
عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه خيرا كان او شرا ايمانا كان
او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا اى في سبيل الله مما رزقناكم اى شيئا مما رزقناكم على ان ما موصولة حذف
عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الانفاق كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد
به الانفاق الواجب لدلالة ما بعده من الوعيد من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة كلمة من متعلقة بما
تعلقت به اختها ولا ضير فيه لاختلاف معنييهما فان الاولى تبعيضية وهذه لابتداء الغاية اى انفقوا
بعض ما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فرطتم فيه اذ لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه
او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به اخلاؤكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن

ودَضِيَ له قولاً حتى تتوسلوا بشفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذمتكم وانما رفعت الثلاثة مع قصد التعميم لانها
في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرئ بفتح الكل والكافرون اي التاركون للزكوة وايثاره عليه
للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك الزكوة من صفات الكفار قال
تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة هم الظالمون اي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا
المال في غير موضعه وصرفوه الى غير وجهه الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر اي هو المستحق للمعبودية لا غير وفي اضمار
خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء
وهو اما خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف او بدل من لا اله الا هو او بدل من الله او صفة له ويعضده القراءة
بالنصب على المدح لاختصاصه بالنعت القيوم فيعول من قام بالامر اذا حفظه اي دائم القيام بتدبير الخلق
وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا تأخذه سنة ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدي بن
الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء
اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث يقف المشاعر الظاهرة عن الاحساس رأسا والمراد بيان
انتفاء اعتراء شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه تعالى لا لانهما قاصران بالنسبة الى القوة الالهية
فانه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل لحمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناء على ان القادر على دفع
السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوي كما في قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وانما تأخير النوم للمحافظة
على ترتيب الوجود الخارجي وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفي لكل منهما كما في قوله عز وجل ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولا كبيرة الاية واما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الاخذ فلرعاية الواقع اذ عروض
السنة والنوم لمن يعرضانه انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تأكيد
لما قبلها من كونه تعالى حيا قيوما فان من يعتريه احدهما يكون موؤف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير وقيل
استئناف مؤكد لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم له ما في السموات وما في الارض تقرير
لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور
الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه
لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما يريده شفاعة وضراعة فضلا عن ان يدافعه عنادا او مناصبة يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم اي ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور
الدنيا وامور الاخرة او بالعكس او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه والضمير لما في السموات والارض
بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم او لما دل عليه من ذا الذي من الملائكة والانبياء عليهم السلام ولا
يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته الا بما شاء ان يعلموه وعطف على ما قبله لما انهما جميعا دليل على تفرده تعالى
بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد
وكانه منسوب الى الكرسي الذي هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل لعظمة شانه
عز وجل وسعة سلطانه واحاطة علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله عز قائلا وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز من علمه
اخذا من كرسي العالم وقيل من ملكه اخذا من كرسي الملك فان الكرسي كلما كان اعظم يكون عظمة القاعد
اكثر واوفر فعبر عن شمول علمه او عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته بالاقطار العلوية
والسفلية وقيل هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع
والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك
الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن الحسن البصري انه العرش ولا يؤوده اي لا يثقله ولا يشق عليه

حفظهما

حفظهما اي حفظ السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لما ان حفظهما مستتبع لحفظه وهو العلي المتعالي
بذاته عن الاشباه والانداد العظيم الذي يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه ولما ترى من انطواء هذه الاية الكريمة
على امهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بانه تعالى موجود متفرد
بالالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه
عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح
مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له عالم
وحده بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر
عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما يناله الاوهام عظيم لا يحيط به الافهام تفردت
بفضائل رائقة وخواص فائقة خلت عنها اخواتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعظم اية في القرآن
اية الكرسي من قرأها بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال
عليه السلام ما قرئت هذه الاية في دار الا اهجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة
يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ اية الكرسي
في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا
اخذ مضجعه آمنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال عليه السلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد
ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة
وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وتخصيص سيادته صلى الله عليه وسلم
للعرب بالذكر في اثناء تعداد السادات الخاصة لا يدل على نفي ما دل عليه الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع
من سيادته عليه السلام لجميع افراد البشر لا اكراه في الدين جملة مستأنفة جيء بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى
بالشؤون الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار
الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية روي ان انصاريا
من بني سالم بن عوف كان له ابنان فتنصرا قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما
حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما قد تبين الرشد من الغي استئناف
تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله عز وجل قد بلغت من لدني عذرا اي قد تبين بما ذكر من نعوته
تعالى التي يمتنع توهم اشتراك الغير في شيء منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي
هو الغي المؤدي الى الشقاوة السرمدية فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله
او صد عن عبادة الله تعالى فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل
فقد استمسك بالعروة الوثقى اي بالغ في التمسك بها كانه وهو متلبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه
وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية مقدمة على التحلية والعروة ما يتعلق به
من عروة الدلو والكوز ونحوهما والوثقى تأنيث الاوثق وهي هنا مستعارة لما يتمسك به من النظر الصحيح المؤدي الى الدين الحق لا انفصام لها
اي لا انقطاع لها والجملة اما مستأنفة مقررة لما قبلها من وثاقة العروة واما حال من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى

كائن لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا
لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة
في المفردات ويجوز ان يكون العروة الوثقى مستعارا للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي اليه
كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك بها استعارة لما ذكر من الملازمة او ترشيحا للاستعارة الاولى
والله سميع بالاقوال عليم بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع من الكفر والنفاق بما فيه
من الوعد والوعيد الله ولي الذين آمنوا اي معينهم او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة
مآلا او حالا يخرجهم تفسير للولاية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي من الظلمات التي هي
اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل مما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس
الى مراتبها القوية الجلية بل مما في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما ستعرفه الى النور الذي يعم نور الايمان ونور الايقان
بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي يقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد
النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم أولياؤهم
الطاغوت اي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدأ واولياؤهم مبتدأ ثان والطاغوت
خبره والجملة خبر للاول والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت
في مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة
التعبير ايضا يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال والاغواء من النور الفطري الذي جبل عليه الناس
كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها
منزلة نفسها الى الظلمات ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير
لولاية الطاغوت او خبر ثان كما مر واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح في استناده من حيث
الخلق الى قدرته سبحانه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح
اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم هم فيها خالدون ماكثون ابدا ألم تر
الى الذي حاج ابراهيم استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على قوله تعالى ألم
تر انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها وانما بدئ بهذا لرعاية
الاقتران بينه وبين مدلوله ولاستقلاله بامر عجيب حقيق بان يصدر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله
عز وجل وما اتى بها في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان في ما بعده تعددا وتفصيلا يورث تقديمه
انتشار النظم على انه اشير في تضاعيفه الى هداية الله تعالى ايضا بواسطة ابراهيم عليه السلام فان ما يحكى عنه من الدعوة
الى الحق وادحاض حجة الكافر من آثار ولايته تعالى والهمزة للاستفهام لانكار النفي وتقرير المنفي اي ألم تنظر او ألم ينته
علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات اي قد تحققت الرؤية
وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة اولياؤهم
الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتأييده في المحاجة أن آتاه
الله الملك اي لان آتاه اياه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاجه لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح
وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاداني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك
وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه على الوجه الاخير ربي الذي
يحيي ويميت بفتح ياء ربي وقرئ بحذفها روي انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه فقال من ربك الذي
تدعو اليه قال ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الحياة والموت في الاجساد وقال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل
كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال انا احيي واميت روي انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق

الآخر

الآخر فقال ذلك قال ابراهيم استئناف كما سلف كأنه قيل فماذا قال ابراهيم لمن في هذه المرتبة من الحماقة وعبا
ذا الخمه فقيل قال فان الله يأتي بالشمس من المشرق حسبما تقتضيه مشيئته فأت بها من المغرب ان كنت
قادرا على مقدوراته تعالى لم يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور
بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين
فيه مجالا للتمويه والتلبيس فبهت الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول مفعوله
اي فغلب ابراهيم الكافر واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون
المحاجة كفرا والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم
بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة
يوم القيمة او كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق
وايثار او الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من اول الامر والكاف اما اسمية
كما اختاره قوم جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي مثل
نصر واما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى او ألم تر الى مثل الذي مر على قرية كيف هداه الله تعالى واخرجه من ظلمة
الاشتباه الى نور العيان والشهود اي قد رأيت ذلك وشاهدته فاذن لا ريب في ان الله ولي الذين آمنوا الخ
واما جعل الهمزة لمجرد التعجب على ان يكون المعنى في الاول ألم تنظر الى الذي حاج الخ اي انظر اليه وتعجب من امره وفي
الثاني او أرأيت مثل الذي الخ ايذانا بان حاله وما جرى عليه في الغرابة بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه
رأي الجمهور فغير خليق بجزالة التنزيل وفخامة شأنه الجليل فتدبر والمار هو عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة
وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك والسدي وقيل هو ارميا بن خلقيا من سبط هارون عليه السلام قاله وهب
وعبد الله بن عبيد بن عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية
بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابر آباد وقال
السدي هي دير سلما باذ والاول هو الاظهر والاشهر روي ان بني اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا
في العتو والطغيان كل حد معتاد سلط الله عليهم بخت نصر البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ الشام
وخرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث منهم اقرهم بالشام وثلث منهم سباهم
وكانوا مائة الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل ملك منهم اربعة غلمة وكان
عزير من جملتهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على افظع مرأى واوحش منظر وذلك
قوله عز وجل وهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت
اذا سقط او من خوت الارض اي تهدمت والجملة حال من ضمير مر او من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا
قال تلهفا عليها او تشوقا الى عمارتها مع استشعار اليأس عنها انى يحيي هذه الله وهي على ما يرى من الحالة العجيبة
المباينة للحياة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث ان الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل وأنى
نصب على الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي واياما كان فالمراد
استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من بقايا اهلها الذين تفرقوا ايدي سبا ومن غيرهم وانما عبر عنها بالاحياء
الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة تهويلا للخطب وتأكيدا للاستبعاد كما انه لاجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل
بعد موتها وحيث كان هذا التعبير معربا عن استبعاد الاحياء بعد الموت على ابلغ وجه واكده اراه الله عز وجل
اثر ذي اثير ابعد الامرين في نفسه ثم في غيره ثم اراه ما استبعده صريحا مبالغة في ازاحة ما عسى يختلج في خلده واما
حمل احيائها على احياء اهلها فيأباه التعرض بحال القرية دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم ترابا
وعظاما مع كونهم ترابا وعظاما مع كونه ادخل في الاستبعاد لشدة مباينته للحياة وغاية بعده عن قبولها على انه

لم يتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المارّ لها كما ستحيط به خبرا فاماته الله والبثه على الموت
مائة عام روي انه لما دخل القرية ربط حماره وطاف بها فلم ير بها احدا فقال ما قال وكانت اشجارها قد اثمرت
فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى في منامه وهو شاب وامات حماره وبقية
تينه او عنبه وعصيره عنده ثم اعمى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره احد فلما مضى من موته سبعون سنة
وجّه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له نوشك الى بيت المقدس ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان
ثلاثمائة الف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني
اسرائيل وردهم الى بيت المقدس وتراجع اليه من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما
كانوا عليه فلما تمت المائة من موت عزير احياه الله تعالى وذلك قوله تعالى ثم بعثه وايثاره على احياه للدلالة على
سرعته وسهولة تأتيه على البارئ تعالى كانه بعثه من النوم وللايذان بانه اعاده كهيئته يوم موته عاقلا فاهما مستعدا
للنظر والاستدلال قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال كم لبثت ليظهر له عجزه عن
الاحاطة بشؤونه تعالى وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه هين في الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به مادة
استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على امر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو ابقاء الغذاء المتسارع الى الفساد
بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية مميزها محذوف اي كم وقتا لبثت والقائل هو الله
تعالى او ملك مأمور بذلك من قبله تعالى قيل نودي من السماء يا عزير كم لبثت بعد الموت قال لبثت يوما او بعض يوم
قاله بناء على التقريب والتخمين او استقصارا لمدة لبثه واما ما يقال من انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل
الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت اليها فرأى منها بقية فقال او بعض يوم على وجه الاضراب فبمعزل
من التحقيق اذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب لتحقق النقصان من اوله قال استئناف كما سلف
بل لبثت مائة عام عطف على مقدر اي ما لبثت ذلك القدر بل هذا المقدار فانظر لتعاين امرا آخر من دلائل
قدرتنا الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روي
انه وجد تينه او عنبه كما جني وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو كقوله لم يمسسهم سوء اما من الطعام
والشراب وافراد الضمير لجريانهما مجرى الواحد كالغذاء واما من الاخير اكتفاء بدلالة حاله على حال الاول ويؤيده
قراءة من قرأ وهذا شرابك لم يتسنه والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة لما ان لامها هاء او واو وقيل
اصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كما في تقضي البازي وقد جوز ان يكون معنى لم يتسنه لم يمر
عليه السنون التي مرت لا حقيقة بل تشبيها اي يحكي حاله كانه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسّنه بادغام التاء في السين
وانظر الى حمارك كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت اوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من اللبث المديد
وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل ولنجعلك آية للناس عطف على مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستئناف
مقرر لمضمون ما سبق اي فعلنا من احيائك بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الاحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس
الموجودين في هذا القرن بان يشاهدوك وانت من اهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوي عنهم من احقاب من
علم التوراة كما سيأتي او متعلق بفعل مقدر بعده اي ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقديرين دليل
على ما ذكر من اللبث المديد ولذلك قرن بينه وبين الامر بالنظر الى حماره وتكرير الامر في قوله تعالى وانظر الى العظام
مع ان المراد عظام الحمار ايضا لما ان المأمور به اولا هو النظر اليها من حيث يعتريها الحيوة ومباديها اي وانظر الى العظام للمار
لتشاهد كيفية الاحياء في غيرك بعد ما شاهدت نفسه في نفسك كيف ننشزها بالزاء المعجمة اي نرفع بعضها الى بعض ونردها
الى اماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائي نلينها ونعظمها ولعل من فسر بنحييها اراد بالاحياء هذا
المعنى وكذا من قرأ ننشرها بالراء من انشر الله الموتى اي احياها لا معناه الحقيقي لقوله تعالى ثم نكسوها لحما اي نسترها
به كما يستر الجسد باللباس واما من قرأ ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله اراد به ضد الطي كما قال الفراء فالمعنى كيف

نبسطها والجملة اما حال من العظام اي انظر اليها مركبة مكسوة لحما او بدل اشتمال اي وانظر الى العظام
كيفية انشازها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا يقتضي الحكمة بيانه روي انه
نودي ايتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعي فاجتمع كل جزء من اجزائها التي ذهبت بها الطيور والسباع
وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع بالضلع والذراع
والرأس بموقعها ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فاذا
هو قائم ينهق فلما تبين له اي ما دل عليه الامر بالنظر اليه من كيفية الاحياء بمباديه والفاء للعطف على مقدر
يستدعيه الامر المذكور وانما حذف للايذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه
كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فانشزها الله
تعالى وكساها لحما فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك اي اتضح اتضاحا قال اعلم ان الله على كل شيء
من الاشياء التي من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار قدير لا يستعصي عليه امر من الامور
وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغير ولم يتبدل بل انما تبدل بالعيان
وصفه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادي واستعظاما للامر وقد قيل فاعل تبين
مضمر يفسره مفعول اعلم اي فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فليتدبر وقرئ
تُبيِّن على صيغة المجهول وقرئ قال اعلم وقيل اعلم على صيغة الامر روي انه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس
وانكر الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال
لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكرى عزير فقد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فاني عزير
قالت سبحان الله انى يكون ذلك قال قد اماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة
فادع الله لي يرد علي بصري حتى اراك فدعا ربه ومسح بيده عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال لها قومي باذن الله
فقامت صحيحة كانما نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم
في انديتهم وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها
فقالت انظروا فاني بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء
بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قراء التوراة اربعين
الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا احد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم
منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد هلاك بخت نصر حدثني ابي عن جدي انه دفن
التوراة يوم سبينا في خابية في كرم فان اريتموني كرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوها فوجدوها
فعارضوها بما املى عليهم عزير من ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى عن ذلك
علوا كبيرا واذ قال ابراهيم دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما لم يسلك
به مسلك الاستشهاد كما قبله بان يقال او كالذي قال رب ارني لجريان ذكره عليه السلام في اثناء المحاجة و
لانه لا دخل لنفسه عليه السلام في اصل الدليل كذات عزير فان ما جرى عليه من احيائه بعد مائة عام من
جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر صرح بمثله في نحو قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم
خلفاء اي واذكر وقت قوله عليه السلام وما وقع من تعاجيب صنع الله عز وجل لتقف على ما مر من ولايته تعالى
وهدايته وتوجيه الامر بالذكر في امثال هذه المواقع الى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات مع انها
المقصودة بالتذكير لما ذكر غير مرة من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه
بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها
شيء مما ذكر عند الحكاية او لم يذكر كانها مشاهدة عيانا رب كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة

في استدعاء الإجابة أرني من الرؤية البصرية المتعدية إلى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا آخر والجملة
الاستفهامية المتعلقة بها فإنها تعلق كما يعلق النظر البصري أي اجعلني مبصرا كيف تحيي الموتى بأن تحييها
وأنا أنظر إليه وكيف في محل النصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الأخفش والعامل فيها تحيي أي
في أي حال أو على أي حال تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن شيء متقرر الوجود عند السائل والمسئول
فالاستفهام هنا عن هيئة الإحياء المتقرر عند السائل أي أبصرني كيفية إحيائك للموتى وإنما سأله عليه السلام
ليتأيد إيمانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئنانا على اطمئنان وأما ما قيل من أن نمرود قال أنا أحيي وأميت قال له
إبراهيم عم إن إحياء الله تعالى برد الأرواح إلى الأجساد فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر على أن يقول نعم فانتقل إلى
تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ذلك فيأباه تعليل السؤال بالاطمئنان قال استئناف كما مر غير مرة أولم تؤمن عطف
على مقدر أي ألم تعلم ولم تؤمن بأني قادر على الإحياء كيف أشاء حتى تسألني إراءته قال عز وعلا وهو أعلم بأنه عليه السلام
أثبت الناس إيمانا وأقواهم تعيينا ليجيب بما أجاب به فيكون ذلك لطفا للسامعين قال بلى علمت وآمنت بأنك قادر
على أي كيفية شئت ولكن سألت ما سألت ليطمئن قلبي بمضامة العيان إلى الإيمان والإيقان وازداد بصيرة
بمشاهدة تدل على كيفية معينة قال فخذ الفاء لجواب شرط محذوف أي إن أردت ذلك فخذ أربعة من الطير
قيل هو اسم جمع طائر كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر
كهين في هين ومن متعلقة بخذ أو بمحذوف وقع صفة لأربعة أي أربعة كائنة من الطير قيل هي طاووس وديك
وغراب وحمامة وقيل نسر بدل الحمامة وتخصيص الطير بذلك لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان وليسهل
ما يفعل به من التجزئة والتفريق وغير ذلك فصرهن من صاره يصوره أي أماله وقرئ بكسر الصاد من صاره
يصيره أي أملهن واضممهن وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره إذا جمعه وقرئ
فصرهن من التصرية بمعنى الجمع أي اجمعهن إليك لتتأملها وتعرف شأنها مفصلة حتى تعلم بعد الإحياء أن جزءا
من أجزائها لم ينتقل من موضعه الأول أصلا روي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها من اجزائهن صح
ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤسها ثم أمر بأن يجعل أجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى ثم اجعل
على كل جبل منهن جزءا أي جزءا منهن وفرق أجزاءهن على ما يحضرك من الجبال قيل كانت أربعة وقيل سبعة فجعل على كل
جبل ربعا أو سبعا من كل طائر وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده عند الوقف
ثم إجراء الوصل مجرى الوقف ثم ادعهن يأتينك في حيز الجزم على أنه جواب الأمر ولكنه بني لاتصاله بنون جمع المؤنث
سعيا أي ساعيات مسرعات أو ذوات سعي طيرانا أو مشيا وإنما اقتصر على حكاية أوامره عز وجل من غير تعرض لامتثاله
عليه السلام ولا لما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى كما روي أنه عليه السلام نادى فقال تعالين بإذن الله
فجعل كل جزء منهن يطير إلى صاحبه حتى صارت جثثا ثم أقبلن إلى رؤسهن فانضمت كل جثة إلى رأسها فعادت كل واحدة
منهن إلى ما كانت عليه من الهيئة للإيذان بأن ترتب تلك الأمور على الأوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء
والظهور بحيث لا حاجة له إلى الذكر أصلا وناهيك القصة دليلا على فضل الخليل ويمن الضراعة في الدعاء وحسن
الأدب في السؤال حيث أراه الله تعالى ما سأله في الحال على أيسر ما يكون من الوجوه وأرى عزيرا ما أراه بعد ما أماته
مائة عليه السلام واعلم أن الله عزيز غالب على أمره لا يعجزه شيء عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في أفعاله فليس
بناء أفعاله على الأسباب العادية لعجزه عن إيجادها بطريق آخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح
مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله أي في وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل حبة لا بد من تقدير
مضاف في أحد الجانبين أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة أنبتت سبع سنابل أي أخرجت ساقا
تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة في كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن في
الأراضي المغلة بل أكثر من ذلك وإسناد الإنبات إلى الحبة مجازي كإسناده إلى الأرض والربيع وهذا التمثيل

تصوير للأضعاف كأنها حاضرة بين يدي الناظر والله يضاعف تلك المضاعفة أو فوقها إلى ما شاء الله تعالى
لمن يشاء أن يضاعف له بفضله على حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الأعمال
في مراتب الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق ومقدار إنفاقه وكيفية تحصيل
ما أنفقه الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله جملة مبتدأة جيء بها لبيان كيفية الإنفاق الذي بين فضله بالتمثيل
المذكور ثم لا يتبعون ما أنفقوا أي ما أنفقوه أو إنفاقهم منا ولا أذى المن أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه
ويريه أنه أوجب بذلك عليه حقا والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه وإنما قدم المن لكثرة وقوعه
وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل منهما وثم لإظهار علو رتبة المعطوف قيل نزلت في عثمان رض
حين جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها وأحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رض حين أتى النبي صلى الله عليه وسلم
بأربعة آلاف درهم صدقة ولم يكد يخطر ببالهما شيء من المن والأذى لهم أجرهم أي حسبما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو
جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا عن الموصول وفي تكرير الإسناد وتقييد الأجر بقوله عند ربهم من التأكيد والتشريف
ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للإيذان بأن ترتب الأجر على ما ذكر من الإنفاق
وترك اتباع المن والأذى أمر بين لا يحتاج إلى التصريح بالسببية وأما لإيهام أنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا فكيف
إذا فعلوا فيأباه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه من المكاره ولا هم يحزنون
لفوات مطلوب من المطالب قل أو جل أي لا يعتريهم ما يوجبه لا أنه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا أنه
لا يعتريهم خوف وحزن أصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال
الله تعالى وهيبته واستقصارا للجد والسعي في إقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام
انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما أن النفي وإن دخل على نفس المضارع
يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام قول معروف أي كلام جميل تقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير إعطاء
شيء ومغفرة أي ستر لما وقع من السائل من الإلحاف في المسألة وغيره مما يثقل على المسئول وصفح عنه وإنما صح الابتداء
بالنكرة في الأول لاختصاصها بالوصف وفي الثاني بالعطف أو بالصفة المقدرة أي ومغفرة كائنة من المسئول خير أي
للسائل من صدقة يتبعها أذى لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الأولين من الضرر والجملة مستأنفة مقررة
لاعتبار ترك اتباع المن والأذى وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل أو بعفو السائل بناء على
اعتبار الخيرية بالنسبة إلى المسئول يؤدي إلى أن يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة إليه خير في الجملة مع بطلانها
بالمرة والله غني لا يحوج الفقراء إلى تحمل مؤنة المن والأذى ويرزقهم من جهة أخرى حليم لا يعاجل أصحاب المن
والأذى بالعقوبة لا أنهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية
بالنسبة إلى السائل يا أيها الذين آمنوا أقبل عليهم بالخطاب إثر بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة في إيجاب
العمل بموجب النهي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى أي لا تحبطوا أجرها بواحد منهما كالذي أي كإبطال الذي فمحل الكاف النصب
إما على أنه نعت لمصدر محذوف أي لا تبطلوها إبطالا كإبطال الذي ينفق ماله رئاء الناس وإما على أنه
حال من فاعل لا تبطلوا أي لا تبطلوها مشابهين الذي ينفق أي الذي يبطل إنفاقه بالرياء وقيل من ضمير المصدر
المقدر على ما هو رأي سيبويه وانتصاب رئاء إما على أنه علة لينفق أي لأجل رئائهم أو على أنه حال من فاعله
أي ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الآخر حتى يرجو ثوابا أو يخشى عقابا
فمثله الفاء لربط ما بعدها بما قبلها أي فمثل المرائي في الإنفاق وحاله العجيبة كمثل صفوان أي حجر أملس عليه
تراب أي شيء يسير منه فأصابه وابل أي مطر عظيم القطر فتركه صلدا أملس نقيا من التراب [illegible]
لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا
والجملة استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون [illegible]

كون مثل من يشبههم وهم اصحاب المن والاذى كذلك والضميران الاخيران للموصول باعتبار المعنى كما في قوله عز وجل
وخضتم كالذي خاضوا لما ان المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضمائر الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ
والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان كلا من
الرياء والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء
مرضات الله اي لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم اي ولتثبيت بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما في قولهم
هز من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن
من بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما في قوله
حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده
قراءة من قرا وتبيينا من انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو راس
كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة بالحركات الثلث وقرئ بها المكان المرتفع اي ومثل نفقتهم في الزكاء كمثل بستان كائن
بمكان مرتفع مامون من ان يصطلمه البرد لطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن
منظرا وازكى ثمرا واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة اصابها
وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين اي مثلي ما كانت تثمر في سائر الاوقات
بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال من اكلها اي مضاعفا فان
لم يصبها وابل فطل اي فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طل وهو المطر الصغير القطر وقيل
فالذي يصيبها طل والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها
من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة
باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد
ان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء
منه وهو ترغيب في الاخلاص مع تحذير من الرياء ونحوه ايود احدكم الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما
والهمزة لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي لا لانكار الواقع كما في قولك تضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما
تعلق به الود بل انما هو اصابة الاعصار وما يتبعها من الاحتراق ان تكون له جنة وقرئ جنات من نخيل واعناب
اي كائنة منهما على ان يكون الاصل والركن فيها هذين الجنسين الشريفين الجامعين لفنون المنافع والباقي مستتبعا لهما لا على ان
لا يكون فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح
تسقي جنة سحقا وعلى الارض المشتملة عليها والاول هو الانسب بقوله عز وجل تجري من تحتها الانهار اي على الثاني لا بد من
تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وكذا لا بد من جعل اسناد الاحتراق اليها فيما سياتي مجازيا والجملة في محل الرفع على انها
صفة جنة كما ان قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك او في محل النصب على انها حال منها لانها موصوفة له فيها من كل الثمرات
الظرف الاول خبر والثاني حال والثالث مبتدا اي صفة للمبتدا اقيمت مقامه اي له رزق من كل الثمرات كما في قوله تعالى
وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد الا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم بل انما هو التكثير كما في قوله تعالى
واوتيت من كل شيء واصابه الكبر اي كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها ومئنة كمال العجز عن تدارك
اسباب المعاش والواو حالية اي وقد اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء حال من الضمير في اصابه اي اصابه الكبر والحال
انه له ذرية صغار لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادي المعاش وقرئ ضعاف فاصابها اعصار اي ريح عاصفة
تستدير في الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود فيه نار شديدة فاحترقت عطف على فاصابها
وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها من القوادح ثم يجدها يوم القيامة عند كمال
حاجته الى ثوابها هباء منثورا في التحسر والتاسف عليها كذلك توحيد الكاف مع المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا

اي مثل ذلك البيان الواضح الجاري في الظهور مجرى الامور المحسوسة يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون كي تتفكروا
فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان لحال ما ينفق منه
اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اي انفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومما
اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا
بفتح التاء اصله ولا تتيمموا وقرئ بضمها وقرئ ولا تاموا والكل بمعنى القصد اي لا تقصدوا الخبيث اي الرديء الخسيس
وهو كالطيب من الصفات الغالبة لا تذكر موصوفاتها منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص
والجملة حال من فاعل تيمموا اي لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه او من الخبيث اي مختصا به الانفاق وايا ما كان فالتخصيص
لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يتصدقون بحشف
التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام او للموصولين على
طريقة قوله كانه في الجلد توليع البهق والثاني وتخصيصه بذلك لما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل
المذكور اي لا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما كسبتم وما اخرجنا لكم او مما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى
ولستم باخذيه حال على كل حال من واو تنفقون اي تنفقون والحال انكم لا تاخذونه في معاملاتكم في وقت من الاوقات
او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه اي الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم وهو عبارة عن المسامحة بطريق
الكناية او الاستعارة يقال اغمض بصره اذا غضه وقرئ على البناء للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا
فيها وتوجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا بفتح الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث ثم استؤنف
فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه تنفقون والحال انكم لا تاخذونه الا اذا اغمضتم فيه ومآله الاستفهام الانكاري
فكانه قيل امنه تنفقون الخ واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لمنفعتكم وفي الامر بان يعلموا ذلك مع
ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء الخبيث وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشانه تعالى فان اعطاء مثله
انما يكون عادة عند اعتقاد المعطي ان الآخذ محتاج الى ما يعطيه بل مضطر اليه حميد مستحق للحمد على نعمه العظام
وقيل حامد بقبول الجيد والاثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا
على شيء من زمان او غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا اي يعدكم
في الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم يضف مجيء الفقر
الى جهته للايذان بمبالغته في الاخبار بتحقق مجيئه كانه نزله في تقرر الوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب ارادته
او لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء والسكون وبضمتين وبفتحتين ويامركم بالفحشاء
اي بالخصلة الفحشاء اي يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمامور على فعل المامور به والعرب تسمي البخيل
فاحشا قال طرفة بن العبد ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصي والسيئات
والله يعدكم اي في الانفاق مغفرة لذنوبكم والجار في قوله تعالى منه متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها
التي افادها تنكيرها اي مغفرة اي مغفرة كائنة منه عز وجل وفضلا صفة محذوفة لدلالة المذكور عليها
كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره اي فضلا كائنا منه تعالى اي خلفا مما انفقتم زائدا عليه
في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا في الآخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة
واخلاف ما تنفقونه عليم مبالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل
فلا احتمال للخلف في وعده والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله يؤتي الحكمة قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه
وروي عن ابن نجيح انها الاصابة في القول والعمل وعن ابراهيم النخعي انها معرفة الاشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق
الاشياء وقيل هي الاقدام على الافعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل انها تفسر في القرآن باربعة اوجه تارة بمواعظ
القرآن واخرى بما فيه من عجائب الاسرار وتارة بالعلم والفهم واخرى بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم الاحكام المثبتة

في تضاعيف الايات الكريمة من احد الوجهين الاولين ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها اي يبينها ١
ويوفق للعلم والعمل بها من يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما اتاكم ما بينه
في ضمن الاي من الحكم البالغة التي عليها يدور فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول
ليؤتي قدم عليه الثاني للعناية به والجملة مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها ومن يؤت الحكمة على بناء المفعول
وقرئ على البناء للفاعل اي ومن يؤته الله الحكمة والاظهار في مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بشانها وللاشعار
بعلة الحكم فقد اوتي خيرا كثيرا اي خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين وما يذكر اي وما يتعظ بما اوتي في
من الحكمة او ما يتفكر فيها الا اولوا الالباب اي العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وفيه
من الترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة في شان الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال او اعتراض تذييلي
وما انفقتم من نفقة بيان لحكم كلي شامل لجميع افراد النفقات وما في حكمها اثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله
وما شرطية او موصولة حذف عائدها من الصلة اي وما انفقتموه من نفقة اي اي نفقة كانت في حق او باطل
في سر او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم التزمتم بعقد القصد على شيء والتزامه وفعله كضرب ونصر من نذر اي
نذر كان في طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلوة ونحوهما فان الله يعلمه
الفاء على الاول داخلة على الجواب وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء
على كون العطف بكلمة او كما في قولك زيدا او عمرا اكرمته ولا يقال اكرمتهما ولهذا صير الى التاويل في قوله تعالى ان يكن
غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المقدم رعاية للاولية كما في قوله عز وجل واذا راوا لهوا انفضوا
اليها واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما في هذه الاية الكريمة وفي قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل
النظم على تاويلهما بالمذكور ونظائره او على حذف الاول ثقة بدلالة الثاني عليه كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف ونحوهما مما عطف فيه
بالواو الجامعة تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان لتاكيد مضمونها
افادة لتحقيق الجزاء اي فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعيد
وما للظالمين بالانفاق والنذر في المعاصي وبمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالمن
والاذى والرياء وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق ان يوضع فيه
من انصار اي اعوان ينصرونهم من باس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين
اي وما لظالم من الظالمين من نصير من الانصار والجملة استئناف مقرر لما قبله من الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل
ما يفعل من الظالمين لتحصيل الاعوان ورعاية الخلان ان تبدوا الصدقات فنعما هي نوع تفصيل لبعض ما اجمل في
الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما اي ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها بعد ان لم يكن رياء وسمعة
وقرئ بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر العين وهذا في الصدقات
المفروضة واما في صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهي التي اريد بقوله تعالى وان تخفوها اي تعطوها خفية
وتؤتوها الفقراء ولعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه واجب في الابداء ايضا لما ان الاخفاء مظنة الالتباس
والاشتباه فان الغني ربما يدعي الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس فهو خير لكم اي
فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال واما في الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة
عن ابن عباس رضي صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل
من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم اي والله يكفر او الاخفاء ومن تبعيضية اي شيئا
من سيئاتكم كما سترتموها وقيل مزيدة على راي الاخفش وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما على ان الفعل للصدقات
وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر او على انها جملة

مبتدأة من فعل وفاعل وقرئ مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون
من الاسرار والاعلان خبير فهو ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين
الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد
الى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما اوحي اليك من الايات والذكر الحكيم ولكن الله يهدي هداية
خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة
جيء بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات
المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تداركهم على النبي عليه السلام
مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله عليه السلام
المسلمين عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزلت اي ليس عليك هدى من خالفك
حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام فلا التفات حينئذ في الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين
بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول التفات من الغيبة الى الخطاب للمكلفين لزيادة حثهم
على الامتثال وعلى الثاني تلوين للخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبي عليه السلام وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة
به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة اي اي شيء تنفقوا كائنا من مال
فلانفسكم اي فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه
الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من فقراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء
وجه الله استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اي ليست نفقتكم لشيء من الاشياء الا لابتغاء وجه الله او ليست
في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى
وقيل هو نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر
لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجملها فهو تاكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم ما يخلفه و
هو من نتائج قوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها
وهي مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا
من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوا عليهم
وهذا في غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئا
وتعودون من الثواب المضاعف ومن الخلف للفقراء متعلق بمحذوف ينبئ عنه السياق اي اجعلوا ما تنفقونه للفقراء الذين احصروا
انفسهم في سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا فيها للكسب والتجارة
وقيل هم اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد
يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل
بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم مما تعاين
منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب
مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم السائل المسؤول حتى
يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسألون شيئا وان سألوا عن ضرورة
اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا سؤال ولا الحاف
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب في التصدق لا سيما على هؤلاء
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة

وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رض حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة آلاف منه بالليل وعشرة بالنهار
وعشرة سراً وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله وجهه حين لم يكن عنده إلا أربعة دراهم فتصدق بكل واحد
منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للإيذان بمزية الإخفاء على
الإظهار وقيل في رباط الخيل والإنفاق عليها فلهم أجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما
قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف أي ومنهم الذين الخ ولذلك جوز الوقف على علانية ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين يأكلون الربا أي يأخذونه وإنما عبر عنه بالأكل لما أنه معظم
ما قصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار أو في الأجل حسبما
فصل في كتب الفقه وإنما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم في أمثالها وزيدت الألف تشبيها بواو الجمع
لا يقومون أي من قبورهم إذا بعثوا إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان أي إلا قياماً كقيام المصروع وهو وارد
على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء من المس
أي الجنون وهذا أيضاً من زعماتهم أن الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل
المنفي أي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب أكلهم الربا أو بيقوم أو بيتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقولهم بل لأن الله تعالى أربى في بطونهم ما أكلوه من الربا فأثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون
تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف ذلك إشارة إلى ما ذكر من حالهم وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان
بفظاعة المشار إليه بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا أي ذلك العقاب بسبب أنهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد
لإفضائهما إلى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا
الربا أصلاً في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فإن أحد الدرهمين في الأول ضائع حتماً وفي الثاني منجبر
بمساس الحاجة إلى السلعة أو بتوقع رواجها وأحل الله البيع وحرم الربا إنكار من جهة الله تعالى لتسويتهم
وإبطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما أشير إليه من عدم الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية لا محل
لها من الإعراب فمن جاءه موعظة أي فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربا وقرئ جاءته من ربه متعلق
بجاءه أو بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة للإشعار بكون مجيء الموعظة للتربية
فانتهى عطف على جاءه أي فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي فله ما سلف أي ما تقدم أخذه التحريم ولا يسترد منه وما
مرتفع بالظرف إن جعلت من موصولة وبالابتداء إن جعلت شرطية على رأي سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله
وأمره إلى الله يجازيه على انتهائه إن كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه
ومن عاد أي إلى تحليل الربا فأولئك إشارة إلى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما أن الإفراد في عاد باعتبار
اللفظ وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد أصحاب النار أي ملازموها هم فيها خالدون
ماكثون أبداً والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربا أي يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي
الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة روي عنه صلى الله عليه
وسلم إن الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي أحدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط
والله لا يحب أي لا يرضى لأن الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات أثيم منهمك في
ارتكابه إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وتخصيصهما بالذكر
مع اندراجهما في الصالحات لإنافتهما على سائر الأعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكائيل عقيب
ذكر الملائكة عليهم السلام لهم أجرهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة خبراً لإن أي أجرهم الموعود لهم وقوله
تعالى عند ربهم حال من أجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى الضمير مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف
عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب فات يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله أي قوا أنفسكم عقابه

وذروا ما بقي من الربا أي واتركوا بقايا ما شرطتم منه على الناس تركاً كلياً إن كنتم مؤمنين على الحقيقة فإن
ذلك مستلزم لامتثال ما أمرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله أي إن كنتم مؤمنين فاتقوه وذروا الخ
روي أنه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت فإن لم تفعلوا أي ما أمرتم به من
الاتقاء وترك البقايا إما مع إنكار حرمته وإما مع الاعتراف بها فأذنوا بحرب من الله ورسوله أي فاعلموا
بها من أذن بالشيء إذا علم به أما على الأول فكحرب المرتدين وأما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ فآذنوا أي فأعلموا بها غيركم
قيل هو من الأذن وهو الاستماع فإنه من طرق العلم وقرئ فأيقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن
متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة لفخامتها أي بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله ورسوله روي
أنه لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وإن تبتم من الارتباء مع الإيمان بحرمتها بعدما سمعتموه من
الوعيد فلكم رؤوس أموالكم تأخذونها كملا لا تظلمون غرماءكم بأخذ الزيادة والجملة إما مستأنفة لا محل لها
من الإعراب أو حال من الضمير في لكم والعامل ما تضمنه الجار من الاستقرار ولا تظلمون عطف على ما قبلها أي لا تظلمون
أنتم من قبلهم بالمطل والنقص ومن ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لأن عدمها إن كان مع إنكار
الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسوب في حال الردة فيء للمسلمين عند أبي حنيفة رح وكذا سائر أموالهم عند الشافعي وعندنا
هو لورثتهم ولا شيء لهم على كل حال وإن كان مع الاعتراف بها فإن كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رؤوسهم
فكيف برؤوس أموالهم وإلا فكذلك عند ابن عباس رض فإنه يقول من عامل الربا يستتاب وإلا ضرب عنقه وأما عند
غيره فهم محبوسون إلى أن تظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات أصلاً فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شيء من أموالهم بل إنما يسلم
بموتهم لورثتهم وإن كان ذو عسرة أي إن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على أن كان تامة وقرئ ذا عسرة على
أنها ناقصة فنظرة أي فالحكم نظرة أو فعليكم نظرة أو فليكن نظرة وهي الإنظار والإمهال وقرئ فناظره أي فالمستحق
ناظره أي منتظره أو صاحب نظرته على طريق النسب وقرئ فناظره أمراً من المفاعلة أي فسامحه بالنظرة إلى ميسرة
أي إلى يسار وقرئ بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كما في قوله وأخلفوك
عد الأمر الذي وعدوا وأن تصدقوا بحذف إحدى التاءين وقرئ بتشديد الصاد أي وأن تتصدقوا على معسري غرمائكم
بالإبراء خير لكم أي أكثر ثواباً من الإنظار أو خير مما تأخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه وهو ندب إلى أن يتصدقوا
برؤوس أموالهم كلاً أو بعضاً على غرمائهم المعسرين كقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق الإنظار لقوله
عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم تعلمون جوابه محذوف أي إن كنتم تعلمون
أنه خير لكم عملتموه واتقوا يوماً هو يوم القيمة وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد
والأهوال ترجعون فيه على البناء للمفعول من الرجع وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع والأول أدخل في التهويل
وقرئ بالياء على طريق الالتفات وقرئ تردون وكذا تصيرون إلى الله لمحاسبة أعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس
للمبالغة في تهويل اليوم أي تعطى كملاً ما كسبت أي جزاء ما عملت من خير أو شر وهم لا يظلمون حال من كل نفس تفيد أن
المعاقبين وإن كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما أنه من قبل أنفسهم وجمع الضمير لأنه أنسب بحال الجزاء
كما أن الإفراد أوفق بحال الكسب عن ابن عباس رض أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين
والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحداً وعشرين يوماً وقيل أحداً وثمانين وقيل سبعة
أيام وقيل ثلاث ساعات يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف
المعاوضات الجارية فيما بينهم ببيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربا أي إذا داين بعضكم بعضاً وعامله نسيئة
معطياً أو آخذاً وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه إلى الحال والمؤجل وأنه
الباعث على الكتبة وتعيين الضمير المنصوب المتصل بالأمر إلى أجل متعلق بتداينتم أو بمحذوف وقع صفة لدين مسمى
بالأيام أو الأشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه أي

أي لا قدرة

الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم
الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر
بها اجمالا وحذف المفعول اما لتعينه او للقصد الى ايقاع نفس الفعل اي ليفعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للايذان
بان الكاتب ينبغي ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله تعالى بالعدل متعلق
بمحذوف هو صفة لكاتب اي كاتب كائن بالعدل اي وليكن المتصدي للكتابة من شانه ان يكتب بالسوية من غير
ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء كتابه موثوقا به معدلا
بالشرع ويجوز ان يكون حالا منه اي ملتبسا بالعدل وقيل متعلق بالفعل اي وليكتب بالحق ولا يأب كاتب اي
ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله تعالى على طريقة ما علمه من كتبة الوثائق او كما
بينه بقوله تعالى بالعدل او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن كما
احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن ابائها تأكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر
على ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق الاملال هو الاملاء اي وليكن
المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر وليتق الله ربه جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل
للمبالغة في التحذير اي وليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه اي من الحق الذي يمليه على الكاتب شيئا
فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص فلو اريد نهيه لنهي عن كليهما
وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل وانما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي
الى المنهي عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن فان كان الذي عليه الحق
صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان لا لان الامر والنهي لغيره سفيها ناقص العقل مبذرا مجازفا او ضعيفا
صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عي او جهل او غير ذلك من العوارض فليملل
وليه اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم بالعدل اي من غير نقص ولا زيادة لم يكلف بعين ما كلف به من
عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس واستشهدوا شهيدين اي اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما
جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية
او بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن تبعيضية اي شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم
فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من
عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا اي الشهيدان جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي
رجلين اما لاعوازهما او بسبب آخر من الاسباب فرجل وامرأتان اي فليشهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان
يكفون وهذا فيما عدا الحدود والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي رحمه الله ممن ترضون متعلق بمحذوف
وقع صفة لرجل وامرأتان اي كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد
لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين اي كائنين ممن ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبي
وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى واستشهدوا فيلزم الفصل
بين الشرط والجزاء المتلازمين وبين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف
الراجع الى الموصول اي ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء في الشهداء
بطريق التغليب ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة
هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه كانه
قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم على
ان يقال ان تضل احديهما فتذكرها الاخرى لتأكيد الابهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال

باحديهما بعينها والتذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع
كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم
شهداء قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة وعن قتادة انه كان الرجل يطوف
في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت ولا تسأموا اي لا تملوا من كثرة مداياناتكم ان تكتبوه
اي الدين او الحق او الكتاب وقيل كني به عن الكسل الذي هو صفة المنافق كما ورد في قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا حال من الضمير اي حال كونه
صغيرا او كبيرا اي قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه اي مستقرا
في الذمة الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ما امرتم به من الكتب والخطاب للمؤمنين اقسط اي
اعدل عند الله اي في حكمه تعالى واقوم للشهادة اي اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام
فانه قياسي عند سيبويه او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى
ألا ترتابوا واقرب الى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة
تديرونها استثناء منقطع من الامر بالكتابة اي لكن وقت تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها
بينكم تعاطيهما يدا بيد فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها اي فلا باس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان
وقرئ برفع تجارة على انها اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم
اي هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر الواردة في الآية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف
في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد نهي عن المضارة محتمل للبنائين كما ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضارر
بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير والتحريف في الكتبة والشهادة او نهي الطالب عن الضرار بهما
بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج عما حد لهما او لا تعطى الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه نفي في معنى
النهي وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه اي فعلكم ذلك فسوق بكم اي خروج عن الطاعة
ملتبس بكم واتقوا الله في مخالفة اوامره ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكامه
المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم فلا يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة
في الجمل الثلاث لادخال الروعة وتربية المهابة والتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حيالها فان الاولى
حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة تعظيم لشانه تعالى وان كنتم على سفر اي مسافرين
او متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا وقرئ كتابا وكتبا وكتابا فرهان مقبوضة اي فالذي
يستوثق به او فعليكم او فليؤخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في صحة
الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي على عشرين صاعا
من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها
واعتبار القبض لجهالة الشاهد لانه يحكم الجانب توثقا واعتوازا والجمهور على جواز القبض في تمام الرهن
وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم بعضا اي
بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى بامانته عن الارتهان وقرئ فان اومن بعضكم اي
وضوعه بالامانة قيل فيكون انتصاب بعضا على نزع الخافض وعلى متاع بعض فليؤد الذي اؤتمن وهو المديون
وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام ولحمله على الاداء امانته اي دينه وانما سمي امانة لايتمانه
عليه بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة
عن الهمزة لا تدغم لانها في حكمها وليتق الله ربه في رعاية حقوق الامانة وفي الجمع بين عنوان الالوهية وصفة
الربوبية من التأكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المدينون اي شهادتهم على انفسهم

التي شهادتكم على انفسكم عند المعاملة ﴿ومن يكتمها فانه آثم قلبه﴾ آثم خبر ان وقلبه مرتفع به على الفاعلية
كانه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مما
اقترفه ونظيره نسبة الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كانه قيل
تمكن الاثم في نفسه وملك اشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اكبر الكبائر الاشراك بالله
تعالى لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه
وقرئ اثّم قلبه اي جعله آثما ﴿والله بما تعملون عليم﴾ فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر ﴿لله ما في السموات
وما في الارض﴾ من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولي العلم وغيرهم اي كلها لله تعالى
خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه ﴿وان تبدوا ما في انفسكم﴾ من السوء والعزم عليه
بان تظهروه للناس بالقول او بالفعل ﴿او تخفوه﴾ بان تكتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو
عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزم فيها اذ التكليف بحسب الوسع ﴿يحاسبكم به الله﴾
يوم القيمة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به واما
تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله فلما ان المعلق
بما في انفسهم ههنا هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا
وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال من ان يكون بطريق حصول بل وجود كل شيء في نفسه في اي طور كان علم بالنسبة اليه تعالى
وفي هذا لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابداء اذ ما
من شيء يبدى الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته
الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴿فيغفر﴾ بالرفع على الاستئناف
اي فهو يغفر بفضله ﴿لمن يشاء﴾ ان يغفر له ﴿ويعذب﴾ بعدله ﴿من يشاء﴾ ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية
على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب
الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على انه بدل من الجواب بدل البعض او الاشتمال ونظيره للجزم على البدل من الشرط
في قوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الراء في اللام لحن ﴿والله على كل شيء
قدير﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر
من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب ﴿آمن الرسول﴾ لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة ان ما
انزل الى الرسول عليه السلام من الكتاب العظيم الشان هدى للمتقين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة
التي من جملتها الايمان به وبما انزل قبله من الكتب الالهية وانهم حائزون لاثرتي الهدى والفلاح من غير
تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها اذ ليس فيما ذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك
ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها من فنون الشرائع والاحكام والمواعظ
والحكم واخبار الامم السالفة وغير ذلك ما يقتضي الحكمة شرحه عين في خاتمتها المتصفون بها وحكم باتصافهم
بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكره صلى الله عليه وسلم بطريق الغيبة
مع ذكره هناك بطريق الخطاب لما ان حق الشهادة الباقية على مر الدهور ان لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض ههنا
لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكي عنهم من الدعوات الآتية ايذانا بانه امر محقق غني عن التصريح به لا سيما
بعد ما نص عليه فيما سلف وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب كتاب
مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه عن قوله تعالى ﴿بما انزل اليه﴾ ومزيد توضيح لاندراجه في الرسل المؤمن بهم عليهم
السلام والمراد بما انزل اليه ما يعم كله وكل جزء من اجزائه فيعتبر تحقيق كيفية ايمانه عليه السلام وتعيين عنوانه
اي آمن عليه السلام بكل ما انزل اليه ﴿من ربه﴾ ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والاحكام

والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان بحقية احكامه
وصدق اخباره ونحو ذلك فمن فروع الايمان به من الحيثية المذكورة وفي هذا الاجمال اجلال لمحله عليه السلام
واشعار بان تعلق ايمانه بتفاصيل ما انزل اليه واحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة
الى ذكره اصلا وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وتنبيه على ان انزاله
اليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم ﴿والمؤمنون﴾ اي الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة
لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدأ وقوله عز وجل ﴿كل﴾ مبتدأ ثان وقوله تعالى ﴿آمن﴾ خبره والجملة
خبر للمبتدأ الاول والرابط بينهما الضمير الذي ناب عنه التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين
لما ان المراد بيان ايمان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير
سبك النظم الكريم عما قبله لتاكيد الاشعار بما بين ايمانه عليه السلام المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ
عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كانهما متخالفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما
وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بايمان كل واحد منهم على الوجه الآتي من نوع خفاء محوج الى التقوية والتاكيد
اي كل واحد منهم آمن ﴿بالله﴾ وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية ﴿وملائكته﴾ اي من حيث انهم عباد مكرمون
له تعالى من شانهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم ليس خصوصيات
ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم ﴿وكتبه ورسله﴾ اي من حيث
مجيئهما من عنده تعالى لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد
من تلك الكتب منزلة منه تعالى الى رسول معين من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا
آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما
اوتي النبيون من ربهم الآية ولا على ان مناط الايمان خصوصية ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان
بالكلية مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ومستند اليه لما تلي من الآية الكريمة
ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرايعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان
احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وان ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام
ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم القيمة وانما لم يذكر ههنا الايمان باليوم الآخر
كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه
وقرئ وكتابه على ان المراد به القرآن او جنس الكتاب كما في قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل
معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في افراد الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب
وهذا نوع تفصيل لما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذانا بكفايته في الايمان الاجمالي المتحقق في كل
فرد من افراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور المذكورة في مراتب التفصيل
تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عليه السلام
بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل والدقائق ثم ان الامور المذكورة
حيث كانت من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العليم الخبير كان الايمان بها مصداقا لما ذكر في صدر
السورة الكريمة من الايمان بالغيب اما الايمان بكتبه تعالى فاشارة الى ما في قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك هذا هو اللائق بشان التنزيل والحقيق بجلالة قدره الجليل وقد جوز ان يكون قوله تعالى والمؤمنون
معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كانه قيل آمن الرسول
والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله خلا انه قدم المؤمن به
على المعطوف اعتناء بشانه وايذانا باصالته عليه السلام في الايمان به ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول

من كمال الإجلال لشأنه عم وتفخيم إيمانه تخل بجزالة النظم الكريم لأنه إن حمل كل من الإيمانين على ما يليق بشأنه صلى الله
عليه وسلم من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال إسنادهما إلى غيره عليه السلام وضاع التكرير
وإن حملا على ما يليق بشأن آحاد الأمة كان ذلك حطاً لرتبته العلية عليه السلام وأما حملهما على ما يليق بكل واحد
ممن نسبا إليه من الآحاد ذاتاً وتعلقاً بأن يحملا بالنسبة إلى الرسول عليه السلام على الإيمان العياني المتعلق بجميع
التفاصيل وبالنسبة إلى آحاد الأمة على الإيمان المكتسب من جهته عليه السلام اللائق بحالهم في الإجمال والتفصيل
فاعتساف بين ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله وقوله تعالى **لا نفرق بين أحد من رسله** في حيز النصب بقول
مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على أنه حال من ضمير آمن أو مرفوع على أنه خبر آخر لكل أي يقولون
لا نفرق بينهم بأن نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيل أريد به إيمانهم تحقيقاً للحق
وتخطئة لأهل الكتابين حيث أجمعوا على الكفر بالرسول عم واجتمعت اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام أيضاً على
أن مقصودهم الأصلي إبراز إيمانهم بما كفروا به من رسالته عم لا إظهار موافقتهم لهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح
في أن القائلين آحاد المؤمنين خاصة إذ لا يمكن أن يسند إليه عليه السلام أن يقول لا أفرق بين أحد من رسله وهو يريد
به إظهار إيمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور إياه
وإنما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما أن الأصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم
بهم وقرئ بالياء على إسناد الفعل إلى كل وقرئ لا يفرقون حملاً على المعنى كما في قوله تعالى وكل أتوه داخرين فالجملة نفسها
حال من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس إذ المراد
شمول النفي لا نفي الشمول والكلام في همزة أحد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم
وفيه من الدلالة صريحاً على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائناً من كان ما ليس في أن يقال لا نفرق
بين رسله وإيثار إظهار الرسل على الإضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم إما
للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم أو للإشعار بعلة عدم التفريق أو للإيماء إلى عنوانه لأن المعتبر عدم التفريق
من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة **وقالوا** عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية
لامتثالهم بالأوامر إثر حكاية إيمانهم **سمعنا** أي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته **وأطعنا** ما فيه من الأوامر والنواهي
وقيل سمعنا أجبنا دعوتك وأطعنا أمرك **غفرانك ربنا** أي اغفر لنا غفرانك أو نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة وما
لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لأن تقديم الوسيلة على المسؤول
أدعى إلى الإجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليهم للمبالغة في التضرع والجؤار **وإليك المصير** أي الرجوع
بالموت والبعث لا إلى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة إلى المغفرة لما أن الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى **لا يكلف الله**
نفساً إلا وسعها جملة مستقلة جيء بها إثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة إظهاراً لما له تعالى عليهم
في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا وقد روي أنه لما نزل قوله تعالى
وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوه
عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والحج والجهاد وقد
أنزل إليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله عليه السلام أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم
سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فقرأها القوم فأنزل الله عز وجل آمن الرسول بما
أنزل إليه من ربه إلى قوله تعالى غفرانك ربنا وإليك المصير فسألهم الغفران المعلق بمشيئته عز وجل في قوله فيغفر
لمن يشاء ثم أنزل الله تعالى لا يكلف الله نفساً إلا وسعها تهويناً للخطب عليهم ببيان أن المراد بما في أنفسهم ما عزموا عليه
من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف إلزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع
الإنسان ولا يضيق عليه أي سنته تعالى أنه لا يكلف الله نفساً من النفوس إلا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون

مدى الطاقة والمجهود فضلاً منه تعالى ورحمة لهذه الأمة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى **لها ما كسبت**
وعليها ما اكتسبت للترغيب في المحافظة على مواجب التكليف والتحذير عن الإخلال بها ببيان أن تكليف كل نفس
مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير يتضمن مراعاته منفعة زائدة وأنها تعود إليها لا إلى غيرها ويستتبع عن الإخلال
بها مضرة تحيق بها لا بغيرها فإن اختصاص منفعة الفعل بفاعله من أقوى الدواعي إلى تحصيله واقتصار مضرته
عليه من أشد الزواجر عن مباشرته أي لها ثواب ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالاً أو اشتراكاً
ضرورة شموله لكل جزء من أجزاء مكسوبها وعليها لا على غيرها بأحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت
من الشر الذي كلفت تركه وإيراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعمال ناشئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر
وسعيها في طلبه **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** شروع في حكاية بقية دعواتهم إثر بيان سر التكليف أي
لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الأمور المؤدية إلى النسيان أو الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف
أو بأنفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر ومطلقاً إذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلاً فإن المعاصي كالسموم فكما
أن تناولها ولو سهواً أو خطأ مؤد إلى الهلاك فتعاطي المعاصي أيضاً لا يبعد أن يفضي إلى العقاب وإن لم يكن عن عزيمة
ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه فإن ذلك من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله عم رفع
عن أمتي الخطأ والنسيان وقد روي أن اليهود كانوا إذا نسوا شيئاً عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود
للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك **ربنا ولا تحمل علينا**
إصراً عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لإبراز مزيد الضراعة والإصر العبء الثقيل الذي يأصر
صاحبه أي يحبسه مكانه والمراد التكاليف الشاقة وقيل الإصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من
اقترافه وقرئ آصاراً وقرئ ولا تحمّل بالتشديد للمبالغة **كما حملته على الذين من قبلنا** في حيز النصب
على أنه صفة لمصدر محذوف أي حملاً مثل حملك إياه على من قبلنا أو على أنه صفة لإصراً أي إصراً مثل الإصر الذي
حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو إسرائيل من بخع النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في يوم
وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغير ذلك من التشديدات فإنهم كانوا إذا أتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض
ما كان يحل لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله
ورحمته هذه الأمة عن أمثال ذلك وأنزل في شأنهم ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وقال عم رفع عن أمتي
الخسف والمسخ والغرق **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التي لا تطاق
بعد الاستعفاء عما يؤدي إليه التفريط من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كأنه قيل
لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن إنزال العقوبات بالتحميل
باعتبار ما يؤدي إليها وقيل هو تكرير للأول وتصوير للإصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء
عن التكليف بما لا تفي به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلاً على جوازه عقلاً وإلا لما سئل التخلص عنه والتشديد
ههنا لتعدية الفعل إلى مفعول ثان **واعف عنا** أي آثار ذنوبنا **واغفر لنا** واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤوس
الأشهاد **وارحمنا** وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما أن التخلية سابقة على التحلية
أنت مولانا سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولي أمورنا **فانصرنا على القوم الكافرين** فإن من حق المولى
أن ينصر عبده ومن يتولى أمره على الأعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه إشارة إلى أن إعلاء كلمة الله والجهاد في
سبيله حسبما أمر في تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم روي أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل
له عند كل دعوة قد فعلت وعنه صلى الله عليه وسلم أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق
الخلق بألفي عام من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل وعنه عم من قرأ آيتين من سورة البقرة كفتاه

يعوجة على من ينكره ان يقول سورة البقرة وقال ينبغي ان يقول السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عم السورة يذكر فيها البقرة
فسطاط القرآن فتعلّموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه السلام السحرة

سورة آل عمران مائتان آيات مدنية

الم الله لا إله إلا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون او لا موازنة
لمفرد كحاميم وطاسين وياسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدار ابجرد حسبما ذكره
سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماً او مسرودة
على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انه مغتفر في باب الوقف قطعاً فحق هذه الفاتحة ان يوقف
عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر في رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فانما هي حركة
همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي لبقاء حركتها في حكم الثابت
المبتدأ به والميم بكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير معهود
في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء السواكن التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها وانت خبير بان سقوطها
مبني على وقوعها في الدرج وقد عرفت ان سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على
حالها لا كما في الحروف والاسماء المبنية على السكون فان حقها الاتصال بما بعدها وضعاً واستعمالاً فيسقط بها همزة الوصل
ويحرك اعجازها لالتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان
جعلت اسماً للسورة فمحلها اما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر او اقرأ
او نحوهما واما الرفع بالابتداء او النصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها لما ان ما بعدها
غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره والجملة مستأنفة اي هو المستحق للعبودية
لا غير وقوله عز وجل الحي القيوم خبر آخر له او لمبتدأ محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل هو صفة للمبتدأ او بدل منه
او من الخبر الاول او هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه واياً ما كان فهو
كالدليل على اختصاص استحقاق العبودية به سبحانه وتعالى لما مر من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء
ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية
به تعالى قطعاً لما تحقق بدونهما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلاث سور في
سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم
وروي ان عيسى عليه السلام كان اذا اراد احياء الموتى يدعو يا حي يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش
بلقيس دعا بذلك وقرئ الحي القيام وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان رباً فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكباً فيهم اربعة عشر رجلاً من اشرافهم ثلاثة منهم اكابر اليهم يؤول امرهم احدهم اميرهم
وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب
مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه واكرموه لما شاهدوا من علمه
واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة
ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعساً للابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل تعست
امك فقال كرز ولم يا اخي فقال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء
الملوك اعطونا اموالاً كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا كلها منا فوقع ذلك في قلب كرز واضمره الى ان اسلم فكان يحدث
بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية

فاخرة يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي عليه السلام ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة
في المسجد فقال له عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلاثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ
فيه فيكون طيراً وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا
ولو كان واحداً لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال عليه السلام
كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله ولداً قالوا ان لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد
الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام
الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا لا قال
عليه السلام الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم
عيسى من ذلك الا ما علم قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا صوّر عيسى في الرحم كيف شاء وان ربنا
لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته
كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى فقال
عليه السلام كيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأبوا الا جحوداً فانزل الله عز وجل من اول السورة الى نيف وثمانين
تقريراً لما احتج به عليه السلام عليهم واجاب به عن شبهتهم وتحقيقاً للحق الذي فيه يمترون نزّل عليك الكتاب
اي القرآن عبّر عنه باسم الجنس ايذاناً بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كأنه هو الحقيق بان يطلق
عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التوراة والانجيل وصيغة التفعيل الدالة على التنجيم
وتقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة اما مستأنفة او خبر آخر للاسم
الجليل وهي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو الخ اعتراض او حال وقوله عز وجل الحي القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ نزل
عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر ان تكون مستأنفة وقيل يجوز كونها خبراً بحذف العائد اي نزل
الكتاب من عنده بالحق حال من الفاعل او المفعول اي نزّله محقاً في تنزيله على ما اوحي اليه او ملتبساً بالعدل فيحكم
او بالصدق في اخباره التي من جملتها خبر التوحيد والتنزيه وفي وعده ووعيده او بما يحقق انه من عند الله تعالى من الحجج
البينة مصدّقاً حال من الكتاب [illegible]
من الكتاب [illegible] تعدد الحال [illegible] بلا عطف ولا بدلية حال منه بعد حال واما عند من منعه فتقدير الحال
من محل الحال الاولى [illegible] وقيل من المستكن في الجار والمجرور [illegible]
فيكون حالاً متداخلة وعلى كل فهي مؤكدة وفائدتها [illegible] اهل الكتاب [illegible] الايمان بالمنزل
وتنبيههم على وجوبه فان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه حتماً لما بين يديه [illegible]
دعامة للتقوية [illegible] من الكتب السالفة [illegible]
امرها بين الناس وتصديقها [illegible] الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل [illegible]
والامر بالعدل والاحسان [illegible]
في الشرائع المختلفة [illegible]
الخصوصيات [illegible] وانزل التوراة والانجيل [illegible]
[illegible]
في القلوب [illegible]
ولا [illegible] جملة على موسى وعيسى عليهما السلام [illegible]
وهما اسمان اعجميان الاول عبراني والثاني سرياني [illegible] القراءة [illegible] الانجيل [illegible]

فيطير [illegible]

والتصديق لاشتقاقهما من الوري والنجل **من قبل** متعلق بانزل اي انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح مع ظهور الامر للمبالغة في البيان **هدى للناس** في حيز النصب على انه علة للانزال اي انزلهما لهداية الناس او على انه حال منهما اي انزلهما حال كونهما هدى لهم والافراد لما انه مصدر جعلا نفس الهدى مبالغة او حذف منه المضاف اي ذوي هدى ثم ان اريد هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس الامم الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما وان اريد هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما بما عدا الشرائع المنسوخة من الامور التي يصدقهما القرآن ومن جملتها البشارة بنزوله وبمبعث النبي صلى الله عليه وسلم تعم الناس قاطبة **وانزل الفرقان** الفرقان في الاصل مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة والمراد به هنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة وابا واما الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله سبحانه فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ واما الزبور فانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الانجيل مع تاخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتورية في الاشتمال على الاحكام والشرائع وشيوع اقترانهما في الذكر واما القرآن نفسه ذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما لشانه ورفعا لمكانه وقد بين اولا تنزيله التدريجي الى الارض وثانيا انزاله الدفعي الى السماء الدنيا او اريد بالانزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج وعدمه واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين الحق والباطل **ان الذين كفروا بآيات الله** وضع موضع الضمير العائد الى ما فصل من الكتب المنزلة او منها ومن المعجزات لا آيات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم وتاكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب بمقام المحاجة معهم او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اي ان الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق لا سيما بتوحيده وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل كلا او بعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا بالقرآن اصالة وبسائر الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما واصالة ايضا بان كذبوا بآياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه وآياتها المبشرة بنزول القرآن وهو النبي صلى الله عليه وسلم وغيروها **لهم** بسبب كفرهم بها **عذاب** مرتفع اما على الفاعلية من الجار والمجرور او على الابتداء والجملة خبر ان والتنوين للتفخيم اي عذاب **شديد** لا يقادر قدره وهو وعيد جيء به اثر تقرير امر التوحيد الذاتي والوصفي والاشارة الى ما ينطق بذلك من الكتب الالهية حملا على القبول والاذعان وزجرا عن الكفر والعصيان **والله عزيز** لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد **ذو انتقام** عظيم خارج عن افراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطوة والتسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد له **ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء** استئناف كلام سيق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته بجميع ما في العالم من الاشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا وجهرا اثر بيان كمال قدرته وعزته تربية لما قبله من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى عليه السلام بمعزل من بلوغ رتبة الصفات الالهية وعبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم خفائه عليه كما في قوله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء ايذانا بان علمه تعالى بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات الخفية ليس من شانه ان يكون على وجه يمكن ان يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لان وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي اي لا يخفى عليه شيء ما كائن في الارض ولا في السماء اعم من ان يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما

والجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وانما عبر عنهما بكل العالم لانهما قطراه وتقديم الارض على السماء لاظهار الاعتناء بشان احوال اهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي من الادنى الى الاعلى باعتبار القرب والبعد المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا وقوله عز وجل **هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء** جملة مستانفة ناطقة ببعض احكام قيوميته تعالى مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه بما يصوره من الصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة بيصوركم او بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول اي يصوركم وانتم في الارحام مضغ وكيف معمول يشاء والجملة في محل النصب على الحالية اما من فاعل يصوركم او من مفعوله اي يصوركم كائنا على مشيئته تعالى تابعين لها في قبول الاحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه دلالة على بطلان زعم ربوبية عيسى عليه السلام وهو من جملة ابناء النواسيت المتقلبين في الاطوار على مشيئة الباري عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من التفعل اي صوركم لنفسه وعبادته **لا اله الا هو** اذ لا يتصف بشيء مما ذكر من الشؤون العظيمة الخاصة بالالوهية احد ليتوهم الوهيته **العزيز الحكيم** المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع **هو الذي انزل عليك الكتاب** شروع في ابطال شبههم الناشئة عما نطق به القرآن في نعت عيسى عليه السلام بطريق الاستيناف اثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيئته قيل ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم يا محمد ان عيسى كلمة الله وروح منه قال عليه السلام بلى قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق قاضية ببطلان ما هم عليه من الضلال والمراد بالانزال القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج وعدمه ولام الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبل من الاعتناء ببيان تحليته عليه السلام بتشريف الانزال عليه ومن التشويق الى ما انزل فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار برفعة شانه او بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده فضل تمكن وليتصل به تقسيمه الى قسميه **منه آيات** الظرف خبر وآيات مبتدا او بالعكس بتاويل مر تحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني ادخل في جزالة المعنى اذ المقصود الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتدبر والجملة مستانفة او في حيز النصب على الحالية من الكتاب اي هو الذي انزل الكتاب كائنا على هذه الحال اي منقسما الى محكم ومتشابه او الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية **محكمات** صفة آيات اي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من احتمال الاشتباه **هن ام الكتاب** اي اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والاضافة بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدي الى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة اما صفة لما قبلها او مستانفة وانما افرد الام مع تعدد الآيات لما ان المراد بيان اصلية كل واحدة منها او بيان ان الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين وقيل اكتفى بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب اي واما جلودها **واخر** نعت لمحذوف معطوف على آيات اي وآيات اخر وهي جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر او عن آخر من **متشابهات** صفة لآخر وفي الحقيقة صفة لمحذوف اي محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتامل الانيق فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك المعاني وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان من شان الامور المتشابهة ان يعجز العقل عن التمييز بينها كان كل ما لا يهتدي اليه العقل متشابها وان لم يكن ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله وامثاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من تلك الجهة وانما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل

العلوم التي نيط بها استنباط ما اريد بها من الاحكام الحقة نيلا لثوابها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمينان الى المعارج القاصية واما قوله تعالى الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من اعتراء الخلل او من النسخ وايدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتابا متشابها معناه متشابه الاجزاء اي يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد واصرارهم على الشر والفساد فيتبعون ما تشابه منه معرضين عن المحكم اي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتاويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل ابتغاء الفتنة اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد وابتغاء تاويله اي وطلب ان يأولوه حسبما يشتهونه من التاويلات الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم فانه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي يتبعون المتشابه لابتغاء تاويله والحال انه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليل الاتباع بابتغاء تاويله دون نفس تاويله وتجريد التاويل عن الوصف بالصحة والحقية ايذان بانهم ليسوا من التاويل في شيء وان ما يبتغونه ليس بتاويل اصلا لا انه تاويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله عز وجل بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به يقولون آمنا به اي بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة على الاول استيناف موضح لحال الراسخين او حال منه وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى كل من عند ربنا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له اي كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة بينهما او آمنا به وبحقيته على مراده تعالى وما يذكر حق التذكر الا اولوا الالباب اي العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تاويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث انها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه على وجه الاجمال كما ان الجواب المفصل هو قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ربنا لا تزغ قلوبنا من تمام مقالة الراسخين اي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل معناه لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا اي الى الحق والتاويل الصحيح او الى الايمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ على الظرف واذ في محل الجر باضافته اليه خارج من الظرفية اي بعد وقت هدايتك ايانا وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال من المفعول اي كائنة من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند اذ قد يكون فضلة وكذا لدى وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف الى صريح الزمان كما في قوله تنتفض الرعدة في ظهيري من لدن الظهر الى العصير ولا تقطع عن الاضافة بحال واكثر ما تضاف الى المفردات وقد تضاف الى ان وصلتها كما في قوله ولم تقطع اصلا من لدن ان وليتنا وقرابة ذي رحم ولا حق مسلم اي من لدن ولايتك ايانا وقد تضاف الى الجملة الاسمية كما في قوله تذكر نعماه لدن انت يافع والى الجملة الفعلية ايضا كما في قوله لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم فلا يك منكم للخلاف جنوح وقد تخلو عن من كما في البيتين الاخيرين رحمة واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق وتأخير المفعول الصريح

عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الاشعار بكونه من المنافع باللام فاذا ورد لها تمكن عندها فضل تمكن انك انت الوهاب تعليل للسؤال او لاعطاء المسؤل وانت اما مبتدأ او فصل او تاكيد لاسم ان واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان الهدى والضلال من قبله تعالى وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه ربنا انك جامع الناس ليوم اي لحساب يوم او لجزاء يوم حذف المضاف واقيم مقامه المضاف اليه تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه لا ريب فيه اي في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها المقصد الاسنى عندهم والتاكيد لاظهار ما هم عليه من كمال الطمانينة وقوة اليقين باحوال الآخرة ان الله لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة او لانتفاء الريب والتاكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشي من ذكر اليوم المهيب الهائل بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سيأتي وللاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منافية للاخلاف وقد جوز ان يكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا اثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر احوال الكتب الناطقة به وشرح شأن القرآن العظيم وكيفية ايمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وفد نجران او اليهود من قريظة والنضير او مشركوا العرب لن تغني عنهم اي لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جدا في استثقال الحركة على حروف اللين اموالهم التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار ولا اولادهم الذين بهم يتناصرون في الامور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتاخير الاولاد عن الاموال مع توسيط حرف النفي بينهما اما لعراقة الاولاد في كشف الكروب او لان الاموال اول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب من الله من عذابه تعالى شيئا اي شيئا من الاغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله او بدل طاعته كما في قوله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدل الحق ومنه قوله عليه السلام لا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده بدلك اي بدل رحمتك كما في قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان احتمال سد اموالهم واولادهم مسد رحمة الله تعالى وطاعته مما لا يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه وقوله لو تنوي يتقطع حال الكفرة وتهويل الخطب لما بعده من قوله تعالى واولئك هم وقود النار ومن قوله تعالى فاخذهم الله اي واولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها الذي تسعر به فان اريد بيان حالهم عند التعذيب فالجملة الاسمية للدلالة على تحقق الامر وتقرره والا فهو للايذان بان حقيقة حالهم كذلك وانهم الطافة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار باعيانها وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء وان يكون ضمير الفصل والجملة اما مستانفة مقررة لعدم الاغناء او معطوفة على خبر ان واياما كان فهو تقييس للعذاب الذي بين ان اموالهم واولادهم لا تغني عنهم منه شيئا وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر اي اهل وقودها كدأب آل فرعون الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله في معنى الشان والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وقد جوز النصب بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم كما لن تغني عن اولئك وتوقد بهم النار كما توقد بهم وانت خبير بان المذكور في تفسير الدأب انما هو التكذيب والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء لا سيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو رأي الجمهور ولا للايقاد فالوجه حمل التعليل على انه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبي على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تعالى واولئك هم وقود النار الا ان يجعل استئنافا لا معطوفا فالوجه هو الرفع على الخبرية اي دأب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل فرعون والذين من قبلهم اي من قبل آل فرعون من الامم الكافرة فالموصول في محل الجر

عطفا على ما قبله وقوله تعالى كذبوا بآياتنا بيان وتفسير اي من قبل آل فرعون من لدابهم الذي فعلوا على طريقة
الاستيناف المبني على السؤال كانه قيل كيف كان دابهم فقيل كذبوا بآياتنا وقوله تعالى فأخذهم الله تفسير لدابهم
الذي فعل بهم اي فأخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا من بأس الله تعالى محيصا فداب هؤلاء الكفرة ايضا كدابهم وقيل
كذبوا الخ حال من آل فرعون والذين من قبلهم على اضمار قد اي داب هؤلاء كداب اولئك وقد كذبوا الخ واما كونه
خبرا من الموصول كما قيل فمما يذهب برونق النظم الكريم والالتفات الى التكلم اولا للجري على سنن الكبرياء والى الغيبة
ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة بذنوبهم ان اريد بها تكذيبهم بالآيات فالباء للسببية جيء بها
تأكيدا لما يفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وان اريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة على
ان لهم ذنوبا اخرى اي فأخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب
في الاصل التلو والتابع وسمي الجريمة ذنبا لانها تتلو اي تتبع عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرر
لمضمون ما قبله من الاخذ وتكملة له قل للذين كفروا المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان يهود المدينة
لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الذي بشرنا به موسى
وفي التورية نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة
فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصاب قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم
ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا
لعلمت انا نحن الناس فنزلت اي قل لهم ستغلبون البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني
قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل
من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة عن مشركي مكة ولذلك قال لهم النبي عليه السلام يوم بدر ان الله غالبكم و
حاشركم الى جهنم فيأباه يؤدي الى انقطاع الآية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر وتحشرون اي في الآخرة
الى جهنم وقرئ الفعلان بالياء على انه عليه السلام امر بان يحكي لهم ما اخبر الله تعالى به من وعيدهم لعباده كانه قيل
ادّ اليهم هذا القول وبئس المهاد اما تمام ما يقال لهم او استئناف لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم
محذوف اي وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المأمور به
جيء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف خبر كان على انها ناقصة ولتوسطه بينها وبين اسمها
ترك التأنيث كما في قوله ان امرأ غره منكن واحدة بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور على ان التأنيث ههنا غير حقيقي
او هو متعلق بكان على انها تامة وانما قدم على فاعلها المنكر لما مر من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر والقصد
كما انها المقترون بعدهم وعددهم آية عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين او
جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بغيرتها وقد لقيها ما لقيها فيصيبكم ما يصيبهم ومحل الظرف
الرفع على انه صفة لآية وقيل النصب على خبرية كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية التقتا
في حيز الجر على انه صفة فئتين اي تلاقتا بالقتال يوم بدر فئة بالرفع خبر مبتدأ محذوف اي احديهما فئة كما في قوله
اذا مت كان الناس صنفين شامت ٭ وآخر مثن بالذي كنت اصنع اي احدهما شامت وآخر مثن وقوله حتى اذا
ما استقل النجم في غلس ٭ وغودر البقل ملوي ومحصود والجملة وما عطف عليها مستأنفة لتقرير ما في الفئتين من الآية
وقوله تعالى تقاتل في سبيل الله في محل الرفع على انه صفة فئة كانه قيل فئة مؤمنة ولكن ذكر مكانه من لوازم
الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار في تحقق الآية وهو رؤية القليل كثيرا
وقرئ يقاتل على تأويل الفئة بالقوم او الفريق واخرى نعت لمبتدأ محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى

اي وفئة اخرى فانما نكرت والقياس تعريفها كقرينتها لوضوح ان التعريف لنفس المثنى المقدم ذكره وعدم الحاجة
الى التعريف وقوله تعالى كافرة خبر لمبتدأ المحذوف وانما لم يوصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى
اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من
المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد الى المبدل منه مسوغ
لوصف البدل بالجملة العارية عن ضميره اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة ويجوز ان يكون كل منهما مبتدأ
وما بعدهما خبره اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدأ محذوف الخبر اي منهما فئة تقاتل
الخ وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل البعض من الكل وقد مر انه لا بد من ضمير عائد الى المبدل منه ويسمى بدلا
تفصيليا كما في قوله كنت كذي رجلين رجل صحيحة ٭ ورجل رمى فيها الزمان فشلت ٭ وقرئ فئة بالنصب
على المدح والذم او على الحالية من ضمير التقتا كانه قيل التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة واخرى توطئة لما هو
الحال الحقيقة اذ المقصود بالذكر وصفاهما كما في قولك جاءني زيد رجلا صالحا يرونهم اي يرى الفئة الاخيرة
الفئة الاولى وايثار صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد واحد من آحاد الفئة والجملة في محل الرفع
على انها صفة للفئة الاخيرة او مستأنفة مبينة لكيفية الآية مثليهم اي مثلي عدد الرائين قريبا من الفين اذ كانوا
قريبا من الف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان
فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن ابي الفزارة عن سعد بن
اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسألوه كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نريكم الا تضعفون
علينا او مثلي عدد المرائين اي ستمائة ونيفا وعشرين حيث كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون
رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من الانصار رضوان الله تعالى اجمعين وكان صاحب راية
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وصاحب رايته من الانصار
سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه وكان في العسكر تسعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد بن عمرو والآخر
لمرثد بن ابي مرثد وست ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من
المهاجرين وثمانية من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فان الله عز وجل كما ايدهم فثبتهم ليهابوهم ويجبنوا
عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه كما امدهم بالملائكة عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد ان
قللهم في اعينهم عند ترائيهما ليجترؤا عليهم ولا يهربوا من اول الامر حين يجيئهم الحرب وقيل يرى الفئة الاولى الفئة
الاخيرة مثلي انفسهم مع كونهم ثلاثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله تعالى ان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين بل قد وقعت رؤية المثل
بل اقل منه ايضا فانه روي ان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قد نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون
علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله ايضا في اعينهم حتى رأوهم عددا يسيرا
اقل من انفسهم قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين
قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا فلو اريد رؤية المؤمنين المشركين اقل من عددهم
في نفس الامر كما في سورة الانفال لكانت رؤيتهم اياهم اقل من انفسهم احق بالذكر في كونها آية من رؤيتهم مثليهم
على ان ابانة قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة بارائتهم القليل كثيرا والضعيف قويا والقاء الرعب في قلوبهم بسبب
ذلك ادخل في كونها آية لهم وحجة عليهم واقرب الى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين
للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل اي اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا وابعدهما
مفعولا سواء جعل الجملة صفة او مستأنفة اولى من العكس هذا ما تقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور
ولا ينبغي جعل الخطاب لمشركي مكة كما قيل اما ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما صرحوا به فظاهر لقوله تعالى

ستغلبون الآية لاستيرة به واما ان جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهدت تلك الآية الهائلة
هم المخاطبون فالتعبير عنهم بفئة مبهمة تارة وموصوفة اخرى ثم اسناد المشاهدة اليهم مع كون اسنادها الى
المخاطبين اوقع في الزام الحجة وادخل في التبكيت مما لا داعي اليه وبهذا تبين حال جعل الخطاب الثاني للمؤمنين واما
قراءة ترونهم بتاء الخطاب فظاهرها وان اقتضى توجيه الخطاب الثاني الى المشركين لكنه ليس بنص في
ذلك لانه وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعله رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود
لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لا سيما بعدما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق
فاسندت الرؤية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا لعروض تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب
في صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة اي يريهم او يريكم الله تعالى كذلك رأي العين
مصدر مؤكد ليرونهم ان كانت الرؤية بصرية او مصدر تشبيهي ان كانت قلبية اي رؤية ظاهرة مكشوفة
جارية مجرى رؤية العين والله يؤيد اي يقوي بنصره من يشاء اي يؤيده من غير توسيط الاسباب العادية
كما ايد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به ان في ذلك اشارة الى ما ذكر
من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلة المشار اليه في الفضل لعبرة العبرة فعلة من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد
بها الاتعاظ فانه نوع من العبور اي لعبرة عظيمة كائنة لاولي الابصار لذوي العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم
وهو اما من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل واما وارد من جهته تعالى تصديقا
لمقالته صلى الله عليه وسلم زين للناس كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية باصنافها
وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها
والمراد بالناس الجنس حب الشهوات الشهوة نزوع النفس الى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها
بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات او ايذانا بانهماكهم في حبها بحيث احبوا
شهواتها كما في قوله تعالى اني احببت حب الخير او استرذالا لها فان الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم
والمزين هو الباري سبحانه وتعالى اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الآية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها
على نهج الشريعة الشريفة ووسيلة الى بقاء النوع وايثار صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ
على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما ان مساق الآية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين المباحات
واسند تزيينها اليه تعالى وبين المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان من النساء والبنين لعراقتهن
في معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن والقناطير المقنطرة جمع
قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل سبعون الفا وقيل اربعون الف
مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل مائة رطل وقيل الف ومائتا مثقال وقيل الف دينار وقيل مائة من ومائة
رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس واختلف في ان وزنه فعلال او فنعال ولفظ المقنطرة مأخوذ
منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض او
المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة من الذهب والفضة بيان للقناطير او حال والخيل عطف على القناطير
قيل هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده خائل وهو مشتق من الخيلاء المسومة
اي المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها للرعي والمطهمة
التامة الخلق والانعام اي الابل والبقر والغنم والحرث اي الزرع مصدر بمعنى المفعول ذلك اي ما ذكر من الاشياء
المعهودة متاع الحيوة الدنيا اي ما يتمتع به في الحيوة الدنيا اياما قلائل فتفنى سريعا والله عنده حسن المآب

في محل النصب على انه حال من الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لـ... صح

حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدد عاقبة حميدة وفي تكرير الاسناد بجعل الجلالة مبتدا واسناد الجملة الظرفية
اليه زيادة تاكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها
الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم اثر ما بين شأن مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن
المآب اجمالا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع
والهمزة للتقرير اي أأخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شأنه
والتشويق اليه وقوله تعالى للذين اتقوا عند ربهم جنات استئناف مبين لذلك المبهم على ان جنات
مبتدأ والجار خبره او على ان جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما في
محله والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الآتية وتعليق
حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحال
من جنات او متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف
وجنات خبر لمبتدا محذوف والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير
تجري في محل الرفع او النصب على انه صفة
لجنات على حسب القراءتين من تحتها الانهار متعلق بتجري فان اريد بالجنات الاشجار فجريانها من تحتها ظاهر
وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فهي باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله
خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وازواج مطهرة
عطف على جنات اي مبرأة مما يستقذر من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية ورضوان للتفخيم
وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة اي رضوان واي رضوان
لا يقادر قدره كائن من الله عز وجل وقرئ بضم الراء والله بصير بالعباد اي عالم بهم فيثيب ويعاقب حسبما
يليق بها او بصير باحوال الذين اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكر وفيه اشعار بانهم المستحقون للتسمية بالعبيد
الذين يقولون ربنا اننا امنا في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف كانه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه
الكرامات فقيل هم الذين الخ او النصب على المدح او الجر على انه تابع للمتقين نعتا او بدلا او
للعباد كذلك والاول اظهر والله بصير بالعباد حينئذ معترضة وتاكيد الجملة لاظهار ان ما هو ناش من وفور
الرغبة وكمال النشاط في ترتيب الدعاء عليه بقوله فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
على كفاية في استحقاق المغفرة والوقاية من النار الصابرين
على المدح باضمار اعني واما على تقدير كونه في محل النصب او الجر فهو نعت له والمراد بالصبر
الطاعات وعلى البأساء والمواظبين على العبادات والصادقين في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم والقانتين المداومين
على الطاعات المواظبين على العبادات والمنفقين اموالهم في سبيل الله تعالى والمستغفرين بالاسحار
قال مجاهد وقتادة والكلبي اي المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقال
الحسن مدوا الصلاة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليلة ثم يقول يا نافع
اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون اول
الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب
الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع لا سيما للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة
للدلالة على استقلال كل منها وكمالهم فيها شهد الله انه
لا اله الا هو اي بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والانفس وانزال الآيات التشريعية الناطقة

بذلك المعبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة إيذانا بقوته في إثبات المطلوب وإشعارا بإنكار المنكر وقرئ
إنه بكسر الهمزة إما بإجراء شهد مجرى قال وإما بجعل الجملة اعتراضا وإيقاع الفعل على قوله تعالى إن الدين
الخ على قراءة أن بالفتح كما سيأتي وقرئ شهداء لله بالنصب على أنه حال من المذكورين أو على المدح وبالرفع
على أنه خبر مبتدأ محذوف ومآله الرفع على المدح أي هم شهداء الله وهو إما جمع شهيد كظرفاء في جمع
ظريف أو جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر والملائكة عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل
للإقرار والإيمان بطريق عموم المجاز أي أقروا بذلك وأولو العلم أي آمنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الأدلة التكوينية
والتشريعية قيل المراد بهم الأنبياء عليهم السلام وقيل المهاجرون والأنصار وقيل علماء مؤمني أهل الكتاب كعبد الله
بن سلام وأضرابه وقيل علماء المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين
الأخيرتين قيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما وأنت خبير بأن ذلك على قراءة النصب على الحالية
يؤدي إلى تقييد حال المذكورين بشهادة الملائكة وأولي العلم وليس فيه كثيرة فائدة فالوجه حينئذ كون
ارتفاعهما بالابتداء والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه أي والملائكة وأولو العلم شهدوا بذلك ولك
أن تحمل القراءتين على المدح نصبا ورفعا فيحمل العطف على المستتر في كل وقوله تعالى قائما بالقسط
أي مقيما للعدل في جميع أموره بيان لكماله تعالى في أفعاله إثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من الله
كما في قوله تعالى وهو الحق مصدقا وإنما جاز إفراده مع عدم جواز جاءني زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس
كقوله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة ولعل تأخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب
منزلتهما والمسارعة إلى إقامة شهود التوحيد اعتناء بشأنه ورفعا لمحله وهو السر في تقديمه على المعطوفين
مع ما فيه من الإيذان بأصالته تعالى في الشهادة به كما مر في قوله تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه أو
من هو وهو الأوجه والعامل فيها معنى الجملة أي تفرد أو أحقه لأنها حال مؤكدة أو على المدح وقيل على أنه صفة للمنفي
أي لا إله قائما الخ والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهو مندرج في المشهود به إذا جعل صفة أو حالا من الضمير
أو نصبا على المدح منه وقرئ القائم بالقسط على البدلية من هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة أو على أنه خبر
لمبتدأ محذوف وقرئ قيما بالقسط لا إله إلا هو تكرير للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به
بعد إقامة الحجة وليبنى عليه قوله تعالى العزيز الحكيم فيعلم أنه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته
على العلم بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير أو الوصفية لفاعل شهد أو الخبرية لمبتدأ مضمر وقد روي
في فضلها أنه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل إن لعبدي هذا عندي عهدا
وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله وروي عن
سعيد بن جبير أنه كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه الآية الكريمة خررن سجدا وقيل
نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من أحبار الشام فلما أبصرا المدينة
قال أحدهما ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه عليه السلام
عرفاه بالصفة فقالا له عليه السلام أنت محمد قال عليه السلام نعم قالا وأنت أحمد قال عم أنا محمد وأحمد
قالا فإنا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال عليه السلام سلا فقالا أخبرنا
عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل الله تعالى هذه الآية فأسلم الرجلان إن الدين عند الله
الإسلام جملة مستأنفة مؤكدة للأولى أي لا دين مرضيا لله تعالى سوى الإسلام الذي هو التوحيد والتدرع
بالشريعة الشريفة وعن قتادة شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله وقرئ أن الدين عند الله
الإسلام وقرئ أن الدين الخ على أنه بدل من أنه بدل الكل إن فسر الإسلام بالإيمان أو بما يتضمنه
وبدل الاشتمال إن فسر بالشريعة أو على أن شهد واقع عليه على تقدير قراءة إنه بالكسر كما أشير إليه وما اختلف

الذين أوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
وأنكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل إيتاء الكتاب صلة لزيادة تقبيح حالهم فإن الاختلاف مع تلقي
ما يزيله ويقطع شأفته في غاية القبح والسماجة وقوله عز وجل إلا من بعد ما جاءهم العلم استثناء مفرغ
من أعم الأحوال أو أعم الأوقات أي وما اختلفوا في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا بعد أن علموا بأنه
الحق الذي لا محيد عنه أو بعد أن علموا حقيقة الأمر وتمكنوا من العلم بها من الحجج النيرة والآيات الباهرة وفيه من الدلالة
على ترامي حالهم في الضلالة ما لا مزيد عليه فإن الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى
بغيا بينهم أي حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الأمر تشنيع إثر تشنيع ومن يكفر بآيات الله
أي بآياته الناطقة بما ذكر من أن الدين عند الله هو الإسلام ولم يعمل بمقتضاها أو بأية آية كانت من آياته تعالى
على أن يدخل فيها ما نحن فيه دخولا أوليا فإن الله سريع الحساب قائم مقام جواب الشرط علة له أي ومن يكفر
بآياته تعالى فإنه تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فإنه سريع الحساب أي يأتي حسابه عن قريب أو يتم ذلك بسرعة
وإظهار الجلالة لتربية المهابة وإدخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر بآياته تعالى من غير تعرض
لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد إيتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغي دلالة على كمال شدة
عقابهم فإن حاجوك أي في كون الدين عند الله الإسلام أو جادلوك فيه بعد ما أقمت عليهم الحجج فقل أسلمت وجهي
أي أخلصت نفسي وقلبي وجملتي وإنما عبر عنها بالوجه لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع
معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه إلى كل شيء لله لا أشرك به فيها غيره وهو الدين القويم
الذي قامت عليه الحجج ودعت إليه الآيات والرسل عليهم السلام ومن اتبعن عطف على المتصل في أسلمت وحسن
ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التأكيد بالمنفصل أي وأسلم من اتبعني أو مفعول معه وقل للذين أوتوا الكتاب
أي من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفي المتعاطفين والأميين أي الذين
لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم متبعين لي كما فعل المؤمنون فإنه قد أتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه
لا محالة فهل أسلمتم بمقتضاها أو أنتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسألة ولم يدع من طرق التوضيح
والبيان مسلكا إلا سلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل أنتم منتهون إثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر
وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الإنصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى فإن أسلموا
أي كما أسلمتم وإنما لم يصرح به كما في قوله تعالى فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به حسما لباب إطلاق اسم الإسلام على شيء
آخر بالكلية فقد اهتدوا أي فازوا بالحظ الأوفر ونجوا عن مهاوي الضلال وإن تولوا أي أعرضوا عن الاتباع
فإنما عليك البلاغ قائم مقام الجواب أي لم يضروك شيئا إذ ما عليك إلا البلاغ وقد فعلت على أبلغ وجه روي
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على أهل الكتاب قالوا أسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود
أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وإن
تولوا والله بصير بالعباد عالم بجميع أحوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد إن الذين يكفرون بآيات الله أي
آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الإسلام على الوجه الذي مر تفصيله دخولا أوليا ويقتلون
النبيين بغير حق هم أهل الكتاب قتل أولوهم الأنبياء عليهم السلام وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا
قاتلهم الله تعالى حائمين حول قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا أن عصم الله عز وجل ساحته المنيعة وقد أشير إليه
بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للإيذان بأنه كان عندهم أيضا بغير حق ويقتلون
الذين يأمرون بالقسط من الناس أي بالعدل ولعل تكرير الفعل للإشعار بما بين القتلين من التفاوت
أو باختلافهما في الوقت عن أبي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل
نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا

من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قاتليهم بالمعروف
ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرئ يقاتلون الذين فبشرهم بعذاب اليم خبر ان والفاء لتضمن
اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تاكيدا وكذا الحال في النسخ بان المفتوحة كما في
قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما في قوله فوالله ما فارقتكم قاليا لكم
ولكن ما يقضى فسوف يكون وانما تغير معنى الابتداء في النسخ بليت ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع
دخول الفاء عند النسخ مطلقا فالخبر عندهما قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة
كما في قولك الشيطان فاحذره عدو مبين وعلى الاول هو استئناف واسم الاشارة مبتدأ وما فيه من معنى البعد
للدلالة على ترامي امرهم في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول بما في حيز صلته خبره اي اولئك
المتصفون بتلك الصفات القبيحة او المبتلون بسوء الحال الذين بطلت اعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق
لها اثر في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب اليم في الآخرة وما لهم من ناصرين ينصرونهم من بأس
الله وعذابه في احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الانصار من كل واحد منهم
كما في قوله تعالى وما للظالمين من انصار الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى له الرؤية
من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم
بحقيته اي الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية على ان اللام للعهد وحمله على جنس الكتب
الالهية تطويل للمسافة ادغام التوبيخ بكون التورية من جملتها لان مدار التشنيع والتعجيب اعراضهم
عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الا الى التورية والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام
التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي عليه السلام وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال
اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على
التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله الذي اوتوا نصيبا منه وهو التورية والاظهار
في مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتأكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استئناف
مبين لمحل التعجب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى
كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم
الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم قالا
ان ابراهيم عليه السلام كان يهوديا فقال صلى الله عليه وسلم لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت
في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القرآن فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يتشككوا فيه وقرئ ليحكم على البناء
للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الآخرون ثم يتولى فريق
منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اي
يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اي وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل
ذلك اشارة الى ما مر من التولي والاعراض وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم قالوا
لن تمسنا النار باقتراف الذنوب وركوب المعاصي الا اياما معدودات وهي مدة عبادتهم العجل
ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليه الخطوب وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه
من قولهم ان آباءنا الانبياء يشفعون لنا وان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده
الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم المذكور وابطال لما غرهم باستعظام
ما سيدهمهم وتهويل لما يحيق بهم من الاهوال اي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب فيه
اي في وقوعه ووقوع ما فيه روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله

عز وجل على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا
كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شيء واحد وفيه
دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل
دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عذاب ونقص
ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص
الاسم الجليل كدخولها عليه مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اي
اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك اي مالك جنس الملك على الاطلاق
ملكا حقيقيا بحيث تتصرف فيه كيفما تشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة تعذيبا واثابة من غير مشارك
ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك بيان لبعض وجوه التصرف
الذي تستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبئ عنه
ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشاء اي ايتاءه اياه وتنزع
الملك ممن تشاء اي نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام ومملوكيته حقيقية والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما
الى صاحبهما مجازية وقيل الملك الاول عام والآخران بعضان منه فتأمل وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها
نقلها من قوم الى قوم آخرين وتعز من تشاء اي تعزه في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء
ان تذله في احديهما او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص
اي بقدرتك الخير كله لا بقدرة احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيتك وتخصيص الخير بالذكر
لما انه مقضي بالذات واما الشر فمقضي بالعرض اذ ما من شر جزئي الا وهو متضمن لخير كلي ولان في حصول الشر دخلا
لصاحبه في الجملة لانه من اجزية اعماله واما الخير ففضل محض او لرعاية الادب او لان الكلام فيه فانه روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا
واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجاء عليه السلام واخذ منه المعول فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين
لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة
كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر في ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال
اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون
يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون
الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت انك على كل شيء قدير تعليل لما سبق وتحقيق له
تولج الليل في النهار اي تدخله فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول وزيادة الثاني وتولج النهار في الليل
على احد الوجهين وتخرج الحي من الميت اي تنشئ الحيوانات من موادها ومن النطفة وقيل تخرج المؤمن
من الكافر وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن وترزق من تشاء
بغير حساب قال ابو العباس المقري ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من تشاء
بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى
فامنن او امسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه
دلالة على ان من قدر على امثال هاتيك الافاعيل العظام المحيرة للعقول والافهام فقدرته على ان ينزع
الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل هين وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال صلى الله
عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تعالى

إن الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله تعالى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله تعالى
حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل اني حلفت انه لا يقرأكن احد
دبر كل صلوة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني كل يوم
سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله
ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم
عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عم كما تكونون يولى
عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب
المصادقة والمعاشرة كما في قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله تعالى
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله وعن الاستعانة بهم في الغزو وسائر
الامور الدينية من دون المؤمنين في موضع الحال اي متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة
الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء والتعبير
عنه بالفعل للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره فليس من الله اي من ولايته تعالى في شيء يصح ان يطلق
عليه اسم الولاية فان موالاة المتعادين مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال تود عدوي ثم تزعم انني
صديقك ليس النوك عنك بعازب والجملة اعتراضية وقوله تعالى الا ان تتقوا على صيغة الخطاب بطريق
الالتفات استثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم اولياء
ظاهرا او باطنا في حال من الاحوال الا حال اتقائكم منهم تقاة اي اتقاء او شيئا يجب اتقاؤه
على ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء
وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار ما في الضمير كما قال عيسى عم كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة
وقية ثم ابدلت الواو تاء كتخمة وتكأة وقلبت الياء الفا وقرئ تقية ويحذركم الله نفسه اي ذاته المقدسة
فان جواز اطلاق لفظ النفس مرادا به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح
بعض محققي المتأخرين بعدم الجواز وان اريد به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس
للايذان بان له عقابا هائلا لا يؤبه بما يحذر من الكفرة والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه
حتما قل ان تخفوا ما في صدوركم من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم يعلمه الله فيؤاخذكم
بذلك عند مصيركم اليه وتقديم الاخفاء على الابداء قد مر سره في تفسير قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلم ما في السموات وما في الارض كلام مستأنف غير معطوف على جواب
الشرط وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تأكيدا له وتقريرا والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه
ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين
لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف بشيء منها
من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من
ملكوته قط يوم تجد كل نفس اي النفوس المكلفة ما عملت من خير محضرا عندها بامر الله تعالى وفيه من التهويل
ما ليس في حاضر وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر في الخير
للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية تود عامل في الظرف والمعنى
تود وتتمنى يوم تجد صحائف اعمالها من الخير والشر او اجزيتها محضرة لو ان بينها وبينه اي بين ذلك اليوم امدا
بعيدا لغاية هوله واسناد الوداد الى كل نفس سواء كان لها عمل سيء اولا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة
على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم

سبعين صح

على المفعولية باضمار اذكروا وتود اما حال من كل نفس او استئناف مبني على السؤال اي اذكروا يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا وادة ان بينها وبينه امدا بعيدا او كانه قيل حين اجروا بذكر
ذلك اليوم فماذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو ان بينها الخ او وتجد مقصور على ما عملت من خير وتود خبر ما عملت
من سوء ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت فيجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها
حكاية حال ماضية واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتأكيد
فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤوف بالعباد من ان تحذيره تعالى من رأفته بهم ورحمته الواسعة
او ان رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهم من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرأفة بل هو متحقق مع
تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال
وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه
بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه
او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه
اليه فلذلك فسر المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته
والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي يرضى عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما
سلف منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة والله
غفور رحيم اي لمن يتحبب اليه بطاعته ويتقرب اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فهو تذييل مقرر لما قبله
مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف الالوهية للمغفرة والرحمة
روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا
لله تعالى وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم مصداقا
من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش في المسجد
الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابراهيم واسمعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى
فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني
اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم قل اطيعوا الله والرسول اي في جميع
الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه السلام دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق
الالتفات لتعيين حيثية الاطاعة والاشعار بعلتها فان الاطاعة المأمور بها اطاعته عليه السلام من حيث
انه رسول الله لا من حيث ذاته ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة ودواعيها فان تولوا
اما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التائين اي تتولوا واما كلام متفرع عليه
مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ذكر احتمال الاطاعة كما في قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه
غير محتمل منهم فان الله لا يحب الكافرين نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني
عليهم وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار بعلته فان سخطه تعالى بسبب كفرهم والايذان
بان التولي عن الطاعة كفر وبان محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل
لما بين الله عز وجل ان الدين المرضي عنده هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو
للبغي والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع في تحقيق
رسالته وكونه من اهل بيت النبوة القديمة فبدأ ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم الصلوة والسلام كافة واتبعه
امر ذكر مبدأ امر عيسى عليه السلام وامه وكيفية دعوته الناس الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما

عمران على العالمين

بقوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه

يعني قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم الآية سعد

يعني قوله ما كان لبشر الى آخر الآية سعد

يعني قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية سعد

عليه اهل الكتابين في شانهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابراهيم عليه السلام وادعائهم
الانتماء الى ملته ونزه ساحتها العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل عليهم
السلام دعاة الى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم
من الملائكة والنبيين وامهم قاطبة مامورون بالايمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب
الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التورية والانجيل وحتم الطاعة
له حسبما ياتي تفصيله وتخصيص آدم عليه السلام بالذكر لانه ابو البشر ومنشاء النبوة وكذا حال نوح عم
فانه آدم الثاني واما ذكر آل ابراهيم فلترغيب باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم واستمالتهم
نحو الاعتراف باصطفائه وبواسطة كونه من زمرتهم مع ما مر من التنبيه على كونه عليه السلام عريقا
في النبوة من زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابراهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق
امر عيسى عليه السلام لكمال رسوخ الخلاف في شانه فان نسبة الاصطفاء الى الاب قريبا دال على تحقيقه في الآل
وهو الداعي الى اضافة الآل الى ابراهيم دون نوح وآدم عليهم السلام والاصطفاء اخذ ما صفا من الشيء
كالاستصفاء مثل به اختياره تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية
والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عليهم السلام او فيمن يلابسه
وينشاء منه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عليه السلام بان خلقه بيده في احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد
الملائكة اياه واسكانه الجنة واصطفى نوحا عليه السلام بكونه اول من نسخ الشرايع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج
المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمومنين وحمله على
الماء والمراد بآل ابراهيم اسمعيل واسحق والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم
واما اصطفاء نفسه عليه السلام فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان
بالغنى عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم السلام وكون اصطفاء آله
بدعوته بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم عم
وبآل عمران عيسى وامه مريم ابنة عمران بن ابي هود بن العاذار بن ماثان بن دنابل بن سالتال بن يوحنا
بن اوشا بن اموز بن مشك بن خاريا بن احاد بن يونام بن عزريا بن بوداال بن ساقط بن ايشا بن رحبعم
بن سليمان بن داود عليهما السلام بن ايشا بن عويل بن سلمون بن ياعز بن يخشون بن عميا داب بن وام بن
حصروم بن فارض بن يهوذا ابن يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهرون عليهم السلام ابنا عمران بن يصهر بن
فاهث بن لاوي بن يعقوب عليه وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاء عيسى عليه السلام
باندراجه في آل ابراهيم عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصتهم واصطفاء موسى
وهرون عليهما السلام بالانتظام في سلك آل ابراهيم عم انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين اهل زمانهم
كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه ذرية نصب على البدلية من الآلين او على الحالية منهم
وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي وقوله تعالى بعضها من بعض في محل النصب على انه صفة لذرية
اي اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم ذرية
وقيل بعضها من بعض في الدين ولا احتمال له على الوجه الاول لقربية وعلى الثاني برهانية والله سميع لاقوال العباد
عليم باعمالهم البادية والخافية فيصطفي من بينهم لخدمته من يعلم استقامته قولا وفعلا او على نهج قوله
تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله اذ قالت امرأة عمران في حيز
النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستيناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته اي اذكر لهم
وقت قولها الخ وقد مر مرارا ان وجه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قيل

هو منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع لقولها الحكي عليم بضميرها وقيل هو بمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى
المذكور كانه قيل واصطفى آل عمران اذ قالت الخ فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات على المفردات
ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامرأة عمران هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وكانت لعمران
بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى عليه السلام وهرون عليه فظن ان المراد زوجته وليس بذاك فان قصة كفالة
زكريا عليه السلام قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه عليه السلام كان معاصرا وقد تزوج ايشاع
اخت حنة ام يحيى عليه السلام واما قوله عليه السلام في شان يحيى وعيسى عليهما السلام هما ابنا خالة فقيل
تاويله ان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا عليهما السلام ابني خالة وقيل كانت ايشاع
اخت حنة من الام واخت مريم من الاب على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت لهما ايشاع ثم نكح حنة بناء
على حل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكانت ايشاع اخت مريم من الاب وخالتها من الام لانها اخت حنة
من الام روي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته
وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وكان هذا النذر
مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل فقولها رب اني نذرت لك ما في بطني لا بد من حمله على التكرير
لتاكيد نذرها واخراجه عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه
صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له
دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته وتاكيد الجملة لابراز وفور الرغبة في مضمونها
وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به وانما عبر عن الولد بما لابهام امره وقصوره عن درجة العقلاء محررا
اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شان آخر او مخلصا للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول والعامل
فيه نذرت وقيل من ضميره في الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها في قوة ما استقر في بطني ولا يخفى ان المراد
تقييد فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها فتقبل مني اي
ما نذرته والتقبل اخذ الشيء على وجه الرضى وهذا في الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور القبول بدون
تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها تضرعي ودعائي
العليم بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث ان كونه تعالى
سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها واخلاصها مستدع
لذلك تفضلا واحسانا وتاكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لعرض
اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة في الضراعة والابتهال
فلما وضعتها اي ما في بطنها وتانيث الضمير العائد اليه لما ان المقام يستدعي ظهور انوثته واعتباره
في حيز الشرط اذ عليه يترتب جواب لما اعني قوله تعالى قالت رب اني وضعتها انثى لا على وضع ولد
ما كانه قيل فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل تانيثه لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى ولانه مأول
بالحبلة او النفس او النسمة وانت خبير بان اعتبار شيء مما ذكر في حيز الشرط لا يكون مدارا لترتب الجواب عليه
وقوله تعالى انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه وتانيثه للمسارعة الى العرض ما دهمها من خيبة الرجاء
او لما مر من التاويل بالحبلة او النسمة فالحال الخ مبينة وانما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس
تقديرها لما كانت ترجوان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة وللتاكيد الرد على اعتقادها الباطل
والله اعلم بما وضعت تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشانه وتجهيل لها بقدره اي والله اعلم بالشيء
الذي وضعته وما علق به من عظائم الامور وجعله وابنه آية للعالمين وهي غافلة عن ذلك والجملة اعتراض
وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو

الشأن وسمو المقدار وقرئ وضعتُ على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهاراً لغاية
الاجلال فيكون ذلك منها اعتذاراً الى الله تعالى حيث اتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية
لنفسها على معنى لعل لله تعالى فيه سراً او حكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات ظاهر وقوله تعالى
وليس الذكر كالانثى اعتراض آخر مبين لما في الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام في الذكر والانثى
للعهد اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتخيلت فيه كمالاً قصاراه ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التي
وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور هذا على القراءتين الاوليين واما
على التفسير الاخير للقراءة الاخيرة فمعناه فليس الذكر كهذه الانثى في التفضيل بل ادنى منها واما على التفسير
الاول فمعناه تأكيد الاعتذار وبيان ان الذكر ليس كالانثى في الفضيلة والمرتبة وصلاحية خدمة المتعبدات
فانهن بمعزل عن ذلك فاللام للجنس وقوله تعالى وانى سميتها مريم عطف على انى وضعتها انثى وغرضها من عرضها
على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبي معناها
خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة
بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه وانى اعيذها بك عطف على انى سميتها وصيغة المضارع للدلالة
على الاستمرار اي اجيرها بحفظك وقرئ بفتح ياء المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة الا في موضعين
بعهدي اوف وآتوني افرغ وذريتها عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز كمال العناية به
من الشيطان الرجيم اي المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود
يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء
كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها اي اخذ
مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر ربها مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى
بقبول حسن قيل الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اي تقبلها قبولاً حسناً
وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة التفعل
مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها في حقه تعالى
ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به
ويلد وهو اختصاصه تعالى اياها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها
عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد
ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا
فيها لانها بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانوا رؤس بني اسرائيل وملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها
وامر عيسى عليه السلام في الكتب الالهية فقال زكريا عليه السلام انا احق بها عندي خالتها فابوا الا
القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا عليه السلام ورسب
اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر اي فتقبلها بذي قبول اي بامر ذي قبول حسن وقيل
تقبل بمعنى استقبل كتقضى بمعنى استقضى وتعجل بمعنى استعجل اي استقبلها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن
وانبتها مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها نباتاً حسناً مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف
الزوائد وقيل بل لفعل مضمر موافق له تقديره فنبتت نباتاً حسناً وكفلها زكريا اي جعله عليه السلام
كافلاً لها وضامناً لمصالحها قائماً بتدبير امورها لا على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل فان رغبته
عليه السلام وطفو قلمه ورسوب اقلامهم وغير ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى
وقرئ اكفلها وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكرياء ممدوداً وقرئ وتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة

الامر في الكل ونصب ربها على الدعاء اي فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلاً لها
فهو تعيين لجهة التربية قيل بنى عليه السلام لها محراباً في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب
اشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب
روي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب كلما دخل عليها زكريا
المحراب تقديم الظرف على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلما ظرف
على ان ما مصدرية والزمان محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل جوابها
اي كل زمان دخوله عليها او كل وقت دخل عليها فيه وجد عندها رزقاً اي نوعاً منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك
من الجنة وكان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثدياً قط قال يا مريم
انى لك هذا اي من اين يجيء لك هذا الذي لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز
الكرامة للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصاً وتأسيساً لرسالة عيسى عليه السلام واما جعله معجزة لزكريا عليه السلام
فيأباه اشتباه الامر عليه وانما خاطبها عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما علم بما شاهده انها مؤيدة
من عند الله تعالى بالعلم والقدرة قالت استئناف كما قبله كأنه قيل فماذا صنعت مريم وهي صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال
ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد ان الله يرزق من يشاء ان يرزقه بغير حساب
اي بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلاً منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون
في محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستأنف روي ان فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها اهدت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزاً
ولحماً فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله
الذي جعلك شبيهة سيدة بني اسرائيل ثم جمع علياً والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجميع اهل بيته
فاكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف
حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في ايرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء
آل عمران فان فضائل بعض الاقرباء ادلة على فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد
والكاف للخطاب اي في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثمة وحيث للزمان
دعا زكريا ربه لما رأى كرامة مريم على الله ومنزلتها منه تعالى رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد
حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقراً عجوزاً فقد كانت حنة كذلك وقيل لما رأى الفواكه
في غير اوانها تنبه لجواز ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفاني فاقبل على الدعاء من غير تأخير كما ينبئ عنه تقديم
الظرف على الفعل لا على معنى ان ذلك كان هو الموجب للاقبال على الدعاء فقط بل كان جزءاً اخيراً من العلة التامة
التي من جملتها كبر سنه عليه السلام وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل في سورة مريم قال تفسير
للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الاعراب رب هب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف
معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازاً اي اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ذرية
طيبة كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق من بمحذوف وقع حالاً من ذرية اي كائنة من لدنك والذرية
النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد هنا ولد واحد فالتأنيث في الصفة لتأنيث لفظ
الموصوف كما في قول من قال ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال وهذا اذا لم يقصد به واحد
معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز ان يقال جاءت طلحة وذهبت
حمزة انك سميع الدعاء اي مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة فنادته الملائكة كان المنادي
جبريل عليه السلام كما ينبئ عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل والجمع كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس

الثياب وما له غير فرس وثوب قال الزجاج اي اتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملائكة وقيل لما كان
جبرئيل عليه السلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له وقيل الرئيس لا بد له من اتباع فاسند النداء الى الكل
مع كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة وهو قائم جملة حالية من مفعول النداء مقررة لما افاده
الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلي اما صفة لقائم او خبر ثان عند من يرى تعدده
عند كون الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال اخرى منه على القول بتعددها بلا عطف
ولا بدلية او حال من المستكن في قائم وقوله تعالى في المحراب اي في المسجد او في غرفة مريم متعلق بيصلي او بقائم
على تقدير كون يصلي حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفي الحال شيء واحد فلا يلزم الفصل بالاجنبي كما يلزم
على التقادير الباقية ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول او اجراء النداء مجراه لكونه
نوعا منه وقرئ يُبشِرك من الابشار ويبشرك من الثلاثي وايا ما كان ينبغي ان يكون هذا الكلام المحكي بعبارته
من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية كما يلوح به
مراجعته عليه السلام في الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة
حسبما وقع في سورة مريم للجري على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك كذا وللايذان بان ما حكي
هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية منه تعالى لا بالذات
كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتامل ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف
ووزن الفعل روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انما سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال قتادة لان الله تعالى
احيى قلبه بالايمان قال القرطبي كان اسمه في الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف يعود اليه الحال اي بولادة
يحيى فان البشارة لا تتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة من يحيى بكلمة من الله اي بعيسى عم وانما سمي كلمة لانه وجد
بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات التي هي عالم الامر ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة
لكلمة اي بكلمة كائنة منه قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال السدي لقيت ام يحيى
ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلي فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني يسجد لما
في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة الخ وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان يحيى اكبر من عيسى
عليهما السلام بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لما ان مريم
ولدت وهي بنت ثلث عشرة سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اي بكتاب الله سمي كلمة كالحويدرة لقصيدته
وسيدا عطف على مصدقا اي رئيسا يسود قومه ويفوقهم في الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه لم يلم
بخطيئة ولم يهم بمعصية فيا لها من سيادة ما اسناها وحصورا عطف على ما قبله اي مبالغا في حصر النفس
وحبسها عن الشهوات مع القدرة روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا
عطف على ما قبله مترتب على ما عدد من الخصال الحميدة من الصالحين اي ناشئا منهم لانه كان من اصلاب
الانبياء عليهم السلام او كائنا من جملة المشهودين بالصلاح كما في قوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين والمراد
بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا بد منه في منصب النبوة البتة من اقاصي مراتبه وعليه مبني دعاء سليمان
عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام
ح فقيل قال رب لم يخاطب الملك المنادي له بملابسة انه المباشر للخطاب وان كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى
بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة في التضرع والمناجاة وجدا في التبتل الى الله تعالى واحترازا عما عسى يوهم خطاب
الملك من توهم ان علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على ما يصدر عنه سبحانه
على توسطه في عامة الاحوال وان لم يتوقف عليه في بعضها انى يكون لي غلام فيه دلالة على انه قد اخبر
بكونه غلاما عند التبشير كما في قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانى بمعنى كيف او من اين وكان تامة وانى

واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر
اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة
له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما انى واللام متعلقة بمحذوف كما مر وهو الخبر وانى منصوب
على الظرفية وقد بلغني الكبر حال من ياء المتكلم اي ادركني كبر السن واثر فيّ كقولهم ادركته السن و
اخذته السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان لا يكاد يترك
قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل اثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون
وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون ولامراته ثمان وتسعون وامراتي عاقر اي ذات عقر
وهو ايضا حال من ياء لي عند من يجوز تعدد الحال او من ياء بلغني اي كيف يكون لي ذلك والحال اني
وامراتي على حالة منافية له كل المنافاة وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة
الله تعالى عليه لا سيما بعد مشاهدته عليه السلام للشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله سبحانه و
تعالى وتعجبا منها واعتدادا بنعمته عز وجل عليه في ذلك لا استبعادا له وقيل بل كان ذلك للاستبعاد حيث كان بين
الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد وقيل ذلك استفهاما عن كيفية حدوثه
قال استئنافا كما سلف كذلك اشارة الى مصدر يفعل في قوله عز وجل الله يفعل ما يشاء اي ما يشاء ان
يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدا ويفعل خبر والكاف في محل النصب على انها
في الاصل نعت لمصدر محذوف اي الله يفعل ما يشاء اي يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع
الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر فقدم على العامل لافادة القصر بالنسبة الى ما هو ادنى
من المشار اليه واعتبرت الكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه في
تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او على انها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة اي يفعل
الفعل كائنا مثل ذلك او في محل الرفع على انها خبر والجلالة مبتدا اي على نحو هذا الشان البديع شان الله
تعالى ويفعل ما يشاء بيان لذلك الشان المبهم او كذلك خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك وقوله تعالى
الله يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لي آية اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل
وانما سالها لان العلوق امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة
من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان
مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سني يحيى وعيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلث سنين
لان ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الآية
اللهم الا ان يكون المجاوبة بين زكريا ومريم في حالة كبرها وقد عدت من جملة من تكلم في الصغر بموجب
قولها المحكي والجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما
اخر او بمحذوف وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما لي والتقديم
لانه لا مسوغ لكون آية مبتدا عند انحلال الجملة الى مبتدا وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد ورود
الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس اي ان لا تقدر على تكليمهم ثلاثة ايام اي متوالية لقوله تعالى في سورة
مريم ثلث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره
قضاء لحق النعمة كانه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة ان يحبس لسانك الا عن شكرها واحسن الجواب
ما اشتق من السؤال الا رمزا اي اشارة بيد او راس او نحوهما واصله التحرك يقال ارتمز اي تحرك ومنه قيل للبحر الراموز
وهو استثناء منقطع لان الاشارة ليست من قبيل الكلام او متصل على ان المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولا ريب
في كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ رَمَزا بفتحتين على انه جمع رامز كخادم وخدم وبضمتين على انه جمع رموز كرسل على انه حال

منه ومن الناس معا بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك اي
في ايام الحبسة شكرا لحصول التفضيل والانعام كما يوذن به التعرض لعنوان الربوبية كثيرا اي ذكرا كثيرا او
زمانا كثيرا وسبح اي سبحه تعالى او افعل التسبيح بالعشي اي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب
صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى قيل المراد بالتسبيح الصلوة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر اللساني كما ان المراد بالذكر الذكر القلبي وقرئ الابكار بفتح
الهمزة على انه جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة شروع في شرح بقية احكام اصطفاء آل عمران اثر الاشارة
الى نبذ من فضائل بعض اقاربهم اعني زكريا ويحيى عليهما السلام لاستدعاء المقام اياها حسبما اشير اليه وقرئ
بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف
على المضمر السابق عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق اعني قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران
منصوب بناصبه فتدبر اي واذكر ايضا من شواهد اصطفائهم وقت قول الملائكة عليهم السلام يا مريم
وهو تكرير التذكير للاشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من احكام الاصطفاء والتنبيه على استقلالها وانفرادها
عن الاحكام السابقة فانها من احكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر مريم عليها السلام وهذه من باب
التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة لها او ارهاصا لنبوة عيسى
عليه السلام لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة وقيل الهموها ان الله اصطفاك اولا حيث تقبلك
من امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى ورباك في حجر زكريا عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات
السنية وطهرك اي مما يستقذر من الاحوال والافعال ومما قذفك به اليهود بانطاق الطفل واصطفاك اخرا
على نساء العالمين بان وهب لك عيسى عليه السلام من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما آية
للعالمين فعلى هذا ينبغي ان يكون تقديم حكاية هذه المقاولة على بشارتها بعيسى عليه السلام لما مر مرارا
من التنبيه على ان كلا منهما مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روعي الترتيب الخارجي لتبادر كون الكل شيئا
واحدا وقيل المراد بالاصطفائين واحد والتكرير للتاكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فح لا اشكال في ترتيب
النظم الكريم اذ يحمل ح الاصطفاء على ما ذكر اولا ويجعل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عليه السلام ايذانا
بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما امرت بها مجتهدة فيها متبتلة على الله تعالى
متبتلة اليه تعالى منسلخة عن احكام البشرية مستعدة لفيضان الروح عليها يا مريم تكرير النداء للايذان
بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله من تذكير النعم كان تمهيدا لذكره وترغيبا في العمل اقنتي
لربك اي قومي في الصلوة او اطيلي القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى لها للاشعار بعلة
وجوب الامتثال بالامر واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في ايجاب
رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك
واما لكون السجود افضل اركان الصلوة واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك
بل اللائق به الترقي من الادنى الى الاعلى واما ليقترن اركعي بالراكعين للاشعار بان من لا ركوع له في صلوتهم ليسوا
مصلين واما ما قيل من ان الواو لا يوجب الترتيب فغايته التصحيح لا الترجيح وتجريد الامر بالركنين الاخيرين
عما قيد به الاول لما ان المراد تقييد الامر بالصلوة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الاول منها وقيل المراد بالقنوت
ادامة الطاعة كما في قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود والصلوة لما مر من اتزان افضل
اركانها وبالركوع الخشوع والاخبات قيل لما امرت بذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت دما
وقيحا ذلك اشارة الى ما سلف من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شان المشار اليه وبعد
منزلته في الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى من انباء الغيب اي من الانباء المتعلقة بالغيب والجملة مستانفة لا محل لها

من الاعراب

من الاعراب وقوله تعالى نوحيه اليك جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن
انباء الغيب اما متعلق بنوحيه او حال من ضميره اي نوحيه من انباء الغيب ونوحيه حال كونه من جملة انباء
الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحي لم ينقطع بعد وما كنت لديهم اي عند الذين اختلفوا وتنازعوا
في تربية مريم وتقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم لمنكريه كما في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي
الآية وما كنت ثاويا في اهل مدين الآية فان طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث والواقعات اما المشاهدة
واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة فنفيت تهكما بهم اذ يلقون اقلامهم
ظرف للاستقرار العامل في لديهم واقلامهم اقداحهم التي اقترعوا بها قيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها
التورية تبركا ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم ينظرون او يعلموا ايهم يكفلها وما
كنت لديهم اذ يختصمون اي في شانها تنافسا في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق
المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما في قوله عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم
نجوى للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره صلى الله عليه وسلم عند القاء الاقلام وعدم حضوره عند
الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عليه السلام لا سيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغيير
الترتيب في الذكر مؤكد له اذ قالت الملائكة شروع في قصة عيسى عليه السلام وهو بدل من واذ قالت الملائكة
منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض جيء به تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان يعد على حياله
من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب وايذانا بتقارن الخطابين او تقاربهما في الزمان وقيل
منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من اذ يختصمون كانه قيل وما كنت حاضرا في ذلك الزمان المديد الذي
وقع في طرف منه الاختصام وفي طرف آخر هذا الخطاب ايتعارا باحاطته عليه السلام بتفاصيل احوال مريم من اولها
الى آخرها والقائل جبريل عليه السلام وايراد صيغة الجمع لما مر يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه من لابتداء الغاية مجازا
متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اي بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه ذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة
عن مذكر وهو مبتدا خبره المسيح وقوله عيسى بدل منه او عطف بيان وقيل خبر آخر وقيل خبر مبتدا محذوف
وقيل منصوب باضمار اعني مدحا وقوله تعالى ابن مريم صفة لعيسى قيل المراد بالاسم ما به يتميز المسمى عمن سواه فالخبر
مجموع الثلثة اذ هو المميز له عليه السلام تمييزا عن جميع ما عداه والمسيح لقبه عليه السلام وهو من الالقاب المشرفة
كالصديق واصله بالعبرانية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع واشتقاقهما
من المسح والعيس وتعليله بانه عليه السلام مسح بالبركة او بما يطهره من الذنوب او مسحه جبريل عليهما السلام
او مسح الارض ولم يقم في موضع او كان عليه السلام يمسح ذا العاهة فيبرأ وبانه كان في لونه عيس اي بياض
يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب فلا ينسب
الى امه وبذلك فضلت على نساء العالمين وجيها في الدنيا والآخرة الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف
وهو حال مقدرة من كلمة فانها وان كانت نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى
والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة ومن المقربين اي
من الله عز وجل قيل هو اشارة الى رفعه الى السماء وصحبة الملائكة وهو عطف على الحال الاولى وقد عطف عليه
قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت
والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي اي يسوى من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي
ذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه بمعزل من الالوهية ومن الصالحين حال اخرى من كلمة معطوفة
على الاحوال السالفة او من الضمير في يكلم قالت استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالت مريم حين قالت
لها الملائكة ما قالت فقيل قالت متضرعة الى ربها رب انى يكون اي كيف يكون او من اين يكون لي ولد

على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار
بانه بالتزوج او بغيره ويكون اما تامة واني واللام متعلقتان بها وتاخير الفاعل عن الجار لما مر من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد اذ لو تاخر لكان صفة له واما
ناقصة واسمها ولد وخبرها اما اني واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر او خبر واني نصب على الظرفية وقوله
تعالى ولم يمسسني بشر جملة حالية محققة للاستبعاد اي والحال اني على حالة منافية للولادة قال استيناف
كما سلف والقائل هو الله تعالى او جبريل عليه السلام كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام في اعرابه كما مر في
قصة زكريا بعينه خلا ان ايراد يخلق هنا مكان يفعل هناك لما ان ولادة العذراء من غير ان يمسها بشر ابدع
واغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان فكان الخلق المنبئ عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك
عقب ببيان كيفيته فقيل اذا قضى امرا من الامور اي اراد شيئا كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل
القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه
قوله تعالى وقضى ربك فانما يقول له كن لا غير فيكون من غير ريث وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تاتي
المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المأمور المطيع للآمر القوي المطاع
وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة
الى شيء من الاسباب والمواد ويعلمه الكتاب اي الكتابة او جنس الكتب الالهية والحكمة اي العلوم وتهذيب
الاخلاق والتورية والانجيل افرادهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما
وانافتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ سيق تطييبا لقلبها وازاحة لما
اهمها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زوج وقرئ بالنون ونعلمه ورسولا الى بني اسرائيل منصوب
بمضمر يعود اليه المعنى معطوف على يعلمه اي ويجعله رسولا الى بني اسرائيل اي كلهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا
الى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبا وقيل بعد البلوغ وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف عليه السلام
وآخرهم عيسى عليه السلام وقيل اولهم موسى وآخرهم عيسى عليهم السلام وقوله تعالى اني قد جئتكم معمول لرسولا
لما فيه من معنى النطق اي رسولا ناطقا باني الخ وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف على يعلمه اي ويقول
ارسلت رسولا باني قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها في حكم الغيبة مع كون هذا
في حكم التكلم لما عرفت من ان فيه معنى النطق كانه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا باني الخ وقرئ ورسول بالجر
عطفا على كلمة والباء في قوله تعالى بآية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على انها للملابسة والتنوين
للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها وقرئ بآيات او بجئتكم على انها للتعدية ومن في قوله تعالى من ربكم
لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لآية اي قد جئتكم ملتبسا بآية عظيمة كائنة من ربكم او آتيكم آية
عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأكيد ايجاب الامتثال بما سيأتي
من الاوامر وقوله تعالى اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير بدل من قوله تعالى اني قد جئتكم ومحله النصب
على نزع الجار عند سيبويه والفراء والجر على راي الخليل والكسائي او بدل من آية وقيل منصوب بفعل مقدر اي
اعني اني الخ وقيل مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي اني اخلق لكم وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف اي اقدر لكم
اي لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياي من الطين شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك
الشيء المماثل لهيئة الطير وقرئ فانفخ فيها على ان الضمير للهيئة المقدرة اي اخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير
فانفخ فيها فيكون طيرا حيا طيارا كسائر الطيور باذن الله بامره تعالى اشار عليه السلام بذلك الى ان احياءه
من الله تعالى لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش روي انه عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه
بخلق الخفاش فاخذ طينا وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس

ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله تعالى قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطير
خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا واسنانا وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك
الانسان ويطير بغير ريش ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما ترى في ساعتين ساعة بعد الغروب
وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير وابرئ الاكمه اي الذي ولد اعمى او ممسوح العين والابرص
المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ويقال له الوضح ايضا وتخصيص هذين الداءين لانهما
مما اعيى الاطباء وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه عليه السلام فاراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس
روي انه ربما كان يجتمع عليه عليه السلام الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه عليه السلام ومن لم يطق
اتاه عيسى عليه السلام وما يداويه الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرره مبالغة في دفع من توهم
فيه اللاهوتية قال الكلبي كان عليه السلام يحيي الموتى بيا حي يا قيوم احيى عاذر وكان صديقا له فعاش وولد
له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له وبنت العاشر احياها
وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم سكتة فاحيي سام بن
نوح فقال دلوني على قبره ففعلوا فقام على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب رأسه فقال عليه السلام
كيف شبت ولم يكن في زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتني سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت
ان الساعة قد قامت فمن هول ذلك شبت فسأله عن النزع قال يا روح الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتي
وكان بينه وبينه اكثر من اربعة آلاف سنة وقال للقوم صدقوه فانه نبي فآمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا
هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وذلك قوله تعالى وانبئكم بما تأكلون وما
تدخرون في بيوتكم اي بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ان
في ذلك اشارة الى ما ذكر من الامور العظام لآية عظيمة وقرئ لآيات لكم دالة على صحة رسالتي دلالة
واضحة ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه اولدلالة المذكور عليه اي انتفعتم بها
او ان كنتم ممن يتأتى منهم الايمان دلتكم على صحة رسالتي والايمان بها ومصدقا لما بين يدي من التورية
عطف على المضمر الذي تعلق به قوله تعالى بآية اي قد جئتكم ملتبسا بآية ومصدقا لما بين الخ او على
على الاوجه الثلثة فان مصدقا فيه معنى النطق كما في رسولا اي ويجعله مصدقا ناطقا باني اصدق الخ
او ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الخ او حال كونه مصدقا باني اصدق الخ او منصوب باضمار فعل
دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا الخ وقوله من التورية حال من الموصول والعامل مصدقا او ما
من ضميره المستتر في الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار المضمر في الظرف او نفس الظرف لقيامه مقام الفعل
ولاحل لكم معمول لمضمر دل عليه ما قبله اي وجئتكم لاحل الخ وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم
جئتك معتذرا ولاطيب قلبك كانه قيل قد جئتكم لاصدق ولاحل الخ وقيل عطف على بآية اي جئتكم بآية من ربكم
ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب والسمك ولحوم
الابل والعمل في السبت قيل احل من السمك والطير ما لا صيصية له واختلف في احلال السبت وقرئ
حرم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي او الله عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم وهذا يدل على ان شرعه كان
ناسخا لبعض احكام التورية ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان
وتأخير المنقول عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وجئتكم
بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وقرئ بآيات فاتقوا الله في عدم قبولها ومخالفة مدلولها واطيعون
فيما آمركم به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الآية هي قولي ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم فان الملة الصحيح الذي اجمع عليه الرسل قاطبة فيكون آية بينة على انه عليه السلام من جملتهم

وقرئ أن الله بالفتح بدلاً من آية او قد جئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اي قد جئتكم بآية بعد آية مما ذكرت لكم من خلق الطير وابراء الاكمه والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة الثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء وقوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش الخ ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه يلازم الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت ثم استقم **فلما احس عيسى منهم الكفر** شروع في بيان مآل احواله عليه السلام اثر ما اشير الى طرف منها بطريق النقل عن الملائكة والفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملائكة عليهم السلام وخروجه من القوة الى الفعل حسبما شرح منه كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت وانما لم يذكر اكتفاء بحكاية الملائكة وايذانا بعدم الخلف وثقة بما فصل في المواضع الاخر واما عدم نظم الاخر واما عدم نظم بقية احواله عليه السلام في سلك النقل فاما للاعتناء بامرها او لعدم مناسبتها لمقام البشارة لما فيها من ذكر مقاساته الشدائد ومعاناته المكائد والمراد بالاحساس الادراك القوي الجاري مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عليه السلام كما ينبئ عنه الاحساس فانه انما يستعمل في امثال هذه المواقع عند كون متعلقه امرا محذورا مكروها كما في قوله عز وجل فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبني اسرائيل اي ابتداء الاحساس من جهتهم وتقديم الجار على المفعول الصريح لما مر مرة من الاعتناء به والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر **قال** اي لخلص اصحابه لا لجميع بني اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى بن مريم للحواريين الآية وقوله تعالى فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ليس بنص في توجيه الخطاب الى الكل بل يكفي فيه بلوغ الدعوة اليهم **من انصاري** الانصار جمع نصير كالاشراف جمع شريف **الى الله** متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اي من انصاري متوجها الى الله تعالى او ملتجئا اليه او بانصاري متضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله عز وجل ينصرونني كما ينصرني وقيل الى بمعنى في اي في سبيل الله وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى مع **قال** استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالوا في جوابه عليه السلام فقيل قال **الحواريون** جمع حواري يقال فلان حواري فلان اي صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن ونقائهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة انوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة لا يزال يأكل منها ولا تنقص فذكروا ذلك للملك فاستدعى عيسى عليه السلام فقال من انت قال عليه السلام عيسى بن مريم فترك ملكه وتبعه مع اقاربه فاولئك هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى عليه السلام فقال لهم انتم تصيدون السمك فان اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس بالحياة الابدية قالوا من انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا فامر عيسى عليه السلام بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا

باهل سفينة اخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عليه السلام وقيل كانوا اثني عشر رجلا آمنوا به عليه السلام واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من افضل منا قال عليه السلام افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان امه سلمته الى صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال له عليه السلام ههنا ثياب مختلفة وقد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل عليه السلام كلها في جب واحد وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فسأله فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا اصفر الى ان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا به عليه السلام وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام واعوانه والمخلصين في طاعته ومحبته **نحن انصار الله** اي انصار دينه ورسوله **آمنا بالله** استئناف جار مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه **واشهد بانا مسلمون** مخلصون في الايمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة يوم القيمة يوم تشهد الرسل عليهم السلام لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية **ربنا آمنا بما انزلت** تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة في اظهار امرهم **واتبعنا الرسول** اي في كل ما يأتي ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا اوليا **فاكتبنا مع الشاهدين** اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا **ومكروا** اي الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم من اليهود بان وكلوا به من يقتله غيلة **ومكر الله** بان رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ملك بني اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام امر جبريل ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل عليه السلام من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه السلام ورفعه الى السماء فاخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه لا يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم عليها السلام ومعها امرأة ابرأها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عليه السلام وجعلتا تبكيان على المصلوب فانزل الله عيسى عليه السلام فجاءهما فقال علام تبكيان قالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم وقال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه السلام فلقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل وفعل فقتلوه فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فتابعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك

طيطوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه السلام بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك
في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت
مريم بعيسى عليه السلام ولها ثلث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس وستين
سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل فاوحى الله تعالى اليه على راس ثلثين سنة ورفعه اليه من بيت
المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة وعاشت امه بعد رفعه ست سنين والله
خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب واظهار الجلالة في
موقع الاضمار لتربية المهابة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله اذ قال الله ظرف لمكر الله والمقر بخير وقع ذلك
يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما لك من قتلهم او قابضك من الارض
من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع وهو نائم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك
الآن او مميتك من الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه
الى السماء واليه ذهبت النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد
وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما واصل القصة ان اليهود لما عزموا على قتله عليه السلام
اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فاخبرهم ابليس جمع اليهود
فركب منهم اربعة آلاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة
فقال واحد منهم انا يا نبي الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازة والقي عليه شبه
عيسى عليه السلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى عليه السلام فكساه الله تعالى الريش
والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله تعالى اني متوفيك فطار مع الملائكة ثم ان اصحابه
حين رأوا ذلك تفرقوا ثلث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة اخرى
كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة اخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء
الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا الى
ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ورافعك الي اي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا
اي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل الذين اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل
والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين كذبوا وكذبوا
عليه من النصارى فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان
اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي ان يحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم اصل
الاتحاد في الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة والا فاولئك
الكفرة بمعزل من اتباعه عليه السلام الى يوم القيمة غاية للجعل او للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى ان
الجعل والفوقية ينتهي حينئذ ويتخلص الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها
فيفعل الله بهم ما يريد ثم الي مرجعكم اي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتاكيد الوعد
والوعيد والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات
فانه ابلغ في التبشير والانذار فاحكم بينكم يومئذ اثر رجوعكم الي فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين
وفيه متعلق بتختلفون وتقديمه عليه لرعاية الفواصل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا تفسير
للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته والبداية ببيان حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم
عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق باعذبهم لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب
في الدنيا والتعذيب في الآخرة واحداثهما يوم القيمة بل بمعنى اتمام مجموعهما يومئذ وقيل ان المرجع اعم من الدنيوي

والاخروي وقوله تعالى الى يوم القيمة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود
لا عن الفوقية المحدودة على نهج قولك سأعيرك سكنى هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك بخلعة لزم تأخر الخلع
عن الاعادة لا عن انتهائها وما لهم من ناصرين يخلصونهم من عذاب الله في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة
ضمير الجمع اي ليس لواحد منهم ناصر واحد واما الذين آمنوا بما ارسلت به وعملوا الصالحات كما هو
ديدن المؤمنين فيوفيهم اجورهم اي يعطيهم اياها كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدري
التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلالة والجمال وقرئ فنوفيهم جريا على سنن العظمة والكبرياء والله
لا يحب الظالمين اي يبغضهم فان هذه الكناية فاشية في جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وايراد
الظلم للاشعار بانهم بكفرهم متعدون متجاوزون عن الحدود واضعون الكفر مكان الشكر والايمان
والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ذلك اشارة الى ما سلف من نبا عيسى عليه السلام وما فيه من معنى
البعد للدلالة على عظم شان المشار اليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الامر ونباهة الشان
بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدأ وقوله عز وجل نتلوه خبره وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوه وقوله
تعالى من الآيات حال من الضمير المنصوب او خبر بعد الخبر او هو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة او ذلك
خبر مبتدأ مضمر اي الامر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال اما لاستحضار الصورة او على معناها
اذ التلاوة لم تتم بعد والذكر الحكيم اي المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القرآن
فمن تبعيضية او بعض مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية ان مثل عيسى اي
شانه العظيم البديع المنتظم لغرابته في سلك الامثال عند الله اي في تقديره وحكمه كمثل آدم اي كحاله
العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه
وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبهة الخصوم فان انكار خلق عيسى عليه السلام
بلا اب ممن اعترف بخلق آدم عليه السلام بغير اب وام لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال
له كن فيكون اي انشاه بشرا كما في قوله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز
ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى
العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون
ابوه هو الله فقال عليه السلام ان آدم عليه السلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا
لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه السلام الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق اي ما قصصنا
عليك من نبا عيسى عليه السلام وامه هو الحق
وقيل هو مبتدأ وخبر اي الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتشريفه
عليه السلام والايذان بان تنزيل هذه الآيات الحقة الناطقة بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلم ولطف به
فلا تكن من الممترين خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت والاشعار
بان الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء
واما لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك اي من النصارى اذ هم المتصدون للمحاجة فيه اي في شان عيسى
عليه السلام وامه زعما منهم انه ليس على الشان المحكي من بعد ما جاءك من العلم اي ما يوجبه ايجابا قطعيا
من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الغي والضلال فقل تعالوا اي هلموا بالراي
والعزيمة ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء
فتعلقهن من جهة اخرى ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي ليدع كل منا ومنكم نفسه

واعزّ اهله والصقهم بقلبه الي المباهلة وبحملهم عليها وتقديمهم علي النفس في اثناء المباهلة التي هي من باب المهالك ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكمال امنه صلي الله عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه اصلا وهو السر في تقديم جانبه عم علي جانب المخاطبين في كل من المقدم والموخر مع رعاية الاصل في الصيغة فان غير المتكلم تبع له في الاسناد ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة اي تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله علي الكاذبين عطف علي نبتهل مبين لمعناه روي انهم لما دعوا الي المباهلة قالوا حتي ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما تري فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصاري ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة علي ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الي بلادكم فاتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصاري اني لاري وجوها لو شاء الله تعالي ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقي علي وجه الارض نصراني الي يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك علي دينك ونثبت علي ديننا قال صلي الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك علي ان لا تغزونا ولا تخيفنا وتردنا عن ديننا علي ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عارية من حديد فصالحهم علي ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلي علي اهل نجران ولولا عنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتي الطير علي رؤس الشجر ولما حال الحول علي النصاري كلهم حتي يهلكوا ان هذا اي ما قص من نبا عيسي عليه السلام لهو القصص الحق دون ما عداه من اكاذيب النصاري فهو ضمير الفصل دخلته اللام لكونه اقرب الي المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل المبتدا وقري لهو بسكون الهاء والقصص خبر ان والحق صفته او هو مبتدا والقصص خبره والجملة خبر لان وما من اله الا الله صرح فيه بمن الاستغراقية تاكيدا للرد علي النصاري في تثليثهم وان الله لهو العزيز القادر علي جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه في القدرة والحكمة ليشاركه في الالوهية فان تولوا عن التوحيد وقبول الحق الذي قص عليك بعد ما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة فان الله عليم بالمفسدين اي عليم بهم وانما وضع موضعه ما وضع للايذان بان الاعراض عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه بعد ما قامت به الحجج افساد للعالم ومن شدة الوعيد ما لا يخفي قل يا اهل الكتاب امر بخطاب اهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي ان لا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عليه السلام اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال عليه السلام هو ذاك فان تولوا عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك الاشراك فقولوا اي قل لهم انت والمؤمنون اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون لما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام انظر الي ما روعي في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدريج في المحاجة حيث بين اولا احوال عيسي عليه السلام وما توارد عليه من الاطوار المنافية

للالهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس الي التوحيد فلما ظهر عنادهم دعوا الي المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعوا الي ما اتفق عليه عيسي عليه السلام والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما ظهر عدم اجدائه ايضا امر بان يقال لهم اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب من اليهود والنصاري لم تحاجون في ابراهيم اي في ملته وشريعته تنازعت اليهود والنصاري في ابراهيم عليه السلام وزعم كل منهم انه عليه السلام منهم وترافعوا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت والمعني لم تدعون انه عليه السلام كان منكم وما انزلت التورية علي موسي عليه السلام والانجيل علي عيسي عليه السلام الا من بعده حيث كان بينه وبين موسي عليهما السلام الف سنة وبين موسي وعيسي عليهما السلام الفا سنة فكيف يمكن ان يتفوه به عاقل افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم او تقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه ها انتم هؤلاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستانفة اشعارا بكمال غفلتهم اي انتم هؤلاء الاشخاص الحمقي حيث حاججتم فيما لكم به علم في الجملة حيث وجدتموه في التورية فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اصلا اذ لا ذكر لدين ابراهيم في احد الكتابين قطعا وقيل هؤلاء بمعني الذي وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله ءانتم علي الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه او كل شيء فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا وانتم لا تعلمون اي محل النزاع او شيئا من الاشياء التي من جملتها ذلك ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بما نطق به البرهان المقرر ولكن كان حنيفا اي مائلا عن العقائد الزائغة كلها مسلما اي منقادا لله تعالي وليس المراد انه كان علي ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين انهم علي ملته عليه السلام ان اولي الناس بابراهيم اي اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه اي في زمانه وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم في اكثر ما شرع لهم علي الاصالة وقري والنبي بالنصب عطفا علي الضمير في اتبعوه وبالجر عطفا علي ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسني بايمانهم وتخصيص المومنين بالذكر ليثبت الحكم في النبي عليه السلام بدلالة النص ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الي اليهودية ولو بمعني ان وما يضلون الا انفسهم جملة حالية جيء بها للدلالة علي كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم علي ما هم عليه من الدين القويم اي وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم وقيل وما يضلون الا امثالهم [illegible] وما يشعرون اي باختصاص وباله وضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بما نطقت به التورية والانجيل ودلت علي نبوة محمد صلي الله عليه وسلم وانتم تشهدون اي والحال انكم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم وابرازكم الباطل في صورة او بالتقصير في التمييز بينهما وقري تلبسون بالتشديد [illegible] وتكتمون الحق اي نبوة محمد عليه السلام ونعته وانتم تعلمون ذلك وقالت طائفة من اهل الكتاب هم رؤساؤهم ومفسدوهم لاعقابهم آمنوا بالذي انزل علي الذين آمنوا اي اظهروا الايمان بالقرآن المنزل عليهم وجه النهار اي اوله واكفروا آخره اي اظهروا ما انتم عليه من الكفر به آخره مرائين لهم انكم آمنتم به بادي الرأي من غير تامل ثم تاملتم فيه [illegible] لعلهم اي المؤمنين يرجعون عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف [illegible] لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الي الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الي الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل [illegible] ان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلي الله عليه وسلم بالنعت الذي ورد

في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا اي لا تقروا بتصديق قلبي الا لمن تبع دينكم اي لاهل دينكم او
لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي
من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم اي لا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين
لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض مفيد
لكون كيدهم غير مجد لطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرئ ان يؤتى على الاستفهام التقريعي
وهو مؤيد للوجه الاول اي الان يؤتى احد الى آخره دبرتم وقرئ ان على انها نافية فيكون من كلام الطائفة
اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى
على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى
الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم رد لهم وابطال
لما زعموه بالحجة الباهرة يختص برحمته اي يجعل رحمته مقصورة على من يشاء والله ذو الفضل العظيم
كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ومن اهل الكتاب شروع في بيان خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين
والجار والمجرور في محل الرفع على الابتداء حسبما مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا الى آخره
قوله تعالى من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك على ان المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم
ذوات المذكورين كانه قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تأمنه بقنطار اي بمال كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام
استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص
بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون
في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ من اعم الاحوال او الاوقات
اي لا يؤده اليك في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا في حال دوام قيامك او في وقت دوام قيامك على رأسه
مبالغا في مطالبته بالتقاضي واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما
فيه من معنى البعد للايذان بكمال غلوهم في الشر والفساد بانهم اي بسبب انهم قالوا ليس علينا في الاميين اي
في شان من ليس من اهل الكتاب سبيل اي عتاب ومؤاخذة ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون
انهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التورية في حقهم حرمة وقيل
عامل اليهود رجال من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي
الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى من اوفى بعهده واتقى فان الله
يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن اوفى او لله تعالى وعموم المتقين نائب مناب
الراجع من الجزاء الى من ومشعر بان التقوى ملاك الامر عام في الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان
الذين يشترون يستبدلون ويأخذون بعهد الله اي بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه
وسلم والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا هو حطام الدنيا اولئك
الموصوفون بتلك الصفات القبيحة لا خلاق لا نصيب لهم في الآخرة ونعيمها ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء
اصلا وانما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في اثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام او لا ينتفعون
بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك لقوله تعالى ولا ينظر
اليهم يوم القيمة فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر لان من
اعتد بالانسان التفت اليه واعاد نظره عليه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن

ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر يوم
القيمة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم او لا يطهرهم من اوضار الاوزار ولهم
عذاب اليم على ما فعلوه من المعاصي قيل انها نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية
وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت في الاشعث بن قيس حيث كان
بينه وبين رجل نزاع في بئر فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال
الاشعث اذن يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله
وهو عليه غضبان وقيل في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به وان منهم
اي من اليهود المحرفين لفريقا ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف واضرابهما يلوون السنتهم بالكتاب
اي يفتلونها بقراءته فيميلونها من المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوون بالتشديد ويلون
بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على ما قبلها من الساكن لتحسبوه اي المحرف
المدلول عليه بقوله تعالى يلوون الى آخره وقرئ بالياء والضمير للمسلمين من الكتاب اي من جملته
وقوله تعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير المنصوب اي والحال انه ليس منه في نفس الامر وفي اعتقادهم
ايضا ويقولون مع ما ذكر من الليّ والتحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض هو اي المحرف من عند الله
اي منزل من عند الله وما هو من عند الله حال من ضمير المبتدا في الخبر اي والحال انه ليس من عنده تعالى في
اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال جرأتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل والكتاب
في محل الاضمار لتهويل ما اقدموا عليه من القول ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون
على الله تعالى تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا
على كعب بن الاشرف فغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت
قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام حيث
قال الانصاري نجران ان عيسى عليه السلام امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وابطال له اي ما يصح
وما استقام لاحد وانما قيل لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذي اسنده الكفرة اليهم ان يؤتيه
الله الكتاب الناطق بالحق الآمر بالتوحيد الناهي عن الاشراك والحكم الفهم والعلم او الحكمة وهي السنة والنبوة
ثم يقول ذلك البشر بعد ما شرفه الله عز وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية
للناس كونوا عبادا لي من دون الله متعلق بلفظ
عبادا لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية ويحتمل الحالية لتخصص النكرة بالوصف اي متجاوزين الله تعالى
سواء كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان التجاوز متحقق فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان يعبد غير الله تعالى وان نأمر
بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك
كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا
نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا اي ولكن يقول كونوا ربانيين الرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف
والنون كالحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله ودينه بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون اي بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته اي قراءته فان جعل خبر
كان مضارعا لافادة الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال كل استمرار التعليم واستمرار القراءة
بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب اولا لرؤسائهم ثم
دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرّسون من التدريس وتدرسون من الادراس بمعنى التدريس كاكرم بمعنى كرم

ويجوز القراءة المشهورة أيضا بهذا المعنى على تقدير بما تدعو به على الناس ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة
والنبيين أربابا بالنصب عطف على ثم يقول ولا مزيدة لتأكيد النفي في قوله تعالى ما كان لبشر أي ما كان لبشر
أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا وتوسيط الاستدراك بين
المعطوفين للمسارعة إلى تحقيق الحق ببيان ما يليق بشأنه ويحق صدوره عنه إثر تنزيهه عما لا يليق بشأنه
ويمتنع صدوره عنه وأما ما قيل من أنها غير مزيدة على معنى أنه ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمركم باتخاذ أكفائه
أربابا بل ينهى عنه وهو أدنى من العبادة فيقضي بفساده ذكر من توسيط الاستدراك بين الجملتين المتعاطفتين
ضرورة أنهما في حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى أيأمركم بالكفر فإنه صريح في أن المراد بيان انتفاء كلا
الأمرين قصدا لا بيان انتفاء الأول لانتفاء الثاني ويعضده قراءة الرفع على الاستئناف وتجويز الحالية بتقدير
المبتدأ أي وهو لا يأمركم الخ بين الفساد لما عرفت آنفا بعد إذ أنتم مسلمون وهذا دليل على أن الخطاب
للمسلمين وهم المستأذنون للسجود عليه السلام وإذ أخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه
وسلم أي اذكر وقت أخذه تعالى ميثاقهم لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هو على ظاهره وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم بذلك أولى وأحرى وقيل معناه
أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم وقيل إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل
والمعنى وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم وقيل المراد أولاد النبيين على حذف المضاف وهم
بنو إسرائيل وإنما سماهم نبيين تهكما بهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لأنا
أهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل
ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر على أن ما مصدرية أي لأجل إيتائي إياكم
بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق أخذ الله الميثاق لتؤمنن به أو موصولة والمعنى أخذه للذي آتيتكموه
وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم أو لمن أجل ما آتيتكم على أن أصله لمن ما بالإدغام
فحذف إحدى الميمات الثلاث استثقالا قال أي الله تعالى بعدما أخذ الميثاق أأقررتم بما ذكر وأخذتم على ذلكم
إصري أي عهدي سمي به لأنه يؤصر أي يشد وقرئ بضم الهمزة وهي إما لغة فيه كعبر وعبر أو جمع إصار وهو ما يشد به قالوا
استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا أقررنا وإنما لم يذكر أخذهم الإصر اكتفاء
بذلك قال تعالى فاشهدوا أي فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وأنا معكم من الشاهدين
أي وأنا أيضا على إقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد وإدخال مع على المخاطبين لما أنهم المباشرون للشهادة حقيقة
وفيه من التأكيد والتحذير ما لا يخفى فمن تولى أي أعرض عما ذكر بعد ذلك الميثاق والتوكيد بالإقرار والشهادة
فمعنى البعد في اسم الإشارة لتفخيم الميثاق فأولئك إشارة إلى من والجمع باعتبار المعنى كما أن الإفراد في تولى باعتبار
اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي أمرهم في السوء وبعد منزلتهم في الشر والفساد أي فأولئك المتولون
المتصفون بالصفات القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فإن الفاسق من كل طائفة من
كان متجاوزا عن الحد أفغير دين الله يبغون عطف على مقدر أي أيتولون فيبغون غير دين الله وتقديم المفعول لأنه
المقصود إنكاره أو على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للإنكار وقرئ بتاء الخطاب على تقدير وقل لهم وله أسلم
من في السموات والأرض جملة حالية مفيدة لوكادة الإنكار طوعا وكرها أي طائعين بالنظر واتباع الحجة
وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل وإدراك الغرق والإشراف على الموت أو مختارين كالملائكة
والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فإنهم لا يقدرون على الامتناع عما قضي عليهم وإليه يرجعون أي من فيهما والجمع باعتبار
المعنى وقرئ بتاء الخطاب والجملة إما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية أو مستأنفة سيقت للتهديد والوعيد
قل آمنا بالله أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالإيمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله

وما أنزل علينا وهو القرآن لما أنه منزل عليهم أيضا بتوسط تبليغه عليه السلام إليهم لأن المنسوب إلى واحد من الجمع
قد ينسب إلى الكل أو عن نفسه فقط وهو الأنسب لما بعده والجمع لإظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله
بأمره بأن يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك ويجوز أن يكون الأمر عاما والإفراد لتشريفه عليه السلام أصل في ذلك
كما في قوله تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء وما أنزل على إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط
من الصحف والنزول كما يعدى بإلى لانتهائه إلى الرسل يعدى بعلى لأنه من فوق ومن رام الفرق بأن على لكون الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وإلى لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف ألا ترى إلى قوله تعالى بما أنزل إليك الخ وقوله آمنوا
بالذي أنزل على الذين آمنوا إلى آخره وإنما قدم المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم على ما أنزل على سائر الرسل عليهم
السلام مع تقدمه عليه نزولا لأنه المعرف له والعيار عليه والأسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة
يعقوب عليه السلام وأبناؤه الاثنا عشر وذراريهم فإنهم حفدة إبراهيم عليه السلام وما أوتي موسى وعيسى
من التورية والإنجيل وسائر المعجزات الظاهرة بأيديهما كما ينبئ عنه إيثار الإيتاء على الإنزال الخاص بالكتاب
وتخصيصهما بالذكر لما أن الكلام مع اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى عليهما السلام
أي وما أوتي النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب والمعجزات لا نفرق بين أحد منهم كدأب اليهود
والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقية ما أنزل إليهم في زمانهم وعدم التعرض
لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور إياه وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله
وهمزة أحد إما أصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح أن يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمؤنث والمذكر
ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس وإما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه
في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره أي بين أحد منهم وغيره كما في قول النابغة
فما كان بين الخير لو جاء سالما أبو حجر إلا ليال قلائل أي بين الخير وبيني ونحن له مسلمون أي منقادون أو مخلصون له
تعالى أنفسنا لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض بإيمان أهل الكتاب فإنه بمعزل من ذلك ومن يبتغ غير الإسلام
أي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع إشراكهم كأهل الكتابين دينا
ينتحل إليه وهو نصب على أنه مفعول ليبتغ وغير الإسلام حال منه لما أنه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصبت
حالا أو هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الإبهام أو بدل من غير الإسلام فلن يقبل منه أبدا بل يرد أشد
رد وأقبحه وقوله تعالى وهو في الآخرة من الخاسرين إما حال من الضمير المجرور أو استئناف لا محل له من الإعراب
أي من الواقعين في الخسران والمعنى أن المعرض عن الإسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بإبطال الفطرة
السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على أن حال من تدين بغير الإسلام
واطمأن بذلك أفظع وأقبح واستدل به على أن الإيمان هو الإسلام إذ لو كان غيره لم يقبل والجواب أنه ينفي قبول كل دين
يغايره لا قبول كل ما يغايره كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد
ما آمنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا
مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لأن يهديهم الله تعالى إلى الحق فإن الحائد
عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وإنكار له وذلك يقتضي أن لا يقبل توبة المرتد
وقوله تعالى وشهدوا عطف على إيمانهم باعتبار انحلاله إلى جملة فعلية كما في قوله تعالى إن المصدقين
والمصدقات وأقرضوا الله إلى آخره فإنه في قوة أن يقال بعد أن آمنوا أو حال من ضمير كفروا بإضمار قد وهو
دليل على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان والله لا يهدي القوم الظالمين أي الذين ظلموا
أنفسهم بالإخلال بالنظر ووضع الإيمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم أعرض عنه والجملة اعتراضية أو حالية
أولئك إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد للإشارة

مرارا وهو مبتدأ او قوله تعالى جزاؤهم مبتدأ ثان وقوله تعالى ان عليهم لعنة الله والناس اجمعين خبر الجملة
خبر لاولئك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم
مطبوع على قلوبهم ممنوع من الهدى آيسون عن الرحمة واسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان
الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار
وان لم يذكر لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي يمهلون الا الذين تابوا من
بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا اي ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم فيقبل توبتهم
ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في حارث ابن سويد حين ندم على ردته فارسل الى
قومه ان يسألوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس الآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم
ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن وكفروا به عليه السلام بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد
عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه
فننافقه باظهار الايمان لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم
قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا يكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم
ولذلك لم يدخل فيه الفاء واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم
كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول
الفدية زيدت الفاء هنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأ به وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على انه بدل من ملء
او الخبر لمحذوف ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او
معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة
والمراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا
لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة
لهم عذاب اليم هو لهم اسم الاشارة مبتدأ او الظرف خبره ولاعتماده على المبتدأ ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية
وما لهم من ناصرين في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير اي ليس
لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر من ناله اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستانف سيق لبيان
ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي تنافس فيه
المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار ولن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه
وجنته حتى تنفقوا اي في سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى مما تحبون تبعيضية ويؤيده
قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة اي مما تهوون ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها
اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق
البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله عنهم اجمعين اذا احبوا شيئا جعلوه لله
عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله
حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها
في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل
وكتب عمر رضي الله تعالى عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله ان يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى

فلما

فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي ان عمر بن
عبد العزيز كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها مرارا فلم تعطها اياه
لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت
جئت بها من بيت ابي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي
اخذت من تركته ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية
وكان يهواها هوى شديدا فقال انت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها
كل شبهة قال لست اذن ممن نهى النفس عن الهوى وما تنفقوا من شيء ما شرطية جازمة لتنفقوا منصبة
به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط اي اي شيء تنفقوا كائن من الاشياء
فان المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز اي اي شيء تنفقوا طيب
تحبونه او خبيث يكرهونه فان الله به عليم تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان
او رديا فانه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار
والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردي ما لا يخفى كل الطعام اي كل
افراد المطعوم او كل انواعه كان حلا لبني اسرائيل اي حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك استوى
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه استثناء
متصل من اسم كان اي كان كل المطعومات حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اي يعقوب عليه السلام
على نفسه وهو لحوم الابل والبانها قيل كان به وجع النساء فنذر لئن شفي لا يأكل احب الطعام اليه وكان
ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد وللمانع ان يقول
كان ذلك باذن الله فيه فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير
في توسط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان تقييد تحريمه عليه السلام بقبلية تنزيل التورية ليس فيه
مزيد فائدة اي كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل ان تنزل التورية مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم
عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراءة عما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما
كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيتهم
في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل
والبانها قل فأتوا بالتورية فاتلوها امر عليه السلام بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريم ما حرم عليهم
تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات
عقوبة لهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم
مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تعالى ان كنتم صادقين اي في دعواكم انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف
لدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فأتوا بالتورية فاتلوها فان صدقكم مما يدعو الى ذلك البتة وروي
انهم لم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستانفة مقررة لما قبلها فمن افترى على الله الكذب اي
اختلقه عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن تقدمهم من الامم من بعد ذلك
من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التورية وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والالزام
على كمال القبح فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الصلة
باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال والطغيان اي فاولئك المصرون على الافتراء

بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال **هم الظالمون** المفرطون في الظلم والعدوان
المبعدون فيهما والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي
في محل النصب داخلة تحت القول عطفاً على قوله تعالى فأتوا بالتورية **قل صدق الله** اي ظهر وثبت صدقه
تعالى فيما انزل في شأن التحريم وقيل في قوله تعالى ما كان ابراهيم يهودياً الخ او صدق في كل شأن من الشؤون وهو داخل
في ذلك دخولاً اولياً وفيه تعريض بكذبهم الصريح **فاتبعوا ملة ابراهيم** اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم
عليه السلام فانكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون او فاتبعوا مثل ملته حتى تتخلصوا عن اليهودية التي اضطرتكم
الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم
ومن تبعه والفاء للدلالة على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه **حنيفاً** اي مائلاً عن
الاديان الزائغة كلها **وما كان من المشركين** اي في امر من امور دينهم اصلاً وفرعاً وفيه تعريض باشراك اليهود
وتصريح بانه عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعاً والغرض بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم على دين
ابراهيم في الاصول لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما
قبله **ان اول بيت وضع للناس** شروع في بيان كفرهم ببعض آخر من شعائر ملته عليه السلام اثر بيان كفرهم
بكون كل المطعومات حلالاً له عليه السلام روي انهم قالوا بيت المقدس اعظم من الكعبة لانه مهاجر
الانبياء وفي الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبداً لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة على البناء
للفاعل وقوله تعالى **للذي ببكة** خبر لان وانما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصصها بسبيل الاضافة
والوصف بالجملة بعدها اي للبيت الذي ببكة اي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة
في مكة فان العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنميط والنبيط في اسم موضع
بالدهناء وقولهم امر راتب وراتم وسبد رأسه وسمدها واغبطت الحمى واغمطت وهي علم للبلد الحرام من بكه
اذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضاً او لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها
لا يقصدها جبار الا قصمه الله عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل المسجد نفسه ومكة
اسم للبلد كله وايد هذا بان التباك وهو الازدحام انما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف
وبكة اسم للبلد لقوله تعالى للذي ببكة روي انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد
الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم عليه السلام وقيل آدم عليه السلام
وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة وقيل اول بيت بالشرف لا بالزمان **مباركاً** كثير الخير والنفع
لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في
الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار **وهدى للعالمين** لانه
قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة دالة على عظم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال **فيه آيات بينات**
واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرم من غير تعرض
لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى **مقام ابراهيم** اي
اثر قدميه عليه السلام في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه وعند
غسل رأسه على ما روي انه عليه السلام جاء زائراً من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليهما السلام
انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه
ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه وهو اما مبتدأ حذف خبره اي منها مقام
ابراهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل او عطف بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة

لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابراهيم عليه السلام كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة
قانتاً واما باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فان كل واحد من اثر قدميه في صخرة صماء وغوصه فيها الى الكعبين والانة
بعض الصخور دون بعض وابقائه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة الاعداء الوف سنة
آية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد واما بما فهم من قوله عز وجل **ومن دخله كان آمنا** فانه وان
كان جملة مستأنفة ابتدائية او شرطية لكنها في قوة ان يقال وامن من دخله فتكون بحسب المعنى والمآل معطوفة
على مقام ابراهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فتكتفي بذلك ويحمل على انه ذكر من تلك الآيات اثنان
وطوي ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى امن داخله امنه من التعرض له كما في قوله تعالى او لم يروا انا جعلنا
حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمناً وكان الرجل
لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رض لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال
ابو حنيفة رح من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى
ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنه من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث
يوم القيمة آمناً وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة
وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث
الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع
كل واحد منهم في سبعين الفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة
من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام **ولله على الناس حج البيت** جملة من مبتدأ هو حج البيت وخبره
هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار او بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار
والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله متعلقاً بما تعلق به الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق
بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في على الناس لاستلزام تقديم الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له
عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك اذا كانت هي ظرفاً او حرف جر وعاملها كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر فانهما يتقدمان
[illegible]
[illegible] **من استطاع اليه سبيلا** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والضمير في اليه للبيت او للحج [illegible]
[illegible]
[illegible] وقد فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزاد والراحلة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
نفسه فهو مستطيع **ومن كفر** وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيداً لوجوبه وتشديداً على تاركه ولذلك قال عليه السلام

من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وروي عن علي بن ابي طالب رض انه عليه السلام قال في خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال شاء يهوديا او نصرانيا او مجوسيا فان الله غني عن العالمين وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا اوليا اكتفي بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد انه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذي لا قبيح وراءه وجعل جزاؤه استغناؤه تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب هذا وقال ابن عباس رض والحسن وعطاء ومن كفر اي جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله عليه السلام اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة وروي حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رض حجوا هذا البيت قبل ان ينبت شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رض لو ترك الناس الحج عاما ما نوظروا قل يا اهل الكتاب هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بها وقوله عز وجل لم تكفرون بآيات الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآيات الله تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شان الحج وغيره وما في التورية والانجيل من شواهد نبوته عليه السلام وقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتاكيد الانكار واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في تهديد للتشديد في الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او هي على عمومها وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون بآيات الله عز وجل والحال ان الله تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع اعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في ان ذلك يسد جميع انواع ما تاتونه ويقطع اسبابه بالكلية قل يا اهل الكتاب امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه السلام على تقريعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما كما ان قطع قوله تعالى لم تصدون عن قوله تعالى لم تكفرون للاشعار بان كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة والتوبيخ وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتاكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعي الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم عنه في اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوته عليه السلام وقرئ تصدون من اصد عن سبيل الله اي دينه الحق بدله كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عم ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه تبغونها على اسقاط الجار وايصال الفعل الى الضمير كما في قوله فتولى غلاما لهم ثم نادى اظليما اصيدكم ام حمارا بمعنى اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله التي هي اقوم السبل عوجا اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفته

الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله وانتم شهداء حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها اي والحال انكم شهداء تشهدون بانها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال قال ابن عباس رض اي تشهدون ان في التورية ان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام او وانتم عدول فيما بينكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وعظائم الامور وما الله بغافل عما تعملون اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد قيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية بشهادته تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال وردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا الخ كما ان تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر او للمحافظة على سبب النزول فانه روي ان نفرا من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما راى منهم من تالف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الراي بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة والشحناء فامر شابا يهوديا كان معه بان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فعند ذلك جاءهم النبي عليه السلام واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الآية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي عليه السلام حتى قام بين الصفين فقراهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا يستمعون فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا او حال من مفعوله والاول ادخل في تربية المؤمنين عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته او لممانعة الايمان له كانه قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى وكيف تكفرون استفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الآية لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الآية وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة ما لا مزيد عليه توجيهه الى نفسه بان يقال لم تكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انكر ونفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل وانتم تتلى عليكم آيات الله جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما فيه من الشئون الداعية الى الثبات على الايمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى وفيكم رسوله معطوف عليها داخل في حكمها فان تلاوة آيات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه السلام بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر وعدم الاستناد

التلاوة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للإيذان باستقلال كل منهما في الباب ومن يعتصم بالله أي ومن يتمسك
بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله عليه السلام وهو الإسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق
بسبيل الله فقد هدي جواب للشرط وقد لإفادة معنى التحقق كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا
ومعنى التوقع فيه ظاهر فإن المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للندى إلى صراط
مستقيم موصل إلى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون لها
عوجا وهذا وإن كان هو دينه الحق في الحقيقة والاهتداء إليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتبار
وكان العنوان الأخير مما يتنافس فيه المتنافسون أبرز في معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى
فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز يا أيها الذين تكرير الخطاب بعنوان الإيمان تشريف إثر تشريف
آمنوا
اتقوا الله الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة حق تقاته أي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ
الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود
رضي الله عنه هو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وقد روي مرفوعا إليه عليه السلام وقيل هو أن لا تأخذه
في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات إليها
وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك في قوله تعالى هدى للمتقين والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد
أصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها المفتوحة ألفا ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون
أي مخلصين نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه أصلا كما في قوله تعالى ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه
لله وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تموتن على حال من الأحوال إلا حال تحقق إسلامكم وثباتكم عليه
كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل إلا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل إلا بعد النقض وظاهر
النظم الكريم وإن كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون على حال غير حال الإسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك
القيد عند الموت المستلزم للأمر بضده الذي هو الكون على حال الإسلام حينئذ وحيث كان الخطاب للمؤمنين
كان المراد إيجاب الثبات على الإسلام إلى الموت وتوجيه النهي إلى الموت للمبالغة في النهي عما قيد به المذكور فإن
النهي عن المقيد في أمثاله نهي عن القيد ورفع له من أصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فإن قولك
لا تصل إلا وأنت خاشع يفيد من المبالغة في إيجاب الخشوع في الصلاة ما لا يفيده قولك لا تترك الخشوع في الصلاة
لما أن هذا نهي عن ترك الخشوع فقط وذاك نهي عنه وعما يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة في الصلاة
وأن الصلاة بدونه حقها أن لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وعلا واعتصموا
بحبل الله أي بدين الإسلام أو بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه و
لا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم إما تمثيل للحالة
الحاصلة من استظهاره به ووثوقه بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون
الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات وإما استعارة للحبل لما ذكر من الدين والكتاب والاعتصام ترشيح
لها أو مستعار للوثوق به والاعتماد عليه جميعا حال من فاعل اعتصموا أي مجتمعين في الاعتصام ولا تفرقوا
أي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم
بعضا أو لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الألفة التي أنتم عليها واذكروا نعمة الله مصدر مضاف
إلى الفاعل وقوله تعالى عليكم متعلق به أو بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى إذ كنتم ظرف للاستقرار
في عليكم أي اذكروا إنعامه عليكم أو اذكروا إنعامه مستقرا عليكم وقت كونكم أعداء في الجاهلية
بينكم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل هم الأوس والخزرج كانا أخوين لأب وأم فوقعت بين
أولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة فألف بين قلوبكم

من أخلق الثوب إذا بلي

٢

بتوفيقكم للإسلام فأصبحتم أي فصرتم بنعمته التي هي ذلك التأليف إخوانا خبر أصبحتم أي إخوانا متحابين
مجتمعين على الأخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فأصبحتم فدخلتم في الصباح
فالباء حينئذ متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا إخوانا أي فأصبحتم متلبسين بنعمته حال كونكم إخوانا
وكنتم على شفا حفرة من النار شفا الحفرة وشفتها حرفها أي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم إذ لو
أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها فأنقذكم بأن هداكم للإسلام منها الضمير للحفرة أو للنار أو للشفا
والتأنيث للمضاف إليه كما في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم أو لأنه بمعنى الشفة فإن شفا البئر وشفتها
جانبها كالجانب والجانبة وأصله شفو قلبت الواو ألفا في المذكر وحذفت في المؤنث لفظا فإليه كذلك
إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته
في الفضل وكمال تميزه به عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة والكاف مقحم لتأكيد ما
أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها النصب على أنها صفة لمصدر محذوف أي مثل ذلك التبيين الواضح
يبين الله لكم آياته أي دلائله لعلكم تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادا لكم فيه ولتكن
منكم أمة يدعون إلى الخير أمرهم الله سبحانه بتكميل الغير وإرشاده إثر أمرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله
من الأوامر والنواهي تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الأحكام بأن يقوم بعض بمواجبها ويحافظ على حقوقها
وحدودها ويذكرها الناس كافة ويردعهم عن الإخلال بها والجمهور على إسكان لام الأمر وقد قرئ بكسرها
على الأصل ومن كان التامة ومن تبعيضية متعلقة بالأمر أو بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو أمة ويدعون
صفتها أي لتوجد منكم أمة داعية إلى الخير والأمة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس أي يقصدونها ويقتدون بها
أو من الناقصة وأمة اسمها ويدعون خبرها أي لتكن منكم أمة داعين إلى الخير وأيا ما كان فتوجيه الخطاب
إلى الكل مع إسناد الدعوة إلى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وأنها واجبة على الكل لكن بحيث إن أقامها
البعض سقطت عن الباقين ولو أخل بها الكل أثموا جميعا لا بحيث يحتم على الكل إقامتها على ما ينبئ عنه قوله
عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية ولأنها من عظائم الأمور وعزائمها التي لا يتولاها إلا العلماء
بأحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها فإن من لا يعلمها يوشك أن يأمر بمنكر وينهى عن معروف
ويغلظ في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الإنكار إلا التمادي والإصرار وقيل
من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم وكان الناقصة
والمعنى كونوا أمة تأمرون كما في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس ولا يقتضي ذلك كون الدعوة
فرض عين فإن الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء إلى الخير عبارة عن الدعاء
إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي فعطف الأمر والنهي عليه في قوله تعالى ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر من عطف الخاص على العام إيذانا بفضلهما على سائر الخيرات
وحذف المفعول الصريح من الأفعال الثلاثة إما للإيذان بظهوره أي يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم
أو للقصد إلى إيجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع
وأولئك إشارة إلى الأمة المذكورة
باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه في سلك
الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والإفراد في كاف الخطاب
إما لأن المخاطب كل من يصلح للخطاب وإما لأن التعيين غير مقصود أي أولئك الموصوفون بتلك الصفات
الكاملة هم المفلحون أي الأخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة
ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لأولئك وتعريف المفلحون

المفلحين آه

اما للعهد او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وعنه
عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه
والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده
ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين
وغضب لله غضب الله له والامر بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمأمور به واما النهي عن المنكر فواجب
كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط
بترك احدهما وجوب الآخر منهما والتوبيخ في قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان
انفسهم لا على امرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا ولا تكونوا كالذين تفرقوا هم اهل الكتاب
حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا واختلفوا باستخراج التأويلات الزائغة وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا
اليه من حطام الدنيا الدنية من بعد ما جاءهم البينات اي الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق
واتحاد الكلمة فالنهي متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة والى اعقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الامم
السالفة المشار اليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة
من هذه الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهي عنه انما هو الاختلاف في الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا
للنصوص البينة او للاجماع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة وقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب
فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وهو
مبتدأ وقوله تعالى لهم خبره وقوله تعالى عذاب عظيم مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ
او مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول وفيه من التأكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد
المتشبهين بهم ما لا يخفى يوم تبيض وجوه اي وجوه كثيرة وقرئ تبياض وتسود وجوه كثيرة وقرئ تسواد
وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف
للاستقرار في لهم اي لثبوت العذاب العظيم لهم او على انه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم عن عاقبة
التفرق بعد مجيء البينات وترغيبا في الاتفاق على التمسك بالدين اي اذكروا يوم تبيض الخ وبياض الوجه وسواده
كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة
وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم تفصيل
لاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع
ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند
الاجمال أكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر
انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان اسلافهم او ايمان
انفسهم به قبل مبعثه عليه السلام او جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او
بعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع
والاهواء والفاء في قوله عز وعلا فذوقوا العذاب اي العذاب المعهود الموصوف بالعظم للدلالة
على ان الامر بذوق العذاب على طريق الاهانة مترتب على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى بما كنتم تكفرون
صريح في ان نفس الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه
في الدنيا واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله اعني الجنة عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن
وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت

هم فيها خالدون استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من السياق كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم
خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي تلك اشارة الى الآيات المشتملة
على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد للايذان بعلو شأنها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى
آيات الله خبره وقوله تعالى نتلوها جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الاشارة او هي الخبر وآيات الله
بدل من اسم الاشارة والالتفات الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام
لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى وقوله تعالى عليك متعلق
بنتلوها وقوله تعالى بالحق حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اي ملتبسين او ملتبسة بالحق
والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم بل
كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله وما الله يريد ظلما
للعالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ وجه وآكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته بصيغة
المضارع دون نفسه وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعرف والالتفات الى الاسم الجليل اشعارا بعلة الحكم بيان
لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اي ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من افراد العالمين في وقت من الاوقات فضلا
عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار في الاثبات يفيده في النفي بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل
بمعونة المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفيه نوع الجملة
نوع ايماء الى التعريض بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس
ولكن الناس انفسهم يظلمون ولله ما في السموات وما في الارض اي له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما
من المخلوقات الفانية للحصر ملكا وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء
على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالى والى الله اي الى حكمه وقضائه
لا الى غيره شركة او استقلالا ترجع الامور اي امورهم فيجازي كلا منهم بما وعد له واوعده من غير دخل في
ذلك لاحد قط فالجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه
فان كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعي ارادة الخير بهم كنتم خير امة كلام مستأنف سيق لتثبيت
المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصيغته
في الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق ولا لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك في
علم الله تعالى او في اللوح او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة اخرجت للناس صفة لامة واللام متعلقة
باخرجت اي اظهرت لهم وقيل بخير امة اي كنتم خير الناس للناس فهو صريح في ان الخيرية بمعنى النفع للناس تأتون بهم
في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة هم امة محمد عليه السلام لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون
الكفار فيدخلونهم في الاسلام فهم خير امة للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف
مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال
للدلالة على الاستمرار والخطاب للمشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل
قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته وروى الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى
والظاهر ان المراد بكل امة اولئك الامم واخرها لا اولهم فقط فلا بد ان يكون اعقاب هذه الامة ايضا داخلة
في الحكم وكذا الحال فيما روي ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لنفر من اصحاب النبي عليه السلام
منهم ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة رضي الله تعالى عنهم نحن افضل منكم وديننا

خيرا مما تدعونا اليه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله عليه السلام الى المدينة وروي عن الضحاك انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم **وتؤمنون بالله** اي ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول او كتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور انه الذي يؤمن به المؤمنون وللايذان بانه الايمان بالله تعالى حقيقة وان ما خلا عن شيء من ذلك كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان به تعالى في شيء قال الله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس اظهر من دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى **ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم** اي لو آمنوا ايمانكم لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم عليه من الكفر فالخيرية انما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار بظهور ان الذي يطلق عليه اسم الايمان لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به هاهنا او فيما قبل لربما توهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا في الجملة لكن ايمان المؤمنين خير منه وهيهات ذلك **منهم المؤمنون** جملة مستأنفة سيقت جوابا عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم كانه قيل هل منهم من آمن او كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخيري الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه **واكثرهم الفاسقون** المتمردون في الكفر الخارجون عن الحدود **لن يضروكم الا اذى** استثناء مفرغ من المصدر العام اي لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضرر اذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا اثر له **وان يقاتلوكم يولوكم الادبار** اي ينهزموا من غير ان ينالوا منكم شيئا من قتل او اسر **ثم لا ينصرون** عطف على الشرطية وثم للتراخي في الرتبة اي لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى الضرر بالفعل به مع ان وعدم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل وانما لم يعطف نفي منصوريتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقا ولو عطف عليه لكان مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وكم بين الوعدين كانه قيل ثم شأنهم الذي اخبركم عنه وابشركم به انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم امر وكان كذلك حيث لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا **ضربت عليهم الذلة** اي هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل **اينما ثقفوا** اي وجدوا **الا بحبل من الله وحبل من الناس** استثناء من اعم الاحوال اي ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هي عليه في جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين **وباءوا بغضب من الله** اي رجعوا به مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والهول اي كائن من الله عز وجل **وضربت عليهم المسكنة** فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الحال مساكين تحت ايدي المسلمين والنصارى **ذلك** اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم **بانهم كانوا يكفرون بآيات الله** اي ذلك الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم ولسائر الآيات القرآنية **ويقتلون الانبياء بغير حق** اي في اعتقادهم ايضا واسناد القتل اليهم مع انه فعل اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال احبارهم ينسب الى كل من يسير بسيرتهم **ذلك** اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل **بما عصوا وكانوا يعتدون** اي كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضي الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة والمسكنة في الدنيا واستيجاب الغضب

في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا حيث المؤاخذة **ليسوا سواء** جملة مستأنفة سيقت تمهيدا لتعداد محاسن مؤمني اهل الكتاب وتذكيرا لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة وهو اسم ليس وخبره سواء وانما افرد لانه في الاصل مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في اصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في اصل الاتصاف بها اي ليس جميع اهل الكتاب متشاركين في الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى **من اهل الكتاب امة قائمة** استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من قوله تعالى تأمرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم خير امة الخ ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العائد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان تلك الامة ممن اوتي نصيبا وافرا من الكتاب لا من اراذلهم والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد واسيد بن عبيد واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثلاثة من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا عليهما السلام وكان من الانصار فيهم عدة قبل قدوم النبي عليه السلام منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية حتى بعث النبي عليه السلام فصدقوه ونصروه وقوله تعالى **يتلون آيات الله** في محل الرفع على انه صفة اخرى لامة وقيل في محل النصب على انه حال منها لتخصصها بالصفة والعامل فيه الاستقرار الذي يتضمنه الجار او من ضميرها في قائمة او من المستكن في الجار لوقوعه خبرا لامة والمراد بآيات الله القرآن وقوله تعالى **آناء الليل** ظرف ليتلون اي في ساعاته جمع انى بزنة عصا او انى بزنة معا او انى بزنة ظبي او انو بزنة جرو **وهم يسجدون** اي يصلون اذ لا تلاوة في السجود قال عليه السلام الا اني نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلوة لكونه ادل على كمال الخضوع والتضرع وتلاوة آيات الله في الصلوة مع انها مشتملة عليها لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا آنفا بالكفر بها وهو السر في تقديم هذا النعت على نعت الايمان والمراد صلوتهم بالتهجد اذ هو ادخل في مدحهم وفيه يتيسر لهم التلاوة فانها في المكتوبة وظيفة الامام واعتبار حالهم عند الصلوة على الانفراد يأباه مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلوات المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة وقيل صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتأكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستأنفة والمعنى انهم يقومون تارة ويسجدون اخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلوة من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات والارض **يؤمنون بالله واليوم الآخر** صفة اخرى لامة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة اخرى اي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والاطلاق للايذان بالغنى عن التقييد لظهور انه الذي يطلق عليه الايمان بهما لا يذهب الوهم الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما في شيء اصلا ولو قيد بما ذكر لتوهم ان المنفي عنهم هو القيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بالاصل وهيهات **ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**

صفتان اخريان للامة اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم لهم
في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الامر باضلال الناس
وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهي عن المعروف ويسارعون في الخيرات صفة اخرى للامة جامعة
لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام
به وآثر الفور على التراخي اي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض
بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم الى الشرور وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم
الخ للايذان بانهم مستقرون في اصل الخير متقلبون في فنونه المترتبة في طبقات الفضل لا انهم خارجون عنها
منتهون اليها واولئك اشارة الى الامة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل وايثاره على الضمير للاشعار بعلة الحكم والمدح اي اولئك المنعوتون
بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها من الصالحين اي من جملة من صلحت احوالهم عند الله عز وجل واستحقوا
رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير كائنا ما كان مما ذكر او لم يذكر فلن يكفروه اي لن يعدموا ثوابه البتة
عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهارا لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بتصويره
بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته الى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء
للمفعول الجري على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب والله عليم بالمتقين تذييل مقرر لمضمون ما قبله
فان علمه تعالى باحوالهم يستدعي توفية اجورهم لا محالة والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة وضع موضع الضمير
العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم واشعارا بمناط اثابتهم وهو التقوى المنطوي على
الخصائص السالفة واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليا ان الذين
كفروا اي بما يجب ان يؤمن به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو قريظة والنضير فان معاندتهم كانت لاجل المال
وقيل هم مشركو قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفيان واصحابه فانه انفق مالا كثيرا
على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فانهم فاخروا بالاموال والاولاد حيث قالوا نحن اكثر
اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم وقال لن تغني عنهم اي لن يدفع عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله اي من عذابه تعالى شيئا اي شيئا يسيرا منه او شيئا من الاغناء واولئك اصحاب
النار اي مصاحبوها على الدوام وملازموها هم فيها خالدون ابدا مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا
بيان لكيفية عدم اغناء اموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها اطماعهم
الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها اي حال ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون
رياء وخوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة كمثل ريح فيها صر اي برد شديد فانه في الاصل
مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان لكم
في رسول الله اسوة حسنة اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فباؤوا بغضب من الله تعالى
وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد وافظع فاهلكته عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا
والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر
فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله
تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يراد مثل اهلاك
ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون وما ظلمهم الله
بما بين من ضياع ما انفقوا من الاموال ولكن انفسهم يظلمون لما انهم اضاعوها بانفاقها لا على ما ينبغي وتقديم
المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص اذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول اي ما ظلمهم الله

ولكن ظلموا انفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد جوز ان يكون المعنى وما ظلم الله
تعالى اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة واياما انه تقدم الموضوع
له تصريحا واشعارا وقرئ ولكن بالتشديد على ان انفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف
للفاصلة اي ولكن انفسهم يظلمونها واما تقدير ضمير الشان فلا سبيل اليه لاختصاصه بالشعر
ضرورة كما في قوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة ووليجة
من يعرفه اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار في قوله عليه السلام الانصار شعار والناس دثار
قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف
فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك
ويؤيده قوله تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل وهو صفة المنافقين واياما كان
فالحكم عام للكفرة كافة من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وقع صفة لبطانة
اي كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يالونكم خبالا جملة مستأنفة مبينة لحالهم داعية الى الاجتناب عنهم
او صفة لبطانة يقال الا في الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك
جهدا على تضمين معنى المنع والنقص والخبال الفساد اي لا يقصرون لكم في الفساد ودوا ما عنتم اي
تمنوا عنتكم اي مشقتكم وشدة ضرركم وهو ايضا استئناف مؤكد للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي
قد بدت البغضاء من افواههم استئناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهي عنه اي قد ظهرت البغضاء
في كلامهم لما انهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به
بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والافواه جمع فم واصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك جمعه على افواه
وتصغيره على فويه والنسبة اليه فوهي وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار
قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم
تعقلون اي ان كنتم من اهل العقل او ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب محذوف لدلالة المذكور
عليه ها انتم اولاء جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه اظهارا لكمال العناية بمضمونها اي انتم
اولاء الخاطئون في موالاتهم وقوله تعالى تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في ذلك وهو خبر ثان لانتم او
خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلة له اذا ما الذي العامل معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب
اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله اي بجنس الكتب جميعا وهو حال
من ضمير المفعول في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم
لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا واذا خلوا
عضوا عليكم الانامل من الغيظ اي من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل
موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعيف قوة الاسلام واهله الى ان يهلكوا
به وباشتداده الى ان يهلككم ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء
والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله تعالى عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل
غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بذات الصدور وقيل
هو امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا
غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به من غير ان يكون ثمة قول كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير
ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة اما للايذان بان مدار

ملتباً تهم اي مقابلة صابتهم الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة ثم ما لان المس مستعار بمعنى الاصابة
وان تصبروا اي على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه
لا يضركم كيدهم مكرهم وحيلتهم التي دبروها لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط
من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضمة الراء في القراءة المشهورة للاتباع كضمة مد شيئا نصب على المصدرية
اي لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب
بالاتقاء والصبر يكون جريا على الخصم ان الله بما يعملون في عداوتكم من الكيد محيط علما فيعاقبهم على ذلك
وقرئ بالتاء الفوقانية اي بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما انتم اهله واذ غدوت كلام مستأنف
سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على ان وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة
عن مضرة كيد الاعداء واذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام خاصة مع عموم الخطاب
فيما قبله وما بعده له وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام به عليه السلام اي واذكر لهم وقت غدوك
ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم
كيد الكفرة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة
في ايجاب ذكرها واستحضارها الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك الخ
والمراد به خروجه عليه السلام الى احد وكان ذلك من منزل عائشة رض وهو المراد بقوله من اهلك
اي من عند اهلك تبوئ المؤمنين اي تنزلهم او تهيئ وتسوي لهم مقاعد ويؤيده قراءة من قرأ تبوي
للمؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على انها حال مقدرة اي ناويا وقاصدا للتبوئة كما قيل بل على ان
المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوئة وما يترتب عليها اذ هو المذكور القصة وانما عبر
عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع كون خروجه عليه السلام بعد صلوة الجمعة كما ستعرفه اذ ح وقعت
التبوئة التي هي العمدة في الباب اذ المقصود بتذكير الوقت تذكير مخالفتهم لامر النبي عليه السلام وتزايلهم عن احيازهم
المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا تبين خلل رأي من احتج به على جواز اداء صلوة الجمعة قبل
الزوال واللام في قوله تعالى للقتال اما متعلقة بتبوي اي لاجل القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد
اي كائنة ومقاعد القتال اماكنه ومواقفه فان استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعا شائع
ذائع كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك روي ان المشركين نزلوا باحد
يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه السلام اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يكن دعاه
قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله
ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا
اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين
وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رأيت
في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كأني ادخلت يدي
في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة فتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم
بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ اخرج بنا الى اعدائنا وقال النعمان بن مالك الانصاري يا رسول الله
لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لادخلن الجنة فقال بم قال بقولي اشهد ان لا اله الا الله واني لا افر من الزحف
فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه كذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغي لنبي ان يلبس لامته
فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال

لسنة ثلاث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال فكانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا
قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم
انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم
عليم بضمائركم والجملة اعتراض للايذان بانه قد صدر عنهم هناك من الاقوال والافعال ما لا ينبغي صدوره اذ همت
بدل من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على معنى انه تعالى جامع بين سماع الاقوال والعلم
بالضمائر في الوقت اذ لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء معنى قولك ضربت واكرمت
زيدا ان زيدا منصوب بهما وانهما تسلطا عليه معا طائفتان منكم ان تفشلا متعلق بهمت والباء محذوف
اي بان تفشلا اي تجبنا وتضعفا وهما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان
من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا الف رجل وقيل تسعمائة وخمسين وعدهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم الفتح ان صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة الاف انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس
فقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله تعالى في نبيكم وانفسكم
فقال لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه
وعن ابن عباس رض اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث
النفس فلما تخلو النفس عنه عند الشدائد والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض
ويجوز ان تكون حالا من فاعل همت او من ضميره في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما او همهما به مع كونهما
في ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما في قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله
وحده دون ما عداه مطلقا استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون في جميع امورهم فانه حسبهم واظهار
الاسم الجليل للتبرك به والتعليل فان الالوهية من موجبات التوكل عليه تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه
الطائفتان دخولا اوليا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعي التوكل وموجباته ولقد نصركم الله
ببدر جملة مستأنفة سيقت لايجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر اثر تذكير ما ترتب
على عدمهما من الضرر وقيل لايجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة
كان لرجل اسمه بدر فسمي باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم البئر والموضع
او الوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة وانتم اذلة
حال من مفعول نصركم واذلة جمع قلة للذليل وانما جمع جمع قلة للايذان باتصافهم بوصفي القلة والذلة
اذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير
الواحد ولم يكن في العسكر الا فرس واحد وقيل فرسان وسبعون بعيرا وستة ادرع وثمانية سيوف
وكان العدو زهاء الف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة فاتقوا الله اقتصر على الامر بالتقوى مع كونه
مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للاشعار باصالته وكون الصبر من مباديه اللازمة له وفي ترتيب الامر
بالتقوى على الاخبار بالنصر ايذان بان نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم اي فاتقوا الله
كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ لعلكم تشكرون اي راجين ان تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من
النصر كما شكرتم فيما قبل او لعل الله ينعم عليكم بنصر اخر فتشكروه فوضع الشكر موضع سببه الذي
هو الانعام اذ تقول تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلى الله عليه وسلم لتربيته ولا اشارة الى وقوع
القصص بتمامه واذ ظرف لنصركم وقدم عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية به والمراد به الوقت
المتسع الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوي ذكره تعويلا على تبيانه في الحال بما يتعلق بوجود النصر وصفة
المصالح للحادثة الماضية للاستحضار وصورتها اي نصركم وقت قولك للمؤمنين حين اظهروا العجز

قال الشعبي بلغ المؤمنين ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزل ثم حكى
ههنا الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد في الاصل اعطاء
الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والاعانة يقال فيه امده يمده امدادا وما كان
بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده مدا ومنه والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ونمدهم
في طغيانهم يعمهون وقوله ونمد له من العذاب مدا والامداد في الخير كما في قوله تعالى وامددناكم باموال وبنين
والتعرض لعنوان الربوبية ههنا وفيما سياتي مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم وللاشعار بعلة
الامداد والمعنى انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للاشعار بانهم كانوا كالآيسين
من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم من الملائكة بيان او صفة للآلاف ولما اضيف اليه اي كائنين
من الملائكة منزلين صفة لثلثة آلاف وقيل حال من الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او
للتدريج قيل امدهم الله تعالى اولا بالف ثم صاروا ثلثة آلاف ثم خمسة آلاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصيغتين
اي منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن وتحقيق له اي بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى
حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا على لقاء العدو ومناهضتهم وتتقوا معصية الله ومخالفة
نبيه عليه السلام ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت
القدر اي اشتد غليانها ثم استعير للسرعة ثم اطلق على كل حالة لا ريث فيها اصلا ووصفه بهذا لتاكيد السرعة
بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعة في سلك شرطي الامداد المستتبعين له وجودا وعدما اعني الصبر والتقوى
مع تحقق الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطأوا لتحقيق سرعة الامداد لا لتحقيق اصله او لبيان تحققه
على اي حال فرض على ابلغ وجه وآكده بتعليقه بابعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها بالطريق الاولى
فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الامداد ايذانا بانه
حيث تحقق مع ما ينافيه عادة فلأن يتحقق بدونه اولى واحرى كما اذا اردت وصف درع بغاية الحصانة
تقول ان لبستها وبارزت بها الاعداء فضربوك بايد شداد وسيوف حداد لم تنثلم قطعا يمددكم
ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء اي معلمين انفسهم او
خيلهم فقد روي انهم كانوا بعمائم بيض الا جبريل عليه السلام فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام
وروي انهم كانوا على خيل بلق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها
بين اكتافهم وقال هشام بن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد علموا بالعهن في نواصي الخيل
واذنابها وروي ان النبي عليه السلام قال لاصحابه رض ان الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين
على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وما
جعله الله كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جانبه تعالى لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل
من التاثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان اسبابه
واماراته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوع النصر على
الاطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الامداد بالملائكة مرة بعد اخرى و
تعيين وقته فيما مضى يقضي بوقوعه قضاء قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا على تعاضد الدلائل وتآخذ
الامارات والمخائل وايذانا بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرير او عن ايهام احتمال الخلف
في الوعد المحتوم كانه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فامدكم بهم و
ما جعله الله الخ والجعل متعد الى واحد هو الضمير العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر واما عوده الى المصدر
المذكور اعني قوله تعالى ان يمدكم او الى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل

لان العلية البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية لوجود الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم
حقه ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في ان المصدرين المذكورين غير معتبرين من حيث الوجود و
الوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان احكام وجودهما بل الاول معتبر من حيث الحكاية والثاني من حيث
الوعد على ان الاول هو الامداد بثلثة آلاف والواقع هو الامداد بخمسة آلاف وقوله تعالى الا بشرى لكم
استثناء مفرغ من اعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين
القلوب بتوفيق الاسباب الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غني عنه بما له من التاييد الروحاني اي
ما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به
اي بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد نصب
الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني على حاله [illegible]
وقيل للاشارة ايضا الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بان الملائكة عليهم السلام لم يباشروا يومئذ القتال وانما كان امدادهم
بتقوية قلوب المباشرين بتكثير السواد ونحوه كما هو راي بعض السلف رحمهم الله وقيل الجعل متعد الى اثنين وقوله
عز وجل الا بشرى لكم استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام
في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق
فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا الا من عند الله اي الا كائنا من عنده تعالى من غير ان يكون فيه
شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عنده
تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التاثير وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب العزيز
اي الذي لا يغالب في حكمه وقضيته واجراء هذا الوصف عليه تعالى للاشعار بعلية اختصاص النصر به تعالى
كما ان وصفه تعالى بقوله الحكيم اي الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل النصر
بانزال الملائكة عليهم السلام فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة ليقطع متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم وما
بينهما تحقيق لحقيته وبيان لكيفية وقوعه والمقصور على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان انما هو الامداد
بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف عليه او بما تعلق به الخبر
في قوله عز وجل وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود وقد اشير الى ان المعلل بالبشارة
والاطمئنان انما هو الامداد الصوري لا ما في ضمنه من النصر المعنوي الذي هو ملاك الامر وانما تعلقه بنفس النصر
كما قيل مع ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص
المعلل بعلل معينة على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا اثباته من عند الله ليقطع اي يهلك وينقص طرفا من الذين
كفروا اي طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون او
يكبتهم اي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب من كبته اذا كبده بمعنى ضرب
كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين فالتاء حينئذ غير مبدلة واو
للتنويع فينقلبوا خائبين اي فينهزموا منقطعي الآمال غير فائزين من مبتغاهم بشيء كما في قوله تعالى ورد الله الذين كفروا
بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شيء اعتراض وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف
المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تاثير للمنصور اثر بيان ان لا تاثير للناصرين وتخصيص النفي برسول الله صلى الله
عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض لان
ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولسائر مباشري
القتال مدخل في الجملة او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل

لم يوجد هذا العطف في كلام العرب العرباء وان كثر في عبارات العلماء منه

الا تصير حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك المعنى لتنصركم [illegible] اعني النصر الظاهر عند امداد الملائكة الا صح صح

في الجلالين

من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده منه

نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء انما انت
عبد مأمور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروي المخصوص باشد الكفرة كفرا والا
فمطلق التعذيب الاخروي متحقق في الفريقين لا قليل ايضا ونظم التوبة والتعذيب المذكور في سلك العلة
الغائية للنصر المترتبة عليه في الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقية الاسلام
بسبب غلبة اهله المترتبة على النصر وان تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر
بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
وكسر رباعيته فجعل عليه السلام يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو
يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شيء الآية كأنه نوع معاتبة
على انكاره عليه السلام لفلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن فقوله تعالى
او يتوب عليهم ح معطوف على الامر او على شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او
ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم ونقل عن الفراء وابن الانباري ان او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك
من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وايا ما كان فهو كلام مستأنف سيق لبيان
بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب التام لان كلا منهما
مبني على اختصاص الامر كله بالله تعالى ومنبئ عن سلبه عمن سواه واما تعلق كل القصة بغزوة احد على ان قوله تعالى
اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت وان ما حكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم احد وان الامداد
الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا
فلان المشروط بالصبر والتقوى انما هو الامداد بخمسة آلاف لا بثلاثة آلاف مع انه لم يقع الامداد يومئذ
ولو بملك واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغي ح ان ينعى عليهم جناياتهم وحرمانهم بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى
ظهوره مع عدم دلالة السباق والسياق عليه بل مع دلالتهما على خلافه مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلان الآية
الجعل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله الخ عائدا الى الامداد الموعود لانه لم يتحقق فكيف يبين علته الغائية
ولا الى الوعد بمعنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد لبشارتكم واطمئنان قلوبكم فلم تفعلوا ما شرط عليكم
من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود لكن ثمرته انما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد حصلا واما النصر الحقيقي
فليس ذلك الا من عنده تعالى بجعله استئنافا مقررا لعدم وقوع الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص بوقته
فلا ينصر من خالف امره بترك الصبر والتقوى اعتساف بين يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع
طرفا الآية متعلق ح بما تعلق به قوله تعالى من عند الله من الشهوات والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى
ولقد نصركم الله ببدر الآية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه
فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء بصدد بيان انتفائه مما
لم يعهد في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه ان قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وان
ما حكي في اثنائه الى قوله تعالى خاشعين متعلق بيوم بدر قطعا وما بعده محتمل للوجهين المذكورين ورد ابتداء
فانهم ظالمون تعليل على كل حال لقوله تعالى او يعذبهم اي مستحقون للتعذيب لكونهم ظالمين
ولله ما في السموات وما في الارض كلام مستأنف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات برمته به سبحانه اثر بيان اختصاص طرف
من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له والتقديم للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اي له
ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ان يغفر له مشيئة
مبنية على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء ان يعذبه مشيئة كذلك وايثار كلمة من في الموضعين
لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه

وبانهما من مقتضيات الذات دون تعذيبهم فانه من مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب
والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة
وفي تخصيص التذييل به دون قرينه من الايذان بسبق الرحمة ما لا يخفى يا ايها الذين آمنوا
لا تأكلوا الربا كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما يتلوهما
من الامور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب جيء به في تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى
ما فيه وايذانا بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فان الامور المذكورة فيه مع كونها مناط
الفوز في الدارين على الاطلاق وعمدة في امر الجهاد عليها يدور فلك النصر والغلبة كيف لا ولولا تركها
بالمخالفة للرسول صلى الله عليه وسلم لما اعتراهم ما اعتراهم ولعل ايراد النهي عن الربا في اثنائها
لما ان الترغيب في الانفاق في السراء والضراء الذي عمدته الانفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان
مظنة مبادرة الناس الى طرق الاكتساب ومن جملتها الربا فنهوا عن ذلك والمراد باكله اخذه وانما عبر عنه
بالاكل لما انه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه في المأكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله تعالى
اضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل
يربي الى اجل فاذا حل قال للمدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق
بالشيء الطفيف ماله بالكلية ومحلها النصب على الحالية من الربا وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه
من الامور التي من جملتها الربا لعلكم تفلحون راجين للفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز
عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين
بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوا في اجتناب محارمه واطيعوا الله في كل ما امركم به ونهاكم عنه والرسول الذي
يبلغكم اوامره ونواهيه لعلكم ترحمون راجين لرحمته عقب الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة
وايراد لعل في الموضعين للاشعار بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحق هذه الآية معاتبة للذين عصوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بما امرهم يوم احد وسارعوا عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على
وجه الاستئناف اي بادروا واقبلوا وقرئ وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة اي ما يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام
وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء جميع الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيها ما
مر من الامور دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية متقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف
وقع صفة لمغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار
مزيد اللطف بهم وقوله تعالى عرضها السموات والارض اي كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر
للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل فان العرض في العادة ادنى من الطول وعن ابن
عباس رضي كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين في حيز الجر على انه صفة
اخرى لجنة او محل النصب على الحالية منها لتخصصها بالصفة اي هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة
الآن وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او
بيان او في حيز النصب او الرفع على المدح ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق او متروك
بالكلية كما في قولك يعطي ويمنع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال
كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة ومضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير
والكاظمين الغيظ عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق
فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم غيظه اي حبسه قال
المبرد تأويله انه كتمه على امتلائه منه يقال كظمت السقاء اذا ملأته وشددت عليه اي الممسكين

عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه
ملأ الله قلبه أمنا وايمانا والعافين عن الناس اي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته روي انه ينادي
منادي يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وعن النبي عليه السلام ان هؤلاء
في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت وفي هذين الوصفين اشعار بكمال حسن موقع
عفوه عليه السلام عن الرماة وترك مؤاخذتهم بما فعلوا من مخالفة امره عليه السلام وندب له عليه السلام
الى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضي الله عنه حيث قال حين رآه قد مثل به لامثلن بسبعين مكانك
والله يحب المحسنين اللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا
بان النعوت المعدودة من باب الاحسان الذي هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي
المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله تعالى كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها والذين مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات
المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما من التفاوت فان درجة الاولين
من التقوى اعلى من درجة هؤلاء وحظهم اوفى من حظهم وعلى نفس المتقين فيكون التفاوت اظهر
واكثر اذا فعلوا فاحشة اي فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا اي ذنب كان
وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك
قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت
كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة داره افعل كذا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة
حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه
وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي عليه السلام وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل ذلك
بين انصاري وامرأة رجل ثقفي كان بينهما مواخاة فندم الانصاري وحثا على رأسه التراب وهام على وجهه
وجعل يسيح في الجبال تائبا مستغفرا ثم اتى النبي عليه السلام فنزلت واياما كان فاطلاق النظم ينتظم ما نقله
الرماة انتظاما اوليا ذكروا الله تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه
وعقابه فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم والفاء للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار
لا محالة ومن يغفر الذنوب استفهام انكاري والمراد بالذنوب جنسها كما في قولك فلان يلبس الثياب ويركب
الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها عن غيره تعالى وقوله تعالى الا الله
بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر جنس الذنوب احد الا الله خلا ان دلالة الاستفهام على الانتفاء اقوى
وابلغ لايذانه بان كل احد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك الانتفاء فيسارع الى الجواب به والمراد وصفه
سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين او بين الحال وصاحبها لتقرير
الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول ولم يصروا عطف على فاستغفروا وتأخيره عنه مع تقدم
عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشأن الاستغفار واستحقاقه للمسارعة اليه عقيب ذكره
تعالى او حال من فاعله اي ولم يقيموا او غير مقيمين على ما فعلوا اي ما فعلوه من الذنوب فاحشة كانت او
ظلما او على فعلهم روي عن النبي عليه السلام انه ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة
مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من يصروا اي لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه
وبالنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم
اولئك اشارة الى المذكورين آخرا باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد
منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم بدل اشتمال منه وقوله تعالى مغفرة خبر له او

جزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الخ على الوجه الاول وهو الاظهر
الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب في سلك الجزاء او على الوجهين الاخيرين يكون قوله تعالى اولئك الخ
جملة مستأنفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر من اوصاف
الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص الاشارة بالاخرين مع اشتراكهما
في حكم اعداد الجنة لهما تعسف ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنوين
من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضميرهم للاشعار بعلة الحكم والتشريف وجنات تجري من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير المشعر
بكونها ادنى من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الاول خالدين فيها حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم
لانه مفعول به في المعنى لانه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لان يكون حالا من جنات
في اللفظ وهي لاصحابها في المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف اي
ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما تستحقان بمقابلة
العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب
اختصاص التذييل السابق بالاولين وناهيك بمضمونهما دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت النير والتباين
البين شتان بين المحسنين الفائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين الحائزين لاجرتهم وعمالتهم قد خلت
من قبلكم سنن رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات
الفوز والفلاح والخلو المضي والسنن الوقائع وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا
من سنن اي قد مضت من قبل زمانكم اي كائنة من قبلكم وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كما
في قوله عز وجل وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا والفاء في قوله تعالى فسيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر او للامر بهما وقيل المعنى على الشرط
اي ان شككتم فسيروا [illegible] والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض
[illegible]

لابان يكون متعرفا لمضمون ما وقع في خلاله ومعاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال الجد
الاصناف الثلاثة للمؤمنين وان كان باعثا على الايمان وزاجرا عن التكذيب وقيل اشارة الى القرآن ولا يخفى
بعده ولا تهنوا ولا تحزنوا تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم يوم احد من القتل والقرح
وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمة النبي عليه السلام وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة رض ومن الانصار
سبعون رجلا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اي لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من
قتل منكم وانتم الاعلون جملة حالية من فاعل الفعلين اي والحال انكم الاعلون الغالبون دون عدوكم فان
مصير امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الاشعار
فيما سبق او انتم المعهودون بغاية علو الشان لما انكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل
وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار وقيل وانتم الاعلون حالا منهم حيث اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا
منكم اليوم ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي او بالاعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق به عليه اي ان كنتم
مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم المبالاة باعدائه او
ان كنتم مؤمنين فانتم الاعلون وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق به كما في قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني
اجري ولذلك قيل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان بقيتم على الايمان ان يمسسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها
وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم
بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم احق بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله
ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وتلك
الايام اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والآتية كافة لا الى الايام المعهودة خاصة من
يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة فيها دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس
نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقول من قال فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر
والمداولة كالمعاورة يقال داولته بينهم فتداولوه اي عاورته فتعاوروه واسم الاشارة مبتدأ والايام
اما صفة له او بدل منه او عطف بيان ونداولها خبر او خبر فنداولها حال من الايام والعامل معنى
الاشارة او خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للايذان بان تلك المداولة سنة
مسلوكة فيما بين الامم قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل وليعلم الله الذين
آمنوا اما من باب التمثيل اي ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او العلم
فيه مجاز عن التمييز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اي ليميز الثابتين على الايمان من غيرهم كما في قوله تعالى
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب او هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم
من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذي يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة واظهار الاسم الجليل
مع ان المراد هو الرسوخ والاخلاص فيه للايذان بان اسم الايمان لا ينطلق على غيره والالتفات الى الغيبة بالنسبة
الى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بان صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من افعاله
تعالى باعتبار منشأ معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ الآخر والجملة علة لما هو فرد من افراد مطلق العلة
التي ينطق بها قوله تعالى نداولها بين الناس من المداولة المعهودة الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين
متعلق بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين او بنفس الفعل المطلق باعتبار

وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على الخصوص والتعيين محذوفة للدلالة المذكور
عليها لكونها من مباديها كانه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم وليعلم الخ فان ظهور اعمالهم
وخروجها من القوة الى الفعل من مبادي تمييزهم عن غيرهم ومواجب تعلق العلم الازلي بها من تلك الحيثية كذا
الحال في باب التمثيل فتامل واما على العموم والابهام للتنبيه على ان العلل غير منحصرة فيما عدد من الامور وان
العبد يسوءه ما يجري عليه من النوائب ولا يشعر بان لله تعالى في ذلك من الالطاف الخفية ما لا يخطر
بالبال كانه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الخ وفيه من تاكيد التسلية ومزيد التبجيل
ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة دون سائر افرادها الجارية فيما بين بقية الامم
تعيينا وابهاما لعدم تعلق الغرض العلمي ببيانها ولك ان تجعل المحذوف المبهم عبارة عن علل سائر افراد
الاشارة اجمالا الى كل فرد من افرادها له علة داعية اليه كانه قيل نداولها بين الناس كافة ليكون
كيت وكيت من الحكم الداعية الى تلك الافراد وليعلم الخ فاللام الاولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تعيينه
بتلك الافراد والثانية باعتبار تعيينه بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين
آمنوا فعل ذلك ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد اي ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء احد فمن ابتدائية
او تبعيضية متعلقة بيتخذ او بمحذوف وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اي ويتخذ منكم شهودا معدلين
بما ظهر منهم من الثبات على الحق اما الصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيامة
فمن بيانية لان تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين فقط وايا ما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء
والتقريب من تشريفهم وتفخيم شانهم ما لا يخفى وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين اعتراض مقرر لمضمون ما
قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين
على الايمان فالتعريض من حيث ان بغضه تعالى لهم من دواعي اخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم
واما الكفرة الذين اديل لهم فالتعريض من حيث ان ذلك ليس بطريق النصرة لهم لانها مختصة باوليائه تعالى بل لما ذكر
من الفوائد العائدة الى المؤمنين وقوله تعالى وليمحص الله الذين آمنوا اي ليصفيهم ويطهرهم عن الذنوب
عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لابراز مزيد الاعتناء بشان التمحيص وهذه الامور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين
قدمت في الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تاخير العلة الاخيرة من الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين
في الظالمين او ليقترن بقوله عز وجل ويمحق الكافرين فان التمحيص فيه محو الآثار وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة
عن النقص والاذهاب قال المفضل هو ان يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يمحق الله الربا
اي يستأصله وهذه علة للمداومة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله تعالى جميعا ام حسبتم كلام مستانف سيق لبيان ما هي
الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء واظهار عزة منالها
والخطاب للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة
الى تحقيق انها من مبادي الفوز بالمطلب الاسنى والهمزة للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا
الجنة وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار
فان رجاء الاجر بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من
اللزوم المبني على لزوم تحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى به وايثارها على التصريح
للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فانها اثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللايذان بان مدار ترتب الجزاء على الايمان
انما هو علم الله تعالى بها كانه قيل والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وانما وجه النفي الى الموصوفين مع

ان المنفي هو الوصف فقط وكان يكفي ان يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن معنى ولما تجاهدوا والايذان
في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلاً وفي كلمة لما ايذان بان الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الا
انه غير معتبر في تاكيد الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن بحذف النون او على طريقة اتباع
الميم لما قبلها في الحركة لابقاء تفخيم اسم الله تعالى منكم حال من الذين **ويعلم الصابرين** منصوب باضمار
ان على ان الواو للجمع كما في قولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن اي لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن والمعنى
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي الجمع بينهما وايثار اسم الفاعل على
الموصول للدلالة على ان المعتبر هو الاستمرار على الصبر والمحافظة على التواصل وقيل مجزوم معطوف على المجزوم
قبله فتحرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة وللاتباع كما مر ويؤيده القراءة بالكسر على ما هو الاصل في
تحريك الساكن وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدأ محذوف اي وهو يعلم
الصابرين كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون **ولقد كنتم تمنون الموت** اي تتمنون الحرب فانها من مبادي
الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج
ثم ظهر منهم خلاف ذلك **من قبل ان تلقوه** متعلق بتمنون مبين لسبب اقدامهم على التمني اي من قبل ان تشاهدوا
وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه **فقد رأيتموه** اي ما تتمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة
اسبابه وقوله تعالى **وانتم تنظرون** حال من ضمير المخاطبين وفي ايثار الرؤية على الملاقاة وتقييدها
بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة كانه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رأيتموه
معاينين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ
لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمني الشهادة بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما ان
مطلب من تمناها نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة
وما محمد الا رسول مبتدأ وخبر ولا عمل لما بالاتفاق لانتقاض نفيه بالا وقوله تعالى **قد خلت من قبله الرسل**
صفة لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركيه في منصب الرسالة من شواهد خلوه لا محالة
كانه قيل قد خلت من قبله امثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فانهم لما انقلبوا على اعقابهم فكانهم اعتقدوا
انه عليه السلام رسول لا كسائر الرسل في انه سيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو قصر
افراد فانهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كانهم يعتقدون فيه
عليه السلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بانه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها
الى البعد عن الهلاك فلا بد من جعل قوله تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدأ مسوقا لتقرير عدم براءته عليه السلام
من الهلاك وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام واياما كان فالكلام مخرج على خلاف مقتضى
الظاهر **أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم** انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه بموت او قتل
بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية لا انكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا
لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين وايراد الموت بكلمة ان مع علمهم به البتة لتنزيل
المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا الحال في سائر الموارد فان كلمة ان في كلام الله تعالى
لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع او اللاوقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع او امر آخر يناسب المقام وتقديم
تقدير الموت مع ان تقدير القتل هو الذي ثار منه الفتنة وعظم فيه المحنة لما ان الموت في شرف الوقوع فزجر الناس
عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت هناك اهم ولان الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو
بالموت دون القتل روي انه لما التقى الفئتان حمل ابو دجانة في نفر من المسلمين على المشركين فقاتلوا قتالا شديدا

وقاتل علي بن ابي طالب رضي قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد بن ابي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين
وهزموهم فلما نظر الرماة اليهم ورأوا انهم قد انهزموا اقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى ميرهم عبد الله بن جبير
فلم يبق عنده الا ثمانية نفر فلما رآهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم في مائتين وخمسين فارسا
من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا في اقفية المسلمين ففرقوهم وهزموهم وحملوا على
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوهم حتى اصيب هناك نحو ثلاثين رجلا كلهم يجثو بين يديه
ويقول وجهي لوجهك وقاء ونفسي لنفسك فداء وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب بن عمير رض وكان
صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يزعم انه قتل النبي عليه السلام فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل
انه ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه السلام يدعو الي عباد الله قال كعب بن مالك
كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا
رسول الله عليه السلام فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال
بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا
الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد حي
لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا
على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء
ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل [illegible] مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس
[illegible]
[illegible] توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام في الناس وقال ان رجالا
من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وان رسول الله ما مات ولكنه ذهب
الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله ولاقطعن
ايدي رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات [illegible] فقام ابو بكر
وحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله
حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل [illegible] والله لكأن الناس لم يعلموا
ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر [illegible]
ان سمعت ابا بكر تلاها [illegible] وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات **ومن
ينقلب على عقبيه** [illegible] **فلن يضر الله
شيئا** [illegible] **وسيجزي الله الشاكرين** [illegible]
[illegible]

القتال لعجلة كان ناقصة اسمها ان تموت وخبرها الظرف على انه متعلق بمحذوف وقوله تعالى الا باذن الله
استثناء مفرغ من اعم الاسباب اي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشيئته تعالى
على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه او الا باذنه لملك الموت في قبض روحها والمسوق للكلام مساق التمثيل
بتصوير الموت بالنسبة الى النفوس بصورة الافعال الاختيارية التي لا يتسنى للفاعل ايقاعها ولا الاقدام
عليها بدون اذنه تعالى او بتنزيل اقدامها على مباديه اعني القتال منزلة الاقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق
المرام فان موتها حين استحال وقوعه عند اقدامها عليه او على مباديه وسعيها في ايقاعه فلان يستحيل
عند عدم ذلك اولى واظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى كتابا مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي كتبه
الله كتابا مؤجلا موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ولو ساعة وقرئ موجلا بالواو بدل الهمزة على
قياس التخفيف وبعد تحقيق ان مدار الموت والحيوة محض مشيئة الله عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل
لاحد اصلا اشير الى ان توفية ثمرات الاعمال دائرة على ارادتهم ليصرفوها عن الاغراض الدنية الى المطالب
السنية فقيل ومن يرد اي بعمله ثواب الدنيا نؤته بنون العظمة على طريقة الالتفات منها اي من ثوابها
ما نشاء ان نؤتيه اياه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض
لمن شغلتهم الغنائم يومئذ وقد مر تفصيله ومن يرد اي بعمله ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها ما نشا
من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم وسنجزي الشاكرين نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين ما آتاهم
الله تعالى من القوى والقدر الى ما خلقت هي لاجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا
والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم واما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولا
اوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وابهام الجزاء من التاكيد
والدلالة على فخامة شان الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى وقرئ الافعال الثلثة بالياء وكأين
كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل
الخالية عليهم السلام وكأين لفظة مركبة من كاف التشبيه واي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث
في كذا وكذا والنون تنوين اثبتت في الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هي احديهن والثانية كائن مثل كاعن
والثالثة كاين مثل كعين والرابعة كيأن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي مقلوب ما قبلها والخامسة كان مثل
كعن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من نبي تمييز لها لانها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها
منصوبا كما في قوله اطرد اليأس بالرجا فكأين آملا حم يسره بعد عسر وقوله تعالى قاتل معه ربيون كثير
خبرها على ان الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول
مخففة ومشددة والربي منسوب الى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها ايضا
على الاصل وقيل هي منسوبة الى الربة وهي الجماعة اي كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه علماء
اتقياء او عابدون او جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل او بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراءتين
الاخيرتين اذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل اي قتلوا او قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير
رض ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند
الى ضمير النبي عليه السلام والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع اليه وهذا
واضح على القراءة المشهورة بلا اختلاف اي كم من نبي قاتل كائنا معه في القتال ربيون كثير واما على القراءتين الاخيرتين
فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوزه بعضهم وايده بان مدار التوبيخ انخزالهم للارجاف بقتله صلى الله عليه
وسلم اي كم من نبي قتل كائنا معه في القتل او في القتال ربيون الخ وقوله تعالى فما وهنوا عطف على قاتل على ان المراد
عدم الوهن المتوقع من القتل كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء بعد ورود

ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول
الفاء المرتبة له على ما قبله اي فما فتروا وما انكسرت همتهم لما اصابهم في اثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي
ثم تشعر بعلته قوله تعالى في سبيل الله فان كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل عنهم وما
موصولة او موصوفة فان جعل الضمير لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره
المعترية للكل وان جعلا للبعض الباقين بعد ما قتل الآخرون كما هو الانسب بمقام توبيخ المتخاذلين بعدما
استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة
المشهورة واما على القراءتين الاخيرتين فان اسند الفعل الى الربيين فالضميران للباقين منهم حتما وان اسند
الى ضمير النبي عليه السلام كما هو الانسب بالتوبيخ على الانخزال بسبب الارجاف بقتله عليه السلام فهما
للباقين ايضا ان اعتبر كون الربيين مع النبي في القتل وللجميع ان اعتبر كونهم معه في القتال وما ضعفوا
عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين وما استكانوا اي وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون
لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب
ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف
بقتل النبي عليه السلام وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا
بابن ابي المنافق في طلب الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين اي على مقاساة الشدائد ومعاناة
المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون والاظهار في موقع الاضمار للثناء
عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة تذييل لما قبلها
وما كان قولهم كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم
بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها في قوله تعالى الا ان قالوا والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اي
ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحراب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال
شيء من الاشياء الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي صغائرنا واسرافنا في امرنا اي تجاوزنا الحد في ركوب
الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط في جنب الله تعالى هضما لها
واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو اهم بحسب الحال من الدعاء
بقولهم وثبت اقدامنا اي في مواطن الحرب بالتقوية والتاييد من عندك او ثبتنا على دين الحق وانصرنا
على القوم الكافرين تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة اقرب
الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والتزلزل
في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى وقرئ برفع
قولهم على انه الاسم والخبر ان وما في حيزها [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وقولهم مضاف إلى المضمر فهو بمنزلة العلم ثم تأمل فآتاهم الله بسبب دعائهم ذلك ثواب الدنيا أي النصر والغنيمة
والعز والذكر الجميل وحسن ثواب الآخرة أي وثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص
وصف الحسن به للإيذان بفضله ومزيته وأنه المعتد به عنده تعالى والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون
ما قبله فإن محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وإرادة الخير به وهي مبدأ كل سعادة واللام إما للعهد و
وضع المظهر موضع ضمير المعهودين للإشعار بأن ما حكي عنهم من الأفعال والأقوال من باب الإحسان وإما للجنس
وهم داخلون فيه دخولا أوليا وهذا أنسب بمقام ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة يا أيها
الذين آمنوا شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان مضارها إثر ترغيبهم في الاقتداء
بأنصار الأنبياء عليهم السلام ببيان فضائلها وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لإظهار
الاعتناء بما في حيزه ووصفهم بالإيمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها بإظهار مباينتها لحال أعدائهم كما أن وصف
المنافقين بالكفر في قوله تعالى إن تطيعوا الذين كفروا لذلك تصدا إلى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم
قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم فوقوع قوله تعالى
يردوكم على أعقابكم جوابا للشرط مع كونه في قوة أن يقال إن تطيعوهم في قولهم ارجعوا إلى إخوانكم
وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى فتنقلبوا خاسرين أي للدنيا والآخرة
غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على أن الارتداد على العقب علم في انتكاس الأمر ومثل
في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبهة
في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال
غيره من الناس يوما له ويوما عليه وقيل أبو سفيان وأصحابه والمراد بطاعتهم استئمانهم والاستكانة لهم
وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم في أمر من الأمور حتى لا يستجروهم إلى الارتداد عن الدين
فلا حاجة على هذا التقادير إلى ما مر من البيان بل الله مولاكم إضراب عما ينبئ عنه مضمون الشرطية كأنه
قيل فليسوا أنصارا لكم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فأطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم وقرئ بالنصب كأنه
قيل فلا تطيعوهم بل أطيعوا الله مولاكم نصب على أنه صفة له وهو خير الناصرين فخصوه بالطاعة
والاستعانة سنلقي بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين
لتأكيد الإلقاء في قلوب الذين كفروا الرعب بسكون العين وقرئ بضمها على الأصل وهو ما قذف في قلوبهم
من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا إلى مكة فلما كانوا
ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فعند ذلك ألقى الله
تعالى في قلوبهم الرعب فأمسكوا فلا بد من كون الآية في تضاعيف الحال وعقيب انتصابهم وقيل هو ما ألقي في
قلوبهم من الرعب يوم الأحزاب بما أشركوا بالله متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية أي بسبب إشراكهم
به تعالى فإنه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب ما لم ينزل به أي بإشراكه
سلطانا أي حجة سميت به لوضوحها وإنارتها أو لقوتها أو لحدتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة
تحققها في نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضب بها ينجحر أي لا ضب ولا انجحار وفيه إيذان بأن المتبع في الدين هو البرهان
السماوي دون الآراء والأهواء الباطلة ومأواهم بيان لأحوالهم في الآخرة إثر بيان أحوالهم في الدنيا وهو الرعب
أي ما يأوون إليه في الآخرة النار لا ملجأ لهم غيرها وبئس مثوى الظالمين أي مثواهم وإنما وضع موضعه المظهر
المذكور للتغليظ والتعليل والإشعار بأنهم في إشراكهم ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه والمخصوص بالذم
محذوف أي بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز إلى خلودهم فيها فإن المثوى
مكان الإقامة المنبئة عن المكث وأما المأوى فهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان ولقد صدقكم الله وعده

[illegible]

النهب وذلك قوله تعالى من بعد ما أراكم ما تحبون أي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رأى
المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا أمير الرماة ومن معه من أصحابه بحسبما فصل في تفسير قوله
تعالى أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم وجواب إذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم وقيل حتى
لانتهاء غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم إلى قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى منكم من يريد الدنيا
وهم الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة
هذا على تقدير كون إذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل إذا اسم كما في قولهم إذا يقوم زيد
إذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى إلى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه لمعنى النصر كأنه قيل لقد نصركم
الله إلى وقت فشلكم وتنازعكم الخ وعلى هذا فقوله تعالى ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك وعلى الأول عطف على
المحذوف كما أشير إليه والجملتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين أي كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة
وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم أي يعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الإيمان عندها
ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله
مؤذن بأن ذلك العفو بطريق التفضل والإحسان لا بطريق الوجوب عليه أي شأنه أن يتفضل عليهم بالعفو
أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال أديل لهم أو أديل عليهم إذ الابتلاء أيضا رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين
إما المخاطبون والإظهار في موقع الإضمار للتشريف والإشعار بعلة الحكم وإما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا
أوليا إذ تصعدون متعلق بصرفكم أو بقوله تعالى ليبتليكم أو بمقدر كاذكروا والإصعاد الذهاب والإبعاد
في الأرض وقرئ تصعدون من الثلاثي أي في الجبل وقرئ تصعدون من التفعل بطرح إحدى التاءين وقرئ
يصعدون بالياء على الالتفات إلى الغيبة ولا تلوون على أحد أي لا تلتفتون إلى ما وراءكم ولا يقف واحد
منكم لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون كيصعدون
والرسول يدعوكم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلي عباد الله إلي عباد الله أنا رسول الله من يكر فله
الجنة وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة للإيذان بأن دعوته كانت بطريق الرسالة من جهته تعالى
إشباعا في توبيخ المنهزمين في أخراكم في ساقتكم وجماعتكم الأخرى فأثابكم عطف على صرفكم أي فجازاكم الله

بما صنعتم غمًّا موصولًا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير أو غمًّا بمقابلة غم أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم
له لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم أي لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا على نفع فات
أو ضر آت وقيل لا زائدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما أصابكم من الجراح والهزيمة
عقوبة لكم وقيل الضمير في فأثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم أي واساكم في الاغتمام بما نزل عليكم كما اغتممتم
بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسًا عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر وما أصابكم
من الجراح وغير ذلك والله خبير بما تعملون أي عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها ثم أنزل عليكم عطف على قوله تعالى
فأثابكم والخطاب للمؤمنين حقًّا من بعد الغم أي الغم المذكور والتصريح بتأخر الإنزال عنه مع دلالة ثم على
تراخيه عنه لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كما في قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية أمنة أي أمنًا
نصب على المفعولية وقوله تعالى نعاسًا بدل منها أو عطف بيان وقيل مفعول له أو هو المفعول وأمنة حال منه
متقدمة عليه أو مفعول له أو حال من المخاطبين على تقدير مضاف أي ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة
وقرئ بسكون الميم كأنها مرة من الأمن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم
والتشويق إلى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالإزالة لأنه المهم عندهم لما أن المشركين لما انصرفوا كانوا
يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يأمنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متأهبين للقتال فأنزل الله تعالى عليهم الأمنة
فأخذهم النعاس قال ابن عباس رض أمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وإنما ينعس من أمن والخائف لا ينام
وقال الزبير رض كنت مع النبي عليه السلام حين اشتد الخوف فأنزل الله علينا النوم والله إني لأسمع قول معتب
بن قشير والنعاس يغشاني ما أسمعه إلا كالحلم يقول لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا وقال أبو طلحة رضي
عنه رفعت رأسي يوم أحد فجعلت لا أرى أحدًا من القوم إلا وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن
ألقي عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فآخذه ثم يسقط السوط من يدي فآخذه وفيه دلالة
على أن من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل يغشى طائفة منكم قال ابن عباس
هم المهاجرون وعامة الأنصار ولا يقدح ذلك في عموم الإنزال للكل والجملة في محل النصب على أنها صفة
لنعاسًا وقرئ بالتاء على أنها صفة لأمنة وفيه أن الصفة حقها أن تتقدم على البدل أو عطف البيان
وأن لا يفصل بينها وبين الموصوف بالمفعول له وأن المعهود أن يحدث عن البدل دون المبدل منه وطائفة
قد أهمتهم أنفسهم أي أوقعتهم في الهموم والأحزان أو ما يهمهم إلا هم أنفسهم وقصد خلاصها من قولهم همني
الشيء أي كان من همي وقصدي والقصر مستفاد بمعونة المقام وطائفة مبتدأ وما بعدها إما خبرها
وإنما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في قوله سرينا ونجم قد أضاء فمذ بدا محياك أخفى
ضوءه كل شارق أو لوقوعها في موقع التفصيل كما في قوله إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا
لم يحول وإما صفتها والخبر محذوف أي ومعكم طائفة أو وهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه
أنه يقتضي دخول المنافقين في الخطاب بإنزال الأمنة وأيًّا ما كان فالجملة إما حالية مبينة لفظاعة الهول
مؤكدة لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في قوله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم
وإما مستأنفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل يظنون بالله حال من ضمير أهمتهم أو من طائفة لتخصصها
بالصفة أو صفة أخرى لها أو خبر بعد خبر أو استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى غير الحق في حكم المصدر أي
يظنون به تعالى غير الظن الحق الذي يحق أن يظن به سبحانه وقوله تعالى ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن
المختص بالملة الجاهلية والإضافة كما في حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى يقولون بدل من يظنون لما أن
مسألتهم كانت صادرة عن الظن أي يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد هل لنا من الأمر

من شيء أي هل لنا من أمر الله تعالى ووعده من النصر والظفر نصيب قط وقيل أخبر ابن أبي بقتل بني الخزرج فقال ذلك
والمعنى أنا منعنا تدبير أنفسنا فلم يبق لنا من الأمر شيء قل إن الأمر كله لله أي الغلبة الحقيقية لله تعالى ولأوليائه فإن حزب الله هم الغالبون أو القضاء له
تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد والجملة اعتراض وقرئ كله بالرفع على الابتداء يخفون
في أنفسهم أي يضمرون فيها أو يقولون فيما بينهم بطريق الخفية ما لا يبدون لك استئناف أو حال من ضمير يقولون
وقوله تعالى قل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وصاحبها أي يقولون مظهرين أنهم مسترشدون مبطنين الإنكار والتكذيب وقوله تعالى يقولون استئناف وقع جوابًا عن سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل
أي شيء يخفون فقيل يحدثون أنفسهم أو يقولون بعضهم لبعض خفية لو كان لنا من الأمر شيء كما وعد محمد عليه السلام من أن الأمر كله لله ولأوليائه أو لو كان لنا من التدبير والرأي شيء
ما قتلنا هاهنا أي ما غلبنا أو ما قتل من قتل منا في هذه المعركة على أن النفي راجع إلى نفس القتل لا إلى وقوعه فيها
فقط ولما بعجنا من منازلنا كما رأى ابن أبي وغيره قل لو كنتم في بيوتكم أي
لو لم تخرجوا إلى أحد وقعدتم بالمدينة كما تقولون لبرز الذين كتب عليهم القتل أي في اللوح المحفوظ بسبب
من الأسباب الداعية إلى البروز إلى مضاجعهم إلى مصارعهم التي قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هناك البتة
ولم ينفع العزيمة على الإقامة بالمدينة قطعًا فإن قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة
في رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما في قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه
أيضًا ولا ريب في تعيين زمانه أيضًا لقوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
روي أن ملك الموت حضر مجلس سليمان عليهما السلام فنظر إلى رجل من أهل المجلس نظرة هائلة فلما قام قال
الرجل من هذا قال سليمان عليه السلام ملك الموت قال أرسلني مع الريح إلى عالم آخر فإني رأيت منه مرأى
هائلًا فأمرها عليه السلام فألقته في قطر سحيق من أقطار العالم فما لبث أن عاد ملك الموت إلى سليمان عليه
السلام فقال كنت أمرت بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في أرض كذا فلما وجدته في مجلسك قلت متى
يصل هذا إليها وقد أرسلته بالريح إلى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى أمر الله عز وجل في زمانه ومكانه من غير
إخلال بشيء من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرز بالتشديد
على البناء للمفعول وليبتلي الله ما في صدوركم أي ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الإخلاص والنفاق
ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوف على علل لها أخرى مطوية للإيذان بكثرتها كأنه
قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي الخ وجعلها علة لبرز يأباه الذوق السليم فإن مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع
يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز المفروض أو لفعل مقدر بعدها أي وللابتلاء المذكور فعل ما فعل لا
لعدم العناية بأمر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدمًا خال عن هذه المزية وليمحص ما في قلوبكم من مخبآت
الأمور ويكشفها أو يخلصها من الوساوس والله عليم بذات الصدور أي السرائر والضمائر الخفية التي لا تكاد
تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة إما اعتراض للتنبيه على أن الله تعالى غني عن الابتلاء وإنما
يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين وإظهار حال المنافقين أو حال من متعلق الفعلين أي فعل ما فعل للابتلاء
والتمحيص والحال أن الله تعالى غني عنهما محيط بخفيات الأمور وفيه وعد ووعيد إن الذين تولوا منكم يوم التقى
الجمعان وهم الذين انهزموا يوم أحد حسبما مرت حكايتهم إنما استزلهم الشيطان أي إنما كان سبب انهزامهم
أن الشيطان طلب منهم الزلل ببعض ما كسبوا من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة أمر النبي عليه السلام
وترك المركز والحرص على الغنيمة أو الحياة فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك
بذنوب تقدمت لهم فإن المعاصي يجر بعضها إلى بعض كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سبقت منهم وكرهوا
القتل قبل إخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم إن الله غفور للذنوب

حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي اظهار الجلالة تربية للمهابة
وتأكيد للتعليل يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر
شيء ما قتلنا ههنا وانما ذكر في صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم
اثر ذي اثير وقوله تعالى وقالوا لاخوانهم تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها اي قالوا لاجلهم وفي
حقهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم نسبا ومذهبا اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها
وايثار اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم
للحال الذي عليه يدور امر استحضار الصورة قال الزجاج اذا ههنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني
انها لمجرد الوقت ويقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم انما هي باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق انها ظرف له الا انهم
كأنه قيل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم حين ضربوا الخ او كانوا اي اخوانهم غزى جمع غاز كعفى جمع عاف قال ومغبرة
الآفاق خاشعة الصوى لها قلب عفى الحياض أجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة وافراد كونهم غزاة
بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في الارض لانه المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في الارض توطئة له وتقديمه
لكثرة وقوعه وعلى انه قد يوجد بدون الضرب في الارض اذ المراد به السفر البعيد وانما لم يقل او غزوا للايذان
باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اي كانوا غزاة فيما مضى وقوله تعالى لو كانوا عندنا اي
مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اي اذا ضربوا في الارض
فماتوا او كانوا غزى فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم
بموجبه كما انه المنكر على قائليه الا يرى الى قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه الذي يجعل
حسرة فيها قطعا واليه اشير بذلك كما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا
وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما
في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور
بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده
ليجعل الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك كما مر اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد
ويجوز ان يكون اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان
مضادتكم لهم في القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته
اي هو المؤثر في الحياة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة او السفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر
والغازي مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون
بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وما يعملون عام متناول لقولهم
المذكور ولمنشائه الذي هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع
واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة بتقوية الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد ينبئ عن الوعيد
ولئن قتلتم في سبيل الله او متم شروع في تحقيق ان ما يحذرونه مترتبا على الغزو والسفر من القتل والموت
في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال ترتبه عليهما واللام
هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى لمغفرة من الله ورحمة لام الابتداء والتنوين في الموضعين للتقليل ومن متعلقة
بمحذوف وقع صفة للمبتدأ وقد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجواب للقسم ساد مسد جواب
الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لنفحة
يسيرة من رحمة ومغفرة كائنتين من الله تعالى خير مما يجمعون اي الكفرة من منافع الدنيا مدة اعمارهم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء اي مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار على الخيرية مما

من ذلك بلا تعرض للاخبار بحصولها لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة التخييب منه تعالى
بعد الاطماع وقد قيل لا بد من حذف آخر اي لمغفرة لكم من الله الخ ويجوز ايضا ان يكون اخراج المقدر مخرج
الصفة دون الخبر لنحو ما ذكر في ادعاء الظهور والغنى عن الاخبار به وتغيير الترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا
وما قتلوا المبني على كثرة الوقوع وقلته للمبالغة في الترغيب في الجهاد ببيان زيادة مزية القتل في سبيل الله تعالى
وانافته في استجلاب المغفرة والرحمة وفيه دلالة واضحة على ما مر من ان المقصود بالنهي انما هو عدم مماثلتهم في
الاعتقاد بمضمون القول المذكور والعمل بموجبه لا في النطق به واضلال الناس به ولئن متم او قتلتم اي على اي
وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات لالى الله اي الى المعبود
بالحق العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفي اجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام
في لامي الجملة كما مر في اختها فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم للائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية
او من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر وما مزيدة للتأكيد او
نكرة ورحمة بدل منها مبين لابهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة اي فبرحمة عظيمة
لهم كائنة من الله تعالى وهي ربطه على جاشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق
والتلطف بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو ولو لم تكن كذلك
بل كنت فظا جافيا في المعاشرة قولا وفعلا وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال الواحدي هو الغليظ
الجانب السيئ الخلق غليظ القلب قاسيه وقال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل لانفضوا من حولك
لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وترددوا في مهاوي الردى والفاء في قوله عز وجل فاعف عنهم لترتيب
العفو والامر به على ما قبله اي اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم
واستغفر لهم الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم وشاورهم في الامر
اي في امر الحرب اذ هو المعهود او فيه وفي امثاله مما يجري فيه المشاورة عادة استظهارا بآرائهم وتطييبا
لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت اي عقيب المشاورة على شيء
واطمأنت به نفسك فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه مختص به سبحانه وتعالى
وقرئ فاذا عزمت على صيغة التكلم اي عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك
احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل او الامر به فان عنوان الالوهية الجامع لجميع صفات الكمال
مستدع للتوكل عليه تعالى والامر به ان الله يحب المتوكلين عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم
وصلاح في الجملة تعليل للتوكل عليه تعالى وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة مستأنفة
سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على الالتجاء اليه وتحذيرهم عما
يفضي الى الخذلان اي ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد الغالب
ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط ثم المفهوم من ظاهر النظم الكريم وان كان نفي مغلوبيتهم
من غير تعرض لنفي المساواة ايضا وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه قطعيا هو نفي المساواة و
اثبات الغالبية للمخاطبين فانك اذا قلت لا اكرم من فلان او لا افضل منه فالمفهوم منه حتما انه اكرم من كل
كريم وافضل من كل فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما
يرد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا في مواقع كثيرة من التنزيل
ومما هو نص قاطع فيما ذكرنا ما وقع في سورة هود حيث قيل بعده في حقهم لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون
فان كونهم اخسر من كل خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم كما فعله يوم احد وقرئ

يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا ﴿فمن ذا الذي ينصركم﴾ استفهام انكاري مفيد لانتفاء الناصر
ذاتا وصفة بطريق المبالغة ﴿من بعده﴾ اي من بعد خذلانه تعالى او من بعد الله تعالى على معنى اذا جاوزتموه
﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ تقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه او
ترتيب الامر به على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى
اياهم فان العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون
داخلون فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات واياما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان
اشتراكا او استقلالا وتعليل لتحتم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا ﴿وما كان لنبي﴾ اي
ما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له ﴿ان يغل﴾ اي يخون في المغنم فان النبوة تنافيه منافاة بينة
يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله صلى الله
عليه وسلم عما ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا في الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي عليه السلام
الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا
نغل ولا نقسم بينكم واما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم
النبي عليه السلام بعدهم غنائم فقسمها بين الحاضرين ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت والمعنى ما كان لنبي ان يعطي
قوما من العسكر ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بين الكل على السوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا
واما ما قيل من ان المراد تنزيهه عليه السلام عما اتهمه به بعض المنافقين اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر
فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول
والمعنى ما كان له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ﴿ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة﴾ يات بالذي غله
بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروي انه عليه السلام قال الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء
وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او يات
بما احتمل من اثمه ووباله ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت﴾ اي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا
وضع المكسوب موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا كانهما شيء واحد وفي اسناد
التوفية الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع ان المراد بيان حال الغال عند اتيانه بما غل يوم القيمة من
الدلالة على فخامة شان اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه حيث وفي كل كاسب
جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلان لا ينقص من جزاء الغال شيء
وجرمه من اعظم الجرائم اظهر واجلى ﴿وهم﴾ اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس ﴿لا يظلمون﴾ بزيادة عقاب
او بنقص ثواب ﴿افمن اتبع رضوان الله﴾ اي سعى في تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات
كالنبي ومن يسير بسيرته ﴿كمن باء﴾ اي رجع ﴿بسخط﴾ عظيم لا يقادر قدره كائن ﴿من الله﴾ تعالى بسبب معاصيه
كالغال ومن يدين بدينه والمراد تاكيد نفي الغلول عن النبي عليه السلام وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه
وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الآخر فقوبل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع
بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الكل كانه قيل
ابعد ظهور حاله يكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة ﴿وماواه جهنم﴾ اما كلام مستانف مسوق لبيان مآل امر من باء
بسخطه تعالى واما معطوف على الصلة الاسمية على الفعلية واياما كان فلا محل له من الاعراب ﴿وبئس المصير﴾
اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع

على خذلانه في الحالة الاولى وبخذلانه في الثانية ﴿هم﴾ راجع الى الموصولين باعتبار المعنى ﴿درجات عند الله﴾ اي متفاوتون
متفاوتة في علمه وحكمته شبهوا في تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا
ذاتيا كالدرجات او ذوو درجات ﴿والله بصير بما يعملون﴾ من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها ﴿لقد
من الله﴾ جواب قسم محذوف اي والله لقد من الله اي انعم ﴿على المؤمنين﴾ اي من قومه عليه السلام ﴿اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم﴾ اي من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق
والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اي
اشرفهم فانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن من الله على المؤمنين ووجه تخصيصهم
بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر ما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم متعلق
بمحذوف وقع صفة لرسولا اي كائنا من انفسهم وقوله تعالى ﴿يتلو عليهم آياته﴾ صفة اخرى اي يتلو عليهم
القرآن بعدما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ﴿ويزكيهم﴾ عطف على يتلو اي يطهرهم من دنس
الطبائع وسوء العقائد واوضار الاوزار ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ اي القرآن والسنة وهو صفة اخرى
لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب
القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان
بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله
تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم
عد الجميع نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا الى انه
باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي الاحاديث الكريمة من الشرائع
كما سلف في سورة البقرة ﴿وان كانوا من قبل﴾ اي من قبل بعثته عليه السلام وتزكيته وتعليمه ﴿لفي ضلال مبين﴾ اي
بين لا ريب في كونه ضلالا وان هي المخففة من المثقلة وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين
النافية والظرف الاول لغو متعلق بكانوا والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة التي حذف
اسمها اعني ضمير الشان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين واياما كان
فالجملة اما حال من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستانفة وعلى التقديرين فهي مبينة لكمال النعمة وتمامها
﴿اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا﴾ كلام مبتدأ مسوق لابطال ما صدر عنهم
من الظنون الفاسدة والاقاويل الباطلة الناشئة منها اثر ابطال بعض آخر منها والهمزة للتقريع والتقرير
والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف لما بعده وقد اصبتم في محل الرفع على انه
صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما اصاب المشركين يوم بدر من قتل
سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به بينه وبين الهمزة مع انه المقصود
انكاره والمعطوف بالواو حقيقة لتاكيد النكير وتشديد التقريع فان فعل القبيح في غير وقته اقبح والانكار
على فاعله ادخل والمعنى احين اصابكم من المشركين نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا
هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار والتقريع لصدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة
بناء على عدم كونه مظنة له داعيا اليه بل على كونه داعيا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم
مما يهون الخطب ويورث السلوة او افعلتم ما فعلتم ولما اصابتكم غائلته قلتم انى هذا على توجيه الانكار
الى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسببها وتذكير اسم الاشارة في انى هذا مع كونه اشارة الى المصيبة ليس
لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه في المعركة من حيث هو هو من غير ان
يخطر ببالهم تسميته باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية وقوله عز وجل ﴿قل هو من عند

أنفسكم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيب عن سؤالهم الفاسد إثر تحقيق فساده بالإنكار
والتقريع وتبكيتهم ببيان أن ما نالهم إنما نالهم من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم
الخروج من المدينة ويأباه أن الوعد بالنصر كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الآية
وأن عمل النبي عليه السلام بموجبه قد رفع الحرج عنه وخفف جنايتهم فيه على أن اختيار الخروج والإصرار عليه
كان ممن أكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ وأين هم من التفوه بمثل هذه الكلمة وقيل باختيارهم الفداء يوم بدر
قبل أن يؤذن لهم والأول هو الأظهر الأقوى وفي تعميمه توسيط خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخطابين
المتوجهين إلى المؤمنين وتفويض التبكيت إليه عليه السلام فإن توبيخ الفاعل على الفعل إذا كان ممن نهاه عنه كان
أشد تأثيرا إن الله على كل شيء قدير ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم
عن الطاعة أصابكم منه تعالى ما أصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الأمر وما أصابكم
رجوع إلى خطاب المؤمنين إثر خطابه عليه السلام لسر يقتضيه وإرشادهم إلى حقيقة الحق فيما سألوا عنه وبيان
لبعض ما فيه من الحكمة والمصالح أو دفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى هو من عند أنفسكم من استقلالهم في وقوع
الحادثة والعدول عن الإضمار إلى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير ببيان وقته بقوله تعالى يوم التقى الجمعان أي جمعكم
وجمع المشركين فبإذن الله أي فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار وسمي ذلك إذنا لكونها من لوازمه وليعلم
المؤمنين عطف على قوله تعالى فبإذن الله عطف السبب على المسبب والمراد بالعلم التمييز والإظهار فيما بين
الناس وليعلم الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله وإعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن
الانتظام في قرن المنافقين وللإيذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فإنه متعلق بالمؤمنين
على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر في إيراد الأولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة
عن الاستمرار والآخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما أصابكم يومئذ فهو كائن لتمييز الثابتين
على الإيمان والذين أظهروا النفاق وقيل لهم عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة أو كلام مبتدأ قال ابن
عباس رضي الله عنهما هم عبد الله بن أبي وأصحابه حيث انصرفوا يوم أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله
بن عمرو بن حرام أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم إلى القتال وذلك قوله تعالى تعالوا قاتلوا في سبيل
الله أو ادفعوا قال السدي ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا إن لم تقاتلوا معنا وقيل أو ادفعوا عن أهلكم
وبلدكم وحريمكم إن لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لما أن المقصود بهما واحد
هو الثاني وذكر الأول توطئة له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون قالوا استئناف
وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل
قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم أي لو نحسن قتالا ونقدر عليه وإنما قالوه دغلا واستهزاء وإنما عبر عن
نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لما أن القدرة على الأفعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها أو لو نعلم ما يصح
أن يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما أنتم بصدده ليس بقتال أصلا وإنما هو إلقاء النفس إلى التهلكة وفي جعلهم
التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم
بجعله تاليا للمقدم مستحيل الوقوع هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان الضمير مبتدأ وأقرب خبره واللام في للكفر
وللإيمان متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف أو
بدلية إنما هو فيما عدا أفعل التفضيل من العوامل لاتحاد حيثية عملها وأما أفعل التفضيل فحيث دل على أصل
الفعل وزيادته جرى مجرى عاملين كأنه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للإيمان وقيل تعلق الجارين لشبههما
بالظرفين أي هم للكفر يوم إذ قالوا ما قالوا أقرب منهم للإيمان فإنهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت
منهم أمارة مؤذنة بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم

واقتربوا من الكفر وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليل سواد المسلمين بالانخذال
تقوية للمشركين وقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها
وذكر الأفواه والقلوب لتصوير نفاقهم وتوضيح مخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به
إما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب أخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وإن اختلفا مظهرا
وإما القول الملفوظ فقط فالمنفي منشؤه الذي لا ينفك عنه القول أصلا وإنما عبر عنه بذلك إبانة لما بينهما
من شدة الاتصال أي يتفوهون بقول لا وجود له أو لمنشئه في قلوبهم أصلا من الأباطيل التي من جملتها
ما حكي عنهم آنفا فإنهم أظهروا فيه أمرين ليس في قلوبهم شيء منهما أحدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع
على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به مصرين مع ذلك على الانخذال عازمين
على الارتداد وقوله عز وجل والله أعلم بما يكتمون زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم
بما يخالف أقوالهم من فنون الشر والفساد إثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما أن بعض ما
يكتمونه من أحكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه
الإجمال وأن تفاصيل ذلك وكيفياته مختص بالعلم الإلهي الذين قالوا مرفوع على أنه بدل من واو يكتمون
أو خبر لمبتدأ محذوف وقيل مبتدأ خبره قل فادرءوا بحذف العائد تقديره قل لهم إلخ أو منصوب على الذم أو على
أنه نعت للذين نافقوا أو بدل منه وقيل مجرور على أنه بدل من ضمير أفواههم أو قلوبهم كما في قوله على جوده
لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبد الله بن أبي وأصحابه لإخوانهم أي لأجلهم وهم من قتل يوم أحد من جنسهم
أو من أقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير قد أي قالوا وقد قعدوا عن القتال
بالانخذال لو أطاعونا أي فيما أمرناهم به ووافقونا في ذلك ما قتلوا كما لم نقتل وفيه إيذان بأنهم أمروهم
بالانخذال حين انخذلوا وأغووهم كما غووا وحمل القعود على ما استوصوا به ابن أبي عند المشاورة من الإقامة بالمدينة
ابتداء وجعل الإطاعة عبارة عن قبول رأيه والعمل به يرده كون الجملة حالية فإنها لتعيين ما فيه
العصيان والمخالفة مع أن ابن أبي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على أن تخصيص عدم الطاعة بإخوانهم
ينادي باختصاص الأمر أيضا بهم فيستحيل أن يحمل على ما خوطب به النبي عليه السلام عند المشاورة
قل تبكيتا لهم وإظهارا لكذبهم فادرءوا عن أنفسكم الموت جواب لشرط قد حذف تعويلا على ما بعده
من قوله تعالى إن كنتم صادقين كما أنه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه أي إن كنتم صادقين
فيما ينبئ عنه قولكم من أنكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت الذي كتب عليكم
معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فإن أسباب الموت في إمكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء
وأنفسكم أعز عليكم من إخوانكم وأمرها أهم لديكم من أمرهم والمعنى أن عدم قتلكم كان بسبب أنه لم يكن مكتوبا
عليكم لا بسبب أنكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فإن ذلك مما لا سبيل إليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة
والقعود مؤديا إلى الموت روي أنه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل أريد إن كنتم صادقين
في مضمون الشرطية والمعنى أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرءوا
عن أنفسكم الموت حينئذ استهزاء بهم أي إن كنتم رجالا دفاعين لأسباب الموت فادرءوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا
كأنكم تدعون هذا السبب الخاص ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله كلام مستأنف مسوق لبيان
أن القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من أجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون
إثر بيان أن الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ ولا يحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء أحد وكانوا سبعين رجلا
أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وباقيهم من الأنصار
رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقرئ

نه غير نادين للاتباع بل جانعا

صح على حالة التلاوة في النعم حاتما

بالياء على الاسناد الى ضميره عم او ضمير من يحسب وقيل الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا
جاز حذفه عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي لا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا
على ان المراد من توجيه النهي اليهم تنبيه السامعين على انهم احقاء بان يتسلوا بذلك ويبشروا بالحيوة الابدية
والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع اوقاتهم بل عند ابتداء القتل اذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى لاعتبار
تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل
احياء اي بل هم احياء وقرئ منصوبا اي بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله حسبت
التقى والجود خير تجارة رباحا اذا ما المرء اصبح ثاقلا او على انه وارد على طريق المشاكلة عند ربهم في محل الرفع
على انه خبر ثان للمبتدأ المقدر او صفة لاحياء او في محل النصب على انه حال من الضمير في احياء وقيل هو ظرف
لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ
الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم يرزقون اي من الجنة وفيه تاكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى
حيوتهم قال الامام الواحدي الاصح في حيوة الشهداء ما روي عن النبي عليه السلام من ان ارواحهم في اجواف
طير خضر وانهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون وروي عنه عليه السلام انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله
ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وروي ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة
حيث شاءت وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على ان روح الانسان
جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس البشرية يقول
المراد ان نفوس الشهداء تتمثل طيرا خضرا او تتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب
فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة
الابدية والفوز من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا
بهم اي باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم
وهم قد تقدموهم او بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا اي لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين في الدنيا
ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم
وأن هي المخففة من أن واسمها ضمير الشان المحذوف وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حسن
حال اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم عند قتلهم يفوزون بحيوة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن
فوات مطلوب ولا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحيوة التي يجب ان يرغب فيها فضلا عن ان تخاف
وتحذر اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء
الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا فان النفي وان دخل على نفس
المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام يستبشرون بنعمة كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد
عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون
الاول متعلقا بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بيانا لبعض ما اجمل في قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله
من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما افادها التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
اي كائنة منه تعالى وفضل اي زيادة عظيمة كما في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وان الله لا يضيع
اجر المؤمنين بفتح ان عطفا على فضل منتظم معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين اما الشهداء والتعبير عنهم
بالمؤمنين للايذان بسمو رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان من الشهداء
وغيرهم ذكرت توفية اجورهم على ايمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة في الدين وقرئ بالكسر
على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها

وفيه من الحث على الجهاد والترغيب في الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح
ما لا يخفى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة مادحة للمؤمنين لا مخصصة
او نصب على المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن
للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون ومتقون روي ان
ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال
لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج عليه السلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة
على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين
فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلاق
الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له الا فرس فرد وغير
ثوب واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم روي
ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله
تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله تعالى في قلبه الرعب فبدا له ان يرجع
فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود
وقد قدم معتمرا فسأله ذلك فالتزم له عشرا من الابل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون
للخروج فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا أفترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام
والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل قيل
هي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار فزادهم ايمانا الضمير المستكن للقول او لمصدر قال او لفاعله
ان اريد به نعيم وحده والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم واظهروا حمية
الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالفة
كثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم
يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وقالوا حسبنا الله اي محسبنا الله وكافينا
من احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك
ونعم الوكيل اي نعم الموكول اليه والمخصوص بالمدح محذوف اي الله عز وجل فانقلبوا عطف على مقدر يستدعيه
الكلام اي فخرجوا اليهم ووافوا الموعد والقى بجيشه بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات
فباعوها واصابوا خيرا كثيرا والباء في قوله تعالى بنعمة متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا
والتنوين للتفخيم اي فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل من الله متعلق بمحذوف
وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية اي كائنة من الله تعالى
وهي العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم وفضل اي ربح في التجارة وتنكيره ايضا للتفخيم
لم يمسسهم سوء حال اخرى من الضمير في فانقلبوا او من المستكن في الحال اي فانقلبوا منعمين حال كونهم سالمين
عن السوء والحال اذا كان مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى وقال
اوحي الي ولم يوح اليه شيء وعدمه كما في هذه الاية الكريمة وفي قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا
خيرا واتبعوا رضوان الله في كل ما اتوا من قول وفعل الذي هو مناط الفوز بخير الدارين والله ذو فضل عظيم
حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو
وحفظهم عن كل ما يسوءهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا

انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله عز وجل ثواب الغزو ورضي عنهم
انما ذلكم اشارة الى المثبط او الى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى الشيطان
اما خبره وقوله تعالى يخوف اولياءه جملة مستأنفة مبينة لشيطنته او حال كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم
خاوية الخ واما صفته والجملة خبره ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان
اي ابليس والمستكن في يخوف اما للمقدر واما للشيطان بحذف الراجع الى المقدر اي يخوف به والمراد باوليائه
اما ابو سفيان واصحابه فالمفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله
عنهما ويؤيده قوله تعالى فلا تخافوهم اي اولياءه وخافون في مخالفة امري واما القاعدون فالمفعول الثاني
محذوف اي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس الثاني اي فلا تخافوهم
فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يأمركم به والخطاب للفريقين الخارجين
والقاعدين لترتيب النهي او الانتهاء على ما قبلها فان كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه
ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الامن من شر الشيطان
واوليائه ولا يحزنك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للتشريف بتخصيصه بالتسلية
للايذان باصالته في تدبير امور الدين والاهتمام بشؤونه الذين يسارعون في الكفر اي يقعون فيه سريعا لغاية
حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الآية للايذان باستقرارهم
في الكفر ودوام ملابستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فان ذلك
مؤذن بملابستهم للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعيفها واما ايثار كلمة الى في قوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة من ربكم وجنة فلان المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين
وطائفة من اليهود حسبما عين في قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا
بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان مضمون
الصلة الى الحيلولة فيجد النهي عنه واعزائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنوك بمسارعتهم في الكفر
ومبادرتهم الى تمشية احكامه ومظاهرتهم لاهله وتوجيه النهي الى مسارعتهم مع ان المقصود نهيه عن التأثر
منهم للمبالغة في ذلك لما ان النهي عن التأثير نهي عن التأثر باصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد
هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك هنا وقرئ لا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي والمعنى واحد
وقيل معنى حزنه جعل فيه حزنا كما في دهنه اي جعل فيه دهنا ومعنى احزنه جعله حزينا وقيل معنى حزنه احدث
له الحزن ومعنى احزنه عرضه للحزن انهم لن يضروا الله تعليل للنهي وتكملة للتسلية بتحقيق نفي ضررهم
ابدا اي لن يضروا بذلك اولياء الله البتة وتعليق نفي الضرر به تعالى لتشريفهم وللايذان بان مضارتهم
مضارته سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تعالى شيئا نصب على المصدرية اي شيئا
من الضرر والتنكير لتأكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار اي بشيء ما اصلا وقيل المعنى لن
ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه شيئا كما روى ابو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله جناح بعوضة والاول
هو الانسب بمقام التسلية والتعليل يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة استئناف مبين لسر ابتلائهم
بما هم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الايذان بكمال خلوص الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم حيث
تعلقت بهما ارادة ارحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام الارادة واستمرارها اي يريد
بذلك ان لا يجعل لهم في الآخرة حظا ما من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر
ولهم مع ذلك الحرمان الكلي عذاب عظيم لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة في الشيء على عظم شأنه

وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه
وخساسته في نفسه والجملة اما مبتدأة مبينة لحظهم من العقاب اثر بيان ان لا حظ لهم من الثواب واما حال من
الضمير اي يريد الله حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اي اخذوه بدلا
منه رغبة فيما اخذوه واعراضا عما تركوه وقد مر تحقيق القول فيه من الاستعارة في تفسير قوله عز وجل اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى لن يضروا الله شيئا تفسيره كما مر خلا ان فيه تعريضا ظاهرا باقتصار الضرر
عليهم كأنه قيل وانما يضرون انفسهم فان جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بان يراد باشترائه
الكفر بالايمان ايثاره عليه اما باخذه بدلا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او بالقوة القريبة
منه الحاصلة بمشاهدة دلائله في التوراة كما هو شأن اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتأكيده ببيان علته
بتغيير عنوان الموضوع فان ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في لحوق ضرره بانفسهم وعدم تعديه
الى غيرهم اصلا كيف لا وهو علم في الخسران الجلي والحرمان الابدي دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم
فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأي ورصانة التدبير من مضادة حزب الله تعالى وهو اعز
من الابلق الفرد وامنع من عقاب الجو وان اجري الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك
الشامل للمعنيين المذكورين ولاخذ الكفر بدلا عما نزل منزلة نفس الايمان من الاستعداد القريب له الحاصل
بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس كما هو شأن جميع الكفرة فالجملة مقررة
لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون الموصول
الاول عاما للكفار والثاني خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه عن النكت المذكورة مما لا يليق بفخامة
شأن التنزيل لما ان صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله صلى
الله عليه وسلم كما يلوح به النهي عنه انما يتصور ممن علم اتصافهم بها واما من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين
في الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادي حزنه عليه السلام مما لا وجه له وقوله تعالى
ولهم عذاب اليم جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت
العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة
وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم عطف على قوله
تعالى ولا يحزنك الآية والفعل مسند الى الموصول وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود
بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر ومسد احدهما والآخر محذوف عند الاخفش وما مصدرية
او موصولة تحذف عائدها وفصلها في الكتابة للاتباع اي لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم او ان ما نمليه
لهم خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة ومآله
نهيهم عن السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه شر بحت وضرر
محض كما ان مآل المعطوف عليه نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر
من قبلهم وتسليته ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي
احكام المعهودين اندراجا اوليا واما المعهودون خاصة فايثار الاظهار على الاضمار لرعاية المقارنة التامة
بين الصلة وبين الاملاء الذي هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشأنهم دهرا طويلا فان المقارن له دائما انما
هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فانهما من الاحوال المتجددة المنقضية في تضاعيف
الكفر المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام التسلية
او لكل من يتأتى منه الحسبان قصدا الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعوله الاول وانما نملي لهم الخ بدل منه وحيث
كان التعويل على البدل وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على نصب

واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض وإما مفعول ثان بتقدير مضاف أي ما فيه أي لا يحسبن
حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم «إنما نملي لهم ليزدادوا إثما»
استئناف مبين لحكمة الإملاء وما كافة واللام لام الإرادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح إنما ههنا
على إيقاع الفعل عليه وكسرها فيما سبق على أنه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بإبطال الحسبان
ورده على معنى لا يحسبن الكافرون أن إملاءنا لهم لازدياد الإثم حسبما هو شأنهم بل إنما هو لتلافي ما فرطوا
بالتوبة والدخول في الإيمان «ولهم» في الآخرة «عذاب مهين» لما تضمن الإملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها
وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر وصف عذابهم بالإهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة إما مبتدأة مبينة
لحالهم في الآخرة إثر بيان حالهم في الدنيا وإما حال من الواو أي ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين
على القراءة الأخيرة «ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه» كلام مستأنف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد
المنافقين بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي إثر بيان عقوبتهم الأخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون
وأما الخطاب فقد قيل إنه لجمهور المصدقين من أهل الإخلاص وأهل النفاق ففيه التفات في ضمن التلوين والمراد
بما هم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم في إجراء أحكام الإسلام عليهم ونحو ذلك من القدر المشترك بين الفريقين
وقيل إنه للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبي وأكثر المفسرين ففيه تلوين
فقط ولعل المنافقين عطف تفسيري للكفار وإلا فلا شركة بين المؤمنين والمجاهرين في أمر من الأمور والمراد بما
هم عليه ما مر من القدر المشترك فإنه كما يجوز نسبته إلى الفريقين معا يجوز نسبته إلى كل منهما لا الكفر والنفاق
كما قيل فإن المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل إنه للمؤمنين خاصة وهو قول
أكثر أهل المعاني ففيه تلوين والتفات كما مر والتعرض لإيمانهم قبل الخطاب للإشعار بعلة الحكم والمراد بما هم عليه
ما مر غير مرة والأول هو الأقرب وإليه جنح المحققون من أهل التفسير لكونه صريحا في كون المراد بما هم عليه
ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف القولين الأخيرين فإنه بمعزل من
ذلك أما الأول فلأن المفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق ومما عليه المؤمنون هو الإيمان والإخلاص لا القدر
المشترك بينهما وأما الثاني فلأن ما عليه من حيث الانتساب إليهما معا وعليه يدور أمر الاختلاط المحوج إلى الإفراز
واللام في ليذر إما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بأن المقدرة أي ما كان
الله مريدا أو متصديا لأن يذر المؤمنين الخ ففي توجيه النفي إلى إرادة الفعل تأكيد ومبالغة ليست في توجيهه
إلى نفسه وإما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة
حروف الجر في عملها وقوله عز وجل «حتى يميز الخبيث من الطيب» غاية لما يفيده النفي المذكور كأنه قيل ما يتركهم
الله على ذلك الاختلاط بل يقدر الأمور ويرتب الأسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به
النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق به وإشعار بعلة الحكم وإفراد الخبيث والطيب مع تعددهما إذ بكل منهما
وتكثرهما إنما بعد ذكرهما أريد بأحدهما أعني المؤمنين بصيغة الجمع للإيذان بأن مدار إفراز أحد الفريقين
من الآخر هو اتصافهما بوصفهما لا خصوصية ذاتهما وتعدد آحادهما كما في مثل قوله تعالى ذلك أدنى أن لا تعولوا
ونظيره قوله تعالى «تذهل كل مرضعة عما أرضعت» قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف
من العقلاء أو غيرهم وتعليق الميز بالخبيث المعبر عن المنافق مع أن المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين
على الاختلاط تعليقه بهم وإفرازهم عن المنافقين لما أن الميز الواقع بين الفريقين إنما هو بالتصرف في المنافقين
وتغييرهم من حال إلى حال مغايرة للأولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من أصل الإيمان وإن ظهر مزيد إخلاصهم
لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال إلى حال أخرى مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستتار ولأن فيه مزيد
تأكيد للوعيد كما أشير إليه في قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وإنما لم ينسب عدم الترك إليهم لما أنه

حاصله أن الكفار قالوا للنبي عليه السلام [illegible] الغيب [illegible]

[illegible] أحكام الإسلام عليهم مشترك فإنه مشترك بين الفريقين [illegible] إلى التمييز [illegible] القدر المشترك [illegible] من الكفر والنفاق [illegible]

مشعر بالاعتناء بشأن من نسب إليه فإن المتبادر منه عدم الترك على حالة غير ملائمة كما يتبين ذلك في
السليم وقوي حتى عيز من التمييز وقوله تعالى «وما كان الله ليطلعكم على الغيب» تمهيد لبيان الميز الموعود
على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله عز وجل «ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء» إشارة
إلى كيفية وقوعه على سبيل الإجمال وإظهار الجليل في الموضعين لتربية المهابة فالمعنى ما كان الله ليترك المخلصين
على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم
من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي إلى رسوله فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الأقوال والأفعال حسبما حكي
عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤوس الأشهاد ويخلصكم من خسة الشركاء وسوء جوارهم والتعرض للاجتباء
للإيذان بأن الوقوف على أمثال تلك الأسرار الغيبية لا يتأتى إلا ممن رشحه الله تعالى للمنصب الجليل تقاصرت
عنه همم الأمم واصطفاه على الجماهير لإرشادهم وتعميم الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على أن
في هذا الباب [illegible] له أصل أصيل جار على سنته تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية عليهم السلام
وتعميم الأمر في قوله تعالى «فآمنوا بالله ورسله» مع أن سوق النظم الكريم للإيمان بالنبي عليه السلام لإيجاب
الإيمان به بالطريق البرهاني والإشعار بأن ذلك مستلزم للإيمان بالكل لأنه مصدق لما بين يديه من الرسل
وهم شهداء بصحة نبوته والمأمور به الإيمان بكل ما جاء به فيدخل فيه تصديقه فيما أخبر به من
أحوال المنافقين دخولا أوليا هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز أن يكون المعنى لا يترككم
مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن
الله تعالى قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد وإنفاق الأموال في سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم
وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فإن
ذلك مما استأثر الله تعالى به وأنت خبير بأن الاستدراك باجتباء الرسل المنبئ عن مزيد مزيتهم وفضل
معرفتهم على الخلق إثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف على خفايا السرائر صريح في أن المراد إظهار تلك السرائر بطريق
الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي إلى خروج أسرارهم عن رتبة الخفاء وأقرب من ذلك حمل الآية الكريمة على أن تكون
مسوقة لبيان الحكمة في إملائه تعالى للكفرة إثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط
أبدا كما تركهم كذلك إلى الآن لسر يقتضيه بل [illegible] عنهم المنافقين ولذلك فعله يوم أحد حيث خلى الكفرة وشأنهم
فأبرز لهم صورة الغلبة فأظهر من في قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤوس الأشهاد وقيل قال الكافرون
إن كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت «وإن تؤمنوا» أي بما ذكر حق الإيمان «وتتقوا» أي
مراعاة حقوقه أو النفاق «فلكم» بمقابلة ذلك الإيمان والتقوى «أجر عظيم» لا يبلغ كنهه «ولا يحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم» بيان لحال البخل وخامة عاقبته وتخطئة لأهله في توهم
خيريته حسب بيان حال الإملاء وإيراد ما بخلوا به بعنوان إيتاء الله تعالى من فضله للمبالغة في بيان سوء
صنيعهم فإن ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى «وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» والفعل مسند
إلى الموصول والمفعول الأول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع إليه أي لا يحسبن الباخلون
بما آتاهم الله من فضله من غير أن يكون لهم مدخل فيه واستحقاق له هو خيرا لهم من إنفاقه وقيل الفعل مسند
إلى ضمير النبي عليه السلام أو إلى ضمير من يحسب والمفعول الأول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو
كذلك على قراءة الخطاب أي ولا يحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم «بل هو شر لهم» والتنصيص
على شريته لهم مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله «سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة»
بيان لكيفية شريته أي سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق وفيه على أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه
مقامه للإيذان بكمال المناسبة بينهما وروي عن النبي عليه السلام أنه قال ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله

الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية في عنقه تنهشه من قرنه الي قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك وَلِلَّهِ وحده لا لاحد غيره استقلالا او اشتراكا مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ اي ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ من البخل والمنع خَبِيرٌ فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشي من ذكر قبائحهم وقرئ بالياء على الظاهر لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ قالت اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عم كتب مع ابي بكر رض الي يهود بني قينقاع يدعوهم الي الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص ان الله فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر رض في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع مع كون القائل واحدا لرضي الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعد له من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قائله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا اي سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتاكيد اي لن يفوتنا ابدا تدوينه واثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم وقوله تعالى بِغَيْرِ حَقٍّ متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اي كائنا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو في نفس الامر وقرئ سيكتب على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ اي وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول ذَلِكَ اشارة الي العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شانه وبعد منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره قوله تعالى بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ اي بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرها من المعاصي والتعبير عن الانفس بالايدي لما ان عامة افاعيلها تزاول بهن ومحل ان في قوله تعالى وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان بظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا كيفا هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القائل في سورة الانفال وقيل سببية ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه وانما يحتاج الي ذلك ان لو كان

المدعي ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين الَّذِينَ قَالُوا نصب او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازورا ووهب بن يهودا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا اي امرنا في التورية واوصانا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ كما كان عليه امر انبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله اي تحيله الي طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى قُلْ اي تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ كثيرة العدد كبيرة المقدار مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ اي المعجزات الواضحة وَبِالَّذِي قُلْتُمْ بعينه من القربان الذي تاكله النار فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اي فيما يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون لرسول ياتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام قد جاؤكم بما قلتم في معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم فَإِنْ كَذَّبُوكَ شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر ما حكى اليه ما يحزنه عليه السلام من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ تعليل لجواب الشرط اي فتسل فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب او بمحذوف وقع صفة لرسل اي كائنة من قبلك جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ اي المعجزات الواضحات صفة لرسل وَالزُّبُرِ جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ قيل اي التورية والانجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب متعاطفين في عامة المواقع وقرئ بالزبر باعادة الجار دلالة على انها مغايرة بالذات للبينات كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالتنوين وعدمه كما في قوله ولا ذاكر الله الا قليلا وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ اي تعطون اجزية اعمالكم على التمام والكمال يَوْمَ الْقِيَامَةِ اي يوم قيامكم من القبور وفي لفظة التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ اي بوعد عنها ونجي والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ بالنجاة ونيل المراد والظفر الفوز بالبغية وعن النبي عليه السلام من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويؤتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا اي لذاتها وزخارفها إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ شبهت بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة واما من طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع غار لَتُبْلَوُنَّ شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره اثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقونه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب واصل الابتلاء الاختبار اي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسته او مفارقته وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مباديه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف اي والله لتبلون اي لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفائدة التوكيد اما تحقيق معنى الابتلاء تهوينا للخطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما اريد منهم من التهيؤ والاستعداد فِي أَمْوَالِكُمْ بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى هلاكها وفيما تكلفونه من انفاقها في سبل الخير مطلقا فلا يلتق نظمه

اي في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه منه

في سلك الابتلاء لما انه من باب الاضعاف لا من قبيل الاتلاف ولتبلون بالقتل والاسر والجراح وما يرد
عليهما من اصناف المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي من قبل ايتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار
بمدار الشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه منهم مستند على زعمهم الى الكتاب كما في قوله تعالى ان الله عهد
الينا الخ والتصريح بالقبلية لتاكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم مما يؤيد تمسكهم به
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكامه الشريفة وصد من اراد
ان يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على
مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه وان تصبروا اي على تلك الشدائد والبلوى
عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمل وتتقوا اي تبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث
تساوي عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه فان ذلك اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد من المخاطبين واما
لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين من عزم الامور اي من معزوماتها
التي يتنافس فيها المتنافسون اي مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما
عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا والجملة
[illegible] او فعلوا او فقد احسنتم او فقد اصبتم فان ذلك الخ ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين
وتقواهم فالجملة جواب الشرط وفي ابراز الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد
ما لا يخفى واذ اخذ الله كلام مستانف لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته عليه السلام
وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر امر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تجريد الخطاب اثر الخطاب
الشامل له وللمؤمنين لكون مضمونه من الوظائف الخاصة به عليه السلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون
ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها على ما مر بيانه في تفسير قوله
تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل الخ اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاق الذين اوتوا الكتاب
وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم لتبيننه حكاية لما
خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه للناس
ولتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التي من جملتها امر نبوته عليه السلام وهو المقصود بالحكاية وقرئ
بالياء لانهم غيب ولا تكتمونه عطف على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما في قولك والله
لا يقوم زيد وقيل اكتفي بالتاكيد في الاول لانه تاكيد له وقيل هو حال من ضمير المخاطبين اما على اضمار مبتدا
بعد الواو اي وانتم لا تكتمونه واما على رأي من جوز دخول الواو على المضارع المنفي عند وقوعه حالا
اي لتبيننه غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة في ايجاب المامور به واما لان المراد
بالبيان المامور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته عليه السلام وبالكتمان المنهي عنه القاء التاويلات الزائغة والشبه
الباطلة وقرئ بالياء كما قبله فنبذوه النبذ الرمي والابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون
التاكيد والقوة وراء ظهورهم ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة
به والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على ان تعليم
بيان الحق على علماء الدين واظهار ما يحوم من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة
او طمع في عرض من الاعراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام
من نار وعن طاوس انه قال لوهب بن منبه اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا

فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه
ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله حتى يتبين له وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ
على اهل العلم ان يعلموا واشتروا به اي بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق
يدل على ذلك دلالة واضحة وايقاع الفعل على الكل مع ان المراد كتم بعضه كدلائل نبوته عليه السلام ونحوها لما ان
ذلك كتم للكل اذ به يتم الكتاب كما ان رفض بعض اركان الصلاة رفض لكلها او بمنزلة كتم الكل من حيث انهما سيان
في الشناعة واستجرار العقاب كما في قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء مستعار لاستبدال
متاع الدنيا بما كتموا اي تركوا ما امروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا اي شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها
وفي تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة في الماخوذ والاعراض عن المعطي
والتعبير عن المشتري الذي هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة اليه
وجعل الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة على الآلات والوسائل من نهاية
الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدني الحقير على الشريف الخطير وتعكيسهم بجعل المقصد
الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شانه ورفعة مكانه فبئس ما يشترون ما نكرة منصوبة
مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يشترونه ذلك الثمن لا تحسبن
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح له الذين يفرحون بما اتوا اي بما فعلوا كما في قوله تعالى
انه كان وعده ماتيا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ بما آتوا بمعنى اعطوا واوتوا اي وتوا
من علم التوراة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود حرفوا التوراة وفرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروا بخلافه واروه
انهم صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة بنبوته عليه السلام واحبوا
ان يحمدوا بانهم متبعون ملة ابراهيم عليه السلام فالموصول عبارة عن المذكورين او عن مشاهيرهم وضع
موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما يستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروي اثر بيان قباحتها وقد ادمج
فيها بيان بعض آخر من شنائعهم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لان يوصفوا بما
ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند
المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو [illegible]
واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
لشهرة انهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايمان
وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة
عن طائفة معهودة من المذكورين وغيرهم فان اكثر المنافقين كانوا من اليهود واهل الاول الى اجراء الموصول
على عمومه شاملا لكل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود ان يحمده الناس بما هو عار عنه
من الفضائل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا وايا ما كان فهو مفعول اول لتحسبن وقوله تعالى فلا تحسبنهم
تاكيد له والفاء زائدة والمفعول الثاني قوله تعالى بمفازة من العذاب اي ملتبسين بنجاة منه على
ان المفازة مصدر ميمي ولا يضر تانيثها بالتاء لانها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله
[illegible]
الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اي بمفازة كائنة من العذاب لانها ليست من العذاب [illegible]
[illegible]
الباء في الفعلين على الخطاب للمؤمنين ايضا وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء [illegible]

[illegible]

او لكل احد ممن يتأتى منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء في الثاني فقط على ان الفعل للموصول
والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة اي لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم فائزين
وقوله تعالى فلا يحسبنهم تأكيد للاول والفاء زائدة كما مر ويجوز ان يجعل الفعل الاول على حذف المفعولين معا
اختصارا لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله بأي كتاب او باية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب
حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما او على ان الفعل الاول للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه والفعل الثاني
مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه عليه السلام ومفعولاه الضمير
المنصوب وقوله تعالى بمفازة وتصدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان آرائهم الركيكة وقطع
اطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الآخرة كما نجوا به من المؤاخذة الدنيوية
وعليه كان مبنى فرحهم واما نهيه عليه السلام فللتعريض بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته عليه السلام
ولهم عذاب اليم بعدما اشير الى عدم نجاتهم عن مطلق العذاب حقق ان لهم فردا منه لا غاية له في الالم
والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف ولله خاصة ملك السموات والارض اي
السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا
واثابة من غير ان يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى
والله على كل شيء قدير تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فان كونه
تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشياء يستدعي كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا
له ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه شيء من الاشياء في القدرة على شيء من الاشياء
فضلا عن المشاركة في ملكوت السموات والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم
منه اثر تقرير واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع
الاشياء من احكام الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير ان في خلق السموات
جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة وصدرت بكلمة
التأكيد اعتناء بتحقيق مضمونها اي في انشائهما على ما هما عليه في ذواتهما وصفاتهما من الامور التي يحار في فهم اجلاء
العقول والارض على ما هي عليه ذاتا وصفة واختلاف الليل والنهار اي في تعاقبهما في وجه الارض وكون
كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما بازدياد
كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة
او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها
الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في نفسهما فان كرية الارض
تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا
او عصرا او غير ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع جمع
والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كأنهم توهموا انها ليلاة كما في كيكة وكياكي
كأنها جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بين
وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه في الخلقة حسبما ينبئ
عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله عنه فنخلفه لآيات اسم ان دخلته اللام لتأخره
عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شئونه التي من
جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك

والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما ان المقصود ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة
فاكتفي بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هناك فقد قصد في ضمن اختصاصه تعالى بالالوهية بيان
اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فان ما فصل
هناك من آيات رحمته تعالى كما انه من آيات الوهيته ووحدته لأولي الالباب اي لذوي العقول
المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين عن العوائق الظلمانية
المتأملين في احوال الحقائق واحكام النعوت المراقبين في اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين في بدائع
صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الانفس والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار
والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود مثابرين على مراقبته وذكره غير ملتفتين الى شيء مما
سواه الا من حيث انه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة كماله فان كل ما ظهر في مظاهر الابداع وحضر
محاضر التكوين والاختراع سبيل سوي الى عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته
فهل من سامع واع ومخبر بانباء علمه وحكمته فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب
معقولهم يحاور تارة بأوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة مراعيا في الحوار الهامهم وتصريحهم وان من شيء
الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتأمل في هذه الشؤون والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار عن عائشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها يا عائشة ائذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا
رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب
الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى واثنى عليه وجعل يبكي
ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا
رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال
ومالي لا ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض الخ ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر
فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه ان النبي عليه السلام كان اذا قام من الليل
يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض الى قوله فقنا عذاب النار الذين يذكرون الله الموصول
باولي الالباب مجرور على انه نعت كاشف له [illegible] واما منصوب او مرفوع على المدح
او مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا وفيه
من تفكيك النظم الجليل ما لا يخفى واياما كان [illegible]
اوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما ايقنوا ان كل ما سواه فايض منه وعائد اليه فلا يشغلهم
حال من الاحوال في انفسهم وفي الآفاق عن ذكره قياما وقعودا وعلى جنوبهم [illegible]
[illegible] المراد به ذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث
الذات او من حيث الصفات والافعال وسواء كان ذلك باللسان او بالقلب واما ما يحكى عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة
رضي الله عنهم انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما
وقعودا فقاموا يذكرون الله تعالى على اقدامهم فليس مرادهم به تفسير الآية وتحقيق مصداقها على التعيين وانما ارادوا
به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من افراد مدلولها وقيل المراد بالذكر الصلاة وهذه الاوقات
لاحوال الصلاة بحسب الاستطاعة كما قال عليه السلام لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى
جنب تومئ ايماء وهو لا يساعده سياق النظم الجليل وسياقه والقيام والقعود جمع قائم وقاعد كنيام وقعود
جمع نائم وراقد وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون اي يذكرونه قائمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم
متعلق بمحذوف معطوف على الحالين اي وكائنين على جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات كما

وتخصيص الأحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لأنها الأحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الإنسان
غالباً **ويتفكرون في خلق السموات والأرض** عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من
الإعراب وقيل محله النصب على أنه معطوف على الأحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان لتفكرهم في أفعاله تعالى
إثر بيان تذكرهم في ذاته تعالى على الإطلاق وإشارة إلى نتيجته التي يؤدي إليها من معرفة أحوال المعاد حسبما
نطقت به ألسنة الرسل وآيات الكتب فكما أنها آيات تشريعية للخلق إلى معرفته تعالى ووجوب طاعته
كذلك المخلوقات آيات تكوينية مرشدة لهم إلى ذلك فالأولى منبهات لهم على الثانية ودواع إلى الاستشهاد بها
كما في الآية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع غير محصورة من التنزيل والثانية مؤيدات للأولى شواهد دالة على
صحة مضمونها وحقية مكنونها فإن من تأمل في تضاعيف خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصافه سبحانه
تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم
الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بأن من قدر على إنشائه بلا مثال يحتذيه أو قانون
ينتحيه فهو على إعادته بالبعث أقدر وحكم بأن ذلك ليس إلا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط
بأعمالهم أي علومهم واعتقاداتهم التابعة لأنظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والأمارات والمخايل وسائر أعمالهم
المتفرعة على ذلك فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبي بل هو أشرف أفراده لما أن لكل من القلب
والقالب عملاً خاصاً به ومن قضيته كون الأول أشرف من الثاني كون عمله أيضاً أشرف من عمله كيف لا ولا عمل
بدون معرفته تعالى التي هي أول الواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل وما
خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أي ليعرفون كما أعرب عنه قوله عم كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت
الخلق لأعرف وإنما طريقها النظر والتفكر فيما ذكر من شؤونه تعالى وقد روي أنه عليه السلام قال لا تفضلوني
على يونس بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكر في أمر الله تعالى ولذلك
قال عم لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت أنه مستتبع لتحقيق ما جاءت به الشريعة الحقة ولأجله لما فسر النبي عليه السلام
قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً
بقوله عليه السلام أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله تعالى فإن الورع عن محارمه تعالى موقوف
على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة فيتصادق الآيات التكوينية ويتعاضد الأدلة العقلية
والسمعية وهو السر في نظم ما حكي عن المتفكرين من الأمور المستدعية للإيمان بالشريعة في سلك نتيجة تفكرهم كما
ستقف عليه وإظهار خلق السموات والأرض مع كفاية الإضمار لإبراز كمال العناية ببيان حالهم وللإيذان بكون
تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لإدراج اختلاف الملوين في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف أما
للإيذان بظهور اندراجه فيه لما أن ذلك من الأحوال التابعة لأحوال السموات والأرض كما أشير إليه وأما
للإشعار بمسارعتهم إلى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الآيات من غير حاجة إلى بعض آخر منها في إثبات المطلوب
والخلق مصدر على حاله أي يتفكرون في إنشائهما وإبداعهما بما فيهما من عجائب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على أن
الإضافة بمعنى في أي يتفكرون فيما خلق فيهما أعم من أن يكون بطريق الجزئية منهما أو بطريق الحلول فيهما أو على أنها
بيانية **ربنا ما خلقت هذا باطلاً** كلمة هذا إشارة إلى السموات والأرض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله
تعالى إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والتذكير لما أنهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق أو إلى الخلق على
كونه بمعنى المخلوق وباطلاً إما صفة لمصدر مؤكد محذوف أو حال من المفعول أي ما خلقت هذا المخلوق البديع
العظيم الشأن عبثاً عارياً عن الحكمة خالياً عن المصلحة كما ينبئ عنه أوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر
فيه بل منتظماً لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها أن يكون مداراً لمعايش العباد ومناراً يرشدهم إلى معرفة أحوال المبدأ
والمعاد حسبما أفصحت عنه الرسل والكتب الإلهية كما تحققته مفصلاً والجملة بتمامها في حيز النصب بقول مقدر

هو على تقدير كون الموصول نعتاً لأولي الألباب استئناف مبين لنتيجة التفكر ومدلول الآيات ناشئ مما
سبق فإن النفس عند سماع تخصيص الآيات المنصوبة في خلق العالم بأولي الألباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى
والتفكر في محال تلك الآيات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من آثارها وأحكامها كأنه قيل فماذا يكون عند تفكرهم
في ذلك وماذا يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي إلى معرفة
صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الأحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه هنا
وأما جعله حالاً من المستكن في الفعل كما أطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما أن ما في حيز
الصلة وما هو قيد له حقه أن يكون من مبادي الحكم الذي أجري على الموصول ودواعي ثبوته له كذكرهم
لله عز وجل في عامة أوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والأرض فإنهما مما يؤدي إلى اجتلاء تلك الآيات والاستدلال
بها على المطلوب ولا ريب في أن قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور بل من نتائجه المترتبة
عليه فاعتباره قيداً لما في حيز الصلة مما لا يليق بشأن التنزيل الجزيل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون
الموصول مرفوعاً أو منصوباً على المدح أو مرفوعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف إذ لا اشتباه في أن قولهم ذلك من
مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي إبراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر إشعار بمقارنته لتفكرهم من
غير تلعثم وتردد في ذلك وقوله تعالى **سبحانك** أي تنزيهاً لك عما لا يليق بك من الأمور التي من جملتها خلق ما لا حكمة
فيه اعتراض مؤكد لمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى **فقنا عذاب النار** فإن معرفة سر خلق العالم
وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما يقتضيه من الأعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى
عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من وجهين أحدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفاء
لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو أعني الوقاية على ذلك كأنه
قيل وإذ قد عرفنا سرك وأطعنا أمرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك
ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء
للمبالغة في التضرع والجؤار وتأكيدها لإظهار كمال اليقين بمضمونها والإيذان بشدة الخوف وإظهار النار
في موضع الإضمار لتهويل أمرها وذكر الإدخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال
الواحدي الإخزاء جاء بمعان متقاربة يقال أخزاه الله تعالى أي أبعده وقيل أهانه وقيل أهلكه وقيل
فضحه قال ابن الأنباري الخزي لغة الهلاك بتلف أو بانقطاع حجة أو بوقوع في بلاء والمعنى فقد أخزيته
خزياً لا غاية وراءه كقولهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك أي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الإشعار
بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى **وما للظالمين من أنصار** تذييل لإظهار نهاية فظاعة
حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تأكيد الاستدعاء ووضع الظالمين
موضع ضمير المدخلين لذمهم والإشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الأشياء في غير مواضعها وجمع
الأنصار بالنظر إلى جمع الظالمين أي ما لظالم من الظالمين نصير من الأنصار والمراد به من ينصر بالمدافعة
والقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على أن المراد بالظالمين هم الكفار **ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي
للإيمان** حكاية لدعاء آخر لهم مبني على تأملهم في الدليل السمعي بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكر في الأدلة
العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لإظهار كمال الضراعة والابتهال والتأكيد للإيذان بصدور المقال
عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديتهما بإلى لتضمنهما معنى الانتهاء وباللام لاشتمالهما
على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوينه للتفخيم وإيثاره على الداعي للدلالة على كمال
اعتنائه بشأن الدعوة وتبليغها إلى الداني والقاصي لما فيه من الإيذان برفع الصوت وينادي صفة لمنادياً عند
الجمهور كما في قولك سمعت رجلاً يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالاً منه كما إذا قلت سمعت زيداً يقول

من شرطية قدمت على فعلها المجزوم بها والجملة
لما أن صلة الكلام بها
في محل الرفع خبر لإن
منه

ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسي واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان
بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل الى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم
بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع عنه بالمنادي ثم وصف بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما
يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادي
القرآن العظيم ان آمنوا اي آمنوا على ان ان تفسيرية او بان آمنوا على انها مصدرية بربكم بمالككم ومتولي اموركم و
مبلغكم الى الكمال وفي اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشأنه فآمنا اي فامتثلنا بامره واجبنا نداءه ربنا تكرير
للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الايمان به والفاء في قوله تعالى فاغفر لنا لترتيب المغفرة
او الدعاء بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته فان ذلك من دواعي المغفرة والدعاء ذنوبنا اي كبائرنا فان
الايمان يجب ما قبله وكفر عنا سيئاتنا اي صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار
اي مخصوصين بصحبتهم مغتنمين بجوارهم معدودين من زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب
لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بار او بر كاصحاب وارباب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
حكاية لدعاء آخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه لتأخر التحلية عن التخلية وتكرير النداء لما مر مكررا والمراد
بالموعود الثواب وعلى اما متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة اي وعدتنا على تصديق رسلك
او بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف اي وعدتنا وعدا كائنا على ألسنة رسلك وقيل التقدير منزلا
على رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل مع ان
المنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته عليه السلام لا سيما في باب التوحيد وما اجمع عليه الكل
من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به
عليه السلام لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية وكذا الموعود على لسانه
من الثواب موعود على ألسنة الكل وايثار الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود ولا تخزنا
يوم القيامة تصدوا بذلك تذكير وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه مظهرين لانهم ممن آمن
معه رجاء للانتظام في سلكهم يومئذ وقوله تعالى انك لا تخلف الميعاد تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء
وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان
لا يكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة والمآل فمرجعها الى الدعاء بالتثبيت والمبالغة في التعبد
والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضي الله عنه البعث بعد الموت وفي الآثار من حزبه امر فقال ربنا خمس مرات
انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية فاستجاب لهم ربهم الاستجابة بمعنى الاجابة وقال التاج
القراء الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطاء المسؤل وتتعدى باللام وبنفسها كما في قوله فلم يستجبه
عند ذاك مجيب وهو عطف على الاستيناف المقدر فيما سلف مترتب على ما في حيزه من الادعية كما ان قوله عز
وجل ثم قيل للذين ظلموا الخ عطف على قيل المقدر قبل آلآن اي قيل لهم آلآن آمنتم به ثم قيل الآية وكما ان قوله تعالى
في سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد الخ كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع
ولا ضير في اختلافهما صيغة لما ان صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء و
صيغة الماضي ههنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون
ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتي ويجوز ان يكون معطوفا على مضمر
ينساق اليه الذهن اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب لهم واما على تقدير كون الموصول نعتا للاولي فهو عطف
على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعني قوله ربنا انا الخ فان الاستجابة مترتبة على
دعواتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت هي من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالآخرة استحقت الانتظام

في سلك محاسنهم المعدودة في اثناء مدحهم واما على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف
اصلا لما عرفت من ان حق ما في حيز الصلة ان يكون من مبادي جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم
السابقة ليست كذلك فاين الاستجابة المتأخرة عنها وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال
مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار اللطف بهم ما لا يخفى اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني وهكذا قرأ
ابي رض والباء للسببية كأنه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل اي سنته السنية مستمرة على ذلك
والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والمراد تأكيدها
ببيان سببها والاشعار بان مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد لسائر العاملين
وان لم يبلغوا درجة اولي الالباب لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه
ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك
بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة
على ارادة القول اي فقال اني الخ فلا التفات وقرئ لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل
اي عامل كائن منكم وقوله تعالى من ذكر او انثى بيان لعامل وتأكيد لعمومه وقوله تعالى بعضكم من بعض جملة
معترضة مبينة لسبب انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد
او لفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما في الدين او العمل مما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي الله
عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت
وقوله تعالى فالذين هاجروا ضرب تفصيل لما اجمل في العمل وتعداد لبعض احاسن افراده على وجه المدح والتعظيم
اي فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشائر وقوله تعالى واخرجوا من ديارهم على الاول عبارة عن نفس
الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار واوذوا في سبيلي اي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله
وهو سبيل الحق الذي اوذوا من قبل المشركين وقاتلوا اي الكفار في سبيل الله تعالى وقتلوا استشهدوا
في القتال وقرئ بالعكس لما ان الواو لا تستدعي الترتيب او لان المراد لما قتل بعضهم قاتل الباقون ولم يضعفوا
على اتصاف كل فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل
سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع
او بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو رأي الكوفيين كيف لا ولو اريد الحكم على اتصاف كل فرد بالكل
لكان قد ضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ وقتلوا بالتشديد لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اي والله
لاكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدأ الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعد ما عمه
ذلك عموما وقوله تعالى ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم
وآتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير له ثوابا مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة في معنى الاثابة
وقوله تعالى من عند الله متعلق بمحذوف هو صفة مبينة لشرفه اي كائنا من عنده تعالى او تشريفا كائنا من عنده
تعالى بالغا الى المرتبة العالية من الشرف وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب اعتراض تذييلي مقرر لمضمون
ما قبله والاسم الجليل مبتدأ خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ وهو
مبتدأ ثان والظرف خبره والجملة خبر للاول والعندية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته
تعالى وبفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال
سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب او لا وفي تصدير الجملة بالاسم الكريم بعد اضاعة العلم تعظيما لهذا
الاحسان الذي لا يقادر قدره من لطف المسلك المنبئ عن عظم شأن المحسن ما لا يخفى لا يغرنك تقلب الذين
كفروا في البلاد بيان لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة الدنيا وسوء مغبتها اثر بيان حسن

ما اوتي المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على ان المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مدارة القوم ورؤسائهم والمراد افنائهم او لكل احد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب وانما جعل التقلب عبارة اي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر لمبتدأ محذوف اي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فاذن لا يجدي وجوده لواجده ولا يضر فقدانه لفاقده ثم مأواهم اي مصيرهم الذي يأوون اليه لا يبرحون جهنم التي لا يوصف عذابها وقوله تعالى وبئس المهاد ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها مما جنته انفسهم وكسبته ايديهم والمخصوص بالذم محذوف اي بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين غب بيان وتكرير له اثر تقرير مع زيادة خلودهم في الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد تحسرهم ويتكامل به سوء حال الكفرة وايراد التقوى في حيز الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي فالموصول مبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر لجنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها اي في الجنات حال مقدرة من الضمير او من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار نزلا من عند الله وقرئ بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله تعالى وما عند الله مبتدأ وخبره وقوله تعالى للابرار متعلق بمحذوف هو صفة لخير اي ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار اي مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار للايذان بان الصفات المعدودة من اعمال البر كما انها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله جملة مستأنفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اربعون من اهل نجران واثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد به اصحمة النجاشي فانه لما مات نعاه جبريل الى النبي عليهما السلام فقال اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كما في قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين وتأخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقرآن في الذكر مع ان الامر بالعكس في الوجود لما انه عيار ومهيمن عليهما فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منها انما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن ولتعلق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو ديدن المحرفين واتباعهم من العامة خاشعين لله حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله وتوسيطها في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لاظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته عليه السلام اولئك اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عدد من صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو مرتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى لهم وقوله اجرهم اي المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف

على الفاعلية او على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لاولئك وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كما في الصفة ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من اجرهم من غير حاجة الى تأمل والمراد بيان سرعة وصول الاجر الموعود اليهم يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون الحكم والاحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا اي على مشاق الطاعات وما يصيبكم من النكبات والشدائد وصابروا اي غالبوا اعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ورابطوا اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله تعالى كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة واتقوا الله في مخالفة امره على الاطلاق لعلكم تفلحون كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل مرهوب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس الحمد لله رب العالمين

سورة النساء مائة وسبعون وست آيات

على تضعيف الحكيم سعدي الاسد

يا ايها الناس خطاب يعم حكمه جميع المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة لما تقرر ان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف عند الحنابلة بل انما يتناولهم بطريق تغليب الفريق الاول على الآخرين واما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فان الاجماع منعقد على ان آخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام الحلال ما اجرى الله على لساني الى يوم القيمة والحرام ما جرى على لساني يوم القيمة وقد فصل في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الاوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال واما ادراجهم في خطاب ما عدا ما الامر به مدخل في تأكيد التكليف وتقوية الايجاب فستعرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر في قوله عز وجل اتقوا ربكم فواردة على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخال من في الاول بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمأمور به اما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اي اتقوه تعالى في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا واياما ما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للامم السالفة ايضا مع اختصاص ما قبل بالمأمورين بناء على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى للكل من مؤكدات الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمأمورين من نفس آدم عليه السلام حيث كان بوساطة ما بينهم وبينه عليه السلام من الآباء والامهات كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك قوله تعالى وخلق منها

زوجها فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم
على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران
نعمته وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز
عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم لامم الناس قاطبة مع اختصاصه
فيما قبل بالمأمورين بناء على شمول ربوبيته تعالى للكل من مؤكدات الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به مع ما عطف عليه
صريح في ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعي انشاء
ذلك الاصل لا محالة كأنه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها الخ وهو استيناف مسوق
لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم
داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما
في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الخ لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت
فان الاول بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام
روي انه عز وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء
من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتأخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم ادخل في تحقيق ما هو المقصود
من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدئيته عليه السلام
لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر لا وايرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل وبث منهما
اي نشر من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع او العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اي بثا كثيرا ونساء اي
كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح
كل فرد من الافراد المبثوثة لمبدئية غيره وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدأ اي وهو خالق وباث واتقوا الله
الذي تساءلون به تكرير للامر وتذكير لبعض آخر من موجبات الامتثال به فان سؤال بعضهم بعضا بالله
تعالى بان يقولوا اسألك بالله وانشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضي الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه
وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التأكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع
التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التاءين تخفيفا
وقرئ بادغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الهمس وقرئ تسألون من الثلاثي اي تسألون به غيركم
وقد فسر به القراءة الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رأيت الهلال وتراءيناه
وقرئ تساءلون على وجهه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين والارحام بالنصب عطفا على محل الجار
والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة تساءلون به وبالارحام فانهم كانوا يقرنونها في السؤال والمناشدة
بالله عز وجل ويقولون اسألك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل اي اتقوا الله والارحام وصلوها ولا تقطعوها
فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز الواحدي
نصبه على الاغراء اي والزموا الارحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدأ
خبره محذوف تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل
على ان صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعنه عليه السلام الرحم
معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا اي
صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اي حافظا مطلعا على جميع
ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للامر
ووجوب الامتثال به واظهار الاسم الجليل لتأكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وآتوا اليتامى اموالهم

شروع في تفصيل موارد الاتقاء ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة بعد اخرى
وتقديم ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاولياء والاوصياء
وقلما يفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه يتامى
اما لانه لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى واما لانه لما كان من وادي الآفات جمع على يتمى ثم جمع
يتمى على يتامى والاشتقاق يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف واما قوله
عليه السلام لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اي لا يجري على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد بايتاء
اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها
بسوء حتى تأتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه
مشروط بالبلوغ وايناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا الآية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا
للايذان بانه ينبغي ان يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو
المتبادر والامر خاص بمن يتولى امرهم من الاولياء والاوصياء وشمول حكمه لاولياء من كان بالغا عند نزول
الآية بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى عليه اليتم في الجملة مجازا اعم من ان يكون كذلك عند النزول
او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها مطلقا
واما وجوب الدفع الى الكبار فمستفاد مما سيأتي من الامر به وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان
المستقبل وقيل اطلق اسمهم على الكبار بطريق الاتساع لقرب العهد باليتم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع
اموالهم اليهم اول ما بلغوا قبل ان يزول عنهم اسمهم المعهود فالايتاء بمعنى الاعطاء بالفعل ويأباهما ما سيأتي في
من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الخ فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين
وقته او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين واما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازا بطريق التغليب مع تعميم
الايتاء للايتاء حالا وللايتاء مآلا وتعميم الخطاب لاولياء كلا الفريقين على ان من بلغ منهم فوليه مأمور بالدفع
اليه بالفعل وان من لم يبلغ بعد فوليه مأمور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا فمع ما فيه من التكلف لا يخفى ان الانسب
ما تقدم من حمل ايتاء اموالهم اليهم على ما يؤدي اليه من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الاعطاء بالفعل
بالدفع سواء اريد باليتامى الصغار او ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفا واما ما روي من ان رجلا من غطفان
كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول
نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح في ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب نهي عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشيء بالشيء
واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او في شرف الحصول يستعملان ابدا بافضاء الفعل
الى الحاصل بانفسهما والى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان الخ وقوله تعالى اتستبدلون
الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين
الخ واخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الازهري واخرى
بافضائه الى مفعوليه بنفسه كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان
كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم باموالهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه
لا تذروا اموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من اموالهم فالمنهي عنه اكل ماله مكان مالهم المحقق والمقدر وقيل هو
اختزال ماله مكان حفظه وانما عبر عنهما بهما تنفيرا عما اخذوه وترغيبا فيما اعطوه وتصويرا
لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو الرديء والجيد فمورد النهي ما كانوا عليه من اخذ الجيد من
مال اليتيم واعطاء الرديء من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي وتخصيص هذه

المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لإباحة ما عداها وأما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع أنها
تبديله به أو تبدل الطيب بالخبيث فللإيذان بأن الأولياء حقهم أن يكونوا في المعاوضة عاملين لليتيم لا
مراعين لجانبه قاصدين لجلب المجلوب إليه مشتريا كان أو ثمنا لا لسلب المسلوب عنه ولا تأكلوا أموالهم
إلى أموالكم نهي عن منكر آخر كانوا يتعاطونه أي لا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال
وذاك حرام وقد خص من ذلك مقدار أجر المثل عند كون الولي فقيرا إنه أي الأكل المفهوم من النهي كان حوبا أي
ذنبا عظيما وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو أيضا مصدر كالقول والقال كبيرا مبالغة
في بيان عظم ذنب الأكل المذكور كأنه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من أفنائها وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى
الإقساط العدل وقرئ بفتح التاء فقيل هو من قسط أي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل
هو بمعنى أقسط فإن الزجاج حكى أن قسط يستعمل استعمال أقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف
من موص جنفا عبر عنه بذلك إيذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لأن الذي علق به الجواب هو العلم
بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه وإلا لم يكن الأمر شاملا لمن يصبر على الجور ولا يخافه وهذا شروع في النهي عن منكر
آخر كانوا يباشرونه متعلق بأنفس اليتامى أصالة وبأموالهم تبعا عقيب النهي عما يتعلق بأموالهم خاصة وتأخيره
عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة إلى الأول ونزوله منه منزلة المركب من المفرد وذلك أنهم كانوا يتزوجون من يحل
لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن
أن يمتن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى
من سنة نسائها فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء
وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة رض وأما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما أطبق عليه أكثر
أهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما
اجتمعت عنده عشر منهن إلخ فلا يساعده الأمر بنكاح غيرهن فإن المحذور يندفع بتقليل عددهن أي إن خفتم
أن لا تعدلوا في حق اليتامى إذا تزوجتم بهن بإساءة العشرة أو بنقص الصداق فانكحوا ما طاب لكم ما موصولة
أو موصوفة ما بعدها صلتها أو صفتها وأوثرت على من ذهابا إلى الوصف وإيذانا بأن المقصود بالذات
والغالب في الاعتبار ولابتنائه على أن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لإخلاله بمقام الترغيب
فيهن وقرأ ابن أبي عبلة من طاب ومن في قوله عز وجل من النساء بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى
بشهادة قرينة المقام أي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الأجنبيات وفي إيثار الأمر بنكاحهن على النهي عن نكاح
اليتامى مع أنه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك فإن النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه
كما أن وصف النساء بالطيب على الوجه الذي أشير إليه فيه مبالغة في الاستمالة إليهن والترغيب فيهن وكل ذلك
للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني إلى النكاح المترقب مع أن سبب النزول هو النكاح
المحقق لما فيه من المسارعة إلى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق
فإن محظورية المترقب حيث كانت للجور المترقب فيه فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه أولى وقيل المراد بالطيب
الحل أي ما حل لكم شرعا لأن ما استطابوه شامل للمحرمات ولا مخصص له عن عداهن وفيه فرار من محذور
ووقوع فيما هو أفظع منه لأن ما حل لهم مجمل وقد تقرر أن النص إذا تردد بين الإجمال والتخصيص يحمل
على الثاني لأن العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان أصلا ولئن جعل قوله تعالى
حرمت عليكم الخ دالا على التفصيل بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل يجعل دالا على التخصيص مثنى وثلاث
ورباع معدولة عن أعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها
وقيل للعدل والصفة فإنها بنيت صفات وإن لم يكن أصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع

ومحلهن النصب على أنها حال من فاعل طاب مؤكدة لما أفاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة
إليهن بتوسيع دائرة الإذن أي فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا
وأربعا أربعا حسبما تريدون على معنى أن لكل واحد منهم أن يختار أي عدد شاء من الأعداد المذكورة
لا أن بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض آخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة
وأربعة أربعة ولو أفردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الأعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة أو لفات
تجويز الاختلاف في العدد هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة لما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم
من الحوب الكبير أخذ الأولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا من لحوق الحوب بترك العدل في حقوق النساء حيث
كانت تحت الرجل منهم عشر منهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا ترك
العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأن من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو
غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم الجور
في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى أنه لا يساعدهما
جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الآية الأولى وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها
من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء إلى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا فإن خفتم أن لا تعدلوا أي فيما بينهن
ولو في أقل الأعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى أو كما لم تعدلوا في حقهن أو كما لم تعدلوا فيما فوق هذه
الأعداد فواحدة أي فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع أي فالمقنع واحدة
أو فحسبكم واحدة أو ما ملكت أيمانكم من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة
على أن اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح
على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا
أن ينكح المحصنات فمما ملكت أيمانكم فإن المأمور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وإنما سوى في السهولة
واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر في عددهن لقلة تبعتهن وخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم
فيهن وقرئ أو من ملكت أيمانكم وما في القراءة المشهورة للإيذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء ذلك
إشارة إلى اختيار الواحدة والتسري أدنى أن لا تعولوا العول الميل من قولهم عال الميزان عولا إذا مال
وعال في الحكم أي جار والمراد هنا الميل المحظور المقابل للعدل أي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري
أقرب بالنسبة إلى ما عداهما من أن لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء محله في الأول وانتفاء خطره في الثاني
بخلاف اختيار العدد في المهائر فإن الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر ومن ههنا تبين أن مدار
الأمر هو عدم العول لا تحقق العدل كما قيل وقد فسر بأن لا يكثر عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم أي
مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على طريقة الكناية ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر
عياله ووجه كون التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري أنه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن
ولا كذلك المهائر والجملة مستأنفة جارية مما قبلها مجرى التعليل وآتوا النساء أي اللاتي أمر بنكاحهن صدقاتهن
جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة و
على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله
تعالى لأنها مما فرضه الله تعالى في النحلة أي الملة والشريعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات أي
أعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على أنها مفعول له أي أعطوهن
ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة أي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابه على الحالية منها
أيضا وقيل عطية من جهة الأزواج من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة

بترك الإقساط مع أنهم كانوا لا يتحرجون صح

على الوجه الذي نقل في تفسير الآية الكريمة مشهد

ونحلة والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى
وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء
صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير آتوا اي آتوهن صدقاتهن
ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس والخطاب للازواج
وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون مولياتهم نسخه
تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه فان طبن لكم عن شيء منه الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى
ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما في قوله عز وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة
وقد روي عن رؤبة انه حين قيل له في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت
الخطوط ينبغي ان تقول كانها وان اردت السواد والبلق ينبغي ان تقول كانهما قال لكني اردت كان ذلك او
للصداق الواقع موقعه صدقاتهن كانه قيل وآتوا النساء صداقهن كما في قوله تعالى فاصدق واكن حيث او لما وقع موقعه صدقاتهن نسخه
عطف اكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا
عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي كائن من الصداق وفيه بعث
لهن الى تقليل الموهوب نفسا تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اي ان وهبن لكم شيئا من الصداق
متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن
عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر انما هو طيب النفس وتجافيها
عن الموهوب بالمرة فكلوه اي فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص
الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان
سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء الذي يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل ما ينساغ في مجراه الذي هو
المريء وهو ما بين الحلقوم الى فم المعدة سمي بذلك لمرء الطعام فيه اي انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر
اي اكلا هنيئا مريئا او على انهما حالان من الضمير المنصوب اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على كلوه ويبتدئ
هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ ومرأ وهذه عبارة عن التحليل و
المبالغة في الاباحة وازالة التبعة روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساقه
اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل
ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعني نكاحهن وبيان
بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الاجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا
ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهي لليتامى لا لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم
كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتي بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء
فكان اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى
ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بني نوعهم بانفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكان قتلهم
قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء فقيل التي جعل
الله لكم قياما اي جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف المفعول الاول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد في المبالغة
حتى جعل ما به القيام قياما فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما اضيفت الى الاولياء لانها من جنس
ما يقيم الناس معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما يقام به المعاش وتميل اليه
القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج وهي بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء
على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء

بل هي مختلطة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتي واللواتي وقرئ قيما
بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقوم به الشيء او مصدر قاوم وقرئ بفتحها
وارزقوهم فيها واكسوهم اي واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتتربحوا حتى تكون نفقاتهم
من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امره الى من
لا رشد له من نسائه واولاده ووكلائه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم وقولوا لهم قولا معروفا
اي كلاما لينا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم
ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا وعقلا من قول او عمل فهو معروف وما
انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر وابتلوا اليتامى شروع في تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان
شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهي عنه عند كون اصحابها سفهاء اي واختبروا من ليس منهم بين السفه
قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم
فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع
واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم
كيفية احوالهم حتى اذا بلغوا النكاح بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح فان آنستم اي شاهدتم وتبينتم
وقرئ احستم بمعنى احسستم كما في قول خلوا ان العتاق من المطايا احسن به وهن اليه شوس منهم رشدا
اي اهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر او لانه عند ذكره مبدأ تبينه له والتنوين للدلالة على كفاية رشد في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وضمهما
فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وفي ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول الامر ايذان بتغايرهما
بحسب المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الاية الكريمة ان حتى هي التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى
تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا
وجوابها الشرطية الثانية كانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد
منهم وظاهر الاية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف
ومحمد رحمهما الله وقال ابو حنيفة رح ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها
سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لما قال عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس
منه رشد او لم يؤنس ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا اي مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم
كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تاكيد للامر بالدفع
وتقريرها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف الخ اي من كان من الاولياء والاوصياء
غنيا فليتنزه من اكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله ومن كان
من الاولياء والاوصياء فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفي لفظ
الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها عن النبي عليه السلام ان رجلا قال له
ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس رض ان ولي اليتيم
قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنا جرباها وتسقيها يوم ورودها
فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعن محمد بن كعب يتقرم كما يتقرم البهمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما
لا بد منه وعن الشعبي ياكل منه بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف
فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت
ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رض اني انزلت نفسي من مال الله عز وجل

منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف
كانه يطلب زيادة العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم بعدما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح للاهتمام به فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد
من التهمة وانفى للخصومة وادخل في الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصي
مصدق في الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعي وكفى بالله حسيبا اي محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به و
لا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون شروع في بيان احكام المواريث بعد
بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد بالاقربين المتوارثون منهم ومن في مما متعلق بمحذوف
وقع صفة لنصيب اي لهم نصيب كائن مما ترك ويجوز تعلقها بنصيب وللنساء نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون ايراد حكمين على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء الخ
للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى تفاوت ما بين نصيبي
الفريقين والمبالغة في ابطال الحكم الجاهلية فانهم كانوا لا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث
من يحارب ويذب عن الحوزة روي ان اوس بن ثابت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلث بنات فزوى
ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما ان الله قد جعل
لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من مال اوس شيئا حتى يبين فنزل يوصيكم الله الخ فاعطى ام كحة الثمن والبنات
الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى مما قل منه او كثر بدل
من ما الاخيرة باعادة الجار واليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد في الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل
على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل
من الفريقين حقا من كل ما جل ودق نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله
كانه قيل قسمة مفروضة او على الحالية اذ المعنى ثبت لهم نصيب كائنا مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا
او على الاختصاص اعني نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم
يسقط حقه واذا حضر القسمة اي قسمة التركة وانما قدمت مع كونها مفعولا لانها المبحوث عنها ولان في الفاعل
تعددا فلو روعي الترتيب يفوت تجاوب اطراف الكلام اولو القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب
فارزقوهم منه اي اعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب كلف به
البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه
وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه
في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء
بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوا ان يضر بهم بصرف المال عنهم
او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم
بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للمؤمنين ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزها
صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر
عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد
المخالف بحال اولاده وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى فليتقوا الله في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول

بدون الثاني ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده
عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا
ووعدا حسنا او يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى تجاوز الثلث وقوله تعالى ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما اي على وجه الظلم او ظالمين [illegible] فجيئ به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهي انما يأكلون
في بطونهم اي ملء بطونهم نارا اي ما يجر الى النار ويؤدي اليها عن ابي هريرة رض انه قال صلى الله عليه وسلم
يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه السلام الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا اي سيدخلون نارا واي نار مبهمة الوصف
وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته و
اصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها روي ان آكل مال اليتيم
يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال
اليتيم في الدنيا وروي انه لما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية
فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الآية يوصيكم الله شروع في تفصيل احكام المواريث المجملة
في قوله عز وجل للرجال نصيب الخ واقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط بحال وهم الآباء والاولاد والازواج
فهؤلاء قسمان والثالث الكلالة اي يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم او لاولادكم اي في شأن ميراثهم
بدئ بهم لانهم اقرب الورثة الى الميت واكثرهم بقاء بعد المورث للذكر مثل حظ الانثيين جملة مستأنفة
جيئ بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم وهذا الحكم
[illegible]
... اولادكم ... للذكر مثل حظ الانثيين ... فان كن نساء فوق اثنتين ... فلهن ثلثا ما ترك ... وان كانت واحدة فلها النصف ... [illegible]
... واختلف في البنتين فقال ابن عباس ... [illegible]
... الثلثان مما ترك ولابويه ... لكل واحد منهما السدس ... [illegible]
... لابويه بتكرير العامل ... [illegible]
... السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن ... [illegible]

والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر اي كائنا مما ترك المتوفى ان كان له ولد او ولد ابن ذكرا كان او انثى
واحدا او متعددا غير ان الاب في صورة الانوثة بعدما اخذ فرضه المذكور ياخذ ما بقي من ذوي الفروض
بالعصوبة فان لم يكن له ولد ولا ولد ابن وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقي
للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار الوارث في ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقي
للاب وتخصيص جانب الام بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس ايضا لما ان
حقها اخصر واستحقاقه اتم واوفر ولان استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد
الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضه فانه
يفضي الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد
الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة اي عدد ممن له
اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا
او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين فلامه السدس واما السدس الذي حجبوها عنه
فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضه انه لهم على كل حال خلا ان هذا
الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلث ولا بالاخوات الخلص وقرئ فلإمه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها من بعد
وصية خبر مبتدأ محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وحده اي هذه الانصباء للورثة من بعد
اخراج وصية يوصي بها اي الميت وقرئ مبنيا مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف الترغيب
في الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول
ما ثبت بالبينة او الاقرار في الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة
مجموعين او منفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها
لكونها مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم
نفعا الخطاب للورثة فآباؤكم مبتدأ وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتدأ واقرب خبره ونفعا
نصب على التمييز منه وهو من الفاعلية كانه قيل ايهم اقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون
والجملة الكبيرة اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون ايهم
انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته ام من لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا
وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول والثاني في حيز الاحتمال عندهم
من غير رجحان احدهما على الآخر كما في قوله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر لا يدري اوله خير ام آخره
فان ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول في ضمن التعريض
بان لهم اعتقادا بانفعية الثاني مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع
تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشأ خطائهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الآجل بصورة
العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون نظرا الى ظاهر
الحال وقرب المنال بانفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان ثواب الآخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام
تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحياة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد
واقصى وقيل الخطاب للمورثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا وآجلا
فتحروا في شانهم ما اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين
اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل الله ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته وقيل فالجملة الاعتراضية
حينئذ مؤكدة لامر القسمة وانت خبير بانه مشعر بان مدار الارث ما ذكر من اقربية النفع مع [illegible]

بانه يقال للابيه الثلث

بكسر الهمزة اتباعا للكسرة

فريضة من الله نصبت نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فرضا او لقوله تعالى
يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما قضى وقدر
فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع في بيان احكام
القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اي
ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان او متعددا لان
لفظ الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات او غيرهم ولبيت المال
ان لم يكن لهن وارث آخر اصلا فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
فان ذكر تقدير عدم الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه فلكم الربع مما تركن من المال
والباقي لباقي الورثة من بعد وصية متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده يوصين بها في محل الجر
على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت في الوصية وحث الورثة على تنفيذها او دين عطف
على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على الواو لما مر من الدلالة على تساويهما في الوجوب
والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من ابراز كمال العناية بتنفيذها ولهن الربع
مما تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور آنفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات
او ذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي فصل فلهن الثمن
مما تركتم من المال والباقي للباقين من بعد وصية توصون بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظيره بد فرض
للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمرأة كما في النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب
وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة في القرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة و
يستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل شروع في بيان الاحكام القسم الثالث من الورثة
المحتمل للسقوط ووجه تاخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى يورث على البناء للمفعول
من ورث لا من اورث خبر كان اي يورث منه كلالة الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة
من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف
ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة وقد
جوز كونها صفة كالهجاجة والفاقة للاحمق فنصبها اما على انها مفعول له اي يورث منه لاجل القرابة المذكورة
او على انها حال كونه ذا كلالة او على انها خبر لكان ويورث صفة لرجل اي ان كان رجل موروث ذا كلالة
ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب كلالة اما على انها حال
من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه كلالة واما على انها مفعول به اي يورث لاجل
الكلالة او امرأة عطف على رجل مقيد بما قيد به اي او امرأة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره للايذان
بشرفه واصالته في الاحكام وله اي للرجل وفيه تاكيد للايذان المذكور وحيث لم يتعرض لها بعد جريان ذكرها
ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت اي من الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان
والعلات هي التي ذكرت في آخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير يورث او من رجل
على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسئلة وذكر الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور وان
كان مع من ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة واما جريانه في صورة وجود الام او الجدة مع ان قرابتهما ليست
بطريق الكلالة فبالاجماع فلكل واحد منهما من الاخ والاخت السدس من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء
الى الميت بمحض الانوثة فان كانوا اكثر من ذلك اي اكثر من الاخ او الاخت المنفردين بواحد او باكثر والفاء
لما مر من ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال العدد فهم شركاء في الثلث يقتسمونه بالسوية والباقي

حيث انتقل وان كان رجل
اي ما بيناه يورث
منه

لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا واما تجويز ان يكون يورث في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من اورث على ان المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة او ذا كلالة اي غير والد او ولد فلذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه او اخته السدس فان كانوا اكثر من ذلك اي من الاثنين بان كانوا ثلثة او اكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للاثنين لا يزاد عليه شيء فبمعزل من السداد اما اولا فلان المعتبر على ذلك التقدير انما هي الاخوة بين الوارث وبين شريكه في الارث من اخيه او اخته لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة التي يترتب عليها حكم الارث وبها يتم تصوير المسئلة وانما المعتبر بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهي عامة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولاد فلا يكون نصيبه ولا نصيب شريكه ما ذكر بعينه ومن ادعى اختصاصها بالاخوة لام متمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة ههنا اولاد الام فقد اعترف ببطلان رأيه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة في قوله تعالى وله اخ او اخت هو الاخوة لام خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والاية الاتية في اخر السورة الكريمة ولولا ان الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن كون الكل اولاد الام ثم ان الكلالة كما نبهت عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك ولهذا لا اقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم وانما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من كان لام خاصة وانت خبير بان ذلك في قوة الاجماع على ان يورث من ورث لام من ورث فتدبر واما ثانيا فلانه يقتضي ان يكون المعتبر في استحقاق الورثة للفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة من الجهتين واما ثالثا فلان حكم صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت يبقى ح غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد الا يرى ان حظ كل من الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد واما رابعا فلان تخصيص احد الورثة بالتوريث وجعل غيره تبعا له فيه مع اتحاد الكل في الادلاء الى المورث مما لا عهد به **من بعد وصية يوصى بها او دين** الكلام فيه كالذي مر في نظائره خلا ان الدين ههنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجملة على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته بالاقرار في المرض كانه قيل ودين يوصى به **غير مضار** حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال في قوله عز وجل يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال على قراءة البناء للفاعل اي يوصي بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة بان يوصي بما زاد على الثلث او يكون الوصية لقصد الاضرار بهم دون القربة وبان يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم **وصية من الله** مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الاضافية اي يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله تعالى كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله الاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وان كانت كلتاهما واجبة المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي معنى فيعمل في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية الله وعهده لا في شان الاولاد فقط كما قيل اذ لا تعلق لهم بالمقام بل في شان الورثة المذكورة ههنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة

امر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضي ان يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبي هو المعطوف على وصية مع انه لا تحصل به مادة المضارة لبقاء الاقرار بالدين على اطلاقه **والله عليم** بالمضار وغيره **حليم** لا يعاجله بالعقوبة فلا يغتر بالامهال وايراد الاسم الجليل مع كفاية الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة **تلك** اشارة الى الاحكام التي تقدمت في شؤون اليتامى والمواريث وغير ذلك **حدود الله** اي شرائعه المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها **ومن يطع الله ورسوله** في جميع الاوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر آنفا **يدخله جنات** نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش **تجري من تحتها الانهار** صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها **خالدين فيها** حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر الى جمعية من بحسب المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا **وذلك** اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال علو درجته **الفوز العظيم** الذي لا فوز وراءه ووصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم اما باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض **ومن يعص الله ورسوله** ولو في بعض الاوامر والنواهي قال مجاهد فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس رضي من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله وقال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا والاظهار في موقع الاضمار للمبالغة في الزجر بتهويل الامر وتربية المهابة **ويتعد حدوده** اي شرائعه المحدودة في جميع الاحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا **يدخله** وقرئ بنون العظمة في الموضعين **نارا** اي عظيمة هائلة لا يقادر قدرها **خالدا فيها** حال كما سبق ولعل ايثار الافراد ههنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع اجلب للانس كما ان الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد اشد في استجلاب الوحشة **وله عذاب مهين** اي وله مع عذاب الحريق الجسماني عذاب اخر مهين لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم** شروع في بيان بعض آخر من الاحكام المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ [illegible]

تمكن ذكره تعويلاً على ما ذكر آنفاً فإن تابا عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الأذية وقوارع
التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء وأصلحا أي أعمالهما فأعرضوا عنهما بقطع الأذية والتوبيخ فإن التوبة والصلاح
مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد يجوز أن يكون الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما ويراد بالإيذاء
ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الولاة وبالإعراض عنهما ترك التعرض بالرفع إليهم قيل كانت عقوبة
الزانيين المذكورين في أوائل الإسلام على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روي أن النبي عليه السلام
قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً الثيب يرجم والبكر يجلد وقيل هذه الآية سابقة على الأولى
نزولاً وكانت عقوبة الزناة مطلق الأذى ثم الحبس ثم الجلد والرجم وقد يجوز أن يكون الأمر بالحبس غير منسوخ
بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوماً بالكتاب والسنة ويوصي بإمساكهن في البيوت بعد إقامة الحد صيانة
لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى أنه مما لا يساعده النظم الكريم
وقال أبو مسلم وقد عزاه إلى مجاهد إن الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين وما في سورة النور في الزناة
والزواني متمسكاً بأن المذكور في الأولى صيغة الإناث خاصة وفي الثانية صيغة الذكور والضرورة
إلى المصير إلى التغليب على أنه لا إمكان له في الأولى ويأباه الأمر باستشهاد الأربعة فإنه غير معهود في الشرع
فيما عدا الزنا إن الله كان تواباً رحيماً مبالغاً في قبول التوبة واسع الرحمة وهو تعليل للأمر بالإعراض
إنما التوبة على الله استئناف مسوق لبيان أن قبول التوبة من الله تعالى ليس على إطلاقه كما ينبئ عنه وصفه
تعالى بكونه تواباً رحيماً بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله تعالى للذين
يعملون السوء خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فإن تقديم الجار والمجرور
على عامله المعنوي مما لا نزاع في جوازه وكذا الظرف أو بمحذوف وقع حالاً من ضمير المبتدأ المستكن فيما تعلق
به الخبر على رأي من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوي عند كونها ظرفاً أو حرف جر كما سبق في تفسير قوله تعالى
ولله على الناس حج البيت وأياً ما كان فمعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة
على التحقق البتة بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كأنه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد من قال إن كلمة على
بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى وقيل أي التوبة التي أوجب الله تعالى
على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير إلى أن قوله تعالى على الله صفة للتوبة بتقدير متعلقه معرفة على رأي من
جوز حذف الموصول مع بعض صلته أي إنما التوبة الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت
أو كبيرة وقيل الخبر على الله وقوله تعالى للذين متعلق بما تعلق به الخبر أو بمحذوف وقع حالاً من الضمير المستكن في
متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه الأول من تقديم الحال على العامل المعنوي إلا أن الذي يقتضيه المقام ويستدعيه
النظام هو الأول لما أن ما قبله من وصفه تعالى بكونه تواباً رحيماً إنما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة منه
تعالى بالمذكورين وذلك إنما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ خبراً لا بجعله قوله عز وجل وليست التوبة للذين
يعملون السيئات الخ فإنه ناطق بما قلنا كأنه قيل إنما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء بجهالة متعلق بمحذوف وقع
حالاً من فاعل يعملون أي يعملون السوء متلبسين بها أي جاهلين سفهاء أو بيعملون على أن الباء سببية أي
يعملونه بسبب الجهالة لأن ارتكاب الذنب مما يدعو إليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءاً بل عدم التفكر
في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة اجتمع أصحاب الرسول عليه السلام فرأوا أن كل شيء عصي به ربه
عمداً كان أو خطأ وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعني بقوله بجهالة
اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب أي من زمان قريب وهو ما قبل حضور
الموت كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى حتى إذا حضر الخ فإنه صريح في أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل
فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك

[illegible] الشيخ جلال الدين [illegible]

كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن إبراهيم النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى أبو أيوب عن
النبي عليه السلام إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن
أن إبليس قال حين أهبط إلى الأرض وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي
لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود
المعصية وبين حضور الموت زماناً قريباً ففي أي جزء تاب من أجزاء الزمان فهو تائب فأولئك إشارة
إلى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد
والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يتوب الله
عليهم وما فيه من تكرير الإسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم إثر بيان أن التوبة لهم والفاء للدلالة
على سببيتها للقبول وكان الله عليماً حكيماً مبالغاً في العلم والحكمة فيبني أحكامه وأفعاله على أساس
الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار للإشعار بعلة
الحكم فإن الألوهية منشأ لاتصافه تعالى بصفات الكمال وليست التوبة للذين يعملون السيئات
تصريح بما أفهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة تعيين له ببيان أن توبة من عداهم بمنزلة
العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لا لأن المراد بها جميع أنواعها وبما مر من السوء
نوع منها حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية
لما قبلها أي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات إلى حضور موتهم وقولهم حينئذ إني تبت وذكر الآن لمزيد
تعيين الوقت وإيثار قال على تاب لإسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسميته توبة ولا الذين
يموتون وهم كفار عطف على الموصول الذي قبله أي ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وإنما ذكر هؤلاء
مع أنه لا توبة لهم رأساً مبالغة في بيان عدم قبول توبة المسوفين وإيذاناً بأن وجودها كعدمها بل في تكرير
حرف النفي في المعطوف إشعار خفي بكون حال المسوفين في عدم استتباع الجدوى أقوى من حال الذين يموتون
على الكفر والمراد بالموصولين إما الكفار خاصة وإما الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفاراً
للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وإما من يعم الفريقين جميعاً فالتسمية حينئذ
للتغليب ويجوز أن يراد بالأول الفسقة وبالثاني الكفرة ففيه مبالغة أخرى أولئك إشارة إلى الفريقين
وما فيه من معنى البعد للإيذان بترامي حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدأ خبره
أعتدنا لهم أي هيأنا لهم عذاباً أليماً تكرير الإسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح لإظهار الاعتناء بكون العذاب معداً لهم وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي
والوصفي يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً كان الرجل إذا مات قريبه يلقي ثوبه
على امرأته أو على خبائها ويقول أرث امرأته كما أرث ماله فيصير بذلك أحق بها من كل أحد ثم إن شاء
تزوجها بلا صداق غير الصداق الأول وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئاً وإن شاء
عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها وإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل إلقاء الثوب فهي أحق بنفسها
فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم أن تأخذوهن بطريق الإرث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات
لذلك ومكرهات عليه وقيل كانوا يمسكونهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات
بإمساككم وقرئ لا تحل بالتاء الفوقانية على أن أن ترثوا بمعنى الوراثة وقرئ كرهاً بضم الكاف وهو لغة
كالضعف والضعف وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق
عليها لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن عطفاً على ترثوا ولا لتأكيد النفي والخطاب للأزواج
والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها إذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه أي ولا

ان تضيقوا عليهن لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ اي من الصداق بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارًا
فتاخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا وانما عبر
عن ذلك بالذهاب به لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور
شنيع الاخذ والاذهاب لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا به إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ على صيغة
الفاعل من بين بمعنى تبين وقرئ على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وسوء
الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة ابي الا ان يفحش عليكم وقيل الفاحشة الزنا
وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اي ولا يحل لكم عضلهن في حال من الاحوال او في وقت
من الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بفاحشة او الا في وقت اتيانهن بها او الا لاتيانهن بها فان
السبب حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون في طلب الخلع وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ خطاب للذين يسيئون
العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد هاهنا النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في المقال
ونحو ذلك فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور
المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ
خَيْرًا كَثِيرًا علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن
مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية
عن تقدير الخبر اي فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما هو اصلح في الدين
واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم
وذكر الفعل الاول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية في الثاني للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد ان ترتيب
الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء
الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميم الارشاد ما لا يخفى
وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة حالية تقديره وهو اي ذلك الشيء يجعل الله فيه خيرا
كثيرا وقيل تقديره والله يجعل بوضع المظهر موضع المضمر وتنوين خيرا لتفخيمه الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان فخامته
الوصفية والمراد به هاهنا الولد الصالح وقيل الالفة والمحبة وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ اي تزوج امرأة ترغبون
فيها مَكَانَ زَوْجٍ ترغبون عنها بان تطلقوها وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ اي احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس
والجملة حالية باضمار قد لا معطوفة على الشرط اي وقد آتيتم التي تريدون ان تطلقوها قِنْطَارًا اي مالا كثيرا
فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ اي من ذلك القنطار شَيْئًا يسيرا فضلا عن الكثير أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا استئناف
مسوق لتقرير النهي والتنفير عن المنهي عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اي اتاخذونه باهتين وآثمين او للبهتان
والاثم فان احدهم كان اذا تزوج امرأة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه
الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عنه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل
الباطل ولذلك فسر هاهنا بالظلم وقوله عز وجل وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه غب تنفير
وقد بولغ فيه حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه مما لا سبيل له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل
تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن لشيء حال اصلا لم يكن له حظ من الوجود قطعا وقوله
عز وجل وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ حال من فاعل تاخذونه مفيدة لتاكيد النكير وتقرير الاستبعاد اي على اي حال
او في اي حال تاخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال منافية له من الخلوة وتقرر ثبوت حق خدمتهن
لكم وغير ذلك وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي اخذن منكم عهدا وثيقا وهو
حق الصحبة والمعاشرة او ما اوثق الله تعالى عليهم في شانهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان او

شيم الشيء شمه كمنع اي من قاموس

ما اشار اليه النبي عليه السلام اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ
شروع في بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات
الآتية مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس رضي الله عنه وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية
يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك واسم الآباء ينتظم الاجداد مجازا فيثبت حرمة ما نكحوها نصا واجماعا
ويستقل في اثبات هذه الحرمة نفس النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان فاسدا فلا بد في اثباتها من الوطء
او ما يجري مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت لها في الحقيقة حتى لو وقع شيء من ذلك بحكم ملك
اليمين او بالوجه المحرم يثبت به الحرمة عند نا خلافا للشافعي في المحرم اي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وايثار ما
على من للذهاب الى الوصف وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر مِنَ النِّسَاءِ بيان لما نكح على الوجهين
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ استثناء مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى لا تنكحوا حلائل آبائكم الا من ماتت منهن
والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه
النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كانه قيل لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد
مضى فانه معفو عنه وقيل هو استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر وثابت اباحة
قوله تعالى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا فانه تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية القبح مبغوضا اشد
البغض وانه لم يزل في حكم الله تعالى وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فيه لامة من الامم فلا يلائم ان يتوسط بينهما
ما يهون امره من ترك المؤاخذة على ما سلف منه وَسَاءَ سَبِيلًا في كلمة ساء قولان احدهما انها جارية مجرى
بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا سبيل
ذلك النكاح كقوله تعالى بئس الشراب اي ذلك الماء وثانيهما انها كسائر الافعال وفيها ضمير يعود الى ما
عاد اليه ضمير انه وسبيلا تمييز والجملة اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب ومعطوفة على خبر كان
محكية بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلا فان السنة الامم كافة لم تزل
ناطقة بذلك في الاعصار والامصار وقيل مراتب القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله تعالى
هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحه العقلي وقوله ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وقوله تعالى وساء
سبيلا مرتبة قبحه العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ اقصى مراتب القبح حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن
وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له راسا واما حرمة
التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض المعطوفات على تقدير رقهن فثابتة
بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محلية ابضاعهن للملك لا بعبارته بشهادة سباق النظم الكريم
وسياقه وانما لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن راسا ولا حرمة سببه الذي هو
العقد وما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح وامتناع ورود حكمه عليهن لان مورد ملك اليمين ليس
هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى يفوت بفوات محليته له كملك النكاح فانه حيث كان مورده
فات بفوات محليته له قطعا وانما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق بتحقق محله حتما ثم يزول بوقوع
العتق في المواد التي سبب حرمتها محض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتبعا لجميع احكامه
المقصودة منه شرعا واما حل الوطء فليس من تلك الاحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والامهات
تعم الجدات وان علون والبنات تتناول بناتهن وان سفلن والاخوات ينتظمن الاخوات من الجهات الثلاث
وكذا الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد والدك والخالة كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا

وبنات الأخ وبنات الأخت تتناول القربى والبعدى وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة
نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أماً للرضيع والمراضعة أختاً وكذلك زوج المرضعة
أبوه وأبواه أجداده وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاعة وبعدها فهم أخوته وأخواته لأبيه
وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم أخوته وأخواته لأبيه وأمه ومن ولد
لها من غيره فهم أخوته وأخواته لأمه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو
حكم كلي جار على عمومه وأما أم أخيه لأب وأخت ابنه لأم وأم أم ابنه وأم عمه وأم خاله لأب فليست
حرمتهن من جهة النسب حتى تحل بعمومه ضرورة حلهن في صورة الرضاع بل من جهة المصاهرة ألا ترى أن الأولى
موطوءة أبيه والثانية بنت موطوءته والثالثة أم موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة
موطوءة جده الفاسد وأمهات نسائكم شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة إثر بيان المحرمات
من جهة الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات على الإطلاق سواء كن مدخولاً بهن
أولا وعليه جمهور العلماء وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل
بها أنه لا بأس بأن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها وعن عمر وعمران بن الحصين أن الأم تحرم بنفس العقد
وعن مسروق هي مرسلة فأرسلوا ما أرسل الله وعن ابن عباس أبهموا ما أبهم الله خلا أنه روي عنه وعن علي
وزيد وابن عمر وابن الزبير رض أنهم قرأوا وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد
المسيب عن زيد إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها وإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء
فعل أقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه
المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظائرهن ولأمهات تعم المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر وربائبكم اللاتي
في حجوركم الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل إلى الاسمية والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لأنه يربه
غالباً كما يرب ولده وإن لم يكن ذلك أمراً مطرداً وهو المعني بكونهن في الحجور فإن شأنهن الغالب المعتاد أن يكن في
حضانة أمهاتهن تحت حماية أزواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها
كما أن النكتة في إيرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فإن كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب
في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة والشبه بينهن وبين أولادهم ويستدعي إجراءهن مجرى بناتهم
لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رض وبه أخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر أولاً
بخلاف ما في قوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإنه لتقييدها قطعاً فإن كلمة من متعلقة بمحذوف
وقع حالاً من ربائبكم أو من ضميرها المستكن في الظرف لأنه لما وقع صلة تحمل ضميراً أي وربائبكم اللاتي
استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالاً من أمهات أو مما أضيفت هي إليه خاصة
وهو بين لا سترة به ولا مع ما ذكر أولاً ضرورة أن حاليته من ربائبكم أو من ضميرها تقتضي كون
كلمة من ابتدائية وحاليته من أمهات أو نسائكم تستدعي كونها بيانية وادعاء كونها اتصالية
منتظمة لمعنى الابتداء والبيان أو جعل الموصول صفة للنسائين مع اختلاف عامليهما مما يجب تنزيه
ساحة التنزيل عن أمثاله مع أنه سعي في إسكات ما نطق به النبي عليه السلام واتفق عليه الجمهور
حسبما ذكرنا فيما قبل وأما ما نقل من القراءة فضعيفة الرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى
الدخول بهن إدخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب
وفي حكمه اللمس ونظائره كما مر فإن لم تكونوا أي فيما قبل دخلتم بهن أصلاً فلا جناح عليكم أي في نكاح
الربائب وهو تصريح بما أشعر به ما قبله والفاء الأولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن بيان حكم الدخول
مستتبع لبيان حكم عدمه وحلائل أبنائكم أي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج أو لحلولها

في محله وقيل لحل كل منهما إزار صاحبه وفي حكمهن مزنياتهم ومن يجري مجراهن من الممسوسات ونظائرهن وقوله
تعالى الذين من أصلابكم لإخراج الأدعياء دون أبناء الأولاد والأبناء من الرضاع فإنهم وإن سفلوا
في حكم الأبناء الصلبية وأن تجمعوا بين الأختين في حيز الرفع عطفاً على ما قبله من المحرمات والمراد
به جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين وأما جمعهما في الوطء بملك اليمين فملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما
في المدار لقوله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم أختين بخلاف نفس
ملك اليمين فإنه ليس في معنى النكاح في الإفضاء إلى الوطء ولا مستلزماً له ولذلك يصح شراء المجوسية دون
نكاحها حتى لو وطئهما لا يحل له وطء إحديهما حتى يحرم عليه وطء الأخرى بسبب من الأسباب وكذا لو تزوج
أخت أمته الموطوءة لا يحل له وطء إحديهما حتى يحرم عليه الأخرى لأن المنكوحة موطوءة حكماً فكأن جمعهما
وطئاً وإسناد الحرمة إلى جمعهما لا إلى الثانية منهما بأن يقال وأخوات نسائكم للاحتراز عن إفادة الحرمة المؤبدة
كما في المحرمات السابقة ولكونه بمعزل عن الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم
الجمع بين المرأة وعمتها ونظائرها فإن مدار حرمة الجمع بين الأختين إفضاؤه إلى قطع ما أمر الله بوصله وذلك
متحقق في الجمع بين هؤلاء بل أولى فإن العمة والخالة بمنزلة الأم فقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة
على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور
يجوز به الزيادة على الكتاب إلا ما قد سلف استثناء منقطع أي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ولا سبيل
إلى جعله متصلاً لقصد التأكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لأن قوله تعالى إن الله كان غفوراً رحيماً تعليل
لما أفاده الاستثناء فيحتم الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه إلا ما كان من يعقوب عم فإنه قد جمع بين
أم يهودا وبين راحيل أم يوسف عليه السلام ولا يساعده التعليل إلا أن يحمل على أن فعله يعقوب عم كان حلالاً
في شريعته وقال ابن عباس رض كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين
وروى هشام بن عبيد الله عن محمد بن الحسن رحمهم الله أنه قال كان أهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات إلا اثنين
نكاح امرأة الأب والجمع بين الأختين ألا يرى أنه قد عقب النهي عن كل منهما بقوله تعالى إلا ما قد سلف وهذا يشير
إلى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد وتأباه اختلاف التعليلين والمحصنات بفتح الصاد وهن ذوات الأزواج
أحصنهن التزوج أو الأزواج أو الأولياء أي أعففهن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فإنهن
أحصن فروجهن عن غير أزواجهن قيل الصيغة للفاعل على القراءة الأولى أيضاً وفتح الصاد محمول على الشذوذ
كما في نظيريه ملقح ومسهب من ألقح وأسهب وقيل قد ورد الإحصان في القرآن بإزاء أربعة معان الأول التزوج
كما في هذه الآية الكريمة الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تعالى
ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات والرابع الإسلام كما في قوله تعالى فإذا أحصن قيل في تفسيره
أي أسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى من النساء متعلق بمحذوف وقع حالاً منها
أي كائنات من النساء وفائدته تأكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للأنفس
كما توهم إلا ما ملكت أيمانكم استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس أي ملكتموه وإسناد
الملك إلى الأيمان لما أن سببه الغالب هو الصفة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في الأرقاء لا سيما
في إناثهم وهن المرادة ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن
بما لإسقاطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهي إما عامة حسب عموم صلتها فالاستثناء
حينئذ ليس لإخراج جميع أفرادها من حكم التحريم بطريق نفي الشمول المستلزم لإخراج بعضها أي حرمت
عليكم المحصنات على الإطلاق إلا المحصنات اللاتي ملكتموهن فإنهن لسن من المحرمات على الإطلاق بل فيهن من
لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير أزواجهن أو مطلقاً حسب اختلاف الرأيين وأما خاصة

بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي سبين فان نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير ازواجهن
واما حلهن لهم بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من ان مساق
النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح واما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم
ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما لا يجري فيه الاستثناء قطعا واما عدهن من ذوات الازواج
مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين او بالسبي على الاختلاف في الرائين فمبني على اعتقاد
الناس حيث كانوا راغبين عن الفرقة الا يرى الى ما روي عن ابي سعيد الخدري رض من انه قال اصبنا
يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي عليه السلام وفي رواية عنه
قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات من النساء
الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية اخرى عنه ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فاباح وطأهن بعد الاستبراء وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول
الآية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها له بوجه من وجوه الدلالات
لا على افادتها بطريق العبارة او نحوها هذا وقد روي عن ابي سعيد رض انه قال نزلت في نساء كن هاجرن الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهي عن نكاحهن
فالمحصنات عبارة عن مهاجرات تحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم
الاحصان والنهي لتحريم المحقق وتعرف حال المتوقع والا فما عداهن بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن
كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحادهما في الدين فلأن تنقطع ما بين المهاجرة وزوجها
الحربي اولى كما ينفصح عنه قوله عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون
لهن الآية كتاب الله مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء
بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء آخر مؤكد
لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه او بنفس عليكم على رأي من جوز تقديم المنصوب في باب الاغراء
كما في قوله يا ايها المائح دلوي دونكا اني رأيت الناس يحمدونكا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله
عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على حرمت عليكم الخ وتوسيط قوله تعالى كتاب الله بينهما للمبالغة
في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل بل
على حرمت الخ فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلاف
المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما بعدما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى ما وراء ذلكم اشارة الى ما
ذكر من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف
المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة منهن من العنوان الذي يدور عليه
حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين
خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي على جميع
الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها بل انما هو احلالهن في الجملة اي على بعض
الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك حرمته بطريق الجمع الا يرى ان حرمة نكاح
المعتدة والمطلقة ثلاثا والخامسة ونكاح الامة على الحرة ونكاح الملاعنة لا تقدح في حل نكاحهن بعد العدة
وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير
بان الحل يجب ان يتعلق هنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل ههنا به
ايضا ان تبتغوا متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار بيانهما

واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم
والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا الابتغاء باموالكم بصرفها الى مهورهن
او بدل اشتمال من ما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول محصنين حال من فاعل تبتغوا والاحصان العفة
وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب غير مسافحين حال ثانية منه او حال من الضمير
في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لانه الغرض منه ومفعول الفعلين
محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة
وما في قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن اما عبارة عن النساء او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين
فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها وايا ما كان فهي مبتدأ خبرها على تقدير
كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى
فآتوهن اجورهن والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد الى المبتدأ
هو الضمير المنصوب في فآتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او موصولة تبعيضية محلها النصب
على الحالية من الضمير المجرور في به والمعنى فأي فرد استمتعتم به او فالفرد الذي استمتعتم به حال كونه من جنس
النساء او بعضهن فآتوهن اجورهن وقد روعي تارة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا واخرى جانب المعنى فجمع
ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعائد الى المبتدأ
محذوف والمعنى اي فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوهما او فالفعل الذي استمتعتم به من
قبلهن من الافعال المذكورة فآتوهن اجورهن لاجله او بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن
فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اي فرض ذلك
فريضة اي لهن عليكم ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به اي لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابراء
منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه اثر قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن وقوله
الا ان يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح من الرجال لانها ليست مظنة الجناح الا ان يجعل
الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به من نفقة
ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا يساعده قوله من بعد الفريضة اذ لا تعلق لهما بالفريضة الا ان يكون
الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت في المتعة التي هي النكاح الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت بذلك لان الغرض
منها مجرد الاستمتاع بالمرأة واستمتاعها بما يعطي وقد ابيحت ثلاثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت
لما روي انه عليه السلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا
ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وروي عن ابن عباس رض انه رجع عن القول بجوازه
عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما
فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللائقة بحالكم ومن لم يستطع منكم من اما شرطية
ما بعدها شرطها او موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطع اي
حال كونه منكم وقوله تعالى طولا اي غنى وسعة او اعتلاء ونيلا واصله الزيادة والفضل مفعول ليستطع
وقوله تعالى ان ينكح المحصنات المؤمنات اما مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر المنون سائغ ذائع
كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كأنه قيل ومن لم يستطع منكم ان ينال نكاحهن
واما بتقدير حرف الجر اي ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار في محل النصب صفة لطولا اي
طولا موصلا اليه او كائنا له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة وفي القاموس الطول والطائل والطائلة
الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد حذف الجار نصب عند سيبويه والفراء وجر عند الكسائي

والاخفش وإما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة وإما مفعول ليستطيع وطولا مصدر
مؤكد له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هو الطول أو تمييز أي ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة أو من جهة
الطول والغنى أي لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد
بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما
من صفات القصور والنقصان وقوله عز وعلا فمما ملكت أيمانكم اما جواب للشرط أو خبر للموصول والفاء
لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة أي فلينكح امرأة او امة من النوع
الذي ملكته أيمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية
أي فلينكح امرأة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر أي فلينكح ما ملكته
أيمانكم وقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات في محل النصب على الحالية من الضمير المقدر في ملكت الراجع
الى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من ومما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية أو في
محذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض أي فلينكح فتياتكم كائنات بعض ما ملكت أيمانكم والمؤمنات
صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر ومما ملكت على ما تقدم آنفا ومن فتياتكم حال
من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة للمستطيع كما ذهب اليه الشافعي رحمه الله
وعدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا كما هو رأي أهل الحجاز وقد جوزهما ابو حنيفة رح متمسكا بالعمومات
فحمل الشرط والوصف هو الافضلية ولا نزاع فيها لاحد وقد روي عن ابن عباس رض انه قال ومما وسع الله
على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وقوله تعالى والله أعلم بايمانكم جملة
معترضة جيء بها لتأنيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منه ببيان ان مناط التفاضل ومدار
التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله عز قائلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم والمعنى انه تعالى اعلم منكم بمراتبكم في الايمان
الذي به ينتظم احوال العباد وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق
فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحرائر وقوله تعالى بعضكم من بعض ان اريد به الاتصال من حيث الدين فهو
بيان لتناسبهم من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم في ذلك وان اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض
آخر مؤكد للتأنيس من جهة اخرى والخطاب في الموضعين اما لمن كما في الخطاب الذي يعقبه قد روعي فيه جانب
اللفظ وههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب والتأنيس واما لغيرهم من المسلمين كالخطاب السابق
لحصول الترغيب بخطابهم ايضا واياما كان فاعادة الامر بالنكاح على وجه الخطاب في قوله تعالى فانكحوهن مع
انفهامه من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم حسب ما ذكر لزيادة الترغيب في نكاحهن وتقييده بقوله تعالى باذن اهلهن
وتصديره بالفاء للايذان بترتبه على ما قبله أي واذ قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا تتعرضوا
لهن وفي اشتراط اذن الموالي دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له وآتوهن اجورهن أي مهورهن
بالمعروف متعلق بآتوهن أي ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللز حسبما يقتضيه الشرع
والعادة ومن ضرورته ان يكون الاداء اليهن باذن الموالي فيكون ذكر ايتائهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكونه الموجب
لهن وقيل اصله آتوا مواليهن فحذف المضاف واوصل الفعل الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول فانكحوهن
أي حال كونهن عفائف عن الزنا غير مسافحات حال مؤكدة أي غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان عطف
على مسافحات ولا لتأكيد ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة
والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ان لا
يكون لها اخدان أي غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما الى هذين القسمين فاذا احصن

أي بالتزوج وقرئ على البناء للفاعل أي احصن فروجهن او ازواجهن فان أتين بفاحشة أي فعلن فاحشة
وهي الزنا فعليهن فثابت عليهن شرعا نصف ما على المحصنات أي الحرائر الابكار من العذاب من الحد
الذي هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان
كتفاوت حد الحرائر فالفاء في فان أتين جواب اذا والثانية جواب للشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود
الاول كما في قولك اذا أتيتني فان لم اكرمك فعبدي حر ذلك أي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم أي لمن خاف
وقوعه في الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر
يعتري الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم بارتكاب افحش القبائح وقيل اريد به الحد
لانه اذا هويها يخشى ان يواقعها فيحد والاول هو اللائق بحال المؤمن دون الثاني لايهامه ان المحذور
عنده الحد لا ما يوجبه وان تصبروا أي عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصي خير
لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رض ايما حر تزوج بامة
فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير رض ما نكاح الامة من الزنا الا قريب ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص
للزوج خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه
من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل
ومهانة سارية الى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته
للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور رحيم
مبالغ في المغفرة ولذلك رخص لكم في نكاحهن يريد الله ليبين لكم استئناف مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام
وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الانبياء والصالحين قيل اصل النظم الكريم يريد الله ان يبين لكم
فزيدت اللام لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة السياق والسباق
أي يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم به من الحلال والحرام
وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لاجل التبيين وهذا مذهب البصريين
ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير اضمار ان وهي وما بعدها مفعول للفعل المتقدم
فان اللام قد تقام مقام ان في فعل الارادة والامر فيقال اردت لاذهب وان اذهب وامرتك لتقوم وان تقوم
قال الله تعالى ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون ان يطفئوا وقال تعالى وامرنا لنسلم وفي موضع وامرت ان اسلم
وفي آخر وامرت لاعدل بينكم أي ان اعدل وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام
هي الجر والنصب فيما قالوا باضمار ان أي امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل يؤول الفعل
الذي قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده خبرا له كما في تسمع بالمعيدي خير من ان تراه أي
ان تسمع ويعزى هذا الرأي الى بعض البصريين ويهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين
لتقتدوا بهم ويتوب عليكم اذا تبتم اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفتموه من الشرائع
فان المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصي
ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته
فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة والله عليم مبالغ في العلم بالاشياء التي من جملتها
ما شرع لكم من الاحكام حكيم مراع في جميع افعاله الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب عليكم جملة
مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريد الفجرة لا لبيان ارادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من
باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى
ويريد الذين يتبعون الشهوات للاشارة الى الحدوث وللايماء الى كمال المباينة بين مضموني الجملتين كما

في قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا الآية والمراد متبعي الشهوات الفجرة فان اتباعها الائتمار لها واما المتعاطي
لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث
كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون
بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت ان تميلوا
عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية والضمير
للذين يتبعون الشهوات ميلا عظيما اي بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال يريد الله
ان يخفف عنكم بما مر من الرخص وما في عهدتكم من مشاق التكاليف والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب
وخلق الانسان ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر
عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن رحمه الله ان المراد ضعف الخلقة ولا يلائمه
المقام فان الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الاماء وليس لضعف
البنية مدخل في ذلك وانما الذي يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في امر النساء
خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم الا اتاهم من قبل النساء
فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء
وقرأ ابن عباس وخلق الانسان للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه رض ثماني آيات في سورة النساء هن
خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف
عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان الله لا يظلم
مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم
يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل شروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال والانفس
اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد
بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا وغير ذلك مما لم يبحه الشرع اي لا يأكل
بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعي الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع ومن متعلقة بمحذوف
وقع صفة لتجارة اي الا ان تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في قوله اذا كان يوما ذا كوكب اشنعا اي
اذا كان اليوم يوما الخ او الا ان تكون الاموال اموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اي ولكن اقصد
وا كون تجارة عن تراض اي وقوعها او ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من بين سائر
اسباب الملك لكونها معظمها واغلبها وقوعا واوفقها لذوي المروات والمراد بالتراضي مراضاة المتبايعين
بما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي رح حالة الافتراق عن مجلس
العقد ولا تقتلوا انفسكم اي من كان من جنسكم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رح لا تقتلوا
اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او لا تهلكوا
انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي اليه فانه القتل الحقيقي لها كما يشعر به ايراده عقيب النهي عن اكل
الحرام فيكون مقررا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدي الى القتل
من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة ويؤيده ما روي عن عمرو بن العاص انه تأوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه
النبي عليه السلام وقرئ لا تقتّلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه
شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه
ان الله كان بكم رحيما تعليل للنهي بطريق الاستئناف اي مبالغا في الرحمة والرأفة ولذلك نهاكم عما نهى فان ذلك
رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي وللذين هم في معرض التعرض لهم بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان

بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتل انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف
الشاقة ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل خاصة او بما قبله من اكل الاموال والقتل وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتهما في الفساد عدوانا وظلما اي افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان
التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية اي متعديا
وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف نصليه جواب الشرط اي ندخله وقرئ بالتشديد
من صلّى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث
انه سبب للصلي نارا اي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب وكان ذلك اي اصلاؤه النار على الله يسيرا
لتحقق الداعي وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض
التذييلي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكر هاهنا وما لم يذكر وقرئ
كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم بنون العظمة على طريقة الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير
اماطة المستحق من العقاب بثواب زائد او بتوبة اي نغفر لكم سيئاتكم صغائركم ونمحها عنكم قال المفسرون الصلوة
الى الصلوة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنب الكبائر واختلف
في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع
وعن النبي عليه السلام انها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم
والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رض التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر
السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رض ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب
منها الى سبع وروي عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك
لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها
وما تحتها وبحسب فاعلها بل بحسب الاوقات والاماكن ايضا فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث
النفس وما بينهما وسائط يصدق عليه الامران فمن عن له امران منهما ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك
كفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتنابه الاكبر من الثواب وندخلكم مدخلا بضم الميم
اسم مكان هو الجنة كريما اي حسنا مرضيا او مصدر ميمي اي ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضا
يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون مدخلا او
دخولا كريما كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا
مسحت الخ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي عليكم ولعل ايثار الابهام عليه للتفادي
عن المواجهة بما يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس
عقبه بالنهي عما يؤدي اليه من الطمع في اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح ثم عن التعرض
لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم
من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة
عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلى كل احد من المفضل عليهم
ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم القدر المؤسس على الحكم
البالغة الا ان عد متخيرا له ولا لانه لو كان بخلافه لكان مفسدة له كما قيل اذ لا يساعده ما سيأتي
من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق بان المنهي عنه تمني نصيب الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا
هذا وقد قيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا
سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش منا فنزلت وهو لا يناسب

اي من يفعل ذلك

الآل المسحت المذهب المخلف
ما بقيت من بقية
منه

بتعليل النهي بقوله عز وجل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن فانه صريح في جريان التمني بين فريقي الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما عبر عنهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه اياه تاكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور وقوله تعالى واسألوا الله من فضله عطف على النهي وتوسيط بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيب المكتسب له واسألوا الله تعالى من خزائن نعمه التي لا نفاد لها وحذف المفعول الثاني للتعميم اي واسألوه تعالى ما تريدون فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اي واسألوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسألوا فضله وقد جاء في الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الاجر الاخروي وابقاء الاكتساب على حقيقته بجعل سببا لنزول ما روي ان ام سلمة رض قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا تتمن النساء خصوصية اجر الرجال وليسألن من خزائن رحمته تعالى ما يليق بحالهن من الاجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال ان الله كان بكل شيء عليما ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الابية ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتاكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي لكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما اضيف اليه اعني غير او لكل جعلنا موالي اي وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا منه على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى الوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي كانه قيل من هم فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما اشير اليه في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالي اذ لا يتناولهم الاقربون كما لا يتناول الوالدان والذين عقدت ايمانكم هم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولو الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة رح اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وقرئ عقدت بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وماسحتموهم وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعني قوله تعالى فآتوهم نصيبهم بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون وقوله تعالى فآتوهم الخ

جملة مبينة للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي ان الله كان على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع شهيدا ففيه وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء كلام مستأنف مسوق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان بعراقتهم في الاتصاف بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اي شأنهم القيام عليهن بالامر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلل بامرين موهبي وكسبي فقيل بما فضل الله بعضهم على بعض الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن او ملتبسين بتفضيله تعالى الخ ووضع البعض موضع الضميرين للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه اصلا ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كماله التي هي كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأي ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك وبما انفقوا من اموالهم الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة حذف عائدها من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اي وبسبب انفاقهم من اموالهم او بسبب ما انفقوه من اموالهم وهو ما انفقوه من المهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضي الله عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات شروع في تفصيل احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اي فالصالحات منهن قانتات اي مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اي لمواجب الغيب اي لما يجب عليهن حفظه في حالة غيبة الازواج من الفروج والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم واضافة المال اليها للاشعار بان ماله في حق التصرف في حكم مالها كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الآية بما حفظ الله ما مصدرية اي بحفظه الله تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اي بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف اي بالامر الذي حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اي تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض فعظوهن فانصحوهن بالترغيب والترهيب واهجروهن بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة في المضاجع اي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحاف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع واضربوهن اي ان لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن فان اطعنكم بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية اي فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه تعالى على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالى يكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وعدم التعرض لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يتحقق او يتعرض لتحققه فان الذي يتوقع منهن ويليق بشانهن لا سيما بعد ما كان من الزوج هو الاطاعة ولذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها وان خفتم شقاق بينهما تلوين وتوجيه له الى الحكام وارد على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه اعني عدم الاطاعة المؤدية للمخاصمة

والمدافعة اليهم والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الآخر واما لان كلا منهما في شق اي جانب غير شق الآخر والخوف ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس رض والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضميرا التثنية للزوجين وان لم يجر لهما ذكر لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجرائه مجرى المفعول به كما في قوله يا سارق الليلة او مجرى الفاعل كما في قولك نهاره صائم اي ان علمتم او ظننتم تأكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها فابعثوا اي الى الزوجين لاصلاح ذات البين حكما رجلا وسطا صالحا للحكومة والاصلاح من اهله اي من اهل الزوج وحكما آخر على صفة الاول من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من الاجانب جاز واختلف في انهما هل يلي الجمع والتفريق ان رأيا ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروي عن علي رض وبه قال الشعبي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يتخالعا اذا كان الصلاح فيه ان يريدا اي الحكمان اصلاحا اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى يوفق الله بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة والقى في نفوسهما المودة والرأفة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يفرض صدوره عنهما وان الذي يليق بشأنهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين في الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين اي ان ارادا اصلاح ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه وفقه الله لمبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا كلام مبتدأ مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والاقارب ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل التي هي آكد الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شأن حقوق الوالدين بنظمها في سلكها كما في سائر المواقع وشيئا نصب على انه مفعول اي لا تشركوا به شيئا من الاشياء صنما او غيره او على انه مصدر اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اي احسنوا بهما احسانا وبذي القربى اي بصاحب القرابة من اخ او عم او خال او نحو ذلك واليتامى والمساكين من الاجانب والجار ذي القربى اي الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذي القربى والجار الجنب اي البعيد او الذي لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب وقرئ الجار الجنب والصاحب بالجنب اي الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في مسجد او مجلس او غير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه وقيل هي المرأة وابن السبيل هو المسافر المنقطع به او الضيف وما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اي متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الاول وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويبخلون ويصنعون احقاء بكل ملامة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اي من المال والغنى او من نعوته صلى الله عليه وسلم التي بينها في التورية وهو انسب بامرهم الناس بالبخل بان احبارهم كانوا يكتمونها ويأمرون اعقابهم بكتمها واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافرا بنعمته تعالى فله عذاب يهينه كما

اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس اي للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين وانما شاركوهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق فيما لا ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز ان يكون العطف بناء على اجراء التغاير الوصفي مجرى التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الخ كأنه قيل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم مشركو مكة المنفقون اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اي فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بظهوره واستغنائه عن التصريح به والمراد به ابليس واعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم كما في قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي على من ذكر من الطوائف ابتغاء لوجه الله وانما لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الايمان بالله واليوم الآخر فانه يقتضي ان يكون الانفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اي وما الذي عليهم او اي تبعة ووبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤديهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الايمان بهما لاهميته في نفسه ولعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما تقديم انفاقهم رئاء الناس على عدم ايمانهم بهما مع كون المؤخر اقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم وامرهم الناس به وكان الله بهم وباحوالهم المحققة عليما فهو وعيد لهم بالعقاب او باعمالهم المفروضة فهو بيان لاثابته تعالى اياهم لو كانوا قد آمنوا وانفقوا كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على انه نعت للمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص او بمعنى وضع الشيء في غير موضعه اي لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب شيئا مقدار ذرة او على انه نعت للمصدر المحذوف نائب منابه اي لا يظلم ظلما مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة فان قلته في الثقل اظهر من قلة النملة فيه وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وان تك حسنة اي وان تك مثقال الذرة حسنة انث لتأنيث الخبر او لاضافته الى الذرة وحذفت النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على انه كان تامة يضاعفها اي يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما كأنهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ نضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة رض بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته صلى الله عليه وسلم يقول يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه فكيف محلها اما الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف واما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو رأي سيبويه او على التشبيه بالظرف كما هو مذهب الاخفش اي فكيف

حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم أو وكيف يصنعون إذا جئنا يوم القيامة من كل أمة من الأمم
بشهيد يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الأعمال وهو نبيهم كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا
ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الأمر وعظم الشأن أو الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا
وجئنا بك يا محمد على هؤلاء إشارة إلى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر شهيدا تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم
لاستجماع شرعك لمجامع قواعدهم وقيل إلى المكذبين المستفهم عن حالهم يشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد سائر
الأنبياء على أممهم وقيل إلى المؤمنين كما في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ
يود الذين كفروا وعصوا الرسول استئناف لبيان حالهم التي أشير إلى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف أريد
بهم المكذبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لا سيما بعد الإشارة إليهم بهؤلاء لذمهم بما في حيز
الصلة والإشعار بعلة ما اعتراهم من الفظيعة والأمر الهائل وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح
حال مكذبيه فإن حق الرسول أن يؤمن به ويطاع لا أن يكفر به ويعصى وإن أريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون
في زمرتهم دخولا أوليا والمراد بالرسول الجنس المنتظم للنبي صلى الله عليه وسلم انتظاما أوليا وأيا ما كان ففيه
من تهويل الأمر وتفظيع الحال ما لا يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه في الصلة والمراد
معاصيهم المغايرة لكفرهم ففيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير
كفروا وقيل صلة موصول آخر أي يود في ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول والذين كفروا
وقد عصوا الرسول ولو في قوله تعالى لو تسوى بهم الأرض إن جعلت مصدرية فالجملة مفعول ليود أي يودون
أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموتى وقيل يودون أنهم لم يبعثوا أو لم يخلقوا وكانوا هم والأرض سواء وقيل تصير
البهائم ترابا فيودون حالها وإن جعلت جارية على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه أي يودون
تسوية الأرض بهم وجواب لو أيضا محذوف إيذانا بغاية ظهوره أي لسروا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون الله
حديثا عطف على يودون أي ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أي يودون
أن يدفنوا في الأرض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين إذ روي أنهم
إذا قالوا ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الأرض وقرئ
تسوى على أنه أصله تتسوى فأدغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى
يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف عن
الإشراك به تعالى نهوا ههنا عما يؤدي إليه من حيث لا يحتسبون فإنه روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما
وشرابا حين كانت الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضوان الله عليهم فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت
صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه
للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي وتوجيه النهي إلى قربان الصلاة مع أن المراد هو النهي عن إقامتها للمبالغة
في ذلك وقيل المراد النهي عن قربان المساجد كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم
ويأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تقيموها في حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه
إذ بتلك التجربة يظهر أنهم يعلمون ما يقرؤونه في الصلاة وحمل ما تقولون على ما في الصلاة يستدعي تقدم
الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم على ما بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما تقرؤون في الصلاة
تطويل بلا طائل لأن تلك الحيثية إنما تظهر بما ذكر من التجربة على أن إيثار ما تقولون على ما تقرؤون حينئذ يكون عاريا
عن الداعي وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم وأيا ما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد
مرخصا بحاله بل إنما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا كأنه
قيل يا أيها الذين آمنوا لا تسكروا في أوقات الصلاة وقد روي أنهم كانوا بعدما نزلت الآية لا يشربون الخمر

في أوقات الصلاة فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ولا جنبا
عطف على قوله وأنتم سكارى فإنه في حيز النصب كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب من
أصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر إلا عابري سبيل استثناء
مفرغ من أعم الأحوال محله النصب على أنه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون الأولى
والعامل فيه فعل النهي أي لا تقربوا الصلاة جنبا في حال من الأحوال إلا حال كونكم مسافرين على معنى أن في حالة
السفر ينتهي حكم النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة على انتفاء
خصوصية البعض المنفي ولا على بقاء خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كليا ولا جزئيا فإن الاستثناء
لا يدل على ذلك عبارة نعم يشير إلى مخالفة حكم ما بعده لما قبله إشارة إجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية
لا في إثبات الأحكام الشرعية فإن ملاك الأمر في ذلك إنما هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة البيان وقيل هو
صفة لجنبا على أن إلا بمعنى غير أي لا جنبا غير عابري سبيل ومن حمل الصلاة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز
بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رح وعندنا لا يجوز ذلك إلا أن يكون الماء أو الطريق فيه وقيل
إن رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا إلا في المسجد فرخص لهم
ذلك حتى تغتسلوا غاية للنهي عن قربان الصلاة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للإيذان من أول
الأمر بأن حكم النهي في هذه الصورة ليس على الإطلاق كما في الصورة السكر تشويقا إلى البيان وروما لزيادة تقرره في الأذهان
وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن المصلي حقه أن يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وأن يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي
بأدنى مراتب التزكية عند إمكان أعاليها وإن كنتم مرضى شروع في تفصيل ما أجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم
المستثنى من الأعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له في حكم الترخيص للإشعار
بأنه العذر الغالب المبني على الضرورة التي يدور عليها أمر الرخصة كأنه قيل ولا جنبا إلا مضطرين وإليه يرجع
ما قيل من أنه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مطلقا
سواء كان ذلك لتعذر الوصول إليه أو لتعذر استعماله أو على سفر عطف على مرضى أي وإن كنتم على سفر ما طال
أو قصر وإيراده صريحا مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبيان الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته فإن الاستثناء
كما أشير إليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض عليه للإيذان بأصالته واستقلاله
بأحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه أو جاء أحد منكم من الغائط هو المكان الغائر
المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لأن المعتاد أن من يريده يذهب إليه ليواري شخصه عن أعين الناس
وإسناد المجيء منه إلى واحد مبهم من المخاطبين دونهم للتحاشي عن التصريح بنسبتهم إلى ما يستحيى منه أو يستهجن
التصريح به وكذلك إيثار الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل أو لامستم النساء على التصريح بالجماع
ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير إلى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبار أنفسهما بل باعتبار قيد
هما المستفاد من قوله تعالى فلم تجدوا ماء بل هو السبب في الحقيقة وإنما ذكرا تمهيدا له وتنبيها على أنه سبب
للرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كأنه قيل أو لم تكونوا مرضى أو مسافرين بل كنتم فاقدين للماء
بسبب من الأسباب مع تحقق ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع أنه معتبر في صورة المرض والسفر
أيضا لندرة وقوعه فيهما واستغنائهما عن ذكره أما لأن الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث
الأصغر بدلالة النص لأن تقدير النظم لا تقربوا الصلاة في حالة الجنابة إلا حال كونكم مسافرين فإن كنتم كذلك
أو كنتم مرضى إلخ وأما لما قيل من أن عموم إعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه
في حق المريض مغن عن ذكره لفظا وما قيل من أن هذا القيد راجع إلى الكل وأن قيد وجوب التطهر المكنى عنه بالمجيء
من الغائط والملامسة معتبر في الكل مما لا يساعده النظم الكريم فتيمموا صعيدا طيبا فتعمدوا شيئا من وجه الأرض

ظاهر قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح
لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة وعند الشافعي رحمهما الله لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب **فامسحوا
بوجوهكم وايديكم** اي الى المرفقين لما روي انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء
فيتقدر بقدره **ان الله كان عفوا غفورا** تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو
عن الخطائين ويغفر للمذنبين لا بد من ان يكون ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عنهما فان الترفيه والمسامحة من
روادف العفو وتوابع الغفران **الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب** كلام مستانف مسوق لتعجيب المؤمنين
من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتاتى منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه اليه مع ان توجيهه فيما
الى الكل معا للايذان بكمال شهرة شناعة حالهم وانها بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية
بصرية اي الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان تشاهدهم وتتعجب من احوالهم وتجويز كونها قلبية على ان الى لتضمين معنى
الانتهاء كما في قوله يأباه مقام تشهير شناعتهم ونظمها في سلك الامور المشاهدة والمراد بهم احبار اليهود وروي عن
ابن عباس رض انها نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا ياتيان راس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه يثبطانهم
عن الاسلام وعنه رضي الله عنهما ايضا انها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التورية وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاما
اوليا تطويل للمسافة وبالذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي
صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها
والمحافظة عليها للايذان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من
حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بمكان ما طوي ذكره في المعاملة
المحكية عنهم من الهدى الذي هو احد العوضين وكلمة من متعلقة اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيب
مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية اي نصيبا كائنا من الكتاب وقوله عز وجل **يشترون الضلالة**
قيل هو حال مقدرة من واو اوتوا ولا ريب في ان اعتبار تقدير اشترائهم المذكور في الايتاء مما لا يليق بالمقام وقيل
حال من الموصول اي الم تنظر اليهم حال اشترائهم الخ والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم انه استئناف مبين لمناط
التشنيع ومدار التعجب المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجمال والابهام مبني على سؤال نشأ منه كانه قيل ماذا يصنعون
حتى ينظر اليهم فقيل ياخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوي ذكر المتروك لغاية ظهور الامر
لا سيما بعد الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا
منه اخذا ناشئا عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها ان يعرض عنها كل الاعراض
واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم
ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد بالضلالة تجنيسها الحاصل
لهم من قبل حتى يحمل معنى الاشتراء المنبئ عن تاخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعدما
علموا بشأن النبي صلى الله عليه وسلم وتيقنوا بحقية دينه وانه هو النبي العربي المبشر به في التورية ولا ريب في ان
هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر تحقيقه في اوائل سورة البقرة **ويريدون** عطف على يشترون شريك له في بيان
محل التشنيع والتعجب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فان تجدد حكم اشترائهم المذكور
وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدد نفسه وتكرره اي لا يكتفون بضلال انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان
نعوته صلى الله عليه وسلم **ان تضلوا** انتم ايضا ايها المؤمنون **السبيل** المستقيم الموصل الى الحق **والله اعلم**
اي منكم **باعدائكم** جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن
مخالطتهم او هو اعلم بحالهم ومآل امرهم والجملة معترضة لتقرير ارادتهم المذكورة **وكفى بالله وليا** في جميع اموركم

ومصالحكم **وكفى بالله نصيرا** في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره ولا تبالوا بهم
وبما يسومونكم من السوء فانه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء مزيدة في فاعل كفى لتاكيد الاتصال
الاسنادي بالاتصال الاضافي وتكرير الفعل في الجملتين مع اظهار الجلالة في مقام الاضمار للاشباع في التقوية
استقلالهما المناسب للاعتراض وتاكيد كفايته عز وجل في كل من الولاية والنصرة والاشعار بعليتهما فان الالوهية
من موجباتهما لا محالة **من الذين هادوا** قيل هو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص
علمه سبحانه بطائفة من اعدائهم لا سيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم والاطلاق وانتظام ما هو المقصود
في المقام انتظاما اوليا كما اشير اليه وقيل هو صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كما اشير اليه كما في قوله تعالى
فمن ينصرني من الله وفيه من تحجير واسع نصرته عز وجل مع انه لا داعي الى وضع الموصول موضع ضمير الاعداء
لان ما في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وقع قوله تعالى **يحرفون الكلم
عن مواضعه** صفة له اي من الذين هادوا قوم او فريق يحرفون الخ وفيه انه يقتضي كون الفريق السابق بمعزل
من التحريف الذي هو المصداق لاشترائهم في الحقيقة فالذي يليق بشأن التنزيل الجليل انه بيان للموصول الاول المتناول
بحسب المفهوم لاهل الكتابين وقد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجب والمسارعة الى تنفير
المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى
يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور وتفصيل لفنون ضلالهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير
بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال روما لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده الكلمة كلبنة ولبن وتذكير
ضميره باعتبار افراده لفظا وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة
تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به ههنا اما ما في التورية خاصة واما ما هو اعم منه ومما يحكى عنهم
من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مساغ لارادة تلك الكلمات
خاصة بان يجعل عطف قوله تعالى **ويقولون سمعنا وعصينا** الخ على ما قبله عطفا تفسيريا لما ستقف على سره فان
اريد به الاول كما هو رأي الجمهور فتحريفه ازالته عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التورية كتحريفهم في نعت النبي صلى الله
عليه وسلم اسمر ربعة عن موضعه في التورية بان وضعوا مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد او صرفه
عن المعنى الذي انزله الله تعالى فيه الى ما لا صحة له بالتاويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني
فلا بد من تفسير مواضعه بما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع ما في التورية او بتعيين العقل
والدين كمواضع غيره واياما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي ان يجري على اطلاقه من غير تقييد بزمان او مكان ولا تخصيص
بمادة دون مادة بل ان يحمل على ما هو اعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به
السنة حالهم عند تحريف التورية فان من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل هذه الجناية ولا تخصه على ما قالوه
في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم من القبائح خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية الآتية وما بعدها بهن من غير
تعرض لتحريفهم التوراة مع انه معظم جناياتهم المعدودة ومن ههنا انكشف لك السر الموعود فتامل اي يقولون في كل امر
مخالف لاهوائهم الفاسدة سواء كان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم او لا بلسان المقال او الحال سمعنا وعصينا
عنادا وتحقيقا للمخالفة وقوله تعالى **واسمع غير مسمع** عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول اي يقولون
ذلك في اثناء مخاطبته صلى الله عليه وسلم خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع حال كونك
غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت اي مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه فح يجوز ان يكون نصبه
على المفعولية وللخير بان يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء
به مظهرين له عليه السلام ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به **وراعنا**
عطف على اسمع غير مسمع اي يقولون في اثناء خطابهم له صلى الله عليه وسلم هذا ايضا يوردون كلاما من العظائم

الثلث

في موقعها وهو ايضا كلمة ذات جهتين محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا او انتظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اي الحمق او باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا كانوا يخاطبون عليه السلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام ومصيرهم الى مسلك النفاق في القولين الاخيرين مع تصريحهم بالعصيان في الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء وقيل كانوا يقولون الاول فيما بينهم وقيل يجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به ليا بالسنتهم اي فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير وطعنا في الدين اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلية ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه الى السب والطعن في الدين او على الحالية اي لاوين وطاعنين في الدين ولو انهم عند ما سمعوا شيئا من اوامر الله تعالى ونواهيه قالوا بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا انما اعيد سمعنا مع انه متحقق في كلامهم وانما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم حكايته اعلام ان عصيانهم للشرع بسماعه والوقوف عليه فلا بد من ازالته واقامة سماع القبول مقامه واسمع اي ما نقول عند مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم بدل قولهم اسمع غير مسمع وانظرنا اي ولو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا اي لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال لكان قولهم ذلك خيرا لهم مما قالوا واقوم اي اعدل واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وانما قدم في البيان حال النسبة اليهم على حاله في نفسه لان همهم مقصورة على ما ينفعهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك فلا يؤمنون بعد ذلك الا قليلا قيل اي الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل وقيل الا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بايمان قطعا وقد يجوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي ان كان الايمان المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال وانت خبير بان الكل يأباه ما يعقبه من الامر بالايمان بالقرآن الناطق بهذا لافضائه الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعدم ايمانهم المستمر اما على الوجه الاخير فظ واما على الاولين فلان امرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بايمانهم بعدم ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم الى وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لاقتضائه وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القرآن الى الاتفاق على غير المختار بل يجعله ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام واضرابه كما سيأتي يا ايها الذين اوتوا الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له الى من حكيت احوالهم واقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب اي التورية واخرى بايتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حظه فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة وازالة ما اوتوه بمقابلتها بالتحريف وليس ما ازالوه كلها حتى يوصفوا بايتائه بل هو بعضها فوصفوا بايتائه واما هنا فالمقصود تأكيد ايجاب الامتثال بالامر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب الايمان بما يصدقه والكفر بالثاني

متضمن للكفر بالاول قطعا ولا ريب في ان الحذر وتوعدهم اعمال لزوم الكفر بالتورية نفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقا للكل بها وان كان مناط التصديق بعضا منها ضرورة ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما واما اليهم والى غيرهم قاطبة وهو الاظهر ولما كان تفصيل ما فصل مما كان من مظان اقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلال لتعقب ذلك بالامر بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل آمنوا بما نزلنا من القرآن عبر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لكونه من عنده عز وجل مصدقا لما معكم من التورية عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان المعية المستدعية لدوام تلاوتها وتكرر المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكون القرآن مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي من قبل ان نطمس وجوها متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال به والجد في الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه وآكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان ذلك امر محقق غني عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي ابهامها لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الايمان واصل الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اي آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رض نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله تعالى فطمسنا اعينهم وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها واقفائها مطموسة مثلها فالفاء للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها وقد اكتفي بذكر اشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارا وادبارا او نردهم من حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجمع فالوجه مطلق من الوجوه وقد اختلف في ان الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا او في الآخرة فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي ان عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفائي وفي رواية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي ان عمر رض قرأ هذه الآية على كعب الاحبار فقال كعب يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد ولا بد من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه ان انصراف العذاب الموعود عن اوائلهم وهم الذين باشروا اسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوها وفي التورية فحرفوها واصروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعد مئات من السنين من اعقابهم الضالين باضلالهم العاملين بما مهدوا من قوانين الغواية بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان وقد آمن بعض احبارهم المذكورين واضرابهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم ان لم يكن سببا لتأكد نزول العذاب على الباقين لتشديدهم الكبير والعناد بعد انقياد الحق وضوحا وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول فلا اقل من ان لا يكون سببا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت

فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ
ليس بعزيز البتة وانت خبير بان المتبادر من اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس
والرد على الادبار شائبة دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة انه تغيير مغاير لما عطف عليه على ان المتوعد به لا بد ان
يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد محذورا عندهم ليكون مزجرة عن مخالفة الامر ولم يعهد انه قد وقع عليهم لعن
بهذا الوصف غير الواقع عليهم ما تداولته الالسنة من اللعن المستمر الذي لا نحو وهو بمعزل عن صلاحية ان يكون حكما
لهذا الوعيد او مزجرة للعنيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة احد
الامرين او كلاهما على سبيل التوزيع واما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب رضي الله عنهما فمبني على الاحتياط
اللائق بشأنهما والحق ان النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول لانه ادخل
في الزجر وعليه مبنى ما روي عن الحبرين لكن لما لم يقع وقوعه علم ان المراد هو الثاني والله تعالى اعلم وايا ما كان
فلعل السر في تخصيص هذه العقوبة من بين العقوبات مراعاة المشاكلة بينها وبين ما اوجبها من جناياتهم
التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير وكان امر الله اي ما امر به كائنا ما كان او امره بايقاع شيء ما
من الاشياء مفعولا نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدتم دخولا اوليا فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما
سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض
من الاستقلال ان الله لا يغفر ان يشرك به كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتاكيد
وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف
ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى اي
على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص
على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل
وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه
له اصلا لانه يقتضي جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة
والايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي الى فتحه ولان ظلمات
الكفر والمعاصي انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون
ذلك عطف على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للايذان ببعد درجته
وكونه في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا
من غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل لمن يشاء اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه فانه يغفر
لمن اتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة
المعاصي من غير توبة باهل الايمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين
وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب فقد ضل سبيل الصواب كيف لا وان مساق النظم
الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان
الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر
والطغيان والحمل على التوبة والايمان ومن يشرك بالله اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك
وتفظيع حال من يتصف به فقد افترى اثما عظيما اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه
جميع الآثام فلا يتعلق به المغفرة قطعا الم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر
والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل

ما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم
العظيم او من ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر للكافر شيء من كفره او معاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء
بنفسه وبعمله بل الله يزكي من يشاء عطف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة
لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن يستاهلها من المرتضين من عباده المؤمنين
انه هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح
واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول ولا يظلمون عطف على جملة قد حذفت تعويلا على دلالة
الحال عليها وايذانا بانها غنية عن الذكر اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب
فتيلا اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل التقرير
يثاب المزكون ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا يساعده مقام الوعيد انظر كيف يفترون على الله الكذب
كيف نصب اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون وبه
يتعلق على اي في اي حال او على اي حال يفترون على الله تعالى الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وكمال
فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر متعلق بهما وهو تعجيب اثر تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه
متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه
فان ادعاء الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضاءه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون هذا
اشنع من الاول جرما واعظم قبحا لما فيه من نسبته سبحانه الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه
لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتاكيدا للتعجيب والتصريح
بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه
تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى
كفى ذلك وحده في كونهم اشد اثما من كل كفار واثيم او في استحقاقهم لاشد العقوبات لما مر مرارا وجعل الضمير
لزعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل امر الافتراء فتدبر الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب تعجيب
من حال اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من ايتاء النصيب لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله عز وجل
يؤمنون بالجبت والطاغوت استئناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل
ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون بالجبت والاصنام وكل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو
الذي لا خير عنده فابدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان وقيل يطلق لكل
كل ما يطاع الانسان روي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف خرجا الى مكة في سبعين راكبا من
اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينه وبينهم عليه
السلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم
ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب
انت تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يأمر
بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك
العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا فذلك قوله تعالى ويقولون للذين كفروا اي لاجلهم وفي حقهم
هؤلاء يعنونهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اي اقوم دينا وارشد طريقا وايراد المؤمنين بعنوان الايمان
ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين باقبح القبائح
اولئك اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى الذين لعنهم الله اي ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستأنفة لبيان حالهم واظهار

مصيرهم ومآلهم ومن يلعن الله اي يبعده عن رحمته فلن تجد له نصيرا يدفع عنه العذاب دنيويا كان او اخرويا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل احد يتسنى له الخطاب وتوحيد النصير منكرا والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المنبئ عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي بالكلية ما لا يخفى أم لهم نصيب من الملك شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم وتخطئة بخلهم المفرط وشحهم البالغ والهمزة لانكار ان يكون لهم ما يدعونه وابطال ما زعموا ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى فاذا لا يؤتون الناس نقيرا بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب انهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا شيئا من ذلك لما اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتي الملك ان يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف اي ان جعل لهم نصيب منه فاذن لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما في ظهر النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم واذا كان شأنهم كذلك وهم ملوك فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان لا يكون الهمزة لانكار الوقوع بل لانكار الواقع والتوبيخ عليه اي لعدة منكم غير لائق بالوقوع على ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى ألهم نصيب وافر من الملك حيث كانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع ذلك نقيرا كما تقول لغني لا يراعي اباه ألك هذا القدر من المال فلا تنفق على ابيك شيئا وفائدة اذن تأكيد الانكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهي ملغاة عن العمل كأنه قيل فلا يؤتون الناس اذن وقرئ فاذن لا يؤتوا بالنصب على اعمالها أم يحسدون الناس منقطعة ايضا مفيدة للانتقال عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل واقبحها لا سيما على ما هم بمعزل من استحقاقه واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وحمله على الجنس ايذانا بحيازتهم للكمالات البشرية قاطبة فكأنهم هم الناس لا غير لا يلائمه ذكر حديث آل ابراهيم فان ذلك لتذكير ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه فانهم كانوا يطمعون ان يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم اي بل ايحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب وازديادا العز والنصر يوما فيوما وقوله تعالى فقد آتينا تعليل للانكار والاستقباح والزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما اوتي من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرا عن كابر واجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد عليه السلام وابناء اعمامه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم مع ذلك ملكا عظيما لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته عليه السلام ويحسدونه على ايتائها وتكرير الايتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة فان اريد بالايتاء بالذات فالمراد بآل ابراهيم انبياء ذريته عليهم السلام خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف وبطريق الاستخدام لما ان الملك لم يؤت كلهم قال ابن عباس رضي الله عنه الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وان اريد به ما يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة وهو اللائق بالمقام والاوفق لما قبله من نسبة ايتاء الفضل الى الناس فالمراد بآل ابراهيم كلهم فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك تشريف للكل لاغتنامهم بآثاره واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي من تأكيد الالزام وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جهور ائمة التفسير لكن الظاهر ان يكون قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب وقوع المحكي من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له

الكلام اي فمن جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما اوتي آل ابراهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضميرين لما ذكر من حديث آل ابراهيم فيستدعي تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور واعراضهم عنه بصيغة الماضي انما يتصور بعد وقوع الايمان والاعراض من المتأخرين عن نزوله وكذا جعلهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الفاء لترتيب بيان حالهم بعد هذا الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يلائم الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان تكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليلا له بدلالته على اعراضهم عما اوتي آل ابراهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كأنه قيل بل ايحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم المستمر فانا قد آتينا آل ابراهيم ما آتيناهم فمنهم اي من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه اعلم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها ان الذين كفروا بآياتنا ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالآيات اما القرآن او ما يعم كله وبعضه او ما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس المتناول لهم تناولا اوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء عليهم السلام سوف نصليهم نارا قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد تذكران في الوعد فيفيدان التأكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة كلما نضجت جلودهم اي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه بدلناهم جلودا غيرها من قبيل بدله بخوفه امنا لا من قبيل يبدل الله سيئاتهم حسنات اي اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق ليعود احساسه للعذاب والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارا على حذف العائد اي كلما نضجت جلودهم فيها ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة ادراكها قال ابن عباس رضي الله عنه يبدلون جلودا بيضاء كامثال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال للقارئ اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها يبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان ان احساسهم بالعذاب في كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا يدخله نقصان بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او للتنبيه على شدة تأثيره من حيث ان القوة الذائقة اشد الحواس تأثيرا وعلى سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد ان يكون مصونة عن التألم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه احد حكيما يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان الالوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلا لمساءة الاولين ومسرة الآخرين اي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضياتها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم الجليل والسين تأكيدا للوعد خالدين فيها ابدا حال مقدرة من الضمير المنصوب في

سندخلهم وقوله عز وعلا لهم فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة البدنية والادناس
الطبيعية في محل النصب على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او على انه صفة لجنات بعد صفة
او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا ظليلا اي فينانا لا جوب فيه دائما لا تنسخه الشمس اللهم
اذقنا ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتاكيد كما في ليل اليل ويوم
ايوم وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على انه غير الادخال الاول بالذات بل بالعنوان كما في قوله تعالى
ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتاكيد وجوب
الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشانه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات
تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان
ورد في شان عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل
مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رض يده واخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم
وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا
ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان رضي الله عنه اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله
في شانك قرآنا فقرا عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فهبط جبريل عم
واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة بالتوحيد والمراد الجنس
لا المعهود وقيل هو امر للولاة باداء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها الى مستحقيها كما ان قوله تعالى
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى اصحابها وحيث كان المامور
به هنا مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المامور به اولا فانه لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا
فقوله تعالى ان تحكموا عطف على ان تؤدوا وقد فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين ولمقدر يدل
هو عليه عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي وان تحكموا اذا حكمتم الخ وقوله تعالى بالعدل
متعلق بتحكموا او بمحذوف وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالعدل والانصاف ان الله نعما يعظكم به ما اما
منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص
بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون
والجملة مستانفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم
الجليل لتربية المهابة ان الله كان سميعا لاقوالكم بصيرا بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر
آنفا فان فيه تاكيدا لكل من الوعد والوعيد يا ايها الذين آمنوا بعد ما امر الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص
باداء الامانات والعدل في الحكومات امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة
رسوله صلى الله عليه وسلم اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء
الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول عليه السلام
في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
ويأباه قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه الا ان يجعل الخطاب
لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء لترتبها على ما قبلها فان بيان حكم طاعة اولي الامر عند
موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يستدعي بيان حكمها عند المخالفة اي ان اختلفتم انتم
واولو الامر منكم في امر من امور الدين فراجعوا الى كتاب الله والرسول اي الى سنته وقد استدل به منكرو القياس وهو

في الحقيقة دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعني
بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان الاحكام
ثلثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر متعلق
بالامر الاخير الوارد في محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين
ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه الخ فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان
بالله تعالى فظاهر واما الايمان باليوم فلما فيه من العقاب على المخالفة ذلك اي الرد المامور به خير لكم واصلح
واحسن في نفسه تاويلا اي عاقبة ومآلا وتقديم خيريته لهم على احسنيته في نفسه لما مر من تعلق انظارهم بما ينفعهم
والمراد اتصافه في نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه
في اصل الخيرية والحسن كما ينبئ عنه التحذير السابق الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك تلوين
للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجيبا له من حال الذين يخالفون ما مر من الامور المحتوم
ولا يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء الايمان بالقرآن وبما انزل من قبله اعني التورية لتاكيد التعجيب
وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء
للفاعل وقوله عز وجل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت استئناف سيق لبيان محل التعجب مبني على
سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الخ روي عن ابن عباس رض ان منافقا
خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب رض فقال اليهودي
قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق اهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى
اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض
بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت فهبط جبريل عم وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انت الفاروق فالطاغوت كعب بن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير النبي صلى الله
عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم
وعن الشعبي ان المنافق دعا خصمه الى كاهن في جهينة فتحاكما اليه وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل
بين بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبي صلى الله عليه وسلم وابى المنافقون منهم الا
التحاكم الى ابي بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار في معرض التعجيب والاستقباح على ذكر
ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضى منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت
الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتورية فانهم كما يقتضي كونهم من
منافقي اليهود ويقتضي كونه ما صدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الايمان بالتورية وليس التحاكم
الى كعب بن الاشرف بهذه المثابة من الظهور وايضا فالمتبادر من قوله تعالى وقد امروا ان يكفروا به
كونهم مامورين بكفره في الكتابين وما ذاك الا الشيطان واولياؤه المشهورون بولايته كالكهنة ونظائرهم
لا من عداهم ممن لا يشتهر بذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لتاكيد التعجيب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله تعالى
ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم التعجيب فان اتباعهم
لمن يريد اضلالهم واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجب وضلالا اما مصدر للفعل المذكور بحذف الزوائد
كما في قوله تعالى وانبته الله نباتا حسنا اي اضلالا بعيدا واما مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بالمذكور

اي يضلون ضلالا واياما كان فوصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله تعالى واذا قيل لهم
تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول تكملة لمادة التعجيب ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الى كتاب الله
تعالى ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الى الطاغوت وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام
الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت بالة اصلها بالية كعافية وكما قالوا في آية ان اصلها آيية فحذفت اللام
ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل مكة للمرأة تعالي بكسر اللام وعليه قول
ابي فراس الحمداني. ايا جارتي ما انصف الدهر بيننا. تعالي اقاسمك الهموم تعالي. رأيت المنافقين اظهار المنافقين
في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى يصدون
عنك حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والاول هو الانسب لظهور حالهم وقوله تعالى
صدودا مصدر مؤكد لفعله اي يعرضون عنك اعراضا واي اعراض وقيل هو اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر
انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للمتعدي يقال صد عنه صدودا اي اعرض عنه وصده عنه صدا اي
منعه منه وقوله تعالى فكيف شروع في بيان غائلة جناياتهم المحكية ووخامة عاقبتها اي كيف حالهم اذا اصابتهم
مصيبة اي وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا
من الجنايات التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك ثم جاؤك للاعتذار عما صنعوا من
القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراهم من شدة الامر عند اصابة
المصيبة وعند المجيء للاعتذار يحلفون بالله حال من فاعل جاؤك ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اي ما اردنا
بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك فلا
تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار
وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا اي ما اراد صاحبنا المقتول
بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه اولئك اشارة الى المنافقين وما فيه من معنى
البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدأ خبره الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي من فنون الشرور
والفسادات المنافية لما اظهروا لك من الاكاذيب فاعرض عنهم جواب شرط محذوف اي اذا كان حالهم كذلك
فاعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم
حتى يبقوا على وجل وحذر وعظهم اي ازجرهم عن النفاق والكيد وقل لهم في انفسهم في حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم
المطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى او في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها في السر
انجع قولا بليغا مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالامر
وقيل متعلق ببليغا على رأي من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا
في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال والايذان
بان ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب لاشد العقوبات
وانما هذه المكافة والتأخير لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا الشقاق وبرزوا باشخاصهم
من نفق النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله كلام
مبتدأ جيء به تمهيدا لبيان خطائهم في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها بالتوبة اي وما ارسلنا
رسولا من الرسل لشيء من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه
لانه مؤد عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصية الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
او بتيسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم وعرضوها للعذاب على عذاب النفاق وترك
طاعتك والتحاكم الى غيرك جاؤك من غير تأخير كما يفصح عنه تقديم الظرف متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم

القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناياتهم بالقصد الى سترها بالاعتذار الباطل والايمان الفاجرة
فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى واستغفرت
لهم وانما قيل واستغفر لهم الرسول على طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته في حيز القبول لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه مبالغا في
قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى توابا حالا ورحيما بدلا منه
او حالا من الضمير فيه واياما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين في المسارعة الى التوبة والاستغفار وبد
تنبيه لهم ولكل مذنب على ان ما صنعوا من المسالكة لا يكون الا بشرط قبول التوبة وحصول الرحمة ومساعدتهم
بمقتضاه على ما صنعوا موجبة لكمال الرغبة في تحصيلها وقام القسم على قوله فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة
لتأكيد معنى القسم لا لتأكيد النفي في جوابه اعني قوله تعالى لا يؤمنون لانها تزاد في الاثبات ايضا كما في قوله
تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم ونظائره حتى يحكموك اي يتحاكموا اليك ويترافعوا اليك وانما جيء بصيغة
التحكيم مع انه عليه السلام حاكم بامر الله سبحانه ايذانا بان حقهم ان يجعلوه عليه السلام حكما فيما بينهم
ويرضوا بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق فيما شجر بينهم اي فيما اختلف بينهم من الامور
واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اي فتقضي بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت اي مما قضيت به او من قضائك وقيل شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره
ويسلموا اي ينقادوا لامرك ويذعنوا له تسليما تأكيد للفعل بمنزلة تكريره اي تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم
يقال سلم لامر الله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة اي ينقادوا
لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير ورجل
من الانصار حين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام
اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصاري وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك
كان قد اشار على الزبير برأي فيه سعة له وللخصم فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير
حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن
يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم
الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين
الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني
محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي فنزل في شأن هؤلاء ولو
انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل
من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا
في معنى امرنا ما فعلوه اي المكتوب المدلول عليه بكتبنا او احد مصدري الفعلين الا قليل منهم اي الا اناس
قليل وهم المخلصون من المؤمنين وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي
لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب
على الاستثناء او الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول عليه السلام وطاعته
والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد و
الوعيد لكان اي فعلهم ذلك خيرا لهم عاجلا وآجلا واشد تثبيتا لهم على الايمان وابعد من الاضطراب فيه

او اشد تثبيتا لثواب اعمالهم واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا
يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لآتيناهم فان اذن جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما
يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
ومن يطع الله والرسول كلام مستانف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها
اقصى ما ينتهي اليه همم الامم وارفع ما يمتد اليه اعناق عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا
متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام
والامتثال الكامل لجميع الاوامر والنواهي فاولئك اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد
في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب في الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم
في الشرف وهو مبتدأ خبره مع الذين انعم الله عليهم والجملة جواب الشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار
بقصور العبارة عن تفصيله من النبيين بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام
مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لجريان ذكرهم في سبب النزول مع الاشارة الى ان طاعته
عليه السلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال
الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله
بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي واني لاذكرك وانا في اهلي فياخذني مثل
الجنون حتى اراك وذكرت موتي وانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك
فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب له
عليه السلام قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت
وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت
الجنة كنت في منزل دون منزلتك وان لم ادخل فذلك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي
ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وروي ان انسا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما
ولما يلحق بهم قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب والصديقين اي المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق
والاخلاص في الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام واماثل خواصهم المقربين كابي بكر
الصديق رض والشهداء الذين بذلوا ارواحهم في طاعة الله تعالى واعلاء كلمته والصالحين الصارفين
اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة
بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة وحسن
اولئك رفيقا الرفيق الصاحب ماخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا فان جعل
اولئك اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا فرفيقا اما تمييز او حال على معنى
انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين او حال كونهم رفقاءهم وافراده لما انه كالصديق والخليط
والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين
فهو تمييز على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الوجه
الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا
ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين ذلك اشارة الى ما للمطيعين من عظم الاجر ومزيد الهداية

ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته
في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى الفضل صفته وقوله تعالى من الله خبره اي ذلك الفضل العظيم من الله
تعالى لا من غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اي ذلك الذي
ذكر فضل كائنا من الله تعالى لا ان اعمال المكلفين توجبه وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل
واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر كالاثر والاثر والشبه والشبه اي تيقظوا
واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي
يقي بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم اي استعدوا للعدو فانفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها
اي اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم ثبات جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها في الاصل فعلة
كحطمة حذفت لامها وعوض عنها تاء التانيث وهل هي واو او ياء فيه قولان قيل انها مشتقة من ثبا يثبو كحلا
يحلو اي اجتمع وقيل من ثبيت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا
لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية اي انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية او انفروا جميعا اي
مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اي ليتثاقلن وليتخلفن
عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين منهم
والمنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او ليبطئن غيره ويثبطنه من بطأ منقولا
من بطؤ كثقل من ثقل كما بطأ ابن ابي ناسا يوم احد والاول انسب لما بعده واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم
ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن
والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ فرحا بصنعه
وحامدا لرأيه قد انعم الله علي اي بالقعود اذ لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا في المعركة فيصيبني ما اصابهم
والفاء في الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما ان نفس التبطئة
مستدعية لشيء ينتظر المبطئ وقوعه ولئن اصابكم فضل كفتح وغنيمة من الله متعلق باصابكم او بمحذوف
وقع صفة لفضل اي فضل كائن من الله تعالى ونسبة اصابة الفضل الى جناب الله تعالى دون اصابة المصيبة
من العادات الشريفة التنزيلية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها
لمقصدهم اوفق واثر نفاقهم فيها اظهر ليقولن ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته
وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من وقوله تعالى كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض وسط بين القول
ومقوله الذي هو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما لئلا يتوهم من مطلع كلامه ان تمنيه المعية للمؤمنين
لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال كما ينطق به آخره وليس اثبات المودة
في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن اي ليقولن مشبها بمن لا مودة
بينكم وبينه وقيل هي داخلة في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المؤمنين كان لم تكن
بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستصحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم
وغرضه القاء العداوة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأكيدها وكان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان
وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا لمطلق التنبيه على الاتساع وقوله
تعالى فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي فانا افوز في ذلك الوقت او على انه
معطوف على كنت داخل معه تحت التمني فليقاتل في سبيل الله قدم الظرف على الفاعل للاهتمام به
الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة اي يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر اي ان بطأ هؤلاء
عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة

وهم المسلمون فالفاء للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبط والنفاق وليتعقبوه بالقتال في سبيل الله
ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه بنون العظمة التفاتا اجرا عظيما لا يقادر قدره
وتعقيب القتال باحد الامرين للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحدى الحسنيين ولا يخطر بباله القسم
الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه في استتباع الاجر روى ابو هريرة رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال تكفل الله تعالى لمن جاهد في سبيله لا يخرجه الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخل الجنة او يرجعه
الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة وما لكم خطاب للمامورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة
في التحريض عليه وتاكيدا لوجوبه وهو مبتداء وخبر وقوله عز وجل لا تقاتلون في سبيل الله حال عاملها ما في الظرف
من معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفي اي اي شيء لكم غير مقاتلين اي لا عذر لكم في ترك المقاتلة والمستضعفين
عطف على اسم الله اي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف
المضاف اي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص
ضعفة المؤمنين من ايدي الكفرة اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين
او حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة بصد المشركين او لضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر
الولدان معهم تكميلا للاستعطاف واستجلاب الرحمة وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان
لارغام آبائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع الى الله
تعالى كل ذلك للمبالغة في الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء اذ يقال لهما الوليد والوليدة
وقد غلب الذكور على الاناث فاطلق الولدان على الولائد الذين محله الجر على انه صفة للمستضعفين او لما
في حيز البيان او النصب على الاختصاص يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها بالشرك وبظلم
عظيم وباذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول
اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتانيث بحسب ما عمل فيه واجعل لنا من لدنك وليا
كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز
الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع
الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة الى ابراز
كون المسئول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز ان يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت عليه لكونه
نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى واجعل لنا من لدنك نصيرا قال ابن عباس رض اي ول علينا واليا من المؤمنين
يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب الله عز وجل دعاءهم
حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي واعز ناصر ففتح مكة على يدي نبيه صلى الله عليه
وسلم فتولاهم اي تولى ونصرهم اي نصرة ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل
المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقيه للمبالغة في التضرع
والابتهال الذين يقاتلون في سبيل الله كلام مبتداء سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم آمنوا م
بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اي المؤمنون انما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم الى الله عز
وجل وفي اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي فيما يوصلهم
الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان لبيان استتباع ما قبلها لما
بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على ان ذلك نتيجة لقتالهم في سبيل الشيطان والاشعار بان المؤمنين
اولياء الله لما ان قتالهم في سبيله وكل ذلك لتاكيد رغبة المؤمنين في القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية
الله تعالى علم في العزة والقوة كما ان ولاية الشيطان مثل في الذلة والضعف كانه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا

يا اولياء الله اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقال ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي في حد ذاته فكيف بالقياس
الى قدرة الله عز وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا بظهورها قالوا فائدة ادخال كان في امثال
هذه المواقع التاكيد ببيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان كان موصوفا بالضعف
الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من احجامهم عن القتال مع انهم كانوا
قبل ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه قال الكلبي ان جماعة من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد
بن ابي وقاص الزهري رض كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة اذى شديدا فيشكون ذلك الى النبي صلى الله
عليه وسلم ويقولون ائذن لنا في قتالهم ويقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة فاني لم اومر بقتالهم وبناء القول للمفعول مع ان القائل هو النبي صلى الله عليه وسلم
للايذان بكونه بامر الله سبحانه ولان المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب انما هو كمال رغبتهم في القتال
وكونهم بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما ذكر في حيز الصلة الامر بكف الايدي لتحقيقه وتصويره على طريقة
الكناية فلا يتعلق ببيان خصوصيته غرض وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن
لا شكا في الدين ولا رغبة عنه بل نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة وذلك قوله
تعالى فلما كتب عليهم القتال وهو عطف على قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائي اذ به يتحقق التباين
بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور امر التعجيب كانه قيل الم تر الى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب
عليهم كرهوه وقوله تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس جواب لما على ان فريق مبتداء ومنهم متعلق بمحذوف وقع
صفة له ويخشون خبره وتصديره باذا المفاجاة لبيان مسارعتهم الى الخشية آثر ذي اثير من غير تلعثم وتردد
اي فاجاء فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب الى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم
للايذان بانه ما كان ينبغي ان يصدر عن احدهم ما ينافي حالتهم الاولى وقوله تعالى كخشية الله مصدر مضاف
الى المفعول محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اي يخشونهم مشبهين لاهل خشية الله تعالى وقوله تعالى
او اشد خشية عطف عليه بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله او على انه مصدر مؤكد على جعل الخشية
ذات خشية مبالغة كما في جد جده اي يخشونهم خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وايا من خشية م
ما كان فكلمة او اما للتنويع على معنى ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم اشد منها واما للابهام
على السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يبصرهم يقول انهم مائة الف
او يزيدون وقالوا عطف على جواب لما اي فلما كتب عليهم القتال فاجاء فريق منهم خشية الناس وقالوا ربنا لم
كتبت علينا القتال في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريق تمني
التخفيف لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر حذرا عن الموت وقد يجوز
ان يكون هذا مما نطقت به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا قل اي تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود
من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي متاع الدنيا اي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا
قليل سريع التقضي وشيك الانصرام وان اخرتم الى ذلك الاجل والآخرة اي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط
بالقتال خير اي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل لمن
اتقى حثا لهم على اتقاء العصيان والاخلال بموجب التكليف ولا تظلمون فتيلا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
اي تجزون فيها ولا تنقصون ادنى شيء من اجور اعمالكم التي من جملتها مساعيكم في شان القتال فلا ترغبوا عنه
والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة وقرئ يظلمون بالياء اعادة للضمير الى

ظاهرين أينما تكونوا يدرككم الموت كلام مبتدا مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب فصرفه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المخاطبين اعتناء بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شان الآخرة بواسطته
عليه الصلوة والسلام فلا محل له من الاعراب او في محل النصب داخل تحت القول المامور به اي اينما تكونوا في الحضر
والسفر يدرككم الموت الذي لاجله تكرهون القتال زعما منكم انه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم انه
منجاة منه وفي لفظ الادراك اشعار بانهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما
في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على اعتبار وقوع اينما كنتم في اينما تكونوا او على انه كلام مبتدء
واينما تكونوا متصل بلا تظلمون اي لا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك
الخطوب ولو كنتم في بروج مشيدة في حصون رفيعة او قصور محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال
شاد البناء واشاده وشيده رفعه وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما في قصيدة شاعرة
ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه
اي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على اخرى مثلها اي لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم الخ
وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع فلان يتحقق
عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو الوصلية وان الوصلية من التاكيد والمبالغة وقد مر
تحقيقه في تفسير قوله تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من
عند الله كلام مبتدا جيء به عقيب ما حكي عن المسلمين لما بينهما من المناسبة في اشتمالهما على اسناد ما يكرهونه
الى بعض الامور وكراهتهم له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين روي انه كان قد بسط عليهم الرزق
فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم الى الايمان فكفروا امسك عنهم بعض الامساك فقالوا
ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل واصحابه وذلك قوله تعالى وان تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك اي وان تصبهم نعمة ورخاء نسبوها الى الله عز وجل وان تصبهم بلية من جدب وغلاء
اضافوها اليك كما حكي عن اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فامر النبي صلى الله
عليه وسلم بان يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان اسناد الكل اليه تعالى على الاجمال الا يجترؤن
على معارضة امر الله عز وجل حيث قيل قل كل من عند الله اي كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى
خلقا وايجادا من غير ان يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى
تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سياتي بيانه فهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا
على اسلافهم من قوله تعالى الا انما طائرهم عند الله اي انما سبب خيرهم وشرهم او سبب اصابة السيئة التي هي ذنوبهم
عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها اليه ويطيروا به وقوله تعالى فما لهؤلاء القوم الى آخره كلام معترض
بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجب من كمال غباوتهم والفاء لترتيب على ما
قبله وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار اي
وحيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا حديثا او اسيئا فبنى على سؤال
نشا من الاستفهام كانه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه او من يسال عن سببه فقيل لا يكادون
يفقهون حديثا من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما في
معناه وما هو اوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بان الكل فائض من عند الله تعالى وان النعمة منه تعالى
بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لا سيما النص الوارد عليهم في صحف موسى
وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى ولم يسندوا الجناية انفسهم الى غيرهم وقوله تعالى ما اصابك من
حسنة الخ بيان للجواب المجمل المامور به واجراؤه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ثم سوق البيان من جهته عز وجل

بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل احد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء في الاهتمام برد مقالتهم الباطلة
وللايذان بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة حقيقة بان يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد
منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال
سببية معصية بعضهم لعقوبة الآخرين اي ما اصابك من نعمة من النعم فمن الله اي فهي منه تعالى بالذات
تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك كيف لا وان كل ما يفعله المرء من الطاعات التي يرجى كونها
ذريعة الى اصابة نعمة ما في نفسه بحيث لا تكاد تكافي نعمة حياته المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره تعالى اياه على
ادائها فضلا عن استيجابها لنعمة اخرى ولذلك قال عليه الصلوة والسلام ما احد يدخل الا برحمة الله قيل ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا وما اصابك من سيئة اي بلية من البلايا فمن نفسك اي فهي منها بسبب اقترافها
المعاصي الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا
نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا لبيان حاله صلى الله عليه وسلم بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير
ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب
لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة وارسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم ومكانه
عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه السلام بناء على جهلهم بشانه الجليل وتعريف الناس
للاستغراق والجار اما متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم اي رسولا للكل لا لبعضهم
فقط كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما بالفعل ورسولا حال مؤكدة وقد جوز ان يكون مصدرا
مؤكدا كما في قوله شعر لقد كذب الواشون ما فهت عندهم اي بارسال بمعنى رسالة وكفى بالله شهيدا اي على رسالتك
بنصب المعجزات التي من جملتها النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة
اعتراض تذييلي من يطع الرسول فقد اطاع الله بيان لاحكام رسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان تحققها وثبوتها
وانما كان كذلك لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله تعالى وانما هو عليه السلام مبلغ للامر والنهي فمرجع الطاعة
وعدمها هو الله سبحانه روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون
الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه عليه السلام بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عليه السلام
طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته عليه السلام بل حيثية رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة وتاكيد وجوب الطاعة
بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا ياباه تخصيص الخطاب به عليه السلام
في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا جواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له اي ومن اعرض
عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم
بها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان
الافراد في تولى باعتبار لفظه ويقولون شروع في بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب
طاعته اي يقولون اذا امرتهم بشيء طاعة اي امرنا وشاننا طاعة او منا طاعة والاصل النصب على المصدر
والرفع للدلالة على الثبات كسلام فاذا برزوا من عندك اي خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم
اي من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول اي تعرض طاعة وسوت خلاف ما قالت لك من القبول
وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق او خلاف ما
قلت لها والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من بيت الشعر

بشير ولا ارسلتهم برسول م

لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي وقرئ بادغام التاء في الطاء لقرب
المخرج واسناده الي طائفة منهم لبيان انهم المتصدون له بالذات والباقون اتباع لهم في ذلك لا لان الباقين
ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون اي يكتبه في جملة ما يوحي اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان
مكرهم يخفى عليكم فيجدون بذلك الي الاضرار بكم سبيلا او يثبته في صحائفهم فيجازيهم عليه واياما كان فالجملة اعتراضية
فاعرض عنهم اي لا تبال بهم وبما صنعوا او تجاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها لما بعدها
وتوكل على الله في كل ما تاتي وما تذر لا سيما في شانهم واظهار الجلالة في مقام الاضمار للاشعار بعلة الحكم وكفى
بالله وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار ههنا ايضا لما مر وللتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها
عما عداها من كل وجه افلا يتدبرون القرآن استنكار لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم عن التامل فيما فيه
من موجبات الايمان وتدبر الشيء تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر
ونظر والفاء للعطف على مقدر اي ايعرضون عن القرآن فلا يتاملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة
ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه ولو كان اي القرآن
من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بان يكون بعض اخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم
بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه
من عنده تعالى قال الزجاج ولولا انه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الاخبار بالغيب مما يسره المنافقون
ويبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله وقال ابو بكر الاصم ان هؤلاء المنافقين
كانوا يتواطؤون في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول عليه السلام على ذلك
ويخبره بها مفصلة فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف
فلما لم يقع ذلك قط علم انه باعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمل الاختلاف
على التناقض وتفاوت النظم في البلاغة بان كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه على معنى فاسد
غير ملتئم وبعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته كما جنح اليه الجمهور فمما لا يساعده السباق
ولا السياق ومن رام التقريب قال لعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض
في الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد ابعد عن الحق بل ضل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به بل لاختلاف الحكم
يقال اذاع السر واذاع به اي اشاعه وافشاه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه
وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم في بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان ان
ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك ان ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم
بالاحوال كانوا اذا اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة يذيعونه
من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون
ذلك مشروطا بامور تفوت بالاذاعة فلا يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك منشا لتوهم الاختلاف فنعي عليهم ذلك
وقيل ولو ردوه اي ذلك الامر الذي جاءهم الى الرسول اي عرضوه على رايه عليه السلام مستكشفين لمعناه وما
ينبغي له من التدبير والالتفات لما ان عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة اليه صلى الله عليه وسلم
والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء في الامور رضي الله تعالى عنهم لعلمه اي لعلم الرادون معناه وتدبيره
وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم للايذان بانهم ينبغي ان يكون قصدهم برده اليهم استكشاف
معناه واستيضاح فحواه اي لعلمه اولئك الرادون الذين يستنبطونه اي يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اي من جهة
الرسول صلى الله عليه وسلم واولي الامر من صحابته رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ولما فعلوا في حقه ما فعلوه
فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور

الحرب ومكايدها فكلمة من في منهم بيانية وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من
امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله عليه السلام
والى اولي الامر لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه اي يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب
ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله تعالى صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض
الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر
وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون وما يذرون فيه
وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود
ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول عليه السلام والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم و
نعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه
من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم تساق النظم الكريم حينئذ لبيان جناية تلك
الطائفة وسوء تدبيرهم اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم
ورحمته للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات اي لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى الطريق الحق
الذي هو المراجعة في مظان الاشتباه الى الرسول صلى الله عليه وسلم واولي الامر لاتبعتم الشيطان وعملتم
بآراء المنافقين فيما تاتون وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب الا قليلا وهم اولو الامر الواقفون على
اسرار الكتاب الراسخون في معرفة احكامه فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال
الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا منكم قد تفضل عليه بعقل
راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمة عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الايادي وزيد بن
عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصر
والظفر بالاعداء اي ولولا حصول النصر والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم
اولوا البصائر النافذة والنيات القوية والعزائم الماضية من افاضل المؤمنين الواقفين على حقية الدين البالغين
الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيته من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا فقاتل في
سبيل الله تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط
محذوف ينساق اليه النظم الكريم اي اذا كان الامر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين
في مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل لا تكلف الا نفسك
اي الا فعل نفسك استئناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال
وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره عليه السلام ولا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل قاتل اي فقاتل
غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي وقيل على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اي لا نكلف الا فعل
نفسك لا على معنى لا نكلف احدا الا نفسك وحرض المؤمنين على الامر السابق داخل في حكمه فان كون حال الناس
كما حكي سبب للامر بالقتال وحده وبتحريض خلص المؤمنين والتحريض على الشيء الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب
كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به اي رغبهم في القتال ولا تعنف بهم وانما لم يذكر المحرض عليه
لغاية ظهوره وقوله تعالى عسى الله ان يكف باس الذين كفروا عدة منه سبحانه وتعالى محققة الانجاز بكف
شدة الكفرة ومكرهم فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد
دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا ووافوا الموعد
والقى الله في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من مر الظهران وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه

بدرًا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرًا كثيرًا وقد مرّ في سورة آل عمران والله
اشد بأسا اي من قريش واشد تنكيلا اي تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي اليها
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة
وتكرير الخبر لتاكيد التشديد وقوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب اي من ثوابها جملة مستانفة سيقت
لبيان ان له عم فيما امر به من تحريض المؤمنين حظا موفورا فان الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص الى
منفعة من المنافع الدنيوية والاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك من الشفع كان المشفوع كان فردا
فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في امر مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير
ان يتضمن غرضا من الاغراض الدنيوية واي منفعة اجل مما قد حصل للمؤمنين بتحريضه عم على الجهاد من المنافع
الدنيوية والاخروية واي مضرة اعظم مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه شفاعة
الى الله سبحانه وعليه مساق آية التحية الآتية روي انه عم قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له
الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود ومن يشفع شفاعة سيئة وهي ما كانت بخلاف الحسنة
يكن له كفل منها اي نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير ان ينقص منه شيء وكان الله على كل شيء
مقيتا اي مقتدرا من اقات على الشيء اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا او اشتقاقه من القوت فانه يقوي
البدن ويحفظه والجملة تذييلي مقرر لما قبلها على كلا المعنيين واذا حييتم بتحية ترغيب في فرد شائع من افراد الشفاعة
الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع
وكيفية ادائه فان تحية الاسلام من المسلم شفاعة منه لاخيه الى الله عز وجل والتحية مصدر حيى اصلها تحيية
كتسمية من سمى واصل الاصل تحيي بثلث ياآت فحذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التانيث وادغمت الاولى
في الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء قال الراغب اصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت
العرب اذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام وقال تعالى تحيتهم فيها
سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا وفي السلام مزية على التحية
لما انه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحيوة وليس في الدعاء بطول
الحيوة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اي اذا سلم عليكم من جهة
المؤمنين فحيوا باحسن منها اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم
على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعها المسلم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التي هي السلامة عن
المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها او ردوها اي اجيبوها بمثلها روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام
ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى
وتلا الآية فقال عم انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة
وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رض الرد واجب وما من رجل يمر على قوم
مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد في الخطبة
وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج
والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امرأته لا على الاجنبية
والسنة ان يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل
على الكثير واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة رحمه الله لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم حيث كان يقول بعضهم السام عليكم وروي

قال وعليـ

لابتداء اليهودي بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن انه يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام دون
الزيادة وقيل التحية بالاحسن عند كون المسلم مسلما وردها عند كونه كافرا ان الله كان على كل شيء
حسيبا فيحاسبكم على كل شيء من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم
به الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف اي والله ليحشرنكم
من قبوركم الى حساب يوم القيمة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او خبر ثان
للمبتدأ وهي الخبر ولا اله الا هو اعتراض وقوله تعالى لا ريب فيه اي في يوم القيمة او في الجمع حال من اليوم او صفة
للمصدر اي جمعا لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى في وعده
وسائر اخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون غيره فما لكم مبتدأ وخبر والاستفهام
للانكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تعالى في المنافقين اما
متعلق بما تعلق به الخبر اي اي شيء كائن لكم فيهم اي في امرهم وشأنهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما
بما يدل عليه قوله تعالى فئتين من معنى الافتراق اي فما لكم تفترقون في المنافقين واما بمحذوف وقع حالا من فئتين
اي كائنتين في المنافقين لانه في الاصل صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شأن صفات النكرات على الاطلاق
او من الضمير في تفترقون وانتصاب فئتين عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل ما في لكم
من معنى الفعل كما في قوله عز وجل فما لهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة اي
فما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان يكون للمخاطبين شيء مصحح لاختلافهم في امر المنافقين وبيان
وجوب بت القول بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم
السابق روي انهم قوم من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين
باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل
هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما
اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم
خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا ويأباه ما سيأتي من جعل هجرتهم غاية للنهي عن توليهم
وقيل هم [illegible] الذين اغاروا [illegible] وقتلوا [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب [illegible] من المثلة والقتل [illegible] في امرهم
اختلاف المسلمين والله اركسهم حال من المنافقين مفيدة لتأكيد الانكار السابق باستبعاد وقوع المنكر [illegible]
بعد بيان [illegible] من الخاطبين [illegible] الاختلاف [illegible]
يوجب تنافيكم على كفرهم وهو ان الله تعالى قد ردهم في الكفر كما كانوا بما كسبوا بسبب ما كسبوه من الارتداد واللحوق
بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعائد الى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية اي بكسبهم وقيل
معنى اركسهم نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم [illegible] اتريدون
ان تهدوا من اضل الله تجريد الخطاب وتخصيصه بالقائلين بايمانهم من الفئتين وتوجيه [illegible]
استعانة بانه يؤدي الى محاولة المحال الذي هو هداية من اضله الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم
وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم واراده لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار وتأكيد استحالة
الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بان يقال اتهدون الخ للمبالغة في انكار
بيان انه مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه [illegible] قوله عز وجل
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل
فضلا على ان تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى فمن يضلل الله فلا هادي له

ونظائره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال لتحل بجنس المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب
الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل تريدون
او تهدوا والرابط هو الواو واعتراض تذييلي مقرر للانكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية ويجوز ان يكون
الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين اولا ومن غيرهم ﴿ودوا لو تكفرون﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان غلوهم
وتماديهم في الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب
وهي ما بعدها نصب على المفعولية اي ودوا ان تكفروا وقوله تعالى ﴿كما كفروا﴾ نصب على انه نعت لمصدر
محذوف اي كفرا مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك المصدر كما هو رأي سيبويه وقوله ﴿فتكونون سواء﴾ عطف
على تكفرون داخل في حكمه اي ودوا ان تكفروا فتكونوا سواء مستوين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها
وجوابها محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك ﴿فلا تتخذوا منهم اولياء﴾
الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهي ان يتخذ واحد منهم اي
اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ اي حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم
بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه السلام لا لغرض من اغراض الدنيا ﴿فان تولوا﴾ اي عن الايمان المظاهر بالهجرة
الصحيحة المستقيمة ﴿فخذوهم﴾ اذا قدرتم عليهم ﴿واقتلوهم حيث وجدتموهم﴾ من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر
المشركين اسرا وقتلا ﴿ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا﴾ اي جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا
﴿الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون
وينتهون الى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد
وادع هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل
الذي لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة ﴿او جاؤكم﴾ عطف على الصلة اي والذين جاؤكم كافين عن
قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور بأخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والآخر من
اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كأنه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم كافين
عن القتال لكم والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سيأتي من قوله تعالى فان اعتزلوكم الخ فانه صريح في ان كفهم عن القتال
احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقرئ جاؤكم بغير عاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف
﴿حصرت صدورهم﴾ حال باضمار قد بدليل انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف
هو حال من فاعل جاؤا اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله
عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ﴿ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم﴾ اي عن ان يقاتلوكم او لان يقاتلوكم
او كراهة ان يقاتلوكم الخ ﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم﴾ جملة مبتدأة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة
الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم في سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعاهدهم بنا ولا بمعاهدينا
كالطائفة الاولى اي ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها ﴿فلقاتلوكم﴾
عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير او الابدال من الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد
فلم يقاتلوكم
﴿فان اعتزلوكم﴾ مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله عز وجل ﴿والقوا اليكم السلم﴾ اي الانقياد والاستسلام
وقرئ بسكون اللام ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾ طريقا بالاسر او بالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان لم يقاتلوا
قومهم ايضا والقاء اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم ﴿ستجدون آخرين يريدون
ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾ هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين
فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر ﴿كلما ردوا الى الفتنة﴾
اي دعوا الى الكفر وقتال المسلمين ﴿اركسوا فيها﴾ قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا من كل عدو شرير ﴿فان لم يعتزلوكم﴾

بالكف عن التعرض لكم بوجه ما ﴿ويلقوا اليكم السلم﴾ اي لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم ﴿ويكفوا
ايديهم﴾ اي لم يكفوها عن قتالكم ﴿فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ اي تمكنتم منهم ﴿واولئكم﴾ الموصوفون بما عدد
من الصفات القبيحة ﴿جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا﴾ حجة واضحة في الايقاع بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم
وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في اخذهم وقتلهم
﴿وما كان لمؤمن﴾ اي وما صح له ولا لاق بحاله ﴿ان يقتل مؤمنا﴾ بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك ﴿الا خطأ﴾ فانه
ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه اما على انه حال اي ما كان له ان
يقتل مؤمنا في حال من الاحوال الا في حال الخطأ او على انه مفعول له اي ما كان له ان يقتله لعلة من العلل
الا للخطأ او على انه صفة للمصدر اي الا قتلا خطأ وقيل الا بمعنى ولا والتقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا
عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه
القصد الى الفعل او الى الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار
مع الجهل باسلامه وقرئ خطاء كعطاء بتخفيف الهمزة روي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم
وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب و
لا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل
في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب
معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث
لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر
بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر فنزلت ﴿ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة﴾ اي فعليه
او فواجبه تحرير رقبة اي اعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالرأس ﴿مؤمنة﴾ محكوم باسلامها وان كانت صغيرة
﴿ودية مسلمة الى اهله﴾ مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها ﴿الا ان يصدقوا﴾ اي الا ان يتصدق اهله عليه سمي العفو
عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا
وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي يجب الدية او يسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب على الظرف
او الا حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الاهل او القاتل ﴿فان كان﴾ اي المقتول ﴿من قوم عدو لكم﴾ كفار محاربين
﴿وهو مؤمن﴾ ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم او بان اتاهم بعد ما
فارقهم لمهم من المهمات ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ اي فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه وبين اهله
لانهم محاربون ﴿وان كان﴾ اي المقتول المؤمن ﴿من قوم كفرة بينكم وبينهم ميثاق﴾ اي عهد موقت او مؤبد
﴿فدية﴾ اي فعلى قاتله دية ﴿مسلمة الى اهله﴾ من اهل الاسلام ان وجدوا ولعل تقديم هذا الحكم ههنا
مع تأخيره فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق ﴿وتحرير رقبة
مؤمنة﴾ كما هو حكم سائر المسلمين ولعل افراده بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل
مؤمنا خطأ الخ لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين وقيل
المراد بالمقتول الذمي والمعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوريث بين المسلم والكافر وقد عرفت
عدم لزومهما ﴿فمن لم يجد﴾ اي رقبة ليحررها بان لم يملكها ولا ما يتوصل اليها من الثمن ﴿فصيام﴾ اي فعليه صيام ﴿شهرين
متتابعين﴾ لم يتخلل بين يومين من ايامهما افطار ﴿توبة﴾ نصب على انه مفعول له اي شرع لكم ذلك توبة اي قبولا
لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته او مصدر مؤكد لفعل محذوف اي تاب عليكم توبة وقيل على انه حال من الضمير

المجرور في عليه بحذف المضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة اي كائنة منه تعالى وكان الله عليما بجميع الاشياء التي من جملتها حاله حكيما في كل ما شرع وقضى من الشرائع والاحكام التي من جملتها ما شرعه في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا لما بين حكم القتل خطأ وفصل اقسامه الثلثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا خلا ان حكمه الدنيوي لما بين في سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الاخروي نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فارسل عليه السلام مع زبير بن عياض الفهري وكان من اصحاب بدر الى بني النجار يامرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فاتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فيكون مسبة عليك اقتل الذي معك فيكون نفس بنفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل واستاق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وهو يقول شعر
قتلت بني فهر وحملت عقله ۞ سراة بني النجار اصحاب فارع ۞ وادركت ثاري واضطجعت موسدا ۞ وكنت الى الاوثان اول راجع ۞
فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن امنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي بسكون التاء كانه فر من توالي الحركات فجزاؤه الذي يستحقه بجنايته جهنم وقوله تعالى خالدا فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل من مفعول جازاه وايد ذلك بان تناسب بعطف ما بعده عليه الموافقة له صيغة ولا يخفى ان ما يقتدر للحال او للعطف عليه حقه ان يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا ويدل عليه الكلام دلالة بينة ظاهرة ان كون جزائه ما ذكر لا يقتضيه وقوع الجزاء البتة كما ستعرف عليه حتى يقدر يجزاها او جازاه بطريق الاخبار عن وقوعه واما قوله تعالى وغضب الله عليه فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستيناف تقريرا وتاكيدا لمضمونها حكم الله بان جزاءه ذلك وغضب عليه اي انتقم منه ولعنه اي ابعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير ان وحمل الماضي على معنى المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور ونظائره اي فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه الخ واعد له في جهنم عذابا عظيما لا يقادر قدره ولما ترى في الاية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد وبما روي من الاخبار الشداد كقوله صلى الله عليه وسلم لو ان رجلا قتل بالمشرق واخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وقوله عليه السلام من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا متمسك لهم فيها لا لما قيل من انها في حق المستحل كما هو رأي عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني المرتد حسبما مرت حكايته فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدائم لتظاهر النصوص الناطقة بان عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روي عن سفيان ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روي عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ابى الله ان يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا سأله ألقاتل المؤمن توبة قال لا وسأله اخر ألقاتل المؤمن توبة فقال نعم فقيل له قلت لذلك كذا ولهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا ييأس وقد روي عنه جواز المغفرة بلا توبة ايضا حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الاية هي جزاؤه فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هو جزاؤه ان جازاه وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وابو صالح قالوا قد يقول الانسان لمن يزجره عن امر

فعلت فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدي والاصل في ذلك ان الله عز وجل يجوز ان يخلف الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد وبهذا وردت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث انس رضي الله عنه انه عليه السلام قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجزه له ومن اوعده على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى تفريع ما نحن فيه على الاصل المذكور لان اخباره تعالى بان جزاءه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير يا ايها الذين امنوا اثر ما بين حكم القتل بقسميه وان ما يتصور صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي اليه من قلة المبالاة في الامور اذا ضربتم في سبيل الله اي سافرتم للغزو ولما في اذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى فتبينوا بالفاء اي فاطلبوا بيان الامر في كل ما تاتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا اطلبوا اثباته وقوله عز وجل ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام نهي عما هو نتيجة لترك المامور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبين وقرئ السلم بغير الف وبكسر السين وسكون اللام اي لا تقولوا بغير تامل لمن حياكم بتحية الاسلام او لمن القى اليكم مقاليد الاستسلام والانقياد لست مؤمنا وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا لك الامان وهذا انسب بالقرائتين الاخيرتين والاقتصار على ذكر تحية الاسلام في القراءة الاولى مع كونها بكلمتي الشهادة كما سيجيء في سبب النزول للمبالغة في النهي والزجر والتنبيه على كمال ظهور خطائهم ببيان ان تحية الاسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بهما وقوله تعالى تبتغون عرض الحيوة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التوقي الثاني لكن لا على ان يكون النهي راجعا الى القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي به الجاه بل اليهما جميعا اي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كانه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها يغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل تاخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الخ وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتاكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في فمن للعطف على كنتم اي مثل ذلك الذي القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا في مبادي اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها فمن الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم دماءكم واموالكم ولم يامر بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالى فتبينوا فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في اوائل اموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطؤ الظاهر والباطن هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شان الجليل ومن حسب ان المعنى اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا الخ فقد ابعد عن الحق لان المراد كما عرفت بيان ان تحصين الدماء والاموال حكم مترتب على ما فيه المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة واظهارها وان ترتبه عليه في حقهم يقتضي ترتبه عليه في حقه ايضا الزاما لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يتاتى بتفسير منه تعالى عليهم المترتب على كونهم مثله بتحصين دمائهم واموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله ايضا بحكم المشاركة فيما يوجبه وحيث لم يفعل

ذلك بل غيره مما اقترفه بما لم يبق في النظم الكريم ما يدل على ترتيب تحصين دمائهم وأموالهم على ما ذكر فمن أين له أن
يقول فحصنت دماءكم وأموالكم حتى يأتي البناء وارتكاب تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير المن إياه
بناء على أساس واه كيف لا وأن ما ذكره بصدد التفسير وإن كان أمرا مترتبا على ما فيه المماثلة مبنيا عليه في
حقهم لكنه ليس بحكم أريد إثباته في حقه بناء على ثبوته في حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق أن يتعرض له و
لا بأمر له دخل في وجوب اعتبار ظاهر الإسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظمه في سلك ما فرع عليه قوله
فعليكم أن تفعلوا الخ وحمل الكلام على معنى أنكم في أول الأمر كنتم مثله في قصور الرتبة في الإسلام فمن الله عليكم
وبلغتم من الرتبة العالية منه فلا تستقصروا حالته نظرا إلى حالكم هذه بل اعتدوا بها نظرا إلى حالكم السابقة
يرده أن قتله لم يكن لاستقصار إسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه لسانه فإن الآية الكريمة نزلت في شأن
مرداس بن نهيك من أهل فدك وكان قد أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد فلما
تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه
فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه إرادة ما معه فقال أسامة
إنه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية إنما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هلا شققت عن قلبه
وفي رواية أفلا شققت عن قلبه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا إله إلا الله
قال أسامة فما زال صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت أن لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر لي وقال
أعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم الله فقصدت رجلا فلما أحس
بالسيف قال إني مسلم فقتلته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلت مسلما قال إنه كان متعوذا فقال
عليه السلام أفلا شققت عن قلبه إن الله كان بما تعملون من الأعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها خبيرا
فيجازيكم بحسبها إن خيرا فخير وإن شرا فشر فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق
الاستئناف وقرئ بفتح أن على أنها معمولة لتبينوا أو على حذف لام التعليل لا يستوي القاعدون بيان
لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعدما مر من الأمر به وتحريض المؤمنين
عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين
أذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما القاعدون عن بدر والخارجون إليها وهو
الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل من أنهم الخارجون إلى تبوك فإنه مما لا يوافقه التاريخ ولا يناسبه
الحال إذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى من المؤمنين متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدين
أي كائنين من المؤمنين وفائدتها الإيذان من أول الأمر بعدم إخلال وصف القعود بإيمانهم والإشعار بعلة استحقاقهم
لما سيأتي من الحسنى غير أولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم
بأعيانهم أو بدل منه وقرئ بالنصب على أنه حال منه أو استثناء وبالجر على أنه صفة للمؤمنين أو بدل منه والضرر المرض
أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وفي معناها العجز عن الأهبة عن زيد بن ثابت أنه قال كنت إلى جنب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه فقال اكتب
فكتبت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع
الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر
والمجاهدون أريد بهم هذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضي وكذا تقييد
الجهاد بكونه في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم لمدحهم بذلك والإشعار بعلة استحقاقهم لعلو المرتبة مع ما فيه من حسن
موقع السبيل في مقابلة القصور وتقديم القاعدين في الذكر للإيذان من أول الأمر بأن القصور الذي ينبئ عنه عدم

الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وإن جاز
اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي الأعمى والبصير
أم هل تستوي الظلمات والنور إلى غير ذلك وأما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم
الفاضل فيه لأن صلته ملكة لصلة المفضول وقوله عز وجل فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم
على القاعدين درجة استئناف سيق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما
إجمالا ببيان كيفيته وكميته مبني على سؤال ينساق إليه المقال كأنه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ وأما تقدير
ما لهم لا يستوون فمما يليق بجعل الاستئناف تعليلا لعدم الاستواء مسوقا لإثباته وفيه تعكيس ظاهر فإن الذي
يحق أن يكون مقصودا بالذات إنما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة وأما عدم استوائهما فإنما ذكر
تمهيدا أن يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للعهد فيكون في سبيل الله معتبرا في الأول كما أن قيد عدم
الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدرية لوقوعها موقع المرة من التفضيل أي فضل الله تفضلة أو على نزع
الخافض أي بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين أي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى وكلا
مفعول أول لما بعده قدم عليه لإفادة القصر تأكيدا للوعد أي كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى
أي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا أحدهما فقط كما في قوله تعالى وأرسلناك للناس رسولا على أن اللام متعلقة برسولا
والجملة اعتراض جيء به تداركا لما عسى يوهمه تفضيل أحد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل
وفضل الله المجاهدين على القاعدين عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين مغنية لهما عن ذكر
القيود التي تركت على سبيل التدريج وقوله تعالى أجرا عظيما مصدر مؤكد لفضل على أنه بمعنى آجر وإيثاره على ما هو
مصدر من فعله للإشعار بكون ذلك التفضيل أجرا لأعمالهم أو مفعول له بتضمينه معنى الإعطاء أي أعطاهم زيادة
على القاعدين أجرا عظيما وقيل هو منصوب بنزع الخافض أي فضلهم بأجر وقوله تعالى درجات بدل من أجرا بدل
الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها
أي درجات كائنة منه تعالى قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين
خريفا وقال السدي هي سبعمائة درجة وعن أبي هريرة رضي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة مائة درجة أعدها
الله تعالى للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ويجوز أن يكون انتصاب درجات على المصدرية
كما في قولك ضربته أسواطا أي ضربات كأنه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى ومغفرة بدل من أجرا بدل
البعض لأن بعض الأجر ليس من باب المغفرة أي مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي
يأتي بها القاعدون أيضا حتى تعد من خصائصهم وقوله تعالى ورحمة بدل الكل من أجرا مثل درجات ويجوز
أن يكون انتصابهما بإضمار فعلهما أي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبي
عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة وأخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه
حسن الانتظام إما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف
الذاتي تمهيدا لسلوك طريق الإبهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا هودا
والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كأنه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة
لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا البون البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله
الحسنى ثم أريد تفسير ما أفاده التنكير بطريق الإبهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شأن
التنزيل وإما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على أن المراد بالتفضيل الأول ما خولهم
الله تعالى عاجلا في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثاني ما أنعم به
في الآخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الأول وتأخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة

بينهما كأنه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو
متوسط بينهما في الوجود أعني الوعد بالجنة توضيحاً لحالهما ومسارعة إلى تسلية المفضول والله سبحانه أعلم هذا
ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير أولي الضرر وأما أولو الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين
بمفهوم الصفة وبأن الاستثناء من النفي إثبات وأما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم
وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت أفئدتهم تهوي إلى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر أو غيره وفي عبارة
أخرى إن في المدينة لأقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلا كانوا معكم قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة
حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة أخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء
ولا على المرضى إلى قوله تعالى إذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الأول هم الأضراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك
النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في أن الأضراء أفضل من غيرهم درجة كما لا ريب في أنهم دون المجاهدين بحسب الدرجة
الدنيوية وكان الله غفوراً رحيماً تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة إن الذين توفاهم الملائكة بيان
لحال القاعدين عن الهجرة إثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل أن يكون ماضياً ويؤيده قراءة من قرأ
توفتهم وأن يكون مضارعاً قد حذف منه إحدى التاءين وأصله تتوفاهم على حكاية الحال الماضية والقصد إلى
استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى أن الله تعالى يوفي الملائكة أنفسهم
فيتوفونها أي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي أنفسهم حال من ضمير توفاهم فإنه وإن كان مضافاً إلى المعرفة
إلا أنه نكرة في الحقيقة لأن المعنى على الانفصال وإن كان موصولاً في اللفظ كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وهدياً
بالغ الكعبة وثاني عطفه أي محلين الصيد وبالغاً الكعبة وثانياً عطفه كأنه قيل ظالمين أنفسهم وذلك بترك
الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للإخلال بأمور الدين فإنها نزلت في ناس من مكة قد أسلموا ولم يهاجروا
حين كانت الهجرة فريضة قالوا أي الملائكة عليهم السلام للمتوفين تقريراً لهم بتقصيرهم في إظهار إسلامهم وإقامة
أحكامه من الصلاة ونحوها وتوبيخاً لهم بذلك فيم كنتم أي في أي شيء كنتم من أمور دينكم قالوا استئناف مبني
على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الإقرار الصريح
بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم كنا مستضعفين في الأرض أي في أرض مكة عاجزين عن القيام
بمواجب الدين فيما بين أهلها قالوا إبطالاً لتعللهم وتبكيتاً لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها
إلى قطر آخر منها تقدرون فيه على إقامة أمور الدين كما فعله من هاجر إلى المدينة وإلى الحبشة وأما حمل تعللهم
على إظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيباً لهم في ذلك فيرده أن سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان
دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر أو بعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الأرض
تكذيباً لهم ورداً عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم أيضاً حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا
مع المشركين إلى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههما فقتلوا فيها فضربت الملائكة
وجوههم وأدبارهم فقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعاً وتوبيخاً لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم
في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللاً بأنهم كانوا مقهورين تحت أيديهم وأنهم أخرجوهم كارهين فرد عليهم
بأنهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة فأولئك الذين حكيت أحوالهم الفظيعة مأواهم أي
في الآخرة جهنم كما أن مأواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فمأواهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر
لأولئك وهذه الجملة خبر إن والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة بإضمار
قد عند من يشترطها وهو الخبر والعائد منه محذوف أي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة مستنتجة منه
وما في حيزه من قوله تعالى قالوا كنا الخ وقوله تعالى قالوا ألم تكن الخ وساءت مصيراً أي مصيرهم جهنم وفي الآية

الكفرة إرشاد إلى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل من إقامة أمور دينه بأي سبب كان وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه
إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام إلا المستضعفين استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول
وضميره والإشارة إليه وقوله تعالى من الرجال والنساء والولدان متعلق بمحذوف وقع حالاً من
المستضعفين أي كائنين منهم وذكر الولدان إن أريد بهم المماليك والمراهقون ظاهر وأما إن أريد بهم الأطفال
فللمبالغة في أمر الهجرة وإيهام أنها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والإشعار بأنه لا محيص لهم
عنها البتة تجب عليهم إذا بلغوا حتى كأنها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وأن قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا
بهم متى أمكنت وقوله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً صفة للمستضعفين فإن ما
فيه من اللام ليس للتعريف أو حال منه أو من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه
الاستضعاف والاستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة ومباديها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع
المهاجر إليه بنفسه أو بدليل فأولئك إشارة إلى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز عسى الله
أن يعفو عنهم جيء بكلمة الإطماع ولفظ العفو إيذاناً بأن الهجرة من تأكد الوجوب بحيث ينبغي أن يعد تركها
ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنباً يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعاً لا جزماً وقطعاً وكان الله عفواً غفوراً
تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها أي
يجد فيها متحولاً ومهاجراً وإنما عبر عنه بذلك تأكيداً للترغيب لما فيه من الإشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه
المهاجر من الخير والنعمة إلى ما يكون سبباً لرغم أنف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق
الأنف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقاً يراغم بسلوكه قومه أي يفارقهم على رغم أنوفهم وسعة
أي من الرزق ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت أي قبل أن يصل إلى المقصد
وإن كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه إيثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع
على أنه خبر مبتدأ محذوف وقيل بحركة الهاء نقلاً للكاف عليها بنية الوقف كما في قوله من عنزي سبني لم أضربه
وقرئ بالنصب على إضمار أن كما في قوله والحق بالحجاز فأستريحا فقد وقع أجره على الله أي ثبت ذلك عنده تعالى
ثبوت الأمر الواجب روي أنه لما نزلت الآيات المتقدمة سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندب
بن ضمرة فقال والله ما أنا ممن استثنى الله عز وجل وإني لأجد حيلة ولي من المال ما يبلغني المدينة وأبعد منها والله لا أبيت الليلة
بمكة احملوني فحملوه على سرير متوجهاً إلى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق يمينه على شماله ثم قال اللهم هذه
لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميداً فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا لو توفي بالمدينة لكان أتم أجراً فنزلت وقالوا لو أكمل الهجرة في غير دينه أجره وإشهاد ذلك أن الهجرة
هجرة إلى الله عز وجل وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله غفوراً ما فرط منه من
الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة إلى وقت الخروج رحيماً بإتمام ثواب هجرته وإذا ضربتم
في الأرض شروع في بيان كيفية الصلاة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض وفي تقديمها تأكيد لترغيب المهاجر
على المهاجرة وترغيب فيها لما فيه من تخفيف المؤنة أي إذا سافرتم أي مسافة كانت ولذلك لم يقيد بما فيه الكفاية
فليس عليكم جناح أي حرج ومأثم أن تقصروا أي في أن تقصروا والقصر خلاف المد وذلك تقصير الصلاة الذي يحصل له
تقصير المحذوف بعض أجزائه وأوصافه فتعلق التصحيحية إنما هو ذلك الشيء لا بعضه فإنه متعلق الحذف دون
القصر وعلى هذا قوله تعالى من الصلاة ينبغي أن يكون مفعولاً لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الأخفش وأما على تقدير
أن يكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفاً كما رآه سيبويه أي شيئاً من الصلاة فينبغي أن يصار إلى وصف الجملة المقصور بصفة
الكل أو يراد بالقصر معنى الحبس تقابلاً لصرت أي القصر جنس الصلاة ليكون المقصور بعضاً منها

وفي الرباعيات اي فليس عليكم جناح في ان تقصروا بعض الصلوة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الاقصار
وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند ابي حنيفة رح مسيرة ثلثة ايام ولياليها
بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد وعند الشافعي رح مسيرة يومين وظاهر الآية الكريمة التخيير وافضلية الاتمام
وبه تعلق الشافعي رح وبما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عائشة رض انها اتمت تارة وقصرت
اخرى وعن عثمان رض انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة
اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو قول عمر وعلي وابن عباس وابن
عمر وجابر رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر رض
صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم عليه السلام وعن انس خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة
الى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة وعن عمران بن حصين ما رايت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي
في السفر الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر وحين سمع ابن مسعود ان عثمان رض صلى بمنى اربع
ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع ابي بكر رض ركعتين وصليت
مع عمر رض بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر عثمان رض عن اتمامه بانه تاهل متنفلتان
بمكة وعن الزهري انما اتم لانه ازمع الاقامة بمكة وعن عائشة رض اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين
ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري انها قالت فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين ركعتين
في الحضر والسفر فاقرت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا
ام المؤمنين فحيث حللت فهي داري واتما ورد ذلك بنفي الجناح لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر
ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح عليهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن
حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا وركن عند الشافعي رح
وقوله تعالى **ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا** جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا
لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده من صلوة الخوف
المؤداة بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيته بحسبما وقفت
على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح الآثار مسندا الى يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب رض انما قال
الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر رضي الله
عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه
دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه ولا يتوهم انه
مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عدمه عند عدمه فمسكوت
عنه فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا بقي على حاله لعدم تحقق دليله لا لتحقق دليل عدمه وناهيك بما سمعت
من الادلة الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى
وقد خرج الشرط ههنا مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا بل نقول ان الآية الكريمة
مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط به القصر فكل ما ورد
منه صلى الله عليه وسلم من القصر في حال الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة
بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم الخ متعلق بما بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روي عن ابي
ايوب الانصاري رض انه قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الخ اي ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الخ
وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة

ان يفتنكم الخ فان استمرار الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى **ان
الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا** تعليل لذلك باعتبار تعلله بما ذكر او لما يفهم من الكلام من كون فتنتهم
متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى **واذا كنت فيهم** بيان
لما قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص
البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها اليه لما فيها من كثرة
التغيير عن الهيئة الاصلية ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هي المقصورة وحكم ما عداها مستفاد
من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد وبظاهره يتعلق من لا يرى صلوة الخوف بعده
صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان الائمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب
الوارد له عليه السلام كما في قوله خذ من اموالهم صدقة روي ان سعيد بن العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان
صلوة الخوف مع رسول الله قال من شهد منكم صلوة الخوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان
فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان بحضرة الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع وروي في السنن
انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى بهم صلوة الخوف **فاقمت لهم الصلوة** اي اردت ان تقيم بهم الصلوة **فلتقم
طائفة منهم معك** بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به لظهوره
وليأخذوا اي الطائفة القائمة معك **اسلحتهم** اي لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء
باستصحابها كانهم يأخذونها ابتداء **فاذا سجدوا** اي القائمون معك واتموا الركعة **فليكونوا من ورائكم** اي
فلينصرفوا الى مقاتلة العدو للحراسة **ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا** بعد وهي الطائفة الواقفة تجاه العدو
للحراسة وانما لم تعرف لما انها لم تذكر فيما قبل **فليصلوا معك** الركعة الباقية ولم يبين في الآية الكريمة حال الركعة
الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روي عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما ان النبي صلى الله
عليه وسلم حين صلى صلوة الخوف صلى بالطائفة الاخرى ركعة كما في الآية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه
الى مقابلة العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قرآءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى
بقرآءة حتى صار لكل طائفة ركعتان **وليأخذوا** اي هذه الطائفة **حذرهم واسلحتهم** لعل زيادة الامر بالحذر في
هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي صلى الله عليه وسلم في شغل شاغل
قبلها فربما يظنونهم قائلين الحرب وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر لان الاشتغال بالصلوة مظنة لالقاء السلاح
والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى **ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم
فيميلون عليكم ميلة واحدة** فانه استيناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات
اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا
وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى **ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم**
حيث رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مطر او مرض وامرهم مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل **وخذوا
حذركم** لئلا يهجم العدو عليكم غيلة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا بني انمار
فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع
سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على راسه وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليضربه فاكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم قال

يا عورث من يمنعك مني الآن قال لا احد قال عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله واني محمد عبده ورسوله واعطيك
سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه
فقال عورث والله لانت خير مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع عورث الى اصحابه فقص
عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واخبرهم بالخبر
وقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا تعليل للامر بالحذر اي اعد لهم عذابا مهينا بان يخذلهم
وينصركم عليهم فاهتموا باموركم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل بهم عذابه بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو
موهما لتوقع غلبته واعتزازه نفي ذلك الايهام بان الله تعالى ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ
صلوة الخوف اي اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ اي فداوموا على
ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى
اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم بعدما وضعت
الحرب اوزارها فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ اي الصلوة التي دخل وقتها حينئذ اي ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل
المراد بالذكر في الاحوال الثلثة الصلوة فيها اي فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا جاثين
على الركب عند المرامات وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي
هي احوال القلق والانزعاج وهو رأي الشافعي رح وفيه من البعد ما لا يخفى إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا
اي فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالى عليهم فلا بد من اقامتها في حالة الخوف ايضا على الوجه المشروح وقيل مفروضا
مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد ان يؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ
اي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحراب وقوله تعالى إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ
كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ تعليل للنهي وتشجيع لهم اي ليس ما تقاسونه من الآلام مختصا بكم بل هو مشترك
بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله واظهار دينكم
على سائر الاديان ومن الثواب في الآخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة اي لا تهنوا لان تكونوا تألمون
وقوله تعالى فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا مبالغا في العلم
فيعلم اعمالكم وضمائركم حَكِيمًا فيما يأمر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب
دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد
وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة
وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم
وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة
وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل مكة يقال له
الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فاخذ ليقتل فقيل دعوه فانه قد لجأ اليك
فتركوه واخرجوه من مكة فلحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فاخذوه ورموه
بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها دنانير فاخذ والقي في البحر لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ
اي بما عرفك واوحى به اليك وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ اي لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته
خَصِيمًا مخاصما للبرآء اي لا تخاصم اليهود لاجلهم والنهي معطوف على امر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فاحكم به ولا
تكن وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ فيما هممت به تعويلا على شهادتهم إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يستغفره
وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ اي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم

جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها اليهم والمراد بالموصول
اما طعمة وامثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فانهم شركاؤه في الاثم والجناية إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
مَنْ كَانَ خَوَّانًا مفرطا مصرا عليه أَثِيمًا منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن البغض والسخط
بالمبالغ في الجناية والاثم ليس لتخصيصه به بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ يستترون
منهم حياء وخوفا من ضررهم وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ اي لا يستحيون منه سبحانه وهو احق بان يستحيى منه
ويخاف من عقابه وَهُوَ مَعَهُمْ عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه
إِذْ يُبَيِّتُونَ يدبرون ويزورون مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وَكَانَ
اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ من الاعمال الظاهرة والخافية مُحِيطًا لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تلوين
للخطاب وتوجيه اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة
مبتدأ وخبر وقوله تعالى جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا ويجوز ان يكون اولاء
اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم الخ صلة له والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله
في الدنيا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فمن يخاصم عنهم يومئذ عند تعذيبهم وعقابهم أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا
حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي
أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة والكبيرة
ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ بالتوبة الصادقة يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا لذنوبه كائنة ما كانت رَحِيمًا متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب
لطعمة وقومه في الاستغفار والتوبة لما ان مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما مر وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا
من الآثام فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب
عاجلا وآجلا وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا مبالغا في العلم حَكِيمًا مراعيا للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر اخرى
وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب
أَوْ إِثْمًا كبيرة او ما كان عن عمد ثُمَّ يَرْمِ بِهِ اي يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان او وتذكيره
لتغليب الاثم على الخطيئة [illegible] وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب
وثم للتراخي في الرتبة بَرِيئًا [illegible] كما فعل طعمة بزيد فَقَدِ احْتَمَلَ [illegible]
جرمه على البريء بُهْتَانًا [illegible]
يتحير في عظمه وَإِثْمًا مُبِينًا [illegible]
[illegible]
بجناية نفسه [illegible]
البريء بجناية [illegible]
بالنسبة الى [illegible]
كيف ولا هو كذب محرم في جميع الاديان [illegible]
[illegible]
[illegible]
على تحميل جنايته على البريء [illegible]
[illegible]
نفسه الى البريء [illegible] وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ
باعلامك ما هم عليه بالوحي [illegible] والعصمة لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ اي من بني ظفر وهم الذابون

عن طعمه وقد جوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعا الى الناس وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لتبايعنا على ان لا نكسر اصنامنا ولا نعشر فلم يجبهم صلى الله عليه وسلم ان يضلوك اي بان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بكنه الامر والجملة جواب لولا وانما نفي همهم مع ان المنفي انما هو تأثيره فقط ايذانا بانتفاء تأثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اي لاضلوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستأنفة اي لقد همت طائفة الخ وما يضلون الا انفسهم لاقتصار وبال كيدهم عليهم من غير ان يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من شيء عطف عليه ومحل الجار والمجرور النصب على المصدرية اي وما يضرونك شيئا من الضرر لما انه تعالى عاصمك واما ما خطر ببالك فكان عملا منك بظاهر الحال ثقة باقوال القائلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة وعلمك بالوحي من خفيات الامور التي من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين او من امور الدين واحكام الشرع ما لم تكن تعلم ذلك الى وقت التعليم وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرياسة التامة لا خير في كثير من نجواهم اي في كثير تناجي الناس الا من امر الا في نجوى من امر بصدقة او معروف وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني واياما كان فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر هنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة الواجبة او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع وبين ما متعلق بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم او بمحذوف فهو صفة له اي كائن بين الناس عن ابي ايوب الانصاري رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر في افراد هذه الاقسام الثلاثة بالذكر ان عمل الخير المتعدي الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور المذكورة اعني الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى المتعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للايذان ببعد منزلتها ورفعة شانها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر بها لما ان المقصود الاصلي هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الامر به للدلالة على خيريته بالطريق الاولى لما ان مدار حسن الامر وقبحه حسن المأمور به وقبحه فحيث ثبت خيرية الامر بالامور المذكورة فخيرية فعلها اثبت وفيه تحريض للآمر بها على فعلها او اشارة الى الامر بها كما قيل ومن يأمر بها للاجر العظيم انما هو ذريعة الى فعلها فاستتباعه له اولى واحق ابتغاء مرضات الله علة للفعل والتقييد لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان فسوف نؤتيه بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء اجرا عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان الرسالة لاظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الآتي بذلك من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل المؤمنين اي غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم اي ندخله اياها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا اي جهنم وفيها دلالة على حجية الاجماع وحرمة مخالفته ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء تقدم تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد او لقصة طعمة وقد مر موته كافرا وقيل عن ابن عباس رض ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله تعالى ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يدعون اي ما يعبدون من دونه عز وجل الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن حي من احياء العرب الا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل تسميتها اناثا لتأنيث اسمائها او لانها جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله عبر عنها بالاناث تنبيها على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم والاناث جمع انثى كرباب وربى وقرئ على التوحيد وانثا جمع انيث كغدير وغدر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كاسد واسد على قلب الواو المضمومة همزة كاجوه في وجوه وان يدعون وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا اذ هو الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية لشيطانا وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف على الجملة المتقدمة اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل بان ما يعبدونه ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بان ذلك عبادة الشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلاثة الاول انه منهمك في الغي لا يكاد يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا من الحق والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث انه في غاية السعي في اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام اي فليقطعنها بموجب امري ويشقنها من غير تلعثم في ذلك ولا تأخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسوائب ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن نهجه صورة او صفة ممتثلين به ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم والمأمور به في الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعو اليه على ما امر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا لانه ضيع رأس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار يعدهم اي ما لا يكاد ينجزه ويمنيهم اي الاماني في تحقق وحد باعتبار لفظها وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اي وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد اولئك اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدأ وقوله تعالى مأواهم مبتدأ ثان وقوله تعالى جهنم خبر للثاني والجملة خبر للاول ولا يجدون عنها محيصا اي معدلا ومهربا من حاص له اذا عدل وقيل خلص ونجا وقيل الحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف

وقع حالا من محيصا اي كائنا عنها ولا مساغ لتعلقه بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان
مصدرا فلانه لا يعمل فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء
ومساءة اولئك وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية
وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله سندخلهم
لانه في معنى نعدهم ادخال الجنات الخ وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة
بليغة والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه
والمبالغة في تاكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت القيل والقال
اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ باشمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال ليس بامانيكم
ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب يحصل بامانيكم ايها المسلمون ولا اماني اهل الكتاب
وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح ولعل نظم اماني اهل الكتاب في سلك اماني المسلمين مع ظهور حالها للايذان
بعدم اجداء اماني المسلمين اصلا كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان
بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم
وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا
فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم
نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس الامر
باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء مسلمون لنكونن خيرا منهم واحسن
حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما
روي انه لما نزل قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تحزن او
تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله اي مجاوزا موالاة الله
ونصرته وليا يواليه ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات اي بعضها وشيئا منها فان
كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات
ومن للابتداء اي كائنة من ذكر الخ وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها
على انه لا اعتداد به دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها
كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبة المشار اليه
وبعد منزلته في الشرف يدخلون الجنة وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال ولا يظلمون نقيرا اي
لا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة وان لم ينقص ثواب المطيع فلان لا يزاد
عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب ومن احسن
دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل
اخلص عمله له عز وجل وقيل فوض امره اليه تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن دينا ممن فعل ذلك
او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يرشدك اليه العرف المطرد والاستعمال
الفاشي فانه اذا قيل من اكرم من فلان ولا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل فاضل وعليه مساق
قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى ونظائره ودينا نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن دينه
احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى

مما ينتهي اليه القوة البشرية وهو محسن اي آت بالحسنات تارك للسيئات او آت بالاعمال الصالحة على
الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد
الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين
الاسلام المتفق على صحتها وقبولها حنيفا مائلا عن الاديان الزائغة وهو حال من فاعل اتبع او من ابراهيم واتخذ
الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله واظهاره في موضع الاضمار
لتفخيم شانه عليه السلام على انه الممدوح وتاكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فانه ود تخلل
النفس فخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان
في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض جمة من جملتها الترغيب في اتباع
ملته عليه السلام فان من بلغ من الزلفى عند الله عز وجل مبلغا مصححا لتسميته خليلا حقيق بان يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد
اليه اعناق الهمم واشرف ما يرمق نحوه احداق الامم قيل انه بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه
فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس من الشدة
فرجع غلمانه عليه السلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اتوا المنزل ابراهيم عليه السلام
والقوها فيه وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابراهيم بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء
الطعام فغلبته عيناه وعمدت سارة الى الغرائر فاذا فيها اجود ما يكون من الحوارى واختبزت وفي رواية فاطعمت الناس
واستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل
فسماه الله تعالى خليلا ولله ما في السموات وما في الارض جملة مبتدأة سيقت لتقرير وجوب طاعته تعالى على اهل
السموات والارض ببيان ان جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء منها فيجازي
كلا بموجب اعماله خيرا وشرا وقيل لبيان ان اتخاذه عز وجل لابراهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه الى ذلك في شان من شؤونه
كما هو دأب الآدميين فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى البعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان الخلة
لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه السلام للخلة بمحض مشيته تعالى اي له تعالى ما فيهما
جميعا يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقوله عز وجل وكان الله بكل شيء محيطا تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه
المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك
اكمل تقرير ويستفتونك في النساء اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الآتية لا في حق ميراثهن خاصة
فانه صلى الله عليه وسلم قد سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف احيل بيانه على ما ورد
في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب
باسناد الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل اليه تعالى والى ما تلي من الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة
قولك اغناني زيد وعطاؤه وما يتلى عطف على المبتدأ او ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار والمجرور وايثار
صيغة المضارع للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب متعلق بيتلى او بمحذوف وقع حالا من المستكن
فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على ان المراد به اللوح المحفوظ والجملة
معترضة مسوقة لبيان عظم شان المتلو عليهم وان العدل والحقوق المبينة فيه من عظائم الامور التي يجب مراعاتها
والمحافظة عليها واما جعله مجرورا على القسم اي واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب فضعيف
ولا مساغ لعطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى في يتامى النساء على الوجه الاول والثاني
متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في شانهن وعلى الاخيرين بدل من فيهن والاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ
ييامى بياءين على انه ايامى اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي ما فرض لهن من الميراث وغيره وترغبون عطف على الصلة

عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من فاعل تؤتونهن بتاويل وانتم ترغبون ولا ريب في انه لا يظهر لتقييد عدم الايتاء بذلك فائدة الا اذا اريد بما كتب لهن صداقهن أن تنكحوهن اي في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن بل لاجل مالهن او في ان تنكحوهن بغير اكمال الصداق وذلك ما روي عن عائشة رض من انها اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق او عن ان تنكحوهن وذلك ما روي عنها انها اليتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية عنها رضي الله عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها وشريكها في المال حتى في العذق فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الاول والآخر ميراثهن وبما يتلى فيهن قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولا تاكلوها ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى فيهن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الآية والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء وما يتلى فيهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال القوام بالامور ان عيينة بن حصين الفزاري جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم كذلك امرت وان تقوموا لليتامى بالقسط بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك مما لا يكاد يحصر هذا على كون في يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار فعل اي ويامركم وهو خطاب للولاة او للاولياء والاوصياء وما تفعلوا في حقوق المذكورين من خير حسبما امرتم به او ما تفعلوه من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا اوليا فان الله كان به عليما فيجازيكم بحسبه وان امرأة خافت شروع في بيان ما لم يبين فيما سلف من الاحكام اي ان توقعت امرأة من بعلها نشوزا اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل محادثتها ومؤانستها لما يقتضي ذلك من الدواعي والاسباب فلا جناح عليهما حينئذ ان يصلحا بينهما صلحا اي في ان يصلحا بينهما بان تحط له المهر او بعضه او القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة رض او بان تهب له شيئا تستميله وقرئ يصالحا من تصالحا ويصلحا من يصطلحا ويصالحا من المفاعلة وصلحا اما منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير على انه مصدر منه بحذف الزوائد وقد يعبر عنه باسم المصدر كانه قيل اصلاحا او تصالحا او اصطلاحا حسبما قرئ الفعل او بفعل مترتب على المذكور اي فيصلح حالهما صلحا وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما مع انه ليس من جانبها الا الاخذ الذي هو المظنة للجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والاخذ والصلح خير اي من الفرقة او من سوء العشرة او من الخصومة فاللام للعهد وهو خير من الخيور واللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى واحضرت الانفس الشح اي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه ابدا فلا تكاد المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها فان فيه تحقيقا للصلح تقريرا له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر اليها لنفسه فان ذلك يستدعي التمادي في المماكسة والشقاق بل بالنظر الى حال صاحبه فان شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة مما يحمل المرأة على بذل بعض حقوقها اليه لاستمالته وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على ان يقنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن فان الله كان بما تعملون اي من الاحسان والتقوى او بما تعملون جميعا فيدخل فيه ذلك

دخولا اوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين وفي خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة ما لا يخفى روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت اليه ذلك وقيل نزلت في ابي السائب كانت له امرأة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي فاقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اي محال ان تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل الى جانب احداهن في شأن من الشؤون البتة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وفي رواية وانت اعلم بما لا املك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها ولو حرصتم اي على اقامة العدل وبالغتم في ذلك فلا تميلوا كل الميل اي فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم فتذروها اي التي ملتم عنها كالمعلقة التي ليست ذات بعل او مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا الميل فيما يستقبل فان الله كان غفورا يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته وان يتفرقا وقرئ يتفارقا اي وان يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره يغن الله كلا منهما اي يجعله مستغنيا عن الآخر ويكفه مهماته من سعته من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض اي من الموجودات كائنا ما كان من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك والجملة مستأنفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي امرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام في الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الموصول ان اتقوا الله اي وصينا كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله على ان ان مصدرية حذف عنها الجار ويجوز ان تكون مفسرة لان التوصية في معنى القول فقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض من تتمة القول المحكي اي ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وان تكفروا الى آخر الآية وعلى تقدير كون ان مصدرية مبنى الكلام على ارادة القول اي امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ان تكفروا الآية وقيل هي جملة مستأنفة خوطب بها هذه الامة وايا ما كان فالمترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان لله الآية بل هو الامر بعلمه كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات وما في الارض من الخلائق قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا اي عن الخلق وعبادتهم حميدا محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله ما في السموات وما في الارض كلام مبتدأ مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكي اي له سبحانه وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيف ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وكفى بالله وكيلا في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه ان يشأ يذهبكم ايها الناس اي يفنكم ويستأصلكم بالمرة ويأت بآخرين اي ويوجد دفعة مكانكم قوما آخرين من البشر او خلقا آخرين مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اي ان يشأ افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم الخ يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق

مشيئته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك
اي افنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه لاسيما في توسيط الخطاب بين الجزاء
وما عطف عليه من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت بناس آخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم
قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا
والآخرة اي فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فماله يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي
الآخرة حسنة او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء
او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه وكان الله سميعا بصيرا
عالما بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا
يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع الامور مجتهدين في ذلك
حق الاجتهاد شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان وقيل حال ولو على انفسكم اي
ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه او على
ثالث او بان يكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه او الوالدين والاقربين اي ولو كانت
على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه غنيا يبتغى في العادة رضاه ويتقى سخطه او فقيرا يترحم عليه غالبا وقرئ
ان يكن غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى فالله اولى بهما عليه فلا تمنعوا عنها
طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله تعالى اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما
مصلحة لهما لما شرعها وقرئ اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اي مخافة ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى
من مظان الجور الذي يحق ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا
اي السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تأتوا بها لا على وجهها وقرئ وان تلوا من الولاية والتصدي اي
وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا اي عن اقامتها رأسا فان الله كان بما تعملون من لي الالسنة والاعراض
بالكلية او من جميع الاعمال التي من جملتها ما ذكر خبيرا فيجازيكم لا محالة على ذلك فهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى
القراءة الاخيرة متضمن للوعد يا ايها الذين آمنوا خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله
والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او
ازدادوا فيه طمأنينة ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالي والمراد بالكتاب الثاني الجنس
المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه والايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالى
على رسول معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار الايمان بكل واحد من تلك
الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان الاحكام تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب
وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان
بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون
عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمني اهل
الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلاما وابن اخيه سلمة واسدا واسيدا ابني كعب وثعلبة بن
قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك
وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله
محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم فامرهم بالايمان بالكتابين

للتوبيخ مع انهم مؤمنون بهما من قبل ليس لكون المراد بالايمان بما يعم انشاءه والثبات عليه ولا لان
متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداهما كانه قيل آمنوا بالكل ولا تخصوه بالبعض بل لان المأمور به انما
هو الايمان بهما في ضمن الايمان بالقرآن على الوجه الذي اشير اليه آنفا لا ايمانهم السابق ولان فيه حملا
لهم على التسوية بينهما وبين سائر الكتب في التصديق لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى
وقيل خطاب لاهل الكتابين فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض دون بعض وامر كل طائفة بالايمان بكتابه في ضمن الامر
بالايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى آمنوا اخلاصا بقلوبكم لا بالسنتكم فقط ومن يكفر بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث
لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الآخر في جانب الكفر لما ان بالكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا
وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم الرسل فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا
عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لانهم وسائط بين الله عز وجل وبين الرسل في انزال الكتب ان الذين آمنوا
قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا عند عوده اليهم ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا
كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا لما انه يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم
قد ضريت بالكفر وتمرنت على الردة وكان الايمان عندهم اهون شيء وادونه لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل
منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف وقائمه يريد ليغفر لهم وقوله عز وجل بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل
على ان المراد بالمذكورين الذين آمنوا في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع
بشر موضع انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد بهم الذين
وقيل نصب على انه صفة للمنافقين وقوله تعالى من دون المؤمنين حال من فاعل يتخذون اي يتخذون الكفرة انصارا
متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد صلى الله عليه وسلم فتولوا اليهود ايبتغون
عندهم العزة انكار لرأيهم وابطال له وبيان لخيبة رجائهم وقطع لاطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة
لما قبلها اي ايطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة قال الواحدي اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الصلبة الشديدة
عزاز وقوله تعالى فان العزة لله جميعا تعليل لما يفيده الاستفهام الانكاري من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم
فان انحصار جميع افراد العزة في جنابه عز وجل بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة قال تعالى ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين يقتضي بطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف كانه
قيل ان يبتغوا عندهم عزة فان العزة لله جميعا حال من المستكن في قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدأ وقد نزل عليكم
خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذي يستدعيه تعداد جناياتهم وقرئ مبنيا للمفعول
من التنزيل والانزال وقرئ نزل ايضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون ايضا مفيدة لكمال قباحة حالهم ونهاية
استعصائهم عليه سبحانه ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم عن ذلك وهو
ورود النهي الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهي عن موالاتهم على ابلغ وجه وآكده اثر بيان انتفاء ما يدعوهم اليه
بالجملة المعترضة كانه قيل تتخذونهم اولياء والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة في الكتاب اي
القرآن الكريم ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره وذلك قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم الآية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم
في تلك الحالة القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هي المخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف
والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف عليه داخل في حكم
الحالية واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها وتهويل امر الكفر بها اي نزل عليكم في الكتاب

انه اذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزأ بها وفيه دلالة على ان المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وان خوطب به
خاصة منزل على الامة وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم في الآيات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية واخرى
بالسماع وان المراد بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم
للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ انكم اذا مثلهم جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل
واذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر اي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر
واستتباع العذاب وافراد المثل لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير
متمكن كما في قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية اي في مثل حالهم وقوله تعالى ان الله جامع
المنافقين والكافرين في جهنم تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد
بالمنافقين اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق واما
الجنس وهم داخلون تحته دخولا اوليا وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعا
مثل ما قبله الذين يتربصون بكم تلوين للخطاب وتوجيه له للمؤمنين بتعديد بعض آخر من جنايات المنافقين
وقبائحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او
منصوب على الذم اي ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء في قوله تعالى فان كان لكم فتح من الله
لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص يستدعي شيئا ينتظر المتربص
وقوعه قالوا اي لكم الم نكن معكم اي مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا
اي للكفرة الم نستحوذ عليكم اي الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين
بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم والا لكنتم نهبة
للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحا وما للكافرين نصيبا لتعظيم شان المسلمين
وتخسيس حظ الكافرين وقرئ ونمنعكم باضمار ان فالله يحكم بينكم يوم القيامة حكما يليق بشان كل منكم
من الثواب والعقاب واما في الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم
بها نفاقا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج
او في الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتدأ مسوق لبيان طرف آخر
من قبائح اعمالهم اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب
في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والاموال واعد لهم في الآخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق في صدر
سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون
انظرونا نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف
وهما جمعا كسلان يراؤن الناس ليحسبوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة
فان المرائي يري غيره عمله وهو يريه استحسانه والجملة اما استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا
يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل يراؤن الخ او حال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على يراؤن
اي لا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل او الا زمانا قليلا او لا يصلون
الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل او لا يذكرونه تعالى في الصلوة الا قليلا عند التكبير والتسليم
مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراؤن او منصوب على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما
بمعونة المقام اي مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين
مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال اي مذبذبين قلوبهم او دينهم او آراءهم او هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى
تصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال الغير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة

اي طريقة واخرى في اخرى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اي لا منسوبين الى المؤمنين ولا منسوبين الى الكافرين او لا صايرين
الى الاولين ولا الى الآخرين فمحله النصب على انه حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان وتفسير له ومن
يضلل الله لعدم استعداده للهداية والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان
تهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون
المؤمنين نهوا عن موالاة الكفرة صريحا وان كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون فان
موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال
اتجعلون للمبالغة في انكاره وتهويل امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه كما
في قوله عز وجل ام تريدون ان تسئلوا رسولكم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي
في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله وخداعهم واما
قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها
متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر ويعضده ان جمعه ادراك ولن تجد
لهم نصيرا يخلصهم منه والخطاب كما سبق الا الذين تابوا اي عن النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم
في الخبر واصلحوا ما افسدوا من احوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله اي وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا
دينهم لله اي جعلوه خالصا لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز
الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المؤمنين اي المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر
عنهم نفاق اصلا منذ آمنوا والا فهم ايضا مؤمنون اي معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى
وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
وآمنتم استئناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا وعدما انما هو كفرهم لا شيء آخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم
عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على ابلغ وجه وآكده اي اي شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم ايشتفي به من الغيظ
ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما هو شأن الملوك وهو الغني المتعالي عن امثال ذلك
وانما هو امر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على الايمان لما
انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى
الى معرفة المنعم فيؤمن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا الشكر من الله سبحانه
هو الرضا باليسير من طاعة عباده واضعاف الثواب بمقابلته عليما مبالغا في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها شكركم
وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول عدم محبته تعالى لشيء كناية عن سخطه
والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اي لا يحب الله تعالى ان يجهر احد بالسوء كائنا من القول
الا من ظلم اي الا جهر من ظلم بان يدعو على ظالمه او يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه
وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم
فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل والاستثناء منقطع اي ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه
الله تعالى فيجهر بالسوء وكان الله سميعا لجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم عليما بجميع المعلومات
التي من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء ان تبدوا خيرا اي خير كان من الاقوال
والافعال او تخفوه او تعفوا عن سوء مع ما سوغ لكم من مؤاخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في ابداء
الخير واخفائه لما انه الحقيق بالبيان وانما ذكرا بداء الخير واخفائه بطريق التشبيب له كما ينبئ عنه قوله عز وجل

فان الله كان عفوا قديرا فان ايراده في معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة اي كان
مبالغا في العفو مع كمال قدرته على المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانبين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا
بسنة الله تعالى وقال الكلبي هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا عمن عفا قديرا
على ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون بالله ورسله اي يؤدي اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا انهم يصرحون
بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اي بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم
لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى ويقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض اي نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر
بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله في الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء
الا وقد اخبر قومه بحقية دين نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى
ايضا من حيث لا يحتسب ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك اي بين الايمان والكفر سبيلا يسلكونه مع
انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق الا الضلال اولئك الموصوفون بالصفات القبيحة هم
الكافرون الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي حق ذلك
اي كونهم كاملين في الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا اي ثابتا يقينا لا ريب فيه واعتدنا
للكافرين اي لهم وانما وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم او لجميع الكافرين وهم داخلون في زمرتهم
دخولا اوليا عذابا مهينا سيذوقونه عند حلوله والذين آمنوا بالله ورسله على الوجه الذي بين في تفسير
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسله الآية ولم يفرقوا بين احد منهم بان يؤمنوا ببعض ويكفروا بالآخرين
كما فعله الكفرة ودخول بين على احد قد مر تحقيقه في سورة البقرة بما لا مزيد عليه اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة
المذكورة سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة
وان تراخى وقرئ نؤتيهم بنون العظمة وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم
يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود حين قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي
على اللوح كما نزلت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه
العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى
اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى شيئا اكبر منه وقيل تعليل للجواب اي
فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا موسى اكبر منه وهذه المسألة وان صدرت عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون
وما يذرون اسندت اليهم والمعنى ان لهم في ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم فقالوا ارنا الله
جهرة اي ارناه نره جهرة اي عيانا او مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية فاخذتهم الصاعقة اي نار جاءت
من السماء فاهلكتهم وقرئ الصعقة بظلمهم اي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها
وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات اي المعجزات التي اظهرها
لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التوراة لانها لم تنزل عليهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم
وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كأنه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم
ايضا حتى نعفو عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حيث امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة
عن معصيتهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم اي بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روي انهم امتنعوا عن قبول شريعة التوراة
فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها او ليخافوا فلا ينقضوه على ما روي انهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل
فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب بما سيأتي من قوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا غليظا وقلنا لهم على لسان

موسى عليه السلام والطور مظل عليهم ادخلوا الباب قال قتادة كنا نحدث انه باب من ابواب بيت المقدس
وقيل هو ايليا وقيل هو اريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس
في حياة موسى عليه السلام سجدا اي متطامنين خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا اي لا تظلموا باصطياد الحيتان
في السبت وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال على ان اصله تعتدوا فادغمت التاء في
الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها الى العين واخذنا منهم على الامتثال بما كلفوه ميثاقا غليظا مؤكدا وهو
العهد الذي اخذه الله عليهم في التوراة قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم
باي انواع العذاب فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة للتأكيد او نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة
بفعل محذوف اي فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وروي انهم اعتدوا في السبت
في عهد داود عليه السلام فلعنوا ومسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا على ان قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى
فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا يخفى ان قولهم انا قتلنا المسيح وقولهم على مريم البهتان متأخر
عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون
من صلة قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله اي بالقرآن او بما في كتابهم
وقتلهم الانبياء بغير حق كزكريا ويحيى عليهما السلام وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اي هي مغشاة باغشية
جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام او هو تخفيف غلف جمع غلاف اي هي اوعية للعلوم فنحن
مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث
الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل طبع الله عليها بكفرهم كلام معترض بين المعطوفين جيء به على
وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد اي ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا
بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم او ليست قلوبهم كما ادعوا بل هو مطبوع عليها بسبب
كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وبكفرهم اي
بعيسى عليه السلام وهو عطف على قولهم واعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه على كفرهم
فيكون هو وما عطف عليه من اسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان
بتكرر كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر
قدره حيث نسبوها الى ما هي عنه بألف منزل وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله نظم قولهم هذا
في سلك سائر جناياتهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم بقتل النبي والاستهزاء به فان
وصفهم له عليه السلام بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم به كما في قوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر الخ
ولانباء عن ذكره عليه السلام بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع للذكر الجميل من جهته تعالى
مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له من جهته تعالى مدحا له عليه السلام ورفعا لمحله واظهارا لغاية
جراتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم في تبجحهم بذلك وما قتلوه وما صلبوه حال او اعتراض ولكن
شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير
فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهي فيقتل
ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى عليه السلام
فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه السلام فرفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه
فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه السلام وقيل ان ططيانوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله
تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى عليه السلام فاخذ وصلب وامثال هذه الخوارق لا تستبعد في عصر
النبوة وقيل ان اليهود لما هموا بقتله عليه السلام فرفعه الله تعالى الى السماء خاف رؤساء اليهود وقوع

الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عم لهم الا قليلا وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا **وان الذين اختلفوا فيه** اي في شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت **لفي شك منه** لفي تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد على ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى **ما لهم به من علم الا اتباع الظن** استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي يسكن اليه النفس جزما كان او غيره فالاستثناء ح متصل **وما قتلوه يقينا** اي قتلا يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه وما علموه يقينا كما في قول من قال كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم في الجملة وقد نفي عنهم ذلك بالكلية **بل رفعه الله اليه** رد وانكار لقتله واثبات لرفعه **وكان الله عزيزا** لا يغالب فيما يريده **حكيما** في جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى في امر عيسى عم دخولا اوليا **وان من اهل الكتاب** اي من اليهود والنصارى وقوله تعالى **الا ليؤمنن به قبل موته** جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثاني والاول لعيسى اي وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بعيسى عم قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع وقت التكليف ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لما ان احدا في معنى الجمع وعن ابن عباس رض انه فسر كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فان خر من فوق بيت او احرق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا يخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى احد الا ليؤمنن به قبل موته روي انه عم ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم **ويوم القيمة يكون** اي عيسى عم **عليهم** على اهل الكتاب **شهيدا** فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **فبظلم من الذين هادوا** لعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اي تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي اي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم **حرمنا عليهم طيبات احلت لهم** ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله عز وجل في مواقع

كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين اي في ادعائكم انه تحريم قديم روي انه عم لما كلفهم اخراج التورية لم يجترئ احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين **وبصدهم عن سبيل الله كثيرا** اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا **واخذهم الربوا وقد نهوا عنه** فان الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة المنهي **واكلهم اموال الناس بالباطل** بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة **واعتدنا للكافرين منهم** اي المصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم **عذابا اليما** سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم **لكن الراسخون في العلم منهم** استدراك من قوله واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا وآجلا اي لكن الثابتون منهم في العلم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد عبد الله بن سلام واصحابه **والمؤمنون** اي منهم وصفوا بالايمان من بعد ما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ في العلم بطريق العطف المبني على المغايرة بين المعطوفين تنزيلا للاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي وقوله تعالى **يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** حال من المؤمنين مبينة لكيفية ايمانهم وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله عز وعلا **والمقيمين الصلوة** قيل نصب باضمار فعل تقديره واعني المقيمين الصلوة على ان الجملة معترضة بين المبتدأ والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب والانبياء او الملائكة قال مكي اي ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلوة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف في اليك اي يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة وهم الانبياء وقيل على الضمير المجرور في منهم اي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقرئ بالرفع على انه معطوف على المؤمنون بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي وكذا الحال فيما سيأتي من المعطوفين فان قوله تعالى **والمؤتون الزكوة** عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله تعالى **والمؤمنون بالله واليوم الآخر** فان المراد بالكل مؤمنوا اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين في علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما وان من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشرائع والاحكام واكتفي من بينها بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة المستتبعين لسائر العبادات البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدأ والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى **اولئك** اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عدد من الصفات الجليلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى **سنؤتيهم اجرا عظيما** خبره والجملة خبر للمبتدأ الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتأكيد الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا انسب بتجاوب طرفي الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الآخرون بالاجر العظيم كانه قيل اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم اجرا عظيما واما ما جنح اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك الخ خبر المبتدأ ففيه كمال السداد خلا انه غير متعرض لتقابل الطرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون بالله **انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده** جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شأنه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشأن سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحد في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو رأي سيبويه اي اوحينا الايحاء حال كونه مشبها بايحائنا الخ ومن بعده متعلق باوحينا وانما بدئ بذكر نوح لانه ابو البشر الثاني واول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والاحكام واول نبي عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله بدعائه اهل الارض **واوحينا الى ابراهيم** عطف على اوحينا

إلى نوح داخل معه في حكم التشبيه أي كما أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وهم أولاد يعقوب عليهم السلام وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفا لهم وإظهارا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وتصريحا بمن ينتمي إليهم اليهود من الأنبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير الإيحاء والتنبيه على أنهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي وآتينا داود زبورا قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الأحكام وإنما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل وقرئ بضم الزاي وهو جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على أوحينا داخل في حكمه لأن إيتاء الزبور من باب الإيحاء أي وكما آتينا داود زبورا وإيثاره على وأوحينا إلى داود لتحقيق المماثلة في أمر خاص هو إيتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الإيحاء ثم أشير إلى تحقيقها في أمر لازم لهما لزوما كليا وهو الإرسال فإن قوله تعالى ورسلا نصب بمضمر يدل عليه أوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قبله أي وكما أرسلنا رسلا لأن ما بعده قوله تعالى قد قصصناهم عليك أي وقصصنا رسلا كما قالوا ويرد عليه أن قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الأول منصوب على أنه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الإعراب فإنه مما لا سبيل إليه كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى من قبل متعلق بقصصنا أي قصصنا من قبل هذه السورة أو اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما أوحينا إلى نوح وإلى رسل الخ والحق أن يكون انتصابهما بأرسلنا فإن فيه تحقيقا للمماثلة بين شأنه صلى الله عليه وسلم وبين شؤون من يعترفون بنبوته من الأنبياء عليهم السلام في مطلق الإيحاء ثم في إيتاء الكتاب ثم في الإرسال فإن قوله تعالى إنا أوحينا إليك منتظم لمعنى آتيناك وأرسلناك حتما كأنه قيل إنا أوحينا إليك إيحاء مثل ما أوحينا إلى نوح ومثل ما أوحينا إلى إبراهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان إيتاء مثل ما آتينا داود زبورا وأرسلناك إرسالا مثل ما أرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الإيحاء وأصل الإرسال فما للكفرة يسألونك شيئا لم يعطه أحد من هؤلاء الرسل عليهم السلام ومن ههنا اتضح أن رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فإن ناصبه يجب أن يكون معطوفا على أوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور ذلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في أن قصصنا لا تعلق له بشيء من الإيحاء والإيتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى إنا أوحينا إليك ثم تعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على أن تقديره في رسلا الأول يقتضي تقديره بعينه في الثاني وذلك بين الاستحالة والظهور بطلانا وكلم الله موسى برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على القلب وقوله تعالى تكليما مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل إلى الإنسان كلاما بأي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فإذا أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام والجملة إما معطوفة على قوله تعالى إنا أوحينا إليك عطف القصة على القصة لا على آتينا وما عطف عليه وإما حال بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات والمعنى أن التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر الأنبياء فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه جملة قادحا في صحة نبوة من أنزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور أن نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها أن بني إسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها إلا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح أو بإضمار أرسلنا أو على الحال بأن يكون رسلا موطئا لما بعده أو على البدلية من رسلا الأول أي مبشرين لأهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار لئلا يكون للناس على الله حجة أي معذرة يعتذرون بها قائلين لولا أرسلت إلينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من أحكامك لقصور القوة البشرية عن إدراك جزئيات المصالح وعجز أكثر الناس عن إدراك كلياتها كما في قوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا

رسولا فنتبع آياتك الآية وإنما سميت حجة مع استحالة أن يكون لأحد عليه سبحانه حجة في فعل من أفعاله بل له أن يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على أن المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أحد أغير من الله عز وجل ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما أحد أحب إليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما أحد أحب إليه العذر من الله تعالى لذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب فاللام متعلقة بأرسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة أي كائنة على الله أو هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز أن يتعلق كل منهما بما تعلق به الآخر الذي هو الخبر ولا يجوز التعلق بحجة لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى بعد الرسل أي بعد إرسالهم وتبليغ الشرائع إلى الأمم على ألسنتهم متعلقة بحجة أو بمحذوف وقع صفة لها لأن الظروف يوصف بها الأحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم الجمعة وكان الله عزيزا لا يغالب في أمر يريده ومن قضيته الامتناع عن الإجابة إلى مسألة المتعنتين حكيما في جميع أفعاله التي من جملتها إرسال الرسل وإنزال الكتب فإن تعدد الرسل والكتب واختلافهما في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع والأحكام إنما هو لتفاوت طبقات الأمم في الأحوال التي عليها يدور فلك التكليف فكما أنه سبحانه وتعالى برأهم على أنحاء شتى وأطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشأنهم وتقتضيه أحوالهم المتخالفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرائع والأحكام حسبما تستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في إرسال الرسل وإنزال الكتب وغير ذلك من الأمور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد إذ جمع تمام التكاليف يثقل على المكلف قبولها والخروج عن عهدتها وأما التنزيل المنجم الواقع حسب الأمور الداعية إليه فهو أيسر قبولا وأسهل امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله كأنه لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا الخ قيل إنهم لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد بما أنزل إليك على البناء للفاعل وقرئ على بناء المفعول والباء صلة للشهادة أي يشهد بحقية ما أنزل إليك من القرآن المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد أنزله بعلمه أي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم بديع يعجز عنه كل بليغ أو بعلمه بحال من أنزله عليه واستعداده لاقتباس الأنوار القدسية أو بعلمه الذي يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الأولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة في موقع التفسير لما قبلها وقرئ نزله وقوله تعالى والملائكة يشهدون أي بذلك مبتدأ وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول أنزله أي أنزله والملائكة يشهدون بصدقه وحقيته وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها إن الذين كفروا أي بما أنزل الله تعالى وشهد به أو بكل ما يجب الإيمان به وهو داخل فيه دخولا أوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا وصدوا عن سبيل الله وهو دين الإسلام من أراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ صدوا مبنيا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال ولأن المضل يكون أعرق في الضلال وأبعد من الإقلاع عنه إن الذين كفروا أي بما ذكر آنفا وظلموا أي محمدا صلى الله عليه وسلم بإنكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها أو الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية إلى الحق والأعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الإشارة خلقه تعالى لأعمالهم السيئة المؤدية بهم إلى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم إلى اكتسابها أو سوقهم إليها يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدرة من الضمير

المنصوب والعامل فيهما ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كأنه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقوله أبدا
نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اي جعلهم خالدين في جهنم على الله يسيرا
لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى يا أيها الناس بعد ما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
تعلل اليهود بالاباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه السلام وتقرير رسالته ببيان
ان شأنه عليه السلام في امر الوحي والارسال كشأن من يعترفون بنبوته من مشاهير الانبياء عليهم السلام وأكد
ذلك بشهادته سبحانه وشهادة الملائكة امر المكلفين كافة على طريقة تلوين الخطاب بالايمان بذلك الرسول مشفوعا
بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد تنبيها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر في عدم القبول وقوله
عز وجل قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر
بالايمان وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب طاعته والمراد بالحق هو القرآن الكريم والباء
متعلقة بجاءكم فهي للتعدية او بمحذوف وقع حالا من الرسول اي ملتبسا بالحق ومن ايضا متعلقة اما بالفعل واما
بالمحذوف هو حال من الحق اي جاءكم به من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان
بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء في قوله عز وعلا فآمنوا
للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اي فآمنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على انه
مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو رأي الخليل وسيبويه اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر
او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو رأي الفراء اي آمنوا ايمانا خيرا لكم او على انه خبر كان المضمرة الواقعة
جوابا للامر لا جزاء للشرط الصناعي وهو رأي الكسائي وابي عبيدة اي يكن الايمان خيرا لكم وان تكفروا اي ان
تصروا او تستمروا على الكفر به فان لله ما في السموات والارض من الموجودات سواء كانت داخلة في حقيقتهما
وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه وآكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في
جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اي كلها له عز وجل خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج عن ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شأنه
فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة او فمن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل
فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لامره وكان الله عليما مبالغا في العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك
علمه تعالى بكفركم دخولا اوليا حكيما مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم يا أهل
الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم ٥
بالافراط في رفع شأن عيسى عليه السلام وادعاء الوهيته واما غلو اليهود في حطه عليه السلام ورميهم بانه
ولد لغير رشدة فقد نعي عليهم ذلك فيما سبق ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد
واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين
كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة
مفيدة لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من بنوته تعالى وقوله تعالى رسول الله خبر المبتدأ والجملة مستأنفة مسوقة
لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وكلمته
عطف على رسول الله اي مكون بكلمته وامره الذي هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة ألقاها الى مريم اي اوصلها
اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام وقيل اعلمها اياها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله
يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم قيل الجملة حال من ضمير هو المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق
الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها وروح منه قيل هو الذي نفخ جبريل عم في درع مريم فحملت باذن الله تعالى سمي النفخ روحا
لانه ريح تخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى ان طبيبا حاذقا نصرانيا
للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عم جزء منه تعالى
وتلا هذه الآية فقرأ الواقدي وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فقال اذن يلزم ان يكون جميع تلك
الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا فانقطع النصراني فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي
بصلة فاخرة وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح اي كائنة من جهته تعالى جعلت منه تعالى وان كانت بنفخ
جبريل عم لكون النفخ بامره سبحانه وقيل سمي روحا لاحيائه الاموات وقيل لاحيائه القلوب كما سمي بها القرآن
لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحي الذي اوحي الى مريم بالبشارة
وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام
متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح وتقديم كونه عم رسول الله تعالى في الذكر مع تأخره عن كونه تعالى وجودا
منه في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتأويل وتعيين مآل ما يحتمله وسد باب التأويل الزائغ
فآمنوا بالله وخصوه بالالوهية ورسله اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية
ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح
القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة انتهوا اي عن التثليث
خيرا لكم قد مر وجوه انتصابه انما الله اله واحد اي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ
واله خبره وواحد نعت اي منفرد في الهيته سبحانه ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه
تسبيحا من ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شيء ويتطرق اليه فناء والله سبحانه منزه عن امثاله وقرئ ان يكون
اي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض جملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه
وتقريره اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته شيء من الاشياء التي من جملتها
عيسى عليه السلام فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى وكفى بالله وكيلا اليه يكل الخلق امورهم وهو غني عن
العالمين فاني يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شأن العجزة المحتاجين في تدبير امورهم الى من يخلفهم ويقوم
مقامهم لن يستنكف المسيح استئناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الانفة والترفع من نكفت الدمع اذا
نحيته عن وجهك بالاصبع اي لن يأنف ولن يترفع ان يكون عبدا لله اي من ان يكون عبدا له تعالى مستمرا على عبادته
وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عليه السلام
عنه مع انه شأنه عم المباهاة به كما يدل عليه احواله وينفصح عنه اقواله اولا ترى ان اول مقالة قالها للناس
قوله اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا لوقوعه في موقع الجواب عما قالته الكفرة روي ان وفد نجران قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول
انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عم عبدا
له تعالى دون ان يقال عن عبادته ونحو ذلك مع افادة فائدة جليلة هي كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف
بالكلية فان كونه عبدا له تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم الاستنكاف عنه مستلزم لعدم
الاستنكاف عن عبادته تعالى كما اشير اليه بخلاف عبادته تعالى فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي في
اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي
ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله وقيل ان اريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج الى التقدير واحتج
بالآية من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام
العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم
استنكافه عليه السلام واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه
عليه السلام وامتيازه عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه

عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو أعلى درجة منه فيما ذكر فإن الملائكة مخلوقون من غير أب ولا أم وعالمون بما
لا يعلمه البشر من المغيبات ومعاينون السموات العلى ولا نزاع في علو درجتهم من هذه الحيثية وإنما النزاع في حيث كثرة
الثواب على الطاعات وبأن الآية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة أيضا فلا اتجاه لما
قالوا وإن سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله أريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التفضيل
كما في قولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس ولئن سلم إرادة التفضيل فغاية الأمر الدلالة على أفضلية
المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش أو من هو أعلى منهم رتبة من الملائكة عليهم السلام على المسيح من الأنبياء
عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا وهل التشاجر إلا فيه ومن يستنكف عن عبادته
أي طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وإنما جعل المستنكف عنه هنا عبادته تعالى لا ما سبق لتعليق
الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فإن عدم طاعتهم له تعالى مما لا سبيل لهم إلى إنكار اتصافهم به إن قيل لم عبر
عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها مع أن ذلك منهم كان بطريق إنكار كون الأمر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف
قلنا لأنهم كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل هو إلا الاستنكاف عن طاعة الله عز وجل إذ
لا أمر له عليه السلام سوى أمره تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ويستكبر الاستكبار الأنفة عما لا ينبغي أن يؤنف عنه
وأصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بل بمعنى عد نفسه كبيرا
واعتقاده كذلك وإنما عبر عنه بما يدل على الطلب للإيذان بأن مآله محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر
عن مثل ذلك بنفس الطلب في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فإنهم ما كانوا يطلبون ثبوت
العوج لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبر عن ذلك
بالطلب لما ذكر من الإشعار بأن ليس هناك شيء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن توهم لحوق
العار والنقص من المستنكف عنه فسيحشرهم إليه جميعا أي المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف
المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر أحد الفريقين في المفصل تعويلا على إنباء التفصيل عنه وثقة بظهور اقتضاء
حشر أحدهما لحشر الآخر ضرورة عموم الحشر للخلائق كافة كما ترك ذكر أحد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فأما الذين
آمنوا بالله الآية مع عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء إثابة أحدهما لعقاب الآخر ضرورة شمول الجزاء للكل
وقيل الضمير للمستكبرين وهناك مقدر معطوف عليه والتقدير فسيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فسيحشرهم إليه يوم يحشر العباد
لمجازاتهم وفيه أن الأنسب بالتفصيل الآتي اعتبار حشر الكل في الإجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم بكسر الشين
وهي لغة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال
الفريق المطوي ذكره في الإجمال قدم على بيان حال ما يقابله إبانة لفضله ومسارعة إلى بيان كون حشره أيضا معتبرا
في الإجمال وإيراده بعنوان الإيمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على أنه
المستتبع لما يعقبه من الثمرات فيوفيهم أجورهم من غير أن ينقص منها شيئا أصلا ويزيدهم من فضله بتضعيفها أضعافا
مضاعفة وبإعطاء ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأما الذين استنكفوا أي عن عبادته
عز وجل واستكبروا فيعذبهم بسبب استنكافهم واستكبارهم عذابا أليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون
لهم من دون الله وليا يلي أمورهم ويدبر مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه يا
أيها الناس تلوين للخطاب وتوجيه له إلى كافة المكلفين إثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال
وإلزامهم بالبراهين القاطعة التي تخر لها صم الجبال وإزاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على أن
الحجة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر قد جاءكم أي وصل إليكم وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل
لكم إلى الإنكار برهان البرهان ما يبرهن به على المطلوب والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة النبي صلى الله
عليه وسلم المثبت لما فيه من الأحكام التي من جملتها ما أشير إليه مما أثبته الآيات الكريمة من حقية الحق وبطلان

الباطل وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم عبر عنه به لما معه من المعجزات التي تشهد
بصدقه وقيل هي المعجزات التي أظهرها وقيل هو دين الحق الذي أتى به وقوله من ربكم إما متعلق بجاءكم أو بمحذوف
وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائن منه تعالى
على أن من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على الثاني كونها تبعيضية بحذف المضاف أي كائن من براهين
ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار اللطف بهم والإيذان بأن مجيئه لهم لتربيتهم
وتكميلهم وأنزلنا إليكم نورا مبينا أريد به أيضا القرآن عبر عنه تارة بالبرهان لما أشير إليه آنفا وأخرى بالنور
النير بنفسه المنور لغيره إيذانا بأنه بين بنفسه مستغن في ثبوت حقيته وكونه من عند الله عز وجل بإعجازه غير
محتاج إلى غيره مبين لغيره من الأمور المذكورة واستعار بهدايته الخلق وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان و
قد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية وعبر عن ملابسته
للمخاطبين تارة بالمجيء المسند إليه المنبئ عن كمال قوته في البرهانية كأنه يجيء بنفسه فيثبت أحكامه من غير أن يجيء به
أحد ويجيء على شبه الكفرة بالإبطال وأخرى بالإنزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورا توفيرا له باعتبار
كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به وإسناد إنزاله إليه تعالى بطريق الالتفات لكمال التشريف هذا على تقدير كون
البرهان عبارة عن القرآن العظيم وأما على تقدير كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن المعجزات
الظاهرة على يديه أو عن الدين الحق فلا مرية وقوله تعالى إليكم متعلق بأنزلنا فإن إنزاله بالذات وإن كان
إلى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه منزل إليهم أيضا بواسطته عليه السلام وإنما اعتبر حاله بالواسطة دون حاله
بالذات كما في قوله تعالى إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ونظائره لإظهار كمال اللطف بهم
والتصريح بوصوله إليهم مبالغة في الإعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر غير مرة
من الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر وللمحافظة على فواصل الآي الكريمة فأما الذين آمنوا بالله حسبما
يوجبه البرهان الذي أتاهم واعتصموا به أي عصموا به أنفسهم مما يرديها من زيغ الشيطان وغيره فسيدخلهم
في رحمة منه وفضل قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر وعن بعضهم أن الفضل بلا رحمة على طريقة قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة
وفضل تفخيمي ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة ويهديهم إليه أي إلى الله عز وجل وقيل إلى الموعود
وقيل إلى الجنة صراطا مستقيما هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وتقديم ذكر الوعد
بإدخال الجنة على الوعد بالهداية إليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين للمسارعة إلى التبشير
بما هو المقصد الأصلي وقيل انتصاب صراطا على أنه مفعول لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم أي يعرفهم صراطا
مستقيما يستفتونك أي في الكلالة استغني عن ذكره بوروده في قوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة وقد
مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طريق مكة عام حجة الوداع فقال إن لي أختا فكم آخذ من ميراثها إن ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت وعنه رضي الله عنه قال دخل علي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنا مريض لا أعقل فتوضأ وصب من وضوئه علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وإنما يرثني
كلالة فنزلت وقوله تعالى إن امرؤ هلك استئناف مبين للفتيا وارتفاع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى
ليس له ولد صفة له وقيل حال من الضمير في هلك ورد بأنه مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلام أي إن هلك
امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان أو أنثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع أن عدم الوالد أيضا معتبر في الكلالة
ثقة بظهور الأمر وله أخت عطف على قوله ليس له ولد على الوجه الأول وحال على الثاني والمراد
بالأخت من ليست لأم فقط فإن فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة فلها نصف ما ترك أي

بالفرض والباقي للعصبة اولها بالرد ان لم يكن لها عصبة وهو اي المرء المفروض يرثها اي اخته المفروضة ان فرض
هلاكها مع بقائه ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احرازه جميع مالها اذ هو المشروط
بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها في الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس في الآية ما يدل على سقوط الاخوة بغير الولد
ولا على عدم سقوطهم وانما دلت على سقوطهم مع الاب السنة الشريفة فان كانتا اثنتين عطف على الشرطية الاولى
اي اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة والتأنيث والتثنية باعتبار المعنى
قيل وفائدة الاخبار عنها باثنتين مع دلالة الف التثنية على الاثنينية التنبيه على ان المعتبر في اختلاف الحكم
هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اي من يرث بطريق الاخوة اخوة اي مختلطة رجالا ونساء
بدل من اخوة والاصل وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث فللذكر اي فللذكر منهم مثل حظ الانثيين
يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما نزل من كتاب الله تعالى في الاحكام روي ان الصديق رض قال
في خطبته ان الآية التي انزلها الله تعالى في سورة النساء في الفرائض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج
والزوجة والاخوة من الام والآية التي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات لابوين او لاب والآية التي ختم بها
سورة الانفال انزلها في اولي الارحام يبين الله لكم اي حكم الكلالة واحكامه وشرائعه التي من جملتها حكمها
ان تضلوا اي كراهة ان تضلوا في ذلك وهو رأي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفراء وغيرهما
من الكوفيين الى تقدير اللام ولا في طرفي ان اي لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا اي لئلا تزولا وقال ابو عبيد رويت للكسائي حديث ابن عمر رض ولا يدعون احدكم
على ولده ان يوافق من الله اجابة اي لئلا يوافق فاستحسنه وليس ما ذكر من الآية والحديث نصا فيما ذهب اليه
الكسائي واضرابه فان التقدير فيهما عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق الخ وقيل ليس هناك
حذف ولا تقدير فانما هو مفعول يبين اي يبين لكم ضلالكم الذي هو من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه
وتتحروا خلافه وانت خبير بان ذلك انما يليق بما اذا كان بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطأ والضلال من غير تصريح
بما هو الحق والصواب وليس كذلك والله بكل شيء من الاشياء التي من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم عليم مبالغ
في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكانه تصدق
على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة وهي مائة وعشرون آيات مدنية

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد العهد الموثق المشبه
بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقد عليهم من التكاليف والاحكام الدينية
وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن دينا بان يحمل
الامر على معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه الاجمال ثم شرع في تفصيل الاحكام التي امر بالايفاء بها وبدأ
بما يتعلق بضروريات معايشهم فقيل احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام
للبيان كثوب الخز وافرادها لارادة الجنس اي احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة
الانعام والحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوها وقيل هي المراد بالبهيمة هنا لتقدم بيان حل الانعام والاضافة
لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الانياب وفائدتها الاشعار بعلة الحكم المشتركة بين
المضافين كانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التي بين احلالها فيما سبق المماثلة لها في مناط الحكم

وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة
والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن الا ما
يتلى عليكم استثناء من بهيمة الانعام اي الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه او
ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلي الصيد اي الاصطياد في البر او اكل صيده ومحله النصب على الحالية من ضمير لكم
ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شايع في الكتاب والسنة وانتم حرم اي محرمون
حال من الضمير في محلي وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير
كون المراد بها الظباء ونظائرها ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه
عند احرامكم واما على التقدير الاول ففائدته اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليها فان حرمة
الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينئذ كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم
ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفي اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى
المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد تربية للامتنان وتقرير
للحالة المبينة لعلتها القريبة فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا
واعتقادا مع ما في ذلك من وصفهم بما هو اللائق بهم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام حسبما تقتضيه مشيئته المبنية
على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الايفاء بهما الجريان على موجبهما عقدا وعملا
والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض الحلال كالبحيرة ونظائرها التي سيأتي بيانها يا ايها الذين آمنوا
لا تحلوا شعائر الله لما بين حرمة احلال الاحرام الذي هو من شعائر الحج عقب ذلك ببيان حرمة احلال سائر
الشعائر واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب في احلالها وهي جمع شعيرة وهي اسم لما اشعر اي جعل
شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف
بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها وان يحال بينها وبين المتنسكين
بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اي دينه
وقيل حرمات الله وقيل فرائضه التي حدها لعباده واحلالها الاخلال بها والاول انسب بالمقام ولا الشهر الحرام
اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسيء والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد
لارادة الجنس ولا الهدي بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدي الى الكعبة من ابل او بقر
او شاة جمع هدية كجدي وجدية ولا القلائد جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي من نعل او لحاء شجر ليعلم به انه هدي
فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات القلائد من الهدي وهي البدن وعطفها على الهدي مع دخولها فيه لمزيد
التوصية بها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام كانه قيل والقلائد منه خصوصا
او النهي عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا القلائد فضلا عن ان تحلوها كما نهي عن ابداء الزينة بقوله تعالى
ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين البيت الحرام اي لا تحلوا قوما قاصدين زيارته
بان تصدوهم عن ذلك باي وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف اي قتال القوم آمين الخ وقرئ ولا آمي البيت الحرام
بالاضافة وقوله عز وجل يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا حال من المستكن في آمين لا صفة له لان المختار
ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير
فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه
بها اي فضلا كائنا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول
مبتغاهم وقرئ تبتغون على الخطاب فالجملة حال من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على ان المراد بيان منافاة حالهم
للمنهي عنه لا تقييد النهي بها واضافة الرب الى ضمير الآمين للايماء الى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه

وعن نيل المبتغي وفي ذلك من تعليل النهي وتأكيده والمبالغة في استنكار المنهي عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالآمّين هم المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب الى ان الآية محكمة وقد روي قال النبي صلى الله عليه وسلم سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلّوا حلالها وحرّموا حرامها وقال الحسن رض ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقد قيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهي المؤمنين عن احلالهم دون المؤمنين على ان حرمة احلالهم تثبت بطريق دلالة النص ويؤيده ان الآية نزلت في الحطم بن ضبيعة البكري وقد كان اتى المدينة فخلف خيله خارجة فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وحده وعرض ان يأتي باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده ومرّ بسرح المدينة فاستاق فلما كان في العام القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج بكر بن وائل معه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدي فسأل المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم ان يخلي بينهم وبينه فأباه النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وفسر ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا يبعد كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روي عن ابن عباس رض ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول الآمّين للمشركين قطعا اما استقلالا واما اشتراكا لما سيأتي من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم فتعين النسخ كلا او بعضا ولا يبعد في الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل اي الرزق للمشركين والمؤمنين وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروي ايضا ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين **وإذا حللتم فاصطادوا** تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء الصيد بانتهاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر كأنه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ أحللتم وهو لغة في حل وقرئ بكسر الفاء وحركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا **ولا يجرمنكم** نهي عن احلال قوم من الآمّين خصوا به مع اندراجهم في النهي عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه جرم جار مجرى كسب في المعنى وفي التعدي الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه خلا ان جرم يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في ايثاره ههنا على الثاني وقد ينقل الاول من كل منهما بالهمزة الى معنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه وعليه قراءة من قرأ يجرمنكم بضم الياء **شنآن قوم** بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله او فاعله كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت **ان صدوكم** متعلق بالشنآن باضمار لام العلة اي لان صدوكم عام الحديبية **عن المسجد الحرام** عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه آية بينة في عموم آمّين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم وقد ابرز الصد المحقق فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون وقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير **ان تعتدوا** اي عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء الى ان المقصد الاصلي من النهي منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثاني مفعولي يجرم اي لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنآن عن كسب الاعتداء للمخاطب لكنه في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه وآكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد توجه النهي

الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه وفي تأخير هذا النهي عن قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به بل هي باقية ما لم تنقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر الآمّين بالطريق الاولى **وتعاونوا على البر والتقوى** لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فدخل فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي بقوله تعالى **ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** فاندرج فيه النهي عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه احدى التاءين تخفيفا وانما اخر النهي عن الامر مع تقدم التخلية على التحلية مسارعة الى ايجاب ما هو المقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امروا بقوله تعالى واتقوا الله بالاتقاء في جميع الامور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله تعالى **ان الله شديد العقاب** اي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة **حرمت عليكم الميتة** شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح **والدم** اي المسفوح منه لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونه لحم من قرد له اي من قصد له **ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به** اي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى **والمنخنقة** اي التي ماتت بالخنق **والموقوذة** اي التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته اذا ضربته **والمتردية** اي التي تردت من علو او في بئر فماتت **والنطيحة** اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ المنطوحة **وما اكل السبع** اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل **الا ما ذكيتم** الا ما ادركتم ذكاته وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص باكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد **وما ذبح على النصب** قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد واياما كان فهو احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام **وان تستقسموا بالازلام** جمع زلم وهو القدح اي وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعهودة **ذلكم** اشارة الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه للاشارة الى بعد منزلته في الشر **فسق** اي تمرد وخروج عن الحد ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد بقوله امرني ربي والمراد جهالة ان كان هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها تحريم تناولها **اليوم** اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر الجمعة عرفة حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء وكادت عضد الناقة تندق من ثقلها فبركت واياما كان فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى **يئس الذين كفروا من دينكم** اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله تعالى **فلا تخشوهم** اي ان يظهروا عليكم **واخشوني** اي اخلصوا

الى الخشية اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف
على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم
كما في قوله تعالى الم نشرح لك وعليكم في قوله تعالى واتممت عليكم نعمتي متعلق باتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم
عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما مر آنفا اي اتممتها بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار
الجاهلية ومناسكها والنهي عن حج المشرك وطواف العريان او باكمال الدين والشرائع او بالهداية والتوفيق وقيل معنى
اتممت عليكم نعمتي انجزت لكم وعدي بقوله ولاتم نعمتي عليكم ورضيت لكم الاسلام دينا اي اخترته لكم من بين
الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب رض ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين آية في كتابكم
تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي الاية قال عمر رض قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة
اشار رض الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروي انه لما نزلت هذه الاية بكى عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما يبكيك يا عمر قال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لا يكمل شيء الا نقص فقال عم صدقت فكانت هذه
الاية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما فمن اضطر متصل بذكر المحرمات
وما بينهما اعتراض بما يوجب ان يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة
والاسلام المرضي اي فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة يخاف منها الموت او مباديه
غير متجانف لاثم غير مائل ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او ينتزعها من مضطر آخر
كقوله تعالى غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسألونك ماذا احل لهم شروع في تفصيل
المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سألوا عنها عند بيان اضدادها ولتضمن السؤال
معنى القول اوقع على الجملة وماذا مبتدأ واحل لهم خبره وضمير الغيبة لما ان يسألون بلفظ الغيبة فانه كما يعتبر حال
المحكي عنه يقال اقسم زيد لا نفعلن يعتبر حال الحاكي فيقال اقسم زيد ليفعلن والمسؤل ما احل لهم من المطاعم قل احل لكم
الطيبات اي ما لم يستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما
علمتم من الجوارح عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصول والعائد محذوف اي وصيد ما علمتموه او
مبتدأ على ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة ايضا والخبر كلوا وانما دخلته
الفاء تشبيها للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول او ضميره المحذوف والجوارح الكواسب من سباع
البهائم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد غالبا مكلبين اي معلمين اياها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح
ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب كثيرا ما يقع فيه او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام
في حق عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام فغاظ النبي صلى الله عليه وسلم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير في علمه وقرئ مكلبين
بالتخفيف والمعنى واحد تعلمونهن حال ثانية منه او حال من ضمير مكلبين او استيناف مما علمكم الله من الحيل
وطرق التعليم والتاديب كان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما عرفكم ان تعلموه
من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وعدم اكله منه فكلوا
مما امسكن عليكم قد عرفت فيما سبق ان هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة
مرفوعة على الابتداء خبر واما على تقدير كونها عطفا على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبينة
للمضاف المقدر الذي هو المعطوف وبه يتعلق الاحلال حقيقة ومشيرة الى نتيجة التعليم واثره داخلة تحت الامر
فالفاء فيها كما في قوله شعر امرتك الخير فافعل ما امرت به ومن تبعيضية لما ان البعض مما يتعلق به الاكل كالجلود
والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة حذف عائدها وعلى متعلقة بامسكن اي فكلوا بعضها

امسكنه عليكم وهو الذي لم يأكل منه واما ما اكل منه فهو مما امسكنه على انفسهن لقوله عم لعدي بن
حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل
في سباع الطير لان تاديبها الى هذه الدرجة متعذر وقال آخرون لا يشترط ذلك مطلقا وقد روي عن سلمان
وسعد بن وقاص وابي هريرة رض انه اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله فكل واذكروا اسم الله
عليه الضمير لما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او لما امسكنه اي سموا عليه اذا ادركتم ذكوته واتقوا الله
في محرماته ان الله سريع الحساب اي سريع اتيان حسابه او سريع تمامه اذا شرع فيه يتم في اقرب
ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين انه يؤاخذكم سريعا في كل ما جل ودق واظهار الاسم الجليل في
موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم احل لكم الطيبات قيل المراد بالايام الثلث وقت واحد
وانما كرر للتاكيد ولاختلاف الاحداث الواقعة فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر وطعام
الذين اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى واستثنى علي رض نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا
منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رض والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها حل لكم اي حلال وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ
ابو حنيفة رح واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن
الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس
فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا
بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه
منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات رفع على انه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه
اي حل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر والعفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان
نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند
ابي حنيفة رح خلافا للشافعي رح والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي هن ايضا حل لكم
وان كن حربيات وقال ابن عباس رض لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن اي مهورهن وتقييد الحل
باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها واذا ظرفية عاملها احل المحذوف وقيل شرطية جوابها محذوف
محصنين حال من فاعل آتيتموهن اي حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى غير مسافحين وقيل
هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان اي ولا مسترين به
والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى وهو مجرور عطفا على مسافحين وزيدت لا لتاكيد النفي المستفاد من غير
او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار اوجهه الثلثة ومن يكفر بالايمان اي ومن ينكر شرائع الاسلام التي
من جملتها ما بين هنا من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله الصالح الذي عمله قبل
ذلك وهو في الآخرة من الخاسرين هو مبتدأ ومن الخاسرين خبره وفي متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف
دل عليه المذكور اي خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما
قبلها وقيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله شعر ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا يا ايها
الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم الى الصلوة اي اردتم
القيام اليها كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز
والتنبيه على ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها او اذا قصدتم الصلوة اطلاقا لاحد
لازميها على الآخر وظاهر الاية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم اليها وان لم يكن محدثا لان الامر للوجوب
قطعا والاجماع على خلافه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد

فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يعني بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب اصلا كيف لا وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في ان ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها **فاغسلوا وجوهكم** اي امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك **وايديكم الى المرافق** الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القرآن من اوله الى آخره وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة فان الدخول في الاول والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا وقيل الى من حيث افادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم يتميز الغاية هنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا **وامسحوا برؤوسكم** الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل فالصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما ينطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مسح ناصيته وقدرها بربع الرأس ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط **وارجلكم الى الكعبين** بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة به وقول اكثر الائمة رضي الله عنهم والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم اليم ونظايره وللنحاة في ذلك باب مفرد وفائدة التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا قريبا من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى فضيلة الترتيب وقرئ بالرفع اي وارجلكم مغسولة **وان كنتم جنبا فاطهروا** اي فاغتسلوا وقرئ فاطهروا ابدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر **وان كنتم مرضى** مرضا يخاف به الهلاك او ازدياده باستعمال الماء **او على سفر** او مستقرين عليه **او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه** من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فاموا صعيدا وقد مر تفسير الآية الكريمة مشبعا في سورة النساء فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في انواع الطهارة **ما يريد الله** اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة او بالامر بالتيمم **ليجعل عليكم من حرج** من ضيق في الامتثال به **ولكن يريد** ما يريد بذلك **ليطهركم** اي لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء مكفر لها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء **وليتم** بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم **نعمته عليكم** في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه **لعلكم تشكرون** نعمته ومن لطائف الآية الكريمة انها مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض وسفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعم **واذكروا نعمة الله عليكم** بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره **وميثاقه الذي واثقكم به** اي عهده المؤكد الذي اخذه عليكم وقوله تعالى **اذ قلتم سمعنا واطعنا** ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور في به او من ميثاقه اي كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به تاكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافته اليه تعالى مع صدوره عنه صلى الله عليه وسلم لكون المرجع اليه تعالى كما نطق به قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي اخذه الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب آدم عم **واتقوا الله** اي في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا **ان الله عليم بذات الصدور** اي بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل للامر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة **يا ايها الذين آمنوا** شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم **كونوا قوامين لله** مقيمين لاوامره ممتثلين لها معظمين لها مراعين لحقوقها **شهداء بالقسط** اي بالعدل **ولا يجرمنكم** اي لا يحملنكم **شنآن قوم على ان لا تعدلوا** فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا وغير ذلك **اعدلوا هو** اي العدل **اقرب للتقوى** التي امرتم بها صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين **واتقوا الله** امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب له اعتناء بشأنه وتنبيها على انه ملاك الامر **ان الله خبير بما تعملون** من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرات وحيث كان مضمونها مبنيا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات** التي من جملتها العدل والتقوى **لهم مغفرة واجر عظيم** حذف ثاني مفعولي وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانه استئناف مبين له وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكأنه قيل وعدهم هذا القول **والذين كفروا وكذبوا باياتنا** التي من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى **اولئك** الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات **اصحاب الجحيم** ملابسوها ملابسة مؤبدة من السنة السنية القرآنية شفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار **يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم** تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلقة بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى **اذ هم قوم** على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه تعالى عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم في وقت همهم **ان يبسطوا اليكم ايديهم** اي بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته اليهم حملا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديم لكم في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للمسرة **فكف ايديهم عنكم** عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موقع الاضمار لزيادة التقرير اي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعري عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه

بعسفان في غزوة ذي انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر
معاً فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم
يعنون صلوة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة الخوف وقيل
هو ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم لدية
مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك
ما سألت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى
عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبرئيل فاخبره فخرج عليهما السلام وقيل هو ما روي انه
صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاة يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال عليه السلام الله تعالى فاسقطه جبرئيل عليه السلام
من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وَاتَّقُوا اللَّهَ عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها او في كل ما تأتون وما تذرون
فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا **وَعَلَى اللَّهِ** اي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا او اشتراكا **فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**
فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسنادها الى المؤمنين
لايجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما
امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال
الجملة التذييلية **وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** كلام مستأنف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة
ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم
به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما تضمنته الرواية
بيانا ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق
وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستيناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله عز وجل
وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا للجري على سنن الكبرياء او لان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سيأتي وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق
من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد وسمي بذلك لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله
من النقب وهو الثقب الواسع روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير الى
اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا
من فيها واني ناصركم وامر موسى عليه السلام ان يأخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما
امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض
كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم بما رأوا وقد نهاهم
موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا نقيب سبط يهودا ويوشع بن نون نقيب سبط افرايم بن يوسف الصديق
عليه السلام قيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلثة آلاف وثلثمائة وثلثين
ذراعا وقد عاش ثلثة آلاف سنة وكان على رأسه حزمة حطب فاخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم الى امرأته وقال
انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها فقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم
حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج
النقباء قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموها الا عن موسى وهرون عليهما
السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى الا

كالب ويوشع وكان معسكر موسى عليه السلام فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل فقور منه صخرة
عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لرأسه
فانثقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول عصاه فترامى في السماء
عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى جزوا رأسه
وَقَالَ اللَّهُ اي لبني اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه
من تربية المهابة وتأكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد **إِنِّي مَعَكُمْ** اي بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط
فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما يأتون وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد
في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه كانه قيل معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم
بذلك هذا وتعليق المراد بالميثاق هو الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين ينفقون احوالهم
ويلون امورهم بالامر والنهي واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى **لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ**
بِرُسُلِي اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتأخير الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما من الفروع
المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام ولمراعاة المقارنة بينه
وبين قوله تعالى **وَعَزَّرْتُمُوهُمْ** اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم والتوقير والثناء بخير وقرئ
عزرتموهم بالتخفيف **وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ** بالانفاق في سبيل الخير او بالتصدق بالصدقات المندوبة وقوله تعالى
قَرْضًا حَسَنًا اي مصدر مؤكد وارد على غير صيغة المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها
نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقرض وقوله تعالى **لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** جواب للقسم
المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط **وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** عطف على ما قبله
داخل معه في حكم الجواب متأخر عنه في الحصول ايضا ضرورة تقدم التخلية على التحلية **فَمَنْ كَفَرَ** اي برسلي او بشيء
مما عد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب بالترهيب
بَعْدَ ذَلِكَ الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا **مِنْكُمْ** متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل
كفر ولعل تغيير السبك حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال
واسقاط من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار عليه ايضا كانه قيل
فمن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا انه قصد بايراد ما يدل على الحدوث بيان ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتصاف
بشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث
فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ اي وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطأ خطأ فاحشا لا عذر معه اصلا بخلاف
من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ** الباء سببية وما مزيدة
لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس اي بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء آخر استقلالا او انضماما **لَعَنَّاهُمْ** طردناهم
وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه
ان يبين بعد بيان تحقق نفس اللعن والنقض بان يقال مثلا فنقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم هلية الشيء
البسيطة على هليته المركبة للايذان بان تحققهما امر جلي غني عن البيان وانما المحتاج الى ذكره ما بينهما من السببية
وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً بحيث لا تتأثر عن الآيات والنذر وقيل امليناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى
قست او خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية واما بمعنى
ردية من قولهم درهم قسي اي ردي اذا كان مغشوشا فانه يبس وخشونة وقرئ بكسر القاف اتباعا بالسين **يُحَرِّفُونَ**
الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ استيناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه لا مرتبة اعظم مما يصحح الاجتراء على تغيير كلام الله تعالى
والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم **وَنَسُوا حَظًّا**

أي تركوا نصيباً وافراً مما ذكروا به من التورية أو من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل حرفوا التورية وزلت
أشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع
على خائنة منهم أي خيانة على أنها مصدر كاللاغية والكاذبة أو فعلة خائنة أي ذات خيانة أو طائفة خائنة
أو شخص خائن على أن التاء للمبالغة أو نفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا أن من على الوجهين
الأولين ابتدائية أي على خيانة أو على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية
والمعنى أن الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولأسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها أو يكتمونها فلا تزال ترى
ذلك منهم إلا قليلاً منهم استثناء من الضمير المجرور في منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلثة والمراد
بهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل من خائنة على الوجه الثاني فالمراد بالقليل الفعل القليل
ومن ابتدائية كما مر أي إلا فعلاً قليلاً كائناً منهم فاعف عنهم واصفح أي إن تابوا وآمنوا أو عاهدوا والتزموا الجزية
وقيل مطلق نسخ بآية السيف إن الله يحب المحسنين تعليل للأمر وحث على الامتثال به وتنبيه على أن العفو
على الإطلاق من باب الإحسان ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم بيان لقبائح النصارى و
جناياتهم إثر بيان قبائح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة بأخذنا إذ التقدير وأخذنا من الذين قالوا إنا
نصارى ميثاقهم بيان لقبائح النصارى وجناياتهم إثر بيان قبائح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة بأخذنا
إذ التقدير وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولأن ذكر حال إحدى
الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع أن حال الأخرى ماذا فكأنه قيل ومن الطائفة الأخرى أيضاً أخذنا ميثاقهم
وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع خبراً لمبتدأ محذوف قامت صفته مقامه أي ومنهم قوم أخذنا ميثاقهم أو من
أخذنا ميثاقهم فضمير ميثاقهم راجع إلى الموصوف المقدر وأما في التوجيه الأول فراجع إلى الموصول وقيل راجع إلى بني
إسرائيل أي أخذنا من هؤلاء ميثاق أولئك أي مثل ميثاقهم من الإيمان بالله والرسل وبما يتفرع على ذلك من أفعال الخير وإنما
نسب تسميتهم نصارى إلى أنفسهم دون أن يقال ومن النصارى إيذاناً بأنهم في قولهم نحن أنصار الله بمعزل من الصدق
وإنما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى في شيء أو إظهاراً لكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين أقوالهم
وأفعالهم فإن ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه فنسوا عقيب أخذ الميثاق
من غير تلعثم حظاً وافراً مما ذكروا به في تضاعيف الميثاق من الإيمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما مر آنفاً وقيل
هو ما كتب عليهم في الإنجيل من أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا أهواءهم
فاختلفوا وتفرقوا نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصاراً للشيطان فأغرينا أي ألزمنا وألصقنا من غري
بالشيء إذا لزمه ولصق به وأغراه غيره ومنه الغراء وقوله تعالى بينهم إما ظرف لأغرينا أو متعلق بمحذوف وقع
حالاً من مفعوله أي أغرينا العداوة والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل إلى جعله ظرفاً لهما لأن المصدر لا يعمل فيما تبد
وقوله تعالى إلى يوم القيمة إما غاية للإغراء أو للعداوة والبغضاء أي يتعادون ويتباغضون إلى يوم القيمة
حسبما تقتضي أهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية إلى التفرق إلى الفرق الثلث فضمير بينهم لهم خاصة
وقيل لهم ولليهود أي أغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وعيد
شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت أي يجازيهم بما عملوا على الاستمرار من نقض
الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتأكيد الوعيد والالتفات إلى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال
الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للإيذان برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبئة للتنبيه على أنهم
لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الأعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها وإفادة العلم
بحقيقة حالها بمنزلة الإخبار بها يا أهل الكتاب التفات إلى خطاب الفريقين على أن الكتاب جنس شامل
للتورية والإنجيل إثر بيان أحوالهما من الجناية وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم إلى الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم

والقرآن وإيرادهم بعنوان أهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة في التشنيع
فإن أهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الأحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف
ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم رسولنا الإضافة للتشريف والإيذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى يبين لكم
حال من رسولنا وإيثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد البيان أي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبيناً
لكم على التدريج حسبما يقتضيه المصلحة كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب أي التورية والإنجيل كبعث محمد
عليه السلام وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى بأحمد عليهما السلام في الإنجيل وتأخير كثيراً عن الجار والمجرور
لما مر مراراً من إظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر لما أن حقه التقديم إذا أخر
لا سيما مع الإشعار بكونه من منافع المخاطب تبقى النفس مترقبة إلى وروده فيتمكن عندها إذا ورد فضل تمكن
ولأن في المؤخر ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم فإن مما متعلق بمحذوف وقع صفة
لكثيراً وما موصولة اسمية وما بعدها صلتها والعائد إليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف وقع حالاً
من العائد المحذوف والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الكتم والإخفاء أي يبين لكم كثيراً من الذي
تخفون على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذي أنتم أهله والمتمسكون به ويعفو عن كثير أي لا يظهر كثيراً
مما تخفونه إذا لم تدع إليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما ينبئ عنه التعبير عن عدم الإظهار
بالعفو وفيه حث لهم على عدم الإخفاء ترغيباً وترهيباً والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير
منكم ولا يؤاخذه وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور جملة مستأنفة مسوقة لبيان أن فائدة مجيء الرسول عليه السلام
ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية مجازاً
أو بمحذوف وقع حالاً من نور وأياً ما كان فهو تصريح بما يشعر به إضافة الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم
الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة إلى بيان كون المجيء من جهته العالية والتشويق إلى الجائي ولأن فيه نوع طول يخل تقديمه
بتجاوب أطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوين نور للتفخيم والمراد
به وبقوله وكتاب مبين القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وإبانة ما خفي على الناس من الحق والإعجاز
البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالأول هو الرسول صلى الله
عليه وسلم وبالثاني القرآن يهدي به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات أو لكونهما في حكم الواحد أو
أريد يهدي بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام وإظهار الجلالة لإظهار كمال الاعتناء بأمر الهداية ومحل الجملة
الرفع على أنه صفة ثانية لكتاب أو النصب على الحالية منه لتخصصه بالصفة من اتبع رضوانه أي رضاه بالإيمان
به ومن موصولة أو موصوفة سبل السلام أي طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب أو سبيل الله تعالى
وهو شريعته التي شرعها للناس وهو مفعول ثان ليهدي والحق أن انتصابه بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار
موسى قومه وإنما يتعدى إلى الثاني بإلى أو باللام كما في قوله تعالى إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويخرجهم الضمير لمن
والجمع باعتبار المعنى كما أن الإفراد في اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات أي ظلمات فنون الكفر والضلال إلى النور إلى
الإيمان بإذنه بتيسيره أو بإرادته ويهديهم إلى صراط مستقيم هو أقرب الطرق إلى الله تعالى ومؤد إليه لا محالة وهذه الهداية
عين الهداية إلى سبل السلام وإنما عطفت عليها تنزيلاً للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء أمرنا
نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم
[illegible] كما قال [illegible] هو النسطوري وهم اليعقوبية القائلون بأنه تعالى قد يحل في بدن إنسان معين وقيل لم يصرح به
أحد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله تعالى الخاصة وقد اعترفوا بأن الله تعالى موجود فلزمهم القول بأنه
المسيح لا غير وقيل لما زعموا أن فيه لاهوتاً وقالوا لا إله إلا واحد لزمهم أن يكون هو المسيح فنسب إليهم لازم قولهم توضيحاً
لجهلهم وتفضيحاً لمعتقدهم قل تبكيتاً لهم وإظهاراً لبطلان قولهم الفاسد وإلقاماً لهم الحجر والفاء في قوله تعالى فمن

يملك من الله شيئاً فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف المضاف اي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وارادته وحقيقته فمن يستطيع ان يمسك شيئاً منها ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعاً ومن حق من يكون الهاً ان لا يتعلق به ولا باشياء من شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلاً عن ان يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بيناً لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولون في حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقاً لا بطريق السخط والغضب واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة التقرير والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري عن كل احد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فهل يملك شيئاً من الله ان اراد للتحقيق للحق بنفي الالوهية عن كل ما عداه سبحانه واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني فان انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الالوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجه واكده فيظهر استحالة الوهيته قطعاً وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر في التحقيق بقصرها عليه بان يقال فمن يملك من الله شيئاً ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر احد على دفع ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح اسوة لسائر انباء المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لها في ما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الارض لزيادة تأكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتأكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجاً لحال البقية من فرض اهلاكه كانه قيل قل فمن يملك من الله شيئاً ان اراد ان يهلك المسيح وامه ومن في الارض وقد اهلك امه فهل منعه احد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله ولله ملك السموات والارض وما بينهما اي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر الفلك فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اي من في الارض كذلك اي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجاداً واعداماً واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالاً ولا اشتراكاً فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى يخلق ما يشاء جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبه في امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اي يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كانه قيل يخلق اي خلق يشاءه فتارة يخلق من اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او انثى وحدها كخلق عيسى عم او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عم معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب كله اليه تعالى لا الى من اجري ذلك على يده والله على كل شيء قدير اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاظهار لما مر من التعليل وتقوية استقلال الجملة وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه اي قالت اليهود نحن اتباع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اتباع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك قال ابن عباس رض ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم وقيل ارادوا ان الله تعالى كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلاً ومزية

عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل الزاماً لهم وتبكيتاً فلم يعذبكم بذنوبكم اي ان صح ما زعمتم فلاي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه سيعذبكم في الآخرة بالنار اياماً معدودة بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى بل انتم بشر عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي لستم كذلك بل انتم بشر ممن خلق اي من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشاء ان يغفر له من اولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله ويعذب من يشاء اي يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم ولله ملك السموات والارض وما بينهما من الموجودات لا ينتمي اليه سبحانه شيء منها بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيه كيف يشاء ايجاداً واعداماً احياء واماتة واثابة وتعذيباً فاني لهم ادعاء ما زعموا واليه المصير في الآخرة خاصة لا الى غيره استقلالاً او اشتراكاً فيجازي كلاً من المحسن والمسيء بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه يا اهل الكتاب تكرير للخطاب بطريق الالتفات ولطف في الدعوة قد جاءكم رسولنا يبين لكم حال من رسولنا وايثاره على مبين لما مر فيما سبق اي يبين لكم الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الآيات السابقة من بطلان اقاويلكم الشنيعة وما سيأتي من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلاً على ظهور ان مجيء الرسل انما هو لبيانها او يفعل لكم البيان ويبذله لكم في كل ما تحتاجون فيه الى البيان من امور الدين واما تقدير مثل ما سبق في قوله تعالى كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فمع كونه تكريراً من غير فائدة يرده قوله عز وجل على فترة من الرسل فان فتور الارسال وانقطاع الوحي انما يحوج الى بيان الشرائع والاحكام لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق بجاءكم على الظرفية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج الى بيان الشرائع والاحكام الدينية او بمحذوف وقع حالاً من ضمير يبين او من ضمير لكم اي يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل او حال كونكم عليها احوج ما كنتم الى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اي كائنة من الرسل مبتدئة من جهتهم وقوله تعالى ان تقولوا تعليل لمجيء الرسول عم بالبيان على حذف المضاف اي كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم في مراعاة احكام الدين ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي المجيء وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقتضي بان المقدر او المنوي فيما سبق هو الشرائع والاحكام لا كيف ما كانت بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة ويبين انه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اي بشير ونذير اي نذير والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعله بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة سنة وتسع وستون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة واربعة انبياء على ما روي الكلبي ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله صلوات الله عليهما وسلم وهو الانسب بما في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غداً بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم وتعلقها بما قبلها من حيث ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف النبي صلى الله عليه وسلم ببيانها بقوله تعالى يبين لكم كثيراً الآية ومن حيث اشتمالها على انتفاء فترة الرسل فيما بينهم واذ نصب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب وصرف عن اهل الكتاب ليعدد عليهم

ماصدر عن بعضهم من الجنايا اي واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحا ومستميلا لهم باضافتهم اليه يا قوم
اذكروا نعمة الله عليكم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع بالطريق البرهاني ولان الوقت
مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم
متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا وبمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم واذكروا
نعمته كائنة عليكم وكذا اذ في قوله تعالى اذ جعل فيكم انبياء اي اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله
او اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم انبياء ذوي عدد كثير واولي شان خطير لم يبعث من امة
من الامم ما بعث من بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا عطف على جعل فيكم داخل في حكمه اي جعل فيكم او منكم
ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء عليهم السلام وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر او
جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك
ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يليق ان ينسب اليه
ولو بمجاز من ليس ممن اصطفاه الله له وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل
الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له الاستغناء عن الاحتياج معه الى تكلف الاعمال و
تحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن
والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل عالمي
زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشان الامر ومبالغة في
حثهم على الامتثال به والارض هي ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل
هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي الشام التي كتب الله لكم اي كتب في اللوح
انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله ولا ترتدوا على
ادباركم فتنقلبوا خاسرين فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة
على الايمان والطاعة قطعا اي لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة فالجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال
من فاعل ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر
تعالوا نجعل لنا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى
فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على ترتدوا او منصوب على جواب النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما
كتب لهم قالوا استئناف مبني على سؤال نشا من سياق الكلام كانه قيل فماذا قالوا بعد هذا الامر والنهي فقيل قالوا
غير ممتثلين بذلك يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا ياتي منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العالي
الذي يجبر الناس ويقهرهم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعال من جبره على الامر اي اجبره عليه وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منا فان يخرجوا منها بسبب من الاسباب التي
لا تعلق لنا بها فانا داخلون حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول
بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزاء بالجملة الاسمية
المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال
بالامر قال رجلان استئناف كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل قال رجلان من الذين
يخافون اي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة امره ونهيه وبه قرا ابن مسعود رض وفيه تعريض
بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين يخافون العدو اي منهم في النسب لا في الخوف وهما
يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عم فالواو حينئذ

لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة واليهم يعود العائد المحذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويعضده
قراءة من قرا يخافون على صيغة المبني للمفعول اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاضافة اي من الذين يخوفون
من الله تعالى بالتذكير ويخوفهم الوعيد انعم الله عليهما اي بالتثبيت وربط الجاش والوقوف على شؤونه تعالى والثقة
بوعده او بالايمان وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان لتخصصه بالصفة
اي قالا مخاطبين ومشجعين ادخلوا عليهم الباب اي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لتمام اغرائهم
دخول الباب وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا
فاذا دخلتموه اي باب بلدهم وهم فيه فانكم غالبون من غير حاجة الى القتال فانا قد شاهدناهم وشاهدنا ان قلوبهم
ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر
وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عم ومن قوله تعالى كتب الله لكم ولما علما من سنته تعالى في نصرة رسله
وما عهدا من صنعه تعالى لموسى عم من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول وعلى الله تعالى خاصة
فتوكلوا بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التاثير وانما التاثير من الله العزيز الحكيم ان كنتم
مؤمنين اي مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما قالوا استئناف كما سبق
اي قالوا غير مبالين بهما وبمقالتهما مخاطبين لموسى عم يا موسى انا لن ندخلها اي ارض الجبابرة فضلا عن دخول
بابهم وهم في بلدهم ابدا اي دهرا طويلا ما داموا فيها اي في ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض او عطف
بيان فاذهب الفاء فصيحة اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب انت وربك فقاتلا اي فقاتلاهم انما قالوا ذلك
استهانة واستهزاء به سبحانه ورسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة
قلوبهم وقيل ارادوا ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كانهم قالوا فاريدا قتالهم واقصداهم كانهم وقيل
التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا انفسهم ولا الرجلين كانهم لم يجزموا
بنجاتهما او لم يعبؤوا بقتالهما وقوله تعالى انا ها هنا قاعدون تؤيد التوجيه الاول وارادوا بذلك عدم التقدم لا عدم
التاخر قال عم لما راى منهم ما راى من العناد على طريق البث والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التي
بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة رب اني لا املك الا نفسي واخي عطف على نفسي وقيل على الضمير في اني على معنى اني
لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير في لا املك للفصل فافرق بيننا يريد نفسه واخاه
والفاء لترتيب الفرق او الدعاء به على ما قبله وبين القوم الفاسقين الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك
بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها اي الارض
المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها
ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا
خاسرين وقوله تعالى اربعين سنة اي يحمل ظرفا للحرمة فيكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر
قوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها
بعدها بل بعضهم ممن بقي حسبما روي ان موسى عم سار بمن بقي من بني اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون
على مقدمته ففتحها واقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبض عم وقيل لم يدخلها احد ممن قال لن ندخلها ابدا وانما
دخلها مع موسى عم النواشئ من ذرياتهم فالموقت بالاربعين في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما جعل تحريما
عليهم لما بينهما من العلاقة التامة للاتحاد وقوله تعالى يتيهون في الارض اي يتحيرون في البر استئناف
لبيان كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا قيل
كانوا ستمائة الف مقاتل وكان طول البر تسعين فرسخا وقد تاهوا في ستة فراسخ او تسعة فراسخ في ثلثين
فرسخا وقيل في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا روي انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث

ان يتحولوا وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول
شعورهم اذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الانعام عليهم مع انهم معاقبون لما ان
اعقابهم كان بطريق العرك والتاديب قيل كان موسى وهرون معهم ولكن كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار
لابراهيم ولملائكة العذاب عليهم السلام وروي ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة
ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يساعده ظاهر النظم الكريم فانه تعالى بعد ما قبل دعوته على بني اسرائيل
وعذبهم بالتيه بعيد ان ينجي بعض المدعو عليهم او ذراريهم ويقدر وفاتهما في محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك
لهما منزل روح وراحة وقيل انهما لم يكونا معهم في التيه ويأباه الانسب تفسير الفرق بالمباعدة ومن قال انهما كانا
معهم فيه فقد فسر الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق فلا تاس فلا تحزن على القوم الفاسقين روي
انه عم ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم عطف على مقدر
تعلق به قوله تعالى واذ قال موسى الخ وتعلقه به من حيث انه تمهيد لما سياتي من جنايات بني اسرائيل بعد ما كتب عليهم
وجاءتهم الرسل بما جاءوا به من البينات نبا ابني آدم هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان
من بني اسرائيل بقرينة آخر القصة وليس كذلك اوحى الله عز وجل الى آدم ان يزوج كلا منهما توامة الآخر وكانت توامة قابيل اجمل
اقليما فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم عم فقال لهما عم قربا قربانا
فمن ايكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا
وفعل ما فعل بالحق متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او حالا
من فاعل اتل او من مفعوله اي ملتبسا انت او نبؤهما بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الاولين اذ قربا
قربانا منصوب بالنبا ظرف له اي اتل قصتهما ونبأهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف
اي اتل عليهم نبأ ذلك الوقت ورد عليه بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان
اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى اي يعطى وتوحيده لما انه في الاصل
مصدر تقديره اذ قرب كل منهما قربانا فتقبل من احدهما هو هابيل قيل كان هو صاحب ضرع وقرب جملا سمينا
فنزلت نار فاكلته ولم يتقبل من الآخر هو قابيل قيل كان هو صاحب زرع وقرب رديا مما عنده من القمح فلم تتعرض
له النار اصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل
قال لاخيه لتضاعف سخطه وحسده لما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل لاقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة
قال استئناف كما قبله اي قال الذي تقبل قربانه لما راى ان حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه انما يتقبل الله
اي القربان من المتقين لا من غيرهم وانما تقبل قرباني ورد قربانك لما فيك من التقوى وعدمه اي انما اتيت
من قبل نفسك لا من قبلي فلم تقتلني خلا انه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذرا من تهييج غضبه وحملا
له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي
سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي
اليك لاقتلك حيث صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذانا من اول
الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة
لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة لتاكيد النفي بما في حيزها من الباء المبالغة في اظهار براءته عن بسط
اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية
الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء
الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده
اي والله لئن باشرت قتلي حسبما اوعدتني به وتحققت ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل

ذلك بقوله اني اخاف الله رب العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه
واكده ما لا يخفى كانه قال اني اخافه تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك ان يعاقبني وان كان ذلك
مني لدفع عداوتك عني فما ظنك بحالك وانت البادي العادي وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين تاكيد
للخوف قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن
مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما قال صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله
القاتل ويأباه التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعى ان ترك الاولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة
مبالغة في التنزه وقوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على
انه غرض متاخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها على كفاية كل منهما في العلية والمعنى
اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع باثمي اي بمثل اثمي لو بسطت يدي اليك وباثمك ببسط
يدك الي كما في قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم اي على البادي عين اثم
سبه ومثل اثم سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى باثمي اثم قتلي ومعنى باثمك اثمك الذي لاجله لم يتقبل
قربانك وكلاهما نصب على الحالية اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته
للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي ممن علم انه
لا يرعوي عن المعصية اصلا ويأباه قوله عز وجل فتكون من اصحاب النار فان كونه منهم انما يترتب على
رجوعه بالاثمين لا على ابتلائه لعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها العقوبة النارية يرده قوله
وذلك جزاء الظالمين فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون
ما قبلها ولقد سلك في صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما
اورثه ذلك الا الاصرار على الغي والانهماك في الفساد فطوعت له نفسه قتل اخيه اي وسعته وسهلته
من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكي من مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضا كما يفصح عنه
قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر
لكنه في الحقيقة امر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ او لان هذه المرتبة من التطويع
لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل لما انه اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام
هابيل وعدم معارضته له والتصريح باخوته لكمال تقبيح ما سولت نفسه وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى
فعل او على ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك
حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طائرا فوضع راسه على حجر
ثم شدخها بحجر آخر فتعلم منه فرضخ راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم
فكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع
المسجد الاعظم وقيل في جبل بوذ ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في
جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمي به فتأكله
فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي
انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها والمستكن
في يريه لله او للغراب واللام على الاول متعلق ببعث حتما وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا
وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة اخيه جسده الميت قال استئناف مبني
على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر
والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون

ايعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب
وقوله تعالى فاواري بالنصب عطف على ان اكون وقرئ بالرفع اي فانا اواري فاصبح من النادمين
اي على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة وروي انه لما قتله اسود جسده وكان
ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده
مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار
قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو اول من
عبد النار من اجل ذلك شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم
وذلك اشارة الى عظم شأن القتل وافراط قبحه المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له
وكمال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه
وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته
على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل
في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته اي من جريرتك وجنايتك ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل
بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحتها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله
تعالى كتبنا على بني اسرائيل وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتدأ الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر اي
قضينا عليهم وبينا انه من قتل نفسا واحدة من النفوس بغير نفس اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد
في الارض اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من
صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته لا نفي احدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته وملاك
الاستعمالين اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او من الترديد بين الامرين بحسب اشتراط المنفي بالتخيير
والاباحة واعتبار العكس ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط
نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما معا ففي الاول يرد النفي فيفيد نفي احدهما حتما اذ ليس قبل ورود النفي
ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان كل حكم شرط بتحقق احد شيئين مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما معا
وكل حكم شرط بتحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب
في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم
للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم
في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلوته مشروطا بتحقق احدهما مبهما كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء
او تيمم بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما معا فتعين ورود النفي المستفاد
من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او وانتفى تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم
وعلى هذا يدور ما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع
نحو ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما فايهما فعله فهو احدهما واما قولك من صلى بوضوء
او ثوب صحت صلوته فحيث كان الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او
ثوب بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد
نفي احدهما ولا يخفى ان اباحة القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته
بانتفائهما معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة فكانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما فكانما قتل الناس
جميعا فمن قال في تفسيره او بغير فساد فقد لا يعد عن توفية النظم الكريم حقه وما في كانما كافة مهيئة لوقوع
الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تاكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء

على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم
ومن احياها اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي
قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه فكانما احيى الناس جميعا ووجه
التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شأن الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب
الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشأن المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان
عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر
فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشأن الخطير هذا ولقد جاءتهم رسلنا
بالبينات جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية
بتحقق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا الخ للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم
في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم
تأكيدا لوجوب مراعاته وتأييدا لتحتم المحافظة عليه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الكتب وتأكيد
الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميزه
وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم
الشأن وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد في الارض متعلق بقوله تعالى لمسرفون وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح
فيه توسط اللام بينه وبينهما لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدأ وانما دخولها على الخبر لمكان ان وهي
في خبرها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به اي مسرفون في القتل غير مبالين
به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شأن الاحياء وجودا وذكرا وكان هو اقبح الامرين وافظعهما
اكتفى بذكره في مقام التشنيع انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله كلام مستأنف سيق لبيان حكم نوع من انواع
القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال ونظائره وتعيين موجبه العاجل والآجل اثر بيان عظم شأن القتل
بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل اي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد
والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له عليه السلام فيعم الحكم
من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق خطاب
المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين
محاربة لله تعالى ولرسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون اولياءهما واصل الحرب السلب والمراد هنا قطع الطريق
وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض عطف على يحاربون والجار متعلق
به وقوله تعالى فسادا اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون اي مفسدين او مفعول له اي للفساد
او مصدر مؤكد ليسعون لانه في معنى يفسدون على انه مصدر من افسد بحذف الزوائد او اسم مصدر قيل
نزلت الآية في قوم هلال بن عويمر الاسلمي وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه ولا يعين
عليه ومن اتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج
فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم
واخذوا اموالهم وقيل نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض ولما كانت المحاربة والفساد
على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه ومن اخذه بدون قتل ومن الاخافة
بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل ان يقتلوا اي حدا من
غير صلب ان افردوا القتل ولو عفا الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بآلة جارحة

اولا أَوْ يُصَلَّبُوا اي مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا
وفي ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم
وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ اي ايديهم اليمنى
وارجلهم اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا منهم
عشرة دراهم او ما يساويها قيمة اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه
أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس فانه نفي عن وجه الارض
بدفع شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة الامن وعند الشافعي رح النفي من بلد الى بلد
لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي عن بلده فقط وكانوا ينفون الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة
وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة ذَٰلِكَ اي ما فصل من الاحكام والاجزية قيل هو مبتدأ وقوله لَهُمْ خِزْيٌ
جملة من خبر مقدم على المبتدأ وقوله تعالى فِي الدُّنْيَا متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية
والجملة في محل الرفع على انها خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل
صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا اما صفة لخزي او متعلق به على ما مر والخزي الذل والفضيحة وَلَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ غير هذا عَذَابٌ عَظِيمٌ لا يقادر قدره لغاية عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر
وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اي كائنا في الآخرة إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى فَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اما ما هو من حقوق الاولياء من القصاص ونحوه فاليهم ذلك ان شاؤا عفوا وان احبوا استوفوا
وانما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه وعن علي رض ان الحرث بن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل
توبته ودرأ عنه العقوبة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما واشير
في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته امر المؤمنين بان يتقوه في كل ما يأتون وما يذرون بترك
ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من زمرتها السعي في احياء
النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار وَابْتَغُوا اي اطلبوا لانفسكم إِلَيْهِ اي الى ثوابه والزلفى
منه الْوَسِيلَةَ هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى
كذا اي تقرب اليه بشيء واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست بمصدر حتى لا يعمل فيما قبلها ولعل المراد بها
الاتقاء المأمور به فانه ملاك الامر كله كما اشير اليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضير فالجملة حينئذ جارية مما
قبلها مجرى البيان والتأكيد او مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا اوليا وقيل الجملة الاولى امر بترك المعاصي والثانية
امر بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة
ومشقة عقب الامر بهما بقوله تعالى وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
بنيل مرضاته والفوز بكراماته إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتثال بالاوامر السابقة و
ترغيب المؤمنين في المسارعة الى تحصيل الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء اوانه ببيان استحالة توسل الكفار
يوم القيمة باقوى الوسائل الى النجاة من العذاب فضلا عن نيل الثواب لَوْ أَنَّ لَهُمْ اي لكل واحد منهم كما في قوله
ولو ان لكل نفس ظلمت الخ لا لجميعهم اذ ليس في ذلك من المرتبة من تهويل الامر وتفظيع الحال مَا فِي الْأَرْضِ
اي من اصنافها اموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بالاخلاف في
انه عند بعضهم رفع على الابتداء لا حاجة فيها الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقد اختصت
من بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما اي لو ثابت كون ما في الارض
لهم وقيل يقدر مؤخرا اي لو كون ما في الارض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية

والفعل مقدر بعد لو اي لو ثبت ان لهم ما في الارض وقوله تعالى جَمِيعًا توكيد للموصول او حال منه وَمِثْلَهُ
بالنصب عطف عليه وقوله تعالى مَعَهُ ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول وفائدته التصريح
بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال الفظاعة والامر مع ما فيه من نوع استعارة لكونهما
شيئا واحدا ولهذا وحد الضمير الراجع اليهما واللام في قوله تعالى لِيَفْتَدُوا بِهِ متعلقة بما تعلق به خبر ان
اعني الاستقرار المقدر في لهم او بالخبر المقدر عند من يرى تقدير الخبر مقدما او مؤخرا او بالفعل المقدر بعد لو على
المبرد ومن نحا نحوه ولا ريب ان مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له
في حيز متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده لما اشير اليه ولما ان الاجراء مجرى اسم
الاشارة كانه قيل بذلك كما في قوله كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك وقيل هو راجع الى الموصول والعائد
الى المعطوف محذوف كما حذف في قوله فاني وقيار بها لغريب اي فاني بها لغريب وقيار كذلك وقد
جوز ان يكون نصب ومثله على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو تفريعا على مذهب المبرد من
زائدة وانت خبير بان ذلك يؤدي الى كون الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه لان المعنى على اعتبار المعية بينهما
وشأنه في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا امتناع في جعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم اذ
قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وان قوله هذا لكم وابا لك قبيح وان
جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ متعلق بالافتداء ايضا اي لو ان ما في
الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ذلك وهو جواب لو وترتيبه
على كون ذلك لهم لاجل افتدائهم به من غير ذكر الافتداء بان يقال وافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب عليه
لا على مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى الفرض تملكهم لما ذكر او للمبالغة في
تحقق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتداء على منهاج قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده
حيث لم يقل فاتي به فرآه فلما الخ وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه من غير ذكر خروجه عليهن
ورؤيتهن والجملة الامتناعية بحالها خبر ان الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب عليهم واستحالة نجاتهم
منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا
اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
تصريح بما اشير اليه بعدم قبول فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته قيل هو محله النصب على الحالية وقيل الرفع عطفا
على خبر ان وقيل عطفا على ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ استئناف مسوق
لبيان حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل
يريدون الخ وقيل يتمنون في تضاعيفه ان عذابهم عذاب النار وقيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلجئهم لهب النار
ويرفعهم الى فوقه فهناك يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها بقوة النار وزيادة رفعها
اياهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله عز وجل وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا اما حال من فاعل يريدون او
اعتراض واياما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما في حيزها من الباء على تأكيد
النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت
تفيد السلبية ايضا بمعونته دوام النفي كما مر في قوله تعالى ما انا بباسط يدي اليك وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول
من الاخراج وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ تصريح بما اشير اليه آنفا من عدم تناهي مدة تعذيبهم بيان شدته وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ
شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال لايرادها توسطهما من المقال
ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج
النساء في الاحكام الواردة في شأن الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره محذوف

محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم او فيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما او عند المبرد وقوله تعالى فاقطعوا
ايديهما والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه
على قراءة الرفع لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب
القطع اذا كان الاخذ من حرز والمأخوذ يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موضعها والمراد بايديهما
ايمانهما كما ينفصح عنه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع
موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب
الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء نصب على انه
مفعول له اي فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهما جزاء وقوله تعالى
بما كسبا على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني باقطعوا وما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة اي بسبب ما كسباه
من السرقة التي تباشر بالايدي وقوله تعالى نكالا مفعول له ايضا على البدلية من جزاء لانهما من نوع واحد
وقيل القطع معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة
فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما اذا قلت ضربته تاديبا له احسانا اليه فان الضرب معلل بالتاديب والتاديب
معلل بالاحسان وقد جاز على في قوله عز وجل ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء
من عباده ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان يكفروا ثم قالوا ان قوله تعالى ان ينزل الله مفعول له ناصبه
بغيا على ان التنزيل علة البغي والبغي علة الكفر وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا
كائنا منه تعالى والله عزيز غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد حكيم في شرائعه لا يحكم
الا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح فمن تاب من السراق
الى الله تعالى من بعد ظلمه الذي هو سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بذكر
عظم جنايته واصلح اي امره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة اليها فان الله يتوب
عليه اي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه
وتسقطه عند الشافعي رحمه الله تعالى في احد قوليه ان الله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل
توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة وكذا قوله تعالى
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور
خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان وهي مع ما في حيزها سادة مسد مفعولي تعلم عند الجمهور
وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل احد
صالح للخطاب والاستفهام الانكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سياتي
من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان
للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته
يعذب من يشاء اي يعذبه ويغفر لمن يشاء ان يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم
التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة اما تقرير لكون ملكوت السموات والارض له
سبحانه او خبر آخر لان والله على كل شيء قدير فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار في موقع الاضمار
لما مر مرارا والجملة تذييل لما قبلها يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر خوطب به
صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع
فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة للايذان
بانهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض آخر منها كاظهار

موالاة المشركين واظهار آثار الكيد للاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فانهم
مستقرون على الخير مسارعون في انواعه وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار الحزن
وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن ان يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له
عن التاثر من ذلك والمبالاة بهم على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه
بالطريق البرهاني وقلع له من اصله وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا
يريد به نهي مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاي وقرئ يسرعون يقال
اسرع فيها الشيب اي وقع فيه سريعا اي لا يحزنك ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى من الذين قالوا آمنا بافواههم
بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول اي كائنين من الذين
الخ والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا
وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين
المنافقين واليهود وقوله تعالى سماعون للكذب خبر لمبتدأ محذوف راجع الى الفريقين او الى المسارعين
لا رجوعه الى الذين هادوا لمخل بعموم الوعيد الآتي ومباديه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين
الخ خبرا على ان قوله سماعون صفة لمبتدأ محذوف اي ومنهم قوم سماعون الخ لادائه الى اختصاص ما عدد
من القبائح وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية بهم فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون واللام
اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول واما لام كي والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون في سماع
الكذب او في قبول ما تفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابه او سماعون اخباركم واحاديثكم
ليكذبوا عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس واقاويلهم الدائرة فيما
بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه ضرارهم وايا ما كان فالجملة
مستانفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة واستماعهم [illegible]
لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضيه عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما ياتون وما يذرون
للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم [illegible]
كما يابى وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى سماعون لقوم آخرين خبر ثان [illegible]
مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجه الاول واللام مثل اللام في سمع الله لمن حمده [illegible]
[illegible]
[illegible] لقوم آخرين [illegible] صفة اخرى لقوم [illegible]
[illegible]
[illegible] يحرفون الكلم [illegible]
من بعد مواضعه [illegible]
[illegible] مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] مجلس الرسول عليه السلام والخطاب [illegible]

لمن لا يحوم حوله قطعاً وادعاءً وقول السماعين لاعقابهم المخالطين للمسلمين تعسف ظاهر مخل بجزالة النظم
الكريم والحق الذي لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون اي يقولون لاتباعهم السماعين لهم
عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل ان اوتيتم من جهة الرسول عم هذا فخذوه
واعملوا بموجبه فانه الحق وان لم تؤتوه بل اوتيتم غيره فاحذروا اي فاحذروا قبوله واياكم واياه في ترتيب
الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى روي ان شريفاً من خيبر زنى بشريفة وهما
محصنان وحدهما الرجم في التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطاً منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين
معهم فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به فقال لجبريل عم اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام
هل تعرفون شاباً ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض بما انزل
الله على موسى بن عمران عليه السلام في التورية قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبي عليه السلام
انت ابن صوريا قال نعم قال عليه السلام وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال عم لهم اترضون به حكماً قالوا نعم
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل
عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم التورية فيها حلاله وحرامه هل تجدون
في كتابكم الرجم على من احصن قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت ان تحرقني التورية ان كذبت وغيرت ما اعترفت
لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال عم اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب
عليها الرجم قال ابن صوريا والذي انزل التورية على موسى هكذا انزل الله في التورية على موسى فوثب عليه سفلة اليهود
فقالوا خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها
من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته اي ضلاله او فضيحته
كائناً من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجاً اولياً وعدم التصريح بكونهم كذلك للاشعار بكمال ظهوره واستغنائه
عن ذكره فلن تملك له فلن تستطيع له من الله شيئاً في دفعها والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها ومبينة
لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة ابداً اولئك اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم اي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى
تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر اولاً وشرح فنون ضلالاتهم آخراً والجملة استيناف
مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء لهم
في الدنيا خزي اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود
فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التورية وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدأ ولهم خبره
وفي الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى ولهم في الآخرة اي مع الخزي الدنيوي
عذاب عظيم هو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعاً لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير
لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتأكيد والجملتان استيناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل افعالهم
واحوالهم الموجبة للعقاب كانه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا الآية سماعون للكذب خبر آخر
للمبتدأ المقدر كرر تأكيداً لما قبله وتمهيداً لما بعده من قوله تعالى اكالون للسحت وهو ايضاً خبر آخر
للمبتدأ المقدر على طريق الذم او بناء على ان المراد بالكذب ما يفتعله الراشون عند الاكالين والسحت بضم
السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام مطلقاً من سحته اذا استأصله سمي به لانه مسحوت

اليه نح

البركة والمراد به ههنا اما الرشى التي كان يأخذها المحرفون على تحريفهم وسائر احكامهم الرائقة وهو المشهور
او ما كان يأخذه فقراؤهم من اغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل واما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر
انتظاماً اولياً وقرئ السحت بضم السين والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون
الحاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به فان جاؤك لما بين تفاصيل امورهم
الواهية واحوالهم المختلة الموجبة لعدم المبالاة بهم رتب عليه حسبما امر به عم خوطب هو ببعض ما يبتنى
عليه من الاحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة اي واذا كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك
فيما شجر بينهم من الخصومات فاحكم بينهم او اعرض عنهم غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلاً وهذا كما
ترى تخيير له صلى الله عليه وسلم بين الامرين فقيل هو في امر خاص هو ما ذكر من زنا المحصن وقيل في قتيل
قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بنو قريظة اخواننا بنو النضير
ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد اذا قتلوا منا قتيلاً لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين وسقاً
من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقاً من تمر وان كان القتيل
امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فاقض بيننا فجعل عم الدية سواء بل
هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قائل انه ثابت وهو المروي عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة
وابي بكر الاصم وابي مسلم وقائل انه منسوخ وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس
رضي الله عنهما لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى
فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه مشايخنا وان
تعرض عنهم بيان لحال الامرين اثر تخييره عم بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا ضرر فيه حيث
كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عم الا لطلب الايسر والاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم
شق ذلك عليهم فيشتد عداوتهم ومضارتهم له عم فامنه الله عز وجل بقوله فلن يضروك شيئاً من الضرر
فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امرت به كما حكمت بالرجم
ان الله يحب المقسطين ومن ضرورته يحفظهم عن كل مكروه ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك وعندهم
التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم
الذي يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو
اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى وعندهم التورية حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى
فيها حكم الله حال من التورية ان جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدأ فهو حال من ضميرها المستكن في الخبر
وقيل استئناف مسوق لبيان ما عندهم مما يغنيهم عن التحكيم وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم كموماة ودوداة
ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى من بعد ذلك اي من
بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعاً لتأكيد الاستبعاد والتعجيب اي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد
ما رضوا بحكمك وقوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة
موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح ايماء الى علة الحكم وايانهم قد غيروا وانك
عن غيرهم اي لم يتحرجوا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو
والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم عنه اولاً وعن حكمك الموافق له ثانياً
او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين في الايمان تهكماً بهم انا انزلنا التورية كلام مستأنف سيق لبيان
علو شأن التورية ووجوب مراعاة احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابراً عن كابر
مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقاً لما وصف به المحرفون من عدم

ايمانهم وتقريراً لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور حال من التوراة فان ما فيها من الشرائع والاحكام
من حيث ارشادها الناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى من حيث اظهارها وكشفها ما استبهم من الاحكام
وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تعالى يحكم بها النبيون اي انبياء بني اسرائيل
وقيل موسى ومن بعده من الانبياء جملة مستأنفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونها حالا من التوراة
فيكون حالا مقدرة اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة من قبلنا
شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مراراً من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر
ولان في المؤخر وما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقوله تعالى الذين اسلموا صفة
اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة
اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان
ابراز وصف في معرض مدح العظماء منبئ عن عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف الانبياء بالصلاح ووصف
الملائكة بالايمان عليهم السلام ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض
باليهود وبانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عليهم السلام لا سيما مع ملاحظة ما وصفوا به في قوله
تعالى للذين هادوا وهو متعلق بيحكم اي يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون
لهم او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا واما للايذان بنفعه المحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار
بكمال رضاهم به وانقيادهم له كانه امر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل لتقدير الذين هادوا وعليهم
فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين الصفة ومعمولها
وقيل متعلق بمحذوف وقع صفة لهما اي هدى ونور كائنان للذين هادوا والربانيون والاحبار اي الزهاد والعلماء
من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رض الربانيون الذين يسوسون
الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحدهم حبر بالفتح والكسر والثاني افصح وهو راي
القراء ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه وهو عطف على النبيون اي هم ايضا يحكمون بها
وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وانما الربانيون
والاحبار خلفاء ونواب لهم في ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا اي بالذي استحفظوه في جهة النبيين وهو
التوراة حيث سألوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل على الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف
لهم في اجراء احكامها من غير اخلال بشيء منها وفي ابهامها اولا ثم بيانه بقوله تعالى من كتاب الله من تفخيمها واجلالها
ذاتاً وصفة وتاكيد ايجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى وايرادها بعنوان الكتاب للايماء الى ايجاب حفظها عن التغيير
من جهة الكتاب والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة له كالتي في قوله تعالى بها بل هي متعلق
حرف جر تحليل المعنى بفعل والحديث على انها سببية اي ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من
كتاب الله حسبما وصاهم به انبياؤهم وسألوهم ان يحفظوه وليس المراد بسببيته لحكمهم ذلك سببيته من حيث
الذات بل من حيث كونه محفوظا فان تعليق حكمهم بالموصول مشعر بسببية الحفظ المترتب لا محالة على ما في حيز
الصلة من الاستحفاظ له وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة
اي ويحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذي سألهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير وكانوا عليه شهداء
اي رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه وتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا وقيل
بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل وهو بعيد وكذا تجويز كون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين
والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله عز وجل اي كلفهم الله تعالى ان يحفظوه ويكونوا شهداء عليه
وقوله تعالى فلا تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما لحكام المسلمين

فيتناولهم النبي بطريق التلاوة لدخول العبارة والثناء لترتيب النهي على ما فصل من حال التوراة وكونها معتنى
بشانها فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم من الربانيين والاحبار المتقدمين عملا وحفظا فان ذلك مما يوجب
الاجتناب عن الاخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة عليها باي وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير
ولما كان مدار جرأتهم على ذلك خشية ذي سلطان او رغبة في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا اي
اذا كان شانها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا في مراعاة احكامها وحفظها بمن قبلكم
من الانبياء واشياعهم واخشون في الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا بآياتي
الاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ شيء
بدلا مما كان له عينا كان او معنى اخذا منوطا بالرغبة في المأخوذ والاعراض عما اعطي كما فصل في تفسير قوله
تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والمعنى لا تستبدلوا بآياتي التي فيها بان تخرجوها او تتركوا
العمل بها وتاخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت
قليلة مسترذلة في نفسها لا سيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل بها وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة
في عقود المعاوضة والمقصد الاصلي بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة لتحصيله وابرز الآيات التي حقها
ان يتنافس فيها المتنافسون في معرض الآلات والوسائط حيث قرنت بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا
بتعكيسهم في التعكيس بان جعلوا المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة الادنى مقصدا ومن لم يحكم بما انزل الله
كائنا من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا اي من لم يحكم بذلك مستهينا به
له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف آيات الله تعالى اقتضاء بينا فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناه
كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها هم الكافرون لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل او مبتدأ وما بعده خبره
والجملة خبر لاولئك وقد مر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير
عن الاخلال به اشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم اليه الحكم
بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء انه من عند الله ليشتروا به
ثمنا قليلا وكتبنا عطف على انزلنا التوراة عليهم اي على الذين هادوا وقرئ وانزل الله على بني اسرائيل فيها
اي في التوراة ان النفس بالنفس اي تقاد بها اذا قتلتها بغير حق والعين تفقأ بالعين اذا فقئت بغير حق
والانف تجدع بالانف المقطوع بغير حق والاذن تصلم بالاذن المقطوعة ظلما والسن تقلع بالسن
المقلوعة بغير حق والجروح قصاص اي ذات قصاص اذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس رض
انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرئ ان الجروح وقرئ والعين الخ بالرفع عطفا على محل ان النفس
لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس
مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها فمن تصدق اي من المستحقين
به اي بالقصاص اي فمن عفا عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه فهو اي التصدق كفارة له اي للمتصدق
يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي
فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله ومن
لم يحكم كائنا من كان فيتناول لمن لا يرى قتل الرجل بالمرأة من اليهود تناولا اوليا بما انزل الله من الاحكام
والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا فاولئك هم الظالمون البالغون في الظلم
المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشيء في غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة
وقفينا على آثارهم شروع في بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التوراة وهو عطف على انزلنا التوراة اي
آثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه وحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اي اتبعناهم

بعيسى بن مريم اي ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التورية حال من عيسى عم وآتيناه الانجيل
عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما في التورية وهو في محل النصب على انه حال من الانجيل اي كائنا
فيه ذلك كأنه قيل مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم
ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التورية لزيادة التقرير
وهدى وموعظة للمتقين عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعدما جعل مشتملا عليه
حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة بالمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه وليحكم
اهل الانجيل بما انزل الله فيه امر مبتدأ لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التي من جملتها دلائل رسالته عم
وشواهد نبوته وما قررته الشريعة الشريفة من احكامه واما الاحكام المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل
هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بنسخها وبيان احكامه ما قررته تلك الشريعة
التي شهد بصحتها كما سيأتي في قوله تعالى يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل الآية وقيل هو حكاية للامر الوارد
عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه اي وقلنا ليحكم اهل الانجيل الخ وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما في قولك
امرته بان قم كأنه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل الخ وقرئ على صيغة المضارع ولام التعليل على انها
متعلقة بمقدر كأنه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه اياه وقد عطف على هدى وموعظة على انهما مفعول
لهما كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله منكرا له مستهينا به
فاولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب
الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عم كان مستقلا بالشرع مأمورا بالعمل بما
فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما في التورية خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية
خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب اي الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف
الكمالية لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على بقية افراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا
وما عطف عليه وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة من الكتاب اي ملتبسا بالحق والصدق وقيل من
فاعل انزلنا وقيل من الكاف في قوله تعالى مصدقا لما بين يديه حال من الكتاب اي حال كونه مصدقا
لما تقدمه اما من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة
الى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام المتغيرة
بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام حق بالاضافة
الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور امر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه
الناسخ المتأخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما ان النطق
بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى من الكتاب بيان لما واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب السماوي
وهو بهذا العنوان جنس برأسه وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب فعن هذا قالوا اللام للعهد
الا ان ذلك لا ينتهي الى خصوصية الزبور بل الى الخصوصية النوعية التي هي اخص من مطلق الكتاب بخصوص الكتاب
السماوي ايضا حيث خص بما عدا القرآن ومهيمنا عليه اي رقيبا على سائر الكتب المحفوظة عن التغيير لانه يشهد
لها بالصحة والثبات ويقرر اصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها
المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في ان تمييز احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى
وقت مشروعيته وخرج عنها من احكام كونه مهيمنا عليها وقرئ ومهيمنا عليه على صيغة المفعول اي هو من عليه
وحفظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ اما من جهته تعالى كما في
تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحفاظ في الاعصار والامصار والفاء في قوله تعالى فاحكم بينهم لترتيب

ما بعدها على ما قبلها فان كون القرآن العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه
من موجبات الحكم المأمور به اي اذا كان شأن القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتابين عند تحاكمهم اليك بما انزل الله
اي بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية في الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان
تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم ولا تتبع اهواءهم الزائغة عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه وعن
متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كأنه قيل لا تعدل عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف
وقع حالا من فاعله اي لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع
موضع ضمير الموصول الاول للايماء بما في حيز الصلة من مجيء الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء
وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كلام مستأنف جيء به لحمل اهل الكتابين من معاصريه عليه السلام
على الانقياد لحكمه عليه السلام بما انزل اليه من القرآن الكريم ببيان انه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وانما
الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الامم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا
للموجودين خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو اخبار بجعل ماض
لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل ولا ضير في توسط جعلنا
بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات الخ والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم
الباقية والخالية جعلنا اي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها التي
عينت لها فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون
فشرعتكم الفرقان ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه
سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحيوة الابدية كما ان الماء سبب للحيوة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من
نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين وقيل فيه دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون
باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعتنا لا من حيث انها شرعة للاولين ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في شيء من الاحكام
الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشيئة محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي ولو شاء الله ان يجعلكم
امة واحدة لجعلكم الخ وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم متعلق بمحذوف
يستدعيه النظام اي ولكن لم يشأ ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية
فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون
بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشيئة الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح
النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون
الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشيئة المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما اشير اليه
من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وجل فاستبقوا الخيرات
اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن
الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تأكيد الترغيب في الاذعان للحق
وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى الى الله مرجعكم استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات
بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف
مصدري وفعل مبني للفاعل او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
اي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا وانما

عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع
اهواءهم عطف على الكتاب اي انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتاكيد
وجوب الامتثال بالامر او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم وحكاية انزال الامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر
الصريح بذلك تاكيد له وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل
الله اليك اي يصرفوك عن بعضه ولو اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتاكيد الامر
بتهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك
واعادة ما انزل الله لتاكيد التحذير بتهويل الخطب روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا الى محمد فلعلنا نفتنه
عن دينه فذهبوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود
كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت فان تولوا اي اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم
ببعض ذنوبهم اي بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد
من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها يريد نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا
اي نفس وان كثيرا من الناس لفاسقون اي متمردون في الكفر معتدون عليه خارجون عن الحدود المعهودة وهو اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله افحكم الجاهلية يبغون انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي يتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتاكيد الانكار والتعجيب لان
التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة
الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم
يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا
عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روي ان بني النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل
وقعت بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بينهم بما كان عليه اهل الجاهلية من التفاضل فقال عليه السلام القتلى بواء
فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدا ويبغون خبره والراجع محذوف
حذفه في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير الشعر وقرئ بتاء الخطاب اما بالالتفات
لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم افحكم الخ وقرئ بفتح الحاء والكاف اي افحاكما كحكام الجاهلية ومن
احسن من الله حكما انكار لان يكون احد احسن حكما من حكمه تعالى او مساويا له وان كان ظاهر السبك غير متعرض
لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله لقوم يوقنون
اي عندهم واللام كما في هيت لك اي هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان
حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها يا ايها الذين آمنوا خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين
وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سياتي ووصفهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما
نهوا عنه بقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فان تذكير اتصافهم بضد صفات الفريقين
من اقوى الزواجر عن موالاتهما اي لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة
الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي بعضهم اولياء
بعض اي بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر وانما اوثر الاجمال
في البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى رأسا والجملة مستأنفة
مسوقة لتعليل النهي وتاكيدا لايجاب الاجتناب عن المنهي عنه اي بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة
في كل ما ياتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع الكل على مضادتكم ومضارتكم بحيث يسومونكم السوء

ويبغونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة وقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم حكم
مستتبع منه فان انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يتولاهم منهم ضرورة ان الاتحاد في الدين
الذي عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون ذلك بكون
من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة وقوله
ان الله لا يهدي القوم الظالمين تعليل لكون من يتولهم منهم اي لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشانهم
فيقعون في الكفر والضلالة وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم لما انه تعريض لانفسهم للعذاب
الخالد ووضع للشيء في غير موضعه وقوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه
وبما يؤول اليه امرهم والفاء للايذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق
التلوين واما لكل احد ممن له اهلية له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع اي لا يهديهم بل يذرهم وشانهم فتراهم الخ
وانما وضع موضع الضمير الموصول ليشار بما في حيز صلته الى ان ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق
ورخاوة العقد في الدين وقوله تعالى يسارعون فيهم حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية
قلبية والاول هو الانسب بظهور نفاقهم اي تراهم مسارعين في موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم
عليها وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض آخر منها
كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة
من ربكم وجنة وقرئ فيرى بياء الغيبة على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن يصح منه الرؤية وقيل الفاعل هو الموصول
والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية والرؤية قلبية اي ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم
فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى والمراد بهم عبد الله
بن ابي واضرابه الذين كانوا في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا يؤمنون
ان تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة وهو حال من ضمير يسارعون
والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها اي يدور علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة من دوله
بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا
الميرة والقرض روي ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا
عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر
لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع ولعلهم كانوا يظهرون للمؤمنين انهم يريدون بالدائرة المعنى الاخير ويضمرون في انفسهم المعنى
الاول وقوله عز وجل فعسى الله ان ياتي بالفتح رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة
وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطعم لا محالة فما ظنك باكرم
الاكرمين وان ياتي في محل النصب على انه خبر عسى وهو راي الاخفش او على انه مفعول به وهو راي سيبويه لئلا
يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث كما في قولك عسى زيد ان يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبي والسدي وقال
الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره على من خالفه واعزاز
الدين او امر من عنده بقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء فيصبحوا اي اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو
عطف على ياتي داخل معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن ذلك
فانها تجعل الجملتين جملة واحدة على ما اسروا في انفسهم نادمين وهو ما كانوا يكتمونه في انفسهم من الكفر والشك
في امره صلى الله عليه وسلم وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما انه الذي كان يحملهم على الموالاة
ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها وسببها ويقول الذين آمنوا كلام مبتدا مسوق لبيان كمال
سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق كانه قيل فماذا يقول المؤمنون وقرئ

ويقول بالنصب عطفا على يصبحوا وقيل على يأتي باعتبار المعنى كأنه قيل فعسى أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا
والأول أوجه لأن هذا القول إنما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند إتيان الفتح فقط
والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون
لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد
ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد
أيمانهم إنهم لمعكم أي بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم فاسم الإشارة مبتدأ وما بعده
خبره والمعنى إنكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم في ذلك أو يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين إلى المنافقين أيضا
أهؤلاء الذين أقسموا للكفرة أنهم لمعكم فالخطاب في معكم لليهود على التقديرين إلا أنه على الأول من جهة المؤمنين
وعلى الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الإعراب لأنها تفسير وحكاية لمعنى أقسموا لكن لا بألفاظهم
وإلا لقيل إنا معكم وجهد الأيمان أغلظها وهو في الأصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجهدون
جهد أيمانهم فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولا يبالي بتعريفه لفظا لأنه مؤول بنكرة أي مجتهدين في أيمانهم أو على المصدر
أي أقسموا إقسام اجتهاد في اليمين وقوله تعالى حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين إما جملة مستأنفة مسوقة
من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والإقسام على المعية في المنشط والمكره إثر الإشارة إلى بطلانه
بالاستفهام الإنكاري وإما خبر ثان للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فإذا هي حية تسعى وهو
والموصول مع ما في حيز صلته صفة لاسم الإشارة فالاستفهام للتقرير وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما
أخسرهم والمعنى بطلت أعمالهم التي عملوها في شأن موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا بليغا حيث لم تكن لكم دولة فينتفعوا
بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى
وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجبا من سوء حال المنافقين واغتباطا بما أنزل الله تعالى على أنفسهم
من التوفيق للإخلاص أهؤلاء الذين أقسموا لكم بأغلظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت
أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي أعين الناس وأنت خبير بأن ذلك الكلام من المؤمنين إنما يليق بما لو ظهر من المنافقين
خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك
على رؤوس الأشهاد وبطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي أعين الكفار ولا ريب في أنهم يومئذ أشد ادعاء وأكثر
إقساما منهم قبل ذلك فضلا عن أن يظهروا خلاف ذلك وإنما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس ذلك
ظاهر الدلالة على كذبهم في ادعائهم فإنهم يدعون أن ليست ندامتهم إلا على ما ظهر منهم من موالاة الكفرة حين
أصابتهم الدائرة يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه وقرئ يرتدد بالفك على لغة الحجاز والإدغام لغة
تميم لما نهى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين أن موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصير
أمر من يواليهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الإطلاق وهذا من الكائنات التي أخبر عنها القرآن قبل
وقوعها وروي أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم
ذو الخمار وهو الأسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فأخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكتب إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض عليه السلام من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول
وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد
رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب
أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر بجنود المسلمين وقتل على يد
وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي إسلامي شر الناس وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد

تنبأ فبعث أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال إلى الشام فأسلم وحسن إسلامه وسبع في عهد
أبي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل
وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها
يقول أبو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري أمت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب
وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى أمرهم على يد أبي بكر وفرقة
واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله
عز وجل فسوف يأتي الله جواب الشرط والعائد إلى اسم الشرط محذوف أي فسوف يأتي الله مكانهم بعد إهلاكهم
بقوم يحبهم أي يريد بهم خير الدنيا والآخرة ومحل الجملة الجر على أنها صفة لقوم وكذا قوله تعالى ويحبونه أي
يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه معطوف عليها داخل في حكمها قيل هم أهل اليمن لما روي أن النبي صلى الله
عليه وسلم أشار إلى أبي موسى الأشعري وقال قوم هذا وقيل هم الفرس لما روي أنه عليه السلام سئل عنهم فضرب بيده الكريمة
على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس وقيل هم
ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا يوم القادسية أذلة على المؤمنين
جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل أي أرقاء رحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى إما لتضمين معنى
العطف والحنو أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم أو لرعاية المقابلة بينه
وبين ما في قوله تعالى أعزة على الكافرين أي أشداء متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه كما في قوله تعالى أشداء على
الكفار رحماء بينهم وهما صفتان أخريان لقوم ترك بينهما العاطف للدلالة على استقلالهم بالاتصاف ففيه دليل
على صحة تأخير الصفة الصريحة عن غير الصريحة من الجملة والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب أنزلناه مبارك
وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب إليه من لا يجوزه
من أن قوله تعالى يحبهم ويحبونه كلام معترض وأن مبارك خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف وأن من ربهم ومن الرحمن
حالان مقدمتان من ضمير محدث تكلف مما لا يخفى وقرئ أذلة وأعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة
يجاهدون في سبيل الله صفة أخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعده لكيفية عزتهم أو حال
من الضمير في أعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى أنهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله
وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فإنهم إذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود فلا يكادون
يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم خلاف حال
المنافقين واعترض عليهم بأنهم نصوا على أن المضارع المنفي بلا وما كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو الحال
له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى ذلك إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف الجليلة
وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتها في الفضل فضل الله أي لطفه وإحسانه لا أنهم مستقلون
في الاتصاف بها يؤتيه من يشاء إيتاءه إياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
والله واسع كثير الفواضل والألطاف عليم مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها من هو أهل للفضل
والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وإظهار الاسم الجليل للإشعار بالعلة وتأكيد استقلال
الجملة الاعتراضية إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله
بأن بعضهم أولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين أن من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو
وليهم بطريق قصر الولاية عليه كأنه قيل لا تتخذوهم أولياء لأن بعضهم أولياء بعض وليسوا بأوليائكم إنما أولياؤكم
الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم إلى الغير وإنما أفرد الولي مع تعدده للإيذان بأن الولاية
أصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وعلا الذين يقيمون الصلوة

ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا جارية مجرى الاسم او بدل منه او نصب على المدح او رفع عليه وهم
راكعون حال من فاعل الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وهم خاشعون
ومتواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بايتاء الزكوة والركوع ركوع الصلوة والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان
ومسارعتهم اليه وروي انها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره
غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى فساد الصلوة ولفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على ان
صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا اوثر الاظهار على ان يقال ومن يتولهم رعاية
لما مر من نكتة بيان اصالته تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى فان حزب الله هم الغالبون حيث اضيف الحزب
اليه تعالى خاصة وهو ايضا من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله
تعالى تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني كأنه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا
الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب النهي على وصفيهما الخبيثين تعميما
للحكم وتنبيها على العلة وايذانا بان من هذا شأنه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالهم لما ان ايتاء الكتاب
وازع لهم عن الاستهزاء بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم والكفار اي المشركين خصوا به لتضاعف
كفرهم وهو عطف على الموصول الاول وفيه اشعار بانهم ليسوا مستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب
في قوله تعالى يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الآية وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي
ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين اشركوا فانهم ايضا من جملة المستهزئين اولياء وجانبوهم كل المجانبة
واتقوا الله في ذلك بترك موالاتهم او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا ان كنتم
مؤمنين اي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا محالة واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها اي الصلوة
او المناداة وفيه دلالة على شرعية الاذان هزوا ولعبا بيان لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان
استهزائهم بالدين على الاطلاق اظهارا لكمال شقاوتهم روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد
ان محمدا رسول الله يقول احرق الله الكاذب فدخلت ذات ليلة خادمه بنار واهله نيام فتطايرت منها شرارة في البيت
فاحرقته واهله جميعا ذلك اي الاستهزاء المذكور بانهم بسبب انهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل
بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين بان يخاطبهم ويبين ان الدين منزه عما يصحح صدور ما
صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم بسبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر اي قل لاولئك الفجرة يا اهل الكتاب وصفوا
باهلية الكتاب تمهيدا لما سيأتي من تبكيتهم والزامهم بكفرهم بكتابهم هل تنقمون منا من نقم منه كذا اذا عابه
وانكره وكرهه ينقمه من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي لغة اي ما تعيبون وما تنكرون منا
الا ان آمنا بالله وما انزل الينا من القرآن المجيد وما انزل من قبل اي من قبل انزاله من التورية والانجيل
المنزلين عليكم وسائر الكتب الالهية وان اكثركم فاسقون اي متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر
بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على ان آمنا على انه مفعول له لتنقمون والمفعول الذي مختلف
ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ الدين هزوا ولعبا عين نقمه وانكاره والايمان
بما فصل عين الدين الذي نقموه خلا انه ابرز في معرض علة نقمهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث
جعلوه موجبا لنقمه مع كونه في نفسه موجبا لقبوله وارتضائه فالاستثناء من اعم العلل اي ما تنقمون منا
دينا لعلة من العلل الا لان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل من كتبكم ولان اكثركم متمردون غير مؤمنين

بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به واسناد الفسق الى اكثرهم لانهم
الحاملون لاعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على انه مفعول لتنقمون لكن لا على ان المستثنى مجموع
المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كأنه قيل ما تنقمون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون
عنه وقيل على حذف المضاف اي واعتقاد ان اكثركم فاسقون وقيل عطف على ما اي ما تنقمون منا الا ان آمنا بالله
وما انزل الينا وبانكم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة اي لقلة انصافكم ولان اكثركم فاسقون وقيل
الواو بمعنى مع اي ما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر يدل عليه هل تنقمون
اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم معلوم او ثابت والجملة
حالية او معترضة وقرئ بان المكسورة والجملة مستأنفة مبينة لكون اكثرهم فاسقين قل هل انبئكم
بشر من ذلك لما امر صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم ببيان ان مدار نقمهم للدين انما هو اشتماله على ما يوجب
ارتضاءه عندهم ايضا وكفرهم بما هو مسلم لهم امر عقيبه بان يبكتهم ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما
هم عليه من الدين المحرف وينعى عليهم في ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج
التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم
شأن المبين ويستدعي اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة الى المخبر به والتنبئة المشعرة بكونه
امرا خطيرا لما ان النبأ هو الخبر الذي له شأن وخطر وحيث كان مناط النقم شرية المنقوم حقيقة او اعتقادا
وكان مجرد النقم غير مفيد لشريته البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بانقم من ذلك تحقيقا لشرية ما سيذكر وزيادة
تقريرها وقيل انما قيل ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث اتى نفر من اليهود فسألوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن دينه فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله تعالى ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام
قالوا لا نعلم شرا من دينكم وانما اعتبر الشرية بالنسبة الى الدين وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة
معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال الشرية ليثبت ان دينهم شر من كل شر اي هل اخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه
شرا وان كان في نفسه خيرا محضا مثوبة عند الله اي جزاء ثابتا عند الله وقرئ مثوبة كمشورة ومثوبة
وهي مختصة بالخير كما ان العقوبة مختصة بالشر وانما وضعت هنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب
وجيع ونصبها على التمييز من بشر وقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه خبر لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف
قبله مناسب لما اشير اليه بكلمة ذلك اي دين من لعنه الله او بتقدير مضاف قبل اسم الاشارة اي بشر من اهل ذلك والجملة
على التقديرين استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الجملة الاستفهامية اما على ما هو الظاهر الناس بسياق
النظم الكريم واما باعتبار التقدير كأنه قيل ما الذي هو شر من ذلك فقيل دين من لعنه الله او من
ذا الذي هو شر من اهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروع
وتهويل امر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث ابعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم
وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسنوح البينات وجعل منهم القردة والخنازير اي مسخ بعضهم قردة وهم
اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم
قردة وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع الى الموصول فيهما باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين باعتبار
لفظه وايثار وضعه موضع ضمير الخطاب المناسب لينبئكم للقصد الى اثبات الشرية بما عدد في حيز صلته من الامور
الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم وعبد الطاغوت عطف
على صلة من وافراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عابد الطاغوت
وعبد بضارع معبود فالراجع الى الموصول محذوف على القرائين اي عبد فيهم او بينهم وتقديم اوصافهم المذكورة
اثبات شرية دينهم ... مع ان الاصل المستتبع لها في الوجود ... دلالة على شرية الذات لا على عبادة

الطاغوت عين دينهم الباطل ودلالتها عليها بطريق الاستدلال بشرية الآثار على شرية ما يوجبها من
الاعتقاد والعمل اما للقصد الى تبكيتهم من اول الامر بوصفهم بما لا سبيل لهم الى الجحود لا بشريته ولا بفظاعته ولا
باتصافهم به واما للايذان باستقلال كل من المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود
وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه في الآخرة لربما فهم ان علة الشرية هو المجموع وقد قرئ عابد
الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه نعت كفطن ويقظ وكذا عبدة الطاغوت وكذا عبد
الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخدم او على ان اصله عبدة حذفت تاؤه للاضافة او بالنصب اي الجعل
عطفا على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء على انه مجرور بتقدير المضاف وقد قيل
ان من مجرور على انه بدل من شر على احد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف ولا تستخبر بان ذلك مع اقتضائه
اخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ان المقصود الاصلي ليس مضمون الجملة
الاستفهامية بل هي كما مر مقدمة سيقت امام المقصود اعني تخطئة المخاطبين وتوجيه اذعانهم نحو تلقي ما يلقى اليهم عقيبها
بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الناشي منها وهو المقصود افادته عليه يدور فلك الالزام والتبكيت
حسبما شرح فاذا جعل الموصول بما في حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية فاين الذي يلقى اليهم عقيبها جوابا
عما نشأ منها من السؤال المحصل به الالزام والتبكيت واما الجملة الآتية فبمعزل من صلاحية الجواب كيف لا ولا بد
من موافقته في الكيفية للسؤال الناشي من الجملة الاستفهامية وقد عرفت ان السؤال الناشي يستدعي وقوع
الشر من تتمة الخبر عند الاخبار كما في الجملة المذكورة وسيتضح ذلك مزيد ايضاح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت
العجل وقيل هو الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله عز وجل فيعم الحكم دين النصارى ايضا ويتضح وجه تأخير
ذكر عبادته عن العقوبات المذكورة اذ لو قدم عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات ولما كان مآل
ما ذكر بصدد التبكيت ان ما هو شر مما نقموه دينهم وان ما هو شر منها هل ما نقموا انفسهم بحسب ما تقدم من المضاف
وكانت الشرية على كلا الوجهين من تتمة الموضوع غير مقصودة الاثبات لدينهم او لانفسهم عقب ذلك باثباتها
لهم على وجه يشعر بعلية ما ذكر من القبائح لثبوتها بجملة مستأنفة مسوقة من جهته سبحانه شهادة عليهم بكمال
الشرارة والضلال او داخلة تحت الامر تأكيدا للالزام وتشديدا له فقيل **اولئك شر مكانا** فاسم الاشارة
عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون
بتلك القبائح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اي منصرفا
واضل عن سواء السبيل عطف على شر مقرر له اي اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم
شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه
وصيغة التفضيل في الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشرارة والضلال
واذا جاءوكم قالوا آمنا نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون
له الايمان نفاقا فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اي اذا جاءوكم اظهروا
الاسلام **وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به** اي يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر
فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا او بالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب
الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادة ايضا لما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة وكان الرسول
صلى الله عليه وسلم يظنه ان يظهره الله تعالى ولذلك قيل **والله اعلم بما كانوا يكتمون** اي من الكفر وفيه وعيد
شديد لهم **وترى** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية **كثيرا منهم** من اليهود
والمنافقين وقوله تعالى **يسارعون في الاثم** حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول انسب بحالهم
وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وايثار كلمة في على الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى

معترفة الى المذكور في قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل
كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الآثام **والعدوان** اي الظلم المتعدي الى الغير ومجاوزة
الحد في المعاصي **واكلهم السحت** اي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح **لبئس ما كانوا
يعملون** اي لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار **لولا ينهاهم
الربانيون والاحبار** قال الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التوراة وقيل كلاهما في اليهود وهو
تحضيض للذين يقتدي بهم افناؤهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وسوء مغبته على نهي اسافلهم عن ذلك مع توبيخ لهم
على تركه **عن قولهم الاثم واكلهم السحت** مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما **لبئس ما كانوا يصنعون**
وهذا ابلغ مما قيل في حق عامتهم لما ان العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة
تامة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك
ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه مما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس
انها اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها **وقالت اليهود** قال ابن عباس وعكرمة
والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله
تعالى بان كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء
يد الله مغلولة وحيث لم ينكر عليه الآخرون ورضوا به نسبت تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا
فلانا وانما القاتل واحد منهم وارادوا بذلك لعنهم الله تعالى انه سبحانه ممسك يقتر بالرزق فان كلا من غل
اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل او بسط الا يرى انهم يستعملونه
حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد سلك
لبيد هذا المسلك حيث قال وغداة ريح قد شهدت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فانه انما اراد بذلك
اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف في القرة كيفما تشاء على طريقة المجاز من غير ان يخطر بالبال ان يثبت لها
يدا ولا للقرة زماما واصله كناية فيمن يجوز عليه ارادة المعنى الحقيقي كما مر في قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة في سورة
[illegible]

لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى لأن مدار الزيادة هو النزول إليهم كما في قوله تعالى وأنزل لكم من السماء
ماء والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام لتشريفه طغيانا وكفرا مفعول ثان
للزيادة أي ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديمين إما من حيث الشدة والغلو وإما من حيث
الكم والكثرة إذ كلما نزلت آية كفروا بها فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما أن الطعام الصالح للأصحاء
يزيد المرضى مرضا وألقينا بينهم أي بين اليهود فإن بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة
العداوة والبغضاء فلا يكاد يتوافق قلوبهم ولا يتطابق أقوالهم والجملة مبتدأة مسوقة لإزاحة ما عسى يتوهم
من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على أمر يؤدي إلى الإضرار بالمسلمين قيل العداوة أخص من البغضاء لأن كل عدو
مبغض بلا عكس كلي إلى يوم القيامة متعلق بألقينا وقيل بالبغضاء كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله
تصريح بما أشير إليه من عدم وصول غائلة ما هم فيه إلى المسلمين أي كلما أرادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم
ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب ردهم الله تعالى وقهرهم أو كلما أرادوا حرب أحد غلبوا فإنهم لما
خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بخت نصر ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم أفسدوا فسلط عليهم
المجوس ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب إما صلة لأوقدوا أو متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا أي
كائنة للحرب ويسعون في الأرض فسادا أي يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله وإثارة الشر والفتنة
فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بإيقاد نار الحرب وفسادا إما مفعول له أو في موقع المصدر أي يسعون للفساد
أو يسعون سعي فساد والله لا يحب المفسدين ولذلك أطفأ نائرة إفسادهم واللام إما للجنس وهم داخلون
فيه دخولا أوليا وإما للعهد ووضع المظهر مقام المضمر للتعليل وبيان كونهم راسخين في الإفساد ولو أن أهل الكتاب
أي اليهود والنصارى على أن المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والإنجيل وإنما ذكروا بذلك العنوان تأكيدا
للتشنيع فإن أهلية الكتاب توجب إيمانهم به وإقامتهم له لا محالة فكفرهم به وعدم إقامتهم له وهم أهله أقبح من كل
قبيح وأشنع من كل شنيع ومفعول قوله تعالى آمنوا محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا إلا أن آمنا
بالله وما أنزل إلينا الآية وما لحق من قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة الخ أي لو أنهم مع ما صدر عنهم من
فنون الجنايات قولا وفعلا آمنوا بما نعى عليهم الإيمان به فيدخل فيه إيمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما
إرادة إيمانهم به عم خاصة فيأباه المقام لأن ما ذكر فيما سبق وما لحق من كفرهم بزعمهم إنما ذكر مشفوعا بكفرهم بكتابهم
أيضا قصدا إلى الإلزام والتبكيت ببيان أن الكفر به مستلزم للكفر بكتابهم فحمل الإيمان ههنا على الإيمان به خاصة مخل
بتجاوب أطراف النظم الكريم واتقوا ما عددنا من معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم لكفرنا عنهم سيئاتهم
التي اقترفوها وإن كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم بها ولأدخلناهم مع ذلك جنات النعيم
وتكرير اللام لتأكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وأن الإسلام يجب ما قبله من السيئات
وإن جلت وجاوزت كل حد معهود ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل بمراعاة ما فيهما من الأحكام التي من جملتها
شواهد نبوة النبي عم ومبشرات بعثته فإن إقامتهما إنما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الأحكام لانتساخ
بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من إقامتهما في شيء وما أنزل إليهم من ربهم من القرآن المجيد المصدق لكتبهم
وإيراده بهذا العنوان للإيذان بوجوب إقامته عليهم لنزوله إليهم والتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله
إلى بني إسرائيل وتقديم إليهم لما مر من قبل وفي إضافة الرب إلى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة إلى الإقامة وقيل المراد
بما أنزل إليهم كتب أنبياء بني إسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب دانيال فإنها مملوءة بالبشارة ببعثته
صلى الله عليه وسلم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم أي لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات السماء
والأرض أو بأن يكثر ثمرات الأشجار وغلال الزروع أو بأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤوس
الأشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الأرض وقيل المراد المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كأنه قيل

لأكلوا من كل جهة ومفعول أكلوا محذوف لقصد التعميم أو للقصد إلى نفس الفعل كما في قوله فلان يعطي ويمنع ومن
في الموضعين لابتداء الغاية وفي هاتين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الإيمان والتقوى والإقامة بالوعد بنيل
سعادة الدارين وزجرهم عن الإخلال به بما ذكر ببيان إفضائه إلى الحرمان عنها وتنبيههم على أن ما أصابهم من الضنك والضيق إنما
هو من شؤم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض ما لا يخفى منهم أمة مقتصدة جملة مستأنفة مبنية على سؤال نشأ
من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين على انتفاء الإيمان والاتقاء وإقامة الكتب المنزلة من أهل الكتاب
كأنه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الإيمان الخ فقيل منهم أمة مقتصدة إما على أن منهم مبتدأ باعتبار مضمونه أي
بعضهم أمة وإما بتقدير الموصوف أي بعضهم كائن منهم كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية أي طائفة
معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وثمانية وأربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم أمم في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير منهم مبتدأ تخصصه بالصفة خبره ساء ما يعملون أي مقول في حقهم هذا القول
أي بئسما يعملون وفيه معنى التعجب أي ما أسوأ عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والإعراض عنه والإفراط في العداوة
وهم الأجلاف المتعصبون ككعب بن الأشرف وأشباهه والروم يا أيها الرسول نودي عليه السلام بعنوان الرسالة
تشريفا له وإيذانا بأنها من موجبات الإتيان بما أمر به من تبليغ ما أوحي إليه بلغ ما أنزل إليك أي جميع ما أنزل
إليك من الأحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله تعالى من ربك أي مالك أمرك ومبلغك إلى كمالك اللائق بك
عدة ضمنية بحفظه عم وكلاءته أي بلغه غير مراقب في ذلك أحدا ولا خائف أن ينالك مكروه أبدا وإن لم تفعل
أي ما أمرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى فما بلغت رسالته فإن ما لا يتعلق به الأحكام
أصلا من الأسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه إلى الناس أي فما بلغت شيئا من رسالته واستحققت ثم شرع
من عنوان الرسالة بالمرة لما أن بعضها ليس أولى بالأداء من بعض فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعا
كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لإدلاء كل منها بما يدلي به غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد
ولا ريب في أن الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به ولأن كتمان بعضها إضاعة لما أدي منها
كترك بعض أركان الصلاة فإن غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكأنك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكأنما قتل
الناس جميعا من حيث إن كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاتي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت
بها ذرعا فأوحى الله تعالى إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى والله يعصمك
من الناس فإنه كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم بوعد العزيز باعثة له عم على الجد في تحقيق ما أمر به من
التبليغ غير مكترث بعداوتهم وكيدهم وعن أنس رضه كان رسول الله عم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم فقال
انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالى إن الله لا يهدي القوم الكافرين تعليل لعصمته
تعالى عم أي لا يمكنهم مما يريدون بك من الإضرار وإيراد الآية الكريمة في تضاعيف الآيات الواردة في حق أهل الكتاب
لما أن الكل نوع تسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها
من النص الناعي عليهم كمال ضلالهم ولذلك أعيد الأمر فقيل قل يا أهل الكتاب مخاطبا للفريقين لستم على شيء
أي دين يعتد به ويليق بأن يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه
حتى تقيموا التوراة والإنجيل أي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الأمور التي من جملتها دلائل رسالة الرسول
صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فإن إقامتهما إنما تكون بذلك وأما مراعاة أحكامهما المنسوخة فليست من إقامتهما
في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لأنهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لأن شهادتهما بصحة ما ينسخها
شهادة بنسخها وخروجها عن كونها من أحكامهما وأن أحكامهما ما قرره النبي الذي بشر فيهما ببعثته وذكر في تضاعيفهما نعوته
فإذن إقامتهما بيان شواهد النبوة والعمل بما قررته الشريعة من الأحكام كما ينبئ عنه قوله تعالى وما أنزل إليكم من ربكم أي

وأما ما لا يتعلق به الأعمال والعقائد فلا ... من الأسرار الخفية ليس مما يقصد تبليغها منه

القرآن المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا يتأتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين على اقامته مع انها المقصودة بالذات
لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مأمورون باقامته والايمان
به كما لا يدعون من اختصاصه بالعرب وفي اضافة الرب الى ضميرهم ما اشير اليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم
كتب انبياء بني اسرائيل كما مر وقيل الكتب الالهية فانها باسرها آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جماعة من اليهود قالوا للرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تقر ان التوراة حق من عند الله قال
عم بلى فقالوا فانا نؤمن بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
جملة مستأنفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتأكيد
مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الانزال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع نسبته فيما مر اليهم للانباء عن انسلاخهم عن تلك النسبة فلا تأس على القوم الكافرين اي لا تتأسف ولا تحزن عليهم
لافراطهم في الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلته آيلة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة
لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر ان الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق للترغيب
من عدا المذكورين في الايمان والعمل الصالح اي الذين آمنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان يواطئها
قلوبهم اولا والذين هادوا اي دخلوا في اليهودية والصابئون والنصارى جمع نصراني وقد مر تفصيله في سورة البقرة
وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين
هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم
بغاة ما بقينا في شقاق وخلا وسطه بين اسم ان وخبرها دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم في الاديان كلها
حيث قبلت توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الآتية خبر للمبتدأ المذكور وخبر
ان مقدر كما في قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف وقيل والنصارى مرفوع على الابتداء كقوله
والصابئون عطفا عليه وهو مع خبره عطف على الجملة المصدرة بان ولم يسغ لعطفه وحده على محل ان واسمها لاشتراط
ذلك بالفراغ عن الخبر والا لارتفع الخبر بان والابتداء معا واعتذر عنه بان ذلك اذا كان المذكور خبرا لهما واما اذا كان
خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين
هودا وقرئ والصابيون بياء صريحة بتخفيف الهمزة وقرئ والصابون وهو من صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع
الهوى والشهوات في دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا اما في محل الرفع على انه مبتدأ خبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وجمع الضمائر الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه
والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم واما في محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه
والخبر قوله تعالى فلا خوف والفاء كما في قوله عز وجل ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم
الآية فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدأ
والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما
يقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر
وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر
مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا
مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد من آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ
والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما هو شأن المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كما هو
حال من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخرهم

في الانصاف غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الا في تدين الاعلام واما ما قيل المعنى من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ
مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فلا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة ولقد اخذنا
ميثاق بني اسرائيل كلام مبتدأ مسوق لبيان بعض آخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الايمان منهم اي بالله لقد اخذنا
ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة وارسلنا اليهم رسلا ذوي عدد كثير واولي
شأن خطير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم ويتعهدوهم بالعظة و
التذكرة وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم جملة شرطية مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار
باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كأنه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك
الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه فريقا كذبوا وفريقا
يقتلون جواب مستأنف عن استفسار كيفية ما اظهروه من آثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريق الاجمال كأنه
قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار وفريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل
قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجب منها والتنبيه
على ان ذلك ديدنهم المستمر والمحافظة على رؤس الآي الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع
الى ما فعلوا بهم لا للقصر هذا وانما جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام اصلا ضرورة
ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة ينسخ ما فيها من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات امر آخر له
ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله صفة له ومن ههنا قالوا ان الصفات
قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان ما سبق له النظم انما هو بيان انهم جعلوا كل من
جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل او التكذيب حسبما يفيده جعلها استئنافا على ابلغ وجه وآكده لا بيان انه
تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة وحسبوا ان لا تكون فتنة اي
حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بما اتوا من الداهية الدهياء والخطة الشنعاء بلاء وعذاب وقرئ
لا تكون بالرفع على ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشأن المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان
بها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوته وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه فعموا عطف على حسبوا والفاء للدلالة
على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي امنوا بأس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعدما هداهم
الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة وصموا عن استماع الحق الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا
بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتي افساد بني اسرائيل حين خالفوا احكام التوراة وركبوا المحارم و
قتلوا شعيا وقيل حبسوا ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال
العمى والصمم لكنها في عصر موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاؤهم بعده بأعصار ثم تاب الله
عليهم حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعدما كانوا ببابل دهرا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية
الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس فعمره ونجى بقايا بني اسرائيل من اسر
بخت نصر بعد مهلكه وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن ما
كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف القى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام
وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولى على من كان فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى احسن ما كانوا
عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت
ان ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة اليهم كسائر احوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير
اليهم وانما اشير اليها في ضمن بيان توبة الله تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها بقوله تعالى ثم عموا وصموا وهو اشارة
الى المرة الآخرة من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليه السلام لا الى طلبهم الرؤية كما قيل لما

عرفت سره فإن فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا أن انحصار ما حكي عنهم ههنا في المرتين وترتبه على حكاية
ما فعلوا بالرسل عليهم السلام يقضي بأن المراد ما ذكرنا والله عنده علم الكتاب وقرئ عُموا وصُموا بالضم على تقدير
عماهم الله وصمهم أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك وقوله تعالى
كثير منهم بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون أي بما عملوا
وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل والجملة تذييل أشير به إلى
بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا إشارة إجمالية اكتفي بها تعويلاً على ما فصل نوع تفصيل
في سورة بني إسرائيل والمعنى حسبوا أن لا يصيبهم عذاب بفعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لأشد العقوبات
والله بصير بمعاصيها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن أين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الأولى حيث سلط
الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهراسب على بابل وقيل بها الوت الجزري وقيل سنجاريب من أهل نينوى والأول هو الأظهر
فاستولى على بيت المقدس فقتل من أهله أربعين ألفاً ممن يقرأ التوراة وذهب بالبقية إلى أرضه فبقوا هناك على
أقصى ما يكون من الذل والنكد إلى أن أحدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وجل إلى ما حكي عنهم من حسن الحال إلى المرة
الأخرى من الإفساد فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خودرود وقيل خردوس
ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد دماً يغلي فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقتموني
فقتل عليه ألوفاً منهم ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً فقالوا إنه دم يحيى عليه السلام فقال لمثل هذا ينتقم الله تعالى
منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ بإذن الله تعالى قبل أن لا أبقي أحداً منهم فهدأ
لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم شروع في تفصيل قبائح النصارى وإبطال أقوالهم الفاسدة
بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا إن مريم ولدت إلهاً قيل هم الملكانية والمار يعقوبية منهم وقيل هم
اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى هذا أن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً
وقال المسيح حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما أصروا
عليه بما أوعدهم به أي قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطباً لهم يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فإني
عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم إنه أي الشأن من يشرك بالله أي شيئاً في عبادته أو فيما يختص به من
الألوهية فقد حرم الله عليه الجنة فلن يدخلها أبداً كما لا يصل المحرم عليه إلى المحرم فإنها دار الموحدين وإظهار الاسم
الجليل في موقع الإضمار لتهويل الأمر وتربية المهابة ومأواه النار فإنها هي المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب
إثر بيان حرمانهم الثواب وما للظالمين من أنصار أي ما لهم من أحد ينصرهم بإنقاذهم من النار إما بطريق المغالبة
أو بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام إما للعهد والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضمائر
الثلاثة باعتبار لفظها وإما للجنس وهم داخلون فيه دخولاً أولياً ووضعه على الأول موضع الضمير للتسجيل عليهم
بأنهم ظلموا بالإشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما قبله وهو إما من تمام كلام عيسى عليه السلام وإما وارد من جهته تعالى
تأكيداً لمقالته عليه السلام وتقريراً لمضمونها وقد قيل إنه من كلامه عز وجل على معنى أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على
عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره أو
من قول عيسى عليه السلام على معنى لا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول وأنت خبير
بأن التعبير عما حكي عنهم من مقالتهم لتلك الأباطيل بصريح الرد والإنكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بعدم
مساعدتهم على ذلك ونفي نصرتهم له مع خلوه عن الفائدة تصوير للقوي بصورة الضعيف وتهوين الخطب في مقام تهويله
بل تعبيرهم ذلك بحسب الظاهر مما لا يليق بشأنه عليه السلام من توهم المساعدة والنفي لا سيما مع ملاحظة قوله وإن كانوا معظمين
له آه إلا أن يحمل الكلام على التهكم بهم وكذا الحال على تقدير كونه من تمام كلامه عليه السلام فإن زجره إياهم عن قولهم الفاسد
بما ذكر من عدم الناصر والمساعد بعد زجره إياهم بما مر من الرد الأكيد والوعيد الشديد بمعزل من الإفادة والتأثير ولا سبيل

إلى الاعتداد بالتهكم لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة شروع في بيان كفر طائفة أخرى منهم ومعنى
قولهم ثالث ثلاثة ورابع أربعة ونحو ذلك أحد هذه الأعداد مطلقاً لا الثالث والرابع خاصة ولذلك
منع الجمهور أن ينصب ما بعده بأن يقال ثالث ثلاثة ورابع أربعة وإنما ينصبه إذا كان ما بعده دونه بمرتبة
كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل إنهم يقولون إن الإلهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وعيسى ومريم
وكل واحد من هؤلاء إله ويؤكده قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فقوله
تعالى ثالث ثلاثة أي أحد ثلاثة آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى وما من إله إلا إله واحد أي والحال
أنه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث إنه مبدأ جميع الموجودات إلا إله موصوف بالوحدة
متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل إنهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم
الابن وأقنوم روح القدس وإنهم يريدون بالأول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة فمعنى قوله
تعالى وما من إله إلا إله واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه وإن لم ينتهوا عما يقولون
من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى ليمسن الذين كفروا جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط أي
والله إن لم ينتهوا ليمسنهم وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن في قوله تعالى منهم
بيانية أو ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر فمن تبعيضية وإنما جيء بالفعل المنبئ عن الحدوث تنبيهاً
على أن الاستمرار عليه بعد ورود ما ينعى عليه بالقلع من نص عيسى عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه
من أصل الكفر عذاب أليم أي نوع شديد الألم من العذاب وهمزة الاستفهام في قوله تعالى أفلا يتوبون
إلى الله ويستغفرونه لإنكار الواقع واستبعاده لا لإنكار الوقوع وفيه تعجيب من إصرارهم والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام أي ألا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والأقاويل الباطلة فلا يتوبون إلى الله بالحق
ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه إليه من الاتحاد والحلول فهذا للإنكار والتعجيب من عدم الانتهاء و
التوبة معاً أو أيسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك فمدار الإنكار والتعجيب عدم التوبة
عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهائلة وقوله عز وجل والله غفور رحيم جملة حالية من فاعل يستغفرونه
مؤكدة للإنكار والتعجيب من إصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم إلى الاستغفار أي والحال أنه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر لهم
عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما المسيح ابن مريم إلا رسول استئناف مسوق لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه
وبيان حقيقة حاله عليه السلام وحال أمه بالإشارة أولاً إلى أخص ما لهما من نعوت الكمال التي بها صارا من زمرة أكمل أفراد
الجنس وآخراً إلى الوصف المشترك بينهما وبين جميع أفراد البشر بل أفراد الحيوان استنزالاً لهم بطريق التدريج عن رتبة الإصرار
على ما تقولوا عليهما وإرشاداً لهم إلى التوبة والاستغفار أي هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى
قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافي الألوهية فإن خلو الرسل السالفة عليهم السلام
منذر بخلوه المقتضي لاستحالة الألوهية أي ما هو إلا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض من الآيات
كما خص كلاً منهم ببعض آخر منها فإن أحيى الموتى على يده فقد أحيى العصا في يد موسى عليه السلام وجعلت حية تسعى وهو أعجب منه
وإن خلق من غير أب فقد خلق آدم من غير أب ولا أم وهو أغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وإنما موسى وعيسى
مظاهر لشؤونه وأفعاله وأمه صديقة أي وما أمه أيضاً إلا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق أو التصديق
ويبالغن في الاتصاف به فما رتبتهما إلا رتبة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي فمن أين لكم أن تصفوهما بما لا يوصف به
سائر الأنبياء وخواصهم كانا يأكلان الطعام استئناف مبين لما أشير إليه من كونهما كسائر أفراد البشر في الاحتياج
إلى ما يحتاج إليه كل فرد من أفراد الحيوان وقوله تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات تعجيب من حال الذين يدعون
لهما الربوبية ولا يرعوون عن ذلك بعدما بين لهم حقيقة حالهما بياناً لا يحوم حوله شائبة ريب فكيف معمول لنبين
والجملة في حيز النصب معلقة لانظر أي انظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء

يكاد يسمعه صم الجبال ﴿ثم انظر أنى يؤفكون﴾ أي كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها والكلام فيه كما فيما قبله وتكرير الأمر بالنظر للمبالغة في التعجب وثم لإظهار ما بين العجبين من التفاوت أي إن بياننا للآيات أمر بديع في بابه بالغ لأقاصي الغايات القاصية من التحقيق والإيضاح وإعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها أعجب وأبدع ﴿قل﴾ أمر له صلى الله عليه وسلم بإلزامهم وتبكيتهم إثر تعجيبه من أحوالهم ﴿أتعبدون من دون الله﴾ أي متجاوزين إياه وتقديمه على قوله تعالى ﴿ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا﴾ لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عم وإيثاره على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الألوهية رأسا ببيان انتظامه عم في سلك الأشياء التي لا قدرة لها على شيء أصلا وهو عم وإن كان يملك ذلك بتمليكه تعالى إياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به الله تعالى من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وتقديم الضر على النفع لأن التحرز عنه أهم من تحري النفع ولأن أدنى درجات التأثير دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى ﴿والله هو السميع العليم﴾ حال من فاعل أتعبدون مؤكد للإنكار والتوبيخ ومقرر للإلزام والتبكيت والرابط هو الواو أي أتشركون به تعالى ما لا يقدر على شيء من ضركم ونفعكم والحال أن الله تعالى هو المختص بالإحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما أنتم عليه من الأقوال الباطلة والعقائد الزائغة والأعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا والآخرة ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له إلى فريقي أهل الكتاب بطريق الالتفات بعد إبطال مسلك كل منهما على لسان النبي عم للمبالغة في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل وإرشادهم إلى الأمم المتبع ﴿لا تغلوا في دينكم﴾ أي لا تجاوزوا الحد وهو نهي للنصارى عن رفع عيسى عم عن رتبة الرسالة إلى ما تقولوا في حقه من العظيمة ولليهود عن وضعهم له عم عن رتبته العلية إلى ما تقولوا عليه من الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة النساء وذكرهم بعنوان أهلية الكتاب لتذكيرهم أن الإنجيل أيضا نهاهم عن الغلو وقوله تعالى ﴿غير الحق﴾ نصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا أو حال من ضمير الفاعل أي لا تغلوا في دينكم حال كونكم مبطلين وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾ هم أسلافهم وأئمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين أو من النصارى على القولين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في شريعتهم ﴿وأضلوا كثيرا﴾ أي قوما كثيرا ممن شايعهم في الزيغ والضلال أو إضلالا كثيرا والمفعول محذوف ﴿وضلوا﴾ عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتوضيح محجة الحق وتبيين مناهج الإسلام ﴿عن سواء السبيل﴾ حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الأول إشارة إلى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني إلى ضلالهم عما جاء به الشرع ﴿لعن الذين كفروا﴾ أي لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء ﴿من بني إسرائيل﴾ متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول أو من فاعل كفروا وقوله تعالى ﴿على لسان داود وعيسى بن مريم﴾ متعلق بلعن أي لعنهم الله تعالى في الزبور والإنجيل على لسانهما وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت دعا عليهم داود عم وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله تعالى قردة وأصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى عم اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ﴿ذلك﴾ إشارة إلى اللعن المذكور وإيثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظائره وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ والجملة مستأنفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام كأنه قيل بأي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وينبئ عنه قوله تعالى ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾ فإنه استئناف مفيد لاستمرار عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن استمراره إلا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي أن ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل

بل مجرد صدور النهي عن أشخاص متعددة من غير اعتبار أن يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما في تراءوا الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحا وعلى الأول مفيدة لاستمرار انتفاء النهي عن المنكر ولا يخفى أن ما بينهما من تخلل في وقت من الأوقات ومن ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى التقدير فما يفيده تنكير المنكر من الوحدة نوعية لا شخصية فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في تعلق النهي به لما أن متعلق الفعل إنما هو فرد من أفراد ما يتعلق به النهي والانتهاء من مطلق المنكر باعتبار تحققه في ضمن أي فرد كان من أفراده على أن المضي المعتبر في الصفة إنما هو بالنسبة إلى زمان النزول لا إلى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة إلى تقدير المعاودة أو المثل أو جعل الفعل عبارة عن الإرادة على أن المعاودة كالنهي لا يتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير إلى أحد ما ذكرنا من الوجهين أو إلى تقدير المثل أو إلى جعل الفعل عبارة عن إرادته وتحمل ذلك تعسف لا يخفى ﴿لبئس ما كانوا يفعلون﴾ تقبيح لسوء أعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد أداهم إلى ما شرح من اللعن الكبير وليس في تسببه بذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الإشارة إلى تحققه فيهم بقوله تعالى ﴿لعن الذين كفروا﴾ فإن إجراء الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له على أن ما ذكر في السببية مشتمل على كفرهم أيضا ﴿ترى كثيرا منهم﴾ أي من أهل الكتاب ككعب بن الأشرف وأضرابه حيث خرجوا إلى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية وقوله تعالى ﴿يتولون الذين كفروا﴾ حال من كثيرا لكونه موصوفا أي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل من منافقي أهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس رض ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾ لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ﴿أن سخط الله عليهم﴾ هو المخصوص بالذم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيها على كمال التعلق والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد ومبالغة في الذم أي موجب سخط الله ومحله الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرابط عند من يشترطه هو العموم أو لا حاجة إليه لأن الجملة عين المبتدأ أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقعت الجملة المتقدمة كأنه قيل ما هو أو أي شيء هو فقيل هو أن سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وهو ما ...

وقيل ...

الرفع على أنها صفة المخصوص بالذم قائم مقامه والتقدير لبئس شيء قدمت لهم أنفسهم فقوله تعالى ﴿أن سخط الله عليهم﴾ بدل من شيء محذوف وهو مذهب سيبويه ﴿وفي العذاب هم خالدون﴾ أبد الآبدين ﴿ولو كانوا﴾ أي الذين يتولون المشركين من أهل الكتاب ﴿يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه﴾ من الكتاب أي لو كانوا يؤمنون بالله وبنبيهم إيمانا صحيحا ﴿ما اتخذوهم﴾ أي المشركين واليهود ﴿أولياء﴾ فإن الإيمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا ﴿ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾ خارجون عن الدين والإيمان بالله ونبيهم أو متمردون في النفاق منهمكون فيه ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وإغراقهم في الكفر ...

من ... مبتدأ وخبر ... والأصح ... المذكورين ... التقديم والتأخير ... ولحملت ... بالباطن ...

والمخاصمة لتجدن الاشد تمييز الطائفتين لا غير تأمل واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها
ولا يضر كونها منونة بالتاء لانها مبنية عليها كما في قوله ورهبة عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة العداوة اي
كائنة للذين آمنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد
وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على
المشركين بعد لزهما في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس
على حيوة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا اعيد الموصول مع صلته
رعما لزيادة التوضيح والبيان الذين قالوا انا نصارى عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم
انصار الله واولياء اهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقية الاسلام وعلى هذه النكتة مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله
تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول عن
جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئا واحدا قد تفاوتا فيه بالشدة والضعف او بالقرب والبعد بان يقال اقرا
ولتجدن اضعفهم عداوة لهم او بان يقال اولا لتجدن ابعد الناس مودة لهم للايذان بكمال التباين ما بين الفريقين من التفاوت
ببيان ان احدهما في اقصى مراتب احد النقيضين والآخر في اقصى الآخر ذلك اي كونهم اقرب مودة للمؤمنين بان منهم اي بسبب ان منهم
قسيسين وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء اذا تتبعه وطلبه
بالليل سموا بذلك لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي عالم النصارى قسيسا
لتتبعه العلم وقيل قص الاثر وقسه بمعنى وقيل انه اعجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيعت
النصارى الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس ورهبانا
هو جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال لو عاينت
رهبان دير في قلل لاقبل الرهبان يعدو ونزل والترهب التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد
من فرط الخوف والتنكير لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين ايضا اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين
فان اتصاف افراد كثيرة للجنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا يرى الى عبد الله بن سلام
واضرابه قال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الآية لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة
كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم الى جنس اليهود وانهم لا يستكبرون عطف على ان منهم اي وبانهم لا يستكبرون
عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم
مودة للمؤمنين واضحة وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان
من كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول عطف على لا يستكبرون اي وبسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض
من الدمع عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم ابائهم اياه ترى
اعينهم تفيض من الدمع اي تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة او جعلت
اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى لابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول
اي ابتداء الفيض ونشأ من معرفة الحق وحصل من اجله وبسببه ويحتمل ان تكون الثانية تبعيضية لان ما عرفوه
بعض الحق وحيث ابكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرأوا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على صيغة
المبني للمفعول يقولون استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع القرآن كأنه قيل ماذا يقولون فقيل
يقولون ربنا آمنا بهذا او بمن انزل هذا عليه او بهما وقيل حال من الضمير في عرفوا او من الضمير المجرور في اعينهم لما
ان المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا فاكتبنا مع الشاهدين اي الذين شهدوا
بانه حق او بنبوته او مع امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل
كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق كلام مستأنف قالوه تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار

سبب انتفائه ونفيه بالكلية على ان قوله لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اي
اي شيء حصل لنا غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد
الذي فطرني ونظائره لا الى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وامثاله فان همزة
الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في اضرب ابي كذلك ما الاستفهامية
قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الآية الثانية وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون
الجملة الحالية متحققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب
الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في الآية الاولى فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم
العبادة امر مفروض حتما وقوله تعالى ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال اخرى من الضمير
المذكور بتقدير مبتدا والعامل فيها هو العامل في الاولى مقيدا بها اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع
في صحبة الصالحين او من الضمير في لا نؤمن على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة
المؤمنين او من الضمير في لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور فأثابهم الله بما قالوا
اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده وقرئ فآتاهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك جزاء المحسنين اي الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع
روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب
والمهاجرين معه واحضروا القسيسين والرهبان فامر جعفرا ان يقرأ عليهم فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا
بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة
مريم فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله تعالى على الكفر
مع انه ضرب منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم بمقابلة المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب
يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما سلف
من مدح النصارى على الترهب والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حده الله
بجعل الحلال حراما فقال لا تحرموا اي لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في الانذار فرقوا واجتمعوا في
بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك
ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام
واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت ولا تعتدوا اي
حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم ان الله لا يحب
المعتدين تعليل لما قبله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول
كلوا ومما رزقكم حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا
حال من الموصول او العائد المحذوف
لم يكن لكلام فائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون توكيد للوصية بما امر به
يوجب المبالغة في التقوى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو في اليمين الساقط
الذي لا يتعلق به حكم
على تحريم الطيبات

قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عايشة رض وفي ايمانكم صلة يواخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان اي بتعقيدكم الايمان وتوثيقها عليه بالقصد والنية والمعنى لكن يؤاخذكم
بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم فكفارته اي
فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا
لا يجوز ذلك لقوله عم من حلف على يمين وراى غيرها خيرا فليات الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه إطعام عشرة
مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم اي من اقصده في النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين
ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون
او الرفع على انه بدل من اطعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها
في الحالات الثلث كالالف وهو ايضا جمع اهل كالاراضي في جمع ارض والليالي في جمع ليل وقيل جمع اهلاة او كسوتهم
عطف على اطعام او على محل من اوسط على تقدير كونه بدلا من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص
ورداء وازار وقرئ بضم الكاف كقدوة في قدوة واسوة في اسوة وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع تقديره
او طعام كاسوتهم بمعنى كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير
رقبة اي او اعتاق انسان كيف ما كان وشرط الشافعي رح فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب
احدى الخصال مطلقا وخيار التعيين للحالف فمن لم يجد اي شيئا من المذكورة فصيام اي فكفارته صيام ثلثة
ايام والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلثة ايام متتابعات والشافعي لا يرى الشواذ حجة ذلك اي الذي
ذكر كفارة ايمانكم اذا حلفتم اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها كما يشعر به
قوله تعالى اذا حلفتم وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم ولم تفت بها خيرا وبان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها
كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف
مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل
التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة
فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا اي ذلك البيان البديع يبين
الله لكم آياته اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه وتقديم لكم على المفعول لما مر مرارا لعلكم تشكرون
نعمة فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام المنصوبة
للعبادة والازلام سلف تفسيرها في اوائل السورة الكريمة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر
المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او المضاف محذوف اي شان الخمر والميسر الخ من عمل الشيطان في محل الرفع
على انه صفة رجس اي كائن من عمله لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه اي الرجس او ما ذكر لعلكم
تفلحون اي راجين فلاحكم وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد اكد
تحريم الخمر والميسر في هذه الآية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام والازلام وجعلا رجسا
من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون
ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقيل انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلوة اشارة الى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان
المقصود بيان حالهما وذكر الاصنام والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عم شارب الخمر كعابد الوثن
وتخصيص الصلوة بالافراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده
ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل فهل انتم منتهون

ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت
بالكلية وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا عنه واحذروا
اي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا فان توليتم اي اعرضتم عن الامتثال
بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة الرسول والاحتراز عن مخالفتهما فاعلموا انما على رسولنا
البلاغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت
الاعذار وانقطعت العلل وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من شدة التهديد والوعيد ما لا يخفى واما ما
قيل ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وقد فعل وانما
ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتم فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم قطعا ان توليهم يضره صلى الله عليه وسلم
حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه وانما يضرون انفسهم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح
اي اثم وحرج فيما طعموا اي تناولوا اكلا او شربا فان استعماله في الشرب ايضا مستفيض [illegible]
فانه نزل لما نزل تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اصيب فلان يوم بدر وفلان
يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة يا رسول الله
كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رض يا رسول الله كيف باخواننا
الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليست كلمة ما في ما طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم
تقيد اباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى اذا ما اتقوا واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها
موصولة كانت او موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد الطاري عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من
المأكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان يكون في ذلك شيء من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل
في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقيد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقيد اباحة بعضه باتقاء بعض آخر
كما هو اللازم من الاول وآمنوا وعملوا الصالحات اي واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة وقوله تعالى ثم اتقوا
عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق وآمنوا اي بتحريمه وتقديم
الاتقاء عليه اما للاعتناء به او لانه الذي يدل على التحريم الحادث الذي هو المؤمن به ثم اتقوا واستمروا على الايمان ثم
اتقوا اي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك
الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه واحسنوا اي عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما
ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرير بالغا
ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة وكانوا في طاعة الله ومراعاة
اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم
والمشارب اذ ليس فيها شيء محرم عند طعمه وانت بما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء
الجناح وانما ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير الى
ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل في الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق
العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سيأتي بقضية كلمة اذا ما لكنه قد اخرج مخرج الجواب
عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم
بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذ كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما
امروا بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرما في عصرهم لاتقوهما
بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه
وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك بدل الاحسان في الكرة الثالثة بالايمان اشارة الى ما قاله

في تفسيره وباعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتقى فإنه ينبغي أن يترك المحرمات توقيا من العقاب
والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير
للتأكيد كما في قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل المراد بالأول اتقاء الكفر وبالثاني
اتقاء الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب في أنه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فأحسن التأمل والله
يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله أبلغ تقرير يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله جواب قسم محذوف
أي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف أحوالكم بشيء من الصيد أي من صيد البر مأكولا أو غير مأكول ما عدا
المستثنيات من الفواسق واللام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون وكانت الوحوش
تغشاهم في رحالهم بحيث لو كانوا متمكنين من صيدها أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله أيديكم
ورماحكم فهموا بأخذها فنزلت وروي أنه عن لهم حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله فقيل له
إنك قتلته وأنت محرم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك فأنزل الله تعالى الآية والتأكيد القسمي في
ليبلونكم إنما هو لتحقيق أن ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس إلا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول
قبل الابتلاء به وتنكير شيء للتحقير المؤذن بأن ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها أقدام الراسخين كالابتلاء ببذل الأنفس والأموال
وإنما هو من قبيل ما ابتلي به أهل أيلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على أن من لم يثبت في مثل هذا كيف يثبت عند ما هو أشد
منه ومن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا أي بشيء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة
إلى عظائم البلايا فيعرى الكلام عن التنبيه المذكور ليعلم الله من يخافه بالغيب أي ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب
عن ذلك لعلم الله تعالى اللازم له إذ أنما مدار الجزاء ثوابا وعقابا فإنه أدخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه
بخافيه بالفعل فإن علمه تعالى بأنه سيخافه وإن كان متعلقا به قبل خوفه لكن تعلقه بأنه خائف بالفعل وهو الذي يدور
عليه أمر الجزاء إنما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك أيضا مضاف محذوف والتقدير ليعلم أولياء الله وقرئ ليعلم
من الإعلام على حذف المفعول الأول أي ليعلم الله عباده إلخ والعلم على القراءتين متعد إلى واحد وإظهار الاسم الجليل
في موقع الإضمار لتربية المهابة وإدخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك أي بعد بيان أن ما وقع ابتلاء من جهته تعالى
لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه والنهي عنه كما قاله بعضهم إذ النهي والتحريم ليسا أمرا حادثا يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد
الابتلاء كما قاله الآخرون لأن نفس الابتلاء لا يصلح مدارا لتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا لتخفيفه
والموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لأن الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته
وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية أي فمن تعرض للصيد بعد ما بينا أن ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء
مؤد إلى تمييز المطيع من العاصي فله عذاب أليم لما ذكر من أنه مكابرة محضة وأن من لا يملك زمام نفسه ولا يراعي حكم الله تعالى
في أمثال هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم المداحض والمراد بالعذاب الأليم عذاب الدارين قال ابن عباس يوسع
ظهره وبطنه جلدا ويسلب ثيابه يا أيها الذين آمنوا شروع في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الأحكام إثر بيان ما يلحقه من العذاب
وتصريح بالنهي في قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم مع كونه معلوما لا سيما من قوله تعالى غير محلي الصيد وأنتم حرم
لتأكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللام في الصيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وإن كان في الحل وفي حكمه
من في الحرم وإن كان حلالا كردح جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا أي لا تقتلوه وأنتم محرمون ومن قتله أي الصيد
المعهود وذكر القتل في الموضعين دون الذبح للإيذان بكونه في حكم الميتة منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله
أي كائنا منكم متعمدا حال منه أيضا أي ذاكرا لإحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع أن محظورات الإحرام يستوي فيها
العمد والخطأ لما أن الآية نزلت في المتعمد كما مر من قصة أبي اليسر ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ وعن الزهري
نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا أرى في الخطأ شيئا أخذا باشتراط التعمد في الآية وهو قول داود
وعن مجاهد والحسن أن المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الإحرام أما إذا قتله عمدا وهو ذاكر لإحرامه فلا حكم عليه وأمره

إلى الله عز وجل لأنه أعظم من أن يكون له كفارة فجزاء مثل ما قتل برفعهما أي فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الأول ونصب الثاني
على إعمال المصدر وقرئ بجر الثاني على إضافة المصدر إلى المفعول وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبر وقرئ بنصبهما على فليجز
جزاء أي فعليه أن يجزي جزاء مثل ما قتل والمراد به عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد
أو في أقرب الأماكن إليه فإن بلغت قيمته قيمة هدي يخير الجاني بين أن يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه إلى الحرم وبين أن يشتري بها
طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوما فإن فضل ما لا يبلغ طعام مسكين
تصدق به أو صام عنه يوما كاملا إذ لم يعهد في الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تعالى من النعم بيانا للهدي المشترى
بالقيمة على أحد وجوه التخيير فإن من فعل ذلك يصدق عليه أنه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعي
رحمهما الله ومحمد ... هو المثل باعتبار الخلقة والهيئات لأن الله تعالى أوجب مثل المقتول بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة
فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله عنهم أنهم أوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي شاة وفي حمار الوحش بقرة وفي الأرنب عناقا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الضبع صيد وفيه شاة إذا قتله المحرم ولنا أن النص أوجب المثل والمثل المطلق
في الكتاب والسنة وإجماع الأمة والمعقول يراد به إما المثل صورة ومعنى وإما المثل معنى ... فلا اعتبار للمعنى الشرعي
أصلا وإذا لم يكن إرادة الأول إجماعا تعينت إرادة الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق العباد ألا يرى أن
المماثلة بين أفراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع ولم يجعل الحيوان عند الإتلاف مضمونا
بفرد آخر من نوعه مماثل له في عامة الأوصاف بل مضمونا بقيمته مع أن المنصوص عليه في الآية إنما هو المثل قال تعالى
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم بحيث لم يعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها فلأن لا تعتبر
ما بين أفراد نوع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة مأخذها وتعسر المحافظة عليها أولى وأحرى ولأن التقويم
قد أريد فيما لا نظير له إجماعا فلم يبق غيره مرادا إذ لا عموم للمشترك في مواقع الإثبات والمراد بالمروي إيجاب النظير باعتبار
القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الأصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول إنما هو قيمته لكن لا باعتبار أن يعطيها الجاني إلى
فيصرفها إلى المصارف ابتداء بل باعتبار أن يجعلها معيارا فيقدر بها إحدى الخصال الثلاث فيقيمها مقامها فقوله
تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال وأما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر في ثاني الحال بناء على
وصفه الأول الذي هو المعيار له ولما بعده من الطعام والصيام فحقهما أن يعطفا على الوصف المتأخر وعلى الوصف
الأول لازم فضلا عن العطف على الموصوف كما سيأتي بإذن الله تعالى ومما يرشدك إلى أن المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل يحكم
به أي بمثل ما قتل ذوا عدل منكم أي حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لأن التقويم هو الذي يحتاج إلى النظر والاجتهاد
من العدول دون الأشياء المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل واحد من الناس فإن ذلك ناشئ من الغفلة عما أريد بالمماثلة
المماثلة بل لأن ما جعلوه مدار المماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة في بعض الأوصاف والهيئات مع تحقق
التباين بينهما في بقية الأحوال مما لا يهتدي إليه من أساطين أئمة الاجتهاد وصناديد أهل الهداية والإرشاد إلا المؤيدون
بالقوة القدسية ألا يرى أن الإمام الشافعي أوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما أثبت بينهما من المماثلة من حيث إن كلا منهما
يعب ويهدر مع أن النسبة بينهما من سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يفوض معرفة أمثال هذه الدقائق العويصة إلى
ذوي عدل من آحاد الناس على أن الحكم بهذا المعنى إنما يتعلق بالأنواع لا بالأشخاص فبعد ما عين بمقابلة كل نوع من أنواع الصيد
نوع من أنواع النعم يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة إلى الحكم أصلا وقرئ يحكم به ذو عدل على إرادة الجنس
دون الوحدة وقيل بل على إرادة الإمام والجملة صفة لجزاء أو حال منه لتخصصه بالصفة وقوله تعالى هديا حال مقدرة من الضمير في
به أو من جزاء لما ذكر من تخصصه بالصفة أو بدل من مثل فيمن نصبه أو من محله فيمن جره أو نصب على المصدر أي يهديه هديا والجملة
المرفوع هو بالغ الكعبة صفة لهديا لأن الإضافة غير حقيقية أو كفارة عطف على محل من النعم على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة
صفة ثانية لجزاء كما أشير إليه وقوله تعالى طعام مساكين عطف بيان لكفارة عند من يخصصه بالمعارف أو بدل منه أو خبر مبتدأ
محذوف أي هي طعام مساكين وقوله تعالى أو عدل ذلك صياما عطف على طعام كأنه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم

أو طعام مساكين أو صيام أيام تعدلهم فيكون المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر به الهدي والطعام والصيام أما الأول
فبلا واسطة وأما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني بكل منها بدلا من الآخرين هذا وقد قيل إن قوله تعالى أو كفارة عطف
على جزاء فلا يبقى في النظم الكريم ما يقيد الطعام والصيام بالمثل ولا الجاء إلى القياس على الهدي فيختص هذا على قراءة
جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات فقوله تعالى أو كفارة خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على من النعم وقرئ أو كفارة طعام مساكين
بالإضافة لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على أن التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ أو عدل بكسر العين
والفرق بينهما أن عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والإطعام وعدله ما عدل به في المقدار فكأن المفتوح
تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك إشارة إلى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند أبي حنيفة
وأبي يوسف وللحكمين عند محمد رحمهم الله تعالى ليذوق وبال أمره متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور أي فعليه جزاء
ليذوق وقيل بفعل يدل عليه الكلام كأنه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال أمره أي سوء عاقبة هتكه لحرمة الحرام
والوبال في الأصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فأخذناه أخذا وبيلا
ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا يستمرؤه المعدة عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما قبل أن تسألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد
إلى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم فينتقم الله منه خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذا دخلت الفاء كقوله تعالى
فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا أي فذلك لا يخاف الخ وقوله تعالى ومن كفر فأمتعه والمراد بالانتقام
التعذيب في الآخرة وأما الكفارة فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير والحسن أنها واجبة على العائد وعن ابن عباس وشريح
أنه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام شديد فينتقم ممن أصر على المعصية والاعتداء أحل
لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر أي ما يصاد في المياه كلها بحرا كان أو نهرا أو غديرا وهو ما لا يعيش إلا في الماء مأكولا أو غير
مأكول وطعامه أي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى أحل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع بما
يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد فيه على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه
وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه أو نضب عنه متاعا لكم نصب على أنه مفعول له مختص بالطعام كما أن
نافلة في قوله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة حال مختصة بيعقوب أي أحل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم يأكلونه طريا
وللسيارة منكم يتزودونه قديدا وقيل نصب على أنه مصدر مؤكد للفعل مقدر أي متعكم به متاعا وقيل مؤكد لمعنى أحل
لكم فإنه في قوة متعكم به تمتيعا كقوله تعالى كتاب الله عليكم وحرم عليكم صيد البر وقرئ على بناء الفعل للفاعل ونصب
صيد البر وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كطير الماء ما دمتم حرما أي محرمين وقرئ بكسر الدال
من دام يدام وظاهره يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم وإن لم يكن له مدخل فيه وهو قول عمر وابن عباس وعن
أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير أنه يحل له أكل ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يشر إليه ولم يدل
عليه وكذا ما ذبحه قبل إحرامه وهو مذهب أبي حنيفة رح لأن الخطاب للمحرمين فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر
فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي وأحمد رح لا يباح ما صيد له واتقوا الله فيما نهاكم عنه أو في جميع المعاصي
الذي إليه تحشرون لا إلى غيره حتى يتوهم الخلاص من أخذه تعالى بالالتجاء إليه جعل الله الكعبة
قال مجاهد سميت كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل لارتفاعها من الأرض
ونتوها وقوله تعالى البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما تجيء الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل
وقوله تعالى قياما للناس نصب على الحال ويرده عطف ما بعده على المفعول الأول كما سيجيء بل هذا هو المفعول الثاني وقيل
الجعل بمعنى الإنشاء والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياما لهم أنه مدار لقيام أمر دينهم ودنياهم إذ هو سبب لانتعاشهم
في أمور معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه إليه الحجاج والعمار وقرئ
قيما على أنه مصدر على وزن شبع أعل عينه في فعله والشهر الحرام الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل الشهر الحرام

وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر أي وجعل الشهر الحرام والهدي والقلائد أيضا
قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهي البدن خصت بالذكر لأن الثواب فيها أكثر وبهاء الحج بها أظهر
ذلك إشارة إلى الجعل المذكور خاصة أو مع ما ذكر من الأمر بحفظ حرمة الحرام وغيره ومحله النصب بفعل مقدر يدل
عليه السياق وهو العامل في اللام بعده أي شرع ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض فإن تشريع
هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الأولوية والأخروية
أدل دليل على حكمة الشارع وعدم خروج شيء من علمه المحيط وقوله تعالى وأن الله بكل شيء عليم تعميم إثر التخصيص للتأكيد
ويجوز أن يراد بما في السماوات والأرض الأعيان الموجودة فيهما وبكل شيء الأمور المتعلقة بتلك الأعيان من الأحوال
التي هي ترتيب الشرائع اعلموا أن الله شديد العقاب وعيد لمن انتهك محارمه وأصر على ذلك وأن الله غفور رحيم
[illegible] ما على الرسول إلا البلاغ
تشديد في إيجاب القيام بما أمر به [illegible]
[illegible] والله يعلم ما تبدون وما تكتمون [illegible] قل لا يستوي
الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الرديء من الأشخاص والأعمال والأموال وبين جيدها
قصد به الترغيب في صالح العمل وحلال المال [illegible]
في تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله وقيل نزلت في رجل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible]
[illegible]
[illegible] والطيب [illegible]
فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا [illegible]
[illegible]
[illegible] ولو أعجبك كثرة الخبيث [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فاتقوا الله يا أولي الألباب [illegible]
هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان أخبث لعلكم تفلحون راجين
أن تنالوا الفلاح يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء هو اسم جمع على رأي الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء
وقصباء أصله شيئاء بهمزتين بينهما ألف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لألف التأنيث
الممدودة وقيل هو جمع شيء على أنه مخفف من شيّئ كهين مخفف من هيّن والأصل أشيئاء كأفعلاء فاجتمعت همزتان
لام الكلمة والتي للتأنيث إذ الألف كالهمزة فخففت الكلمة بأن قلبت الهمزة الأولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت أشيائي
فاجتمعت ياءان أولاهما عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت أشياء ووزنها أفلاء ومنعت الصرف لألف التأنيث وقيل
حذفت من أشياء الياء المنقلبة من الهمزة التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم ألف الجمع فوزنها أفعاء وقوله
إن تبد لكم تسؤكم صفة لأشياء داعية إلى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة في هذه الشرطية معلقة
بإبدائها لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية أخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لإبدائها الموجب للمحذور قطعا فقيل وإن

لا تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اي تلك الاشياء الموجبة للمساءة بالوحي كما ينبئ عنه تقييد السؤال
بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقون بها والاسرار الخفية فيفتضحون بظهورها
ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها
عليهم بطريق التشديد لاساءتهم الادب واجترائهم على المسألة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشأنهم من الاستسلام لامر الله عز وجل
من غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته اي لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو تكاليف شاقة عليكم
ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحي اليه لم تطيقوا بها ونحو بعض امور مستورة تكرهون بروزها وذلك مثل ما روي عن علي كرم الله وجهه
انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فقال رجل من بني اسد يقال له
عكاشة بن محصن وقيل هو سراقة بن مالك افي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسألته ثلث مرات فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني
ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن
شيء فاجتنبوه ومثل ما روي عن انس وابي هريرة رض انه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه في
المسألة فقام مغضبا خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا
بينته لكم فاشفق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا اجد
رجلا الا وهو لاف رأسه في ثوبه يبكي فقام رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى الرجال يدعى
الى غير ابيه وقال يا نبي الله من ابي فقال ابوك حذافة بن قيس الزهري وقام آخر فقال اين ابي قال في النار ثم قام عمر
فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا ونبيا نعوذ بالله تعالى من الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك
فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم عفا الله عنها استئناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن
لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء
عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسألة المدلول عليها بلا تسألوا اي عفا الله تعالى عن مسألتكم السالفة حيث لم يفرض عليكم
الحج في كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بسائر مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها واما جعله صفة اخرى لاشياء
على ان الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم اياها فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج
قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت
للموصوف عند المخاطب قبل جعله وصفا له وكلاهما ضروري الانتفاء قطعا على انه يستدعي اختصاص النهي بمسألة
الحج ونحوها ان سلم وقوعها مع ان النظم الكريم صريح في انه مسوق للنهي عن الاشياء التي يسوؤهم ابداؤها سواء كانت من قبيل
الاحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم بانشائها وايجابها بسبب السؤال عقوبة وتشديدا كمسألة الحج لولا العفو عنها او
من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة بالاخبار بها كمسألة من قال اين ابي ان قلت تلك الاشياء غير موجبة للمساءة البتة
بل هي محتملة لايجاب المسرة ايضا لان ايجابها للاولى ان كان من حيث وجودها فهي من حيث عدمها موجبة للاخرى قطعا وليست
احدى الحيثيتين محققة عند السائل وانما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل ظهورها بحيثية ايجابها للمسرة فلم نهي عنها
مستعرض مع ما فيه من تأكيد النهي وتشديده لان تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء ولا ترجح لاحتمالية ايجابها للمسرة ولاحتمية تردد
بين الايجابين اذ قيل الشرطية الثانية ناطقة بان السؤال عن تلك الاشياء الموجبة للمساءة مستلزم لابدائها البتة كما زعم قلت
الابداء عن السؤال في مسألة الحج حيث لم يفرض في كل عام قلنا لو وقع السؤال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية انما هو السؤال
الواقع بعد ورود النهي وهو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تكلف فيه ان قيل ما ذكر انما يتمشى فيما اذا كان السؤال عن الامور المترددة
بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة واما اذا كان عن الامور الواقعة قبله فلا يكاد يتمشى لان ما يتعلق به الابداء هو الذي
وقع في نفس الامر ولا مرد له سواء كان السؤال قبل النهي او بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في سؤال عبد الله بن حذافة
فيكون هو الذي يتعلق به الابداء لا غيره فيتعين التخلف حتما قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن التعين فان المنهي عنه في الحقيقة انما هو

عن الاشياء الموجبة للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل السؤال [illegible]
[illegible]
قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين
[illegible]
والله غفور حليم
[illegible]
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام
[illegible]
ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
[illegible]
واكثرهم
[illegible] لا يعقلون [illegible]
وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم وقوله عز وجل واذا قيل لهم اي للذين عبر عنهم باكثرهم على سبيل
الارشاد تعالوا الى ما انزل الله من الكتاب المبين للحلال والحرام والى الرسول الذي انزل عليه هو لتقفوا على حقيقة
الحال وتميزوا الحرام من الحلال قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادي
الى الحق وانقيادهم للداعي الى الضلال اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون قيل الواو للحال دخلت
عليها الهمزة للانكار والتعجب اي احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية اخرى مقدرة قبلها
وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك او ايقولون هذا القول لو لم يكن آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب
ولو كانوا لا يعلمون الخ وكلتاهما في موقع الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت
الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند
عدمه اولى كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اي احسن اليه كائنا
على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلان
يؤمر به عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من المبالغة والتأكيد وجواب لو محذوف
لدلالة ما سبق عليه اي لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون يحسبهم ذلك او يقولون ذلك وما في لو من معنى
الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدته المبالغة في الانكار والتعجيب ببيان ان

ما قالوه موجب للإنكار والتعجب إذا كان كون آبائهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف إذا تحقق ذلك لا ريب فيه
وقيل مآل الوجهين واحد لأن الجملة المقدرة حال الكل إما عطف عليها واستخبر بأن الحال على الوجه الأخير مجموع
الجملتين لا الأخيرة فقط وأن الواو للعطف لا للحال وقد مر تحقيقه في قوله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
فتدبر يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم أي الزموا أمر أنفسكم وإصلاحها وقرئ بالرفع على الابتداء أي واجبة عليكم
أنفسكم وقوله تعالى لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إما مجزوم على أنه جواب للأمر أو نهي مؤكد له وإنما ضمت الراء إتباعا
لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة إذ الأصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة من قرأ لا يضركم بكسر
الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره وإما مرفوع على أنه كلام مستأنف في موضع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرأ
لا يضيركم أي لا يضركم ضلال من ضل إذا كنتم مهتدين ولا يتوهمن أن فيه رخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع
استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء أن ينكر على المنكر حسبما تفي به الطاقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم
منكرا فاستطاع أن يغيره فليغيره بيده وإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وقد روي أن الصديق رضي الله عنه قال يوما
على المنبر يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا
الآية فيقول أحدكم علي نفسي والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب
ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من قوم عمل فيهم منكر أو سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه
إلا وحق على الله تعالى أن يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة وكانوا يتمنون
إيمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالأمر والنهي وقيل كان الرجل إذا أسلم لاموه وقالوا له سفهت آباءك
وضللتهم أي نسبتهم إلى السفاهة والضلال فنزلت تسلية له بأن ضلال آبائه لا يضره ولا يشينه إلى الله لا إلى أحد سواه
مرجعكم رجوعكم يوم القيامة جميعا بحيث لا يتخلف عنه أحد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من
أعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على أن أحدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا أيها الذين آمنوا
استئناف مسوق لبيان الأحكام المتعلقة بأمور دنياهم إثر بيان الأحوال المتعلقة بأمور دينهم وتصدير
في النداء والتنبيه لإظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل شهادة بينكم بالرفع والإضافة إلى الظرف
توسعا إما باعتبار جريانها بينهم أو باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتدأ وقوله تعالى إذا حضر
أحدكم الموت أي شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لإفادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت
وروده عليها فإنه أدخل في تهويل أمر الموت وقوله تعالى حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره
كما قيل فإن في الإبدال تنبيها على أن الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي أن يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله
تعالى اثنان خبر المبتدأ بتقدير المضاف أي شهادة بينكم شهادة اثنين أو فاعل شهادة بينكم على أن خبره محذوف
أي فيما نزل عليكم أن يشهد بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والإعراب كما سبق وقرئ شهادة بالنصب
والتنوين على أن عاملها مضمر هو العامل في اثنان أيضا أي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم أي من أقاربكم
لأنهم أعلم بأحوال الميت وأنصح له وأقرب إلى تحري ما هو أصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان أو آخران
عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية أي أو شهادة آخرين أو أن يشهد بينكم آخران أو ليقم شهادة آخران
وقوله تعالى من غيركم صفة لآخران أي كائنان من غيركم أي من الأجانب وقيل من أهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الإسلام
لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول أنه نسخها قوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم إن أنتم
مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره إن ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا رأي جمهور البصريين وذهب
الأخفش والكوفيون إلى أنه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد إن الشرطية كجواز وقوعه بعد إذا فقوله تعالى
ضربتم في الأرض أي سافرتم فيها لا محل له من الإعراب عند الأولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية عند الباقين

وقوله تعالى فأصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أي إن سافرتم
فقاربكم الأجل وما معكم من الأقارب ومن أهل الإسلام من يتولى أمر الشهادة كما هو الغالب في الأسفار فليشهد
آخران أو فاستشهدوا آخرين أو فالشاهدان آخران كذا قيل والأنسب أن يقدر عين ما سبق أي فآخران على معنى أو
بينكم شهادة آخرين أو أن يشهد آخران على الوجوه المذكورة ثمة وقوله تعالى تحبسونهما استئناف وقع جوابا عما
نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف نصنع إن ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما أي تقفونهما وتصبرونهما للتحليف
من بعد الصلاة وقيل هو صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على أن اللائق إشهادهما الأقارب
أو أهل الإسلام وأما إشهاد الآخرين فعند الضرورة المجدية وأنت خبير بأنه يقتضي اختصاص الحبس بالآخرين مع
شموله للأولين أيضا قطعا على أن اعتبار اتصافهما بذلك يأباه مقام الأمر بإشهادهما إذ مآله فآخران شأنهما
الحبس والتحليف وإن أمكن إتمام التقريب باعتبار قيد الارتياب بهما كما يفيده الاعتراض الآتي والمراد بالصلاة صلاة العصر
وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لأنه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولأن
جميع أهل الأديان يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حلف من حلف
كما سيأتي وقيل بعد أي صلاة كانت لأنها داعية إلى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور إن الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما وقوله تعالى إن ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق
من الحبس والإقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال
الارتياب أي إن ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة وأخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله تعالى لا نشتري
به ثمنا جواب للقسم وليس هو من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع
غالبا فإن ذلك إنما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله إن أتيتني
لأكرمتك ولا ريب في استحالة ذلك هنا لأن القسم وجوابه كلاهما من كلام الشاهدين والشرط من جهته تعالى والاشتراء هو
استبدال السلعة بالثمن أي أخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وإن كان مستلزما له فإن المعتبر في عقد الشراء
ومفهومه هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لأخذ شيء بإزالة ما عنده عينا كان أو معنى على وجه الرغبة
في المأخوذ والإعراض عن الزائل كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما مر تفصيله في تفسير قوله تعالى أولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى والضمير في به لله والمعنى لا نأخذ لأنفسنا بدلا من الله أي من حرمته عرضا من الدنيا بأن نهتكها
ونزيلها بالحلف الكاذب أي لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة أي
لا نستبدل بصحة القسم بالله أي لا نأخذ لأنفسنا بدلا منها عرضا من الدنيا بأن نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب
أي لا نحلف كاذبين كما ذكر ولا فساد في المعنى سواء أريد بالقسم الصادق أو الكاذب أما إن أريد به الكاذب فلأنه
لا يتوجه ما هو المعتبر في الاستعارة من كون الزائل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف كحرمة اسم الله تعالى ووصف الصحة
والصدق في القسم ولا ريب في أن القسم الكاذب ليس كذلك وأما إن أريد به الصادق فلأنه وإن أمكن أن يتوسل
باستعماله إلى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه وإنما التوسل إليه بترك استعماله فلا إمكان له هنا حتى يصح
التبرؤ منه وإنما يتوسل إليه باستعمال القسم الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق ضرورة جواز
تركهما معا حتى يتصور جعل ما أخذ باستعماله مأخوذا بترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير المضاف فإن إزالة
وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة فتأمل وقوله تعالى ولو كان
أي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام ذا قربى أي قريبا منا تأكيد لتبرئهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه
كأنهما قالا لا نأخذ لأنفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم إليه رعاية جانب الأقرباء فكيف إذا لم يكن كذلك
وصيانة أنفسهما وإن كانت أهم من رعاية الأقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة إليه وجواب لو محذوف
ثقة بدلالة ما سبق عليه أي لا نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على أخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو أعجبك الخ

وقوله عز وجل ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا الله تعالى باقامتها معطوف على لا نشتري به داخل معه
في حكم القسم وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وبغير مد
كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام
النون فيها فان عثر اي اطلع بعد التحليف على انهما استحقا اثما حسبما اعترفا به بقولهما انا اذا لمن الآثمين
اي فعلا ما يوجبه من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما
وقع في سبب النزول حسبما سيأتي فآخران اي فرجلان آخران وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما ولا محذور
في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده اي يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس
المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور
لاظهار الحق وابراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في ايديهما من الذين استحق على البناء للفاعل على قراءة علي وابن
عباس وابي رضي الله تعالى عنهم اي من اهل الميت الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم اي الاقربان الى الميت الوارثان له
الاحقان بالشهادة اي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اي استحقا عليهم ان يجردوهما للقيام بها لانهما احق بها
لظهور انهما كاذبين وهما في الحقيقة الآخران المقامان مقام الاولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ على البناء للمفعول
وهو الاظهر اي من الذين استحق عليهم الاثم اي جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالأوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كأنه
قيل ومن هما فقيل الأوليان او هو بدل من الضمير في يقومان او من آخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف
اي استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة وقرئ الاولين على انه صفة للذين مجرور او منصوب على المدح ومعنى
الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاوليين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الأولان
فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله اي ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها احق بالقبول من شهادتهما
اي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة
التفضيل مع انه لا حقية في يمينهما رأسا انما هي لامكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في ايديهما
وما اعتدينا عطف على جواب القسم اي ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال حقهما انا اذا لمن الظالمين
استئناف مقرر لما قبله اي انا ان اعتدينا في يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة
اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغي ان يشهد على وصيته عدلين من ذوي
نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخرين من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة
ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا تملكه
من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه روي ان تميم بن اوس الداري وعدي
بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدما
الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه
الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله
فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا لا ندري انما اوصى الينا وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم
فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين آمنوا الآية فاستحلفهما بعد صلاة العصر عند المنبر بالله
الذي لا اله الا هو انهما لم يختانا شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة
فقال من بيده اشتريته من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل
فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر

انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما وفي رواية والى اولياء الميت واعلم انهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ
الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ ذلك كلام مستأنف سيق لبيان ان ما ذكر مستتبع
للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها اي اقرب
الى ان يؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروي وهذه
كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم بيان لحكمة شرعية رد اليمين
على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كأنه قيل ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة
بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤوس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا ولعل الجناية
المؤدية اليه فاي الخوفين وقع حصل المقصد الذي هو الاتيان بالشهادة على وجهها وقيل هو عطف على يأتوا على معنى ان
ذلك اقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا على موجب
شهادتهم ان لم يأتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكولهم واما ما قيل من ان المعنى ان ذلك اقرب الى احد الامرين اللذين ايهما
وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق والامتناع عن ادائها على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة
اصلا ضرورة ان الشاهد مضطر فيها الى الجواب والامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة قطعا فليس
هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او وانما يتأتى ذلك في شهود لو شهدوا بجايز على الخيانة
الامتناع عن الشهادة الكاذبة الخوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان ما يقتضي احدهما
يقتضي الآخر لا محالة تحكم بحت فتأمل واتقوا الله في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم واسمعوا ما تؤمرون
به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا
كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم يوم يجمع الله الرسل نصب على انه بدل
اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فان مدار البدلية ليس ملابسة الظرفية والمظروف ونحوها فقط بل هو
تعلق ما مصحح لانتقال الذهن من المبدل منه الى البدل بوجه اجمالي كما فيما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء كافة مالك
يوم الدين خاصة كاف في الباب مع ان الامر بتقوى الله تعالى يتبادر منه الى الذهن ان المتقى اي شأن من شؤونه وأي فعل من افعاله
وقيل هناك مضاف محذوف وبه يتحقق الاشتمال اي اتقوا عقاب الله تعالى ولا يجوز انتصابه به بطريق الظرفية وقيل منصوب
بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه اي واحذروا او اذكروا يوم الخ فان تذكير ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله
عز وجل وتلقي امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل ظرف لقوله تعالى لا يهدي اي لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدي اليه
المؤمنين وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا بحذف مضاف اي اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل مؤخر قد حذف
للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كأنه قيل يوم يجمع
الله الرسل فيقول الخ يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية
المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس وذلك
يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم بل للابانة بشرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح
بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام
يجيئون على وجه الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال فيقول لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي
حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بجواب الامم اعرابا واضحا ولا لقصد الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي وما ذا في قوله عز
وجل ماذا اجبتم عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب على المصدرية اي اي اجابة اجبتم من جهة اممكم اجابة قبول او
رد وقيل عبارة عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الباء اي باي جواب اجبتم وعلى التقديرين ففي توجيه السؤال عما صدر
عنهم وهم شهود لما الرسل عليهم السلام كسؤال الموؤدة بمحضر من الوائد والعدول عن اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا
من الابانة عن كمال التحقير لشأنهم وشدة الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفى قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل

فاذا تقول الرسل عليهم السلام بناء لكن قيل يقولون لا علم لنا وصيغة الماضي للدلالة على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى
ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظائرهما وانما يقولون ذلك تفويضا للامر الى علمه تعالى واحاطته بما اعتراهم
من جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الهموم والاوجال وعرضا لعجزهم بيانا لكثرة وظاعته انك انت علام
الغيوب تعليل لذلك اي تعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لا نعلمه مما اضمروه في قلوبهم وفيه اظهار الشكاية ورد الامر الى علمه
تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب والتجاء الى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة ورد
ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم امرهم وانت خبير بان مرادهم ح ان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا
كفرة وعن ابن عباس رض ومجاهد والسدي انهم يفزعون من اول الامر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما ثابت اليهم
عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلائمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب
على النداء او الاختصاص بالمدح على ان الكلام قد تم عند قوله انت اي انك انت المنعوت بنعوت الكمال المعروف بذلك
اذ قال الله يا عيسى ابن مريم شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل اثر
بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين وتخصيص شأن عيسى
بالبيان تفصيلا من بين شؤون سائر الرسل عم مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل
لما ان شأنه عم متعلق بكلا الفريقين من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم عليهم
واجلب لحسرتهم وندامتهم وافت في اعضادهم وادخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع الله وصيغة
الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على في قوله
تعالى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اي اذكر انعامي عليكما او بمحذوف
هو حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد بامره عم يومئذ بذكر النعم المنتظمة في سلك التعديد
تكليفه عم شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه عم عن عهدة الشكر في اوانه اي خروج بل اظهار امره
عم بتعداد تلك النعم حسبما بينه الله سبحانه اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على رؤس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما انبأ
عنه النظم الكريم توبيخا وزجرا للكفرة المختلفين في شانه عم افراطا وتفريطا وابطالا لقولهما جميعا اذ ايدتك ظرف لنعمتي
اي اذكر انعامي عليكما وقت تاييدي لك او حال منها اي اذكرها كائنة وقت تاييدي لك وقرئ آيدتك والمعنى واحد اي
قويتك بروح القدس بجبريل عم لتثبيت الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين واضافته الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار
الآثام او يحيى به الموتى والنفوس حيوة ابدية وقيل الارواح مختلفة بالحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية
ومنها كدرة ومنها خيرة ومنها نذلة وكان روحه عم طاهرة مشرقة نورانية علوية وايا ما كان فهو نعمة عليهما تكلم الناس
في المهد وكهلا استئناف مبين لتاييده عم او حال من الكاف وذكر تكليمه في حال الكهولة لبيان ان كلامه في تينك
الحالتين كان على نسق واحد بديع صادر عن كمال العقل مقارنا لرزانة الرأي والتدبير وبه استدل على انه عم سينزل
من السماء لما انه عم رفع قبل التكهل قال ابن عباس رض ارسله الله تعالى وهو ابن ثلثين سنة فمكث في رسالته ثلثين
شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه واذ علمتك الكتاب عطف على قوله تعالى اذ ايدتك منصوب بما نصبه اي اذكر نعمتي عليكما
وقت تعليمي لك الكتاب والحكمة اي جنسهما والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة اظهارا لشرفهما
وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب واذ تخلق من الطين كهيئة الطير اي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة
الطير باذني بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عم حقيقة بل على ان يظهر ذلك على يده عم عند مباشرة الاسباب
مع كون الخلق حقيقة لله كما ينبئ عنه قوله تعالى فتنفخ فيها اي في الهيئة المصورة فتكون اي تلك الهيئة طيرا باذني فان
اذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى للطير بل عن محض تيسيره مع صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان هذا
تكوينا من جهة الحيات وتكرير قوله تعالى باذني في الطير مع كونهما شيئا واحدا للتنبيه على ان كلا من التصوير والنفخ امر عظيم
بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شيء الا باذنه تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني عطف على تخلق واذ تخرج الموتى

باذني

باذني عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى من قبورهم لاسيما بعدما صارت رميما معجزة باهرة ونعمة
جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحا قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير قوله باذني في المواضع الاربعة
للاعتناء بتحقيق الحق ببيان ان تلك الخوارق ليست من قبل عيسى عم بل من جهته سبحانه قد اظهرها على يديه معجزة له ونعمة
خصها به واما ذكره في سورة آل عمران مرتين لما ان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد النعم واذ كففت بني
اسرائيل عنك عطف على اذ تخرج اي منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك اذ جئتهم بالبينات
بالمعجزات الواضحة مما ذكر ومالم يذكر كالاخبار بما ياكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن
لا باعتبار المجيء بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين فان
قولهم ذلك مما يدل على انهم قصدوا اغتياله عم المحوج الى الكف اي كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات
وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة وكلمة من بيانية وهذا اشارة الى ما جاء به وتذكيره
لان اشارتهم الى ما رأوه من نفس المسمى من حيث هو لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان هذا الا
ساحر مبين فهذا اشارة الى عيسى عم واذ اوحيت الى الحواريين عطف على ما قبله من اخواتها الواقعة ظروفا للنعمة
التي امر بذكرها وهي وان كانت في الحقيقة عين ما يفيده الجمل التي اضيفت اليها تلك الظروف من التاييد بروح القدس
وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الاحسان امر بذكرها من تلك
الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحققها اعتبرت فهذا لو كان اذ من تعداد
النسبة فانه تعلق موضوع لبيان نسبتين ماضيتين وتعيين فيه احداهما معلومة الوقوع عند المخاطب وان تخرج
فيراد افادة وقوعها ايضا له فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى ويجعل ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم قد تكون
المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر احساني اليك اذ احسنت الي تريد تنبيه المخاطب على وقوع احسانك
اليه في مقابلة وقوع احسانه اليك وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار كما في قولك اذكر احساني اليك اذ
منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها احسانا اليه لا على احسان آخر واقع ح ومن هذا القبيل
ما وقع في التنزيل من قوله تعالى اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الآية وقوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظائر ومعنى ايحائه
اليهم امره تعالى اياهم في الانجيل على لسانه عليه السلام وقيل الهامه تعالى اياهم كما في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى
ان آمنوا بي وبرسولي ان مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وقيل مصدرية وايراده عم بعنوان الرسالة للتنبيه
على كيفية الايمان به عليه السلام كانه قيل آمنوا بوحدانيتي في الالوهية والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه
حطا ولا رفعا وقوله تعالى قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي
اليهم ذلك فقيل قالوا آمنا اي بما ذكر من وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن به قولهم واشهد باننا مسلمون
مخلصون في ايماننا من اسلم وجهه لله [illegible]
[illegible]
[illegible]
بات اذ قال الحواريون كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى بينهم وبينه عليه السلام [illegible]
الاظهار في موقع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبي عليه السلام بطريق التلوين والالتفات لما ان الخطاب السابق
لعيسى عليه السلام فانه ليس بخطاب وانما هو حكاية خطاب [illegible]
كانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى
الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم [illegible]
والاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان ولا يساعده النظم الكريم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك

أن ينزل علينا مائدة من السماء اختلف في انهم هل كانوا مؤمنين اولا فقيل كانوا كافرين شاكين في قدرة الله تعالى على ما ذكروا وفي صدق عيسى عليه السلام كاذبين في دعوى الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمينان والتثبيت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما يقتضيه الحكمة والارادة لا على ما يقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ رضوان الله عليهم اجمعين وسعيد بن جبير في آخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من مادة اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال ابو عبيد هي فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية قال استئناف مبني على سؤال ناشئ مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى عم حين قالوا ذلك فقيل قال اتقوا الله اي من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين اي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي وان صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذريعة لحصول المسؤول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة قالوا استئناف كما سبق نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اي لسنا نريد بالسؤال ازاحة شبهتنا في قدرته سبحانه على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان نأكل منها اي اكل تبرك وقيل لحاجة وتمتع وتطمئن قلوبنا بكمال قدرته تعالى وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمانينة وقوة اليقين ونعلم اي علما يقينا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء للمفعول ان قد صدقتنا ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف اي ونعلم انه قد صدقتنا في دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمانينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كانه قيل على اي شيء تشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول او هو حال من اسم كان او متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين قال عيسى ابن مريم لما راى عيسى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ارفع عن استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روي انه عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ وغض بصره ثم قال اللهم ربنا الآية ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء انزل علينا تقديم الظرف على قوله تعالى مائدة لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى من السماء متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اي كائنة من السماء نازلة منها وقوله تعالى تكون لنا عيدا في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما عيدا ولنا حال منه او من ضمير تكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضميرا او من ضمير تكون عند من يرى ذلك اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعاد من شرفها وقيل العيد السرور العائد وكذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وهنا من الشواذ لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا

لمتقدمينا ومتأخرينا روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا منك متعلق بمحذوف هو صفة لآية اي كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا اي المائدة والشكر عليها وانت خير الرازقين تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله عم على الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهال وزيادته ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان لتحصيل الطمانينة كما في قول ابراهيم عم رب ارني كيف تحيي الموتى ولولا ما قبل اعتذارهم بما ذكروه ولما اضاف اليه من عنده ما يؤكده ويقربه الى القبول قال الله استئناف كما سلف اني منزلها عليكم وورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة على التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب الخ بعد قوله لئن انجانا من هذه الخ مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه عز وجل منجز له لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اي منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر بعد اي بعد تنزيلها منكم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل يكفر فاني اعذبه بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد انتصابه على المصدرية بالتقديرين المذكورين ويجوز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى لا اعذبه في محل النصب على انه صفة لعذابا والضمير له اي اعذبه تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن رحمهما الله تعالى والصحيح الذي عليه جماهير الائمة ومشاهير الائمة انها قد نزلت روي انه عليه السلام لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا سفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون راس الحواريين يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به عم وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون

ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس رض ان عيسى ع م قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله يعطكم ما تسألون فصاموا فلما فرغوا قالوا انا لو عملنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسألوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة ارغفة فاكلوا ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير فمكثوا بذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ واذ قال الله يا عيسى ابن مريم معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم او بمضمر مستقل معطوف على ذلك اي اذكر للناس وقت قول الله عز وجل له عليه السلام في الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عليه السلام على رؤس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين الاتخاذ اما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال الفاشي وعليه قوله تعالى أأنت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين انه بامره عليه السلام ام من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وقوله تعالى من دون الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اي متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة لالهين اي كائنين من دونه تعالى واياما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله تعالى عما يشركون اذ به يتأتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت على يد عيسى عليه السلام ومريم لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح انهم اتخذوهما في حق بعض الاشياء الهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من تحقق فقال ان عبادته تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده فقد غفل عما يجديه واشتغل بما لا يعنيه كذاب من قبله فان توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التأويل واظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند الى عيسى عليه السلام قال استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل فماذا يقول عيسى عليه السلام حينئذ فقيل يقول وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا سبحانك سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال ذلك في حقك واما تنزيهه من ان يكون له شريك في الالوهية فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق استئناف مقرر للتنزيه

ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله وايثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وافادة التأكيد بالباء في خبره من الكبر فان اسمه ضمير عائد الى ما وخبره بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى ان كنت قلته فقد علمته استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه السلام بالطريق البرهاني فان صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا حيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره حتما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم تعلم ما في نفسي استئناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف ما اعلنه وقوله تعالى ولا اعلم ما في نفسك بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات والمعلومات اليها لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن نسبتها الى الحقيقة وقوله تعالى انك انت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل ما قلت لهم الا ما امرتني به استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد ادرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على ابلغ وجه وآكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة للمأمور به فيدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى ان اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني وكنت عليهم شهيدا رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان ما دمت فيهم ما مصدرية ظرفية تقدر بمضاف اليه زمان ودمت صلتها اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السماء كما في قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم لا غير فانت ضمير الفصل وتاكيد وقرئ بالرفع على انه خبر انت والجملة خبر كان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته عن المخالفة بالارشاد الى الدلايل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الآيات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا وانت على كل شيء شهيد اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلق بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة ان تعذبهم فانهم عبادك وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز اي القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت فتفضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان وقيل الترديد بالنسبة الى فريقين والمعنى ان تعذبهم اي من كفر منهم وان تغفر لهم اي من آمن منهم قال الله كلام مستانف ختم به حكاية ما وقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته اجمالا وما لا اي يقول الله تعالى يومئذ عقيب

جواب عيسى عليه السلام مشيراً الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في
زمرتهم وصيغة الماضي لما مر مراراً في نظائره وقوله تعالى **هذا** اشارة الى ذلك وهو
مبتدأ خبره ما بعده اي هذا اليوم الذي يحكي بعض ما يقع فيه اجمالاً وبعضه تفصيلاً **يوم**
ينفع الصادقين بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبئ عنه الاسم المستمرون
في الدارين على الصدق في الامور الدينية التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده
والشرائع والاحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين الى
ذلك وبه يحصل الشهادة بصدقه عليه السلام ومن الامم المصدقين لهم المقتدين
بهم عقداً وعملاً وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين في الايمان برسول
الله صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق في اي شيء كان ضرورة ان الجاني المعترف
في الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه **صدقهم** اي صدقهم فيما ذكر
من امور الدين في الدنيا اذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره في الدارين مع انه
لا حاجة اليه كما عرفت ولا مدخل له في استتباع النفع والجزاء مما لا وجه له وهذه
القراءة هي التي اطبق عليها الجمهور وهي الاليق بسباق النظم وسياقه وقد قرئ يوم بالنصب
اما على انه ظرف لقال فهذا حينئذ اشارة الى قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني والهين
من دون الله واما على انه خبر لهذا فهو حينئذ اشارة الى عيسى عليه السلام اي هذا الجواب منه
عليه السلام واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم او الى السؤال والجواب معاً وقيل هو خبر
ولكنه على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لانه مضاف الى متمكن وقرئ يومٌ بالرفع والتنوين
كقوله تعالى واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً **لهم جنات تجري من تحتها**
الانهار خالدين فيها ابداً استئناف مسوق لبيان النفع المذكور كأنه قيل
ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله تعالى **رضي الله عنهم**
استئناف آخر لبيان انه عز وجل افاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها
عنده وهو رضوانه الذي لا غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى **ورضوا**
عنه اذ لا شيء اعز منه حتى يمتد اليه اعناق الهمم **ذلك** اشارة الى نيل رضوانه
تعالى وقيل الى نيل الكل **هو الفوز العظيم** لما ان عظم شأن الفوز تابع لعظم
شأن المطلوب الذي تعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب وراء ذلك
اصلاً وقوله تعالى **لله ملك السموات والارض وما فيهن** تحقيق للحق
وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وامه عليهما السلام
اي لله تعالى خاصة ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف
كيف يشاء ايجاداً واعداماً واحياءً واماتةً وامراً ونهياً من غير ان يكون
لشيء من الاشياء مدخل في ذلك وفي ايثار ما على من المختصة بالعقلاء على تقدير
تناولها الكل مراعاة للاصل واشارة الى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما
في تحقق المربوبية وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية
والاهانة بهم بتغليب غيرهم عليهم **وهو على كل شيء** من الاشياء **قدير** مبالغ في القدرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر
درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية مائة وست وستون آيات

الحمد لله تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولاً باسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجبه من صفات الكمال
واليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص
الحقيقة به سبحانه لاقتصار جميع افرادها عليه بالطريق البرهاني ووصفه تعالى ثانياً بما ينبئ عن تفصيل بعض
موجباته المنتظمة في سلك الاجمال من عظائم الآثار وجلائل الافعال من قوله عز وجل **الذي خلق السموات**
والارض للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله به باعتبار افعاله العظام وآلائه الجسام ايضاً و
تخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التي اجلها
نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والآفاقية
المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد اي انشأهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق منطوين
من انواع البدائع واصناف الروائع على ما تحار فيه العقول والافكار من تعاجيب العبر والآثار تبصرة وذكرى
لاولي الابصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف آثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو
مكانها وتقدمها وجوداً على الارض كما هي **وجعل الظلمات والنور** عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلهما
مسبوقاً بخلق منشأهما ومحلهما داخل معه في حكم الاشعار بعلة الحمد فكما ان خلق السموات والارض وما فيهما
لكونه اثراً عظيماً ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بخالقهما جل وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه امراً خطيراً
ونعمة جليلة مقتض لاختصاصه بجاعلهما والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء
التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضاً كما في قوله تعالى ما جعل
الله من بحيرة الآية واياً ما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو
ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغواً كان او مستقراً لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام
بل قيداً فيه كما في قوله عز وعلا وجعل بينهما برزخاً وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا
من لدنك ولياً الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالاً من مفعوله
تقدمت عليه لكونه نكرة واياً ما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعدياً
الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة
قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة حيث قيل ان الظرف مفعول ثان لجاعل وقد
اشير هناك الى ان الذي يقتضيه الذوق السليم ويقتضيه جزالة النظم الكريم انه متعلق بجاعل او بمحذوف وقع
حالاً من المفعول وان المفعول الثاني هو خليفة والاول محذوف على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها
ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها على النور لتقدم الاعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية
حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** معطوف على الجملة السابقة
الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي لاقتصار العبادة عليه كما حقق في تفسير الفاتحة
الكريمة مسوق لانكار ما عليه الكفرة واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضي ببطلانه بداية
العقول والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة
الخاصة به الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه اي
يسوون به غيره في العبادة التي هي اقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقاً له غير متصف بشيء

من مبادي الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد بيانه بالآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير أن يجعل كفرهم بما يجب أن يؤمن به كلاً أو بعضاً عنواناً للموضوع فإن ذلك مخل باستبعاد ما أسند إليهم من الإشراك والباء متعلقة بيعدلون ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة إلى تحقيق مدار الإنكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل وترك المفعول لظهوره أو لتوجيه الإنكار إلى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم إيذاناً بأنه المدار في الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية المفعول هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل والخليق بفخامة شأنه الجليل وأما جعل الباء صلة لكفروا على أن يعدلون من العدول والمعنى أن الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته فيرده أن كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم أشد شناعة وأعظم جناية من عدولهم عن حمده عز وجل لتحققه مع إغفاله أيضاً فجعل ما هو الشر من عمدة في الكلام مقصودة للإفادة وإخراج أعظمهما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له في الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلي هذا وقد قيل معطوف على خلق السموات والمعنى أنه تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شيء منه لكن لا على قصد أنه صلة مستقلة ليكون بمنزلة أن يقال الحمد لله الذي عدلوا به ليجيء ولخلخة الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كأنه قيل الحمد لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر وأنت خبير بأن ما ينتظم في سلك الصلة المنبئة عن موجبات حمده عز وجل حقه أن يكون له دخل في ذلك لا أقل ولو في الجملة ولا ريب في أن كفرهم بمعزل منه وادعاء أن له دخلاً فيه للدلالة على كمال الجود كأنه قيل الحمد لله الذي أنعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسف لا يساعده النظام وتعكيس يأباه المقام كيف لا وسياق النظم الكريم كما يفصح عنه الآيات الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية إساءتهم مع نهاية إحسانه تعالى إليهم لا بيان نهاية إحسانه تعالى إليهم مع غاية إساءتهم في حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح أنه لا سبيل إلى جعل المعطوف من روادف المعطوف لما أن حق الصلة أن تكون غير مقصودة للإفادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت أن المعطوف هو الذي سيق له الكلام فتأمل وكن على الحق المبين هو الذي خلقكم من طين استئناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الإيمان به إثر بيان بطلان إشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع أن ما ذكر من خلق السموات والأرض من أوضحها وأظهرها كما ورد في قوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم لما أن محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك أظهر وهم بشؤون أنفسهم أعرف والتعامي عن الحجة النيرة أقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ أي ابتدأ خلقكم منه فإنه المادة الأولى للكل لما أنه منشأ آدم الذي هو أصل البشر وإنما نسب هذا الخلق إلى المخاطبين لا إلى آدم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بأن يقال هو الذي خلق أباكم إلخ مع كفاية علمهم بخلقه منه في إيجاب الإيمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس والمبالغة في إزاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي أن كل فرد من أفراد البشر حظاً من إنشائه عليه السلام من حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجاً منطوياً على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء إجمالياً مستتبعاً لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين خلقاً لكل أحد من فروعه منه ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري إلى جميع أفراد ذريته أبدع من أن يكون ذلك مقصوراً على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور إليه وأدل على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتداء حال المخاطبين أولى بأن يكون معياراً لانتهائها فعل ما فعل ولله در شأن التنزيل وعلى هذا السر مدار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم إلى آخره وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً كما سيأتي وقيل المعنى خلق أباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه أن النطفة الحاصلة من الأغذية المتكونة من الأرض وأياً ما كان ففيه من وضوح

الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فإن من قدر على إحياء ما لم يشم رائحة الحياة قط كان على إحياء ما قارنها مدة أظهر قدرة ثم قضى أي كتب لموت كل واحد منكم أجلاً خاصاً به أي حداً معيناً من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للإيذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم حسبما يقتضيه الحكم البالغة وأجل مسمى أي حد معين لبعثكم جميعاً وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة كما في قوله تعالى ولعبد مؤمن ولوقوعه في موقع التفصيل كما في قول من قال إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول وتنوينه لتفخيم شأنه وتهويل أمره ولذلك أوثر تقديمه على الخبر الذي هو عنده مع أن الشائع المستفيض هو التأخير كما في قولك عندي كلام حق ولي كتاب نفيس كأنه قيل وأي أجل مثبت معين في علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله أحد لا مجملاً ولا مفصلاً وأما أجل الموت فمعلوم إجمالاً وتقريباً بناءً على ظهور أماراته أو على ما هو المعتاد في أعمار الإنسان وتسميته أجلاً إنما هي باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه أول مدة الممات لما أن الأجل في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن أولها وقيل الأجل الأول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث من البرزخ فإن الأجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو الأوفق لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى قضى لكل أحد أجلين أجلاً من مولده إلى موته وأجلاً من موته إلى مبعثه فإن كان براً تقياً وصولاً للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر وإن كان فاجراً قاطعاً نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب فمعنى عدم تغير الأجل حينئذ عدم تغير آخره والأول هو الأليق بتفخيم الأجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والأنسب بتهويله المبني على مقارنته للطامة الكبرى فإن كون بعضه معلوماً للخلق ومضيه من غير أن يقع فيه شيء من التداعي كما يستلزمه الحمل على المعنى الثاني مخل بذلك قطعاً ومعنى زيادة الأجل ونقصه فيما روي تأخير الأجل الأول وتقديمه ثم أنتم تمترون استبعاد وإنكار لامترائهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه أي تمترون في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في أنفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فإن من قدر على إفاضة الحياة وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها أصلاً كان أوضح اقتداراً على إفاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن هنا تبين أن ما قيل من أن الأجل الأول هو النوم والثاني هو الموت أو أن الأول أجل الماضين والثاني أجل الباقين أو أن الأول مقدار ما مضى من عمر كل أحد والثاني مقدار ما بقي منه مما لا وجه له أصلاً لما رأيت من أن مساق النظم الكريم استبعاد امترائهم في البعث الذي عين وقته بالأجل المسمى بحيث لا يريب أحد مما ذكر من الأمور الثلاثة في أي شيء يمترون ووصفهم بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد إليه مع أنهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على إنكاره كما ينبئ عنه قولهم أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ونظائره للدلالة على أن جزمهم المذكور في أقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وقوله تعالى وهو الله جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول أحكام إلهيته تعالى لجميع المخلوقات وإحاطة علمه تعالى بتفاصيل أحوال العباد وأعمالهم المؤدية إلى الجزاء إثر الإشارة إلى تحقق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير آجالهم وقوله تعالى في السموات وفي الأرض متعلق بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل إما باعتبار أصل اشتقاقه وكونه علماً للمعبود بالحق كأنه قيل وهو المعبود فيهما وإما باعتبار أنه اسم اشتهر بما اشتهر به الذات من صفات الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشيئة المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كأنه قيل وهو المالك أو المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين أن الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي أو على المالك أو المتصرف أو نحو ذلك بل مجرد ملاحظة أحد المعاني المذكورة في ضمنه كما لوحظ مع اسم الأسد في قولك فلان أسد على ما اشتهر من صفة الجراءة التي اشتهر بها مسماه فجرى مجرى على هذا

ان ما قيل بصدد التصوير بالتفسير اي هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض او هو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية او هو المعروف بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر به لا هو الذي يقتضيه المقام حسبما تبين آنفا الا اشتهاره به الا يرى ان كلمة علي في المثال المذكور لا يمكن تعليقها بالشجاعة بلا اسم بالمرة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري من التوحد والتفرد كانه قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تقرر عند الكل من اطلاق هذا الاسم عليه تعالى خاصة كانه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شيء فهو الاسم على الوجه الذي سبق من اعتبار معنى التوحيد او القول في نحوي الكلام بطريق الاستتباع لا على حمل الاسم الجليل على معنى المتوحد بالالهية او على تقدير القول وقد جوز ان يكون الظرف خبرا ثانيا على ان كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم بما فيهما بناء على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصور والاشباح بكونه حضوريا منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحال العالم الذي يكون في مكان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فعلى هذا يكون قوله عز وجل **يعلم سركم وجهركم** اي ما اسررتموه وما جهرتم به من الاقوال او ما اسررتموه وما اعلنتموه كائنا ما كان من الاقوال والاعمال بيانا وتقريرا لمضمونه وتحقيقا للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما تفيده الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور مستتبعة لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون هذا بيانا وتقريرا له بلا ريب واما على الوجوه الثلثة الباقية فلا سبيل الى كونه بيانا لكن لا لما قيل من انه لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيها من العبودية والاختصاص بهذا الاسم اذ ربما يعبد ويختص به من ليس له كمال العلم بديهة بل لان ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق وبهذا تبين انه ليس بيانا على الوجه الثالث ايضا لما ان التوحد بالالهية لا يعتبر في مفهومه العلم الكامل ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيانية وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو به يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد اذا كان هو فيه وانت خارجه ولعل جعل سرهم وجهرهم فيهما للتوسيع الدائرة وتصويرا انه لا يعزب عن علمه شيء منهما في اي مكان كان لا لانهما قد يكونان في السموات ايضا وتعميم الخطاب لاهلها تعسف لا يخفى **ويعلم ما تكسبون** اي ما تفعلونه بجلب نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا او علانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر لاظهار كمال الاعتناء بها لانها التي يتعلق بها الجزاء وهو السر في اعادة يعلم **وما تاتيهم من آية من آيات ربهم** كلام مستأنف وارد لبيان كفرهم بآيات الله واعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الآية الاولى اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض آيات التوحيد وفي الآية الثانية امتراؤهم في البعث واعراضهم عن بعض آيات الاستعداد بان ذكرهم قبائحهم قد اقتضى ان يضرب عنهم الخطاب صفحا وتعدد جناياتهم لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم من الآيات القرآنية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان احكام الوهيته على كافة الكائنات واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان بها **الا كانوا عنها معرضين** اي على وجه التكذيب والاستهزاء كما ستقف عليه واما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها

من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من جلائل شؤونه تعالى الشاهدة بوحدانيته تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين النظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان بمكونها وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول تاتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما وايا ما كان ففيها دلالة بينة على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له في آن الاتيان كما ينبئ عنه كلمة لما في قوله عز وجل **فقد كذبوا بالحق لما جاءهم** فان الحق عبارة عن القرآن الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل آية آية عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير في الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على ان الاول هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاؤوا ظلما وزورا بعد قوله وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ما جاؤوه اي فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تأمل تاكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به آثر ذي اثير له عواقب جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا في حاله ومآله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كما ينبئ عنه قوله تعالى **فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤون** فان ما عبارة عن الحق المذكور وعبر عنه بذلك تهويلا لامره بابهامه وتعليلا للحكم بما في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما ان النبأ لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الآجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته ياباه الآيات الآتية وسوف لتاكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسياتيهم البتة وان تاخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا في عواقبه وانما قيل يستهزؤون ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء كما اشير اليه هذا على ان يراد بالآيات القرآنية وهو الاظهر واما ان اريد بها الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف والاعراض على حقيقته كانه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد فعلوا بما هو اعظم منها ما هو اعظم من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم الآيات ولا مساغ لحمل الآيات في هذا الوجه على كلها اصلا واما ما قيل من ان المعنى انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا بالقرآن فمما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله **الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن** استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالانباء التي سبق بها الوعيد واتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية مستدعية لمفعول واحد استفهامية كانت او خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في حيزها مسد مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن مميز لها على انه عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف اي اهل قرن واما انتصابها على المصدرية او على الظرفية على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان فتعسف ظاهر ومن الاولى ابتدائية متعلقة باهلكنا اي الم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الاخبار كم امة اهلكنا من قبل

اهل مكة اي من قبل خلقهم او من قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود
واضرابهم وقوله تعالى مكناهم في الارض استئناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال
نشا من صدر الكلام كانه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الخ وقيل هو صفة لقرن لما ان النكرة مفتقرة الى مخصص
فاذا وليها ما يصلح مخصصا لها تعين وصفيته لها وانت خبير بان تنوينه التفخيمي مغن له عن استدعاء
الصفة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه ومضمون ما عطف عليه من الجمل الاربع امرا مفروغا عنه
غير مقصود بسياق النظم مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن
موصوفين بكذا وكذا وباهلاكنا اياهم بذنوبهم وانه بين الفساد وتمكين الشيء في الارض جعله قارا
فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم فيه واخرى مكن له في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض حتى اجرى كل منهما مجرى الاخر
ومنه قوله تعالى ما لم نمكن لكم بعد قوله تعالى مكناهم في الارض كانه قيل في الاول مكنا لهم وفي الثاني ما لم نمكنكم
وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف ومحلها النصب على المصدرية اي مكناهم تمكينا
لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف الحال مزيد بيان لشان الفريقين ولدفع الاشتباه من اول
الامر من مرجعي الضميرين وارسلنا السماء اي المطر او السحاب او المظلة لان مبدا المطر منها عليهم متعلق بارسلنا
مدرارا اي مغزارا حال من السماء وجعلنا الانهار اي صيرناها فقوله تعالى تجري من تحتهم مفعول ثان لجعلنا
او انشاناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان
على الوجه المذكور ما ليس في ان يقال واجرينا الانهار من تحتهم وليس المراد بتعداد هاتيك النعم العظام الفائضة
عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جناياتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لاعظم العقوبات بل بيان حيازتهم لجميع
اسباب نيل المآرب ومبادي الامن النجاة من المكاره والمعاطب وعدم اغناء ذلك شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة
من الاجسام والامتداد في الاعمار والسعة من الاموال والاستظهار باسباب الدنيا في استجلاب المنافع
واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة ففعلوا ما فعلوا فاهلكناهم بذنوبهم اي اهلكنا كل قرن من تلك
القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد والاسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب
وهو كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار واما قوله سبحانه وانشانا من بعدهم اي احدثنا من بعد اهلاك
كل قرن قرنا آخرين بدلا من الهالكين فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم
الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا بل كلما اهلك امة انشا بدلها اخرى ولو نزلنا عليك جملة مستانفة سيقت
بطريق تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الاقاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم عن
آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل ههنا اليه عليه السلام
مع نسبة اتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق اليهم للاشعار بقدحهم في نبوته عليه السلام في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحا
وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد حيث قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون
انه من عند الله تعالى وانك رسوله كتابا ان جعل اسما كالامام فقوله تعالى في قرطاس متعلق بمحذوف وقع
صفة له اي كتابا في صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه فلمسوه اي الكتاب وقيل
القرطاس وقوله تعالى بايديهم مع ظهور ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز
في قوله وانا لمسنا السماء اي تفحصنا اي فمسوه بايديهم بعد ما رأوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شانه اشتباه و
لم يقدروا على الاعتذار بتسكير الابصار لقال الذين كفروا اي لقالوا وانما وضع الموصول موضع الضمير
للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومها اللغوي ايضا

وفيه ايماء الى ان قوله تعالى [illegible] من [illegible]

ان هذا اي ما هذا مشيرين الى ذلك الكتاب الا سحر مبين اي بين كونه سحرا تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره
كما هو داب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج وقالوا لولا انزل عليه ملك شروع في قدحهم في نبوته عليه السلام
صريحا بعد ما اشير الى قدحهم فيها ضمنا وقيل هو معطوف على جواب لو وليس بذاك لما ان تلك المقالة الشنعاء
ليست مما يقدر صدوره عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة
يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل اي هلا انزل عليه ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما
نقل عنهم فيما روي عن الكلبي ومقاتل ونظيره قولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولما كان مدار هذا
الاقتراح على شيئين انزال الملك كما هو وجعله معه عليه السلام نذيرا اجيب عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت
الوجود اصلا لاشتماله على امرين متباينين لا يجتمعان في الوجود لما ان انزال الملك على صورته يقتضي انتفاء
جعله نذيرا وجعله نذيرا يستدعي عدم انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله تعالى ولو انزلنا ملكا
لقضي الامر اي لو انزلنا ملكا على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته قوى
الآحاد البشرية الا يرى ان الانبياء صلوات الله تعالى عليهم اجمعين كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم
على الصور البشرية كضيف ابراهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام وغير ذلك وحيث كان شانهم كذلك وهم
مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم فلو شاهدوه كذلك لقضي امر اهلاكهم بالكلية واستحال جعله
نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لاخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والآخرة من ارسال الرسل
وتاسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه كما ترى ايذان بانهم في ذلك الاقتراح
كالباحث عن حتفه بظلفه وان عدم الاجابة اليه للابقاء عليهم وايثار الثاني للفعل المجرى على سنن الكبرياء
وكلمة ثم في قوله تعالى ثم لا ينظرون اي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان ينظروا به كما هو المقصود
بالانزال للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان مفاجاة العذاب اشد من نفس العذاب
واشق وقيل في سبب اهلاكهم انهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي
آية لا شيء ابين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من اهلاكهم وقيل انهم اذا راوه يزول الاختيار الذي هو قاعدة
التكليف فيجب اهلاكهم والى الثاني بقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا على ان الضمير الاول للنذير
المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام وانما لم يجعل للملك المذكور قبله بان يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلنا
نذيرا رجلا مع فهم المراد منه ايضا لتحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه
للثاني انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاول مبتدا والثاني خبرا
لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدا والخبر ولا ريب في ان مصب الفائدة ومدار اللزوم بين
طرفي الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت امتناعية اريد بها بيان انتفاء الجعل الاول لاستلزامه
المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب ان يجعل مدار الاستلزام في الاول مفعولا ثانيا لا محالة وكذا الجعل مقابله
في الجعل الثاني كذلك بانه لكمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثاني للملك لا لما رجع اليه الاول
والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه ملكا لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الآحاد
لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلا على بشرا ايذان بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين
لما يقع به التمثيل وقوله تعالى وللبسنا عليهم عطف على جواب لو مبني على الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب
اكتفاء بما في المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر
بالثوب وقرئ اللام بالتشديد للمبالغة اي لخلطنا عليهم بتمثيله رجلا ما يلبسون على انفسهم حينئذ
بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها او بمعجزات اخر
غير ملجئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي عليه السلام ولو اظهر صورته الاصلية لزم الامر الاول

والتعبير عن تمثله تعالى رجلا بالتلبس إما لكونه في صورة اللبس أو لكونه سببا للبسهم أو لوقوعه في صحبته بطريق المشاكلة لما فيه تأكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كأنه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الأمر عليهم وقد جوز أن يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل أي وبالله لقد استهزئ برسل أولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه فحاق عقيبه أي أحاط أو نزل أو حل ونحو ذلك فإن معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل إلا في الشر والحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه وقوله تعالى بالذين سخروا منهم أي استهزؤوا بهم من أولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزئون للمسارعة إلى بيان لحوق الشر بهم وما إما موصولة مفيدة للتهويل أي فأحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به حيث أهلكوا لأجله وإما مصدرية أي فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل قل سيروا في الأرض بعد بيان ما فعلت الأمم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنذار قومه وتذكيرهم بأحوالهم الفظيعة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بأنه سيحيق بهم مثل ما حاق بأضرابهم الأولين وقد أنجز ذلك يوم بدر أي إنجاز أي سيروا في الأرض لتعرفوا أحوال أولئك الأمم ثم انظروا أي تفكروا كيف كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم إما للدلالة على أن النظر في آثار الهالكين لا يتسنى إلا بعد انتهاء السير إلى أماكنهم وإما لإبانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجود وهو الأظهر فإن وجوب السير ليس إلا لكونه وسيلة إلى النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل فانظروا الآية وأما أن الأمر الأول لإباحة السير للتجارة ونحوها والثاني لإيجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف متعلقة بفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض أي تفكروا في أنهم كيف أهلكوا بعذاب الاستئصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهي منتهى الأمر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق أن مدار إصابة ما أصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم أنه المدار في ذلك قل لهم بطريق الإلجاء والتبكيت لمن ما في السماوات والأرض من العقلاء وغيرهم أي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا وقوله تعالى قل لله تقرير لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتى لأحد أن يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة جملة مستقلة داخلة تحت الأمر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان أنه تعالى رؤوف بالعباد لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والإنابة وأن ما سبق ذكره وما لحق من أحكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته أن خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم إلى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الأنفسية والآفاقية وإرسال الرسل وإنزال الكتب المشحونة بالدعوة إلى موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا وأعرضوا عن الآيات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزؤوا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء أيضا مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه أنه تعالى قضاها وأوجبها بطريق التفضل والإحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء أصلا وقيل هو ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لكعب ما أول شيء ابتدأه الله من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ والياقوت إني أنا الله لا إله

إلا أنا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة وغلبتها أنها أقدم تعلقا بالخلق وأكثر وصولا إليهم مع أنها من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى أن لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وإن أريد به الذات إلا مشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة ههنا بنوعيها وقوله تعالى ليجمعنكم إلى يوم القيمة جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق للوعيد على إشراكهم وإغفالهم النظر أي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين أو محشورين إلى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم وإن أمهلكم بموجب الرحمة ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل بمعنى اللام أي ليجمعنكم في يوم القيمة لا ريب فيه أي في اليوم أو في الجمع وقوله تعالى الذين خسروا أنفسهم أي بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب أو الرفع على الذم أي أعني الذين إلى آخره أو هم الذين الخ أو هو مبتدأ والخبر قوله تعالى فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والإشعار بأن عدم إيمانهم بسبب خسرانهم فإن إبطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد وإغفال النظر أدى بهم إلى الإصرار على الكفر والامتناع من الإيمان والجملة تذييل مسوق من جهته تعالى لتقبيح حالهم غير داخل تحت الأمر وله أي عز وجل خاصة ما سكن في الليل والنهار نزل الملوان منزلة المكان فعبر عن نسبة الأشياء الزمانية إليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم أو السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما أو تحرك فاكتفي بأحد الضدين عن الآخر وهو السميع المبالغ في سماع كل مسموع العليم المبالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الأقوال والأفعال قل لهم بعد ما بكتهم بما سبق من الخطاب أغير الله أتخذ وليا أي معبودا بطريق الاستقلال أو الاشتراك وإنما أدخلت الهمزة على المفعول الأول لا على الفعل إيذانا بأن المنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تعالى أغير الله أبغي ربا وقوله تعالى أفغير الله تأمروني أعبد الخ فاطر السماوات والأرض أي مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للإنكار لأنه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لأنها ليست بأجنبية إذ هي عاملة في عامل الموصوف وبدل فإن الفصل بينه وبين المبدل منه أسهل لأن البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن عباس رضي ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم إلي أعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم أي يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة إليه أو لأنه معظم ما يصل إلى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فإن مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وفي القراءة أيضا على أن الضمير لغير الله والمعنى أشرك بمن هو فاطر السماوات والأرض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على أن الثاني بمعنى يستطعم أو على معنى أنه يطعم تارة ولا يطعم أخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل بعد بيان أن اتخاذ غير الله تعالى وليا مما يقضي ببطلانه بديهة العقول إني أمرت من جنابه عز وجل أن أكون أول من أسلم وجهه لله مخلصا له لأن النبي إمام أمته في الإسلام كقوله تعالى سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ولا تكونن أي وقيل لي لا تكونن من المشركين أي في أمر من أمور الدين ومعناه أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على الأمر قل إني أخاف إن عصيت ربي أي بمخالفة أمره ونهيه أي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام من المعاصي على الإطلاق وقوله تعالى عذاب يوم عظيم أي عذاب يوم القيمة مفعول أخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لأطماعهم الفارغة وتعريض بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم من يصرف عنه على البناء للمفعول أي العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقرئ بالإظهار والمفعول محذوف يومئذ ظرف للصرف أي في ذلك اليوم العظيم وقد جوز أن يكون هو المفعول على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف أي عذاب

يومئذ فقد رحمه اي نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخل الجنة كما في قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستأنفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي وذلك اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى الفوز المبين اي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية واللام للقصر على ذلك وان يمسسك الله بضر اي ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك فلا كاشف له اي فلا قادر على كشفه عنك الا هو وحده وان يمسسك بخير من صحة ونعمة ونحو ذلك فهو على كل شيء قدير ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسكه ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه او رفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله والجملة علة للجواب او نائبه الفاء روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اهدي للنبي عليه السلام بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي مليا ثم التفت الي فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سألت فسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتبه الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في كل ما يفعله ويامر به الخبير باحوال عباده وخفايا امورهم واللام في المواضع الثلثة للقصر قل اي شيء اكبر شهادة روي ان قريشا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت فاي مبتدا واكبر خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله تعالى قل الله امر له عليه السلام بان يتولى الجواب بنفسه اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه لا لتردد في انه اكبر شيء شهادة بل تحيرا وهذا البيان وقوله تعالى شهيد خبر مبتدا محذوف اي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لانه اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان اكبر شيء شهادة شهيدا له عليه السلام وتكرير البين لتاكيد وأوحي الي من جهته تعالى هذا القرآن الشاهد بصحة رسالتي لانذركم به بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار لما ان الكلام مع الكفرة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر ومن الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيامة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد الى يوم القيامة خلا ان ذلك بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالاجماع عند غيرهم في غير المؤمنين وغير المكلفين يومئذ كما حرر في اوائل سورة النساء ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف قل تكرير للامر للتاكيد انما هو اله واحد بالذات اشهد انه لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون من الاصنام او من اشراككم الذين آتيناهم الكتاب جواب عما من قولهم لقد سألنا اليهود والنصارى الخ وتحقيق لتعين ما شهد به في الجواب بحكم يقولهم فارنا من يشهد لك الخ والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالى يعرفونه اي رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما كما يعرفون ابناءهم بحلاهم بحيث لا يشكون في ذلك اصلا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال عمر رضي الله عنه لعبد الله بن سلام ان الله تعالى انزل على نبيه هذه الآية فكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد مني بابني لاني لا ادري ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى الذين خسروا انفسهم من اهل الكتابين والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية فهم لا يؤمنون لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع

على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لما فيه من شبه الموصول بالشرط وقيل على انه خبر مبتدا محذوف اي هم الذين خسروا الخ وقيل على انه نعت للموصول الاول وقيل النصب على الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجه الاخير عطف على جملة الذين آتيناهم الكتاب الخ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبي الموعود في الكتابين بخلاف اوصافه عليه السلام فانه افتراء على الله سبحانه وبقولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب غير متعرض لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل الا يرى الى قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون بعد قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الخ والسر في ذلك ان النسبة بين الشيئين انما تتصور غالبا لا سيما في باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا لم يكن احدهما ازيد يتحقق النقصان لا محالة او كذب بآياته كان كذبوا بالقرآن الذي من جملته الآية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التوراة وغيروا نعوته عليه السلام فان ذلك تكذيب بآياته تعالى وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون انه الضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو لا يفلح الظالمون اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن هو في الغاية القاصية من الظلم ويوم نحشرهم جميعا منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول لهم ما نقول من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتقديره صيغة الماضي للدلالة على التحقق وحسن موقع عطف قوله تعالى ثم لم تكن الخ عليه منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اي واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الخ وقيل وليتقوا او وليحذروا يوم نحشرهم الخ والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء فيهما للذين اشركوا اي نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤوس الاشهاد اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه قوله تعالى الذين كنتم تزعمون اي تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السؤال المنبئ عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبرء من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلائق حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الآيات الكريمة اما بعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بابعادها عن ذلك الموقف واما بتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدمه في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث هو موصوف فرئي من حيث هي شركاء غائبة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها واما ما يقال من انه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوا قبل ذلك وانصرمت عروة اطماعهم عنها بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وانما الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المترتب على المحاضرة والمحاورة ثم لم تكن فتنتهم بتأنيث الفعل ورفع فتنتهم على انه اسم له والخبر الا ان قالوا وقرئ بنصب فتنتهم على انها الخبر والاسم ان قالوا

والتأنيث للخبر كما في قولهم من كانت امك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها ورفعها انسب بحسب المعنى والجملة
عطف على ما قدر عاملا في يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء فتنتهم اي كفرهم
مرادا به عاقبته اي لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبرؤ عنه
بان يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين واما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم
للمبالغة في التبرؤ من الاشراك وقرئ ربنا على النداء فهو لاظهار الضراعة والاجتهاد في استدعاء قبول المعذرة
وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع رأسا من فرط الحيرة وحمله على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا
في الدنيا انا على خطأ في معتقدنا مما لا ينبغي ان يتوهم اصلا فانه مما يوهم ان لهم عذرا ما وان لهم قدرة على الاعتذار
في الجملة ولا تخل بكمال هول اليوم قطعا على انه قد قضي ببطلانه قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم فانه
تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم في الدنيا اي انظر كيف كذبوا على انفسهم في ذلك فانه امر عجيب
في الغاية واما حمله على كذبهم في الدنيا فتمحل يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا
يفترون عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجيب وما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر
كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدوره عنهم وكيف ضل عنهم اي زال وذهب افتراؤهم
وما كانوا يفترونه من الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤا عنه بالمرة وقيل ما عبارة عن الشركاء وايقاع
الافتراء عليها مع انه في الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة كأنها نفس
المفترى وقيل الجملة كلام مستأنف غير داخل في حيز التعجيب ومنهم من يستمع اليك كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما
صدر عنهم في الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر اثر بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه
والضمير للذين اشركوا ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه وبتقدير الموصوف ومحلها الرفع على الخبرية
والمعنى وبعضهم او وبعض منهم الذي يستمع اليك او وفريق يستمع اليك على ان مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة
او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ روي انه اجتمع ابو سفيان
والوليد والنضر وعتبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا ابا
صاحب جبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول
اساطير الاولين مثل ما حدثتكم من القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا
على قلوبهم اكنة من الجعل بمعنى الانشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع الى من باعتبار معناه بالنظر الى معنى جمعيته
كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها وقد روعي جانب المعنى في قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك الخ والاكنة جمع
كنان وهو ما يستتر به الشيء وتنوينها للتفخيم والجملة اما مستأنفة للاخبار بما تضمنته من الختم او حال من فاعل يستمع
باضمار قد عند من يقيده قبل الماضي الواقع حالا اي يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها
خارجة مما يتعارفه الناس ان يفقهوه اي كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه من القرآن المدلول عليه بذكر الاستماع
ويجوز ان يكون مفعولا لما ينبئ عنه الكلام اي منعناهم ان يفقهوا وفي آذانهم وقرا اي صمما وثقلا مانعا من سماعه
والكلام فيه كما في قوله تعالى على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي عليه السلام وفرط نبو
قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له وقد مر تحقيقه في اول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر الآية وانت خبير بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى
الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن سحرا واساطير
الاولين وتستر عليه ما تخيلوه في حق النبي عليه السلام لا الاخبار بان هناك امرا وراء ذلك قد حال بينهم وبين ادراكه
حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك وان يروا كل آية من الآيات القرآنية اي يشاهدوها بسماعها
لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة لجلائهم اياها كما هي لما مر من حالهم حتى اذا جاؤك

يجادلونك

يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة هي قوله تعالى اذا جاؤك يقول الذين كفروا وما بينهما حال من فاعل
جاؤك وانما وضع الموصول موضع الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم اي بلغوا من التكذيب والمكابرة
الى انهم جاؤك مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون ان هذا اي ما هذا
الا اساطير الاولين فان عد احسن الحديث واصدقه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل
الاباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان تكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك
حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا الى آخره تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة او اسطارة او جمع
اسطار وهو جمع سطر بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور
للقرآن اي لا يقتنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على
حقيته وينأون عنه اي يتباعدون عنه انفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتأكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب الناهي
عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في تأخير النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي عليه السلام وقيل
المرفوع لابي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه فانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله عليه السلام
وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله عليه السلام سوءا فقال والله لن يصلوا اليك
بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا ودعوتني وزعمت
انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة
لوجدتني سمحا بذاك مبينا فنزلت وان يهلكون اي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي الا انفسهم
بتعريضها لاشد العذاب وافظعه عاجلا او آجلا وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تعالى وما يشعرون
حال من ضمير يهلكون اي يقتصرون الاهلاك على انفسهم ولا باقتصار ذلك عليها من غير ان يضروا بذلك شيئا
من القرآن والرسول عليه السلام والمؤمنين وانما عبر بالاهلاك مع ان المنفي من غيرهم مطلق الضرر اذ
غاية ما يؤدي اليه ما فعلوا من القدح في القرآن الكريم المانعة في تمشي احكامه وظهور امر الدين للايذان
بان ما يحيق بهم هو الهلاك لا الضرر المطلق على ان مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكر بل كانوا يبغون
الغوائل لرسول الله عليه السلام والمؤمنين ويجوز الاهلاك معتبرا بالنسبة الى الذين يضلونهم بالنهي فقصره
على انفسهم حينئذ مع شموله للفريقين مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الاضلال منزلة العدم ولو ترى
اذ وقفوا على النار شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا
من القبائح المحكية مع كونه كاذبا في نفسه والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل
المشاهدة والعيان قصدا الى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث لا يختص تعجبها
براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور العجيبة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها وجواب
لو محذوف ثقة بظهوره وايذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه
اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرأيت ما لا يساعده التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق
او حين يطلعون عليها اطلاعا وهي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته على كذا اذا فهمته
وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد اي الى الدنيا تمنيا للرجوع
والخلاص وهيهات ولات حين مناص ولا نكذب بآيات ربنا اي بآياته الناطقة باحوال النار واهوالها الآمرة
باتقائها اذ هي التي تخطر حينئذ ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع آياته المنتظمة لتلك انتظاما
اوليا ونكون من المؤمنين بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل او نكون من فريق المؤمنين الناجين
من العذاب الفائزين بحسن المآب ونصب الفعلين على جواب التمني باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء ويؤيده
قراءة ابن مسعود وابن اسحق فلا نكذب والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وقيل ينسبك من ان المصدرية

ولا الا انهم مايشيرون الا باهلاك انفسهم ولا باقتصاره عليهم

وبرفعهما اي يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين

ولا تمنع المجيء وصفه اللدوم الخ

ومن الفعل بعدها مصدر ويقدر قبله مصدر متوهم فيعطف هذا عليه كأنه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا من
المؤمنين وقرئ برفعهما على أنه كلام مستأنف كقوله دعني ولا أعود أي وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركني أو عطف على
نرد أو حال من ضميره فيكون داخلا في حكم التمني كالوجه الأخير للنصب وتعليق التكذيب الآتي به لما تضمنه من العدة
بالإيمان وعدم التكذيب كمن قال ليتني رزقت مالا فأكافيك على صنيعك فإنه متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يكافي
صاحبه يكون مكذبا لا محالة وقرئ برفع الأول ونصب الثاني وقد مر وجههما بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل
إضراب عما ينبئ عنه التمني من الوعد بتصديق الآيات والإيمان بها أي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة
في الإيمان وشوق إلى تحصيله والاتصاف به بل لأنه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفون في الدنيا من النار الهائلة
وظنوا أنهم مواقعوها فلخوفها وسوء مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها إذ هي التي سبق الكلام
لتهويل أمرها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وبإخفائها تكذيبهم بها فإن التكذيب بالشيء كفر به وإخفاء
له لا محالة وإيثاره على صريح التكذيب الوارد في قوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه النار
التي كنتم بها تكذبون مع كونه أنسب لما قبله من قولهم ولا نكذب بآيات ربنا لمراعاة ما في مقابلة من البدو وهذا
هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وأما ما قيل من أن المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم أو قبائحهم وفضائحهم
التي كانوا يكتمونها من الناس فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم أو شركهم الذي يجحدون به في بعض مواقف القيامة
بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم أو ما أخفاه رؤساء الكفرة عن أتباعهم من أمر البعث
والنشور أو ما كتمه علماء أهل الكتابين من صحة نبوة النبي عليه السلام ونعوته الشريفة عن عوامهم على أن الضمير المجرور للعوام
والمرفوع للخواص وكفرهم الذي أخفوه من المؤمنين والضمير المجرور للمؤمنين والمرفوع للمنافقين فبمعزل من الاعتداد به مع ما
في كل منها من الاعتساف والاختلال الأصيل الخالي من ذلك أصلا لما عرفت من أن سوق النظم الشريف لتهويل أمر النار
وتفظيع حال أهلها وقد ذكر وقوفهم عليها وأشير إلى أنه اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة
ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فإسقاط النار
بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها أدهى الدواهي وأزجر الزواجر وإسنادها إلى شيء من الأمور المذكورة التي
دونها في الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثمة أمر يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله وأما ما فيه قيل من أن
المراد جزاء ما كانوا يخفون فمن قبيل دخول البيوت من ظهورها وأبوابها مفتوحة فتأمل ولو ردوا أي من موقفهم
ذلك إلى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الأهوال لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التي من جملتها
التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار أنظارهم على الشاهد دون الغائب وإنهم لكاذبون
أي لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون وقالوا عطف على عادوا داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله
تعالى وإنهم لكاذبون بينهما لأنه اعتراض مسوق لتقرير ما أفاده الشرطية من كذبهم المخصوص ولو أخر لأوهم أن المراد
تكذيبهم في إنكارهم البعث والمعنى لو ردوا إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا
وما نحن بمبعوثين بعدما فارقنا هذه الحياة كأن لم يروا ما رأوا من الأحوال التي أولها البعث والنشور ولو
ترى إذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا أن الوقوف هنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف
العبد الجاني بين يدي سيده للعتاب وقيل عرفوه حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى قال
استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قال لهم ربهم إذ ذاك فقيل قال أليس هذا مشيرا إلى
ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الأمور العظام بالحق تقريعا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق
به ما هو بحق وما هو إلا باطل قالوا استئناف كما سبق بلى وربنا أكدوا اعترافهم باليمين إظهارا لكمال تيقنهم بحقيته
وإيذانا بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه قال استئناف كما مر فذوقوا العذاب الذي عاينتموه
والفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقية ما كفروا به في الدنيا لكن لا على أن مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك

220

بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيته الآن كما نطق به قوله تعالى بما كنتم تكفرون أي بسبب كفركم في الدنيا بذلك
أو بكل ما يجب الإيمان به فيدخل كفرهم به دخولا أوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع إنما يقع بعدما وقفوا على النار فقالوا
ما قالوا إذ الظاهر أنه لا يبقى بعد هذا الأمر إلا العذاب قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت أحوالهم لكن
وضع الموصول موضع الضمير للإيذان بسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقائه تعالى بقيام الساعة
وما يترتب عليه من البعث وأحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فإن كلمة حتى في قوله تعالى حتى إذا
جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فإنه أبدي لا حد له بغتة البغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة
من غير شعور به يقال بغته بغتة أي فجأه وانتصابها إما على أنها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم أي
مباغتة أو من مفعوله أي مبغوتين وإما على أنه مصدر مؤكد على غير الصدر فإن جاءتهم في معنى بغتتهم كأتيته
ركضا أو مصدر لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم أي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة قالوا جواب إذا
يا حسرتنا تعالي فهذا أوانك والحسرة في شدة الندم وإن كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادي الساعة
سمي باسمها ولذلك قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته
على ما فرطنا فيها أي على تفريطنا في شأن الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالإيمان بها واكتساب
الأعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحياة الدنيا وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة
والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط أي السابق ففرط
خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم
حال من فاعل قالوا فائدته الإيذان بأن عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك
تحمل الأوزار الثقال والإيماء إلى أن تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا ينسيها ما يكابدونه من فنون
العقوبات والسر في ذلك أن العذاب الروحاني أشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر في الأصل الحمل
الثقيل سمي به الإثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الأيدي في قوله فبما كسبت أيديكم فإن المعتاد
حمل الأثقال على الظهور كما أن المألوف هو الكسب بالأيدي والمعنى أنهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات
والحال أنهم يحملون أوزار ما عملوا من السيئات ألا ساء ما يزرون تذييل مقرر لما قبله وتكملة له أي
بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو لما حقق فيما سبق أن وراء الحياة الدنيا حياة أخرى
يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تينك الحياتين في أنفسهما واللعب عمل يشغل النفس ويفترها عما تنتفع به
واللهو صرفها عن الجد إلى الهزل والمعنى إما على حذف المضاف أو على جعل الحياة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في
قول الخنساء فإنما هي إقبال وإدبار أي وما أعمال الدنيا أي الأعمال المتعلقة بها من حيث هي هي أو وما هي من حيث إنها
محل لكسب تلك الأعمال إلا لعب يشغل الناس ويلهيهم عما فيه من منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما
يعقبهم منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الإيمان والعمل الصالح وللدار الآخرة التي هي محل الحياة
الأخرى خير للذين يتقون الكفر والمعاصي لأن منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالآلام
مستمرة على الدوام أفلا تعقلون ذلك حتى تتقوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر أي
أتغفلون فلا تعقلون أو ألا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون بالغيبة قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون
استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه مما حكي من الكفرة من الإصرار على التكذيب
والمبالغة فيه ببيان أنه عليه السلام بمكانة من الله عز وجل وأن ما يفعلون في حقه فهو راجع إليه تعالى في الحقيقة
وأنه ينتقم منهم لا محالة أشد انتقام وكلمة قد لتأكيد العلم بما ذكر المفيد لتأكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما أنتم
عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين ونحوهما بإخراجها إلى معنى التكثير حسبما يخرج إليه ربما في مثل قوله وإن
تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود جريا على سنن العرب عند قصد الإفراط في التكثير تقول لبعض قواد

العساكر كم عندك من الزبد فيقول رب فارس عندي وعنده مقانب جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار براءته عن التزيد وابراز انه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا تحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الآيات الكريمة المذكورة او ادعاء كما في البيت وقوله قد اترك القرن مصفرا انامله وقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده ساد مسدهما واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف اي الذي يقولونه وهو ما حكي عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك وقرئ ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق التشاغل عنه وعده هينا والاقبال التام على ما هو اهم منه من استعظام جحودهم بآيات الله عز وجل كما قيل فانه مع كونه بمعزل من التسلية بالكلية بما يوهم كون حزنه عم لخاصة نفسه بل بطريق التسلي بما يفيده من بلوغه عليه السلام في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله عز وعلا الى حيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه عم تكذيبا لآياته سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه عم واثبت لآياته تعالى على طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب واضمحلال شؤونه عم في شان الله عز وجل ثم فيه لاستعظام جنايتهم منبئ عن عظم عقوبتهم كانه قيل لا تعتد به وكله الى الله تعالى فانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون اي ولكنهم بآياته تعالى يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود آياته تعالى وايراد الجحود في مورد التكذيب للايذان بان آياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد وان من ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعنى بقول من قال انه نفي ما في القلب ثباته او اثبات ما في القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحد حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل بتضمين الجحود معنى التكذيب وايا ما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم ويعضده ما روي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس رضي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله كما روي ان ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان صدق المخبر عند الخبيث عبارة عن خبره لاعتقاده والاول هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب فقيل هما بمعنى واحد كاكثر وكثر وانزل ونزل وهو الظاهر وقيل معنى اكذبه وجده كاذبا وقيل الفرق بينهما ان معنى كذبت الرجل نسبت الكذب اليه واكذبته نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية اخرى له عليه السلام فان عموم البلية مما يهون امرها بعض تهوين وارشاد له عليه السلام الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام في الصبر على ما اصابهم من فنون الاذية وعدة ضمنية له بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بكذبت او بمحذوف وقع صفة لرسل اي والله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو شان خطير وذوو عدد كثير فصبروا على ما كذبوا وقوله تعالى واوذوا عطف على كذبوا داخل في حكمه فان مصدرية والبناء للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم وايذائهم

فتأس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والمراد بايذائهم اياهم ما عين تكذيبهم واما ما يقارنه من فنون الاذية بدلالة باستلزام التكذيب اياه غالبا وايا ما كان ففيه تاكيد التسلية وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استئناف وقوله تعالى حتى اتاهم نصرنا غاية للصبر وفيه ايذان بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوجه اليهم لا بد من اتيانه البتة والالتفات الى نون العظمة لابراز الاعتناء بالنصر وقوله تعالى ولا مبدل لكلمات الله اعتراض مقرر لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام الدالة على نصرة رسول الله ايضا لا نفس الآيات المذكورة ونظائرها فان الاخبار بعدم تبدلها انما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وعدم تبدل المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام ويجوز ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عم دخولا اوليا والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه خلف في قول من الاقوال وقوله تعالى ولقد جاءك من نبأ المرسلين جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتاكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار مضمونه اي بعض نبأ المرسلين او بتقدير الموصوف اي بعض من نبأ المرسلين كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية وايا ما كان فالمراد بنبئهم عليهم السلام على الاول نصره تعالى اياهم بعد اللتيا والتي وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم عليهم السلام وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الآية وقيل في محل النصب على الحال من المستكن في جاء العائد الى ما فهم من الجملة السابقة اي ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من نبأ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم كلام مستانف مسوق لتاكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر لا محيد عنه اصلا اي ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن الكريم حسبما ينبئ عنه ما حكي عنهم من تسميتهم له اساطير الاولين وتنائيهم ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا باية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا نصدقك فابى الله تعالى ان ياتيهم بما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله عليه السلام فشق ذلك عليه لما انه عليه السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سألوه آية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم فنزلت فقوله تعالى اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان ولا حاجة الى تقدير قد وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله تعالى فان استطعت شرطية محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الآيات واحببت ان تجيبهم الى ما سألوه اقتراحا فان استطعت ان تبتغي نفقا اي سربا ومنفذا في الارض تنفذ فيه الى جوفها او سلما اي مصعدا في السماء تعرج بذلك فيها فتاتيهم منها باية مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالآية فالفاء في فتاتيهم حينئذ للتفسير وتنوين آية للتفخيم اي فان استطعت ان تبتغيهما فتجعل ذلك آية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوفين هما نعتان لنفقا وسلما والاول لمجرد التاكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض ويجوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اي ان تبتغي نفقا كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عم على اسلام قومه وتراميه الى حيث لو قدر على ان ياتي باية من تحت الارض او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق

وللسلم مما يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء الله تعالى ان يجمعهم على ما انتم
عليه من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم
التام منه ومشاهدتهم للآيات الداعية اليه لا انه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان
يأتيهم باية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين نهي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الآيات طمعا في ايمانهم
مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى واذا عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم
باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه
تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختيارا فلعدم توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه
عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه
من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه
وبينهم انما يستجيب الذين يسمعون تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي آذانهم وقرا حاجزا من
السماع البتة والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع
فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى بالقدرة على توفيقهم للايمان باختصاصه تعالى
بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة
بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اي هؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم ثم اليه يرجعون للجزاء فحينئذ يستجيبون واما
قبل ذلك فلا سبيل اليه وقرئ ترجعون على البناء للفاعل من رجع رجعا والمشهور اوفق بالمقام لانبائه عن كون مرجعهم
اليه تعالى بطريق الاضطرار وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه حكاية لبعض آخر من اباطيلهم بعد حكاية
ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون رؤساء قريش وقيل الحارث بن عامر بن نوفل واصحابه
ولقد بلغت بهم الضلالة والطغيان الى حيث لم يقنعوا بما شاهدوا من البينات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترؤا
على ادعاء انها ليست من قبيل الآيات وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة كما قالوا اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سيأتي
وما يفيده التعرض لعنوان الربوبية تعالى له عليه السلام من الاشعار بالعلية انما هو بطريق التعريض بالتهكم
من جهتهم واطلاق الآية في قوله تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل آية مع ان المراد بها ما هو من الخوارق
المذكورة لا آية ما من الآيات لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها آية موجبة لهلاكهم كانزال ملائكة
العذاب ونحوه على ان تنوينها للتفخيم والتهويل كما ان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلة
القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع انها ليست في حيز الانكار للايذان بان
عدم تنزيله تعالى اياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك ولكن
اكثرهم لا يعلمون اي ليسوا من اهل العلم على ان المفعول مطروح بالكلية او لا يعلمون شيئا على ان المحذوف مدلول
عليه بقرينة المقام والمعنى انه تعالى قادر على ان ينزل آية من ذلك او آية اي آية ولكن اكثرهم لا يعلمون فلا يدرون
عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما ان في تنزيلها قلعا لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار او استئصالا
لهم بالكلية فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان بعضهم
واقفون على حقيقة الحال وانما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى وما من دابة في الارض الخ
كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تعالى قادر على
تنزيل الآية وانما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة من لتأكيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو
وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من افراد الدواب يستقر في قطر من اقطار الارض وكما

زيادة الوصف في قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير اي ولا طائر من الطيور
يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور
كانه قيل وما دابة ولا طائر الا امم اي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كانه قيل وما من دواب ولا طير الا
امم امثالكم اي كل امة منها مثلكم في ان احوالها محفوظة وامورها معنية ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد
منتظمة في سلك التقادير الالهية والتدبيرات الربانية ما فرطنا في الكتاب من شيء يقال فرط الشيء اي ضيعه
وتركه قال ساعدة بن جوية معه سقاء لا يفرط حمله اي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط في الشيء اي اهمل ان يكون فيه
واغفله فقوله تعالى في الكتاب اي القرآن على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق
اي ما تركنا في القرآن شيئا من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان انه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي
وعلى الثاني مفعول الفعل ومن شيء في موضع المصدر اي ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه
كل ما لا بد من ذكره واياما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض
الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة في اللوح مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى
ثم الى ربهم يحشرون بيان لاحوال الامم المذكورة في الآخرة بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها على صيغة
جمع العقلاء لاجرائها مجراهم والتعبير عنها بالامم اي الى مالك امورهم يحشرون يوم القيمة كدأبكم لا الى غيره فيجازيهم
فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان يأخذ للجماء من القرناء وقيل حشرها موتها وياباه مقام تهويل الخطب
وتفظيع الحال وقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا متعلق بقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء والموصول
عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الآيات ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي اوردنا
في القرآن جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار والذين كذبوا بآياتنا التي هي منه صم لا يسمعون سمع تدبر
وفهم فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق
ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها وقوله تعالى في الظلمات اي في ظلمات الكفر او ظلمات الجهل والعناد والتقليد اما
خبر ثان للمبتدا على انه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي واما متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كانه
قيل ضالون كائنين في الظلمات او صفة لبكم اي بكم كائنون في الظلمات والمراد بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال فان
الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهمه بعبارته وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالاشارة وان
كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى او كان في الظلمات فينسد عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله تعالى
من يشاء الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان انهم من اهل الطبع لا يتأتى منهم الايمان اصلا
فمن مبتدأ خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون
الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به اي من يشأ الله اضلاله اي ان يخلق فيه الضلال يضلله اي يخلقه فيه لكن
لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تعالى
ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه قل ارأيتكم امر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى النكير والكاف حرف جيء به لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب
ومبنى التركيب وان كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اي اخبروني
ان اتاكم عذاب الله حسبما اتى الامم السالفة من انواع العذاب الدنيوي او اتتكم الساعة التي لا محيص عن اتيانها
اغير الله تدعون هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله تعالى ان كنتم صادقين متعلق بارأيتكم مؤكد للتبكيت
كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين في ان اصنامكم آلهة كما
دعواكم المعروفة او ان كنتم قوما صادقين فاخبروني اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان صدقهم باي معنى كان
من معاني اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه وانما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى اغير الله تدعون اعني فادعوه على ان

الضمير لغير الله تعالى لتخلل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعائهم غيره تعالى عند اتيان ما يأتي لا نفس
دعائهم اياه وقوله تعالى بل اياه تدعون عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء جليا
كانه قيل لا غيره تعالى تدعون بل اياه تدعون وقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه اي الى كشفه عطف على تدعون
اي فيكشفه اثر دعائكم وقوله تعالى ان شاء اي ان شاء كشفه لبيان ان قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته المبنية
على حكم خفية قد استأثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يقبله
كما في بعض آخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروي الذي من جملته الساعة وقوله تعالى وتنسون
ما تشركون اي تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط الكشف بينهما
مع تقارنهما وتأخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشان الكشف والايذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى
ولقد ارسلنا كلام مستأنف مسوق لبيان ان منهم من لا يدعون الله تعالى عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الغي
والضلال لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية وتصديره بالجملة القسمية لاظهار
مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اي وبالله
لقد ارسلنا رسلنا الى امم كثيرة من قبلك اي كائنة من زمان قبل زمانك فاخذناهم اي فكذبوا رسلهم فاخذناهم
بالبأساء اي بالشدة والفقر والضراء اي الضر والآفات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون اي
لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا
اي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه ولكن قست قلوبهم استدراك عما قبله اي فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة
القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه من
القساوة او ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته ولكن اهانني وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون
من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك
لبيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى
فلما نسوا ما ذكروا به عطف على مقدر ينساق اليه النظم الكريم اي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء
والضراء فلما نسوه فتحنا عليهم ابواب كل شيء من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه عليه
السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكير
في الجملة مخرجا عن الشغ وحتى في قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت في الجملة الشرطية
كما في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا الآية ونظائره ومع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل هو عليه كانه قيل
فعلوا ما فعلوا حتى اذا اطمأنوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا اخذناهم بغتة اي نزل بهم عذابنا فجاءة ليكون اشد
عليهم وقعا وافظع هولا فاذا هم مبلسون متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير واجمون وفي الجملة الاسمية
دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره
دبرا ودبورا اي تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر
موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات والحمد لله رب العالمين على ما جرى عليهم من النكال فان هلاك الكفار
والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة
للحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام قل ارأيتم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بتكرير التبكيت عليهم وتثنية للالزام بعد تكملة للالزام الاول ببيان انه امر مستمر لجاريا في الامم وهذا ايضا استخبار
عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم
واعماكم بالجملة وختم على قلوبكم بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون الختم
عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرده من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية

وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الآيات القرآنية واوامر الله
اصلا مصدر وقوله تعالى من اله مبتدأ وخبر ومن استفهامية وقوله تعالى غير الله صفة للخبر وقوله تعالى يأتيكم
به اي بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او على الاخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق
الرؤية ومناط الاستخبار اي اخبروني ان سلب الله تعالى مشاعركم من الذي يأتيكم بها وقوله تعالى انظر كيف
نصرف الآيات تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة اي انظر كيف
نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب
وتارة بالتنبيه والتذكير ثم هم يصدفون عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجيب وثم للاستبعاد
صدودهم اي اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها قل ارأيتكم تبكيت
آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم ان اتاكم عذاب الله اي عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم
من الامم بغتة اي فجاءة من غير ان يظهر منه مخائل الاتيان وحيث تضمن هذا معنى الخفية قوبل بقوله تعالى او جهرة اي بعد
ظهور اماراته وعلائمه وقيل ليلا او نهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة
وجهرة وهما في موضع المصدر اي اتيانا بغتة او اتيانا جهرة وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله تعالى هل يهلك
متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى حسبما تستحقونه
هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه الا القوم الظالمون تسجيلا
عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم
داخلون في الحكم دخولا اوليا قال الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم وقيل بالتخصيص الاتيان بهم وقيل الاستفهام
بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار محذوف كانه قيل اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل
بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون اي وما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم فمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب
والسخط لتحقيق الحصر باخراج غير الظالمين لما انه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة
فقد اهمل ما يجديه واستعمل ما لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك من الثلاثي وما نرسل المرسلين
كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام واظهار
ان ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر
جرت عليه العادة الالهية وقوله تعالى الا مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان من المرسلين اي ما نرسلهم
الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم فيهما معنى العلة الغائية قطعا اي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم
بالعقاب على المعصية اي ليخبروهم بالخبر السار وبالخبر الضار دنيويا كان او اخرويا من غير ان يكون لهم دخل في وقوع
المخبر به اصلا وعليه يدور القصر والا لزم ان يكون بيان الشرائع والاحكام من وظائف الرسل والفاء في قوله تعالى
فمن آمن واصلح لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من العذاب الذي انذروه دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما
بشروا به من الثواب العاجل والآجل وتقديم نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة
الى من باعتبار معناها كما ان افراد الضميرين السابقين باعتبار لفظها اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم
لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا
لما تقرر في موضعه من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية
تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء الاستمرار وكذلك
المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار وابعد
في ذلك فان قولك ما زيد ضربت مفيد للاختصاص من النفي لا نفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل والذين كذبوا

عطف على من آمن داخل في حكمه وقوله تعالى بآياتنا اشارة الى ما ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار
ويبلغونه الى الامم آياته تعالى وان من آمن به فقد آمن بآياته تعالى ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب
في الايمان والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ما نرسل المرسلين الا ليخبروا اممهم من جهتنا بما سيقع بهم من الامور السارة
والضارة لا ليوقعوها استقلالا من تلقاء انفسهم او استدعاء من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يشتهون فاذا كان الامر
كذلك فمن آمن بما اخبروا به من قبلنا تبشيرا او انذارا في ضمن آياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله او دخل في العمل الصالح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا بلغوها عند التبشير والانذار يمسهم العذاب اي العذاب الذي
انذروه عاجله او آجله او حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر
الذي هو الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله استئناف مبني على ما اسس من السنة
الالهية في شأن ارسال الرسل وانزال الكتب مسوق لاظهار تبرئه عما يدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون
عليك تارة تنزيل الآيات واخرى غير ذلك لا ادعي ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيف ما اشاء استقلالا
او استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الآيات او انزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشأني وجعل
هذا تبرؤا عن دعوى الالهية مما لا وجه له قطعا وقوله تعالى ولا اعلم الغيب عطف على محل عندي خزائن الله اي ولا اقول لكم
ايضا اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسألوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب ونحوهما ولا اقول
لكم اني ملك حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقي في السماء ونحوه او تعدوا
عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى اني
لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي الى ذلك دليلا
على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله عز وجل
والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون
غيره بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى ما يتعلق به
بالفعل باعتبار النفي في الاصل والاثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل
بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصيته فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما
يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة كنصر مثلا ينحل عند التحقيق
الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص يقوم به فان معناه فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع
يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الاصل والاثبات في القيد كأنه قيل ما افعل
الا اتباع ما يوحى الي من غير ان يكون لي مدخل في الوحي او في الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه اصلا
قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار استواء
من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء
ما لا يخفى وتكرير الامر لتثنية التبكيت وتأكيد الالزام وقوله تعالى افلا تتفكرون تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر
والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه فمناط التوبيخ في الاول
عدم الامرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
بعد ما حكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون بتصريف الآيات الباهرة ولا يتأثرون
بمشاهدة المعجزات القاهرة قد بلغت مساعيهم بالكلية والتحقوا بالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت
والالزام ما يلقمهم الحجر الى التمام فابوا الا الاباء والنكير وما نجع فيهم عظة ولا تذكير وما افادهم الانذار الا الاصرار
على الانكار امر عليه السلام بتوجيه الانذار الى من يتوقع منهم التأثر في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي
سواء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة آبائهم الانبياء كالاولين

او في شفاعة الاصنام كالآخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث
يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر رأسا والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم او بشفاعة الاصنام
فهم خارجون عمن امر بانذارهم وقد قيل هم المفرطون في الاعمال من المؤمنين ولا يساعده سباق النظم الكريم ولا سياقه
بل فيه ما يقتضي استحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى او لما دل هو عليه من القرآن والمفعول الثاني
للانذار اما العذاب الاخروي المدلول عليه بما في حيز الصلة واما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى ليس لهم من دونه ولي
ولا شفيع في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من اسم ليس لانه في الاصل صفة له فلما
قدم عليه انتصب حالا خلا ان الحال الاولى لاخراج الحشر الذي لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق ان ما نيط به الخوف هو الحشر
على تلك الحالة لا الحشر كيف ما كان ضرورة ان المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة المنكرين له في عدم الخوف الذي
عليه يدور امر الانذار واما الحال الثانية فليست لاخراج الولي الذي لم يقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزامه
ثبوت ولايته تعالى لهم كما في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علق به
رجاؤهم وذلك انما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه
اولياء والمعنى انذر به الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم على زعمهم ومن هذا اتضح ان لا سبيل
الى كون المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين وليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته عز وجل وانما الذي
يخافونه الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى لعلهم يتقون تعليل للامر اي انذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي او حال
من ضمير الامر اي انذرهم راجيا تقواهم او من الموصول اي انذرهم مرجوا منهم التقوى ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي لما امر عليه السلام بانذار المذكورين لينتظموا في سلك المتقين نهى عليه السلام عن كون ذلك بحيث
يؤدي الى طردهم روي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد وارواح
جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد
المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال عليه السلام نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله
عنه قال له عليه السلام لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون وقيل ان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي
والحارث بن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن نوفل واشراف بني عبد مناف من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب
لو ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا فانهم عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا وادنى لاتباعنا اياه
فاتى ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه فقال عمر رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي
يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن
الفزاري وعباس بن مرداس وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي عليه السلام جالسا مع ناس من ضعفاء
المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه عليه السلام فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت
عنا هؤلاء وارواح جبابهم لجالسناك وحادثناك واخذنا عنك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل
لنا مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحيي ان ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك
فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال عليه السلام نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي
رضي الله عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا فاتيناه وجلسنا
عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا والممات
والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تعالى يريدون وجهه حال من ضمير يدعون
اي يدعون ربهم تعالى مخلصين له فيه تقييده به لتأكيد علية النهي فان الاخلاص من اقوى موجبات الاكرام المضاد للطرد وقوله

تعالى ما عليك من حسابهم من شيء اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا
لطردهم من اقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي اي ما
عليك شيء من حساب ايمانهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك حسبما يقتضيه
منصب النبوة اعتبار ظواهر الاعمال واجراء الاحكام على موجبها واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله
ان حسابهم الا على ربي وذكر قوله تعالى وما من حسابك عليهم من شيء مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان
انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله
تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل من ان ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتأدية معنى
واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير حقيق بجلالة شان التنزيل وتقديم عليك في الجملة الاولى للقصد
الى ايراد النفي على اختصاص حسابهم به عليه السلام اذ هو الداعي الى تصديه عليه السلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك لا تؤاخذ
بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين وقوله تعالى فتطردهم جواب النفي وقوله تعالى
فتكون من الظالمين جواب النهي وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك وكذلك فتنا بعضهم
ببعض استئناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهي وذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه
تعالى لفقراء المؤمنين في امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه في امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها
في الاصل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم
على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له والمعنى
ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الاخرين في امر الدين على الاولين
المتقدمين عليهم في امر الدنيا تقدما كليا واللام في قوله تعالى ليقولوا للعاقبة اي ليقول البعض الاولون مشيرين الى الاخرين
محقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي وتعاميا عما هو مناط التفضيل حقيقة أهؤلاء من الله عليهم
من بيننا بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء
وغرضهم بذلك انكار وقوع المن رأسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف
بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى أليس الله باعلم بالشاكرين رد لقولهم ذلك وابطال له واشارة الى
ان مدار استحقاق الانعام معرفة شان النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك اي أليس الله
باعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا انعامه عليهم وفيه من الاشارة الى ان اولئك الضعفاء عارفون بحق نعم الله تعالى
في تنزيل القرآن والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى وإذا جاءك
الذين يؤمنون بآياتنا هم الذين نهى عن طردهم وصفوا بالايمان بآيات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى
بالاخلاص تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الاول لما ان مدار الوعد
بالرحمة والمغفرة هو الايمان بها كما ان مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى فقل سلام عليكم
امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذار مقابليهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى اليهم وقيل بان يبدأهم بالسلام وقوله
تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة اي قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان بالذات لا بتوسط
شيء اصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى ونيل المطالب اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وقبولها للتوبة منهم وفي التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار للطف بهم واشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاءوا الى النبي عليه السلام فقالوا
انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بدل من الرحمة وقرئ
بكسر انه على انه تفسير للرحمة بطريق الاستئناف وقوله تعالى بجهالة حال من فاعل عمل اي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه
من المضار والتقييد بذلك للايذان بان المؤمن لا يباشر ما يعلم انه يؤدي الى الضرر او عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب

من بعده اي من بعد عمله او من بعد سوئه وأصلح اي ما افسده تداركا وعزما على ان لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم
اي فامره انه غفور رحيم او فله انه غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر على انه استئناف وقع في صدر الجملة الواقعة خبرا
لمن على انها موصولة او جوابا لها على انها شرطية وكذلك نفصل الآيات قد مر ان ما فيه من الكلام اي مثل هذا التفصيل
البديع نفصل الآيات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين
بتأنيث الفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل مما يذكر ويؤنث وهو عطف على علة
محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوائد جمة من جملتها ما ذكر او علة
لمقدر هو عبارة عن المذكور فيكون مستأنفا اي ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب السبيل على ان
الفعل متعد وتاؤه للخطاب اي لتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم قل اني نهيت امر عليه السلام
بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اي قل لهم قطعا
لاطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام اليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا اني صرفت وزجرت
بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد أن أعبد الذين تدعون اي عن عبادة ما تعبدونه
من دون الله كائنا ما كان قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشان المأمور به او ايذانا باختلاف المقولين من حيث
ان الاول حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته عليه السلام من الانتهاء عما ذكر من عبادة
ما يعبدونه وانما قيل لا أتبع أهواءكم استجهالا لهم وتنصيصا على انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة وليسوا
على شيء مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهي والانتهاء وقوله تعالى قد ضللت إذا استئناف
مؤكد لانتهائه عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى
وما أنا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار اي
دوام النفي واستمراره لا نفي الدوام والاستمرار كما مر مرارا اي وما انا في شيء من الهدى حتى اكون في عدادهم وقوله
تعالى قل إني على بينة تحقيق للحق الذي عليه رسول الله عليه السلام وبيان لاتباعه اثر ابطال الباطل
الذي عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها
القرآن والوحي وقيل هي الحجج العقلية او ما يعمهما ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى من ربي
متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وفي التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تعالى وكذبتم
به اما جملة مستأنفة او حالية بتقدير قد وبدونه جيء بها لاستقباح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق
ما يقتضي عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى اني
على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب وقوله تعالى
ما عندي ما تستعجلون به استئناف مبين لخطائهم في شان ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وهو عدم مجيء
ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء
او بطريق الالزام على زعمهم اي ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن وتجعلون تأخره ذريعة الى
تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجيء به واظهر لكم صدقه اي ليس امره بمفوض الي إن الحكم في ذلك تعجيلا او تأخيرا او
ما الحكم في جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا إلا لله وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما فيه بوجه
من الوجوه وقوله تعالى يقص الحق اي يتبعه بيان لشؤونه تعالى في الحكم المعهود او في جميع احكامه المنتظمة له
انتظاما اوليا اي لا يحكم الا بما هو حق فيثبت حقية التأخير وقرئ يقضي فانتصاب الحق حينئذ على المصدرية اي
يقضي القضاء الحق او على المفعولية اي يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل
بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدي على صاحبه وهو خير الفاصلين

اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي
يستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق
وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب آيات الله
تعالى بسبب عدم مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به في امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلا قل لو ان عندي
اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب الذي ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا الي من جهته تعالى
لقضي الامر بيني وبينكم اي لاهلككم ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفي بناء الفعل للمفعول
من الايذان بتعين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما قيل في تفسيره لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربي ولتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى والله اعلم بالظالمين اعتراض
مقرر لما افادته الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل
له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض
الامر الي فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى
من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار
لمكان الغيب كانها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية يتعلق بها وتنحي واما جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده
قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى اي عنده تعالى
خاصة خزائن غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله عز وجل لا يعلمها الا هو تاكيد لمضمون ما قبله وايذان بان
المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلون من العذاب ليس مقدورا لي حتى الزمكم بتعجيله
ولا معلوما لدي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم
والمصالح وقوله تعالى ويعلم ما في البر والبحر بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة
له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء في الجلاء اي يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها
وانواعها وتكثر افرادها وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه باحوالها المتغيرة بعد بيان
تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر
حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج
لاحوال سائرها وقوله تعالى ولا حبة عطف على ورقة وقوله تعالى في ظلمات الارض متعلق بمحذوف هو صفة لحبة
مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اي ولا حبة كائنة في بطون الارض الا يعلمها وكذا قوله تعالى ولا رطب ولا يابس
معطوفان عليها داخلان في حكمها وقوله الا في قوله تعالى الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل
على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع
عطفا على محل من ورقة او رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس لما ليس
شانه السقوط وقد نقل قراءة الرفع في ولا حبة ايضا وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم فيه على استعارة التوفي من
الاماتة لما بين الموت والنوم من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم
بالنهار اي ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين فيهما
يتحقق قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما لا في بعضها والمراد بعلمه تعالى ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديمه على البعث
اي يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق
كل منهما فيما خص بالاخر للجري على سنن العادة ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله تعالى
ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه مع كونه موجبا لابقائهم
على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحيوة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخي كانه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي

ثم يبعثكم في جنس النهر مع علمه بما يجترحون فيها ليقضى اجل مسمى معين لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتخطى احد
ما عين له طرفة عين ثم اليه مرجعكم اي رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة باعمالكم
التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون للاثام
بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار
ليقضي الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال لافضائه
الى كون البعث معللا بقضاء الاجل المضروب وهو القاهر فوق عباده اي هو المتصرف في امورهم لا غيره يفعل
بهم ما يفعل ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون
حفظة من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تأخر لكان
صفة اي كائنين عليكم وقيل بحفظة والمحفوظ محذوف وعلى كل حال اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنا ما كان
وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ذلك
ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشمه احتشامه
من خدمه الواقفين على احواله وحتى في قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك
تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا
انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاءه اسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الآخرون المفوض اليهم ذلك وهم
ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا ومضارعا بطرح احدى التاءين وهم اي الرسل
لا يفرطون اي بالتواني والتاخير وقرئ مخففا من الافراط اي لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان والجملة حال
من رسلنا وقيل مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به وقوله تعالى ثم ردوا عطف على توفته والضمير للكل المدلول
عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفي على الانفراد والرد
على الاجتماع اي ثم ردوا بعد البعث بالحشر الى الله اي الى حكمه وجزائه في موقف الحساب مولاهم اي مالكهم الذي يلي امورهم
على الاطلاق لا ناصرهم كما في قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم الحق الذي لا يقضي الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح
الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع الخلائق في اسرع
زمان واقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شان عن شان وفي الحديث انه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب
شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي قل تقريرا لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدهما
الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم
مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد وقوله تعالى تدعونه
نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن اي من ينجيكم منها حال كونكم داعين له او من فاعله اي من ينجيكم منها
حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى تضرعا وخفية اما حال من فاعل تدعون او مصدر مؤكد له اي تدعونه
متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله تعالى لئن انجيتنا حال
من فاعل ايضا على تقدير القول اي قائلين لئن انجيتنا من هذه الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات لنكونن من الشاكرين
اي الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التي من جملتها هذه وقرئ لئن انجانا مراعاة
لقوله تعالى تدعونه قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب امر عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للايذان
بانه ثم انتم تشركون عليه اي الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم
والكرب ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف وقوله تعالى قل
هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استئناف مسوق لبيان انه تعالى هو القادر على انجائهم فالكل اخرنيا انه هو

المتبعين اهواءهم وفيه وعيد وتهديد بالعذاب لامثالهم المذكورين وعلى قوله تعالى أفأمنتم ان يخسف بكم جانب البر الى قوله تعالى أم امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الاية وقوله تعالى عليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم ولتهويل امره وقوله تعالى من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اي عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط واصحاب الفيل واضرابهم او من تحت ارجلكم اي من جهة السفل كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم شيعا اي يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة لامام فينشب القتال بينكم فتختلطوا في ملاحم القتال ويذيق بعضكم بأس بعض عطف على يبعث وقرئ نذيق بنون العظمة على طريق الالتفات لتهويل الامر والمبالغة في التحذير والبعض الاول الكفار والاخر المؤمنون وفيه وعد ووعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما نزل قوله تعالى عذابا من فوقكم قال اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذا اهون او هذا ايسر وعنه عليه السلام سألت ربي ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني انظر كيف نصرف الايات من حال الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب به اي بالعذاب الموعود او بالقرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك اي المعاندون منهم ولعل ايراده بهذا العنوان للايذان بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى وهو الحق حال من الضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق في كل ما نطق به وقيل استئناف وايا ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل لهم لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل اليّ امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه لكل نبأ اي لكل شيء ينبأ به من الانباء التي من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار التي من جملتها خبر مجيئه مستقر اي وقت استقرار ووقوع البتة او وقت استقرار بوقوع مدلوله وسوف تعلمون اي حال نبأكم في الدنيا او في الاخرة او فيهما وسوف للتأكيد كما في قوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا اي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش ودينهم فأعرض عنهم بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى حتى يخوضوا في حديث غيره غاية للاعراض اي استمر على الاعراض الى ان يخوضوا في حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا فان وصف الحديث بمغايرتها مشير الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونها قرآنا وإما ينسينك الشيطان بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء او بقاء وقرئ ينسينك من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم ووضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم بانهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون في ذلك وما على الذين يتقون روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين قالوا لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لما قدرنا على ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف بالبيت فنزلت اي ما على الذين يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم اي مما يحاسبون عليه من الجرائر من شيء اي شيء ما على انه في محل الرفع على انه مبتدأ وما تحته او اسم لها على انها حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه اي من شيء كائن من حسابهم او في محل النصب على انه حال مما بعده والخبر على الذين يتقون ولكن ذكرى استدراك من النفي السابق اي ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة والتذكير وتحل ذكرى اما النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المحذوف اي ولكن عليهم ان يذكروهم تذكيرا او الرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر اي ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون اي يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز كون الضمير للموصول اي يذكرونهم رجاء ان

ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم اي الذين كلفوه وامروا باقامة مواجبه لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا وبنوا امر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد انما يصدر عنه لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الاية وغرتهم الحيوة الدنيا واطمانوا بها حتى زعموا ان لا حياة بعدها ابدا وذكر به اي بالقرآن من يصلح للتذكير ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا الاية ومخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه لانه ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ممنوع وقد جوز ان يكون الضمير المجرور في به راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشان ويكون الجملة بدلا منه مفسرا له لما في الابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم بجر حاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعنى وذكر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع اي استئناف مسوق للاخبار بذلك وقيل في محل النصب على انه حال من ضمير كسبت وقيل في محل الرفع على انه وصف لنفس والاظهر انه حال من نفس فانه في قوة نفس كافرة او نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي كما بين في قوله تعالى وانذر به الاية وقيل هو خبر لليس فيكون لها حينئذ متعلقا بمحذوف على البيان وان تعدل اي ان تفد تلك النفس كل عدل اي كل فداء على انه مصدر مؤكد لا يؤخذ منها على اسناد الفعل الى الجار والمجرور لا الى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى لا المصدر كما لا يخفى اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيزه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى الذين ابسلوا بما كسبوا والجملة مستانفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اي اولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحيوة الدنيا هم الذين ابسلوا الى ما كسبوا من القبائح وقوله تعالى لهم شراب من حميم استئناف آخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبني على سؤال نشا من الكلام السابق كانه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به امعاؤهم وعذاب اليم بنار تشتعل بابدانهم بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه العمدة في ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي والسيئات هذا وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس ومحله الرفع بالابتداء والموصول الثاني صفته او بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان تبعة الابسال قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام وتوجيه الامر الى الرسول صلى الله عليه وسلم حينئذ للايذان بما بينهما من الاتصال والاتحاد تنويها لشان الصديق رضي الله عنه اي انعبد متجاوزين عبادة الجامع لجميع صفات الالوهية التي من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وادنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى ونرد على اعقابنا عطف على ندعوا داخل في حكم الانكار والنفي اي ونرد الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر وايثار نرد على نرتد لتوجيه الانكار الى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم الفارغة وايذانا بان الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال المحتاج الى نفيه وانكاره وقوله تعالى بعد اذ هدانا الله اي الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتاكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره

على حاتم التنوين في التعميم صح

فقط ولا لكون ان يقال بعد اذ اهتدينا كما نه قيل ونرد الى الشرك باضلال المضل بعد ان هدانا الله الذي لا هادي
سواه وقوله تعالى كالذي استهوته الشياطين في محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اي نرد على اعقابنا مشبهين
بالذي استهوته مردة الجن واستغوته الى المهامه والقفار او على انه نعت لمصدر محذوف اي نرد ردا مثل رد
الذي استهوته الخ والاستهواء استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كأنها طلبت هويه وحرصت عليه وقرئ استهواه
بالف ممالة وقوله تعالى في الارض اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اي كائنا في الارض وكذا قوله تعالى
حيران حال منه على انها بدل من الاولى او حال ثانية عند من يجوزها او من الذي او من المستكن في الظرف اي تائها ضالا
عن الجادة لا يدري ما يصنع وقوله تعالى له اصحاب جملة في محل النصب على انها صفة لحيران او حال من الضمير فيه او
مستأنفة سيقت لبيان حاله وقوله تعالى يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب اي لذلك المستهوى رفقة يهدونه الى الطريق
المستقيم تسميته بالمصدر مبالغة كأنه نفس الهدى ائتنا على ارادة القول على انه بدل من يدعونه او حال من فاعله
اي يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وان من يدعونه ليس ممن يعرف الطريق المستقيم
الذي يدعى اليه انما يدرك بمتابعة الداعي ومورد التهويل فقط قل ان هدى الله الذي هدانا اليه وهو الاسلام هو الهدى
وحده وما عداه ضلال محض وغي بحت كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ونحو ذلك تكرير الامر للاعتناء بشأن المأمور
ولان ما سبق الزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى بهداه تعالى مما يوجب الامتثال
بالاوامر الواردة بعده وامرنا عطف على ان هدى الله هو الهدى داخل تحت القول واللام في لنسلم لرب العالمين لتعليل
الامر المحكي وتعيين ما لاجله اريد به من الاوامر الثلاثة كما في قوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا الآية
كأنه قيل امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم وقيل هي بمعنى الباء اي امرنا بان نسلم وقيل زائدة اي امرنا ان نسلم على حذف
الباء وقوله تعالى وان اقيموا الصلوة واتقوه اي الله تعالى في مخالفة امره عطف على نسلم على الوجوه الثلاثة على ان ان مصدرية
وصلت بالامر مجردة عن معنى الامر كما تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال فالمعنى على الاول امرنا اي قيل
اسلموا واقيموا الصلوة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى وعلى الاخيرين امرنا بان نسلم ونقيم الصلوة
ونتقيه تعالى والتعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين لتعليل الامر وتأكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى وهو الذي
اليه تحشرون جملة مستأنفة موجبة للامتثال بما امر به من الامور الثلاثة وهو الذي خلق السموات والارض
اريد بخلقهما خلق ما فيهما ايضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى بالحق
متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد اي قائما بالحق او ملتبسة بالحق او خلقا ملتبسا
به وقوله تعالى ويوم يقول كن فيكون قوله الحق استئناف لبيان ان خلقه تعالى لما ذكر من السموات والارض ليس مما
يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني من غير توقف على شيء آخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد من افراد
المخلوقات في حين معين من افراد الاحيان حق في نفسه متضمن للحكمة ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى
داخل عليها والاعتناء من حيث انه مدار الحقية وترك ذكر المقول له لغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا
او تمثيلا كما هو المشهور في المعنى وامره المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الاشياء حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان
الحق اي المشهود له بالحقية المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدأ والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك يوم الجمعة
القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى قوله الحق كائن حين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء وقيل
منصوب بالعطف على السموات او على الضمير في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون
على معنى حين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين يقوم القيمة فيكون
التكوين حشر الاجساد واحياءها فتأمل حق التأمل وله الملك يوم ينفخ في الصور تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك
اليوم مع عموم الاختصاص لجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية
المجازية في الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالمهما وهو الحكيم

ذكر ما يفعله الخليل لاحتجاجه بالامور الجليلة والحقيقية واذ قال ابراهيم منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله
عليه وسلم معطوف على قل اندعوا [illegible] اي واذكر لهم بعد ما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر
على نفع ولا ضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه [illegible] وقت قول ابراهيم الذي يدعون انهم على ملته
موبخا لابيه آزر على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت
دون ما وقع فيه من الحوادث [illegible]
[illegible] ومنع صرفه للعجمة والعلمية
وقيل اسمه بالسريانية تارخ وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب به للزومه عبادته فهو عطف بيان لابيه
او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال الفراء وسليمان التيمي المعوج فهو نعت
له [illegible] مشتقا من الازر او الوزر [illegible]
آزر على النداء وهو دليل على العلمية [illegible] تتخذ اصناما آلهة تتخذ متعد الى مفعولين هما اصناما آلهة
اي اتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما ايراد صيغة الجمع باعتبار
الوقوع وقرئ ازرا بفتح الهمزة وكسرها [illegible] وهو اسم صنم ومعناه
اتعبد ازرا ثم قيل تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل تحت الانكار لكونه بيانا له
والمعنى لاجل التقرير [illegible] اصناما آلهة [illegible]
اني اراك وقومك الذين يتبعونك في عبادتها في ضلال عن الحق مبين اي بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا
والرؤية اما علمية فالظرف مفعولها الثاني واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ
وكذلك نري ابراهيم هذه الاراءة من البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اي عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال
حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نري لا الى اراءة اخرى مفهومة من قوله
اني اراك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه
بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه
نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نري ابراهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة فقدم على الفعل لافادة القصر
واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التبصير البديع
نبصره عليه السلام ملكوت السموات والارض اي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما
فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على فعلوت للمبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك
العظيم والسلطان القاهر وقيل هو مختص بملك الله عز سلطانه اي فقد قيل وقيل والاول هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل
ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما وروي انه كشف له عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل آياتهما وقيل ملكوت
السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار والبحار وهذه الاقوال لا تقتضي ان تكون الاراءة بصرية
اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه من ابصارها ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه على حقائقها
وتعريفها من حيث دلالتها على شؤونه عز وجل ولا ريب في ان ذلك ليس مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح عن كون
المشار اليه امرا بديعا فان الاراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت اي تبصره
عليه السلام دلائل الربوبية واللام في قوله تعالى وليكون من الموقنين متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما
قبلها اي وليكون من زمرة الراسخين في الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير
البديع المذكور لا لامر آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال مترتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار
فائدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سيأتي من فوائده بلا مرية بل لبيان انه الاصل الاصيل والباقي من مستتبعاته
وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة ينسحب عليه الكلام اي ليستدل بها وليكون الخ

فينبغي ان يراد بملكوتهما بدايعهما وآياتهما لان الاستدلال من غايات اراءتها لا من غايات اراءة نفس الربوبية
وقوله تعالى فلما جن عليه الليل على الاول عطف على قال ابراهيم داخل تحت ما امر بذكره بالامر
بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق وملوح فان تعريضهم بربوبيته وما لكيته للسموات والارض وما بينهما
وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين
في معرفة شؤونه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقضي بان يحكم عليه السلام باستحالة الهية ما سواه سبحانه
من الاصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من اراءة ملكوت السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله
عليه السلام ووصوله الى رتبة الايقان ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى رأى كوكبا جواب لما
فان رؤيتها انما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس
بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة
وقيل هو المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية السابقة المتفرعة على بيان
اراءته عليه السلام ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما ظهر منه عليه السلام
من آثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض
هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فان المستدل على فساد قول يحكيه على رأي
خصمه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكوكب دون بيان استحالة الهية الاصنام
لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا
في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان
مراهقته واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت بآياتهما وعطف قوله تعالى ليكون ما ذكر من العلة المقدرة
وجعل قوله تعالى فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك مما يخل
بجزالة النظم الجليل وجلالة منصب الخليل عليه السلام فلما افل اي غرب قال لا احب الآفلين اي الارباب المنتقلين من مكان
الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستتار فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما رأى القمر بازغا اي
مبتدئا في الطلوع اثر غروب الكوكب قال هذا ربي على الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى جنابه
الذي هو الحق الذي لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رأيته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه
في اظهار النصفة ولعله عليه السلام كان اذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار
او بعده بقليل وكان الكوكب قريبا منه وافق الشرقي مكشوفا له والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع
الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال اي على النهج السابق
هذا ربي وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من
الاسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس او لتذكير الخبر وصيانة للرب عن وصمة التأنيث وقوله تعالى هذا اكبر
تأكيد لما رامه عليه السلام من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة اخرى ببيان ان الاكبر احق بالربوبية
من الاصغر فلما افلت هي ايضا كما افل الكوكب والقمر قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم يا قوم اني بريء مما
تشركون اي من الذي تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة من حال الى اخرى المسخرة لمحدثها او من اشراككم وترتيب هذا
الحكم ونظيريه على الافول دون البزوغ والظهور من ضروريات سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فان كلا منهما وان كان
في نفسه انتقالا منافيا لاستحقاق معروضه للربوبية قطعا لكن لما كان الاول حالة موجبة لظهور الآثار والاحكام ملائمة
لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس الآثار
وبطلان الاحكام المنافية للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم
لما تبرأ عليه السلام منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات

التي هي الاجرام التي تعبدونها من اجزائها والارض التي تعبدون فيها حنيفا اي مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد
الزائغة كلها وما انا من المشركين في شيء من الافعال والاقوال وحاجه قومه اي شرعوا في مغالبته في امر التوحيد
قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه فقيل قال
منكرا لما اجترؤوا عليه من محاجته مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم أتحاجوني في الله بادغام
نون الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الاولى وقوله تعالى وقد هدان حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه
مهديا من جهة الله عز وجل ومؤيدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه السلام اي اتجادلونني في شأنه تعالى ووحدانيته
والحال انه تعالى قد هداني الى الحق بعدما سلكت طريقتكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبيينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى
ولا اخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عليه السلام في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه السلام
قومه ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين خوفوهم بالهتهم ما فعلوا وما موصولة اسمية حذف
عائدها وقوله تعالى الا ان يشاء ربي شيئا استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي لا اخاف ما تشركونه به سبحانه
من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى شيئا من اصابة مكروه بي من جهتها او ذلك انما هو من جهته
تعالى من غير دخل لالهتكم فيه اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المتكلم اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه
وتعالى واستسلام لامره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته تعالى وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما كانه
تعليل للاستثناء اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه تعالى ان يحيق بي مكروه من قبلها بسبب من الاسباب
وفي الاظهار في موقع الاضمار تأكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى افلا تتذكرون اي اتعرضون عن التأمل
في ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي ايراد التذكر
دون التفكر ونظائره اشارة الى ان امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف الا على التذكر وقوله تعالى وكيف اخاف
ما اشركتم استئناف مسوق لنفي الخوف عنه عليه السلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي بعد نفيه عنه بحسب الواقع
ونفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
الآية لا لانكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ وفي توجيه الانكار الى كيفية الخوف
من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال أأخاف لما ان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال
وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله
عز وجل ولا تخافون انكم اشركتم بالله حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدأ والواو كافية في الربط من غير حاجة الى
الضمير العائد الى ذي الحال وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه عنه ومفيد لاعترافهم بذلك فانهم حيث لم يخافوا في محل
الخوف فلان لا يخاف في محل الامن اولى واحرى اي وكيف اخاف انا ما ليس في حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة
ما هو اعظم المخوفات واهولها وهو اشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته
وانما عبر عنه بقوله تعالى ما لم ينزل به اي باشراكه عليكم سلطانا على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور
الدينية لا يعول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي تعليق الخوف الثاني باشراكهم من المبالغة ومراعاة
حسن الادب ما لا يخفى هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على اخاف داخل معه في حكم الانكار
والتعجب فمما لا سبيل اليه اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول
المعنى الى نفي الخوف عنهم ونفي نفيه عنهم وانه بين الفساد وحمل الانكار في الاول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد
الواقع مما لا مساغ له على ان قوله تعالى فأي الفريقين احق بالامن ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مرتب
على انكار خوفه عليه السلام في محل الامن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لالجائهم الى الاعتراف باستحقاقه عليه السلام لما هو عليه
من الامن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه وانما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة
المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الآمن في محل الامن والفريق الآمن في محل الخوف

فايثاره ما عليها النظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن انا ام انتم لتاكيد الالجاء الى الجواب بالحق بالتنبيه على علة الحكم
والتفادي عن التصريح بتخطيتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون المفعول اما محذوف تعويلا على
ظهوره بمعونة المقام اي ان كنتم تعلمون من احق بذلك او قصدا الى التعميم اي ان كنتم تعلمون شيئا واما متروك بالمرة
اي ان كنتم من اولي العلم وجواب الشرط محذوف اي فاخبروني الذين آمنوا استئناف من جهته تعالى مبين للجواب
الحق الذي لا محيد عنه اي الفريق الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم ذلك اي لم يخلطوه بظلم اي بشرك كما يفعله الفريق
المشركون حيث يزعمون انهم يؤمنون بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام من تمامات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل
التقريب والشفاعة كما قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك اشارة الى الموصول من حيث
اتصافه بما في حيز الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك
الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم الامن
جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ الاول الذي هو الموصول ويجوز ان يكون
اولئك بدلا للموصول او عطف بيان له ولهم خبرا للموصول والامن فاعلا للظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز ان يكون لهم
خبرا مقدما والامن مبتدأ والجملة خبرا للموصول ويجوز ان يكون اولئك مبتدأ ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا
له والجملة خبرا للموصول اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط وهم
مهتدون الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين روي انه لما نزلت الآية شق ذلك على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وليس
من قضية الخلط بقاء الاصل بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر الاول لوروده
مورد الجواب عن حال الفريقين وتلك اشارة الى ما احتج ابراهيم عم من قوله تعالى فلما جن وقيل من قوله تعالى اتحاجوني
الى قوله تعالى وهم مهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شان المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته
في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى حجتنا خبره وفي اضافتها الى نون العظمة ما لا يخفى وقوله تعالى آتيناها ابراهيم
اي ارشدناه اليها او علمناه اياها في محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله تعالى فتلك
بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدأ وابراهيم مفعول اول
لآتينا قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبرا لتلك او بمحذوف ان جعل بدلا
اي آتينا ابراهيم حجة على قومه وقيل بقوله آتينا نرفع بنون العظمة وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وكذا الفعل الآتي
درجات اي رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات
او على التمييز والمفعول قوله تعالى من نشاء وتاخيره على الوجوه الثلاثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر ومفعول المشيئة محذوف اي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال
للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابراهيم عم وقرئ بالاضافة الى من
والجملة مستانفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هي في محل النصب على انها حال من فاعل آتينا اي حال كوننا
رافعين الخ ان ربك حكيم في كل ما فعل من رفع وخفض عليم بحال من يرفعه واستعداده في تضاعيف بيان احوال ابراهيم
عليه السلام اظهار لمزيد لطف وعناية به صلى الله عليه وسلم ووهبنا له اسحق ويعقوب عطف على قوله تعالى
وتلك حجتنا الخ فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه على آتينا لان
له محلا من الاعراب نصبا ورفعا حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين
للرابط ولا سبيل اليه ههنا كلا مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى
احدهما اي كل واحد منهما هدينا لا احدهما دون الآخر وترك ذكر المهدي اليه لظهور انه الذي اوتي ابراهيم وانهما

مقتديان به ونوحا منصوب بمضمر يفسره هدينا من قبل اي من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم عم لان
شرف الوالد سار الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم لان مساق النظم الكريم لبيان شؤونه العظيمة من ايتاء
الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد الانبياء وابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيمة كل ذلك لالزام من ينتمي الى ملته
من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم عم فلو كان الضمير له اختص بالمذكورين
في هذه الآية والتي بعدها واما المذكورون في الآية الثالثة فعطف على نوحا وروي عن ابن عباس رض ان هؤلاء الانبياء
كلهم مضافون الى ذرية ابراهيم وان كان منهم من لم يلحقه بولاد من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخي ابراهيم والعرب
تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل
عم يعقوب داود وسليمان منصوبان بمضمر مفهوم مما سبق وكذا ما عطف عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه
على المفعول للاهتمام بشانه مع ما في المفاعيل من نوع طول ربما يخل تاخيره بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته
داود وسليمان وايوب هو ابن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون او بمحذوف وقع
حالا من المذكورين اي وهديناهم حال كونهم من ذريته وكذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابراهيم ومحل الكاف
النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نجزي المحسنين جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر
تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس ومماثلة جزائهم بجزائه عم مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان بالاحسان
والمكافاة بين الاعمال والاجزية من غير بخس لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد الانبياء مما اختص
به ابراهيم عليه السلام والاقرب ان لام المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي
المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة ومحلها في الاصل نصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء
كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس
المصدر المؤكد لا نعتا له اي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين لا جزاء آخر ادنى منه والاظهار في موضع الاضمار للثناء
عليهم بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن
لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض
مقرر لما قبلها وزكريا هو ابن آذن ويحيى ابنه وعيسى هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد
البنات والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي
موسى عم كل اي كل واحد من اولئك المذكورين من الصالحين اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان
بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح واسمعيل واليسع هو ابن اخطوب بن
العجوز وقرئ والليسع وهو على القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام وقيل انه يوشع بن نون وقيل انه
منقول من مضارع وسع واللام كما في يزيد في قول من قال رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة
كاهله ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن هاران ابن اخي ابراهيم عم وكلا اي كل واحد من اولئك المذكورين فضلنا
بالنبوة لا بعضهم دون بعض على العالمين على عالمي عصرهم والجملة اعتراض كالتي قبلها وقوله تعالى ومن آبائهم وذرياتهم
واخوانهم اما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا من آبائهم وذرياتهم واخوانهم
جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي فضلنا بعض آبائهم الخ واجتبيناهم عطف على فضلنا اي اصطفيناهم
وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير للتاكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه ذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم
من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما في ذلك من معنى البعد لما مر مرارا هدى الله الاضافة للتشريف يهدي
به من يشاء من عباده وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انه تعالى متفضل بالهداية ولو اشركوا
اي هؤلاء المذكورين لحبط عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا يعملون من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم

فيهم بهم ولحبط عنهم اعمالهم اولئك اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام
باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب اي جنس الكتاب المتحقق
في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة
بالجلائل والدقائق اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب
معين والحكم اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب والنبوة اي الرسالة فان يكفر بها اي بهذه
الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقيين هؤلاء اي كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه
من القرآن كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى
المؤخر فقد وكلنا بها اي امرنا برعايتها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها قوما ليسوا بها بكافرين
في وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان بها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية
تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا نفي الدوام كما حقق في مقامه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هم الانصار واهل المدينة
وقيل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون
للايمان بالانبياء وبالكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرائع وفروعها الباقية في شريعتنا ويتحقق الخروج
عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها وقد مر في تفسير
سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم من اجراء احكامها كما هو شانهم في حق كتبهم
ومن اعتقاد حقيتها كما هو شانهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القرآن الكريم وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الامر
بانزالها وحفظها واعتقاد تقديم صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر آنفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى
المؤخر ولانه نوع طول ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم والى الفصل بين الصفة والموصوف وجواب
الشرط محذوف يدل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما فخاما
ليسوا بكافرين بها قطعا بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء وعن هذا
ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف المذكورة اذ بايمانهم بالقرآن والعمل باحكامه يتحقق الغنية
عن ايمان الكفرة به والعمل باحكامه واما الانبياء والملائكة عليهم السلام فايمانهم به ليس من قبيل ايمان آحاد الامة
كما اشير اليه اولئك اشارة الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وهو مبتدا خبره قوله
تعالى الذين هدى الله اي الى الحق والنهج المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الهداية فبهداهم اقتده
اي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون
الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف وحقها ان تسقط في الدرج واستحسن ابن اثباتها فيه
اجراء له مجرى الوقف واقتداء بالامام وقرئ باشباعها على انها كناية المصدر قل لا اسالكم عليه اي على القرآن
او على التبليغ فان مساق الكلام يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا من جهتكم كما لم يسال من قبلي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وهذا من جملة ما امر عليه السلام بالاقتداء بهم فيه ان هو اي ما القرآن الا ذكرى للعالمين اي عظة وتذكير لهم
كافة من جهته تعالى فلا يختص بقوم دون آخرين وما قدروا الله لما بين شان القرآن العظيم وانه نعمة جليلة منه
تعالى على كافة الامم حسبما ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان عظم ابائهم وكفرهم بها
على وجه سرى ذلك الى الكفر بجميع الكتب الالهية واصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء بالفتح قدرا اذا سبره وحزره
ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء في مقداره واحواله واوصافه وقوله تعالى حق قدره نصب على المصدرية وهو
في الاصل صفة للمصدر اي قدره الحق فلما اضيف الى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه اي ما عرفوه تعالى
حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى بل اخلوا بها اخلالا اذ قالوا منكرين لبعثة الرسل

وانزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة فيهما ما انزل الله على بشر من شيء فنفي معرفتهم لقدره سبحانه كناية عن حطهم من
قدره الجليل ووصفهم له بنقيض نعته الجميل كما ان نفي المحبة في مثل ان الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط
ولا نفي معرفتهم بقدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحطه بل مع السعي في تحصيل المعرفة كما في قوله من يناجي مستقصرا لمعرفته
وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك وما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة
بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القرآن حين اجترؤوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء فالنفي بمعنى ما لحق والقائلون هم اليهود
وقد قالوه مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا
حيث قيل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والقام الحجر وروي
ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي انزل
التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود
فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف
وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لما انه كان عندهم من المشاهير الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل
علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالموصول لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا تقييده
بقوله تعالى نورا وهدى فان كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد الالزام اي تاكيد وانتصابهما على الحالية
من الكتاب والعامل انزل او من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى للناس اما متعلق بهدى او بمحذوف
هو صفة له اي هدى كائنا للناس وليس المراد بهذا مجرد الزامهم الاعتراف بانزال التوراة فقط بل انزال القرآن ايضا
فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف بانزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعى عليهم ما فعلوا
من التحريف والتغيير حيث قيل تجعلونه قراطيس اي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار
بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم او تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم
كانهم اخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الخالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى
تبدونها صفة لقراطيس وقوله وتخفون كثيرا معطوف عليه والعائد الى الموصوف محذوف اي كثيرا منها وقيل
كلام مبتدا لا محل له من الاعراب والمراد بالكثير نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وسائر ما كتموه من احكام التوراة
وقرئ الافعال الثلاثة بالياء حملا على قالوا وما قدروا وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم
قيل هو حال من فاعل تجعلونه باضمار قد او بدونه على اختلاف الرايين قلت فينبغي ان يجعل ما عبارة عما اخذوه
من الكتاب من العلوم والشرائع ليكون التقييد بالحال مفيدا لتاكيد التوبيخ وتشديدا للتشنيع فان ما فعلوه بالكتاب
من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء والاخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه ماخذا لعلومهم ومعارفهم
اشنع واعظم لا عما تلقوه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليهم وعلى آبائهم من
مشكلاتها حسبما ينطق به قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لان
تلقيهم لذلك من القرآن الكريم ليس مما مزجرهم عما صنعوا بالتوراة اما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلا تعلق
له بها نفيا ولا اثباتا واما ما ورد بطريق البيان فلان مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من التباس
واشتباه الحال حتى يقلعوا عن ذلك بايضاحه وبيانه فيكون الجملة خالية عن تاكيد التوبيخ فاذن تستحق ان تقع موقع
الحال بل الوجه ان يكون استئنافا مقررا لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه
من مجيء القرآن ولا سبيل الى جعل ما عبارة عما كتموه من احكام التوراة كما ينبئ عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين
لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان ظهوره وان كان مزجرا لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ومصححا لوقوعه حالا لكنه
مما يعلمه المخاطبون حتما هذا وقد قيل الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم وقوله
تعالى قل الله امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عنهم اشعارا بتعين الجواب المحيد عنه وايذانا بانهم

انتحوا ولم يقيدوا على التكلم اصلا ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة والقام الحجر
يلعبون حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر او متعلق بمحذوف هو حال من مفعول الاول او من فاعل
الثاني او من ضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه تحقيق لانزال القرآن الكريم
بعد تقدير انزال ما تشربه من التورية وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء اثر تكذيب مبارك اي كثير الفوائد وجم المنافع
مصدق الذي بين يديه من التورية لنزوله حسبما وصف فيها او الكتب التي قبلها فانه مصدق للكل في اثبات
التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي سائر اصول الشرائع التي لا تنسخ ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك
اي للبركات ولتنذر اهل مكة وانما ذكرت باسمها المنبئ عن كونها اعظم القرى شأنا وقبلة لاهلها قاطبة ايذانا بان انذار
اهلها اصل مستتبع لانذار اهل الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها من اهل المدر والوبر
في المشارق والمغارب والذين يؤمنون بالآخرة ويعلمونها من افانين العذاب يؤمنون به اي بالكتاب لانهم
يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنون وهم على صلاتهم يحافظون تخصيصها
بالذكر من بين سائر العبادات التي لا بد للمؤمنين من ادائها للايذان بانها من بين سائر الطاعات لكونها
اشرف العبادات بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب
والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم وان كان
سبك التركيب على نفي الاظلم منه وانكاره من غير تعرض لنفي المساوي وانكاره فان الاستعمال الفاشي في قولك من
افضل من زيد او لا اكرم منه على انه افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه او قال اوحي
الي من جهته تعالى ولم يوح اليه اي والحال انه لم يوح اليه شيء اصلا كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان
يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشأناه خلقا آخر
قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان ثم قال عليه السلام اكتبها كذلك فشك
عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا فقد اوحي الي ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل
الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اي ولو
ترى الظالمين اذ هم في غمرات الموت اي شدائده من غمره اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض
ارواحهم كالمتقاضي الملظ يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير امهال وتنفيس او باسطوها
بالعذاب قائلين اخرجوا انفسكم اي اخرجوا ارواحكم الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم من العذاب اليوم
اي وقت الاماتة او الوقت الممتد المتطاول الذي لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي العذاب المتضمن لشدة واهانة
فاضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه
وادعاء النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا
للحساب فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان والاصنام التي زعمتم
انها شفعاؤكم او بوجه فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم
اول مرة بدل من فرادى اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعددها وحال من الضمير
في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم اول مرة
وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا
نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء لله تعالى في الربوبية واستحقاق
العبادة لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرفع
على اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قوتل خلفكم وامامكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اي تقطع وصلكم
وقرئ ما بينكم وضل عنكم اي ضاع وغاب ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق

الحب والنوى شروع في تقرير بعض افاعيله تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته ولطف صنعه وحكمته اثر تقرير
امر التوحيد والنبوة والفلق الشق بابانة اي شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل المراد الشق الذي في الحبوب والنوى
اي خالقهما كذلك كما في قوله فاطر السموات والارض وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدي ذهبوا بفالق
مذهب فاطر يخرج الحي من الميت اي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من النطفة والحبة
مستأنفة مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان وقوله تعالى ومخرج الميت من الحي كالنطفة والحب من الحيوان
والنبات عطف على فالق الحب لا على يخرج الحي ذلكم اي ذلكم الفاعل لهذه الافاعيل هو الله المستحق للعبادة وحده فانى تؤفكون
فكيف تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح خبر آخر
فلق الصبح وشقه عن بياض النهار واسفاره او فالق ظلمة الاصباح
الذي يلي الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح وجعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته
فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل
فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على ان المراد به الجعل المستمر في الازمنة المتجددة حسب
تجددها لا الجعل الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني وان كان بمعنى الماضي
لانه لما اضيف الى الاول تعين نصبه للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على الليل
وعلى القراءة الاخيرة قيل هما معطوفان على محله والاحسن نصبهما بفعل مقدر وقد قرئا بالجر وبالرفع ايضا
على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة تحسب بها الاوقات التي نيطت بها العبادات
والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ذلك
اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اي ذلك التسيير البديع
تقدير العزيز الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص
العليم بجميع المعلومات التي من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم
وهو الذي جعل لكم النجوم شروع في بيان نعمته تعالى في الكواكب اثر بيان نعمته تعالى في النيرين والجعل متعد الى واحد
واللام متعلقة به وتاخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى
المؤخر اي انشأها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى لتهتدوا بها بدل من المجرور باعادة العامل بدل اشتمال كما
في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا اي انشأ النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية خلقها
اهتداؤكم فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام وقد جوز ان يكون مفعولا
ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير اي جعلها كائنة لاهتدائكم في اسفاركم عند دخولكم المفاوز او البحار كما ينبئ عنه
قوله تعالى في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء
بها انما تتحقق عند ذلك او في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة قد فصلنا الآيات اي بينا
الآيات المتلوة المذكرة لنعمه التي هذه النعمة من جملتها او الآيات التكوينية الدالة على شؤونه تعالى مفصلة لقوم
يعلمون اي معاني الآيات المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكرون في الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال
وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة تذكير لنعمة اخرى من نعمه
تعالى دالة على عظم قدرته ولطف صنعه وحكمته اي انشأكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اي
فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع فيما
ذكر وانما التعبير عن كونهم في الاصلاب او فوق الارض بالاستقرار لانهما مقرهم الطبيعي كما ان التعبير عن كونهم في الارحام
او تحت الارض بالاستيداع لما ان كلا منهما ليس بمقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على كونهم في الاصلاب وليس بواضح

وقرئ مستقر اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الآيات المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآيات ونظائرها لقوم يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان لطائف صنع الله عز وجل في اطوار تخليق بني آدم مما يحار في فهمه الالباب فهو بالتدبر فيها جدير يفقهون على يعلمون كما فيما قبله في شأن النجوم وهو الذي انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى منبئة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته اي انزل من السحاب او من سمت السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا فاخرجنا به التفات الى التكلم اظهارا لكمال العناية بشأن ما انزل الماء لاجله اي فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء من الاشياء التي من شأنها النمو من اصناف النجم والشجر وانواعهما المختلفة في الكم والكيف والخواص والآثار اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقوله تعالى فاخرجنا منه خضرا شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم اي فاخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال شيء اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة وقوله تعالى نخرج منه صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة اي نخرج من ذلك الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله تعالى ومن النخل شروع في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تعالى من النخل خبر مقدم وقوله تعالى من طلعها بدل منه باعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله الخ والطلع شيء يخرج من النخل كانه نعلان مطبقتان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى قنوان مبتدأ اي حاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي ومن طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او ومن النخل شيء من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان وهو جمع قنو اسم عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد تأتي بالثمرة لا ينتظر الطول او ملتفة متقاربة والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات كائنة من اعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات وقد جوز عطفه على قنوان كما قيل وحاصله ومخرجه من النخل قنوان وجنات من نبات اعناب ولعل زيادة الجنات ههنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تأخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده والزيتون والرمان منصوبا على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله تعالى مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفى به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان لقربه وحذف حال الاول والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها انظروا الى ثمره اذا اثمر اي انظروا اليه نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به وقرئ الى ثمره وينعه اي والى حال نضجه كيف يصير الى كمال الانتفاع ويكون شيئا جامعا لمنافع جمة والينع في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهي لغة فيه وقرئ يانعه ان في ذلكم اشارة الى ما امر بالنظر اليه وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته لآيات لقوم

يؤمنون اي لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع يحار في فهمه الالباب لا يكاد يكون الا باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه او ند يقاومه ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء اي جعلوا في اعتقادهم لله الذي شأنه ما فصل في تضاعيف هذه الآيات الجليلة شركاء الجن اي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسموهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم بالنسبة الى مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ لله سبحانه شريك ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وابو اسحق او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشأ من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كانه قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن ويؤيده قراءة ابي حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من الذين جعلوهم شركاء الله تعالى وقد قرئ بالجر على ان الاضافة للتبيين وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد او بدونه على اختلاف الرأيين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها اي وقد علموا انه تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء اي والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له تعالى وقرئ خلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه تعالى وخرقوا له اي افتعلوا وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرئ خرقوا بالتشديد للتكثير وقرئ وحرفوا له اي زوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله بغير علم اي بحقيقة ما قالوه من خطأ او صواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر مؤكد له اي خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا بغير علم سبحانه مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لانه سمع له فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة من حيث اسناد التنزه الى ذاته المقدسة اي تنزه بذاته تنزها لائقا به وهو الانسب بقوله سبحانه وتعالى فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة ولما في السبحان والتعالي من معنى التباعد قيل عما يصفون اي متباعدا عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه ائمة اللغة كالصريح بمعنى المصرح وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشأه كابتدعه على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق والى الظرف كما في قولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع

لفطر العالم العلوي والسفلي بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل
بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم
الجليل او من الضمير المجرور في سبحانه على راي من يجيزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على انه خبر مبتدأ محذوف
او فاعل تعالى واظهاره في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او مبتدا
خبره قوله تعالى انى يكون له ولد وهو على الاولين جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه
اليه تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله تعالى ولم تكن له صاحبة حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان
انتفاء ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة
وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورته انتفاء الثاني اي من اين او كيف
يكون له ولد كما زعموا والحال انه ليس له على زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل
او لان الاسم ضميره تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او الظرف
خبر مقدم وصاحبة مبتدا مؤخر والجملة خبر للكون وعلى الوجه يجوز ان يكون الاسم ضمير الشان لصلاحية
الجملة حينئذ لان تكون مفسرة لضمير الشان لا على الوجه الاول لما بين في موضعه ان ضمير الشان لا يفسر
الا بجملة صريحة وقوله تعالى وخلق كل شيء اما جملة مستأنفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او
حال اخرى مقررة لها اي انى يكون له ولد والحال انه خلق كل شيء انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي
من جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا للخالق وهو بكل شيء من شانه ان يعلم
كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار الى الاظهار عليم مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما
يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال
التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما يجوز من المحالات التي ما زعموه فرد من افرادها والجملة استئناف مقرر
لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التي اجترؤوا عليها بغير علم ذلكم اشارة الى
المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته في العظمة
والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدأ وقوله تعالى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار اربعة
مترادفة اي ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق
كل شيء مما كان ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي وقيل
الخبر هو الاول والبواقي ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتداء والبواقي اخبار وقيل بتقدير مبتدا لكل من الاخبار الثلاثة
وقيل بجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات
كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل شيء وكيل عطف على الجملة المتقدمة اي وهو مع ما فصل
من الصفات الجليلة متولي امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم
الدنيوية والاخروية لا تدركه الابصار البصر حاسة النظر وقد يطلق على العين من حيث انها محلها وادراك
الشيء عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به اي لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال
عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل رحمه الله
لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وهو يدرك الابصار اي يحيط بها علمه اذ لا يخفى عليه خافية
وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف اي لا تدركه
الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك
بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم استئناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه
وسلم والبصائر جمع بصيرة وهي النور الذي به تستبصر النفس كما ان البصر نور به تبصر العين والمراد بها الآيات الواردة

ههنا او جميع الآيات المنتظمة لها انتظاما اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف
هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اي قد جاءكم
من جهة مالككم ومبلغكم الى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب
او قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم فمن ابصر اي الحق بتلك البصائر وآمن به فلنفسه اي فلنفسه ابصر او فابصاره
لنفسه لان نفعه مخصوص بها ومن عمي اي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانما
عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه فعليها اي فعليها عمي اي فوباله عليها او وبال عماه وما انا عليكم بحفيظ وما
انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف الآيات اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف
الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفا ادنى منه وقوله تعالى وليقولوا
درست علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السباق عليه اي وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور
واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هي عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف اي مثل ذلك التصريف
نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد وعدم
الاكتراث بقولهم ورد عليه بان ما بعده يأباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي قدمت
هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها وقرئ
على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم
وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الآيات وهو في الحقيقة لاهلها اي دارس اهل
الآيات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد عليه السلام ودارسات على انها دارسات
اي قديمات او ذات درس كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا واللام على الاصل لان التبيين
غاية التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر او للمصدر اي لنفعل التبيين واللام
في قوله لقوم يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لما انهم المنتفعون به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اولياؤه الذين هداهم
الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما اوحي اليك من ربك
لما حكي عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عقب ذلك بامره عليه السلام بالثبات على ما هو عليه وعدم الاعتداد بهم
اي دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع والاحكام التي عمدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض بين الامرين
المتعاطفين مؤكد لايجاب اتباع الوحي لا سيما في امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا من ربك اي منفردا بالالوهية
واعرض عن المشركين لا تحتفل بهم ولا تلتفت الى آرائهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا ومن جعله منسوخا بآية السيف
حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اي عدم اشراكهم حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة
من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى
انه تعالى يمنعه مع توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره على الكفر
والجملة اعتراض مؤكد للاعراض وكذا قوله وما جعلناك عليهم حفيظا اي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم
اعمالهم وكذا قوله تعالى وما انت عليهم بوكيل من جهتهم تقوم بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق
بما بعده قدم عليه للاهتمام به او رعاية للفواصل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي لا تشتموهم من حيث
عبادتهم لآلهتهم كان تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل
بغير علم اي بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به روي انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا
لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه

وتعالى وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك اي مثل
ذلك التزيين القوي زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا
ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه تزيين سب الله تعالى
لهم ثم الى ربهم مالك امرهم مرجعهم اي رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير بما كانوا يعملونه
في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده
سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان
والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فان
المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات
فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة
وستظهر في النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا فيعبر عن اظهارها
بصورها الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله تعالى واقسموا بالله
روي ان قريشا اقترحوا بعض آيات فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فعلت بعض ما تقولون
اتصدقونني فقالوا نعم واقسموا لئن فعلت لنؤمنن جميعا فسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينزلها طمعا في ايمانهم فهم عليه السلام بالدعاء فنزلت وقوله تعالى جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال
اي اقسموا به تعالى جاهدين في ايمانهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم او من جنس الآيات وهو الانسب بحالهم
في المكابرة والعناد وترامي امرهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات
التامة من جنس الآيات ليؤمنن بها وما كان مرمى غرضهم في ذلك الا التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طلب المعجز وعدم الاعتداد بما شاهدوه منه من البينات الحقيقية بان تقطع بها الارض وتسير بها الجبال قل انما
الآيات اي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا اوليا عند الله اي امرها في حكمه وقضائه خاصة يتصرف حسب
مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا تتعلق بها ولا بشأن من شؤونها قدرة احد ولا مشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا
بوجه من الوجوه حتى يمكنني ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على ابلغ وجه
واحسنه ببيان علو شأن الآيات وصعوبة منالها وتعاليها من ان تكون عرضة للسؤال والاقتراح واما ما
قيل من ان المعنى انما الآيات عند الله تعالى لا عندي فكيف اجيبكم اليها وآتيكم بها او هو القادر عليها لا انا حتى
آتيكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى وارادته حتى يجابوا بذلك وقوله
تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون كلام مستأنف غير داخل تحت الامر مسوق من جهته تعالى
لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الآيات خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين
لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في اسلامهم واما معه عليه السلام بطريق التعميم لما روي عنه عليه السلام من الهم
بالدعاء وقد بين فيه ان ايمانهم فاجرة وايمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وان اجيبوا الى ما سألوه وما استفهامية
انكارية لكن لا على ان مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الاشعار مع تحقق المشعر به في نفسه اي واي شيء
يعلمكم ان الآية التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد اي لا تعلمون
ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في ايمانهم فكأنه بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الآيات وقيل لا مزيدة فيتوجه الانكار
الى الاشعار والمشعر به جميعا اي اي شيء يعلمكم ايمانهم عند مجيء الآيات حتى تتمنوا مجيئها طمعا في ايمانهم فيكون تخطئة
لرأي المسلمين وقيل ان بمعنى لعل يقال ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك ومعنى لعلك بمعنى ويؤيده انه قرئ لعلها
اذا جاءت لا يؤمنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني يشعركم محذوف وكما قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى

والجملة استئناف لتعليل الانكار وتقريره اي اي شيء يعلمكم حالهم وما سيكون منهم عند مجيء الآيات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون
بها فما لكم تتمنون مجيئها فان تمنيه انما يليق بما اذا كان ايمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ انها
بالكسر على انه استئناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق لعدم ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما
يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون فرجع الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء
الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد
بما قيد به اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه
لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر
عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم في الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشئ عن تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق
الاجبار كما لم يؤمنوا به اي بما جاء من الآيات اول مرة اي عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل
النصب على انه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية اي لا يؤمنون بل يكفرون كفرا كائنا
ككفرهم اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه من متممات عدم ايمانهم ونذرهم عطف
على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الافئدة والابصار
ومعرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان تقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجهها اليه واستعدادها
له بطريق الاجبار بل بان يخليهم وشأنهم بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف
فيهم اصلا وطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم كما اشرنا اليه وقوله تعالى في طغيانهم متعلق بنذرهم
وقوله تعالى يعمهون حال من الضمير المنصوب في نذرهم اي نذرهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين او
مفعول ثان لنذرهم اي نصيرهم عامهين وقرئ يقلب ويذرهم بالياء على اسنادهما الى ضمير الجلالة وقرئ تقلب
بالتاء والبناء على اسناده الى افئدتهم ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة تصريح بما اشعر به قوله عز وجل وما
يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه من الآيات اثر بيان انها في حكمه
تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لاحد في امرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجرة على
ابلغ وجه وآكده اي ولو اننا لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه ههنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة
كما سألوه بقولهم لولا انزل علينا الملائكة وقولهم لو ما تأتينا بالملائكة وكلمهم الموتى وشهدوا بحقية الايمان بعد
ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فأتوا بآبائنا وحشرنا اي جمعنا عليهم كل شيء قبلا بضمتين وقرئ بسكون الباء
اي كفلاء بصحة الامر وصدق النبي عليه السلام على انه قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو
الانسب بقوله تعالى او تأتي بالله والملائكة قبيلا اي لو لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم
كل شيء يتأتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية او جماعات على انه جمع قبيل بمعنى جمع قبيل هو
الاوفق لعموم كل شيء وشموله للانواع والاصناف اي حشرنا كل شيء نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه
على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي اللازم للكل الافرادي او مقابلة وعيانا على انه مصدر كقبلا وقد قرئ كذلك وانتصابه
على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل
فلان حق وان انتصابه على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا اي ما صح وما استقام لهم الايمان لتماديهم في العصيان وغلوهم
في التمرد والطغيان واما ما سبق القضاء عليهم بالكفر من الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل و
نذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم الجليل لتربية
المهابة وادخال الروعة اي ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة
لموجباته المذكورة الا في حال مشيئته تعالى لايمانهم او من اعم العلل اي ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة
وغيرها الا لمشيئته تعالى له وايا ما كان فليس المراد بالاستثناء بيان ان ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته

متعلقا بقوله انما الآيات عند الله

حيث لم يتعلق علمه بايمانهم بمجيء ما اقترحوه فتدبر

تعالى ايضا كذلك بل ينبى عن استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها كانه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله
وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله ونقلب افئدتهم الاية كيف لا وقوله تعالى ولكن اكثرهم
يجهلون استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في ان الذي يجهلونه سواء كان
اكثرهم المسلمون وهو الظاهر او المقسمون ليس عدم ايمانهم بلا مشية الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم
على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الآخرون بل انما هو عدم ايمانهم لعدم مشيته ايمانهم
ومرجعه الى جهلهم بعدم مشيته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند
مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى
وما يشعركم الى آخره على القراءة المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم
مشيته تعالى لايمانهم حينئذ فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان لمبدأ
خطأ المقسمين ومناط اقسامهم وتقرير له على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم
انها اذا جاءتهم لا يؤمنون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم عما كان يشاهده من عداوة قريش له عليه السلام وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الاقاويل والافاعيل ببيان
ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي به كل من سبقك من الانبياء عليهم السلام ومحل الكاف النصب على انه
نعت لمصدر مؤكد لما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم مما قبله اي جعلنا لكل نبي عدوا جعلا كما جعلنا لك عدوا
والتقديم على الفعل للقصر المفيد للمبالغة والمعنى مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك
ويضارونك ولا يؤمنون ولا يبايعونك الغوائل ويجتهدون في ابطال امرك بكل ما يقدرون جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا
فعلوا بهم ما فعل بك اعداؤك لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء عليهم السلام
بخلقه تعالى للابتلاء شياطين الانس والجن اي مردة الفريقين على ان الاضافة بمعنى من البيانية وقيل
هي اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام اي الشياطين الانس
والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة
الى بيان العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله تعالى يوحي بعضهم
الى بعض كلام مستأنف مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين
او نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء كما في قوله اذا انا لم انفع صديقي بوده فان
عدوي لم يضرهم بغضي والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع اي يلقي ويوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس
او بعض كل من الفريقين الى بعض آخر زخرف القول اي المموه منه المزين ظاهره الباطل باطنه من زخرفه اذا زينه غرورا
مفعول له للوحي اي ليغروهم او مصدر في موقع الحال اي غارين او مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي اي
يغرون غرورا ولو شاء ربك رجوع الى بيان الشؤون الجارية بينه عليه السلام وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى
بين الانبياء عليهم السلام وبين اممهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
المنبئ عن كمال اللطف في التسلية اي ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة ان
مفعول المشية انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تعالى ما فعلوه اي ما فعلوا
ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض مزخرفات الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بما يعمه وامور
الانبياء عليهم السلام ايضا كما قيل فان قوله تعالى فذرهم وما يفترون صريح في ان المراد بهم الكفرة المعاصرون له عليه السلام
اي اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيته تعالى فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع
المكائد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيته تعالى على الحكم البالغة ولتصغى
اليه اي الى زخرف القول وهو على الوجه الاول علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب

لفقد شرطه اذ الغرور فعل الموحي وصغو الافئدة فعل الموحى اليه اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم به
ولتميل اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالآخرة دون ما عداها من الامور التي
يجب الايمان بها وهم كافرون بها اشعارا بما هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الآخرة محفوفة في هذه
النشأة بالمكاره وآلامها مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وباحوالها لا يدرون ان وراء تلك
المكاره لذات ودون هذه الشهوات آلاما وانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون الى حب
الشهوات التي من جملتها مزخرفات الاقاويل ومموهات الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على
حقيقة الحال ناظرين الى عواقب الامور لا يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها
واما على الوجهين الآخرين فهو لفعل محذوف يدل عليه المقام اي وليكون ذلك جعلنا والمعتزلة لما جعلوا اللام
لام العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية الظهور وليرضوه لانفسهم بعدما مالت اليه افئدتهم وليقترفوا
اي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له ما هم مقترفون له من القبائح التي لا يليق ذكرها أفغير الله أبتغي حكما كلام
مستأنف وارد على ارادة القول والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم اأميل الى زخارف
الشياطين فابتغي حكما غير الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود ومن اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت
واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه لا الى المشركين كما في قوله تعالى أفغير دين الله يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال
النصفة والمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير اما مفعول أبتغي وحكما حال منه واما بالعكس وايا ما كان فتقديمه
على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى حكما
لا مطلق الابتغاء وقيل حكما تمييز لما في غير من الابهام كقولهم ان لنا غيرها ابلا قالوا الحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ
لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى وهو الذي انزل اليكم الكتاب جملة
حالية مؤكدة للانكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار تساوي نسبته
الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي اغيره تعالى ابتغي حكما والحال
انه هو الذي انزل اليكم وانتم امة امية لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق
بان يخص به اسم الكتاب مفصلا اي مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في امر
الدين شيء من التخليط والابهام فاي حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح في ان القرآن الكريم كاف في امر الدين مغن
عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون للاعجاز دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته سبحانه لتحقيق حقية
الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين وثقوا بهم ورضوا بحكميتهم حسبما
نقل آنفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي التعبير عن التوراة والانجيل باسم الكتاب
ايماء الى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الايجاز
وايراد الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب بانهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا
له في الاصول وما لا يختلف من الفروع ومخبرا عن امور لا طريق الى معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول علماء
الفريقين وهو الظاهر فالايتاء هو التفهيم بالفعل واما الكل وهم داخلون فيه دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر ومن التفهيم
بالقوة ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرئ منزل من الانزال والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والباء في قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير
المستكن في منزل اي ملتبسا بالحق فلا تكونن من الممترين اي في انهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم آثار العلم
واحكام المعرفة والفاء لترتيب النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرآن اي في انه منزل من ربك بالحق

فيكون من باب التهييج والإلهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة للأمة وإن كان له
عليه السلام صورة وقيل الخطاب لكل أحد على معنى أن الأدلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لأحد أن يمتري
فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب النهي عن نفس علمهم بحال القرآن وتمت كلمة ربك شروع في بيان كمال الكتاب
المذكور من حيث ذاته إثر بيان كماله من حيث إضافته إليه تعالى بكونه منزلاً منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم
أهل الكتاب به وإنما عبر عنه بالكلمة لأنها الأصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها تظهر الآثار من الحكم وقرئ
كلمات ربك صدقاً وعدلاً مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى لا مبدل لكلماته
إما استئناف مبين لفضلها على غيرها إثر بيان فضلها في نفسها وإما حال أخرى من فاعل تمت على أن الظاهر مغن
عن الضمير الرابط والمعنى أنها بلغت الغاية القاصية صدقاً في الأخبار والمواعيد وعدلاً في الأقضية والأحكام
لا أحد يبدل شيئاً من ذلك بما هو أصدق وأعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى وهو السميع
لكل ما يتعلق به السمع العليم بكل ما يمكن أن يعلم فيدخل في ذلك أقوال المتحاكمين وأحوالهم الظاهرة والباطنة دخولاً
أولياً هذا وقد قيل المعنى لا أحد يقدر على أن يحرفها كما فعل بالتوراة فيكون ضماناً لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون أو لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها وإن تطع أكثر من في الأرض لما تحقق
اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من إنزال الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق
كلامه وكمال عدل أحكامه وامتناع وجود من يبدل شيئاً منهما واستبداده تعالى بالإحاطة التامة بجميع المسموعات
والمعلومات عقب ذلك ببيان أن الكفرة متصفون بنقائض تلك الكمالات من النقائص التي هي الضلال والإضلال واتباع
الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله سبحانه إبانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيراً عن الركون
إليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في الأرض الناس وبأكثرهم الكفار وقيل أهل مكة والأرض أرضها أي إن تطع بأن جعلت منهم حكماً
يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل وعن الشريعة التي شرعها لعباده إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم أن
آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يهتدون أو جهالاتهم وآراؤهم الباطلة على أن المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة
استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية كأنه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون في أمور دينهم إلا الظن وإن الظن
لا يغني من الحق شيئاً فيضلون ضلالاً مبيناً ولا ريب في أن الضال المتصدي للإرشاد إنما يرشد غيره إلى مسلك نفسه
فهم ضالون مضلون وقوله تعالى وإن هم إلا يخرصون عطف على ما قبله داخل في حكمه أي يكذبون على الله سبحانه
فيما ينسبون إليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل عبادة الأوثان ذريعة إليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها
أو يقدرون أنهم على شيء وأنى لهم ذلك ودونه مناط العيوق وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين إن ربك هو أعلم من
يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتأكيد لما يفيده من التحذير أي هو أعلم ٥
بالفريقين فاحذر أن تكون من الأولين ومن موصولة أو موصوفة في محل النصب لا بنفس أعلم فإن أفعل التفضيل لا ينصب الظاهر
في مثل هذه الصورة بل بفعل دل هو عليه أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ
يضل بضم الياء على أن من فاعل يضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر أي هو أعلم يعلم
من يضل الناس فيكون تأكيداً للتحذير عن طاعة الكفرة وإما أن الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر أي يعلم من
يضله أو مجرورة بإضافة أعلم إليها أي أعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله أو من قولك أضللته إذا وجدته
ضالاً فلا يساعده السباق والسياق والتفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه
وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه أمر مترتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة إضلالهم
تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تعبدون الله فما قتله الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم
للمسلمين كلوا مما ذكر اسمه تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط أو مع اسمه تعالى أو مات حتف أنفه
إن كنتم بآياته التي من جملتها الآيات الواردة في هذا الشأن مؤمنين فإن الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحله الله

والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه
إنكار لأن يكون لهم شيء يدعوهم إلى الاجتناب عن أكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحائر والسوائب ونحوها
وقوله تعالى وقد فصل لكم إلى آخره جملة حالية مؤكدة للإنكار كما في قوله تعالى وما لنا ألا نقاتل
في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا أي وأي سبب حاصل لكم في أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه
أو وأي غرض يحملكم على أن لا تأكلوا ويمنعكم من أكله والحال أنه قد فصل لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل لا أجد
فيما أوحي إلي محرماً الخ فبقي ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة الخ لأنها مدنية وأما التأخر
في التلاوة فلا يوجب التأخر في النزول وقرئ الفعلان على البناء للمفعول وقرئ الأول على البناء للفاعل
والثاني للمفعول إلا ما اضطررتم إليه مما حرم فإنه أيضاً حلال حينئذ وإن كثيراً أي من الكفار ليضلون
الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي وأضرابه وقرئ يضلون بأهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير
علم مقتبس من الشريعة الشريفة مستند إلى الوحي إن ربك هو أعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق إلى الباطل
والحلال إلى الحرام وذروا ظاهر الإثم وباطنه أي ما يعلن من الذنوب وما يسر أو ما يعمل منها بالجوارح وما بالقلب
وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الأخدان إن الذين يكسبون الإثم أي يكتسبونه من الظاهر والباطن سيجزون
بما كانوا يقترفون كائناً ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل للأمر ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
ظاهر في تحريم متروك التسمية عمداً كان أو نسياناً وإليه ذهب داود وعن أحمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي
بخلافه لقوله عم ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه وفرق أبو حنيفة رحمه الله بين العمد والنسيان وأوله
بالميتة أو بما ذكر عليه اسم غيره تعالى لقوله تعالى وإنه لفسق فإن الفسق ما أهل به لغير الله والضمير لما ويجوز أن يكون
للأكل المدلول عليه بلا تأكلوا والجملة مستأنفة وقيل حالية وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم المراد
بالشياطين إبليس وجنوده فإيحاؤهم وسوستهم إلى المشركين وقيل مردة المجوس فإيحاؤهم إلى أوليائهم ما أنهوا إلى
بالكتاب أن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون أن ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام
ليجادلوكم أي بالوساوس الشيطانية أو بما نقل من أباطيل المجوس وهو يؤيد التأويل بالميتة وإن أطعتموهم
في استحلال الحرام وساعدتموهم على أباطيلهم إنكم لمشركون ضرورة أن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه
في دينه فقد أشركه به تعالى بل آثره عليه سبحانه أومن كان ميتاً وقرئ ميّتاً على الأصل فأحييناه تمثيل
مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين إثر تحذيرهم عنها بالإشارة إلى أنهم مستضيئون بأنوار الوحي الإلهي والمشركين
خابطون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل إطاعتهم لهم والهمزة للإنكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية
على مثلها الذي يدل عليه الكلام أي أأنتم مثلهم ومن كان ميتاً فأعطيناه الحياة وما يتبعها من القوى المدركة
والمحركة وجعلنا له مع ذلك من الخارج نوراً عظيماً يمشي به أي بسببه والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من
الكلام كأنه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس أي فيما بينهم آمناً من جهتهم أو صفة له كمن مثله
أي صفته العجيبة وهو مبتدأ وقوله تعالى في الظلمات خبره على أن المراد بها اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته
اسم وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الأولى وقوله تعالى ليس بخارج منها
حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول أي غير خارج منها بحال وهذا كما ترى مثل أريد به من بقي في الضلالة
بحيث لا يفارقها أصلاً كما أن الأول مثل أريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الإسلام وهداه بالآيات البينة
إلى طريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على أن يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الألفاظ الواردة في
المثلين بواسطة تشبيهه بما يناسبه من معانيها فإن ألفاظ المثل باقية في معانيها الأصلية بل على أنه قد انتزعت
من الأمور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي المثلين هيئة على حدة من الأمور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي الممثل
هيئة على حدة فشبهت بهما الأوليان ونزلتا منزلتيهما فاستعمل فيهما ما يدل على الأخريين بضرب من التجوز وقد أشير

في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الآية الى ان التمثيل قسم برأسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة التمثيلية من عبارات المتأخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كما في التمثيل ونظائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع كذلك اي مثل ذلك التزيين البليغ زين اي من جهة الله عز وجل بطريق الخلق عند ايحاء الشياطين ومن جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل للكافرين التابعين للوساوس الشيطانية المخذولين بالمزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا يعملون ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الآية نزلت في حمزة رض وابي جهل وقيل في عمر وعمار رض وابي جهل وكذلك معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية من سائر القرى اكابر مجرميها ليمكروا فيها ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو او هما الظرف واكابر على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعوله الاول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه المعاني لا بد ان يكون مشهور التحقيق عند الناس معهودا فيما بينهم حتى يصلح ان يصرف الاشارة عن سباق النظم الكريم وتوجه اليه ويجعل مقياسا لنظائره باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى ما نحن فيه من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان حال المعنى حينئذ بعد التيا والتي كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الخ فاذن الاقرب ان ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد باعتبار الفريق المذكور ومحل الكاف النصب على انه مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله كذلك كنتم من قبل والاول اكابر مجرميها والظرف لغو اي ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابر المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم وما يشعرون حال من ضمير يمكرون اي انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى واذا جاءتهم آية رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل ما ذكر فان الضمير المنصوب انما هو لهم لا لسائر المجرمين اي واذا جاءتهم آية بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وعن الحسن مثله وهذا كما ترى صريح في ان ما علقوا به ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه عند الاطلاق وخلا انه ليس فيه ان يكون لهم الوحي ومخاطبة جبريل عليه السلام في الجملة وان يصرف الرسالة في قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته عن ظاهرها وتحمل على ارسال الله جبريل عليه السلام بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه ووضعها في من الذي هو الرسول اي الثاني كونه جوابا عن اقتراحهم ورده بان يكون معنى الاقتراح لن نؤمن بكون تلك الآية نازلة من عند الله تعالى الى الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يأتينا جبريل بالذات عيانا كما يأتي الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم من يليق بارسال جبريل عليه السلام اليه لامر من الامور ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه وقال الضحاك سأل كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة

ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا للرد المذكور لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلى الله عليه وسلم في الجملة من غير شمول لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في قول اللعين حتى يأتينا وحي كما يأتيه غاية لعدم الرضى لا لعدم الاتباع فانه مقرر على تقديري اتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله او ايتاء مثل ايتاء رسل الله واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الآية النازلة وحيا صادقا لا الايمان بكونها نازلة اليه عليه السلام فيكون المعنى واذا جاءتهم آية نازلة الى الرسول قالوا لن نؤمن بنزولها من عند الله تعالى حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقون دونه فان ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا الى آخره لو كان ما تدعيه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذ لم يكن الامر كذلك فليست بحق ومآله تعليق الايمان بحقية النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي حتى نؤتى ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عليه السلام وحيث نصب على المفعولية توسعا لا بنفس اعلم لما عرفت من انه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه اي هو اعلم يعلم الموضع الذي يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما ينال بفضائل نفسانية يخص بها الله تعالى من يشاء من خلص عباده وقرئ رسالاته سيصيب الذين اجرموا استئناف آخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعى عليهم حرمانهم مما املوه والسين للتأكيد ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح اي يصيبهم البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة صغار اي ذلة وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل من عند الله وعذاب شديد في الآخرة او في الدنيا بما كانوا يمكرون اي بسبب مكرهم المستمر او بمقابلته وحيث كان هذا من معظم مواد اجرامهم صرح بسببيته فمن يرد الله ان يهديه اي يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له وينفسح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله عليه وسلم حين سئل فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة كانما يصعد ما هذه مهيئة لدخول كان على الجملة الفعلية في السماء شبهه للمبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرئ يصاعد واصله يتصاعد كذلك اي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا على الوجه المذكور يجعل الله الرجس اي العذاب والخذلان قال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون اي عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار بان جعله تعالى معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم على الكفر وهذا اي البيان الذي جاء به القرآن او الاسلام او ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك اي طريقه الذي ارتضاه او عادته وطريقته التي اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم ذلك الصراط للتربية واضافة الكمال مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات بيناها مفصلة لقوم

يذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا فانما يحدث بقضاء الله تعالى
وخلقه وانه تعالى عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون
بتفصيل الآيات لهم دار السلام اي للمتذكرين دار السلامة من كل المكاره وهي الجنة عند ربهم اي في ضمانه
او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى وهو وليهم اي مولاهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الصالحة
او متوليهم بجزائها يتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا منصوب بمضمر اما على المفعولية او الظرفية وقرئ
بنون العظمة على الالتفات لتهويل الامر والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين اي واذكر يوم يحشر الثقلين قائلا
يا معشر الجن او ويوم يحشرهم يقول يا معشر الجن او ويوم يحشرهم ويقول يا معشر الجن يكون من الاحوال والاهوال
ما لا يستطاع لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم
واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع
وقال اولياؤهم اي الذين اطاعوهم ومن في قوله تعالى من الانس اما لبيان الجنس اي اولياؤهم الذين هم من الانس
او متعلقة بمحذوف هو حال من اولياؤهم اي كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن
بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة والجن بالانس بان
اطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول ما القوه اليهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم من المفاوز والمخاوف
واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا وهو يوم القيامة قالوه
اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث واظهارا للندامة عليها وتحسرا على حالهم و
استسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للايذان بان المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم
اصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلامهم كأنه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال النار مثواكم اي
منزلكم او ذات ثوائكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا او معنى
الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله قال ابن عباس رض استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون
النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مبني على ان الاستثناء ليس من المحكي وما بمعنى من وقيل المعنى الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار
الى الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد
الى الجحيم وقيل يفتح لهم وهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين في الاستثناء
تهكم بهم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ولا يخفى بعده ان ربك حكيم في افعاله
عليم باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء وكذلك اي مثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء الانس واضلالهم نولي
بعض الظالمين من الانس بعضا آخر منهم اي نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب
كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقترافهم ما يؤدي اليه من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر
والمعاصي يا معشر الجن والانس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة انفسهم
اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان مآل امرهم الم يأتكم اي في الدنيا رسل اي من عند الله عز وجل لكن
لا على ان يأتي كل رسول كل واحدة من الامم بل على ان يأتي كل امة رسول خاص بها اي الم يأت كل فريق منكم رسول معين وقوله
تعالى منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل اي كائنة من جملتكم لكن لا على انهم من جنس الفريقين معا بل من الانس خاصة وانما
جعلوا منهما اما لتأكيد وجوب اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كأنهما جنس واحد ولذلك
تمكن احدهما من اضلال الآخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت ان الجن قد استمعوا القرآن وانذروا
به قومهم حيث نطق به قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وقوله
يقصون عليكم آياتي صفة اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة
الى الثقلين وينذرونكم لقاء يومكم هذا يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما اعد لهم من افانين

العقوبات الهائلة قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد
فقيل قالوا شهدنا على انفسنا اي باتيان الرسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك
لعذاب الخلد حسبما فصل في جوابهم عن سؤال الخزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء
ان انتم الا في ضلال كبير وقد اجمل ههنا في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين وقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما اداهم في الدنيا الى ارتكابهم القبائح
التي ارتكبوها والجأهم الى الاعتراف في الآخرة بالكفر واستيجاب العذاب وذم لهم بذلك اي واغتروا في الدنيا
بالحيوة الدنية واللذات الحسية الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل واجترءوا على ارتكاب
ما يجرهم الى العذاب المؤبد الذي انذروهم اياه وشهدوا في الآخرة على انفسهم انهم كانوا في الدنيا كافرين
اي بالآيات والنذر التي اتى بها الرسل على التفصيل المذكور آنفا واضطروا الى الاستسلام لاشد العذاب كما ينبئ
عنه ما حكي عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين
عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك اشارة الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ان لم يكن ربك مهلك القرى بحذف اللام
على ان ان مصدرية او مخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم متعلق اما
بمهلك اي بسبب ظلم او بمحذوف وقع حالا من القرى اي ملتبسة بظلم فان ملابسة اهلها للظلم ملابسة القرية
له بواسطتهم واما كونه حالا من ربك او من ضميره في مهلك كما قيل فيأباه ان غفلة اهلها مأخوذة في معنى الظلم
وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله واهلها غافلون والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك مهلك القرى
بسبب اي ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل ان ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى به بديهة التعقول
وينذروا عاقبة جناياتهم اي لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل وانزال الكتب لما امكن توبيخ
بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولا اعتذروا بعدم اتيان الرسل كما في قوله تعالى
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما
علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو اهلاك القرى قبل الانذار مع ان المترتب في تعليله بانتفاء مطلق
التعذيب من غير بعث الرسل انما على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه
وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والاخروي معا من غير انذار على ابلغ وجه وآكده حيث اقتصر على نفي التعذيب
الدنيوي عنه تعالى ليثبت نفي التعذيب الاخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث
لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون انذار فلأن لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى واجلى ولو علل بما ذكر
من نفي العذاب لانصرف بحسب المقام الى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الاخروي ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض
له اصلا ولا دلالة ضرورة ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى ولان ترتب التعذيب الدنيوي على الانذار عند
عدم تأثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين فيستدلون بذلك على ان التعذيب الاخروي ايضا كذلك
فينزجرون عن الاخلال بمواجب الانذار اشد انزجار وهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم واما جعل ذلك اشارة
الى ارسال الرسل عليهم السلام وانذارهم وجعل المبتدأ المحذوف كما اطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام
والله سبحانه اعلم ولكل اي من المكلفين من الثقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة مما عملوا من اعمالهم صالحة
كانت او سيئة فان اعمالهم درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان كل جزاء مرتبة معينة لهم او من اجل
اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر ما يستحقون بها من ثواب او عقاب وقرئ
بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة وربك الغني مبتدأ وخبر اي هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كائنا من كان
وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض لوصف الربوبية في الموضعين لا سيما في الثاني

لكونه موقع الاضمار مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من اظهار اللطف به عليه السلام وتنزيه ساحته
عن توهم شمول الاذى لها ايضا ما لا يخفى وقوله تعالى ذو الرحمة خبر آخر او هو الخبر والغني صفة اي يترحم عليهم بالتكليف
تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله
تعالى ان يشأ يذهبكم اي ما به حاجة اليكم ان يشأ يذهبكم ايها العصاة وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد
ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم
عن رتبة العقلاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اي من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح
عليه السلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي على غير الصدر
فان يستخلف في معنى ينشئ كأنه قيل وينشئ انشاء كائنا كانشائكم الخ او نعت لمصدر الفعل المذكور اي يستخلف استخلافا
كائنا كانشائكم الخ والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة ان ما توعدون اي الذي توعدونه
من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددي لآت لواقع لا محالة
كقوله تعالى انما توعدون لواقع وايثار آت عليه لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما
يعرب عنه قوله تعالى وما انتم بمعجزين اي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول كما ان ايثار صيغة
الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة
الاسمية كما تدل على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام اذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام
كما حقق في موضعه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اثر ما بين لهم حالهم ومآلهم بطريق الخطاب امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب
في الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اي اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن
ابلغ التمكن او على جهتكم وحالكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى
اثبتوا على كفركم ومعاداتكم اني عامل ما امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة
وايراد التهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يؤدي اليه
وتسجيل بان المهدد لا يتأتى منه الا الشر كالذي امر به بحيث لا يجد الى التقصي عنه سبيلا فسوف تعلمون من
تكون له عاقبة الدار سوف لتأكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن استفهامية معلقة لفعل العلم محلها
الرفع على الابتداء وتكون باسمها وخبرها خبرها وهي مع خبرها في محل النصب لسدها مسد مفعولي تعلمون اي
فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها واما موصولة فمحلها النصب
على انها مفعول لتعلمون اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف في المقال وتنبيه
على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي انه اي ان الشأن لا يفلح الظالمون وضع
الظلم موضع الكفر ايذانا بان امتناع الفلاح يترتب على اي فرد كان من افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذي هو اعظم
افراده وجعلوا شروع في تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا
يعينون اشياء من حرث ونتاج لله تعالى واشياء منهما لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله تعالى زاكيا ناميا يزيد
في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لآلهتهم واذا زكى ما جعلوه لآلهتهم تركوه معتلين بان الله تعالى غني وما ذلك الا لحب
آلهتهم وايثارهم لها والجعل اما متعد الى واحد فالجاران في قوله تعالى لله مما ذرأ متعلقان به ومن في قوله
تعالى من الحرث والانعام بيان وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء
ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكي له اي عينوا لله تعالى مما خلقه من الحرث والانعام نصيبا يصرفونه الى الضيفان
والمساكين وتأخيره من المجرورين لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر واما الى مفعولين فهما لله
على ان من تبعيضية اي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قيل من ان الاول نصيبا والثاني لله لا يساعده سداد المعنى

وحكاية جعلهم له تعالى نصيبا تدل على انهم جعلوا لشركائهم ايضا نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى فقالوا
هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقرئ بضم الزاي وهو لغة فيه وانما تقيد به الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس
بجعل الله تعالى غير مستتبع لشيء من الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه على ان
ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تعالى به فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز ان يكون ذلك
تمهيدا لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه به تعالى فقوله تعالى
فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم بيان وتفصيل له اي فما عينوه لشركائهم لا يصرف
الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما عينوه لله تعالى اذا
وجدوه زاكيا يصرف اليها ما عينوه لآلهتهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك
ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذي والتقدير ساء الذي
يحكمون حكمهم مبتدأ وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك
في قسمة القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم ومثل ذلك التزيين وهو التزيين البليغ المعهود من الشياطين زين لكثير
من المشركين قتل اولادهم بوأدهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن
احدهم كما حلف عبد المطلب وهو مشهور شركاؤهم اي اولياؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل
زين اخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل
دل عليه زين كأنه لما قيل زين لهم قتل اولادهم قيل من زينه فقيل زينه شركاؤهم ليردوهم اي يهلكوهم بالاغواء
وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا
به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله اي عدم فعلهم
ذلك ما فعلوه اي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او الشركاء التزيين او الارداء واللبس او الفريقان جميع ذلك
على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة اي اذا كانوا ما فعلوه بمشيئة الله تعالى
فدعهم وافتراءهم او وما يفترونه من الافك فان فيما شاء الله تعالى حكما بالغة انما يمهلهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب
مهين وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من انواع كفرهم هذه اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم
والتأنيث للخبر انعام وحرث حجر اي حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى
لان اصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحرج اي ضيق واصله حرج وقيل
هو مقلوب من حجر لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان من الرجال دون النساء والجملة صفة اخرى
لانعام وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل قالوا اي قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وانعام
خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه انعام الخ اي قالوا مشيرين الى طائفة اخرى من الانعام وهذه
انعام حرمت ظهورها يعنون بها البحائر والسوائب والحوامي وانعام اي وهذه انعام كما مر قوله تعالى لا يذكرون
اسم الله عليها صفة لانعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا
له عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله على احد التفاسير كأنه قيل وانعام
ذبحت على الاصنام فانها التي لا يذكر اسم الله عليها وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج لا يعرى
عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لا ان ركبوا
ولا ان حلبوا ولا ان نتجوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا افتراء عليه نصب على المصدر اما على ان ما قالوه تقول
على الله تعالى على تقدير عامل من لفظه اي افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا او بافتراء لان المصدر المؤكد لا يعمل
او على الحال من فاعل قالوا اي مفترين او على العلة اي للافتراء فالجار على التقديرين متعلق به سيجزيهم بما كانوا
يفترون اي بسببه او بدله وفي ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لفن آخر من فنون كفرهم

ما في بطون هذه الأنعام يعنون به أجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا حلال لهم خاصة والتاء
للنقل إلى الاسمية أو للمبالغة أو لأن الخالصة مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة أو بحذف المضاف
أي ذو خالصة أو للتأنيث بناء على أن ما عبارة عن الأجنة والتذكير في قوله تعالى ومحرم على أزواجنا أي
جنس أزواجنا وهن الإناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل النظم الكريم على خلاف المعهود الذي هو الحمل على اللفظ
أولا وعلى المعنى ثانيا كما في قوله ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم الخ ونظائره وأما العكس فقد قالوا إنه
لا نظير له في القرآن وهذا الحكم منهم إن ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد وإن يكن ميتة أي إن ولدت ميتة فهم
أي الذكور والإناث فيه أي فيما في بطون الأنعام وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والأنثى فغلب الأنثى على الذكر شركاء
يأكلون منه جميعا وقرئ خالصةً بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا أو حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي
في ذكورنا ولا من الذكور لأنه لا يتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالصة بالرفع والإضافة
إلى الضمير على أنه بدل من ما أو مبتدأ ثان سيجزيهم وصفهم أي جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى في أمر التحليل والتحريم من قوله
تعالى وتصف ألسنتهم الكذب إنه حكيم عليم تعليل للوعد بالجزاء فإن الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم
الذي هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين قتلوا أولادهم جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر
وأضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر أي خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم متعلق
بقتلوا على أنه علة له أي لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله هو الرزاق لهم ولأولادهم أو نصب على الحال ويؤيده أنه قرئ
سفهاء أو مصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها افتراء على الله نصب على أحد الوجوه المذكورة
وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لإظهار كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين
إليه وإن هدوا بفنون الهدايات أو وما كانوا مهتدين من الأصل لسوء سيرتهم فالجملة اعتراض وعلى الأول عطف
على ضلوا وهو الذي أنشأ جنات معروشات تمهيد لما سيأتي من تفصيل أحوال الأنعام أي هو الذي أنشأهن
من غير شركة لأحد في ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات من الكروم المرفوعات على ما يحملها وغير معروشات
وهي الملقيات على وجه الأرض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير المعروشات مما نبت في البراري
والجبال والنخل والزرع عطف على جنات أي أنشأهما مختلفا أكله وقرئ أكله بسكون الكاف أي ثمره الذي يؤكل
في الهيئة والكيفية والضمير إما للنخل والزرع داخل في حكمه أو للزرع والباقي مقيس عليه أو للجميع على تقدير أكل ذلك
أو كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة إذ ليس كذلك وقت الإنشاء والزيتون والرمان أي أنشأهما وقوله تعالى
متشابها وغير متشابه نصب على الحالية أي يتشابه بعض أفرادهما في اللون والهيئة أو الطعم ولا يتشابه بعضها
كلوا من ثمره أي من ثمر كل واحد من ذلك إذا أثمر وإن لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الأكل
منه قبل أداء حق الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده أريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب
من غير تعيين المقدار لا الزكاة المقدرة فإنها فرضت بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والأمر بإيتائها
يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتنقية وقرئ حصاده
بكسر الحاء وهو لغة ولا تسرفوا أي في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كلها ولم يدخل
منه شيئا إلى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية إنه لا يحب المسرفين أي لا يرتضي إسرافهم ومن الأنعام
حمولة وفرشا شروع في تفصيل حال الأنعام وإبطال ما تقولوا على الله تعالى في شأنها بالتحريم والتحليل وهو عطف على مفعول
أنشأ ومن متعلقة به أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل عليه الأثقال وما يفرش للذبح أو ما يفرش المنسوج من شعره
وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض كأنها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله
ما عبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية أي كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى أي حلالا له وفيه تصريح بأن إنشاءها
لأجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا في أمر التحليل والتحريم بتقليد أسلافكم المجازفين في ذلك من تلقاء أنفسهم المفترين على الله

سبحانه خطوات الشيطان فإن ذلك منهم بإغواء الشيطان واستتباعه إياهم إنه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة ثمانية أزواج الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الأنواع
الأربعة وإيرادها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الإنكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر
والأنثى وما في بطنها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب بما نصبهما وجعله منصوبا بكلوا على أن قوله ولا تتبعوا
الآية معترض بينهما أو حالا من ما بمعنى مختلفة أو متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور أنه مسوق لتوضيح حال
الأنعام بتفصيلها أولا إلى حمولة وفرش ثم تفصيلهما إلى ثمانية أزواج حاصلة من تفصيل الأول إلى الإبل والبقر
وتفصيل الثاني إلى الضأن والمعز ثم تفصيل كل من الأقسام الأربعة إلى الذكر والأنثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا
فيها عليه سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم بإظهار كذبهم وافترائهم في كل مادة من تلك المواد بتوجيه الإنكار
إليها مفصلة واثنين في قوله سبحانه وتعالى من الضأن اثنين بدل من ثمانية أزواج منصوب بناصبه وهو
العامل في من أي أنشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالإبل
وجمعه ضئين كأمير أو جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة ومن المعز اثنين عطف على مثله شريك له في حكمه أي
وأنشأ من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن المعزى
وهذه الأزواج الأربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل مع تأخر أصلها في الإجمال لكون هذين النوعين
عرضة للأكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على الأمر به في قوله تعالى كلوا مما رزقكم
الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة وأخواتها قل تلوين للخطاب وتوجيه له إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم إثر تفصيل أنواع الأنعام التي أنشأها أي قل تبكيتا لهم وإظهارا لانقطاعهم عن الجواب
آلذكرين من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس حرم أي الله عز وجل كما تزعمون أنه هو المحرم أم الأنثيين وهما النعجة
والعنز ونصب الذكرين والأنثيين بحرم وهو متأخر عنهما بحسب المعنى وإن توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى أم ما اشتملت
عليه أرحام الأنثيين أي أم ما حملت إناث النوعين حرم ذكرا كان أو أنثى وهو قوله تعالى نبئوني بعلم إلى آخره
تكرير للإلزام وتثنية للتبكيت والإفحام أي أخبروني بأمر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب أو أخبار الأنبياء يدل
على أنه تعالى حرم شيئا مما ذكر أو نبئوني في تنبيه ملتبسة بعلم صادرة عنه إن كنتم صادقين أي في دعوى التحريم عليه
سبحانه وقوله تعالى ومن الإبل اثنين عطف على قوله تعالى من الضأن اثنين أي وأنشأ من الإبل اثنين هما الجمل
والناقة ومن البقر اثنين ذكرا وأنثى قل إفحاما لهم في أمر هذين النوعين أيضا آلذكرين منهما حرم أم الأنثيين
أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من ذينك النوعين والمعنى إنكار أن الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الأنواع
الأربعة وإظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والإناث وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بإيراد الإنكار
على كل مادة من مواد افترائهم فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيفما كانت تارة أخرى
مسندين ذلك كله إلى الله سبحانه وإنما عقب تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الأمر بالاستفهام
والإنكار مع حصول التبكيت بإيراد الأمر عقيب تفصيل الأنواع الأربعة بأن يقال آلذكور حرم أم الإناث أم ما اشتملت
عليه أرحام الإناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة في التبكيت والإلزام وقوله تعالى أم كنتم شهداء تكرير للإفحام
كقوله تعالى نبئوني بعلم وأم منقطعة ومعنى الهمزة الإنكار والتوبيخ ومعنى بل الإضراب عن التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بوجه آخر
أي بل كنتم حاضرين شاهدين إذ وصاكم الله بهذا أي حين وصاكم بهذا التحريم إذ أنتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم
حينئذ إلى معرفة أمثال ذلك إلا المشاهدة والسماع وفيه تركيك عقولهم وتهكم بهم ما لا يخفى فمن أظلم
ممن افترى على الله كذبا فنسب إليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبيرهم المقرر لذلك عمرو بن لحي بن قمعة وهو
المؤسس لهذا الشر أو الكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى أي فأي فريق أظلم من فريق افتروا الخ ولا يتلخص
في الظلمية الكل كون بعضهم مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم وإظهار

كذبهم وافترائهم اي هو اظلم من كل ظالم وان كان المنفي صريحا الاظلمية دون المساواة كما مر غير مرة ليضل الناس
متعلق بالافتراء بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى
وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى ايذانا بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات
فان من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه اذا كان اظلم من كل ظالم فما ظنك بمن
افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه ويجوز ان يكون حالا من فاعل يضل اي ملتبسا بغير علم بما يؤدي بهم اليه
ان الله لا يهدي القوم الظالمين كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا او آجلا واذا كان هذا حال المتصفين
بالظلم في الجملة فما ظنك بمن هو في اقصى غاياته قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم
وبيان ان ما يقولون في امر التحريم افتراء بحت لا اصل له قطعا بان يبين لهم ما حرمه عليهم وفي قوله تعالى لا اجد فيما
اوحي الي محرما ايذان بان مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه عم قد تتبع جميع ما اوحي اليه وتفحص عن المحرمات فلم يجد
غير ما فصل وفيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك محرما صفة لمحذوف اي لا اجد شيئا تصفحت ما اوحي الي طعاما محرما
من المطاعم التي حرموها على طاعم اي اي طاعم كان من ذكر او انثى رد على قولهم محرم على ازواجنا وقوله تعالى يطعمه لزيادة
التقرير الا ان يكون اي ذلك الطعام ميتة وقرئ تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على ان كان تامة وقوله
تعالى او دما مسفوحا حينئذ عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدماء التي
في العروق لا كالطحال والكبد او لحم خنزير فانه اي الخنزير رجس اي لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث او فسقا
عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته اهل لغير الله به صفة له موضحة اي ذبح على اسم الاصنام وانما
سمي ذلك فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن
في يكون فمن اضطر اي اصابته الضرورة الداعية الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة غير باغ في ذلك على مضطر آخر
ولا عاد متلذذ قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال
الاولى لبيان انه لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر هو اخذه حق مضطر آخر فان من اخذ
لحم الميتة من يد مضطر آخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه للمضطر الآخر واما الحال
الثانية فلتحقق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز عن القدر الذي يسد الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي
التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية محكمة لانها تدل على انه عم
لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا يصح الاستدلال
بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي هي غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا
خاصة لا على من عداهم من الاولين والآخرين حرمنا كل ذي ظفر اي كل ما له اصبع من الابل والسباع والطيور
وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا والمسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر
حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية
اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن
بعدهما حتى انتهى الامر الينا ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم
الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم
بظهورهما عن حكم التحريم او الحوايا عطف على ظهورهما اي ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء
وقواصع او حوية كسفينة وسفائن او ما اختلط بعظم عطف على ما حملت وهو شحم الالية لاختلاطه بالعظم
اتصالها بعجب الذنب وقيل هو كل متصل بالعظم من الاضلاع وغيرها ذلك اشارة الى الجزاء او التحريم فهو على الاول نصب
على انه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني على انه مفعول ثان له اي ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم
وهو قتلهم الانبياء بغير حق واكلهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين

هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك و
يدعون انها لم تزل محرمة على الامم فرد عليهم ذلك واكد بقوله تعالى وانا لصادقون اي في جميع اخبارنا التي
من جملتها هذا الخبر ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل
ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا
ان يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون اوضح بيان فان كذبوك قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا
ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الاشراك وقيل للمشركين فالمعنى على الاول ان كذبك اليهود في الحكم المذكور واصروا
على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم بكل ما تأتون من المعاصي
ويمهلكم على بعضها ولا يرد بأسه بالكلية عن القوم المجرمين فلا تنكروا ما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات
عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فان كذبك المشركون فيما فصل من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو
رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين
وذو بأس شديد على المجرمين فاقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم
مع الدلالة على انه لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم اصلا سيقول الذين اشركوا حكاية لفن آخر من كفرهم
واخبار قبل وقوعه ثم وقوعه حسبما اخبر به كما يحكيه قوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء صريح في انه عند الله تعالى لو شاء الله ما اشركنا اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء
لما فعلنا الاشراك نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى لا الاعتذار
من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة الا ترى الى قوله تعالى كذلك
كذب الذين من قبلهم اي مثل ما كذب هؤلاء في انه تعالى شرع الشرك ولم يحرم ما حرموه وكذب متقدموهم الرسل
فانه صريح فيما قلنا وعطف آباؤنا على الضمير المتصل بلا للفصل حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم
من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا اي فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون في
ذلك القول الا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئا وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله عز وجل وليس فيه دلالة على المنع
من اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي قل فلله الحجة البالغة الفاء جواب شرط محذوف اي واذ قد
ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة اي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات او بلغ بها صاحبها صحة
دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم
اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية البعض الصارفين هممهم الى سلوك طريق
الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم اي
احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف على لغة اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بني تميم على راي الجمهور وقد خالفهم
البعض في فعليته وليس بشيء واصله عند البصريين ها لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل
وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما
في الآية ولازما كما في قوله تعالى هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وانما
امروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة
ووصفوا بما يدل على انهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم فان شهدوا بعدما حضروا بان الله تعالى حرم
هذا فلا تشهد معهم اي فلا تصدقهم فانه كذب بحت وافتراء صرف وبين لهم فساده فان تسليمه منهم موافقة
لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على ان من كذب
بآيات الله تعالى وعدل به غيره فهو متبع الهوى لا غير وان من اتبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون
بالآخرة كعبدة الاوثان عطف على الموصول الاول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله

الى المساجد القرم وابن الهمام ونت الكتاب في المزدحم فان من يكذب بآيات الله تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس وهم
بربهم يعدلون اي يجعلون له عديلا عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع اهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله
وبين الكفر بالآخرة وبين الاشراك به سبحانه لكن لا على ان يكون مدار النهي الجمع المذكور بل على ان اولئك جامعون لها
متصفون بكلها قل تعالوا امر له عليه السلام بعد ما ظهر بطلان ما ادعوا من ان اشراكهم واشراك آبائهم وتحريم ما حرموه بامر الله تعالى ومشيئته
بظهور عجزهم عن اخراج شيء يتمسك به في ذلك واحضار شهداء يشهدون بما ادعوا في امر التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد اخرى
عجزا بينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من المحرمات ما تقتضي الحال بيانه على الاسلوب الحكيم ايذانا
بان حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات واما الاطعمة المحرمة فقد بينت بقوله تعالى قل لا اجد الآية وتعالوا امر من التعالي
والاصل فيه ان يقوله من في مكان عال لمن هو في اسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما ان الغنيمة في الاصل اصابة الغنم
من العدو ثم استعملت في اصابة كل ما يصاب منهم ثم في الفوز بكل مطلب من غير مشقة اتل جواب الامر وقوله تعالى
ما حرم ربكم منصوب به على ان ما موصولة والعائد محذوف اي اقرأ الذي حرمه ربكم اي الآيات المشتملة عليه
او مصدرية اي الآيات المشتملة على تحريمه او يحرم على انها استفهامية والجملة مفعول لاتل لان التلاوة من باب القول
كانه قيل اقل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم على كل حال وقيل باتل والاول انسب بمقام الاعتناء بايجاب الانتهاء
عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم فان تذكير كونه تعالى ربا لهم
ومالكا لامرهم على الاطلاق من اقوى الدواعي الى انتهائهم عما نهاهم عنه اشد انتهاء وان في قوله تعالى ان لا تشركوا
مفسرة لفعل التلاوة المتعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الاوامر والنواهي عليه وليس من ضرورة
كون المعطوف عليه تفسيرا للتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوف ايضا كذلك حتى يمتنع انتظام الاوامر في
سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار لوازمها التي هي النهي المتعلقة باضدادها فما تعلقت هي به
فان الامر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كان الاوامر ذكرت وقصد لوازمها فان عطفها
على النواهي الواقعة بعد ان المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بان المأمورية لا يكون محرما دليل واضح على ان التحريم
راجع الى الاضداد على الوجه المذكور كانه قيل اتل ما حرم ربكم ان لا تشركوا ولا تسيئوا الى الوالدين خلا انه قد
اخرج مخرج الامر بالاحسان اليهما بين النهيين المكتنفين له للمبالغة في ايجاب مراعاة حقوقهما فان مجرد ترك الاساءة
غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النهي عن الاشراك الذي هو اعظم المحرمات واكبر الكبائر هنا وفي سائر
المواقع وقيل ان ناصبة ومحلها النصب بعليكم على انه للاغراء وقيل النصب على البدلية من ما حرم وقيل من عائده
المحذوف على ان لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا بزيادة لا
وقيل وقيل والذي عليه التعويل هو الاول لان في اخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله
تعالى شيئا نصب على المصدرية او المفعولية اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك او شيئا من الاشياء وبالوالدين
اي احسنوا بهما احسانا وقد مر تحقيقه ولا تقتلوا اولادكم تكليف متعلق بحقوق الاولاد عقب به التكليف المتعلق
بحقوق الوالدين اي لا تقتلوهم بالوأد من املاق اي من اجل فقر كما في قوله تعالى خشية املاق وقيل هذا في الفقراء
وذاك في المتوقع وقوله تعالى نحن نرزقكم واياهم استئناف مسوق لتعليل النهي وابطال سببية ما اتخذوه سببا له
النهي عنه ضمان منه تعالى لارزاقهم اي نحن نرزق الفريقين لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق
وقوله تعالى ولا تقربوا الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الآية الا انه جيء هنا بصيغة الجمع
قصدا الى النهي عن انواعها ولذلك ابدل عنها قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن اي ما يفعل منها علانية في الحوانيت
كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو عادة اشرافهم وتعليق النهي بقربانها اما للمبالغة في الزجر
عنها لقوة الدواعي اليها واما لان قربانها داع الى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن القتل
مطلقا كما وقع في سورة بني اسرائيل باعتبار انها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا

في حكم الاموات وقد قال عليه السلام في حق العزل ذلك وأد خفي ومن ههنا تبين ان حمل الفواحش على الكبائر
مطلقا بين النحو والحائد ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي حرم قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد فيخرج
منها الحربي وفي قوله تعالى الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تقتلوها في حال من الاحوال الا حال
ملابستكم بالحق الذي هو امر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان وقتل النفس
المعصومة او من اعم الاسباب اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وهو ما ذكر او من اعم المصادر
اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل باحد الامور المذكورة ذلكم اشارة الى ما ذكر من التكاليف
الخمسة وما ذلك من معنى البعد للايذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تعالى وصاكم به
اي امركم به ربكم امرا مؤكدا خبره والجملة استئناف جيء به تجديدا وتأكيدا للايجاب المحافظة على ما كلفوه ولما
كانت الامور المنهي عنها مما تقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى لعلكم تعقلون اي تستعملون
عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا مال اليتيم توجيه النهي الى قربانه
للمبالغة في النهي عن اكله ولاخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء اي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه
الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب للاولياء والاوصياء
لقوله تعالى حتى يبلغ اشده فانه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كأنه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فح
سلموه اليه كما في قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككلب واكلب
او شد كصر واصر وقيل هو مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها
الا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جيء به عقيب الامر بالعدل للايذان بان مراعاة العدل كما هو عسير كأنه
قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان
اي المقول له وعليه ذا قربى اي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد
الله اوفوا اي ما عهد اليكم من الامور المعدودة او اي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا او ما عاهدتم الله
عليه من الايمان والنذور وتقديمه للاعتناء بشأنه ذلكم اشارة الى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل
وصاكم به امركم به امرا مؤكدا لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال
وهذه احكام عشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار عن ابن عباس رضي هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع
الكتب وهي محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار
والذي نفسي بيده ان هذه الآيات لاول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الآيات وان هذا صراطي
اشارة الى ما ذكر في الآيتين من الامر والنهي قاله مقاتل وقيل الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد
والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء ومعنى اضافته الى ضميره عم انتسابه اليه عليه السلام من حيث السلوك
لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان ان ما فصل من الاوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة به
عليه السلام ايضا وانه عم مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى مستقيما حال مؤكدة ومحل ان مع ما في حيزها
الجر بحذف لام العلة اي ولان هذا صراطي اي مسلكي مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله
احدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه السلام لا بكونه صراط الله تعالى مع انه في نفسه كذلك من حيث ان سلوكه
عليه السلام فيه داع للخلق الى الاتباع اذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف
وقرئ ان هذا مخففة من ان على ان اسمها الذي هو ضمير الشان محذوف وقرئ سراطي وقرئ هذا صراطي وقرئ
هذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او طرق البدع والضلالات فتفرق بكم
بحذف احدى التاءين والباء للتعدية اي فتفرقكم حسب تفرقها ايادي سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان
ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب ابلغ من اذهبه عن سبيله اي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج

وهو دين الإسلام الذي ذكر بعض أحكامه وقيل هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على أن صراطه
عليه السلام عين سبيل الله تعالى ذلكم إشارة إلى ما مر من اتباع سبيله وترك سائر السبل وصاكم به لعلكم
تتقون اتباع سبل الكفر والضلالة ثم آتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا للوصية وتحقيقا
لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر إنزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات إلى التكلم معطوف على مقدر
يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستئناف تصديقا له وتقريرا
لمضمونه فعلنا ذلكم ثم آتينا الخ كما أن قوله تعالى ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى أولم يهد للذين
الخ كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ وأما عطفه على ذلكم وصاكم به ونظمه معه في سلك الكلام الملقن
كما أجمع عليه الجمهور فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم فتدبر وثم للتراخي في الإخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما
صنعت أمس أعجب أو للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى التوراة
فإن إيتاءها مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها أعظم من الوصية بها فقط تماما للكرامة والنعمة أي إتماما
لها على أنه مصدر من أتم بحذف الزوائد على الذي أحسن أي على من أحسن القيام به كائنا من كان ويؤيده أنه
قرئ على الذين أحسنوا وتماما على المحسنين أو على الذي أحسن تبليغه وهو موسى عليه السلام أو تماما على ما أحسنه
موسى عليه السلام أي أجاده من العلم والشرائع أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع على أنه خبر محذوف أي على الذي
هو أحسن دين وأرضاه وآتينا موسى الكتاب تماما أي تاما كاملا على أحسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل
شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج إليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما إما على العلية أو على المصدرية كما أشير إليه
أو على الحالية وكذا قوله تعالى وهدى ورحمة وضمير لعلهم لبني إسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى وإيتاء الكتاب والباء
في قوله تعالى بلقاء ربهم متعلقة بقوله تعالى يؤمنون قدمت عليه محافظة على الفواصل قال ابن عباس رضي الله
عنهما كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعذاب وهذا الذي تليت عليكم أوامره ونواهيه أي القرآن كتاب
عظيم الشأن لا يقادر قدره وقوله تعالى أنزلناه مبارك أي كثير المنافع دينا ودنيا صفتان لكتاب وتقديم وصف الإنزال
مع كونه غير صريح لأن الكلام مع منكريه أو خبران آخران لاسم الإشارة أي أنزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينية والدنيوية
التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى فاتبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن عظم شأن الكتاب
في نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتباعه أي إيجاب واتقوا
مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بموجبه أن تقولوا علة لأنزلناه المدلول عليه بالمذكور
لا لنفسه للزوم الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي هو مبارك وصفا كان أو خبرا أي أنزلناه كراهة أن تقولوا
يوم القيامة لو لم ننزله إنما أنزل الكتاب الناطق بتلك الأحكام العامة لكل الأمم على طائفتين كائنتين من قبلنا
وهما اليهود والنصارى وتخصيص الإنزال بكتابيهما لأنهما اللذان اشتهرا حينئذ فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الأحكام
لا سيما الأحكام المذكورة وإن كنا هي المخففة من إن واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف ومرادهم
بذلك دفع ما يرد عليهم من أن نزوله عليهما لا ينافي عموم أحكامه فلم لم تعملوا بأحكامه العامة أي وإنه كنا عن
دراستهم لغافلين لا ندري ما في كتابهم إذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الأحكام العامة ونحافظ عليها وإن لم يكن
منزلا علينا وبهذا تبين أن معذرتهم هذه مع أنهم غير مأمورين بما في الكتابين لاشتمالهما على الأحكام المذكورة المتناولة
لكافة الأمم كما أن قطع تلك المعذرة بإنزال القرآن لاشتماله أيضا عليها لا على سائر الشرائع والأحكام فقط أو تقولوا
عطف على تقولوا وقرئ كلاهما بالياء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا لو أنا أنزل علينا الكتاب كما أنزل
عليهم لكنا أهدى منهم إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى أو إلى ما في تضاعيفه من جلائل الأحكام والشرائع ودقائقها
لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والأخبار والخطب والأشعار ونحو ذلك طرا ونحن أميون
وقوله تعالى فقد جاءكم متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة إما معلل به أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم

إلى آخره وإما شرط له أي إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم من كونكم أهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم
فقد حصل ما فرضتم وجاءكم بينة أي بينة أي حجة واضحة لا يكتنه كنهها وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءكم أو
بمحذوف هو صفة لبينة أي بينة كائنة منه تعالى وأيا ما كان ففيه دلالة على فضلها الإضافي كما أن في تنوينها التفخيمي
دلالة على فضلها الذاتي وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم مزيد تأكيد لإيجاب الاتباع وهدى ورحمة
عطف على بينة وتنوينهما أيضا تفخيمي عبر عن القرآن بالبينة إيذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة تنبيها
على أنه مشتمل على ما اشتمل عليه التوراة من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة فمن أظلم الفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فإن مجيء القرآن المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية أظلمية من يكذبه أي وإذا كان الأمر
كذلك فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصا على اتصافهم بما في حيز
الصلة وإشعارا بعلة الحكم وإسقاطا لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله تعالى تهويلا للأمر وتنبيها
على أن تكذيب أي آية كانت من آيات الله تعالى كاف في الأظلمية فما ظنك بتكذيب القرآن المنطوي على الكل والمعنى إنكار
أن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساويا له وإن لم يكن سبك التركيب متعرضا لإنكار المساواة ونفيها فإذا قيل
من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد به حتما بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد أنه أكرم من كل كريم وأفضل
من كل فاضل وقد مر مرارا وصدف عنها أي صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والإضلال سنجزي الذين يصدفون
الناس عن آياتنا وعيد لهم ببيان جزاء إضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم أيضا ووضع الموصول موضع الضمير
لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب أي العذاب السيء الشديد النكاية بما كانوا يصدفون أي بسبب ما كانوا يفعلون
الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما أشعر به إجراء الحكم على الموصول من علية ما في حيز الصلة له
هل ينظرون استئناف مسوق لبيان أنه لا يتأتى منهم الإيمان بإنزال ما ذكر من البينات والهدى وأنهم لا يرعوون عن التمادي
في المكابرة واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الآيات الملجئة وأن الإيمان عند إتيانها مما لا فائدة له أصلا مبالغة
في التبليغ والإنذار وإزاحة العلل والأعذار أي ما ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك حسبما اقترحوا
بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وبقولهم أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وبقولهم لولا أنزل عليه ملك ونحو
ذلك وقيل إلا أن تأتيهم ملائكة العذاب أو يأتي أمر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سيجيء وقرئ يأتيهم بالياء
لأن تأنيث الملائكة غير حقيقي أو يأتي بعض آيات ربك أي غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم أو تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا ونحو ذلك من عظائم الآيات التي علقوا بها إيمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كما أن إضافة
الآيات في الموضعين إلى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك وإضافته إلى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف
وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وبإتيانه سبحانه وتعالى إتيان كل آياته بمعنى آيات القيامة والهلاك الكلي
بقرينة ما بعده من إتيان بعض آياته تعالى على أن المراد أشراط الساعة التي هي الدخان ودابة الأرض وخسف بالمشرق
وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام
ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن إتيان هذه الأمور مما ينتظر ويتوقع كإتيان ما اقترحوه
من الآيات فإن تعليق إيمانهم بإتيانها انتظار منهم له ظاهرا حمل الانتظار على التمثيل المبني على تشبيه حالهم
في الإصرار على الكفر والتمادي في العناد إلى أن تأتيهم تلك الأمور الهائلة التي لا بد لهم من الإيمان عند مشاهدتها
البتة بحال المنتظرين لها وأنت خبير بأن النظم الكريم بسباقه المنبئ عن تماديهم في تكذيب آيات الله تعالى وعدم
الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم نفع الإيمان عند إتيان ما ينتظرونه يستدعي أن يحمل ذلك على أمور هائلة تخص
بهم إما بأن تكون عبارة عما اقترحوه أو عن عقوبات مترتبة على جناياتهم كإتيان ملائكة الموت وإتيان كل آيات
القيامة وظهور أشراط الساعة مع شمول إتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غائلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا يساعده المقام
على أن بعض أشراط الساعة ليس مما ينسد به باب الإيمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الآيات في قوله عز وعلا يوم يأتي

بعض آيات ربك على نعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي عليه يدور فلك التكليف فإنه بمنزلة الكبرى من الشكل الأول لينتج التقريب بدخول ما ينتظرونه في ذلك دخولا أوليا ويوم منصوب بقوله تعالى لا ينفع فإن امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف أي لا ينفع فيه نفسا من النفوس إيمانها حينئذ لانكشاف الحال وكون الأمر عيانا ومدار قبول الإيمان أن يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وقرئ لا تنفع بالتاء الفوقانية لاكتساب الإيمان التأنيث من المضاف إليه ثانيا وقوله تعالى لم تكن آمنت من قبل أي من قبل إتيان بعض الآيات صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاشتماله على ضمير الموصوف ولا ضير فيه لأنه غير أجنبي منه لاشتراكهما في العامل وقوله تعالى أو كسبت في إيمانها خيرا عطف على آمنت بإيراد الترديد على النفي المفيد لكفاية أحد النفيين في عدم النفع والمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفسا لم تقدم إيمانها أو قدمته ولم تكسب فيه خيرا ومن ضرورته اشتراط النفع بتحقق الأمرين أي الإيمان المقدم والخير المكسوب فيه معا بمعنى أن النافع هو تحققهما والإيمان المؤخر لغو وتحصيل للحاصل لا أنه النافع وتحققهما شرط في نفعه كما لو كان المقدم غير المؤخر بالذات فإن قولك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه أنهما ينفعانه عند وقوعهما بعد الإيمان وقد استدل به أهل الاعتزال على عدم اعتبار الإيمان المجرد عن الأعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفي الترديد المستلزم لعمومه المفيد بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الأمرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق أحدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقي فالمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفسا لم يصدر عنها من قبل أحد الأمرين إما الإيمان المجرد أو الخير المكسوب فيه فيتحقق النفع بأيهما كان حسبما ينطق به النصوص الكريمة من الآيات والأحاديث وما قيل من أن عدم الإيمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا فائدة على أن الموجب للخلود في النار هو العدم الأول من غير أن يكون للثاني دخل ما في ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغوا من الكلام مبني على توهم أن المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين مجرد بيان إيجابهما الخلود فيها وعدم نفع الإيمان الحادث في إنجائها عنه وليس كذلك ولا الكلام في بيان أن لا ينفع نفسا إيمانها الحادث بل المقصد الأصلي من وصفها بذينك العدمين في أثناء بيان عدم نفع الإيمان الحادث تحقيق أن موجب النفع إحدى ملكتيهما أعني الإيمان السابق والخير المكسوب فيه بما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل إلى أن يقال كما أن عدم الأول مستقل في إيجاب الخلود في النار فيلغو ذكر عدم الثاني كذلك وجوده مستقل في إيجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني لغوا إذ لا قياس مع الفارق كيف والخلود فيها أمر لا يتصور فيه تعدد العلل وأما الخلاص عنها مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مرتب على نفس الإيمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا وإنما لم يقتصر على بيان ما يوجب أصل النفع وهو الإيمان السابق مع أنه هو المقابل لما لا يوجبه أصلا أعني الإيمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الزائد أيضا إرشادا إلى التحري الأعلى وتنبيها على كفاية الأدنى وإقناطا للكفرة عما علقوا به أطماعهم الفارغة من أعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الأرحام وإعتاق الرقاب وفك العناة وإغاثة الملهوفين وقرى الأضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان أن كل ذلك لغو بحت لابتنائه على غير أساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح الآية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وأن الإيمان الحادث كما لا ينفعهم بانضمام أعمالهم السابقة واللاحقة ولك أن تقول المقصود بوصف النفس بما ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة في تمردهم وتفريطهم في كل واحد من الأمرين الواجبين عليهم وإن كان وجوب أحدهما منوطا بالآخر كما في قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى تسجيلا بكمال طغيانهم وإيذانا بتضاعف عقابهم لما تقرر من أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة كما ينبئ عنه قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة إذا تحققت هذا وقفت على أن الآية الكريمة أحق بأن تكون حجة على المعتزلة من أن تكون لهم وقيل إنها من باب اللف التقديري أي لا ينفع نفسا إيمانها ولا كسبها في الإيمان لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه وليس بواضح فإن مبنى اللف التقديري أن يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام

الصيام ... كما إذا طلعت الشمس ... من لم يكن ... الزائفة ... الكريمة

فتدبر ذكره تعويلا على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه إياه كما مر في تفسير قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا فإنه قد طوي في المفصل ذكر حشر المؤمنين ثقة بإنباء التفصيل عنه أعني قوله تعالى فأما الذين آمنوا الآية ولا ريب في أن مدار ما قدر ههنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى أو كسبت في إيمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لا تفليس مما وعدوه وعلقوه بإتيان ما ذكر من الآيات كالإيمان به حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه إذ ذاك على أن ذلك مشعر بأن لهم بعد ما أصابهم بقاء على السلامة وزمانا يتأتى منهم الكسب والعمل فيه من الإخلال بمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد أجيب عن الاستدلال بوجوه أخر تقتضي رأيها إسقاط الآية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون القوية الدلالة على ما ذكر من كفاية الإيمان المجرد عن العمل في الإنجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من أن الظني بمعزل من معارضة القطعي قل لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد انتظروا ما تنتظرونه من إتيان أحد الأمور الثلاثة لتروا أي شيء تنتظرون إنا منتظرون لذلك لتشاهدوا ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تأييد لكون المراد بما ينتظرونه إتيان ملائكة العذاب أو إتيان أمره بالعذاب كما أشير إليه وعدة ضمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بمعاينتهم لما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذي شاهدوه يوم بدر والله سبحانه وتعالى أعلم إن الذين فرقوا دينهم استئناف لبيان أحوال أهل الكتابين إثر بيان حال المشركين أي بددوه وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا أي باينوا فإن ترك بعضه وإن كان بأخذ بعض آخر منه ترك للكل ومفارقة له وكانوا شيعا أي فرقا تشيع كل فرقة إماما لها قال عليه السلام افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من أهل الكتابين إنما هو بالنظر إلى العصر الماضي قبل النسخ وأما بعده فالكل في الهاوية وإن اختلفت أسباب دخولهم فمعنى قوله لست منهم في شيء لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة والمؤاخذة وقيل من قتالهم في شيء سوى تبليغ الرسالة وإظهار شعائر الدين الحق الذي أمرت بالدعوة إليه فيكون منسوخا بآية السيف وقوله تعالى إنما أمرهم إلى الله تعليل للنفي المذكور أي هو يتولى وحده أمر أولاهم وأخراهم ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة يؤاخذهم في الدنيا متى شاء ويأمرك بقتالهم إذا أراد وقيل المفرقون أهل البدع والأهواء الزائغة من هذه الأمة ويرده أنه عليه السلام مأمور بمؤاخذتهم والاعتذار بأن معنى لست منهم في شيء حينئذ أنت بريء منهم ومن مذهبهم وهم برآء منك يأباه التعليل المذكور ثم ينبئهم أي يوم القيامة بما كانوا يفعلون عبر عن إظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في أنهما سببان للعلم تنبيها على أنهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته أي يظهر لهم على رؤوس الأشهاد أو يعلمهم أي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها استئناف مبين لمقادير أجزية العاملين وقد صدر ببيان أجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر أضدادهم قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات أي من جاء يوم القيامة بالأعمال الحسنة من المؤمنين إذ لا حسنة بغير إيمان فله عشر حسنات أمثالها تفضلا من الله عز وجل وقرئ بالتنوين أمثالها بالرفع على الوصف وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص ومن جاء بالسيئة أي بالأعمال السيئة كائنا من كان من العاملين فلا يجزى إلا مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل إنني هداني ربي أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون أنهم عليه وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه أي التربية أرشدني بالوحي وبما نصب في الآفاق والأنفس من الآيات التكوينية إلى صراط مستقيم موصل إلى الحق وقوله تعالى دينا بدل من إلى صراط فإن محلهما النصب كما في قوله تعالى ويهديكم صراطا مستقيما أو مفعول لفعل مضمر يدل عليه الكلام

قيماً مصدر نعت به مبالغة والقيام من قوم كعوض فأعل لاعلال فعله كالقيام وقرئ قيّماً وهو فيعل من قام كسيد
من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه باعتبار الصيغة ملة ابراهيم عطف بيان
لديناً حنيفاً حال من ابراهيم اي مائلا عن الاديان الباطلة وقوله تعالى وما كان من المشركين اعتراض مقرر لنزاهته
عليه السلام عما عليه المفترقون لدينه من عقد وعمل اي ما كان منهم في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على
الذين يدعون انهم على ملته من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى بقولهم المسيح ابن الله قل ان صلاتي ونسكي
اعيد الامر لما ان المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها اي عبادتي كلها وقيل وذبحي جمعه بين الصلوة
كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلوتي وحجي ومحياي ومماتي اي ما انا عليه في حيوتي واكون عليه عند موتي
من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياي بسكون الياء اجراء للوصل
مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك اشارة الى الاخلاص وما فيه
من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل اي بذلك الاخلاص امرت لا بشئ غيره وقوله تعالى وانا
من المسلمين لبيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما امر به وان ما امر به ليس من خصائصه بل الكل مأمورون به ويقتدي
به من اسلم منهم قل أغير الله ابغي ربا آخر فاشركه في العبادة وهو رب كل شيء جملة حالية مؤكدة للانكار والحال
ان كل ما سواه مربوب له مثلي فكيف يتصور ان يكون شريكا له في المعبودية ولا تكسب كل نفس الا عليها كانوا يقولون
للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم واما بمعنى لنحمل يوم القيمة
ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اي لا يكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال ان يكون صدورها
عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتأتى ما ذكرتم وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى رد له بالمعنى الثاني اي لا تحمل يومئذ نفس حاملة
حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم ثم الى ربكم مرجعكم تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكل لتأكيد الوعد وتشديد الوعيد اي
الى مالك امركم رجوعكم يوم القيمة فينبئكم يومئذ بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو
الذي جعلكم خلائف الارض حيث خلفتم الامم السالفة او يخلف بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تعالى في ارضه
تتصرفون فيها على ان الخطاب عام ورفع بعضكم في الشرف والغنى فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة ليبلوكم
فيما آتيكم من المال والجاه اي ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده ان ربك
تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام لابراز مزيد اللطف به عليه السلام
سريع العقاب اي عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله تعالى ولم يشكره لان كل آت قريب او سريع
التمام عند ارادته لتعاليه عن استعمال المبادي والآلات وانه لغفور رحيم لمن راعاها كما ينبغي وفي جعل
خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكدا باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية
على غير من هي له من التنبيه على انه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى
والله تعالى اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك
لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية مائتان وخمس آيات

المص اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما
اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا المص اي مسمى به وتذكير اسم الاشارة مع تأنيث المسمى
لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث انه مسمى بالسورة وانما صحت الاشارة اليه مع
عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل كتاب على الوجه الاول

خبر مبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف او المراد بها السورة كتاب
الى آخره او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المؤلف منه منزلة حضور نفس المؤلف اي هذا كتاب الخ وعلى الوجه
الثاني خبر بعد خبر عبر به اثر بيان كونه مترجما باسم بديع منبئ عن غرابته في نفسه ابانة لجلالة محله ببيان كونه فردا
من افراد الكتب الالهية حائزا للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبرا والمص مبتدأ اي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت
ما فيه من ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية
قبل فحقها الاخبار بها انزل اليك اي من جهته تعالى بني الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء
عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر في ترك ذكر مبدأ الانزال كما في قوله جل ذكره بلغ ما انزل اليك
من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن انزل اليه وجعله خبرا له على معنى كتاب عظيم الشأن انزل
اليك خلاف الاصل فلا يكن في صدرك حرج اي شك كما في قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر
عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه مبالغة
في تنزيه ساحته عم عن نسبة الشك اليه ولو في ضمن النهي فانه من الاحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤها اياه عم
وما قد يقع من نسبته اليه في ضمن النهي بطريق التهييج والالهاب والمبالغة في التنفير والتحذير بايهام ان ذلك من القبح
والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار في قوله تعالى منه
متعلق بحرج يقال حرج منه اي ضاق به صدره او بمحذوف وقع صفة له اي حرج كائن منه اي لا يكن فيك شك ما في حقيته
او في كونه كتابا منزلا اليك من عنده تعالى والفاء على الاول للترتيب النهي او للانتهاء على مضمون الجملة فان انتفاءه يوجب
الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين به قطعا واما على الثاني فهي لترتيب ما ذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر
وتوجيه النهي الى الحرج مع ان المراد نهيه عليه السلام عنه اما للمبالغة في تنزيهه عليه السلام عن الشك فيما ذكر فان
النهي عن الشيء مما يوهم امكان صدور المنهي عنه عن المنهي واما للمبالغة في النهي فان وقوع الشك في صدره عليه السلام
سبب لاتصافه عليه السلام والنهي عن السبب نهي عن المسبب بالطريق البرهاني ونفي له عن اصله بالمرة كما في قوله تعالى
ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وليس هذا من قبيل لا ارينك ههنا فان النهي هناك وارد على المسبب مرادا به النهي عن السبب
فيكون المآل نهيه عم عن تعاطي ما يورث الحرج فتأمل وقيل الحرج على حقيقته اي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة
ان يكذبوك وان تقصر في القيام بحقه فانه عم كان يخاف تكذيب قومه له واعراضهم عنه فكان يضيق صدره
من الاداء ولا ينبسط له فآمنه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة بهم فالفاء حينئذ للترتيب على مضمون الجملة او على الاخبار
به فان كلا منهما موجب للاقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعا وان كان ايجاب الثاني بواسطة الاول وقوله
تعالى لتنذر به اي بالكتاب المنزل متعلق بانزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريرا لما قبله وتمهيدا لما
بعده وحسما لتوهم ان مورد الشك هو الانزال للانذار وقيل متعلق بالنهي فان انتفاء الشك في كونه منزلا من عنده
تعالى موجب للانذار قطعا وكذا انتفاء الخوف منهم او العلم بانه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك
وانت خبير بانه لا يتأتى على التفسير الاول لان تعليق النهي عن الشك بما ذكر من الانذار والتذكير مع ايهام امكان
صدوره عنه عليه السلام مشعر بان المنهي عنه ليس محذورا لذاته بل لافضائه الى فوات الانذار والتذكير
لا اقل من الايذان بان ذلك معظم غائلته ولا ريب في فساده واما على التفسير الثاني فانما يتأتى التعليل بالانذار
لا بتذكير المؤمنين اذ ليس فيه شائبة خوف حتى يجعل غاية لانتفائه وقوله تعالى وذكرى للمؤمنين في حيز النصب باضمار
فعله معطوفا على تنذر اي وتذكر المؤمنين تذكيرا او الجر عطفا على محل ان تنذر اي للانذار والتذكير وقيل مرفوع
عطفا على كتاب او خبر لمبتدأ محذوف وتخصيص التذكير بالمؤمنين للايذان باختصاص الانذار بالكفرة اي لتنذر به
المشركين وتذكر المؤمنين وتقديم الانذار لانه اهم بحسب المقام اتبعوا ما انزل اليكم كلام مستأنف خوطب به
كافة المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبي عليه السلام قبله بتبليغه بطريق الانذار والتذكير

وجعله منزلا بواسطة انزاله عليه السلام اثر ذكر ما صححه من الانذار والتذكير لتاكيد وجوب اتباعه وقوله تعالى
من ربكم متعلق بانزل على ان من لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره في الصلة وفي
التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال بما امروا به وتاكيد لوجوبه
وجعل ما انزل اليهم شاملا للسنة القولية والفعلية بعيد نعم يعمها حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان
اتباع ما انزله الله تعالى اتباعا له تعالى عقب الامر بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل ولا تتبعوا من دونه اي من دون
ربكم الذي انزل اليكم ما يهديكم الى الحق ومحله النصب على انه حال من فاعل فعل النهي اي لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى
اولياء من الجن والانس بان تقبلوا منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل ليضلوكم عن الحق و
يحملوكم على البدع والاهواء الزائغة او من اولياء قدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه لكان صفة له اي اولياء كائنة
غيره تعالى وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف في اولياء اي ولا تتبعوا من دون ما انزل اباطيل اولياء كانه قيل
ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا وقوله تعالى قليلا
ما تذكرون بحذف احدى التائين وتخفيف الذال وقرئ بتشديدها على ادغام تاء المهموسة في الذال المجهورة وقرئ
يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلا نصب بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر او لزمان كذلك محذوف
وما مزيدة لتاكيد القلة اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتاثرون بذلك ولا تعملون بموجبه
وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله فقليلا ما يؤمنون والجملة اعتراض
تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء سوء حالهم في عدم الامتثال بالامر
والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة واما نصبه على انه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية
مرتفعة به اي لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا تذكركم لكن لا على توجيه النهي الى المقيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى بل الى المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم من قرية
اهلكناها شروع في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم على اتباع
دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير
في اهلكناها راجع الى معنى كم اي كثير من القرى اهلكناها او في موضع نصب باهلكناها كما في قوله تعالى انا كل شيء خلقناه
بقدر والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة اي اردنا اهلاكها فجاءها اي فجاء اهلها
باسنا اي عذابنا بياتا مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اي بائتين كقوم لوط او هم قائلون عطف عليه اي او
قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال المعطوفة على اختها استثقالا لاجتماع العاطفين
فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالين
بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر واردع عن الاغترار باسباب
الامن والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل منهما لا سيما القيلولة لكمال غفلتهم وامنهم
فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذاهبهم اذ جاءهم باسنا
عذابنا وعاينوا اماراته الا ان قالوا جميعا انا كنا ظالمين اي الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه
تحسرا عليه وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسألن الذين ارسل اليهم بيان لعذابهم الاخروي
اثر بيان عذابهم الدنيوي خلا انه قد تعرض لبيان مبادي احوال المكلفين جميعا لكونه ادخل في التهويل والفاء لترتيب الاحوال
الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا اي لنسألن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين
عما اجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذي نفي بقوله تعالى
ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب فلنقصن عليهم اي على
الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى المرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه بعلم اي عالمين بظواهرهم

فانه من مقتضيات انزاله منه سعد

اي اتباع ما انزله الله تعالى منه سعد

وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من اعمالهم واحوالهم والجملة
تذييل مقرر لما قبلها والوزن اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها ورفعه على الابتداء
وقوله تعالى يومئذ خبره وقوله تعالى الحق صفته اي والوزن الحق ثابت يوم اذ يكون السؤال والقصص وقيل خبر
مبتدأ محذوف كانه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق اي العدل السوي وقرئ القسط والخلاف في كيفية الوزن والجمهور
على ان صحائف الاعمال هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما
يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما يثبت في صحائفهم
فيقرؤنها في موقف الحساب ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مد البصر
فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل
البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن
عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك
واختاره كثير من المتاخرين بناء على ان استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية
قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشيء ومقادير اعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض
فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة
الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى
ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم
نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب من اناء الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في
ذلك الا يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان
ان قيل ان المكلف يوم القيمة اما مؤمن بانه تعالى حكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها
واما منكر له فلا يسلم حينئذ ان رجحان بعض الاعمال على بعض لخصوصيات راجعة الى ذوات تلك الاعمال بل يسنده الى
اظهار الله تعالى اياه على ذلك الوجه فما الفائدة في الوزن اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ وتظهر جميع الاشياء
بحقائقها على ما هي عليه وباوصافها واحوالها في انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع عن الصور المستعارة
التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى لاحد ممن يشاهدها شبهة في انها هي التي كانت في الدنيا بعينها وان كل واحد منها
قد ظهرت في هذه النشأة بصورة الحقيقة المستتبعة لصفاته ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله اعلم فمن ثقلت
موازينه تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن والموازين اما جمع موزون او جمع ميزان على ان المراد به ما له وزن
وقدر وهو الحسنات فان رجحان احدهما مستلزم لرجحان الآخر اي فمن رجحت موازينه التي توزن بها حسناته واعماله
التي لها قدر ووزن وعن الحسن البصري وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان
يخف فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية باعتبار معناه كما ان جمع الموازين لذلك
واما ضمير موازينه فراجع اليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل
والشرف هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب وهم اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد
اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على انهم الناس
الذين بلغك انهم مفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ومن خفت موازينه
اي موازين اعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي اعماله السيئة فاولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة
القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر آنفا في نظيره وهو مبتدأ خبره الذين خسروا انفسهم اي ضيعوا الفطرة السليمة
التي فطروا عليها وقد ابدت بالآيات البينة وقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون متعلق بخسروا وما مصدرية

وبآياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب قدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على استمرار الظلم في الدنيا اي فاولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر
بآياتنا ظالمين ولقد مكناكم في الارض لما امر الله سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل اليهم ونهاهم عن اتباع غيره
وبين لهم وخامة عاقبته بالاهلاك في الدنيا والعذاب المخلد في الآخرة ذكرهم ما افاض عليهم من فنون النعم الموجبة
للشكر ترغيبا في الامتثال بالامر والنهي اثر ترهيب اي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها
وجعلنا لكم فيها معايش المعايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به
الى ذلك والوجه في قراءة تصريح الياء وعن ابن عامر انه همزه تشبيها له بصحائف ومدائن والجعل بمعنى الانشاء
والابداع اي انشاناها وابدعناها لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق به او بمحذوف
وقع حالا من مفعوله اذ لو تأخر لكان صفة له وتقديمهما على المفعول لما مر مرارا من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون
المقدم منبئا عن منفعة للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن واما تقديم اللام على في
فلما انه المنبئ عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشأنه اتم والمسارعة الى ذكره اهم هذا وقد قيل ان الجعل متعد الى مفعولين
ثانيهما احد الظرفين على انه مستقر قدم على الاول والظرف الآخر اما لغو متعلق بالجعل او بالمحذوف او حال من المفعول
الاول لما مر وانت خبير بانه لا فائدة يعتد بها في الاخبار بجعل المعايش حاصلة لهم او حاصلة في الارض وقوله تعالى
قليلا ما تشكرون اي تلك النعم تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر
في تفسير قوله تعالى قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية
الى ذريته موجبة لشكرهم كافة وتأخيره عن تذكير ما وقع بعده من نعمة التمكين في الارض لانها فائضة على المخاطبين
بالذات وهذه بالواسطة واما للايذان بان كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فان رعاية الترتيب
الوقوعي ربما تؤدي الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لاظهار كمال
العناية بمضمونهما وانما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المراد بهما آدم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام
الامتنان حقه وتأكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم حظا من خلقه عم وتصويره لما انهما ليسا من الخصائص المقصورة
عليه عم كسجود الملائكة له عليه السلام بل من الامور السارية الى ذريته جميعا اذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمط
ومصنوع على شاكلته فكانهم الذين تعلق به خلقه وتصويره اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير
واحسن تقويم ساريا اليكم جميعا ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم صريح في انه ورد بعد خلقه عم وتسويته ونفخ
الروح فيه او منجزا عند الامر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
وهو المراد بما حكي بقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف
وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا تقتضي تراخيه عن التصوير من غير تعرض لبيان ما يجري بينهما من الامور وقد
بينا في سورة البقرة ان ذلك ظهور فضل آدم عم بعد المحاورة المسبوقة بالاخبار باستخلافه عم حسبما نطق به قوله تعالى
واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة الى قوله وما كنتم تكتمون فان ذلك ايضا من جملة ما نيط به الامر المعلق
من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته
به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة يقتضيها المقام ليست بعزيزة في الكلام العزيز فلعله قد القي الى الملائكة
عليهم السلام اولا جميع ما يتوقف عليه الامر المنجز اجمالا بان قيل اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك
ما قالوا او القي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح اني جاعل هذا خليفة في الارض فهناك
ذكروا في حقه عم ما ذكروا فايده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه عم ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر المنجز اعتناء
بشأن المأمور به وايذانا بوقته وقد حكي بعض الامور المذكورة في بعض المواطن وبعضها في بعض اكتفاء بما ذكر في كل موطن

عما ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة انه تعالى في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك
للملائكة الآيات بدل من قوله اذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند
اختصامهم ولا ريب في ان المراد بالملأ الاعلى الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين
وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن الخلافة من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء
ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامر المعلق وما علق به من الخلق والتسوية
ونفخ الروح فيه وما يترتب عليه من سجود الملائكة وعناد ابليس ولعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده
من الافعال والاقوال واذ ليس ذلك عام الاختصاص بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس وطرده من البين لما عرفت من اتحاد
المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود باحد الطريقين والله اعلم فسجدوا اي الملائكة
عليهم السلام بعد الامر من غير تلعثم الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا
بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما مر
في سورة البقرة فقوله تعالى لم يكن من الساجدين اي ممن سجد لآدم كلام مستأنف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم
من الاستثناء فان عدم السجود قد يكون للتأمل ثم يقع السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فحينئذ يكون متصلا بما بعده
اي لكن ابليس لم يكن من الساجدين قال استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كأنه قيل فماذا قال
الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة اخرى هي الاشعار
بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير ما منعك الا تسجد اي ان تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة
مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل
الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فالمعنى ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك قيل فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والفور
وفي سورة الحجر يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات
عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ادرج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام
في سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل
موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة منها كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية
التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال استئناف كما سبق مبني على السؤال الناشئ من حكاية
التوبيخ كأنه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال انا خير منه متجافيا عن تطبيق جوابه على السؤال بان يقال منعني
كذا مدعيا لنفسه بطريق الاستئناف شيئا بين الاستلزام لمنعه من السجود على زعمه ومشعرا بان من شأنه هذا لا يحسن ان يسجد
لمن دونه فكيف يحسن ان يؤمر به كما ينبئ عنه ما في سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون
وهو اول من اسس بنيان التكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين
تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما هو من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما هو من
جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما هو من جهة
الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما هو من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة عليهم السلام بسجوده
حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره وفي الآية دليل على الكون والفساد
وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب قال استئناف
كما سلف والفاء في قوله تعالى فاهبط منها لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل واصراره
على ذلك اي فاهبط من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها قال ابن عباس رض كانوا في عدن لا في جنة الخلد
وقيل من زمرة الملائكة المعززين فان الخروج من زمرتهم هبوط واي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد
الهبوط من السماء فيرده ان وسوسته لآدم كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعا ويكون وسوسته

على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة كما روي عن الحسن البصري وقوله تعالى فما يكون لك اي فما يصح
ولا يستقيم لك ولا يليق بشأنك ان تتكبر فيها اي في الجنة او في زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة
ان يتكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى فاخرج تاكيد للامر بالهبوط متفرع
على علته وقوله تعالى انك من الصاغرين تعليل للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره اي من الاذلاء واهل الهوان على الله
تعالى وعلى اوليائه لتكبرك وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا
طوره وهصه الله الى الارض قال استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال اللعين بعد ما سمع هذا الطرد
المؤكد فقيل قال انظرني اي امهلني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين
بذلك ان يجد فسحة من اغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث قال استئناف كما سلف انك
من المنظرين وورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله الآخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم في ذلك
صريح في انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتأخير
الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه الحكمة
التكوينية الى وقت فناء الخلق من استثناه الله تعالى من الخلائق وهو النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسئول وترك
التوقيت للايجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر وسورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر
فيهما بقوله عز وجل فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وفي انظاره ابتلاء العباد وتعريض
للثواب ان قلت لا ريب في ان الكلام المحكي له عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة تقتضي وقوعه على وجه خاص من وجوه
النظم بحيث لو اخل بشئ من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكي على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده
على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الفصيح ثم هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين انما
صدر عنه مرة واحدة لا غير فمقام ان اقتضى اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرد
على نهج استدعاء الجزاء في مقابلة الكفر كما هو المتبادر من قوله رب فانظرني حسبما حكي عنه في السورتين فالحكي هنا
يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز وان قلنا بمقام استنظاره مقتض لما ذكر
من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار مقتض لترتيب
الاخبار بالانظار على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه في تينك السورتين وفي كل واحد من مقامي الحكاية والمحكي حقه
حظه واما ههنا بحيث اقتضى مقام الحكاية تجرد الاخبار بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية على نهج الايجاز والاختصار
من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة والحوار قلت فاذن لا يكون ذلك نقلا للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا
لمقتضى المقام قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده واما كيفية افادته له
فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعي وقد لا تراعي حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في اصل الكلام تجريده
عنها بل قد يراعي عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعنى الا يرى ان جميع
المقالات المنقولة في القرآن الكريم انما يحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتما والا لما كان صدق
الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان المحكي كلاما واما عدم مطابقته لمقتضى الحال فناشئ من الغفلة عن توفر مقتضاه من الاحوال
فان ما يقتضيه الامر هو مقام الحكاية واما مقام وقوع المحكي فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية يوفي كل واحد
من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات
التي وقع عليها روعي حق المقامين معا واما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز روعي جانبه الا يرى
ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرد كلامه عن التاكيد وسائر الخواص والمزايا
التي لا يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يتصل معنى فريدا ان يفهمه سامع آخر
بليغ هو تجريده عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب في الفهم وبذلك يرتقي كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق

في مقامه

في مقامه فاذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع افضائها الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب
مراعاته مع تحلية الكلام بمزايا اخر يرتقي بها الى رتبة الاعجاز لا سيما اذا وفي حق مقام وقوع المحكي في السورتين الكريمتين
وكان هذا الايجاز مبنيا عليه وثقة به قال استئناف كما مثاله فبما اغويتني الباء للقسم كما في قوله تعالى فبعزتك
لاغوينهم فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تعالى فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين
اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما مصدرية اي فاقسم
باغوائك اياي لاقعدن لهم او للسببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله لاقعدن لهم كما في الوجه
الاول فان اللام تصد عن ذلك اي فبسبب اغوائك اياي لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع
على السابلة صراطك المستقيم الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام والقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرف
كما في قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقوله ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل
والاضلال من اي وجه يتيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضي من بين ايديهم
من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم من حيث
يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا
ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه
منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه
ولا تجد اكثرهم شاكرين اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا
ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة عليهم السلام قال استئناف كما سلف مرارا اخرج منها اي من الجنة او من السماء
او من بين الملائكة عليهم السلام مذؤوما اي مذموما من ذامه اذا ذمه وقرئ كمسول في مسؤول وكمكول في مكيل من ذاله
يذيله ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد
جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم
محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب ويا آدم اي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه
على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص الخطاب به للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المأمور به اسكن انت
وزوجك الجنة هو من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي هو ضد
الحركة وانت ضمير اكد به المستكن في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى فكلا من حيث شئتما لبيان المراد
مما في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك كان جميعا مع الترتيب وقوله تعالى من حيث
شئتما في معنى منها حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف والايذان بتساويهما
في مباشرة المأمور به فان حواء اسوة له عم في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيها ولتعليق النهي بهما صريحا
في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين
اما جزم على العطف او نصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم لهما كلاما خفيا
متداركا وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق بيان كيفية وسوسته في سورة البقرة
ليبدي لهما اي ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك
عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري
عنهما من سوآتهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو
المضمومة همزة في المشهورة كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوآتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها
على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة

اي عن اكلها الا ان تكونا ملكين اي الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون
في الجنة وليس فيه دلالة على فضلية الملائكة لما ان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما
اوصاف الملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل عن الدلالة على الافضلية
بالمعنى المتنازع وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما وجعل ذلك مقاسمة فدليهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة
وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من الاعلى الى الاسفل
بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما
سوآتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشوم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما
عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او ظفرا وطفقا يخصفان طفق
من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشأ وعلق وهب وانبرى اي اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق
الجنة قيل كان ذلك ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان اصله
يختصفان وناداهما ربهما مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ الم انهكما وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او معمول
لقول محذوف اي وقال او قائلا الم انهكما عن تلكما الشجرة ما في اسم الاشارة من معنى البعد لما انه اشارة الى الشجرة التي
نهى عن قربانها واقل لكما عطف على انهكما اي الم اقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار
بقول العدو كما ان الاول عتاب على مخالفة النهي قيل فيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل
او بحال من عدو ولم يحك هذا القول هاهنا وقد حكي في سورة طه بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الآية روي انه تعالى قال
لآدم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا
قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد
وداس وذرى وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا اي ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر
لنا ذلك وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهو دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا تجوز
المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك حملوا قولهما ذلك على عادات المقربين في استعظام الصغير من السيئات
واستصغار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر
الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر هنا
قبول توبتهما لانه ذكره في سائر المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا اي متعادين ولكم
في الارض مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع وانتفاع الى حين هو حين انقضاء آجالكم قال
اعيد الاستئناف اما للايذان ببعد ما بعده عما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله
تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقوله تعالى قال ارايتك هذا الذي كرمت علي بعد قوله تعالى ءاسجد
لمن خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
اي للجزاء لقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى يا بني آدم خطاب للناس كافة وايرادهم بهذا
العنوان مما لا يخفى سره قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها ونظيره وانزل لكم
من الانعام الخ وقوله تعالى وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد ابليس ابداءها من ابويكم حتى اضطرا الى خصف
الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عريانا ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله
تعالى فيها وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اي تمول
وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى اي خشية الله تعالى وقيل الايمان وقيل السمت الحسن
وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره جملة ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ
ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته لعلهم يذكرون

فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم تكرير للنداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به
وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره لا يفتننكم الشيطان اي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة
كما اخرج ابويكم من الجنة نعت لمصدر محذوف اي لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم وقد يجوز ان يكون التقدير
لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل اخراجه لابويكم والنهي وان توجه الى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما في قولك
لا ارينك هاهنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد
النزع اليه للتسبب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله اي جنوده وذريته استئناف
لتعليل النهي وتاكيد التحذير منه من حيث لا ترونهم من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم
في محل الجر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم لنا من حيث لا نراهم لا تقتضي امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا انا
جعلنا الشياطين جعل قبيله من جملته فجمع اولياء للذين لا يؤمنون اي جعلناهم بما اوجدنا بينهم من المناسبة
او بارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوائهم وحملهم على ما سولوا اولياء اي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتاكيد
للتحذير اثر تحذير واذا فعلوا فاحشة جملة مبتدأة لا محل لها من الاعراب وقد يجوز عطفها على الصلة والفاحشة
الفعلة المتناهية في القبح والتاء لانها مجراة على الموصوف المؤنث او للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة الاصنام
وكشف العورة ونحوهما قالوا احتجوا بالناهين عنها وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها محتجين بامرين تقليد الآباء
والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان آباءهم انما كانوا يفعلونها بامر الله تعالى بها على ان ضمير امرنا
لهم ولآبائهم فحينئذ يظهر وجه الاعراض عن الاول في رد مقالتهم بقوله تعالى قل ان الله لا يامر بالفحشاء فان عادته تعالى
جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضي الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا
والعقاب آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين
مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل لم فعلها آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين
يمنع التقليد اذا قام الدليل بخلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام القول المامور به والهمزة لانكار الواقع
واستقباحه وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدوره عنه تعالى مع ان بعضهم يعلمون عدم
صدوره عنه تعالى مبالغة في انكار تلك الصورة فان اسناد ما لم يعلم صدوره عنه اليه تعالى اذا كان منكرا فاسناد ما علم
عدم صدوره عنه اليه عز وجل اشد قبحا واحق بالانكار قل امر ربي بالقسط بيان للمامور به اثر نفي ما اسندوه اليه
من الامور المنهي عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شيء المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم و
توجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود
او مكان سجود وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه
واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان مصيركم اليه بالآخرة كما بدأكم اي انشأكم ابتداء تعودون
اليه باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم
من التراب تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم
للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة وانتصابه
بفعل مضمر يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق
لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون فيه دلالة على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق
ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم اي ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد اي لطواف او صلوة
ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما
طاب لكم روي ان بني عامر كانوا في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون
بمثله فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بالافراط في الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما

كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب
في نصف آية كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وما يتجمل
به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات
من الرزق اي المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات
الاباحة لان الاستفهام في من انكاري قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم
فيها فبالتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر
كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من
المعاني الرائقة قل انما حرم ربي الفواحش اي ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر
منها وما بطن بدل من الفواحش اي جهرها وسرها والاثم اي ما يوجب الاثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر
والبغي اي الظلم او الكبر افرد بالذكر للمبالغة في الزجر عنه بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد لمعناه وان تشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد
في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه التحريم الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون عدم وقوعه قطعا مر
ولكل امة من الامم المهلكة اجل حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم فاذا جاء اجلهم ان جعل الضمير للامم المدلول
عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئها اياها
بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم آجالهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص
بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة اكمل التمييز
اي اذا جاءها اجلها الخاص بها لا يستأخرون عن ذلك الاجل ساعة اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة
منه اي لا يتأخرون اصلا وصيغة الاستقبال للاشعار بتحسرهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اي ولا يتقدمون
عليه وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في
سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن
ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم القبول في سلك من سوفها الى حضور
الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجيء الدنو بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم
الذي ضرب لهلاكهم ساعة منه وليس بذاك وتقديم بيان انتفاء الاستئخار لما ان المقصود بالذات بيان عدم
خلاصهم من العذاب واما ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلان المراد
هناك بيان تأخير اهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون
فالاهم هناك بيان انتفاء السبق يا بني آدم تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة الناس اهتماما بشأن ما في حيزه اما يأتينكم
هي ان الشرطية ضمت اليها ما للتأكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وفيه تنبيه على ان
ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا رسل منكم الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل اي كائنون من جنسكم وقوله
يقصون عليكم آياتي صفة اخرى لرسل اي يبينون لكم احكامي وشرائعي وقوله تعالى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون جملة شرطية وقعت جوابا للشرط اي فمن اتقى منكم التكذيب واصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تعالى والذين
كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اي والذين كذبوا منكم بآياتنا وايراد
الاتقاء في الاول للايذان بان مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب عنه وادخال الفاء
في الجزاء الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
بآياته اي تقول عليه تعالى ما لم يقله او كذب ما قاله اي هو اظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا اولئك اشارة الى الموصول
والجمع باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بتماديهم في سوء الحال اي

اولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار
وقيل الكتاب اللوح اي ما اثبت لهم فيه واياما كان فمن للابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم اي ينالهم
نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم من العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس رضي الله عنهما كتب لمن يفتري
على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم
رسلنا اي ملك الموت واعوانه يتوفونهم اي حال كونهم متوفين لارواحهم يؤيد الاول فان حتى وان كانت هي التي
يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون بها الى حين وفاتهم اي ينالهم نصيبهم
من الكتاب الى ان يأتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم قالوا لهم اينما كنتم تدعون من دون الله اي اين الآلهة
التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال الرسل كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا اي
غابوا عنا اي لا ندري مكانهم وشهدوا على انفسهم عطف على قالوا اي اعترفوا على انفسهم انهم كانوا اي في الدنيا
كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعله اريد بوقت مجيء الرسل للتوفي
الزمان الممتد من ابتداء المجيء والتوفي الى انتهائه يوم الجزاء بناء على تحقق المجيء والتوفي في كل ذلك الزمان بقاء وان كان
حدوثهما اوله فقط او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء كانهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه
قوله عم من مات فقد قامت قيامته والا فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى
بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة قال اي الله عز وجل يوم القيمة بالذات او بواسطة
الملك ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية
من النوعين في النار متعلق بقوله ادخلوا كلما دخلت امة من الامم السابقة واللاحقة فيها لعنت اختها التي
ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخريهم دخولا او منزلة
وهم الاتباع لاوليهم اي لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم
فآتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا من النار لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبما ذكر من الضلال
والاضلال واما الاتباع فلكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون اي ما لكم وما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء وقالت
اوليهم اي مخاطبين لاخريهم حين سمعوا جواب الله تعالى لهم فما كان لكم علينا من فضل اي فقد ثبت ان لا فضل
لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب المعهود المضاعف بما كنتم تكسبون
من قول القادة ان الذين كذبوا بآياتنا مع وضوحها واستكبروا عنها اي عن الايمان بها والعمل بمقتضاها
لا تفتح لهم ابواب السماء اي لا تقبل دعوتهم ولا اعمالهم او لا تعرج اليها ارواحهم كما هو شأن ادعية المؤمنين
واعمالهم وارواحهم والتاء في تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبالياء وقرئ
على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على انه لله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج
الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو علم في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وفي كون الجمل مما ليس
من شأنه الولوج في سم الابرة مبالغة في الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب
والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط وهو الخياط اي ما يخاط به
كالحزام والمحزم وكذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين اي جنس المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا
لهم من جهنم مهاد اي فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية ومن فوقهم غواش اي اغطية والتنوين بدل
من الاعلال عند سيبويه وللتصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف كما في قوله تعالى وله الجوار المنشآت وكذلك
اي مثل ذلك الجزاء الشديد نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم بالآيات
اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه

على انه اعظم الجرائم والجرائر والذين آمنوا اي بآياتنا او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا اوليا
وقوله تعالى وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة التي شرعت بالآيات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف
نفسا الا وسعها اعتراض وسط بين المبتدأ الذي هو الموصول والخبر الذي هو جملة اولئك اصحاب الجنة للترغيب
في اكتساب ما يؤدي الى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله وقرئ لا تكلف نفس واسم الاشارة مبتدأ واصحاب
الجنة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول او اسم الاشارة بدل من المبتدأ الاول الذي هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف هم فيها خالدون حال من اصحاب الجنة وقد جوز كونه حالا من الجنة لاشتماله
على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او خبر لاولئك على رأي من جوزه وفيها متعلق بخالدون ونزعنا ما في
صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وصيغة الماضي للايذان
بتحققه وتقرره وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم
والجملة حال من الضمير في صدورهم والعامل اما معنى الاضافة واما العامل في المضاف او حال من فاعل نزعنا والعامل نزعنا
وقيل هي مستأنفة للاخبار عن صفة احوالهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي
اي لهذا المطلب الاعلى او لمطلب من المطالب التي هذا من جملتها لولا ان هدانا الله ووفقنا له واللام لتاكيد النفي
وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدي وهدانا الثاني محذوف لظهور المراد او لارادة
التعميم كما اشير اليه والجملة مستأنفة او حالية وقرئ ما كنا لنهتدي الخ بغير واو على انها مبينة ومقررة للاولى
لقد جاءت رسل ربنا جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه وابتهاجا باعيانهم ما جاءتهم الرسل عليهم السلام
والباء في قوله تعالى بالحق اما للتعدية فهي متعلقة بجاءت او للملابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل اي
والله لقد جاؤا بالحق او لقد جاؤا ملتبسين بالحق ونودوا اي نادتهم الملائكة عليهم السلام ان تلكم الجنة ان مفسرة
لما في النداء من معنى القول او مخففة ان وضمير الشأن محذوف ومعنى البعد في اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها
من مكان بعيد واما لرفع منزلتها وبعد رتبتها واما للاشعار بانها الجنة التي وعدوها في الدنيا اورثتموها بما كنتم
تعملون في الدنيا من الاعمال اي اعطيتموها بسبب اعمالكم او بمقابلة اعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى
الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدأ وخبر او الجنة صفة والخبر اورثتموها ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار تبجحا
بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال المخاطبين ان قد وجدنا ما
وعدنا ربنا حقا حيث نلنا هذا المنال الجليل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا حذف المفعول من الفعل الثاني
اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا بهم وعده
كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم اي وجدناه حقا
وقرئ بكسر العين وهي لغة فيه فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم اي بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين
بان المخففة او المفسرة وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال
الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها عوجا اي يبغون
لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهي ابعد شيء منهما والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبا
وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون غير معترفين وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله
تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف اي على اعراف الحجاب و
اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه بظهوره اعرف
من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل يحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل
قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء والاخيار والعلماء من المؤمنين او الاخيار والفضلاء من المؤمنين او ملائكة
يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض

الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون
ذلك بالالهام او بتعليم الملائكة ونادوا اي رجال الاعراف اصحاب الجنة حين رأوهم ان سلام عليكم بطريق
الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها حال من فاعل نادوا او من مفعوله وقوله تعالى
وهم يطمعون حال من فاعل يدخلوها اي نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له اي لم يدخلوها
وهم في وقت عدم الدخول طامعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق
انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة
والميل والثاني بخلافه قالوا متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار وفي
وصفهم بالظلم دون ما هم عليه حينئذ من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم
ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي اليه من الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار
لزيادة التقرير رجالا من رؤساء الكفرة حين رأوهم فيما بين اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم اي الدالة على سوء حالهم
يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا قالوا بدل من نادى ما اغنى عنكم اما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم
اي اتباعكم او جمعكم للمال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اي ما اغنى عنكم استكباركم المستمر عن قبول الحق او على
الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اي من الاموال والجنود اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله
برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحا
انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قوله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ادخلوا
الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين على زعم انوفهم لا خوف عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون وقيل
لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد ان حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا
ولا يظهر ان يكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين في العمل لان هذه المقالات وما تفرع هي عليه من المعرفة لا يليق
بمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او
الملائكة ردا عليهم اهؤلاء الخ وقرئ ادخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا في حقهم لا خوف عليكم
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة بعد ان استقر بكل من الفريقين القرار واطمأنت به الدار ان افيضوا علينا من الماء
اي صبوه وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة
على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا ان الله
حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم منع المحرم فلا سبيل الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة
والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب
وغرتهم الحياة الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم ننساهم نفعل بهم ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم
في النار تركا كليا والفاء في فاليوم فصيحة وقوله تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
اي ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وقوله تعالى وما كانوا بآياتنا
يجحدون عطف على ما نسوا اي وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تعالى انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه
اي بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب
هو القرآن على علم حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله اي مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه
اي على سائر الكتب عالمين بفضله هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بآثاره المقتبسون من انواره
هل ينظرون الا تأويله اي ما ينتظرون هؤلاء الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر
يوم يأتي تأويله وهو يوم القيامة يقول الذين نسوه من قبل اي تركوه ترك المنسي من قبل اتيان تأويله قد جاءت رسل
ربنا بالحق اي قد تبين انهم قد جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد اي هل

ن شامل بالافضال التفضيل معنى الانتفاع والتمتع

الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين اما الشفاعة لدفع
العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل بالنصب على انه
جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل غير الذي كنا نعمل اي في الدنيا قد خسروا انفسهم صرفوا اعمارهم
التي راس مالهم الى الكفر والمعاصي وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء
لله تعالى وشفعاؤهم يوم القيمة ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام شروع في بيان مبدأ الفطرة
اثر بيان معاد الكفرة اي ان خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام العلوية والسفلية في ستة اوقات كقوله تعالى ومن يولهم
يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن حينئذ وفي خلق الاشياء
مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور ثم استوى على العرش
اي استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه
الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور
والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار اي يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك
قرئ بنصب الليل ورفع النهار وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا اي يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما
شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او من المفعول اي محثوثا والشمس والقمر
والنجوم مسخرات اي خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات
على الحال وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك الله
رب العالمين اي تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية الكريمة والله اعلم ان الكفرة كانوا
متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب
قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين
وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة الاثار
والافعال واشار اليه بقوله تعالى وخلق الارض في يومين اي ما هو من جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب
موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله تعالى خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها
اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لما فصل في سورة السجدة ثم لما تم عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره فدبر
الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى
الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم الذي قد عرفتم شؤونه الجليلة
تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين
لما امروا به في كل شيء فيدخل فيه الاعتداء في الدعاء دخولا اوليا وقد نبه به على ان الداعي يجب ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود
الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب
المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب
المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا
اي ذوي خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه ان رحمت الله قريب
من المحسنين في كل شيء ومن الاحسان في الدعاء ان يكون مقرونا بالخوف وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف
اي امر قريب وتشبيه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين القريب من النسب والقريب
من غيره او لاكتساب التذكير من المضاف كما يكتسي التانيث وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ بشرا
تخفيف بشر جمع بشير اي مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وقرئ نشرا بالنون المضمومة
نشور اي ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان بين يدي رحمته قدام رحمته التي هي المطر فان الصبا

تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل
للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لانه بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير لافراد اللفظ لبلد ميت
اي لاجله او لمنفعته او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء اي بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح
والتذكير بتاويل المذكور وكذلك قوله تعالى فاخرجنا به ويحتمل ان يعود الضمير الى الماء وهو الظاهر واذا كان
للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات اي كل انواعها كذلك
نخرج الموتى الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها
بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس
لعلكم تذكرون بطرح احدى التائين اي تتذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة والبلد
الطيب اي الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة
نفعه لانه اوقعه في مقابلة قوله والذي خبث من البلاد كالسبخة والحرة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه
على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا
مستترا وقرئ لا يخرج الا نكدا اي لا يخرجه البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد ونكد بالاسكان للتخفيف كذلك
اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الايات اي نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعم الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون
بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التي هي ماء حيوة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين
من انوارها والمحرومين من مغانم اثارها وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستئناف
فقيل لقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا الخ واطراد استعمال هذه اللام
مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتاكيد المقسم عليها ونوح هو
ابن لملك بن متوشلح بن اخنوخ وهو ادريس عليهما السلام قال ابن عباس رض بعث عليه السلام على راس اربعين سنة
من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا
ومائتين واربعين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين
وخمسين ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا
واربعمائة وخمسين سنة فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده وترك التقييد للايذان بانها العبادة حقيقة
واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شيء وقوله تعالى ما لكم من اله غيره اي من مستحق للعبادة استئناف
مسوق لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء او الفاعلية
وقرئ باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا اي ما لكم من اله الا اياه كقولك
ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد وقيل ان اله جعل مبتدا فلكم خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم
في الوجود او في العالم اله غير الله اني اخاف عليكم ان لم تعبدوه حسبما امرت به عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة
او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان
عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار قال الملأ من قومه استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قوله عليه السلام كانه
قيل فماذا قالوا له عليه السلام في مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم والقلوب
بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم انا لنراك في ضلال اي ذهاب عن طريق الحق والصواب والرؤية قلبية
ومفعولاها الضمير والظرف مبين بين كونه ضلالا قال استئناف كما سبق يا قوم ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم الى
جانب الحق ليس بي ضلالة اي شيء ما من الضلال قصد عليه السلام تحقيق الحق في نفي الضلال عن نفسه ردا على الكفرة حيث
بالغوا في اثباته له عليه السلام حيث جعلوه مستقرا في الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى ولكني رسول من رب العالمين
استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في اقصى مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة له لا محالة

كأنه قيل ليس بي شيء من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية ومن لابتداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف
هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية اي رسول وأي رسول كائن من رب
العالمين **أبلغكم رسالات ربي** استئناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول
على طريقة انا الذي سمتني امي حيدرة وقرئ أبلغكم من الإبلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها
او لان المراد بها ما اوحي اليه والى النبيين من قبله عليهم السلام وتخصيص ربوبيته تعالى به عم بعد بيان عمومها للعالمين
للإشعار بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له عم من موجبات امتثاله بامره تعالى بتبليغ
رسالته **وأنصح لكم** عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة وزيادة اللام مع تعدي النصح بنفسه للدلالة على
امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه
قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا وقوله تعالى **وأعلم من الله ما لا تعلمون** عطف على ما قبله وتقرير
له لرسالته عم اي اعلم من جهة الله تعالى بالوحي ما لا يعلمونه من الامور الآتية او اعلم من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة
وبطشه الشديد على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب
قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما علمه نوح عم بالوحي **أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم** جواب ورد لما اكتفي
عن ذكره بقولهم انا لنريك في ضلال مبين من قولهم ما نريك الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله لأنزل ملائكة والهمزة للإنكار
والواو للعطف على مقدر يستدعيه الكلام كأنه قيل استبعدتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر اي وحي وموعظة من مالك
اموركم ومربيكم **على رجل منكم** اي على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وقيل لأجل ذلك ما قلتم
من ان الله تعالى لو شاء لأنزل ملائكة **لينذركم** علة للمجيء اي ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي **ولتتقوا** عطف على العلة
الأولى مترتبة عليها **ولعلكم ترحمون** عطف على العلة الثانية مترتبة عليها اي ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقويكم
وفائدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلب وان التقوى غير موجب للرحمة بل هي منوطة بفضل الله تعالى وان المتقي
ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله عز وجل **فكذبوه** فتموا على تكذيبه في دعوى النبوة وما نزل عليه
من الوحي الذي بلغه اليهم وانذرهم بما في تضاعيفه واستمروا على ذلك هذه المدة المتطاولة بعدما كرر عليه السلام
عليهم الدعوة مرارا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا حسبما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات اذ هو الذي
يعقبه الإنجاء والإغراق لا مجرد التكذيب **فأنجيناه والذين معه** من المؤمنين قيل كانوا اربعين رجلا واربعين
امرأة وقيل عشرة ابناؤه الثلاثة وستة ممن آمن وقوله تعالى **في الفلك** متعلق بالاستقرار في الظرف اي استقروا معه
في الفلك وصحبوه فيه او بفعل الإنجاء اي انجيناهم في السفينة ويجوز ان يتعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من الضمير
في الظرف **وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا** اي استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المتصدين للجواب فقط بل كل من اصر
على التكذيب منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الإنجاء على الإغراق للمسارعة الى الاخبار به والايذان بسبق الرحمة التي هي مقتضى
الذات وتقدمها على الغضب الذي يظهره اثر مقتضى جرائمهم **انهم كانوا قوما عمين** عمي القلوب غير مستبصرين قال ابن
عباس رضي عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ عامين والاول ادل على الثبات والقرار **والى عاد**
متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح عم وهو الناصب لقوله تعالى **أخاهم** اي وارسلنا الى عاد
اخاهم اي واحدا منهم في النسب لا في الدين كقولهم يا اخا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف
على نوحا والأول هو الأولى وأيا ما كان فلعل تقديم المجرور هنا على المفعول الصريح للحذار عن الاضمار قبل الذكر وسلك
الى ذلك ما سيأتي من قوله تعالى ولوطا اذ قال فان قوما لم يعهدوا باسم معروف يقتضي الحال ذكره عم وبين القصص الثلاث
وقوله تعالى **هودا** عطف بيان لأخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
عليه السلام وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله
في صدقه وامانته واقرب الى اتباعه **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ارساله عم اليهم كأنه قيل فماذا قال

فقيل قال **يا قوم اعبدوا الله** اي وحده كما يعرب عنه قوله **ما لكم من اله غيره** فانه استئناف جار مجرى البيان
للعبادة المأمور بها وتعليل لها او للأمر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره
بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا على لفظه **أفلا تتقون** انكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى
بعدما علموا ما حل بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ألا تتفكرون او أتغفلون فلا تتقون
فالتوبيخ على المعطوفين معا او اتعلمون ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفي سورة هود افلا تعقلون
ولعله عم خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر ههنا ما في قوله
ان انتم الا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من اجزاء القصة بل حال نظائره في سائر القصص لا سيما
في المحاورات الجارية في الأوقات المتعددة والله اعلم **قال الملأ الذين كفروا من قومه** استئناف كما مر وانما وصف
الملأ بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ قوم نوح بل كان منهم من آمن له عليه السلام ولكن كان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد
وقيل وصفوا به لمجرد الذم **انا لنراك في سفاهة** اي متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين آبائك الا انهم
هم السفهاء ولكن لا يعلمون **وانا لنظنك من الكاذبين** اي فيما ادعيت من الرسالة قالوه لعراقتهم في التقليد وحرمانهم
من النظر الصحيح **قال** مستعطفا لهم ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم ما سمع من الكلمة الشنعاء الموجبة للتغليظ
والمتانة بالتسوء **يا قوم ليس بي سفاهة** اي شيء منها ولا شائبة من شوائبها **ولكني رسول من رب العالمين** استدراك
مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه في الغاية القصوى من الرشد والأمانة فان الرسالة من جهة رب
العالمين موجبة لذلك حتما كأنه قيل ليس بي شيء مما تنسبوني اليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح
بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما افاده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية وقوله تعالى **أبلغكم رسالات ربي** استئنافا مسوق لتقرير رسالته
وتفصيل احوالها وقيل صفة اخرى لرسول وقرئ أبلغكم من الإبلاغ **وأنا لكم ناصح امين** معروف بالنصح والأمانة
مشهور بين الناس بذلك وللتعبير بالجملة الاسمية دلالة على الثبات والاستمرار وايذانا بان من هذا حاله لا يحوم
حوله شائبة السفاهة والكذب **أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم** الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح عليه السلام
على رجل منكم اي من جنسكم **لينذركم** ويحذركم عاقبة ما انتم فيه من الكفر والمعاصي حتى تنسبوني الى السفاهة والكذب
وفي اجابة الأنبياء عليهم السلام من شافههم بما لا خير فيه من امثال تلك الاباطيل بما حكي عنهم من المقالات الحقة المعربة
عن نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرأفة من الدلالة على حيازتهم القدح المعلى من مكارم الاخلاق وما لا يخفى
مكانه **واذكروا اذ جعلكم خلفاء** شروع في بيان ترتيب احكام النصح والأمانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب
باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل
عليها فاذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عيانا ولعله معطوف على مقدر كأنه قيل لا تعجبوا
من ذلك او تدبروا في امركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء **من بعد قوم نوح** اي في مساكنهم او في الارض
بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان **وزادكم في الخلق** اي في الإبداع
والتصوير او الناس **بسطة** قامة وقوة فانه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة
الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير منهم ستين ذراعا **فاذكروا آلاء الله** التي انعم بها عليكم من فنون النعماء التي من
جملتها هذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم اثر تخصيص **لعلكم تفلحون** كي يؤديكم ذلك الى الشكر المؤدي الى النجاة
من المكروب والفوز بالمطلوب **قالوا** مجيبين عن تلك النصائح العظيمة **أجئتنا لنعبد الله وحده** اي لتخصه بالعبادة ونذر
ما كان يعبد آباؤنا انكروا عليه عم مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والاعراض عن عبادة الاوثان انهماكا في التقليد
وحبا لما الفوه والفوا اسلافهم عليه ومعنى المجيء اما مجيئه عم من متعبده ومعتزله واما من السماء على التهكم واما القصد

والتصدي مجازاً كما في قوله تعالى في مقابلة ذهب يستعمل من غير ارادة معنى الذهاب **فأتنا بما تعدنا** من العذاب المدلول عليه
بقوله تعالى افلا تتقون **إن كنت من الصادقين** اي في الاخبار بنزول العذاب وجواب ان محذوف لدلالة المذكور
عليه اي فأتنا به **قال قد وقع عليكم** اي وجب وحق او نزل باصرار كم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما
في قوله تعالى **من ربكم** اي من جهته تعالى وتقديم الظرف الاول على الثاني ان مبدأ الشيء متقدم على منتهاه للمسارعة
الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تعالى **رجس** مع ما فيه من التشويق الى المؤخر ولان
فيه نوع طول لما عطف عليه من قوله تعالى **وغضب** فربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم والرجس العذاب من
الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل **أتجادلونني في أسماء** عارية
عن المسمى **سميتموها أنتم وآباؤكم** انكار واستقباح لانكارهم مجيئه عم داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك
عبادة الاصنام اي اتجادلونني في اسماء سميتموها آلهة ليست هي الا محض الاسماء من غير ان يكون فيها من مصداق
الالهية شيء ما لان المستحق للمعبودية بالذات ليس الا من اوجد الكل وانها لو استحقت لكان ذلك بجعله تعالى اما
بانزال آية او نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى **ما نزل الله بها من سلطان** واذ ليس ذلك في حيز الامكان
تحقق بطلان ما هم عليه **فانتظروا** مترتب على قوله تعالى قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا
إني معكم من المنتظرين لما يحل بكم والفاء في قوله تعالى **فأنجيناه** فصيحة كما في قوله تعالى فانفجرت اي فوقع
ما وقع فأنجيناه **والذين معه** اي في الدين **برحمة** اي عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى **منا** اي من جهتنا متعلق بمحذوف
هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المفهومة من تنكيرها بالفخامة الاضافية **وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا**
اي استأصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم **وما كانوا مؤمنين** عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة اي اصروا
على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك للمسارعة وفيه تنبيه
على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق آياته كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا
قوم كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا
وصمودا والهباء فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا
فامسك الله تعالى عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته
الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت
عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن
بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتان
معاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم
عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا
يدرون من قاله فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما
يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون به من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم
واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقيتم
واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة
فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء
يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا
بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجى هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها الى
ان ماتوا **وإلى ثمود أخاهم صالحا** عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا موافق له في تقديم المجرور على المنصوب
وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو

الماء القليل وقرئ بالصرف بتأويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى واخوة صالح عم لهم
حيث انه كهود عليه السلام فانه صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار
بارساله عم اليهم مظنة لان يسأل ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف **قال يا قوم اعبدوا الله**
ما لكم من إله غيره وقد مر الكلام في نظائره **قد جاءتكم بينة** اي آية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ
الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالة الافراد والجمع كالصالحة افرادا وجمعا وكذلك الحسنة
والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال او للمثوبة او للحالة من الرخاء والشدة ولذلك اوليت العوامل وقوله تعالى
من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عليه السلام
اول ما خاطبهم اثر دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا ترى
الى ما في سورة هود من قوله تعالى هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها الى آخر الآيات روي انه لما اهلكت عاد عمرت
ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا
البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله
اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم
وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك
وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاجابة
فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة
ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق
لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت
عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم
فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب
الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا
حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا
وقع البرد تشتت بطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة
بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي
جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجرت
الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث
ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما
كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت
قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى **هذه ناقة الله لكم آية** استئناف مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل
لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة ووسائط معتادة ولذلك كانت آية واي آية ولكم بيان لمن هي
آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان له
او مبتدأ ثانيا ولكم خبرا عاملا في آية **فذروها** تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم
التعرض لها **تأكل في أرض الله** جواب للامر اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تأكل ما تأكل في ارض ربها فليس لكم
ان تحولوا بينها وقرئ تأكل بالرفع على انه في موقع الحال اي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل
او لتعميمه له ايضا كما في قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وقد ذكر ذلك في قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم
ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الشامل لانواع الاذية ونكر السوء مبالغة في النهي

أي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها أصلا ولا تطردوها ولا تريبوها إكراما لآية الله تعالى فيأخذكم عذاب أليم جواب للنهي وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه يا علي أتدري من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد أي خلفاء في الأرض أو خلفاء لهم كما مر وبوأكم في الأرض أي جعل لكم مباءة ومنزلا في أرض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا استئناف مبين لكيفية التبوئة أي تبنون في سهولها قصورا رفيعة أو تبنون من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وتنحتون الجبال أي الصخور وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة كما في قوله ينباع من ذفرى أسيل حرة والنحت نجر الشيء الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى بيوتا على أنها حال مقدرة منها كما تقول خط هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب الجبال على إسقاط الجار أي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد جوز أن يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا آلاء الله التي أنعم بها عليكم مما ذكر وجميع الآلاء التي هذه من جملتها ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن حق آلائه تعالى أن تشكروا ولا تهملوا ولا تغفلوا عنها فكيف بالكفر والعثي في الأرض بالفساد قال الملأ الذين استكبروا من قومه أي عتوا وتكبروا استئناف كما سلف وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم إلخ واللام في قوله تعالى للذين استضعفوا للتبليغ وقوله تعالى لمن آمن منهم بدل من الموصول بإعادة العامل بدل الكل إن كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض إن كان للذين استضعفوا على أن المستضعفين من لم يؤمن والأول هو الوجه إذ لا داعي إلى توجيه الخطاب أولا إلى جميع المستضعفين مع أن المجاوبة مع المؤمنين منهم على أن الاستضعاف مختص بالمؤمنين أي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه وإنما قالوه بطريق الاستهزاء بهم قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بأن يقولوا نعم أو نعلم أنه مرسل منه تعالى مسارعة إلى تحقيق الحق وإظهار ما لهم من الإيمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على أن إرساله من الظهور بحيث لا ينبغي أن يسأل عنه وإنما الحقيق بالسؤال عنه هو الإيمان به قال الذين استكبروا أعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير إيذانا بأنهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار إنا بالذي آمنتم به كافرون وإنما لم يقولوا إنا بما أرسل به كافرون إظهارا لمخالفتهم إياهم وردا لمقالتهم فعقروا الناقة أي نحروها أسند العقر إلى الكل مع أن المباشر بعضهم للملابسة أو لأن ذلك لما كان برضاهم فكأنه فعله كلهم وفيه من تهويل الأمر وتفظيعه بحيث أصابت غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن أمر ربهم أي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الأمر والنهي وقالوا مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز والإفحام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا أي من العذاب والإطلاق للعلم به قطعا إن كنت من المرسلين فإن كونك من جملتهم يستدعي صدق ما تقول من الوعد والوعيد فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة لكن لا إثر ما قالوا ما قالوا بل بعدما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الأيام الثلاثة حسبما مر تفصيله فأصبحوا في دارهم أي صاروا في أرضهم وبلدهم أو في مساكنهم جاثمين خامدين موتى لا حراك بهم وأصل الجثوم البروك للإبل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى من شدة الأخذ وسرعة البطش اللهم إنا نعوذ بك من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين قيد تابعا له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لأن الصيحة كانت من السماء فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو أليق به فتولى عنهم إثر ما شاهد ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم من الإيمان متحزنا عليهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية أي شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه السلام بذلك كما خاطب رسول الله صلى الله

عليه وسلم قليب بدر حيث قال إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل إنما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته لعلاماته تولي ذاهب عنهم منكر لإصرارهم على ما هم عليه وروي أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزول العذاب بهم يوم السبت وروي أنه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل إليهم مع ذكرهم مقدما على المنصوب حسبما وقع فيما سبق وما لحق قد مر بيانه في قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن أخي إبراهيم عليهما السلام كان من أرض بابل من العراق مع عمه إبراهيم فهاجر إلى الشام فنزل فلسطين وأنزل لوطا الأردن وهي كورة بالشام فأرسله الله تعالى إلى أهل سدوم وهو بلد بحمص وقوله تعالى إذ قال لقومه ظرف للمضمر المذكور أي أرسلنا لوطا إلى قومه وقت قوله لهم إلخ ولعل تقييد إرساله عليه السلام بذلك لما أن إرساله إليهم لم يكن في أول وصوله إليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على أن انتصابه باذكر أي اذكر وقت قوله عليه السلام لقومه أتأتون الفاحشة بطريق الإنكار التوبيخي التقريعي أي أتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في الشر والسوء ما سبقكم بها ما عملها قبلكم على أن الباء للتعدية كما في قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله ومن في قوله تعالى من أحد مزيدة لتأكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق وفي قوله تعالى من العالمين للتبعيض والجملة مستأنفة لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع فإن مباشرة القبيح قبيح واختراعه أقبح ولقد أنكر الله تعالى عليهم أولا إتيان الفاحشة ثم وبخهم بأنهم أول من عملها فإن سبك النظم الكريم وإن كان على كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد أنهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا في نحو قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل من جهتهم لم لا نأتيها فقيل بيانا للعلة وإظهارا للزاجر ما سبقكم بها أحد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلون قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن إسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فعرض لهم إبليس في صورة شيخ إن فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا فلما ألح عليهم قصدوهم فأصابوا غلمانا فأخبثوا فاستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا ينكحون إلا الغرباء وقال الكلبي أول من عمل به ذلك إبليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم إلى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل إنكم لتأتون الرجال خبر مستأنف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد وأيا ما كان ففيه تأكيد للإنكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة إن واللام مزيد تقبيح وتقريع كأن ذلك أمر لا يتحقق صدوره عن أحد فيؤكد تأكيدا قويا وفي إيراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى شهوة مفعول له أو مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز أن يكون المراد الإنكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى من دون النساء أي متجاوزين النساء اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن أطهر لكم بل أنتم قوم مسرفون إضراب عن الإنكار المذكور إلى الإخبار بحالهم التي أفضت بهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف في كل شيء أو عن الإنكار عليها إلى الذم على جميع معايبهم أو عن محذوف أي لا عذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم الإسراف وما كان جواب قومه أي المستكبرين منهم المتولين للأمر والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله تعالى إلا أن قالوا [illegible] أخرجوهم [illegible] من قريتكم [illegible]

وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج ووصفهم
بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن الشطار
والدعار فانجيناه واهله اي المؤمنين منهم الا امرأته استثناء من اهله فانها كانت تسر بالكفر كانت من الغابرين
اي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشا عن استثنائها من حكم الانجاء كانه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين وامطرنا عليهم
مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة وامطر في العذاب
والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل
امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع
عليه وروي ان امرأته التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خطاب لكل من يتاتى منه
التامل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا وما
عطف عليه وقد روعي ههنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على المنصوب اي ارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم
عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل شعيب بن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين
وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم السلام لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم قال استئناف
مبني على سؤال نشا عن حكاية ارساله اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر
تفسيره مرارا قد جاءتكم بينة اي معجزة وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لفاعله مؤكدة
لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الاضافية اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم ولم تذكر
معجزته في القرآن العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فمنها ما روي من محاربة عصا موسى عليه السلام
التنين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع
عصا آدم على يده في المرات السبع لان كل ذلك كان قبل ان يستنبأ موسى عم وقيل البينة مجيئه عم كما في قوله تعالى يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل
اي المكيال كما وقع في سورة هود ويؤيده قوله تعالى والميزان فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد
وقيل آلة الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجيء البينة ويجوز ان يكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة
الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه ولا تبخسوا الناس اشياءهم
التي تشترون بها معتمدين على تمامها اي شيء كان واي مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير
وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه كما قال زهير افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم
ولا تفسدوا في الارض اي بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعدما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم باجراء الشرائع
او اصلحوا فيها واضافته اليها كاضافة مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية
اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة
رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم ان كنتم مؤمنين اي مصدقين لي في قولي هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي
بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا
اذا راوا احدا يشرع في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن
دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله اي السبيل الذي قعدوا عليه فوضع
المظهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله او بكل صراط على انه
عبارة على طرق الدين وقوله تعالى من آمن به مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل
وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا اي وتطلبون سبيل الله عوجا بالقاء الشبه او

بوصفها للناس بانها معوجة وهي ابعد شيء من شائبة الاعوجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة في النسل
والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم
واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به من الشرائع والاحكام وطائفة لم يؤمنوا
اي به او لم يفعلوا الايمان فاصبروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد
للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف قال الملأ الذين استكبروا من قومه
استئناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالوا بعدما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام
غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع من الطاعة بالغين من العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعه عم
عليه السلام فيما هم فيه واتباعه المؤمنين واجترءوا على اكراههم عليه بوعيد النفي وخاطبوه عم بذلك على طريقة
التوكيد لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا بنسبة الاخراج اليه عم اولا والى المؤمنين ثانيا بعطفهم عليه تنبيها
على اصالته عم في الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تعالى معك فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط
النداء باسمه العلم بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان اي والله لنخرجنك
واتباعك من قريتنا بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى او لتعودن في ملتنا
عطف على جواب القسم اي والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلي هو العود وانما ذكر النفي والاجلاء
لمحض القسر والالجاء كما يفصح عنه عدم تعرضهم لجواب الاخراج كانهم قالوا لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا
وادخالهم له عم في خطاب العود مع استحالة كونه عم في ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد وانما لم يقولوا
او لنعيدنكم على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة الطواعية حذرا من الاخراج باختيار اهون الشرين لا اعادتهم
بسائر وجوه الاكراه والتعذيب قال استئناف كما سبق اي قال عم ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة
اولو كنا كارهين على ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى اولو جئتك
بشيء مبين ويجوز ان يكون الاستفهام فيه باقيا على حاله وقد مر مرارا ان كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان
انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة
قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او
بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه
واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان
الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو
العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعدد وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء
الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي
ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله سالما عما يغيره واما فيما نحن فيه
ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل
المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو
مترتب على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وانما يقصد
بيان تحققه على كل حال هو مدلوله لا مدلول المذكور وان الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما سيأتي وان المقصود الاصلي
انكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد
استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر مقرر الا انه اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار من جهة ان العود
مما ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم لاستنزالهم
من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفرة ابتداء حتى يقال انها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم

كما في الخبر الموجب والمنفي والاستعمال النحوي منه

كما في الاخص فيما فات افادته له بواسطة الفعل المقدر كما سيجيء منه

كما في اللاحق فانه يتعلق بيعطي حال من فاعل يعطي منه

كما في الآخرين فانه حال من ضمير الموجود منه

بل انما يكون اهتمام له بعد وعيد الاخراج الذي جعل قرينا للقتل في قوله تعالى ولو انا كتبنا الاية فانهم كانوا استبعدوها ويطمعون في انهم حينئذ يختارون العود خشية الاخراج اذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو اشد منه وافظع والتقييد بنعود فيها لو لم نكن كارهين غير مبالين بالاكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه اذ ما لنا نعود فيها حال عدم الكراهة انكارا لما يفيده كلامهم الشنعاء باطلاقها من العود على اي حالة كانت غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر الاولى اغناء واضحا لان العود الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلان يتحقق مع عدمها اولى ان قلت المستفاد من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية هناك معتبرة بالنسبة الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه قولنا انعود لانه في معنى لا نعود فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وتوضيحه ان بين النفيين فرقا معنويا يختلف به احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الاخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا يستقيم اقامة احدهما مقام الاخر على وجه الكلية الا ترى انك لو قلت مكان انعود فيها اخره نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل وينفيه وما يذكر بعده يرجع اليه من حيث هو منفي واما همزة الاستفهام فانما تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لما ان دلالتها على الانكار والنفي ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من تمام ما اريد انكاره ونفيه حتما ليكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداه لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة عند كونها قيدا للفعل للعود كذلك اي مغنيا عن ذكر سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة مستلزم لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا للنفي بخلاف ذلك اي غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة ان نفي العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل الامر بالعكس فان نفيه في حال الكراهة قطعا استقام الاول لافادة نفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه على الوجه المذكور ان قيل فما وجه استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوفين معا حيث يصح ان يقال انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين كما يصح ان يقال انعود فيها لو لم نكن كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه لان معنى احدهما عين معنى الاخر وانهما مترادفان متفقان في جميع الاحكام كيف ومدلول الاول ان العود منتف في الحالتين ومدلول الثاني ان العود في الحالتين منتف وكلا المعنيين صحيح في نفسه صحيح لنفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة قد افترينا على الله كذبا اي كذبا عظيما لا يقادر قدره ان عدنا في ملتكم التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم حينئذ ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف عنه اللام تقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا اي ما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها في حال من الاحوال اي في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئة الله تعالى او وقت مشيئته تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى ربنا

فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وايا ما كان فليس المراد بذلك بيان ان العود في حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعه كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له وسع ربنا كل شيء علما نصب على التمييز اي احاط علمه بكل ما كان وما سيكون من الاشياء التي من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو الاليق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى على الله توكلنا اي في ان يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته باتجائنا وانظار الاسم الجليل في موضع الاضمار للمبالغة في التضرع والجؤار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اعراض عن مغاوضتهم اثر ما ظهر لهم انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين اي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة واظهار امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين الخ ولعل هؤلاء غير اولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شانهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام باموره حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق هو الاستكبار اي قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد القسمي والله لئن اتبعتم شعيبا ودخلتم في دينه وتركتم دين آبائكم انكم اذا لخاسرون اي في الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد جوابي الشرط والقسم الذي وطأته اللام فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وهكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى فاصبحوا في دارهم اي مدينتهم وفي سورة هود في ديارهم جاثمين اي ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم عليه والموصول مبتدأ خبره قوله تعالى كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استئناف اخر لبيان ابتلائهم لعقوبة قولهم الاخير واعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين اي الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بقولهم الاخير فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا المتبعون له عليه السلام وبهذا القصر اكتفى عن التصريح بانجائه عليه السلام كما وقع في سورة هود من قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه الخ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله عليه السلام بعد ما هلكوا تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال فكيف آسى اي احزن حزنا شديدا على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا من عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي اشارة اجمالية الى بيان احوال سائر الامم اثر بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة لتاكيد النفي والصفة محذوفة اي من نبي كذب او كذبه اهلها الا اخذنا اهلها استثناء مفرغ من اعم الاحوال واخذنا في محل النصب حال من فاعل ارسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد

الا باخذ اهلها اما تقديره وكذا كانت هذه الآية او مقارنة تقدمت في تلك عن مزيد الاقدام والتقدير وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء في حال من الاحوال الا حال كوننا آخذين اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والفقر اي بالفقر والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعريهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة كانهم كقوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل في حكمه مكان السيئة التي اصابتهم للغاية المذكورة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا اي كثروا عددا وعددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة وقالوا غرورا واغترارا قد ما اصابهم من الابتلاء انه من الله سبحانه قد مس آباءنا الضراء والسراء كما مسنا ذلك وما هو الا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير ان يكون هناك داعية تؤدي اليهما وتبعة تترتب عليهما ولعل تأخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء فلا ضير فيها فأخذناهم اثر ذلك بغتة فجأة اشد الاخذ وافظعه وهم لا يشعرون بذلك ولا يخطر ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمه وما يمضي بين الاخذ وتمام الاهلاك ايام كعذاب ثمود ولو ان اهل القرى اي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى وما ارسلنا في قرية وقيل هي مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا آمنوا بما اوحي الى انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اي الكفر والمعاصي بدعا الى الستة الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدهر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وحدوا الله واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير ولكن كذبوا اي ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفي بذكر الاول لاستلزامه الثاني فأخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مس آباءنا الضراء والسراء وهذا الاخذ عبارة عما في قوله تعالى فأخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فانهما قد زالا بتبديل الحسنة مكان السيئة أفأمن اهل القرى اي اهل القرى المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن كل طائفة ما اتاهم لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم باسنا خاص بهم لا يتعداهم الى غيرهم الواقع ونفيه كما قاله ابو شامة وغيره لقوله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء للعطف على اخذناهم وما بينهما اعتراض بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور مما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا اي بيتوتة او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا أوأمن اهل القرى انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون وقرئ او بسكون الواو على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى اي ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم كانهم يلعبون أفأمنوا مكر الله تكرير لزيادة التقرير ومكر الله استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به اتيان بأسه تعالى في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول والثالث بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثاني فمن تتمة الاول فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اي الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الآيات أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولهم وتعدية فعل الهداية باللام اما لتنزيله منزلة اللازم كانه قيل أغفلوا

ولم يتعد الهداية لهم الى الحرم واما لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقديرين هو الجملة الشرطية اي اولم يبين لهم مآل امرهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم وبسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة مفعوله ونطبع على قلوبهم عطف على ما ينبئ عنه قوله تعالى اولم يهد كانه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية او عن التفكر والتأمل او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى طبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق جواب لو فهم لا يسمعون اي اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات تلك القرى جملة مستأنفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص منبئة عن غاية غواية الامم المذكورة وتماديهم فيها بعدما اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم المحكية على ان اللام للعهد وهو مبتدأ وقوله تعالى نقص عليك من انبائها خبره وصيغة المضارع للايذان بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اي بعض اخبارها التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدأ والقرى خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وفي تصدير الكلام بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصوص انباء اهلها والمقصود بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لما ان حكاية هلاكهم بالمرة على وجه الاستئصال بحيث يشمل اماكنهم ايضا بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية معطلة اهول وافظع والباء في قوله تعالى بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي فيما بين الرسل وضمير الامم والجملة مستأنفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم اي وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان حتما وقوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم وترتيب حالهم هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار على فعل من الافعال بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث نحو وعظته فلم يتزجر ودعوته فلم يجب واللام لتأكيد النفي اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم الى ان لقوا منهم ما لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم ان كان المحكي عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه بقوله تعالى بما كذبوا من قبل تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة للموصول ايذانا بانه بنفسه وانما المحتاج الى البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع ما جاء به كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال القوم منهم فالمراد بما ذكر كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الخ وبما اشير اليه تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كانت امة من اولئك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلهم كحالهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة

في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الاباء ولا يخفى ما فيه من التعسف
وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تعالى ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليهم قبل بعثة الرسل ولا
عليه هنا ما ورد في سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج
ليرجع اليها الضمير في كذلك اي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع الله على قلوب الكافرين اي من المذكورين وغيرهم
فلا يكاد يؤثر فيها الآيات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال
الروعة وما وجدنا لاكثرهم اي لاكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا
اي ما صادفت له مالا ولقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله من عهد لانه في الاصل صفة النكرة فلما قدمت عليها
انتصبت حالا والاصل وما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اي وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد
فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
فتخصيص هذا الشأن باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يوفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل
وقيل المراد بالعهد ما عهد الله تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الآيات وانزال الحجج وقيل ما عهدوا عند خطاب ألست
بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يوفون بالعهود باي كان وان وجدنا
اكثرهم اي اكثر الامم اي علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا حفاظ وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففة من ان
وضمير الشأن محذوف اي ان الشأن وجدناهم لفاسقين خارجين عن الطاعة ناقضين العهود وعند الكوفيين
ان نافية واللام بمعنى الا اي ما وجدناهم الا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى اي ارسلناه من بعد انقضاء
وقائع الرسل المذكورين عليهم السلام او من بعد هلاك الامم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخي للايذان
بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر بآياتنا متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة
لمصدره اي بعثناه عم ملتبسا بآياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد
البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سيأتي على التفصيل الى فرعون
هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان
وملئه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عم لقومه كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة رب
العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية وتقبلها منه فئته الباغية لاصالتهم في تدبير الامور
واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور فظلموا بها اي كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع
ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب الخالد او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به
الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الا يرى الى قوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فكما ان
ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه
الصدارة والجملة في حيز النصب باسقاط الخافض اي فانظر بعين عقلك الى كيفية فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع
ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد وقال موسى كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الآيات
وكيفية عاقبة المفسدين يا فرعون اني رسول اليك من رب العالمين على الوجه الذي بيانه حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق جواب عما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالآيات من تكذيبه اياه عم في دعوى الرسالة وكان
اصله حقيق على ان لا اقول الحق كما هو قراءة نافع فقلب لأمن من الالباس كما في قول من قال وتشقى الرماح بالضياطرة
الحمر لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى
الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت

على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول وقوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم استئناف
مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عم وطلب جواب فرعون
اثر ما ذكر ههنا بل بعدما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى قال فمن ربكما الآيات وقوله تعالى وما رب العالمين
الآيات وقد طوي هنا ذكره للايجاز ومن متعلقة اما بجئتكم على انها لابتداء الغاية مجازا واما بمحذوف وقع صفة لبينة
مفيدة لفخامتها الاضافية المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبله الى العالمين
لتأكيد وجوب الايمان فارسل معي بني اسرائيل اي فخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد
استعبدهم بعد انقراض الاسباط يستعملهم ويكلفهم الافاعيل الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عم وكان بين اليوم الذي
دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عليه السلام اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال او الامر به على ما قبله من
رسالته عم ومجيئه بالبينة قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كأنه قيل فماذا قال فرعون له
حين قال ما قال فقيل قال ان كنت جئت بآية اي من عند من ارسلك كما تدعيه فأت بها اي فاحضرها عندي ليثبت
بها رسالتك ان كنت من الصادقين في دعواك فان كونك من جملة لا بالصدق يقتضي اظهار الآية لا محالة
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وايثار الجملة الاسمية
للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كأنها في الاصل كذلك روي انه لما القاها صارت ثعبانا
فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه
واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه
وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده اي من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء
للناظرين اي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليها النظارة تعجبا من امرها وذلك ما يروى انه ارى
فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب
شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام آدم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظرين لا انها كانت بيضاء في جبلتها
قال الملأ من قوم فرعون اي الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ان هذا لساحر عليم اي مبالغ في علم السحر ماهر فيه
قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول بعينه معزي في سورة الشعراء اليه يريد ان يخرجكم من ارضكم
اي من ارض مصر فماذا تأمرون بفتح النون وما في ماذا في محل النصب على انه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والاول
محذوف والتقدير باي شيء تأمرونني وهذا من كلام فرعون كما في قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي فاذا
كان كذلك فماذا تشيرون علي في امره وقيل قاله الملأ من قبله بطريق التبليغ الى العامة فقوله تعالى قالوا ارجه واخاه
على الاول فهو الاظهر حكاية لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ
ويأباه ان الخطاب لفرعون وان المشاورة ليست من وظائفهم اي اخره واخاه وعدم التعرض لظهور كونه معه حسبما
ينادي به الآيات الاخر والمعنى اخر امرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرئ ارجئه وارجه
من ارجأه وارجاه وارسل في المدائن حاشرين قيل هي مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة ومهرتهم باقصى مدائن
الصعيد وعن ابن عباس رض انهم كانوا سبعين ساحرا قد اخذوا السحر من رجلين مجوسيين من اهل نينوى مدينة يونس عليه السلام
بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء بعد موسى عم يأتوك بكل ساحر عليم اي ماهر في السحر
وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب الامر وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما في قوله
تعالى فارسل فرعون في المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال قالوا استئناف وقع
جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة كأنه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم
ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار وثبوت الاجر وايجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر عظيم حينئذ او
بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا نحن الغالبين لمجرد تعيين مناط ثبوت الاجر لا لترددهم في الغلبة وتوسيط

الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين لا موسى قال نعم وقوله تعالى وانكم لمن المقربين عطف على ما سد
مسده حرف الايجاب كأنه قال ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة في الترغيب روي انه قال لهم تكونون
اول من يدخل مجلسي وآخر من يخرج عنه قالوا استئناف كما مر كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصدين لشأنهم
مخاطبين لموسى عم يا موسى اما ان تلقي ما تلقي اولا واما ان نكون نحن الملقين اي لما نلقي اولا او الفاعلين للالقاء اولا
خيروه عم بالبدء بالالقاء مراعاة للادب واظهارا للجلادة وانه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير ولكن كانت
رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتأكيد الضمير المتصل قال القوا غير مبال بهم
اي القوا ما تلقون فلما القوا حبالهم وعصيهم سحروا اعين الناس بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اي بالغوا في ارهابهم
وجاؤا بسحر عظيم في بابه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها
بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون الفاء فصيحة اي فالقاها فصارت حية
فاذا هي الآية وانما حذف للايذان بمسارعة موسى عم الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن لقفها لما يأفكون قد
حصل متصلا بالامر بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والافك الصرف وقلب الشيء عن الوجه
المعتاد وما موصولة او موصوفة والعائد محذوف اي ما يأفكونه ويزورونه او مصدرية وهي مع الفعل بمعنى
المفعول روي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله
تعالى بقدرته القاهرة تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا
فوقع الحق اي ثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون اي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله فغلبوا اي فرعون
وقومه هنالك اي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين اي صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء
مقهورين والاول هو الظاهر لقوله تعالى والقي السحرة ساجدين فان ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا اي خروا
سجدا كأنما القاهم ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك قالوا آمنا برب العالمين رب
موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما آمنت السحرة
اتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة قال فرعون منكرا على السحرة موبخا على ما فعلوا آمنتم به بهمزة واحدة اما على
الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما مر في ان لنا لاجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين
معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين اي آمنتم بالله تعالى قبل ان آذن لكم اي بغير ان آذن لكم كما في قوله
تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن في ذلك ان هذا لمكر مكرتموه يعني ان ما صنعتموه ليس مما
اقتضى الى الصدور عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى في المدينة يعني مصر
قبل ان تخرجوا الى الميعاد روي ان موسى عم وامير السحرة التقيا فقال له موسى عم أرأيتك ان غلبتك أتؤمن بي وتشهد
ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتني لاؤمنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذي نشأ عنه هذا القول لتخرجوا
منها اهلها اي القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل وهاتان شبهتان القاهما الى اسماع عوام القبط عند معاينتهم
لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا بها يمنعهم بها عن الايمان
بنبوة موسى عم بادعاء ان ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين موسى وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة
وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان المألوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا
للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عليه السلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة على المدافعة فقال فسوف
تعلمون اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن
ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله تعالى محاربة لله ورسوله قالوا استئناف
مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قالت السحرة عندما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا

او تصلبوا ايمانهم فيمن الذين فقيل قالوا ثابتين على ما احدثوا من الايمان انا الى ربنا منقلبون اي بالموت لا محالة
فسواء كان ذلك من قبلك اولا فلا نبالي بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه
شغفا على لقاء الله تعالى او انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك وما تنقم منا اي وما تنكر وتعيب منا الا
ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك
ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقررا الى الله عز وجل وقالوا ربنا افرغ علينا
صبرا اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاوزار وادناس الآثام وهو الصبر
على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به
وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون مخاطبين له بعد ما شاهدوا
من امر موسى عم ما شاهدوا أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي في ارض مصر بتغيير الناس وصرفهم عن متابعتك ويذرك
عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة ألم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء اي
أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على تذر او استئنافا او حالا وقرئ بالسكون كأنه
قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن والهتك ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه
اصناما وامرهم بان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال مجيبا لهم
سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه
المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون كما كنا لم يتغير
حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول
فرعون وتضجروا منه استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله الباطلة ان الارض لله اي ارض مصر او
جنس الارض وهي داخلة فيها دخولا اوليا يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين الذين انتم منهم وفيه
ايذان بان الاستعانة بالله تعالى والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اي بنو
اسرائيل اوذينا اي من جهة فرعون من قبل ان تأتينا اي بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام
وبعده ومن بعد ما جئتنا اي رسولا يعنون به ما توعدهم من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى
عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب واما ما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن كما
قيل فليس مما يلحقهم بواسطته عم فليس لذكره كثير ملابسة بالمقام قال اي موسى عم لما رأى شدة جزعهم مما شاهدوه
مسليا لهم بالتصريح بما لوح به في قوله ان الارض لله عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم
باعادته ويستخلفكم في الارض اي يجعلكم خلفاء في ارض مصر فينظر كيف تعملون احسنا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر
منكم من الاعمال وفيه تأكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عم بانهم هم المستخلفون
باعيانهم او اولادهم فقد روي ان مصر انما فتحت في زمن داود عم ولا يساعده قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر استخلاف نفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما جيء بفعل الطمع جريا على سنن الكبرياء
ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين شروع في تفصيل مبادي الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك و
لم يكونوا في خفض ودعة بل رتب اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستئصال وتقدير الجملة
وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها
مجرى المذكر السالم فترفع بالواو وتنصب وتجر بالياء وتحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون
ولكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة
عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وحينئذ لا تحذف النون للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر دعاني من نجد
سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا وجاء في الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا كسنين يوسف بالوجهين

ونقص من الثمرات باصابة العاهات عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن عباس رضي
اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم لعلهم يذكرون كي يتذكروا ويتعظوا
بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد وقال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب
وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه تعالى الا ترى الى قوله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق
القول في لعل وفي محلها في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة الخ بيان لعدم
تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه اي لاجلنا واستحقاقنا لها
وان تصبهم سيئة اي جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا كما
ترى شاهد بكمال القساوة ونهاية الجهل والغباوة فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة
الآيات وقد كانوا بحيث لم تؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق
للايذان بكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها
وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله تعالى الا انما طائرهم عند الله استئناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة
وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب خيرهم الا عنده تعالى وهو حكمه
ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح وليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اي مكتوبة لديه فانها التي ساقت اليهم
ما يسوءهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي
عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى او يعلمون ان ما
اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا وقالوا شروع في بيان بعض
آخر مما اخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في انفسها آيات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر
والعناد اي قالوا بعدما رأوا ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمرات مهما تأتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء
واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد كما ضمت الى اين وان في اينما تكونوا واما نذهبن بك خلا ان الالف الاولى
قلبت هاء حذرا من تكرير المتجانسين هذا هو الرأي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الكاف ضمت اليها ما الشرطية ومحلها
الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعدها اي اي شيء تظهر لدينا وقوله تعالى من آية بيان لمهما وتسميتهم اياها آية
لجاراتهم على دأب موسى عليه السلام واستهزائهم بها والاشعار بان عنوان كونها آية لا يؤثر فيهم وقوله تعالى لتسحرنا بها الى آخره اظهار لكمال
الطغيان والغلو فيه وتسميته للارشاد الى الحق بالسحر وتسميتهم لا بصار والضمير المجرور ان راجعان الى مهما وتذكير الاول للمراعاة
جانب اللفظ لابهامه وتأنيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
لها وما يمسك فلا مرسل له فما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك فارسلنا عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما
لقولهم هذا الطوفان اي الماء الذي طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر وسيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون
والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في
ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي
في خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا
ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلأ ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم
وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت
منها فلم يؤمنوا فسلط الله تعالى عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا
اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا
وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا
فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع

القبطي والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه
وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات حال من المنصوبات المذكورة مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله
تعالى ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا
وقيل انه عليه السلام لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا اي عن الايمان بها وكانوا
قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس
المنتظم لكل واحدة من الآيات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات قالوا في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد
عندك اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعو فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه
بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او
قسم اجيب بقوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز اي وقع علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد
الله لئن كشفت الخ فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فيعذبون بعده او يهلكون اذا
هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير تأمل وتوقف فانتقمنا منهم اي فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا
من المعاصي والجرائم فان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق
الانتقام والفاء تفسيرية كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ في اليم في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل في لجته بانهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم
تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح
بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب آيات الله تعالى والاعراض عنها ليكون بذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب
الآيات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اي
بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنو اسرائيل
ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى بهم وعظيم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العزة مشارق
الارض ومغاربها اي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في اكنافها
الشرقية والغربية كيف شاؤوا وقوله تعالى التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب
وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة وتمت كلمة
ربك الحسنى وهي وعده تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بني اسرائيل بما صبروا
اي بسبب صبرهم على الشدائد كما بوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اي خربنا واهلكنا ما كان يصنع فرعون
وقومه من العمارات والقصور اي ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة
الكونية صلة ما والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون والجملة خبر كان
والعائد محذوف ايضا والتقدير ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون الى آخره وقيل كان زائدة وما مصدرية
والتقدير ما يصنع فرعون الى آخره وقيل كان زائدة كما ذكر وما موصولة اسمية والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذي
يصنعه فرعون الى آخره اي صنعه والعدول الى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار الصورة وما كانوا يعرشون
من الجنات وما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا آخر قصة فرعون
وقومه وقوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر شروع في قصة بني اسرائيل وشرح ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد
ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة للشكر وأراهم من الآيات الكبار ما تخر له
صم الجبال تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوزنا
بمعنى جاز وقرئ جوزنا بالتشديد وهو ايضا بمعنى جاز فعدي بالباء اي قطعنا بهم البحر روي انه عبر بهم موسى ع م

يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله تعالى فرعون فصاموا شكرا لله عز وجل فأتوا اي مروا على قوم قيل كانوا من لخم وقيل
من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عم بقتالهم يعكفون على اصنام لهم اي يواظبون على عبادتها ويلازمونها وقرئ بكسر
الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شان العجل قالوا عندما شاهدوا احوالهم يا موسى اجعل لنا
الها مثالا نعبده كما لهم آلهة الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها وما موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما
والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذي استقر لهم قال انكم قوم تجهلون تعجب عليه السلام من قولهم هذا اثر ما شاهدوا
من الآية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق لانه لا جهل اعظم مما ظهر منهم واكده بقوله ان هؤلاء يعني القوم الذين يعبدون
تلك التماثيل متبر اي مدمر مكسر ما هم فيه اي من الدين الباطل اي يتبر الله تعالى ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم
اصنامهم ويتركها رضاضا وانما جي بالجملة الاسمية للدلالة على التحقيق وباطل اي مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها
وان كان قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا كما توهم فان المراد به اعمال البر التي عملوها في الجاهلية فانها في انفسها حسنات لو قارنت الايمان لاستتبعت
اجورها وانما بطلت لمقارنتها الكفر وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا لها واسم لعبدة الاصنام الاوثان
بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا قال
اغير الله ابغيكم الها شروع في بيان شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان ما طلبوا عبادته مما
لا يمكن طلبه اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك فصل بينهما بقال مع كون كل منهما كلام موسى عم والاستفهام للانكار والتعجب
والتوبيخ وادخال الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبغي غيره تعالى الها لانه للاختصاص لانكار بغيره تعالى دون انكار
الاختصاص بغيره تعالى وانتصاب غير على انه مفعول ابغي بحذف اللام اي ابغي لكم اي اطلب لكم غير الله الها اما تمييز او حال او
على الحالية من الها وهو المفعول لابغي على ان الاصل ابغي لكم الها غير الله فغير الله صفة لالها فلما قدمت صفة النكرة انتصب حالا وهو
فضلكم على العالمين اي والحال انه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا
تخصيص الله تعالى اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان عمدوا الى اخس شيء من مخلوقاته تعالى فجعلوه شريكا له
تعالى تبا لهم وما يعبدون واذ انجيناكم تذكير لهم من جهته سبحانه بنعمة الانجاء من ملكة فرعون وقرئ انجيناكم بالتنجية
وقرئ انجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى عم اي واذكروا وقت انجائنا اياكم من آل فرعون من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم
من ايديهم وهم على حالهم في المكنة والقدرة بل باهلاكهم بالكلية وقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب من سامه خسفا اي
اولاه اياه وهو اما استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما معا لاشتماله على الضميرين
وقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبين او مفسر له وفي ذلكم الانجاء او سوء
العذاب بلاء اي نعمة ومحنة من ربكم من مالككم فان النعمة والنقمة كلتاهما منه سبحانه وتعالى عظيم لا يقادر قدره
وواعدنا موسى ثلاثين ليلة روي ان موسى عم وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله تعالى عدوهم اتاهم بكتاب فيه
بيان ما يأتون وما يذرون فلما اهلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة فلما اتم
الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله تعالى
اليه اما علمت ان ريح فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى بان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك
قوله تعالى واتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقيل امره الله تعالى بصوم ثلاثين يوما وان يعمل فيها بما
يقربه من الله تعالى ثم انزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصل ههنا وواعدنا
بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبول موسى عم منزلة الوعد وثلاثين مفعول ثان لواعدنا
بحذف المضاف اي اتمام ثلاثين ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة اي بالغا اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون
حين توجه الى المناجاة حسبما امر به اخلفني اي كن خليفتي في قومي وراقبهم فيما يأتون وما يذرون واصلح ما يحتاج الى الاصلاح
من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا

اي غير غيره ويعين انكار ان يتعين الهي
بغيره تعالى الخ لا الاشتراك بغيره
الانكار منه

كما في قوله تعالى اقيل الغداة
اتخذوا قال ومن نطانة
مستهد

لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة
عليهم السلام وفيما روي انه عليه السلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه عز وجل ليس
من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك اي ارني ذاتك بان تمكنني من رؤيتك وتتجلى
فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى في الجملة لما ان طلب المستحيل من الانبياء لا سيما ما يقتضي
الجهل بشؤون الله عز وجل ولذلك رده بقوله تعالى لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على
قصور رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا
ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها
وان لا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا
يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان تدل على استحالتها ودعوى
الضرورة مكابرة او جهل بحقيقة الرؤية قال استئناف مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل فما قال رب العزة
حين قال موسى عليه السلام ما قال فقيل لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني
استدراك لبيان انه لا يطيقه وفي تعليقها باستقرار الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن
والجبل قيل هو جبل اردن فلما تجلى ربه للجبل اي ظهرت له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطي الجبل
حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء اي ارضا
مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء اي قطعا وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما
رآه فلما افاق الافاقة رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب قال تعظيما لما شاهده
سبحانك اي تنزيها لك من ان اسألك شيئا بغير اذن منك تبت اليك اي من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن
وانا اول المؤمنين اي بعظمتك وجلالك وقيل اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا وقيل بانه لا يجوز السؤال
بغير اذن منك قال يا موسى استئناف مسوق لتسليته عم من عدم الاجابة الى سؤال الرؤية كانه قيل ان منعتك الرؤية
فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم اعط احدا من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها اني اصطفيتك اي اخترتك
واتخذتك واثرتك على الناس اي المعاصرين لك وهرون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه وما كان كليما
ولا صاحب شرع برسالاتي اي باسفار التوراة وقرئ برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك بغير واسطة فخذ ما آتيتك
اي اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على ما اعطيت من جلائل النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة
واعطاء التوراة يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء اي مما يحتاجون اليه من امور دينهم موعظة و
تفصيلا لكل شيء بدل من الجار اي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في عدد الالواح وفي
جوهرها ومقدارها فقيل انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل عم
وقيل من زبرجدة خضراء او ياقوتة حمراء وقيل امر الله تعالى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها
باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وان طولها كان عشرة اذرع وقيل انزلت
التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام
وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين
فخذها على اضمار قول معطوف على كتبنا اي فقلنا خذها بقوة بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك
والضمير للالواح او لكل شيء لانه بمعنى الاشياء او للرسالة او للتوراة وامر قومك يأخذوا باحسنها اي باحسن
ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة الى الاقتصاص والانتصار على طريقة الندب والحث على اختيار الافضل
كما في قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح وقيل المعنى يأخذوا
بها واحسن صلة وقال قطرب اي بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل يجوز ان تحمل الكلمة لمعنيين

او لما انه على اشبه محتملاتها بالحق واقربها الى الصواب سأريكم دار الفاسقين تلوين للخطاب وتوجيه له الى قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما امروا به اما على نهج الوعيد والترتيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر وديار عاد وثمود واضرابهم فان رؤيتها وهي خالية عن اهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار عن مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما حل باولئك واما على نهج الوعد والترغيب على ان المراد بدار الفاسقين اما ارض مصر خاصة او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها ايضا مما ابيح لبني اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ومعنى الاراءة الادخال بطريق الايراث ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ سأوريكم ولعله من اوريت الزند اي سأبينها لكم وقوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الآيات التي هي ما كتب في الواح التوراة من المواعظ والاحكام او ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية التي من جملتها ما وعدوا اراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الجليل اي ساطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون انهم على الخلق مزية وفضل فلا يتفكرون بآياتي التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا تسلكوا مسلكهم لتكونوا امثالهم وقيل المعنى سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات فابى الله الا احقاق الحق وازهاق الباطل وعلى هذا فالانسب ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة والعمالقة المشهورين بالفسق والتكبر في الارض وبارائتها المخاطبين ادخالهم الشام واسكانهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله تعالى سأصرف عن آياتي الخ جوابا عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بادخال الشام على ان المراد بالآيات ما بين آيات ونظائره وبصرفهم عنها ازالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها لوقوع اخبارها وظهور احكامها وآثارها باهلاكهم على يد موسى عليه السلام حين سار بعد التيه بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين الى اريحا وكان يوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كأنه قيل كيف نرى دارهم وهم فيها فقيل ساهلكهم وانما عدل الى الصرف ليزدادوا ثقة بالآيات واطمئنانا بها وقوله تعالى بغير الحق اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف هو حال من فاعله اي يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالآية اما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار اي وان يشاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا اي يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه بهم الى شهواتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام الى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها والا لفعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يمنعه الاشعار

بعلية ما في حيز الصلة كيف لا وقد مر ان ذلك في قوله تعالى ذلك بما عصوا الآية يجوز ان يكون اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بآيات الله صريحا وقيل محله النصب على المصدر اي سأصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او لقائهم ما وعده الله تعالى في الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى حبطت اعمالهم خبره اي ظهر بطلان اعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه الى الطور من حليهم متعلق باتخذ كالجار الاول لاختلاف معنيهما فان الاول للابتداء والثاني للتبعيض او البيان او متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده اذ لو تأخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لادنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من اربابها قبيل الغرق فبقيت في ايديهم ولانهم ملكوها بعد الغرق فذلك منوط بتملك بني اسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا يساعده قولهم حملنا اوزارا من زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالاتباع وقرئ حليهم على الافراد وقوله تعالى عجلا مفعول اتخذ اخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اي الها جسدا بدل من عجلا اي جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه وقوله له خوار اي صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا من اثر فرس جبريل عليه السلام وكان اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت والانسب بما في سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به فكأنهم فعلوه ولعل ان المراد باتخاذهم اياه الها اصنعه ولحادثه الم يروا انه لا يكلمهم استئناف مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه الها اي الم يروا انه ليس فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله تعالى اتخذوه اي فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اي واضعين للاشياء في غير موضعها فلم يكن هذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض ولما سقط في ايديهم اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاكيد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل ورأوا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل اي تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى كانهم رأوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كأنه سابق على الرؤية قالوا والله لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما اشير اليه وفي قوله تعالى لنكونن من الخاسرين لجواب القسم وما حكي عنهم من الندامة والرؤية والقول وان كان بعد ما رجع موسى عليه السلام اليهم كما ينطق به الآيات الواردة في سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد ولما رجع موسى الى قومه شروع في بيان ما جرى بين موسى عم بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده وقوله غضبان اسفا حالان من موسى عم او الثاني من المستكن في غضبان والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما فعلتم من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما

محنت نحو ابصاركم حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري واتباعه او بئسما قمتم مقامي ولم تراعوا عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخليفة ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم اعجلتم امر ربكم اي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها التي كان فيها تفصيل كل شئ وبقي سبع كان فيها المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه عليهما السلام يجره اليه حال من ضمير اخذ فعل ذلك به عم توهما انه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه عليهما السلام بثلث سنين وكان حمولا و لذلك كان احب الى بني اسرائيل قال اي هرون مخاطبا لموسى عليهما السلام ابن ام بحذف حرف النداء وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف و الشدائد وقرئ بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء وقراءة الفتح لزيادة التخفيف والتشبيه بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء اي فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او النسبة الى التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل او لا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية اعتذار هرون عم كانه قيل فماذا قال موسى عم عند ذلك فقيل قال رب اغفر لي اي ما فعلت باخي من غير ذنب مقرر من قبله ولاخي اي ان فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوه من العظيمة استغفر عليه السلام لنفسه ليرضي اخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه للايذان بانه يحتاج الى الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف منا وانت ارحم الراحمين فلا عزو في انتظامنا في رحمتك الواسعة في الدنيا والاخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا العجل اي تمادوا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري واتباعه من الذين اشربوه في قلوبهم كما ينبئ عنه كون الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في ان الموصول الاول عبارة عن المصرين سينالهم اي في الاخرة غضب اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جريمتهم اعظم الجرائم وافتح الجرائر وقوله تعالى من ربهم اي مالكهم متعلق بينالهم او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا هي ذلة الاغتراب التي تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التي اختص بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس يروى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس احدهم احد غيرهم حما جميعا في الوقت وايراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب ما امروا به من قتل انفسهم واعتذر عن السين بان ذلك حكاية عما اخبر الله تعالى به موسى عم حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بانه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب وانت خبير بان سابق النظم الكريم وسياقه ناتيا على ذلك نبوا ظاهرا كيف لا وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين ناد على خلافه فانهم شهداء تائبون فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء وايضا ليس جزاء الله تعالى لكل المفترين هذا الجزاء الذي ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم ابناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان تعيير الابناء بافاعيل الاباء مشهور معروف منه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا الاية وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى الاية

والمراد بالغضب الاخروي والذلة ما اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في ينالهم اخلافهم ولا ريب في ان توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه والذين عملوا السيئات اي سيئة كانت ثم تابوا عنه عن تلك السيئات من بعدها اي من بعد عملها وامنوا ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى ان ربك من بعدها اي من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان لغفور للذنوب وان عظمت وكثرت رحيم مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب شروع في بيان بقية الحكاية اثر ما بين تحزب القوم الى مصر وتائب والاشارة الى مال كل منهما اجمالا اي لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا صريح في ان ما حكي عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى عم وفي هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له عم على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الامر بذلك المغري عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكت على ان الفاعل هو الله تعالى او اخوه او التائبون اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها اي فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى اي بيان للحق ورحمة للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح للذين هم لربهم يرهبون اللام الاولى متعلقة بمحذوف هو صفة لرحمة اي كائنة لهم او هي لام الاجل اي هدى ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون وهي ايضا لام العلة والمفعول محذوف اي يرهبون المعاصي لاجل ربهم لا للرياء والسمعة واختار موسى قومه شروع في بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اي اختار من بحذف الجار وايصال الفعل كما في قوله اخترتك الناس اذ رثت خلائقهم واعتل من كان يرجى عنده السؤل اي اخترتك من الناس سبعين رجلا مفعول اول لاختار اخر عن الثاني لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر لميقاتنا اي لوقتنا بعد ما وقع من قومه ما وقع لا لميقات الكلام الذي ذكر قبل ذلك كما قيل قال السدي امر الله تعالى بان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه تعالى من عبادة العجل فوعدهم موعدا فاختار عم من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن اسحق اختارهم ليتوبوا اليه تعالى مما صنعوه ويسالوه التوبة على من تركوهم وراءهم من قومه قالوا اختار عم من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال عم ان لمن قعد منكم اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم الى طور سينا فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يامره وينهاه بما يشاء وهو لا يقبل انفسهم توبة فلما اخذتهم الرجفة مما اجترؤا عليه من طلب الرؤية فانه روي انه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عم وقالوا لن نؤمن لك لن نصدقك في ان الامر بما سمعناه من لا يقبل انفسهم هو الله تعالى حتى نرى الله جهرة فقاسوا رؤيته تعالى على سماع كلامه قياسا فاسدا فحين شاهد موسى عم تلك الحالة الهائلة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل اي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها واياي ايضا حين طلبت منك الرؤية اي لو شئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا اراد به عم تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد يعني انك قد سامحتني من الاهلاك ولم يكن من موانعه الا عدم مشيئتك اياه فحيث لطفت بنا وعفوت تلك الجرائر فلا عزو في ان تعفو عنا هذه الجريرة ايضا وحمل الكلام على التمني يأباه قوله تعالى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي الذين لا يعلمون تفاصيل شؤونك و لا يثبتون في المداحض والمزلة اما للانكار وقوع الاهلاك ثقة بلطفه عز وجل كما قاله ابن الانباري او للاستعطاف كما قاله المبرد اي لا تهلكنا ان هي الا فتنتك استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشا غلطهم اي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا

بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد وقوله تعالى تضل بها من تشاء وتهدي
من تشاء اما استئناف مبين لحكم الفتنة او حال من فتنتك اي حال كونها مضلا بها الى آخره اي تضل بسببها من تشاء
اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء هدايته الى الحق فلا يتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه انت ولينا
اي القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غير فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصي والفاء لترتيب
الدعاء على ما قبله من الولاية كانه قيل لمن شان الولي المغفرة والرحمة وقيل لان اقدامه عم على ان يقول ان هي الا فتنتك
لجراة فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها وارحمنا بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا وانت خير
الغافرين اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام واكتب لنا اي
عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت في هذه الدنيا حسنة اي نعمة وعافية او خصلة حسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما
اقبل وفادتنا ورد نا بالمغفرة والرحمة وفي الآخرة اي واكتب لنا فيها ايضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة انا هدنا
اليك اي تبنا واتينا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاد يهيد اذا حركه واماله ويحتمل ان يكون
مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة
من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة مما لا يليق بشان التنزيل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما
يوجب قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة في التوبة والمعنى انا تبنا وازحنا
عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع ههنا من طلب الرؤية بعيد عن لطفك وفضلك
ان لا تقبل توبة التائبين وقيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى عليه السلام يتضرع اليه تعالى حتى احياهم
وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عم فبكى فكشفها الله تعالى عنهم قال استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله من الكلام كانه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عم فقيل قال عذابي اصيب
به من اشاء لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم ضمن موسى عم دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي خصلة حسنة عارية عن المشقة والشدة فان في قتل انفسهم من العذاب والتشديد
ما لا يخفى فاجاب تعالى بان عذابي شانه اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه وهم ممن تناولته مشيتي ولذلك
جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي ورحمتي وسعت كل شيء اي شانها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل
ما يدخل تحت الشيئية من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها في ضمن العذاب الدنيوي وفي اسناد الاصابة الى العذاب
بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فبمقتضى معاصي
العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الا يرى الى قوله تعالى فساكتبها
اي اثبتها واعينها فانه متفرع على اعتبار المشيئة كانه قيل فاذا كان الامر كذلك اي كما ذكر من اصابة عذابي وسعة
رحمتي لكل من اشاء فساكتبها كتبة كائنة كما دعوت بقولك واكتب لنا في هذه الدنيا اي ساكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب
الدنيوي للذين يتقون اي الكفر والمعاصي اما ابتداء وبعد ملابستهما وفيه تعريض بقومه كانه قيل لا لقومك لانهم
غير متقين فيكتبهم ما تقدم من التجري والتي كانت مقارنة للعذاب الدنيوي ويؤتون الزكوة وفيه ايضا تعريض
بهم حيث كانت الزكوة شاقة عليهم [illegible]
الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك المنكرات عن آخرها وايراد ايتاء الزكوة لما مر من التعريض والذين هم
باياتنا جميعا يؤمنون ايمانا مستمرا من غير اخلال بشيء منها وفيه تعريض بكفرهم بالآيات العظام التي اجراها على يد موسى
عليه السلام [illegible] بعد ذلك من الآيات كتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول
مع ان المراد به عين ما اريد بالموصول الاول لما ان يقال ويؤمنون باياتنا عطفا على يؤتون الزكوة كما عطف هو
على يتقون لما اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور اي هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض الذين يتبعون
الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به النبي اي صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة اليه تعالى وعنوان

بالنسبة

بالنسبة الى الامة الامي بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق على حالته التي ولد عليها من امه او الى امة العرب
كما قال عم انا امة امية لا نحسب ولا نكتب او الى ام القرى وقرئ بفتح الهمزة اي الذي لم يمارس القراءة والكتابة
وقد جمع ذلك علوم الاولين والآخرين والموصول بدل من الموصول الاول بدل الكل او منصوب على المدح او
مرفوع عليه اي اعني الذين او هم الذين واما جعله مبتدأ على خبره يامرونا او اولئك هم المفلحون فغير سديد الذي
يجدونه مكتوبا باسمه ونعوته بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه
مكتوبا عندهم زيد هذه الزيادة التقدير وان شانه عليه السلام حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا
في التورية والانجيل اللذين تعبد بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا
وذكر الانجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي عليه السلام والقرآن الكريم قبل مجيئهما يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر كلام مستانف لا محل له من الاعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد
فيما سبق بكتبها اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط
التكاليف الشاقة كلها من آثار الرحمة الواسعة وقيل في محل النصب على انه حال مقدرة من مفعول يجدونه او
من النبي او من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اي لما كتب ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم ويحرم
عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اي يخفف عنهم
ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم حينئذ من كون التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص في العمد
والخطا من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت
وعن عطاء انه كانت بنو اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته
وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم واصل الاصر الثقل الذي يأصر
صاحبه من الحراك فالذين آمنوا به تعليم لكيفية اتباعه عليه السلام وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم
مغانم الرحمة الواسعة في الدارين اثر بيان نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده عليه السلام اياهم بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث اي فالذين آمنوا بنبوته واطاعوه في اوامره ونواهيه وعزروه
اي عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه على اعدائه في الدين
واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره
او مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي اتبعوا القرآن المنزل
مع اتباعه عليه السلام بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا القرآن مصاحبين له في اتباعه اولئك
اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة هم المفلحون اي هم
الفائزون بالمطلوب الناجون عن الكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عم دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما
في توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتاتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عم وبين الجواب لا بمجرد ما قيل من انه
لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم
بآياته العظام التي اجراها على يد موسى عم وعرض بذلك في قوله تعالى والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع
اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين
لطفا وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم لما حكى ما في الكتابين من نعوت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين امر عليه السلام ببيان ان تلك
السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة
سائر الرسل عليهم السلام باقوامهم وارسال موسى عليه السلام الى فرعون وملائه بالآيات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب

عطف على كلام
منه

كما قال [illegible] في قوله تعالى [illegible]
بقوله تعالى [illegible]
ثم قال الذين يتبعون
منه

العالمين برسالته وترك التعظيم التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر
واما العمل باحكام التوراة فمختص ببني اسرائيل جميعا حال من الضمير في اليكم الذي له ملك السموات والارض
منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه في حكم
المتقدم عليه وقوله تعالى لا اله الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره يحيي ويميت لزيادة
تقرير الوهيته والفاء في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه السلام
وايراد نفسه عليه السلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات الى الغيبة للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره ووصف
الرسول بقوله النبي الامي لمدحه عليه السلام بهما ولزيادة تقرير امره وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله
تعالى الذي يؤمن بالله وكلماته اي بما انزل اليه والى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال
بما امروا به والتصريح بايمانه بالله تعالى للتنبيه على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به
وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن تنبيها على ان المامور به الايمان به عليه السلام من حيث انزل عليه القرآن
لا من حيثية اخرى وعلى ان المراد بها عيسى عليه السلام تعريضا باليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه واتبعوه
اي في كل ما ياتي وما يذر من امور الدين لعلكم تهتدون علة للفعلين او حال من فاعليهما اي رجاء لاهتدائكم
الى المطلوب او راجين له وفي تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء
مستمر على الغي والضلالة ومن قوم موسى كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص كتب الرحمة والتقوى والايمان
بالآيات بمتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان اسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما
حكيت احوالهم بل منهم امة يهدون اي الناس بالحق اي ملتبسين به او يهدونهم بكلمة الحق وبه اي بالحق يعدلون
اي في الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله
عليه وسلم ويأباه انه تعالى ذكرهم فيما سلف وقيل ان بني اسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترؤا على قتل الانبياء
عليهم السلام تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اولئك الطاغين ففتح الله تعالى
لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا
وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون
قالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ مني عليه السلام
فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلوة
والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا وانت خبير بان تخصيصهم بالهداية
من بين قومه عليه السلام مع ان منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد وقطعناهم اي قوم موسى لا الامة
المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى اثنتي عشرة ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير والتانيث للحمل على الامة
او القطعة اي صيرناهم اثنتي عشرة امة او قطعة متميزا بعضها من بعض او حال من مفعوله اي فرقناهم معدودين
هذا العدد وقوله اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة قطعة اسباط لا سبط
وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا
الى موسى اذ استسقاه قومه حين استولى عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا بمجرد استسقائهم اياه
عليه السلام بل باستسقائه عليه السلام لهم لقوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى ان اضرب بعصاك الحجر مفسر
لفعل الايحاء وقد مر بيان شأن الحجر في سورة البقرة فانبجست عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف تعويلا
على كمال الظهور وايذانا بغاية مسارعته الى الامتثال واشعارا بعدم تاثير الضرب حقيقة وتنبيها على كمال
سرعة الانبجاس وهو الانفجار كانه حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب كما في قوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب
فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط واما ما قيل من ان التقدير فان ضربت فقد انبجست فغير حقيق

بجلالة

بجلالة النظم التنزيلي وقرئ بكسر الشين وفتحها قد علم كل اناس كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من
الاسباط مشربهم اي عينهم الخاصة بهم وظللنا عليهم الغمام اي جعلناها بحيث تلقي عليهم ظلها تسير في التيه
بسيرهم وتسكن باقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه وانزلنا عليهم المن والسلوى اي الترنجبين
والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح
الرجل منه ما يكفيه كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اي مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة
عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة
للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة فما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب
من التهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر واذ قيل
لهم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وايراد الفعل على البناء للمفعول مع اسناده اليه تعالى
كما ينفصح عنه ما وقع في سورة البقرة من قوله تعالى واذ قلنا للجري على سنن الكبرياء والايذان بالغنى عن التصريح
به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالامر بالذكر للتشديد في التوبيخ اي اذكر لهم وقت قوله تعالى لاسلافهم اسكنوا
هذه القرية منصوبة على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهي بيت المقدس وقيل اريحاء
وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة رأسهم عوج بن عنق وفي قوله تعالى اسكنوا
ايذان بان المامور به في سورة البقرة هو الدخول على وجه السكنى والاقامة ولذلك اكتفي به عن ذكر رغدا في قوله تعالى
وكلوا منها اي من مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية او منها على انها ابتدائية حيث شئتم اي من نواحيها من غير
ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون الا رغدا واسعا وعطف كلوا على اسكنوا بالواو لمقارنتهما
زمانا بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل ولذلك قيل هناك فكلوا وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة لذنوبنا
وهي فعلة من الحط كالجلسة وادخلوا الباب اي باب القرية سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم
من التيه وتقديم الامر بالقول على الامر بالدخول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان المامور به هو الجمع بين
الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم ان كان المراد بالقرية اريحا فقد روي انهم دخلوها حيث سار اليها موسى عليه السلام
بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم على خلاف في الروايتين ففتحها كما مر في سورة المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد روي انهم
لم يدخلوه في حياة موسى عليه السلام فقيل المراد بالباب باب القبة التي كانوا يصلون اليها نغفر لكم خطيئاتكم وقرئ خطاياكم
كما في سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول سنزيد المحسنين عدة بشيئين بالمغفرة
وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير سؤال نشأ من الاخبار بالغفران كانه قيل
فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة منهم زيادة بيان فبدل الذين ظلموا منهم بما امروا به من التوبة
والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه قولا آخر مما لا خير فيه روي انهم دخلوه زاحفين على استاههم
وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاتا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز
وجل واستهزاء بموسى عليه السلام وقوله تعالى غير الذي قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها
قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فارسلنا عليهم اثر ما فعلوا ما فعلوا من غير تاخير
وفي سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد والارسال من فوق فيكون كالانزال رجزا من السماء عذابا كائنا
منها والمراد الطاعون روي انه مات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا بما كانوا يظلمون بسبب
ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به
ترتيب الارسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما ان الحكم ههنا مترتب على المضمر دون الموصول بالظلم كما في
سورة البقرة واما التعليل بالفسق بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله تعالى اعلم واسألهم

عطف على المقدر اي اذ قيل اي واسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع وتقرير بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى واعلاما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها الا من مارس كتبهم قد احاط به النبي م خبرا وليس ذلك بالتلقي من كتبهم لانه عم بمعزل عن ذلك فتعين انه من جهة الوحي الصريح عن القرية اي عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهي ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هي مدين والطور وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية التي كانت حاضرة البحر اي قريبة مشرفة على شاطئه اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت واذ ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس بذاك اذ لا فائدة في تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد حيث كانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو الاولى لان السؤال عن عدوانهم ادخل في التوبيخ والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتيادها احوالهم في عدم التعرض يوم السبت يوم سبتهم اي يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة من قرأ يوم اسباتهم وقوله تعالى شرعا جمع شارع من شرع عليه اذا دنى واشرف وهو حال من حيتانهم اي تأتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل ويوم لا يسبتون اي لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرئ لا يسبتون ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت لا تأتيهم كما كانت تأتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تأتيهم يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون فقيل لا تأتيهم كذلك نبلوهم اي مثل ذلك البلاء العظيم نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها والتعجب منها بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم فيها المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لكن لا في تلك المادة فان فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل ما يأتون ويذرون وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم يوم سبتهم فالجملة بعده حينئذ استئناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ قالت عطف على اذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان وعدم ازدجارهم عنه بعد العظات والانذارات امة منهم اي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتأثير مبالغة في الاعذار وطمعا في فائدة الانذار لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم بالكلية ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال بالمرة وقرئ مهلكهم مخزيهم في الدنيا او معذبهم في الآخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم مهلكون في الدنيا او معذبون في الآخرة وايثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كأنهما واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينجع فيهم او ترهيبا للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فان بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستعرفه قالوا اي الوعاظ معذرة الى ربكم اي نعظهم معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو الانسب بظاهر قوله لم

تعظون على انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي موعظتنا معذرة اليه تعالى حتى لا ينسب الى نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين ولعلهم يتقون عطف على معذرة اي ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في ان القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي للشيء واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث بالهم شيء من تلك المواعظ اصلا انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفريقان المذكوران واخراج انجائهم مخرج الجواب الذي حقه الترتب على الشرط وهو نسيان المعتدين انجاء الاولين واخذ الآخرين واما تصدير الجواب بانجائهم فلما مر مرارا من المسارعة الى بيان نجاتهم من اول الامر مع ما في المؤخر من نوع طول واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة الامر بعذاب بئيس اي شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرئ بيئس على وزن فيعل بفتح العين وكسرها وبئس كحذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيس كريس بقلب همزة بئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اي اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان واجراء الحكم على الموصول وان اشعر بعلية ما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان والا لما اخروا عن ابتداء المباشرة ساعته ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي فمسخهم بعد ذلك لقوله فلما عتوا عما نهوا عنه اي تمردوا وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين اذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر التكويني لا القولي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه ليس لخصوصية الحوت بل العمدة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية تقرير للاولى روي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعني بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كأنها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تأتيهم في سائر الايام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها ويأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام واصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسباءهم من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد برأسه بلى ثم ماتوا عن ثلاث وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها في الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فأكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى جعل موعدا والساعة ادهى وامر واذ تأذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى واسألهم وتأذن بمعنى آذن كما ان توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر يحدث به نفسه واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله فلذلك اجيب بجوابه

حيث قيل ليبعثن عليهم الى يوم القيمة اي واذكر لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه ان يسلط على اليهود البتة من يسومهم
سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر
فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث النبي
صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب يعاقبهم
في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن منهم وقطعناهم اي فرقنا بني اسرائيل في الارض وجعلنا كل فرقة منهم
في قطر من اقطارها بحيث لا يخلو ناحية منها منهم تكملة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة وقوله تعالى امما مفعول
ثان لقطعنا او حال من مفعوله منهم الصالحون صفة لامما او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم
ومنهم دون ذلك اي ناس دون ذلك الوصف اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات
والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي فخلف من بعدهم اي من بعد المذكورين
خلف اي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير
والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب اي التورية من اسلافهم يقرؤنها
ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى استيناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم
اياه اي يأخذون حطام هذا الشيء الادنى اي الدنيا وهو من الدنو او الدناءة والمراد به ما كانوا يأخذونه
من الرشى في الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا ويقولون سيغفر لنا ولا يؤاخذنا الله تعالى
بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان
يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عائدون
الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي الميثاق الوارد في الكتاب ان لا يقولوا على الله
الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا الى آخره والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة
بلا توبة والدلالة على انها افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ
من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء افلا تعقلون
فتعلمون ذلك فلا تستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ والذين
يمسكون بالكتاب اي يتمسكون به في امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين اسلموا من اهل
الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عم فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة
وقال عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله تعالى واقاموا
الصلوة ولعل التغيير للدلالة على ان التمسك بالكتاب مستمر في جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة
باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر نسقا على الذين يتقون
وقوله تعالى افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين
والرابط اما الضمير المحذوف كما هو رأي جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم واما الالف واللام كما هو رأي
الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى فان الجنة هي المأوى اي مأواهم وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب اي ابوابها
واما العموم في المصلحين فانه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد على احد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين
يمسكون بالكتاب مأجورون او مثابون وقوله تعالى انا لا نضيع الى آخره اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل
فوقهم اي قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كانه ظلة اي سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا اي تيقنوا انه واقع بهم
ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به واطلاق الظن في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم
ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا
ما آتيناكم اي قلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو

واذكروا

واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق او راجين
ان تنتظموا في سلك المتقين واذ اخذ ربك منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا مسوق للاحتجاج على اليهود
بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة وتوبيخهم بنقضه اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر
بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم اخذ ربك من بني آدم المراد بهم
الذين ولدهم كائنا من كان نسلا سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا و
ايثار الاخذ على الاخراج للايذان بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الانباء عن الاجتباء والاصطفاء وهو السبب
في اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي واضافته الى ضميره عم للتشريف وقوله تعالى
من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن ومن في الموضعين ابتدائية
وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل غب الاجمال وتنبيه على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم
في اصلاب الآباء ولم يستودعوا في ارحام الامهات وقوله تعالى ذريتهم مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة
الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشائيته ولما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم
والمراد بهم اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا اوليا
كما اندرج اسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصهما باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع الله
عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل واشهدهم على انفسهم اي اشهد كل واحدة من اولئك
الذريات المأخوذين من ظهور آبائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا لربوبيته التامة وما تستتبعه من المعبودية على الاختصاص
وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى الست بربكم على ارادة القول اي قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على
الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل في شأن من شؤونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى
قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا بلى شهدنا اي على انفسنا بانك ربنا
والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا في الفطرة مستعدين للاستدلال
بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس المؤدية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود
يولد على الفطرة الحديث مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم
من العقول والبصائر ونصب لهم في الآفاق والانفس من الدلائل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا كاملا وتعرضهم
لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا من غير ان
يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
وقوله تعالى ان تقولوا بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المعاصرين من اليهود تشديدا
في الالزام او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث انهم مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام
المحكي وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية وايا ما كان فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا
او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا هم يوم القيمة عند ظهور الامر انا كنا عن هذا عن وحدانية الربوبية واحكامها
غافلين لم ننبه عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين
عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله او تقولوا انما اشرك
عطف على تقولوا واو لمنع الخلو دون الجمع اي هم اخترعوا الاشراك وهم سنوه آباؤنا من قبل من قبل زماننا
وكنا نحن ذرية من بعدهم لا نهتدي الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل افتهلكنا بما فعل المبطلون
من آبائنا المضلين بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالرأي او تؤاخذنا فتهلكنا
الخ فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة
على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه

لما خلق الله تع آدم عم مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ
جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وقد روي عن عمر رض انه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة
وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى
انه تعالى اخرج الكل من ظهره عم بالذات بل اخرج من ظهره ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية وهكذا
الى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر الاصلي ظهره عم وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان
يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب اخراج الكل اليه واما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة
المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى آبائهم اقتضى الحال نسبة
اخراج كل واحد منهم الى ظهر ابيهم من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لآدم عم من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق
في حديث عمر رض ليس بيانا لعدمه ولا مستلزما له واما ما قالوا من ان اخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق
قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انه غير دافع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا فرد
من افراد البشر يذكر ذلك فمردود لكن لا بما قيل من ان الله عز وجل قد اوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله
فيما اخبروا به فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة وبنسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج
بعد اخبار المخبر الصادق بل بان قوله تعالى ان تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تعالى واشهدهم وما يتفرع عليه
من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم في الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه
الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة انا كنا
غافلين عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف والا لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور واما على القراءة
بالياء فهو مفعول له لنفس الامر المضمر العامل في اذ اخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق المأخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا
يوم القيمة بالغفلة عنه او بتقليد الآباء هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر
فاما على تقدير كونه من كلامه تعالى فهو العامل في ان تقولوا ولا محذور اصلا اذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا
تقولوا يوم القيمة الخ لانا نذكركم ونكذبكم وكذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته والكاف مقحمة مؤكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم
على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية اي ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة نفصل الآيات
المذكورة لا غير ذلك ولعلهم يرجعون ولكي يرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الآباء نفعل التفصيل المذكور
قالوا وان ابتدائيتان ويجوز ان تكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل اي وكذلك نفصل الآيات ليقفوا
على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الخ واتل عليهم عطف على المضمر العامل في اذ اخذ وارد على نمطه في الانباء
عن الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى اي واتل على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا اي خبره الذي له شان
وخطر وهو احد علماء بني اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء وبلعام بن باعر من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى
وقيل هو امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجاء ان يكون هو
الرسول فلما بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به ولا يناسب المقام توبيخ اليهود بهناتهم فانسلخ منها
اي من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطرها بباله اصلا او خرج منها بالكلية بان كفر بها ونبذها وراء
ظهره واياما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما
ابدا للايذان بكمال المباينة للآيات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال فاتبعه الشيطان اي تبعه حتى لحقه
وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتّبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية
او اتبعه خطواته فكان من الغاوين فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين

وروي

وروي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى عم فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فبقوا في التيه
عليهم كما مر في سورة المائدة ولو شئنا كلام مستأنف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الآيات ووقوعه
في مهاوي الغواية ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة
اي ولو شئنا رفعه لرفعناه اي الى المنازل العالية للابرار العالمين بتلك الآيات العاملين بموجبها لكن لا بمحض
مشيئتنا من غير ان يكون له دخل في ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال
الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المؤدي الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تعالى بها اي
بسبب تلك الآيات بان عمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما
بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى منوط بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك في الاستدراك
بان اسند ما يؤدي الى نقيض التالي اليه حيث قيل ولكنه اخلد الى الارض مع ان الاخلاد واليها ايضا مما لا يتحقق
عند صرف اختياره اليه الا بخلقه تعالى كانه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك الآيات
التي هي اقوى اسباب الرفع ولكنه لم نشأه لمباشرته لسبب نقيضه فترك في كل من المقامين ما ذكر في الآخر تعويلا على
المذكور بالمطوي كما في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله فتخصيص
كل من المذكورين بمقامه للايذان بان الرفع مراد له تعالى بالذات وتفضل محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة
كيف لا وجميع افعاله ومباديها من نعمه تعالى وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتية
له سبحانه كما قيل في وجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر في الآية المذكورة وهو السر في جريان السنة القرآنية
على اسناد الخير اليه تعالى واضافة الشر الى الغير كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد الى الشيء الميل اليه
مع الاطمئنان به والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه آثر الدنيا الدنية على المنازل السنية او الضعة
والسفالة على الرفعة والجلالة واتبع هواه معرضا عن تلك الآيات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين
والى ذلك اشير بقوله تعالى فمثله كمثل الكلب لما انه اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله واذلها
حيث قيل ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي فحاله التي هي مثل في السوء كصفته في ارذل احواله وهي حال
دوام اللهث به في حالتي التعب والراحة فكانه قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وايثار الجملة الاسمية
على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب الخ للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره
واستمراره عليها والخطاب في فعلي الشرط لكل احد ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل في اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع
اللسان بالتنفس الشديد اي هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وازعجته بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه
في الكلاب طبع لا تقدر على نفض الهواء المسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر
الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية مع اختها
تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل له من الاعراب على منهاج قوله تعالى خلقه
من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هي في محل النصب على الحالية من الكلب بناء
على خروجهما من حقيقة الشرط وتحولهما الى معنى التسوية حسب تحول الاستفهامين المتناقضين اليه في مثل قوله تعالى ءانذرتهم
ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالتين واياما كان فالاظهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ
من سوء الحال واضطرام القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال بالهيئة المنتزعة
مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم موسى عم خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك ذلك
اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة الى الكلب اعلى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الخسة
والدناءة اي ذلك المثل السيء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وهم اليهود حيث اوتوا في التورية ما اوتوا من نعوت النبي
صلى الله عليه وذكر القرآن المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا

كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة **فاقصص القصص** القصص مصدر بمعنى المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي إذا تحققت أن المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما أوحي إليك **لعلهم يتفكرون** فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون أنك قد علمته من جهة الوحي فيزدادون إيقانا بك والجملة في محل النصب على أنها حال من ضمير المخاطب أو على أنها مفعول له أي فاقصص القصص راجيا لتفكرهم أو رجاء لتفكرهم **ساء مثلا** استئناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونهم كالكلب في الخسة والمنزلة وساء بمعنى بئس وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى **القوم الذين كذبوا بآياتنا** وحيث وجب التصادق بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير إلى تقدير مضاف إليه وهو الظاهر أي ساء مثلا مثل القوم وإعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير بأن يقال ساء مثلا مثلهم للإيذان بأن مدار السوء ما في حيز الصلة ولربط قوله تعالى **وأنفسهم كانوا يظلمون** به فإنه إما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب آيات الله بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لأنفسهم خاصة أو منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها وأيا ما كان ففي يظلمون لمح إلى أن تكذيبهم بالآيات متضمن للظلم بها وأن ذلك أيضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول **من يهد الله فهو المهتدي** لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الإخلاد إلى الضلالة ويهتدوا إلى الحق عقب ذلك بتحقيق أن الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل وإنما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه سوى كونها دواعي إلى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله إياه كسائر أفعال العباد فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لأن حقيقتها الدلالة الموصلة إلى البغية البتة بل لأنها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة إلى ما يوصل إلى البغية أي ما من شأنه الإيصال إليها كما سبق تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد مجرد الإخبار باهتداء من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الإفادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هدايته تعالى للاهتداء بل تحميل النظم الكريم على تعظيم شأن الاهتداء والتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل هو مقصور على من هداه الله تعالى حسبما يقتضيه تعريف الخبر فالمعنى من يهده الله أي يخلق فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدي لا غير كائنا من كان **ومن يضلل** بأن لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها **فأولئك** الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور **هم الخاسرون** أي الكاملون في الخسران لا غير وإفراد المهتدي نظرا إلى لفظ من وجمع الخاسرين نظرا إلى معناها للإيذان باتحاد منهاج الهدى وتعدد طرق الضلال **ولقد ذرأنا** كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل أي خلقنا **لجهنم** أي لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى **كثيرا** أي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به لما في توابعه من نوع طول يؤدي توسطه بينهما وتأخيره عنها إلى الإخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى **من الجن والإنس** متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا أي كائنا منهما وتقديم الجن لأنهم أعرق من الإنس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات وأكثر عددا وأقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يؤدي إلى ذلك بل لعلمه تعالى بأنهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق أبدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما أن جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم التام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقوله تعالى **لهم قلوب** في محل النصب على أنه صفة أخرى لكثيرا وقوله تعالى **لا يفقهون بها** في محل الرفع على أنه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وإبهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر أفراد الجنس فاقدة لكماله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب تماديهم عن صرفها إلى تحصيله وهذا وصف لها بكمال الإغراق في القساوة فإنها حيث لم يتأت منها التفقه

بحال فكأنها خلقت غير قابلة له رأسا وكذا الحال في أعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم أي لهم قلوب ليس من شأنها أن يفقهوا بها شيئا مما من شأنه أن يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا أوليا وتخصيصه بذلك مخل بالإفصاح عن كنه حالهم **ولهم أعين لا يبصرون بها** الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالإبصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الإدراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الإحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الأنعام أي لا يبصرون بها شيئا من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا أوليا **ولهم آذان لا يسمعون بها** أي شيئا من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية تناولا أوليا وإعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بأن يقال وأعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون لتقرير سوء حالهم وفي إثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بأن يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى **أولئك** المنعوتون بما ذكر من مثلية الأنعام والمترتبة منها **هم الغافلون** الكاملون في الغفلة المستحقون لأن يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وإنهم لا يعرفون من شؤون الله عز وجل ولا من شؤون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه ما ليس كمثله شيء وهو السميع العليم أصنامهم التي هي من أخس مخلوقاته تعالى **ولله الأسماء الحسنى** تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الأمور وما لا يليق به إثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تأنيث الأحسن أي الأسماء التي هي أحسن الأسماء وأجلها لإنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها **فادعوه بها** أي فسموه بتلك الأسماء **وذروا الذين يلحدون في أسمائه** الإلحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي أي يميلون في شأنها عن الحق إلى الباطل إما بأن يسموه تعالى بما لا توقيف فيه أو بما يوهم معنى فاسدا كما في قول أهل البدو يا أبا المكارم يا أبيض الوجه ونحو ذلك فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك وبأسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا أسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الإضمار بأن يقال يلحدون فيها وإما بأن يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض أسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمن اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب أيضا وبالأسماء أسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه بجميع أسمائه الحسنى واجتنبوا إخراج بعضها من البين وإما بأن يطلقوها على غيره تعالى كما سموا أصنامهم آلهة وإما بأن يشتقوا من بعضها أسماء أصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالأسماء أسماؤه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والإظهار في موقع الإضمار مع التجريد عن الوصف في المحل للإيذان بأن الإلحاد في نفس الأسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك الاجتناب عن ذلك إذ لا يتوهم صدور مثل هذا الإلحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الإعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى **سيجزون ما كانوا يعملون** فإنه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الأمر بعدم المبالاة والإعراض عن المجازاة كأنه قيل لم لا نبالي بإلحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لأنه سينزل بهم عقوبته وتتشفون بذلك عن قريب وأما على الوجهين الأولين فالمعنى اجتنبوا إلحادهم كيلا يصيبكم ما أصابهم فإنه سينزل بهم عقوبة إلحادهم **وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** بيان إجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والإلحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على أنه مبتدأ إما باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس أي وبعض من خلقنا أو وبعض ممن خلقنا أمة أي طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق أو يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قرأها هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة الآية وعنه عليه السلام إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وروي لا تزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله وروي لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة

على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به والذين كذبوا باياتنا شروع في تحقيق الحق الذي به يهدي الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترتيب ومحل الموصول الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الآيات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا باياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط او الاستقامة واما بمعنى مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه بحيث يزعم ان ذلك ترق في مراقي منافعه مع انه في الحقيقة تردّ في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه اياهم ان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحسبوا انها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على ان المطلوب تدرجهم في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي الى ان يحق عليهم كلمة العذاب على افظع حال واشنعها والاول وسيلة اليه وقوله تعالى من حيث لا يعلمون متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر الفعل المذكور اي سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم واملي لهم عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لما ان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج آثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من الافتنان المنبئ عن مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجديد القصد والعزيمة وقيل ان ذلك للاشعار بانه بمحض التقدير الالهي والاستدراج بتوسط المدبرات فبناء دلالة نون العظمة على الشركة واني ذلك والا لاحترز عن ايرادها في قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم الآية بل انما ايرادها في امثال هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبرياء ان كيدي متين تقرير للوعيد وتأكيد له اي قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا لما ان ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء من غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما يبطن فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد المذكور حتما اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كلام مبتدأ مسوق لانكار عدم تفكرهم في شأنه عليه السلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الآيات التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وسباقه وما اما استفهامية انكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم واما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير والجملة معلقة لفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار اي اكذبوا بها ولم يتفكروا في اي شيء من جنون ما كائن بصاحبهم الذي هو اعظم الائمة الهادية بالحق وعليه انزلت تلك الآيات او في انه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يؤديهم التفكر في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما انزل عليه من الآيات وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى اولم يتفكروا اي اكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل اي شيء بصاحبهم من جنة ما على طريق الانكار والتعجب والتبكيت وقيل ليس بصاحبهم شيء منها و التعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم للايذان بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام عن شائبة ما ذكر ففيه تأكيد للنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم مع وضوح استحالة ثبوته له عليه السلام لما ان التكلم بما هو خارق لقضية العقول والعادات لا يصدر الا عمن به مس من الجنون

كيفما اتفق من غير ان يكون له اصل ومعنى او عن تأييد الهي يخبر به عن الامور الغيبية واذ ليس به عليه السلام شائبة الاول تعين انه عليه السلام مؤيد من عند الله عز وجل وقيل انه عليه السلام علا الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوّت الى الصباح فنزلت فالتصريح بنفي الجنون للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تعالى ان هو الا نذير مبين جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم بعد قوله تعالى ما هذا بشرا اي ما هو عليه السلام الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرأفة ومبالغة في الاعذار وقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض استئناف آخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتأمل في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة اثر ما نعي عليهم اخلالهم بالتفكر في شأنه عليه السلام والهمزة كما مر للانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اي اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تأمل فيما يدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة وما خلق الله اي وفيما خلق فيهما على انه عطف على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما او وفي ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات والارض والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى من شيء بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما ينطلق عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى وبسائر شؤونه التي ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول فان كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله تعالى وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشأن وخبرها عسى مع فاعلها الذي هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشأن والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا في ان الشأن عسى ان يكون الشأن قد اقترب اجلهم وقد جوز ان يكون اسم يكون اجلهم وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل ضمير اجلهم لتقدمه حكما واياما كان فمناط الانكار والتوبيخ تأخيرهم للنظر والتأمل اي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يسارعون الى التدبر في الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم اياها وبحثهم عنها وقوله عز وجل فبأي حديث بعده يؤمنون قطع لاحتمال ايمانهم رأسا ونفي له بالكلية مرتب على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات واخلالهم بالتفكر والنظر والباء متعلقة بيؤمنون وضمير بعده للآيات على حذف المفهوم من كذبوا او التكذيب باعتبار كونها قرآنا او بتأويلها بالمذكور واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احواله عليه السلام واحوال المصنوعات فبأي حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية كلا وهيهات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو انكار وتبكيت لهم مرتب على اخلالهم بالمسارعة الى التأمل فيما ذكر كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم والمعنى فبأي حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف اي فبأي حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له استئناف مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى ويذرهم في طغيانهم بالياء والرفع على الاستئناف اي وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقرئ بالجزم بالنون

عن نافع وابي عمرو في الشواذ وقوله تعالى يعمهون اي يترددون ويتحيرون حال من مفعول يذرهم وتوحيد
الضمير في حيز النفي نظراً الى اللفظ وجمعه في حيز الاثبات نظراً الى معناها للتنصيص على شمول النفي والاثبات للكل
يسألونك عن الساعة استيناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اي عن القيمة وهي من الاسماء
الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها
في نفسها قيل ان قوماً من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبياً فانا نعلم متى هي وذلك امتحاناً منهم مع
علمهم انه تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان مرسيها بفتح الهمزة وقرئ بكسرها ظرف
زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدأ او الفعل المضارع دون الماضي بخلاف متى حيث يليها كلاهما قيل اشتقاقه
من اي فعلان منه لان معناه اي وقت وهو من اويت الى الشيء لان البعض آوٍ الى الكل متساند اليه ومحله الرفع
على انه خبر مقدم ومرسيها مبتدأ مؤخر اي متى ارساؤها اي اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته
واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشيء الثقيل كما في قوله تعالى والجبال ارساها ومنه مرساة السفن ومحل الجملة قيل الجر
على البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كانه قيل
يسألونك عن الساعة عن ايان مرسيها وفي تعليق السؤال بنفس الساعة اولاً وبوقت وقوعها ثانياً تنبيه على ان
المقصد الاصلي من السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلاً لها وقد سلك هذا المسلك
في الجواب الملقن ايضاً حيث اضيف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها فاخبر باختصاصه عز وجل حيث قيل قل انما علمها
اي علمها بالاعتبار المذكور عند ربي ولم يقل انما علم وقت ارسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف
المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم للايذان بان توفيقه عم للجواب على الوجه المذكور
من باب التربية والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به احداً من ملك
مقرب ولا نبي مرسل وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو بيان لاستمرار تلك الحالة الى حين قيامها واقناط كلي عن اظهار
امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية
كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي تسألونني عنه الا هو
بالذات من غير ان يشعر به احد من المخلوقين فيتوسط في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المسؤول
بل بان يقيمها فيشاهدوها عياناً كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى
لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله كانه قيل لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم
على الاستثناء للتنبيه من اول الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها في وقتها الذي يسألون
عنه وقوله تعالى ثقلت في السموات والارض استيناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت
على اهلهما من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه اخفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث
يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت فيهما اذ لا يطيقها منهما ومما فيهما شيء اصلاً والاول
انسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى لا تأتيكم الا بغتة فانه ايضاً استيناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد
من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي لا تأتيكم الا فجأة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس
والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك
كانك حفي عنها استيناف مسوق لبيان خطائهم في توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم انه عم
عالم بالمسؤول عنه او ان العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان خطائهم في اصل السؤال باعلام شأن المسؤول عنه والجملة
التشبيهية في محل النصب على انها حال من الكاف جيء بها بياناً لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم اشعاراً بخطائهم في ذلك اي
يسألونك مشبهاً حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كانك مبالغ في السؤال عنها
فان ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما ان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب

على المبالغة والاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل اي استئصاله والاحتفاء في المسألة اي
الالحاح فيها وقيل عن متعلقة بيسألونك وقوله تعالى كانك حفي معترض وصلة حفي محذوفة اي حفي بها وقرئ
كانك حفي بها وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان قريشاً قالوا له عم ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى
الساعة والمعنى يسألونك كانك حفي تتحفى بهم فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ففيه تخطئة
لهم من جهتين وقيل هو من حفي بالشيء بمعنى فرح به والمعنى كانك فرح بالسؤال عنها تحبه مع انك كاره له لما انه
تعرض لحرم الغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه قل انما علمها عند الله امر عليه السلام باعادة الجواب
الاول تأكيداً للحكم وتقريراً له واشعاراً بعلته على الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها
لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيداً للتعريض بجهلهم بقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون
اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها راساً فلا يعلمون شيئاً مما ذكر قطعاً وبعضهم
يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها فيسألونك عنه جهلاً وبعضهم يدعون ان العلم
بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون
على جلية الحال من المؤمنين واما السائلون عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين
حيث لم يعملوا بعلمهم وقوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها
اثر بيان عجز الكل عنه وابطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه عم ممن يعلمها واعادة الامر لاظهار كمال
العناية بشأن الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر
لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام اما متعلق باملك او بمحذوف وقع حالاً من نفعاً اي
لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما الا ما شاء الله ان املكه من ذلك بان يلهمنيه
فيمكنني منه ويقدرني عليه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ في اظهار العجز
ولو كنت اعلم الغيب اي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الاشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية و
المسببية ومن المباينات المستتبعة والمدافعة لاستكثرت من الخير اي لحصلت كثيراً من الخير الذي نيط تحصيله
بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه ودفع موانعه وما مسني السوء اي السوء الذي يمكن التفصي عنه
بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما فان منه ما لا مدفع له ان انا الا نذير وبشير اي ما انا الا
عبد مرسل للانذار والبشارة شأني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التي
لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها
واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار
عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما ان المقام مقام الانذار وقوله تعالى لقوم يؤمنون اما متعلق
بهما جميعاً لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف اي نذير
للكافرين اي الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون اي في اي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في احداث الايمان
وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان هو الذي خلقكم استيناف مسوق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جرأتهم
على الاشراك بتذكير مبادي احوالهم المنافية له وايقاع الموصول خبراً لتفخيم شأن المبتدأ اي هو ذلك العظيم الشأن
الذي خلقكم جميعاً وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هو آدم عليه السلام
وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه في مطلع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم
وتصويره وبيان لكيفيته وجعل عطف على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجوداً لما
ان الواو لا يستدعي الترتيب في الوجود منها اي من جنسها كما في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجاً او
من جسدها لما روي انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عم والاول هو الانسب اذ الجنسية هي المؤدية

إلى الغاية الآتية لا الجزئية والجعل إما بمعنى التصيير فقوله تعالى زوجها مفعوله الأول والثاني هو الظرف المقدم
وإما بمعنى الإنشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر
أو بمحذوف هو حال من المفعول والأول وقوله تعالى ليسكن إليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني
أي ليستأنس بها ويطمئن إليها اطمئنانا مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير وينبئ عنه قوله تعالى فلما
تغشاها أي جامعها حملت حملا خفيفا في مبادي الأمر فإنه عند كونه نطفة أو علقة أو مضغة أخف عليها
بالنسبة إلى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للإشارة إلى نعمته تعالى عليهم في إنشائه تعالى إياهم متدرجين
في أطوار الخلق من العدم إلى الوجود ومن الضعف إلى القوة فمرت به أي فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت
وقعدت وأخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف وفارت من المور وهو المجيء والذهاب
أو من المرية أي فظنت الحمل وارتابت به وأما ما قيل من أن المعنى حملت حملا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى
بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذية ولم تستثقله كما يستثقلنه فمرت به أي مضت به إلى ميلاده من غير
إخداج ولا إزلاق فيرده قوله تعالى فلما أثقلت أي صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ولا ريب
في أن الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور إنما مقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من أول الحمل
إلى آخره دون بعض أصلا وقرئ أثقلت على البناء للمفعول أي أثقلها حملها دعوا الله أي آدم وحواء عليهما السلام
لما دهمهما أمر لم يعهداه ولم يعرفا مآله فاهتما به وتضرعا إليه عز وجل وقوله تعالى ربهما أي مالك أمرهما
للتنبيه بأن يخص بالدعاء إشارة إلى أنهما قد صدرا دعاءهما به كما في قولهما ربنا ظلمنا أنفسنا الآية ومتعلق الدعاء
محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية به أي دعواه تعالى أن يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد
القسمي وقالا أو قائلين لئن آتيتنا صالحا أي ولدا من جنسنا سويا لنكونن نحن ومن يتناسل من ذريتنا من الشاكرين
الراسخين في الشكر على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما أنهما قد علما أن
ما علقا به دعاءهما أنموذج لسائر أفراد الجنس ومعيار لها ذاتا وصفة وجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم
لصلاحها فالدعاء في حقه متضمن للدعاء في حق الكل مستتبع له كأنهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا أولادا صالحة
وقيل إن ضمير آتيتنا أيضا لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما وأنت خبير بأن نظم الكل في سلك الدعاء أصالة يأباه
مقام المبالغة في الاعتناء بشأن ما هما بصدده وأما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لأن توسيع دائرة
الشكر غير مخل بالاعتناء المذكور بل مؤكد له وأياما كان فقوله تعالى فلما آتاهما صالحا لما آتاهما ما طلباه
أصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى جعلا أي جعل أولادهما له تعالى شركاء
على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ثقة بوضوح الأمر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال
في قوله تعالى فيما آتاهما أي فيما آتى أولادهما من الأولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك و
تخصيص إشراكهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع أن إشراكهم بالعبادة أغلظ منه جناية وأقدم وقوعا لما أن
مساق النظم الكريم لبيان إخلالهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح وأول كفرهم في حقه إنما هو تسميتهم إياه بما ذكر
وقرئ شركا أي شركة أو ذوي شرك أي شركاء إن قيل ما ذكر من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه إنما يصار
إليه فيما يكون للفعل ملابسة بالمضاف إليه أيضا بسرايته إليه حقيقة أو حكما ويتضمن نسبته إليه صورة
مزية يقتضيها المقام كما في قوله تعالى وإذ أنجيناكم من آل فرعون الآية فإن الإنجاء منهم مع أن تعلقه حقيقة ليس إلا
بأسلاف اليهود وقد نسب إلى أخلافهم بحكم سرايته إليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا في قوله تعالى قل فلم
تقتلون أنبياء الله الآية فإن القتل حقيقة مع كونه من جنايات آبائهم قد أسند إليهم بحكم رضاهم به أداء
لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب في أنهما عليهما السلام بريئان من سراية الجعل المذكور إليهما بوجه من الوجوه
فما وجه إسناده إليهما صورة قلنا وجهه الإيذان بتركهما الأولى حيث أقدما على نظم أولادهما في سلك

وإنزالهما إياهم في ضمن شكرهما وأقسما على ذلك قبل تعرف أحوالهم ببيان أن إخلالهم بالشكر الذي وعداه
وعدا مؤكدا باليمين بمنزلة إخلالهما به بالذات في استيجاب الحنث والخلف مع ما فيه من الإشعار بتضاعف
جنايتهم ببيان أنهم بجعلهم المذكور أوقعوهما في ورطة الحنث والخلف وجعلوهما كأنهما باشراها بالذات
فجمعوا بين الجناية على الله تعالى والجناية عليهما عليهما السلام فتعالى الله عما يشركون تنزيه فيه
معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من أحكام قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية إلى التوحيد
وصيغة الجمع لما أشير إليه من تعيين الفاعل وتنزيه آدم وحواء عليهما السلام عن ذلك وما في عما مصدرية
أي عن إشراكهم أو موصولة أو موصوفة أي عما يشركونه به سبحانه والمراد بإشراكهم إما تسميتهم أو مطلق إشراكهم
المنتظم لها انتظاما أوليا وقرئ تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قريش والمراد
بالنفس الواحدة نفس قصي فإنهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله تعالى ولدا
صالحا فأعطاهما أربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولأعقابهما
المقتدين بهما وأما ما قيل من أنه لما حملت حواء أتاها إبليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله
بهيمة أو كلب أو خنزير وما يدريك من أين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لآدم عليه السلام فأهمهما ذلك ثم عاد إليها
وقال إني من الله بمنزلة فإن دعوته أن يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان
اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا وأنه عليه السلام كان علما
في علم الأسماء والمسميات فعدم علمه بإبليس واسمه واتباعه إياه في مثل هذا الشأن الخطير أمر قريب من المحال
والله أعلم بحقيقة الحال أيشركون استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح إشراكهم على الإطلاق وإبطاله
بالكلية ببيان شأن ما أشركوه به سبحانه وتفصيل أحواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه في حقه أي أيشركون
به تعالى ما لا يخلق شيئا أي لا يقدر على أن يخلق شيئا من الأشياء أصلا ومن حق المعبود أن يكون خالقا لعابده
لا محالة وقوله تعالى وهم يخلقون عطف على لا يخلق وإيراد الضميرين بجمع العقلاء مع رجوعهما إلى ما
المعبر بها عن الأصنام إنما هو بحسب اعتقادهم فيها وإجرائهم لها مجرى العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا
حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية لإبانة كمال منافاة حالها لما
اعتقدوه في حقها وإظهار غاية جهلهم فإن إشراك ما لا يقدر على خلق شيء ما بخالقه وخالق جميع الأشياء
مما لا يمكن أن يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقها للإيذان بتعينه والاستغناء عن ذكره
ولا يستطيعون لهم أي لعبدتهم إذا أصابهم أمر مهم وخطب ملم نصرا أي نصرا ما بجلب منفعة أو دفع مضرة
ولا أنفسهم ينصرون إذا اعتراهم حادثة من الحوادث أي لا يدفعونها عن أنفسهم وإيراد النصر للمشاكلة
وهذا بيان لعجزهم عن إيصال المنفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية إلى عبدتهم وأنفسهم بعد بيان عجزهم عن
إيصال منفعة الوجود إليهم وإلى أنفسهم خلا أنهم وصفوا هناك بالمخلوقية لكونهم أهلا لها وههنا لم يوصفوا بالمنصورية
لأنهم ليسوا أهلا لها وقوله تعالى وإن تدعوهم إلى الهدى بيان لعجزهم عما هو أدنى من النصر المنفي عنهم وأيسر وهو
مجرد الدلالة على المطلوب والإرشاد إلى طريق حصوله من غير أن يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات
المنبئ عن مزيد الاعتناء بأمر التوبيخ والتبكيت أي إن تدعوهم أيها المشركون إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به
المطالب وتنجون به عن المكاره لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى سواء عليكم أدعوتموهم
أم أنتم صامتون استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع أي مستو عليكم في عدم الإفادة دعاؤكم
لهم وسكوتكم البحت فإنه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله تعالى أم أنتم صامتون جملة اسمية
في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لأنها في قوة أم صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم إفادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت
الدائم المستمر وما قيل من أن الخطاب للمسلمين والمعنى وإن تدعوا المشركين إلى الهدى أي الإسلام لا يتبعوكم الخ

سياق النظم الكريم وسياقه اصلاً على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى سواء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى الداعين فانهم فائزون بفضل الدعوة
ان الذين تدعون من دون الله تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اي ان الذين تعبدونهم من دون الله
تعالى من الاصنام وتسمونهم آلهة عباد امثالكم اي مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله
عز وجل مسخرة لامره عاجزة عن الضرر والنفع وتشبيهها بهم في ذلك مع كون عجزها عنهما اظهر واقوى من عجزهم انما هو
لاعترافهم بعجز انفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي يدعوهم الى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى
فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اي فادعوهم في جلب نفع او كشف ضر ان كنتم
صادقين في زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه وقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها الخ تبكيت اثر
تبكيت مؤكد لما يفيده الامر التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان آلاتها بالكلية فان الاستجابة من الهياكل
الجسمانية انما تتصور اذا كان لها حيوة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة
كانه قيل الهم هذه الآلات التي بها يتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الانكار الى كل واحدة من هذه
الآلات الاربع على حدة تاكيداً للتبكيت وتثنية للتقريع واشعاراً بان انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف
في الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الارجل بالمشي بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف وانما
وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال ايمشون بارجلهم لتحقيق انها حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الارجل فهي
ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلث الباقية وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم
ايد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والالزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن
من التبكيت بعد تمامه الى فن آخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء
وهي لغة فيه والمعنى بل الهم ايد ياخذون بها ما يريدون اخذه وتاخيره عما قبله لما ان المشي حالهم في انفسهم
والبطش حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله تعالى ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون
بها مع ان الكل سواء في انها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلرعاية المقابلة بين الايدي والارجل لان انتفاء المشي
والبطش اظهر والتبكيت بذلك اقوى واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الآذان واظهر عينا واثرا هذا وقد
قرئ ان الذين تدعون من دون الله عباداً امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية اي ما الذين تدعون
من دونه تعالى عباداً امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تعالى الهم الخ تقريراً لنفي المماثلة باثبات القصور والنقصان
قل ادعوا شركاءكم بعدما بين ان شركاءهم لا يقدرون على شيء ما اصلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يناصبهم للمحاجة ويكر عليهم التبكيت والقام الحجر اي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم علي ثم كيدون جميعا انتم
وشركاءكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر فلا تنظرون اي فلا تمهلوني ساعة
بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني لا ابالي بكم اصلا ان وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل لعدم المبالاة
المنفهم من السوق انفهاما جليا ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى
لعدم المبالاة كانه قيل لا ابالي بكم وبشركائكم لان وليي هو الله الذي نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري وبان
شركاءكم لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين تذييل مقرر لمضمون
ما قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين تدعون اي تعبدونهم
من دونه تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما امرتكم به لا يستطيعون نصركم اي في امر من الامور
او في خصوص الامر المذكور ولا انفسهم ينصرون اذا نابتهم نائبة وان تدعوهم الى الهدى الى ان يهدوكم
الى ما تحصلون به مقاصدكم على الاطلاق او في خصوص الكيد المعهود لا يسمعوا اي دعاءكم فضلا عن المساعدة
والامداد وهذا ابلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون بيان لعجزهم

عن الابصار

عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون
اليك حال من المفعول والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين يشبهون الناظرين
اليك ويخيل اليك انهم يبصرونك لما انهم صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من قلب
حدقته الى الشيء ينظر اليه والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه الى المشركين لتوجيه
الخطاب الى كل واحد واحد منهم لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها على ان رؤية الاصنام على الهيئات
المذكورة لا يتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول
على حاله وقيل للمشركين على ان التعليل المذكور قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا اي وترى المشركين ينظرون اليك
والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن رضي ان الخطاب في قوله تعالى وان تدعوا للمؤمنين على ان التعليل
قد تم عند قوله تعالى ينصرون اي وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الاسلام لا يلتفتوا اليكم ثم خوطب عليه السلام
بطريق التجريد بانك تراهم ينظرون اليك لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيه عليه السلام من شواهد
النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو بعدما عد من اباطيل المشركين
وقبائحهم ما لا يطاق تحمله امر صلى الله عليه وسلم بجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء عنهم اي خذ
ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او
الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف بالجميل المستحسن من الافعال فانها قريبة من قبول
الناس من غير نكير واعرض عن الجاهلين من غير مماراة ولا مكافاة قيل لما نزلت سأل رسول الله صلى الله عليه
جبريل عليه السلام فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق وروي انه لما نزلت الآية الكريمة قال صلى الله عليه
وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته
واغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه واسناده الى النزغ من قبيل جد جده اي واما يحملنك من جهته وسوسة
ما على خلاف ما امرت به من اعتراء غضب او نحوه فاستعذ بالله فالتجئ اليه تعالى من شره وقد جوز ان يراد بنزغ
الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي ان لي شيطانا يعتريني ففيه زيادة تنفير
عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الامر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لامره وتنبيه على انه من الغوائل
الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها الا بالالتجاء الى حرم عصمته عز وجل انه سميع عليم يعلم ما فيه صلاح امرك
فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها ان الذين اتقوا استئناف مقرر لما قبله ببيان ان
ما امر به عليه السلام من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والاخلال بها ديدن الغاوين اي ان الذين اتصفوا
بوقاية انفسهم عما يضرها اذا مسهم طائف من الشيطان ادنى لمة منه على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف
يطوف كأنها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا اي الم وقرئ طيف على انه مصدر
او تخفيف من طيف من الواوي او اليائي كهين ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره فيما سيأتي تذكروا اي
الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه فاذا هم بسبب ذلك التذكر مبصرون مواقع الخطاء ومكايد الشيطان فيحترزون
عنها ولا يتبعونه واخوانهم اي اخوان الشياطين وهم المنهمكون في الغي المعرضون عن وقاية انفسهم عن المضار يمدونهم
في الغي اي يكون الشياطين مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم كأنهم
يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون اي لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم بالكلية
ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يرعوون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع
الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم بآية من القرآن عند تراخي الوحي او بآية مما اقترحوه
قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا يرون بذلك ان سائر

الآيات أيضاً كذلك وهلا تلقيتها من ربك استدعاءً قل رداً عليهم إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي من غير أن يكون لي مدخل ما في ذلك أصلاً على معنى تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام باتباع ما يوحى إليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة إنما إلى نفس الفعل بالنسبة إلى مقابله الذي كلفوه إياه عليه السلام لا على معنى تخصيص اتباعه بما يوحى إليه بتوجيه القصر إلى المفعول بالقياس إلى مفعول آخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه في قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلي كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي منه تعالى وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ إلى الكمال اللائق مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من تشريفه والتنبيه على تأييده ما لا يخفى هذا إشارة إلى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى إلي بصائر من ربكم بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها أي بصائر كائنة منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد وجوب الإيمان بها وقوله تعالى وهدى ورحمة عطف على بصائر وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله تعالى لقوم يؤمنون للإيذان بأن كون القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة إلى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع وأما كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين إذ هم المقتبسون من أنواره والمغتنمون بآثاره والجملة من تمام القول المأمور به وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له إرشاد إلى طريق الفوز بما أشير إليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن وإذا قرئ القرآن الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول وأنصتوا أي واسكتوا في خلال القراءة وراعوها إلى انقضائها تعظيماً له وتكميلاً للاستماع لعلكم ترحمون أي تفوزون بالرحمة التي هي أقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين على أنه في استماع المؤتم وقد روي أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ أصحابه رضي الله عنهم خلفه فنزلت وأما خارج الصلاة فعامة العلماء على استحبابهما والآية إما من تمام القول المأمور به أو استئناف من جهته تعالى فقوله تعالى واذكر ربك في نفسك على الأول عطف على قل وعلى الثاني فيه تجريد للخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام في الأذكار كافة فإن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب من الإجابة تضرعاً وخيفة أي متضرعاً وخائفاً ودون الجهر من القول أي متكلماً كلاماً دون الجهر فإنه أقرب إلى حسن التفكر بالغدو والآصال متعلق باذكر أي اذكره في وقت الغدوات والعشيات وقرئ والإيصال وهو مصدر آصل أي دخل في الأصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى إن الذين عند ربك وهم الملائكة عليهم الصلاة ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى لا يستكبرون عن عبادته بل يؤدونها حسبما أمروا به ويسبحونه أي ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وله يسجدون أي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئاً وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة

سورة الأنفال مدنية وهي سبعون وخمس آيات

يسألونك عن الأنفال النفل الغنيمة سميت به لأنها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو أصل الأجر في الجهاد من الثواب الأخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام روي أن المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

كيف نقسم ولمن الحكم فيها أللمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعاً وقيل إن الشبان قد أبلوا يومئذ بلاء حسناً فقتلوا سبعين وأسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءاً لكم وفئة تنحازون إليها حتى قال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا أن نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الأجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا أن نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم قد شرط لمن كان له بلاء أن ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والأسر فسألوه ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وإن تعطهم ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت والأول هو الظاهر لما أن السؤال استعلام لحكم الأنفال المقضية بمعزل عن الاستعطاء الذي ينبئ عنه كما نطق به الوجه الأخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد بن الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك الأنفال بغير عن تمحل فإن مبناها كما قالوا على الحذف والإيصال كما يعرب عنه الجواب بقوله عز وجل قل الأنفال لله والرسول أي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيفما أمر به من غير أن يدخل فيه رأي أحد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جواباً له فإن اختصاص حكم ما شرط لهم من الأنفال بالله والرسول عليه السلام لا ينافي إعطاءها إياهم بل يحققه لأنهم إنما يسألونها بموجب شرط الرسول عليه السلام الصادر عنه بإذن الله تعالى لا بحكم سبق أيديهم إليها أو نحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى أن الأنفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائناً من كان مما لا سبيل إليه قطعاً ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء أن ثبوته بدليل متأخر التزام لتكرار النسخ من غير علم بالناسخ الأخير ولا مساغ للمصير إلى ما ذهب إليه مجاهد وعكرمة والسدي من أن الأنفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لأحد فيها شيء بهذه الآية ثم نسخ بقوله تعالى فأن لله خمسه وللرسول لما أن المراد بالأنفال فيما قالوا هو المعنى الأول حتماً كما نطق به قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء الآية على أن الحق أن لا نسخ حينئذ حسبما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بل بين في صدر السورة الكريمة إجمالاً أن أمرها مفوض إلى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم أعني الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الأنفال المشروطة يأباه مقام بيان الأحكام كما ينبئ عنه إظهار الأنفال في موقع الإضمار على أن الجواب عن سؤال الموعود ببيان كونه له عليه السلام خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم أصلاً وقد روي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبني فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الله تعالى قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال عليه السلام ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلاً حتى نزلت سورة الأنفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل يومئذ وإلا لكان سؤال السيف من سعد بموجب شرطه عليه السلام ووعده لا بطريق الهبة المبتدأة وحمل ذلك من سعد على مراعاة الأدب مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده رده عليه السلام قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لي لاستحالة أن يعد عليه السلام بما لا يقدر على إنجازه وإعطاؤه بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لي ضرورة أن مناط صيرورته له قوله تعالى قل الأنفال لله والرسول والغرض أنه المانع من إعطاء المسؤول ومما هو نص في الباب قوله عز وجل فاتقوا الله أي إذا كان أمر الغنائم لله تعالى ورسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى أو فاتقوه في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولاً أولياً ولو كان السؤال طلباً للمشروط لما كان فيه محذور يجب اتقاؤه وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وأصلحوا ذات بينكم أي الحال التي بينكم للابستها التامة لبينهم صاحبة له كما جعلت الأمور المضمرة في الصدور ذات الصدور أي أصلحوا ما بينكم من الأحوال

بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل عليكم به وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معاشر
اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله تعالى من ايدينا فجعله لرسول الله فقسم
بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن عطاء كان الاصلاح
بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض واطيعوا الله ورسوله
بتسليم امره ونهيه وتوسيط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال العناية
بالاصلاح بحسب المقام وليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة ان كنتم مؤمنين متعلق بالاوامر الثلاثة والجواب
محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على الخلاف المشهور وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق به
وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايمان كماله اي ان كنتم كاملي الايمان فان
كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلاث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان
انما المؤمنون جملة مستانفة مسوقة لبيان من اريد بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث
وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة اي انما الكاملون في الايمان المخلصون فيه الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم اي فزعت لمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشانه
الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم
وهي لغة وقرئ فرقت اي خافت واذا تليت عليهم آياته اي آية كانت زادتهم ايمانا اي يقينا وطمانينة
نفس فان تظاهر الادلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمينان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان
لا يقبل الزيادة والنقصان وانما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به فانه كلما نزلت آية صدق بها المؤمن
فيزيد بها دايما والاصوب ان نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق البين بين يقين الانبياء
وارباب المكاشفات ويقين احاد الامة وعليه مبنى ما قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما
قام عليه دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة وعلى ربهم مالكهم ومدبر امورهم يتوكلون يفوضون امورهم الى
وحده والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون مرفوع على انه نعت
للموصول الاول او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المنبي عن المدح ذكر اولا من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب
من الخشية والاخلاص والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من الصلوة والصدقة اولئك اشارة الى من ذكرت صفاتهم
الحميدة من حيث انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عمن عداهم اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك
الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف هم المؤمنون حقا لانهم
حققوا ايمانهم بان ضموا اليه ما فصل من افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اي اولئك
هم المؤمنون ايمانا حقا او مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا لهم درجات من الكرامة
والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهو اما جملة مبتداة مبنية على سؤال نشا من تعداد مناقبهم كانه قيل ما لهم بمقابلة
هذه الخصال الجليلة فقيل لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى عند ربهم اما متعلقة بمحذوف وقع صفة لدرجات
مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة عنده تعالى واما متعلق بما تعلق به الخبر اعني لهم
من الاستقرار وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وايذان بان ما وعدهم متيقن الثبوت
والحصول مامون الفوات ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم لا ينقضي امده ولا ينتهي عدده وهو ما اعد لهم من نعيم
الجنة كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الكاف في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك
يعني ان حالهم في كراهتهم لما رايت مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق او في محل النصب على انه صفة
لمصدر مقدر في قوله الانفال لله اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك
في المدينة او من المدينة اخراجا ملتبسا بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون اي والحال ان فريقا منهم

لكارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة
عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى
ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا
وقد رات اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رايت عجبا رايت كان ملكا نزل من السماء فاخذ
صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى
رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبا نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت
فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر
فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه
لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي
عليه السلام اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا
بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على
ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل
من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله تعالى فانا معك حيث احببت لا نقول لك كما قال بنو
اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت
عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين
بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا
ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد
بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق و
اعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق نبيا لو
استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب
صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول
سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله تعالى وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الآن انظر الى مصارع القوم
وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه
لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك يجادلونك
في الحق الذي هو تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير والجملة استيناف او حال ثانية اي اخرجك في حال مجادلتهم اياك ويجوز
ان يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى بعد ما تبين منصوب بيجادلونك وما مصدرية اي بعد تبين الحق
لهم باعلامك انهم ينصرون اينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وكان ذلك
لكراهتهم القتال كانما يساقون الى الموت الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون اي مشبهين
بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل وهم ينظرون حال من ضمير يساقون اي والحال انهم ينظرون
الى اسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم تاهبهم
وكونهم رجالة روي انه لم يكن فيهم الا فارسان واذ يعدكم الله احدى الطائفتين كلام مستانف مسوق لبيان
جميل صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة وقصور الرأي والخوف والجزع واذ منصوب
على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات واحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم اي اذكروا

وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين وتذكير الوقت مع ان المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر مرارا من
المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل
على ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كانه مشاهد عيانا وقرئ
يعدكم بسكون الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى انها لكم بدل
اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اي يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون
عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم وتودون عطف على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر اي تحبون ان غير
ذات الشوكة تكون لكم من الطائفتين لا ذات الشوكة وهي النفير ورئيسهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة
هي العير اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا ورئيسهم ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم
لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك وشوك القنا شباها
ويريد الله عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة هممهم وقصور آرائهم اي
اذكروا وقت وعده تعالى اياكم احدى الطائفتين وودادتكم لادناهما وارادته تعالى لاعلاهما وذلك قوله تعالى
ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته اي بآياته المنزلة في هذا الشان او باوامره للملائكة بالامداد وبما قضى من
اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين اي آخرهم ويستاصلهم بالمرة والمعنى انتم تريدون
سفساف الامور والله عز وجل يريد معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان ما بين المرادين وقوله تعالى
ليحق الحق ويبطل الباطل جملة مستانفة سيقت لبيان الحكمة الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم
لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اي لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه تكرار اذ الاول
لبيان تفاوت ما بين الارادتين وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله حقا بعد
ان لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل ولو كره المجرمون اي المشركون ذلك اي احقاق الحق وابطال الباطل اذ تستغيثون
ربكم بدل من اذ يعدكم معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه والتجائهم به تعالى حين ضاقت عليهم الحيل
وعيت بهم العلل وامداده تعالى لهم وقيل متعلق بقوله تعالى ليحق الحق على الظرفية وما قيل من ان قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب
بان فلا يمكن عمله في اذ لانه ظرف لما مضى ليس بشيء لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من الفعل
المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد وانما عبر عن زمانها باذ نظرا الى زمان النزول
وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستانف اي اذكروا
وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اي رب انصرنا على عدوك يا غياث
المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة
عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال
كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك
ما وعدك فاستجاب لكم عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة اني ممدكم اي باني فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول
او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من مقولة القول بالف من الملائكة مردفين اي جاعلين
غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفي ههنا بهذا البيان الاجمالي وبين
في سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا
من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرئ
مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها
وتشديد الدال واصله مرتدفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل وبالضم

على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا
على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل على وقوعها
وما جعله الله الكلام مستانف سيق لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وانما التاثير مختص به عز وجل ليثق به
المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر فعل
يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فامدكم بهم وما جعل امدادكم بهم الا بشرى لكم
وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم
تنصرون ولتطمئن به اي بالامداد قلوبكم وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما
مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل اللام في الثاني للعاقبة
واقتضيه في نفسه كما قيل في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة لعدم اتحاد الفاعل
مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو راي بعض السلف
وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله شيئا من الاشياء
الا بشارة لكم واللام في ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك وما النصر
اي حقيقة النصر على الاطلاق الا من عند الله اي كائن من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب
والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية ان الله عزيز لا يغالب في حكمه ولا ينازع في اقضيته حكيم
يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه المذكور
من مقتضيات الحكم البالغة اذ يغشيكم النعاس اي يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار
نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون او منصوب باضمار اذكروا
وقيل هو متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى
التغشية والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى وقرئ يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس وقوله تعالى امنة منه
على القراءتين الاوليين منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اي يغشيكم النعاس فتنعسون امنا كائنا
من الله تعالى لا لكلال واعياء وعلى انه مصدر لفعل آخر كذلك اي فتامنون امنا كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا
على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة منصوب على العلية
بيغشيكم باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ امنة كرحمة وينزل
عليكم من السماء ماء تقديم الجار والمجرور على المفعول به لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فعند وروده يتمكن عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون
التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال ليطهركم به اي من الحدث الاصغر والاكبر
ويذهب عنكم رجز الشيطان الكلام في تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه
اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون
على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء
وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش
فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله عز
وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو
حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى وليربط
على قلوبكم اي يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلائعه ويثبت به الاقدام ولا تسوخ في الرمل
فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوي وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في معارك

للرعب وقوله تعالى إذ يوحي ربك إلى الملائكة منصوب بمضمر مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد حسبما ينطق به الكلام لما أن المأمور به مما لا يستطيعه غيره عم فإن الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه عم ليس من النعم التي يقف عليها عامة الأمة كسائر النعم السابقة التي أمروا بذكرها وقيام بحق الشكر وقيل منصوب بقوله تعالى ويثبت به الأقدام فلا بد حينئذ من عود الضمير المجرور في به إلى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت أقدامكم بتقوية قلوبكم وقت إيحائه إلى الملائكة وأمرهم بتثبيتهم إياكم وهو وقت القتال ولا يخفى أن تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم غير ذلك الوقت ليس فيه مزيد فائدة وأما انتصابه على أنه بدل ثالث من إذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عم مع ما عرفت من أن المأمور به ليس من الوظائف العامة للكل كسائر أخواته والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عم من التنويه والتشريف ما لا يخفى والمعنى اذكر وقت إيحائه تعالى إلى الملائكة أني معكم أي بالإمداد والتوفيق في أمر التثبيت فهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على إرادة القول أو إجراء مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة إنما هي من حيث إنهم المباشرون للتثبيت صورة فهم الأصلاء من تلك الحيثية كما في أمثال قوله تعالى إن الله مع الصابرين والفاء في قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إمداده تعالى إياهم من أقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفية التثبيت فقال الجماعة إنما أمروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم وتتأكد جدهم في القتال وهو الأنسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في مواطن الحرب والجد في مقاساة شدائد القتال وقد روي أنه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتي ويقول إني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول أبشروا فإن الله ناصركم وقال آخرون أمروا بالمحاربة مع أعدائهم وجعلوا قوله تعالى سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله تعالى إني معكم وقوله تعالى فاضربوا الخ تفسيرا لقوله تعالى فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روي عن أبي داود المازني رض وكان ممن شهد بدرا أنه قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي وعن سهل بن حنيف رض أنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف وأنت خبير بأن قتلهم للكفرة مع عدم ملاءمته لمعنى تثبيت المؤمنين مما لا يتوقف على الإمداد بإلقاء الرعب فلا يتجه ترتيب الأمر به عليه بالفاء وقد اعتذر الأولون بأن قوله تعالى سألقي الخ ليس بنص فيما ذكر لجواز أن يكون ذلك أثر قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قيل قولوا لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا الخ فالضاربون هم المؤمنون وأما ما قيل من أن ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين فيأباه تعيين وقته بما قبل القتال وأنى ذلك والسورة الكريمة إنما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى فوق الأعناق أي أعاليها التي هي المذابح أو الهامات واضربوا منهم كل بنان قيل البنان أطراف الأصابع من اليدين والرجلين وقيل هي الأصابع من اليدين والرجلين وقال الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة قال ابن عباس وابن جريج والضحاك يعني الأطراف أي اضربوهم في جميع الأعضاء من أعاليها إلى أسافلها وقيل المراد بالبنان الأداني وبفوق الأعناق الأعالي والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الأمر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بأمره ومنهم متعلق به أو بمحذوف وقع حالا مما بعده ذلك إشارة إلى ما أصابهم من العقاب وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجته في الشدة والفظاعة والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بأنهم شاقوا الله ورسوله أي ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم ومغالبتهم من لا سبيل إلى مغالبته أصلا واشتقاق المشاقة من الشق لأن كلا من المتشاقين في شق خلاف شق الآخر كما أن اشتقاق المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم أي الجانب لأن كلا من المتعادين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الآخر وخصمه ومن يشاقق الله ورسوله الإظهار في موضع الإضمار لتربية المهابة وإظهار كمال شناعة ما اجترءوا عليه والإشعار بعلة الحكم وقوله تعالى فإن الله شديد العقاب إما نفس الجزاء قد حذف منه العائد إليه عند من يلتزمه أي شديد العقاب له أو تعليل الجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب

وأما ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فإذن لهم بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد وأما ما قيل من أن المراد بيان ما أعد لهم في الآخرة بعدما حاق بهم في الدنيا كما ينبئ عنه ما بعده من قوله تعالى ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار فلا يساعده كونه جوابا للشرط وعدم تعرض مما ذكر من أن يكون المراد بالعقاب المذكور ما أصابهم عاجلا سواء جعل ذلك إشارة إلى نفس العقاب أو إلى ما يفيده الشرطية من ثبوت العقاب لهم أما على الأول فلأن الأظهر أن محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تعالى فذوقوه والواو في قوله تعالى وأن للكافرين بمعنى مع والمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي أصابكم فذوقوه عاجلا مع أن لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع المضمر لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به وأما على الثاني فلأن الأقرب أن محله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وأن للكافرين الخ معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم أي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وقوله تعالى فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الأول للعقاب المشار إليه وعلى الثاني لما في ضمنه والكلام حينئذ تحقيق لما ذكر من الحمل على أن المراد بالعقاب ما أصابهم عاجلا والله تعالى أعلم وقرئ بكسر إن على الاستئناف يا أيها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة إظهارا للاعتناء بشأنه ومبالغة في حث المؤمنين على المحافظة عليه إذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفا إذا دب على استه قليلا قليلا ثم سمي به الجيش الدهم المتوجه إلى العدو لأنه لكثرته وتكاثفه يرى كأنه يزحف وذلك لأن الكل يرى كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس إليه في غاية البطء وإن كانت في نفس الأمر على غاية السرعة قال قائلهم وأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج ونصبه إما على أنه حال من مفعول لقيتم أي زاحفين نحوكم وإما على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه أي يزحفون زحفا وأما كونه حالا من فاعله أو منه أو من مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تعالى فلا تولوهم الأدبار إذ لا معنى لتقييد النهي عن الإدبار بتوجههم السابق إلى العدو أو بكثرتهم بل توجه العدو إليهم وكثرتهم هو الداعي إلى الإدبار عادة والمحوج إلى النهي عنه وحمله على الإشعار بما سيكون منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من زحوف اثني عشر ألفا بعيد والمعنى إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تولوهم أدباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن أن تدانوهم في العدد أو تساووهم ومن يولهم يومئذ أي يوم اللقاء دبره فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء إلا متحرفا لقتال إما بالتوجه إلى قتال طائفة أخرى أهم من هؤلاء وإما بالفر للكر بأن يخيل عدوه أنه منهزم ليغره ويخرجه من بين أعوانه ثم يعطف عليه وحده أو مع من في الكمين من أصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها أو متحيزا إلى فئة أي منحازا إلى جماعة أخرى من المؤمنين لينضم إليهم ثم يقاتل معهم العدو عن ابن عمر رض أن سرية فروا وأنا معهم فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر فقال يا أمير المؤمنين فررت من الزحف فقال رض أنا فئتك ووزن متحيزا متفيعل لا متفعل وإلا لكان متحوزا لأنه من حاز يحوز وانتصابهما إما على الحالية وإلا لغو لا عمل لها وإما على الاستثناء من المولين أي ومن يولهم دبره إلا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا فقد باء أي رجع بغضب عظيم لا يقادر قدره وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الإضافية أي بغضب كائن منه تعالى ومأواه جهنم أي بدل ما أراد بفراره أن يأوي إليه من مأوى ينجيه من القتل وبئس المصير فما في إيقاع البوء في موقع جواب الشرط الذي هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس رض أن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر وهذا إذا لم يكن العدو أكثر من الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم رجوع إلى بيان بقية أحكام الوقعة وأحوالها وتقرير لما سبق منها إلى الفاء

أي الكرارون من عكر أي رجع

جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده تعالى وامره بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم
انتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم ويجوز ان يكون التقدير ان علمتم ذلك
فلم تقتلوهم اي فاعلموا او فاخبركم انكم لم تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على احد التاويلين لما روي انهم لما
انصرفوا من المعركة غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت وقيل كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش جاءت بخيلائها وفخرها
يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال
لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا
وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الظاهر على يديه صلعم من افعاله
عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الاصلي بيان حال الرمي نفيا واثباتا اذ هو الذي ظهر منه ما ظهر [illegible]
لتعز المجبرة في نفسه وتكثره الى حيث اصاب عيني كل واحد من اولئك اللئام الجمة شيء من ذلك اي وما فعلت انت يا محمد
تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها من جنس آثار الافاعيل البشرية ولكن الله
فعلها اي خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى في خلق افعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا التاثير
الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر فلذا اثبتها لله تعالى ونفاها عنه عم مع كون اثرها من افعاله سبحانه لا
من افعاله عم وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع في الحلين واللام في قوله تعالى وليبلي المؤمنين منه اي ليعطيهم من عنده
تعالى بلاء حسنا اي عطاء جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره اما متعلقة بمحذوف متاخر فالواو اعتراضية
اي وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا واما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة
اي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي الخ وقوله تعالى ان الله سميع اي لدعائهم واستغاثتهم عليم اي بنياتهم واحوالهم الداعية
الى الاجابة تعليل للحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى وان الله موهن
كيد الكافرين بالاضافة معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقيل المشار اليه
القتل والرمي والمبتدا الامر اي الامر ذلكم اي القتل فيكون قوله وان الله الآية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين
مخففا ومشددا ونصب كيد الكافرين ان تستفتحوا خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج
تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين اي ان تستنصروا لاعلى الجندين
فقد جاءكم الفتح حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم في المجيء او فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس
الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وان تنتهوا عما كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول فهو اي الانتهاء خير لكم اي
من الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار الخيرية في المفضل عليه هو التهكم وان تعودوا
اي الى الحراب نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغني بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لان تانيث الفئة غير
حقيقية وللفصل اي لن تدفع ابدا عنكم فئتكم جماعتكم التي تجمعونهم وتستعينون بهم شيئا اي من الاغناء او من المضار
وقوله تعالى ولو كثرت جملة حالية وقد مر التحقيق وان الله مع المؤمنين اي ولان الله معين المؤمنين كان ذلك او
والامر ان الله مع المؤمنين ويؤيده بحسب المعنى قراءة الكسر على الاستئناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا
فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل شيء لما انه
مناط لنيل سعادة الدارين وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله
معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين في الايمان يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح
احدى التائين وقرئ بادغامها عنه اي لا تتولوا عن الرسول فان المراد هو الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه
وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على ان طاعته تعالى في طاعة رسوله عم من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل
الضمير للجهاد وقيل للامر الذي دل عليه الطاعة وقوله تعالى وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتاكيد وجوب

الانتهاء

الانتهاء عن التولي مطلقا كما في قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد النهي عنه بحال السماع
كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اي لا تتولوا عنه والحال انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته
والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان ولا تكونوا تقرير للنهي السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه
على انها مؤدية الى انتظامهم في سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اي لا تكونوا بمخالفة الامر والنهي كالذين قالوا
سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير
قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكانهم لا يسمعونه
راسا ان شر الدواب استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقرير للنهي اثر تقرير اي ان
شر من يدب على الارض وشر البهائم عند الله اي في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا ينطقون
به وصفوا بالصمم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك
صاروا كانهم فاقدون للجارحتين راسا وتقديم الصم على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق
من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل بقوله الذين لا يعقلون تحقيقا
لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدي بذلك الى بعض
مطالبه واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو في الغاية القصوى من الشرية وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم
حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير ممن خلق الله عز وجل فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم
الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته صرف قواهم الى تحري الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم وتدبر ولوقفوا
على حقية الرسول صلى الله عليه وسلم واطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم
كذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا اي لو اسمعهم سماع تفهم
وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعد ما
صدقوه وصاروا كان لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى وهم معرضون اما حال من ضمير تولوا اي لتولوا على ادبارهم
والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلي اي وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون للرسول
صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى ولو اسمعهم كلام قصي الخ وقيل
هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء
به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج انهم المنافقون
وعن الحسن انهم اهل الكتاب يا ايها الذين آمنوا تكرير النداء مع وصفهم بنعت الايمان لتنشيطهم الى الاقبال
على الامتثال بما يراد بعده من الاوامر وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة
اذا دعاكم اي الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله تعالى لما يحييكم من العلوم الدينية التي هي مناط الحياة الابدية
كما ان الجهل مدار الموت الحقيقي او هي ماء حياة القلب كما ان الجهل موجب موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها
لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حياة روي انه عم مر على ابي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في
صلاته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك عن اجابتي قال كنت في الصلوة قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم واختلف فيه فقيل هذا من خصائصه عم وقيل لان اجابته عليه السلام لا يقطع الصلوة
وقيل كان ذلك الدعاء لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة واعلموا ان الله يحول بين المرء
وقلبه تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى مطلع
من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك
المنية فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير
مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان اراد شقاوته [illegible]

المعترضة المنوية للرصة وقرئ بين المرء بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف وانه اي الله عز وجل او الشان اليه تحشرون لا الى غيره فيجازيكم بحسب احوالكم فسارعوا الى طاعته تعالى وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي لا تختص اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل تعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله تعالى لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلف المعنى فيهما وقد جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر باتقاء الذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه واذكروا اذ انتم قليل اي وقت كونكم قليلا في العدد وايثار الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى مستضعفون خبر ثان او صفة لقليل وقوله تعالى في الارض اي في ارض مكة تحت ايدي قريش والخطاب للمهاجرين او تحت ايدي فارس والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدي الطائفتين وقوله تعالى تخافون ان يتخطفكم الناس خبر ثالث او صفة ثانية لقليل وصف بالجملة بعد ما وصف بالمفرد او حال من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو الاظهر اما كفار قريش او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم اي واذكروا وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به من اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار وبمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول اصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه اي لا تخونوهما بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم روي انه عم حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان ماله وعياله كان في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك قال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه عم فحله فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عم يجزيك الثلث ان تصدق به وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانها سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله عز وجل ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهما على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده فيهم فنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين آمنوا تكرير الخطاب والوصف بالايمان لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضي الايمان مراعاته والمحافظة عليه كما في الخطابين السابقين ان تتقوا الله اي في كل ما تأتون وما تذرون يجعل لكم بسبب ذلك فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا

من الشبهات او نجاة مما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم وينشر صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم اي يسترها ويغفر لكم ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله تعالى لهم وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله تعالى لهم على التقوى تفضل منه واحسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تعالى واذكروا اذ انتم الخ المسوق لتذكير النعم الخاصة به عليه السلام بعد تذكير النعمة العامة للكل اي اذكر وقت مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق ويعضده قراءة من قرأ ليقيدوك او لا يثخنوك بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات او يقتلوك اي بسيوفهم او يخرجوك اي من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم له عم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في امره عم فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا وقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم ولا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال الشيخ صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل عم النبي عم واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رض على مضجعه وخرج هو مع ابي بكر رض الى الغار ويمكرون ويمكر الله اي يرد مكرهم عليهم او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك باخراجهم الى بدر وتقليل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا منهم ما لقوا والله خير الماكرين لا يعبأ بمكرهم عند مكره واسناد امثال هذا اليه سبحانه مما يحسن للمشاكلة ولا مساغ له ابتداء لما فيه من ايهام ما لا يليق به سبحانه واذا تتلى عليهم آياتنا التي تحطها عن تحتها الصم الجبال قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قاله اللعين النضر بن الحارث واسناده الى الكل لما انه كان رئيسهم وقاضيهم الذي يقولون بقوله ويأخذون برأيه وقيل قاله الذين ائتمروا في امره عم في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية العناد كيف لا ولو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشيئة وقد تحداهم عشر سنين وقرعوا على العجز وذاقوا من ذلك الامرين ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا لا سيما في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اي ما سطروه من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من اباطيل ذلك اللعين روي انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي عليه السلام ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان القرآن ان كان حقا منزلا من عندك فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكارنا او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ لا فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه الذي يدعيه عليه السلام وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان للموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم في قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان ان المانع ليس من قبلهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم

متى نال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام اي وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال القبح ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولاية امره في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون انه لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان صلوتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية اي تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب وعدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين سوى الذين استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر واصروا عليه الى جهنم يحشرون اي يساقون لا الى غيره ليميز الله الخبيث من الطيب اي الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوته عليه السلام عما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد للمبالغة ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه عبارة عن الفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في الخبث هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه اي قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ بالتاء ان تنتهوا يغفر لكم ويغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف على قل وعمم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين على القتال لتحقق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وقرئ بتاء الخطاب اي بما تعملون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم

عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة وعائدها محذوف اي ما اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان وقوله من شيء بيان للموصول محله النصب على انه حال من الموصول وقصد به الاعتناء بشأن الغنيمة وان لا يشذ عنها شيء اي ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضي المغنومة وقوله تعالى فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي فحق او فواجب ان لله تعالى خمسه وهذه الجملة خبر ان وقرئ بالكسر والاولى آكد واقوى في الايجاب لما فيه من تكرر الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله تعالى كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه بقوله تعالى وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة اللام في لذي القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة لدفع اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمتها عندنا انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم له عليه السلام وسهم للمذكورين من ذوي قرباه وثلاثة اسهم للاصناف الثلاثة الباقية واما بعده عليه السلام فسهمه ساقط وكذا سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة لسائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على الاصناف الثلاثة ويؤيده ما روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم ومن عداهم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل سهم الرسول صلى الله عليه وسلم لولي الامر بعده واما عند الشافعي رح فيقسم خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك رح الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاه بعضا منهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق ابو العالية بظاهر الآية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة لما روي انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول عليه السلام هذا شأن الخمس واما الاخماس الاربعة فتقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابي حنيفة رحمه الله وثلاثة اسهم عند صاحبيه رحمهما الله قال القرطبي لما بين الله حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على انه ملك للغانمين وقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور اي ان كنتم آمنتم به تعالى فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به الى الله تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد به مجرد العلم بذلك بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا عطف على الاسم الجليل اي ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلنا على عبدنا وقرئ عبدنا وهو اسم جمع اريد به الرسول عليه السلام والمؤمنون فان بعض ما نزل نازل عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان يوم بدر سمي به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا او بآمنتم يوم التقى الجمعان اي الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان ومنصوب بالفرقان والمراد بما انزل عليه يومئذ من الوحي والملائكة والفتح على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير فينتظم الكل انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه الاشياء من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى

على الوجه المذكور من حيث ان الوحي ناطق بذلك وان الملائكة والفتح لما كانا من جهته تعالى وجب ان يكون المحصل بسببهما من الغنيمة مصروفة الى الجهات التي عينها الله تعالى ان الله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما ايضا وهم بالعدوة القصوى اي البعدى من المدينة وهي تأنيث الاقصى وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا مع كونهما من بنات الواو لكنها جاءت على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم اي في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو نصب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبلها وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف حال المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله عز وجل خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطيب نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل من نصر اوليائه وقهر اعدائه او مقدرا في الازل وقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اي يموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من حاله في علم الله تعالى الهلاك والحيوة وقرئ ليهلك بالفتح وحيي بفك الادغام حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم اي بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا منصوب باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان يخبر به اصحابك فيكون تثبيتا وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اي لجبنتم وتهيبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر اي امر القتال وتفرقت آراؤكم في الثبات والفرار ولكن الله سلم اي انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التلوين والتعميم معطوف على المضمر السابق والضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى رأوهم مثليهم ليفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهذه من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرائط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرر لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور كلها يصرفها كيفما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين آمنوا تصدير الخطاب بحرفي النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يوصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا اي للقائهم في مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا اي في تضاعيف القتال مستمدين منه مستعينين به مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون اي

اي الذي لا يعتد به

تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وعن ان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله في كل ما تأتون وما تذرون فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب للنهي وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا على النهي اي تذهب دولتكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على شدائد الحروب ان الله مع الصابرين بالنصرة والكلاءة وما فيهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى انما هي من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بعد ما امروا بما امروا به من محاسن الاعمال نهوا عما يقابلها من قبائحها والمراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا اي فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبوا الا اظهار آثار الجلادة فلقوا ما لقوا حسبما ذكر في اوائل السورة الكريمة فنهي المؤمنون ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء مستلزم للامر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب به النبي عليه السلام بطريق التلوين اي واذكر وقت تزيين الشيطان اعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اي القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب وصفة وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سببا لهلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم ويئس من حالهم لما رأى امداد الله تعالى للمسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني مجيركم من كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث فانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم يره قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه او مستأنفا من جهة الله عز وجل اذ يقول المنافقون منصوب بزين او بنكص او بشديد العقاب والذين في قلوبهم مرض اي الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم فان الله عزيز غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول ويحار في فهمه الباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه ولو ترى اي ولو رأيت فان لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ان ترد الماضي مضارعا والخطاب اما للرسول صلى الله

عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وكلمة
اذ في قوله تعالى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ظرف لترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة
او حال الكفرة حين يتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد الى الله عز وجل
والملائكة مبتدأ وقوله تعالى يضربون وجوههم خبره والجملة حال من الموصول وقد استغني فيها بالضمير عن الواو
وهو على الاول حال منه او من الملائكة او منهما لاشتماله على ضميريهما وادبارهم اي واستاههم او ما اقبل منهم
وما ادبر من الاعضاء وذوقوا عذاب الحريق على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اي ويقولون
او قائلين ذوقوا بشارة بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب
لو محذوف للايذان بخروجه عن حدود البيان اي لرايت امرا فظيعا لا يكاد يوصف ذلك اشارة الى ما ذكر من الضرب
والعذاب وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونهما في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره
بما قدمت ايديكم اي ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل ان في قوله تعالى
وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب
من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا
عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل
من انها معطوفة على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس
بسديد لما ان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب
ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج
الى ذلك كدأب آل فرعون في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما حل
بهم من العذاب بسبب كفرهم لا لشيء آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم
لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على انه ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اي شأنهم الذي استمروا عليه مما فعلوا
وفعل بهم من الاخذ كدأب آل فرعون المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال والذين من قبلهم
اي من قبل آل فرعون من الامم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم نوح وعاد واضرابهم
من اهل الكفر والعناد وقوله تعالى كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم الذي فعلوه لا لدأب آل فرعون ونحوهم كما قيل فان
ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم جناياتهم
وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى بذنوبهم لتأكيد ما افاده الفاء من السببية مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل
في استتباع العقاب ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فيكون الباء للملابسة اي فاخذهم ملتبسين
بذنوبهم غير تائبين عنها فدأبهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس رضي الله عنهما ان آل فرعون ايقنوا ان موسى
عليه السلام نبي الله تعالى فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد عليه الصلوة والسلام بالصدق فكذبوه فانزل الله تعالى
بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دأبهم مع انه ليس مما يتصور مداومتهم عليه واعتيادهم اياه كما هو المعتبر
في مدلول الدأب اما للتغليب فما فعلوه على ما فعل بهم او لتنزيل مداومتهم على ما يوجبه من الكفر والمعاصي منزلة مداومتهم
عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تعالى ان الله قوي شديد العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ
وقوله تعالى ذلك الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب منوطا باعمالهم السيئة
غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو المشار اليه لا نفس ما حل بهم من العذاب والانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا
بما ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير حالهم وتوهم ان السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق
النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم بناء على تخيل ان
المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه وكون شططها ئلا وابعادا عن الحق بمراحل وتهوين لامر الكفر بآيات الله

تعالى واسقاط له عن رتبة ايجاب العقاب في مقام تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك اي ترتب العقاب
على اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة
انعمها اي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته ان يكون بحيث يغير نعمة انعم بها على قوم من الاقوام اي نعمة كانت
جلت او هانت حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال والاحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما
ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة
حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة اصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة نعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم
فلما بعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبينات غيروها الى اسوأ منها واسخط حيث كذبوه وعادوه ومن تبعه
من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال
واصل لم يك لم يكن فحذفت النون تخفيفا لشبهها بالحروف اللينة وان الله سميع عليم عطف على ان الله الخ داخل معه في
التعليل اي وبسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة
فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ وان الله بكسر الهمزة فالجملة حينئذ استئناف مقرر لمضمون ما قبلها
وقوله تعالى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي حتى يغيروا ما بانفسهم
تغييرا كائنا كدأب آل فرعون اي كتغييرهم على ان دأبهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو الانسب بمفهوم الدأب وقوله تعالى كذبوا
بآيات ربهم تفسير له بتمامه وقوله فاهلكناهم اخبار بترتب العقوبة عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير في توسط
قوله تعالى وان الله سميع عليم بينهما كما مر نظيره في سورة آل عمران حيث جوزوا انتصاب محل الكاف بلن تغني مع
ما بينهما من قوله تعالى واولئك هم وقود النار وهذا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا فلا
في توسطها قطعا وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كما قبله فالجملة حينئذ استئناف آخر مسوق لتقرير ما سيق له
الاستئناف الاول بتشبيه دأبهم بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين
عبارة عما يلازم معناه الاول من تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الآية
اي دأب هؤلاء وشأنهم الذي هو عبارة عن التغييرين المذكورين كدأب اولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله
تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم الذي فعلوه من تغييرهم وقوله تعالى فاهلكناهم تفسير لدأبهم الذي فعل بهم من تغيير
ما بهم من نعمه واما دأب قريش فمستفاد منه بحكم التشبيه فلله در شأن التنزيل حيث اكتفى في كل من التشبيهين بتفسير احد
الطرفين واضافة الآيات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات الى نون العظمة في اهلكنا
جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب وكذا الكلام في الفاء وفي قوله تعالى بذنوبهم كالذي مر وعطف قوله تعالى واغرقنا
آل فرعون على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة عليهم السلام
وكل اي كل من الفرق المذكورين او كل من هؤلاء واولئك او كل من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين اي انفسهم بالكفر والمعاصي
حيث عرضوها للهلاك او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم ان شر الدواب
بعد ما شرح احوال المهلكين شرع في بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تعالى عند الله اي في حكمه وقضائه
الذين كفروا اي اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم بمعزل من مجانستهم وانما هم من جنس
الدواب ومع ذلك هم شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى فهم
لا يؤمنون حكم مترتب على تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم
عاطف اصلا جيء به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل وقوله تعالى
الذين عاهدت منهم بدل من الموصول الاول او عطف بيان له او نصب على الذم اي عاهدتهم ومن للايذان بان المعاهدة
التي هي عبارة عن اعطاء العهد واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه عليه الصلوة والسلام عهدهم اذ هو المناط لما نعي
عليهم من النقض لا اعطاؤه عليه الصلوة والسلام اياهم عهده كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل هي للتبعيض لان المباشر بالذات للعهد

بعضهم لا كلهم ثم ينقضون عهدهم عطف على عاهدت داخل معه في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد
النقض وتعدده وكونهم على نيته في كل حال اي ينقضون عهدهم الذي اخذته منهم في كل مرة اي من مرات المعاهدة
اذ هي التي يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل اذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور
حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة في تقييد النقض بالوقوع في كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعا لان
النقض لا يتحقق الا في المرة الواردة على المعاهدة لا في المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم ان المراد
هي المرات الواقعة اثر المعاهدة بين النقض الواقع بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه خارج من البين وان عد
ذلك من المحاربة فلا محيص من لزوم خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة بهذا المعنى عين النقض فيئول
الكلام الى ان يقال ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات النقض وحمل المحاربة على محاربة غيرهم ليكون المعنى ينقضون
عهدهم في كل مرة من مرات محاربة الاعداء مع كونه في غاية البعد والركاكة يستلزم خروج بدئهم بالنقض
من البين وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون اي يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون سبة الغدر ولا يبالون
بما فيه من العار والنار وقوله تعالى فاما تثقفنهم شروع في بيان احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما
بعدها على ما قبلها اي فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب اي في تضاعيفها فشرد بهم
اي ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطراب [illegible] الاضطراب ونكل عنها بان تفعل بهم من النكاية والتعذيب
ما يوجب ان ينكل من خلفهم اي من وراءهم من الكفرة وفيه ايماء الى انهم بصدد الحراب قريب من هؤلاء وقرئ شرذ
بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اي افعل التشريد من وراءهم والمعنى واحد لان ايقاع
التشريد في الوراء لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعون
عن النقض او عن الكفر وقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد اثر بيان
احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم اي واما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد فيما سيأتي بما لاح
لك منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم اي فاطرح اليهم عهدهم على سواء على طريق مستو قصد بان تظهر لهم
النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء
العهد كيلا يكون من قبلك شائبة خيانة اصلا فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ اي فانبذ اليهم ثابتا على
سواء وقيل على استواء في العلم بنقض العهد بحيث يستوي فيه اقصاهم وادناهم او تستوي فيه انت وهم فهو على الاول
حال من المنبوذ اليهم وعلى الثاني من الجانبين ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار استلزامه
للنهي عن المناجزة التي هي خيانة فيكون حثا لهم على النبذ واما على قتالهم ثانيا كانه قيل واما تعلمن من قوم خيانة
فانبذ اليهم ثم قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم ولا يحسبن الذين كفروا اي انفسهم
فحذف للتكرار وقوله تعالى سبقوا اي فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد اقناطهم من الخلاص
وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم مع ان مقاومة المؤمنين بل الغلبة
عليهم ايضا مما يتعلق به امانيهم الباطلة للتنبيه على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وانما الذي يمكن ان يدور
في خلدهم حسبان الخلاص فقط وقيل الفعل مسند الى احد او الى من خلفهم والمفعول الاول انفسهم ايضا وقيل هو الذين
وان مخففة من سبقوا وهي مع ما في حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا
ويعضده قراءة من قرأ انهم سبقوا ونظيره في الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقوله تعالى افغير الله
تأمروني اعبد الآية وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرئ ولا تحسب الذين
بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى انهم لا يعجزون اي لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم
تعليل للنهي على طريقة الاستئناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا
حال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين [illegible] على قراءة الخطاب لازاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ

للعدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص من ايدي المؤمنين وفيه [illegible] على الكفار والمقابلة على ابلغ وجه
واكده كما اشير اليه وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد واعدوا
لهم توجيه الخطاب الى كافة المؤمنين لما ان المأمور به من وظائف الكل كما ان توجيهه فيما سبق وما يلحق الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكون ما في حيزه من وظائفه عم اي لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهيئوا لحرابهم او لقتال
الكفار على الاطلاق وهو الانسب بسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان
وعن عقبة بن عامر رض سمعته عم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعل تخصيصه عم اياه بالذكر
لانافته على نظائره من القوى ومن رباط الخيل الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول
او مصدر سميت هي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال ككعب وكعاب
وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان
بفضلها على بقية افرادها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ترهبون به اي تخوفون وقرئ
ترهبون بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب على الحال
من فاعل اعدوا اي اعدوا مرهبين به او من الموصول او من عائده المحذوف اي اعدوا ما استطعتموه مرهبا به عدو
الله وعدوكم هم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة
وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل هم المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم اي لا تعرفونهم
باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى الله يعلمهم اي لا غيره فان اعيانهم معلومة
لغيره تعالى ايضا وما تنفقوا من شيء لاعداد القتال قل او جل في سبيل الله الذي اوضحه الجهاد يوف اليكم
اي جزاؤه كاملا وانتم لا تظلمون بترك الاثابة او بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة
للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه
تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما [illegible] اني لا اضيع عمل عامل
منكم وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اي ان مالوا للسلم اي الصلح بوقوع الرهبة في
[illegible] فاجنح لها [illegible] وتوكل على الله [illegible]
[illegible] انه هو السميع العليم [illegible]
[illegible] وان يريدوا ان يخدعوك [illegible] فان حسبك الله [illegible]
[illegible] هو الذي ايدك بنصره [illegible] وبالمؤمنين [illegible]
[illegible] والف بين قلوبهم [illegible]
[illegible] لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم [illegible]
[illegible] ولكن الله الف بينهم [illegible] انه عزيز حكيم [illegible]
[illegible] وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع افنت ساداتهم واعاظمهم

ودخلت اعناقهم وحبا جيهم فانبني الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا اخوانا بعد عن تحاسد وتباغض وصاروا انصارا **يا ايها النبي** شروع في بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام في جميع اموره وامور المؤمنين او في الامور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته تعالى اياه في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفي النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وايراده عليه السلام بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم **حسبك الله** اي كافيك في جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحراب **ومن اتبعك من المؤمنين** في محل النصب على انه مفعول معه اي كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قوله فحسبك والضحاك سيف مهند وقيل في موضع الجر عطفا على الضمير كما هو رأي الكوفيين اي كافيك وكافيهم او في محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى اي كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت في ذلك قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه **يا ايها النبي** بعد ما بين كفايته اياهم بالنصر والامداد امر عليه السلام بترتيب مبادي نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشان المامور به **حرض المؤمنين على القتال** اي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به تلك فلا وجه لان يجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهكه المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم حرضا بان يقال اني اراك في هذا الامر حرضا اي محرضا فيه ليهيجه الى الاقدام وقرئ حرص بالصاد المهملة وهو واضح **ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين** وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم بطريق الاستيناف تعليلا لتحريضهم وقوله تعالى **وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا** مع انهم مضمونه مما قبله لكون كل منهما عدة بتأييد الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمينان على تحديد الجمعين القليلين مثلا لا يجري بين الجمعين الكثيرين مع ان التفاوت فيما بين كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبين ان ذلك لا يتفاوت في الصورتين وقوله تعالى **من الذين كفروا** بيان للالف وهذا القيد معتبر في المائتين ايضا وقد ترك في كل منهما تعويلا على ذكره هنا كما ترك قيد الصبر هنا مع كونه معتبرا حتما ثقة بذكره هناك **بانهم قوم لا يفقهون** متعلق بيغلبوا اي بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الاخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا لامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما هو المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة ثائرة البغي والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم الاخر لا يؤمن بالمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحيوة الدنيا فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيفر فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحيوة الفانية وانما السعادة هي الحيوة الباقية فلا يبالي بهذه الحيوة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقوم الواحد منهم مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام **الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا** لما كان الوعد السابق متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا انزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين في الاستعداد الى القتال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الرأي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت في الازل وقوله تعالى **فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين** تفسير

التخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن فيهما وفيما سبق بالتاء الفوقانية **وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله** اي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر هنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر وقوله تعالى **والله مع الصابرين** فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره وتأييده ولم يتعرض هنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المؤمنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الاخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها اصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا **ما كان لنبي** وقرئ للنبي على العهد والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام اي ما صح وما استقام لنبي من الانبياء عليهم السلام **ان يكون له اسرى** وقرئ بتاء التأنيث وقرئ اسارى ايضا **حتى يثخن في الارض** اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة **تريدون عرض الدنيا** استيناف مسوق للعتاب اي تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء **والله يريد الاخرة** اي يريد لكم ثواب الاخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كما في قوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا **والله عزيز** يغلب اولياءه على اعدائه **حكيم** يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رضي الله عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفرة وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان **لولا كتاب من الله سبق** اي لولا حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي واما ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة كما في الخمر مثلا لا ترفع حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعي عليهم من اخذ الفداء **لمسكم** اي لاصابكم **فيما اخذتم** اي لاجل ما اخذتم من الفداء **عذاب عظيم** لا يقادر قدره **فكلوا مما غنمتم** روي انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت فالفاء لترتيب ما بعدها على سبب محذوف اي قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سياق النظم الكريم وسياقه **حلالا** حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته الترغيب في اكلها وقوله تعالى **طيبا** صفة لحالا مفيدة لتأكيد الترغيب **واتقوا الله** اي في مخالفة نهيه **ان الله غفور رحيم** فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه **يا ايها النبي قل لمن في ايديكم** اي في ملكتكم كأن ايديكم قابضة عليهم **من الاسرى** وقرئ من الاسارى **ان يعلم الله في قلوبكم خيرا** خلوص ايمان وصحة نية **يؤتكم خيرا مما اخذ منكم** من الفداء وقرئ اخذ

على البناء للفاعل روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس ما يدريك فقال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي يتأول به ما في قوله تعالى ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض التذييلي وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته تعالى لتسليته صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد والوعيد لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اي اقدرك عليهم حسبما رأيت يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد والله عليم فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هجروا اوطانهم حبا لله تعالى ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في المهالك في سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم وآثروهم على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى بعضهم اما بدل منه وقوله تعالى اولياء بعض خبره واما مبتدأ ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول اي بعضهم اولياء بعض في الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام الآية وقيل في النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم والذين آمنوا ولم يهاجروا كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شيء اي من توليهم في الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة فانه لا يجب نقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض آخر منهم اي في الميراث او في الموازرة وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب الا تفعلوه اي ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضا حتى التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض اي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدارين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم القدح المعلى من الايمان مع الوعد الكريم بقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه فلا تكرار لما ان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم والذين آمنوا من بعد وهاجروا بعد هجرتكم وجاهدوا معكم في بعض مغازيكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض آخر منهم في التوريث من الاجانب في كتاب الله اي في حكمه او في اللوح

او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم ومن جملته ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا له شفيع يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته والله تعالى اعلم واحكم

سورة التوبة مدنية مائة وثلاثون آيات

ولها اسماء أخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقضي بانها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي يأبى مقامه التصدير بما يشعر بابقائه من ذكر اسمه تعالى مشفوعا بوصف الرحمة كما روي عن ابن عيينة لا الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضي ولا رعاية ما وقع بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين من الاختلاف في ذلك على ان ذلك يفضي الى القول بان التسمية ليست من القرآن وانما كتبت للفصل بين السور كما نقل عن قدماء الحنفية وان مناط اثباتها في المصاحف وتركها انما هو رأي من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب في ان الصحيح من المذهب انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وانه لا مدخل لرأي احد في الاثبات والترك وانما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا ريب في عدم نزولها ههنا وانه لا يمتنع ان يقع في الاستدلال اشتباه او اختلاف فهو اما لاتحاد السورتين او لما ذكر لا سبيل الى الاول ولا الى بيانه صلى الله عليه وسلم لتحقق مزيد الحاجة الى البيان لتعاضد ادلة الاستقلال من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين نزولهما فحيث لم يبين تعين الثاني لا لانعدام البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم براءة خبر مبتدأ محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب اي اسمعوا براءة ومن في قوله عز وجل من الله ورسوله ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها ليفيدها زيادة تفخيم وتهويل اي هذه براءة مبتدأة من جهة الله ورسوله واصلة الى الذين عاهدتم من المشركين وانما لم يذكر ما تعلقت به البراءة حسبما ذكر في قوله تعالى ان الله بريء من المشركين اكتفاء بما في حيز الصلة فانه منبئ عنه انباء ظاهرا واحترازا عن تكرير لفظة من وقيل هي مبتدأ لتخصصها بالصفة وخبره الى الذين الخ والذي تقتضيه جزالة النظم هو الاول لان هذه البراءة امر حادث لم يعهد عند المخاطبين ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها ويجعل المقصود بالذات في الاخبار شيئا آخر هو وصولها الى المعاهدين ولان الحقيق بان يعتنى بافادته حدوث تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها اليهم فان حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها لموصوفاتها ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هي له ان تكون صفات كما حقق في موضعه وقرئ بكسر النون على الاصل في تحريك الساكن والكسر ولكن الوجه هو الفتح في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى واتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم فنكثوا الا بني ضمرة وبني كنانة فامر المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا وانما نسبت البراءة الى الله تعالى ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه السلام للانباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على رأي المخاطبين لانها عبارة عن انهاء حكم الامان ورفع الحظر المترتب على العهد السابق عن التعرض

الكفرة وذلك منوط بجناب الله تعالى عز شانه لانه امر كسائر الاوامر الجارية على حسب حكمة تقتضيها وداعية
تستدعيها تترتب عليها آثارها من غير توقف على شيء اصلا واشتراك المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو
على طريقة الامتثال بالامر لا على ان يكون لهم مدخل في اتمامها او في ترتيب احكامها عليها واما المعاهدة فحيث
كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا تحصل في نفسها ولا تترتب عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على وجه
خصوصية اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه في شانها هو الاذن فيها وانما الذي
يباشرها ويتولى امرها المسلمون ولا يخفى ان البراءة انما يتعلق بالعهد لا بالاذن فيه فنسبت كل منهما الى من هو اصل فيها
على ان في ذلك تفخيما لشان البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان
وتنزيها لساحة السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة النقض والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وادرج عليه السلام
في النسبة الاولى واخرج عن الثانية لتنويه شانه الرفيع واجلال قدره المنيع في كلا المقامين صلى الله عليه وسلم
وايثار الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال قد برئ الله ورسوله من الذين او نحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها
والتوسل الى تهويلها بالتنوين التفخيمي كما اشير فسيحوا السياحة والسيح الذهاب في الارض والسير فيها بسهولة على
مقتضى المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا ونظائره
وزيادة قوله تعالى في الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم وشانهم
من الاستعداد للحرب وتحصين الاهل والمال وتحصيل المهرب وغير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب
بصرفه عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول المقصود بصيغة امر الغائب ايضا للمبالغة في الاعلام بالامهال لحسم مادة
تعللهم بالغفلة وقطعا لشافة اعتذارهم بعدم الاستعداد وايثار صيغة الامر مع تسني افادة ذلك المعنى بطريق الاخبار
ايضا كان يقال مثلا فلكم ان تسيحوا او نحو ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث لهم ولاستعدادهم فكان
ذلك امر مطلوب منهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه على ما يؤذن به البراءة المذكورة من الحراب الاول
مترتب على نفسه والثاني بجملته متعلقة على عنوان كونه من الله العزيز لا لترتيب الاول عليه والثاني على الاول
كما في قوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا الخ كانه قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسعوا في تحصيل العدد والآلات
فبالغوا في اعداد العتاد من كل باب اربعة اشهر واعلموا انكم بسياحتكم في اقطار الارض في الطول والعرض
وان ركبتم متن كل صعب وذلول غير معجزي الله اي لا تفوتونه بالهرب والتحصن وان الله وضع الاسم الجليل موضع
المضمر لتربية المهابة وتهويل امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة وعار مخزي الكافرين اي مخزيكم ومذلكم
في الدنيا بالقتل والاسر وفي الآخرة بالعذاب وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك وللاشعار
بان علة الاخزاء هي كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر
الاربعة الاشهر الحرم التي علق القتال بانسلاخها قيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون
من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وجعلت حرما لحرمة قتالهم فيها او لتغليب ذي الحجة
والمحرم على البقية وقيل من عشر ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء
الذي كان فيهم ثم صار في القابل في ذي الحجة وذلك قوله عم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض روي انه صلى الله عليه وسلم امر ابا بكر رض على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رض على العضباء ليقراها على اهل
الموسم فقيل له عم لو بعثت بها الى ابي بكر فقال عم لا يؤدي عني الا رجل مني وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد
والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما دنا علي سمع ابو بكر رض الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر رض وحدثهم عن مناسكهم
وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا
فقرا عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان

كما يرشد اليه تتبع مواقع الاستعمال منه

كان يقال فليسيحوا منه

احدهما انكم غير معجزي الله الخ والثاني وان الله مخزي الكافرين منه

بجملته

ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده وأذان من الله ورسوله اي اعلام منهما فعال
بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع براءة والجملة معطوفة على مثلها واما قيل الى الناس اي
كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين
ايضا يوم الحج الاكبر هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام
وقف يوم النحر في حجة الوداع بين الجمرات فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج
بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعمال الحج فانه اكبر من باقي الاعمال
او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ولانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله
بريء بالكسر لان الاذان فيه معنى القول بريء من المشركين اي من المعاهدين الناكثين ورسوله عطف
على المستكن في بريء او على محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء
معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم فان تبتم من الشرك والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة التهديد
والفاء لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة المذكورة بالوعيد الشديد المؤذن بلين عريكتهم وانكسار شدة
شكيمتهم فهو اي التوب خير لكم في الدارين وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم
غير معجزي الله غير سابقين ولا فائتين وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان البشارة بعذاب أليم وان كانت بطريق التهكم الا انها لا تليق بمن يقف على الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم من المشركين
استدراك من النبذ السابق الذي أخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين
عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك
تخلل الفاصل بقوله تعالى واذان من الله ورسوله لانه ليس باجنبي بالكلية بل امر باعلام تلك البراءة كانه قيل
واعلموها وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول ويرده بقاء الثاني على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد
وجعله استثناء من الثاني يأباه بقاء الاول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر في فسيحوا اي فقولوا لهم سيحوا اربعة
اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ
بالمعجمة اي لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة ولم يظاهروا اي لم يعاونوا
عليكم احدا من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهرتهم قريش بالسلاح
فاتموا اليهم عهدهم اي ادوه اليهم كاملا الى مدتهم ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضي الاجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم
معاملتهم قال ابن عباس رض بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل
لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك
وان كان المعاهد مشركا فاذا انسلخ اي انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده
الى الجلد والمعنى اذا انقضى الاشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه ساترة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه
انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة
لباسا منه الى مضي نصفه ثم نسلخه من انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخه عن انفسنا كله فينسلخ وانشد اذا ما سلخت الشهر
اهللت مثله كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد
للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد
لطف لما فيه من التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها
والمراد بها اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تاكيدا لما ينبئ
عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشانها او هي مع ما فهم من قوله تعالى
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين في قوله تعالى فاقتلوا

وتقديمه الى الحيوان ونسبته الى الشاة والسالخ منه

ولا يدخل

المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالته وعلى الثاني مفهوما من العبارة
الا انه يكون الانسلاخ وما نيط به من القتال شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم
وحملها على الاشهر المعهودة الدائرة في كل سنة لا يساعده النظم الكريم واما انه يستدعي بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل
بعدما ينسخها فلا اعتداد به لانها نسخت بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه ردّ بالغلط لانه
ان اريد به ما في سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذين كفروا في قوله تعالى قل للذين كفروا
الخ ابو سفيان واصحابه وقد اسلم في واسط رمضان عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت في شوال سنة تسع
وان اريد ما في سورة البقرة فانه نزل ايضا قبل الفتح كما يعرب عنه ما قبله من قوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي
من مكة وقد فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ بما نزل بعده بل لان انعقاد الاجماع على انتساخها كاف في الباب
من غير حاجة الى كون سنده منقولا الينا وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشر بقين من المحرم
حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اي ايسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم اي قيدوهم او امنعوهم
من التقلب في البلاد قال ابن عباس رض حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي كل ممر و
مجتاز يجتازون منه في اسفارهم وانتصابه على الظرفية اي ارصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا به وفائدته على التفسير
الثاني دفع احتمال ان يراد بالحصر المحاصرة المعهودة فان تابوا عن الشرك بالايمان بحتما اضطروا بما ذكر من القتل
والاسر والحصر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات
لكونهما رئيس العبادات البدنية والمالية فخلوا سبيلهم فدعوهم وشأنهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر ان الله غفور
رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعاتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل وان احد شروع
في بيان حكم المتصدين لمبادي التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف على شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر
والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا الفعل من المشركين استجارك
بعد انقضاء الاجل المضروب اي سألك ان تؤمنه ويكون في جوارك فاجره اي آمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره
ويطلع على حقيقة ما تدعوا اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء آخر في الفهم لكونهم من اهل اللسن
والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله تعالى استجارك لانه يؤدي الى اعمال حتى
في المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب بغير ضرورة الشعر كما في قوله فلا والله لا يلفى اناس فتى حتاك يا ابن ابي زيد كذا قيل
الا ان تعلق الاجارة بسماع كلام الله تعالى باحد الوجهين يستلزم تعلق الاستجارة ايضا بذلك او بما في معناه
من امور الدين ومما روي عن علي رض انه اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء
هذا الاجل لسماع كلام الله تعالى او لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره الخ
فالمراد بما فيه من الحاجة هي الحاجة المتعلقة بالدين لا ما يعمها وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان ياتي
محمدا فان من ياتيه عم انما ياتيه للامور المتعلقة بالدين ثم ابلغه بعد استماعه له ان لم يؤمن مامنه اي مسكنه
الذي يأمن فيه وهو دار قومه ذلك يعني الامر بالاجارة وابلاغ المأمن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما الاسلام
وما حقيقته او جهلة فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا كيف يكون للمشركين
عهد شروع في تحقيق حقية ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين
الناكثون لان البراءة انما هي في شأنهم والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله
الخ بل بمعنى انكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف في محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف وقيل من الكون
الناقص وكيف خبر يكون قدم على اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة وللمشركين متعلق بمحذوف وقع صفة لعهد
او بنفسه لانه مصدر او بيكون كما مر ويجوز ان يكون الخبر للمشركين وعهد كما ذكر ومتعلق بالاستقرار الذي تعلق به
المشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق بيكون او بالاستقرار

ذكره صاحب النهاية نقلا عن المبسوط
سعد

الذي تعلق به الظرف وكاينا الى تقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكون على الوجهين الاخيرين نصبا على التشبيه
بالظرف واولى الكاني صورة الكون التام وعلى الاولى لان في انكار ثبوت العهد في نفسه من المبالغة ما ليس في
انكار ثبوته للمشركين لان ثبوت الرابطي فرع ثبوته العيني فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع رأسا وفي
توجيه الانكار الى كيفية ثبوته من المبالغة ما ليس في توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب ان يكون
وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال الوجود فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني اي على
اي حال او على اي حال يكون لهم عهد معتد به عند الله وعند رسوله يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ عليه
الى تمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا وانما ان يؤمنوا به من عذاب لانحرا كما قيل فلا سبيل الى
اصلا اذ لا دخل لعهدهم في ذلك الامن قطعا وان كان معتبرا عند الله تعالى وعند رسوله وكرر عنوان الشرك لتأكيد
وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة الا الذين استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام
المتبادر شمول لعهد المعاهدين اي لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون
المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب وكادتها ومحله الرفع على الابتداء وخبره
قوله عز وجل فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والفاء لتضمنه معنى الشرط وما اما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية
بتقدير المضاف اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اي اي
زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم او مرفوعة على الابتداء والعائد محذوف اي اي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا
لهم فيه وقيل الاستثناء متصل ومحله النصب على الاصل او الجر على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس المعهود
واياما كان فحكم الامر بالاستقامة ينتهي بانتهاء مدة العهد لان استقامتهم التي وقتت بوقتها الاستقامة المأمور
عبارة عن مراعاة حقوق العهد فبعد انقضاء مدته لا عهد ولا استقامة فصار عين الامر الوارد فيما سلف من
حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم خلا انه قد صرح ههنا بما لم يصرح به هناك مع كونه معتبرا قطعا وهو تعيينه
المأمور به ببقائهم على العهد كما نوا عليه من الوفاء ان الله يحب المتقين تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان
القيام بموجب العهد من احكام التقوى كما مر كيف تكرير لاستنكار ما مر من ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة
عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قيل من انه لاستبعاد ثباتهم على العهد فكما ترى لان ما ذكر
بصدد التعليل للاستبعاد عين عدم ثباتهم على العهد لا انه شيء يستدعيه وانما اعيد الاستنكار والاستبعاد
تاكيدا لهما وتمهيدا لتعداد العلل الموجبة لهما لاخلال تخلل ما في البين بالارتباط والترتيب وحذف الفعل
المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة له مترقبة لورود ما يوجب استنكاره لا لمجرد كونه معلوما كما في قوله شعر
وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب فانه غلط صحيحة لا مرجحة اي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله
تعالى وعند رسوله وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا عليكم اي يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم اي
لم يراعوا في شأنكم واصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة
ابلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في نفيها الا ولا ذمة اي حلفا وقيل قرابة وقيل ولا عهدا او
حقا يعاب على اغفاله مع ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق يعني ان وجوب مراعاة حقوق العهد لهم على كل من
المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها على منوال قول من قال علام تقبل
منهم فدية وهم لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا وقيل الال من اسماء الله عز وجل اي لا يرعوا حق الله تعالى وقيل الجؤار
ومنه الال للحلف لانهم اذا تماسحوا رفعوا به اصواتهم لتشهيره ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما لرعايته
عند عدمه كشف عن حقيقته شؤونهم الجلية والخفية بطريق الاستئناف وبين انهم في حالة العجز ايضا ليسوا من الوفاء
في شيء وان ما يظهرونه مداهنة لا مهادنة فقيل يرضونكم بافواههم حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدون
لكم بالايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة

وقال الجاني
لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم
وان نكف الاذى عنكم وتؤذونا

الارضاء الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق في قلوبهم وتأبى قلوبهم ما يفيده كلامهم واكثرهم فاسقون خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليست لهم مروءة رادعة ولا عقيدة وازعة لا يتحرزون كما يتعاطاه بعضهم ممن يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر لهم احدوثة السوء اشتروا بآيات الله بآياته الآمرة بالايفاء بالعهود والاستقامة في كل امر او بجميع آياته فيدخل فيها دخولا اوليا اي تركوها واخذوا بدلها ثمنا قليلا اي شيئا حقيرا من حطام الدنيا وهو اهواؤهم وشهواتهم التي اتبعوها او ما انفقه ابو سفيان من الطعام وصرفه الى الاعراب فصدوا اي عدلوا ونكبوا من صد صدودا او صرفوا غيرهم من صد صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك عن سبيله اي الدين الحق الموصل اليه والاضافة للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف وفي ساء معنى التعجب الذي يعملونه وقوله عز وجل لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة نعي عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا في اليهود او في الاعراب المذكورين ومن يحذو حذوهم واما ما قيل من انه تفسير لقوله تعالى يعملون او دليل على ما هو المخصوص بالذم فيشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيره واولئك الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة هم المعتدون اي المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة فان تابوا اي عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم والفاء للايذان بان تقريعهم بما نعي عليهم من مساوي اعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة اي التزموهما وعزموا على اقامتهما فاخوانكم اي فهم اخوانكم وقوله تعالى في الدين متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما ان الاولى سيقت اثر الامر بالقتل ونظائره فوجب ان يكون جوابها امرا بخلاف ذلك وهذه سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه فلا بد من كون جوابها حكما بخلافه البتة ونفصل الآيات اي نبينها والمراد بها اما ما مر من الآيات المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتي الكفر والايمان واما جميع الآيات فيندرج فيها تلك الآيات اندراجا اوليا لقوم يعلمون اي ما فيها من الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التأمل في الاحكام المندرجة في تضاعيفها والمحافظة عليها وان نكثوا عطف على قوله تعالى فان تابوا اي وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا ايمانهم من بعد عهدهم الموثق بها واظهروا ما في ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم لا يرقبوا الآية وثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل وطعنوا في دينكم قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم واقعا وترتب عليه النظم الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر احقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بالائمة رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر اما لاهمية قتلهم او للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها او للدلالة على استئصالهم فان قتلهم يكون غالبا بعد قتل من دونهم وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن لا تساعده اللغة انهم لا ايمان لهم اي على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على السنتهم وانما علق النفي بها لا بالعهد المؤكد بها لانها العمدة في المواثيق وجعل الجملة تعليلا لمضمون الشرط بالقتال لا يساعده تعليقه بالنكث والطعن لان حالهم في ان لا ايمان لهم حقيقة بعد النكث والطعن كما هي قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقاء ايمانهم بعد النكث والطعن مع انه لا حاجة اليه لا يخلو عن الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كما قيل وان نكثوا وطعنوا كما هو المتوقع منهم اذ لا ايمان لهم حقيقة حتى لا ينكثوا او لاستمرار القتال المامور به المستفاد من سياق الكلام كما تدبر فقاتلوهم الى ان يؤمنوا اذ انهم لا ايمان لهم حتى يعقد معهم عقد آخر وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى اعطاء الامان اي لا سبيل الى اعطاء الامان لهم ابدا لا امان بعد ذلك ابدا وانما لك

[illegible] لعلهم ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر اي قاتلوهم ارادة ان ينتهوا اي ليكن غرضكم من المقاتلة انتهاءهم عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض للمؤمنين على القتال نكثوا ايمانهم التي حلفوها عند المعاهدة على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه من المدينة وهم بدءوكم بالمعاداة والمقاتلة اول مرة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة او بدءوا بقتال خزاعة حلفاء النبي عليه السلام لان اعانة بني بكر عليهم قتال معهم اتخشونهم اي اتخشون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم او لا تتركوا قتالهم وحثهم عليها لما يوجب الرغبة فيها وتحقق ان من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بان لا تترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله احق ان تخشوه بمخالفة امره وترك قتال اعدائه ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وتعذيب اعدائهم واخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم تذكيرا وابهاما وينصركم عليهم اي يجعلكم جميعا غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر التعذيب والاخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم بما لقوا منهم من المكاره والمكايد ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان اخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام مستأنف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر بحسب المعنى فان القتال كما هو سبب لغلبتهم واتخاذ شوكتهم فهو سبب لتدبر في امرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصي والاختلاف في وجه السببية غير قادح والله عليم اي بناء على انه الجهاد ولذلك اصلح للعلم لبث لكل بلية المعاقبة واحوال الرعية عليم لا يخفى عليه خافية حكيم لا يفعل ولا يأمر الا ما فيه حكمة ومصلحة ام حسبتم ام منقطعة جيء بها للدلالة على الانتقال عن التوبيخ السابق الى آخر وما فيها من همزة الاستفهام الانكاري توبيخ لهم على الحسبان المذكور اي بل احسبتم ان تتركوا على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم ولا تخلطوا اما المنافقين شق عليهم القتال من المؤمنين او المنافقين ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني اذ لو شئتم لاتحد الوجود ولعل قطعا فلما لم يعلم لزم عدمه قطعا اي ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين المخلصون من المجاهدين منكم من غيرهم وما فيها من التوقع منبه على ان ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبيين بعدم علم الله تعالى ان المقصود هو التبيين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في حيز

القتال أو حال من فاعله أي جاهدوا حال كونهم غير متخذين من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
وليجة أي بطانة وصاحب سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الأسرار الخفية من الولوج وهو الدخول
ومن دون الله متعلق بالاتخاذ إن أبقي على حاله أو مفعول ثان له إن جعل من التصيير والله خبير بما تعملون
أي بجميع أعمالكم وقرئ على الغيبة وهو تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم الخ أو حال من
فاعله ومعموله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال أنه تعالى خبير بجميع أعمالكم لا يخفى عليه شيء منها
ما كان للمشركين أي ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز كما في قوله تعالى ما كان
لهم أن يدخلوها إلا خائفين أي ما وقع وما تحقق لهم أن يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله أي المسجد الحرام
وإنما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامر الكل ولأن كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله
بخلاف سائر المساجد إذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم أن يعمروا
شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ويأباه أنهم لا يتصدون لتعمير سائر المساجد
ولا يفتخرون بذلك على أنه مبني على كون النفي نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود شاهدين على أنفسهم بالكفر
أي بإظهار آثار الشرك من نصب الأوثان حول البيت والعبادة لها فإن ذلك شهادة صحيحة على أنفسهم بالكفر
وإن أبوا أن يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن رحمه الله وهو حال من الضمير في يعمروا أي محال أن يكونوا ما سموه
عمارة بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فإنها ليست من العمارة في شيء وأما ما قيل من أن
المعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره تعالى فليس بمعرب عن كنه المرام
فإن عدم استقامة الجمع بين المتنافيين إنما يستدعي انتفاء أحدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة التي هي المقصود روي
أن المهاجرين والأنصار أقبلوا على أسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال النبي صلى الله عليه وسلم
وقطيعة الرحم والإغلاظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا أولكم محاسن قالوا
نعم إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني أولئك الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها
من أعمال البر مع ما بهم من الكفر حبطت أعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا
وفي النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وإيراد الجملة الاسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف
متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير النفي السابق الأولى من جهة
نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب إنما يعمر مساجد الله الكلام في إيراد صيغة الجمع
كما مر خلا أن إرادة جميع المساجد وإرادة المسجد الحرام في ذلك عن مخالفة لمقتضى الحال لأن الإحياء دليل
وقد قرئ بالإفراد أيضا والمراد هنا أيضا قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها أي إنما
يستقيم أن يعمرها عمارة يعتد بها من آمن بالله وحده واليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما
نطق به الوحي وأقام الصلاة وآتى الزكاة على ما علم من الدين فيندرج فيه الإيمان بنبوة النبي صلى الله عليه
وسلم حتما وقيل هو مندرج تحت الإيمان بالله خاصة فإن أحدا لا يجري كلمة الشهادة على الكمال [illegible]
بهذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها
بالسرج وإدامة العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى إن بيوتي
في أرضي المساجد وإن زوارها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره
وعنه عليه السلام من ألف المسجد ألفه الله وقال عليه السلام إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا
له بالإيمان وعن أنس رضي الله عنه من أسرج سراجا في المسجد لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك
المسجد ضوؤه ولم يخش في أمور الدين إلا الله فعمل بموجب أمره ونهيه غير آخذ له في الله لومة لائم ولا خشية

هذا أنسب للمقام منه

ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك وأما الخوف الجبلي من الأمور المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما
يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى أولئك
المنعوتون بتلك النعوت الجميلة أن يكونوا من المهتدين إلى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب
العلية وإبراز اهتدائهم مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع أطماع الكفرة عن الوصول إلى
مواقف الاهتداء والانتفاع بأعمالهم التي يحسبون أنهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بأنهم مهتدون فإن
المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات إذا كان أمرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم وأعمالهم أعمالهم
وفيه لطف بالمؤمنين وترغيبهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى أجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام أي في الفضيلة وعلو الدرجة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله
السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالأعيان فلا بد من تقدير المضاف في أحد الجانبين أي أجعلتم
أهلهما كمن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام أو أجعلتموهما كإيمان من آمن الخ
وعلى التقديرين فالخطاب إما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الإيمان بجانب المشبه به
وإما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء
في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثاني وبيان أعظمية درجتهم عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم
حرمان الأولين بالكلية وحمل معنى التفضيل بالنسبة إلى زعم الكفرة
الحرمان فليس بمعتبر أما على الأول فهو توبيخ للمشركين ومدار على إنكار تشبيه أنفسهم من حيث اتصافهم
بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالإيمان والجهاد أو على إنكار
تشبيه وصفيهم المذكورين في حد ذاتهما مع الإغماض عن مقارنتهما للشرك بالإيمان والجهاد وأما اعتبار مقارنتهما له كما قيل
فيأباه المقام كيف لا وقد بين آنفا حبوط أعمالهم بذلك
تشبيهها بالإيمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن أصل الفضيلة بالكلية كما أشير إليه مما لا يساعده النظم
التنزيلي ولو اعتبر ذلك لاحتيج إلى التأييد والتأكيد
فالمعنى أجعلتم أهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله أو أجعلتموهما
في ذلك كالإيمان والجهاد شتان بينهما فإن السقاية والعمارة وإن كانتا في أنفسهما من أعمال البر والخير
وإن خلتا عن القوادح لكن لا يصلحان أن تكونا سببا لأهلهما وكذا قوله عز وجل لا يستوون
عند الله أي لا يساوي الفريق الأول الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي
بين الوصفين الأولين وبين الأخيرين لأن المدار في التفاوت بين الموصوفين وإسناد عدم الاستواء إلى
الموصوفين لأن تلاحظ بيان تفاوتهم وتوجيه النفي هنا والإنكار فيما سلف إلى الاستواء والتشبيه مع أن دعوى
المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين إنما هي الأفضلية دون التساوي والتشابه للمبالغة
في الرد عليهم فإن نفي التساوي والتشابه نفي للأفضلية بالطريق الأولى والجملة استئناف مقرر لمضمون الإنكار وتأكيد
والله لا يهدي القوم الظالمين حكم عليهم بأنهم مع ظلمهم بالإشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون
في هذا التحكيم
الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم
أعظم درجة عند الله أي أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وإن حاز جميع ما عداها من الكمالات

على تقدير المضاف في المشبه
السقاية
الإيمان والجهاد
دون الإسناد

التي من جملتها السقاية والعمارة **وأولئك** اي المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة وما في اسم الاشارة من معنى البعد
للدلالة على بعد منزلتهم في الرفعة **هم الفائزون** المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كأن فوز من عداهم
ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثاني فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد روي
ان عليا رض قال للعباس رض بعد اسلامه الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم الست في افضل
من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عم اقيموا على سقايتكم
فان لكم فيها خيرا وروي النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل
عملا بعد ان اسقي الحاج وقال آخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد في سبيل الله افضل
مما قلتم فزجرهم عمر رض وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت
استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى اجعلتم اهل
السقاية والعمارة من المؤمنين في الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموها
كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان في جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان
مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك ذكره في جانب المشبه به ايضا تقوية للانكار
وتذكيرا لاسباب الرجحان ومبادي الافضلية وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء
عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر وكذا اعظمية درجة الفريق الثاني واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين
فالمراد بعدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا
ولا الظلم عموما والقصر في واولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الثاني او الى الفوز المطلق ادعاء كما
والله اعلم **يبشرهم** وقرئ بالتخفيف **ربهم برحمة** عظيمة **منه ورضوان** كبير **وجنات** عالية **لهم فيها** اي في تلك الجنات
نعيم مقيم لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية تاكيد للمبشر به وتربية له **خالدين فيها** اي في الجنات **ابدا** تاكيد
للخلود لزيادة توضيح المراد به اذ قد يراد به المكث الطويل **ان الله عنده اجر عظيم** لا قدر عنده لاجور الدنيا او للاعمال
التي في مقابلته والجملة استئناف وقع تعليلا لما سبق **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء**
نهي لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة كل فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد الى الآحاد
كما في قوله عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة قيل الآية
نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجاراتنا وهلكت
اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه
فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهيا
عن موالاتهم عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله
ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه **ان استحبوا الكفر** اي اختاروه **على الايمان** واصروا عليه اصرارا لا يرجى
معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما تؤدي بهم الى الاسلام بسبب شعورهم بمحاسن
الدين **ومن يتولهم** اي واحدا منهم كما اشير اليه وافراد الضمير لمراعاة لفظ الموصول والايذان باستقلال كل واحد
منهم في الاتصاف بالظلم لان المراد تولي فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى **منكم** للجنس لا للتبعيض **فاولئك** اي اولئك المتولون
هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها كان ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم **قل** تلوين للخطاب وامر للرسول صلى الله عليه وسلم
بان يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والاخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجري مجراهم
من الابناء والازواج ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب **ان كان آباؤكم وابناؤكم**
واخوانكم وازواجكم لم يذكر الابناء والازواج فيما سلف لان موالاة الابناء والازواج غير معتادة بخلاف المحبة **وعشيرتكم**
اي اقرباؤكم ماخوذ من العشرة اي الصحبة وقيل من العشيرة فانهم جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم

واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين **وتجارة**
اي امتعة اشتريتموها للتجارة والربح **تخشون كسادها** بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في ايام الموسم
ومساكن ترضونها اي منازل تعجبكم الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للايذان بان
اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحياة الدنيا ليس لتعاميهم فيها من مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها مع ما لها
من فنون المحاسن بمعزل عن ان يؤثر حبها على حبه تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم كما في قوله عز وجل ما غرك
بربك الكريم **احب اليكم من الله ورسوله** بالحب الاختياري المستتبع لاثره الذي هو الملازمة وعدم المفارقة
لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فانه بمعزل عن الدخول تحت التكليف الدائر على الطاقة **وجهاد في سبيله** نظم حبه في سلك
حب الله عز وجل وحب رسوله عليه السلام تنويها لشانه وتنبيها على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكره وايذانا
بان محبته راجعة الى محبتهما فان الجهاد عبارة عن قتال اعدائهما لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما
فتربصوا اي انتظروا **حتى ياتي الله بامره** عن ابن عباس رض انه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة او آجلة **والله**
لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين والقوم الفاسقين كافة فيدخل في نظام
هؤلاء دخولا اوليا اي لا يرشدهم الى ما هو خير لهم وفي الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه
لطف من ربه والله المستعان **لقد نصركم الله** الخطاب للمؤمنين خاصة **في مواطن كثيرة** من الحروب وهي
مواقعها ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة **ويوم حنين** عطف
على محل في مواطن بحذف المضاف في احدهما اي وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير
للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رض وقيل يوم حنين منصوب
بمضمر معطوف على نصركم اي ونصركم يوم حنين **اذ اعجبتكم كثرتكم** بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل
الظرف بناء على انه لم يكن في المعطوف عليه كثرة ولا اعجاب اذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه
المعطوف او منصوب باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر
الفا عشرة آلاف منهم من شهد فتح مكة من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا
اربعة آلاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة
بن سلامة الانصاري لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا شديدا
فانهزم المشركون وخلوا الذراري فاكب المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح
فتراجعوا فادركت المسلمين كلمة الاعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وعلا **فلم تغن عنكم شيئا** فالاغناء اعطاء
ما يدفع به الحاجة اي لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الاغناء **وضاقت عليكم الارض بما**
رحبت اي برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اي لا تجدون مفرا يطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب
ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه **ثم وليتم مدبرين** روي انه بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده
ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحارث آخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين
وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وروي انه عليه السلام كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف
لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة
صدق على انه صلى الله عليه وسلم كان في الشجاعة ورباطة الجاش بمثابة الغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيدا
من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار
فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى
ثم انزل الله سكينته على رسوله اي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر
القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عم قبل ذلك ايضا **وعلى المؤمنين** عطف على رسوله وتوسيط الجار

بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت اي للمؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الرض
وهو الانسب بالاضير في تحقق اصل السكينة في الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان للاشعار بعلية للانزال وانزل
جنودا لم تروها اي بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم السلام عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبي
عليه السلام الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه
فلم يبق منهم احد الا امتلات بدعينا ثم قال لهم انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ فقيل خمسة الاف
وقيل ثمانية الاف وقيل ستة عشر الفا وفي قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كان نزولهم
لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك والقاء الرعب في قلوب المشركين قال سعيد بن المسيب
حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء
تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل
والاسر والسبي وذلك اي ما فعل بهم مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء
ان يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه اي يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي رحيم
يتفضل عليهم ويثيبهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله
انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم
ما لا يحصى فقال عليه السلام ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم
قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام النبي عليه السلام فقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري
والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا
حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا قد رضينا وسلمنا فقال لهم انا لا ندري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا
ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر مبالغة كانهم
عين النجاسة او هم ذوو نجس لخبث باطنهم او لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون
النجاسات فهي ملابسة لهم عن ابن عباس رض ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل
المذهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد كانه قيل انما المشركون جنس
نجس وضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام تفريع على نجاستهم وانما نهي عن القرب للمبالغة او
للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة
رحمه الله تعالى ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه بوقت من اوقات العام
اي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة النبوية حين امر ابو بكر رض على الموسم ويدل عليه قول
علي رض حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد
عندنا وعند الشافعي رح يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين ان يقربوه راجع
الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم
عيلة اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارزاق والمكاسب وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية
او حالا عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا
اعز بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة
لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض ان شاء ان يغنيكم مشيئة تابعة للحكمة الداعية
اليها وانما قيد ذلك بها لينقطع الامال الى الله تعالى ولان الاغناء ليس بمطرد بحسب الافراد والاحوال والاوقات
ان الله عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله امر بقتال اهل الكتابين اثر الامر
بقتال المشركين ومنعهم من ان يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة المتوهمة من انقطاعهم

وبينهم في مساعيهم ذلك على التعيين طريق الاغناء الموعود على الوجه الكلي وتدبيره كما ابتغاء لفضل الله اشعار
بوعده والتوبيخ عنهم بالوصول الى الايمان بعلية ما في حيز الصلة للامر بالقتال وانتظامهم بسببه في سلك المشركين
فان اليهود مثنية والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه ولا باليوم الآخر فان علمهم باحوال الآخرة
كلا علم فايمانهم المبني عليه ليس بايمان به ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا او غير متلو
وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون اتباعه اي يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون
دين الحق الثابت الذي هو ناسخ لسائر الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله من الذين اوتوا الكتاب من
التوراة والانجيل فمن بيانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت حتى يعطوا اي يقبلوا ان يعطوا الجزية اي ما تقرر
عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد حال من الضمير
في يعطوا اي عن يد مواتية مطيعة بمعنى منقادين او من يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك
منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم اي بسبب يد بمعنى عاجزين
اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاء مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية اي نقدا مسلمة عن يد الى يد
وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه وهم صاغرون اي اذلاء وذلك بان يأتي بها بنفسه
ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها وهي تؤخذ
عند ابي حنيفة رح من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركي العجم لا من مشركي العرب وعند ابي يوسف رح لا تؤخذ من العربي كتابيا
كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا وعند الشافعي رح تؤخذ من اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ
من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعي الى انها تؤخذ من جميع الكفار واما المجوس فقد اتفقت الصحابة
على اخذ الجزية منهم لقوله عم سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي عن علي رض انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا
وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبيحتهم ومناكحتهم لقوله عم في آخر ما نقل من الحديث
غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبيحتهم ووقت الاخذ عند ابي حنيفة اول السنة وتسقط بالموت والاسلام ومقدارها على الفقير
المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية واربعون درهما ولا جزية
على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبي او امرأة وعند الشافعي رح تؤخذ في آخر السنة من كل
واحد دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود جملة مبتدأة سيقت لتقرير ما مر من عدم
ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين عزير ابن الله مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين
على انه اسم اعجمي كعازر وعيزار غير منصرف للعجمة والتعريف واما تعليله بالتقاء الساكنين او بجعل الابن وصفا
على ان الخبر محذوف فتعسف مستغنى عنه قيل هو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك ولا عبرة بانكار اليهود
وقيل قول بعض من كان بالمدينة عن ابن عباس رض انه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم
ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان
الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله تعالى عنهم التوراة
ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عم فقال له اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه
التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا لانه ابنه قال
الامام الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى
المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون آية بعدما اماته مائة عام يقال انه
اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره فلما اتاهم قال اني عزير فكذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا
التوراة فكتبها فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل الا لانه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس
رض ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله تعالى التوراة ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع

وبينهم نقض

عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظه التورية الى قلبه فانذرهم به ثم ان التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير
على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة
لان يكون بغير اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك اشارة الى ما صدر
عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة والفظاعة قولهم بافواههم
اما تاكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود
في الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج يضاهئون اي في الكفر والشناعة وقرئ بغير همز قول الذين كفروا
اي يشابه قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا من قبل اي
من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله واللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد في
القول حتى يتاتى التشبيه وجعله بين قولي الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي
قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى فانه يستدعي اختصاص الرد والابطال بقوله
تعالى ذلك قولهم بافواههم بقول النصارى قاتلهم الله دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من
شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا اتخذوا زيادة تقرير
لما سبق من كفرهم بالله تعالى احبارهم وهم علماء اليهود واختلف في واحده قال الاصمعي لا ادري احبر ام حبر
وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان
من اهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى من اصحاب الصوامع اي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل
الكل اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه الله تعالى او بالسجود لهم ونحوه
تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن
قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب وكان اذ ذاك على دين يسمى الركوسية
فريق من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى الى قوله تعالى اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلام اليس كانوا يحرمون ما احل
الله فيحرمونه ويحلون ما حرم الله فيستحلونه فقلت بلى قال ذلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك
الربوبية في بني اسرائيل قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا ياخذون باقوالهم
ويتركون حكم كتاب الله والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم اي اتخذه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابنه
تعالى علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتاخيره في الذكر مع ان اتخاذهم له عليه السلام
ربا معبودا اقوى من مجرد الاطاعة في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا لانه مختص
بالنصارى ونسبته عليه السلام الى امه من حيث دلالتها على مربوبيته المنافية للربوبية للايذان بكمال ركاكة رايهم والقضاء
عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما امروا اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في كتابهم الا ليعبدوا الها واحدا عظيم
الشان هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة
على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة واما اطاعة الرسول عليه السلام وسائر
من امر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة لطاعة الله عز وجل او وما امر الذين اتخذتهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار
والرهبان الا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم ولا يقدح في ذلك
كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة
ايضا به تعالى وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة به سبحانه لا اله الا هو صفة ثانية لالها او
استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون من الاشتراك به في العبادة والطاعة يريدون ان يطفئوا
نور الله اطفاء النار بعبارة يعني ازالته بها لزوال نوره لا على ان له نورا ما كما قيل لكن لما كان الغرض من اطفاء

النار لا يراد بها الا النور كالمصباح اذ ازالة نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة
عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والسر في ذلك انحصار امكان الازالة في نورها والمراد بنور الله
تعالى اما حججه النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد او القرآن العظيم الناطق بذلك
اي يريد اهل الكتابين ان يردوا القرآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد
والشرائع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة بافواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير
ان يكون لها مصداق تنطبق عليه او اصل تستند اليه حسبما حكي عنهم وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه
وسلم هذا وقد قيل مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق بنفخة ويابى الله
اي لا يريد الا ان يتم نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب
لكونه بمعنى النفي كما اشير اليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع
ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه
فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشانه وتشريف له
على تشريف واشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة
على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه
اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء
اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد وقد
مر زيادة تحقيق لهذا مرارا هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدى اي القرآن الذي هو هدى للمتقين ودين الحق
الثابت وهو دين الاسلام ليظهره اي رسوله على الدين كله اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر
الاديان بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وجل
ولو كره المشركون كما فيما سبق خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر
بالله يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراذلهم اثر بيان سوء حال الاتباع
في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما ياتون وما يذرون ان كثيرا من الاحبار
والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ياخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف
والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه معظم الغرض منه وتقبيحا لهم وتنفيرا للسامعين عنهم
ويصدون الناس عن سبيل الله عن دين الاسلام او عن المسلك المقرر في التورية والانجيل الى ما افتروه
وحرفوه باخذ الرشى او يصدون عنه بانفسهم باكلهم الاموال بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة
اي يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان بالدفن او بوجه آخر والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان
فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل في الاباطيل واما
عن المسلمين الكانزين غير المنفقين وهو الانسب بقوله عز وجل ولا ينفقونها في سبيل الله فيكون نظمهم
في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم والمراد
بالانفاق في سبيل الله الزكوة لما روي انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان الله تعالى لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم ولقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز او لعد
عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه واما قوله عليه السلام من ترك صفراء او
بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها
حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم خبر
للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او

لان الآية اقتضى مراتب علم الاولوية
والمفهوم من ...
الارادة لا تقل الا به
قتلته
م

مضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون او بالذكر يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله
تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل
من صيغة التانيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما
قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رض اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها
كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال او الكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما
قانون التمول او الفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب كذلك بل اولى فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم
ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء
الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربعة التي هي مقاديم البدن ومآخيره
وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا
ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله اي في حكمه
وهو معمول لها لانها مصدر اثنا عشر خبر لان شهرا تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والمراد
الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو
صفة لاثني عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وقوله عز وجل يوم خلق السموات والارض متعلق بما في الجار
والمجرور من معنى الاستقرار او بالكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى
الاجرام والحركات والازمنة منها اي من تلك الشهور الاثني عشر اربعة حرم اي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض
السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين
جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعدما كانوا ازالوه
من محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رض قبلها في ذي القعدة
ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه هو الدين القيم
المستقيم دين ابرهيم عليه السلام واسمعيل عم وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر
الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى
احدثوا النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال
فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس
ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت ويؤيد الاول انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن
بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان
الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه
من القتال وانما وضع المظهر موضع مضمرهم مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصر
وقيل هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء هو مصدر نسأه اذا اخره نسأ ونساء ونسيئا
نحو مس مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الياء الاولى فيها كانوا اذا
جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد
وربما زادوا في عدد الشهور بان يجعلوها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعل اربعة اشهر من السنة
حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تاخير حرمة شهر الى شهر آخر زيادة في الكفر
لانه تحليل ما حرمه الله وتحريم ما حلله فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا على ضلالهم القديم

وقرئ على البناء للفاعل من الافعال على ان الفعل لله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه
وهو المعنى على القراءة الاولى ايضا وقيل المضلون رؤساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ يضل بفتح
الياء والضاد من ضلل يضلل ونضل بنون العظمة يحلونه اي النسيء المؤخر عاما من الاعوام ويحرمون مكانه
شهرا آخر مما ليس بحرام ويحرمونه اي يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم
له في العام الماضي او لاسنادهم له الى آلهتهم كما سيجيء عاما آخر اذا لم يتعلق بتغييره غرض من اغراضهم قال الكلبي
اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان اذا هم الناس بالصدور من الموسم يقوم فيخطب
فيقول لا مرد لما قضيت وانا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا
يغيرون فيه فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا
الاوتار وشدوا الازجة واغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل
في الموسم فينادي باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت
عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسئ الشهر القلمس وعن ابن عباس رض
ان اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملتان تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل عامله
ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما يدل عليه مجموع
الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الاشهر المعينة زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو
الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا فاستمروا
على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى المطلوب البتة وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه
وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال يا ايها الذين آمنوا رجوع الى حث المؤمنين وتجديد
عزائمهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك ما لكم استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ اذا
قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وتقاعستم اصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك اي اي شيء حصل
او حاصل لكم او ما تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم اي اخرجوا الى الغزو في سبيل الله متثاقلين
على ان الفعل ماض لفظا ومضارع معنى كانه قيل تتثاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم او معنى
الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الحال اي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم على الاستفهام
الانكاري التوبيخي فالعامل في الظرف حينئذ انما هو اثاقلتم الى الارض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد
اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة
كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم
من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة
العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها الا في غزوة تبوك
فانه عليه السلام بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة اي بدل الآخرة
ونعيمها الدائم فما متاع الحيوة الدنيا اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير اي فما التمتع بها وبلذائذها في الآخرة
اي في جنب الآخرة الا قليل اي مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح الحيوة الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد
الآخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شان الآخرة وعلوها الا تنفروا اي ان لا تنفروا
اليما استنفرتم اليه يعذبكم اي الله عز وجل عذابا اليما اي يهلككم بسبب فظيع كالقحط ونحوه ويستبدل
بكم بعد اهلاككم قوما غيركم وصفهم بالمغايرة لهم لتاكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة
الوصفية والذاتية المستلزمة للاستئصال اي قوما مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم
ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا اي

خ تشدید م
السیر البعید

لا يقلع تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني في كل شيء وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم فانه تعالى وعده
بالعصمة والنصرة وكان وعده مفعولا لا محالة والله على كل شيء قدير فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم آخرين
الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف
الجزاء واقيم سببه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره
اذ اخرجه الذين كفروا اي تسببوا لخروجه حيث اذن له عم في ذلك حين هموا باخراجه ثاني اثنين حال
من ضميره عم وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الاعراب اي احد اثنين من غير اعتبار
كونه عليه السلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث
والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وقد مر في قوله تعالى
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة من سورة المائدة وجعله عم ثانيهما لمشي الصديق امامه ودخوله
في الغار اولا لكنسه وتسوية البساط كما ذكر في الاخبار تمحل مستغنى عنه اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه
بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه
ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه اي الصديق لا تحزن ان الله معنا بالعون والعصمة
والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص
مع بالمتبوع فالمراد بما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الامر المباشر روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق
ابو بكر رض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك
باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله
تعالى بابصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رض وسابقة صحبته ما لا يخفى ومن ذلك قالوا
من انكر صحبة ابي بكر رض فقد كفر لانكاره كلام الله تعالى فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب
عليه على النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه اذ هو المنزعج
واما النبي صلى الله عليه وسلم فكان على طمأنينة من امره وايده بجنود لم تروها عطف على نصره الله والجنود
هم الملائكة النازلون يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل هم الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم
رؤية المخاطبين لهم وقوله عز وعلا وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر فان ذلك الجعل
لا يتحقق بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك وكلمة الله اي التوحيد او دعوة الاسلام هي العليا
لا يدانيها شيء وتغيير الاسلوب للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل شأنها ولا يتغير حالها دون غيرها
من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين والله عزيز لا يغالب حكيم في حكمه
وتدبيره انفروا تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار على المساهلة وقوله تعالى خفافا وثقالا
حالان من ضمير المخاطبين اي على اي حال كان من يسر وعسر حاصلين باي سبب كان من الصحة والمرض او الغنى والفقر
او قلة العيال وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة في الجملة وما
ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا
او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير مقارنة للباقي وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أعلي ان انفر قال عليه السلام نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رض نسخت
بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ايجاب
للجهاد بهما ان امكن وباحدهما عند امكانه واعواز الآخر حتى ان من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن
ساعده المال دون النفس يغزي مكانه من حاله على عكس حاله اليه ذهب كثير من العلماء وقيل هو ايجاب

للقسم الاول فقط ذلكم اي ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشرف
خير لكم اي خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغى بتركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال والاولاد
ان كنتم تعلمون اي تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله
تعالى فبادروا اليه لو كان صرف للخطاب عنهم وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم
من الهنات قولا وفعلا على طريق المباثة وبيانا لدناءة هممهم وسائر رذائلهم اي لو كان ما دعوا اليه عرضا قريبا
العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اي لو كان ذلك غنما سهل المأخذ قريب المنال وسفرا قاصدا ذا قصد بين القرب
والبعد لاتبعوك في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدم تحققه عند توسط
السفر فقط ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة الشاقة الشاطة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين
والشين وسيحلفون اي المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى بالله اما متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول
مراد على الوجهين اي سيحلفون بالله اعتذارا عند قفولك قائلين لو استطعنا او سيحلفون قائلين بالله
لو استطعنا الخ اي لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا حسبما عن
لهم من الكذب والتعلل وعلى التقديرين فقوله تعالى لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعا اما على
الثاني فظ واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا لانه بيان لقوله تعالى سيحلفون
بالله وتصديق له والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ
لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في قوله عز وجل فتمنوا الموت يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون
لان الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال عليه السلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من
فاعله اي مهلكين انفسهم او من فاعل لخرجنا جيء به على طريقة الاخبار عنهم كأنه قيل نهلك انفسنا اي لخرجنا معكم
مهلكين انفسنا كما في حلف ليفعلن مكان لافعلن والله يعلم انهم لكاذبون اي في مضمون الشرطية وفيما
ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا عفا الله عنك صريح في انه سبحانه
وتعالى قد عفا عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع منه عند استيذان المتخلفين في التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة
[illegible] الاولى والافضل الذي هو [illegible] والتوقف الى
انجلاء الامر وانكشاف [illegible] لم اذنت لهم اي لاي سبب اذنت لهم [illegible]
بيان لما اشير اليه بالعفو من [illegible] ان يكون امره عليه السلام منوطا باسباب قوية
موجبة لها [illegible]
للاذن [illegible] وكلتا اللامين متعلقة بالاذن لاختلاف معناهما فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ
والضمير المجرور لجميع المستأذنين وتوجيه الانكار الى الاذن باعتبار [illegible]
ولتحقق عدم استطاعة بعضهم [illegible] قوله سبحانه حتى يتبين لك الذين صدقوا اي فيما اخبروا به عند
الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا [illegible] وتعلم
الكاذبين [illegible]
سواء كانت [illegible]
[illegible]
[illegible]
قيل [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]

الصادقين وان ما صدر عن الآخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة
ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من
ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي فظهور صدقه انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه
بعد ما كان محتملا له احتمالا عقليا واما كذبه فامر حادث لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا
له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما مستأنفا واسناده الى ضميره عم لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول
مع اسناد التبين الى الاولين لما ان المقصود ههنا علمه عم بهم ومؤاخذتهم بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مؤاخذة
عليهم ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه واسناد التبين الى الاولين وتعليق العلم
بالآخرين مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا وبالذات هو وصفا الصدق والكذب كما اشير اليه لما ان
المقصود هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم
بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفي تصدير فاتحة الخطاب ببشارة العفو دون ما يوهم العتاب
من مراعاة جانبه عليه السلام وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على اولي الالباب قال
سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطأ واساء الادب وبئسما فعل فيما
قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان اخطأت وبئسما فعلت هب انه كناية اليس ايثارها على التصريح
بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف في العتاب وهب ان العفو مستلزم للخطاء فهل هو مستلزم لكونه من القبح
واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء ويسوغ انشاء الاستقباح
بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها ولا يخفى انه لم يكن في خروجهم مصلحة في الدين او منفعة
للمسلمين بل كان فيها فساد وخبال حسبما نطق به قوله تعالى لو خرجوا الخ وقد كرهه سبحانه وتعالى كما ينطق به
قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الآية نعم كان الاولى تأخير الاذن حتى يظهر كذبهم آثر ذي اثير ويفتضحوا على
رؤوس الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه عليه السلام
وارضوه بالاكاذيب على انه لم يتهنأ لهم عيش ولا قرت لهم عين اذ لم يكونوا على امن واطمئنان بل كانوا على خوف
من ظهور امرهم وقد كان لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر تنبيه على انه كان ينبغي ان يستدل
باستيذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم وان الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف على الاذن فضلا عن ان يستأذنوك في التخلف وحيث
استأذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك مئنة للتأني في امرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل المستأذن فيه محذوف ومعنى
قوله تعالى ان يجاهدوا كراهة ان يجاهدوا ثم قيل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستأذنك المؤمنون في التخلف
كراهة الجهاد وتوجيه النفي الى القيد وبه يمتاز المؤمن من المنافق وهو وان كان في نفسه امرا خفيا لا يوقف عليه
بادي الامر لكن عامة احوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل امرا ظاهرا مقررا وقيل هو الجهاد اي لا يستأذنك
المؤمنون في الجهاد كراهة ان يجاهدوا بناء على ان الاستيذان في الجهاد ربما يكون لكراهته ولا يخفى ان الاستيذان
في الشيء لكراهته مما لا يقع بل لا يقبل ولو سلم وقوعه فالاستيذان لعلة الكراهة مما لا يمتاز بحسب الظاهر
من الاستيذان لعلة الرغبة ولو سلم فالذي ينفى من المؤمنين يجب ان يثبت للمنافقين وظاهر انهم لم يستأذنوا
في الجهاد لكراهتهم له بل انما استأذنوا في التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين
وعدة لهم باجزل الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كأنه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار بان ما صدر عنهم معلل
بالتقوى انما يستأذنك اي في التخلف مطلقا على الاول ولكراهة الجهاد على الثاني الذين لا يؤمنون بالله
واليوم الآخر تخصيص الايمان بهما في الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال انما
هو الايمان بهما اذ به يتسنى للمؤمنين استبدال الحيوة الابدية والنعيم المقيم بدل الحيوة الفانية والمتاع الكاسد

وارتابت

وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره
فهم حال كونهم في ريبهم وشكهم المستقر في قلوبهم يترددون اي يتحيرون فان التردد ديدن المتحير
كما ان الثبات ديدن المستبصر والتعبير عنه به مما لا يخفى حسن موقعه ولو ارادوا الخروج رد
على ان بعضهم قالوا اعددنا العدة وكنا نريد الخروج لكن لم تتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا
الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لاعدوا له اي للخروج في وقته عدة اي اهبة من الزاد والراحلة
والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عده بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة
من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي عدته وقرئ عدة بكسر العين وعده بالاضافة ولكن
كره الله انبعاثهم اي نهوضهم للخروج قيل هو استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية فان انتفاء ارادتهم
للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله تعالى انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فكانه قيل ما خرجوا
ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا
في اللفظ كقولك ما احسن الى زيد ولكن اساء والاظهر ان يكون استدراكا من نفس المقدم على نهج ما في الاقيسة
الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا العدة ولكن ما ارادوه لما انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه
من المفاسد التي ستبين فثبطهم اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له وقيل
اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم او لوسوسة الشيطان
بالامر بالقعود او هو حكاية قول بعضهم لبعض او هو اذن الرسول صلى الله عليه وسلم لهم في القعود والمراد
بالقاعدين اما المعذورون او غيرهم واياما كان فغير خال عن الذم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته تعالى
لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم اي ما اورثوكم شيئا من الاشياء الا خبالا اي فسادا
وشرا فالاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع وليس بذاك ولاوضعوا خلالكم اي ولسعوا فيما بينكم
بالنمائم والتضريب وافساد ذات البين من وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اي حملته على الاسراع
والمعنى لاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة في الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ
ولارقصوا من رقصت الناقة اسرعت وارقصتها انا وقرئ ولاوفضوا اي اسرعوا يبغونكم الفتنة
يحاولون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والقاء الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من ضمير
وضعوا او استيناف وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة
يسمعون للمنافقين اي يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله لاشتمالها على ضميريهما او مستأنفة
ولعلهم لم يكونوا في كثرة العدد وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بامر الجهاد اخلالا عظيما
ولم يكن فساد خروجهم معادلا لمنفعته ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين ولكن حيث
كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا لخلل كلي كره الله انبعاثهم فلم يتسن اجتماعهم فاندفع فساده
ووجه العتاب على الاذن في قعودهم مع تقرره لا محالة وتضمن خروجهم لهذه المفاسد هو انهم لو قعدوا
بغير اذن منه عم لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اول الامر ولم يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالاراجيف
ولم يتسن لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم بقوارع الآيات النازلة والله عليم بالظالمين علما محيطا
بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما يأتي منهم فيما سيأتي ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل
عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين السماعين والقاعدين
لقد ابتغوا الفتنة تشتيت شملك وتفرق اصحابك عنك من قبل اي يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي
ابن سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه عن تبوك ايضا بعدما خرج النبي عم الى ذي جدة اسفل
من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم

انما عثر رجال من المنافقين ليفتكوا به فردهم الله تعالى خاسئين وقلبوا لك الامور تقليب الامر
تصريفه من وجه الى وجه وترديده لاجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في
وجوه الحيل حول قلب اي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ
بالتخفيف حتى جاء الحق اي النصر والتأييد الالهي وظهر امر الله غلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون
والحال انهم كارهون لذلك اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول عم والمؤمنين على تخلف المتخلفين
وبيان ما ثبطهم الله تعالى لاجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم تداركا لما عسى يفوت
بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فات بها مما لا يمكن تلافيه تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لي
في القعود ولا تفتني اي لا توقعني في الفتنة وهي المعصية والاثم يريد اني متخلف لا محالة اذنت او
لم تأذن فأذن لي حتى لا اقع في المعصية بالمخالفة او لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي
وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني
ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكن اعينك بمالي فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه بمعنى فتنه الا في الفتنة اي
في عينها ونفسها واكمل افرادها الغني عن الوصف بالكمال الحقيق باختصاص اسم الجنس به سقطوا لا في شيء
مغاير لها فضلا عن ان يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجراءة على الاستئذان
بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود بلا اذن المبني عليه ومن الاعتذارات الكاذبة وقرئ بافراد الفعل محافظة
على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم يحسبون انهم ناجون
من الفتنة زعما منهم ان الفتنة انما هي التخلف بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها
منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين وقوله عز وجل وان جهنم لمحيطة
بالكافرين وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه اي جامعة لهم يوم القيمة
من كل جانب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار ومحيطة بهم الآن تنزيلا لما سيقع
عن قريب منزلة الواقع او وضعا للاسباب التي موضعه فان مبادي احاطة النار بهم من الكفر والمعاصي
محيطة بهم الآن من جميع الجوانب ومن جملتها ما فروا منه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادي المتشكلة
بصور الاعمال والاخلاق هي النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه النشأة وانما يظهر عند تشكلها بصورها
الحقيقية في النشأة الآخرة والمراد بالكافرين اما المنافقون وايثار وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم
بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا
اوليا ان تصبك في بعض مغازيك حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم تلك الحسنة اي تورثهم
مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم لك وان تصبك في بعضها مصيبة من نوع شدة يقولوا متبجحين
بما صنعوا حامدين لآرائهم قد اخذنا امرنا اي تلافينا ما يهمنا من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين
والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا من قبل اي من قبل
اصابة المصيبة في وقت تداركه يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج عند الكفرة بوقوعها حال
قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة ويتولوا عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم او يعرضوا عن النبي
صلى الله عليه وسلم وهم فرحون بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصابكم والجملة حال من الضمير في
يقولوا ويتولوا لا في الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور
واسناد المساءة الى الحسنة والسرور الى انفسهم دون المصيبة بان يقال وان تصبك مصيبة تسرهم للايذان
باختلاف حالهم حالتي عروض المساءة والمسرة بانهم في الاولى مضطرون وفي الثانية مختارون قل بيانا لبطلان
ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد لن يصيبنا ابدا وقرئ هل يصيبنا من فيعل لا من فعل لانه واوي يقال صاب

السهم يصوب واشتقاقه من الصواب الا ما كتب الله لنا اي اثبته لمصلحتنا الدنيوية او الاخروية من النصرة
عليكم والشهادة المؤدية الى النعيم الدائم هو مولانا ناصرنا ومتولي امورنا وعلى الله وحده فليتوكل
المؤمنون التوكل تفويض الامر الى الله والرضى بما فعله وان كان ذلك بعد ترتيب المبادي العادية والفاء للدلالة
على السببية والاصل ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لافادة القصر ثم ادخل الفاء للدلالة
على استيجابه تعالى للتوكل عليه كما في قوله تعالى واياي فارهبون والجملة ان كانت من تمام الكلام المأمور
فاظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لاظهار التبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة من قبله تعالى امرا
للمؤمنين بالتوكل اثر امره صلى الله عليه وسلم بما ذكر فالاظهار ظاهر وكذا اعادة الامر في قوله تعالى قل هل تربصون
لانقطاع حكم الامر الاول بالثاني وان كان امر الغائب فاما على الوجه الاول فلابراز كمال العناية بشأن المأمور
وللاشعار بما بينه وبين ما امر به اولا من الفرق في السياق والتربص التمكث مع انتظار مجيء شيء خيرا كان
او شرا والباء للتعدية واحدى التاءين محذوفة اي ما تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين اي العاقبتين
اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم في الجواب الاول وكشف
لحقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة
ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب
من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب ولذلك حذف عامله وجوبا او بعذاب بايدينا وهو القتل
على الكفر فتربصوا الفاء فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون
ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوءكم
قل انفقوا اموالكم في سبيل الله طوعا او كرها مصدران وقعا موقع الفاعل اي طائعين او كارهين
وهو امر في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم
ونظم الكلام في سلك الامر للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا الحال
فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب قول جد بن قيس ولكن
اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة عليه وقوله
عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين اي عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم
وقرئ بالتحتانية نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله استثناء من اعم الاشياء اي ما منعهم قبول
نفقاتهم منهم شيء من الاشياء الا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل وهو الله تعالى ولا يأتون الصلوة الا وهم
كسالى اي لا يأتونها في حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون
بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فقوله تعالى طوعا اي من غير الزام من جهة الآمر او هو فرض
لتوسيع الدائرة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله
عز وجل انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما
يعانون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع
عن النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم
لمنكم اي في الدين والاسلام وما هم منكم في ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان تفعل بهم ما تفعل بالمشركين
فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه بالايمان الفاجرة لو يجدون ملجأ
ليسوا من المسلمين وان حلفوا انهم منهم وانما هي التقية اضطرارا حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ
اي مكانا حصينا يلجؤون اليه من رأس جبل او قلعة او جزيرة وايثار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان
المعنى على المضي لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء

استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا حسبما يقتضيه المقام فان معنى قولك لمحسن
اليك لست تكرمني انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الاحسان لا انتفاؤه بسبب استمرار الاحسان فان الشكر يتوقف
على وجود الاحسان لا على استمراره كما حقق في موضعه **او مغارات** اي غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم
وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل هو متعد من غار اذا دخل الغور اي امكنة يغيرون فيها
اشخاصهم واهليهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغاير **او مدخلا** اي نفقا يندسون
فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الادخال اي مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا
من التدخل والاندخال **لولوا** اي لصرفوا وجوههم واقبلوا وقرئ لوالوا اي لالتجأوا **اليه** اي الى احد ما ذكر
وهم يجمحون اي يسرعون بحيث لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم
وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه الجمازة **ومنهم من يلمزك** بكسر الميم وقرئ بضمها اي يعيبك سرا
وقرئ يلمزك ويلامزك مبالغة **في الصدقات** اي في شأنها وقسمتها **فان اعطوا منها** بيان لفساد لمزهم
وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اي ان اعطوا منها قدر ما يريدون **رضوا** بما وقع من القسمة واستحسنوا
وان لم يعطوا منها ذلك المقدار **اذا هم يسخطون** اي يفاجئون السخط واذا نائب مناب فاء الجزاء قيل نزلت
الآية في ابي الجواظ المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل
في ابن ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمي رئيس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين
فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه السلام ويلك ان لم اعدل فمن
يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر **ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله** اي ما اعطاهم
الرسول عليه السلام من الصدقات طيبي النفوس به وان قل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول
عليه السلام كان بامره سبحانه **وقالوا حسبنا الله** اي كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا **سيؤتينا الله**
من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل **انا الى الله راغبون** في ان يخولنا فضله والآية بأسرها
في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره اي لكان خيرا لهم **انما الصدقات** شروع في تحقيق حقية ما
صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف ورد لمقالتهم الباطلة في ذلك وحسم لاطماعهم
الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان انهم بمعزل من الاستحقاق اي جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة
للفقراء والمساكين اي مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية الآتية لا تتجاوز الى غيرهم كانه قيل انما هي لهم
لا لغيرهم فما للذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغ لهم ان يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير
من له ادنى شيء والمسكين من لا شيء له هو المروي عن ابي حنيفة رح وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه
والعاملين عليها الساعين في جمعها وتحصيلها **والمؤلفة قلوبهم** هم اصناف فمنهم اشراف من العرب كان الرسول
صلى الله عليه وسلم يستألفهم ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم باجزال العطاء
كعيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ولعل
الصنف الاول كان يعطيهم الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس الذي هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤمل كف
تلبسه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقد سقط سهم هؤلاء بالاجماع لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام
فلما اعزه الله عز وعلا واعلى كلمته استغنى عن ذلك **وفي الرقاب** اي وللصرف في فك الرقاب بان يعان المكاتبون
بشيء منها على اداء نجومهم وقيل بان يفدى الاسارى وقيل بان يبتاع منها الرقاب فتعتق والعدول
عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم او للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اعطوا
كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما في الوجه الاخير او للاشعار برسوخهم في استحقاق الصدقة لما ان في
الظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلا لها ومركزا **والغارمين** اي الذين تدينوا لانفسهم في غير معصية اذا

لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي رح من غرم لاصلاح ذات البين واطفاء النائرة
بين القبيلتين وان كانوا اغنياء **وفي سبيل الله** اي فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم **وابن السبيل** اي المسافر
المنقطع عن ماله وتكرير الظرف في الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق او لما ذكر من ايرادهما بعنوان
غير مصحح للمالكية والاختصاص فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد وان
يقتصر على صنف منهم لان اللام لبيان انهم مصارف لا تخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق وقد روي ذلك عن عمر وابن عباس
وحذيفة رضي الله عنهم وعند الشافعي رح لا يجوز الا ان يصرف الى ثلثة من كل الاصناف **فريضة من الله** مصدر
مؤكد لما دل عليه صدر الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه انه منصوب بفعله مقدرا اي
فرض الله ذلك فريضة او حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء اي انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة
اي مفروضة **والله عليم** باحوال الناس ومراتب استحقاقهم **حكيم** لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة
التي من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها **ومنهم الذين يؤذون النبي** نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه
عم ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا
ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قوله عز وعلا **ويقولون هو اذن**
اي يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق
وانما قالوه لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة
القلب قالوا ما قالوا **قل اذن خير لكم** من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في الجودة والصلاح
كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله وليس في غير
ذلك كما يدل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن
خير على انه صفة او خبر ثان وقوله عز وجل **يؤمن بالله** تفسير لكونه اذن خير لهم اي يصدق بالله تعالى لما
قام عنده من الادلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى **ويؤمن للمؤمنين**
اي يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق
كما في قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا وقوله تعالى آمنتم له **ورحمة** عطف على اذن خير اي وهو رحمة بطريق اطلاق
المصدر على الفاعل للمبالغة **للذين آمنوا منكم** اي للذين اظهروا الايمان حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا
لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان اليهم بصيغة الفعل
بعد نسبته الى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث ما له
من قرار وقرئ بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اي يأذن لكم رحمة **والذين يؤذون رسول الله**
بما نقل عنهم من قولهم هو اذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه
اشعار بقبول توبتهم كما افصح عنه قوله تعالى فان يتوبوا يك خيرا لهم **لهم** بما يجترئون عليه من اذيته
عليه السلام وبناء الحكم على الموصول **عذاب اليم** وفي تكرير الاسناد
بحذف الجملة في تكرير الاسناد باثبات العذاب الاليم لهم في حيز الخبر للموصول ما لا يخفى من المبالغة وايراده
صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ان اذيته راجعة
الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب **يحلفون بالله لكم** الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون
يتكلمون بالمطاعن ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم اي
يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليكم مما يورث اذاة النبي صلى الله عليه وسلم واما التخلف عن الجهاد
فليس بداخل في هذا الاعتذار **ليرضوكم** بذلك وافراد ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء
الرسول عليه السلام وقيل عليه السلام ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان بان ذلك بمعزل من ان يكون وسيلة

إلى رضائه عليه السلام والقوم إنما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما أشير إليه والله
ورسوله أحق أن يرضوه أي أحق بالإرضاء ولا يتسنى ذلك إلا بالطاعة والمتابعة وإيفاء حقوقه عليه السلام
في باب الإجلال والإعظام مشهدا ومغيبا وأما ما أتوا به من الأيمان الفاجرة فإنما يرضي بها من انحصر طريق علمه
في الأخبار إلى أن يجيء الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون أي يحلفون لكم لإرضائكم والحال
أن الله تعالى ورسوله أحق بالإرضاء منكم أي يعرضون عما يهمهم ويجديهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وإفراد الضمير في يرضوه
إما للإيذان بأن رضاهم مندرج تحت رضاه سبحانه وإرضاؤه متضمن إرضاءه لقوله تعالى من يطع الرسول
فقد أطاع الله وإما لأنه مستعار لاسم الإشارة الذي يشار به إلى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور كما في قول رؤبة
فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق أي كأن ذلك لا يقال أي حاجة إلى الاستعارة بعد التأويل بالمذكور
لأنا نقول لولا الاستعارة لم يتيسر التأويل لما أن الضمير لا يتعرض إلا للذات ما يرجع إليه من غير تعرض لوصف
من أوصافه التي من جملتها المذكورية وإنما المتعرض اسم الإشارة وإما لأنه عائد إلى رسوله وجملة أحق خبر
أو لأن الكلام لآخر الثانية عليه كما ذهب إليه سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف
أو إلى الله على أن المذكور خبر الجملة الأولى وخبر الثانية محذوف كما هو رأي المبرد إن كانوا مؤمنين جوابه محذوف
على دلالة ما سبق عليه أي إن كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فإنهما أحق بالإرضاء ألم يعلموا أي أولئك
والاستفهام للتوبيخ على ما أقدموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع
والتوبيخ أي ألم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فنون القوارع والإنذارات أنه أي الشأن
من يحادد الله ورسوله المحادة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فإن كل واحد منهما في حد
كل من الأفعال المذكورة في محل غير محل صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى فأن له نار جهنم على أن خبره محذوف
أي فحق أن له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على أنها خبر لأن وهي مع خبرها سادة مسد
مفعولي يعلموا وقيل المعنى فله وأن تكرير للأولى تأكيدا لطول العهد لا من باب التأكيد اللفظي المانع للأولى
من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال لقد علم الحي اليمانون أنني إذا قلت أما بعد أني خطيبها وقد يجوز أن يكون
فأن له معطوفا على أنه جواب الشرط محذوفا تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له النار
ورد بأن ذلك إنما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا أو مضارعا مجزوما بلم خالدا فيها حال مقدرة من الضمير المجرور
إن اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وإن اعتبر مطلق الاستقرار فالأمر ظاهر ذلك إشارة إلى ما ذكر
من العذاب الخالد وما في ذلك من معنى البعد للإيذان ببعد درجته في الهول والفظاعة الخزي العظيم الخزي الذل والهوان المقارن
للفضيحة والندامة وهي ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤوس الأشهاد ويلحقهم من العذاب الخالد ما لحقهم والجملة
تذييل لما سبق يحذر المنافقون أن تنزل عليهم في شأنهم فإن ما نزل في حقهم نازل عليهم سورة تنبئهم بما
في قلوبهم من الأسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من أقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئتها إياهم
بما في قلوبهم مع أنه معلوم لهم وأن المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على أسرارهم لا اطلاعهم أنفسهم عليها أنها تذيع
ما كانوا يخفونه من أسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال مذاعة فكأنها تخبرهم بها
والمراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على أسرارهم كأنها تعلم من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها
وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضميران الأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالي بالتفكيك
عند ظهور الأمر بعود المعنى إليه أي يحذر المنافقون أن تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك
عليهم أستارهم قال أبو مسلم كان إظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فإنهم كانوا إذا سمعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول إنه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزئون به ولذلك قيل قل استهزئوا أي افعلوا
الاستهزاء وهو أمر تهديد إن الله مخرج أي من القوة إلى الفعل أو من الكمون إلى البروز ما تحذرون أي ما تحذرونه

من إنزال السورة أو مخازيكم ومثالبكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على ملأ الناس والتأكيد لرد إنكارهم
بذلك لا لدفع ترددهم في وقوع المحذور إذ ليس حذرهم بطريق الحقيقة ولئن سألتهم عما قالوا ليقولن إنما كنا
نخوض ونلعب روي أنه عليه السلام كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزئون بالقرآن وبالرسول
عليه السلام ويقولون انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات فأطلع الله تعالى
نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك
ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل غير ملتفت إلى اعتذارهم
ناعيا عليهم جناياتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم على أخطائهم موقع الاستهزاء أبالله وآياته
ورسوله كنتم تستهزئون حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به ولا يستقيم ذلك إلا بعد تحقق وقوعه لا تعتذروا
لا تشتغلوا بالاعتذار فهو عبارة عن محو أثر الذنب فإنه معلوم الكذب بين البطلان قد كفرتم أظهرتم
الكفر بإيذاء الرسول عليه السلام والطعن بعد إيمانكم بعد إظهاركم له إن نعف عن طائفة منكم لتوبتهم
وإخلاصهم أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء وقرئ يعف على إسناد الفعل إليه سبحانه وقرئ على البناء للمفعول
مسندا إلى الظرف بتذكير الفعل وبتأنيثه أيضا ذهابا إلى المعنى كأنه قيل إن ترحم طائفة نعذب بنون العظمة
وقرئ بالياء على البناء للفاعل وبالتاء على البناء للمفعول مسندا إلى ما بعده طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين
على الإجرام وهم غير التائبين أو مباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن إسحاق الذي عفي عنه رجل واحد هو يحيى بن
حمير الأشجعي لما نزلت هذه الآية تاب عن نفاقه وقال اللهم إني لا أزال أسمع آية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب
اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فأصيب يوم اليمامة في أحد
من المسلمين إلا عرف مصرعه غيره المنافقون والمنافقات التعرض لأحوال الإناث للإيذان بكمال عراقتهم
في الكفر والنفاق بعضهم من بعض أي متشابهون في النفاق والبعد عن الإيمان كأبعاض الشيء الواحد بالشخص
وقيل أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله
تعالى يأمرون بالمنكر أي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف أي عن الإيمان والطاعة استئناف مقرر
لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين أو خبر ثان ويقبضون أيديهم أي عن المبرات والإنفاق
في سبيل الله فإن قبض اليد كناية عن الشح نسوا الله أغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم
والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة إن المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة
والانسلاخ عن كل خير والإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار أي المجاهرين نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم
عقابها وعذابها ولعنهم الله أي أبعدهم من رحمته وأهانهم وفي إظهار الاسم الجليل من الإيذان بشدة السخط
ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم أي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع أبدا أو لهم مقيم معهم في الدنيا
لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بلية دائمة لا يأمنون ساعة من خوف
الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة إلى الخطاب للتشديد
والكاف في محل الرفع على الخبر أي أنتم مثل الذين من قبلكم من الأمم المهلكة أو في حيز النصب بفعل مقدر أي فعلتم
مثل فعل الذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا تفسير وبيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم
بحالهم فاستمتعوا وتمتعوا وفي صيغة الاستفعال ما ليس في التفعل من الاستزادة والاستدامة في التمتع بخلاقهم
بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فإنه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع
الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي استمتاعا كاستمتاع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الأولين
باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العواقب الحقة واللذائذ الحقيقية

تمهيداً لذم المخاطبين بمشابهتهم اياهم واقتفائهم اثرهم وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا اي كالذين
باسقاط النون او كالفوج الذي او كالخوض الذي خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة
من المشبهين والمشبه بهم لا الى الفريق الاخير فقط فان ذلك يقتضي ان يكون حبط اعمال المشبهين وخسرانهم
مفهومين ضمناً لا صريحاً ويؤدي الى خلو تلوين الخطاب عن الفائدة اذ الظاهر حينئذ اولئكم والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم او لكل من يصلح للخطاب اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم ليس
المراد بها اعمالهم المعدودة كما يستدعيه التعبير عنهم باسم الاشارة فان غائلتها غنية عن البيان بل اعمالهم التي
كانوا يستحقون بها اجوراً حسنة لو قارنت الايمان اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر
في الدنيا والآخرة بطريق المثوبة والكرامة اما في الآخرة فظاهر واما في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم
من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم وهم فيها لا يبخسون ليس ترتبه عليها على طريقة المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج واولئك اي
الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه
واسبابه طراً فانهم قد ذهبت رؤس اموالهم التي هي اعمالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم لكنهم خسروا وايراد اسم
الاشارة في الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها للحبوط والخسران الم يأتهم اي المنافقين
نبأ الذين من قبلهم اي خبرهم الذي له شأن وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير قوم
نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت
بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين وائتفاكهن
انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات استئناف لبيان نبأهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام اي فكذبوهم فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك فاتيان ما على الكرم
للمبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن الظلم اي وما صح وما استقام له ان يظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم والجمع بين
صيغتي الماضي والمستقبل في قوله عز وجل ولكن كانوا انفسهم يظلمون للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها
للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية
عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجباً للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم
على الفاعل او المفعول له سيجيء لهذا مزيد بيان في قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالاً ومآلاً اثر بيان حال اضدادهم عاجلاً
وآجلاً والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اولئك بمن للاشعار بان نسبة
هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة اولئك
بمقتضى الطبيعة والعادة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اي جنس المعروف والمنكر المنتظمين لكل خير
وشر ويقيمون الصلوة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو في مقابلة ما سبق من قوله تعالى نسوا الله ويؤتون
الزكوة بمقابلة قوله تعالى ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله اي في كل امر ونهي وهو بمقابلة وصف
المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك اشارة الى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما
سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل
من النعوت الجليلة سيرحمهم الله اي يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة فان السين مؤكدة للوقوع كما
في قولك سانتقم منك ان الله عزيز تعليل للوعد قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه حكيم يبني احكامه على اساس الحكم
الداعية الى ايصال الحقوق من النعمة والنقمة الى مستحقيها من اهل الطاعة والمعصية وهذا وعد للمؤمنين متضمن
لوعيد المنافقين كما ان ما سبق في شأن المنافقين من قوله فنسيهم وعيد لهم متضمن لوعد المؤمنين فان سخطه

لطف في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لآثار رحمته الاخروية اثر ذكر رحمته الدنيوية والاظهار
في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعلية وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ما
من الامر بالمعروف وغير ذلك لما ان الايمان بانه من لوازمه ومستتبعاته اي وعدهم وعداً شاملاً لكل احد منهم على اختلاف
طبقاتهم في مراتب الفضل كيفاً وكماً جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فان كل احد منهم فائز بها لا محالة
ومساكن طيبة اي وعد بعض الخواص الكمل منهم منازل تستطيبها النفوس او يطيب فيها العيش في الجنات قصور
من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن بها ابتهاج اماكن الجنات وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والشهداء يقول الله تعالى طوبى
لمن دخلك وعن ابن عمر ان في الجنة قصراً يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كل باب
خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وعن ابن مسعود هي بطنان الجنة وسرتها فعدن علم على هذا
وقيل هو بمعناه اللغوي اعني الاقامة والخلود فمرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه وصفه اولاً
بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية ليميل اليه طباعهم اول ما يقرع
اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تكاد تخلو عنها اماكن الدنيا
وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير
ثم وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله اي وشيء يسير من رضوانه تعالى اكبر اذ عليه يدور
فوز كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع عزته في نفسه لانه متحقق
في ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين وروي انه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد
اعطيتنا ما لم تعط احداً من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم
رضواني فلا اسخط عليكم ابداً ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في الفضل
والفخامة هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزاً من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها
وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوض قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء ونعم ما قال من قال
بالجملة تنتقل الينا وما من شيء غدا ما كان من حقوق من ان يدل ها فكيف يا ايها النبي
جاهد الكفار اي المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك كله
بهم ثم قال لعطاء نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح ومأواهم جهنم جملة مستأنفة لبيان آجل امرهم اثر
بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف يحلفون بالله ما قالوا
استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الامر بجهادهم والغلظة عليهم ودخولهم جهنم روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه
فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقاً لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير
فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمداً لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق
وتكذيب الكاذب فنزل وايراد صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرر الحلف وصيغة
الجمع في الواقع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل ولقد قالوا
كلمة الكفر هي ما حكي آنفاً والجملة مع ما عطف عليها اعتراض وكفروا بعد اسلامهم اي واظهروا ما في قلوبهم
من الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان خمسة
عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذاً بخطام راحلته

يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح
فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل
ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي بن سلول وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا اي وما
انكروا وما عابوا امرا وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه وتعالى
وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل
ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر
الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم العلل اي وما انكروا شيئا من الاشياء الا اغناء
الله تعالى اياهم او وما انكروا ما انكروا لعلة من العلل الا لاغناء الله اياهم فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق
يك خيرا لهم في الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة
والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وان يتولوا اي استمروا على ما كانوا عليه من التولي
والاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر والنهب
وغير ذلك من فنون العقوبات والآخرة بالنار وغيرها من افانين العقاب وما لهم في الارض مع سعتها وتباعد اقطارها
وكثرة اهلها المصححة لوجدان ما نفي بقوله عز وجل من ولي ولا نصير ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة
ومنهم بيان لقبائح بعض آخر منهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن لنؤتين الزكوة وغيرها من الصدقات
ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنه يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثير
لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت
كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع من الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم
ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه
الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي وذلك قوله عز وجل فلما آتاهم من فضله بخلوا به اي منعوا
حق الله منه وتولوا اي اعرضوا عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه
يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه
فقال عليه السلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض عليه السلام فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم
وهلك في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل نزلت فيه وفي سهل بن الحارث وجد بن قيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر وهم
معرضون جملة معترضة اي وهم قوم عادتهم الاعراض او حالية اي تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم فاعقبهم
اي جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم الى يوم يلقونه اي يوم موتهم الذي يلقون الله تعالى عنده
او يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيمة وقيل فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم ولا يلائمه قوله عز وجل بما
اخلفوا الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون اي
وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب يؤدي الى تخلية
الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل عن المزية فان تسبب الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب يقتضي باسناده
الى الله عز وجل اذ لا معنى لكونهما سببين لاعقاب البخل والنفاق والتحقيق انه لما كانت الآية الكريمة دالة على الترتيب والتفريع
منبئة عن ترتيب اعقاب النفاق الخالد على افعالهم المحكية عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل والتولي
والاعراض وفيها ما لا دخل له في الترتب المذكور كالمعاهدة ازيح ما في ذلك من الابهام بتعيين ما هو المدار في ذلك
والله تعالى اعلم وقرئ بتشديد الذال الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله تعالى وقرئ بالتاء الفوقانية

خطابا للمؤمنين فالهمزة على الاول للانكار والتوبيخ والتهديد اي الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم
اي ما اسروه في انفسهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير
فيه وسر تقديم السر على النجوى سيظهر في قوله سبحانه وستردون الى عالم الغيب والشهادة وان الله علام
الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الاشياء حتى اجترؤا على ما اجترؤا عليه من العظائم واظهار اسم الجلالة في
الموقعين لالقاء الروعة وتربية المهابة وفي ايراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة الدال على الحدوث والتجدد
والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الذاتية بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى
هذا على الثاني لتقريع المؤمنين بذلك وتنبيههم على انه تعالى عدوهم ومجازيهم بما علم من اعمالهم الذين
يلمزون نصب او رفع على الذم ويجوز جره على البدلية من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ بضم الميم وهي
لغة اي يعيبون المطوعين اي المتطوعين المتبرعين من المؤمنين حال من المطوعين وقوله تعالى في الصدقات
متعلق بيلمزون روي انه صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف
باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت
لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولح
تماضر احدى اربعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري
بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله
لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا
جهدهم عطف على المطوعين اي ويلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد في
الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم عطف على يلمزون اي يهزؤن بهم والمراد
بهم الفريق الاخير سخر الله منهم اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم
اي ثابت لهم عذاب اليم التنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار استغفر لهم
او لا تستغفر لهم اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر
للمبالغة في بيان استوائهما كانه عليه السلام امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويترك اخرى ليظهر له جلية الحال
كما مر في قوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روي ان عبد الله
ابن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال
عليه السلام ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم
وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد
فكانها العدد باسره وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيها ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائه الصحيحة
اذ نصفها ثلثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ
لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الآحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات
ذلك اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار وانه ليس لعدم الاعتداد
باستغفاره بل بسبب انهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق
في قوله عز وعلا والله لا يهدي القوم الفاسقين فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده
اي لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لما ان ذلك مخالف للحكمة التي عليها يبنى امر التكوين والتشريع واما الهداية

بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه متحققة لا محالة لكنهم بسوء اختيارهم لم يتقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو
تذييل مؤكد لما قبله من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره لهم وهو عدم يأسه من
ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغي والضلال اذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما في
من قوله عز وجل ما كان للنبي الآية فرح المخلفون اي الذين خلفهم عم بالاذن لهم في القعود عند استيذانهم
او خلفهم الله بتثبيطه اياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم او نفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح
اي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام
خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا او لم يظعنوا ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله فانتصابه على انه ظرف
لمقعدهم اذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرأ خلف رسول الله بضم
الخاء فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح اي فرحوا لاجل مخالفته عم او على انه حال والعامل
احد المذكورين اي فرحوا مخالفين له عليه السلام بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له عم وكرهوا
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله لا ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما في قلوبهم
من الكفر والنفاق وفي ايثار الحكم الامرين قد يتحقق بالذي يجاهد منه من غير ان يبلغ الى مرتبة الكراهة وانما
اوثر ما عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد في سبيل الله مع كونه من اجل
الرغائب واشرف المطالب التي يجب ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا باقبح القبائح الذي هو القعود
خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اي لاخوانهم تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم
بالشر والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا لهم عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما
فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خصال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي
الغير عن ذلك لا تنفروا في الحر فانه لا يستطاع شدته قل ردا عليهم وتجهيلا لهم نار جهنم اي التي ستدخلونها
بما فعلتم اشد حرا مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها
بايثار القعود على النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المأمور
مؤكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اي لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف هي او ان مآلهم اليها لما فعلوا ما فعلوا
او لتأثروا بهذا الالزام واما غير منوي على ان لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها اي لو كانوا من اهل
الفطانة والفقه كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اخبار عن عاجل امرهم وآجله من الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدي اليهم من اعمالهم
السيئة التي من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ لا يعقل
السببية في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او زمانا
قليلا وزمانا كثيرا واخراجه في صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف
عنه المأمور به خلا ان المقصود افادة المعنى الاول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف
ويروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية
عن الفرح والبكاء عن الغم وان يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا يكسبون من
فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وجزاء
مفعول له للفعل الثاني اي ليبكوا جزاء او مصدر حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء
بما كسبوا من المعاصي المذكورة فان رجعك الله الفاء لتفريع الامر الآتي على ما بين من امرهم والفعل
من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان ردك الله تعالى عز وعلا الى طائفة منهم اي الى المنافقين
من المتخلفين في المدينة فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الى من بقي من المنافقين

المخلفين

المخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد او بان لم يستأذن عن قتادة انهم كانوا اثني عشر
رجلا قيل فيهم ما قيل فاستأذنوك للخروج معك الى غزوة اخرى بعد غزوتك هذه فقل اخراجا لهم عن ديوان
الغزاة وابعادا لمحلهم من محفل صحبتك لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا من الاعداء وهو
اخبار في معنى النهي للمبالغة وقد وقع كذلك انكم تعليل لما سلف اي لانكم رضيتم بالقعود اي عن الغزو
وفرحتم بذلك اول مرة هي غزوة تبوك فاقعدوا الفاء لتفريع الامر بالقعود بطريق العقوبة على ما صدر عنهم
من الرضا بالقعود اي اذ رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين اي المتخلفين الذين ديدنهم
القعود والتخلف دائما وقرئ الخلفين على القصر فكان محو اساميهم عن دفتر المجاهدين ولزهم في
قرن الخالفين عقوبة لهم اي عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث هو الاكثر الدائر على
الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هي كبرى امرأة او اولى امرأة ولا تصل على احد منهم مات
صفة لاحد وانما جيء بصيغة الماضي تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة ابدا متعلق بالنهي اي لا تدع ولا
تستغفر لهم ابدا ولا تقم على قبره اي لا تقف عليه للدفن او للدعاء والزيارة روي انه صلى الله عليه وسلم كان
يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن ابي بن سلول بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه قال عليه السلام اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك
لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه
وكان مؤمنا صالحا فاجابه عليه السلام تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه قميصه فكفن فيه
فلما هم بالصلوة او صلى نزلت وعن عمر رض انه قال لما هلك عبد الله بن ابي ووضعناه ليصلي عليه قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلي على عدو الله القائل يوم كذا وكذا والقائل يوم كذا كذا و
وعددت ايامه الخبيثة فتبسم عليه السلام وصلى عليه ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن فوالله
ما لبث الا يسيرا حتى نزلت ولا تصل الآية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق
ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه لان الضنة بالقميص كانت مظنة الاخلال بالكرم
على انه كان مكافاة لقميصه الذي كان البسه العباس رض حين اسر ببدر والخبر مشهور انهم كفروا
بالله ورسوله تعليل للنهي على معنى ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه
وذلك مستحيل في حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون
اي متمردون في الكفر خارجون عن حدوده كما بين معنى الفسق ولا تعجبك اموالهم واولادهم
تكرير لما سبق تقريرا لمضمونه [illegible]
[illegible]
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا [illegible]
[illegible] وتزهق انفسهم وهم كافرون [illegible]
[illegible] واذا انزلت سورة من القرآن [illegible] ان آمنوا بالله
[illegible] وجاهدوا
مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته استأذنك اولوا الطول منهم اي ذوو الفضل والسعة

والقدرة على الجهاد بدنا ومالا وقالوا عطف تفسيري لاستأذنك مغن عن ذكر ما استأذنوا فيه يعني القعود
ذرنا نكن مع القاعدين اي الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر رضوا استئناف لبيان سوء صنيعهم
وعدم امتثالهم للامرين وان لم يرتفع الاول صريحا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتي
شأنهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه وطبع على قلوبهم بسبب ذلك
فهم لا يفقهون ما في الايمان بالله تعالى وطاعته في اوامره ونواهيه واتباع رسول الله صلى الله عليه السلام
والجهاد من السعادة وما في اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه بالله وعلى ما جاء من عند
الله تعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله تعالى في شيء وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن الجهاد
باستئذانهم في القعود جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد نهد اليه ونهض
له من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء
فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين واولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم بواسطة نعوتهم الخيرات
الخيرات اي منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والكرامة في العقبى وقيل الحور كقوله عز وجل فيهن
خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيّرة واولئك هم المفلحون اي الفائزون بالمطلوب لا من حاز
من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه لشأنهم ورباء لمكانهم اعد الله لهم استئناف لبيان كونهم
مفلحين اي هيأ لهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المجرور
والعامل اعد ذلك اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى الفوز
العظيم الذي لا فوز وراءه وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع في بيان احوال منافقي
اهل البادية والمعذرون من عذّر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا
فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وهم المعتذرون بالباطل
وقرئ المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد في العذر والاحتشاد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا
عيالا وان بنا لجهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت
اعراب طيء على اهالينا ومواشينا فقال لهم سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله
تعالى وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذّرون بتشديد العين والذال من تعذّر بمعنى اعتذر وهو
لحن اذ التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاء والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد بهم
المتعذرون بالصحة وبه فسر المعتذرون والمعذرون اي الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله وهم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر انهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء
الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم اي من الاعراب او من المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله
لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر في الدنيا والنار في الآخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى
والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اي اثم في التخلف
اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء
والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل
استئناف مقرر لمضمون ما سبق اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وفيه مزيد التأكيد ووضع
المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين وتعليل لنفي الحرج عنهم
اي ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم والله غفور رحيم تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشير الى
ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على المحسنين
كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سيأتي انما السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤن سبعة

من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل
وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد ندبتنا الى الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة
والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه الصلوة والسلام لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل
وسويد ونعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في
اتوك باضمار قد وما عامة لما سألوه وغيره مما يحمل عليه عادة وايثار لا اجد على ليس عندي من تلطيف
الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كأنه عليه السلام يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده
تولوا جواب اذا واعينهم تفيض اي تسيل بشدة من الدمع اي دمعا فان من البيانية مع مجرورها في حيز
النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لافادتها ان العين بعينها صارت دمعا فياضا والجملة حالية
وقوله عز اسمه حزنا نصب على العلية او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه ما قبله اي يحزن الحزن فان
الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض او تولوا للحزن او حزينين او يحزنون حزنا فيكون هذه الجملة حالا من الضمير
في تفيض الا يجدوا على حذف لام متعلقة بحزنا او تفيض اي لئلا يجدوا ما ينفقون في شراء ما يحتاجون
اليه اذ لم يجدوه عندك انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك في التخلف وهم اغنياء
واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم رضوا استئناف تعليلي لما سبق كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم
اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف الذين شأنهم الضعة والدناءة وطبع الله على قلوبهم
اي خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة فهم بسبب ذلك لا يعلمون ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه
آجلا كما لم يعلموا بخساسة شأنه عاجلا يعتذرون اليكم استئناف لبيان ما يتصدون له عند القفول
اليهم روي انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عليه السلام اليهم جاؤا يعتذرون اليه بالباطل
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانهم كانوا يعتذرون اليهم ايضا لا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقط اي يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم من الغزو منتهين اليهم وانما لم يقل الى المدينة
ايذانا بان مدار الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع
اليها قل تخصيص هذا الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميم ما سلف لاصحابه ايضا لما ان الجواب
وظيفته [illegible] لا تعتذروا اي لا تفعلوا الاعتذار
كقوله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون [illegible]
قوله تعالى لن نؤمن لكم [illegible]
[illegible]
عليه [illegible] قد نبأنا الله من اخباركم [illegible]
بعض اخباركم [illegible]
الاعتذار من الاكاذيب [illegible]
رواج اعتذارهم عند المؤمنين [illegible] لرسول الله صلى الله
عليه وسلم [illegible] وسيرى الله عملكم [illegible]
[illegible] ورسوله [illegible]
[illegible] ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة [illegible]
ووضع المظهر [illegible]
باحوالهم البادية والخافية [illegible] بما كنتم تعملون

اي بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة على ان ما موصولة والعائد
اليها محذوف او بعملكم المستمر على انها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به وايثارها عليها لمراعاة
ما سبق من قوله تعالى قد نبأنا الله الخ فان المنبأ به الاخبار المتعلقة باعمالهم وللايذان بانهم ما كانوا عالمين
في الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ سيحلفون بالله لكم تاكيدا لمعاذيرهم الكاذبة وتقريرا
لها والسين للتاكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الاكاذيب والجملة
بدل من يعتذرون وبيان له اذا انقلبتم اي انصرفتم من الغزو اليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف
مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به الايذان بانه ليس لدفع ما خاطبهم النبي عليه السلام
من قوله تعالى لا تعتذروا الخ بل هو امر مبتدأ لتعرضوا عنهم وتصفحوا عنهم صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم
كما ينبئ عنه قوله تعالى لترضوا عنهم فاعرضوا عنهم لكن لا اعراض رضا كما هو طلبتهم بل اعراض اجتناب ومقت
كما يعرب عنه قوله عز وجل انهم رجس فانه صريح في ان المراد بالاعراض عنهم انما هو الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس
الروحاني وانما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس
لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وعلا ومأواهم جهنم اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار
من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات ترك استصلاحهم باللوم والعتاب واما تعليل مستقل اي وكفتهم النار
عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا انتم في ذلك جزاء نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اي
يجزون جزاء او لمضمون الجملة السابقة فانها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كانه قيل مجزيون جزاء بما كانوا
يكسبون في الدنيا من فنون السيئات او على انه مفعول له يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به
لظهوره اي يحلفون به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم
حسبما راموا وساعدتموهم في ذلك فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم عنهم لا يجديهم
نفعا لان الله تعالى ساخط عليهم ولا اثر لرضاكم عند سخطه سبحانه ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل
عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط وللايذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد
نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه وآكده فان الرضى عمن لا يرضى عنه الله
تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى المؤمنين من دواعي رضى الله تعالى قيل
هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين
قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب
هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هذا الجيل
الخاص سواء سكن البوادي ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من سكن البوادي ولهذا نسب الى الاعراب
على لفظه فقيل اعرابي قال اهل اللغة رجل عربي وجمعه العرب كما يقال مجوسي ويهودي ثم يحذف ياء النسب
في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل اعرابي ويجمع على الاعراب والاعاريب اي اصحاب البدو اشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشأتهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف
الجنس بوصف بعض افراده كما في قوله تعالى وكان الانسان كفورا اذ ليس كلهم كما ذكر على ما تحيط خبرا واجدر ان لا يعلموا
اي احق واخلق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم
وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة والله عليم
باحوال الكل من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب ومن الاعراب شروع
في تشعب جنس الاعراب الى فريقين وعدم انحصارهم في الفريق المذكور كما يرى في نظام النظم الكريم وتوجيه
لبعض مثالب الصلاح المتفرعة على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما حمل الاعراب على الفريق المذكور خاصة

وان ساعده

وان ساعده كون من يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين بصدد الانفاق من اهل النفاق دون فقرائهم او
اعراب اسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سيأتي من قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن الخ فان
اولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وانما هم من الجنس اي من جنس الاعراب الذي نعت بنعت بعض افراده من يتخذ
ما ينفق من المال اي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة مغرما اي غرامة وخسرانا لازما
اذ لا ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى ليكون له مغنما وانما ينفقه رياء وتقية فهي غرامة محضة
وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار غرض المنفق من الرياء والتقية
لا باعتبار ذات النفقة اعني كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر اصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد
بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر اي ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص
مما ابتلي به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله تعالى غلت ايديهم
بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة ذما كما يقال رجل
سوء لان من دارت عليه يذمها وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت في الاصل بالمصدر مبالغة
ثم اضيفت الى صفتها كقوله تعالى ما كان ابوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فانما هي اضافة
بيان وتاكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والله سميع لما يقولون
عند الانفاق مما لا خير فيه عليم بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه
من شدة الوعيد ما لا يخفى ومن الاعراب اي من جنسهم على الاطلاق من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ
اي يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار ما ينفق اي ينفقه في سبيل الله تعالى قربات اي ذرائع
اليها وللايذان بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كانه نفس القربات والجمع باعتبار انواع القربات او افرادها
وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول اي وسائل اليها
فانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ
صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما فعله صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صل على آل ابي اوفى فان ذلك منصبه
فله ان يتفضل به على غيره والتعرض لوصف الايمان بالله واليوم الآخر في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام
لبيان الفرق بين الفريقين في شأن اتخاذ ما ينفقانه حالا ومآلا وان ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات والصلوات
مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم وبيانا لاتصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين
من اول الامر واما الفريق الاول فوصفهم بالكفر والنفاق ومعلوم من سياق النظم الكريم الا انها قربة لهم
شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق باعتبار
الجمع والتنكير للتفخيم اي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة
اسمية وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى
وصلوات الرسول من ذرائعها وقوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم
وتفسير للقربة كما ان قوله عز وجل والله سميع عليم وعيد للاولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق
ذلك وتقرره البتة وقوله ان الله غفور رحيم تعليل لتحقق الوعد على نهج الاستئناف التحقيقي قيل هم
في عبد الله ذي البجادين وقومه وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة وروي عن ابي هريرة انه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم واسد بن
خزيمة وهوازن وغطفان والسابقون الاولون من المهاجرين بيان لفضائل اشراف المسلمين اثر بيان
فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا والذين اسلموا قبل الهجرة
والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا

والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين
اتبعوهم بإحسان أي متلبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على أن
من تبعيضية أو الذين اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والأنصار
ومن بيانية رضي الله عنهم خبر للمبتدأ أي رضي عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم ورضوا عنه بما نالوه
من رضاه المستتبع لجميع المطالب وأعد لهم في الآخرة جنات تجري تحتها الأنهار وقرئ من تحتها
كما في سائر المواقع خالدين فيها أبدا من غير انتهاء ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وما في اسم الإشارة
من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مؤمني الأعراب وممن حولكم من الأعراب
شروع في بيان أحوال منافقي أهل المدينة ومن حولها من الأعراب بعد بيان حال أهل البادية منهم أي ممن حول
بلدتكم منافقون وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن أهل المدينة عطف
على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى مردوا على النفاق إما جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب
مسوقة لبيان غلوهم في النفاق إثر بيان اتصافهم به وإما صفة للمبتدأ المذكور فصل بينها وبينه بما عطف على خبره
وإما صفة لمحذوف هو مبتدأ وخبره من أهل المدينة كما في قوله أنا ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة
عطف على الجملة السابقة أي ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق أي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله و
عليه إذا درب به وضرى حتى لان عليه ومهر فيه غير أنه لا يكاد يستعمل إلا في الشر والتمرد على الوجهين الأولين
شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الأخير خاص بمنافقي أهل المدينة وهو الأظهر والأنسب
بذكر منافقي أهل البادية أولا ثم ذكر منافقي الأعراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي أهلها والله تعالى أعلم
وقوله عز وجل لا تعلمهم بيان لتمردهم أي لا تعرفهم أنت لكن لا بأعيانهم وأسمائهم وأنسابهم بل بعنوان ن
نفاقهم يعني أنهم بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم إلى حيث يخفى
عليك حالهم مع ما أنت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق
نفي العلم بهم مع أنه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وإيماء إلى أن ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم
فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم أو مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه
عليه السلام بأعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عاريا عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل نحن نعلمهم تقرير
لما سبق من مهارتهم في فن النفاق أي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم إلا من لا يخفى عليه خافية لما هم عليه
من شدة الاهتمام بإبطان الكفر وإظهار الإخلاص وفي تعليق العلم بهم مع أن المقصود بيان تعلقه بحالهم
ما مر في تعليق نفيه بهم وقوله عز وجل سنعذبهم وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته
والسين للتأكيد مرتين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان
فإنك منافق فأخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الأول والثاني إما القتل وإما عذاب القبر أو الأول هو القتل
والثاني عذاب القبر أو الأول أخذ الزكاة لما أنهم يعدونها مغرما بحتا والثاني نهك الأبدان وإتعابها بالطاعات
الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق أو النفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز
أن يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين أي كرة بعد أخرى ثم يردون يوم القيامة
إلى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير السبك بإسناد عذابهم السابق إلى نون العظمة حسبما أسند ما قبله
من العلم وإسناد ردهم إلى العذاب اللاحق إلى أنفسهم إيذان باختلافهما حالا وأن الأول خاص بهم وقوعا وزمانا
يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وإن اختلف طبقات عذابهم وآخرون بيان لحال
طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في أمور الدين وهو عطف على منافقون أي وممن حولكم ومن أهل
المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو وإيثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المخلفين

وندموا

وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الأعمال السيئة كما فعله من
اعتاد إخفاء ما فيه وإبراز ما ليس فيه من المنافقين الذين اعتذروا على الأخير فيه من المعاذير المؤكدة
بالأيمان الفاجرة حسبما يدعيه المألوف وهم رهط من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سواري المسجد
عند ما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين
حسب عادته الكريمة ورآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقيل إنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى تحلهم
فقال عليه السلام وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أؤمر فيهم فنزلت خلطوا عملا صالحا وهو ما سبق منهم من الأعمال
الصالحة والخروج إلى المغازي السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة
وتذممهم وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط لا سيما على وجه يؤذن بتواردهما على
المختلطين وكون كل منهما مخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى وآخر سيئا فإن قولك خلطت الماء
باللبن يقتضي إيراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه إيقاع الخلط بينهما
من غير دلالة على اختصاص أحدهما بكونه مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به وترك تلك الدلالة للدلالة
على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الآخر مرة بعد أخرى
والمراد بالعمل السيء ما صدر عنهم من الأعمال السيئة أولا وآخرا وعن الكلبي التوبة والإثم وقيل الواو بمعنى
الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم عسى الله أن يتوب عليهم أي يقبل توبتهم المفهومة
من اعترافهم بذنوبهم إن الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما تفيده كلمة
عسى من وجوب القبول فإنها للإطماع الذي هو من أكرم الأكرمين إيجاب فأي إيجاب خذ من أموالهم صدقة
روي أنهم لما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام
ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مأمورا بها ولما أنه عليه السلام
أخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الإجمال وإنما هي كفارة لذنوبهم حسبما
ينبئ عنه قوله عز وجل تطهرهم أي عما تلطخوا به من أوضار التخلف والتاء للخطاب أو للصدقة والعائد على
الأول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتزكيهم بها بإثبات الياء وهو خبر لمبتدأ
محذوف والجملة حال من الضمير في الأمر أو في جوابه أي وأنت تزكيهم بها أي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم إلى
مراتب المخلصين أو أموالهم أو تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم وأما على قراءة الرفع فسواء
جعل التاء للخطاب أو للصدقة وكذا جعلت الجملة الأولى حالا من ضمير المخاطب وصفة للصدقة على الوجهين
فالثانية عطف على الأولى حالا أو صفة من غير حاجة إلى تقدير المبتدأ لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية
وصل عليهم أي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم إن صلاتك وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو
لهم سكن لهم تسكن نفوسهم إليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بأنه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للأمر
بالصلاة عليهم والله سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم
من الندم والغم لما فرط منهم ومن الإخلاص في التوبة والدعاء أو سميع يجيب دعاءك لهم عليم بما تقتضيه الحكمة والجملة
تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الأول تذييل لما سبق من الآيتين محقق لما فيهما ألم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير
إما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان
أن المتولي لقبول توبتهم وأخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وأن إسناد الأخذ والتطهير والتزكية إليه عم أي ألم
يعلم أولئك التائبون أن الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة عن عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم
كما يفصح عنه كلمة عن وإما لغيرهم أما أولئك التائبون ووضع المظهر في موضع المضمر للاستشعار بعلية العبادة
للتوبة وإما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا أوليا ويأخذ الصدقات أي يقبل صدقاتهم على أن الأمر

عوض عن المضاف اليه او جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندراجا اوليا اي هو الذي يتولى قبول
التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر لها ظاهرا وفيه من ترغيب ما
ذكر وقيل نزلت في شأن النبي عليه السلام على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فلا يخفى ما فيه وَأَنَّ اللَّهَ
هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ تأكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي الم يعلموا ان الله هو المختص
المستأثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشأن دائم والجملتان في حيز
النصب بيعلموا بسد كل واحدة منهما مسد مفعوليه وانما لم تعد الغير التائبين من المؤمنين فقد روي انهم قالوا للتائبين
على الاولين هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت اي الم يعلموا ما للتائبين
من الخصال الداعية الى التكرمة والترغيب الانتظام في سلك المؤمنين والتلقي بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب
لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى وَقُلِ اعْمَلُوا زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملته التوبة وللاولين
في الثبات على ما هم عليه اي قل لهم بعدما بان لهم شأن التوبة اعملوا ما تشاؤون من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير
وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وعلا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتأكيد
للترغيب والترهيب والسين للتأكيد وَرَسُولُهُ عطف على الاسم الجليل وتأخيره عن المفعول للاشعار بما
بين الرؤيتين من التفاوت وَالْمُؤْمِنُونَ في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس
كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رأيتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر
ظاهر وان اريد بها مآلها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالنبي من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز
ونحو ذلك من الاجزية واضدادها وَسَتُرَدُّونَ اي بعد الموت إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ في وضع الظاهر موضع
المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى وتقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة
غني عن البيان وقيل ان الموجودات الغائبة عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم
بالمعلولات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة
ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد
على ابلغ وجه وآكده بايهام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون
بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال
بين الامور البارزة والكامنة واما لازديان بان مرتبة العلم متقدمة على رتبة العمل اذ ما من شيء يعلن
الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل في القلب فتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم على تعلقه
به في حالته الثانية فَيُنَبِّئُكُمْ عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيامة بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ قبل ذلك
في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزاء بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد وَآخَرُونَ عطف
على آخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها قوم آخرون غير المعترفين المذكورين مُرْجَوْنَ وقرئ
مرجون من ارجيته وارجأته اي اخرته ومنه المرجئة للذين لا يقطعون بقبول التوبة لِأَمْرِ اللَّهِ في شأنهم قال ابن
عباس رضي الله عنهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة
واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فهجروهم والناس في شأنهم على اختلاف فمن قائل
هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامره تعالى إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ان بقوا على ما هم عليه
من الحال وقيل ان اصروا على النفاق وليس بذاك فان المذكورين ليسوا من المنافقين وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ان
خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اي منهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم
وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته وهذه الجملة خبره وَاللَّهُ عَلِيمٌ باحوالهم حَكِيمٌ فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده

عطف على قوله اما (?) التائبين
لترغيب التائبين من المؤمنين

وقرئ والله غفور رحيم وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب على الذم
وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها ضِرَارًا اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول
ثان لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا او على انه
مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا
مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فلما فعله عليه السلام حسدتهم
اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي ابو
عامر الراهب ايضا اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك
الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما
استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا
مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة
المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح
سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد
فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا
المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو
عامر الفاسق بالشام بقنسرين وَكُفْرًا تقوية للكفر الذي يضمرونه وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الذين كانوا يصلون
في مسجد قباء مجتمعين فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا وتختلف كلمتهم وَإِرْصَادًا اعدادا وانتظارا وترقبا
لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مِنْ قَبْلُ متعلق باتخذوا اي اتخذوه من قبل ان ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك
او بحارب اي حارب بها قبل اتخاذ هذا المسجد وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا اي ما اردنا ببناء المسجد إِلَّا الْحُسْنَىٰ
الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين او الارادة الحسنى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ في حلفهم ذلك لَا تَقُمْ للصلوة فِيهِ في ذلك المسجد حسبما دعوك اليه أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ
يعني مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلثاء
والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد رض
سألت النبي عليه السلام عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم
هذا مسجد المدينة واللام اما للابتداء او للقسم المحذوف اي والله لمسجد وعلى التقديرين فمسجد مبتدأ وما
بعده صفته وقوله تعالى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ اي من ايام تأسيسه متعلق باسس وقوله تعالى أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ
اي للصلوة وذكر الله تعالى خبره وقوله تعالى فِيهِ رِجَالٌ جملة مستأنفة مبينة لاحقيته لقيامه عليه السلام
فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل او صفة اخرى للمبتدأ او حال من الضمير في فيه وعلى كل
حال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به اذ لا استحقاق في مسجد
الضرار اساسا وانما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله في نفسه او للافضلية في الاستحقاق والتناول
لما يكون باعتبار زعم الباني ومن يشايعه في الاعتقاد وهو الانسب لما سيأتي يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا من المعاصي
والخصال الذميمة طلبا لمرضاة الله سبحانه وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ اي يرضى
عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعاد

نسخه (?)
قنسرين مدينة بنواحي حلب منه

وقيل من اول يوم من ايام وجوده ولا يخفى ما فيه (?) من المبالغة منه

قال لعمر رض يا رسول الله انهم مؤمنون وانا معهم فقال عم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال عم اتصبرون على البلاء
قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر
الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط
الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا
بالادغام وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن رض هو التطهر عن الذنوب
بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم افمن اسس بنيانه على بناء الفعل
للفاعل والنصب وقرئ على البناء للمفعول والرفع وقرئ اسس بنيانه على الاضافة جمع اساس واساس بالفتح
والكسر جمع اس وقرئ آساس بنيانه بالمد جمع اس ايضا واس بنيانه وهي جملة مستانفة مبينة لخيرية الرجال
المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر اي ابعد ما علم حالهم من اسس بنيان
دينه على تقوى من الله ورضوان اي على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد
بالتقوى درجتها الثانية هي التوقي عن كل ما يأثم من فعل او ترك وقرئ تقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق دون
التانيث خير ام من اسس بنيانه ترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا باختلافهما وصفا واضافة
على شفا جرف هار الشفا الحرف والشفير والجرف ما جرفه السيل اي استأصله واحتفر ما تحته فبقي واهيا يريد
الانهدام والهار الهائر المتصدع المشرف على السقوط من هار يهور ويهار او هار يهير قدمت لامه على عينه فصار
كغاز ورام وحذفت عينه اعتباطا اي بغير موجب نحوي وجرى وجوه الاعراب على لامه فانهار به في نار جهنم مثل ما بنوا
عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشح بانهياره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس
ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى الرضوان ومقتضياته التي ادناها الجنة وتأسيس هذا على ما هو بصدد
الوقوع في النار ساعة فساعة ثم مصيره اليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الراء والله لا يهدي القوم
الظالمين اي لانفسهم او الواضعين للاشياء في غير مواضعها اي لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موجبا
له لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه لا يزال بنيانهم الذي بنوا
البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعلة للايذان بكيفية بنائهم له وتأسيسه على
قاعدة واهية اساس وللاشعار بعلة الحكم اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما ريبة في قلوبهم اي سبب
ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حيال
يظهرون فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم الى بعض
ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلما انه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر
وتضاعفت آثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت قلوبهم ووهي اعتقادهم بخذلانهم على المؤمنين
لانهم اظهروا امن امرهم بعد البناء اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وساءت ظنونهم
بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا مرتابين في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل او يأمر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي معنى ريبة حسرة وندامة وقال السدي
وحبيب بن ابي ثابت لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع من التقطع بحذف احدى التائين اي الا ان تقطع
قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات
ومحله النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم
فحينئذ يسلون عنها واما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريب عن قلوبهم ويجوز ان يكون
المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او في القبور او في النار وقرئ تقطع على بناء المجهول من التفعيل مذكرا او مؤنثا وعلى البناء
للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع انت قلوبهم بالقتل وقرئ على البناء للمجهول من الثلاثي مؤنثا

وقرئ الى ان تقطع قلوبهم والى ان تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا
الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان
يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما ذكر من احوالهم
حكيم في جميع افعاله التي من زمرتها امره الوارد في حقهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه
حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته اياهم بمقابلتها
الجنة بالشرى على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد انفس المؤمنين واموالهم
والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر بالعكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين
بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال
وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة مبالغة
في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك
لمدح المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وان تمام الاستعارة موقوف
على ذلك اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط
دلالة ما عليه النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال
بل هو الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك يكون العوض الجنة الموعود بها لا الوعد بها يقاتلون في سبيل الله
استيناف لكن لا لبيان ما لاجله الشرى ولا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم في سبيل الله تعالى ليس باشتراء الله
تعالى منهم انفسهم بل هو بذل لها في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور وكانه قيل كيف يبيعون
انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله سبحانه وتعريض
لهما للهلاك وقوله فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل في سبيله
باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف
باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما
منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجد المضاربة ولم يوجد القتل لاحد
من الجانبين او لم يوجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بتجهيز العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية
على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني
للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله بل بكونه احب اليهم
من السلامة كما قيل في حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا لا يقع الطعن الا
في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل يقاتلون الخ في معنى الامر كما في قوله وتجاهدون في سبيل
الله باموالكم وانفسكم وعدا عليه مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن موجلا حقا نعت له وعدا او الظرف
حال عنه لانه لو تاخر لكان صفة له وقوله تعالى في التورية والانجيل والقرآن متعلق بمحذوف
وقع صفة لقوله وعدا اي وعدا ثابتا في التورية والانجيل كما هو مثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة في كونه سبحانه اوفى بكل وفي
فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني
عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان كان على انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه سبحانه من غير
تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم
من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات

الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس
للطلب كاستوقد واوقد والفاء لترتيب الاستبشار او الامر به على ما قبله اي فاذا كان كذلك فسروا نهاية
السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان الابتهاج به باعتبار ادائه الى
الجنة لان المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشرى لان ذلك من قبل
الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى الذي بايعتم به لزيادة تقرير
بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفاني بالباقي ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى
عن الحسن رض انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها روي ان الانصار لما بايعوه عليه السلام على العقبة قال عبد الله بن
رواحة رض اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال عليه السلام اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا
واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل
ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرأها فقال كلام من قال كلام الله عز وجل قال بيع والله مربح
لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك اي الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من انفسهم
واموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز اعظم منه وما في ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه
وسمو رتبته في الكمال ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذي امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه
نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا في نفسه فالجملة على الاول تذييل للاية الكريمة وعلى الثاني لقوله تعالى فاستبشروا
مقرر لمضمونه التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء
نصبا على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد يجوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اي
التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى
العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اي
المخلصون في عبادة الله تعالى الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله
عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوسل بها الى
العثور على خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون في الجهاد وطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلاة
الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة
على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة واما قوله تعالى والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من
الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه فلعله للايذان باختصاصه بالجمع بين الوجهين وبشر المؤمنين اي الموصوفين
بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من
كان كذلك وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان وفي تخصيص الخطاب بالاولين اظهار زيادة اعتناء
بامرهم من الترغيب والتسلية ما كان للنبي والذين آمنوا بالله وحده اي ما صح لهم في حكم الله عز وجل
وحكمته وما استقام ان يستغفروا للمشركين به سبحانه ولو كانوا اي المشركون اولي قربى اي ذوي قرابة
لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا مطردا كما بين
في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره روي انه عم قال لعمه ابي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها
عند الله فابى فقال عم لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام
مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل علي الايتين
من بعد ما تبين لهم اي للنبي عم والمؤمنين انهم اي المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر او نزل الوحي بانهم
يموتون على ذلك وما كان استغفار ابراهيم لابيه بقوله واغفر لابي اي بان توفقه للايمان وتهديه اليه
كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين والجملة استئناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر

من المخالفة وقرئ وما استغفر ابراهيم لابيه وقرئ وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى
الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اي لم يكن استغفاره عم لابيه آزر ناشئا عن شيء من الاشياء الا
عن موعدة وعدها اي ابراهيم عم اياه اي اباه ويعضده قراءة وعدها اباه كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله سأستغفر لك ربي
بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره والا لما وعدها اياه كانه قيل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا
عن موعدة مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اي لابراهيم بان اوحي اليه انه مصر على الكفر
غير مؤمن ابدا وقيل بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى انه عدو لله فان وصفه بالعداوة
مما يأباه حالة الموت تبرأ منه اي تنزه عن استغفاره وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في
تركه ونظائره ان ابراهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب حليم صبور على الاذية
والمحنة وهو استئناف لبيان ما كان يدعوه عم الى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بان ابراهيم عم كان
اواها حليما فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبين فليس لغيره ان يأتسي به في ذلك وتأكيد لوجوب
الاجتناب عنه بعد التبين بانه عم تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه
اجتنابا وتبرؤا واما ان الاستغفار قبل التبين لو كان غير محظور لما استثني عن الائتساء به في قوله تعالى الا قول
ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فقد حقق في سورة مريم باذن الله تعالى وما كان الله ليضل قوما اي ليس من عادته
ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجري عليهم احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحي صريحا او
دلالة ما يتقون اي ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر
عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به وفيه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان الغافل غير مكلف
بما لا يستبد بمعرفته العقل ان الله بكل شيء عليم تعليل لما سبق اي انه تعالى عليم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم
الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل هاهنا ان الله له ملك السموات والارض من غير
شريك له فيه يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا
اولي قربى وضمن ذلك التبرؤ منهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي اموره والغالب عليه ولا يتأتى لهم نصرة
الا منه تعالى ليتوجهوا بشراشرهم اليه متبرئين عما سواه [illegible] لقد تاب الله على النبي قال
ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] والمهاجرين والانصار [illegible]
[illegible] في ساعة العسرة [illegible]

والثاني عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والآخر للواحق وعلى الثلاثة الذين خلفوا
اي وتاب الله على الثلاثة الذين اخر امرهم عن ابي لبابة واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل اولئك
ولا ردت ولم تقطع في شأنهم بشيء الى ان نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال
بن امية وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرئ خالفوا
وقرئ عن المخلفين والاول هو الانسب لان قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض غاية
للتخليف ولا يناسبه الا المعنى الاول اي خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت
اي برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم وهو مثل للشدة والحيرة كانه لا يستقر به
قرار ولا تطمئن له دار وضاقت عليهم انفسهم اي اذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشيء لعدم
الانس والسرور واستيلاء الوحشة والحيرة وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه اي علموا ان لا ملجأ
من سخطه تعالى الا الى استغفاره ثم تاب عليهم اي وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا
من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب
المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل عليهم بفنون الآلاء مع
استحقاقهم لافانين العقاب روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن انه قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا
من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب فانت في سبيل الله
ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما ابطأني ولا خلفني الا الضن بك فلا جرم والله لا
كابدن المفاوز حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فركب ولحق ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل
ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله
صلى الله عليه وسلم فتأبط زاده ولحق به قال الحسن رض كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه
ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال عليه السلام
رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت
له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال
ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح
ما هذا بخير فقام ورحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله
واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلعم سلمت عليه فرد علي
كالمغضب بعدما ذكرني فقال يا ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر
في عطفيه قال عليه السلام ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس
ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل النساء ولا نقربهن فلما تمت
خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما وصفني
الله وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك
توبة الله عليك فلن انساها لطلحة رض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر
ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة

النصوح

النصوح فقال ان يضيق على التائب الارض بما رحبت ويضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه
يا ايها الذين آمنوا خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء
عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله
نية وقولا وعملا او في كل شأن من الشؤون فيدخل فيه ما ذكر اولا في توبتهم وانابتهم فيكون المراد بهم
هؤلاء الثلاثة واضرابهم وعن ابن عباس رض انه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين
والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين ما كان لاهل المدينة
ما صح وما استقام لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم ان يتخلفوا
عن رسول الله عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى الغزو ولا يرغبوا نصب وقد يجوز الجزم بانفسهم
عن نفسه اي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما
يكابده من الاهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه
الكلام من وجوب المتابعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ اي عطش يسير ولا نصب ولا تعب ما
ولا مخمصة اي مجاعة ما الا ما يستباح عنده المحرمات من مراتبها فان الظمأ والنصب اليسيرين
حين لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلو اذ ذاك عنه ما فوقهما اولى فلا حاجة الى تأكيد النفي بتكرير كلمة لا ويجوز ان
يراد بها تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقلته فان الظمأ اكثر وقوعا من النصب الذي
هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور وتوسيط كلمة لا ح ليس لتأكيد النفي بل للدلالة على استقلال
كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به في سبيل الله ولاعلاء كلمته ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار
اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا او مكانا يداس ولا ينالون
من عدو نيلا مصدر كالقتل والاسر والنهب او مفعول اي شيئا ينال من قبلهم الا كتب لهم به اي بكل
واحد من الامور المتعددة عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجليل
ونيل الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف
العنوان كاف في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين
اما المبحوث عنهم ووضع المظهر مقام المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وان اعمالهم
من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية المأخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رض والترتيب باعتبار ما
ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لا لتأكيد النفي كما
في قوله تعالى ولا يقطعون اي لا يجتازون في مسيرهم واديا وهو في الاصل كل منفرج في الجبال والآكام
يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق الا كتب لهم اي اثبت لهم
ذلك الذي فعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء
اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا
جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر
من كل فرقة اي طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اي جماعة قليلة ليتفقهوا في
الدين اي ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اي وليجعلوا غاية
سعيهم ومعظم غرضهم من ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم
وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع

على العباد والتبسط في البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لينذروا فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقيل للآية وجه آخر هو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا الى النفر رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزوة وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه السلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح قيل هم اليهود وحوالي المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على ان الايمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع المتبوع في قوله تعالى ان الله معنا واذا ما انزلت سورة من سور القرآن فمنهم اي من المنافقين من يقول لاخوانه ليثبتهم على النفاق او لعوام المؤمنين وضعفتهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ بنصب ايكم على تقدير فعل يفسره المذكور اي زادت ايكم زادته الخ وايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما نطق به قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاما الذين آمنوا جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق الحق وتعيين لحالهم عاجلا وآجلا اي فاما الذين آمنوا بالله وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بها بايمانهم السابق وهم يستبشرون بنزولها وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية واما الذين في قلوبهم مرض اي كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم اي كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وعقائد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه اولا يرون الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اي لا ينظرون ولا يرون انهم اي المنافقين يفتنون في كل عام من الاعوام مرة او مرتين المراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المذكور اي يبتلون بافانين البليات من المرض والشدة وغير ذلك مما يذكر الذنوب والوقوف بين يدي رب العزة فيؤدي الى الايمان به او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما ينزل عليه من الآيات لا سيما القوارع الزائدة للايمان الناعية عليهم ما فيهم من القبائح المخزية لهم ثم لا يتوبون عطف على لا يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تعالى ولا هم يذكرون والمعنى اولا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجب اي لا تنظرون ولا ترون احوالهم العجيبة التي هي افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله تعالى ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على يفتنون واذا ما انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي كما ان الاول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها او سخرية بها او غيظا لما فيها من مخازيهم هل يراكم من احد اي قائلين

هل يراكم احد من المسلمين لننصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها وتغلب عليهم الضحك فيفتضحون او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجد في انتهاز الفرصة فان المرء بشأنه اكثر اهتماما منه بشأن اصحابه كما في قوله تعالى وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وقيل المعنى واذا ما انزلت سورة في عيوب المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية احد من المؤمنين اي انصرفوا جميعا عن محفل الوحي خوفا من الافتضاح او غير ذلك صرف الله قلوبهم اي عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية بانهم اي بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء الفهم او لعدم التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول اي رسول عظيم الشأن من انفسكم من جنسكم عربي قرشي مثلكم وقرئ بفتح الفاء اي اشرفكم وافضلكم عزيز عليه ما عنتم اي شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة حريص عليكم في ايمانكم وصلاح حالكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهي الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا تلوين الخطاب وتوجيه له الى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك ويعينك عليهم لا اله الا هو استئناف مقرر لمضمون ما قبله عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم اي الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون صفا من الملائكة عليهم السلام

سورة يونس عليه السلام مكية وهي مائة وتسع آيات

الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء لالف الاصلية مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين بين وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وكلمة تلك اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضورها منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الخ واما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تعيينها باسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره قوله عز وجل آيات الكتاب على تقدير كون الر مبتدأ او خبرا ثانيا او بدلا من الاول والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان بعضيتها له وصفها بما اشتهر اتصافه به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القرآن العظيم وان لم يتم نزوله حينئذ اما باعتبار تعينه وتحققه في علم الله عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور وفاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم يوم نزل القرآن

في عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصي إذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقرآن بأحد
الاعتبارات المذكورة وأما جميع القرآن النازل وقت النقل المتقادم بين الناس إذ ذاك فإنه كما يطلق
على المجموع الشخصي يطلق على مجموع ما نزل في كل عصر ألا ترى إلى ما روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال كان النبي
عليه السلام يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول أيهم أكثر أخذا للقرآن فإذا أشير له
إلى أحدهما قدمه في اللحد فإن ما يفهمه الناس من القرآن في ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت
في أخذه إنما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصي في علم الله سبحانه أو في اللوح
ولا لنزوله جملة إلى السماء الدنيا الحكيم ذي الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه
بها أو هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه أو من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب
بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد حمل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك إشارة إلى ما في ضمنها من
الآي فإنها في حكم الحاضر لا سيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها أو الأمر بذكرها أو بقراءتها
وينبغي أن يكون المشار إليه حينئذ كل واحدة منها لا جميعها من حيث هو جميع لأنه عين السورة فلا يكون
للإضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف إليه حكمة فلا يتأتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف
إليه من صفات الكمال ولأن في بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس في بيان اتصاف الكل
بذلك والمتبادر من الكتاب عند الإطلاق وإن كان الكل بأحد الوجهين المذكورين لكن صحة إطلاقه
على بعضه أيضا مما لا ريب فيه والمعهود المشهور وإن كان اتصاف الكل بأحد الاعتبارين بما ذكر من
نعوت الكمال إلا أن شهرة اتصاف كل سورة فيه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح
السورة بكونها بعضا من القرآن الكريم إذ لولا أن بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه
لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف أكان للناس عجبا الهمزة لإنكار تعجبهم ولتعجيب
السامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة وإنما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم
مع أنه المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون الخ لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار التعجب في زعمهم ثم تبيين خطئهم وإظهار بطلان زعمهم بإيراد
الإنكار والتعجيب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا على التوسع المشهور في الظروف
وقيل المصدر إذا كان بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو
مبني على دلالة كان الناقصة على الحدث أن أوحينا اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما
بشأنه لكونه مدارا للإنكار والتعجيب وتشويقا إلى المؤخر ولأن في الاسم ضرب تفصيل ففي مراعاة الأصل
نوع إخلال بتجاوب أطراف الكلام وقرئ برفع عجب على أنه الاسم وهو نكرة والخبر أن أوحينا وهو معرفة لأن
أن مع الفعل في تأويل المصدر المضاف إلى المعرفة البتة والمختار أن يجعل كان تامة وأن أوحينا متعلقا
بعجب على حذف حرف التعليل أي أحدث للناس عجب لأن أوحينا أو بأن أوحينا أو بدلا من عجب لكن لا على توجيه
الإنكار والتعجيب إلى حدوثه بل إلى كونه عجبا فإن كون الإبدال في حكم تنحية المبدل منه ليس معناه إهداره
بالمرة وإنما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على أنهم اتخذوه أعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم
ما لا يخفى إلى رجل منهم أي إلى بشر من جنسهم كقولهم أبعث الله بشرا رسولا أو من أفنائهم من حيث المال
لا من عظمائهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان
بحيث لا مزيد عليه أما الأول فلأن بعث الملك إنما يكون عند كون المبعوث إليهم ملائكة كما قال سبحانه
قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وأما عامة البشر
فبمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك إليهم مزاحم

الحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وإنما الذي تقتضيه الحكمة أن يبعث الملك من بينهم إلى الخواص
المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا
من جانب ويلقوا إلى جانب وأما الثاني فلما أن مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف
بما ذكر من النعوت الجليلة والصفات الجليلة والسبق في إحراز الفضائل العلية وحيازة الملكات السنية
جبلة واكتسابا ولا ريب لأحد منهم في أنه صلى الله عليه وسلم في ذلك الشأن في غاية الغايات القاصية
ونهاية النهايات النائية وأما التقدم في الرياسة الدنيوية والسبق في نيل الحظوظ الدنيوية فلا دخل له
في ذلك قطعا بل له إخلال به غالبا قال عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى
الكافر منها شربة ماء أن أنذر الناس أن مصدرية لجواز كون صلتها أمرا كما في قوله تعالى وأن أقم
وجهك وذلك لأن الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الأمر والنهي صلة حسب
وقوع الفعل فيجرد عند ذلك عن معنى الأمر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال
ووجوب كون الصلة في الموصول الاسمي خبرية إنما هو للتوصل بها إلى وصف المعارف بالجمل لا لقصور
في دلالة الإنشاء على المصدر أو مفسرة لما في الإيحاء من معنى القول ويجوز كونها مخففة من المثقلة على
حذف ضمير الشأن والقول من الخبر والمعنى أن الشأن قولنا أنذر الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما
أريد بالأول وهو النكتة في إيثار الإظهار على الإضمار وكون الثاني عين الأول عند إعادة المعرفة ليس على الإطلاق
وبشر الذين آمنوا بما أوحيناه وصدقوه أن لهم أي بأن لهم قدم صدق أي سابقة ومنزلة رفيعة
عند ربهم وإنما عبر عنها بها إذ بها يحصل السبق والوصول إلى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد
لأنها بها تعطى وقيل مقام صدق والوجه أن الوصول إلى المقام إنما يحصل بالقدم وإضافتها إلى الصدق
للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه على أن مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فإن التصديق
لا ينفك عن الصدق قال الكافرون هم المتعجبون وإيرادهم ههنا بعنوان الكفر مما لا حاجة إلى ذكر سببه
وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي دخل عليها همزة الإنكار أو لكونه استئنافا مبنيا على السؤال كأنه
قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد أو قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على
التوكيد إن هذا يعنون به ما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الحكيم المنطوي على الإنذار
والتبشير لسحر مبين أي ظاهر وقرئ لساحر على أن الإشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ما هذا
إلا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بأن ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جناب
خلاق القوى والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج وداب المفحم
المحجوج إن ربكم كلام مستأنف سيق لإظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة
غب الإشارة إليه بالإنكار والتعجيب وتحقيق فيه حقية ما تعجبوا منه وصحة ما أنكروه بالتنبيه الإجمالي
على بعض ما يدل عليها من شؤون الخلق والتقدير وأحوال التكوين والتدبير ويرشدهم إلى معرفتها بأدنى
تذكير لاعترافهم به من غير نكير لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا
تتقون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والأرض إلى قوله تعالى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله أي ربكم
ومالك أمركم الذي تتعجبون من أن يرسل إليكم رجلا منكم بالإنذار والتبشير وتعدون ما أوحي إليه من الكتاب
الحكيم سحرا هو الله الذي خلق السموات والأرض وما فيهما من أصول الكائنات في ستة أيام أي في ستة
أوقات أو في مقدار ستة أيام معهودة فإن نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون الشمس فوق
الأرض مما لا يتصور تحققه حين لا أرض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على إبداعها دفعة
دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التأني في الأحوال والأطوار وأما تخصيص ذلك بالعدد

المعين فامر قد استأثر بعلمه ما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته وايثار صيغة
الجمع في السموات لما هو المشهور من الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الآثار والاحكام
ثم استوى على العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك
فان الاوامر والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه استيلاؤه عليه او استواء
امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف والمعنى انه سبحانه استوى
على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه
بعد بيان عظمة شانه وسعة قدرته بما مر من خلقه هاتيك الاجرام العظام يدبر الامر التدبير
النظر في ادبار الامور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود والمراد ههنا التقدير على الوجه الاتم والاكمل
والمراد بالامر امر ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على اطوار
شتى وانحاء لا تكاد تحصى من المباينات والمناسبات في الذوات والصفات والازمنة والاوقات
اي يقدره بما ذكر من امر الكائنات الذي تحتجبوا منه من امر البعث والوحي فرد من جملة وشعبة من
وهي اسباب كل منها حدوثا وبقاء في اوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق
حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى
وقد جوز كونه خبرا ثانيا لان او مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ من ذكر الاستواء
على العرش المنبئ عن اجراء احكام الملك وعلى كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره
وقوله عز وجل ما من شفيع بيان لاستبداده سبحانه في التقدير والتدبير ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه
فان نفي جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله تعالى لا عاصم
اليوم من امر الله وهذا بعد قوله تعالى يدبر الامر يجري مجرى قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه بعد قوله تعالى قل
من بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما من شفيع يشفع
لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبني على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين
الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلاله سبحانه ما لا يخفى ذلكم اشارة
الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الشان المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال التي عليها يدور استحقاق
الالوهية الله وقوله تعالى ربكم بيان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا بعد بيان انه
الله الذي خلق السموات والارض الخ لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير ولتفريع الامر بالعبادة عليه
بقوله تعالى فاعبدوه اي وحدوه من غير ان تشركوا به شيئا من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع
ولا يضر ولا ينفع وآمنوا بما انزله اليكم افلا تذكرون اي تعلمون ان الامر كما فصل فلا تتذكرون
ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه اليه لا الى احد سواه استقلالا او اشتراكا مرجعكم
اي بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى جميعا فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا في المعنى اي اليه رجوعكم
مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله عز وجل اليه مرجعكم
وعد منه سبحانه بالبعث والفعل مقدر اي وعد الله وعدا لما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو الرجوع
بالبعث لان ما بالموت بمعزل من الوعد كما انه بمعزل من الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر
آخر مؤكد لما دل عليه الاول انه يبدأ الخلق وقرئ يبدئ ثم يعيده وهو كالتعليل لما افاده وعد الله من وجوب
المرجع اليه سبحانه وتعالى فان غاية البدء والاعادة جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة
وقرئ بالفتح اي لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بداء الخلق ثم اعادته

ومرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بداء الخلق الخ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط
اي بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اي ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم
اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال
الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما
كانوا يكفرون فان معناه ويجزي الذين كفروا بسبب كفرهم وتكريره لاسناد بجعل الجملة الظرفية
خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على مواظبتهم على الكفر
وتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك العلة الغائية
للخلق بدءا واعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم واما المقصود الاصلي من ذلك فهو الاثابة
هو الذي جعل الشمس ضياء تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته
بآثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من ابداع السموات والارض والاستواء على العرش
وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذي اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد الى تحقق دبرهم امورهم
المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال الرسول وانزال
الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين مهاوي الردى اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع
فضياء حال من مفعوله اي خلقها حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف او ضياء محضا للمبالغة وان
جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني اي جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن لا بعد ان كانت
خالية عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما في قولهم ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضياء مصدر كقيام او
الثاني داخل على المقصود
جمع ضوء كسياط وسوط وياؤه منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف بتقديم
اللام على العين والقمر نورا الكلام فيه كالكلام في الشمس والضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء
وما بالعرض نور ففيه اشعار بان نوره مستفاد من الشمس وقدره اي قدر له وهيأ منازل او قدر مسيره
في منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره ومعاينة
منازله وتعلق احكام الشريعة وكونه عمدة في تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما وهي ثمانية وعشرون
منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة
المستهل الى الثامنة والعشرين فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا
نقص الشهر ويكون مقام الشمس في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي
نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة
والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح
وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرع الدلو المقدم وفرع الدلو المؤخر والرشا وهو بطن الحوت
لتعلموا بما تعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزوله في كل من تلك المنازل
عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اي حساب
على انها للعلم وللزوم على المضاف اليه
من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب
بالاوقات لما ان لم يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة فان تحققه
ان الحساب احصاء ماله كمية انفصالية بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم
اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثني عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما قد تحصل كل
من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعدد مجرد احصائه بتكرير امثاله من غير ان يتحصل بذلك
شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامي مراتب الاعداد وحكم

مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي
في تحصل المعدود نفعا وحيث اعتبر في الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التي لها اسام خاصة
واحكام مستقلة علق بها الحساب المنبئ عن ذلك والسنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب
وانما الذي يتعلق به العدد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة
اعني حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد تحصل كل منها بطائفة من الساعات
فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر معها شيء غير ذلك
وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس لان العلم المتعلق بعدد
السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم تتحد الجهة او لان العدد من حيث انه لم يعتبر
فيه تحصل امر آخر حسبما حقق آنفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب
ما خلق الله ذلك اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك
الاحوال والهيئات ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح في ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس
امر حادث فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه به بالفعل
الا بالحق استثناء مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول اي ما خلق ذلك ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا
بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات
المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم يفصل الآيات اي الآيات التكوينية المذكورة او جميع الآيات
فيدخل فيها الآيات المذكورة دخولا اوليا او يفصل الآيات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة
لقوم يعلمون الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها جل وعلا او يعلمون ما في
تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به ان في اختلاف الليل والنهار
تنبيه آخر اجمالي على ما ذكر اي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين
لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما في انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده
باختلاف حال الشمس بالنسبة اليهما قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما
في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام
البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا
وفي مقابله نهارا وما خلق الله في السموات والارض من اصناف المصنوعات لآيات عظيمة او كثيرة
دالة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التي من جملة مقتضياتها ما انكروه
من ارسال الرسول وانزال الكتب والبعث والجزاء لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعي الى النظر والتدبر
انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات آيات دون غيرهم وكأين من آية
في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ان الذين لا يرجون لقاءنا بيان لمآل امر من كفر بالبعث
واعرض عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه سبحانه وانه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء ثوابا وعقابا
وتفصيل بعض الآيات الشاهدة بذلك والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث او لقاء الحساب
كما في قوله عز وعلا اني ظننت اني ملاق حسابيه واياما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر ما
لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعي عدم
اعتقاد وقوع المأمول والمخوف اي لا يتوقعون الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدي اما الى حسن الثواب
او الى سوء العقاب فلا يأملون الاول واليه اشير بقوله عز وجل ورضوا بالحيوة الدنيا فانه منبئ
عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة ولا يخافون الثاني

واليه اشير بقوله تعالى واطمأنوا بها اي سكنوا فيها سكون من لا براح له منها آمنين من عزاء المزعجات
غير مخطرين ببالهم ما يسوءهم من عذابنا وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقي وباللقاء حسن اللقاء اي لا يأملون
حسن لقائنا بالبعث والاحياء بالحيوة الابدية ورضوا بدلا منها وعما فيها من فنون الكرامات السنية
بالحيوة الدنيا الفانية واطمأنوا بها اي سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع هممهم على لذائذها وزخارفها
من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم وايثار الباء على كلمة الى المنبئة عن مجرد الوصول والانتهاء للايذان بتمام
الملابسة ودوام المصاحبة والمؤانسة وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كلمة الرضا بالحيوة الدنيا فانها
منبئة عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخريين للدلالة على التحقق والتقرر
كما ان اختيار صيغة المستقبل في الاولى للايذان باستمرار عدم الرجاء والذين هم عن آياتنا المفصلة في
صحائف الاكوان حسبما اشير الى بعضها او آياتنا المنزلة المنبهة على الاستشهاد بها المتفقة معها في الدلالة
على حقية ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا اليه من الحيوة الدنيا
غافلون لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم فيما يصدهم عنها من
الاحوال المعدودة وتكرير الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار
الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول
واستقلاله باستتباع العذاب صدقا واما ما قيل من ان العطف لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد
على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الآخرة اصلا واما لتغاير
الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل
في الآجل فكلام ناء عن السداد ختاما اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء مأواهم اي مسكنهم ومقرهم
الذي لا براح لهم منه النار لا ما اطمأنوا به من الحيوة الدنيا ونعيمها بما كانوا يكسبون من الاعمال القلبية
المعدودة وما يستتبعه من اصناف المعاصي والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على الاستمرار التجددي والباء متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا عن اسم الاشارة وهي
مع خبره خبر لان في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا الخ ان الذين آمنوا اي فعلوا الايمان او آمنوا بما
يشهد به الآيات التي غفل عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يؤمن بالله فيندرج فيه ذلك اندراجا اوليا وعملوا
الصالحات اي الاعمال الصالحة في انفسها اللائقة بالايمان وانما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسماء
يهديهم ربهم اوثر الالتفات تشريفا لهم باضافة الرب اليهم واشعارا بعلة الهداية بايمانهم اي يهديهم بسبب ايمانهم
الى مأواهم ومقصدهم وهي الجنة وانما لم يذكر تعويلا على ظهورها وانسياق النفس اليها لا سيما على ملاحظة ما سبق
من بيان مأوى الكفرة وما يؤديهم اليه من السيئة ومشاهدة ما هو من التلويح والتصريح في النظم الكريم
اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية وان الكفر
والمعاصي كافية في دخول النار ثم انه لا نزاع في ان المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص
المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم منهما الا ان ذلك بمعزل من الدلالة على خلاف ما
عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالي عن العمل الصالح يفضي الى الجنة في الجملة ولا يخلد صاحبه
في النار فان منطوق الآية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة واما ان كل ما هو
ليس كذلك يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون مناد بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعنى
لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره ايضا يدخل في الاهتداء من آمن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم
بفعل حرام او بترك واجب تجري من تحتهم الانهار اي من بين ايديهم كقوله سبحانه وهذه الانهار تجري من تحتي

او يجري وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستانفة او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم على تقدير كون المهدي اليه ما يريدونه في الجنة كما قيل وقيل يهديهم ويسددهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب والجنة وقوله تعالى تجري من تحتهم الانهار جار مجرى التفسير والبيان فان التمسك بحبل السعادة في حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق البديعة بحسب القوة العملية كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم في جنات النعيم خبر آخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي فالمراد بالمهدي اليه اما منازلهم في الجنة او ما يريدونه فيها دعواهم اي دعاؤهم وهو مبتدا وقوله عز وجل فيها متعلق به وقوله تعالى سبحانك اللهم خبره اي دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول لمقدر لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عند ما عاينوه فيها من تعاجيب آثار قدرته تعالى ونتائج رحمته ورأفته مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف وتحيتهم فيها التحية التكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حيوة طيبة اي ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم كما في قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم سلام اي سلامة عن كل مكروه وآخر دعواهم اي خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك نعتا له عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك الدعاء وان هي المخففة من المثقلة اصله انه الحمد لله فخفف ضمير الشان كما في قوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته المتوسلة الى الختم الحكاية بالتحميد ليتوافق مع ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق وكون ترتيب الوقوع ايضا كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه تعالى ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او حياهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا عليه بالا اضافة الآخر الى دعواهم وقد جوز ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون الخ ايذانا بان لا تكليف في الجنة اي ما عبادتهم الا ان يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا يساعده تعيين الخاتمة ولو يعجل الله للناس هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء اشير الى بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج اي لو يعجل الله لهم الشر الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله تعالى استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر ناصبه دلالة على اعتبار الاستعجال في جانب المشبه كاعتبار التعجيل في جانب المشبه به واشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم حتى كان استعجالهم بالخير نفس تعجيله لهم والتقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لادي اليهم الاجل الذي عين لعذابهم واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي ايثار صيغة المبني للمفعول جري على سنن الكبرياء مع الايذان بتعين الفاعل وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه واعلم ان مدار الافادة في الشرطية ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم في نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فان

علي الاضافة الى المفعول

العنت اي الوقوع في المشقة والهلاك امر مغاير لطاعته عليه السلام لهم مترتب عليها في الوجود او يكون فردا كاملا من افراده ممتازا من البقية بامر يخصه كما في الاجوبة المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها اي لرايت امرا هائلا فظيعا او نحو ذلك وكما في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذا فسر الجواب بالاستيصال فانه فرد كامل من افراد مطلق المؤاخذة قد عبر عنه بما لا مزيد عليه في الدلالة على الشدة والفظاعة نحو موقعه في معرض التالي للمؤاخذة المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير لتعجيل الشر في نفسه وهو ظاهر بل هو اما نفسه او جزئي منه كسائر جزئياته من غير مزية له على البقية اذ لم يعتبر في مفهومه ما ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون في ترتيبه عليه وجودا او عدما مزيد فائدة مصححة لجعله تاليا له فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا وعدما كما في قوله تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم اي لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب ظاهر نفس المؤاخذة او جزئي من جزئياتها غير ممتاز عن البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا او عدما مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان ترتبه على ارادة المقدم ما ليس في ترتيبه على نفسه من الدلالة على المبالغة وتهويل الامر والدلالة على ان الامور منوطة بارادته تعالى المبنية على الحكم البالغة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد وهو عطف على مقدر تنبئ عنه الشرطية كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما تقتضيه الحكمة فنتركهم امهالا واستدراجا في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة يعمهون اي يترددون ويتحيرون وفي وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان بما في حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج واذا مس الانسان الضر اي اصابه جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة دعانا لكشفه وازالته لجنبه حال من فاعل دعا بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تعالى يخرون للاذقان اي دعانا كائنا على جنبه مضطجعا او قاعدا او قائما اي في جميع الاحوال مما ذكر وما لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا في جميع احوال مرضه ان المراد بالضر المرض مضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا غير قادر على النهوض وقائما لا يستطيع الحراك فلما كشفنا عنه ضره الذي مسه عقيب دعائه حسبما ينبئ عنه الفاء مر اي مضى واستمر على طريقته التي كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال ولم يرجع بجانبه كان لم يدعنا اي كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما في قوله كان لم يكن بين الحجون الى الصفا والجملة التشبيهية في محل النصب على الحالية من فاعل مر اي مر مشبها بمن لم يدعنا الى ضر اي الى كشف ضر مسه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف بهذه الصفات كذلك اي مثل ذلك وتلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل اي ذلك التزيين العجيب زين للمسرفين اي الموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لما ان الله تعالى انما اعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها الى مصالحهم الدينية والدنيوية فاذا صرفوها الى ما لا يعنيهم من الاعمال الصالحة قاصرين همهم الى ما لا ينبغي حيث اسرفوا اسرافا ظاهرا والتزيين اما من جهة الله تعالى على طريقة التخلية والخذلان او من الشيطان بالوسوسة والتسويل ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث ان في كل منهما ما يدل على المبالغة والانهماك في الشهوات بعد ما لا ثبات في اسر المقدر ولقد اهلكنا القرون اي القرون

تمامه انيس ولم يسمر بمكة سامر

الخالية

مثل قوم نوح وعاد واضرابهم ومن في قوله تعالى من قبلكم متعلقة باهلكنا اى اهلكناهم من قبل زمانكم
والخطاب لاهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تأييده بالتأكيد القسمي لما ظلموا ظرف
للاهلاك اي اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي في الغي والضلال من غير تأخير وجاءتهم
رسلهم الواو للحال من ضمير ظلموا وقوله تعالى بالبينات متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية او بمحذوف
وقع حالا من رسلهم دالة على افراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالآيات
البينة الدالة على صدقهم او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز ان يكون قوله تعالى وجاءتهم عطفا
على ظلموا فلا محل للجملة من الاعراب عند سيبويه وعند غيره محلها الجر لانها معطوفة على ما هو المجرور باضافة الظرف
اليه وليس الظلم منحصرا في التكذيب حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب
الوقوعي كما في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا بل هو محمول على سائر انواع الظلم والتكذيب مستفاد
من قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه وآكده فان اللام لتأكيد النفي اي وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا
لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف على ظلموا
لانه اخبار باحداثهم التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل
وما يجري مجرى مصدره التشبيهي اعني قوله تعالى كذلك فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اي مثل ذلك
الجزاء الفظيع اي الاهلاك الشديد الذي هو الاستئصال بالمرة نجزي القوم المجرمين اي كل طائفة مجرمة
وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد لاشتراكهم لاولئك المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول
والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء
على الالتفات الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع
ضمير الخطاب ايذانا بانهم اعلام في الاجرام ويأباه كل الاباء قوله عز وجل ثم جعلناكم خلائف في الارض
من بعدهم فانه صريح في انه ابتداء تعرض لامورهم وان ما بين فيه انما هو مبادي احوالهم لاختبار كيفية
اعمالهم على وجه يشعر بما يتم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك ترتيبا منتهى امرهم وحطا
ببت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك القرون التي تسمعون
اخبارها وتشاهدون آثارها استخلاف من يختبر لننظر اي لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فهي استعارة
تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه
اي اي عمل تعملون وعلى الحالية اي على اي حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وعلا
ليبلوكم ايكم احسن عملا وفيه اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الاستخلاف انما هو ظهور
الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان يصدر عنهم لا سيما بعدما سمعوا
اخبار القرون المهلكة وشاهدوا آثار بعضها فضلا عن ان ينتظم ظهورها في سلك الغاية للاستخلاف
وقيل منصوب على انه مفعول به اي اي عمل يعملون اخيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه فلا يكون في كلمة كيف حينئذ دلالة
على ان المعتبر في الجزاء جهات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو رأي القائل بل يكون حينئذ مستعارا بمعنى اي شيء
واذا تتلى عليهم التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد
جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم
من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الآتي حسب تجدد التلاوة آياتنا الدالة
على حقية التوحيد وبطلان الشرك والاضافة لتشريف المضاف والترغيب في الايمان به والترهيب عن تكذيبه
بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وايراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا الى الآيات بان
كلامهم في نفس المتلو دون التالي قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول موضع الضمير اشعارا بعلية

باضمار قد صح

ما في حيز الصلة

ما في حيز الصلة العظيمة المحكية عنهم وان انما اجترؤوا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء
لانكارهم له ولما هو من مباديه من البعث وذما لهم بذلك اي قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانما لم يذكر ايذانا بتعينه ائت بقرآن غير هذا اشاروا بهذا الى القرآن المشتمل
على تلك الآيات لا الى نفسها فقط قصدا الى اخراج الكل من البين اي ائت بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده
من البعث والجزاء وما نكرهه من ذم آلهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها او بدله بتغيير ترتيبه بان
تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى خالية عنه وانما قالوه كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا
به الى الالزام والاستهزاء به قل لهم ما يكون لي اي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني اصلا ان ابدله من
تلقاء نفسي اي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب ببيان امتناع ما
اقترحوه على اقتراحهم الثاني للايذان بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور بحيث لا حاجة الى
بيانها وان التصدي لذلك مع كونه ضائعا ربما يعد من قبيل المجاراة مع السفهاء اذ لا يصدر مثل
ذلك الاقتراح عن العقلاء ولان ما يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة الاول بالطريق الاولى
ان اتبع اي ما اتبع في شيء مما آتي واذر الا ما يوحى الي من غير تغيير له في شيء اصلا على معنى قصر حاله عم
على اتباع ما يوحى اليه في سورة الانعام وهو تعليل لصدر الكلام فان من شأنه اتباع الوحي على ما هو
عليه لا يستبد بشيء دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا به عليه السلام
بهذا السؤال من ان القرآن كلامه عم ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله تعالى من تلقاء نفسي وسماه
عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم بقوله تعالى اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فانه
تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار امره على اتباع الوحي اي اخاف ان عصيته تعالى بتعاطي
ما ليس لي من التبديل من تلقاء نفسي والاعراض عن اتباع الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة ويوم اللقاء
الذي لا يرجونه وفيه استشعار بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام لتهويل امر العصيان واظهار كمال نزاهته عم عنه وايراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظم
لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا مساغ لحمل مقترحهم على التبديل والاتيان بقرآن آخر من جهة الوحي
بتغيير قوله تعالى ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي [illegible]
الوحي [illegible] التعليل المذكور لكن
[illegible] ليس فيه معصية اصلا [illegible]
الحكمة التشريعية بعضها ببعض [illegible] في كونه معصية بل لانه ليس فيه
معصية الاقتراح [illegible] في التعليل الاخير الى ما بعده من الآيتين الكريمتين فانه صريح
في ان مقترحهم الاتيان بغير القرآن وتبديله [illegible] ايضا كذلك قوله عز
وجل قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القرآن وكونه من عند الله تعالى اثر بيان بطلان ما اقترحوه
[illegible]
[illegible]
[illegible]
مفعول المشيئة انما يحذف اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء [illegible] كما في قوله
ولو شئنا [illegible]
عليه السلام للقرآن [illegible]
وليس [illegible] لو شاء عدم تلاوتي له من تلقاء نفسي بل بان لم ينزله علي [illegible]

عنه ايثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم **وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ** اي ولا اعلمكم به بواسطتي والتالي وهو عدم
التلاوة والادراء منتف فينتفي المقدم اعني مشيئة عدم التلاوة ولا يخفى انها مستلزمة لعدم مشيئة التلاوة
قطعا فانتفاؤها مستلزم لانتفائه حتما وانتفاء عدم مشيئة التلاوة انما يكون بتحقق مشيئة التلاوة فثبت
ان تلاوته عم للقرآن بمشيئته تعالى وامره وانما قيدنا الادراء بكونه بواسطته عم لان عدم الاعلام مطلقا
ليس من لوازم الشرط الذي هو مشيئة عدم تلاوته عليه السلام فلا يجوز نظمه في سلك الجزاء وفي اسناد
عدم الادراء اليه تعالى المنبئ عن استناد الادراء اليه تعالى ايذان بان لا دخل له عليه السلام في ذلك حسبما
يقتضيه المقام وقرئ ولا ادرأتكم ولا ادرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقول اعطأت وارضأت في اعطيت و
ارضيت وعلى انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني
وهو وقرئ ولادراكم بلام الجواب اي لو شاء الله ما تلوته عليكم انا ولاعلمكم به على لسان غيري على معنى انه الحق الذي
لا محيص عنه لو لم ارسل به انا لارسل به غيري البتة او على معنى انه تعالى يمن على من يشاء فخصني بهذه الكرامة
فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته عليه السلام بمشيئة الله عز وجل وامره
حسبما بين آنفا لكن لا بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته عم فيما سبق بسبب عدم مشيئته تعالى اياه بل بطريق الاستشهاد
عليها بما شاهدوه منه عليه السلام في تلك المدة الطويلة من الامور الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته
عليه السلام بلا وحي وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى قد اقمت فيما بينكم دهرا مديدا مقدار
اربعين سنة تحفظون تفاصيل احوالي طرا وتحيطون بما لدي خبرا **مِنْ قَبْلِهِ** اي من قبل نزول القرآن لا اتعاطى
شيئا مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع **أَفَلَا
تَعْقِلُونَ** اي الا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي ووجوب كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم
فانه غير خاف على من له عقل سليم والحق الذي لا محيد عنه ان من له ادنى مسكة من العقل اذا تامل في امره عليه السلام
وانه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء في شان من الشؤون ولا مراجعة اليهم في فن من الفنون
ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار ولا خوض معهم في انشاء الخطب والاشعار ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته كل
فصيح فائق وبذت بلاغته كل بليغ رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى فحواه بدائع اصناف العلوم كاشفا عن اسرار
الغيب من وراء استار الكون ناطقا باخبار ما قد كان وما سيكون مصدقا لما بين يديه من الكتب المنزلة
مهيمنا عليها في احكامها المجملة والمفصلة لا يبقى عنده شائبة اشتباه في انه وحي منزل من عند الله تعالى وهذا هو الذي
اتفقت عليه كلمة الجمهور ولكن لا تناسب بينه والجواب فيما سلف على تجديد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه عليه السلام
لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله عم على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأي من غير
تعرض هناك ولا ههنا لكون القرآن في نفسه امرا خارجا عن طوق البشر ولا لكونه عم غير قادر على الاتيان بمثله الى ان يستشهد
ههنا على المطلب بما لديهم من ذلك من احواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته عما يوهم شائبة صدور
الكذب والافتراء عنه في حق احد كائنا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري على الله تعالى والمعنى قد لبثت
فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد قط بحكم ولا جدال ولا احوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب
او افتراء الا تلاحظونه فلا تعقلون ان من هذا شانه المطرد في هذا العهد البعيد يستحيل ان يفتري على الله تعالى
ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهي الموجبة لسلب الاموال وسفك الدماء ونحو ذلك وان ما اتى به وحي مبين
تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** استفهام انكاري معناه الجحد اي لا احد
اظلم منه على انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب مفيدا لانكار ان يكون احد اظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة
ونفيها فانه اذا قيل من افضل من فلان او لا اعلم منه يفهم منه حتما انه افضل من كل فاضل واعلم من كل عالم وزيادة
قوله تعالى كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للايذان بان ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عم عليه صريحا مع كونه

افتراء

افتراء على الله تعالى الكذب في نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الاسناد فقط كما اذا اسند ذنب زيد
الى عمرو وهذا للمبالغة منه عليه السلام في التفادي مما ذكر من الافتراء على الله سبحانه **أَوْ كَذَّبَ
بِآيَاتِهِ** فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقرآن وحملهم على انه من جهته عم والفاء لترتيب الكلام
على ما سبق من بيان كون القرآن بمشيئته تعالى وامره فلا مجال لحمل الافتراء على الافتراء باتخاذ الولد والشريك
اي واذا كان الامر كذلك فمن افترى عليه تعالى بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل بعض
آياته تعالى ببعض كما تجوزون ذلك في شأني وكذلك من كذب بآياته تعالى كما تفعلونه اظلم من كل ظالم
إِنَّهُ الضمير للشان ووقع اسما لان والجملة بعده خبرها ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية
عن ذكره وفائدة تصديرها به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير
لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل
تمكن فكانه قيل ان الشان هذا اي **لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ** اي لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد
جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجا اوليا **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** حكاية لجناية
اخرى لهم نشأت عنها جناياتهم الاولى معطوف على قوله تعالى واذا تتلى عليهم الآية عطف قصة على قصة
ومن دون متعلق بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله اي متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى
ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينة لعبادة الاصنام كما ينبئ عنه سياق النظم
الكريم **مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ** اي ما ليس من شانه الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات وما
موصولة او موصوفة وتقديم نفي الضر لان ادنى احكام العبادة دفع الضر الذي هو اول المنافع والعبادة
امر حادث مسبوق بالعدم الذي هو مظنة الضر فحيث لم تقدر الاصنام على الضر لم يوجد لاحداث
العبادة سبب وقيل لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة
عزى ومناة وهبل واسافا ونائلة **وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ** عن النضر بن الحرث اذا كان
يوم القيمة يشفع لي اللات قيل انهم كانوا يعتقدون ان المتولي لكل اقليم روح معين من ارواح الافلاك فعينوا
لذلك الروح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم اعتقدوا ان ذلك الروح
يكون عند الاله الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها اصناما معينة
واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الاصنام ثم تقربوا
اليها وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام على صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل
فان اولئك الاكابر يشفعون لهم عند الله تعالى **قُلْ** تبكيتا لهم **أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ** اي اتخبرونه بما لا وجود
له اصلا وهو كون الاصنام شفعاءهم عند الله تعالى اذ لولاه لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم
وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبئونه بالتخفيف وقوله تعالى
فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لان ما لا يوجد فيهما فهو منتف
عادة **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم الذين
يعتقدونهم شفعاءهم عند الله تعالى وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة القول المأمور به وعلى الاول
هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى **وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً** بيان لان التوحيد والاسلام ملة
قديمة اجمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا
لعصا الجماعة واما حمل اتحادهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع
والاصرار فمما لا احتمال له اي وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف
وذلك من عهد آدم عم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل الى زمن ادريس وقيل الى زمن نوح عليهما السلام

وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا الى ان اختلفوا فيما بينهم لكن وقيل من لدن ابراهيم عليه السلام
الى ان اظهر عمرو بن لحي عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب بايراد الآية الكريمة اثر حكاية
ما حكي عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا بان كفر بعضهم وثبت آخرون على ما هم
عليه فخالف كل من الفريقين الآخر لا ان كلا منهما احدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة لملة الآخر فان
الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضي بينهما بابقاء المحق واهلاك المبطل
والفاء للتعقيب لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انتهاء مدة الاتفاق
ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير القضاء بينهم او بتأخير الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل
لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز المحق من المبطل بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال
لحكاية الحال الماضية وللدلالة على الاستمرار ويقولون حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون
وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء وللدلالة على الاستمرار وانما يقولون على اهل مكة لولا
انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات التي اقترحوها كانهم لفرط العتو والفساد وتمادي في المكابرة
والعناد لم يعدوا البينات النازلة عليه مع جنس الآيات واقترحوا غيرها مع انه قد نزل عليه من الآيات
الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطر به الى الانقياد والقبول كل من له ادنى مسكة من ارباب العقول فقل انما
الغيب لله اللام للاختصاص العلمي دون التكويني فان الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى
ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم ايماني بنزوله من الغيوب المختصة بالله سبحانه لا وقوف لي
عليه فانتظروا نزوله اني معكم من المنتظرين اي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الآيات
واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال الآيات المقترحة يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب
به تعالى واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة من بعد ضراء مستهم اي خالطتهم حتى احسوا بسوء
اثرها فيهم واسناد المساس الى الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية كما في قوله تعالى واذا
مرضت فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله تعالى على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا
يطعنون في آياته تعالى ويعادون رسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه وذلك قوله تعالى اذا لهم مكر في آياتنا
اي بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كانه قيل فاجؤا
وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي يتعلق به اللام قل الله اسرع مكرا اي اعجل عقوبة
اي اسرع عذابا وصولا اليكم مما يأتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجودا او
ذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم والاضافة للتشريف يكتبون ما تمكرون اي مكركم او ما تمكرونه
وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة
الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة تعليل من جهته تعالى لاسرعية مكره سبحانه غير
داخل في الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة الرسل لما يمكرون من مبادي بطلان مكرهم
وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليهم للتشديد في التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون في تعليله لما ذكر والامر هو الذي يسيركم كلام
مستأنف مسوق لبيان جناية اخرى لهم مبنية على ما مر آنفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء
والضراء اي يمكنكم من السير تمكينا مستمرا عند الملابسة به وقبلها في البر مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر
ومنه قوله تعالى واذا انتم بشر تنتشرون والبحر حتى اذا كنتم في الفلك اي السفن فانه جمع فلك على ان ضمته كضمة اسد جمع
اسد لا على زنة قفل وغاية التسيير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبئ عنه ايثار الكون
المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث وجرين اي السفن بهم بالذين فيها او لا التفات الى الغيبة للايذان

او أريد بالمكر الاستدراج

فيكون من باب المشاكلة

فيكون من باب تسمية الشيء باسم جزئه

ونقل السفن تتعلق بالبلع

بما لهم من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم كانه يذكر لغيرهم مساوي احوالهم ليتعجبهم منها ويستدعي منه الانكار
والتقبيح وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك اذا كان بعضكم فيها اذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون
في البر فالضمير الغائب عائد الى ذلك المضاف المقدر كما في قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه اي او كذي ظلمات
يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها
جواب اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة اي تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف لها فان الهبوب
على وفقها لا يسمى مجيئا للريح اخرى عادة بل هو اشتداد للريح الاولى وقيل للفلك والاول اظهر لاستلزامه لتلاقي
من غير عكس لان الهبوب على طريقة الريح اللينة بل يعد مجيئا بالنسبة الى الفلك دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع
تلاطم الامواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولان التهويل في بيان استيلائها على ما فرحوا به وعلقوا به حسبان
نجاتهم اكثر ريح عاصف اي ذات عصف وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة الى الفارق وقيل الريح قد تذكر
وجاءهم الموج في الفلك من كل مكان اي من امكنة مجيء الموج عادة ولا يعهد مجيئه من جميع الجوانب ايضا
اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب اسباب تتفق وظنوا انهم
احيط بهم اي هلكوا فان ذلك مثل في الهلاك اصله احاطة العدو بالحي وسدت عليهم مسالك الخلاص
دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استئناف مبني على سؤال ينساق اليه
الاذهان كانه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من آلهتهم لا تخصيص
للدعاء به تعالى فقط بل للعبادة ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له الدين لئن
انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اي قائلين والله لئن انجيتنا من هذه الورطة لنكونن البتة
بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤولة وقيل الجملة مفعول دعوا لان الدعاء
من قبيل القول والاول هو الاولى لاستدعاء الثاني الاقتصار دعاءهم على ذلك فقط وفي قوله لنكونن
من الشاكرين من المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عليه منتظمين في سلك المنعوتين
بالشكر الراسخين فيه ما ليس في ان يقال لنشكرن فلما انجاهم مما غشيهم من الكربة والفاء للدلالة
على سرعة الاجابة اذا هم يبغون في الارض اي فاجؤا الفساد فيها وسارعوا اليه مترامين في ذلك متجاوزين
عما كانوا عليه من حدود الغيث من قولهم بغى الجرح اذا ترامى في الفساد وزيادة في الارض للدلالة على
شمول بغيهم لاقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تعالى بغير الحق تأكيد لما يفيده البغي
او معناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان يكون ذلك ظلما ظاهر قبحه لا يخفى على احد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين
بغير الحق واما ما قيل من انه للاحتراز عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم
فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى افساد صورة الشيء وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى
اللائق بحال المفسدين يا ايها الناس توجيه للخطاب اليهم لتأكيد التشديد في التهديد والمبالغة
في الوعيد انما بغيكم الذي تتعاطونه وقوله تعالى على انفسكم خبره اي عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون
عليهم وان ظن كذلك وقوله تعالى متاع الحيوة الدنيا بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به
سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستئناف اي تتمتعون متاع
الحيوة الدنيا وقيل على انه مصدر وقع موقع الحال اي متمتعين بالحيوة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر
لا نفس البغي لانه يؤدي الى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يخرج عن الموصول الا بعد تمام صلته وانتصابه
بانه ظرف زمان نحو مقدم الحاج اي زمن متاع الحيوة الدنيا وقيل على انه مفعول لفعل دل عليه المصدر اي تبغون متاع
الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغي بمعنى الطلب وجعل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان

الاستيفاء فبيّن سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغي المفسر بالإفساد المفرط اللائق بحالهم فأي مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب وجعل الأول أيضاً بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل على أنه مفعول له أي لأجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه أن المعلل بما ذكر نفس البغي لا كونه على أنفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر أي تبغون لأجل متاع الحيوة الدنيا على أن الجملة مستأنفة وقيل على أنه مفعول صريح للمصدر وعلى أنفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد بالأنفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير إنما بغيكم على أبناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا محذور أو ظاهر الفساد أو نحو ذلك وفيه ما مر من بنائه على ما لا يليق بالمقام من كون البغي بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه على العلة أي إنما بغيكم على أبناء جنسكم لأجل متاع الحيوة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان له وجه في الجملة لكن الحق الذي يقتضيه جزالة التنزيل إنما هو الأول وقرئ متاع بالرفع على أنه الخبر والظرف صلة للمصدر أو خبر ثان أو خبر لمبتدأ محذوف أي هو متاع الخ كما في قوله عز وجل إلا ساعة من نهار بلاغ أي هذا بلاغ فالمراد بأنفسهم على الوجه الأول أبناء جنسهم وإنما عبر عنهم بذلك هضماً لتشفقهم عليهم وحثاً لهم على ترك إيثار التمتع المذكور على حقوقهم ومحل الحمل على الحقيقة لأن كون بغيهم وبالاً عليهم ليس بثابت عندهم حسبما يقتضيه ما حكي عنهم ويجري بعد حتى يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه متاعاً مقصود الإفادة على أن عنوان كونه وبالاً عليهم قادح في كونه متاعاً فضلاً عن كونه من مبادي ثبوته للمبتدأ كما هو المتبادر من السوق وأما كون البغي على أبناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتضمن لمبادي التمتع من أخذ المال والاستيلاء على الناس وغير ذلك وأما على الوجهين الأخيرين فلأنه موجب للعدول عن الحقيقة فإن المبتدأ إما نفس البغي أو الضمير العائد إليه من حيث هو هو لا من حيث كونه وبالاً عليهم كما في صورة كون الظرف صلة للمصدر فتدبر وقرئ متاعاً الحيوة الدنيا بنصب متاعاً فعلى ما مر وأما نصب الحيوة فعلى أنه بدل من متاعاً بدل الاشتمال وقيل على أنه مفعول به لمتاعاً إذا لم يكن انتصابه على المصدرية لأن المصدر المؤكد لا يعمل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تمكر ولا تعن ماكراً ولا تبغ ولا تعن باغياً ولا تنكث ولا تعن ناكثاً وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فمن نكث فإنما ينكث على نفسه وعنه صلى الله عليه وسلم أسرع الخير ثواباً صلة الرحم وأعجل الشر عقاباً البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي ثم إلينا مرجعكم عطف على ما مر من الجملة المستأنفة كأنه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ثم ترجعون إلينا وإنما غير السبك إلى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر فننبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة أبية وهي أن كل ما يظهر في هذه النشأة من الأعيان والأعراض فإنما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فإن المعاصي مثلاً سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها أحسن الأحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال النبي عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغي في هذه النشأة وإن برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة لتمتعهم به من حيث أخذ المال والتشفي من الأعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بتمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسب وإنما يظهر لهم ذلك عند إبراز ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه على تلك من الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه أعلم إنما مثل الحيوة الدنيا كلام مستأنف سيق لبيان شأن الحيوة وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها العجيبة الشأن

البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الأمثال في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها غب إقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الأرض من أنواع النبات في زوال رونقها ونضارتها فجأة وذهابها حطاماً لم يبق لها أثر أصلاً بعد ما كانت غضة طرية قد التف بعضها ببعض وزينت الأرض بألوانها وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا أنها سلمت من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف في قوله عز وجل كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض بل ما يفهم من الكلام فإنه من التشبيه المركب مما يأكل الناس والأنعام من البقول والزروع والحشيش حتى إذا أخذت الأرض زخرفها جعلت الأرض في تزينها بما عليها من أصناف النباتات وأشكالها وألوانها المختلفة المونقة آخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي أخذت من ألوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت أصله تزينت فادغم وقرئ على الأصل وقرئ وأزينت كأغيلت من غير إعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن أهلها أنهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها أتاها أمرنا جواب إذا أي ضرب زرعها ما يجتاحه من الآفات والعاهات ليلاً أو نهاراً فجعلناها أي زرعها وسائر ما عليها حصيداً أي شبيهاً بما حصد من أصله كأن لم تغن كأنه لم يغن زرعها والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل بالأمس أي فيما قبل بزمان قريب فإن الأمس مثل في ذلك كأنه قيل لم تغن آنفاً كذلك أي مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الآيات أي الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على أحوال الحيوة الدنيا أي نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لأنهم المنتفعون بها ويجوز أن يراد بالآيات ما ذكر في أثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات وتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكي إيجاداً وإعداماً فإنها علامات وآيات يستدل بها من يتفكر فيها على أحوال الحيوة الدنيا حالاً ومآلاً والله يدعو إلى دار السلام ترغيب للناس في الحيوة الأخروية الباقية إثر ترغيبهم عن الحيوة الدنيوية الفانية أي يدعو الناس جميعاً إلى دار السلامة عن كل مكروه وآفة وهي الجنة وإنما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضاً للآفات أو إلى دار الله تعالى وتخصيص الإضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك أو إلى دار يسلم الله تعالى والملائكة فيها على من يدخلها أو يسلم بعضهم على بعض ويهدي من يشاء هدايته منهم إلى صراط مستقيم موصل إليها وهو الإسلام والتزود بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الأمر غير الإرادة وأن المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين أحسنوا أي أعمالهم أي عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك الحسنى أي المثوبة الحسنى وزيادة أي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلاً لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم أي لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة أي أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار أو لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير أي شيء منهما والجملة مستأنفة لبيان أمنهم من المكاره إثر بيان فوزهم بالمطالب والثاني وإن اقتضى الأول إلا أنه ذكر إذكاراً بما ينقذهم الله تعالى منه برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان أن المصون من الرهق أشرف أعضائهم وللتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن عليها عند وروده فضل تمكن ولأن في الفاعل ضرب تفصيل كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين أولئك إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم أي أولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون عن المكاره أصحاب الجنة هم فيها خالدون بلا زوال دائمون بلا انتقال

ولا بد أن يكون نعوا
إذ نفي القتر
منه

والذين كسبوا السيئات اي الشرك والمعاصي وهو مبتدأ بتقدير المضاف فخبره قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها
اي جزاء الذين كسبوا السيئات اي يجازي سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير
السبك لمراعاة ما بين الفريقين من كمال التنافي والتباين وايراد الكسب للايذان بان ذلك انما هو بسوء صنيعهم وبسبب
جناياتهم على انفسهم او الموصول معطوف على الموصول الاول كأنه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها
كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على ان المراد بالزيادة الفضل وترهقهم ذلة واي ذلة كما ينبئ
عنه التنوين التفخيمي وفي اسناد الرهق الى انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم
بالياء التحتانية ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخطه تعالى وعذابه ابدا او ما لهم من عنده
تعالى من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستأنفة او حال من ضمير
ترهقهم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيه أغشيت
لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل
في من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال فتى الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع
ليل بهيم فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه وقرئ كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها
مستأنفة او حال من ضمير ترهقهم أولئك اي الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة أصحاب النار هم فيها خالدون
وحيث كانت الآية في حق الكفار بشهادة السباق والسياق لم يكن فيها متمسك للوعيدية ويوم نحشرهم
كلام مستأنف مسوق لبيان بعض آخر من احوالهم الفظيعة وتأخيره في الذكر مع تقدمه في الوجود على بعض احوالهم
المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو روعي الترتيب الخارجي لعد الكل شيئا
واحدا كما مر في قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على المفعولية بمضمر اي انذرهم او ذكرهم وضمير
نحشرهم لكلا الفريقين الذين احسنوا الحسنى والذين كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله تعالى جميعا
ومن افراد الفريق الثاني بالذكر في قوله تعالى ثم نقول للذين اشركوا اي نقول للمشركين من بينهم ولان توبيخهم
وتهديدهم على رؤوس الاشهاد افظع والاخبار بحشر الكل في تهويل اليوم ادخل وتخصيص وصف اشراكهم
بالذكر في حيز الصلة من بين سائر ما اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من
الايذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثاني خاصة فيكون وضع الموصول موضع
الضمير لما ذكر آنفا مكانكم نصب على انه في الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل وحركته حركة
بناء كما هو رأي الفارسي اي الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم أنتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده مسده
وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع فزيلنا من زلت الشيء عن مكانه ازيله اي ازلته
والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه نحو كلمته وكالمته وهو معطوف على نقول وايثار صيغة الماضي
للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب
من غير مهلة ايذانا بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اي فرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل
التي كانت بينهم في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين كما
سيجيء فخابت آمالهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل لهم الياس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال
وان كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة
والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسي اي فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرء شركائهم منهم ومن عبادتهم
كما في قوله تعالى اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا فالواو حينئذ في قوله تعالى وقال شركاؤهم حالية بتقدير
كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة كما في التفسير الاول لاستدعاء المحاورة المحاضرة لا المغايرة بالمباعدة
وليس في ترتيب التزييل بهذا المعنى على الامر بلزوم المكان على ما في ترتيبه عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة

ليصار الاجل

ليصار الاجل رعايتها الى تغيير الترتيب الخارجي فان المباعدة بعد المحاورة حتما واما قطع العلائق والاقران
فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المحاورة انتهاؤها
كما اشير اليه فلا اعتداد بما في تقديمه من التغيير لا سيما مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تأخر جميع مراتبه
من المحاورة فمراعاة تلك النكتة كافية في استدعاء تقديمه عليها ويجوز ان تكون حالية على هذا التقدير
ايضا والمراد بالشركاء قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولي العلم ففيه تأييد لرجوع
الضمير الى الكل وقولهم ما كنتم ايانا تعبدون عبارة عن تبرئهم من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم
وشياطينهم الذين اغووهم لانها الآمرة لهم بالاشراك دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الآية وقيل الاصنام
ينطقها الله الذي انطق كل شيء فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيدا بيننا
وبينكم فانه العليم الخبير ان كنا عن عبادتكم لغافلين اي عن عبادتكم لنا وتركه للظهور وللايذان
بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء والا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر
وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فان ارتضاءهم باشراكهم مما لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين
لهم على ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة هنالك اي في ذلك المقام الدهش او في ذلك الوقت على استعارة
ظرف المكان للزمان تبلو اي تختبر وتذوق كل نفس مؤمنة كانت او كافرة سعيدة او شقية ما اسلفت من العمل
وتعاينه بكنهه مستتبعا لآثاره من نفع او ضر وخير او شر واما ما علمت من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب
في البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلو بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اي نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها
من السعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت من العمل ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية
بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبا بنزع الخافض وقرئ تتلو اي تتبع لان عملها هو الذي يهديها الى طريق
الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر وردوا الضمير للذين اشركوا على انه معطوف
على زيلنا وما عطف عليه وقوله عز وجل هنالك تبلو الخ اعتراض في اثناء الحكاية مقرر لمضمونها الى الله اي
الى جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق اي المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب
على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع اي ظهر ضياعه وضلاله لا انه كان
قبل ذلك غير ضال او ضل اعتقادهم ايضا ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها
آلهة هذا وجعل الضمير في ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلو والعدول الى الماضي
للدلالة على التحقق والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تعالى يكون على طريقة الاجتماع
لا يلايم التعرض لوصف الحقية في قوله تعالى الى مولاهم الحق فانه للتعريض بالمردودين حسبما اشير اليه ولئن
اكتفي فيه بالتعريض ببعضهم او حمل الحق على معنى العدل في الثواب والعقاب فقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا
يفترون مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما فيه من الضمائر الثلاثة للمشركين فيلزم التفكيك وتخصيص
كل نفس بالنفوس المشركة مع عموم البلوى للكل يأباه مقام تهويل المقام والله تعالى اعلم قل اي لاولئك المشركين الذين
حكيت احوالهم وبين ما يؤول اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك من يرزقكم
من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية وموادّ ارضية او من كل واحدة منهما توسعة
عليكم وقيل الكلام على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض أمّن يملك السمع والابصار ام منقطعة
وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا على طريقة الابطال بل على طريقة الانتقال وصرف الكلام عنه
الى استفهام آخر تنبيها على كفاية هذا فيما هو المقصود اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما
من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء يصيبهما ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
اي من يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر اي من يلي تدبير امر العالم

جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور الظاهرة بالذكر فسيقولون بلا تلعثم ولا تأخير
الله اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والخبر محذوف اي الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره فقل عند تبكيتهم
افلا تتقون الهمزة لانكار عدم الاتقاء بمعنى انكار الواقع كما في أتضرب اباك لا بمعنى انكار الوقوع كما في أأضرب
ابي والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي اتعلمون ذلك فلا تتقون انفسكم عذابه الذي ذكر لكم بما
تتعاطونه من اشراككم به ما لا يشاركه في شيء مما ذكر من خواص الالهية فذلكم تكملة لما تقدم اي فذلكم الذي
اعترفتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله تعالى الله خبره وقوله تعالى ربكم اي مالك امركم ومتولي
اموركم على الاطلاق بدل منه او بيان وقوله تعالى الحق صفة له اي ربكم الثابت ربوبيته والمتحقق الوهيته
تحققا لا ريب فيه فماذا يجوز ان يكون الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة وان يكون
ذا موصولا بمعنى الذي اي ما الذي بعد الحق اي غيره بطريق الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول
واما لزيادة التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع ونفيه
اي ليس غير الحق الا الضلال الذي لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادة من هو منعوت بما ذكر من النعوت الجليلة
حق ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال
الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأي هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد
واما على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا بعد الرب الحق الثابت
ربوبيته الا الضلال اي الباطل الضائع المضمحل وانما سمي بالمصدر مبالغة كأنه نفس الضلال والضياع وهذا
انسب بقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون وعلى التفسير الثاني فأنى تصرفون استفهام انكاري بمعنى انكار الواقع
واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد من ان يكون
وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني كما مر مرارا
والفاء لترتيب الانكار على ما قبلها اي كيف تصرفون من الحق الذي لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل
المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة الباطل الذي سمعتم
ضلاله وضياعه في الآخرة وفي ايثار صيغة المبني للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر
عن العاقل بارادته وانما يقع عند وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجي كذلك اي كما حقت الربوبية لله تعالى
او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه على الذين فسقوا
اي تمردوا في الكفر وخرجوا عن اقصى حدوده انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد
العدة بالعذاب قل هل من شركائكم احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم
بمعزل من استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما لم يعطف
على ما قبله ايذانا باستقلاله في اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت اهلية وتحققها
مكانها ورسوخ برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت في سلكه حيث قيل من يبدأ الخلق ثم يعيده ايذانا بتلازمهما
وجودا وعلما يستلزم الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر صلى الله عليه وسلم
بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده هو يفعلهما لا غير كائنا ما كان لا بان ينوب
عنهم في ذلك كما قيل لان المقول المأمور به غير ما اريد منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المسؤول عنه
من يبدأ الخلق ثم يعيده كما في قوله تعالى من رب السموات والارض قل الله حتى يكون القول المأمور به عين الجواب
الذي اريد منهم ويكون هو نائبا عنهم في ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة من شركائهم فالجواب
المطلوب منهم لا لا غير ثم امر صلى الله عليه وسلم بان يضمنه مقالته ايذانا بتعينه وتحتمه واشعارا بانهم لا يجترؤن
على التصريح به مخافة التبكيت والقام الحجر لا مكابرة ولجاجا واعادة الجملة في الجواب بتمامها غير محذوفة

للخبر كما في الجواب السابق لمزيد التأكيد والتحقيق فأنى تؤفكون الافك الصرف والقلب عن الشيء وقد يخص بالقلب
عن الرأي وهو الانسب بالمقام اي تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر في تصرفون قل هل من شركائكم
احتجاج آخر على ما ذكر الزاما لهم غب الزام وافحاما اثر افحام وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على الاستقلال من يهدي
الى الحق اي بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم واما تعيين
طريق الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فمخل بما يقتضيه المقام من كمال
التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة الى
لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك
استعمل بها ما اسند الى الله تعالى حيث قيل قل الله يهدي للحق اي هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب
الحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام في الامر بالسؤال
والجواب كما مر فيما مر افمن يهدي الى الحق وهو الله عز وجل احق ان يتبع ام من لا يهدي بكسر الهاء اصله يهتدي
فادغم وكسر الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعا لها لحركة الهاء وقرئ بفتح الهاء نقلا لحركة التاء اليها
اي لا يهتدي بنفسه فضلا عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى وانما نفي عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق
نفي الهداية لما ان نفيها مستتبع لنفيه غالبا فان من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره في الجملة وادناها كونه قدوة
له بان يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته تعالى صريحا
وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبئ عن الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب
الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع في بعض المواقع فان ذلك مختص بالانكاري كما في قوله تعالى افمن اتبع
رضوان الله الخ ونحوه والهمزة متأخرة في الاعتبار وانما تقديمها في الذكر لاظهار عراقتها في اقتضاء الصدارة كما هو رأي
الجمهور حتى لو كان السؤال بكلمة اي لاخرت حتما الا ترى الى قوله تعالى فأي الفريقين احق بالامن اثر تقديم ما يلجئ المشركين
الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدي بمعنى لا يهتدي لمجيئه لازما او لا يهدي
غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي والتقدير افمن يهدي الى الحق
احق ان يتبع ممن لا يهدي ام من لا يهدي احق الخ واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان واياما كان فالاستفهام
للالزام وان يتبع في حيز النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اي بان يتبع الا ان يهدى استثناء
مفرغ من اعم الاحوال اي لا يهتدي او لا يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال هدايته تعالى له الى الاهتداء او
الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعنى ام من لا يهتدي
من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا
مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة فما لكم اي اي شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء
لله سبحانه وتعالى والاستفهام للانكار التوبيخي وفيه تعجب من حالهم وقوله تعالى كيف تحكمون اي بما يقضي صريح
العقل ببطلانه انكار لحكمهم الباطل وتعجب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من
وجوب اتباع الهادي الى الحق ان قلت التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر في حق من يعكس جوابه الصحيح فيحكم باحقية
من لا يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه وتعالى بل
باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت حكمهم باستحقاقه تعالى
للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم
له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى
لعدم فهمهم لمضمون ما الحمهم والقمهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم ببطلان
حكمهم وعدم تأثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اي ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم

إلا ظنا واهيا من غير التفات إلى فرد من أفراد العلم فضلا عن أن يسلكوا مسالك الأدلة الصحيحة الهادية
إلى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من الأحكام
الباطلة فيحصل التبكيت والإلزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد
ولما لا يقارنه وبالقصر ما أشير إليه من أن لا يكون لهم في أثناء ذلك اتباع لفرد من أفراد العلم والالتفات إليه ووجه
تخصيص هذا الاتباع بأكثرهم الإشعار بأن بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك
لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة إليهم التأثر من البرهان المذبور وإن لم يظهروه وكونهم أشد
كفرا وأكثر عذابا من الفريق الأول لا يقدح فيما نحن فيه من تخوي الكلام عرفا من كون أولئك أسوأ حالا من غيرهم إذ
المعتبر سوء الحال من حيث الفهم والإدراك لا من حيث الكفر والعذاب أو وما يتبع أكثرهم مدة عمرهم إلا ظنا ولا يتركونه
أبدا فإن حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع هو الإذعان والانقياد
والقصر باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع بأكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك التلويح
بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتي هذا وقد قيل المعنى وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله تعالى
إلا ظنا غير مستند إلى برهان وقيل وما يتبع أكثرهم في قولهم للأصنام إنها آلهة إلا الظن والمراد بالأكثر الجميع
وقيل الضمير في أكثرهم للناس فلا حاجة إلى التكلف إن الظن لا يغني من الحق من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح
المطابق للواقع شيئا من الإغناء ويجوز أن يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استئناف لبيان شأن
الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الأصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد إن الله عليم بما يفعلون
وعيد لهم على أفعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الإعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون
الفاسدة اندراجا أوليا وقرئ تفعلون بالالتفات إلى الخطاب لتشديد الوعيد وما كان هذا القرآن شروع
في بيان ردهم للقرآن الكريم إثر بيان ردهم للأدلة العقلية المندرجة في تضاعيفه أي وما صح وما استقام أن
يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية
التوحيد وبطلان الشرك أن يفترى من دون الله أي افتراء من الخلق أي مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة
ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الإلهية المشهود على صدقها أي مصدقا لها كيف وهو لكونه معجزا
دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بأنه خبر لكان مقدرا وتجوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن أنزله
الله تصديق الخ وقرئ بالرفع على تقدير المبتدأ أي ولكن هو تصديق الخ وتفصيل الكتاب عطف عليه نصبا و
رفعا أي وتفصيل ما كتب وأثبت من الحقائق والشرائع لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك أي
منتفيا عنه الريب أو حال من الكتاب وإن كان مضافا إليه فإنه مفعول في المعنى أو استئناف لا محل له من الإعراب
من رب العالمين خبر آخر أي كائنا من رب العالمين أو متعلق بتصديق أو تفصيل أو بالفعل المعلل بهما ولا ريب
فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك فيه كريم أو حال من الكتاب أو من الضمير في فيه ومساق الآية الكريمة بعد
المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه أم يقولون افتراه أي بل أيقولون افتراه محمد عليه السلام والهمزة لإنكار
الواقع واستبعاده قل تبكيتا لهم وإظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة إن كان الأمر كما تقولون فأتوا بسورة مثله
أي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فإنكم مثلي في العربية والفصاحة وأشد تمرنا
مني في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الإضافة أي بسورة كتاب مثله وادعوا للمظاهرة والمعاونة
من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون أنها ممدة لكم في المهمات والملمات ومداركم الذين
تلجأون إلى آرائهم في كل ما تأتون وما تذرون من دون الله متعلق بادعوا ودون جار مجرى أداة الاستثناء
وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله أي ادعوا سواه تعالى من استطعتم من خلقه فإنه
لا يقدر عليه وإخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة والمشاقة

لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فإن ذلك يوهم أنهم لو دعوه تعالى لأجابهم إليه إن كنتم صادقين
أي في أني افتريته فإن ذلك مستلزم لإمكان الإتيان بمثله وهو أيضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب
محذوف لدلالة المذكور عليه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه إضراب وانتقال عن إظهار بطلان ما
قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي إلى إظهاره ببيان أنه كلام ناشئ عن عدم علمهم بشأنه الجليل فالعبارة عن كله
لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فإنه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله أي
سارعوا إلى تكذيبه آثر ذي أثير من غير أن يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة
على كونه كما وصف آنفا ويعلموا أنه ليس مما يمكن أن يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما
لم يحيطوا بعلمه دون أن يقال بل كذبوا به من غير أن يحيطوا بعلمه أو نحو ذلك للإيذان بكمال جهلهم به
وأنهم لم يعلموه إلا بعنوان عدم العلم وبأن تكذيبهم به إنما هو بسبب عدم علمهم به لما أن إدارة الحكم على
الموصول مشعرة بعلية ما في حيز الصلة له ولما يأتهم تأويله عطف على الصلة أو حال من الموصول أي
ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ أذهانهم معانيه الرائقة المنبئة على علو شأنه والتعبير عن ذلك بإتيان
التأويل للإشعار بأن تأويله متوجه إلى الأذهان منساقا إليها بنفسه أو لم يأتهم بعد تأويل ما فيه
من الإخبار بالغيوب حتى يتبين أنه صدق أم كذب والمعنى أن القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن
جهة الإخبار بالغيب وهم قد فاجؤوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه أو ينتظروا وقوع ما أخبر به
من الأمور المستقبلة ونفي إتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الإحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيد
الذم وتشديد التشنيع فإن الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع إتيانه أفحش منها في تكذيبه قبل علمه
مطلقا والمعنى أنه كان يجب عليهم أن يتوقفوا إلى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا وأما أن المتوقع قد وقع
بعد وأنهم استمروا عند ذلك أيضا على ما هم عليه أولا فلا تعرض له ههنا والاستشهاد عليه بعد انقطاع
الذم أو ادعاء أن قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر ناشئ من عدم التدبر فتدبر كيف وهم لم يقولوه بعد
بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدي الوارد في سورة البقرة يرده أنها مدنية وهذه مكية وإنما الذي
يدل عليه ما يتلى عليك من قوله تعالى ومنهم من يؤمن ومنهم الخ كذلك إلى آخره وصفا لهم بالحق وبالأوبة
إليه من العقوبة أي مثل ذلك التكذيب المبني على بادي الرأي والمجازفة من غير تدبر وتأمل كذب الذين
من قبلهم أي فعلوا التكذيب وكذبوا ما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على أيدي أنبيائهم أو كذبوا أنبياءهم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من قبلهم من المكذبين وإنما وضع المظهر موضع المضمر للإيذان
بكون التكذيب ظلما وبعليته لإصابة ما أصابهم من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين في زمرتهم
جرما ووعيدا دخولا أوليا وقوله عز وجل ومنهم الخ وصف لحالهم بعد إتيان التأويل المتوقع إثر ما حكي عنهم
إلى المؤمن به ووصف المؤمن ضرورة امتناع الإيمان بشيء من غير علم به واشتراك الكل في التكذيب والكذب قبل
ذلك حسبما أفاده قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه أي ومن هؤلاء المكذبين من يؤمن به عند الإحاطة
بعلمه وإتيان تأويله وظهور حقيته بعدما سعوا في المعارضة وبذلوا قواهم فيها فتضاءلت دونها أو
ما شاهدوا من وقوع ما أخبر به كما أخبر به مرارا ومعنى الإيمان به إما الاعتقاد بحقيته فقط أي يصدق به
في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء هم الذين أشير بقصر اتباع الظن على أكثرهم إلى أنهم يعلمون
الحق على التفسير الأول كما أشير إليه فيما سلف وإما الإيمان الحقيقي أي سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين
أشير بالقصر المذكور على التفسير الثاني إلى أنهم سيتبعون الحق كما مر ومنهم من لا يؤمن به أي لا يصدق
به في نفسه كما لا يصدق به ظاهرا لفرط غباوته المانعة عن الإحاطة بعلمه كما ينبغي وإن كان فوق رتبة
عدم الإحاطة به أصلا أو لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون

والاوهام التي الفها فبقي على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاحاطة واتيان التأويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة بالمرة وهؤلاء هم الذين اريدوا بما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول ولا يؤمن به فيما سيأتي بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير اذعان للحق وانقياد له وربك اعلم بالمفسدين اي بكلا الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما في اصل الفساد المستدعي لاشتراكهما في الوعيد او بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين وان كذبوك اي ان اصروا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام الحجة بالتحدي فقل لي عملي ولكم عملكم اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاؤكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون تأكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم واما جمع الضمير الراجع الى الكلمة من رعاية جانب المعنى كما افرد فيما سيأتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اي ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءة القرآن وتعليم الشرائع افانت تسمع الصم الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما لترتيب الاسماع على الاستماع كما هو رأي سيبويه والجمهور على ان يجعل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر في موضعه بل لانكار ترتبه عليه حسبما هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لادائه الى اختلال المعنى لانه اما صلة او صفة واياما كان فالعطف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا ريب في فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى النظم كانه قيل ايستمعون اليك فانت تسمعهم لا انكار الاستماع فانه امر محقق بل انكار لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل بقوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون اي ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما يتفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلائل نبوتك الواضحة افانت اي أبعد ذلك انت تهديهم وانما قيل تهدي العمي ترشيحا لانكار هدايتهم وابرازا لوقوعها في معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل ولو كانوا لا يبصرون اي ولو انضم الى العدم البصر عدم البصيرة المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك هي البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق وحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة قوله تسمع الصم تهدي العمي عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها في المعنى كلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق اي افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون افانت تهدي العمي لو كانوا يبصرون اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوي فلأن يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو وان الوصليتين من التأكيد وقد مر الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره مرارا ان الله لا يظلم الناس اشارة الى ان ما حكي عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم مؤفي المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اي لا ينقصهم شيئا مما نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولوية والاخروية من مبادي ادراكاتهم واكتساب علومهم من المشاعر الظاهرة

والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشيء اصلا ولكن الناس وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة تعيين وتقرير اي لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم الرسل والكتب انفسهم يظلمون اي ينقصون ما ينقصون مما يخلون به من مبادي كمالهم وذرائع اهتدائهم وانما لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتا بالكلية وابطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل انفسهم اما تأكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير المتصل في قوله وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما مفعول ليظلمون حسبما وقع في سائر المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله سبحانه وتعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على رأي من يراه موجبا له فلعل ايثار قصر المظلومية عليهم للمبالغة في بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لما ان اقبح الامرين عند اتحاد الفاعل والمفعول واشدهما انكارا عند العقل ونفرة لذي الطبع واوجههما حقيقا بنفيه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية على ان قصر الاولى عليهم مستلزم لما يقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احد من الناس الا نفسه يلزم ان لا يظلمه الا نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احد الا نفسه فاكتفي بالقصر الاول عن الثاني مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النفي اذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار الا يرى ان قولك ما زيدا ضربت يدل على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص ومساق الآية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيمة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالآية الكريمة تذييل لما سبق ويوم يحشرهم منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات اي اذكر لهم او انذرهم يوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار اي كانهم لم يلبثوا اي شيئا قليلا منه فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول اي نحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض آثار نعمه واحكام بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال او بمن لم يلبث في البرزخ الا ذلك المقدار وفائدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون ونحو ذلك او بيان تمام الموافقة بين النشأتين في الاشكال والصور فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون قوله عز وجل يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استئنافا اي يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور اذ هم على ما عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المفضلة المغيرة للصور والاشكال والمبدلة من حال الى حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجيب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمار لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالى ما كان بطلب الحساب والجزاء او حسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والمعنى وضعوا في تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى ومعنى قوله تعالى وما كانوا مهتدين ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين الى طرقها وان كان سوء اللقاء فالخسران الهلاك والضلال اي قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة

وَاِمَّا نُرِيَنَّكَ اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة اكد الفعل بالنون اي نبصرنك بان نظهر لك
بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ اي وعدناهم من العذاب ونعجل في حيوتك فتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار اي نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار
وفي تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر اَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ قبل ذلك
فَاِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم اولا فالينا مرجعهم في الدنيا والآخرة فننجز ما
وعدناهم البتة وقيل المذكور جواب للشرط الثاني كانه قيل فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وجواب الاول محذوف
لظهوره اي فذاك ثُمَّ اللّٰهُ شَهِيدٌ عَلٰى مَا يَفْعَلُونَ من الافعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما
مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته تعالى اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال
الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد وقرئ ثم اي هناك وَلِكُلِّ اُمَّةٍ من الامم الخالية رَسُولٌ يبعث اليهم
بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق فَاِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه قُضِيَ
بَيْنَهُمْ اي بين كل امة ورسولها بِالْقِسْطِ بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين كقوله
تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج
اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر
والايمان كقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم وَيَقُولُونَ مَتٰى هٰذَا الْوَعْدُ استعجالا لما وعدوا
من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام
كما في سورة الملك اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اي فأته يأتينا والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على ما تقدم حسبما حذف في
مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان بعجلة كانه قيل ائتنا
بعجلة ان كنتم صادقين ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم قُلْ لَا اَمْلِكُ لِنَفْسِي
ضَرًّا وَلَا نَفْعًا اي لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق النظم لاظهار العجز واما
ذكر النفع فلتوسيع الدائرة تكملة للعجز وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار باهميته والمقام مقامه والمعنى
اني لا املك شيئا من شؤوني ردا وايرادا مع ان ذلك اقرب حصولا فكيف املك شؤونكم حتى اتسبب في اتيان
عذابكم الموعود اِلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال على معنى الا ما
شاء الله ان املكه يأباه مقام التبري عن ان يكون له عليه السلام دخل في اتيان الوعد فان ذلك يستدعي بيان كون المتنازع
فيه مما لا يشاء الله ان يملكه عليه السلام وجعل ما عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة
الى العباد على ان يكون المعنى لا املك لنفسي شيئا من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين
على افعالي الاختيارية كالضر والنفع المترتبين على الاكل والشرب عدما ووجودا تعسف ظاهر وقوله تعالى لِكُلِّ
اُمَّةٍ اَجَلٌ بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد لما في القضاء السابق من الاطلاق المشعر بكون المقضي به امرا منجزا غير
متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب الامة اي لكل امة ممن قضي بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى
الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله اِذَا جَاءَ اَجَلُهُمْ ان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى
مجيئه ظاهر وان اريد به ما امتد اليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه والضمير
ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة
لاجلها الخاص بها ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه
قيل اذا جاءهم آجالهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر
فالاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اي اذا جاءها اجلها الخاص
بها فَلَا يَسْتَاْخِرُونَ عن ذلك الاجل سَاعَةً اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي

لا يتأخرون عنه اصلا وصيغة الاستقبال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ اي لا يتقدمون
عليه وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع كونه في نفسه كالتأخر للمبالغة في انتفاء التأخر
بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وتعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له راسا قد نظم
في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساويهما وتأكيدا لعدم التوبة وعدمها بالمرة وقد جوز
ان يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس في تقييد عدم
الاستئخار بدنوه مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستئخار على بيان انتفاء الاستقدام لان المقصود الاهم بيان
عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتأخر واما ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون
من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم
يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر هنالك قُلْ لهم غب ما بينت
كيفية جريان سنة الله عز وجل فيما بين الامم على الاطلاق ونبهتهم على ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا على مجيء
اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا منزلة اتيانه حقيقة اَرَاَيْتُمْ اي اخبروني اِنْ اَتٰيكُمْ عَذَابُهُ الذي
تستعجلون به بَيَاتًا اي وقت بيات واشتغال بالنوم اَوْ نَهَارًا اي عند اشتغالكم بمشاغلكم حسبما عين لكم
من الاجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما عين لسائر الامم المهلكة وقوله عز وجل مَاذَا يَسْتَعْجِلُ
مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ جواب للشرط بحذف الفاء كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمني والمجرمون موضوع موضع الضمير
لتأكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله
والجملة الشرطية متعلقة بارايتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى اي شيء تستعجلون منه سبحانه
والشيء لا يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله
في الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير
اليه وهذا الانكار بمنزلة النهي في قوله عز وجل اتى امر الله فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك صريح
وههنا ضمني كما في قول من قال لغريمه الذي يتقاضاه حقه ارأيت ان اعطيتك حقك فماذا تطلب مني يريد المبالغة
في انكار التقاضي بطلبه بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله عز وجل اَثُمَّ
اِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ [illegible]
[illegible]
[illegible]
نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا [illegible] متعلق بارايتم وجواب الشرط
محذوف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
حركتها على اللام [illegible] وقوله تعالى وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ اي تكذيبا واستهزاء [illegible]

لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون
القصر وقوله تعالى ثم قيل الخ تأكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل آلآن
للذين ظلموا اي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك
ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم ذوقوا عذاب الخلد
المؤلم على الدوام هل تجزون اليوم الا بما كنتم تكسبون في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مر
من الاستعجال ويستنبئونك اي يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزاء والانكار أحق هو خبر قدم على المبتدأ
الذي هو الضمير للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى انه لحق او مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موضع
النصب بيستنبئونك وقرئ آلحق هو تعريضا بانه باطل كانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق قل
لهم بما بينت كيفية جريان سنة الله عز وجل فيما بين الامم على الاطلاق ونبهتم على ان عذابه امر مقرر محتوم لا يتو
الا على مجيء اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة أرأيتم اي اخبروني ان اتاكم
عذابه الذي تستعجلون به بياتا اي وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا اي عند اشتغالكم بمشاغلكم حسبما
ليخرج بمعين الى استهزائهم منغصا عما قصدوا وبانيا للامر على اساس الحكمة اي وربي اي من حروف الايجاب بمعنى
نعم في القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواوه انه اي العذاب الموعود لحق
لثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التأكيد حسب شدة انكارهم وقوته وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله تعالى
وما انتم بمعجزين اي بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو اما معطوف على جواب القسم او
مستأنف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك والتعدي على الغير او
ذلك من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا ما في الارض اي ما في الدنيا من خزائنها واموالها
ومنافعها قاطبة لو كانت لها لافتدت به اي جعلته فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه واسروا اي النفوس
المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم في صورة الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون
الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الارض لكل
واحدة من النفوس وايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص او لتغليب ذكور مدلوله على اناثه الندامة
على ما فعلوا من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا
لما رأوا العذاب اي عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على ان ينطقوا
بشيء فلما بمعنى حين منصوب باسروا او حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسر رؤساؤهم ممن
اضلوا حياء منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شيء غير خوف العذاب وقيل اسروا الندامة
اخلصوها لان اسرار الشيء اخلاصه او لان سر الشيء خالصه حيث يخفى ويضن به ففيه تهكم بهم وقيل اظهروا الندامة
من قولهم اسر الشيء واسره اذا اظهره حين عيل صبره وفني تجلده وقضي بينهم اي اوقع القضاء بين الظالمين
من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم بان اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد
من الباطل وعومل اهل كل منهما بما يليق به بالقسط بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء
على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير ان يتعرض لحال المشركين وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام
فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك او عاما يدخل فيه دخولا اوليا وهم اي الظالمون لا يظلمون
فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية الا ان لله ما في السموات والارض
اي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء وهو
تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء
ايجادا واعداما واثابة وعقابا الا ان وعد الله اظهار الاسم الجليل لتفخيم شأن الوعد وللاشعار

بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود اي جميع ما وعد به كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه
وما ذكر في اثناء بيان حاله اندراجا اوليا او بمعناه المصدري اي وعده بجميع ما ذكر فمعنى قوله
حق على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق
للتسجيل على تحقق مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره
والمحافظة عليه ولكن اكثرهم لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعتادة
لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل لاحد في ذلك
واليه ترجعون في الآخرة بالبعث والحشر يا ايها الناس التفات ورجوع الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم
الى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما يتلى عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وايذانا
بان جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم قد جاءتكم موعظة هي والوعظ والعظة التذكير بالعواقب
سواء كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب وكلمة من في قوله تعالى من ربكم ابتدائية متعلقة بجاءتكم
او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اي موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية
من حسن الموقع ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي كتاب جامع لهذه الفوائد
والمنافع فانه كاشف عن احوال الاعمال حسناتها وسيئاتها مرغب في الاولى ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف
الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء القلبية كالجهل والشرك والشك والنفاق وغيرها من العقائد
الزائغة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس وفي رحمته
رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا
الى درجات الجنان والتنكير في الكل للتفخيم قل تلوين للخطاب وتوجيه له للرسول صلى الله عليه وسلم ليأمر
الناس بان يغتنموا ما في مجيء القرآن العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته المراد بهما اما ما في
القرآن من الفضل والرحمة واما الجنس وهما داخلان فيه دخولا اوليا والباء متعلقة بمحذوف واصل
الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في برحمته للايذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم
الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته
فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتأكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثاني عليه والفاء الاولى
جزائية والثانية للدلالة على السببية والاصل ان فرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا لا بشيء آخر ثم ادخل الفاء
للدلالة على السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى
ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يتعلق الباء بجاءتكم
اي جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا وقرأ أبي فافرحوا
وعن أبي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام
وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه هو اي ما ذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام
الدنيا وقرئ تجمعون اي فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعون ايها المخاطبون قل ارأيتم اخبروني
ما انزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق ما
حل لهم وجعله منزلا لانه مقدر في السماء محصل بها او ما يتوقف عليه وجودا او بقاء باسباب سماوية
من المطر والكواكب للانضاج والتلوين فجعلتم منه اي جعلتم بعضه حراما اي حكمتم بانه حرام وحلالا
اي وجعلتم بعضه حلالا اي حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه انعام وحرث حجر الآية وقولهم
ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور اثر الجهل
فيه ودوران التوبيخ عليه قل تكرير لتأكيد الامر بالاستخبار اي اخبروني آلله اذن لكم في ذلك الجعل فانتم

فيه ممتثلون بأمره تعالى أم على الله تفترون أم متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق
الأخير قطعا كأنه قيل أم لم يأذن لكم بل تفترون عليه سبحانه فأظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة
على كمال قبح افترائهم وتأكيدا للتبكيت إثر تأكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز أن يكون الاستفهام للإنكار
وأم المنقطعة ومعنى بل فيها الإضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بإنكار الإذن إلى ما فيه من التوبيخ
على الافتراء عليه سبحانه وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز أن يكون للقصر كأنه قيل بل أعلى الله
تعالى خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول
ما سيلقونه غير داخل تحت القول المأمور به والتعبير عنهم بالموصول في موقع الإضمار لقطع احتمال الشق الأول
من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع أن الافتراء لا يكون إلا كذبا لإظهار كمال قبح ما افتعلوا
وكونه كذبا في اعتقادهم أيضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبره ومفعولاه محذوفان وقوله
عز وجل يوم القيمة ظرف لنفس الظن أي أي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الأفعال والأقوال والمجازاة عليها
بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الأمور
التي ستقع يوم القيمة تنزيلا له لما فيه من الأحوال لكمال وضوح أمره في التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم
أي أي شيء ظنهم لما سيقع يوم القيمة أيحسبون أنهم لا يسألون عن افترائهم أو لا يجازون عليه أو يجازون
جزاء يسيرا ولأجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا إنهم لفي أشد العذاب لأن معصيتهم أشد المعاصي ومن أظلم
ممن افترى على الله كذبا وقرئ على لفظ الماضي أي أي ظن ظنوا يوم القيمة وإيراد صيغة الماضي لأنه
كائن فكأنه قد كان إن الله لذو فضل أي عظيم لا يكتنه كنهه على الناس أي جميعا حيث أنعم عليهم بالعقل
المميز بين الحق والباطل والحسن والقبح ورحمهم بإنزال الكتب وإرسال الرسل وبين لهم الأسرار التي لا تستقل
العقول في إدراكها وأرشدهم إلى ما يهمهم من أمر المعاش والمعاد ولكن أكثرهم لا يشكرون تلك النعمة
الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم إلى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع
فيما لا يدرك إلا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيمة فلا يلتفتون إليه فيفعلون فيما يفعلون ويذرون
المستوجب لما سيلقونه وما تكون في شأن أي في أمر من شأنت شأنه أي قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول
وما تتلو منه الضمير للشأن والظرف صفة لمصدر محذوف أي تلاوة كائنة من الشأن إذ هي معظم شؤونه
عليه السلام أو للتنزيل والإضمار قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية أو تبعيضية أو لله عز وجل ومن ابتدائية
والتي في قوله تعالى من قرآن مزيدة لتأكيد النفي أو ابتدائية على الوجه الأول وبيانية أو تبعيضية على الثاني
والثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب إثر تخصيصه مبتديا بالكل وقد روعي في كل من المقامين ما يليق به
حيث ذكر أولا من الأعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير إلا كنا عليكم شهودا
استثناء مفرغ من أعم أحوال المخاطبين بالأفعال الثلاثة أي ما تلابسون بشيء منها في حال من الأحوال إلا حال
كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له إذ تفيضون فيه أي تخوضون وتندفعون فيه وأصل الإفاضة
الاندفاع بكثرة أو بقوة وحيث أريد بالأفعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي
أيضا أوثر في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة إذ التي تفيد المضارع معنى الماضي وما يعزب
عن ربك أي لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الإشعار باللطف ما لا يخفى
وقرئ بكسر الزاي من مثقال ذرة كلمة من مزيدة لتأكيد النفي أي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة
صغيرة أو هباء في الأرض ولا في السماء أي في دائرة الوجود والإمكان فإن العامة لا تعرف سواهما ممكنا
ليس فيهما أو متعلقا بهما وتقديم الأرض لأن الكلام في حال أهلها والمقصود إقامة البرهان على إحاطة
علمه تعالى بتفاصيلها وقوله تعالى ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر

لما قبله ولا نافية للجنس وأصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة
وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف أو على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كأنه قيل لا يعزب
عن ربك شيء ما لكن جميع الأشياء في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز أن يكون الاستثناء متصلا
ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تعالى شيء إلا وهو في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين
اللوح المحفوظ ألا إن أولياء الله بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لأعمال المؤمنين وغاية
لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه السلام وأمته في كل ما يأتون وما يذرون وإحاطة
علمه سبحانه بجميع ما في السماء والأرض وكون الكل مثبتا في الكتاب المبين بعدما أشير إلى فظاعة حال
المفترين على الله تعالى يوم القيمة وما سيعتريهم من الهول إشارة إجمالية على طريق التهديد والوعيد
وصدرت الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة القريب والمراد بأولياء الله
تعالى خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم لا خوف عليهم في الدارين
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنهم يعتريهم لكنهم لا يخافون
ولا يحزنون ولا أنه لا يعتريهم خوف وحزن أصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار
الخوف والخشية استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته واستقصارا للجد والسعي في إقامة حقوق
العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه
كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار
والدوام بحسب المقام وإنما لا يعتريهم ذلك لأن مقصدهم ليس إلا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع
للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة إليه تعالى
وأما ما عدا ذلك من الأمور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك
مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها أو يحزنوا بفوات نافعها وقوله عز وجل الذين
آمنوا أي بكل ما جاء من عند الله تعالى وكانوا يتقون أي يتقون أنفسهم عما يحق وقايتها عنه من الأفعال
والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
الموصول الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف
كأنه قيل من أولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى المفضيين
إلى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب أو الرفع على المدح أو على أنه وصف مادح للأولياء ولا يقدح
في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها
الإيمان أيضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك أعني تنزه الإنسان عن كل ما يشغل سره
عن الحق والتبتل إليه بالكلية وهي التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي عليه يدور إطلاق الاسم عليه وهكذا كان
حال من دخل معه تحت الخطاب في قوله تعالى ولا تعملون من عمل الآية على أن لهم في شأن التبتل
والتنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات استعدادات أهلها الفائضة عليهم بموجب المشية المبنية
على الحكم الأبية أقصاها ما انتهى إليه همم الأنبياء عليهم السلام حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة
والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الأشباح عن الاستغراق في عالم الأرواح ولم تصدهم الملابسة
بمصالح الخلق عن التبتل إلى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية
فلا كمال ولاية بهذا التقوى المذكور فأولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قيل
من أنهم الذين تولى الله هداهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبوديته

ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله برؤيتهم لما روي عن سعد بن جبير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم اي بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل
من انهم المتحابون في الله تعالى لما روي عن عمر رض انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من
عباد الله تعالى لعبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله
تعالى قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام
منهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس و
لا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة المذكرة لله تعالى والتحاب في الله
تعالى من الاحكام الدينوية اللازمة للايمان والتقوى والآثار الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص بالذكر
لظهورها وقربها من افهام الناس قد اورد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام
الارشاد والتذكير ترغيبا للسائلين او غيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر هنا من احكامهما لعل الحاضرين
او لانهم كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك والحاضرين ثانيا مفتقرين
الى تاليف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة النسب والقرابة وتاكيد ما بينهم
من الاخوة الدينية ببيان عظم شانها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها ويحترموا من لا يوافقهم
في الدين من ارحامهم واما ما ذكر من انه يغبطهم الانبياء فمسوق لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي
وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه تعالى وقوله عز
وعلا **لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة** تفسيرا لتوليه اياهم ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير
في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات عليها وتبشيرهم بآثارها ونتائجها
بل مخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم وجوده سببه والقيد المذكور
ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم
ويستبشروا بمحاسن آثارها بل التوالي بالكرامة بعين الولاية فاعتباره في عنوان الموضوع ثم الاخبار بعدم
الخوف والحزن مما لا يليق بشان التنزيل الجليل والذي يقتضيه نظمه الكريم ان الاول تفسير للاولياء حسبما
شرح والثاني بيان لما اولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما والجملة مستانفة
كما سبق كانه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية
سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل
ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان بين بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة
الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتبشير الاولياء مع الايذان بان انتفاء الخوف والحزن لاتقائهم عما يؤدي
اليهما من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك
والآجلة الغنية عن البيان وايثاره للابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع
الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اي لهم البشرى حال كونها في الحيوة الدنيا وحال كونها في الآخرة
اي عاجلة وآجلة او من الضمير المجرور اي حال كونهم في الحيوة الدنيا ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن
والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابي ذر رض قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام
تلك عاجل بشرى المؤمنين هذا وقيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى في الدنيا فهي
البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا
الصالحة يراها المؤمن او ترى له وعنه عم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت

وبيان انجائهم

تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى
في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف
بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات فيكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة
المطلوبة لذاتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يساعده
جلالة شان التنزيل الكريم **لا تبديل لكلمات الله** لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة ببشارة
المؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا اوليا ويثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا
وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين
نتائجها الدنيوية والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دلت عليه [illegible] الوعد من الله
تعالى لهم بالبشرى فتنبه **ذلك** اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين **هو الفوز العظيم** الذي لا فوز وراءه
وفيه تقرير لما [illegible] والجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه
ان يكون بعده كلام متصل بما قبله او منه تذييل والسابقة اعتراض **ولا يحزنك قولهم** تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة من مقالاتهم الموحشة وتبشير له بانه عز وجل
ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من
احزن وهو في الحقيقة نهي له عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير امرك
وابطال امرك وسائر ما يتفوهون به في شانك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه عليه السلام
عن الحزن لما ان النهي عن التاثر نهي عن التاثر باصله ونفي له بالمرة وقد توجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي
عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وتخصيص النهي عن الحزن بالايراد مع شمول النفي السابق للخوف ايضا
لما انه لم يكن فيه عم شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه في بعض الاوقات نوع الحزن فسلي عن ذلك
وقوله تعالى **ان العزة** تعليل للنهي على طريقة الاستئناف اي الغلبة والقهر **لله جميعا** اي في ملكته وسلطانه
لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهي من جملة
البشارات العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح التعليل اي لان العزة لله **هو السميع العليم** يسمع ما يقولون
في حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك **الا ان لله من في السموات ومن في الارض**
اي العقلاء من الملائكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم
مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكته فما عداهم من الموجودات
اولى بذلك فهو مع ما فيه من التاكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسكونه عم وعدم مبالاته
بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله تعالى **وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء** وبرهان
على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف
لظهوره اي شركاء في الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالته على الآخر ويجوز ان يكون المذكور
مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تعالى **ان يتبعون الا الظن** اي ما يتبعون يقينا
انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله
شركاء اي وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم
وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاءهم معبودين مع كونهم عبيدا له واما استفهامية اي اي شيء يتبعون اي
لا يتبعون شيئا ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون الا اسماء سميتموها وقرئ تدعون
بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه قيل واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين
تقريرا لكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تعالى اولئك الذين يدعون

من قوله تعالى من في السموات ومن في الارض

كالاصنام والملائكة

كالملائكة وعيسى وعزير

يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركين الا الظن
وما يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه
ويحزرون ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير
لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه والجعل
ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فلكم مفعوله الثاني او هو حال كما في الوجه الاول والمفعول
الثاني لتسكنوا فيه وهو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية منها
محذوفة اعتمادا على ما في الاولى والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا
فيه لمصالحكم كما سيجيء نظيره في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له وان يردك بخير فلا راد
لفضله الاية فحذف في كل واحد من الجانبين ما ذكر في الاخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار
الى النهار مجازي كالذي في نهاره صائم ان في ذلك اي في جعل كل منهما كما وصف او فيهما وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته لايات اي عجيبة كثيرة او آيات اخر غير ما ذكر
لقوم يسمعون اي هذه الايات المتلوة ونظائرها المنبهة على تلك الايات التكوينية الامرة بالتأمل فيها سماع
تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الايات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لما انهم المنتفعون بها
قالوا شروع في ذكر ضرب آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه وتقديس
له عما نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغني عن على الاطلاق وعن كل شيء في كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه
وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة وقوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض اي من العقلاء
وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى ان عندكم من سلطان بهذا اي حجة
بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان الساطع عن المعارض فمن زائدة
لتأكيد النفي وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل الظرف لاعتماده على النفي وبهذا متعلق اما بسلطان
لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة له واما بما في عندكم من معنى الاستقرار كما قيل ان عندكم
في هذا القول من سلطان ولا التفات الى الخطاب لمزيد المبالغة في الالزام والافحام ولتأكيد ما في قوله تعالى اتقولون
على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهي
جهالة وان العقائد لا بد لها من برهان قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد به قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم ان الذين يفترون على الله الكذب
في كل امر فيدخل فيه ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه دخولا اوليا لا يفلحون
اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص عدم النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة
من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسبه مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه متاع في الدنيا
كلام مستأنف مسوق لبيان ان ما يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الاطلاق
او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح كأنه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع
يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة عن المكروه ايضا بقوله عز وعلا ثم الينا مرجعهم
اي بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم
المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح وقيل المبتدأ المحذوف حياتهم او تقلبهم وقد قيل انه افتراؤهم ولا يخفى
ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداد
به لسرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وعل

لا فوزا بالمرام ولا انجاء عن المحذور

كذلك

كذلك باعتبار اجراء حكم ما يؤدي اليه من رياستهم عليه مما لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا وليس ببعيد ان يقال
ان المحذوف هو الخبر اي لهم متاع والاية اما مسوقة من جهة الله سبحانه لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام
المأمور به كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى ثم الينا وقوله تعالى ثم نذيقهم واما داخلة فيه على ان النبي صلى الله
عليه وسلم مأمور بنقله وحكايته عنه عز وجل واتل عليهم اي على المشركين من اهل مكة
وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما يتمتعون به على جناح الفوات وانهم مشرفون على العذاب
الخالد نبأ نوح اي خبره الذي له شأن وخطر مع قومه الذين هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا
ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه
من الكفر او تنكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان يعرفوا ان ما تتلوه موافق لما ثبت عندهم
من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد ليس الا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق
من كون الكل لله سبحانه واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن من اوليائه عز وعلا قاطبة
وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم وباقوالهم وبافعالهم ما لا يخفى اذ قال
معمول لنبأ او بدل منه بدل اشتمال وايا ما كان فالمراد بعض نبائه عليه السلام لا كل ما جرى بينه وبين قومه
واللام في قوله تعالى لقومه للتبليغ يا قوم ان كان كبر اي عظم وشق عليكم مقامي اي نفسي كما يقال
فعلته لمكان فلان اي لفلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي خافه او قيامي ومكثي بين اظهركم
مدة طويلة او قيامي وتذكيري بايات الله فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم ويعظونهم
ليظهر حالهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب الشرط اي دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز
ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل فاجمعوا امركم عطف على الجواب والفاء لترتيب الامر
بالاجماع على التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه اذ هو الجواب وما سبق جملة اعتراضية والاجماع العزم
قيل هو متعد بنفسه وقيل فيه حذف وايصال قال السدوسي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه
وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا واخرى افعل كذا
واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا وشركاءكم بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل
عليه القراءة بالرفع عطفا على المتصل تنزيلا للفصل منزلة التأكيد واسناد الاجماع الى الشركاء
للتهكم وقيل انه عطف على امركم بحذف المضاف اي امر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف اي وادعوا
شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع اي فاعزموا على امركم الذي تريدون بي من السعي
في اهلاكي واحتشدوا فيه على اي وجه يمكنكم ثم لا يكن امركم ذلك عليكم غمة اي مستورا
من غمه اذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فان الستر انما يصار اليه لسد باب تدارك الخلاص
بالهرب ونحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهارا
لعدم المبالاة بهم وانهم لن يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلاءته فكلمة
ثم للتراخي في الرتبة واظهار الامر في موقع الاضمار لزيادة تقرير لما تقتضيه مقام الامر بالاظهار والذي يستلزمه
النهي عن الستر والاسرار وقيل المراد بامرهم ما يعتريهم من جهته عليه السلام من الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم
والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا باهلاكي من ثقل مقامي
وتذكيري ولا يخفى انه لا يساعده قوله عز وجل ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي ادوا الي اي احكموا
ذلك الامر الذي تريدون بي ولا تمهلوني كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم
عندكم من اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه فان توسيط ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر بالعزم على مباديه وبين
الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم وابرزوا الي من افضى

اذا خرج الى الفضاء **فان توليتم** الفاء لترتيب التولي على ما سبق فالمراد به اما الاستمرار عليه واما احداث
التولي المخصوص اي اعرضتم عن نصيحتي وتذكيري اثر ما شاهدتم مني مخايل صحة ما اقول ودلائلها التي من جملتها
دعوتي اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدونه بي من السوء غير مبال بكم وعدم مبالاتي بكم واحجامكم من الاجابة علما
منكم باني على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز **فما سألتكم** بمقابلة وعظي وتذكيري **من اجر** تؤدونه الي حتى
يؤدي ذلك الى توليكم اما لاتهامكم اياي بالطمع والسؤال واما لثقل دفع المسؤول عليكم او حتى يضرني توليكم
المؤدي الى الحرمان فالاول لاظهار بطلان التولي ببيان عدم ما يصححه والثاني لاظهار عدم مبالاته عليه السلام
بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفاء الجزائية لسببية الشرط للاعلام بمضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم
فاعلموا ان ليس بي مصحح له ولا تأثير منه وقوله عز وجل **ان اجري الا على الله** ينتظم المعنيين جميعا خلا انه على
الاول تأكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عنهم اي ما ثوابي على العظة والتذكير الا على الله تعالى يثيبني به
آمنتم او توليتم **وامرت ان اكون من المسلمين** المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره او المستسلمين لكل
ما يصيب من البلاء في طاعة الله تعالى **فكذبوه** فاصروا على ما هم عليه من التكذيب بعدما الزمهم الحجة وبين لهم
المحجة وحقق ان توليهم ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب **فنجيناه ومن معه في الفلك**
من المسلمين وكانوا ثمانين **وجعلناهم خلائف** من الهالكين **واغرقنا الذين كذبوا باياتنا** اي بالطوفان
وتأخير ذكره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع في قوله عز وعلا ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين
آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الآيات الكريمة لاظهار كمال العناية بشأن
المقدم ولتعجيل المسرة للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو
من مستتبعات جرائم المجرمين **فانظر كيف كان عاقبة المنذرين** تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول
صلى الله عليه وسلم وتسلية له عليه السلام **ثم بعثنا** اي ارسلنا **من بعده** اي من بعد نوح عليه السلام
رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اي رسلا كراما ذوي عدد كثير **الى قومهم** اي الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا
كل رسول منهم الى اقوام الكل او الى قوم ما اي قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح
الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص **فجاؤهم** اي جاء كل رسول قومه المخصوص به **بالبينات** اي المعجزات
الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل المذكور على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا
من ضمير جاؤوا اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة
له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي فيما بين ضميري جاؤوهم كما اشير اليه **فما كانوا**
ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم كما مر مثله في هذه السورة الكريمة غير
مرة اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم
لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد ثم ان كان المحكي آخر حال كل قوم حسبما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد
بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه في قوله عز وجل **بما كذبوا به من قبل**
تكذيبهم من حين مجيء الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول حيث
جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد تواتر
البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والمفعول
الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها
وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الخ وبما اشير اليه
تكذيبهم آخر قبيل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل
قاطبة ودعوا اممهم اليها آثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم

قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من اولئك الاقوام
يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح فيكذبونها ثم كانت حالتهم
بعد مجيء الرسل كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول
لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به
بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب والعقاب عند اجتماع
التكذيبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمائر متوافقة في المرجع وقيل ضمير
كذبوا راجع الى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل
الباء للسببية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدي الى مخالفة
الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج ليرجع اليها الضمير وفي ارجاعه
الى الحق بادعاء كونه مركوزا في الاذهان ما لا يخفى من التعسف **كذلك** اي مثل ذلك الطبع المحكم **نطبع** بنون العظمة
وقرئ بالياء على ان الضمير لله سبحانه **على قلوب المعتدين** المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد
المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الارشاد وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلال
وفي امثال هذا دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد **ثم بعثنا** عطف على قوله تعالى ثم بعثنا
من بعده رسلا الى قومهم عطف قصة على قصة **من بعدهم** اي من بعد اولئك الرسل عليهم السلام **موسى وهرون**
خصت بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف باندراجهما فيما اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عليهم
السلام مع اقوامهم واوثر في ذلك الضرب تفصيل ايذانا بخطر شأن القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عليه السلام
الى فرعون وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في اقامة المصالح والمهمات ومراجعة الكل
اليهم في النوازل والملمات **باياتنا** اي ملتبسين بها وهي الآيات المفصلات في الاعراف **فاستكبروا** الاستكبار
ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة اي فاتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول
اللعين لموسى عليه السلام ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الخ **وكانوا قوما مجرمين** اعتراض مقرر لمضمون
ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم اي الجثة
فلذلك اجترؤوا على ما اجترؤوا من الاستهانة برسالة الله عز وجل وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات
لا يساعده قوله عز وعلا **فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين** فانه صريح في ان المراد
باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذي سموه سحرا اعني العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه السياق الكريم
فذلك اول ما اظهره من الآيات العظام والفاء فيه ايضا فصيحة معربة عما صرح به في مواضع أخر كانه قيل
قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم الخ وقوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحرا او فائق في
واضح فيما بين اضرابه وقرئ لساحر **قال موسى** استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال موسى
فقيل قال على طريقة الاستفهام الانكاري التوبيخي **اتقولون للحق** الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل
لما جاءكم اي حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير تأمل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول
المذكور والمقول محذوفة ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايذانا بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو على نهج
الحكاية اي اتقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل ويتكلم به متكلم او
القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما
يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ فيستغنى عن المفعول اي اتعيبونه وتطعنون فيه

وعلى الوجهين فقوله عز وجل أسحر هذا انكار مستأنف من جهته عم لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ
لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه ايثار انكار كونه سحرا على
انكار كونه معيبا بان يقال امثل ذا فيه عيب حسبما تقتضيه ظاهر الانكار السابق التصريح بالرد عليهم
في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق على ان ليس فيه شائبة عيب ما وما في هذا من معنى
القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله
المنادية على امتناع كونه سحرا اي أسحر هذا الذي امره واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه
احد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه مصب الانكار ولما استلزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا
اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل ولا يفلح الساحرون وهو جملة حالية
من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول من قال جاء الشتاء ولست املك عدة وقوله كجاوزنا
ولم تطلع الشمس اي أتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يكون
صدوره من مثلي من المؤيدين من عند الله العزيز الحكيم الفائزين بكل مطلب الناجين عن كل محذور وقوله تعالى
أسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها اكد بها الانكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان
استحالته بالنظر الى صدوره عنه عم هذا واما تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان المعنى أجئتما بالسحر تطلبان
به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوه هو الحكم بانه سحر من غير
ان يكون فيه دلالة على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عم عن صريح ما خاطبوه الى ما لم يذكر
منه اصلا مما يجب تنزيه النظم التنزيلي عن الحمل على امثاله واما ثانيا فلان التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق
من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين باذيال بعض منهم في معارضته عم ولو كانت ذلك
من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح بمن زعموه ساحرا بناء على غلبة من يأتون به من السحرة واما ثالثا
فلان قوله عز وجل قالوا أجئتنا مسوق لبيان انه عليه السلام ألقمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان بكلام له
تعلق بكلامه عم فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج
وديدن كل معاند لجوج على انه استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عم على طريقة قوله تعالى قال موسى الخ
حسبما اشير اليه كأنه قيل فماذا قالوا لموسى عم عند ما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة أجئتنا
لتلفتنا اي لتصرفنا فان اللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا اي من عبادة الاصنام ولا ريب
في ان ذلك انما يتسنى بكون ما ذكر من تتمة كلامه عم على الوجه الذي شرح اذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم
يكون جوابه عم خاليا عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في انه لا علاقة بين قولهم
أجئتنا الخ وبين انكاره عم لما حكي عنهم مصححة لكونه جوابا عنه وتكون لكما الكبرياء اي الملك والكبر
على الناس باتباعهم وقرئ ويكون بالياء التحتانية وكلمة في قوله تعالى في الارض اي ارض مصر متعلقة
بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف وقع حالا من الكبرياء او من الضمير في
لكما لتحمله اياه وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضميرين في هذين الموضعين بعد
افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لاحدهما التصديق
للآخر واما اللفت والمجيء له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة اسند الى موسى عم خاصة وقال فرعون
توحيد الفعل لان الامر من وظائف فرعون اي قال لملائه يأمرهم بترتيب مبادي الزامهما عليهما السلام
بالفعل بعد اليأس عن الزامهما بالقول ائتوني بكل ساحر عليم بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار
فلما جاء السحرة عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم بامر فرعون كما هو شأن
الفاء الفصيحة في كل مقام اي فأتوا فلما جاؤوا قال لهم موسى لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعد ما قالوا له عم

ما حكي عنهم في السور الاخر من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك القوا ما انتم
ملقون اي ملقون له كائنا ما كان من اصناف السحر فلما القوا ما القوا من العصي والحبال واسترهبوا
الناس وجاؤوا بسحر عظيم قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما صنعوا ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت
مبتدأ والسحر خبره اي هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من آيات الله سبحانه اي هو من جنس السحر
يريهم ان حاله بين لا يخفى بعد كأنه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان يجاء به وقرئ آلسحر على الاستفهام
فما استفهامية اي اي شيء جئتم به أهو السحر الذي يعرف حاله كل احد ولا يتصدى له عاقل وقرئ ما
جئتم به سحر وقرئ ما أتيتم به سحر وكلاهما على المعنى الثاني في القراءة المشهورة اظهر ان الله سيبطله
اي سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له اثر اصلا او سيظهر بطلانه للناس والسين للتأكيد
ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل فيه السحرة دخولا اوليا او عملكم
فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلة الحكم وليس المراد بعدم
اصلاحه عدم جعل فسادهم صلاحا بل عدم اثباته واتمامه اي لا يثبته ولا يقيمه ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه
ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله والحق اعتراض تذييلي وفيه دليل على
ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق عطف على قوله تعالى سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار
الاسم الجليل في المقامين الاخيرين لالقاء الروعة وتربية المهابة بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته
ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم فما آمن لموسى معطوف على مقدر
قد فصل في مواقع اخر اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون الخ وانما لم يذكر تعويلا على ذلك وايثارا للايجاز
وايذانا بان قوله تعالى ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كون عدمه
مستمرا من قبل لما في قوله تعالى فاتبعوا امر فرعون وما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر
في ذلك ان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه بحسب العنوان فعل
جديد وصنع حادث اي فما آمن له عم بمشاهدة تلك الآيات الباهرة الا ذرية من قومه اي الا اولاد من
اولاد قومه بني اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير
لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به عم او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وامرأة خازنه وماشطته
وهو بعيد على خوف اي كائنين على خوف عظيم من فرعون وملائهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في ضمائر
العظماء ولا سيما في مقام بيان علوه في الفساد وغلوه في الشر والتسلط على العباد او لان المراد بفرعون آله كما يقال
ربيعة ومضر او للذرية او للقوم اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم
خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول لخوف فان اعمال المصدر
المنكر كثير كما في قوله عز وجل او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل
الى فرعون خاصة لانه الآمر بالتعذيب وان فرعون لعال في الارض لغالب في ارض مصر وانه لمن المسرفين
في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء
والجملتان اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم
آمنتم بالله اي صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضر
ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان
وجوب التوكل عليه تعالى فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن
اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين له عم من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا
مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم

علينا حتى يعذبونا او يفتنونا عن ديننا او ليفتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا وقوله تعالى
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم بعد الانجاء
من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعدما وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بان الداعي حقه
ان يبني دعاءه على التوكل على الله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ ان مفسرة لان في الوحي معنى
القول اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما
بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة فان موسى عم كان يصلي اليها واقيموا الصلوة
اي فيها امروا بذلك في اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصر
في الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه
رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما يفعله كل احد ثم خص البشارة
لانه وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير
وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة اي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا
وانواعا كثيرة في المال في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما رسخ احوالهم
انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت او للعلة لان ايتاء النعم على
الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا
تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم
الطمس المحق وقرئ بضم الميم اي اهلكها واشدد على قلوبهم اي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان
كما هو قضية شأنهم فلا يؤمنوا جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض
حتى يروا العذاب الاليم اي يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك قال قد اجيبت دعوتكما
يعني موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن كما يشعر به اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة
فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتماه كائن في وقته لا محالة
روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي بعادات الله سبحانه
في تعليق الامور بالحكم والمصالح او سبيل الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بالنون الخفيفة
وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر هو من جاوز
المكان اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية اي جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا
الشط وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل وليس من التجويز الذي هو بمعنى التنفيذ نحو ما وقع في قول الاعشى كما
جوز السكي في الباب فيتق ولا تقيل وجعلنا ببني اسرائيل البحر وحكاه النظم الكريم عن الايذان باتصالهم
عن البحر وبمقارنة العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو المتبوع في الفرق بين اذهبه وذهبت به فاتبعهم
نال تبعته حتى ابتعته اذا كان سبقك فلحقته اي ادركهم فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان وكاد يجتمع
الجمعان بغيا وعدوا ظلما واعتداء اي باغين وعادين او للبغي والعدوان وقرئ وعدوا وذلك ان موسى عم
خرج ببني اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع بمسيرهم تبعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وهم قد خرجوا من البحر
ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل آخرهم وهم اولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم
حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه والجأه قال آمنت انه اي بانه والضمير للشأن وقرئ انه على الاستئناف
بدلا من آمنت وتفسيرا له لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل لم يقل كما قال السحرة آمنا برب العالمين
رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته ايمان بني اسرائيل به تعالى للاشعار برجوعه عن الاستعصاء
وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة وانا من المسلمين اي الذين

اسلموا نفوسهم لله اي جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بني اسرائيل خاصة واما الجنس وهم
داخلون فيه دخولا اوليا والجملة على الاول عطف على آمنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار
وعلى الثاني تحتمل الحالية ايضا من ضمير المتكلم اي آمنت مخلصا لله منتظما في سلك الراسخين وقد كرر المعنى
الواحد بثلث عبارات حرصا على القبول المفضي الى النجاة وهيهات هيهات بعدما فات وانى له ما هو آت
وقوله عز وجل آلآن مقول القول مقدر معطوف على قال اي فقيل الآن وهو الى قوله تعالى آية حكاية لما جرى
منه سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد عليه وجه الانكار والتوبيخ على تأخيره وتعريفه
بالعصيان والافساد وغير ذلك في حذف الفعل المذكور وابراز المحكي في صورة الانشاء من الدلالة على عظم
السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما ينصح عنه ما روي من ان جبريل عم دس فاه عند ذلك بحال البحر وسده به
فانه تاكيد للرد القولي بالرد الفعلي ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه قال للنبي عليهما السلام
فلو رايتني يا محمد وانا آخذ من حال البحر وادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة الدنيوية اي النجاة
التي هي طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما في ايمان قوم يونس عم حتى يلزم من كراهته
ما لا يتصور في شأن جبريل عم من الرضاء بالكفر اذ لا استحالة في ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان
وان كان ذلك في حالة الياس واليأس فيحمل دسه عم على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد
فتدبر والله الموفق وحق العامل في الظرف ان يقدر مؤخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تأخير الايمان الى حد
يستحيل قبوله فيه اي الآن تؤمن حين يئست من الحيوة وايقنت بالممات وقوله عز وجل وقد عصيت قبل
حال من فاعل الفعل المقدر جيء به لتشديد التوبيخ والتقريع على تأخير الايمان الى هذا الآن ببيان انه
لم يكن تأخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتأمل والتدبر في دلائله وآياته ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذرا
في التأخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله تعالى وكنت من المفسدين عطف
على عصيت داخل في حيز الحال اي وكنت من الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهو عبارة عن فساده
الراجع الى نفسه والساري الى غيره من الظلم والتعدي وصد بني اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه
الخاص به فاليوم ننجيك اي نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة
تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة
ببدنك في موضع الحال من ضمير المخاطب
اي ببدنك كاملا سويا او عاريا عن الروح او بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء
بدنك كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن
وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى
حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن يأتي
بعدك من الامم اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان
الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وعلو الكبرياء وقوة السلطان مملوك مقهور بعيد عن
الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك آية
آية كسائر الآيات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك
واماطة الشبهة في امرك
ايضا في تعليل تنجيته بما ذكر ايذان بانه ليست لاعزازه ولفائدة اخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به

وتفضيحه على رؤوس الأشهاد دون ما به تقطيع حاله كمن يقتل ثم يجر جسده في الأسواق أو يدار برأسه في البلاد
واللام الأولى متعلقة بننجيك واللام الثانية بمحذوف وقع حالا من آية أي كائنة لمن خلفك وإن كثيرا
من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلي جيء به عند الحكاية
تقريرا لمحتوى الكلام المحكي ولقد بوأنا بني إسرائيل كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم إثر
نعمة الإنجاء على وجه الإجمال وإخلالهم بشكرها وإذا جعلوها أي أسكناهم وأنزلناهم بعدما أنجيناهم
وأهلكنا أعداءهم مبوأ صدق أي منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة
وتمكنوا في نواحيها حسبما نطق به قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض
ومغاربها التي باركنا فيها ورزقناهم من الطيبات أي اللذائذ فما اختلفوا في أمور دينهم حتى جاءهم
العلم أي إلا بعدما جاءهم العلم بقراءتهم التوراة وعلمهم بأحكامها أو في أمر محمد عم إلا من بعدما علموا
صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين أعقابهم الذين كانوا في عصر النبي عم إن ربك يقضي بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل بالإثابة والتعذيب فإن كنت في شك
أي في شك ما يسير على الفرض والتقدير فإن مضمون الشرطية إنما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لإمكان شيء
منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين وقوله تعالى
لئن أشركت ليحبطن عملك ونظائرهما مما أنزلنا إليك من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه وأخبار
بني إسرائيل فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك فإن ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما ألقينا
إليك والمراد إظهار نبوته عم بشهادة الأحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وإن لم يكن إليه حاجة أصلا أو
وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عم أو تهييجه عم وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين
لا تجويز صدور الشك منه عم ولذلك قال عم لا أشك ولا أسأل وقيل المراد بالموصول مؤمنوا أهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب وأضرابهم وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد أمته أو لكل من يسمع
أي إن كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا إليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على أن من خالجه شبهة في الدين ينبغي
أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم وقرئ فاسأل الذين يقرؤون الكتب لقد جاءك الحق الذي لا محيد
عنه ولا ريب في حقيته من ربك وظهر ذلك بالآيات القاطعة التي لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفي التعرض
لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عم من التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما أنت عليه
من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله من باب التهييج و
الإلهاب والمراد به إعلام أن التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغي أن ينهى عنه من لا يتصور إمكان
صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لأطماع الكفرة فتكون من الخاسرين أنفسا وأعمالا
إن الذين حقت عليهم شروع في بيان سر إصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال أي ثبتت ووجبت بمقتضى
المشيئة المبنية على الحكمة البالغة كلمة ربك حكمه وقضاؤه بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار أو كلمته
تعالى ولكن حق القول مني لأملأن جهنم الآية لا يؤمنون أبدا إذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه أي
لا يؤمنون إيمانا نافعا واقعا في أوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل عذاب فرعون
باقيا عند الموت فيدخل فيهم المرتدون ولو جاءتهم كل آية واضحة المدلول مقبولة لدى العقول لأن سبب
إيمانهم وهو تعلق إرادته تعالى به مفقود لكن فقدانه ليس لمنع منه سبحانه مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم
المتفرع على عدم استعدادهم لذلك حتى يروا العذاب الأليم كدأب آل فرعون وأضرابهم فلولا كانت كلام مسوق
لتقرير ما سبق من استحالة إيمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون
الاستثناء الآتي بيانا لكون قوم يونس عم ممن لم يحق عليه الكلمة لاهتدائهم إلى التدارك في وقته ولولا

فنفعها إيمانها

بمعنى هلا وقرئ كذلك أي فهلا كانت قرية من القرى المهلكة آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر
إيمانها إلى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه إلا قوم يونس استثناء منقطع أي لكن قوم يونس لما آمنوا
أول ما رأوا أمارة العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا بعدما أظلهم
وكاد يحل بهم ويجوز أن يكون الجملة في معنى النفي كما ينبئ عنه حرف التحضيض فيكون الاستثناء متصلا إذ المراد
بالقرى أهاليها كأنه قيل ما آمنت طائفة من الأمم العاصية فنفعهم إيمانهم إلا قوم يونس عم فيكون قوله تعالى
لما آمنوا استئنافا لبيان نفع إيمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف
العذاب عنهم إلى حين مقدر لهم في علم الله سبحانه روي أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل
فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم
يونس عم أجلكم أربعين ليلة فقالوا إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون أغامت السماء
غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا
إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها
فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات والعجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا إلى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم
وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رض بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى أن الرجل كان يقتلع
الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده إلى صاحبه وقيل خرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى
فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض
قالوا إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله ولو
شاء ربك لآمن من في الأرض تحقيق لدوران إيمان كافة المكلفين وجودا وعدما على قطب مشيئته تعالى مطلقا
إثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشيئة محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطا وكون مفعولها
مضمون الجزاء وأن لا يكون في تعلقها به غرابة كما هو المشهور أي لو شاء سبحانه إيمان من في الأرض من الثقلين لآمن
كلهم بحيث لا يشذ عنهم أحد جميعا مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة
التي بني عليها أساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على أن من شاء الله تعالى إيمانه يؤمن لا محالة أفأنت
تكره الناس على ما لم يشأ الله منهم حسبما ينبئ عنه حرف الترتيب والعطف على مقدر ينساق إليه
الكلام كأنه قيل أربك لا يشاء ذلك فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين فيكون الإنكار متوجها إلى ترتيب الإكراه
المذكور على عدم مشيئته تعالى ويجوز أن يكون الإنكار لترتب الإكراه على عدم مشيئته
[illegible]
استفهام إيذان بأن الإكراه أمر ممكن لكن الشأن في المكره من هو وما هو إلا هو وحده لا يشاركه فيه أحد لأنه
القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرهم إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه إيذان باعتبار الإلجاء والقسر
كما أشير إليه وما كان لنفس بيان لتبعية إيمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا وعدما بعد بيان الدوران الكلي
عليها وجودا وعدما أي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى أنها تؤمن أن تؤمن إلا بإذن الله
أي بتسهيله ومنحه الألطاف والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال أي ما كان لها أن تؤمن في حال من الأحوال إلا حال
كونها ملابسة بإذنه تعالى فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فإن النفوس التي علم الله تعالى أنها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى منها
عند ما لا بد من تخصيص النفس بمن ذكر ويجعل الرجس أي الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره

لكونه علما في التعجب والاستكراه وقيل هو العذاب والخذلان المؤدي اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاي
اي يجعل الكفر ويبقيه على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله
واحكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر
والضلال او مقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فيأذن لهم
بمنح الالطاف ويجعل الخ قل خطابا لاهل مكة بعد ما حثهم على التدبر في ملكوت السموات والارض وما فيهما
من تعاجيب الآيات الانفسية ليتضح لكلهم انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة انظروا اي تفكروا
وقرئ بنقل حركة الهمزة الى اللام قل ماذا في السموات والارض اي اي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة
على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب اسما واحدا مغلبا فيه الاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتدأ
خبره الظرف ويجوز ان يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر المبتدأ وعلى التقديرين
فالمبتدأ والخبر في محل النصب باسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام وما تغني اي ما تنفع وقرئ بالتذكير
الآيات وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والارض والنذر جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر او فعيل
بمعنى او على انه مصدر اي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون في علم الله سبحانه
وحكمه فما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية انكارية في موضع النصب على المصدر
اي اي اغناء تغني الى آخره فالجملة حينئذ اعتراضية فهل ينتظرون اي مشركو مكة واضرابهم الا مثل ايام الذين
خلوا اي الا يوما مثل ايام الذين خلوا من قبلهم من مشركي الامم الماضية اي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم
اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل تهديدا لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم اني معكم من المنتظرين
لذلك ثم ننجي رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه مثل ايام الذين خلوا وما بينهما
اعتراض جيء به مسارعة الى التهديد ومبالغة في التشديد للوعيد كانه قيل اهلكنا الامم ثم نجينا رسلنا المرسلة
اليهم والذين آمنوا وصيغة الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها وتأخير حكاية التنجية
عن حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الخ ونظائره الواردة في مواقع عديدة
ليتصل به قوله عز وجل كذلك اي مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض بين العامل والمعمول اي حق ذلك حقا وقيل
بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك حقا وكذلك متعلقة بقوله تعالى ننجي المؤمنين اي من كل شر
وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين اما الجنس المتناول للرسل عليهم السلام والاتباع واما
الاتباع فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه واياما كان ففيه تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان
قل لجمهور المشركين يا ايها الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية
بشأن ما بلغ اليهم ان كنتم في شك من ديني الذي اعبد الله عز وجل به وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته
فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله في وقت من الاوقات ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ثم يفعل بكم
ما يفعل من فنون العذاب اي فاعلموا انه تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها
تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد والايذان
بالخالفة من اول الامر وان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصته اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد
والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف
لتعلموا انه لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع
كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته واما القطع
بعدمها فمما لا سبيل اليه وان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا وامرت ان اكون من المؤمنين
بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل بل بالامداد السماوي

والتوفيق لا

والتوفيق لا آتي وحده فحذف الجر كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان
اكون خلا ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا ضير في ذلك لان مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر
وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف
بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك اي وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه
باداء المأمور به والانتهاء عن المنهي عنه او باستقبال القبلة في الصلوة وعدم الالتفات الى اليمين والشمال حنيفا
حال من الدين او الوجه اي مائلا عن الاديان الباطلة ولا تكونن من المشركين عطف على اقم داخل تحت
الامر اي لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله عز وجل ولا تدع عطف على قوله تعالى قل يا ايها الناس غير داخل
تحت الامر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الاول لان ما بعده من الجمل الى آخر الآيتين متسقة لا يمكن
فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لادراج الكل تحت الامر وهو تأكيد للنهي المذكور وتفصيل لما اجمل
فيه اظهارا لكمال العناية بالامر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تدع من دون الله
استقلالا ولا اشتراكا ما لا ينفعك اذا دعوته بدفع مكروه او جلب محبوب ولا يضرك اذا تركته بسلب المحبوب
دفعا ورفعا او بايقاع المكروه وتقديم النفع على الضر غني عن بيان السبب فان فعلت اي ما نهيت عنه من دعاء ما
لا ينفع ولا يضر كني به عنه تنويها لشأنه وتنبيها على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه
ولو في ضمن الجملة الشرطية فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال من [illegible] عن تبعة ما نهي عنه
وان يمسسك الله بضر تقرير لما اورد في حيز الصلة من سلب النفع من الاصنام وتصوير لاختصاصه به
سبحانه فلا كاشف له عنك كائنا من كان وما كان الا هو وحده فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق
البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا
فان رفع المكروه ادنى مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية وان يردك بخير تحقيق لسلب الضرر
الوارد في حيز الصلة اي يرد ان يصيبك بخير فلا راد لفضله الذي من جملته ما اراد بك من الخير وهو دليل
على جواب الشرط لا انه الجواب [illegible] بطريق التفضل من غير استحقاق عليه
سبحانه اي لا احد يقدر على رده كائنا ما كان فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] يصيب به من يشاء من عباده [illegible] وهو الغفور الرحيم
[illegible]
[illegible]
[illegible] قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم [illegible]
[illegible]
[illegible]
فمن اهتدى [illegible] فانما يهتدي لنفسه [illegible] ومن ضل
[illegible] فانما يضل عليها [illegible]
[illegible] وما انا

عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع اعتقادا وعملا وتبليغا ما يوحى اليك
على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد يوما فيوما وفي التعبير عن بلوغه اليهم بالمجيء والي بعليه السلام
بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التنافي واصبر على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصرة عليهم
او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر وعن رسول
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وعشرون وثلاث آيات

الر محله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه مبتدأ والاول هو الاظهر كما اشير اليه في سورة يونس عليه السلام
او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرأ على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر او لا محل
له من الاعراب مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه الاول والباقية
احكمت آياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل
الحكم البالغة ودقائقها او منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله
عز وجل او على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها او على حقية ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية
فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما
تفسيره بالمنع من الفساد اخذا من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه ايهام
ما لا يكاد يليق بشأن الآيات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجه المذكور
الى آيات الكتاب دون نفسه لاشتماله على الوجوه الشاملة لكل آية آية منه من جنس المتوقع والدلالة على
كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص
او فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي وفي التفسير بجعلها آية آية لا يساعده المقام
لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما المعنيان الاولان فهما
وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تنزل الآيات محكمة مفصلة لانها احكمت وفصلت بعد ان لم تكن
كذلك فالعطف من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات
الآيات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة وآثارا متعلقة بها وبعلائق
مصالح العباد ناسب ان يشار الى تراخي رتبتهما عن رتبة الاحكام وان حمل جعلها آية آية على معنى تفريق
بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل لتبين في مباديه التتابع ما يستتبعه من الاحكام والآثار وفرقت في
التنزيل منجمة بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون
نزولها منجما حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها حقيق بان يرتب على وصف احكامها
وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل
من لدن حكيم خبير صفة للكتاب وصف بها بعدما وصف باحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته
من حيث الذات ايذانا بجلالة شأنه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتدأ المذكور او المحذوف او صلة
للفعلين وفي بنائهما للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير
التفخيمي وربطهما به لا على النهج المعهود في اسناد الافعال الى فاعلها مع رعاية حسن الطباق من الجزالة والدلالة
على فخامتهما وكونهما على اكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه ان لا تعبدوا الا الله مفعول له حذف عنه اللام

مع فقدان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر مع ان المصدرية
كانه قيل كتاب احكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتتمحضوا في عبادته
فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات
قاطبة وقيل ان مفسرة لما في التفصيل من معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله انني لكم منه من جهة الله تعالى
نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى وبشير ابشركم بثوابه ان آمنتم به
وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شئون الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى واورد
معظم ما نزل في تلك الغاية او لاجله من التوحيد وترك الاشراك وسط بينه وبين قرينه اعني الاستغفار والتوبة
ذكر من انزل عليه ذلك الكتاب وهو مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وترشحها بالمؤيدات من الوعد والوعيد
للايذان بان التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر وليدا يجابه بالخطاب عقب الكتاب مع تلويح
بانه كما لا يتحقق في نفسه الا مقارنا للحكم برسالته صلى الله عليه وسلم كذلك في الذكر لا ينفك احدهما عن الآخر
وقد روعي في سوق الخطاب تقديم الانذار على التبشير ما روعي في الكتاب من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية
ليتجاوب اطراف الكلام ويجوز ان يكون قوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا على لسان
الرسول عليه السلام اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كانه صلى الله عليه وسلم قال ترك عبادة غير الله اي الزموا
على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا مستمرا انني لكم من جهة الله نذير وبشير او نذير انذركم من عقابه على تقدير
استمراركم على الكفر وبشير ابشركم بثوابه على تقدير تركه وتوحيده لما سبق اليه حديث التوحيد ولكن ذلك بخطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تمامه على وجه يتضمن تفصيل البشير والنذير
فقيل وان استغفروا ربكم وهو معطوف على ان لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين نهيا او نفيا والاول ان مصدرية بجواز
كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر
وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف
بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ
وقوع الامر والنهي صلة حسب ساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية
عن معنى المضي والاستقبال [illegible] ثم توبوا اليه [illegible]
والتفصيل لتمحضوا لله تعالى بالعبادة [illegible]
[illegible]
[illegible] يمتعكم متاعا حسنا [illegible]
[illegible] الى اجل مسمى [illegible]
[illegible] ويؤت كل ذي فضل فضله [illegible]
[illegible] وان تولوا [illegible]

وإنما أخر البشارة جرياً على سنن تقدم الرحمة على الغضب لأن العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد
والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وإن تولوا أي تتولوا من أولى فإني أخاف عليكم بموجب الشفقة
والرأفة والتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى ألا يظن
أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم إما لكونه كذلك في نفسه أو وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل
في قوله تعالى ثقلت في السموات والأرض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى أكلوا الجيف وأياً ما كان
ففي إضافة العذاب إليه تهويل وتفظيع له إلى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم
لا إلى غيره جميعاً لا يتخلف منكم أحد وهو على كل شيء قدير فيندرج في تلك الكلية قدرته على إماتتكم وبعثكم
وجزائكم فيعذبكم بأفانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما ألقى إليهم فحوى
الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسيق إليهم ما ينبغي أن يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع
أنهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالإقبال أم تمادوا فيما كانوا عليه من الإعراض
والضلال فقيل مصدراً بكلمة التنبيه بأن يعقبها من هناتهم أمر يجب أن يفهم ويتعجب منه ألا إنهم يثنون صدورهم
يزورون عن الحق وينحرفون عنه أي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والإعراض لأن من أعرض عن شيء
ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري لكن
حيث لم يصلح التولي سبباً للاستخفاء في قوله تعالى ليستخفوا منه التجأ إلى إضمار الإرادة حيث قال
ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على إعراضهم وتحقق في تقرير المعنى إليه قيل
الإضمار في قوله تعالى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فضرب فانفلق ولا يخفى أن انسياق الذهن إلى
توسيط الإرادة بين ثني الصدر وبين الاستخفاء ليس كانسياقه إلى توسيط الضرب بين الأمر وبين
الانفلاق ولعل الأظهر أن معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والإعراض عن الحق وعداوة
النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفياً مستوراً فيها كما يعطف الثياب على ما فيها من الأشياء المستورة
وإنما لم يذكر ذلك استحساناً لما تذكره أو اعتماداً على أن ظهوره مغن عن ذكره أو ليذهب ذهن السامع كل
مذهب فيه من الأمور التي يدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذي ألقي إليهم دخولاً أولياً فيظهر وجه
كون ذلك سبباً للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلاً
حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن
شداد إنها نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ
رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه إنما كان يصنع ما يصنع لأنه لو رآه النبي صلى الله
عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك إلى ظهور ما في قلبه من الكفر
والنفاق وقرئ تثنوني صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء
مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لتثنوني وقرئ تثنون أصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش من الكلأ
وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كما تنثني الهش من النبات أو أراد ضعف إيمانهم ورخاوة قلوبهم
وقرئ تثنئن من اثنأن افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي ألا حين
يستغشون ثيابهم أي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد أي حين يأوون إلى فراشهم ويتدثرون
بثيابهم فإن ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره
ويتغشى ثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي يعلم ما يسرون أي يضمرون في قلوبهم وما يعلنون أي يستوي
بالنسبة إلى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وإنما قدم السر على العلن نعياً عليهم من
أول الأمر ما صنعوا وإيذاناً بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقاً للمساواة بين العلمين على أبلغ وجه فكأن

علمه بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه
الله حيث قدم فيه الإخفاء على الإبداء على عكس ما وقع في قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه
يحاسبكم به الله إذ لم يتعلق باستشعار أن المحاسبة على ما يخفونه أولى منها بما يبدونه غرض بل الأمر بالعكس وأما
ههنا فقد تعلق باستشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه أولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية
كيف وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى
وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة وأما قوله تعالى وأعلم ما تبدون وما
كنتم تكتمون حيث كان وارداً بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزه مقامهم عن تضاعيف التأكيد
والمبالغة في الإخبار بإحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع أنه قد وقع الغيب
عنه بما قبله من قوله عز وجل إني أعلم غيب السموات والأرض ويجوز أن يكون ذلك باعتبار أن مرتبة السر متقدمة
على مرتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه بحالته الأولى
متقدم على تعلقه بحالته الثانية إنه عليم بذات الصدور تعليل لما سبق وتقرير له وإتمام موقع الكريمة
من القياس وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبيتها
من البراعة ما لا يصفه الواصفون كأنه قيل إنه مبالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية
المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها أصلاً فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز أن يراد
بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمعنى أنه عليم بالقلوب وأحوالها
فلا يخفى عليه سر من أسرارها وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها غذاؤها اللائق بها من حيث
الخلق ومن حيث الإيصال إليها بطريق طبيعي أو إرادي لتكفله إياه تفضلاً ورحمة وإنما جيء على طريق الوجوب
اعتباراً لسبق الوعد تحقيقاً لوصوله إليها البتة وحملاً للمكلفين على الثقة به تعالى والإعراض عن إتعاب
النفس في طلبه ويعلم مستقرها محل قرارها في الأصلاب ومستودعها موضعها في الأرحام وما يجري
مجراها من البيض ونحوها وإنما خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لأن النطفة بالنسبة إلى الأصلاب
في حقها الطبيعي ومنشؤها الخلقي وأما بالنسبة إلى الأرحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها إلى وقت معين
أو مسكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم
محلها باعتبار حالتها الأخيرة رعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الأرض والأرزقها فالله تعالى
حيث كان عالماً بها يسوق إليها رزقها بعلمها سواء كانت المحالفة المذكورة وفي ما شاكلها استعدادات المتفاوتة
المتطورة في الأطوار المتناهية ومقاديرها المتنوعة ويفيض عليها في كل مرة ما يليق بها من مبادئ وجودها
وكمالاتها المترتبة عليها وقد فسر المستودع بالأماكن التي في الممات وبالأرحام فيه مقام كل
ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين أي مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام
والمظهر لما ثبت فيه للناظر فيه ولما أشير إلى أنه سبحانه محيط بجميع أحوال ما في الأرض من المخلوقات التي
لا يحاط من ابتداء خلقها إلى انتهائها اقتضى الحال التعرض لمبدأ خلق السموات والأرض والحكمة الداعية إلى
ذلك فقيل وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام أي خلق السموات في يومين والأرض في يومين
وما عليها من أنواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الأرض
لكونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقها تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في أربعة أيام تتمة
أربعة أيام والمراد بالأيام الأوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره أي في ستة أوقات أو مقدار ستة أيام
فإن اليوم في المتعارف زمان كون الشمس فوق الأرض ولا يتصور ذلك حين لا أرض ولا سماء وفي خلقها
مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على أنه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التأني في الأمور

يخفونه

واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر استأثر بعلمه ما يقتضيه علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع
في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطبائع ومتفاوتة الآثار والاحكام وكان
عرشه قبل خلقهما على الماء ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه
كما ورد في الآثار فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون
الماء اول ما حدث في العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير
تعرض للنسبة بينهما ليبلوكم متعلق بخلق اي خلق السموات والارض وما بينهما من المخلوقات التي من جملتها
انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادي وجودكم واسباب معاشكم واودع في تضاعيفهما من تعاجيب
الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم ايكم احسن عملا
فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز
طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل والامارات ومراتب اعمالهم المتفرعة
على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن
محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني
فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد آثر ذي اثير وانما طريقها
النظر التفكر في بدائع صنائع الملك الخلاق والتدبر في آياته البينات المنصوبة في الانفس والآفاق ولا
طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل
الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم
بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي
عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر
ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء
للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان
المراد بالذات والمقصود الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال
احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللائقة واكمل الاساليب الرائقة يوجب العمل بموجبه بحيث
لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت
بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال
فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينتظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع
وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي الى معارج
العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها والله اعلم ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد
الموت على ما يوجبه قضية الابتلاء ليترتب عليه الجزاء المتفرع على ظهور مراتب الاعمال ليقولن الذين كفروا
ان وجه الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون
منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم ان هذا الا سحر مبين اي مثل السحر في الخديعة او البطلان
وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق التحدي
المتلو الا انهم عندما سمعوه ذلك تخلصوا الى القرآن لانبائه عنه في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا الى
تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتماديا عن سنن الرشاد وقيل هو اشارة الى نفس البعث ولا يلائمه
التسمية بالسحر فانه انما يطلق على شيء موجود ظاهر لا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت

وتعلق الآية الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكأنه قيل
الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة قلّة من مقدماته وقضية فردة من تتماته لا يكادون يسمعون في ردّه ويعدّون
ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديقهم من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكأنه
وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى
وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة
الى القائل او الى القرآن على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او على انك بمعنى علّك
وعلّك اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتّوا
القول بانكاره او على انه مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى اللجاج والعناد ويتيحوا
نزع اسماعهم بت القول بخلاف ما الفوا والفوا عليه آباءهم من انكار البعث وليكون ذلك ادعى لهم
الى التأمل والتدبر وما يغلو فانهم الله انى يؤفكون ولئن اخرنا عنهم العذاب المترتب على بعثهم او
العذاب الموعود في قوله تعالى فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قتل جبريل المستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص بعضا منهم
على انه لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون الى امة معدودة الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحصر بالعد
قليل ليقولن ما يحبسه اي اي شيء يمنعه من المجيء فكأنه يريده ويمنعه مانع وانما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال
استهزاء لقوله تعالى ما كانوا به يستهزئون ومرادهم انكار المجيء والحبس راسا لا الاعتراف به والاستفسار
عن حابسه الا يوم يأتيهم ذلك ليس مصروفا محبوسا عنهم على معنى انه لا يرفعه رافع ابدا ان اريد به
عذاب الآخرة ولا يدفعه عنكم دافع بل واقع بكم ان اريد به عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه
واستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه ورد
بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه قد يتقدم المعمول حيث لا مجال لتقدم العامل كما في قوله تعالى
فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فان اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما
على لا الناهية مع امتناع تقدم الفعلين عليها قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر
بتقدم معموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر فيابى فما يزداد الا لجاجة وكنت ابيا في الخنا
لست اقدم وحاق بهم اي احاط بهم ما كانوا به يستهزئون اي العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء
وفي التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه واشعار بعلية ما في حيز الصلة مع استهزائهم به لنزوله واحاطته
والتعبير عنهما بالماضي للدلالة على عادة الله تعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك
من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر وتقرير وقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة
اي اعطيناه نعمة من صحة او من وجد وغيرهما واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه اي سلبناها
اياها وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها انه ليؤوس شديد اليأس من روح الله قطوع
رجاءه من عود امثالها عاجلا وآجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله وثقته به كفور عظيم الكفران
لما سلف من النعم وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله تعالى وتأخير
عن وصف يأسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على ان اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن افاضة
امثاله في العاجل وايصال الجزاء في الآجل من باب الكفران للنعمة السالفة ايضا ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته كصحة بعد سقم ووجد بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن
بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في ادنى ما ينطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها
واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على ان مراده تعالى انما هو ايصال الخير

المرغوب فيه على احسن ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانما يانيهم ذلك بسوء اختيارهم نيلا
يسيرا مما يلاصق البشرة من غير تاثير وان نزع الرحمة فانما صدر عنه بقضية الحكمة الداعية الى ذلك
كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع بها ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي تسوءني
بعد امثالها كما هو شأن اولئك الاشرار فان الترقب لورود امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش انه
لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس بما اوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام في لئن في الآيات
الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط الا الذين صبروا على ما اصابهم من الضراء سابقا او
لاحقا ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا على آلائه السالفة والآنفة واللام
في الانسان اما للاستغراق او الجنس فالاستثناء متصل او للعهد فمنقطع اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه
بمضمون الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بتلك
الصفات الحميدة لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وان جلت واجر ثواب لاعمالهم الحسنة كبير ووجه تعلق الآيات
الثلاث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الاجمال
الواقع في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا والمعنى ان كلا من اذاقة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للانسان ايشكر
ام يكفر لا يهتدي الى سنن الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين عنه الى مهاوي الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا
من الصابرين الصالحين او من حيث ان انكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل
انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان مجبولة على ذلك فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك من الآيات الدالة
على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند الله عز وجل لمن له اذن واعية وضائق به صدرك اي عارض لك
ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه اليهم في اثناء الدعوة والمحاجة ان يقولوا لان يقولوا تعاميا عن تلك البراهين
التي لا يكاد يخفى صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة وتماديا في العناد على وجه الاقتراح لولا انزل عليه كنز
مال خطير مخزون يدل على صدقه او جاء معه ملك يصدقه قيل قائله عبد الله بن امية المخزومي
عن ابن عباس رضي الله عنه ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون ائتنا
بالملائكة يشهدوا بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت فكانه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على
مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول
وركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا
عليه السلام بحال من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على
منه بما في لعل من الاشفاق فقيل انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد
والقبول والله على كل شيء وكيل يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق
بحالهم والاقتصار على النذير في تسلية غاية من اصابة الحق ام يقولون افتراه اضراب بام المنقطعة عن ذكر ترك
اعتدادهم بما يوحى وتهاونهم وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل
وعلى حقية نبوته صلى الله عليه وسلم وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ
والانكار والتعجب والضمير المستكن في افتراه للنبي عليه السلام والبارز لما يوحى اي بل يقولون افتراه وليس من عند الله
تعالى قل ان كان الامر كما تقولون فأتوا انتم ايضا بعشر سور مثله في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور
اي امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحدة منها او لان المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد
كما في قوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا او للايماء الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد هو البلاغة
المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحد مفتريات صفة اخرى لسور اخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى
الصفة المقصودة بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض

يدور عليه شيء في مقام التحدي وانما ذكر على نهج المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لتوهم
توهم ان المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقة من عند انفسكم
ان صح اني اختلقته من عندي فانكم اقدر على ذلك مني لانكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادي ذلك
من الخطب والاشعار وحفظتم الوقائع والايام وزاولتم اساليب النظم والنثر وادعوا للاستظهار في المعارضة
من استطعتم دعاءه والاستعانة به من الهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في كل ما تأتون وما تذرون
والكهنة ومدارهكم الذين تلجأون الى آرائهم في الملمات ليسعدوكم فيها من دون الله متعلق بادعوا
اي متجاوزين الله تعالى ان كنتم صادقين في اني افتريته فان ذلك يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف
يدل عليه المذكور فان لم يستجيبوا لكم اي فان لم يفعلوا ما كلفوا من الاتيان بمثله كقوله تعالى فان
لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم على كمال امن من لزوم لهم بالاتيان بمثله
دعاهم امر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم كما في قول من قال وان شئت
حرمت النساء سواكم او له وللمؤمنين لانهم اتباع له عليه السلام في الامر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف
على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وارشاد الى
ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمأنينة في الايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل فاعلموا اي
اعلموا احين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها علما يقينيا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال معه
لشائبة ريب بوجه من الوجوه كان ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا للاستبعاد بانحطاط تلك المراتب
بل بارتفاع هذه المرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة
العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم
انما انزل ملتبسا بعلم الله المخصوص به بحيث لا يحوم حوله العقول والاوهام مستبدا بخصائص الاعجاز
من جهتي النظم الرائق والاخبار بالغيب وان لا اله الا هو اي واعلموا ايضا ان لا شريك له في الالوهية والحكم
ولا يقدر على ما يقدر عليه احد فهل انتم مسلمون اي مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا الله
مزيد الثبات والرغبة [illegible] ويجوز ان يكون الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول صلى الله
عليه وسلم [illegible] الامر بالتحدي والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم [illegible]
[illegible] فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة
قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الاذهان لكون القرآن من عند الله تعالى [illegible]
تعالى [illegible] فيه من المكابرة والعناد [illegible] الاستفهام [illegible]
والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر [illegible]
[illegible] من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها [illegible]
[illegible]

[illegible]

لا بمجرد الارادة القلبية لقوله تعالى نوف اليهم اعمالهم فيها وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها
منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة اصلا وليس المراد باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه
ولا كل احد جميع ما يهواه فان ذلك منوط بالمشيئة الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد
العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الامور المذكورة بطريق
الاجر والجزاء من اعمال البر وقد اطلقت واريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم في الحيوة الدنيا كاملة
وقرئ يوف على الاسناد الى الله عز وجل بالتحتانية وعلى البناء للمفعول ورفع اعمالهم وقرئ توف بالتخفيف والرفع
لكون الشرط ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها اي في الحيوة
الدنيا لا يبخسون اي لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص الحق مع انه ليس لهم شائبة حق فيما
اوتوه كما عبر عن عطائه بالتوفية التي هي اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر
على ظاهر الحال ومحافظة على صور الاعمال ومبالغة في نفي النقص كأن ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور
عن الكريم اصلا والمعنى انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا او لا يحرمونها حرمانا
كليا واما في الآخرة فهم في الحرمان المطلق واليأس المحقق كما ينطق به قوله تعالى اولئك الخ فانه اشارة الى المذكورين
باعتبار ارادتهم الحيوة الدنيا او باعتبار توفيتهم اجورهم من غير بخس او باعتبارهما معا وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في سوء الحال اي اولئك المريدون للحيوة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات اعمالهم من غير
بخس الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لان هممهم مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها
وقد اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدوا بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة الا النار وعذابها المخلد وحبط
ما صنعوا فيها اي ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه من الاعمال التي كانت تؤدي الى الثواب لو كانت معمولة
للآخرة او حبط ما صنعوه في الدنيا من اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص وباطل اي في نفسه
ما كانوا يعملون في تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول من شأنه استتباع الثواب والاجر وان عدمه
لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان الثاني ليس له جهة صالحة قط علق بالاول الحبوط المؤذن
بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية
الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الاول ايماء الى ان صدور
اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات مطالبهم
الدنيوية وقرئ وبطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما
لا طائل تحته او انقطع اثره الدنيوي فبطل مطلقا وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية او
في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وعن ابن عباس رض ان المراد بقوله تعالى من كان يريد الخ
اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك توسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل
هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وانت خبير بان ذلك
انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك
وهكذا لغيرهم ممن يعمل اعمال البر لا لوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد ليس لهم الا النار بان ليس لهم
بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ان المراد مطلق الكفرة بحيث يندرج
فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجا اوليا فانه عز وجل لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بان
يزدادوا علما ويقينا بان القرآن منزل بعلم الله وبان لا قدرة لغيره على شيء اصلا وحثهم على الثبات على الاسلام
والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شيء اصلا
اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب

[illegible] اي ما كانوا يعملون

اي بطل بطلانا اي ما كانوا يعملون

الدنيوية وبيان ذلك بمعزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك اي بيان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان
بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل افمن كان على بينة من ربه اي برهان نير عظيم الشان يدل على حقية
ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن وباعتباره او بتأويل البرهان ذكر الضمير الراجع اليها في قوله
تعالى ويتلوه اي يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة
منه او ما وقع في بعض آياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد لكونه من عند الله عز
وجل غير انه على التقدير الاول يكون في الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة الاعجاز منه اي من القرآن غير خارج عنه او من جهة
الله تعالى فان كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة
على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى
فالمراد بمن في قوله افمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل انتم دخولا اوليا
وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة
دليل العقل وبالشاهد القرآن فالضمير في منه لله عز وجل او البينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد
ملك يحفظه والاولى هو الاول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله
تعالى تابعا بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فان القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي
يشهد بامرها الى يوم القيمة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله عز قائلا ومن قبله كتاب
موسى على فاعله مع كونه مقدما عليه في النزول فكأنه قيل افمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه
وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما له غير مفارق عنه
ولعراقته في وصف التلو والتنكير في شاهد وبينة للتفخيم اماما اي مؤتما به في الدين ومقتدى وفي التعرض
لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شان المتلو ورحمة اي نعمة عظيمة على من انزل اليهم
ومن بعدهم الى يوم القيمة باعتبار احكامه الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب اولئك
الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهي الكون على بينة من عند الله وكما ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها
وقد يكون ذلك بطريق التقليد لما سلف من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم بانهم يؤمنون
اي يصدقون حق التصديق حسبما تشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته ومن يكفر به اي بالقرآن
ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فالنار موعده يرده لا محالة حسبما ينطق به قوله تعالى ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها
موعدا اشعار بان له فيها ما لا يوصف من افانين العذاب فلا تك في مرية منه اي في شك من امر القرآن
وكونه من عند الله تعالى غب ما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به انه الحق من ربك
الذي يربيك في دينك ودنياك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك اما لقصور انظارهم واختلال
افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم فمن في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره لاغناء
الحال عن ذكره وتقديره امن كان على بينة من ربه كاولئك الذين ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم يعني
ان بينهما تفاوتا عظيما بحيث لا يكادان يتراءى ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب توهم المماثلة
على ما ذكر من صفاتهم وعده من هناتهم كأنه قيل ابعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة
بينهم وبين من كان على احسن ما يكون في العاجل والآجل كما في قوله تعالى افاتخذتم من دونه اولياء اي
ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
الحق كمن هو اعمى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان نسب اليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة

بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقولهم للآلهة هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني انهم مع كفرهم بآيات الله
مفترون عليه كذبا وهذا التركيب وان كان سبكه على انكار ان يكون احد اظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة
ونفيها وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ولكن القصد به قصدا مطردا انكار المساواة
ونفيها وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيتلى من قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم
الاخسرون فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل
من كل فاضل اولئك الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى فهم من الاشارة
حصلت الغنية عن اسناد العرض الى اعمالهم واكتفى باسناده اليهم حيث قيل يعرضون لان عرضهم من تلك
الحيثية وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بعمله افظع من عرض عمله
مع غيبته على ربهم الحق وفيه ايماء الى بطلان رأيهم في اتخاذهم اربابا من دون الله عز وجل ويقول
الاشهاد عند العرض من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد او شهيد كاصحاب و
اشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بالافتراء عليه كان ذلك امر واضح غني عن الشهادة بوقوعه
وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء كذبوا على ربهم ويجوز ان يكون
المراد بالاشهاد الحضار وهم جميع اهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم دستانهم لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون ويشهد لذلك وتوطئة لما يعقبه من قوله
الا لعنة الله على الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز ان يكون هذا محكي الوجه الاول من كلام الله
عز وجل وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم انا نعوذ بك من الخزي على رؤوس الاشهاد الذين
يصدون اي كل من يقدرون على صده او يفعلون الصد عن سبيل الله عن دينه القويم ويبغونها
عوجا انحرافا اي يصفونها بذلك وهو ابعد شيء منه او يبغون اهلها ان ينحرفوا عنها يقال بغيتك خيرا
او شرا اي طلبت لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم انه ليس من عند الله وهم بالآخرة هم كافرون
اي يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون بها لا انهم يؤمنون بها ويزعمون انها سبيلة عوجا يهدون
الناس اليه وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم بكان كفرهم ليس بشيء عند كفرهم اولئك مع ما وصف
من احوالهم الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين الله تعالى مفلتين بانفسهم من اخذه لو اراد ذلك في الارض
مع سعتها وان هربوا منها كل مهرب وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم من بأسه ولكن
اخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع اما باعتبار افراد الكفرة كانه قيل وما كان لاحد منهم من ولي او باعتبار
تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك بيانا لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف
لهم العذاب استئناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخذة وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد ما
كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كانهم لا يقدرون على السمع ولما كان قبح
حالهم في عدم اذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه السمع اشد منه في عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالابصار
بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الابصار فقال وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الانفس والآفاق وهو استيناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل
هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فان ما لا يسمع ولا يبصر بمعزل من الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب
اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من اول الامر سوء العاقبة اولئك المنعوتون بما ذكر من القبائح الذين
خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز سلطانه وضل عنهم ما كانوا يفترون من
الآلهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم
فيه ثلاثة اوجه الاول ان لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم

ذلك الفعل حق انهم في الآخرة هم الاخسرون وبهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده
مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام اي كسب ذلك خسرانهم والمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور خسرانهم
والثالث ان لا جرم بمعنى لا بد اي لا بد انهم في الآخرة هم الاخسرون واياما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر
فتبين انهم اظلم من كل ظالم وهذه الآيات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على بينة
من ربه وبين من كان يريد الحيوة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر
لم يتصور مماثلة بينهم وبين احد من الظلمة الاخسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في اعلى مدارج الكمال
ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم وما لهم شرع في بيان حال اضدادهم اعني فريق المؤمنين وما يؤول اليهم
من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الآية ليتبين ما
بينهما من التباين البين حالا ومآلا فقيل ان الذين آمنوا اي بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده
من الايمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة من الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه وسائر
ما يؤدي الى ذلك في الانفس والآفاق او فعلوا الايمان كما في يعطي ويمنع وعملوا الصالحات واخبتوا
الى ربهم اي اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومعنى
اخبت دخل في الخبت كانهم والحد دخل في تهامة ونجد اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة اصحاب
الجنة هم فيها خالدون دائمون وبعد تباين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل مثل الفريقين
المذكورين اي حالهما العجيبة لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات كالاعمى والاصم
والبصير والسميع اي كحال هؤلاء فيكون في ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق
الاول بالاعمى والاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير والسميع لكن الادخل في المبالغة والاقرب لما يشير اليه
لفظ المثل والانسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق
الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو في قوله تعالى
والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قوله [illegible] وابن الهمام وليث الكتيبة
في المزدحم واياما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل والتي يدور عليها امر التشبيه
ما لا يلائم الاحوال المذكورة المعتبرة في جانب المشبه به من عمى الفريق الاول عن مشاهدة آيات الله التي
في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر
في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وانما الراجع الى الترتيب اظهر
واستمرار سوء الحال من [illegible] ومن استعمال الفريق الثاني لمحال ابصارهم واسماعهم فيما ذكر
عليه ما ذكر من الايمان والعمل الصالحات والاخبات حسبما فسر فيما مر فيكون التشبيه تمثيلا لا حال
المعدومة لكل من الفريقين بما ذكر وما يؤدي اليه من العذاب المضاعف والخسران الذي لا غاية له
المترتب للآخرة فان اعتبار ذلك [illegible] ان يكون التشبيه تمثيلا بان ينتزع من حال الفريق الاول في تصامهم و
تعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه
بهيئة منتزعة ممن فقد مشعري البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا
وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود
هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه هل يستويان
يعني الفريقين المذكورين والاستفهام انكاري منكر لما سبق ومحكم المماثلة في قوله عز وجل افمن كان
على بينة الآية مثلا اي حالا وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان افلا تذكرون اي اتشكون
في عدم الاستواء وما بينهما من التباين او تغفلون عنه فلا تذكرون بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل

فيكون الانكار واردا على المعطوفين معا او تسمعون هذا فلا تذكرونه فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان الفاء هناك لانكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا تعقلون التذكر او افلا تعقلون ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء ولما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام انها كتاب محكم الآيات مفصلها نازل في شان التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وان الذي نزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقرر في تضاعيف ذلك ما له مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عنده تعالى وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم القرآن تارة سحرا واخرى مفترى وتثبيته عليه السلام والمؤمنون على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع اسلوب شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة ليتاكد ذلك بطريقين احدهما ان ما امر من التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبياء قاطبة والثاني ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام اصلا وليتسلى بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم فقيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحذف الباء لا الواو كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان وكلاهما يطلق بين اللام لا مع قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع ما صدر بها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس عليه السلام وهو اول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي بعث عم على راس اربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل هو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة اني لكم نذير بالكسر على ارادة القول اي فقال او قائلا وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر كونه عم نذيرا لا لان دعوته عليه السلام كانت بطريق الانذار فقط الا يرى الى قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الخ بل لانهم لم يغتنموا مغانم ابشاره عليه السلام مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه لان الانذار اعلام المحذور لا لمجرد التخويف والازعاج بل للحذر منه فيتعلق بكلا وصفيه ان لا تعبدوا الا الله اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن الشرك الا انه وسط بينهما بيان بعض اوصافه واحواله عم وهو كونه نذيرا مبينا ليكون ادخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب ومضمونه بما ليس من اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة به او بنذير او مفعول لمبين وعلى قراءة الفتح بدل من اني لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب توقع المحذور وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم تعليل لموجب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم القيمة او يوم الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نهاره صائم وهذه المقالة وما في معناها مما قاله عليه السلام في اثناء الدعوة على ما عزي اليه في سائر السور لما لم يصدر

عنه عم مرة واحدة بل كان يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات عطف على فعل الارسال المقارن لها او القول المقدر بعد جوابهم المتعرض لاحوال الذين اتبعوه عم بعد التبليغ والتي بالفاء التعقيبية فقيل فقال الملأ الذين كفروا من قومه اي الاشراف منهم من قولهم فلان ملئ بكذا اي مطيق له لانهم ملئوا بكفايات الامور او لانهم ملئوا القلوب بهيبتهم والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض اشرافهم ليسوا بكفرة ما نراك الا بشرا مثلنا مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرايناه لا ان ذلك محتمل ولكن لا نراه وكذا الحال في قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي فالفعلان من رؤية العين وقوله تعالى الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال منه اما على اجاله او بتقدير قد عند من شرط ذلك ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهما المفعول الثاني وتعلق الراي في الاول بالمثلية لا بالبشرية فقط وانما لم يثبتوا القول المذكور بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه ارادة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التامل في الامر والتدبر فيه ولذلك اقتصروا على ذكر الظن فيما سياتي تعريضا من اول الامر براي المتبعين فكان قولهم وما نراك جواب عما يرد عليهم من انه عم ليس مثلهم حيث عاينوا دلائل نبوته واغتنم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا ان هؤلاء اراذلنا اي اخساؤنا واداننا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او جمع ارذل جمع رذل ككالب واكلب وكلب يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة راي وقد كان ذلك منهم في بادي الراي اي ظاهره من غير تعمق من البدو او في اوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقراه ابو عمرو بها وانتصابه على الظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولي الالباب الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر منها حظا والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله من ذلك وما نرى لكم اي لك ولمتبعك فغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديكم فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم هنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا بل نظنكم كاذبين جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احترازا منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معه عم بطريق الاراءة على نهج الانصاف قال يا قوم ارايتم اي اخبروني وفيه ايماء الى ركاكة رايهم المذكور ان كنت على بينة برهان ظاهر من ربي وشاهد يشهد بصحة دعواه واتاني رحمة من عنده هي النبوة ويجوز ان يكون هي البينة نفسها جي بها ايذانا بانها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير في قوله فعميت عليكم ظاهر وان اريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحد منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة او لتقدير فعل آخر بعد البينة ومعنى عميت اخفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة ابي فعماها عليكم على الاسناد الى الله عز وجل انلزمكموها اي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارايتم وساد مسد جواب الشرط وقرا ابو عمرو باخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد تقدم اعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى فسيكفيكهم الله وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحصول الجواب الجزء في ان كنت

على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم ايمكننا ان نكرهكم على قبولها
وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عم بطريق اظهار اليأس
عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الخ لكنه محمول على ان مراده عم ردهم عن الاعراض
عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا هذا ويجوز ان
يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبحسبه يمتاز افراد البشر بعضها عن بعض وبه
يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء للرسالة وبالكون عليها التمسك بها والثبات على الكرة على ان يكون
الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عليه السلام عليها وبالرحمة النبوة التي انكروا اختصاصه عم بها بين
ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا ينال الا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه دونهم
اخبروني ان ميزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي وآتاني بحسبها نبوة من عنده فخفيت عليكم
تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها الى الآن حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في
نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو
الانسب بمقام المحاجة وح يكون كلامه عم جوابا عن شبههم التي ادرجوها في خلال مقالهم من كونه عليه السلام
بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشأفة آرائهم الركيكة ويا قوم
لا اسألكم عليه اي على ما قلته في اثناء دعوتكم مالا تؤدونه الي بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون
ذلك اجرا لي في مقابلة اهتدائكم ان اجري الا على الله الذي يثيبني في الآخرة وفي التعبير عنه حين
نسب اليهم بالمال ما لا يخفى من المزية وما انا بطارد الذين آمنوا جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك
اتبعك الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك
كما صرحوا به في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عم
بذلك انفة من الانتظام معهم في سلك واحد انهم ملاقوا ربهم تعليل لامتناعه عم عن طردهم اي انهم
فائزون في الآخرة بلقاء الله عز وجل كأنه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة
القدس والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم او مصدقون
في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم يلاقونه
فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على
بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما
تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله تعالى على طردهم كما سيأتي على انهم انما قالوا ان اتباعهم لك انما هو
بحسب بادي الرأي بلا تأمل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمؤاخذة في الآخرة غايته
ان لا يكونوا في مرتبة الموقنين وادعاء ان بناء الايمان على ظاهر الرأي يؤدي الى الرجوع عنه عند التأمل
فكأنهم قالوا انهم اتبعوك بلا تأمل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون عنه تعسف لا يخفى ولكني اراكم
قوما تجهلون بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وجل وبمنزلتهم عنده وباستجلاب
طردهم لغضب الله كما سيأتي وبركاكة رأيهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفة عن الانتظام معهم في
سلك واحد وزعمهم ان الرذالة بالفقر والشرف بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار
وتتسافهون على المؤمنين بنسبتهم الى الخساسة ويا قوم من ينصرني من الله بدفع حلول سخطه
عني ان طردتهم فان ذلك امر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا
بانه غني عن البيان لا سيما بعد ما قدم ما يلوح به من احوالهم كأنه قيل من يدفع عني غضب الله تعالى ان طردتهم
وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه قوله تعالى افلا تذكرون اي أتستمرون على ما انتم عليه

من الجهل المذكور فلا تذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا ان ما تأتونه بمعزل عن الصواب ولكون
هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد افردت عن التعليل
السابق وصدرت بيا قوم ولا اقول لكم حتى ادعي النبوة عندي خزائن الله اي رزقه وامواله
حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فان النبوة اعز من ان
تنال بأسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه ولا اعلم الغيب اي ولا ادعي في قولي اني لكم نذير
مبين اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد ولا اقول اني ملك
حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعني انكم اتخذتم فقدان
هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي شيئا من ذلك ولا الذي ادعيه يتعلق بشيء منها وانما
يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر ولا اقول مساعدة لكم كما تقولون للذين
تزدري اعينكم اي تستحقرهم وتحتقرهم من زراه اذا عابه واسناد الازدراء الى اعينهم بالنظر الى قولهم وما
نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا وللاشعار بان ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شأنهم ما فعلوا ذلك
اي لا اقول في شأن الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا او في الآخرة
فعسى الله ان يؤتيهم خير الدارين ان قلت هذا القول ليس مما يستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره
عنه عم اصالة واستتباعا كادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن مما نفاه عم عن نفسه بطريق التبري
والتنزه فلاي وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذي
تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستتبع الامور المذكورة وانها لا تتسنى ممن ليس على تلك
الصفات وان العثور على مكانها واغتنام مغانمها ليس من دأب الاراذل فاجاب عليه السلام بنفي ذلك
جميعا فكأنه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير الله
اعلم بما في انفسهم من الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور مع انه عم جازم بان الله سبحانه سيؤتيهم
خيرا عظيما في الدارين وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة
كلامهم وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلم يقينا ويبني امره
على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة اني اذا اي اذا قلت ذلك لمن الظالمين
لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه
تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب
وحيازة الخزائن وهو بعيد لان تبعة تلك الاقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين
قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا اي اطلته او اتيته بانواعه فان
اكثار الجدال يتحقق بعد وقوع اصله فلذلك عطف عليه بالفاء او اردت ذلك فاكثرته كما في قوله
تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله فلما حجهم عم وابرز لهم بينات واضحة المدلول والقمهم الحجر
برد شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل
او العذاب الذي اشير اليه في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان لا يكون المراد باليوم يوم القيمة
ان كنت من الصادقين فيما تقول قال انما يأتيكم به الله ان شاء يعني ان ذلك ليس موكولا
الي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الله الذي كفرتم به وعصيتموه يأتيكم به عاجلا او آجلا ان تعلق
به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكأنه قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة
القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل وما انتم بمعجزين بالهرب او بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام
ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من فعل او قول وحقيقته امحاض ارادة الخير والدلالة

عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع الغي ليتقى وموضع الرشد ليقتفى إن أردت أن أنصح لكم شرط حذف
جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من
جواب قوله تعالى إن كان الله يريد أن يغويكم والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم
نصحي هذا ما ذهب اليه البصريون من عدم جواز تقدم الجزاء على الشرط واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه
فقوله عز وجل ولا ينفعكم نصحي جزاء الشرط الاول والجملة جزاء الشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق
بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت جدالنا اصدر عنه عم اظهارا للعجز عن الزامهم
بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وايذانا بان ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل النصح والشفقة عليهم
وبانه لم يأل جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى سبيله المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم
ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بارادته تعالى مع انه محقق لا محالة للايذان بان ذلك
النصح منه مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تعالى
لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة
في بيان غلبة جنابه عز وجل حيث دل ذلك على ان نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادته تعالى
لاغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار بتقدم ارادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة
وللدلالة على تجددها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فاتنا بما تعدنا من قوله انما ياتيكم
به الله ان شاء ردا عليهم من اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال
وفيه دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده غير واقع وقيل معنى يغويكم ان يهلككم
من غوي الفصيل غوى اذا بشم وهلك هو ربكم خالقكم ومالك امركم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم
لا محالة أم يقولون افتراه قال ابن عباس رض يعني نوحا عم ومعناه بل يقول قوم نوح ان نوحا افترى
ما جاء به مسندا الى الله عز وجل قل يا نوح ان افتريته بالغرض البحت فعلي اجرامي اي اثمي ووبال اجرامي
وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع وينصره ان قرءه الاولون باثامي وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم
في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم و
معناه بل يقول مشركوا مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكانه انما جيء به في تضاعيف
القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتاكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها لا سيما وقد
قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عم وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم
وأوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك اي المصرين على الكفر وهو اقناط له عم من ايمانهم واعلام
لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه الا من قد آمن الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانهم وهذا
الاستثناء على طريقة قوله الا ما قد سلف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا تحزن حزن بائس مستكين
ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان
وقت الانتقام منهم واصنع الفلك ملتبسا باعيننا اي بحفظنا وكلائتنا كان معه من الله عز وجل
حفاظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة ووحينا اليك كيف
تصنعها وتعليمنا والهامنا عن ابن عباس رض لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى ان يصنعها
مثل جؤجؤ الطائر والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام
اما للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه عم انه سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن
معه بشيء سيصنعه بامره تعالى ووحيه من شانه كيت وكيت واسمه كذا واما للجنس وقيل
صنعها عم في سنتين وقيل في اربعمائة سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون حمل في البطن

الاول الوحوش

الاول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو
ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وقيل جعل في الاول الدواب
والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها
ثلثين ذراعا وقال الحسن رض كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا
لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب
فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب
بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام اهكذا
اهلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح
قال كان طولها الفا ومائتي ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير
ثم قال عد باذن الله تعالى كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تراجعني فيهم
ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه
ما يلوح بما يستتبعه اكد التعليل فقيل انهم مغرقون اي محكوم عليهم بالاغراق قد مضى به القضاء وجف القلم
فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين ويصنع الفلك حكاية
حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديره واخذ يصنع الفلك او اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع
وايا ما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره اعني قوله تعالى وكلما مر عليه
ملأ من قومه سخروا منه استهزءوا به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع
بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يصنعها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزته
عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عم كان ينذرهم
بالغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه من باب المحال ثم لما راوا اشتغاله باسباب
الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عم عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق
العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجهاله عم في ذلك قال ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا
نسخر منكم اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم
منه عم سخرية من المؤمنين ايضا او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفى بذكر سخريتهم منه عم ولذلك
تعرض الجميع للمجازاة في قوله تعالى فانا نسخر منكم الخ فتكافا الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عم اياهم
بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته عم اياهم بذلك والا فتجهيله عم اياهم حاصل فيما ياتون
ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منه لكنه عم لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق
الحميدة وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد التيا واللتي فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة بحسب تجدد مرورهم
به ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ اذيتهم الغاية كما يؤذن به
الاستيناف فكان سائلا سال فقال ما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي
ان تنسبونا فيما نحن بصدده من التاهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتسخروا منا
لاجله فانا ننسبكم اليه فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر
والمعاصي والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه
في قوله عز وجل كما تسخرون اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما صدر عنه ملأ بعد
ملأ لا في الكيفيات والاحوال التي لا تليق بشان النبي عم نكال الامرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل
سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل

ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا اسناد له الا ان حالهم اذ ذاك ليس مما
يلائم السخرية او بما يجري مجراها فتأمل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وهو عذاب
الغرق ويحل عليه حلول الدين المؤجل عذاب مقيم هو عذاب النار الدائم وفيه تهديد بليغ ومن عبارة
عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولين
او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عم في مكابدة المشاق
الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة
وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب يعني ان ما اباشره ليس
فيه عذاب لاحق بي فسوف تعلمون من المعذب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم المحز ووصف العذاب
بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة
في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان في غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا حتى هي التي
يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير
فيه وسخروا منه جواب لكلما وقال استئناف على تقدير سؤال سائل كما ذكرنا وقيل هو الجواب وسخروا منه
بدل من مر او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم في ايذائه عليه السلام وتحمله
لاذيتهم لا مسارعته عم الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام وفار التنور نبع منه الماء وارتفع
بشدة كما تفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور وروي انه قيل لنوح عم اذا رأيت الماء يفور
من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عم وكان من حجارة
فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين
الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند او في موضع بالشام يقال له عين وردة
وعن ابن عباس رض وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن
علي رض فار التنور اي طلع الفجر قلنا احمل فيها اي في السفينة وهو جواب اذا من كل اي من كل نوع لا بد منه في الارض
زوجين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل
الفرد ولازالة ذلك الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله
وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام في تمييز
بعضه من بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عم قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى
اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في اليسرى فيجعلها
في السفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فيخف فيه معنى الحمل او لانهم انما يحمل بمباشرة البشر
وهم انما يدخلونها بعد حملهم اياها واهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم
الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية
والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا
وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة
الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله عز
وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ومن آمن
من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد في آمن محافظة على لفظ من للايذان
بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز قائلا وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح عم واهله وبنوه الثلاثة
ونساؤهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا كانوا عشرة سوى نسائهم

وقيل كانوا

وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية
وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في ايمانهم للايماء الى المعية في مقر الامان والنجاة وقال
اي نوح عليه السلام لمن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم ولو وجه
الى الله تعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك من الازواج كأنه قيل
فحمل الازواج وادخلها في الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها كما سيأتي مثله في قوله تعالى وهي تجري بهم
والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله هاهنا بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها
لا فوقها كما ظن فان اظهر الروايات انه عم جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط
وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو
على شيء له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له
حظ الاصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني
يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الآية الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا في الفلك
وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله اي اركبوا مسمين
الله تعالى او قائلين بسم الله مجريها ومرسيها نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها على انهما اسما
زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصبا بما في
بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدأ وخبر
في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله تعالى بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين
او جملة مقتضبة على ان نوحا امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكونان كلامين
له عم قيل كان عليه السلام اذا اراد ان يجريها يقول باسم الله فتجري واذا اراد ان يرسيها يقول باسم الله فترسو
ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته
وامره وقرئ مجريها ومرسيها على صيغة الفاعل مجروري المحل صفتين لله عز وجل ومجراها بفتح الميم مصدرين او
زمانين او مكانين من جرى ورسا ان ربي لغفور للذنوب والخطايا رحيم لعباده ولذلك نجاكم من هذه
الطامة والداهية التامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض
تفضل الله سبحانه وغفرانه وحمده على ما عليه رأي اهل السنة وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه الامر
بالركوب اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري بهم ملتبسة بهم في موج كالجبال وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه
كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة
تجري في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا ولئن صح ذلك فهذا الجريان
انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى ونادى نوح ابنه فان ذلك انما يتصور قبل ان ينقطع
العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عم وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء
الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه
وما يقال من انه كان لغير رشده لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء
صلوات الله تعالى عليهم وسلامه ارفع من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين
وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلائمه الاستدعاء الى السفينة فانه
صريح في انه لم يقع من حيوته يأس بعد وكان في معزل اي في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث
لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل قد انفرد عنهم وظن نوح انه يريد
مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق اباه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت

لكنه عليه السلام ظن عند مشاهدة تلك الاهوال انه ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي
تعلم من قوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا في كون ابنه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة
على ذلك يا بني بالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا وقرئ بكسر الياء اقتصارا
عليه من ياء الاضافة او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة اركب معنا
قرا ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها
وللايذان بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض مع اغناء المعية عن ذلك ولا تكن مع الكافرين
اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب كونه معه عليه
السلام كونه معه في الايمان لانه عم بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر قال ساوي
الى جبل من الجبال يعصمني بارتفاعه من الماء زعما منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول المعتادة
التي ربما يتقى منها بالصعود الى الربى وانى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك
الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء الى ملجا المؤمنين فلذلك اراد عم ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه
عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما
له من الماء بان يقول لا يعصمك منه فيفيد نفي وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف
اصلا لكنه عم حيث قال لا عاصم اليوم من امر الله سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم
ذاتا وصفة كما في قولهم ليس فيه داع ولا مجيب اي احد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين
وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص
من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل اضماره بامر الله اي عذابه الذي اشير اليه
حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما لشانه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه في تسميته ماء وتوهمه
انه كسائر المياه التي يتفصى منها بالهرب الى المهارب المعهودة وتعليلا للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه
لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل
الا من رحم تفخيما لشانه الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك
بموجب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عم بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شان الداهية وقطع
اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز حماه وقيل لا مكان
يعصم من امر الله الا مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى
وحال بينهما الموج اي بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله
تعالى فكان من المغرقين اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عم وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل
من كونه عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجئ اليه وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ وجه فكان
ذلك امرا مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم وقيل يا ارض ابلعي
اي انشفي استعير له من ازدراد الحيوان ما يأكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي ماءك
اي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر عنه بالماء بعدما عبر
عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعي اي امسكي
عن ارسال المطر يقال اقلعت السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اي كفت وغيض الماء اي نقص ما بين
السماء والارض وقضي الامر اي انجز ما وعد الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله واتم الامر
واستوت استقرت الفلك على الجودي هو جبل بالموصل او بالشام او بآمل روي انه عم ركب في الفلك في
عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين

اي هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في الذين
ظلموا انهم مغرقون ولقد بلغت الاية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها
وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون فحري بنا ان نوجز الكلام
في هذا الباب ونفوض الامر الى تامل اولي الالباب والله عنده علم الكتاب ونادى نوح ربه اي اراد ذلك
بدليل الفاء في قوله تعالى فقال رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني انجاءهم في ضمن الامر بحملهم في الفلك
او النداء على حقيقته والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال وان وعدك الحق اي وعدك ذلك او ان كل وعد تعده
حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا وانت احكم الحاكمين لانك اعلم الحكام
او انت اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه عم على طريقة
دعاء ايوب عم اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عم تذكيرا وعده
جل ذكره مبنيا على كون كنعان من اهله نفى اولا كونه منهم بقوله تعالى انه ليس من اهلك اي ليس منهم اصلا
لان مدار الاهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر او ليس من اهلك الذين امرتك
بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعد بانجائهم ثم علل عدم كونه
منهم على طريقة الاستئناف التحقيقي بقوله انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة
كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار واوثر غير صالح على فاسد لما ان الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شانه
الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل المفاسد المحض كالقتل والمظالم واما للتلويح بان نجاة من نجا انما
هي لصلاحه وقرا الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح ولما كان دعاؤه عم مبنيا على ما ذكر
من اعتقاد كون كنعان من اهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهي عن سؤال انجائه الا انه
جيء بالنهي على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل فلا تسألن اي اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب
مني ما ليس لك به علم اي مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن
المسؤول الذي هو مفعول السؤال او طلبا لا تعلم انه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول
مطلق فيكون النهي واردا بصريحه في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز ان يكون المعنى ما ليس لك
علم بانه صواب او غير صواب فيكون النهي واردا في مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى
وعلى التقديرين هو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح في ان نداءه عم ربه عز وجل
ليس استفسارا عن سبب عدم انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم كما قيل فان النهي عن استفسار ما
لم يعلم غير موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشيء داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه عم لانجاء ابنه
حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد اما بتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه وقيل او بانجائه
في قلة الجبل وتأباه تذكير الوعد في الدعاء فانه مخصوص بالانجاء في الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر الله
الا من رحم ومجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى
اياه برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه عم ان يدعو الى
الفلك او يدعو به لانجائه واعتزاله عنه عم وقصده الالتجاء الى الجبل ليس بنص في الاصرار على الكفر
لظهور جواز ان يكون ذلك لجهله باختصاص النجاة بالفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجري مجراه او لكراهة
الاحتباس في الفلك بل قوله ساوي الى جبل يعصمني من الماء بعدما قال له نوح عليه السلام ولا تكن مع
الكافرين ربما يطمعه عم في ايمانه حيث لم يقل اكون معهم او ساوي او يعصمني فان افراد نفسه بنسبة
الفعلين المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما امره به نوح عليه السلام
الا انه عم لو تامل في شانه حق التامل وتفحص عن احواله في كل ما ياتي ويذر لما اشتبه عليه انه ليس من

صحـ ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت

وانه المستثنى من اهله ولذلك قيل إني أعظك أن تكون من الجاهلين فنزع عن ترك الاولى بذلك وقرئ
فلا تسألن بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء قال رب إني أعوذ بك أن أسألك اي
اطلب منك من بعد ما ليس لي به علم اي مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة او طلبا لا اعلم انه
صواب سواء كان معلوم الفساد او مشتبه الحال او لا اعلم انه صواب او غير صواب على ما مر وهذا توبة
منه عم مما وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة في التوبة واظهارا للرغبة والنشاط
فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله تعالى فهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسألك لما فيه من الدلالة
على كون ذلك امرا هائلا محذورا لا محيص عنه الا بالعوذ بالله تعالى وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره
الا بذلك وإلا تغفر لي ما صدر عني من السؤال المذكور وترحمني بقبول توبتي أكن من الخاسرين
اعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة
وهلاك الاعداء والاشتغال بما لا يعني خصوصا بما في خلاص من قيل في شأنه انه عمل غير صالح والتضرع
الى الله تعالى في امره معاملة غير رابحة وخسران مبين وتأخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر الوارد
على الارض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودي والدعاء
بالهلاك على الظالمين مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج اذ
حينئذ يتصور الدعاء بالانجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بغرض مهم هو جعل قرابة الدين
غامرة لقرابة النسب وان لا يقدم في الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين قياسا على ما وقع في قصة
البقرة من تقديم الامر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو اول القصة وكان حقها ان يقال واذ قتلتم نفسا
فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال
سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم المتنوعة وتثنية التقريع عليهم بكل نوع على حدة فقوله تعالى واذ
قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة الخ لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال
وما يتبع ذلك وقوله تعالى واذ قتلتم نفسا الى آخره للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة
ولو قصت القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع ولظن ان المجموع تقريع واحد واما
ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة
النسبية الى آخره لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل لان ذكر هذا النداء كما ترى مستتبع
لذكر ما مر من الجواب المستتبع لذكر ما مر من توبته عم المؤدي ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد بنزوله
عم من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما يجيء مفصلا ولا ريب في ان هذه المعاني
آخذ بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد يفرق الآيات الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض وان ذلك انما يتم
بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وكذلك
انما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد حسن موقع الايجاز البليغ وفيه فائدة اخرى
هي التصريح بهلاكه من اول الامر ولو ذكر النداء الثاني عقيب قوله فكان من المغرقين لربما توهم من اول
الامر الى ان يرد قوله انه ليس من اهلك الخ انه ينجو بدعائه عم فيتنغص عليه اهلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر الوارد
على الارض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية الازلية بما ذكر من الغيض والاقلاع وبيان
بلوغ امر الله محله وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان واستواء
الفلك على الجودي نقضت القصة الى عين المعتبر وبين ذلك الى بيان ما تعرض لها وقع في تضاعيف المناجاة
بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعد توبته عم قبولها بقوله قيل يا نوح اهبط اي انزل من الفلك
وقرئ بضم الباء بسلام ملتبسا بسلامة من المكاره كائنة منا او بسلام وتحية منا عليك كما قال

سلام على نوح في العالمين وبركات عليك اي خيرات نامية في نسلك وفيما يقوم به معاشك ومعاشهم
من انواع الارزاق وقرئ بركة وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان
انواع الخيرات عليه في كل ما يأتي وما يذر وعلى أمم ممن معك متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد
الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه الى يوم القيمة وأمم سنمتعهم اي وممن معك امم على انه خبر حذف لدلالة
ما سبق عليه فان ايراد الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على ان بعض من يتشعب منهم ليسوا
على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم امم ممتعون في الدنيا معذبون في الآخرة
وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مسلما ومباركا عليهم صريحا وانما يفهم ذلك من كونهم
مع نوح عم ومن كون نبينا عليهم كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون من بيانية اي وعلى امم هم الذين
معك وانما سموا امما لانهم امم متحزبة وجماعات متفرقة او لان جميع الامم انما تشعبت منهم فحينئذ يكون المراد
بالامم المشار اليهم في قوله تعالى وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة
منهم الى يوم القيمة ويبقى امر الامم المؤمنة الناشئة منهم مبهما غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع
ذلك ففي دلالة المذكورة على خبره المحذوف خفاء لان من المذكورة بيانية والمحذوفة تبعيضية او
ابتدائية فتأمل ثم يمسهم اما في الآخرة او في الدنيا ايضا منا عذاب أليم عن محمد بن كعب القرظي
دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر
وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد
بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى
ما قص من قصة نوح عم اما لكونها بتقضيها في حكم البعيد او للدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدأ
خبره من أنباء الغيب اي من جنسها اي ليست من قبيل سائر الانباء بل هي نسيج وحدها متفردة عما
عداها او بعضها نوحيها إليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او هو الخبر ومن انباء متعلق به والتعبير
بصيغة المضارع لاستحضار الصورة او حال من انباء الغيب اي موحاة اليك ما كنت تعلمها أنت
ولا قومك خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا اي من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها
او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك
اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم
لما لم يعلموه فكيف بواحد منهم فاصبر متفرع على الايحاء او العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي واذ قد اوحيناها اليك وعلمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة
واذية قومك كما صبر نوح عم على ما سمعته من انواع البلاء في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سيجيء من
قوله تعالى لعلك تارك بعض ما يوحى اليك الآية إن العاقبة بالظفر في الدنيا والفوز في الآخرة للمتقين كما شاهدته
في نوح عم وقومه ولك فيه اسوة حسنة وهي تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر بالصبر فان
كون العاقبة الحميدة للمتقين وهو في اقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون مما يسليه ويهون
عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر وهذا على تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منه
اعني التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى ويجوز ان يراد الدرجة الثالثة
منه وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق
تقاته فان التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور فكان تعليلا باعتباره العاقبة للصابرين وإلى عاد متعلق بمضمر
معطوف على قوله تعالى أرسلنا في قصة نوح وهو الناصب لقوله تعالى أخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي
واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب هنا للحذر عن الاضمار قبل الذكر وقيل

متعلق بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله تعالى هودا عطف بيان
لاخاهم وكان عليه السلام من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن سام بن نوح وقيل
هود بن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب في
اقتفائه قال لما كان ذكر ارساله اليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه بطريق الاستيناف
فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى ما لكم من اله غيره فانه استيناف يجري
مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم
من اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه ان انتم ما انتم باتخاذكم
الاصنام شركاء له او بقولكم ان الله امرنا بعبادتها الا مفترون عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا يا قوم
لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل نبي قومه ازاحة لما عسى يتوهمون
وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير وايراد الموصول للتفخيم وجعل
الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذي لا يتأتى الا
بالجريان على موجب امره الغالب معرضا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الاجر افلا تعقلون اي اتغفلون
عن هذه القضية او لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او تجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما
لا ينبغي ان يخفى على احد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم اي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب
بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه اي توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبرء عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله
تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء اي المطر عليكم مدرارا اي كثير الدرور ويزدكم قوة مضافة
ومنضمة الى قوتكم اي يضاعفها لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل
حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم عليه السلام كثرة الامطار و
تضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين
على ما كنتم عليه من الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط
عنادهم وعدم اعتدادهم من البينات الفائتة للحصر وما نحن بتاركي آلهتنا اي بتاركي عبادتها عن قولك
اي صادرين عنه اي صادرا تركنا عن ذلك باسناد حال الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل على ابلغ وجه
لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المتقول عنهم في سورة الاعراف اجئتنا
لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين في شيء مما تأتي
وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة
وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى ان نقول الا اعتراك اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض آلهتنا
بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من قولك
ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير في سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا في العتو كما ينبئ عنه نسبة
ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام منهم متضمن لما مر من
قولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عم كما قالوا حاشاه عن
ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا
نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه
ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا في طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا
اولا عن عدم مجيئه بالبينة مع احتمال ما جاء به عم لحجة في نفسه وان لم يكن واضحة الدلالة على المراد وثانيا
عن ترك الامتثال لقوله عم بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك مع تصديقهم له عليه السلام

بقولهم

بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عم مما لا يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا
ما قالوا قاتلهم الله انى يؤفكون قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اي
من اشراككم من دون الله اي من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف اتجادلونني في اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان او مما تشركونه من آلهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد
كون آلهتهم مما يضر او ينفع وانها بمعزل عن ذلك ولما كان ما وقع اولا منه عم في حق آلهتهم من كونها بمعزل عن
الالوهية انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شينا حتى
زعموا انها يصيبه عم بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عليه السلام بالحق وصدع به حيث اخبر ببراءته
القديمة عنها بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله تعالى على ذلك وامرهم بان يسمعوا ذلك ويشهدوا
به استهانة بهم ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا دون بعضها حسبما يشعر به قولهم بعض آلهتنا
والتعاون في ايصال الكيد اليه عم ونهاهم عن الانظار والامهال في ذلك فقال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
اي ان صح ما لوحتم به من كون آلهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها او يصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني
فاني بريء منها فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء لتفريع
الامر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من اعظم المعجزات فانه عم كان رجلا
مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم
وآلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على التصدي لاسباب المعازة والمعارة
فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد التجأ الى ركن منيع رفيع واعتصم
بحبل متين حيث قال اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انكم وان بذلتم في مضارتي مجهودكم لا تقدرون
على شيء مما تريدون بي فاني متوكل على الله تعالى وانما جيء بلفظ الماضي لكونه ادل على الانشاء المناسب للمقام
وانا واثق بكلاءته وحفظه عن غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني امر الا بارادته ومشيئته
ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف
يشاء غير مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم تعليل لما يدل
عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اي هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده
معتصم ولا يفتات عليه ظالم والاقتصار على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد
واما لان الفائدة كونه تعالى مالكا لهم ايضا راجعة اليه عم فان تولوا اي تتولوا بحذف احدى التائين
اي ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والاعراض فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي لم اعاتب
على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم الا التكذيب والجحود ويستخلف ربي قوما
غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم ويستخلف في ديارهم واموالهم قوما آخرين او عطف
على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود بالجزم عطفا على الموضع كانه قيل فان تولوا يعذرني ويهلككم
ويستخلف مكانكم آخرين وفي اقتصار اضافة الرب عليه عليه السلام رمز الى اللطف به والتدمير للمخاطبين
ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط منه النون ان ربي
على كل شيء حفيظ اي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها او حافظ مستول على كل شيء
فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل ولما جاء امرنا اي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل
جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل او ورد امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه
وكانوا اربعة آلاف برحمة عظيمة كائنة منا وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه ونجيناهم
من عذاب غليظ اي كانت تلك التنجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج

اثبات علينا بكم

من ادبارهم تنقطع اثرها ادبارا وقيل اريد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وهذه التنجية والتي ليست مقيدة بمجيء الامر لكن جيء بها بكلمة للتتمة عليهم وتعريضا بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها بعدما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع انه لم يرسل اليهم غير هود تفظيعا لحالهم واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين احد من رسله ويجوز ان يراد بالآيات ما اتى به هود وغيره من الانبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملاءمة لما من جمع الآيات وما تأخرت عن قوله تعالى واتبعوا امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل فكانه قيل عصوا كل رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول للكل فان اتباع الامر من اوصاف الاسافل والجبرية من اوصاف الرؤساء وعنيد فعيل من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا من دعاهم الى الردى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ابعادا عن الرحمة وعن كل خير اي جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكانها لا تفارقهم وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا ويوم القيمة اي اتبعوا يوم القيمة ايضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها وللايذان بكون كل من النوعين نوعا برأسه لم يجتمعا في قرن واحد بان يقال واتبعوا في الدنيا ويوم القيمة لعنة كما في قوله تعالى واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة وفي الآخرة ابدا تائما باختلاف نوعي الحسنيين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الاخروية الثواب والرحمة الا ان عادا كفروا ربهم اي بربهم او نعمة ربهم حملا له على نقيضه الذي هو الشكر او جحدوه الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اي هلاك تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للمبالغة في تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فائدته التمييز عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عم وهم قومه والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وصالح عم هو ابن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم مظنة لان يسأل ويقال ماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده وعلل ذلك بقوله ما لكم من اله غيره ثم زيد فيما يبعثهم على الايمان والتوحيد ويحثهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله هو انشأكم من الارض اي هو كونكم وخلقكم منها لا غيره قصر قلب وقصر افراد فان خلق آدم عم منها خلق لجميع افراد البشر منها لما مر مرارا من ان خلقته عم لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع ذرياته التي ستوجد الى يوم القيمة انطواء اجماليا وقيل لم يخلق آدم عم وانشأ مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب نشأ لجميع الخلق من الارض فقد بر واستعمركم فيها اي عمركم واستبقاكم فيها او من العمارة اي اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها فاستغفروه ثم توبوا اليه فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل ان ربي قريب اي قريب الرحمة كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين

مجيب لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر الغاية المتأخرة عنهما في الوجود اعني الاجابة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا اي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور وعن ابن عباس رض فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الآلهة او قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الآن على يأس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالآن قد انصرم عنك رجاؤنا وقراءة طلحة مرجوءا بالمد والهمزة اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا اي عبدوه والعدول الى صيغة حكاية الحال الماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة مريب اي موقع في الريبة من اراب اي اوقعه في الريبة اي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة او من اراب اذا كان ذا ريبة واياما كان فالاسناد مجازي والتنوين فيه وفي شك للتفخيم قال يا قوم ارأيتم اي اخبروني ان كنت في الحقيقة على بينة اي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من ربي مالكي ومتولي امري وآتاني منه من جهته رحمة نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة فمن ينصرني من الله اي ينجيني من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى ان عصيته اي بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تأتون وتذرون فان العصيان ممن ذلك شأنه ابعد والمؤاخذة عليه الزم وانكار نصرته ادخل فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى تزيدوه غير تخسير اي غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريض لسخط الله تعالى او فما تزيدونني بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه على بينة من ربه وايتائه النبوة ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتشريف والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق لكم آية معجزة دالة على صدق نبوتي وهي حال من ناقة الله والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا وعاملا في آية فذروها خلوها وشأنها تأكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لتربية استحقاقها لذلك وتعليل الامر بتركها وشأنها ولا تمسوها بسوء بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذي هو من مبادي الاصابة ونكر السوء اي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها فيأخذكم عذاب قريب اي قريب النزول روي انهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة تسمى الكاثبة ناقة عشراء مخترجة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ صالح عليه السلام مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك فعقروها قيل زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت

ثم تتفحج ن

الجناد فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال صالح عم لهم ادركوا الفصيل
عسى الله ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تمتعوا
اي عيشوا في داركم اي في منازلكم او في الدنيا ثلثة ايام قيل قال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد
محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ذلك اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلثة ايام
من نزول العذاب عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد التفخيم وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فحذف
الجار للاتساع المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب كان الوعد قال له اني بك فان وفي به
صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا اي عذابنا او امرنا
بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل نجينا صالحا والذين آمنوا معه متعلق بنجينا او بآمنوا برحمة
بسبب رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما مر او ملتبسين برحمة
ورأفة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم
من عذاب غليظ على معنى انه كانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته او ذلهم
وفضيحتهم يوم القيمة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة
بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساء المضاف البناء من المضاف اليه هنا
والمعارج في قوله من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ ان ربك الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه لا غيره ولكون الاخبار بتنجية الاولياء
لا سيما عند الانباء بحلول العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا
عدل عن المضمر الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم الصيحة اي صيحة جبريل
عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم
في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء
فاصبحوا اي صاروا في ديارهم اي بلادهم او مساكنهم جاثمين هامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم
كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما
من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما راوا العلامات التي بينها
صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عم فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما
كان ضحوة الرابعة وهو يوم السبت تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا
كأن لم يغنوا اي كانهم لم يقيموا فيها اي في بلادهم او في مساكنهم وهو في موقع الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين
لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط الا ان ثمود وضع موضع المضمر لزيادة البيان ونونه ابو بكر ههنا وفي النجم وقرأ
حفص ههنا وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من احوالهم
تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى الا بعدا لثمود قرأه
الكسائي بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وهم الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل وميكائيل
وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل ومعه
سبعة وعن السدي احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا عم
وانما اسند اليهم مطلق المجيء بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عم بل الى قوم لوط عم
لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤه لداعية البشرى ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر
سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم
عليه السلام ممن لحقهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله

مصدر مبني للمفعول

والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى
اي ملتبسين بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باسحق
الآية وقوله وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم والبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى
فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيئها كما سيجيء وقيل هي البشارة
بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عم في شأنه والاظهر انها البشارة بالولد وستعرف تفرع المجادلة
على ذلك ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم قالوا سلاما
اي سلمنا او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما او ذكروا لفظ سلام قال سلام
اي عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم وقرئ سلم كحرم في حرام وقرأ ابن ابي عبلة قال سلاما
وعنه انه قرأ بالرفع فيهما فما لبث اي ابراهيم ان جاء بعجل اي في المجيء به او ما لبث مجيئه بعجل حنيذ
اي مشوي بالرضف في الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه كقوله بعجل سمين من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال
فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل نكرهم اي انكرهم يقال نكره وانكره واستنكره
بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روي انهم كانوا
ينكثون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا تصل اليه ايديهم وهذا الانكار منه عم راجع الى فعلهم المذكور
واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤية عدم اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس
ما كان يعهده من الناس الا يرى الى قوله تعالى في سورة الذاريات سلام قوم منكرون واوجس منهم
اي احس او اضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه وانما اخر
المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عم اوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة لا انه اوجس الخيفة
من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه ان تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند
وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف قالوه لما رأوا ما رأوا وامنوه مما نال الخوف ما ناله منه بل بعد اظهاره
عليه السلام له قال تعالى في سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك انا ارسلنا
ظاهره انه استئناف في معنى التعليل للنهي المذكور كما ان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم
الى قوم آخرين يوجب امنهم من الخوف اي ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله
تعالى فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح في انهم قالوه جوابا عن سؤاله
عليه السلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك وامرأته قائمة وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم
او على رؤوسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا وهي قائمة تسمع مقالتهم فضحكت
سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف
فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت
ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق اي عقبناه سرورها
بسرور اتم منه على السنة رسلنا ومن وراء اسحق يعقوب بالنصب على انه مفعول لما دل عليه بشرناها
اي ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء وخبره الظرف اي من بعد اسحق يعقوب مولود
او موجود وكلا الاسمين داخل في البشارة كيحيى او واقع في الحكاية بعد ان ولدا فسميا بذلك وتوجيه
البشارة هنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابراهيم عم وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه
بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استئناف وقع
جوابا عن سؤال من سأل وقال فما فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتا اصل الويل الخزي ثم شاع
في كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن على الاصل وامالها ابو

وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتي احضري فهذا اوان حضورك قيل هي الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت
أألد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا الذي تشاهدونه بعلي اي زوجي واصل
البعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل من اسم الاشارة او بيان له
وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في أألد لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله اي أألد وكلانا على حالة
منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على حاله عم لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد
للشيوخ من الشواب اما العجائز داؤهن عقام ولان البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس في البيان
ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع عن الولادة الى جانب ابراهيم عم وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها
في الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد
ان هذا اي ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا لشيء عجيب بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة
فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستيناف التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله عز
وجل عليها في ضمن الاستعجاب العادي لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى قالوا اتعجبين
من امر الله اي قدرته وحكمته او تكوينه او شانه انكروا تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة في بيت
النبوة ومهبط الوحي والآيات ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدهيها
ما يزدهي سائر النساء من امثال هذه الخوارق من الطاف الله تعالى الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل
احد ممن يتعلق بذلك مشيته الازلية لا سيما على اهل بيت النبوة التي ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب
سائر الناس وان تسبح الله تعالى وتحمده وتمجده والى ذلك اشاروا بقوله تعالى رحمة الله التي وسعت كل
شيء واستتبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اي خيراته النامية في كل باب التي
من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد
ابراهيم عم عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب
من صيغة الواحدة الى الجمع المذكر لتعميم حكمه لابراهيم عم ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان خطر بباله
مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستانف علل به انكار تعجبها كانه قيل ليس المقام مقام التعجب فان
الله تعالى على كل شيء قدير ولستم يا اهل بيت النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل رحمته المستتبعة
لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته اي خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة
لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان الى عباده والجملة لتعليل
ما سبق من قوله رحمة الله وبركاته عليكم فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي ما اوجس منهم من الخيفة
واطمان قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابراهيم عليه السلام
ببعض غب انفصالها بما ليس باجنبي من كل وجه بل له مدخل تام في السباق والسياق وتاخير الفاعل
عن الظرف لانه مصب الفائدة فان بتاخير ما حقه التقديم تبقى النفس منتظرة الى وروده فيتمكن عند
وروده اليها فضل تمكن وجاءته البشرى اي فسرت البشرى بقولهم لا تخف فسببيته ذهاب الخوف
ومجيء السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى يجادلنا في قوم لوط اي يجادل رسلنا في شانهم
عدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او طفق يجادلنا ظاهرة واما ان فسرت ببشارة الولد
او بما يعمها فلعل سببيتها لها من حيث انها تفيد زيادة اطمئنان قلبه بسلامته وسلامة اهله كافة
ومجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين
اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان

فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله
ان قيل المتبادر من هذا الكلام ان يكون ابراهيم عم قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط وذهاب
الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شانهم لاشتغاله بشان نفسه فلما ذهب عنه الروع
فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط
قلنا كان لوط عم على شريعة ابراهيم عم وقومه مكلفين بها فلما راى من الملائكة ما راى خاف على نفسه
وعلى كافة امته التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما الذي علمه
بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتامل والله الموفق ان
ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التاوه على الذنوب والتاسف على الناس
منيب راجع الى الله تعالى والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عم على ما صدر عنه من
المجادلة يا ابراهيم اي قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه اي الشان قد جاء امر ربك
اي قدره الجاري على وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية
لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم آتيهم
عذاب غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس رض
انطلقوا من عند ابراهيم عم الى لوط عم وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صورة غلمان حسان
الوجوه فلذلك سيء بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم
وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيء وسيئت باشمام السين الضم وروي ان الله تعالى قال
للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم
اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع
مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت به قومها وقالت ان في بيت لوط
رجالا ما رايت مثل وجوههم قط وضاق بهم ذرعا اي ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته
وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاق بنفسه عن هذا
الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساحة وكانه قدر البدن مجازا اي ان بدنه ضاق قدره من احتمال
ما وقع وقيل الذراع اسم الجارحة من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى
ضاق بهم ذرعا قصرها كما ان معنى سعتها وبسطها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مد
ليتناول ما يتناوله الطويل الذرع تقاصر عنه وعجز عن تعاطيه فضرب مثلا للذي قصرت طاقته
دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه اي لوطا وهو في بيته
مع اضيافه قومه يهرعون اليه اي يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه
والجملة حال من قومه وكذا قوله ومن قبل اي من قبل هذا الوقت كانوا يعملون السيئات اي جاءوا
مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قبحها
ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم
فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فان تزويج
المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبي عليه السلام ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص
بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه واياما
ما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه مجريا على الحقيقة
من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه

طمعاً في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيترجوا وانما اقدموا عليه مع ظهور الامر واستقرار
العلم عنده وعندهم جميعاً بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستقف عليه
فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون في ضيفي اي لا تفضحوني في شانهم فان
اخزاء ضيف الرجل وجاره اخزاء له او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء أليس منكم رجل رشيد
يهتدي الى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح قالوا معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى
والنهي عن اخزائه مجيبين عن اول كلامه لقد علمت ما لنا في بناتك من حق مستشهدين بعلمه بذلك
يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك الا عرض سابري ولا مطمع لنا في ذلك
وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران ولما ايس عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغي قال لو ان
لي بكم قوة اي لفعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال او
قطعت به الارض او كلم به الموتى او آوي الى ركن شديد عطف على ان لي بكم لما فيه من معنى الفعل اي لو
قويت على دفعكم بنفسي او آويت الى ناصر عزيز قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروي
عن النبي عم رحم الله اخي لوطاً كان يأوي الى ركن شديد وروي انه عم اغلق بابه دون اضيافه واخذ
يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا اي الرسل لما
شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك بضرر ولا مكروه فافتح
الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبرئيل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم
فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو
براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا على اعينهم فصاروا
لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوماً سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء
وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السري والفاء لترتيب الامر بالاسراء على الاخبار
برسالتهم المؤذنة بورود الامر والنهي من جنابه عز وجل اليه عليه السلام بقطع من الليل بطائفة
منه ولا يلتفت منكم اي لا يتخلف او لا ينظر الى ورائه احد منكم من اهلك وانما نهوا عن ذلك
ليجدوا في السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب
فيرقوا لهم الا امرأتك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك ويؤيده انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل
الا امرأتك وقرئ بالرفع على البدل من احد ولا التفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف كيلا يلزم
التناقض بين القراءتين المتواترتين فان النصب يقتضي كونها غير مأمور بالاسراء بها والرفع كونها مأمورة
بذلك ولا اعتذار بان مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الامر بالاسراء بها حتى
يلزم التناقض لجواز ان تسري هي بنفسها كما يروى انه عليه السلام لما اسرى باهله تبعتهم فلما سمعت
هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها او ان يسري بها عليه السلام من غير امر
بذلك اذ موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يخالف الرفع الذي لا يجدي
لان انصراف الاستثناء الى الالتفات يستدعي بقاء الاهل على عمومه فيكون الاسراء بها مأموراً به قطعاً
وفي حمل الاهلية في احدى القراءتين على الاهلية الدينية وفي الاخرى على النسبية مع ان فيه ما لا يخفى
من التحكم والاعتساف كر ما فر منه من المناقضة فالاولى جعل الاستثناء على القراءتين من قوله
ولا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قرأه بالنصب وان كان الافصح
الرفع على البدل ولا بعد في كون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها
عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم

من العذاب وهو امطار الحجارة لم يصبها الخسف والضمير في انه للشان وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله
ما اصابهم مبتدأ والجملة خبر لان الذي اسمه ضمير الشان وفيه ما لا يخفى من تفخيم شان ما اصابهم ولا يحسن
جعل الاستثناء منقطعاً على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر
بالاسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع أليس الصبح بقريب تاكيد للتعليل فان قرب
الصبح داع الى الاسراع في الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروي انه قال للملائكة عليهم السلام متى موعد
هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فقالوا ذلك وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة
والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين فلما جاء امرنا اي
وقت عذابنا وموعده وهو الصبح جعلنا عاليها اي عالي قرى لوط وهي التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس
مدائن فيها اربعمائة الف الف سافلها اي قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولاً اول للجعل وسافلها
مفعولاً ثانياً له وان تحقق القلب بالعكس ايضاً لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقار
ومساكنهم سافلها اشد عليهم واشق من جعل سافلها عاليها وان كان مستلزماً له روي انه جعل جبرئيل عم
جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم
واسناد الجعل والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا عليها على اهل
المدائن او شذاذهم حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل هو من اسجله
اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار ومن السجل اي مما كتب الله
تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين فابدلت نونه لاماً منضود نضد في السماء معداً للعذاب وقيل
يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما يتميز
به عن حجارة الارض او باسم من ترمي به عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره عز وجل وما هي اي
الحجارة الموصوفة من الظالمين من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه
وعيد شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه انه سأل جبرئيل عم فقال يعني ظالمي امتك
ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة
يمرون بها في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او اجرائه على موصوف
مذكر اي شيء بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الارض الا انها
هوت منها فهي اسرع شيء لحوقاً بهم فكانها بمكان قريب منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر
يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث والى مدين اي وارسلنا الى مدين بن ابراهيم عليه السلام وجعل
اسماً للقبيلة او اهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمي باسمه اخاهم شعيباً وهو ابن
ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله
تعالى ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه اي وارسلنا الى مدين اخاهم شعيباً قال استئناف وقع جواباً عن سؤال
نشأ من صدر الكلام فكانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل يا قوم اعبدوا
الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ما لكم من اله غيره تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعدما امرهم بما هو
ملاك الامر كله في الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عما اعتادوه من البخس والتطفيف عادة
مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان كي تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس اني اريكم
بخير اي ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك وبنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون من المسامحة
والتفضل على الناس شكراً عليها او بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي
عقبت بعلة اخرى اعني قوله عز وجل واني اخاف عليكم ان لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط

لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو والمراد
عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالإحاطة وهي حال العذاب على الإسناد المجازي
وفيه من المبالغة ما لا يخفى فإن اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد
اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه ويجوز أن يكون هذا تعليلاً للأمر والنهي جميعاً ويا قوم
أوفوا المكيال والميزان بالقسط أي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فإن الزيادة في الكيل والوزن
وإن كان تفضلاً مندوباً إليه لكنها في الآلة محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال وقت الكيل وإنما
أمر بتسويتهما وتعديلهما صريحاً بعد النهي عن نقصهما مبالغة في الحمل على الإيفاء والمنع من البخس وتنبيهاً على أنه
لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم إصلاح ما أفسدوه وجعلوه معياراً لظلمهم وقانوناً
لعدوانهم ولا تبخسوا الناس بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما أشياءهم التي يشترونها بهما وقد صرح
بالنهي عن البخس بعدما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والأمر بإيفائه اهتماماً بشأنه وترغيباً في إيفاء
الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز أن يكون المراد بالأمر بإيفاء المكيال والميزان الأمر بإيفاء
المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاماً للنقص في المقدار وغيره تعميماً بعد التخصيص كما في قوله
تعالى ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن العثي يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل البخس
المكس كأخذ العشور في المعاملات قال زهير بن أبي سلمى أفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع
امرؤ مكس درهم والعثي في الأرض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال إخراج ما يقصد به
الإصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الأرض مفسدين
أمر آخرتكم ومصالح دينكم بقية الله أي ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات
خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف فإن ذلك هباء منثور بل شر محض وإن زعمتم أن فيه خيراً كما قال
تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات إن كنتم مؤمنين بشرط أن تؤمنوا فإن خيريتها باستتباع
الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالإيمان لا محالة أو إن كنتم مصدقين لي في مقالتي لكم وقيل البقية
الطاعة كقوله عز وعلا والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله بالتاء الفوقانية
وهي تقواه عن المعاصي وما أنا عليكم بحفيظ أحفظكم من القبائح أو أحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم
وإنما أنا ناصح مبلغ وقد أعذرت إذا أنذرت ولم آل في ذلك جهداً أو ما أنا بحافظ ومستبق عليكم
نعم الله تعالى إن لم تتركوا ما أنتم عليه من سوء الصنيع قالوا يا شعيب أصلوتك تأمرك أن نترك
ما يعبد آباؤنا من الأوثان أجابوا بذلك أمره عليه السلام إياهم بعبادة الله تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة
الأصنام ولقد بالغوا في ذلك وبلغوا أقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بإنكار الوحي
الآمر بذلك حتى ادعوا أن لا آمر به من العقل أصلاً وأنه من أحكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك
بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء أصلوتك التي هي من نتائج الوسوسة وأفاعيل المجانين تأمرك
بأن نترك عبادة الأوثان التي توارثناها أباً عن جد وإنما جعلوه عليه السلام مأموراً مع أن الصادر عنه
إنما هو الأمر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرائع لأنه عليه السلام لم يكن يأمرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة
الوحي وأنه كان يعلمهم بأنه مأمور بتبليغه إليهم وتخصيصهم بإسناد الأمر إلى الصلوة من بين سائر أحكام
النبوة لأنه عليه السلام كان كثير الصلوة معروفاً بذلك وكانوا إذا رأوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون فكانت هي
من بين سائر شرائع الدين ضحكة لهم وقرئ أصلوتك أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء جواب لأمره
عليه السلام بإيفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما أي وأن نترك أن نفعل في أموالنا
ما نشاء من الأخذ والإعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالتاء في الفعلين عطفاً على مفعول تأمرك أي

أصلوتك تأمرك أن تفعل أنت في أموالنا ما تشاء وتجويز العطف على ما على أنه قيل بينك أن يراد بالترك
معنيان متخالفان والمراد بتعلقه عموم الإيجاب للإيفاء والعدل في معاملاتهم لا نفس الإيفاء فإن ذلك
ليس من أفعالهم وإنما لم يقل عطفاً على أن نترك لأن الترك ليس مأموراً به على الحقيقة بل المأمور به تكليفه
عليه السلام إياهم وأمره بذلك والمعنى أصلوتك تأمرك أن تكلفنا أن نترك ما يعبد آباؤنا وحمله على معنى
أصلوتك تأمرك بما ليس في وسعك وعهدتك من أفاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضاً منهم بركاكة رأيه عليه السلام
واستهزاءً به من تلك الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلوة دون الأمر ويستدعي أن يصدر عنه عليه السلام
في أثناء الدعوة ما يدل على ذلك أو يوهمه وأنى ذلك فتأمل وقرئ بالنون في الأول والتاء في الثاني عطفاً
على أن نترك أي وأن تفعل أنت في أموالنا عند المعاملة ما تشاء أنت من التسوية إنك لأنت الحليم الرشيد
وصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم وإنما أرادوا بذلك وصفه بضديهما كما تقول للخزنة ذق إنك أنت العزيز
الكريم ويجوز أن يكون تعليلاً لما سبق من استبعاد ما ذكروه على معنى إنك لأنت الحليم الرشيد على زعمك
وأما وصفهم بهما على الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء اللهم إلا أن يراد بالصلوة الدين كما قيل قال يا قوم
أرأيتم إن كنت على بينة أي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة رداً
على مقالتهم الشنعاء في جعلهم أمره ونهيه غير مستند إلى سند من ربي ومالك أموري وإيراد حرف الشرط مع جزمه
عليه السلام بكونه على ما عليه من البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم
كما ذكرناه في نظائره ورزقني منه أي من لدنه رزقاً حسناً هو النبوة والحكمة أيضاً عبر عنهما بذلك تنبيهاً
على أنهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحياة الأبدية له ولأمته وجواب الشرط محذوف
يدل عليه فحوى الكلام أي أتقولون في شأني ما تقولون والمعنى أنكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة
وعددتم ما صدر عني من الأوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح أن يتفوه به عاقل وجعلتموه من أحكام الوسوسة
والجنون واستهزأتم بي وبأفعالي حتى قلتم إن ما أمرتكم به من التوحيد وترك عبادة الأصنام والاجتناب
عن البخس والتطفيف ليس مما يأمر به العقل ويقضي به قاضي الفطنة وإنما يأمر به صلوتك التي هي من أحكام الوسوسة
والجنون فأخبروني إن كنت من جهة ربي ومالك أموري ثابتاً على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية
الكمال ولا مطمح لطامح ورزقني بذلك رزقاً حسناً أتقولون في شأني وشأن أفعالي ما تقولون مما
لا خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه السباق والسياق وينساق إليه النظم الكريم وأما ما قيل
من أن المحذوف فهل يصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي وهل يسع لي مع هذا الإنعام
الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه وأخالفه في أمره ونهيه فبمعزل من ذلك
وإنما يناسب تقديره أن لو حمل كلامهم على الحقيقة وأريد بالصلوة الدين على معنى أدينك يأمرك أن تكلفنا بترك
عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في أموالنا ونحن لا نفي في ذلك بتنوع عصياننا وهذا مما لا ينبغي
أن يصدر عنك فإنك أنت المشهود بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت
فينا مرجواً قبل هذا مسوقاً على ذلك النمط فأجيبوا بما أجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن
الحلال الذي آتاه الله والمعنى ح أخبروني إن كنت نبياً من عند الله تعالى ورزقني مالاً حلالاً أستغني به
عن العالمين أيصح أن أخالف أمره وأوافقكم فيما تأتون وتذرون وما أريد بنهيي إياكم عما أنهاكم عنه من البخس
والتطفيف إلى ما أنهاكم عنه أي أقصده بعد ما وليتم عنه وأستبد به دونكم يقال خالفت زيداً
إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا إذا كان الأمر على العكس إن أريد أي ما أريد بما أباشره
من الأمر والنهي إلا الإصلاح إلا أن أصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت أي مقدار ما استطعته
من الإصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالإصلاح في الجملة لا عن إرادة ما ليس في وسعه منه وما توفيقي

أي كوني موفقا لتحقيق ما أنتحيه من إصلاحكم إِلَّا بِاللَّهِ أي بتأييده ومعونته بل الإصلاح من حيث الخلق
مستندا إليه سبحانه وإنما أنا من مباديه الظاهرة قاله عم تحقيقا للحق وإزاحة لما عسى يوهم إسناد
الاستطاعة إليه بالإرادة من استبداده بذلك عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ في ذلك معرضا عما عداه فإنه القادر على كل
مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وبمعزل عن رتبة الاستمداد به
والاستظهار وَإِلَيْهِ أُنِيبُ أي أرجع فيما أنا بصدده ويجوز أن يكون المراد وما كوني موفقا لإصابة الحق
والصواب في كل ما آتي وأذر إلا بهدايته ومعونته عليه توكلت وهذا إشارة إلى محض التوحيد الذاتي والفعلي
وإليه أنيب أي عليه أقبل بشراشر نفسي في مجامع أموري وإيثار صيغة الاستقبال على الماضي لأنسب للترتيب
والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عم من مراعاة لطف المراجعة
ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجادلة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جناب الله
عز وجل والاستعانة به في أموره وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وأما
تهديدهم بالرجوع إلى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لأن الإنابة إنما هي الرجوع الاختياري بالفعل إلى الله تعالى
لا الرجوع الاضطراري للجزاء وما يعمه وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ أي لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته
مالا شِقَاقِي معاداتي وأصلها أن أحد المتعادين يكون في عدوة وشق والآخر في آخر أَنْ يُصِيبَكُمْ
مفعول ثان ليجرمنكم أي لا يكسبنكم معاداتكم لي أن يصيبكم مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ من الغرق أَوْ قَوْمَ هُودٍ
من الريح أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته
جارما له أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال
فكما لا فرق بين كسبته مالا وأكسبته إياه لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه في المعنى إلا أن الأول
أصح وأدور على ألسنة الفصحاء وقرأ أبو حيوة مثل ما أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله لم يمنع
الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن
كسب إصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته عم على ألطف أسلوب وأبدعه كما مر في سورة
المائدة عند قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا
بمن قبلهم من الأمم المعدودة فاعتبروا بهم كأنه إنما غير أسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما أصابهم بل اكتفى
بذكر قربهم إيذانا بأن ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منتظما في سلك ما ذكر من دواهي الأمم المرقومة أو ليسوا ببعيد
منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد أن يصيبكم مثل ما أصابهم وإفراد البعيد مع تذكيره لأن المراد وما إهلاكهم
على نية المضاف أو وما هم بشيء بعيد لأن المقصود إفادة عدم بعدهم على الإطلاق لا من حيث خصوص
كونهم قوما أو ما هم في زمان بعيد أو مكان بعيد ولا يبعد أن يكون ذلك لكونه على زنة المصادر كالنهيق
والشهيق ولما أنذرهم بسوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه من طغيانهم
بالحمل على الاستغفار والتوبة فقال وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ قد مر تفسيره في أوائل السورة
إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ عظيم الرحمة للتائبين وَدُودٌ مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف
والإحسان وهذا تعليل للأمر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا
تَقُولُ أي ما نفقه كثيرا من كلامه أي ما نفهم مرادك وإنما قالوه بعدما سمعوا منه دلائل الحق
المبين على أحسن وجه وأبلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا إلى محاورته سبيلا
سوى الصدود عن منهاج العقل والسلوك إلى سبيل الشقاء كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات
بالسب ولا يبرق ولا يرعد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف
من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وأدمجوا في ضمن ذلك أن في تضاعيفه ما يستوجب أقصى

ما يحق من المؤاخذة والعقاب ولعل ذلك لما فيه من التحذير من عواقب الأمم السالفة ولذلك قالوا
وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا فيما بيننا ضَعِيفًا لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والإيقاع والدفع
وَلَوْلَا رَهْطُكَ لولا مراعاة جانبهم لا لولاهم بمانعوننا ويدافعوننا لَرَجَمْنَاكَ فإن ممانعة الرهط
وهو اسم للثلاثة إلى السبعة أو إلى العشرة لهم وهم ألوف مؤلفة مما لا يكاد يتوهم وقد أيد ذلك بقوله
عز وجل وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ مكرم محترم حتى نمتنع من رجمك وإنما نكف عنه للمحافظة على حرمة
رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وإيلاء الضمير حرف النفي وإن
لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي إلى الفاعل دون الفعل لا سيما مع قرينة قوله ولولا
رهطك كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم
هذه عائدا إلى نفي ما فيه عم من القوة والعزة الربانيتين حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا
من عنده ويقتضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والإنابة إليه وإلى إسقاط ذلك كله عن درجة
الاعتداد به والاعتبار قال عم في جوابهم يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ فإن الاستهانة بمن لا يتعزز
إلا به عز وجل استهانة بجنابه العزيز وإنما أنكر عليهم أعزية رهطه منه تعالى مع أن ما أثبتوه إنما هو مطلق
عزة رهطه لا أعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في أصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث أنكر
عليهم أولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى أرهطي أعز عليكم من الله
فإنه مما لا يكاد يصح والحال أنكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة أصلا وَاتَّخَذْتُمُوهُ بسبب عدم
اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر إلا بأمره وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا شيئا منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالي به
منسوب إلى الظهر والكسر لتغيير النسب كالإمسي في النسبة إلى الأمس إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ من الأعمال
السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه مُحِيطٌ لا يخفى عليه منها خافية وإن جعلتموه منسيا فيجازيكم
عليها ويحتمل أن يكون الإنكار للرد والتكذيب فإنهم لما ادعوا أنهم لا يكفون عن رجمه لقوته وعزته
بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بأنكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي
فكيف تراعون جانب رهطي الأذلة وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا لما رأى عم إصرارهم على الكفر وأنهم لا يرعوون
عما هم عليه من المعاصي حتى اجترؤوا على العظيمة التي هي الاستهانة به والعزيمة على رجمه ولولا عشيرته بسط
قال لهم على طريقة التهديد اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ أي على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن
أبلغ التمكن وإنما قاله عم ردا لما ادعوا أنهم أقوياء قادرون على رجمه وأنه ضعيف فيما بينهم لا عزة له
أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما أنتم
عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما أنتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وإيقاع ما في
وإخراج ما في أنفسكم من القوة إلى الفعل إِنِّي عَامِلٌ على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني بأنواع التأييد
والتوفيق سَوْفَ تَعْلَمُونَ لما هددهم عم بقوله اعملوا على مكانتكم إني عامل كان مظنة أن يسأل منهم سائل
فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وصف العذاب بالإخزاء
تعريضا بما أوعدوه عم من الرجم فإنه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون إلا بجناية عظيمة
توجبه وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ عطف على من يأتيه لا على أنه قسيمه بل حيث أوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف
تعلمون من المعذب والكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عم وفي نسبته
إلى الضعف والهوان وفي ادعائهم الإبقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية
والاسمية لأن تكذيبهم الكاذب ليس مرتقبا كإتيان العذاب بل إنما المرتقب ظهور الكذب السابق المستمر
ومن إما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا كاذب

وإمّا موصولة اي سوف تعرفون الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما اقول
إني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع وفي زيادة
معكم اظهار منه عم لكمال الوثوق بامره ولما جاء أمرنا اي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من
يأتيه عذاب يخزيه او وقته فان الارتقاب يؤذن بذلك نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا
وهي الايمان الذي وفقناهم له او برحمة كائنة منا لهم وانما ذكره بالواو كما في قصة عاد لما انه لم يسبق فيها ذكر
وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي صالح ولوط فانه قد سبق هناك سابقة
الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح وأخذت الذين ظلموا عدل الى المظهر عن الضمير
تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فنونه الصيحة
قيل صاح بهم جبريل عم فهلكوا وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة
اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي اليها كما مر فيما قبل فأصبحوا
في ديارهم جاثمين ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم ولما لم يجعل العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من
يأتيه عذاب بالغ نشرح العذاب بل من يجيئه ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا
وجعل تنجية شعيب عم واهلاك الكفرة جوابا له ومقصود الافادة وانما قدم تنجيته اهتماما بشأنها وايذانا
بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرائمهم كأن لم يغنوا
اي لم يقيموا فيها متصرفين في اطرافها متقلبين في اكنافها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول
عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم الذي ادى بهم الى هذه المرتبة وليكون انسب بمن شبه هلاكهم
بهلاكهم اعني ثمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء
صيح بهم من فوقهم واولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون
بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وهي
الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما آية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك
فانه لقبول احكام التورية حين اباه بنو اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من معمول
ارسلنا او نعتا لمصدره المؤكد اي ارسلناه حال كونه ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة
منها او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها والمراد بالآيات ما عداها او هما
عبارتان عن شيء واحد اي ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته واضحا في نفسه
او موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا او هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا
ويجوز ان يكون المراد ما بينه عم في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربكما فما بال القرون الاولى
من الحقائق الرائقة والدقائق اللائقة وجعله عبارة عن التورية او ادراجها في جملة الآيات يرده قوله
عز وجل الى فرعون وملائه فان نزولها انما كان بعد هلاك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنو اسرائيل
فيما يأتون وما يذرون واما فرعون وقومه فانما كانوا مأمورين بعبادة رب العالمين وترك
العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر
وتخصيص ملائه بالذكر مع عموم رسالته عم لقومه كافة لاصالتهم في الرأي وتدبير الامور واتباع غيرهم
لهم في الورود والصدور وانما لم يصرح بكفرهم بآيات الله تعالى وانهماكهم فيما كانوا عليه من الضلال والاضلال
بل اقتصر على ذكر شأن ملائه فقيل فاتبعوا أمر فرعون اي امره بالكفر بما جاء به موسى عم من الحق المبين
للايذان بوضوح حاله فكان كفره وامره لملائه بذلك امرا محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا وانما المحتاج

الى ذكره شان ملائه المترددين بين هاد الى الحق وداع الى الضلال فبني عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء
في اتباعهم المترتب على امر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بمفاجاتهم في الاتباع
ومسارعتهم فرعون الى الكفر وامرهم به فكان ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك
في آن واحد نوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يراد بامر فرعون شأنه المشهور وطريقته الزائغة فيكون
معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء مثل ما في قولك وعظته فلم يتعظ ونصحت فلم يترجح فان الاتيان
بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد
وصنع حادث فتأمل وترك الاضمار للدفع توهم الرجوع الى موسى عم من اول الامر لزيادة تقبيح حال المتبعين
فان فرعون علم في الفساد والافساد والضلال والاضلال فاتباعه لفرط الجهالة وعدم الاستبصار
وكذا الحال في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد الرشد ضد الغي وقد يراد به محمودية العاقبة فهو
على الاول بمعنى المرشد او ذي الرشد حقيقة لغوية والاسناد حقيقي يقدم قومه جميعا من الاشراف
وغيرهم يوم القيمة اي يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استئناف لبيان حاله في الآخرة اي كما كان
قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح مآل امره وسوء عاقبته
فاوردهم النار اي يوردهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه فرعون
بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل وبئس
الورد المورود اي بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد
الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اي الملأ الذين اتبعوا امر فرعون في هذه اي في الدنيا لعنة
عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم ويوم القيمة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف قاطبة فهي تابعة
لهم حيثما ساروا دائرة معهم اينما داروا في الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء
وفاقا واكتفي ببيان حالهم الفظيع وشأنهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما
ظنك بحال من اغواهم والقاهم في هذا الضلال البعيد وحيث كان شأن الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع
جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اي بئس العون المعان وقد فسر
الرفد بالعطاء ولا يلائمه المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف
اي رفدهم وهي اللعنة في الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منهما معينة وممدة لصاحبتها
ومؤيدة لها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره من انباء القرى المهلكة بما جنته ايدي اهلها نقصه عليك خبر
بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص عليك منها اي من تلك القرى قائم وحصيد اي ومنها
حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقي منها بالزرع القائم على ساقه وما عفا وبطل بالحصيد
والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها
عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا دفعت بأس الله تعالى عنهم آلهتهم
التي يدعون اي يعبدونها من دون الله اوثر صيغة المضارع حكاية للحال الماضية او للدلالة على استمرار
عبادتهم لها من شيء في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك اي حين مجيء عذابه وهو منصوب
باغنت وقرئ آلهتهم اللاتي ويدعون على البناء للمجهول وما زادوهم غير تتبيب اي اهلاك وتخسير
فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اي مثل ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو رفع على الابتداء
وخبره قوله اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بمحل الكاف النصب على انه مصدر مؤكد اذا اخذ القرى اي اهلها
وانما اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرئ اذ اخذ وهي ظالمة حال من القرى وهي

في الحقيقة لا علما لكنها لما انبئت معاملتهم في الاخذ اجريت مجرى حال العالم بها وفائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا لظلمهم
ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى
من التهديد والتحذير ان في ذلك اي في اخذه تعالى للامم المهلكة او في قصصهم لآية لعبرة لمن خاف
عذاب الآخرة فانه المعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال
عذاب الآخرة واما من انكر الآخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شيء من احواله مستندا الى الفاعل
المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر
من المعاصي التي يقترفها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار ذلك اشارة
الى يوم القيمة المدلول عليه بذكر الآخرة يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتغيير
للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم
يجمعكم ليوم الجمع وذلك اي يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس يوم مشهود اي مشهود فيه حيث
يشهد فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله في محفل من نواصي
الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله
وتمييزه من غيره فان سائر الايام ايضا كذلك وما نؤخره اي ذلك اليوم الملحوظ بعنواني الجمع والشهود الا
لاجل معدود الا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة يوم يأت اي حين يأتي ذلك اليوم
المؤخر بانقضاء اجله كقوله تعالى ان تأتيهم الساعة وقيل يوم يأتي الجزاء الواقع فيه وقيل اي الله عز وجل
فان المقام مقام تفخيم شان اليوم وقرئ باثبات الياء على الاصل لا تكلم نفس اي لا تتكلم بما ينفع وينجي
من جواب وشفاعة وهو العامل في الظرف او الانتهاء المحذوف في قوله تعالى الا لاجل معدود اي ينتهي
الاجل يوم يأتي والمضمر المعهود اعني اذكر الا باذنه عز سلطانه نفي التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف
آخر منها او المأذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها
كما في قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره فمنهم شقي وجبت له النار بموجب الوعيد وسعيد
اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف
المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم الشقي على السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار
فاما الذين شقوا اي سبقت لهم الشقاوة ففي النار اي مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج
النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره قال الشماخ يصف حمار الوحش بعيد مدى التطريب
اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة
وانحصر فيه روحه وتشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم والجملة مستأنفة كأن سائلا قال
ما شأنهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا او منصوبة المحل على الحالية من النار او من الضمير في الجار والمجرور كقوله
عز اسمه خالدين فيها خلا انه ان اريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض
اي مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار
وما اقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التأبيد لا تعليق قرارهم
فيها بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تأبيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما
وان اريد التعليق فالمراد سموات الآخرة وارضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وجزم كل احد بان اهل الآخرة
لا بد لهم من مظلة ومقلة دائمتين يكفي في تعليق دوام قرارهم فيها بدوامهما فلا حاجة الى الوقوف على تفاصيل

احوال

احوالها وكيفياتها الا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى وقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط غير ان
استحالة الامور المذكورة معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشية بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعني انهم
مستقرون في النار في جميع الازمنة الا في زمان مشية الله تعالى لعدم قرارهم فيها واذ لا امكان لتلك المشية
ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى
يتوهم من كون استحالة تعلق مشية الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى ان ربك فعال لما يريد
يعني انه في تخليد الاشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب ارادته قاض بمقتضى مشيته
الجارية على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد والعدول عن الاضمار الى الاظهار
لتربية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب النار فانهم لا يخلدون فيه بل يعذبون
بالزمهرير وبانواع اخر من العذاب وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسؤه لهم واهانته
اياهم وانت تدري انا وان سلمنا ان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على انواع العذاب
بل نفس النار فاخلاء عذاب الزمهرير من تلك الانواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق في ذلك للاستثناء
وكذلك نقول انهم ليسوا مخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار بل لهم من افانين العذاب
ما لا يعلمه الا الله تعالى من العقوبات والآلام الروحانية التي لا يقف عليها في هذه الحيوة الدنيا المنغمسون
في احكام الطبيعة المقصور ادراكهم على ما الفوه من الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء ذلك
من الاحوال الروحانية اذا القي اليهم ولذلك لم يتعرض لبيانه واكتفي بهذه المرتبة الاجمالية المنبئة عن التهويل
فهذه العقوبات وان كانت تعتريهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون بها وهذه المرتبة
كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قيل الا بمعنى سوى وهو وفق بما ذكر وقيل ما بمعنى من على ارادة معنى
الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا في النار مستقرين للخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم وهم عصاة المؤمنين
واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض والكلام فيه كالكلام فيما سبق
خلا انه لم يذكر ههنا ان لهم بهجة وسرورا كما ذكر في اهل النار من ان لهم فيها زفيرا وشهيقا لان المقام مقام التحذير
والانذار الا ما شاء ربك حمل على طريقة التعليق بالمحال فقوله سبحانه عطاء غير مجذوذ نصب على المصدرية
من معنى الجملة لان قوله في الجنة خالدين فيها يقتضي اعطاء وانعاما فكأنه قيل يعطيهم عطاء وهو اما اسم مصدر
هو الاعطاء او مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا وان حمل على ما اعد الله تعالى لعباده
الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب
على الحالية من المفعول المقدر للمشية او تمييز فان نسبة مشية الخروج الى الله تعالى يحتمل ان يكون على
جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع للابهام عن النسبة قال ابن زيد اخبرنا الله بالذي يشاء لاهل الجنة تعالى فقال
عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا القسمين او بالاول فقط لما
يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه فلا تك في مرية اي في شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص
وبين في تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخروية مما يعبد هؤلاء اي من جهة عبادة هؤلاء المشركين
وسوء عاقبتها او من حال ما يعبدونه من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبيل
الشروع في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل الفريقين
كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وقد قص عقيبه ذلك من الامم السالفة
مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير امر
هؤلاء المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستئناف فقيل ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم

أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر فاقرؤوا ان شئتم
فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين
الآية صحيح
البخاري
م

الذين قصصت عليك قصصهم من قبل اي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم وما يعبدون
شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
او مثل ما كانوا يعبدون ونحن كان الدلالة قوله من قبل عليه ولقد بلغك ما لحق آباءهم فسيلحقهم مثل ذلك
فان تماثل الاسباب يقتضي تماثل المسببات وانا لموفوهم اي هؤلاء الكفرة نصيبهم اي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم
وجرائر آبائهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا آباءهم انصباءهم المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون
بيانا لوجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه غير منقوص حال مؤكدة من النصيب كقوله تعالى ثم وليتم
مدبرين وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا في نفسه مبني على الذهول عن كون
العامل هو التوفية فتأمل ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية فاختلف فيه اي في شأنه وكونه من عند الله
تعالى فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا انزل عليه
كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته ولولا كلمة سبقت من ربك وهي كلمة القضاء بانظارهم
الى يوم القيمة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك لقضي بينهم اي لاوقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال
العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين وقيل بين قوم موسى وليس بذاك وانهم اي وان كفار قومك
اريد به بعض من رجع اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس لفي شك عظيم منه اي من القرآن وان لم يجر له
ذكر فان ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير خفي مريب
موقع في الريبة وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اي وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين
وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي اجزية
اعمالهم واللام الاولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف وما مركبة من من الجارة وما الموصولة
او الموصوفة واصلها لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن
الذين او لمن خلق او لمن فريق والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين اللامين والمعنى
وان جميعهم والله ليوفينهم الآية وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله سبحانه اكلا لما وقرأ ابي وان كل لما
ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير
والشر خبير بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائله ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم
فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص يوجب توفية
كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاستقم كما امرت لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم
الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب
مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم القرآن مثل تكذيب قوم موسى
عليه السلام للتورية وانه لولا سبق كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة الى يوم القيمة لفعل بهم
ما فعل بآبائهم من قبل وانهم يوفون نصيبهم غير منقوص وان لكل واحد من المؤمنين والكافرين يوفى جزاء عمله امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر به في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما
الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء الرسالة بحيث يدخل تحته
ما امر به فيما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الآية وبالجملة فهذا الامر منتظم
لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهدته في غاية ما يكون
من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي من الشرك والكفر
وشاركك في الايمان وهو المعني بالمعية وهو معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تأكيد لمكان
الفاصل القائم مقامه وفي الحقيقة هو عطف الجملة على الجملة اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب

كما نطق به قوله تعالى وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص
سعد

كما ينبئ عنه قوله تعالى وان كلا لما الآية ... نصيب ... تحت بيان توفية اجزية اعمال الكفرة ... عن الخلاص بالمرة
سعد

على انه مفعول معه كما قاله ابو البقاء والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم
بافراط او تفريط فان كلا طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا اي تجاوزا للحد تغليظا او تغليبا لحال سائر
المؤمنين على حاله عليه السلام انه بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي الآية
دليل على وجوب اتباع النصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد
التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد ولا تركنوا اي
لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار
جمعية المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم
ثم ان لو كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك فتمسكم النار بسبب ركونكم اليهم واذا كان
حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم
والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويتلقى بشراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج
بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة
طفيف ومن جناح البعوض اخف بمعزل من ان يميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب ولا تمثيل في النهي ابلغ مما
يتصور في الميل الى الظلم والتهديد عليه وخطابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين للتثبيت
على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا
على لغة تميم وتركنوا على صيغة البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء اي من انصار
ينقذونكم من النار والجملة نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار وفي الاولياء ليس بطريق نفي ان يكون لكل
واحد منهم اولياء حتى يصدق مع ان يكون له ولي بل لمكان لكم بطريق انقسام الآحاد على الآحاد لكن لا على معنى
استناد كل منهم بنصير بل على معنى نفي ان يكون لواحد منهم نصير بعزيز المقام ثم لا تنصرون من جهته سبحانه
اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يبقي عليكم وثم لتراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهته تعالى بعد
ما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله
تعالى معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار اي غدوة وعشية
وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت وزلفا من الليل اي ساعات منه قريبة من النهار
فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار والمراد بصلوتهما صلوة الغداة والعصر وقيل
الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشي وبصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وبضمة وسكون
كبسر وبسر وزلفى جمع زلفة كقربى وقربة ان الحسنات التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات
يذهبن السيئات التي قلما يخلو منها البشر اي يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما
ما اجتنب الكبائر وقيل نزلت في ابي اليسر الانصاري اذ قبل امرأة ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره بما فعل فقال عليه السلام انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر قال عليه السلام نعم اذهب فانها كفارة لما عملت
او يمنعن اقترافها كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة الى قوله تعالى فاستقم فما بعده
وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين اي عظة للمتعظين واصبر على مشاق ما امرت به في تضاعيف الاوامر السابقة
واما ما نهي عنه من الطغيان والركون الى الذين ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم
الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المأمور بها ومن
يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه ظلم ما فان في الاحتراز عن مثاله من المشقة ما لا يخفى فان الله لا يضيع
اجر المحسنين اي يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا وانما عبر عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة
حقيقة كيف والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصوير

مقاتل قاله الضحاك

وقيل الفجر والظهر والعصر قاله كعب القرظي

اي نعم يقبل توبتك

وفي رواية فلما صلى صلوة العصر قال اين ابو اليسر فقال ها انا يا رسول الله فقال اشهدت معنا صلوة العصر قال نعم قال اذهب فانها كفارة لما عملت

بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة عليه وإنما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع إفادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للأمر بالصبر وفيه إيماء إلى أن الصبر على ما ذكر من باب الإحسان فلولا كان فهلا كان من القرون الكائنة من قبلكم على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أو كائنة من قبلكم أولو بقية من الرأي والعقل أو أولو فضل وخير وسميا بها لأن الرجل إنما يستبقي مما يخرجه عادة أجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز أن يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أي فهلا كان منهم ذوو إبقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده أنه قرئ أولو بقية وهي المرة مصدر بقاه يبقيه إذا راقبه وانتظره أي أولو مراقبة خشية من عذاب الله كأنهم ينظرون نزوله لإشفاقهم ينهون عن الفساد في الأرض الواقع منهم حسبما حكي عنهم إلا قليلا ممن أنجينا منهم استثناء منقطع أي لكن قليلا منهم أنجيناهم لكونهم على تلك الصفة على أن من للبيان لا للتبعيض لأن جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لأنه يكون تحضيضا لأولي البقية على النهي المذكور إلا القليل من الناجين منهم كما إذا قلت هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم مريدا لاستثناء الصلحاء من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك أن جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكأنه قيل ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلا منهم لكن الرفع هو الأفصح على البدلية واتبع الذين ظلموا بمباشرة الفساد وترك النهي عنه ما أترفوا فيه أي نعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها أما المباشرون فظاهر وأما المساهلون فلما لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهي وأنت خبير بأنه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والإجرام عبارة وكانوا مجرمين أي كافرين فهو بيان لسبب استئصال الأمم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام أي لم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول إلى المظهر لإدراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللإشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب أو على استئناف يترتب على قوله إلا قليلا أي إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الإظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف على أترفوا أي اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام أو أريد بالإجرام إغفالهم للشكر أو على اتبع أي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك مجرمين ويجوز أن يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بأنهم قوم مجرمون وقرئ وأتبع أي أتبعوا جزاء ما أترفوا فيكون الواو للحال ويجوز أن يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الإنجاء وما كان ربك ليهلك القرى أي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة أن يهلك القرى التي أهلكها حسبما بلغك أنباؤها ويعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتأكيد النفي وقوله بظلم أي ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل أي ظالما لها والتنكير للتفخيم والإيذان بأن إهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وإلا فلا ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة أهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى وأهلها مصلحون حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالا من فاعله أعني بظلم لدلالته على تقييد نفي الإهلاك ظلما بحال كون أهلها مصلحين ولا ريب في فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية أي لا يهلك القرى بسبب إشراك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون إلى شركهم فسادا آخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد إذا تزاحما على حقوق الله الغني وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وأنت تدري أن مقام النهي عن المنكرات التي أقبحها الإشراك بالله لا يلائمه فإن الشرك داخل في الفساد في الأرض دخولا أوليا ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت أنباؤهم أمته

أولا عن الإشراك ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من أصناف المعاصي وحمل الإصلاح على إصلاحه والإقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي عنه وبعضهم متوجهين إلى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من أنواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة مجتمعة على الحق ودين الإسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه أحد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقة على الحق ولا يزالون مختلفين في الحق أي مخالفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم إلا من رحم ربك إلا قوما هداهم الله تعالى بفضله إلى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه أي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه الاستثناء المذكور ولذلك أي لما ذكر من الاختلاف خلقهم أي الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة أو للرحمة فالضمير لمن واللام في معناها أو لهما معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين وتمت كلمة ربك أي وعيده وقيل وقوله للملائكة لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين أي من عصاتهما أجمعين أو منهما أجمعين لا من أحدهما وكلا أي وكل نبإ فالتنوين عوض من المضاف إليه نقص عليك نخبرك به وقوله تعالى من أنباء الرسل بيان لكلا وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك بدل منه والأظهر أن يكون المضاف إليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص أي كل اقتصاص أي كل أسلوب من أساليبه نقص عليك من أنباء الرسل وقوله ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على أن المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمال أذية الكفار بالوقوف على تفاصيل أحوال الأمم السالفة في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق وجاءك في هذه السورة أو الأنباء المقصوصة عليك الحق الذي لا محيد عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين أي الجامع بين كونه حقا في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الأول حالا له في نفسه حلي باللام دون ما هو وصف له بالقياس إلى غيره وتقديم الظرف أعني في هذه على الفاعل لأن المقصود بيان منافع السورة أو الأنباء المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولأن عند تأخير ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة إليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولأن في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي هي عدم الإيمان إنا عاملون على حالنا وهو الإيمان به والاتعاظ والتذكر به وانتظروا بنا الدوائر إنا منتظرون أن ينزل بكم نحو ما نزل بأمثالكم من الكفرة ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فيرجع لا محالة أمرك وأمرهم إليه وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه فإنه كافيك والفاء لترتيب الأمر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الأمور كلها إلى الله عز وجل وفي تأخير الأمر بالتوكل عن الأمر بالعبادة إشعار بأنه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما تعملون فيجازيهم بموجبه وقرئ تعملون على تغليب المخاطب أي أنت وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطي عشر حسنات بعدد من صدق بكل واحد من الأنبياء المعدودين فيها عليهم السلام وبعدد من كذبهم وكان يوم القيامة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى

كقوله تعالى اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين وقوله فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين كما في سورة ص
م

سورة يوسف مكية مائة إحدى عشرة آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر الكلام فيه وفي محله وفيما أريد بالإشارة والآيات والكتاب في قوله تعالى تلك آيات الكتاب عين ما سلف في مطلع سورة يونس المبين من أبان بمعنى بان أي الظاهر أمره في كونه من عند الله تعالى وفي إعجازه

بنوعيه لا سيما الاخبار عن الغيب والواضح معانيه للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقائقه ولا يلتبس لديهم
دقائقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بيّن اي المبين لما فيه من الاحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت واسرار
النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فابانته
انباؤه عن قصة يوسف عم فانه قد روي ان احبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمدا لماذا انتقل
آل يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عم ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة
من قبيل براعة الاستهلال لما سيأتي ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الاضافي قيل إنا أنزلناه اي
الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب بقوله تعالى قرآنا عربيا
اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتسارع الى الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان جعل عبارة
عن السورة فتسميتها قرآنا لما عرفته فيما سلف وان لفظ ذلك اسم جنس في الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب
او لانه مصدر بمعنى المفعول اي انزلناه حال كونه مقروءا بلغتكم لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا معانيه طرا
وتحيطوا بما فيه من البدائع خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر
نحن نقص عليك اي نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان من يقص الحديث يتبع ما حفظ
منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن لانه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية أحسن القصص اي احسن الاقتصاص
فنصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام لما في اقتصاص اهل الكتاب من القبح والخلل وترك المفعول
اما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل بما أوحينا اي بايحائنا إليك هذا القرآن اي هذه السورة
فان كونها موحاة مبني عن كون ما في ضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان قرآنيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق
الالهام او الوحي غير المتلو واما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود واحسنيته لانه قد اقتص
على ابدع الطرائق الرائقة واعجب الاساليب الفائقة اللائقة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من
كتب الاولين والآخرين وان كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا ايماء الى مغايرة
هذا القرآن لما في قوله تعالى قرآنا عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتأمل او نقص عليك احسن ما يقص من الانباء
وهو قصة آل يعقوب عم على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر او مصدر سمي به المفعول كالخلق والصيد ونصب
احسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة وضمير
الشان الواقع اسما لها محذوف واللام فارقة والجملة خبر والمعنى وان الشان كنت من قبله من قبل ايحائنا اليك
هذه السورة لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير
عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شأن النبي عم وان غفل عنه بعض الغافلين إذ قال يوسف نصب باضمار اذكر وشروع
في القصة انجازا للوعد بحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال
فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبري لا عربي
لخلوه عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول
او الفاعل من آسف لشهادة المشهور بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام وقد روي عنه عليه السلام
ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا أبت اصله يا ابي فعوض عن الياء
تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة فلذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وكسرها
لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذف الالف
وبقي الفتحة وانما لم يجمع يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالتاء
من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب
إني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك هذا تأويل رؤياي ولان الظاهر انه وقوع مثل

هذه الامور البديعة في عالم الشهادة لا يختص برؤيته راء دون راء فيكون طامة كبرى لا يخفى على احد
من الناس أحد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر رضه ان يهوديا جاء الى الرسول صلى الله
عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف عليه السلام فسكت النبي عم فنزل جبريل عم
فاخبره بذلك فقال عم اذا اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال عم جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان
والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء
وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب
اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في
جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام وقد جوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر
ولا يبعد ان يكون ذلك اشارة الى تأخر ملاقاته عم لهما عن ملاقاته لاخوته وعن وهب ان يوسف عم رأى وهو
ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها
حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة
الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا
يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون رأيتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها
كان سائلا سأل فقال كيف رأيتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعني
السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما هو الاهم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة
قال يا بني صغره للشفقة او لها ولصغر السن [illegible] استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب
بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عم من هذه الرؤيا ان يوسف يبلغه الله تعالى مبلغا جليلا من الحكمة
ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال
صيانة لهم من ذلك له من معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان واثقا بان الله تعالى سيحقق ذلك
لا محالة وطمعا في حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك هي ما في المنام كما ان الرؤية ما في اليقظة فرق بينهما
بحرفي التأنيث كما في القربة والقربى وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة
منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور
بما فيها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة
ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا
عن التعبير والا احتاجت اليه على اخوتك فيكيدوا نصب باضمار ان اي فيفعلوا لك اي لاجلك ولاهلاكك
كيدا متينا راسخا لا تقدر على التفصي عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير
وان كان يعقوب عم يعلم انهم ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا الاسلوب آكد من ان يقال
فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصودا بالايقاع وقد قيل انما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال
المتعدي باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتأكيد اي فيحتالوا لك ولاهلاكك حيلة وكيدا والمراد
باخوته هنا الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم من بني علاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي
وزبالون ويشجر ودينة بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتالي وجاد وآشر بنوه من سريتين زلفة
وبلهة وهؤلاء هم المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين الذي هو شقيق يوسف عم وامهما راحيل التي تزوجها
يعقوب عم بعد وفاة اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس بداخل تحت هذا النهي
اذ لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا معهم في الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف والمراد
نهيه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا إن الشيطان للإنسان عدو مبين ظاهر العداوة فلا يألو

جهد أي في إغواء إخوتك وإضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو استئناف كأن يوسف عم قال كيف يصدر ذلك عن إخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل إن الشيطان يحملهم على ذلك ولما نبهه عم على أن لرؤياه شأنا عظيما يستتبع منافع وحذره إشاعته المؤدية إلى أن يحول إخوته بينها وبين ظهور آثارها وحصولها أو يوعر سبيل وصولها شرع في تعبيرها وتأويلها على وجه إجمالي فقال وكذلك أي ومثل ذلك الاجتباء البديع الذي شاهدت آثاره في عالم المثال من سجود تلك الأجرام العلوية النيرة لك وتحسبه على وفقه يجتبيك ربك يختارك لجناب كبريائه ويستنبئك افتعال من جباه إذا جمعه ويصطفيك على أشراف الخلائق وسراة الناس قاطبة ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة المحققة بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت هي صورا وأشباحا له من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة أي كما سخرت لك تلك الأجرام العظام يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه لا امتحان له ومراده بها إطاعة أبويه وإخوته له لكنه إنما لم يصرح به حذرا من إذاعته ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل تحت التشبيه أراد به عم تأكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عم بما أخبر به على طريقة التعبير والتأويل كأنه قال وهو يعلمك من تأويل الأحاديث أي ذلك الجنس من العلوم أو طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما قلته ما فيه من تأكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سيأتي بالقبول والمراد بتأويل الأحاديث تعبير الرؤيا إذ هي أحاديث الملك إن كانت صادقة وأحاديث النفس والشيطان إن لم يكن كذلك والأحاديث اسم جمع للحديث كالأباطيل اسم جمع للباطل لا جمع أحدوثة وقيل كأنهم جمعوا حديثا على أحدثة ثم جمعوا الجمع على أحاديث كقطيع وأقطعة وأقاطيع وقيل هو تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الأنبياء عليهم السلام والأول هو الأظهر وتسمية التعبير تأويلا لأنه جعل المرئي آئلا إلى ما يذكره المعبر بصدد التعبير وراجعا إليه فكأنه عم أشار بذلك إلى ما سيقع من يوسف عم من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة إلى ما بلغه الله تعالى إليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها بإتمام النعمة وإنما عرف يعقوب ذلك منه عليهما السلام من جهة الوحي أو أراد كون هذه الخصلة سببا لظهور أمره عليه السلام على الإطلاق فيجوز أن يكون معرفته عم بذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والأمارات والمخايل بأن من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتأويل أمثالها وتمييز ما هو آفاقي منها عما هو أنفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عم في عالم المثال وقوة تصرفاتها فيه فيكون أقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الأمور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة وأقوى وقوفا على النسب الواقعة بين الصور المعاينة في أحد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الآخر وأن هذا الشأن البديع لا بد أن يكون أنموذجا لظهور أمر من اتصف به ومدارا لجريان أحكامه فإن لكل نبي من الأنبياء عم معجزة بها يظهر آثاره ويجري أحكامه ويتم نعمته عليك بأن يضم إلى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما أشرنا إليه من كونه أثرا ووسيلة إلى تمام النعمة ويجوز أن يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة إليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة وعلى آل يعقوب وهم أهله من بنيه وغيرهم فإن رؤية يوسف عليه السلام إخوته كواكب يهتدى بأنوارها من نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصيرهم إلى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة إلى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة وأما إذا أريد بتمام النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة إليهم باعتبار أنهم يغتنمون آثاره من العز والجاه والمال كما أتمها على أبويك نصب على المصدرية أي يتم نعمته عليك إتماما كائنا كإتمام نعمته على أبويك وهي الرسالة والنبوة وإتمامها على إبراهيم عم باتخاذه خليلا وإنجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى إسحق بإنجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وبإخراج يعقوب والأسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به مثل ما وقع في جانب المشبه من كل وجه من قبل

أي من قبل هذا الوقت أو من قبلك إبراهيم وإسحق عطف بيان لأبويك والتعبير عنهما بالأب مع كونهما أبا جده وأبا أبيه للإشعار بكمال ارتباطه بالأنبياء الكرام عليهم السلام وتذكير معنى الولد سر أبيه ليطمئن قلبه بما أخبر به في ضمن التعبير الإجمالي لرؤياه والاقتصار في المشبه به على ذكر إتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فإن إتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة إن ربك استئناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة أي يفعل ما ذكر لأنه عليم بكل شيء فيعلم من يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور وإتمام النعمة العامة على الوجه المذكور حكيم فاعل لكل شيء حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين لتربية تحقق وقوع ما ذكر من الأفاعيل هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة أي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال النفس يجتبيك ربك للنبوة والملك أو لأمور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة أو بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا أنبياء وملوكا ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى في الجنة كما أتمها على أبويك بالرسالة فتأمل والله الهادي لقد كان في يوسف وإخوته أي في قصتهم والمراد بهم هنا إما جميعهم فإن لبنيامين أيضا حصة من القصة أو بنو علاته المعدودون فيما سلف أو علاتهم ليدرج فيهم آيات علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة للسائلين لكل من سأل عن قصتهم وعرفها أو الطالبين للآيات المعتبرين بها فإنهم الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة نفس المقصوص أو على نبوته عم لمن سأله من المشركين واليهود عن قصتهم فأخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع من أحد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجمع الآيات للإشعار بأن اقتصاص كل طائفة من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته عم على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام إبراهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لا لما قيل من أنه لتعدد جهة الإعجاز لفظا ومعنى وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل إنما قص الله تعالى على النبي عم خبر يوسف وبغي إخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به إذ قالوا ليوسف وأخوه أي شقيقه بنيامين وإنما لم يذكر باسمه تلويحا بأن مدار المحبة أخوته من الطرفين ألا ترى إلى أنهم كيف اكتفوا بإخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف أحب إلى أبينا منا وحد الخبر مع تعدد المبتدأ لأن أفعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم إذا عرف وجب الفرق وإذا أضيف جاز الأمران وفائدة لام الابتداء في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتأكيده ونحن عصبة أي والحال أنا جماعة قادرون على الحل والعقد أحقاء بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لأن الأمور تعصب بهم إن أبانا في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الأمور بالصغر والقلة لفي ضلال أي ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته مبين ظاهر الحال روي أنه كان أحب لما يرى فيه من مخايل الخير وكانت إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا من جملة ما حكي بعد قوله إذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا للباقين بقضية الصيغة لكنهم لما رضوا بذلك كما يرى أن القائل شمعون أو دان والباقون كانوا راضين إلا من قال لا تقتلوا جعلوا كأنهم القائلون وأدرجوا تحت القول المسند إلى الجميع أو قاله كل واحد منهم مخاطبا للبقية وهو أدل على مسارعتهم إلى ذلك القول وتنكير أرضا وإخلاؤه من الوصف للإبهام أي أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وكذلك نصبت نصب الظروف المبهمة يخل بالجزم جواب الأمر أي يخلص لكم وجه أبيكم فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ولا ينازعكم في محبته أحد فذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم وتكونوا بالجزم عطفا أو بالنصب على إضمار أن أو الواو بمعنى مع مثل قوله تعالى وتكتموا الحق وإيثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فإن اعتناء المرء بشأن نفسه واهتمامه بتحصيل نفعه

علامة تعبير الرؤيا

وهي الاجتباء وتعليم تأويل الأحاديث وإتمام النعمة

على أحد الوجهين

اثم واكمل من بعده من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله تعالى
عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في اموركم دنياكم بانتظامها بعده
بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم هو يهوذا او كان احسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن ابرح الارض الخ وقيل روبيل
وهو استئناف مبني على سؤال من سأل وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتي التضييع ام خالفهم في ذلك احد
فقيل قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم او استعظاما لقتله وهو هو فانه
يروى انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولوية ما عرضه عليهم بقوله والقوه
في غيابت الجب اي في قعره وغوره سمي بها لغيبته عن عين الناظرين والجب البئر التي لم تطو بعد لانها ارض جبت
جبا من غير ان يزاد على ذلك شيء وقرأ نافع في غيابات الجب في الموضعين كان لتلك الجب غيابات او اراد بالجب الجنس
اي في بعض غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة يلتقطه يأخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان
الالتقاط اخذ شيء مشرف على الضياع بعض السيارة اي بعض طائفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب
وما فيهما وفي البعض من الابهام لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث
لا يدرى اثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على التأنيث لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة
من الدم ومنه قطعت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين بمشورتي لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تأليفا
لقلبهم وتوجيها لهم الى رأيه وحذرا من نسبتهم له الى التحكم والافتيات او ان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته
من عند ابيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه اولا فاجيب بطريق
الاستئناف على وجه ادرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيجيء من قوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب فقيل قالوا يا ابانا
خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا لرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك
الى استنزاله عليه السلام عن رأيه في حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغي فكانهم قالوا ما لك اي اي شيء لك
لا تأمنا اي لا تجعلنا امناء على يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا وانا له لناصحون مريدون
له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة قط والقراءة المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع
ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع اي يتسع في اكل الفواكه ونحوها
فان الرتع هو الاتساع في الملاذ ويلعب بالاستباق والتناضل ونظائرهما مما يعد من باب التأهب للغزو وانما
عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استصحاب يوسف بتصويرهم بما يلائم حاله عليه السلام
وقرئ نرتع ونلعب بالنون وقرأ ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ يرتع من
ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون من ان يناله مكروه
اكدوا مقالتهم باصناف التأكيد من ايراد الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى الكل وتقديم
على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم قال استئناف مبني على سؤال من يقول فماذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال اني
ليحزنني اللام للابتداء كما في قوله عز وجل ان ربك ليحكم بينهم ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري
عنه واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة والحزن الم القلب بفوت المحبوب والخوف
انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف
والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف عليه السلام وكان يحذره
فقال ذلك وقد لقنهم العلة ان البلاء موكل بالمنطق وقرأ ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي بالهمز على الاصل
وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هاجت من كل جانب
وقال الاصمعي الامر بالعكس وهو الاظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة
اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان يعصب بنا

على ما يجيء القصة في الاصل
اقتلوه او اطرحوه
سعد

للامور العظام وتكفى الخطوب بآرائنا وتدبيرنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله انا اذا
لخاسرون جواب يجزئ عن الجزاء اي انا اذا لكوننا ضعفاء وخوارا وعجزا او مستحقون للهلاك لا غناء عندنا
ولا جدوى في حياتنا او مستحقون لان يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل
الذئب بعضهم وهم حضور وقيل انا اذا لم نقدر على حفظه وهو اعز شيء عندنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها
وانما اقتصروا على الجواب عن خوفه عليه السلام من اكل الذئب لانه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر
مدته بناء على انهم يأتون به عن قرب فلما ذهبوا به واجمعوا اي عزموا ان يجعلوه مفعول لاجمعوا يقال
اجمع الامر وعليه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا في الافعال التي قويت الدواعي الى فعلها ان يجعلوه
في غيابت الجب قيل هي بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام
[illegible]
البئر ويجيئهم اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف
ايذانا بظهوره واشعارا بان تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا به من الاذية ما فعلوا
انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا
اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فدلوه فيها فتعلق بشفيرها
فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا لابيه فقال يا اخوتاه ردوا علي
قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه
ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم
فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهوذا وكان يأتيه بالطعام كل يوم ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وجرد
عن ثيابه اتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله
يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبريل فاخرجه من التميمة فالبسه اياه واوحينا اليه
تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته وايناسا له قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى
عليهما السلام وقيل كان اذ ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا اي
لتتخلصن مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون بانك
يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم
وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات المغير للاشكال والاول ادخل في التسلية روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين
فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم
اخ من ابيكم يقال له يوسف فكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله
الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على معنى انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه
الوحشة التي اورثوه اياها وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم
بالنون على انه وعيد لهم فقوله تعالى وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاءوا اباهم عشاء آخر النهار
وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع
صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي
في العدو او الرمي [illegible] والافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ونظائرهما وتركنا يوسف عند
متاعنا اي ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرها فاكله الذئب عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه
التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عليه السلام عنده
من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم كأنهم قالوا ما قصرنا في محافظته

ان يعمت الامر على يعقوب او يفتش عليه
ناموس

ولم نتغافل عن مراقبته بل تركناه في ثيابنا وجعلنا بمرأى منا لان ميدان السباق لا يكون عادة الا بحيث يتراءى
غاياته وما فارقناه الا ساعة يسيرة بحيث وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان وما انت بمؤمن لنا بمصدق
لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا عندك وفي اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق
والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع لبيان تحقق
ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها
على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال
بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر
الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها
عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى ولو كنا كارهين وجاؤا على قميصه محله النصب على الظرفية من قوله بدم
اي جاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاؤا على جماله بالاحمال او على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال على المجرور
فيما اذا لم يكن الحال ظرفا كذب مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول او مكذوب فيه او بمعنى
ذي كذب اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاؤا كاذبين او مفعول له وقرأت عائشة
رض بغير المعجمة اي كدر وقيل طري قال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث
كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب عليه السلام
بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص
وقال تالله ما رأيت ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عم ثلث
آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر
قال استيناف مبني على سؤال فكانه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن كذلك بل سولت
لكم انفسكم اي زينت وسهلت قال ابن عباس رض والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في تمامه
قال الازهري كان التسويل تفعيل من سول الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل
وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء امرا من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف
فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اولى وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي
الى الخلق والا فقد قال يعقوب عم انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان
يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب
اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي وقرأ ابي فصبرا جميلا والله المستعان اي المطلوب منه العون
وهو انشاء منه عم للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار
سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجيء من قوله
تعالى فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف
والصبر على الرزء فيه يأباه تكذيبه عم لهم في ذلك ولا يساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء
بما ليس فيه كما اشير اليه وجاءت شروع في بيان ما جرى على يوسف في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع
بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجيء ليس بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس بالجانب المصري من مدين بل الى
مكان يوسف وفي ايثاره على المرور للاتيان او نحوها ايماء الى كونه عم في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر
والظاهر ان الجب كان في الآكام المسلوكة فان المتبادر من اسناد المجيء الى السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت
سيارة اي رفقة تسير من جهة مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى

فيما سلف

فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطؤا الطريق
فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه عليه السلام فارسلوا واردهم الذي يرد الماء
ويستقي لهم وكان ذلك بن ذعر الخزاعي وانما لم يذكر مثنى الارسال كما لم يذكر المجيء اعني الجب للايذان بان
ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر صفحا فادلى دلوه اي ارسلها الى الجب والحذف لمعرفته فتدلى بها يوسف
فخرج قال استيناف مبني على سؤال يقتضيه الحال يا بشرى هذا غلام كانه نادى البشرى وقال تعالى
فهذا اوانك حيث فاز بنعمة نادرة واي نعمة مكان ما يوجد مباحا من الملك وقيل هو اسم صاحب له ناداه
ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين
وقرئ يا بشري بالادغام وهي لغة وبشراي على قصد الوقف واسروه اي اخفاه الوارد واصحابه
عن بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر
وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته
فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه
من البعد بضاعة نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال
بضعت عنه اي قطعت للتجارة والله عليم بما يعملون وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف عم
عرضة للابتذال بالبيع والشرى وما دبروا في ذلك من الحيل وشروه اي باعوه والضمير للوارد واصحابه
بثمن بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن اي لا دنانير معدودة اي غير موزونة فهو بيان
لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان دناءته في نفسه اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العد دون الوزن فعن ابن
عباس رض انها كانت عشرين درهما وعن السدي انها كانت اثنين وعشرين درهما وكانوا اي البائعون
فيه في يوسف من الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس
وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به او غير واثق بامره خائفا ان يظهر له مستحق
فينتزعه منه فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته
على ما حكي وهم غير راغبين فيه اما خشية ذهاب ما لهم لما ظنوا فيه من الاباق والعدول عن صيغة
الافتعال المنبئة عن الاتخاذ لما مر من ان اخذهم انما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء
وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل
في اي شيء زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز
الذي كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر لتربية ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار
بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي
ومات في حيوة يوسف عم بعد ان آمن به فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل كان
الملك في ايامه فرعون موسى عم عاش اربعمائة سنة لقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف عم والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء واختلف في
مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه في السوق
يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ
وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واقام في منزله مع ما مر عليه من مدة لبثه في السجن ثلث عشرة سنة
واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن
مائة وعشرين سنة لامرأته راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول والثاني لقبها واللام متعلقة بقال لا باشتراه
اكرمي مثواه اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به

في مصالحنا أو نتخذه ولدا أي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وكذلك نصب على المصدرية وذلك إشارة إلى ما ينبئ عنه كلام العزيز وما فيه من معنى البعد لتفخيمه أي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف في الأرض أي جعلنا له فيها مكانا يقال مكنه فيه أي أثبته فيه ومكن له فيه أي جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل وكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم أي ما لم نمكنكم فيها أو مكنا لهم في الأرض الخ والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما في منزل العزيز أو مكانا عليا في قلبه حتى أمر امرأته دون سائر حواشيه بإكرام مثواه جعلنا له مكانة رفيعة في أرض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين أهلها ومحببا في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لأنه الذي يؤدي إلى الغاية المذكورة في قوله تعالى ولنعلمه من تأويل الأحاديث أي نوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي سواء جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق إليها الكلام ويستدعيها النظام كأنه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الأرض وجعلنا قلوب أهلها كافة محال محبته ليترتب عليها ما ترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تأويل الأحاديث وهو تأويل الرؤيا المذكورة فيؤول ذلك إلى الرياسة العظمى ولعل ترك العطوف عليه للإشعار بعدم كونه مرادا بالذات أو جعلناه علة لمعلل محذوف كأنه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيره مما ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك أن الذي يدور عليه هذه الأمور إنما هو التمكين في جانب العزيز وأما التمكين في جانب الناس كافة فمتأخر عن ذلك إنما هي باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فالأحق أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر قوله تعالى مكنا ليوسف على أن يكون هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز أو في منزله وكون ذلك تمكينا في الأرض بملابسة أنه عزيز فيها لا عن تمكين آخر يشبه به كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا من أن ذلك إشارة إلى مصدر الفعل المذكور بعده لا إلى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم للدلالة على فخامة شأن المشار إليه إقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغي أن يحقق المقام وأما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في أرض مصر بالأمر والنهي فهو من آثار ذلك التعليم ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مباديه المؤدية إلى جعله غاية له ولم يعهد منه عليه السلام في تضاعيف قضاياه العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها عهدا مصححا لجعله غاية لولايته وما وقع من التدارك في أمر السنين فإنما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم إلا أن يراد بتعليم تأويل الأحاديث ما ليس من تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية ودقائق سنن الأنبياء عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ مكنا له في أرض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تعالى وأحكامها ودقائق سنن الأنبياء عليهم السلام فيقضي بها فيما بين أهلها والتعليم الإجمالي لتلك المعاني والأحكام وإن كان غير متأخر عن تمكينه بذلك المعنى إلا أن تعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والإرشاد إلى الحق في كل نازلة من النوازل متأخر عن ذلك صالح لأن يكون غاية له والله غالب على أمره لا يستعصي عليه أمر ولا يمانعه شيء بل إنما أمره لشيء إذا أراده أن يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك أموره المتعلقة بيوسف دخولا أوليا أو متولي على أمر يوسف لا يكله إلى غيره وقد أرادت إخوته به ما أرادوا ولم يكن إلا ما أراد الله له من العاقبة الحميدة ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كذلك فيأتون ويذرون زعما منهم أن لهم ذلك وأن الأمر كله لله عز وجل أو لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله ولما بلغ أشده أي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين إلى الأربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم والأول هو الأظهر لقوله آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكما بين الناس وفقها وعلما أي تفقها في الدين وتنكيرهما للتفخيم أي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فهما ما آتاه الله تعالى

عند تكامل قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس أو غيرهما كيف لا وقد جعل إيتاؤهما جزاء لعمله عليه السلام حيث قيل وكذلك أي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي المحسنين أي كل من يحسن في عمله فيجب أن يكون ذلك بعد انقضاء أعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الأحزان والشدائد وقد فسر العلم بعلم تأويل الأحاديث ولا صحة له إلا أن يخص بعلم تأويل رؤيا الملك فإن ذلك حيث كان عند تمام أيام البلاء صح أن يعد إيتاؤه من جملة الجزاء وأما رؤيا صاحبي السجن فقد لبث عليه السلام بعد تعبيرها في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين إشعار بعلية الإحسان له وتنبيه على أنه سبحانه إنما آتاه ما آتاه لكونه محسنا في أعماله متقيا في عنفوان أمره هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وراودته التي هو في بيتها رجوع إلى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعد ما أمر امرأته بإكرام مثواه وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف إلى هنا اعتراض جيء به أنموذجا للقصة ليعلم السامع من أول الأمر أن ما لقيه عليه السلام من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وأنه عليه السلام محسن في أعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى أن مدار حسن التخلص إلى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة إنما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فإدراج الإنجاء السابق تحت الإشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك مكنا كما فعله الجمهور ناء من الترتيب فتأمل والمراودة المطالبة من راد يرود إذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد لطالب الماء والكلأ وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من أحد الجانبين الفعل ومن الآخر سببه فإن هذه الأفعال وإن كانت صادرة عن أحد الجانبين لكن لما كانت أسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كأنها صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه أن سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان أي كما تجزي تجزى فإن فعل البادي وإن لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء أطلق عليه اسمه وكذلك إرادة القيام إلى الصلاة وإرادة قراءة القرآن حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل إذا قمتم إلى الصلاة فإذا قرأت القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت أسباب الأفعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فإن مطالبة الدائن للمماطلة التي هي من جانب الغريم وهي منه للمطالبة التي هي من جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو من جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السلام نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدور مسبباتها التي هي تلك الأفعال فبني الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة بأن أسند الفعل إلى الفاعل وأوقع على صاحب السبب فتأمل ويجوز أن يراد بصيغة المغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى أنها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز أن يكون من الرويد وهو الرفق والتحمل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته عن نفسه أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد أن يخرجه عن يده وهو يحتال أن يأخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته إياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر أو للاستهجان بذكره وإيراد الموصول لتقرير المراودة فإن كونه في بيتها مما يدعو إلى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما أنت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد ولإظهار كمال نزاهته عليه السلام فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصاءه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عليه السلام في أعلى معارج العفة والنزاهة وغلقت الأبواب قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الإفعال وقيل للمبالغة في الإيثاق والإحكام وقالت هيت لك قرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبنائه كبناء أين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث اسم فعل معناه أقبل وبادر واللام للبيان أي لك أقول هذا كما في هلم لك وقرئ هئت على صيغة الفعل بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء إذا تهيأ وهيئت لك واللام صلة للفعل قال معاذ الله أي أعوذ بالله معاذا مما تدعونني إليه وهذا اجتناب منه على أتم الوجوه وإشارة إلى التعليل بأنه منكر هائل يجب أن يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك إلا لأنه عليه السلام

قد شاهده بما اراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله
عز وجل انه ربي احسن مثواي تعليل للامتناع ببعض الاسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها
وداعيا لها الى اعتبار بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي لا يكاد يقبله لما سولته لها نفسها والضمير للشان
ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها
مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن
مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو ربي اي سيدي العزيز
احسن مثواي اي احسن تعهدي حيث امرك باكرامي فكيف يمكن ان اسيئ اليه بالخيانة في حرمه وفيه
ارشاد لها الى رعاية حق العزيز بالطف وجه وقيل الضمير لله عز وجل وربي خبر ان واحسن مثواي خبر ثان
او هو الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى ان الحال هذا فكيف اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه
تحذير لها عن عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضائها الامتناع
عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع
اصلا وقوله تعالى انه لا يفلح الظالمون تعليل للامتناع المذكور غب تعليل والفلاح الظفر وقيل البقاء في الخير
ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كائنا من كان فيدخل في ذلك المجازون الاحسان
بالاساءة والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني باهله ولقد همت به
بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اي قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعد ما
باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الابواب ودعوته عم الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها
تصدت هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عم الى الهرب نحو الباب
والتاكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته عم من الزواجر وهم بها بمخالطتها
اي مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه
قصدها قصدا اختياريا لما سبق من استعصامه المبني على كمال كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح
الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد
وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزا في قرن
واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او هم كل منهما بالآخر وصدر الاول بما يقرر وجوده من التوكيد
القسمي وعقب الثاني بما يعفو اثره من قوله عز وجل لولا ان رأى برهان ربه اي حجته الباهرة الدالة
على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين
الذي تتجلى هناك حقائق الاشياء بصورها الحقيقية وتتخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشأة
على ما نطق به قوله عم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكانه عم قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان
النير على ما هو عليه في حد ذاته اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام
والحكم بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اي لولا مشاهدته برهان ربه في شان
الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة
هذه الشرطية بيان ان امتناعه عم لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور
الدواعي وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ائمة الصناعة على ان
لولا في امثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى
ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها فلا يتحقق هناك هم اصلا وقد جوز ان يكون وهم بها جواب لولا
جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم حينئذ على معناه الحقيقي فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم

بها كما همت به ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم راسا هذا وقد فسر
همه عم بانه حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي عليها مستلقية وفسر البرهان بانه
سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمع ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انملته وقيل ضرب
على صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى
فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل لجبريل عم ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة
فانحط جبريل عم وهو يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل
ان كل ذلك الا خرافات واباطيل تمجها الآذان وتردها العقول والاذهان ويل لمن لاكها ولفقها او سمعها و
صدقها كذلك الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول عليها بقوله تعالى لولا ان رأى برهان
ربه اي مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل او الى التثبيت اللازم له اي مثل ذلك التثبيت ثبتنا
لنصرف عنه السوء على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا والفحشاء والزنا لانه مفرط
القبح وفيه آية بينة وحجة قاطعة على انه عم لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء
والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتأمل وقرئ
ليصرف على اسناد الصرف الى ضمير الرب انه من عبادنا المخلصين تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق
والمخلصون هم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته بان عصمهم عما هو قادح فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين
اخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية
لا ان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عم بالكلية واستبقا
الباب متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وقوله كذلك الخ اعتراض جيء به بين المعطوفين
تقريرا لنزاهته عم كقوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والمعنى لقد همت به وابى هو واستبقا
اي تسابقا الى الباب البراني الذي هو المخلص ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر او وصل الفعل
الى المجرور نحو واذا كالوهم او ضمن الاستباق معنى الابتدار واسناد السبق في ضمن الاستباق اليهما مع ان مرادها
مجرد منع يوسف عم وذا لا يوجب الانتهاء الى الباب لانها لما رأته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هي ايضا
لتسبقه اليه وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر عن اسراعها اثر يوسف بذلك مبالغة وقدت قميصه من دبر اجتذبته
من ورائه فانشق طولا وهو القد كما ان الشق عرضا هو القط وقيل في وصف علي كرم الله وجهه انه كان اذا اعتلى
قد واذا اعترض قط واسناد القد اليها خاصة مع ان لقوة يوسف ايضا دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة
التامة واما للايذان بمبالغتها في منعه عن الخروج وبذل مجهودها في ذلك لفوات المحبوب او لخوف الافتضاح
والفيا سيدها اي صادفا زوجها وانما لم يقل سيدهما لان ملكه ليوسف عم لم يكن صحيحا فلم يكن سيدا له وقيل الفيا مقبلا وقيل كان
جالسا مع ابن عم للمرأة لدى الباب اي البراني كما مر روي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط
حتى خرج من الابواب قالت استئناف مبني على سؤال السائل يقول فماذا كان حين الفيا العزيز عند الباب فقيل قالت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا من الزنا ونحوه الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن
او العذاب الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط او استفهامية اي اي شيء جزاؤه غير ذلك ولقد اتت في
تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها
وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عن رايه في استعصائه عليها ومواتاته على
مرادها بالقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواقعته لها كرها عند ياسها عن ذلك اختيارا كما قالت
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام

امرا محققا مزوقا عنه غنيا عن الاخبار بوقوعه وان ما هي عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزائها من تربيد ايقاعه
حسبما يقتضيه قانون الايالة وفي ابهام المريد تهويل لشان الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل احد
كائنا من كان وفي ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما تتوخاه بحكم الغضب
والحمية قال استيناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف عم فقيل قال هي راودتني عن نفسي اي طالبتني
للمواتاة لا اني اردت بها سوءا كما قالت وانما قال عم لتزيه نفسه عما اسندت اليه من الخيانة وعدم معرفة
حق السيد ودفع ما عرضت له من الامرين الامرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب واسم الاشارة
مراعاة لحسن الادب مع الايماء الى الاعراض وشهد شاهد من اهلها قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا
مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد يجوز ان يكون بعض اهلها قد بصر بها
من حيث لا تشعر فاغضبه الله تعالى ليوسف عم بالشهادة له والقيام بالحق وانما القى الله سبحانه الشهادة
الى من هو من اهلها ليكون ادل على نزاهته عم وانفى للتهمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبيا في المهد انطقه الله
تعالى ببراءته وهو الاظهر فانه روي ان النبي عليه السلام قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون
وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر
كونه من اهلها لبيان الواقع اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم ان كان قميصه
قد من قبل اي ان علم انه قد من قبل ونظيره ان احسنت الي فقد احسنت اليك فيما قبل فان معناه ان
تعتد باحسانك الي فاعتد باحساني السابق اليك فصدقت بتقدير قد لانها تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت
وكذا الحال في قوله فكذبت وهي وان لم تصرح بانه عم اراد بها سوءا الا ان كلامها حيث كان واضح الدلالة
عليه اسند اليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار
ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان للانشاءات وهو من الكاذبين وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية
ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارخاء للعنان الى جانب
المرأة باجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بان يقع القد من قبل عند دافعتها له عم عن نفسها عند ارادة المخالطة
والكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريبا لما هو المقصود باقامة الشهادة اعني مضمون الشرطية الثانية
التي هي قوله عز وجل وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين الى التسليم والقبول عند السامع
لكونه اقرب الى الوقوع وادل على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها ايضا ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة
لكونها من قبيل الاقوال او بتقدير القول اي شهد قائلا الخ وتسميتها شهادة مع انه لا حكم فيها بالصدق والكذب
لتأديتها مؤداها بل لانها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد هو الصبي
فظاهر اذ هو اخبار بهما من قبل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للايذان بان ذلك ظاهر من العلامات
ايضا واما على تقدير كونه غيره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له على ما هي عليه اما مشاهدة او اخبارا
فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية الاولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالي الاولى
وبوقوع تالي الثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه عم لكنه ساق شهادته مساق ما هو من الجرح والطعن
حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهرا بين نفعها ونفعه واما حقيقة فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية
الاولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورته تقرر
كذبها والثانية تعليق لصدقه عم بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققا البتة وهذا كما قيل من
قال لامرأة زوجيني نفسك فقالت لي زوج فكذبها في ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجتك نفسي فقبل الرجل
فاذا لا زوج لها فهو نكاح اذ تعليق الشيء بامر محقق تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة
كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتأنيث والعلمية وقرئ بسكون العين فلما

راى قميصه قد من دبر كانه لم يكن رأى ذلك بعد او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال قال انه اي الامر
الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء التي اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من
اراد باهلك سوءا الخ لكن لا من حيث صدور تلك الارادة والاسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى
من كيدكن اي من جنس حيلكن ومكركن ايها النساء لا منها فقط من الافادة وتدبير العقوبة وان لم يكن
تجريده عن الاضافة اليها الا انها لما صورته بصورة الحق افاد الحكم بكونه من كيدهن افادة ظاهرة وتعميم
الخطاب للتنبيه على ان ذلك خلق لهن عريق ولا تحسبا هذه لها الغدر وحدها بجبلة فيهن كل غاية هند ورجع
الضمير الى قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا فقط عدول عن البحث عن اصل ما وقع فيه النزاع من ارادة
السوء ممن هي الى البحث عن شعبة من شعبه وجعله للسوء او للامر المعبر به عن طمعها في يوسف عم يأباه
الخبر فان الكيد يستدعي ان يجتمع ذلك مع شيء آخر من قبلها كما اشرنا اليه ان كيدكن عظيم فانه الطف واعلق
بالقلب واشد تأثيرا في النفس وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول
ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن
به الرجال يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا
اي عن هذا الامر وعن التحدث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفري انت يا هذه لذنبك الذي
صدر عنك وثبت عليك انك كنت بسبب ذلك من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب ومن جنسهم يقال
خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما
فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة وقال نسوة اي جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي
وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه
غير حقيقي كتأنيث اللمة وهي اسم لجماعة النساء والثبة وهي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث
في المدينة ظرف لقال اي اشعن الامر في مصر او صفة لنسوة امرأت العزيز اي الملك يريدن قطفير واضافتهن
لها اليه بذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها او اسمه ليست لقصد المبالغة في اشاعة الخبر بحكم ان النفوس
الى سماع اخبار ذوي الاخطار اميل كما قيل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي لقصد الاشباع في لومها بقولهن
تراود فتاها اي تطالبه بمواقعته لها وتتمحل في ذلك وتخادعه عن نفسه وقيل تطلب منه الفاحشة وايثار
لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة
وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد ههنا وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي
وفتاتي وتعبيرهن عن يوسف عم بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذي لا يستلزم الاضافة اليه الهوان بل ربما يشعر
بنوع عزة لابانة ما بينهما من التباين لبين الناشئ عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والاشباع
في اللوم فان من لا زوج لها من النساء او لها زوج دني قد تعذر في مراودة الاخدان لا سيما اذا كان فيهم علو
الجناب واما التي لها زوج واي زوج عزيز مصر فراودتها لغيره لا سيما لعبدها الذي لا كفاءة بينها وبينه اصلا
وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال قد شغفها حبا اي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة
رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه
بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رض الشغف الحب القاتل والشعف دون ذلك وكان الشعبي يقول الشغف
حب والشعف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود او من مفعوله واياما كان فهو تكرير للوم و
تأكيد للعذل ببيان اختلال احوالها القلبية كاحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث
انه مصير الى الاستدلال على الاجلى بالاخفى ومن حيث اللمية ميل الى تمهيد العذر من قبلها ولسن بذلك المقام
وانتصاب حبا على التمييز لنقله عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه انا لنراها اي نعلمها

فطلب على ... ذكره والمعنى انا لجات
الارادة الذكورة تنقية ... كما
عن الاخبار ... بالخطاب
انما ...
و... للخطاب تحقيق
حيا ...
م

علماً منها بأنها الشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة في ضلال عن طريق الرشد
والصواب وسنن العقل مبين واضح لا يخفى كونه ضلالاً على أحد أو مظهر لأمرها بين الناس فالجملة مقررة
لمضمون الجملتين السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بأنها في أمرها على خطاء عظيم وإنما لم يقلن
إنها لفي ضلال مبين إشعاراً بأن ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأي مع التلويح بأنهن متنزهات
عن أمثال ما هي عليه فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها
الكنعاني وهو مقتها وتسميته مكراً لكونه خفية منها كمكر الماكر وإن كان ظاهراً لغيرها وقيل استكتمتهن سرها فأفشينه
عليها وقيل إنما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه السلام أرسلت إليهن تدعوهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس
المذكورات وأعتدت أي أحضرت وهيأت لهن متكأ أي ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد أو [illegible]
مجلس طعام وشراب لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي الرجل أن يأكل
متكئاً وقيل متكأ طعاماً من قولهم اتكأنا عند فلان أي طعمنا قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال
من قلله وعن مجاهد متكأ طعاماً يحز حزاً كأن المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لأن القاطع يتكئ على المقطوع
بالسكين وقرئ بغير همز وقرئ بالمد بإشباع حركة الكاف كمنتزاح في منتزح وينباع في ينبع وقرئ متكاً وهو الأترج
وأنشد وأهدت متكة لبني أبيها تخب بها العثمثمة الوقاح وما يقطع من متك الشيء إذا بتكه ومتكاً من تكئ
إذا اتكى وآتت كل واحدة منهن سكيناً لتستعمله في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين أيديهن وقرب إليهن من اللحوم
والفواكه ونحوها وهن متكئات وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع أيديهن وقالت ليوسف وهن مشغولات
بمعالجة السكاكين وإعمالها فيما بأيديهن من الفواكه وأضرابها والعطف بالواو ربما يشير إلى أن قولها
اخرج عليهن أي ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب مورديهن ليتم غرضها من استغفالهن فلما رأينه عطف على مقدر
يستدعيه الأمر بالخروج وينسحب عليه الكلام أي فخرج عليهن فرأينه وإنما حذف تحقيقاً لمفاجأة رؤيتهن كأنها
تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل فلما رآه مستقراً عنده بعد قوله أنا آتيك
به قبل أن يرتد إليك طرفك وقد أيذن بسرعة امتثاله عليه السلام بأمرها فيما لا يشاهد مضرته من الأفاعيل أكبرنه عظمنه
وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق فإن فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر
على سائر الكواكب عن النبي عليه السلام أنه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى
تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى أكبرن حضن والهاء للسكت أو ضمير راجع
إلى يوسف عليه السلام على حذف اللام أي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن
لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن أيديهن أي جرحنها بما في أيديهن من السكاكين لفرط دهشتهن و
خروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما فعلن وفي التعبير عن الجرح بالقطع
ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به وقلن حاش لله تنزيهاً لله
سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجباً من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع وأصله حاشا كما قرأه أبو عمرو
في الدرج فحذفت ألفه الأخيرة تخفيفاً وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به إلا ما يكون
موجباً للتنزيه فوضع موضعه فمعنى حاشا الله براءة الله وهي قراءة ابن مسعود واللام لبيان المبرأ والمبرأ كما
في سقياً لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة أبي السمال حاشاً بالتنوين وقراءة أبي عمرو بحذف الألف الآخرة
وقراءة الأعمش بحذف الأولى وإنما ترك التصرف من خصائص الاسم فيدل على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة
أصله كما في قولك جلست من عن يمينه وقولك غدت من عليه منقلب إلى لفظ الياء مع الضمير وقرئ حاش لله
بسكون الشين إتباعاً للفتحة للألف في الإسقاط وحاش الإله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله
ضمير يوسف أي صار في ناحية من أن يقارف ما رمته به لله أي لطاعته أو لمكانه أو جانب المعصية لأجل الله

ما هذا بشرا

ما هذا بشراً على إعمال ما بمعنى ليس وهي لغة أهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم وقرئ
أي بعبد مشترى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر
وقصرنه على الملكية بقولهن إن هذا إلا ملك كريم بناء على ما ركز في العقول من أن لا حي أحسن من الملك
كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه بأقصى
مراتب الحسن والجمال قالت فذلكن الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والإشارة إلى يوسف بالعنوان الذي
وصفنه به الآن من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الإشارة مبتدأ والموصول
خبره والمعنى إن كان الأمر كما قلتن فذلكن الملك الكريم النائي عن المراتب البشرية الذي لمتنني فيه أي عيرتنني فيه لا
بمحبته وأن تمحلن بنسبته إلى العزيز ووضعتن قدره بكونه من المماليك أو بالعنوان الذي وصفنه به فيما سبق
بقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو خبر لمبتدأ محذوف أي هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن
في أنفسكن وقلتن فيه وفيها ما قلتن فالآن قد علمتن من هو وما قولكن فينا وأما ما يقال المعنى أنكن لم تصورنه
بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به فلا يلائم المقام فإن مرادها بدعوتهن وتمهيد
ما مهدته لهن تبكيتهن وتنديمهن على ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك على أتم وجه لا مزيد عليه وما ذكر من المقال
يحق المعتذر قبل ظهور معذرته وقد قيل في تعليل الملكية أن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة
البالغة من خواص الملكية وهو أيضاً لا يلائم قولها فذلكن الذي لمتنني فيه فإن عنوان العصمة مما ينافي تمشية
مرامها ثم بعد ما أقامت عليهن الحجة وأوضحت لديهن عذرها وقد أصابهن من قبله عليه السلام ما أصابها باحت لهن
ببقية سرها فقالت ولقد راودته عن نفسه حسبما قلتن وسمعتن فاستعصم متنع طالباً للعصمة وهو بناء
مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها كما في قولك
استمسك واستجمع الرأي وفيه برهان نير على أنه لم يصدر عنه عليه السلام شيء مخل باستعصامه بقوله معاذ الله من الهم
وغيره اعترفت لهن أولاً بما كن يسمعنه من مراودتها له وأكدته إظهاراً لابتهاجها بذلك ثم زادت على ذلك أنه
أعرض عنها على أبلغ ما يكون ولم يمل إليها قط ثم زادت عليه أيضاً أنها مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوية عنه
لا بلوم العواذل ولا بإعراض الحبيب فقالت ولئن لم يفعل ما آمره أي آمر به فيما سيأتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف
الجار وأوصل الفعل إلى الضمير كما في أمرتك الخير فالضمير للموصول أو أمري إياه أي موجب أمري ومقتضاه فما
مصدرية والضمير ليوسف وعبرت عن مراودتها بالأمر إظهاراً لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال بأمرها
ليسجنن بالنون الثقيلة آثرت بناء الفعل للمفعول جرياً على رسم الملوك أو إيهاماً لسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله
لأمرها كأنه لا يدخل بينهما فعل فاعل وليكونن بالخفيفة من الصاغرين أي الأذلاء في السجن وقد قرئ الفعلان
بالتثقيل ولكن المشهورة أولى لأن النون كتبت في المصحف ألفاً على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط
موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد أتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التأكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف أنها
ليست في أمرها على خفية ولا خيفة من أحد فتضيق عليه الحيل ويعيي به العلل وينصحن له ويرشدنه إلى موافقتها ولما
كان هذا الإبراق والإرعاد منها مظنة لسؤال سائل يقول فما صنع يوسف حينئذ قيل قال مناجياً لربه عز سلطانه رب السجن
الذي أوعدتني بالإلقاء فيه وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر أحب إلي أي آثر عندي لأنه مشقة قليلة نافدة إثرها
راحات جليلة أبدية مما يدعونني إليه من مواتاتها التي تؤدي إلى الشقاء والعذاب الأليم وهذا الكلام
منه عليه السلام مبني على ما مر من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل
ليست على بابها إذ ليس له شائبة محبة لما دعته إليه وإنما هو والسجن شران أهونهما وأقربهما إلى الإيثار السجن
والتعبير عن الإيثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفاً من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث
إن الصغار من مستتبعاته وإسناد الدعوة إليهن جميعاً لأن النسوة رغبنه في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها

وقيل دعوتها الى انفسهن وقيل انما ابتلي عم بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسال الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر والا تصرف اي ان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه لدي بان تثبتني على ما انا عليه من العصمة والعفة اصب اليهن اي امل الى اجابتهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عم الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله تعالى وسلب القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركني والا هلكت لا انه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه الى هواهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبوا اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة وهي رقة الشوق واكن من الجاهلين اي الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف عني كيدهن الخ فان فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفي اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عم ما لا يخفى من اظهار اللطف فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع لدعاء المتضرعين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اي ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل والعقد بعدما كفوا امر يوسف بالكتمان والاخفاء عن ذلك من بعد ما راوا الايات الصادقة لهم عن ذلك المبدا وهي الشواهد الدالة على براءته عليه السلام وفاعل بدا اما مصدره او الراي المفهوم من السياق او المصدر المدلول عليه بقوله ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء او راي وسجنه المحتوم قائلين والله ليسجننه فالقسم المحذوف وجوابه معمول القول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها تقوده حيث شاءت قال السدي انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم باني راودته عن نفسه فاما ان تاذن لي فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وينقاد لها ولعلها انصرمت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب به العزيز ومن عنده من اصحاب الراي المباشرين للسجن والحبس حتى حين الى حين انقطاع قالة الناس وهذا بادي الراي عند العزيز وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم وقرئ عتى حين بلغة هذيل ودخل معه اي في صحبته السجن فتيان من فتيان الملك وهما الملك احدهما شرابيه والاخر خبازه روي ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تاكل ايها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فابى فجرب بدابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان ادخلا معه وتاخير الفاعل عن المفعول لما مر مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن وتطبيق تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة وتاخير السجن عن الظرف لايهام العكس ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدا او يكون الجملة حالا من فاعل دخل فتامل قال احدهما استئناف مبني على سؤال من يقول ما صنعا بعدما دخلا معه السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي اني اراني اي رايتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية اعصر خمرا اي عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا وقال الاخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاخير المفعول عن الظرف لما مر آنفا وقوله تاكل الطير منه اي تنهش منه صفة لخبزا او استئناف مبني على السؤال نبئنا بتاويله بتاويل ما ذكر من الرؤيين او ما رئي باجراء الضمير

مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى المتعدد كما في قوله [illegible] فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك والسر في المصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة [illegible] تاويل المرجع بما ذكر او رئي ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو [illegible] تاويله باحد الاعتبارين [illegible] في الكلام [illegible] المذكور [illegible] وصيغة المتكلم مع الغير [illegible] انا نراك تعليل لعرض الرؤيا عليه [illegible] واستشعارا منه [illegible] من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا [illegible] لما راياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له تاويلا حسنا او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه وسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما حسب عادتكما المطردة الا نباتكما بتاويله استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا ياتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نباتكما به بان بينت لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله قبل ان ياتيكما واطلاق التاويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التاويل بالنظر الى ما يرى في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتاويله ولا يبعد ان يراد بالتاويل الشيء الآيل لا المآل اذ هو في الاصل جعل شيء آيلا الى شيء آخر فكما يجوز ان يراد به الثاني يجوز ان يراد به الاول فالمعنى الا نباتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عليه السلام يقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك وغرضه عليه السلام بذلك بيان كل ما يهمهما من الامور [illegible] قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استفتياه من الرؤيين المتعلقتين بالشراب والطعام وقد حمل الفتى لما قصا من الرؤيين على معنى لا ياتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتاويل ما قصصتما علي قبل ان ياتيكما ذلك الطعام الموقت مرادا به الاخبار بالاستعجال في الفتيا وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر في تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتاويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تاويل رؤياهما دخولا اوليا وانما لم يكتف عم بمجرد تاويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما نعتاه عم بالانتظام في سمط المحسنين وادعيا ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين توسم عم فيهما خيرا وتوجههما الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر في تدبير ما في عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدهما علما بعظم شانه وثقة بامره وتوقفا على علو طبقته في بدائع العلوم توسلا بذلك الى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص اليهما من كلامهما فكانه قال تاويل ما قصصتما على طرف الثمام حيث نباتكما بما لا في المنام واني ابين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة المنام حتى ان الطعام الموظف الذي ياتيكما كل ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة

وحاصله ان الاجمال [illegible] بتاويله
ببعض الاحيان طعام التفصيل القصة
اعني قوله ترزقانه
منه

والعرافين بل هو فضل الهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال ذلكما اي ذلك التأويل والاخبار
بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة الى علو درجته وبعد منزلته مما علمني ربي بالوحي والالهام اي بعض
او من ذلك الجنس الذي لا يحوم حول ادراكه العقول ولقد دلهما بذلك على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة
من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آبائه الانبياء العظام وامتناعه
عن الشرك فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلكما
مما علمني ربي وتعليل له لا للتعليم الواقع صلة للموصول المتأدية الى معنى انه علمني ربي لهجراننا السبل دون
غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية لان ما ذكر بصدد التعليل ليس بعلة لكون التأويل المذكور بعضا مما علمه ربه
او لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكأنه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لاني تركت ملة
الكفرة اي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها رأسا كما يفصح عنه
قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر
في اقتدائهما به عم والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان
ليس بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر في قوله تعالى انه عمل غير صالح وهم بالآخرة وما فيها من الجزاء هم
كافرون على الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب يعني انه انما
حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة آبائه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد
وانما قاله عم ترغيبا لصاحبيه في الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه
لملتهم على ذكر اتباعه لملة آبائه لان التخلية متقدمة على التحلية ما كان اي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع لنا
معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا
عن الجماد البحت ذلك اي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء من فضل الله علينا اي
ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة الامة وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه
نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات وعلى الناس كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد
الذي يوجبه بالشكر فقيل ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من آثار
ما ذكر من التأييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس لزيادة
توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع الموهم لعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد
من فضل الله علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس
ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ولك ان تقول
ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الانفس
والآفاق وقد اعطى سائر الناس ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما
خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من ادلة التوحيد الآفاقية والانفسية والعقلية والنقلية يا صاحبي
السجن اي يا صاحبيّ في السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة في دار الاشجان ودار الاحزان
التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق
اتضاح فقال ءارباب متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق ويستعبد كل منهم حسبما اراد غيره من الارباب الآخرين مع
استقلاله خير لكما ام الله المعبود بالحق الواحد المتفرد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يغالبه احد بعد
ما نبههما على فساد تعدد الارباب بين لهما سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار رأسا فضلا عن الالوهية فقال
معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه اي من دون الله شيئا الا اسماء فارغة لا مطابق لها
في الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط سميتموها

جعلتموها

جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم
في البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم وآباؤكم بمحض جهلكم وضلالكم ما انزل
الله بها اي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها ان الحكم في امر العبادة المتفرعة
على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره امر
استئناف مبني على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله كأنه قيل فماذا حكم الله تعالى في هذا الشأن فقيل امر على السنة
الانبياء عليهم السلام الا تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه حسبما تقتضيه قضية العقل ايضا ذلك اي
تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين ولا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها
من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلي وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه مقدار ارفع
ومرتبة العلم الواسع شرع في تعبير ما استفتياه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبي السجن
اما احدكما وهو الشرابي وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا بذلك الى ابهام امر صاحبه حذارا مشافهته
بما يسوؤه فيسقي ربه اي سيده خمرا روي انه عليه السلام قال له ما رأيت من الكرمة وحسنها الملك
وحسن حالك عنده واما العناقيد الثلاثة فثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرأ
عكرمة فيسقى ربه على البناء للمفعول اي يسقى ما يروى به واما الآخر وهو الخباز فيصلب فتأكل الطير
من رأسه روي انه عم قال له ما رأيت من السلال الثلاث ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي اي تم واحكم
الامر الذي فيه تستفتيان وهو ما رأياه من الرؤييين قطعا لا ماله الذي هو عبارة عن نجاة احدهما
وهلاك الآخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون في الحادثة لا في حكمها يقال استفتى الفقيه
في الحادثة اي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه في حكمها وكذا الافتاء فانه يقال افتى فلان في الواقعة الفلانية
بكذا ولا يقال افتى في حكمها او جوابها بكذا وقد هو علم في ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتوني في رؤياي يعني
استفتاءهما فيطلبهما لتأويله بقولهما نبئنا بتأويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تأويله بالاستفتاء تهويلا
لامره وتفخيما لشأنه اذ الاستفتاء انما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وايثار صيغة الاستقبال
مع سبق استفتائهما في ذلك لما انهما بصدده الى ان يقضي عليه السلام من الجواب وطرا واسناد القضاء اليه
من احوال [illegible] في الحقيقة عين ذلك [illegible]
[illegible]
فيه [illegible]
[illegible]
الى [illegible] وقال للذي ظن انه ناج منهما [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] اذكرني عند ربك [illegible] فانساه
الشيطان [illegible]

عز وجل والفاء للسببية فان توصيته عم المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من
الانساء ذكر ربه اي ذكر الشرابي له عليه السلام عند الملك والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخباره به
فلبث اي يوسف بسبب ذلك الانساء او القول في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع
من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين وروي عن النبي عم رحم الله اخي يوسف لو
لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق
بمناصب الانبياء عليهم السلام الاخذ بالعزائم وقال الملك اي الريان اني ارى اي رأيت وايثار صيغة المضارع
لحكاية الحال الماضية سبع بقرات سمان جمع سمين وسمينة ككرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة
كرام يأكلهن اي اكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها
سبع عجاف اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وافعل لا يجمع على فعال ولكن
عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين على الآخر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان
الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضخام واربعة غلاظ واما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان
فلجريان الفارس والراكب مجرى الاسماء وروي انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات
عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات اي وسبعا
اخر يابسات قد ادركت والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روي ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال
البقرات يا ايها الملأ خطاب للاشراف من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي هذه اي عبروها وبينوا حكمها وما
تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه ان كنتم للرؤيا تعبرون اي تعلمون عبارة
جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام الى ما هي صور وامثلة لها من الامور الآفاقية
او الانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولتها اي
ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار
كما اشير اليه واللام للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه
قيل ان كنتم تعتدون لعبارتها ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا
منه وتعبرون خبرا آخر قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا هي اضغاث
احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما يجمعه القوة المتخيلة من احاديث
النفس ووساوس الشيطان وتريها في المنام والاحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والاضافة
بمعنى من اي هي اضغاث من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول اليها ويعتنى بامرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة
مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة
او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فتأمل
حسن موقع الاضغاث مع السنابل فلله در شأن التنزيل وما نحن بتأويل الاحلام اي المنامات الباطلة
التي لا اصل لها بعالمين لا لان لها تأويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تأويل لها وانما التأويل للمنامات الصادقة ويجوز ان
يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير في تأويل الاحلام مع ان لها تأويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع في كلام
الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او عبارتها الى التأويل
المنبئ عن التصرف والتكلف في ذلك لما بين الآيل والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتأويله وقال الذي
نجا منهما اي من صاحبي يوسف وهو الشرابي وادكر بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اي تذكر يوسف عليه السلام
وشؤونه التي شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تأويلها على الملأ بعد امة اي مدة طويلة وقرئ امة
بالكسر وهي النعمة اي بعدما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان والجملة حال من الموصول او من ضمير في الصلة وقيل

معطوفة على نجا وليس بذاك لان حق كل من الصفة والصلة ان تكون معلوم الانتساب الى الموصوف والموصول
عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها اوصاف وانت تدري
ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمه مع نجاته المعلومة قبل في سلك الصلة انا انبئكم بتأويله
اي اخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل انا افتيكم فيها وعقبه بقوله فارسلون اي الى
يوسف وانما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لحق من قوله يوسف ايها الصديق اي ارسل اليه فاتاه فقال يا يوسف
ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره
فهو من باب براعة الاستهلال افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر
يابسات اي في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة مضمون الحادثة
عليه حيث لا امكان لوقوعه في عالم الشهادة اي بين لنا مآلها وحكمها وحيث عاين علو رتبته في الفضل عبر
عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه اولا نبئنا بتأويله وفي قوله افتنا مع انه المستفتي وحده اشعار بان
الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بامور العامة وانه في ذلك معبر وسفير كما آذن بذلك حيث قال
لعلي ارجع الى الناس اي الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان كان السجن في الخارج كما قيل فانبئهم بذلك
لعلهم يعلمون ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتخلص منه وانما
لم يبت القول في ذلك مجاراة معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما اخترم
دونه لعل المنايا دون ما تعدانی ولا من علمهم بذلك فربما لم يعلموه قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا
قال يوسف في التأويل فقيل قال تزرعون سبع سنين دأبا قرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر دأب
في العمل اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اي دائبين او تدأبون دأبا على انه
مصدر مؤكد لفعل هو الحال اول عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف
واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب
الذي هو مصداق البقرات السمان وتأويلها ودلهم في تضاعيف ذلك على امر نافع لهم فقال فما حصدتم اي في كل
سنة فذروه في سنبله ولا تذروه كيلا يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ولعله استدل على ذلك
بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك لما لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يأمرهم بها
انما يحتاج الى الوقوع وتأويلا للرؤيا مصداقا لها الا قليلا مما تأكلون في تلك السنين
وفيه ارشاد منه لهم الى التقليل في الاكل والاقتصار على المأكول دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله
تزرعون سبع سنين وبعدما امرهم بما هو من باب التدبير شرع في بيان بقية التأويل التي يظهر منها حكمة الامر المذكور فقال ثم يأتي
وهو عطف على تزرعون فلا وجه لجعله بمعنى الامر حملا على الخبرية لعله بيان حال الزراعة على تحصيل الاخبار
بذلك من بعد ذلك اي من بعد السنين السبع المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى
وصفهن فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية سبع شداد اي سبع سنين صعاب على الناس يأكلن ما
قدمتم لهن من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عليه السلام بذلك كان لوقت الضرورة
واسناد الاكل اليهن مع ان الناس يأكلون مجاز كما في نهاره صائم وفيه تلويح بانه تأويل لاكل العجاف
السمان والتقديم ترشيح لذلك كان ما ادخر في السنابل من الحبوب شيء قدم لهن كالذي يقدم
للنازل ولا يأكلن في الحقيقة [illegible] الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد
ذلك اي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة عام لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن
المدلول الاصلي لها من عام القحط وتنبيها من اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق فيه يغاث الناس
من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت وفي وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله تعالى اي

امدنا برفع المكاره حين اظلتنا وفيه يعصرون اي ما من شانه ان يعصر من العنب والزيتون والسمسم ونحوها
لكثرتها والتعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفي به عن ذكر تصرفهم في الحبوب
اما لان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه الحبوب اذ المذكورات يتوقف صلاحها على مبادي اخرى غير المطر واما
لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالته الخاصة به بشارة له وهي التي يدور عليها حسن موقع تغليبه على الناس
في القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وتكرير فيه اما للاشعار باختلاف وقتي ما يقع
فيه من الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر وعنوانا فان الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس
واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين فان المقصود الاصلي بيان انه
يقع في ذلك العام هذا النفع وذاك النفع لا بيان انهما يقعان في ذلك العام كما يفيده التاخير ويجوز ان يكون التقديم
للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون ذلك في الاخير
لمراعاة الفواصلة وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون
المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى
يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت معنى مطرت وتعديته تعديته واما بحذف الجار و
ايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها
عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما اول الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير اللائق في شانه ابانة
لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو
قوله لصاحبيه عند استفتائهما في منامهما لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله واتماما للنعمة عليهم حيث
لم يشاركهم في العلم بوقوعها ولعل بعدية ما يدل عليها في المنام وقال الملك بعد ما جاءه السفير بالتعبير وسمع
منه ما سمع من نقير وقطمير ائتوني به لما علم من علمه وفضله فلما جاءه اي يوسف الرسول ليخرجه ودعاه الى الملك
قال ارجع الى ربك اي سيدك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن اي فتشه عن شانهن وانما قيل
فاسأله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش ليتبين براءته ويتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان
على الاهتمام في البحث للتفصي عما توجه اليه واما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالي به وانما لم يتعرض
لامرأة العزيز مع ما لقي منها ما لقي من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها
حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة واما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها بانها
راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن اطع مولاتك
واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله ان ربي بكيدهن عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء قالتهن عند الملك وانتصابهن
للخصومة مدافعة عن انفسهن متى سمعن بنسبته لهن الى الفساد قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا كان
بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ما خطبكن اي شانكن وهو الامر الذي يحق لعظمه
ان يخاطب المرء فيه صاحبه اذ راودتن يوسف وخادعتنه عن نفسه ورغبتنه في طاعة مولاته هل وجدتن فيه
ميلا من سوء وريبة قلن حاش لله تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس
السوء عنه بالتنكير وزيادة من قالت امرأة العزيز وكانت حاضرة في المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها
وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا
من الصاغرين فاقرت قائلة الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر او تبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل وقيل هو ماخوذ
من الحصة وهي القطعة من الجملة اي تبين حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين حصص الاراضي وغيرها وقيل بان وظهر
من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير مباركه اي القاها
في الارض للاناخة قال بحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوأة ثم صمما والمعنى اقر الحق في مقره ووضع في موضعه

ولم تردد بذلك بمجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عم فيما احاط بعلمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن
خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل ارادت ظهور ما هو الحق
في نفس الامر وثبوته من نزاهته عم في محل النزاع وخيانتها فقالت انا راودته عن نفسه لا انه راودني عن نفسي
وانه لمن الصادقين اي في قوله حين افتريت عليه هي راودتني عن نفسي واردت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام
لا زمان شهادتهن فتامل ايها المنصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها و
ماتهدت به الخصماء وانما تصدى عم لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما قرف به لا سيما
عند العزيز قبل ان يحل ما عقده كما يعرب عنه قوله عليه السلام لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اي
ذلك التثبت المؤدي الى ظهور حقيقة الحال ليعلم اي العزيز اني لم اخنه في حرمته كما زعمه لا على مطلقا فان ذلك
لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل قبلها ذكر من نقض ما ابرمه ولعله لمراعاة حقوق السيادة لا
المباشرة للخروج من جنسه قبل ظهور بطلان ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك مما يوهم الافتيات على رأيه
واما ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك تمحلا لامضاء ما قضاه فلا يليق بشانه عليه السلام
في الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب اي بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول
اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة واياما
ما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عم عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها وان الله اي
وليعلم ان الله تعالى لا يهدي كيد الخائنين اي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم في كيدهم
ايقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهئونهم في قولهم وفيه
تعريض بامرأته في خيانتها امانته وبه في خيانته امانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعد ما رأوا
آيات نزاهته عم ويجوز ان يكون ذلك لتاكيد امانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل امره
واحسن عاقبته وما ابرئ نفسي اي لا انزهها عن السوء قاله عم هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل
سوء وربا بمكانها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم ولا فخر او تحديثا بنعمة الله عز وجل عليه وابرازا لسره المكنون في شان افعال العباد اي
لا انزهها عن السوء من حيث هي هي ولا اسند هذه الفضيلة اليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله عز وجل
ان النفس البشرية التي من جملتها نفسي في حد ذاتها لامارة بالسوء مائلة الى الشهوات مستعملة للقوى والآلات
في تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته كما ينبئ عنه قوله الا ما رحم ربي من النفوس التي يعصمها
من الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي او هي امارة بالسوء في كل وقت الا وقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل
الاستثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون الا رحمة ان ربي
غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك
وايثار الاظهار في مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادي المغفرة والرحمة وقيل انه من كلام امرأة العزيز
والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الواقع وما ابرئ نفسي
مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي
اي الا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون
تأنيه عم في الخروج من السجن لعدم رضاهم بملاقاة الملك وامره بين بين فعل ما فعل حتى يتبين نزاهته وانه انما سجن
ظلما عظيما مع ما له من الفضل ونباهة الشان ليتلقاه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال وقد وقع وقال الملك
ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي وخاصا بي فلما كلمه اي فاتوا به فلما كلمه فحذف للايذان بسرعة الاتيان به
فكانه لم يكن بين الامر بالاحضار والخطاب زمان اصلا والضمير المستكن في كلمه ليوسف والبارز للملك اي فلما

كلّم يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة
رفيعة امين مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد
مبدئها احترازا عن احتمال كونهما بعد حين روي انه لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل
ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلّم
عليه ودعا له بالعبرانية فقال له ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه
بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع منك رؤياي فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها
فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها
عذراء وولدت له افرائيم وميشا ولعل ذلك انما كان بعد تعيينه عم لما عين له من امر الخزائن كما يعرب
عنه قوله عز وجل قال اجعلني على خزائن الارض اي ارض مصر اي ولّني امرها من الايراد والصرف اني حفيظ
لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة
العدل واجراء احكام الشريعة وان كان من يد الجائر او الكافر وعن مجاهد انه اسلم الملك على يده عليه السلام
ولعل ايثاره عم لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين حسبما
فصل في التأويل لكونه من فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة وجموم العائدة كما قيل وانما لم يكتف باجابة
الملك الى ما سأله عم من جعله على خزائن الارض بل ذاك ابانا بان ذلك امر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تعيينه
ما يندرج تحته احكام السلطنة بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان كل ذلك من الله
عز وجل وانما الملك آلة في ذلك قيل وكذلك اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف اي جعلنا له مكانا
في الارض اي ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض
مسندا الى ضمير عز سلطانه من تشريفه عم والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك العز والامر
لا انه حصل بعد السؤال ما لا يخفى يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة
عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف
الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له
سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عم اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك
واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير
ودانت له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء وباع من اهل مصر
في سني القحط الطعام في السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب
ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد
اليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس نصيب برحمتنا بعطائنا
في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية الى المشيئة ولا نضيع اجر المحسنين
بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكور احسان من نصيبه الرحمة المرقومة وانما اجر له ولدفع
توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد ولاجر الآخرة اي اجرهم في الآخرة فالاضافة
للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له خير لهم اي للمحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل
للذين آمنوا وكانوا يتقون تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتي
الماضي والمستقبل وجاء اخوة يوسف ممتارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم
يعقوب عم جميعا غير بنيامين فدخلوا عليه اي على يوسف وهو في مجلس ولايته فعرفهم لقوة فهمه وعدم مباينة
احوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه هيآتهم وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة

بهم وبمعرفة

بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له وهم له منكرون اي والحال
انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عم في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم انه هلك وقيل حيث
كان انكارهم له امرا مستمرا في حالتي الحضور والغيبة اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عم اياهم ولما
جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاؤا اليه من الميرة
وقرئ بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عم انما
قاله لما قيل من انهم سألوه عم حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوا به لا لما قيل من
انهم لما رأوه وكلموه بالعبرية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا
نمتار فقال لهم لعلكم جئتم عيونا فقالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه
يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر
قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاد
لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم
حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز
ولا الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل
بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل
من غير ذكر الرهينة ولعلي ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة تنسي عنده كل قيل وقال الا ترون اني اوفي
الكيل اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة
وانا خير المنزلين جملة حالية اي الا ترون اني اوفي الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال اني في غاية الاحسان
في انزالكم وضيافتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما الاحسان
في الانزال فقد كان مستمرا فيما سبق ولحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عم بطريق الامتنان بل لحثهم
على تحقيق ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته عم معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعاة
مواجب العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي
من بعد فضلا عن ايفائه ولا تقربون بدخول بلادي فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي معطوف
على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوما له عم قالوا سنراود عنه
اباه اي سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله وانا
لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او لقادرون عليه لا نتعانى به وقال يوسف لفتيانه لغلمانه الكيالين
جمع فتى وقرئ لفتيته وهي جمع قلة له اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل رجلا يعبي فيه بضاعتهم
التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله عم تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به
مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باخيه كما يؤذن به قوله لعلهم يعرفونها اي يعرفون حق ردها والتكرم
في ذلك او لكي يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله اذا انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية
قطعا واما معرفة حق التكرم في ردها وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت به لعلهم
يرجعون حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز البضاعة من اقوى الدواعي الى الرجوع
وما قيل انما فعله عم لما انه رأى من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه ولكن يأباه التعليل
المذكور واما ان علية الجعل المذكور للرجوع من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها
فمداره حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسيانا وظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد اصلا فان هيئة التعبئة تنادي
بان ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا ذلك دليلا على التفضلات السابقة كما

ستحيط بهم خبره فلما رجعوا الى ابيهم قالوا قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع يا ابانا منع منا الكيل اي فيما بعد وفيه
ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه عم فارسل معنا اخانا بنيامين الى مصر
وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم نكتل بسببه من الطعام ما نشاء وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده
الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال
هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم
فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله فالله خير حافظا وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز والحالية
على القراءة الاولى توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة وهو ارحم الراحمين فارجوا ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين
وهذا كما ترى ميل منه عم الى الاذن والارسال لما رأى فيه من المصلحة ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت اليهم اي تفضلا وقد علموا ذلك بدلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء كما قيل قيل
وكيل قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح
يا ابانا ما نبغي اذا فسر البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبتغي وراء ما وصفنا لك من احسان
الملك الينا وكرمه الداعي الى امتثال امره والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا اخبروه بذلك وقالوا انا قدمنا
على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى هذه بضاعتنا ردت
الينا جملة مستانفة موضحة لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته كانهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردت الينا
تفضلا من حيث لا ندري بعدما من علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا نطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء
بذلك مطلقا والتقاعد عن طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لامره والالتجاء اليه في استجلاب
المزيد كما اشرنا اليه وقوله تعالى ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وايثار صيغة البناء للمفعول
للايذان بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله
تعالى ونمير اهلنا اي نجلب اليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اي نستظهر بها ونمير
اهلنا ونحفظ اخانا من المكاره حسبما وعدنا فما يصيبه من مكروه ونزداد اي بواسطته لذلك وسط الاخبار
بحفظه بين الاصل والمزيد كيل بعير اي وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط ذلك اي ما يحمله اباعرنا
كيل يسير اي مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استئناف وقع تعليلا لما سبق كانه قيل اي حاجة الى الازدياد فقيل
ما قيل او ذلك الكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اي نطلب نطلب منهم ما تنا
والجمل الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب او متمكنين من تحصيله كانهم
قالوا بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما
نكتاله لانفسنا كيل بعير فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب عليه السلام اي اي شيء تبغي وراء
هذه المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه اليه
والجملة الاستئنافية موضحة لذلك او اي شيء تبغي شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة
عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الانكار واما نافية فالمعنى ما نبغي شيئا غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب المراجعة
اليه او ما نبغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة اخرى والجملة المستانفة تعليل له واما اذا فسر البغي بمجاوزة
الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لذكرنا والجملة
المستانفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله ونمير اهلنا عطف على ما نبغي اي ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه ونحصل
امثاله من مير اهلنا وحفظ اخينا فان ذلك هين بواسطة احسانه وقد جوز ان يكون كلاما مبتدأ اي جملة
اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي ان نمير اهلنا وشبه ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب ان اسعى وانت خبير بان
شان الجمل التذييلية ان تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق والحق

عطف على قوله ما نبتغي
عطف على قوله اما استفهامية
عطف على قوله او ما نافية

ابلج وان قوله وغيره اوان ساعدنا في حمله على معنى ان نمير اهلنا نجعل من ذلك وما نبغي في الراي وما نعدل عن
الصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجمل الخ تفصيل وبيان لعدم بغيهم واصابة رايهم اي بضاعتنا
حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونصنع كيت وكيت فتامل قال لن ارسله معكم بعد ما عاينت منكم ما عاينت
حتى تؤتون موثقا من الله اي ما اتوثق به من جهة الله عز وجل وانما جعله موثقا منه تعالى لان توكيد العهود
ماذون فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عز وجل لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا
ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا واصله من احاطة العدو فان من احاط به
العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم العلل على تاويل الكلام بالنفي الذي ينساق اليه
اي لا تأتنني به ولا تمتنعن منه في حال من الاحوال او لعلة من العلل الا حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره
قولهم اقسمت عليك لما فعلت والا فعلت اي ما اريد منك الا فعلك وقد جوز الاول بلا تاويل ايضا اي لتأتنني به
على كل حال الا حال الاحاطة بكم وانت تدري انه حيث لم يكن الاتيان به من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال
على سبيل المعية كما في قولك لالزمنك الا ان تعطيني حقي ولم يكن مراده مقارنته على سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة
كما اذا قلت صل الا ان تكون محدثا بل بمجرد تحققه ووقوعه من غير اخلال به كما في قولك لا تحجن العام الا ان تحصر
فان مدلوله الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن الحج لا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال على سبيل البدل
كما هو مراد في مثال الصلوة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فال المعنى الى التاويل المذكور
فلما اتوه موثقهم عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عليه السلام قال الله على ما نقول اي على ما قلنا في اثناء
طلب الموثق وايتائه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدية الى تثبتهم ومحافظتهم على
تذكره ومراقبته وكيل مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تعالى وحثهم على مراعاة ميثاقهم وقال ناصحا لهم لما
ازمع على ارسالهم جميعا يا بني لا تدخلوا مصر من باب واحد نهاهم عن ذلك حذارا من اصابة العين فانهم كانوا
ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا تجملوا في هذه الكرة اكثر مما في المرة الاولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى
لدى الملك بخلاف النوبة الاولى فكانوا امثلة لان يتوكل ناظر وطموح كل طامح واصابة العين بتقدير العزيز الحكيم
ليست بمنكرة وقد ورد عنه عم ان العين حق وعنه عم ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان صلى
الله عليه وسلم يعوذ الحسنين رض بقوله اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول
كان ابوكما يعوذ بها اسمعيل واسحق عليهما السلام رواه البخاري في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولا يدركه
عدم التعقل لسببه ...
من ابواب ... وادخلوا من ابواب متفرقة بيان لما هو المراد بالنهي
وانما لم يكتف به ... بالتحقيق
شيء التدبير وما اغني عنكم اي لا انفعكم ولا ادفع عنكم بتدبيري من الله من شيء اي شيئا مما قضى عليكم فان الحذر
لا يمنع القدر ولم يرد به الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز وعلا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقال خذوا
حذركم بل اراد بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التاثير وترتيب
المنفعة عليه من العزيز القدير ... ان الحكم
مطلقا الا لله لا يشاركه احد ولا يمانعه شيء عليه توكلت لا على احد سواه وعليه
... وعليه دون غيره فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة
مع تقديم الصلة للاختصاص مفيدا بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعله وبالفاء
سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المهتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا اوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايته
وارشاده الى التوكل ... ولما دخلوا من حيث امرهم

أَبُوهُم من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت له اربعة ابواب فدخلوا منها وانما اكتفي بذكره لاستلزامه الانتهاء
عما نهوا عنه مَا كَانَ ذلك الدخول يُغْنِي نفيا شيئا يعتد وقوع ما وقع عَنْهُمْ عن الداخلين لان المقصود به استدفاع
الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله فان عدم الاغناء
بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وانما المتحقق حينئذ ما افاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول
المذكور مغنيا فيما سياتي فتامل مِنَ اللهِ من جهته مِنْ شَيْءٍ اي شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك في بادي
الراي حيث وصاهم به يعقوب عم وعملوا بموجبه واثنين بجدواه من فضل الله فليس المراد بيان سببية الدخول
المذكور لعدم الاغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فان مجيء النذير هناك سبب لزيادة
نفورهم بل بيان عدم سببيته للاغناء مع كونها متوقعة في بادي الراي كما في قولك حلفت ان يعطيني حقي عند حلول
الاجل فلما حل لم يعطني شيئا فان المراد بيان سببية حلول الاجل للاعطاء مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا بيان
سببيته لعدم الاعطاء فالمآل بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب
عدمه عليه ويجوز ان يراد ذلك ايضا بناء على ما ذكر عم في تضاعيف وصيته من انه لا يغني عنهم من الله
شيئا فكانه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئا ووقع الامر حسبما قال عم فلقوا ما لقوا فيكون
من باب وقوع المتوقع فتامل إِلَّا حَاجَةً استثناء منقطع اي ولكن حاجة وحزازة كائنة فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ
قَضَاهَا اي اظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد ان للتدبير تاثيرا في تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل
في قضاها للدخول على معنى ان ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهي ارادته ان يكون دخولهم من ابواب
متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه
حسب ارادته فالاستثناء منقطع ايضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة
العين فانما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لانها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ جليل
لِمَا عَلَّمْنَاهُ لتعليمنا اياه بالوحي ونصب الادلة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان التدبير له حظ من التاثير
حتى يتبين الخلل في رايه عند تخلف الاثر وحيث بت القول بانه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفي تاكيد
الجملة بان واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شان يعقوب عم
وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ اسرار القدر ويزعمون انه يغني عنه الحذر واما
ما يقال من ان المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيئا من القدر فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادي
وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ بنيامين اي ضمه اليه في الطعام او في المنزل او فيهما روي انهم لما دخلوا
عليه قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك عندي فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم مثنى
مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم فريدا واجلسه معه
على مائدته وجعل يواكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم
رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون
اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه
وتعرف اليه وعند ذلك قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ يوسف فَلَا تَبْتَئِسْ اي فلا تحزن بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بنا فيما مضى فان
الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك قاله ابن عباس رض وعن وهب انه لم يتعرف اليه
بل قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقاه منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي
انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت باغتمام والدي فاذا حبستك يزداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان
انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته
ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ اي المشربة قيل كانت مشربة

جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل
من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت اناء مستطيلة تشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يستعمله الاعاجم وقيل
كانت مرصعة بالجواهر فِي رَحْلِ أَخِيهِ بنيامين وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثُمَّ أَذَّنَ
مُؤَذِّنٌ نادى مناد أَيَّتُهَا الْعِيرُ وهي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى
قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل مثل سقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحابها كما
في قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة
ثم امر بهم فادركوا ونودوا إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ هذا الخطاب ان كان بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة اخذهم له من ابيه
ودخل بنيامين فيه بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسياق وقرئ
انكم سارقون بلا لام قَالُوا اي الاخوة وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم مما
سمعوه لمباينته لحالهم مَاذَا تَفْقِدُونَ اي تعدمون تقول فقدت الشيء اذا عدمته بان ضل عنك لا بفعلك
والمآل ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته
فقيدا وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه
لم يسرق منهم شيء فضلا ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شيء فيسألونهم انه ماذا وفيه
ارشادهم الى مراعاة حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البرآء الى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك
غيروا كلامهم حيث قَالُوا في جوابهم نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ ولم يقولوا سرقتموه او سرق وقرئ صاع وصوع وصوع
بفتح الصاد وضمها وباهمال العين واعجامها من الصياغة ثم قالوا تربية لما تلقوه من جهلهم وازاحة لاعتقاد انه
انما بقي في رحلهم اتفاقا وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ من عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش حِمْلُ بَعِيرٍ من الطعام جعلا له لا على
تحقيق الوعد لجزمهم بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من اخذ من وجد في رحله وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ كفيل اؤديه
اليه وهو قول المؤذن قَالُوا تَاللَّهِ الجمهور على ان التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة
او الرب المضاف الى الكعبة او الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من الباء وقيل اصل بنفسها وايا ما كان
ففيه تعجب [illegible] لَقَدْ عَلِمْتُمْ علما جازما مطابقا للواقع مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ اي لنسرق فانه من اعظم انواع
الافساد او لنفسد فيها [illegible]
[illegible]
[illegible]
تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وافواه رواحلهم مكمومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد [illegible]
عنا افساد وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ اي ما كنا نوصف بالسرقة قط [illegible]
[illegible]
علمهم [illegible] قَالُوا اي اصحاب يوسف [illegible] فَمَا جَزَاؤُهُ [illegible]
[illegible] إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ [illegible]
ذلك [illegible] قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ
حيث ذكر بعنوان الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها في اعتقادهم المبني على قواعد

العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد في يده مال غيره
كيف ما كان فتأمل واحمل كلام كل فريق على ما لا يزاحم ثانيه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء وقوله فهو جزاؤه
تقرير لذلك الحكم اي فاخذه جزاؤه كقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية
كما هي خبره على اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على ان الاول لمن والثاني للظاهر
الذي وضع موضعه كذلك اي مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزي الظالمين بالسرقة تاكيد للحكم المذكور غب تاكيد
وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون فبدأ يوسف بعد ما رجعوا
اليه للتفتيش باوعيتهم باوعية الاخوة العشرة اي بتفتيشها قبل تفتيش وعاء اخيه بنيامين لنفي التهمة روي
انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب
لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اي السقاية او الصواع فانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع
الضمير الى الوعاء او من وعائه على رجعه الى اخيه قصدا الى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو وبقلبها
همزة كما في اشاح في وشاح كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا ما
في ذلك من معنى البعد اي مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم
وبحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله عز وجل كدنا ليوسف صنعنا له و
دبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما في قوله تعالى
فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى ما كان لياخذ اخاه
في دين الملك استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كما قيل كانه قيل لماذا فعل ذلك فقيل
لانه لم يكن لياخذ اخاه بما فعله في دين الملك في امر السارق اي في سلطانه قاله ابن عباس او في حكمه وقضائه
قاله قتادة الا به لان جزاء السارق في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد
كما هو شريعة يعقوب عم فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال من الاحوال الا ان
يشاء الله اي الا حال مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك الكيد والا حال مشيئته للاخذ بذلك الوجه ويجوز
ان يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال
والاقوال حسبما شرح هنا لكن لا على ان يكون القصر المستفاد من تقديم المجرور ماخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا
على معنى مثل ذلك الكيد كدنا له لا كيدا آخر اذ لا معنى لتعليله بعجز يوسف عم عن اخذ اخيه في دين الملك في امر السارق
قطعا اذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك في امر السارق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد
البالغ الى هذا الحد كدنا له ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن ياخذ اخاه في دين الملك الا حال مشيئتنا له بايجاد
ما يجري مجرى الجزء الصوري من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر
في تفسير قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف بقوله لذلك علمناه اياه واوحينا به اليه اي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا
علمنا دون بعض من ذلك فقط وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال كما اشير اليه ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب
اي لم يكن لياخذ اخاه لعلة من العلل وسبب من الاسباب الا لعلة مشيئته تعالى او الا بسبب مشيئته تعالى وايما كان
فهو متصل لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما عند رضاه وافتائه به ليس مخالفا لدين
الملك وقد قيل معنى الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل الحكم حكم الملك وانت تدري ان المراد بدينه ما عليه من
تغيير مخل بالاتصال وارادة مطلق ما يتدين به اعم منه ومما يحدث تفضي الى كون الاستثناء من قبيل التعليق
بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف عم عن اخذ اخيه ولم يتعلق المشيئة بالجعل المذكور اذ ذاك وارادة عجزه مطلقا
تؤدي الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة من احوال عجزه عم مما يستدعي عدم الحاجة الى الكيد الذي
قد تبين فقد تجوز الانقطاع اي لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه في دين غير دين الملك نرفع درجات اي رتبا كثيرة

عالية من العلم وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات والمفعول قوله تعالى من نشاء
اي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان
ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وفوق كل ذي علم من اولئك
المرفوعين عليم لا ينالون شأوه واعلم انه ان جعل الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف عم
ما اعتبر فيه بالشرطية او الشطرية من ارشاده عم الى دس الصواع في رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المؤدية
لاستبقاء اخيه مما تم من قبله والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه
بدونه او ارشدنا كلا منهم ومن يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف بما تم من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا
من اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات الى قوله تعالى عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مرامه
اذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم لا يقادر قدره
لا يكتنه كنهه يرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف الى ما يليق به من الدرجات
العالية وعلم ان ما حواه دائرة علمه لا يفي بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكانه عم لم يكن
على يقين من صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجودا وعدما
والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة
شأنه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور
فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والافتاء وان لم يكن داخلا تحت قدرته عم لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة
الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذي سيصدر
عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان لان ذلك
من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله وفوق كل ذي علم عليم تذييل له اي نرفع
درجات عالية من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم
الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول
انسب بالتذييل حيث نسب فيها الرفع الى من نسب اليها الفوقية لا الى درجته ويجوز كون العليم في هذا التذييل عبارة
عن الله عز وجل اي وفوق كل من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجته اللائقة به والله تعالى اعلم قالوا
ان يسرق يعنون بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يريدون به يوسف عم وما جرى عليه من جهة عمته قيل
من انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عم انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة
ورثتها من ابيها اسحق عم فاحتالت لاستبقاء يوسف عم فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت
منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما اشاء فخلاه يعقوب عندها
حتى ماتت وقيل كان اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره والقاه في الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب
كانوا يعبدونه فدفنه فاسرها يوسف اي الكلمة الحاصلة مما قالوا في نفسه لا انه اسرها لبعض اصحابه كما في قوله
تعالى واسررت لهم اسرارا ولم يبدها لهم لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تاكيد لما سبق قال اي في نفسه وهو
استئناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار
فقيل قال انتم شر مكانا اي منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البريء وقيل بدل من اسرها والضمير
للمقالة المفسرة بقوله انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون اي عالم بالغ العلم الى اقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون من صدور
السرقة منا بل انما هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم
قالوا عندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا بذلك الاخبار بان له ابا
فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له ابا شيخا كبيرا في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالته يتسلى

عن شقيقه الهالك فخذ احدنا مكانه فلسنا عنده بمنزلته من المحبة والشفقة انا نراك من المحسنين الينا
فاتمم احسانك بهذه التتمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله اي نعوذ بالله معاذا ان نأخذ
فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به بعد حذف الجار الا من وجدنا متاعنا عنده لان اخذنا
له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها وايثار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد
من باب السلوك الحسن للملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط بآراء اولي الحل والعقد
وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم يحملون
وجدان الصواع في الرحل على محمل غير السرقة انا اذا اي اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون
في مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذي اريد بالكلام في اثناء المحاورة وله معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرني
بالوحي ان آخذ بنيامين لمصالح علمها الله تعالى في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا
منه اي يئسوا من يوسف واجابته لهم اشد يأس ويدل له صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس
لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ
منه بالله عز وجل ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا اي ذوي
نجوى على ان يكون بمعنى التجوي والتناجي او فوجا نجيا على ان يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر
ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا ويجوز ان يقال لهم نجي كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير قال
كبيرهم في السن وهو روبيل او في العقل وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا عند التناجي على
الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرا عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا يوثق به وهو
حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه وكونه للتغليظ باسمه الكريم ومن قبل اي من قبل هذا ما فرطتم في يوسف
قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لحافظون وانا له لناصحون وما مصدرية او مزيدة ومحل المصدر
النصب عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق في شأن يوسف عم ولا ضير في الفصل
بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر في يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا ان
تفريطكم السابق وقع في شأن يوسف عم او ان تفريطكم الكائن او كائنا في شأن يوسف عم وقع من قبل وفيه ان مقتضى
المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعا في شأن يوسف كما هو مفاد الثاني على ان الظرف
المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا عند البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء
والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع والحق هو النصب عطفا على مفعول
تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الخيانة واما النصب عطفا على اسم ان والرفع على الابتداء فقد عرفت
حاله فلن ابرح الارض متفرع على ما ذكره وذكروه اياهم من ميثاق ابيهم وقوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي فلن افارق
ارض مصر جريا على قضية الميثاق حتى يأذن لي ابي في البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم معقودة على عدم الرجوع
بغير اذن يعقوب عم او يحكم الله لي بالخروج منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب
روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقي بمصر حاملا الا القت
ولدها ووقفت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس من
واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فمسه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر
يعقوب وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق
على ظاهر الحال وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا وشاهدنا ان الصواع استخرج
من وعائه وما كنا للغيب اي باطن الحال حافظين فما ندري ان حقيقة الامر كما شاهدنا ام بخلافه او وما
كنا عالمين حين اعطيناك الموثق انه سيسرق وانا نبتلي بهذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف

واسأل القرية

واسأل القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندها اي ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة
والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب
وقيل من صنعاء وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال اي يعقوب عم وهو استئناف مبني على سؤال
نشأ مما سبق كأنه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عند ما رجعوا اليه فقالوا
له ما قالوا وانما حذف للايذان بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان وانما الحاجة
اليه جواب ابيهم بل سولت اي زينت وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون فيه بل عما يتضمنه
من ادعائهم البراءة عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر منهم ما يؤدي الى ذلك من قول او فعل كأنه قيل لم يكن الامر
كذلك بل زينت لكم انفسكم امرا من الامور فأتيتموه يريد فتياهم باخذ السارق برقته فصبر جميل اي فامري صبر
جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا اي بيوسف واخيه والمتوقف بمصر انه هو العليم بحالي
وحالهم الحكيم الذي لم يبتلني الا لحكمة بالغة وتولى اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال يا اسفى على يوسف الاسف
اشد الحزن والحسرة اضافه الى نفسه والالف بدل من الياء فناداه اي يا اسفي تعال فهذا اوانك وانما تأسف على
يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزأه كان قاعدة الارزاء غضا عنده وان تقادم عهده آخذا بمجامع
قلبه لا ينساه ولانه كان واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعا في ايابهما واما يوسف فلم يكن في شأنه ما يحرك
سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة
محمد عليه السلام الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف
مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم
وقوله ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبأ بنبأ يقين ونظائرها وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان
العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي
انه ما جفت عينا يعقوب من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله تعالى
من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عم ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف
قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى ساعة قط وفيه دليل
على جواز التأسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه
عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا
نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم
الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي عليه السلام انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود
بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند
الفرح وصوت عند الترح فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله
تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا
اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ اي لا تفتؤ ولا تزال تذكر يوسف تفجعا عليه
فحذف حرف النفي كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لعدم الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه
علامة الاثبات يكون على النفي البتة حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او
مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين
كجنب وغرب او تكون من الهالكين اي الميتين قال انما اشكو بثي البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه
فيبثه الى الناس اي ينشره فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء فقال انما اشكو ما بي اليكم
او الى غيركم حتى تتصدوا لتسليتي وانما اشكو همي وحزني الى الله تعالى ملتجئا الى جنابه متضرعا لديه باثي

وقرئ بفتحتين وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجوان يرحمني ولا يخيب رجائي او اعلم وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل راي ملك الموت عم في المنام فسأله فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف عم انه يخر له ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا اي تعرفوا وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب اي تطلبوا من يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر ازالته ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته التي يحيي بها العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حثهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر الممتنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرافة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا فاوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا فانما لما قاله الضحاك وابن جريج وعطاء لا نسب حالهم نظرا الى ما بهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا او لعدوا التصدق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص حرمة الصدقة بنبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدؤوا بما امروا به استجلابا للرافة والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو عليهم ساقوه كلاما ذا وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين يحتمل الحمل على المحملين فلعله عم حمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرضوا لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك وجاهلون عاقبته وانما قاله نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون هذا الكلام منه عم منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم وحقيقتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض في طلب بنيامين بل يجوز ان يتقدم بطريق الوحي او الالهام على وفق ابيه وارساله اياهم للتجسس منه ومن اخيه فلما راهم قد اشتغلوا عن ذلك قال لهم ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب عم وقد كتب فيه من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار فنجاه الله تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قراه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قراه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا أإنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك اكد بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب

مثلها أإنك او انت يوسف على معنى أإنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن مسألتهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخي اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشان اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حتى كانه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم رد بنيامين بانه اخي لا اخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستئناف التعليلي بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى في جميع احواله او يتق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات وعن المعاصي التي تستلذها النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشان كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة ومعناه ازالة التثريب كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجه وقوله عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر في الا اي لا اثربكم او لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم وعفا عن جريرتهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك بما فرطنا فيك فقال عم ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الان وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي كان عليه حينئذ وقيل هو القميص المتوارث الذي كان في التعويذ امره جبرائيل عم بارساله اليه واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يصر بصيرا او يأت الي بصيرا وينصره قوله وأتوني باهلكم اجمعين اي بابي وغيره ممن ينتظمه لفظ الاهل جميعا من النساء والذراري قيل انما حمل القميص يهوذا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس رضه انفصل العير قال ابوهم يعقوب عم لمن عنده اني لاجد ريح يوسف اوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا لولا ان تفندون اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل ونقصانه من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها وجواب لولا محذوف اي لصدقتموني قالوا اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير وهو يهوذا القاه اي القى البشير القميص على وجهه اي وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه فارتد عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان بكنعان او قوله ولا تيأسوا من روح الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب بقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النهي المذكور انما هو العلم الذي اوتي يعقوب من جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتجسس ونهيتكم عن اليأس من روح الله اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف روي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه

ويستغفر له فانهم كانوا على ثقة من عفوه عم ولذلك قصروا على استدعاء الاستغفار او ادرجوا ذلك في الاستغفار
قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم وهذا يشعر بعفوه وقيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل
الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل اخره الى ان يستحل لهم من يوسف عم او يعلم الله قد عفا عنهم فان
عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روي عنه انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا
خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبرئيل عم فقال ان الله قد اجاب دعوتك
في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح فيثبت نبوتهم وان ما صدر عنهم انما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد
الاستمرار على الدعاء فقد روي انه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر
فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه
ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين فلما دخلوا على يوسف روي انه قد وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة
ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عم
وهو يمشي متوكئا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا بل ولدك فلما التقيا قال يعقوب عليهما
السلام قال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة
تجمعنا فقال بلى ولكني خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان
وسبعون ما بين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية
والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف آوى اليه ابويه اي اباه وخالته ونزلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة
الاب في قوله تعالى واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب عم تزوجها بعد امه وقال الحسن وابن اسحق
كان امه في الحيوة فلا حاجة الى التاويل ومعنى آوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما وكانه عم ضرب في الملتقى مضربا فنزل فيه
فدخلوا عليه فآواهما اليه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من الشدائد والمكاره والقحط والمشية
متعلقة بالدخول على الامن ورفع ابويه عند نزولهم بمصر على العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعل لاخوته
وخروا له اي ابواه واخوته سجدا فانه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة
وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه
وخرورهم بمعنى المرور وقيل خروا لاجله سجدا لله شكرا وفيه نبوة قوله تعالى وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي التي رايتها
وقصصتها عليك من قبل في زمن الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا واقعا بعينه والاعتذار يجعل يوسف كجعل
اللام كما في قوله اليس اقل من صلى القبلتكم تعسف لا يخفى وتاخيره عن الرفع على العرش ليس بنص في ذلك لان الترتيب
الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تاخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبيرا لرؤياه وما يتصل به
من قوله وقد احسن بي المشهور استعمال الاحسان بالى وقد يستعمل بالباء ايضا كما في قوله عز اسمه وبالوالدين
احسانا وقيل هذا بتضمين لطف وهو الاحسان الخفي كما يؤذن به قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء وفيه ما لا يخفى
اي لطف بي محسنا الي وهذا الاحسان اذ اخرجني من السجن بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذرا من تثريب
اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجدا واكتفاء بما يتضمنه قوله تعالى وجاء بكم من البدو
اي البادية من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد بيننا بالاغواء واصله من نخس الرائض الدابة
وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ عم في الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان ان ربي لطيف
لما يشاء اي لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل
انه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة روي ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليهما السلام
فطاف في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله
القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثماني مراحل قال امرني جبريل قال اوما تسأله

قال انت ابسط اليه مني فسأله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك اخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني وروي
ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه
ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له تاقت نفسه الى الملك
الدائم الخالد فتمنى الموت فقال رب قد آتيتني من الملك اي بعضا منه عظيما وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل
الاحاديث اي بعضا من ذلك كذلك ان اريد بتعليم تاويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق
سنن الانبياء عليهم السلام فالترتيب ظاهر واما ان اريد به تعليم الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك
عليه في الذكر لانه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك اعرق في كونه نعمة من التعليم المذكور
وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لان التعليم هناك وارد على نهج
العلة الغائية للتمكين فان حمل على معنى التمليك لزم تاخره عنه واما الواقع ههنا فمجرد التاخير في الذكر والعطف
بحرف الواو لا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود فاطر السموات والارض مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة
المنادى او منادى آخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب ما يعقبه من قوله انت وليي مالك
اموري في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعم فيهما واذ قد تمت علي نعم الدنيا توفني اقبضني مسلما والحقني
بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فان تمام النعمة بذلك قيل لما دعا توفاه الله عز وجل
طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال فراوا ان يصنعوا له تابوتا من مرمر فجعلوه
فيه ودفنوه في النيل ليمر عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا واحدا في التبرك به وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم
نون ولنون يوشع فتى موسى عم ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا
دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله تعالى موسى عليه السلام ذلك اشارة الى ما ذكر من نبا يوسف عم وما فيه من معنى
البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته او كونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدا خبره
من انباء الغيب الذي لا يحوم حوله احد وقوله نوحيه اليك خبر بعد خبر او حال من الضمير في الخبر ويجوز
ان يكون ذلك اسما موصولا ومن انباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك وما كنت لديهم يريد اخوة يوسف
اذ اجمعوا امرهم وهو جعلهم اياه في غيابة الجب وهم يمكرون به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر اسرارهم
وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد نفي حضوره عم في مشهد اجماعهم ومكرهم فقط
بل في سائر المشاهد ايضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة واخفى احوالها كما ينبئ عنه قوله وهم
يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد الزام المكذبين والمعنى ان هذا نبا غيب
نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك الكتب امر لا يشك
فيه المكذبون ايضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار فكانهم
يشكون في ذلك فيدفع شكهم وفيه ايضا ايذان بان ما ذكر من النبا هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتاب ليس
على ما هو عليه يعني ان مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحي
ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى
الامر وما اكثر الناس يريد به العموم او اهل مكة ولو حرصت اي على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات القاطعة
الدالة على صدقك بمؤمنين لتصميمهم على الكفر واصرارهم على العناد روي ان اليهود وقريشا لما سالوا عن قصة يوسف
وعدوا ان يسلموا فلما اخبرهم بها على موافقة التورية فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له في ذلك وما
تسالهم عليه اي على الانباء او على القرآن من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى
للعالمين كافة لا ان ذلك مختص بهم وكاين من آية اي كاي عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود
الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها في السموات والارض اي كائنة فيهما من الاجرام

الفلكية

وما فيها من النجوم وتغير احوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الارض من العجائب الدالة على الصانع يمرون عليها
اي يشاهدونها ولا يعبأون بها وقرئ برفع الارض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبها على معنى ويطأون الارض
يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من الآيات
والعبر وهم عنها معرضون غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادتهم لغيره او باتخاذهم
الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بالنور والظلمة وهي
جملة حالية اي لا يؤمن اكثرهم الا في حال شركهم قيل نزلت الآية في اهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب
افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله اي عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجاءة من
غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي وهي الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد
ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا الى الله على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء او هي حال من الضمير في سبيلي
والعامل فيها معنى الاشارة انا تأكيد للمستكن في ادعوا او على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن
اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين تنزيه لله تعالى مما لا يليق به الدعوة الى الله وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا رد لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة نوحي اليهم كما اوحينا اليك وقرئ بالياء من اهل القرى لانهم اعلم
واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقساوة افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك ولدار الآخرة اي الساعة او الحيوة الآخرة خير
للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون فتستعملوا عقولكم لتعرفوا خيرية دار الآخرة وقرئ بالياء
على انه غير داخل تحت قل حتى اذا استيأس الرسل غاية لمحذوف دل عليه السياق اي لا يغررهم تماديهم فيما
هم فيه من الدعة والرخاء فان من قبلهم قد امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم
في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم
او كذبهم رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار
النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا
فجاءة وعن ابن عباس رض وظنوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله تعالى من النصر فان صح ذلك عنه فلعله اراد بالظن
ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب واما الظن الذي هو ترجيح
احد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك من احاد الامة فما ظنك بالانبياء عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم في معرفة شؤون الله
سبحانه منزلتهم وقيل الضميران للرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد اي ظنوا انهم كذبوا عند
قومهم فيما حدثوا به لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا او على ان الاول للقوم فنجي من نشاء هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ
فننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المن
تعلق بهم المشية لقد كان في قصصهم اي قصص الانبياء واممهم وينصره قراءة من قرأ بكسر القاف او قصص يوسف واخوته عبرة
لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب احكام الحس ما كان اي القرآن المدلول عليه بما تقدم كالذوات الواضحة حديثا
يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ولكن هو تصديق
الذي بين يديه وتفصيل كل شيء مما يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو يستند الى القرآن بالذات او بوسط
وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون اي يصدقونه لانهم المنتفعون به واما من عداهم فلا
يهتدون بهداه ولا ينتفعون بجدواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه
ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مكية خمس واربعون آيات

المر اسم للسورة ومحله اما الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو اظهر او الرفع
على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا وقوله تعالى تلك على الوجه الاول مبتدأ وعلى الثاني مبتدأ ثان
او بدل من الاول اشير به اليه ايذانا بفخامته واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ او اذكر فتلك مبتدأ
كما اذا جعل المر مسرودا على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم وارى على ما روي عن ابن عباس رض والخبر على التقادير
قوله تعالى آيات الكتاب اي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق
باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ حسبما مر في سورة يونس فهو المتبادر
من مطلق الكتاب المستغني عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف الآيات بوصف ما اضيفت هي اليه من نعوت الكمال
بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة في الاتصاف بذلك المغنية عن التصريح بالوصف
على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي مر تفصيله
في سورة يونس والذي انزل اليك من ربك اي الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها الحق الثابت
المطابق للواقع في كل ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقية لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق
اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه وفي التعبير
عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبني للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره من الدلالة
على فخامة المنزل التابعة لجلالة شأن المنزل وتشريف المنزل اليه والايماء الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لانه المرجع
للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار الله الذي رفع
السموات اي خلقهن مرتفعا على طريقة قولهم سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض لا انه رفعها بعد ان لم يكن كذلك
والجملة مبتدأ وخبر كقوله تعالى الله الذي جعل لكم الارض بغير عمد اي بغير دعائم جمع عماد كاهاب واهب او عمود
اي سند يقال عمدت الحائط اي دعمته وقرئ عمد على جمع عمود بمعنى عماد كرسل ورسول وايراد صيغة الجمع لجمع السموات
لا لان المنفي عن كل واحدة منها عمد لا عماد ترونها استئناف استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد
وقيل صفة لعمد جيء بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هي قدرة الله سبحانه ثم استوى اي استولى على العرش بالحفظ
والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف وايا ما كان فليس المراد به
القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة وسخر الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طائعين
لما اريد منهما من الحركات وغيرها كل من الشمس والقمر يجري حسبما اريد منهما لاجل مسمى لمدة معينة فيها تتم دورته
كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما يجري كل يوم على مقدار معين من المدارات اليومية او لغاية ينتهي فيها
حركاتهما ويخرج جميع ما اريد منهما من القوة الى الفعل ولغاية تتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما يدبر عالم
صنع من الرفع والاستواء والتسخير اي يقضي ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الامر امر الخلق كله وامر ملكوته
وربوبيته يفصل الآيات الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته اي يأتي بها مفصلة وهي ما ذكر من الافعال العجيبة
وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة للآثار الغريبة في السفليات على موجب التدبير والتقدير
فالجملتان امّا حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء واما معترضتان له والاولى حال منه
والثانية من الضمير فيها او كلاهما من ضمائر الافعال المذكورة وقوله كل يجري لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران من
الله خبرا بعد خبر والموصول صفة للمبتدأ جيء به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شأنه كما في قول الفرزدق ان الذي سمك
السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول لعلكم عند معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها بلقاء ربكم علاماته للجزاء توقنون
فان من تدبر حق التدبر ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنائع البديعة على كل شيء قدير وان لهذه التدبيرات المتقنة
عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد تبين على السنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك بلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم

فاذن لا بد من الايقان بالجزاء ولما قرر الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال وهو الذي
مد الارض اي بسطها طولا وعرضا فالكلام المذهو البسط الى ما لا يدرك منتهاه نفيه دلالة على بعد مداها وسعة
اقطارها وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت في احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغناء
غلبة الوصف بها عن ذلك واختصار بجمع فواعل جمعا لفاعل في فوارس جمع الكثرة اكثر انما هو في صفات العقلاء
ولما في غيرهم فلا يرى ذلك اصلا وكما في قوله تعالى اياما معدودات وقوله الحج اشهر معلومات اي لغير ذلك فلا حاجة
الى ان يجعل مفردها صفة لجمع القلة اعني اجبلا ويعتبر جمع الكثرة اعني جبالا انتظامها الطائفة من جموع القلة
وتنزيل كل منها منزلة مفردها كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جمعية كل من صيغتي الجمعين انما هي باعتبار الافراد التي تحتها
لا باعتبار انتظام جمع القلة الافراد واشتمال جمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لا ان جبالا جمع اجبل كما ان
طوائف جمع طائفة ولا الى ان يلتجاء الى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل كما قيل على انه
لا حيد له لما ان الغلبة انما هي في الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها وانهارا
مجاري واسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي نظمها مع الجبال في سلك معمولية فعل واحد اشارة الى ان الجبال منشأ
للانهار وبيان لفائدة اخرى للجبال غير كونها حافظة للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متوزعة
على مكنه وتقلبه وبعيشه بالماء والكلاء ومن كل الثمرات متعلق بجعل في قوله تعالى جعل فيها زوجين اثنين
اي اثنينية حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الاخر واكده بالزوجين لئلا يتوهم ان المراد بذلك الشفعان
اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك اثنينية اعتبارية اي جعل من كل نوع من كل نوع من انواع الثمرات
الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين اما في اللون كالابيض والاسود او في الطعم كالحلو والحامض او في القدر كالصغير
والكبير او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثاني استينافا لبيان
كيفية ذلك الجعل يغشي الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية
الاشياء الظاهرة بالاغطية اي يستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثاني
على الاول فان ضوء النهار ايضا ساتر لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعدم هذا في تضاعيف
الآيات السفلية وان كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهرا باعتبار ان ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها في
فوق موقع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج على انهما ايضا زوجان
متقابلان مثلها وقرئ يغشي من التغشية ان في ذلك اي فيما ذكر من مد الارض وايتادها بالرواسي واجراء الانهار
وخلق الثمرات واغشاء الليل النهار وفي الاشارة بذلك تنبيه على عظم شان المشار اليه لآيات باهرة وهي
تلك الافاعيل البديعة جليت حكمة صانعها فانها مع على معناها فان تلك الآثار مستقرة في تلك الافاعيل منوطة بها وتجوز
ان يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الافاعيل فتجريدية لقوم يتفكرون فان فيها تؤدي الى الحكم بان
تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد
لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد وفي الارض قطع جملة مستانفة مشتملة على طائفة اخرى من الآيات اي بقاع كثيرة
مختلفة في الاوصاف فمن طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك متجاورات اي متلاصقة في بعض
الصفائح قطعا متجاورات اي جعل في الارض قطعا وجنات من اعناب اي بساتين كثيرة منها وزرع من كل نوع
من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور مالها في اختلافها ومباينتها
لسائرها ورسوخ ذلك فيها وتأخير قوله تعالى ونخيل لئلا يقع بينها وبين صفتها وهي قوله تعالى صنوان وغير صنوان فاصلة
والصنوان جمع صنو كقنوان وقنو وهي النخلة التي لها راسان واصلها واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بني تميم وقيس
وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين او بالجر على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات في
السلك مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الارض

كما نطق به [illegible] لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس [illegible] احسن [illegible]

ودحاها الا دعاء اي كون تلك الاحوال الصفات راسخة لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على
اعناب وجنات يسقى اي ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتانيث مراعاة للفظ والاول
اوفق بمقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي بماء واحد لا اختلاف في طبعه سواء كان السقي بماء الامطار او بماء
الانهار ونفضل مع تأخذ اسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا بعضها على بعض آخر منها في الاكل فيما يحصل
من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردا على يدبر ويفصل ويغشي وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى
الفخامة والدلالة تعالى على ان عدم احتمال اسناد الفعل الى فاعل آخر مغن عن بناء الفعل للفاعل ان في ذلك
الذي فصل من احوال القطع والجنات لآيات كثيرة عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم
فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم في الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة
في الاشكال والالوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق بهجة قادر على اعادة
ما ابداه بل هي اهون في القياس وهذه الاحوال وان كانت هي الآيات انفسها لا انها فيها الا انها قد جردت عنها
امثالها مبالغة في كونها آية ففي تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد او المشار اليه الاحوال الكلية والآيات
افرادها الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة وآحادها الواقعة في الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها ففي على معناها
وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولها اظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض العقل ولذلك لم يتعرض لغير
تفضيل بعضها على بعض في الاكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات مما يتوقف العثور عليه
على نوع تامل وتفكر كانه لا حاجة في ذلك الى التفكر ايضا وفيه تعريض بان المشركين غير عاقلين وان تعجب
يا محمد من شيء فعجب لا اعجب منه حقيق بان يقصر عليه التعجب قولهم بعد مشاهدة ما عدد ذلك من الآيات الباهرة
بانه تعالى على كل شيء قدير أئذا كنا ترابا على طريقة الاستفهام الانكاري المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار
وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على انه بمعنى المفعول او في محل النصب على المفعولية منه على انه مصدر
فالتعجب على الاول لكلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل في اذا ما دل عليه قوله أئنا لفي خلق جديد وهو نبعث
او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أئنا لتأكيد
الانكار وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم
له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم في النكير ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم في انكار البعث فعجب قولهم والمآل
وان تعجب فقد تعجبت في موضع التعجب وقيل وان تعجب من انكارهم البعث فعجيب لهم الدال عليه فتامل وقد
جوز كون الخطاب لكل من يصلح له اي ان تعجب يا من ينظر في هذه الآيات من قدرة من هذه افعاله فازدد تعجبا
ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو اهون شيء عليه والانسب بقوله ويستعجلونك بالسيئة هو الاول
وقوله فعجب خبر قدم على المبتدا للقصر والتسجيل من اول الامر بكون قولهم ذلك امرا عجيبا ويجوز ان يكون مبتدا لكونه
موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان تعجب فالعجب الذي لا عجب وراءه قولهم هذا فاعجب منه وعلى الاول ان
تعجب فقولهم هذا عجب لا عجب فوقه اولئك مبتدا والموصول خبر اي اولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث ريثما
عاينوا ما فصل من الآيات الباهرة الملجئة لهم الى الايمان لو كانوا يبصرون الذين كفروا بربهم وتمادوا في ذلك فان انكار
قدرته عز وجل كفر به واي كفر واولئك مبتدا خبره قوله الاغلال في اعناقهم اي مقيدون بقيود الضلال لا يرجى
خلاصهم او مغلولون يوم القيامة واولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون
عنها وتوسيط ضمير الفصل لتخصيص الخلود بمنكري البعث خاصة بل بالجميع المدلول عليه بقوله تعالى اولئك الذين كفروا
بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التي تدعها بها وذلك حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم
بالعذاب استهزاء منهم بانذاره قبل الحسنة اي العافية والاحسان اليهم بالامهال وقد خلت من قبلهم المثلات اي
عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يحترزون حلول مثلها بهم والجملة الحالية لبيان ركاكة

رأيهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك بها مستهزئين بانذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال
انه قد مضت العقوبات الفاضحة لامثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن الثمرة العقوبة سميت بها لما بينها
وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص وقرئ المثلات بضمتين باتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم
وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات والمثلات جمع مثلة كركبة وركب
وان ربك لذو مغفرة عظيمة للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصي ومحله النصب على الحالية اي ظالمين والعامل
فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتأخيرها وان ربك
لشديد العقاب يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما استعجلوه ليس للاهمال وعنه عليه السلام لولا عفو الله
وتجاوزه ما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا
وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بآيات الله تعالى التي تخر لها صم الجبال حيث
لم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل آيات موسى وعيسى
عليهما السلام عنادا ومكابرة وكلا في ذي آية انزلت عليه عليه السلام غنية وعبرة لاولي الالباب انما انت منذر مرسل
للانذار من سوء عاقبة ما يأتون ويذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل
ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان بما اقترحوا من الآيات ولكل قوم هاد معين
لا بالذات بل بعنوان الهداية يعني لكل قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضيها اختصاص كل منهم بما يختص به
حكم لا يعلمها الا الله تعالى او ولكل قوم هاد عظيم الشان قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا
يهمنك عنادهم وانكارهم للآيات المنزلة عليك وازدراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول
قضائه وقدره المبنيين على الحكم والمصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الآيات انما هو
للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال القدرة على هدايتهم لكن لا يهدي الا من تعلق بهدايته مشيئته التابعة للحكم
التي لا يعلمها فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي تحمله فما موصولة اريد بها ما في بطنها من حين العلوق الى
زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعال الى ولحد واي شيء يحمل وعلى اي حال هو من الاحوال المتواردة
عليه طورا فطورا او استفهامية معلقة للعلم او يحملها في مصدرية وما تغيض الارحام وما تزداد اي تنقصه
وتزداد في الجثة كالخديج والتامة كالمولود في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما قيل ان الضحاك ولد
في سنتين وهرم بن حيان بقي في اربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد فما فوقه يروى ان شريكا كان رابع
اربعة او يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازددنا
تسعا وقوله ونزداد كيل بعير او لازمان قد اسندا الى الارحام مجازا وهما لما فيها وكل شيء من الاشياء عنده بمقدار
بقدر لا يمكن تجاوزه عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب
التكوين ومباديها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فان
تحقق الاشياء في انفسها في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك علم له بالنسبة الى الله عز وجل
عالم الغيب اي الغائب عن الحس والشهادة اي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم
وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من انه
الله يعلم الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او المنزه عن نعوت الخلق
وبعدما بين سبحانه انه تعالى عالم بجميع احوال الانسان في مراتب فطرته ومحيط بعالمي الغيب والشهادة بين انه تعالى
عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال
سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف مبالغ في الاختفاء كانه مختف بالليل
وطالب للزيادة وسارب بارز يراه كل احد بالنهار من سرب سروبا اي برز وهو عطف على من هو مستخف او

على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله تعالى فان تعاهدني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه
قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان اسند الى من اسر ومن جهر والى المستخف
والسارب لكنه في الحقيقة مسند الى ما اسروه وما جهروا به الى الفاعل من حيث هو فاعل كما في الآخرين وتقديم
الاسرار والاستخفاء لاظهار كمال علمه تعالى فكانه في التعلق بالخفيات اقدم منه بالظواهر ولا نسبة الى لكل
سواء لما عرفته انفا له اي لكل من اسر او جهر والمستخفي والسارب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع
معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله فيكتبونها او
اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب
او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جميع جوانبه او من الاعمال ما قدم
واخر يحفظونه من امر الله من بأسه حين اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار
او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات
وقيل المعقبات الحراس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى ان الله لا يغير
ما بقوم من قضائه الله تعالى حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال الصالحة او ملكاتها التي هي فطرة الله
التي فطر الناس عليها الى اضدادها واذا اراد الله بقوم سوءا لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك فلا مرد له
فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي
اراده الله بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على ان تخلف مراده تعالى محال وايذان بانهم بما باشروه
من انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الآية قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله
تعالى وعذابه هو الذي يريكم البرق خوفا من الصاعقة وطمعا في المطر وفيه تقديم الخوف على الطمع ظاهر
لما ان المخوف عليه النفس او الرزق العتيد والمطموع فيه المترتب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن لمن الخائف منه غير
الطامع فيه كالخزاف والحراث ويأباه الترتيب اللهم الا ان يتكلف بما اشير اليه من ان المخوف عتيد والمطموع فيه
مترقب وانتصابهما اما على المصدرية اي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من البرق او المخاطبين
باضمار ذوي او بجعل المصدر بمعنى المفعول او الفاعل مبالغة او على العلية بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع
او بتأويل الاخافة والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل واما جعل المعلل هي الرؤية التي يتضمنها
الاراءة على طريقة قول النابغة وحلت بيوتي في يفاع ممنع تخال به راعي الحمولة طائرا حذارا على ان لا تنال مقادتي
ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا اي احللت بيوتي حذارا فلا سبيل اليه لان ما وقع في معرض العلة الغائية لا سيما الخوف
لا يصلح علة لرؤيتهم وينشئ السحاب الغمام المنسحب في الجو الثقال بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها
اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام ويسبح
الرعد اي سامعوه من العباد الراجين للمطر ملتبسين بحمده اي يضجون بسبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد
لحمله لهم على ذلك او يسبح الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده
وعن النبي عليه السلام انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا
بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود سألت النبي عليه السلام
عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى
ليس بملك والملائكة اي يسبح الملائكة من خيفته اي من هيبته واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك وهم اي الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذي يريكم البرق وقد التفت
الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب واعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لديكل من يستحق الخطاب كانه قيل هو الذي يفعل
امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته وهم يفعلون

من يعقلها من المؤمنين او الرعد نفسه او الملك الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من
هيبته تعالى وهم اي الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلك وبعد انهم وحماقة شأنهم يجادلون في الله اي في شأنه
تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من انكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الآيات فالواو لعطف الجملة
على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يريكم البرق الخ او على قوله الله يعلم ما تحمل الخ واما العطف على قوله تعالى
ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله الله يعلم الخ استئناف وابطال لقولهم ونظائره من استعجال العذاب
وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل الحال اي فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدال وقد اريد به
ما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغيانه الغوائل
فدخلا المسجد وهو عليه السلام جالس في نفر من الاصحاب رضي الله عنهم فاستشرفوا الى عامر وكان من اجمل الناس وقد كان
اوصى الى اربد انه اذا رأيتني اكلم محمدا فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عليه السلام فدار اربد من خلفه عليه السلام
فاخترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فرأى النبي عليه السلام ما يصنع فقال اللهم
اكفنيهما بما شئت فارسل الله عز وجل على اربد صاعقة في يوم صائف فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امرأة
سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت
ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه
بجناحه فاذراه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير
وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه فاجراه حتى مات على ظهره وقيل اريد به ما روي عن الحسن انه كان رجل
من طواغيت العرب فبعث النبي عليه السلام نفرا من اصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال لهم اخبروني عما تدعونني اليه
ما هو ومم هو من ذهب ام من فضة ام من نحاس ام من حديد ام من در فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي عليه السلام فقالوا
ما رأينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فزاد على مقالته الاولى واخبث فرجعوا
اليه عليه السلام واخبروه بما صنع فقال عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده ينازعونه اذ ارتفعت سحابة ورعدت
وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر فجاؤوا يسعون ليخبروه عليه السلام بالخبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم
فقالوا من اين علمتم قالوا اوحي الى النبي عليه السلام وهو شديد المحال اي والحال انه شديد المماحلة والمكايدة والمماكرة
لاعدائه من محله اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو فعال من المحل بمعنى القوة وقيل
مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون
بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق اي الدعوة الثابتة
الواقعة في محلها المجابة لعند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها للحق واختصاصها به وكونه بمعزل من شائبة
البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه اي الدعوة اللائقة بحضرته كما في قوله عليه السلام فمن كانت
هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقية لتربية معنى الاستجابة والاول هو الاولى لقوله تعالى
وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث ان اهلاك اربد وعامر محال من الله تعالى اجابة لدعوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما ان كانت الآية نزلت في شأنهما او من حيث انه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحلول محاله بهم وتحذير لهم باجابة دعوته عليهم والذين يدعون اي الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد
من دونه من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء اي الا استجابة كاستجابة
الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون
ويجوز ان يكون من المبني للمفعول فيضاف الى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل المصدر من المبني للمفعول
وجودا وعلما كانه قيل لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم استجابة الا استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه
الى الماء كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت او مجلف

ليبلغ اي الماء بنفسه من غير ان يؤخذ بشيء من الاناء ونحوه فاه وما هو اي الماء ببالغه ببالغ فيه ابدا لكونه
جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يديه اليه فضلا عن الاستطاعة لما اراده من البلوغ الى فيه شبه حال المشركين في عدم
حصول دعائهم آلهتهم على شيء اصلا وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد
الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شيء نافع بخلاف آلهتهم
والمراد نفي الاستجابة رأسا الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا من الاستجابة الا
استجابة كائنة كهذه الصورة التي ليست فيها شائبة الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ
تدعون بالتاء وكباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي ذهاب وضياع وخسار ولله وحده
يسجد يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد من في السموات والارض
من الملائكة والثقلين طوعا وكرها اي طائعين وكارهين او انقياد طوع وكره او حال طوع وكره فان خضوع الكل
لعظمته عز وجل وانقيادهم لاحداث ما اراده فيهم من احكام التكوين والاعدام شاؤوا او ابوا وعدم مداخلة غيره
بل غير حكمه تعالى في تلك الشؤون مما لا يخفى على احد وظلالهم اي وتنقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم اعني الانس حيث
يتصرف فيها على مشيئته وتتأتى لارادته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال بالغدو والآصال ظرف للسجود
المقدر او حال من الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع ان انقيادها متحقق في جميع الاوقات لظهور ذلك
فيهما والغدو جمع غداة كقني في جمع قناة والآصال جمع اصيل وقيل جمع اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب
وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قد قرئ والايصال اي الدخول في الاصيل هذا وقد قيل ان المراد حقيقة السجود
فان الكفرة حال الاضطرار وهو المعني بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به سبحانه قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين ولا يبعد ان يخلق الله تعالى في الظلال افهاما وعقولا بها تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى شغلت
بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي كما قاله ابن الانباري ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها
وانت خبير بان اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة والشدة بالله سبحانه لا يجدي فان سجودهم لاصنامهم حالة
الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولان تحقق انقياد الكل في
الابداع والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد
العقلاء بالذكر مع كون غيرهم ايضا كذلك لانهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على انه بين ذلك بقوله عز وجل
قل من رب السموات والارض فانه لتحقيق ان خالقهما ومتولي امرهما مع ما فيهما على الاطلاق هو الله سبحانه وقوله
قل الله امر بالجواب من قبلهم اشعارا بانه متعين للجوابية فهو والخصم في تقريره سواء او امر بحكاية اعترافهم ايذانا بانه
امر لا بد لهم من ذلك كانه قيل احك اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من الحجة والقمهم الحجر او امر بتلقينهم ذلك ان تلعثموا في الجواب
حذرا من الالزام فانهم لا يتمالكون اذ ذاك ولا يقدرون على انكاره وقل الزاما لهم وتبكيتا أفاتخذتم الهمزة للانكار والفاء
لانكار الواقع كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله أأضرب ابي والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة اي
أعلمتم ان ربهما هو الله الذي ينقاد لامره من فيهما كافة فاتخذتم عقيبه من دونه اولياء عاجزين لا يملكون لانفسهم
نفعا يستجلبونه ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع للغير ودفع الضر عنه لا على ان يكون الانكار
متوجها الى المعطوفين معا كما في قوله تعالى أفلا تعقلون اذ المعطوف عليه لا يستمعون بل الى ترتب الثاني على الاول
كما اذا قلت استمعون صح
مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه والمعنى ابعد ان علمتم ان ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه اولياء عجزة
والحال ان قضية العلم بذلك هو الاقتصار على توليه فعكستم الامر كما في قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه
افتتخذونه وذريته اولياء من دوني ووصف اوليائهم ههنا بعدم المالكية للنفع والضر في ترشيح الانكار وتأكيده كتأكيد
الاتصاف هناك بالجملة الحالية اعني قوله تعالى وهم لكم عدو فان كلا منهما مما ينفي الاتخاذ المذكور ويؤكد انكاره قل
تصويرا لآرائهم الركيكة بصورة المحسوس هل يستوي الاعمى الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها والبصير الذي

الموجد العالم بذلك كله فالاول عبارة عن المعبود الغافل والثاني اشارة الى المعبود العالم بكل شيء أم هل تستوي الظلمات التي هي عبارة عن الكفر والضلال والنور الذي هو عبارة عن التوحيد والايمان وقرئ بالياء وايّا ما دل النظم الكريم على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض والخطأ البحت بحيث لا يخفى بطلانه على احد على انهم في ذلك كالاعمى الذي لا يهتدي الى شيء اصلا وليس في ذلك شبهة تصلح ان تكون منشأ لغلطهم وخطائهم فضلا عن الحجة أكّد ذلك فقيل أم جعلوا لله اي بل اجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه سبحانه والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار واما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كما خلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشأ لخطائهم بل انما جعلوا له شركاء ما هو عجز من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رأيهم والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه الله خالق كل شيء كائنا ما كان لا خالق سواه فيشاركه في استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية القهار لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك وبعد ما مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثّل الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة وفي ثباته فيها مع كونه ممدا لحياتها الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل في اودية يابسة لم تجر عادتها بذلك سائلا مقدار اقتدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها الباقي فيها حسبما يدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية تتحلى بها النفوس وتصل الى البهجة الابدية ومتاعا يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الفلزات التي يتخذ منها الآلات والادوات وتبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثّل الباطل الذي ابتلى به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخلة لهما واخلال بصفائهما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل أنزل من السماء اي من جهتها ماء اي كثيرا او نوعا منه وهو ماء المطر فسالت بذلك اودية واقعة في مواقعه لا جميع الاودية اذ الامطار لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو موضع بين جبال او تلال او آكام على الشذوذ كنادي واندية وناج وانجية قال الواحدي ان فاعلا يجيء بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة فان اريد بها ما يسيل فيها مجازا فاسناد السيلان اليها حقيقي وان اريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جرى النهر وايثار التمثيل بها على الانهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن ما مثل بها كما اشير اليه بقدرها اي سالت ملتبسة بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس او بمقدارها المتفاوتة قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد فان موارد السيل الجاري في الوادي الصغير اقل من موارد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا ان اريد بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بقدرها فان الاودية على نحو ما عرفته آنفا او يراد بضميرها مياهها بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين فاحتمل السيل الجاري في تلك الاودية اي حمل زبدا اي غثاء ورغوة وانما وصفه بذلك بقوله تعالى رابيا اي عاليا منتفخا فوق الماء وانما اريد بالاحتمال الحمل لكون الحمل غير ظاهر في كمال الانجذاب والثقل وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتضى شأن الزبد لا من جهة المحتمل للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي شأنه الظهور في بادي الرأي من غير مداخلة في الحق ومما يوقدون عليه في النار اي يفعلون الايقاد عليه كائنا في النار والضمير للناس اضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب ابتغاء حلية او متاع اي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين

ويتجمل به كالحلي المتخذة من الذهب والفضة او اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الاواني والآلات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات زبد خبث مثله مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابيا فوقه فقوله تعالى زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدأ وناشئا منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلال ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من ايقاد النار عليه جري على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما في قوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين واشارة الى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفي زيادة في النار اشعار بالمبالغة في الاعتمال للاذابة وحصول الزبد كما اشير اليه وعدم التعرض لاخراجه من الارض لعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما سبق بل له اخلال بذلك كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة يضرب الله الحق والباطل اي مثل الحق ومثل الباطل والحذف للانباء عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كأن المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الايماء في تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على ابدع وجه ولطفها حسبما اشير اليه في مواقعها بين عاقبة كل من الممثلين على نهج التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة من الذهاب والبقاء وتتمة الغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل فقيل فاما الزبد من كل منهما فيذهب جفاء اي مرميا به وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس منهما كالماء الصافي والفلز الخالص فيمكث في الارض اما الماء فيثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقناة والآبار واما الفلز فيصاغ من بعضه انواع الحلي ويتخذ من بعضه اصناف الآلات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالمكث في الارض ما هو اعم من المكث في نفسها ومن البقاء في ايدي المتملكين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافق للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملاءمة بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكرهما فان المعتبر انما هو بقاء الباقي بعد ذهاب الذاهب قبله كذلك يضرب الله اي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الامثال في كل باب اظهارا لكمال اللطف والعناية في الارشاد والهداية وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل وتأكيد لقوله تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الاول او بجعل ذلك اشارة اليهما جميعا وبعد ما بين شأن كل من الحق والباطل حالا ومآلا اكمل بيان شرع في بيان حال كل منهما تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل للذين استجابوا لربهم اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب الامثال فانه الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس وابراز لأوابد المعاني في هيئة المأنوس فاي دعوة اولى منه بالاستجابة والقبول الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له وعاندوا الحق الجلي لو ان لهم ما في الارض من اصناف الاموال جميعا بحيث لم يشذ منه شاذ في اقطارها او مجموعا غير متفرق بحسب الازمان ومثله معه لافتدوا به اي بما في الارض ومثله معا جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالموصول مبتدأ والشرطية كما هي خبره لكن لا على انها وضعت موضع السوأى فوقعت في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة حسن المقابلة فصار كأنه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوأى كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوأى مصحوبا باللام الداخلة على الموصول او ضميره وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى اولئك لهم سوء الحساب وحيث كان الاسم الواقع مبتدأ في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدأ في الجملة السابقة كان خبرها اعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة ومبينا لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا ولذلك ترك العطف فصار كأنه قيل والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب وذلك في قوة ان يقال والذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تأكيد فتم حسن المقابلة على ابلغ وجه وآكده ثم بين مؤدى ذلك فقيل ومأواهم اي مرجعهم جهنم وفيه

قوله تعالى يضرب الله الحق والباطل

قوله تعالى فاحتمل السيل زبدا رابيا

نوع تأييد لتفسير الحسنى بالجنة وبئس المهاد اي المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله للذين
استجابوا لربهم متعلقة بقوله يضرب الله الامثال اي الامثال السائرة وقوله الحسنى صفة للمصدر اي استجابوا
الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الاول وقوله لو ان لهم الخ كلام مستأنف مسوق
لبيان ما اعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين
اي هما مثلا الفريقين وانت خبير بان عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه التمثيل
ثم الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله سبحانه
ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ونظائره على ان بعض الامثال المضروبة لا سيما المثل الاخير الموصول بالكلام
ليس مثل الفريقين بل مثل الحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضروبا لهم ايضا بان يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب
الله الامثال للناس اذ لا وجه حينئذ لتنويعهم الى المستجيبين وغير المستجيبين فتأمل أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك
من القرآن الذي مثل بالماء المنزل من السماء وبالابريز الخالص في المنفعة والجدوى الحق الذي لا حق وراءه او الحق الذي
اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له كمن هو اعمى عمى القلب لا يشاهده وهو نار على علم ولا يقبله ويبقى في اقصى
مراتب العلو والعظم فيبقى حائرا في ظلمات الجهل وغياهب الضلال لا يتذكر بما ضرب من الامثال اي كمن لا يعلم ذلك الا
انه اريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالاعمى وايراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة على ظهور
حال كل منهما بما ضرب من الامثال وبين المصير والمآل كانه قيل ابعد ما بين حال كل من الفريقين ومآلهما توهم المماثلة
بينهما ثم استؤنف فقيل انما يتذكر بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنافي اولوا الالباب اي
العقول الخالصة المبرأة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله بما عقدوا على انفسهم
من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه على انفسهم وقبلوه
من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تأكيد لاستمرار المفهوم
من صيغة المستقبل والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء
المجمعين على الحق من غير تفريق بين احد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الهرة
والدجاج ويخشون ربهم خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما امر ويخافون سوء الحساب فيحاسبون
انفسهم قبل ان يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكر فيما قبل والذين صبروا على كل ما تكرهه النفس
من الافعال والتروك ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة من غير ان ينظروا الى جانب الخلق رياء او سمعة
ولا الى جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الامر في كل ما ذكر من الصلات السابقة
واللاحقة اورد على صيغة الماضي اعتناء بشانه ودلالة على وجوب تحققه فان ذلك مما لا بد منه اما في نفس الصلات
كما فيما عدا الاولى والرابعة والخامسة او في اظهار احكامها كما في الصلات الثلاث المذكورات فانها وان استغنت
عن الصبر في انفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجري
على موجبها غير خال عن الاحتياج اليه واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم اي بعضه الذي يجب
عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال او لمن لا يتهم بترك الزكوة او عند نفاقه واعطائه من يمنعه المروة من اخذه
ظاهرا وعلانية لمن لم يكن كما ذكر او الاول في التطوع والثاني في الفرض ويدرءون بالحسنة السيئة اي يجازون
الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس رض يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم
من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل
اذا رأوا منكرا امروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار كمال العناية بالحسنة اولئك المنعوتون بالنعوت
الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية اعني قوله لهم عقبى الدار اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون
مآل اهلها وهي الجنة وقيل الجار والمجرور خبر لاولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار وايا ما كان فليس فيه تصريح

بان بعض ما في حيز الصلة ليس من العزائم التي يخل اخلالها بالوصول الى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات
المتعاطفة او استيناف لبيان ما استوجبوه بتلك الصفات ان جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لاولي الالباب
على طريقة المدح من غير ان يقصد ان يكون للصلات المذكورة مدخل في التذكر جنات عدن بدل من عقبى الدار
او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة ثم صار علما لجنة من الجنان اي جنات يقيمون فيها وهو بطنان الجنة
ومن صلح من آبائهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم وهو عطف
على المرفوع في يدخلون وانما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم
وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين بتلك
الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح قطع
للاطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الانساب والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل
او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف
اي هذه الكرامة العظمى بما صبرتم اي بسبب صبركم او بدل لما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم في الدنيا
لقد استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بما ذكر من بين الصلات السابقة لما قدمناه من ان له دخلا في كل منها وفيه زيادة
زائدة من حيث انه ملاك الامر في كل منها وان شيئا منها لا يعتد به الا بان يكون لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس
فنعم عقبى الدار اي نعم عقبى الدار الجنة وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم بكسر العين فنقل حركتها الى النون تارة وبقيت
اخرى وعن النبي عليه السلام انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة رض والذين ينقضون عهد الله اريد بهم من يقابل الاولين ويعاندهم
في الاتصاف بنقائض صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما
امر الله به ان يوصل من الايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم
ومن حقوق الارحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الامور المعدودة فيما سلف وانما لم يتعرض
لنفي الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك واما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلانه انما
اعتبر تحققه في ضمن الحسنات المعدودة ليقع معتدا به فلا وجه لنفيه عمن بينه وبين الحسنات بعد المشرقين كما
لا وجه لنفي الصلوة والزكوة عمن لا يحوم حول اصل الايمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وان اريد به
بالانفاق التطوع فنفيه مندرج تحت قطع ما امر الله تعالى بوصله واما درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم
ظاهر مما سبق ولحق فان من يجازي احسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة الامر ويباشر الفساد بدلا حسبما يحكيه قوله
عز وجل ويفسدون في الارض اي بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك
يشعر بان له دخلا في الافضاء الى العقوبة التي ينبئ عنها قوله تعالى اولئك اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح
لهم بسبب ذلك اللعنة اي الابعاد من رحمة الله تعالى ولهم مع ذلك سوء الدار اي سوء عاقبة الدنيا او
عذاب جهنم فانها دارهم لان ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى انه لا دخل له في ذلك
على اكثر التفاسير فان مجازاة السيئة بمثلها مأذون فيها ودفع الكلام السيء بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع
والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة واما ما اعتبر اندراجه تحت الصلة الثانية
من الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير في ذلك لان اعتباره من حيث انه من شعب الاخلال بالعزائم
بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتأكيد والايذان باختلافهما
واستقلال كل منهما في الثبوت الله يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر اي يضيقه على من
يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير ان يكون لاحد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته فربما يبسطه للكافر املاء واستدراجا
وربما يضيقه على المؤمن زيادة لاجره فلا يغتر ببسطه الكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن وفرحوا اي اهل مكة

فرح أشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحيوة الدنيا وما بسط لهم فيها من نعيمها وما الحيوة الدنيا
وما يتبعها من النعيم في الآخرة في جنب نعيم الآخرة إلا متاع إلا شيء نزر يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي
والمعنى أنهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال أن ما أشروا به في جنب ما أعرضوا عنه شيء قليل النفع
سريع النفاد ويقول الذين كفروا أي أهل مكة وإيثار هذه الطريقة على الإضمار مع ظهور إرادتهم عقيب ذكر فرحهم
بالحيوة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه فإن ذلك في أقصى
مراتب المكابرة والعناد كأن ما أنزل عليه من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة
من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لأحد بعد ذلك طاقة بعدم القبول ولذلك أمر في الجواب بقوله تعالى قل إن الله
يضل من يشاء إضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية إليها أي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إلى تحصيله
ويدعه منهمكا فيه لعلمه بأنه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الإرشاد كمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد
وشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له إلى الاهتداء ولو جاءته كل آية ويهدي إليه أي إلى جنابه العلي الكبير
هداية موصلة إليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل إليه فإن ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا يوصف
من أناب أقبل إلى الحق وتأمل ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الإنابة الدخول في نوبة الخير وإيثار إيراده
في الصلة على إيراد المشيئة كما في الصلة الأولى للتنبيه على الداعي إلى الهداية بل إلى مشيئتها والإشعار بما دعا إلى
الأول من المكابرة وفيه حث للكفرة على الإقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وإيثار صيغة الماضي للإيماء إلى استحقاق
الهداية لسابقة الإنابة كما أن إيثار صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار
مكابرتهم الذين آمنوا بدل من من أناب فإن أريد بالهداية الهداية المستمرة فالأمر ظاهر لظهور كون الإيمان مؤديا
إليها وإن أريد إحداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار مآل أمرهم إلى الإيمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين أي الصائرين
إلى التقوى إذ لا إيمان لا يؤدي إلى الهداية نفسها أو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين آمنوا أو منصوب على المدح
وتطمئن قلوبهم أي تستقر وتسكن بذكر الله بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله وهذا ذكر مبارك أنزلناه وقوله
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ويعلمون أن لا آية أعظم منه فيقترحوها والعدول إلى صيغة المضارع لإفادة دوام
الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها ألا بذكر الله وحده تطمئن القلوب دون غيره من الأمور
التي يميل إليها النفوس من الدنيويات وهذا ظاهر وأما سائر المعجزات فالقصور حيث إنها ليست في إفادة الطمأنينة
بالنسبة إلى من لم يشاهدها بمثابة القرآن المجيد فإنه معجزة باقية إلى يوم القيمة يشاهدها كل أحد تطمئن بها القلوب
كافة وفيه إشعار بأن الكفرة ليست لهم قلوب وأفئدة حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى ولم يعدوه آية وهو
أظهر الآيات وأبهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله أو بذكر دلائله الدالة على وحدانيته أو بذكره جل وعلا أنسا به وتبتلا إليه فالمراد بالهداية
دوامها واستمرارها الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبما أشير إليه قلوب
الذين آمنوا وفيه إيماء إلى أن الإنسان إنما هو القلب أو مبتدأ خبره الجملة الدعائية على التأويل أعني قوله طوبى لهم أو خبر
مبتدأ مضمر أو نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء
كموقن وموسر وقرئ مكسورة الأعرابي طيبى لتسلم الياء والمعنى أصابوا خيرا ومحلها النصب كسلاما أو الرفع على الابتداء
وإن كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في قوله تعالى وحسن مآب بالنصب والرفع
واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك كذلك مثل ذلك الإرسال العظيم الشأن المصحوب بهذه المعجزة الباهرة أرسلناك
في أمة قد خلت أي مضت من قبلها أمم كثيرة قد أرسل إليهم رسل لتتلو لتقرأ عليهم الذي أوحينا إليك
من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم إلى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل الإبهام ثم البيان كما في قوله ألم نشرح لك
ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس إلى ما سيرد وحسن قبولها له عند وروده عليها وهم أي

والحال أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته وأحاطت به نعمته والعدول إلى المظهر
المتعرض لوصف الرحمة من حيث إن الإرسال ناشئ منها كما قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره
ولم يشكروا نعمه لا سيما ما أنعم به عليهم بإرسالك إليهم وإنزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية
عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين أمروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو أي الرحمن الذي كفرتم به وأنكرتم
معرفته ربي الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل
وقيل هو نعت أي خالقي ومبلغي إلى مراتب الكمال وإيراده قبل قوله لا إله إلا هو أي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه
على أن استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل إن أبا جهل سمع النبي عم يقول يا الله يا رحمن فرجع إلى المشركين
وقال إن محمدا يدعو إلهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الآية عليه توكلت في جميع
أموري لا سيما في النصرة عليكم لا على أحد سواه وإليه متاب أي توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك أمر عم أو هو داخل تحت الامر
بذلك إبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وأنها صفة الأنبياء وبعثا للكفرة على الرجوع عما هم عليه
بأبلغ وجه وألطفه فإنه عم حيث أمر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وإن قل فتوبتهم وهم
عاكفون على أنواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه أصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم فيحكم
بيني وبينكم وقد قيل فيثيبني على مصابرتكم فتأمل ولو أن قرآنا أي قرآنا ما وهو اسم أن والخبر قوله تعالى سيرت به الجبال
وجواب لو محذوف لانسياق الكلام إليه بحيث يتلقفه السامع من التالي والمقصود إما بيان عظم شأن القرآن العظيم
وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروا قدره ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام
وإما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الأول لو أن قرآنا سيرت به الجبال أي
بإنزاله أو بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عم أو قطعت به الأرض أي شققت وجعلت
أنهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عم بعصاه أو جعلت قطعا متصدعة أو كلم به الموتى أي بعد أن أحييت بقراءته
عليها كما أحييت لعيسى عليه السلام لكان هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله
تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله الآية [illegible]
[illegible] التذكير والإنذار والتخويف [illegible]
العقول [illegible] وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة [illegible]
[illegible]
[illegible] أو في الموضعين [illegible]
[illegible] القرآن [illegible]
[illegible]
[illegible] القرآن الذي [illegible]
[illegible] بل لله الأمر جميعا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] أفلم ييأس الذين آمنوا [illegible]
[illegible]
[illegible] أن لو يشاء الله
[illegible] لهدى الناس جميعا [illegible]

المعطوف على المعطوف عليه اي تخلف العلم الثاني عن العلم الاول وعلى التقديرين فالانكار انكار الوقوع كما
في قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا انكار الواقع كما في قولك ألم تخف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار
ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع علمهم بعدم تحقق مقدمها كأنه قيل ألم يعلموا ان الله تعالى لو شاء هداهم
لهداهم وانه لم يشأ ذلك لانهم كانوا يودون ان يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجتمعوا على الايمان وعلى الثاني لولا ان
قرآنا نعل بما فصل من التعاجيب الى آمنوا بقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية فالاضراب حينئذ
متوجه الى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح اي فليس لهم ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا
وان شاء لم يأت بحسب ما يستدعيه داعية الحكمة من غير ان يكون لاحد عليه تحكم او اقتراح والياس بمعنى القنوط
اي ألم ييأس الذين آمنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من ايمانهم حتى احبوا ظهور مقترحاتهم فالانكار متوجه الى المعطوفين اي أ
اعلموا ذلك فلم يقنطوا من ايمانهم فهو متوجه الى مجموع المعطوف والمعطوف عليه اي الى تخلف القنوط عن العلم المذكور
والانكار على التقديرين انكار الواقع كما في قوله تعالى أفلا تتقون ونظائره لا انكار الوقوع فان عدم القنوط منه مما لا مرد
له وقوله تعالى ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وانه لم يشأ ذلك ويأمنوا اي فلم يقنط الذين آمنوا بان لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا على معنى فلم ييأس من ايمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعدم تحقق مقدمها المنتهى من مكابرتهم حسبما
يحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعي انكارهم وقيل ان ابا جهل واضرابه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت
نبيا سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا ونتخذ فيها البساتين والقطائع فقد سخرت لداود فلست باهون على الله
منه ان كنت نبيا كما زعمت او سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمان لنتجر عليها الى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة
او ابعث لنا به رجلين او ثلاثة ممن مات من آبائنا فنزلت فمعنى تقطيع الارض حينئذ قطعها بالسير ولا حاجة الى الاعتذار
في اسناد الافاعيل المذكورة الى القرآن كما احتيج اليه في الوجهين الاولين وعن الفراء انه متعلق بما قبله من قوله وهم
يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو بالحقيقة دال على الجواب والتقدير لو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت
به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير في كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره ولا يزال الذين كفروا
من اهل مكة تصيبهم بما صنعوا اي بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه اما للقصد الى تهويله او استهجانه
وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له مع ما في صيغة الصنع من الايذان برسوخهم في ذلك
قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم وهو ما كان يصيبهم من انواع البلايا والمصائب من القتل والاسر والنهب والسلب
وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من ارادة التفصيل اثر الابهام لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من بيان ان
مدار الاصابة من جهتهم اثر ذي اثير او تحل تلك القارعة قريبا اي مكانا قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم
شررها شبهت القارعة بالعدو المتوجه اليهم فاسند اليها الاصابة تارة والحلول اخرى ففيه استعارة بالكناية
وتخييل وترشيح حتى يأتي وعد الله اي موتهم او القيامة فان كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على ان ما يصيبهم
عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وان ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة اليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى ان الله
لا يخلف الميعاد اي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه وقال ابن عباس
رض اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها وكانوا بين غارة واختطاف وتخويف بالهجوم
عليهم في ديارهم فالاصابة والحلول حينئذ من احوالهم ويجوز على هذا ان يكون قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم خطابا
للرسول صلى الله عليه وسلم مرادا به حلوله الحديبية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة ولقد استهزئ برسل
كثيرة خلت من قبلك فامليت للذين كفروا اي تركتهم ملاوة من الزمان في امن ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى وهذا
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم
والمعنى ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر مطرد قد فعل ذلك برسل كثيرة كائنة من قبلك فامهلت الذين فعلوه بهم والعدول
في الصلة الى وصف الكفر ليس لان المملى لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين اي امليت للذين كفروا مع استهزائهم

لتكريره التصويبات لمقتهم وعنادهم الكمال

لا باستهزائهم فقط ثم أخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم وفيه من الدلالة على تناهيه كيفيته في الشدة والفظاعة
ما لا يخفى أفمن هو قائم اي رقيب مهيمن على كل نفس كائنة من كانت بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من ذلك
بل يجازي كلا بعمله وهو الله سبحانه والخبر محذوف اي كمن ليس كذلك والانكار لذلك وادخال الفاء لتوجيه الانكار الى
توهم المماثلة غب ما علم مما فعل تعالى بالمستهزئين من الاملاء المديد والاخذ الشديد ومن كون الامر كله لله تعالى
وكون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة الى ان يأتي وعد الله كأنه قيل الامر
كذلك فمن هذا شأنه كما ليس في عداد الاشياء حتى يشركوه به فالانكار متوجه الى ترتب المعطوف اعني توهم المماثلة
على المعطوف عليه المقدر اعني كون الامر كما ذكر كما في قولك أتعلم الحق فلا تعمل به لا الى المعطوفين جميعا كما اذا قلت
ألا تعلمه فلا تعمل به وقوله وجعلوا لله شركاء جملة مستقلة جيء بها للدلالة على الخبر او حالية اي أفمن هذه صفاته
كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا او معطوف على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اي أفمن هذا شأنه
لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما والتنبيه على اختصاصه
باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الابهام بايراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله تعالى قل سموهم تبكيت
لهم اثر تبكيت اي سموهم من هم وماذا اسماؤهم او صفوهم وانظروا اهل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون
الشركة أم تنبئونه اي بل أتنبئون الله بما لا يعلم في الارض اي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى وهو لا يعزب
عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقرئ بالتخفيف أم بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول
من غير ان يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم وهاتيك الاساليب البديعة التي
ورد عليها الآية الكريمة منادية على انها خارجة عن قدرة البشر من كلام الخلاق القوي والقدير فتبارك الله رب العالمين
بل زين للذين كفروا وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر مكرهم تمويههم الاباطيل وكيدهم للاسلام
بشركهم وصدوا عن السبيل اي سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها وقرئ بفتحها
اي صدوا الناس او من صد صدودا ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره او يخذله فما له من هاد
يوفقه للهدى لهم عذاب شاق في الحياة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فانها انما تصيبهم
عقوبة على كفرهم ولعذاب الآخرة اشق من ذلك بالشدة والمدة وما لهم من الله من عذابه المذكورين من واق من حافظ
يعصمهم من ذلك فمن الاولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتأكيد مثل الجنة اي صفتها العجيبة الشأن التي هي في الغرابة كالمثل
التي وعد المتقون عن الكفر والمعاصي وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى
تجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل على انه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد الى الجنة اي وعدها
وهو الخبر عند غيره كقولك شأن زيد يأتيه الناس ويعظمونه او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري الخ اكلها
دائم لا ينقطع وظلها ايضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا تلك الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا
الكفر والمعاصي اي مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين
والذين آتيناهم الكتاب هم المسلمون من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ومن آمن من النصارى
وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب
الموعود في التوراة والانجيل ومن الاحزاب اي من احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب اسقفي نجران واتباعهما من ينكر بعضه وهو الشرائع الحادثة
انشاء او نسخا لا ما يوافق ما حرفوه ولا ينعى عليهم من اقاصيص الامم مما ذكر ثم هو حجابا تأديبهم واما ما يوافق كتبهم
فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالموصول عامتهم فانهم ايضا يفرحون به لكونه مصداقا لكتبهم في الجملة
فح يكون قوله تعالى ومن الاحزاب الخ تتمة بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر بعضه قل الزاما لهم وردا لانكارهم انما امرت
ان اعبد الله ولا اشرك به اي شيئا من الاشياء او لا افعل الاشراك به والمراد قصر الامر بالعبادة على الله تعالى

لا اتصرف الامر مطلقا علي عباده خاصة اي قل لهم انما امرت فيما انزل الي بعبادة الله وتوحيده وظاهر انه لا سبيل
لكم الي انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب علي ذلك كقوله تعالي قل يا اهل الكتاب تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم الا
نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فما لكم تشركون به عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشرك به بالرفع علي الاستئناف اي وانا لا اشرك
اليه الي الله تعالي خاصة علي النهج المذكور من التوحيد او الي ما امرت به من التوحيد ادعو الناس لا الي غيره او الي شيء آخر
مما لم يطبق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم السلام فما وجه انكاركم واليه الي الله وحده مآب مرجعي للجزاء وحيث
كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امره بان يخاطبهم بذلك الزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم
لفروع الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقيل وكذلك انزلناه اي كما انزل الكتب
وذلك اشارة الي مصدر انزلناه او انزل اليك ومحله النصب علي المصدرية اي مثل ذلك الانزال البديع المنتظم لاصول مجمع
عليها وفروع متشعبة الي موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه حكما حاكما يحكم في القضايا
والواقعات بالحق او يحكم به وذكره والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وتحتم المحافظة عليه
عربيا مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للاشارة الي ان ذلك احدي مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة
اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار علي اشتمال الانزال علي اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالي قل
انما امرت ان اعبد الله الخ يأباه التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتاب فان المجمع عليه لا يتصور
فيه الاستتباع والاتباع ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك من الحق كالصلوة
الي بيت المقدس بعد التحويل بعد ما جاءك من العلم العظيم الشأن الفائض من ذلك الحكم العربي او العلم بمضمونه ما لك
من الله من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الي الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة قال الازهري لا يكون الها حتى
يكون معبودا وحتى يكون لعابده خالقا ورازقا ومدبرا من ولي يلي امرك وينصرك علي من يبغيك الغوائل
ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر علي العدو نفي الواقي من نكايته ادخل علي المعطوف حرف
النفي للتأكيد كقولك ما لي دينار ولا درهم او ما لك من بأس الله من ناصر ولا واق لاتباعك اهواءهم وامثال هذه القوارع
انما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين علي الثبات في الدين واللام في لئن موطئة وما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم
ولقد ارسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد
لما كانوا يعيبونه بالزواج والاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام الخ وما كان لرسول منهم
اي ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية مما اقترح عليه وحكم مما التمس منه الا باذن الله مشيئته
المبنية علي الحكم والمصالح التي عليها يدور امر الكائنات لا سيما مثل هذه الامور العظام وفي الالتفات ما قدمناه من تحقيق
مضمون الجملة بالايماء الي العلة لكل اجل اي لكل مدة ووقت من المدد والاوقات كتاب حكم معين يكتب
علي العباد حسبما يقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم في المبدأ والمعاد ومن قضية ذلك ان يختلف
حسب اختلاف احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف احوال المرضى بحسب الاوقات
يمحو الله ما يشاء اي ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام لما يقتضيه الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه المصلحة
او يبقيه علي حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة
الذين ديدنهم كتبة كل قول وفعل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او
يمحو قرنا ويثبت آخرين او يمحو الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكائنات او يمحو الرزق ويزيده او يمحو الاجل او
السعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما والقائلون به يتضرعون الي الله تعالي ان يجعلهم سعداء
وهذا رواه جابر عن النبي عليه السلام والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الانكار دخولا
اوليا وقرئ بالتشديد وعنده ام الكتاب اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الزائل والثابت الا وهو
مكتوب فيه كما هو وإما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثم الحقت النون بالفعل بعض الذي

من غير تعرض لفروع الشرائع المخالفة ... سعد

وذا المحو والاثبات علي التبديل بتبدل الاجال والاوقات سعد

نعدهم

نعدهم اي وعدناهم من انزال العذاب عليهم والعدول الي صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة علي التجدد
حسبما يقتضيه الحكمة من انذار بعد انذار وفي ابراز البعض ايذان بان ما يراه بعض الموعود او نتوفينك قبل ذلك فانما
عليك البلاغ اي تبليغ احكام الرسالة بتمامها لا تحصيل مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من جملتها وعلينا
الحساب محاسبة اعمالهم السيئة والمؤاخذة بها لا عليك فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر
ولا يحرجك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه السلام بطلوع تباشير الظفر فقال اولم يروا استنهاض للبجائع
والواو للعطف علي مقدر يقتضيه المقام اي انكروا نزول ما وعدناهم او شكوا او لم ينظروا في ذلك ولم يروا انا نأتي
الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بان نفتحها علي المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها
اهلها بالقتل والاسر والاجلاء اليس هذا من ذلك ومثله قوله تعالي افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم
الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل نأتي او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان المؤذن بالاستيلاء
المحتوم والاستيلاء والتعظيم من الفخامة ما لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا الي ما عملوا
والله يحكم ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعز والاقبال وعلي الكفر بالذل والادبار حسبما يشاهد من المخايل
والآثار وفي الالتفات من التكلم الي الغيبة وبناء الحكم علي الاسم الجليل من الدلالة علي الفخامة وتربية المهابة وتحقيق
مضمون الخبر بالاشارة الي العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية جيء بها لتأكيد فحوى ما تقدمها وقوله تعالي لا معقب لحكمه اعتراض
في اعتراض لبيان علو شأن حكمه جل جلاله وقيل نصب علي الحالية كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد
لا عمامة علي رأسه اي حاسرا والمعقب من يكر علي الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والابطال ومنه قيل
لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة
باتيان العذاب عقيب ما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما يرى وقال ابن عباس رضي سريع الانتقام وقد مكر الذين
خلوا من قبلهم من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه
بانه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله
اعني قوله تعالي فلله المكر اي جنس المكر جميعا لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الي الغير من حيث
لا يشعر به وحيث كان جميع ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالي وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير
حسبما يبينه قوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة اوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس
جزاء ما تكسبه ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الي من مكروا بهم عين ولا اثر وان المكر كله لله تعالي حيث يؤاخذهم بما كسبوا
من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون او فلله المكر الذي باشروه جميعا لا لهم علي معنى ان ذلك ليس
منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالي بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيئ الا باهله وسيعلم الكافر
حين يقضي بمقتضى علمه في كل نفس جزاء ما تكسبه لمن عقبى الدار اي العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك
يومئذ وقيل اللام للتأكيد يقع ذلك علمهم به وقرئ وسيعلم الكافر علي ارادة الجنس والكافرون والكفار والذين
والذين كفروا وسيعلم علي صيغة المجهول من الاعلام اي سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل قاله رؤساء
اليهود وقيل صيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها او للدلالة علي تجدد ذلك واستمراره منهم
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه قد اظهر علي رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه غنية عن شاهد آخر
ومن عنده علم الكتاب اي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون
بنعته عليه السلام في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق وقيل من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه اي كفى بالذي يستحق العبادة
فانه قد شحن كتابه بالدعوة الي العبادة وتعالى يلي بانواع التأييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من العلوم الخفية التي من جملتها رسالتي
وقرئ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب علي الاول مرتفع بالظرف المعتمد علي الموصول او مبتدأ خبره الظرف وهو متعين علي الثاني

ومنه قيل بيان

الثانية

ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد
اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله تعالى

سورة ابراهيم مكية احدى وخمسون آيات

الر تمام الكلام فيه وفي محله عز مرة وقوله تعالى كتاب خبر له على تقدير كون الر مبتداء او لمبتداء مضمر على تقدير كونه
خبرا لمبتداء محذوف او مسرودا على نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتداء المحذوف وقوله تعالى انزلناه
اليك صفة له وقوله تعالى لتخرج الناس متعلق بانزلناه اي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة
عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحقة وقرئ ليخرج الناس من الظلمات اي ليخرجهم من عقائد
الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة الى النور الى الحق الذي هو نور بحت لكن لا كيف كان فانك
لا تهتدي من احببت بل باذن ربهم اي بتيسيره وتوفيقه والانباء عن كون ذلك منوطا باقبالهم الى الحق كما ينبئ عنه
قوله تعالى ويهدي اليه من اناب مستعير له الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود واضيف
الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء الى كماله المتوجه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى للكل
واضح وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى
سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اي ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله
يأباه اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله تعالى استعير له
النور تارة والصراط اخرى فقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين
استضعفوا لمن آمن منهم واخلال البدل والبيان بالاستعارة انما هو في الحقيقة لا في المجاز كما في قوله سبحانه حتى يتبين
لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استيناف مبني على سؤال كأنه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز
الحميد واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصده او المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه
من الامن والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود
بالحق كالنجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله اي العزيز الحميد الذي اضيف اليه الصراط الله الذي له ملكا وملكا
ما في السموات وما في الارض اي موجود فيهما داخلا فيهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر في آية الكرسي ففيه
على القراءتين بيان لكمال فخامة شان الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة وتجويز الرفع على الابتداء وجعل الموصول
خبرا مبنيا ما لتفول عن هذه النكتة وقوله عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات
الى النور والويل هو نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام
عليك من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا
الذين يستحبون الحيوة الدنيا اي يؤثرونها استفعال من المحبة فان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه
ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الآخرة اي الحيوة الآخرة الابدية ويصدون الناس عن سبيل الله
التي بين شانها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لروم الاختصار ويبغون مع صدهم صدا
وقرئ يصدون من اصده المنقول من صد صدودا اذا نكب وهو غير فصيح كاوقف فان في صده مندوحة
عن تكلف النقل ويبغونها اي يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل اليها اي يطلبون لها عوجا اي زيغا واعوجاجا
وهي ابعد شيء من ذلك اي يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل الموصول اما الجر
الصلوات الجعل على انه بدل من الكافرين وصفة له فيعتبر كل وصف من اوصافهم بازاء ما يناسبه من المعاني المعتبرة في الصراط
فالكفر المبني على الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحيوة الدنيا الفانية المفصحة عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه

أي التوجه الاقبال مسعود

أي يكثرون الويل

محمود العاقبة والصد عنه بازاء كونه مأمونا وفيه من الدلالة على تماديهم في الغي ما لا يخفى او النصب على الذم
او الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى اولئك في ضلال بعيد وعلى الاول الجملة مستأنفة وقعت معللة لما سبق
من لحوق الويل بهم تأكيدا لما اشعر به بناء الحكم على الموصول اي اولئك الموصوفون بالقبائح المذكورة من استحباب
الحيوة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه بمعزل في ضلال عن طريق
الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال الضال لانه قد وصف به وصفه مجازا
للمبالغة كجد جده وداهية دهياء ويجوز ان يكون المعنى في ضلال ذي بعد او فيه بعد فان الضال قد يضل
عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة
وما ارسلنا اي في الامم الخالية من قبلك كما سيذكر اجمالا من رسول ملتبسا الا بلسان قومه متكلما بلغة
من ارسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم اولا وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن
بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة
الى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يكن مراعاة هذه القاعدة في شأن سيدنا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
لعموم بعثته كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى
التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدي التحريف مع ان استقلال البعض من ذلك بالاعجاز دون غيره مئنة لقدح
القادحين واتفاق الجميع فيه امر قريب من الالجاء وحصر البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبئ
عن العزة وجلالة الشأن المستتبعة لفوائد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعداد
اذ لا بد لكل امة من معرفة توافق الكل وتحاذيه حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وانما تم
ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا او متعددا وفيه من التعذر ما لا يخفى ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته
عم قومه الذين بعث بين اظهرهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المبين بلسان عربي مبين وانتشرت احكامه فيما بين الامم
اجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل عم او كل
من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم فانه ضمير القوم وظاهر ان جميع
الكتب لم ينزل لتبيين العرب وفي رجعه الى قوم كل نبي كما قيل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قوم محمد عليه السلام
ليبين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال لمباشرته
اسبابا المؤدية اليه او يخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الالطاف
من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل المنطوي
على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق
كأنه قيل فبينوه لهم فاضل الله منهم من شاء اضلاله لما لا يليق الا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها
للايذان بان مساعدة كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية على سننه امر محقق غني عن الذكر
والبيان والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان
من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية انشاء
ما لم يكن او للمبالغة في بيان ان لا تأثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيئته تعالى بايهام
ان ترتب الضلالة على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله
تعالى وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه
ان ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله جل جلاله
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا موسى شروع في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم الآية بآياتنا اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل ان اخرج قومك

بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان اخرج كما في قوله تعالى ان اقم وجهك فان صيغ الافعال
في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون
من الظلمات من الكفر والجهالات التي اتتهم الى ان قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة الى النور الى الايمان
بالله وتوحيده وسائر ما امروا به وذكرهم بايام الله اي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عم اذكروا نعمة الله عليكم
لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الامم في الايام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الم ياتكم
نبأ الذين من قبلكم الآيات او بايامه المنطوية على ذلك كما يلوح به قوله اذ انجاكم وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة
باضافة الايام الى الاسم الجليل الايذان بفخامة شانها بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما توهمه
الاضافة الى ضمير المتكلم اي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل ايام الله وقائعه التي وقعت على الامم قبلهم
وايام العرب وقائعها وحروبها وملاحمها اي انذرهم وقائعه التي دهمت الامم الدارجة وقد عد ما تصدى له عم
بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما تلي عليك ان في ذلك اي في التذكير
بها او في مجموع تلك النعماء والبلاء او في ايامها لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانيته تعالى وقدرته وعلمه وحكمته
فهي على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا
لظهورها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر واما على الثاني فعن كل واحدة من تلك النعماء
والبلاء والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع او كلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد لكل
صبار على بلائه شكور لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اي لكل
من يليق بكمال الصبر والشكر او الايمان ويصير امره اليها لا لمن اتصف بها بالفعل لانه تعليل الامر بالتذكير المذكور السابق
على التذكر المؤدي الى تلك المرتبة فان من تذكر ما فاض او نزل عليه او على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة
الشكر والصبر او الايمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الآيات بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها خافية عن غيرهم فان
التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر اعني البلاء على متعلق الشكر اعني النعماء
وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال موسى لقومه شروع في بيان تصديه عم لما امر به من التذكير الاخراج المذكور واذ
منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه
من الحوادث قد مر سره غير مرة اي اذكر لهم وقت قوله عم لقومه اذكروا نعمة الله عليكم بدأ عم بالترغيب لانه عند النفس
اقبل وهي اليه اميل والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما اي اذكروا
انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا كلمة اذ في قوله تعالى اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا انعامه عليكم
من آل فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم او بدل اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام
او العطية يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب
السوء مصدر ساء يسوء والمراد به جنس العذاب السيء او استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة
بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على انه مفعول ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين وانما عطفه على يسومونكم
اخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب
بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا ويستحيون نساءكم اي يبقونهن في الحيوة مع الذل والصغار وذلك
عد من جملة البلاء والجمل احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضمير كل منهما وفي ذلكم اي
فيما ذكر من افعالهم الفظيعة بلاء من ربكم اي ابتلاء منه لان البلاء عين تلك الافعال اللهم الا ان يجعل في تجريدية
ونسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق والاقدار والتمكين عظيم لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك
والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الانسب بما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المآل الذي
هو الانجاء او باعتبار ان بلاء المؤمن تربية له واذ تاذن ربكم من جملة مقال موسى عم لقومه معطوف على نعمة الله

ويكون ذلك اشارة الى الكتب

ويكون ذلك اشارة الى مجموع النعماء والبلاء منه

نحو قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة اي جاعلها من الواقع منه

اي اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم اي آذن ايذانا بليغا لا تبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة
التفعل من معنى التكلف المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم
اي اذكروا نعمته تعالى في هذين الوقتين فان هذا التأذن ايضا نعمة من الله تعالى عليهم لما فيه من الوعد بالزيادة والآخرة
وفي قراءة ابن مسعود رضه واذ قال ربكم [illegible] تذكيرهم بما اصابهم قبل ذلك
من الضر ثم امرهم ثانيا بتذكير ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير
الكفر والمراد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها كأنه
مشاهد عيانا لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها وقابلتموها بالعمل [illegible]
[illegible] والطاعة لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم [illegible] ومن عادة
الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون المذكور تعليلا للجواب
اي لاعذبنكم واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والجملة اما مفعول
لتأذن لانه ضرب من القول او لقول مقدر بعده كما قيل واذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم الخ وقال موسى ان تكفروا انتم
[illegible] يا بني اسرائيل ومن في الارض من الخلائق جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر غيركم
حميد مستوجب للحمد بذاته [illegible]
العالم ناطقة بحمده [illegible]
حذف من جواب [illegible] ان الله تعالى غني عن شكر الشاكرين ولعله عليه السلام
انما قاله عند ما عاين منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار على الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض
بالترهيب [illegible] ثم شرع في الترهيب
بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم ليتدبروا ما اصاب كلا منهم [illegible]
[illegible] وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطابا للكفرة في عهد النبي
عليه السلام [illegible] والايام التي جرت عليهم فقط وفيه
ما لا يخفى من البعد وايضا [illegible] النبي عليه السلام بما اصاب اولئك
المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلق قوم نوح بدل من الموصول او عطف بيان وعاد معطوف على قوم
نوح وثمود والذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى لا يعلمهم
الا الله اعتراض او الموصول مبتدأ ولا يعلمهم الا الله خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم
الا الله سبحانه وعن ابن عباس رضه بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود رضه اذا قرأ
هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم رسلهم
استئناف لبيان نبائهم بالبينات بالمعجزات والبينات الباهرة فبين كل رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم
من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم مشيرين بذلك الى السنتهم وما نطقت به [illegible]
[illegible] وانقطاع الطمع عن التصديق والايمان [illegible] وقالوا
انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم من البينات التي اظهرتموها حجة على صحة رسالتكم لقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى
باياتنا [illegible] غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا
عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء عليهم السلام وامرا
لهم باطباق الافواه او ردوها في افواه الانبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم [illegible]
افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجيبهم بقوله افي الله شك وقيل الايدي بمعنى الايادي [illegible]
ونصائحهم وشرائعهم التي هي مدار النعم الدينية والدنيوية في افواههم [illegible]

ذكر بخطه وان عذابي لشديد

منه وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ عظيم مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ من الإيمان بالله والتوحيد فلا ينافي شكهم في ذلك كفرهم القطعي
بما أرسل به الرسل من البينات فإنهم كفروا بها قطعاً حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا
فأتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالإدغام مُرِيبٍ موقع في الريبة من أرابه أو ذي ريبة من أراب الرجل وهي
قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء قَالَتْ رُسُلُهُمْ استئناف مبني على سؤال ينساق إليه المقال كأنه قيل فماذا قالت لهم
رسلهم فأجيب بأنهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء أَفِي اللَّهِ شَكٌّ بإدخال الهمزة على الظرف للإيذان
بأن مدار الإنكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك أصلاً متعادين عن تطبيق الجواب على كلام
الكفرة بأن يقولوا أأنتم في شك مريب من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلاً عليهم
بسخافة العقول أي أفي شأنه من وجوده ووحدته ووجوب الإيمان به وحده شك ما وهو أظهر من كل ظاهر وأجلى
من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب وحيث كان مقصدهم الأقصى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد وكان
إظهار البينات وسيلة إلى ذلك لم يتعرضوا الجواب عن قول الكفرة إنا كفرنا بما أرسلتم به واقتصروا على بيان ما هو
الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الإنكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ أي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام أنيق شاهد بتحقق ما أنتم منه في شك وهو صفة للاسم الجليل
أو بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدأ على أن الظرف خبره يفضي إلى الفصل بين الموصوف
والصفة بالأجنبي أعني المبتدأ والفاعل ليس بأجنبي من رافعه وقد جوز ذلك أيضاً يَدْعُوكُمْ إلى الإيمان بإرساله إيانا لا
أنا ندعوكم إليه من تلقاء أنفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا إليه لِيَغْفِرَ لَكُمْ بسببه أو يدعوكم لأجل المغفرة كقولك
دعوته لينا كل معي مِنْ ذُنُوبِكُمْ أي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فإن الإسلام يجبه قيل هكذا وقع في جميع القرآن
في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لأن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الإيمان
وفي شأن المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلاً
من ذنوبكم وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إلى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى أعماركم على تقدير الإيمان قَالُوا استئناف كما سبق
إِنْ أَنْتُمْ أي ما أنتم إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة تُرِيدُونَ صفة ثانية لبشر حملاً على المعنى
كقوله تعالى أبشر يهدوننا أو كلام مستأنف أي تريدون بما تتصدون له من الدعوة والإرشاد أَنْ تَصُدُّونَا
بتخصيص العبادة بالله سبحانه عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أي عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته من غير شيء يوجبه
فَأْتُونَا أي إن لم يكن الأمر كما قلنا بل كنتم رسلاً من جهة الله تعالى كما تدعونه فأتونا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ يدل على فضلكم
واستحقاقكم لتلك الرتبة أو على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده أباً عن جد ولقد كانوا أتوهم من
الآيات الظاهرة والبينات الباهرة ما لم تخر له صم الجبال ولكنهم إنما يقولون ما يقولون من العظائم مكابرة وعناداً وإراءة لمن
وراءهم أن ذلك ليس من جنس ما يطلق عليه السلطان المبين قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ مجاراة معهم في أول مقالتهم وإنما قيل لهم
لاختصاص الكلام بهم حيث أريد إلزامهم بخلاف ما سلف من إنكار وقوع الشك في الله سبحانه فإن ذلك عام وإن
اختص بهم ما يعقبه إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ كما تقولون وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ بالنبوة عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يعنون
أن ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجبه قالوه تواضعاً وهضماً
للنفس أو وما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة أو في الدخول تحت الجنس ولكن الله تعالى يمن بالفضائل والكمالات
على من يشاء لمن بها وما يشاء ذلك إلا لعلمه باستحقاقها وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات هي التي يدور
عليها فلك الاصطفاء للنبوة وَمَا كَانَ وما صح وما استقام لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ أي بحجة من الحجج فضلاً عن السلطان
المبين بشيء من الأشياء وسبب من الأسباب إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فإنه أمر متعلق بمشيئته تعالى إن شاء كان وإلا فلا وَعَلَى اللَّهِ وحده
دون ما عداه مطلقاً فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ أمر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل أنفسهم عليه آخذين إياه كأنهم
في المعول عليه عز وجل وَمَا لَنَا أي أي عذر لنا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ أي في أن لا نتوكل عليه وقد انقطاعاً لإظهار النشاط

بالتوكل والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل وَقَدْ هَدَانَا أي والحال أنه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه
حيث هدانا سُبُلَنَا أي أرشد كلاً منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له وأوجب عليه سلوكه في الدين وحيث كانت
أذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه وَعَلَى اللَّهِ خاصة فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ
أي فليثبت المتوكلون على ما أحدثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من إيجاب التوكل على أنفسهم والمراد
بالمتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز أن يراد فليتوكل من يتوكل على غيره وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لعل هؤلاء القائلين بعض المتمردين العاتين الغالين في الكفر من أولئك الأمم الكافرة التي نقلت مقالاتهم
الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب وأضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا
لم يقنعوا بعصيانهم الرسل ومعاندتهم للحق بعد ما تلوا البينات الفائتة للحصر حتى اجترؤوا على مثل تلك العظيمة التي
لا يكاد يحيط بها دائرة الإمكان وحلفوا على أن يكون أحد الحالين والعود إما بمعنى مطلق الصيرورة أو باعتبار
تغليب المؤمنين على الرسل وقد مر في الأعراف وسيأتي في الكهف فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أي إلى الرسل رَبُّهُمْ مالك أمرهم عند تناهي
كفر الكفرة وبلوغهم من العتو إلى غاية لا مطمع بعدها في إيمانهم لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ على إضمار القول أو على إجراء الإيحاء
مجراه لكونه ضرباً منه وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ أي أرضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من أرضنا كقوله تعالى وأورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها مِنْ بَعْدِهِمْ أي من بعد إهلاكهم وقرئ ليهلكن و
ليسكننكم بالياء اعتباراً لأوحى كقولك أقسم زيد ليخرجن غداً ذَلِكَ إشارة إلى الموحى به وهو إهلاك الظالمين وإسكان
المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر محقق ثابت لِمَنْ خَافَ مَقَامِي موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس
لرب العالمين أو قيامي عليه وحفظي لأعماله وقيل لفظ المقام مقحم وَخَافَ وَعِيدِ وعيدي بالعذاب وعذابي الموعود
للكفار والمعنى أن ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين وَاسْتَفْتَحُوا أي استنصروا الله على أعدائهم كقوله تعالى
إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أو استحكموا وسألوا القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق والضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فإنهم سألوا أن ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف
على فأوحى إليهم وقرئ بلفظ الأمر عطفاً على لنهلكن الظالمين أي أوحى إليهم أن استفتحوا وَخَابَ أي
خسر وهلك كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ متصف بضد ما اتصف به المتقون أي فانتصروا فسعدوا وظفروا بالمراد
وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب وذلك
باعتبار أنهم كانوا على الحق واستفتح الكفار على الرسل فخابوا ولم يفلحوا وإنما قيل وخاب كل جبار عنيد ذماً لهم
وتسجيلاً عليهم بالتجبر والعناد لأن بعضهم ليسوا كذلك وأنه لم يصبهم الخيبة أو استفتحوا فنصر الرسل
وأنجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد والخيبة بمعنى الحرمان عن الطلبة أو إسناد الخيبة إليهم كما لا يخفى
من لطف الفتح مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ أي من بين يديه فإنه مرصد لها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها في الآخرة وقيل
من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك من خلف أو قدام وَيُسْقَى معطوف على مقدر جواباً عن سؤال سائل كأنه قيل فماذا يكون
إذن فقيل يلقى فيها ويسقى مِنْ مَاءٍ مخصوص لا كالمياه المعهودة صَدِيدٍ وهو قيح ودم مختلط
قال مجاهد وغيره وهو ما يسيل من أجساد أهل النار وهو عطف بيان لماء أبهم أولاً ثم بين بالصديد تهويلاً
لأمره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على أنه من أشد أنواعه يَتَجَرَّعُهُ قيل وهو صفة لماء أو حال منه والأظهر
أنه استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه أي يتكلف جرعه مرة بعد أخرى لغلبة العطش
واستيلاء الحرارة عليه وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ أي لا يقارب أن يسيغه فضلاً عن الإساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا
والتي جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش وأخرى بشربه على تلك الحال فإن السوغ انحدار الشراب
في الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعاً وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالإساغة

لما اتيا المعهودة في الاشربة وسوء حال من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اي اسبابه من الشدائد
من كل مكان ويحيط به من جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت
اي والحال انه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء اسبابه لاسيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من اصناف
الموبقات ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ يستقبل كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله وفيه دفع
ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح
والخيبة استسقاء اهل مكة في سنيهم التي ارسلها الله تعالى عليهم بدعوته صلى الله عليه وسلم وخيبتهم في ذلك وعدم
بدل ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم اي صفتهم وحالهم العجيبة الشان التي هي كالمثل في الغرابة وهو
مبتدأ خبره قوله تعالى اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب وهو استئناف مبني على سؤال
من قال ما بال اعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين
وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب بان ذلك كرماد اشتدت به الريح
حملته واسرعت الذهاب به في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساكرة
وانما السكور لريحها شبهت صنائعهم المعدودة لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه بها اليه
تعالى برماد طيرته الريح العاصفة او استئناف مسوق لبيان اعمالهم للاصنام او مبتدأ خبره محذوف كما هو رأي سيبويه
اي فيما يتلى عليكم مثلهم وقوله اعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كيت وكيت او اريد
بها صنائعهم او اعمالهم للاصنام وقيل اعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره لا يقدرون اي يوم القيمة مما كسبوا
من تلك الاعمال على شيء ما اي لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل
والاكتفاء ببيان عدم رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم
انها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم ذلك اي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء
هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب الم تر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد امته
وقيل لكل احد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى ان الله خلق السموات والارض
ساد مسد مفعوليها اي الم تعلم ان الله تعالى خلقها بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق ان تخلق عليه
وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم يعدمكم بالمرة ويأت بخلق جديد اي يخلق بدلكم خلقا
آخر مستأنفا لا علاقة بينكم وبينهم رتب تعالى قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا
النمط البديع ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام العظام كان على تبديل خلق آخر
بهم اقدر ولذلك قال وما ذلك اي اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه
قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه
ويخشى عقابه وبرزوا لله جميعا اي يبرزون يوم القيمة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله
سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار او لانه لا مضي ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه والمراد بروزهم
من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله
تعالى فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الرأي وانما
كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا الرؤساء الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا
في الدنيا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب جمع غائب او مصدر نعت به مبالغة
او على اضمار اي ذوي تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ
والعتاب والتقريع والتبكيت من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيضية
واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله

الضعفوآء صح

والاعراب كما سبق ويجوز ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب
بعض الاغناء ويعضده الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قالوا اي المستكبرون جوابا
عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله اي للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا
فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا
عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء علينا اجزعنا مما لقينا ام صبرنا
على ذلك اي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الاغناء والهمزة وام لتأكيد التسوية كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم
ام لم تنذرهم وانما اسندوا ما ذكر ونسبوا استواءهما الى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا مبالغة في النهي عن التوبيخ واعلاما
انهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الخ من كلام الفريقين على منوال قوله
تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك
يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى في ذلك فقالوا ما لنا
من محيص من منجى ومهرب من العذاب من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيف
او مصدر كالمغيب والمشيب وهي جملة مفسرة لاجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او بدل
وقال الشيطان الذي اضل كلا الفريقين واستتبعهما عند ما عتباه بما قاله الاتباع للمستكبرين لما قضي الامر
اي احكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في محفل الاشقياء من الثقلين
ان الله وعدكم وعد الحق اي وعدا من حقه ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء
ووعدتكم اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما
دل عليه قوله فاخلفتكم اي موعدي على حذف المفعول الثاني اي نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف منه كأنه
كان قادرا على انجازه واني له ذلك وما كان لي عليكم من سلطان اي تسلط او حجة تدل على صدقي الا ان دعوتكم
الا دعائي اياكم اليه وتسويله وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه في معرضه على طريقة تحية بينهم ضرب
وجيع مبالغة في نفي السلطان عن نفسه كأنه قال انما يكون لي عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز
كون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوعدي اياكم حيث لم يكن على طريقة
التمرد والالجاء كما يدل عليه الفاء وقرئ بالياء على طريقة الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
ولوموا انفسكم حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم
اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان انهم احق
بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون لقدرته الكاسبة
التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فانه سبحانه انما يخلق افعاله حسبما يختاره وعليه يترتب السعادة والشقاوة
وما قيل من انه يستدعي ان يقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه مبني على عدم
الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك الجبرية ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم
بمصرخي مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه
ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك آثر الجملة الاسمية فكأن ما مضى
كان جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستعانتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب
وقرئ بكسر الياء اني كفرت بما اشركتمون من قبل اي باشراككم اياي بمعنى تبرأت منه كقوله تعالى ويوم القيمة
يكفرون بشرككم يعني ان اشراككم لي بالله سبحانه هو الذي يطمعكم في نصرتي لكم بان يكون لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا
وكنت اود ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة
او كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتموني فيه وهو الله سبحانه كما في قوله سبحان ما سخركن لنا فيكون

تعليلا لعدم اصراخه فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة والاعانة سواء كان بالمدافعة او الشفاعة واما
جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا احتمال لمحتمل يحتاج الى التعليل على ان تعليل عدم اصراخهم بكفره
يوم انتم بسبيل من ذلك لولا انكم من جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من جهة الله عز وجل
وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه
وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام
وقرئ على صيغة التكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي يحييهم الملائكة
بالسلام باذن ربهم الم تر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ويتعلق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا
اي كيف اعتمده ووضعه في موضعه اللائق به كلمة طيبة منصوب بمضمر اي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة
حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها الا انه تعالى لما ميز مثلها
في الخارج وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون كلمة
بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان يكون اولى مفعولي ضرب اجراء له مجرى جعل والاخر
من ثانيهما اعني مثلا لئلا يبعد عن صفته التي هي كشجرة وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اي ضارب بعروقه
في الارض وقرأ انس بن مالك رضي كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وانسب بقرينة اعني قوله تعالى
وفرعها اي اعلاها في السماء في جهة العلو ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع تؤتي اكلها تعطي
ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها فالمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة كما روي مرفوعا
او شجرة في الجنة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير
للمعاني بصور المحسوسات ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الكفر والدعاء اليه او تكذيب الحق او ما يعم الكل او كل كلمة قبيحة
كشجرة خبيثة اي كمثل شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان
بان ذلك غير مقصود الضرب والبيان وانما ذكر لما ظاهر يعرفه كل احد اجتثت استوصلت واخذت جثته
بالكلية من فوق الارض لكون عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار عليها يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة في الحيوة الدنيا
فلا يزالون عنه اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة
فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيمة او عند سؤال القبر وقد روي انه عم ذكر قبض
روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك
فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وهذا امثال اي الشجرة المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره اخبرني
ابو القاسم بن حبيب في سنة ست وثمانين وثلثمائة قال سمعت ابا الطيب محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل بن عمار
العتكي يقول رايت يزيد بن هرون في منامي بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال اتاني في قبري ملكان فظان غليظان فقالا من ربك
وما دينك ومن نبيك فاخذت بلحيتي البيضاء فقلت لها ألمثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة
فذهبا ويضل الله الظالمين اي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم
والمراد بهم الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم الشيء في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم
حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد
عن البينات الواضحة فلا يثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي الى الحق فالمراد بالذين آمنوا المخلصون في الايمان الراسخون
في الايمان كما ينبئ عنه التثبيت لكنه يوهم كون كلمة التوحيد اذا كانت لا عن ايقان داخلة تحت مثلا اقراره لمن الشجرة

المضروبة مثلا ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين حسبما يوجبه مشيئته التابعة
للحكم البالغة المقتضية لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه
من الايذان بالتفاوت في مبدأي التثبيت والاضلال فان مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته
العلى غير ما هو مبدأ صدور الآخر الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد مما صنع الكفرة من الاباطيل
التي لا تكاد تصدر عمن له ادنى ادراك اي الم تنظر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمته بان وضعوا موضعه
كفرا عظيما وغمطا لها او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كاهل مكة
حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم حرمه الآمن الذي يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها
وعن عمر وعلي رضي الله عنهم هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى
الحين كانهما تاولا ان ما سيتلى من قوله عز وجل قل تمتعوا الآية واحلوا اي انزلوا قومهم بارشادهم اياهم الى طريقة
الشرك والضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة
فاوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه جهنم عطف بيان لها وفي الابهام ثم البيان ما لا يخفى
من التهويل يصلونها حال منها او من قومهم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او استيناف لبيان كيفية الحلال او مفسر
لفعل مقدر ناصب لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور تعريضهم للهلاك بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان
مصيركم الى النار انسب بالتفسير الاول وبئس القرار على حذف المخصوص بالذم اي بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارها
فيها وفيه بيان ان حلولهم وصليهم على وجه الدوام والاستمرار وجعلوا عطف على احلوا وما عطف عليه داخل معهما
في حيز الصلة وحكم التعجيب اي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم لله الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار
اندادا اشباها في التسمية او في العبادة ليضلوا قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا عن سبيله القويم
الذي هو التوحيد ويوقعونهم في ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع ان مقتضى الظاهر ان يذكر
كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدي الى احلال دار البوار
لتثنية التعجيب وتكريره والايذان بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ
الانداد للاضلال امر يقضى منه العجب لو سيق النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجيب من مجموع الهنات الثلث كما
في قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح واياما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد ولكن لما كان ذلك
نتيجة له شبه بالغرض وادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية قل تهديدا لاولئك الضالين المضلين ونعيا
وايذانا بانهم لشدة اباءهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال احقاء بان
يضرب عنهم صفحا ويعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشانهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرته مبالغة في التخلية
والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبته الوخيمة ويقال لهم تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم
العظام واستتباع الناس في عبادة الاصنام فان مصيركم الى النار ليس الا فلا بد لكم من تعاطيها يوجبه ويقتضيه
من احوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها والامتثال له حسبما يلوح به قوله سبحانه واحلوا قومهم دار البوار الخ
فهو تعليل للامر المامور وفيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف وقيل لهم تصويرا لحالهم وتعبيرا عما
يلجئهم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم مامورون بذلك
من قبل آمر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كذاب مامور ساع في طاعة آمر مطاع فليس قوله تعالى فان مصيركم
الى النار حينئذ تعليلا للامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كانه قيل هذا حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار
وفيه التهديد والوعيد لا في الامر قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون
لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك العطف بين الامرين للايذان بتباين حالهما باعتبار المقول تهديدا وتشريفا

والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب أي قل لهم أقيموا وأنفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم أي يبادروا
على ذلك وفيه إيذان بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم إلى الامتثال بأوامره ويجوز أن يكون
المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الأمر عنهما وإنما حسن ذلك دون الحذف في قوله محمد تفد نفسك كل نفس إذا
ما خفت من أمر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا أقيموا وأنفقوا أقيما مقامهما وليس بذاك سرا وعلانية منتصبان
على المصدرية من الأمر المقدر لا من جواب الأمر المذكور أي أنفقوا إنفاق سر وعلانية والأحب في الإنفاق إخفاء المتطوع به
وإعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا
والركون إليها كما هو صنيع الكفرة من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره أو يفتدي به نفسه
والمقصود نفي عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للإيجاز مع المبالغة في نفي العقد إذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء
الشراء على أبلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الإيجاب من قبل البائع ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل أو
يسامح بما يفتدي به نفسه أو من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه بما فيه من البيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وإنما
الانتفاع والارتفاق فيه بالإنفاق لوجه الله سبحانه والظاهر أن من متعلقة بأنفقوا وتذكير إتيان ذلك اليوم لتأكيد
مضمونه كما في سورة البقرة من حيث أن كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع
آثار البيع والخلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من أقوى الدواعي إلى الإتيان بما تبقى عوائده ويدوم فوائده
من الإنفاق في سبيل الله عز وجل أو من حيث أن ادخار المال وترك إنفاقه إنما يقع غالبا للتجارات والمهادات حيث
لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره إلى وقت الموت وتخصيص التأكيد بذلك لميل الطباع إلى المال وكونها مجبولة
على حبه والضنة به ولا يبعد أن يكون تأكيدا لمضمون الأمر بإقامة الصلوة أيضا من حيث أن تركها كثيرا ما يكون
بالاشتغال بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وقرئ بالفتح فيهما على إرادة
النفي العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع أو خلال الله مبتدأ خبره الذي
خلق السموات وما فيها من الأجرام العلوية والأرض وما فيها من أنواع المخلوقات لما ذكر أحوال الكافرين لنعم
الله تعالى وأمر المؤمنين بإقامة مراسم الطاعة شكرا لنعمه شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الأنام المثابرة على الشكر
والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر
والمعاصي وفي جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الأفاعيل العظيمة من خلق هذه الأجرام العظام
وإنزال الأمطار وإخراج الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان
وأنزل من السماء أي السحاب فإن كل ما علاك سماء أو من الفلك فإن المطر منه يبتدئ إلى السحاب ومنه إلى الأرض
على ما دلت عليه ظواهر النصوص أو من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة من أعماق الأرض إلى الجو فينعقد سحابا
ماطرا وأياما كان فمن ابتدائية ماء أي نوعا منه وهو المطر وتقديم المجرور على المنصوب إما باعتبار كونه مبدأ لنزوله أو
لتشريفه كما في قولك أعطاه السلطان من خزائنه مالا أو لما مر مرارا من التشويق إلى المؤخر فأخرج به بذلك الماء من الثمرات
الفائتة للحصر وإنما لأنه صيغ الجموع يتعاور بعضها موضع بعض أو لأنه أريد بمفردها جماعة الثمرة التي في قولك أدركت
ثمرة بستان فلان رزقا لكم تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لأخرج ومن للتبيين
كقولك أنفقت من الدراهم ألفا ويجوز أن يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه أو مصدرا من أخرج لأنه بمعنى رزق
أو للتبعيض بدليل قوله تعالى فأخرجنا به ثمرات كأنه قيل أنزل من السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون بعض
رزقكم إذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا أخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وإن كان بمشيئته
عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بإفاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب أو أودع
في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع الثمار وهو قادر على إيجاد الأشياء بلا أسباب
ومواد كما أبدع نفوس الأسباب كذلك لما أنه تعالى في إنشائها مدرجا من طور إلى طور صنائع وحكما يجدد فيها

لأولي الأبصار عبرا وسكونا إلى عظيم قدرته ليس ذلك في إبداعها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا إن أريد
به المرزوق ومفعول به إن أريد به المصدر كأنه قيل رزقا إياكم وسخر لكم الفلك بأن أقدركم على صنعتها و
استعمالها بأن ألهمكم كيفية ذلك لتجري في البحر جريا تابعا لإرادتكم بأمره بمشيئته التي نيط بها كل شيء وتخصيصه
بالذكر للتنصيص على أن ذلك ليس بمزاولة الأعمال واستعمال الآلات كما يترآى من ظاهر الحال وسخر لكم الأنهار
إن أريد بها المياه العظيمة الجارية في الأنهار العظام كما يوحي إليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس
حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجناتهم وما أشبه ذلك وإن أريد بها نفس الأنهار فتسخيرها
تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وإنارتهما أصالة وخلافة وإصلاحهما لما نيط بهما
صلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وإنضاجها ذكر
سبحانه وتعالى أنواع النعم الفائضة وأبرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويها لشأنها وتنبيها على رفعة مكانها
وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والأنهار
والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الإشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان
وشدة المحال ما لا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمه من الأمور المعدودة مع ما بينهما وبين السماء
من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الأرض المستدعي لذكر إنزال الماء منها إليها الموجب لذكر إخراج الرزق
الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والأنهار والتفادي عن توهم كون الكل أعني خلق السموات والأرض
وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما في قصة البقرة وآتاكم من كل ما سألتموه أي أعطاكم بعض جميع ما سألتموه
حسبما تقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن
نريد وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه ونيط به انتظام أحوالكم على الوجه المقدر فكأنكم سألتموه أو كل ما طلبتموه
بلسان الاستعداد أو كل ما سألتموه على أن من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء وأتاه كل الناس وعليه
قوله عز وجل فتحنا عليهم أبواب كل شيء وقيل الأصل وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف الثاني لدلالة ما
أبقي على ما ألقي وقرئ بتنوين كل على أن ما نافية ومحل ما سألتموه النصب على الحالية أي آتاكم من كل غير سائليه وإن
تعدوا نعمة الله التي أنعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا بحصرها ولو إجمالا فإنها غير متناهية وأصل الإحصاء
أن الحاسب إذا بلغ عقدا معينا من عقود الأعداد وضع حصاة ليحفظ بها فمعناه إيذان بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها
فضلا عن غايتها كيف لا وما من فرد من أفراد الناس وإن كان في أقصى مراتب الإفلاس ممنوا بأصناف العنايا
مبتلى بأنواع الرزايا فهو بحيث لو تأمله ألفيته متقلبا في نعم لا تحصى ومنن لا تحصر كأنه تعد أعطي كل
ساعة وآن من النعماء ما حوته حيطة الإمكان وإن كنت في ريب من ذلك فقدر أنه ملك مملكة أقطار العالم
ودانت له كافة الأمم وأذعنت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال
وحاز جميع ما في الدنيا من أصناف الأموال من غير نكير لمنعه ولا شريك يساهمه بل قدر أن جميع ما فيها من حجر ومدر
يواقيت غالية ونفائس درر ثم قدر أنه قد وقع من فقد مشروب أو مطعوم في حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل
يشتري وهو في تلك الحال بجميع ما له من الملك والمال لقمة تنجيه من رداه أو شربة تروي من ظماه أم يختار الهلاك
فيذهب الأموال والأملاك بغير بدل يبقى عليه ولا نفع يعود إليه كلا بل يبذل له كل ما يحويه اليدان كائنا
ما كان وليس في صفقته شائبة الخسران فإذن تلك اللقمة والشربة خير مما في الدنيا بالغة ما بلغت مع اتصافها بطرف
بنا لها متى تكون من الليالي والأيام أو قدر أنه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما ولج الحلق
فتجان وأتاه الموت من كل مكان أما يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطيه وهو لربه حامد فإذن هو خير
من أموال الدنيا بجملتها وما طالها برمتها مع أنه قد أتيح له كل آن من آنات الليالي والأيام حالة اليقظة والمنام
فما أمر الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على أحد من العقلاء وأن ذلك الشيء على حقيقة الحق والوقوف على كل

ما جعل وكذلك نعلم أن الإنسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة
والملكات الرائقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الإلهية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمأنت به
الدار إلا في مطمورة العدم والبوار ومهاوي الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجناب الأقدس تعالى شأنه وتقدس
في كل زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي من أنواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية
والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه إلا العليم الخبير وتوضيحه أنه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه
بقاء وإنما ذلك من جناب المبدأ الأول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه الأصلي
لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه الطارئ لأن الاستمرار والدوام
من خصائص الوجود الواجبي وأنت خبير بأن ما يتوقف عليه وجوده من الأمور الوجودية التي هي علله وشرائطه وإن
وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الأمور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك
إذ لا استحالة في أن يكون لشيء واحد موانع غير متناهية وإنما الاستحالة في دخولها تحت الوجود فارتفاع تلك الموانع
التي لا تتناهى أعني بقاؤها على العدم مع إمكان وجودها في أنفسها في كل آن من آنات وجوده نعم غير متناهية
حقيقة لا ادعاء وكذا الحال في وجودات علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كمالاته التابعة
لوجوده فاتضح أنه يفيض عليه في كل آن نعم لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك ما أعظم سلطانك لا تلاحظك
العيون بأنظارها ولا تطالعك العقول بأفكارها شأنك لا يضاهى وإحسانك لا يتناهى ونحن في معرفتك
حائرون وفي إقامة مراسم شكرك قاصرون نسألك الهداية إلى مناهج معرفتك والتوفيق لأداء حقوق نعمتك
لا نحصي ثناء عليك لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك إن الإنسان لظلوم يظلم النعمة بإغفال شكرها
أو بوضعها في غير موضعها أو يظلم نفسه بتعريضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع
كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الإنسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجد فيه من أفراده
ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا إلخ دخولا أوليا وإذ قال إبراهيم أي اذكر وقت قوله عم والمقصود
من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالاته عم على نهج التفصيل والمراد به تأكيد ما سلف من تعجيبه صلى الله عليه
وسلم ببيان فن آخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم العامة وعصوا أباهم إبراهيم عم حيث أسكنهم بمكة شرفها الله
تعالى لإقامة الصلوة والاجتناب عن عبادة الأصنام والشكر لنعم الله تعالى وسأله تعالى أن يجعله بلدا آمنا
ويرزقهم من الثمرات ويهوي قلوب الناس إليهم من كل أوب سحيق فاستجاب الله تعالى دعاءه وجعله حرما آمنا
يجبى إليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله تعالى أندادا
وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعني مكة شرفها الله سبحانه آمنا أي ذا أمن أو آمنا أهله بحيث
لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا أن المسؤول
هناك البلدية والأمن معا وهنا الأمن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الأول
فإن حمل على تعدد السؤال فلعله عم سأل أولا كلا الأمرين فاستجيب له في أحدهما وتأخر الآخر إلى وقته المقدر لما
يقتضيه من الحكمة الداعية إليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال أو كان المسؤول أولا مجرد الأمن
المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد أجيب إليه وثانيا الأمن المعهود أو كان هو المسؤول فيهما وقد أجيب إليه أيضا
لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار على ذلك لأنه المقصود الأصلي أو لأن المعتاد في البلدية الاستمرار
بعد التحقق بخلاف الأمن وإن حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر أن كلا الأمرين وقد حكي
أولا واقتصر هاهنا على حكاية سؤال الأمن لا لمجرد أن نعمة الأمن أدخل في استيجاب الشكر فذكره أنسب بمقام
تقريع الكفرة على إغفاله كما قيل بل لأن سؤال البلدية قد حكي بقوله تعالى فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم إذ المسؤول
هويها إليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية قد حكي بعبارة أخرى وكان ذلك لعل ما قدم عليه السلام

مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إبراهيم عليه السلام لما أسكن إسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها
إلى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول إلى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله أمرك بهذا
قال نعم قالت إذن لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادي فقال ربنا إني أسكنت
الآية وإنما فصل ما بينهما تثنية للامتنان وإيذانا بأن كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير واجنبني وبني
بعدني وإياهم أن نعبد الأصنام واجعلنا منه في جانب بعيد أي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الإسلام
والبعد عن عبادة الأصنام وقرئ أجنبني من الإفعال وهما لغة أهل نجد يقولون جنبني شره وأجنبني شره وأما أهل
الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى وأن الظاهر أن المراد ببنيه الأولاد
الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رض على أن أحدا من أولاد إسمعيل عليه السلام لم يعبد الصنم وإنما كان لكل
قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر وكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال
دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما في القرآن العظيم من قوارع تنعى على قريش عبادة الأصنام على أن فيما ذكر
كرا على ما فر منه رب إنهن أي الأصنام أضللن كثيرا من الناس أي تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا
وهو تعليل لدعائه وإنما صدره بالنداء إظهارا لاعتنائه به ورغبته في استجابته فمن تبعني منهم فيما أدعو إليه
من التوحيد وملة الإسلام فإنه مني أي بعضي قاله عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه به أو متصل بي
لا ينفك عني في أمر الدين ومن عصاني أي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان للإيذان بأنه عم مستمر على الدعوة
وأن عدم اتباع من لم يتبعه إنما هو لعصيانه لا لأنه لم يبلغه الدعوة فإنك غفور رحيم قادر على أن تغفر له وترحمه
ابتداء أو بعد توبته وفيه أن كل ذنب فلله تعالى أن يغفره حتى الشرك خلا أن الوعيد قضى بالفرق بينه وبين غيره
ربنا آثر عليه السلام ضمير الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه وإلا لراعاه في قوله رب إنهن إلخ بل لأن الدعاء
المصدر به وما أورده بصدد تمهيد مبادي إجابته من قوله إني أسكنت إلخ متعلق بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته
تعالى لهم أدخل في القبول وإجابة المسؤول من ذريتي أي بعضهم أو ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو إسمعيل عم
وما سيولد له فإن إسكانه حيث كان على وجه الاطمئنان متضمن لإسكانهم روي أن هاجر أم إسمعيل عم كانت لسارة
فوهبتها من إبراهيم عم فلما ولدت له إسمعيل عم غارت عليهما فناشدته أن يخرجهما من عنده فأخرجهما إلى أرض
مكة فأظهر الله تعالى عين زمزم بواد غير ذي زرع لا يكون فيه زرع أصلا وهو وادي مكة شرفها الله سبحانه
عند بيتك ظرف لأسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا أنه صفة لواد أو بدل منه إذ المقصود إظهار
كون ذلك الإسكان مع فقدان مباديه بالمرة لمحض التقرب إلى الله تعالى والالتجاء إلى جواره الكريم كما ينبئ عنه
التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجأ وعصمته عن المكاره في قوله تعالى المحرم حيث حرم التعرض له
والتهاون به أو لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة في كل عصر أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك
سمي عتيقا وتسميته إذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وإنما كان نشزا مثل الرابية تأتيه السيول فتأخذ ذات
اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ما سيؤول إليه الأمر من بنائه عم فإنه ينزع إلى اعتبار عنوان الحرمة
أيضا كذلك بل إنما هي باعتبار ما كان من قبل فإن تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وإنما الاختلاف في كمية
عدده وقد ذكرناه في سورة البقرة بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا الصلوة متوجهين إليه متبركين به وهو متعلق
بأسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لإظهار كمال العناية بإقامة
الصلوة والاهتمام بعرض أن الغرض من إسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الأقصى والمطلب الأسنى
وكل ذلك لتمهيد مبادي إجابة دعائه وإعطاء مسؤوله الذي لا يتسنى ذلك المرام إلا به ولذلك أدخل عليه الفاء فقال
فاجعل أفئدة من الناس أي أفئدة من أفئدتهم ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس
والروم وأما ما زيد عليه من قولهم ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام إذ المسؤول توجيه القلوب إليهم

وأجيب بينهما بما جاء أولا

كما في قصة البقرة

الساكنة معهم لا توجيهها الى البيت المحرم والا لقيل تهوي اليه فانه عين الدعاء بالبلد وقد حكي بعبارة اخرى كما مر او للابتداء كما في قولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة على القلب كآدر في ادؤر او على انه اسم فاعل من افدت الرحلة اي عجلت اي جماعة من الناس وأفدة بطرح الهمزة من الافئدة او على النعت من أفد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداداً وقرئ على البناء للمفعول من اهوى غيره وتهوى من باب علم اي تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والنزوع ومن آثار هذه الدعوة ما روي انه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعائف على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى ان شب اسمعيل عم وماتت هاجر فتزوج اسمعيل عم منهم كما هو المشهور وارزقهم اي ذريتي الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز اليهم من الناس وانما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر اكتفاء بذكر اقامة الصلوة من الثمرات من انواعها بان يجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رض ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابرهيم عم بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابرهيم عم لعلهم يشكرون تلك النعمة باقامة الصلوة واداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الامر والمراد امرهم باقامة الصلوة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفاء في قوله تعالى فاجعل الخ وفي دعائه عم من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرأفة ما لا يخفى فانه عم بذكر كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم الى المسؤول وبذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم اشار الى ان جوار الكريم يستوجب افاضة النعم وبعرض كون ذلك الاسكان مع كمال اعوازه مرافق المعاش لمحض اقامة الصلوة واداء حقوق البيت مهد جميع مبادي اجابة السؤل ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء اولا اي تعلم ما نظهره وما لا نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا يخطر بباله مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن غيره وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه بما يخفى اقدم منه بما يعلن او لان مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصده عم ان اظهار هذه الحاجات وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لما انه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمان من الازمان الا ووجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما يخفى على الله دون ان يقول ويعلم ما في السموات والارض تحقيقا لما عناه بقوله تعلم ما نخفي من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم الخلق وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي من شيء كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او بتحقق وتقديم الارض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس

بشأن ما يختص به او من يتعلق به شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدئية الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عم كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبري ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لشكرها اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة او مائة وسبع عشرة سنة ان ربي ومالكي لسميع الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى الله تعالى مجازا او هو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم رب اجعلني مقيم الصلوة مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال ومن ذريتي اي بعضهم من المذكورين ومن بين من بينهما من اولادهما للاشعار بانه المقتدي في ذلك وذريته اتباع له وان ذكرهم بطريق الاستطراد كما في قوله ربنا اني اسكنت الخ فان اسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة الله تعالى ان بعضا منهم لا يكون مقيم الصلوة ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ربنا وتقبل دعاء اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر ولوالدي وقرئ بالتوحيد ولولدي وهذا الاستغفار منه عم انما كان قبل تبين الامر له عم وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله تعالى الا قول ابرهيم الاية وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسيأتي تمامه في سورة مريم بفضل الله عز وجل وللمؤمنين كافة من ذريته وغيرهم وللايذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت ويتحقق محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تهويله وقيل اسند اليه قيام اهله مجازا او حذف المضاف كما في واسأل القرية واعلم ان ما حكي عنه عم من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في الملة وارشاد الناس اليها والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهي عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عم عن حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد له اكيد ووعيد للكفرة وسائر الظالمين شديد او لكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم للجهل بصفاته تعالى او الاغترار بامهاله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا وقطميرا والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عدت مساويهم من تبديل نعمة الله تعالى كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به التعرض لحكمة التأخير المنبي عنه قوله تعالى قل تمتعوا الاية او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا انما يؤخرهم يمهلهم متمتعين بالحظوظ

الدنيوية

ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهد وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق اي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه
تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتأخير ما تستوجبه من العذاب الاليم ان تأخيره للتشديد والتغليظ او لا يحسبنه
تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها انما ذلك لاجل هذا او لا يحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولكن يؤاخذهم
بما عملوا الماترى من التأخير انما هو لمقتضى الحكمة وقرئ بالنون وايقاع التأخير عليهم مع ان المؤخر انما هو عذابهم لتهويل
الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما لانهم باقون باختيارهم وللدلالة على ان
حتمهم من العذاب هو الاستيصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان بان المؤخر له من جملة
العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم لما فهم ذلك ليوم هائل تشخص فيه الابصار ترفع ابصار اهل
الموقف فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا اوليا اي تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من هول ما يرونه
واعتبار عدم قرارها في اماكنها اما باعتبار الارتفاع المستتبع في جرم العين واما بجعل الصيغة من شخص من بلده
الى بلد سار في ارتفاع مهطعين مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع او مقبلين بابصارهم
عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان ادامة النظر ههنا بالنظر الى الداعي قيل مقنعي رؤسهم
اي رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى شيء قاله القتيبي وابن عرفة او ناكسيها ويقال اقنع رأسه
اي طأطأ ونكسه فهو من الاضداد وهما حالان مما دل عليه الابصار من اصحابها او الثاني حال متداخلة من الضمير
في الاول واضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم حسبما كان يرجع
اليهم كل لحظة بل تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف ولا ترجع اجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون اسناد الرجوع
الى الطرف مجازيا او هو نفس الجفن قال الفيروزابادي الطرف العين لا يجمع لانه مصدر في الاصل واسم جامع
للعين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان يرجع الى شيء آخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال او بدل من مقنعي
الخ او استئناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم من شخوص الابصار وتأخيره عما هو من تتمته من الاهطاع والاقناع
مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى وافئدتهم هواء خالية من العقل والفهم لفرط
الحيرة والدهش كأنها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء اي لا قوة ولا رأي فيه
واعتبار خلوها عن كل خير لا يناسب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد مبينة لكون شخوص ابصارهم وعدم
ارتداد طرفهم بلا فهم ولا اختيار او جملة مستقلة وانذر الناس خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد اعلامه ان تأخيرهم لماذا وامره بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين
كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم
شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار عام
للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة
اي انذرهم وخوفهم يوم يأتيهم العذاب المعهود وهو اليوم الذي وصف بما لا يوصف من الاوصاف الهائلة اعني
يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل وفيه بعد
القصر المستفاد فيقول الذين ظلموا اي فيقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار
بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وايثار صيغة الفاعل حسبما ذكرنا وللايذان بان الظلم في الجملة كاف في الافضاء
الى ما ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس من يعم
المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار ونقول لكل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الامم
الخالية فان اتيان العذاب يعمهم كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرسل ربنا اخرنا ردنا الى الدنيا وامهلنا الى اجل
قريب الى امد وحد من الزمان قريب نجب دعوتك اي الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك لنا على السنة الرسل
وفيه ايماء الى انهم صدقوهم في انهم مرسلون من عند الله تعالى ونتبع الرسل فيما جاؤنا به اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة

الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول عليه السلام واما
باعتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها اولم تكونوا اقسمتم
من قبل على اضمار القول معطوفا على فيقول اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ
ذاك بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها ما لكم من زوال عما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية او بالسنة
الحال حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد
زمان التأخير وبعد مداه او ما لكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلف
بالله ليخرجن وهو ادخل في التوبيخ من ان يقال ما لنا مراعاة لحال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رح
انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون
ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا
دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا
نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل
قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم الآية ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير
الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون
ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا ان
هو الا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا بك نعوذ
وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والايطان وانما استعمل بكلمة في
حيث قيل في مساكن الذين ظلموا انفسهم جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الذي حقه التعدية بها
او من السكون واللبث اي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم
بما لقيه الاولون بسبب ما اجترحوا من الموبقات وفي ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان
غائلة الظلم آيلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب
السابق بالمنذرين واما اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومهما للكل وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار حال اواخرهم
وتبين لكم بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم
والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت
هي عليه دلالة واضحة اي فعلنا العجيب بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننه وقرئ نبين وضربنا لكم الامثال اي
بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم السلام على تقدير عمومه
لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا
بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم ومآلكم على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل
فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلاث في موقع
الحال من ضمير اقسمتم اي اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم
ونبهناكم على جلية الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم حال من الضمير الاول في فعلنا بهم او
من الثاني او منهما جميعا وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اي فعلنا بهم ما فعلنا
والحال انهم قد مكروا في ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه
كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او قد مكروا مكرهم المذكور
في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة

وعند الله مكرهم أي جزاء مكرهم الذي فعلوه على أن المكر مضاف إلى فاعله أو آخذه تعالى بهم على أنه مضاف
إلى مفعوله وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا وذكرا أو لكونه في صورة المكر في الإتيان من حيث
لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما أفاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا أنه وعيد مستأنف والجملة حال
من الضمير في مكروا أي مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه أو ما هو أعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا
فعلا مع تحقق ما يوجب تركه وإن كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال أي وإن كان مكرهم
في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسويا ومعدا لإزالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة
المصدرة بإن الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم أو المكر الذي يحيق بهم إن لم يكن
مكرهم لتزول منه الجبال وإن كان الخ وقد حذفت ذلك حذفا مطردا لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فإن الشيء
إذا تحقق عند وجود المانع القوي فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما في إن الوصلية من التأكيد
المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل إن نافية واللام لتأكيدها كما في
قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وينصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم فالجملة حال من الضمير في مكروا
لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم أي مكروا مكرهم والحال أن مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على أنها عبارة
عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على أيدي الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال الراسية
في الرسوخ وأما كونها عبارة عن أمر النبي عليه السلام وأمر القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له إذ الماكرون هم المهلكون
لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وإن خص الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من إن والمعنى أنه كان مكرهم لتزول
منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات كما هي حال من ضمير مكروا أي مكروا مكرهم المعهود
وإن الشأن كان مكرهم لإزالة الآيات والشرائع على معنى أنه لم يكن يصح أن يكون منهم مكر كذلك فكأن الآيات
والشرائع مانعة من مباشرة المكر لإزالته وقد قرأ الكسائي لتزول بفتح اللام الأولى على أنها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة
حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم أي عنده تعالى جزاء مكرهم أو المكر بهم والحال أن مكرهم بحيث تزول منه الجبال
أي في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وإن كاد مكرهم وهذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم
وينساق إليه الطبع السليم وقد قيل إن الضمير في مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما أفاده قوله عز وجل وإذ يمكر بك
الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية وغيره من أنواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه
ح أن يكون قوله تعالى وقد مكروا الخ حالا من القول المقدر أي فيقال لهم ما يقال والحال أنهم مع ما فعلوا من الإقسام
المذكور مع ما ينافيه من السكون في مساكن المهلكين وتبين أحوالهم وضرب الأمثال مكروا مكرهم العظيم أي لم يكن اقتصارهم
عنهم مجرد الإقسام الذي يتجاوا به بل اجترؤوا على هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا حسبما
ذكرنا من قبل وقوله تعالى وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال المسوق لبيان عدم تفاوت الحال في تحقق الجزاء بين كون
مكرهم قويا أو ضعيفا كما مر هناك وعلى تقدير كون إن نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن أمر النبي أي قد
مكروا والحال أن مكرهم ما كان لتزول منه تلك الشرائع والآيات التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة
من المثقلة واللام مكسورة يكون حالا منه أيضا على معنى أن ذلك المكر العظيم منهم كان لمجرد الغرض على معنى أنه لم يكن
يصح أن يكون منهم مكر كذلك لما أن شأن الشرائع أعظم من أن يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى
وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله لم يرد به والله أعلم ما وعده
بقوله تعالى إنا لننصر رسلنا الآية وقوله تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي كما قيل فإنه لا اختصاص له بالتعذيب
لا سيما الأخروي بل ما سلف آنفا من وعده بتعذيب الظالمين بقوله تعالى إنما يؤخرهم الآية كما ينبئ عنه الفاء الداخلة
على النهي الذي أريد به تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بإنجاز وعده المذكور المقرون
بالأمر بإنذارهم يوم إتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الأمم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم

بعد ما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم في القرآن العظيم فكأنه قيل وإذ قد وعدناك بعذاب الظالمين
يوم القيامة وأخبرناك بما يلقونه من الشدائد وبما يسألونه من الرد إلى الدنيا وبما أجبناهم به وقرعناهم
بعدم تأملهم في أحوال من سبقهم من الأمم الذين أهلكناهم بظلمهم بعدما وعدنا رسلهم بإهلاكهم فدم على ما كنت
عليه من اليقين بعدم إخلافنا رسلنا وعدنا إن الله عزيز غالب لا يماكر وقادر لا يقادر ذو انتقام لأوليائه
من أعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة
لم يذيل بأن يقال إن الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصفي العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام
ما أشير إليه بالفعل وعبر عنه بالمكر يوم تبدل الأرض غير الأرض ظرف لمضمر مستأنف ينسحب عليه النهي
المذكور أي يجزيهم يوم الخ أو معطوف عليه نحو وارتقب يوم تبدل الأرض غير الأرض أو للانتقام وهو يوم يأتيهم
بعينه ولكن له أحوال جمة تذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتقييد به مع عموم انتقامه للأوقات كلها للإفصاح
عما هو المقصود به من تعذيب الكفرة المؤخر إلى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية إليه وقيل بدل من يوم
يأتيهم العذاب أو نصب باذكر أو بإضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الخ وفيه أيضا ما في الوجه الثالث
من الحاجة إلى الاعتذار ولا يجوز أن ينتصب بقوله مخلف وعده لأن ما قبل إن لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير
مانع لأن قوله تعالى إن الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يبالي بها فاصلة واعلم أن التبديل قد يكون
في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها وقد يكون في الصفات كما
في بدلت الحلقة خاتما إذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم على بعض الأقوال والآية الكريمة
ليست بنص في أحد الوجهين فعن علي كرم الله وجهه يبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود رضي
يبدل الأرض بأرض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي هي تلك الأرض
وإنما تغير صفاتها وأنشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السموات
بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا ويدل عليه ما روى أبو هريرة رضي عنه
صلى الله عليه وسلم قال تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتمد مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا والسموات
أي وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبديل الأرض لقربها منا ولكون تبديلها أعظم أثرا بالنسبة إلينا
وبرزوا أي الخلائق أو الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من أجداثهم التي في بطون الأرض
أو ظهورهم بأعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون أنها لا تظهر أو يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل إسناد البروز
إليهم مع أنه لأعمالهم للإيذان بتشكلهم بأشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول إلى صيغة الماضي للدلالة
على تحقق وقوعه أو حال من الأرض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو لله الواحد القهار للحساب والجزاء
والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة وإظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير
كونه ظرفا له وتحقيق إتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فإن الأمر إذا كان لواحد
غلاب لا يغالب وقهار لا يضار ولا يغالب كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة وترى المجرمين عطف على
برزوا والعدول إلى صيغة المضارع لاستحضار الصورة أو الدلالة على الاستمرار وأما البروز فهو دفعي
لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل ولا يجوز عطفه على عامل الظرف المقدر على تقدير
كونه يجزيهم يومئذ يوم إذ برزوا لله عز وجل أو يوم إذ يجزيهم مقرنين قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم
في الجرائم والجرائر أو قرنوا مع ما اقترفوا من العقائد الزائغة والملكات الردية والأعمال السيئة غب تصور
كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والأشكال الهائلة أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم وهو حال
من المجرمين في الأصفاد في القيود أو الأغلال وهو إما متعلق بقوله تعالى مقرنين أو حال من ضميره أي مصفدين
سرابيلهم أي قمصانهم من قطران جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين أو من ضميرهم في مقرنين

قوله تعالى كيف فعلنا بهم

بإبطالها الضمير فقط كما في كلمته نوح الي في او مستأنفة والقطران ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى
فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد يصل حرارته الي الجوف وهو اسود منتن فيه اشتعال النار يطلى به
جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعه وحرقته واسراع
النار في جلودهم واللون الموحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين لا يكاد يتقادر فكل
ما نشاهده منهما اسماء مسمياتها في الآخرة فبكرمه العميم نعوذ وبكنفه الواسع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك
تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيآت الوحشية فيجلب اليها الآلام والغموم بل ولعله يكون
عين ما لابسوه في هذه النشأة وجعلوه شعارا لهم من العقائد الباطلة والاعمال السيئة المستجلبة لفنون العذاب
قد تجسدت في النشأة الآخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه
وقرئ من قطر آن اي نحاس مذاب متناه حره **وتغشى وجوههم النار** اي تعلوها وتحيطها النار التي تمس جسدهم
المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة واشرفها
كقوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب الخ ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا
عنه ولم يستعملوها في تدبره كما ان الفؤاد اشرف الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤوها بالجهالات ولذلك قيل
تطلع على الافئدة او لخلوها عن القطران المغني عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف
الحيا او يتضاعف عذابهم بالخزي على رؤوس الاشهاد وقرئ تغشى اي تتغشى بحذف احدى التاءين والجملة نصب
على الحالية لا على ان الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على انها معطوفة على الحال قاله ابو البقاء **ليجزي الله** متعلق
بمضمر اي يفعل بهم ذلك ليجزي **كل نفس** مجرمة **ما كسبت** من انواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بان
جزاءهم مناسب لاعمالهم او بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الخ
اعتراض بين المتعلق والمتعلق به اي برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة او عاصية ما كسبت من خير او شر وقد اكتفى
بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة **ان الله سريع الحساب** اذ لا يشغله
شأن عن شأن فيتمه في اعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه او سريع المجيء يأتي عن قريب او سريع الانتقام كما قال
ابن عباس رضي في قوله تعالى وهو سريع الحساب **هذا** اي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب
بلاغ كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة الي ما انطوت عليه السورة الكريمة او كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع
للناس للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وانذر الناس او لهم وللمؤمنين كافة على ان يعم الانذار
ايضا وان كان ما شرح مختصا بالظالمين **ولينذروا به** عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ اي كفاية لهم في ان
ينصحوا او ينبغ عليه او هذا بلاغ لهم لينصحوا ولينذروا به على ان البلاغ بمعنى الابلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول
الا البلاغ او متعلقة بمحذوف اي ولينذروا به انزل او تلي وقرئ لينذروا به من نذر بالشيء اذا علمه وحذره واستعد له
وليعلموا بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي اهلاك الامم واسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق وحق
انما هو اله واحد لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداعي الي التأمل المؤدي الي ما هو غاية له من العلم المذكور
والتذكر في قوله تعالى **وليذكر اولوا الالباب** اي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله
عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد
الحقة والاعمال الصالحة وفي تخصيص التذكر باولي الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه
بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما سبق للمؤمنين ايضا فان فيه ما يفيدهم
فائدة جديدة وحيث كان ما يفيده من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الي الكفرة امرا حادثا وبالنسبة
الي اولي الالباب الثابت على ذلك حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه
من الختم بالحسنى والله سبحانه اعلم ختمنا الله بالسعادة والحسنى ومتعنا النظر بوجهه الكريم في الاولى والعقبى آمين

عن النبي عليه السلام من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد والحمد لله وحده

سورة الحجر مكية احدى وتسعون آيات

الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد لخواتها **تلك** اشارة اليه اي تلك السورة العظيمة الشأن **آيات الكتاب**
الكامل المعهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الاطلاق اي بعض
مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل اذ ذاك اذ هو المتسارع الي الفهم عند الاطلاق
وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما اضيفت اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ هي في
بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل
تلك اشارة الي كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد **وقرآن** اي قرآن عظيم الشأن **مبين** مظهر لما
في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولعل في تنكيره التفخيم
مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية على طريقين احدهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكانه
كلها والثانية طريقة كونه ممتازا عن غيره نسيج وحده بديعا في بابه خارجا عن دائرة البيان واخرت الطريقة الثانية لما ان
الاشارة الي امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب ادخل في المدح كيلا يتوهم
من اول الامر ان امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتمال على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة
وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سيذكر هناك ولما بين كون السورة
الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن للتوجيه الخاطبين الي حسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ شرع
في بيان ما تضمنته فقيل **ربما** بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وبفتح الراء مخففا وبزيادة التاء
مشددا وفيه ثماني لغات فتح الراء وضمها مشددا ومخففا وبزيادة التاء ايضا مشددا ومخففا ورب حرف جر
لا يدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله على قوله تعالى **يود الذين**
كفروا لما ان المترقب في اخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكانه قيل ربما ود الذين كفروا اي اذا دكرتهم بالكتاب
والقرآن وبكونه من عند الله تعالى **لو كانوا مسلمين** منقادين لحكمه ومذعنين لامره وفيه ايذان بان كفرهم انما كان
بالجحود بعدما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيامة او عند معاينتهم حالهم وحال المسلمين او عند
رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار روي ابو موسى الاشعري انه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة
واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا
فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الي النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله تعالى لهم بفضل رحمته
فيأمر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس
رضي انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق
ان ذلك محمول على شدة ودادتهم واما نفس الودادة فليست مختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل
آن يمر عليهم وان المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وانما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون
به الافراط فيما يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي
فارسا وعنده مقانب جمة من الكتائب وقصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد
وابراز انه ممن يقلل لعلو الهمة كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وهذه طريقة انما تسلك اذا كان الامر من الوضوح
بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار اليه هضما للحق اي بمدحق التكلم فدل النظم الكريم على ودادة الكافرين
للاسلام في كل آن من آنات اليوم الآخر ولكن ذلك عن الظهور بحيث لا يشتبه على احد ولو جيء بكلام يدل على ضده

وعلى ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة ما
الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا الآية وانهما بالى الاشعار
بان من شأن العاقل اذا عن له امر يكون مظنون الحمد او قليلا ما يكون كذلك ان لا يفارقه ولا يتارفضه فكيف اذا كان
متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود
لا متيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم او يقل وقوعه فيه فكيف بقطعي الوقوع
وانه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء
عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم
يودونه كل آن وهذا اوفق بمقام استنزالهم عما هم عليه من الكفر وهذا بطريقان متمايزان ذاتا ومقاما فمن خلطهما فقد
نأى عن توفية المقام حقه ذرهم دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك وبالغ
في تخليتهم وشأنهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطونه يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل
تمتع البهائم بالمآكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك او تمتعهم بلا استماع ما ينغص
عيشهم من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح ان يكون مترتبا على تخليتهم وشأنهم ويلههم
ويشغلهم عن اتباعك وعن التفكر فيما هم يصيرون اليه او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع يفضيان الى ذلك
الامل والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة والمآل الا خيرا فالافعال
الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما عرفت من تضمن الامر بالترك الامر بها على طريقة المجاز او على ان يكون المراد
بالافعال المرقومة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها اصلا ولا ريب في ترتب ذلك
على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم فامره عليه السلام بتركه
ليتمرغوا فيما هم فيه من حظوظهم فيدهمهم ما يدهمهم وهم عنه غافلون فسوف يعلمون سوء صنيعهم او وخامة
عاقبته او حقيقة الحال التي الجأتهم الى التمني المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وهو مع كونه وعيدا اي
وعيد وتهديدا غب تهديد تعليل للامر بالترك فان علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة
ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق الامر بالضد الا بعد تكرر الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما ترتب عليه
من الاكل والتمتع والالهاء وما اهلكنا شروع في بيان سر تأخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة
في تعجيل العذاب اي ما اهلكنا من قرية من القرى بالخسف بها وباهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلها
غب اهلاكهم كما فعل باخرى الا ولها في ذلك الشأن كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث
لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له معلوم لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم
والتأخر فكتاب مبتدأ خبره الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تأكدها بكلمة من في حكم الموصوفة
كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا حال ان يكون لها كتاب اي اجل موقت
لمهلكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر او مرتفع بالظرف
والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب اي اجل
مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة
على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة اي ما اهلكنا قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله
تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه يأبى على
انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام من شيء
من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بجملة الا كما توهم ولما توسط الواو بينهما
وان كان القياس عدمه فللايذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شأنها الجمع والربط فان ما

عن فيه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها بدونه في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى
انها كما لا يهلك قرية كائنة ما كانت الا بعد الانذار عادة جرت عليه السنة الالهية ولما بين ان الامم المهلكة
كان لكل منهم وقت معين في الهلاك [illegible] مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من الامم منهم
لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقيل ما تسبق من امة اجلها من الامم المهلكة وغيرهم اجلها المكتوب
في كتابها اي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها او لا تمضي امة قبل مضي اجلها فان السبق اذا كان واقعا على زماني
فمعناه المجاوزة والتخلف فاذا قلت سبق زيد عمرا فمعناه انه جاوزه وخلفه وراءه واذا كان واقعا
على زمان كان الامر بالعكس والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه المكاني من الزمان فالسابق
ما تقدم الى المقصد وايراده بعنوان الاجل اعتبارا بما يتضمنه من السبق كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم
باعتبار ما يوجبه من الاهلاك وما يستأخرون اي ما يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم
عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعد نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان
دوامها واستمرارها فيما بين الامم الماضية والباقية واسنادهما الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما
ان السبق والاستئخار حال الامة دون القرية مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت عقوباتهم
الى الآخرة وتأخير ذكر عدم تأخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما
باعتبار تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان المراد بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد
الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ورعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة
مبينة لما سبق ومعنى ان تأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اشير اليه [illegible]
بتركهم وشأنهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتأخير اجلهم المقدر لما نيط بتحقيقه من الحكم ومن جملتها ما علم
الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة وقالوا شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان
كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركوا مكة لغاية تماديهم في العتو والعناد والغي يا ايها الذي
نزل عليه الذكر خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به عليه السلام
واشعارا بعلة حكمهم الباطل في قولهم انك لمجنون كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
يعنون يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك الدعوى او بشهادة ما يعتريك
عند ما تدعي انه ينزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان انكارهم متوجه الى كون المنزل
ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى لولا انزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه رسول الله تعالى وايراد الفعل على صيغة
المجهول لايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل او لتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى استناده الى الفاعل
لوما تأتينا كلمة لو عند تركبها مع ما تفيد ما تفيده عند تركبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى
التحضيض خلا انه عند المبرد لا يليها الا فعل ظاهرا او مضمر وعند ارادة المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهر
او مقدر عند البصريين والمراد بها هو الثاني اي هلا تأتينا بالملائكة ليشهدوا بصحة نبوتك ويعضدوك
في الانذار كقوله تعالى لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يعاقبونا على التكذيب كما تأتي الامم المكذبة
لرسلهم ان كنت من الصادقين في دعواك فان قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك
اليه في تمشية امرك فانا لا نصدقك بدون ذلك او ان كنت من جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت اممهم
المكذبة لهم ما ننزل الملائكة بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل على صيغة البناء للمفعول
من التنزل بحذف احدى التائين وماضيا مسندا ومن التنزيل ومن الانزال وهو كلام مسوق من جهته تعالى جوابا
لهم عن مقالتهم المحكية ورد لاقتراحهم الباطل وكلمة استدعائهم ذلك الجواب فقدم [illegible]

اعني قوله انا نحن نزلنا الذكر الاية كما فعل في قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله ان شاء مع كونه جوابا عن قولهم فأتنا
بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الاية مع كونه جوابا عن اول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما
ذكر من شدة اقتضاء ايه للجواب وليكون احد الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال كل من الجوابين
عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو ان يقال ما نأتيهم بهم للايذان بانهم قد اخطؤا
في التعبير حسبما اخطؤا في الاقتراح وان الملائكة لعلو رتبتهم اعلى من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان الذي هو الانتقال
من احد الامكنة المتساوية الى الاخر منها بل من الاسفل الى الاعلى وان يكون مقصد حركاتهم اولئك الكفرة وان
يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذي يليق بشأنهم النزول من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق
التنزيل من جناب الرب الجليل الا بالحق اي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجري
به السنة الالهية كقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل
لاجل الشهادة لديهم وهم هم ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة اصلا
فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الانبياء الكرام من افراد كمل المؤمنين فكيف على امثال
اولئك الكفرة اللئام وانما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستيصال كما فعل
باضرابهم من الامم السالفة ولو فعل ذلك لاستوصلوا بالمرة وما كانوا اذا منظرين جزاء للشرط مقدر وفيه
ايذان بانتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا قال صاحب النظم لفظة
اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول اتيتك اذ جئتني اي حين جئتني ثم ضم اليه ان فصار اذ ان ثم استثقلوا
الهمزة فحذفوها فمجيء ان دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ كان ما طلبوه منظرين والمعنى لو نزلنا
ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الامم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتأخير عذابهم
الى يوم القيمة حسبما اجمل في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل لما ان حائل الحكمة بينهم وبين استيصالهم
لتعلق العلم والارادة بازدياد عذابهم وبايمان بعض ذراريهم واما نظم ايمان بعضهم في سمط الحكمة فيأباه
مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد وهذا هو الذي يستدعيه اعجاز التنزيل الجليل واما
ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من انهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار وانه لا حكمة في ابانة
صور يتشاهدونها فانه لا يزيدهم الا لبسا او ان انزال الملائكة لا يكون الا بالحق وحصول الفائدة
بانزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار انه لو انزل اليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير
انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فمع اخلال كل من ذلك بقطعية النظم الكريم لا يلزم من فرض وقوع شيء من ذلك
تعجيل العذاب الذي يفيده قوله تعالى وما كانوا اذا منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لاتيان الملائكة
لاجل الشهادة واما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انا ما ننزل الملائكة للتعذيب الا تنزيلا ملتبسا
بالحق الذي تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة حتما بحيث لا محيد عنه ولو نزلناهم حسبما اقترحوا لما كان
ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم الى يوم القيمة لارتفاعهم بل لتشديد ما عليهم كما مر من قبل
وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقة الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه
الظاهر الى ما عليه النظم الكريم فكانه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير
عذابهم لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم
التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له اي نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر
الذي انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء
الى انه امر لا مصدر له وفعل لا فاعل له وانا له لحافظون من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له
واستهزاؤهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين واما الحفظ عن مجرد التحريف والزيادة والنقص

واما انها فليس بمقتضى المقام فان وجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته
ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص
والاختلاف وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى وفي ايراد
الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول صلى الله عليه وسلم كقوله
تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل وردا لما ذكر انفا ولما
عما يعقبه من قوله تعالى ولقد ارسلنا اي رسلا وانما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه من قبلك متعلق بارسلنا او
بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اي رسلا كائنة من قبلك في شيع الاولين اي فرقهم واحزابهم جمع شيعة
وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه اذا تبعه واضافته الى الاولين من اضافة الموصوف
الى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين اي شيع الامم الاولين ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل
منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي ويذر من امور الدين وما يأتيهم من رسول المراد نفي
اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفي اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعا او على سبيل البدل
وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب
على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال اي ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول
خاص بها الا كانوا به يستهزءون كما يفعله هؤلاء الكفرة والجملة في محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير
المفعول في يأتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه او في محل الرفع على انها صفة رسول فان محله الرفع على الفاعلية
اي الا رسول كانوا به يستهزءون واما الجر على انها صفة باعتبار لفظه فيفضي الى زيادة من الاستغراقية في الاثبات
ويجوز ان يكون منصوبا على الوصفية بان يقدر الموصوف منصوبا على الاستثناء وان كان المختار الرفع
على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان هذه عادة الجهال مع الانبياء عليهم الصلوة والسلام
وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالكتاب ولذلك قيل كذلك
اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي مقرونا بالاستهزاء اي مثل ذلك السلك الذي سلكناه
في قلوب اولئك المستهزئين برسلهم وبما جاءوا به من الكتب نسلكه اي الذكر في قلوب المجرمين اي اهل مكة او
المجرمين فيدخلون فيه دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال منه اي نسلكه سلكا مثل
ذلك السلك او نسلكه السلك حال كونه مثله اي مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما يقتضيه الحكمة فانهم من اهل
الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدما في الوجود وهو السلك الواقع
في الامم السالفة او للدلالة على استحضار الصورة والسلك ادخال الشيء في اخر يقال سلكت الخيط في الابرة
والرمح في المطعون لا يؤمنون به اي بالذكر حال من ضمير نسلكه اي غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا محل
لها وقد جعل الضمير للاستهزاء وتعين البيانية الا ان يجعل الضمير المجرور ايضا له على ان الباء للملابسة اي
نسلكه الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال اما مقدرة او مقارنة للايذان بان كفرهم
مقارن للالقاء كما في قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الاولين اي قد مضت طريقتهم
التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استئناف جيء به تكملة للتسلية
وتصريحا بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم اي على هؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء اي بابا ما لا
معهودة من ابوابها كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود اليه فظلوا فيه في ذلك الباب يعرجون بالة او بغيرها
فيرون ما فيها من العجائب عيانا كما يفيده الظلول او فظل الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون في ذلك الباب
وهم يرونهم عيانا مستوضحين طول نهارهم لقالوا لغلو عنادهم وغلوهم في المكابرة وتماديهم عن قبول الحق انما
سكرت ابصارنا اي سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف او حيرت كما يعضده قراءة

من وراء سكرت اي حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوه عند ظهور سائر الآيات
الباهرة وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك وان ما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر خيل
اليهم بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغير ما يرونه
فان عروج كل منهم الى السماء وان كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار فهم يدعون
ان ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار ولقد جعلنا في السماء بروجا قصورا ينزلها السيارات وهي
البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيآت والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور
من بساطة السماء والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو
مفعول ثان له متعلق بمحذوف اي جعلنا بروجا كائنة في السماء وزيناها اي السماء بتلك البروج المختلفة
الاشكال والكواكب سيارات كانت او ثوابت للناظرين اليها معتبرين او للمتفكرين المعتبرين المستدلين
بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة وحفظناها من
كل شيطان رجيم مرمي بالنجوم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس في اهلها ويتصرف فيها ويقف على احوالها الا
من استرق السمع محله النصب على الاستثناء المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الاطلاق
والوقوف على ما فيها في الجملة او المنقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها عن ابن عباس رض انهم كانوا
لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات ولما ولد النبي صلى الله عليه وسلم منعوا
من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة
في الجوهر او بالاستدلال من الاوضاع فاتبعه اي تبعه ولحقه شهاب لهب محرق وهي شعلة نار ساطعة وقد
يطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق مبين ظاهر امره للمبصرين قال معمر قلت للزهري أكان
يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم وان النجم ينقض ويرمى به الشياطين فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق السمع ثم
يعود الى مكانه قال أفرأيت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية قال غلظت وشدد امرها حين بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد
مبعثه عم قال ابن عباس رض ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة
فيرمون بالكواكب فلا يخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله تعالى ومنهم
من تخبله فيصير غولا فيضل الناس في البوادي قال القرطبي اختلفوا في ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس
يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال والاول اصح والارض مددناها بسطناها وهو
بالنصب على الحذف على شريطة التفسير ولم يقرأ بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعني قوله
تعالى ولقد جعلنا الخ وكذا فيما بعده اعني قوله والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر بيانه في فواتح الرعد وانبتنا
فيها اي في الارض او فيها وفي رواسيها من كل شيء موزون بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو
الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء مستحسن مناسب ما بوزن وتقيد من ابواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش
ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل ومن
لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال
والمماليك والخدم والدواب وما اشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم
وليحققوا ان الله تعالى يرزقهم واياكم او وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شيء ان للنفي ومن مزيدة
للتاكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء اي ما من شيء من الاشياء الممكنة فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا الا عندنا
خزائنه الظرف خبر للمبتدأ وخزائنه مرتفع به على انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر المبتدأ الاول والخزائن جمع
الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفايس الاموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن ارزاق الناس شبهت

تحقيقه في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة

علي اراد بالقطان ما يعم الكواكب

مقدوراته تعالى الفائتة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول
ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها متهيأة متأتية لايجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها
وجدت بلا تاخر بنفايس الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية وما ننزله
اي ما نوجد وما نكون شيئا من تلك الاشياء ملتبسا بشيء من الاشياء الا بقدر معلوم اي الا ملتبسا بمقدار معين تقتضيه
الحكمة وتستدعيه المشية التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود
دون ما عدا ذلك مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما
اختص به وهذا البيان سر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما هو في خزائن القدرة وهو ما عطف على مقدر اي ننزله
وما ننزله الا لبيان احسان لما سبق اي عندنا كل شيء والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول بيان لسعة القدرة والثاني بيان
لبالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من
الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع الدالة على الاستمرار وارسلنا
الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق اي ارسلنا الرياح لواقح
اي حوامل شبهت الريح التي تجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات
بالشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح اي المهلكات وقرئ وارسلنا الريح
على ارادة الجنس فانزلنا من السماء بعد ما انشانا بتلك الرياح سحابا ماطرا ماء فاسقيناكموه اي جعلناه لكم
سقيا وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤا وما انتم
له بخازنين نفي عنهم ما اثبته لجنابه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه
في السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين له بعد ما انزلنا في الغدران والآبار والعيون
بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء تقتضي الغور وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام
القابلة لها ونميت بازالتها عنها وقد يعم الاحياء والاماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما
تاكيد للاول او مبتدا خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لان اللام مانعة عن ذلك كما قيل
فان النحاة جوزوا دخول لام التاكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى وان هذا لهو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين
ونحن الوارثون اي الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي الحاكمون
في الكل اولا واخرا وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي وفيه تنبيه على ان المتاخر ليس بوارث للمتقدم
كما يتراءى من ظاهر الحال ولقد علمنا المستقدمين منكم من تقدم منكم ولادة وموتا ولقد علمنا المستاخرين
من تاخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق
الى الطاعة ومن تاخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان
ما يدل على قدرته دليل على علمه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التاكيد وقيل رغب رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتاخر آخرون ليروها فنزلت والاول هو المناسب
لما سبق ولما لحق من قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم اي للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه
هو القادر على حشرهم والمتولي له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام
وهي رميم اي هو يحشرهم لا غير وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم وفي الاضافة الى
ضميره عم دلالة على اللطف به عليه السلام انه حكيم بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق
الاشياء على ما هي عليه والاتيان بالافعال على ما ينبغي عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان
باقتضائها للحشر والجزاء ولقد خلقنا الانسان اي هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا

فان ذلك غير متناه ح

بديعا منطويا على خلق سائر افراده انطواء اجماليا كما مر تحقيقه في سورة الانعام من صلصال من طين يابس
غير مطبوخ يصلصل اي يصوت عند نقره قيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو
صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حمإ من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال
اي من صلصال كائن من حمإ مسنون اي مصور من سنة الوجه وهي صورته او مصبوب من سن الماء صبه اي
مفرغ على هيئة الانسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب وقيل منتن فهو صفة لحمإ وعلى الاولين حقه
ان يكون صفة لصلصال وانما اخر عن حمإ تنبيها على ان ابتداء مسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في حال
كونه حمأ كانه سبحانه افرغ الحمأ فصور من ذلك تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صوت ثم غيره الى جوهر
آخر فتبارك الله احسن الخالقين والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان
لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وقرئ بالهمزة وانتصابه
بفعل يفسره خلقناه وهو اقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية من قبل من قبل خلق الانسان ومن هذا
يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين احد الثقلين وبالمستأخرين الآخر والخطاب بقوله منكم من نار السموم
من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر
المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي غالب اجزائها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي غالب اجزائها الجزء
الارضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب وسياق الآية الكريمة كما هو للدلالة
على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر
وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من انه ادخل
في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعار بعلة الحكم وتشريف له صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت قوله تعالى للملائكة اني
خالق فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه
ولا عاطف يلويه بشرا اي انسانا قيل ليس هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر ان يكون قد قيل لهم
اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا
بادي البشرة بلا صوف ولا شعر من صلصال متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اي بشرا كائنا من
صلصال كائن من حمإ مسنون تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين فان
عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد ولما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم
التعرض لذلك عند وقوع المحكي غايته انه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح ههنا فاذا سويته اي صورته بالصورة
الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح
الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة
القابلة لها اي فاذا اكملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري فقعوا له امر
من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين تحية له وتعظيما
او اسجدوا لله تعالى على انه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله عنه
أليس اول من صلى لقبلتكم واعلم الناس بالقرآن والسنن فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد
له الملائكة كلهم بحيث لم يشذ منهم واحد اجمعون بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة
هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان فيه معنى الجمع بحسب الوضع
والاصل في الخطابيات التنزيل على اكمل احوال الشيء ولا ريب في ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع
استعماله تأكيدا واقيم مقام كل في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ آخر

او مكون كما يدل عليه خلقنا منه

وان امكن كونه صفة لها اي مع ذاته المصورة والنفخ منه

لم يكن بد من مراعاة الاصل صيانة للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم فلا واما ان سجودهم بدا
هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والآية التي في سورة ص او على الامر التنجيزي كما
يستدعيه ما في غيرهما وقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه في تفسير سورة البقرة الا ابليس استثناء متصل
اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسا يتوالدون
وهو منهم وقوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء
فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء والاستكبار او منقطع فيتصل به ما بعده
اي لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث ادمج في معصية واحدة ثلث معاص
مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك
المقربين الكرام قال استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال يا ابليس ما لك
اي اي سبب لك لا اي غرض لك كما قيل لقوله تعالى ما منعك الا تكون في ان لا تكون مع الساجدين لآدم
مع انهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم ومكان التوبيخ عدم توقع مجرد تخلفه عنهم بل تحلله من المعاصي الثلث المذكورة
قال تعالى في سورة الاعراف قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك وفي سورة ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة من
المعاصي الثلث كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة
بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال اي ابليس وهو ايضا استئناف مبني على السؤال الذي ينساق اليه الكلام
لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفي اي ينافي حالي ولا يستقيم مني لاني مخلوق من اشرف العناصر واعلاها ان اسجد
لبشر اي جسم كثيف خلقته من صلصال من حمإ مسنون اقتصر ههنا على الاشارة الاجمالية الى ادعاء الخيرية وترك ذكر
المادة اكتفاء بما صرح به حين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف بالغير(؟) بمجرد ذكر
كونه عليه السلام من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا في اخس احواله من
كونه طينا متغيرا وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه ههنا فاقتصر حكاية تعرضه لخلقه عليه السلام
من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قال أأسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل على ان قوله تعالى ما لك
ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب في عدم [illegible] تطبيق جوابه على السؤال رد للتقصي
عن المناقشة وانى له ذلك كانه قال لم امتنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عما لا يليق
بشأني من الخضوع للمفضول ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم مدل على ان ما يدور عليه فلك
الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي اقبحها التكبر والاستعصاء
على رب العالمين جل جلاله قال فاخرج منها اي من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فان وسوسته
لآدم عليه السلام في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصا في ذلك فان الخروج من
الملأ الاعلى هبوط واي هبوط او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري
او بطريق المشافهة بعد ان احتال في دخولها وتوسل اليها بالحية كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي هذا الطرد
على رؤوس الاشهاد لما تقتضيه من الحكمة البالغة فانك رجيم مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة
او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون
وان عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جاريا على السنة العباد
قيل في سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتأخير عقابه وجزائه
اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعلته وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف
وجعل ذلك اقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع هناك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من افانين العذاب

تقصير بها كالزائد وقيل انما حدث به لانه ابعد غاية يفضي اليها الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت
السموات والارض وحيث امكن كون تأخير العقوبة في الموت كسائر من اخرت عقوباتهم الى الآخرة من الكفرة طلب
اللعين تأخير موته كما حكي عنه بقوله تعالى قال فانظرني اي امهلني واخرني ولا تمتني والفاء متعلق بمحذوف
ينسحب عليه الكلام اي اذا جعلتني رجيما فامهلني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك
ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين
ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله الآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل
على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين
اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار
المذكور به كما في قولك فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما فيه تعالى من الاهلية البديعة
بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت
اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك من اخرت عقوبتهم الى الآخرة في علم الله
تعالى بمن سبق من الجن والحق من الثقلين لا يلائم مقام الاستنظار مع الحياة ولان ذلك التأخير معلوم من اضافته
الى التقييد مع اضافته في السؤال الى البعث كما عرفته وفي سورة الاعراف قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين
بترك التوقيت والتداول والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفي سورة ص فان ايراد كلام
على اساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام
يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام المحاورة ان
اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة
فضلا عن الارتقاء الى معالم الاعجاز وقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالى في سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم
وهو وقت النفخة الاولى التي علم انه يصعق عندها من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان
يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف في العبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين
لما ذكر من الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر ولاستيثاره تعالى بعلمه فلعل كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم
وجزائهم في يوم واحد يموت اللعين في اوله ويبعث في اواسطه ويعاقب في بقيته روي ان بين موته وبعثه
اربعين سنة من سني الدنيا مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس رح انه قال قدمت المدينة اريد
امير المؤمنين عمر رضي الله عنه فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عم
الوفاة قال يا رب سيشمت بي عدوي ابليس اذا رآني ميتا وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب ان يا آدم انك سترد الى الجنة
ويؤخر اللعين الى النظرة ليذوق الم الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما
قال يا رب حسبي فضج الناس فقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فأبى فالحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب النفخة
الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات السبع واهل الارضين السبع واني البستك اليوم اثواب السخط والغضب كلها
فانزل بغضبي وسطوتي على رجيمي ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والآخرين من الثقلين اضعافا
مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلأوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل
جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران
فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول
قف لي يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين
الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو بين عينيه فيغوص البحار فتنزو منه فلا تقبله
فلا يزال يهرب في الارض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم عليه السلام ويتمرغ في التراب

من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي اهبط فيه آدم عليه السلام وقد نصبت
له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمرة واحتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب
الى حيث شاء الله تعالى ويقال لآدم وحواء اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما
هو فيه من شدة فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية والجواب لازينن
لهم اي اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد
الى الارض واقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها واثر من آثارها
فلعله اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه بهذا واخرى بذلك او للسببية وقوله لازينن جواب قسم محذوف والمعنى
بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نظير ما فعلت بي من التسبيب باغوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الاباطيل
والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الاغواء او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او اعتذروا
عن امهال الله تعالى وتمكينه له على اغواء بني آدم بانه تعالى قد علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون
الى النار امهل ام لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب ولاغوينهم اجمعين لاحملنهم
على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم بطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي
وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم لله عز وجل قال هذا صراط علي اي حق علي ان اراعيه مستقيم
لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق يؤدي
الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال والاظهر ان ذلك لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم
ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الآية وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي وهم المشار اليهم بالمخلصين ليس لك
عليهم سلطان تسلط وتصرف بالاغواء الا من اتبعك من الغاوين وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم
لشأن المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق
اتباعهم له بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم اي موعد المتبعين او الغاوين والاول انسب وادخل في الزجر
عن اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان الموعود مما لا يوصف في الفظاعة اجمعين تأكيد للضمير او حال
والعامل فيها الموعد ان جعل مصدرا على تقدير المضاف ومعنى الاضافة ان جعل اسم مكان لها سبعة ابواب
يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم من الاتباع او الغواة جزء مقسوم حزب معين مفرز من غيره حسبما
يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس
والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة
لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات
بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ جز بحذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي
مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء او من ضميره في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم
موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون اي مستقرون فيها
خالدين لكل واحد جنة وعين او لكل منهم عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين
حيث وقع في القرآن العظيم ادخلوها على ارادة القول امر من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امر الله
تعالى الملائكة بادخالهم وقرئ ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضي ولا كسر التنوين بسلام
اي سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل اي حقد كان في الدنيا
وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اخوانا حال من
في آمنين او الضمير في الظرف والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز

كونهما صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول وعن مجاهد
تدور بهم الاسرة حيث ما داروا فهم متقابلون في جميع احوالهم لا يمسهم فيها نصب اي تعب بان لا يكون لهم
فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم
ذلك وان باشروا الحركات العنيفة بكمال قوتهم وهو استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما
هم منها بمخرجين ابدا لان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي وهم الذين عبر عنهم بالمتقين اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة اشعار بان ليس
المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب
ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف على نبئ عبادي والمقصود
اعتبارهم بما جرى على ابراهيم عم من البشرى في تضاعيف الخوف وعلى اهل قوم لوط من العذاب ونجاته عليه السلام
مع اهله التابعين له في ضمن الخوف وتنبيههم على طول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب
الاليم عن ضيف ابراهيم عن ابن عباس رض انهم جبرئيل عم وملكان معه وقال محمد بن كعب جبرئيل وسبعة معه وقيل
جبرئيل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا احد عشر على صور الغلمان
الوضاء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين
الى ابراهيم عم بل الى قوم لوط حسبما ياتي ذكره اذ دخلوا عليه نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اي واذكر وقت دخولهم
عليه او خبر مقدر مضاف الى ضيف اي خبر ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه مصدر في الاصل
فقالوا عند ذلك سلاما اي نسلم سلاما او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون اي خائفون فان الوجل اضطراب
لتوقع مكروه قاله عم حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان المعتاد عندهم انه اذا نزل بهم ضيف فلم ياكل
من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة
فلا مجال لكون خوفه عم بسبب دخولهم بغير اذن او بغير وقت اذ لو كان كذلك لاجابوا بما اجابوا به ولم يتصد عليه السلام
لتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع الا يرى الى انه لم يذكر ههنا رده عم لسلامهم
قالوا لا توجل لا تخف وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله اي اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك
استيناف في تعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه
وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا بغلام هو اسحق عم لقوله تعالى وبشرناه باسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة
يعقوب عليه السلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود عليم اذا بلغ وفي موضع آخر بغلام حليم قال ابشرتموني على ان
مسني الكبر تاثر وتعجب عم من بشارتهم بالولد في حالة مباينة للولادة وزاد في ذلك فقال فبم تبشرون اي باي
اعجوبة تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء او باي طريقة تبشرونني وقرئ بتشديد
النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية قالوا بشرناك بالحق اي بما يكون لا محالة او باليقين الذي
لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو امر الله تعالى وقوله فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فان الله تعالى
قادر على ان يخلق بشرا بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصوده عم استعظام نعمته
تعالى عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته
سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين او نحوه قال ومن يقنط استفهام
انكاري اي لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريقة المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته
وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عم لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على ابلغ
وجه اي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض
لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجلالة وقرئ بضم النون وكسرها من قنط بالفتح ولم يكن هذه المفاوضة من الملائكة

مع ابراهيم عم خاصة بل مع سارة ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه
لم يذكر ههنا هناك اكتفاء بما ذكر ههنا قال اي ابراهيم عم وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله فما خطبكم اي
امركم وشانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون مع ان بينهما مقالة منطوية لم يشر
به الى مكانها كما في قوله تعالى قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الآية فان قوله الاخير
ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم فان توسط قال بين قوليه للايذان بعدم
اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليهم السلام بعنوان الرسالة بعد ما كان خطابه
السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المنطوية كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة
بل لهم شان آخر لاجله ارسلوا فكانه قال عليه السلام ان لم يكن شانكم مجرد البشارة فماذا هو فلا حاجة
الى ان علمه عليه السلام بان كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدة والبشارة لا تحتاج الى العدد
ولذلك اكتفي بالواحد في ذكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود
لابتدأوا بها فتامل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء بهم بطريق التنكير
ذما لهم واستهانة بهم الا آل لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا جميعا الا آل لوط فالقوم
والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين وننجي
الآخرين ويدل عليه قوله تعالى انا لمنجوهم اي لوطا وآله اجمعين اي مما يصيب القوم فانه استيناف للاخبار
بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون حالا بين
بين وللتعليل فان من تعلق بهم التنجية بمعزل من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل بآل
لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير
خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين اي الباقين
مع الكفرة لتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاصه بافعال القلوب لتضمنه
معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قولا واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم له الى انفسهم
وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين
وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان
مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط وان ما
حكي عنهم بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون انما قاله عم بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به
العلل لما شاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد ومعاناته المكايد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون
ما نبوا عن المعتاد والمعهود من الاغاثة والامداد فيما ياتي ويذر عند تحمله في تخليصهم انكارا لخذلانهم له وترك نصرته
في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان
قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد حسبما فصل في سورة هود لا انه قال عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه
بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكي بقوله تعالى قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بالعذاب الذي كنت
تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد قشروا العصا وبينوا له عم جلية الامر فاني يمكن ان يعتريه بعد ذلك
المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب الخطاب المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله
بما يسرك وتربه غيظك بل هي اضراب عما فهمه عم من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم
بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقاولة على ما
جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة لوط عليه السلام باهلاك قومه وتنجية آله
عقيب ذكر بشارة ابراهيم عم بهما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك اجمالا

ثم ذكر فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في مواقع أخر وشبه المجيء بالعذاب إليه
عليه السلام مع أنه نازل بالقوم بطريق تفويض أمره إليه لا بطريق نزوله عليه كأنهم جاؤه به وفوضوا أمره إليه
ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به وأتيناك بالحق أي باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء فيه والشك
وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء عنه والمراد بالحق الإخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله
تعالى وإنا لصادقون تأكيد له أي أتيناك فيما قلنا بالخبر الحق أي المطابق للواقع وإنا لصادقون في ذلك الخبر أو
في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الأول تأكيد وقوله فأسر بأهلك شروع في ترتيب مبادي النجاة أي
اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير بقطع من الليل بطائفة
منه أو من آخره قال فتى ألا يا انظري في النجوم كم علينا من قطع الليل بهيم وقيل بعدما مضى منه شيء صالح واتبع
أدبارهم وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على أحوالهم ولعل إيثار الاتباع على السوق مع أنه المقصود بالأمر
لما أن في ذلك إذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر
والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم أي منك ومنهم أحد فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه أو يصيبه
ما أصابهم أو ولا ينصرف منكم أحد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا النفس على المهاجرة
وهو نهي عن ربط القلب بما خلفوه أو هو للإسراع في السير فإن الملتفت قلما يخلو عن أدنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة
عن الإسراء أو الالتفات لا يستدعي عدم وقوعه فإن ذلك كما عرفت مراد الاكتفاء بما ذكر في مواضع أخر وامضوا
حيث تؤمرون إلى حيث أمركم الله تعالى بالمضي إليه وهو الشام أو مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور
وإيثار المضي إليه على الوصول إليه واللحوق به للإيذان بأهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين
وقضينا أي أوحينا إليه مقضيا ولذلك عدي بإلى ذلك الأمر مبهم يفسره أن دابر هؤلاء مقطوع على أنه
بدل منه وإيثار اسم الإشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم أي دابر هؤلاء
المجرمين وإيراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها أدخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير
عن العذاب بالأمر والإشارة إليه بذلك وتأخيره عن الجار والمجرور وإبهامه أولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة
على فخامة الأمر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى أنهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم
مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فإن دابر هؤلاء بمعنى
مدبري هؤلاء وجاء أهل المدينة شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الأضياف من الفعل والقول
وما ترتب عليه بعدما أشير إلى ذلك إجمالا حسبما نبه وجاء أهل سدوم منزل لوط عم يستبشرون أي مستبشرين
بأضيافه عم طمعا فيهم قال إن هؤلاء ضيفي الضيف حيث كان مصدرا في الأصل أطلق على الواحد والمتعدد والمذكر
والمؤنث وإطلاقه على الملائكة بحسب اعتقادهم لكونهم في زي الضيف والتأكيد ليس لإنكارهم بذلك بل
لتحقق اتصالهم به وإظهار اعتنائه بشأنهم وتشمره لمراعاة حقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون
أي عندهم بأن تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا أنه ليس لي عندكم قدر وحرمة أو لا تفضحون بفضيحة ضيفي فإن من أسيء
إلى ضيفه فقد أسيء إليه يقال فضحه فضحا وفضيحة إذا أظهر من أمره ما يلزمه العار واتقوا الله في مباشرتكم لما
يسوءني ولا تخزون أي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن أجرتهم بمثل تلك الأفعال الخبيثة وحيث كان التعرض
لهم بعدما نهاهم عليه السلام عن ذلك بقوله فلا تفضحون أكثر تأثيرا في جانبه عم وأجلب للعار إليه إذ التعرض للجار
قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح وأما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه فذاك أعظم العار عبر عليه السلام
عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزي وأمرهم بتقوى الله تعالى في ذلك
وإنما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لأنه كان يعرف أنه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب
الفاحشة ولا يساعده توسيطه بين النهيين عن أمرين متعلقين بنفسه عم وكذا قوله تعالى قالوا أولم ننهك

عن العالمين أي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر أي ألم نتقدم إليك و
لم ننهك عن ذلك فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد من الغرباء بالسوء وكان عليه السلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا
قد نهوه عن أن يجير أحدا فكأنهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي إنما جاءك من قبلك لا من قبلنا إذ لولا تعرضك لما
تصدينا لك لما اعتراك تلك الحالة ولما رآهم لا ينقلعون عما هم عليه قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فإن نبي
كل قوم بمنزلة أبيهم أو بناته حقيقة فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم
لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود إن كنتم فاعلين أي قضاء الوطر
أو ما أقول لكم لعمرك قسم من الله تعالى بحياة النبي صلى الله عليه وسلم أو من الملائكة بحياة لوط عم والتقدير
لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم إيثارا للخفة لكثرة دورانها على الألسنة إنهم لفي سكرتهم غوايتهم
أو غلمتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ والصواب يعمهون يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح
وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فأخذتهم الصيحة أي الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل مشرقين
داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها أي عالي المدينة أو عالي قراهم وهو المفعول الأول لجعلنا وقوله
تعالى سافلها مفعول ثان له وهو أدخل في الهول والفظاعة من العكس كما مر وأمطرنا عليهم في تضاعيف ذلك
قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة من سجيل من طين متحجر أو طين عليه كتاب من سجل وقد فصل ذلك في سورة هود إن في
ذلك أي فيما ذكر من القصة لآيات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين أي المتفكرين المتفرسين الذين
يثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وإنها أي المدينة أو القرى لبسبيل مقيم أي طريق ثابت
يسلكه الناس ويرون آثارها إن في ذلك فيما ذكر من المدينة أو القرى أو في كونها بمرأى يشاهدونها في ذهابهم
وإيابهم لآية عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله فإنهم الذين يعرفون أن ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم
بلاقع إنما حاق بسوء صنيعهم وأما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق أو الأوضاع الفلكية وإفراد الآية بعد جمعها
فيما سبق لما أن المشاهد ههنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف وإن كان إن مخففة من إن وضمير الشأن الذي هو
اسمها محذوف واللام هي الفارقة أي وإن الشأن كان أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب عم والأيكة الشجرة
الملتفة المتكاثفة وكانت عامة شجرهم الدوم وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى إليهم لظالمين متجاوزين الحد فانتقمنا
منهم بالعذاب وقد فصل الله تعالى بعض ذلك بما سلط عليهم الحر سبعة أيام ثم بعث سحابة فالتجأوا إليها يلتمسون الروح فبعث الله
تعالى عليهم منها نارا فأحرقتهم وهو عذاب يوم الظلة وإنهما يعني سدوم والأيكة وقيل الأيكة ومدين فإنه عم كان مبعوثا
إليهما فذكر أحدهما منبئ عن الآخر لبإمام مبين لبطريق واضح والإمام اسم ما يؤتم به ومن قرأ الطريق ومطمر البناء
واللوح الذي يكتب به لأنها مما يؤتم به ولقد كذب أصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين صالحا فإن من كذب
واحدا من الأنبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والأصول التي لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار
وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون لخبيب بن عبد الله بن الزبير وأصحابه والحجر واد بين المدينة
والشام كانوا يسكنونه وآتيناهم آياتنا وهي الآيات المنزلة على نبيهم أو المعجزات من الناقة وسقبها وشربها
ودرها [illegible] أو الأدلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين إعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها أو
بحسبانهم أن ذلك يحميهم عنده تعالى روي أنه [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الحجر [illegible] فقال لا تدخلوا
مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله عم
راحلته فأسرع حتى خلفها فأخذتهم الصيحة مصبحين وكذا وقع في سورة هود وقيل صاح بهم جبريل عليه السلام
وقيل أتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي
الأعراف فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا يفضي إليها

كما مر في سورة هود فما أغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والأموال
الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء لترتيب عدم الإغناء الخاص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا
يرجونه لا عدم الإغناء المطلق فإنه أمر مستمر وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق أي إلا خلقا
ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة
إهلاك أمثال هؤلاء دفعا لفسادهم وإرشادا لمن بقي إلى الصلاح أو إلا بسبب العدل والإنصاف يوم
الجزاء على الأعمال كما ينبئ عنه قوله تعالى وإن الساعة لآتية فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك فاصفح أي
أعرض عنهم الصفح الجميل إعراضا جميلا وتحمل أذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم
وقيل هي منسوخة بآية السيف إن ربك الذي يبلغك إلى غاية الكمال هو الخلاق لك ولسائر الموجودات
على الإطلاق العليم بأحوالك وأحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بأن تكل جميع
الأمور إليه ليحكم بينكم أو هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل أحوالكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف
أصلح فهو تعليل للأمر بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وأبي رضي الله تعالى عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل
والكثير والخلاق مختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود
وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهم والحسن وأبو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله تعالى
وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها الأنفال والتوبة فإنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية
وقيل يونس أو الحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الأسباع من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير
فإن كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلوة ولعل تكرر قراءتها في غير الصلوة
كما قيل ليس بحيث يكون مدارا للتسمية ولأنها تثنى بما يقرأ بعدها في الصلوة وأما تكرر نزولها فلا يصلح أن يكون
وجها للتسمية لأنها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني إذ السورة مكية بلا ريب وإن كان المراد غيرها
فوجه كونها من المثاني أن كلا من ذلك يكرر قراءته وتعاد ألفاظه أو قصصه ومواعظه أو من الثناء لاشتمالها على
ثناء على الله تعالى واحدتها مثناة أو مثنية صفة للآية وأما السور والأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ
والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء على الله سبحانه وتعالى كأنها تثني عليه سبحانه بأفعاله وصفاته الحسنى
ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن لما ذكر ولأنه مثني عليه بالإعجاز أو كتب الله كلها فمن للتبعيض على الأول وللبيان على الثاني والقرآن
العظيم إن أريد بالسبع الآيات أو السور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص وإن أريد به الأسباع أو كل
القرآن فهو عطف أحد الوصفين على الآخر كما في قوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم أي ولقد آتيناك
ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك إلى ما متعنا به
من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها أزواجا منهم أصنافا من الكفرة فإن ما في الدنيا من أصناف الأموال
والذخائر بالنسبة إلى ما أوتيته مستحقر لا يعبأ به أصلا وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه من أوتي القرآن فرأى أن أحدا
أوتي أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي أنه وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة
والنضير فيها أنواع البز والطيب وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها
في سبيل الله فقيل لهم قد أعطيتم سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا و
لم ينتظموا في سلك أتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل أو أنهم المتمتعون به فإن تمتعهم به لا يكون
مدارا للحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين أي تواضع لهم وارفق بهم وألن جانبك لهم وطب نفسا عن
إيمان الأغنياء وقل إني أنا النذير المبين أي المنذر المظهر لعذاب الله وحلوله كما أنزلنا على المقتسمين
قيل إنه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك الخ أي أنزلنا إليك كما أنزلنا على أهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين
أي قسموه إلى حق وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف

لهما أو اقتسموه لأنفسهم استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم يقول سورة آل عمران لي وهكذا
أو اقتسموا ما قرؤوا من كتبهم وحرفوه فأقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحمل توسيط قوله تعالى لا تمدن عينيك
على إمداد ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك بأنه جل المقام عن التشبيه ولقد أوتي عليه السلام ما
لم يؤت أحد قبله ولا بعده مثله وقيل إنه متعلق بقوله وقل إني أنا النذير المبين فإنه في قوة الأمر بالإنذار
كأنه قيل أنذر قريشا مثل ما أنزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير بأن جعل
المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك فالآية خبر بأن ما يشبه به العذاب المنذر لا بد أن يكون محقق الوقوع
معلوم الحال عند المنذرين إذ به يتحقق فائدة التشبيه وهي تأكيد الإنذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير
مع عدم وقوعه إذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهم منه في غفلة محضة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة
الواقع له موقع جليل من الإعجاز لكن إذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائره
على أن تخصيص الاقتسام باليهود يخرج اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم للنصارى في الاقتسام المتوقع
على الموافقة والمخالفة في الاقتسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج
الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا أول لأنذر أي أنذر المعضين الذين يجزؤون القرآن
إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعد
كل منهم في مدخل لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر
ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فأهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات وفيه ما فيه من الاشتراك لما سبق
في عدم كون العذاب الذي شبه به العذاب واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع مع أنه لا داعي إلى تخصيص
وصف التعضية بهم وإخراج المقتسمين من بينهم مع كونهم أسوة لهم في ذلك فإن وصفهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم القرآن بذلك بل هو نفس التعضية ولا إلى إخراجهم من حكم
الإنذار على أن ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم ولا مخصوصا بهم بل عاما للكل
الفريقين وغيرهم مع أن بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب قد هلكوا قبل هلاك
أكثر المقتسمين يوم بدر مع أنه لا داعي إلى تقديم المفعول الثاني على الأول كما ترى وقيل إنه مفعول النذير أقيم مقامه والمقتسمين
هم الذين تعدوا في مداخل مكة كما ذكر وفيه مع ما مر أن قوله تعالى كما أنزلنا صريح في أنه من قول الله تعالى لا من قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعتذار بأن ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك كأن الآمر هو الملك حسبما ذكر
في قوله تعالى قدرنا إنها لمن الغابرين تعسف لا يخفى وأن إعمال الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون فلا بد من
المصير إلى مسلك الكوفيين أو المصير إلى جعله مفعولا لفعل مضمر أي أنا النذير المبين بعذاب يشبه عذاب المقتسمين الرهط الذين
تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه السلام فأهلكهم الله تعالى وأنت تدري أن عذابهم حيث كان متحققا ومعلوما للمنذرين
حسبما نطق به القرآن العظيم صالح لأن يقع مشبها به العذاب لكن الموصول المذكور عقيبه حيث لم يمكن كونه صفة
للمقتسمين حينئذ وجعله مفعولا أول للنذير أو لما دل هو عليه من أنذر لا يكون للتعرض لعنوان التعضية في حيز الصلة
ولا لعنوان الاقتسام بالمعنى المذكور في حيز المفعول الثاني فائدة لما أن ذلك إنما يكون للإشعار بعلية الصلة
والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذابهم
خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فإن التعضية بمعزل من التقاسم على التبييت الذي هو السبب لهلاك أولئك
كما أن أولئك بمعزل من التعضية التي هي السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين مفهوما ولا وجودا يصح وقوع
أحدهما في جانب والآخر في جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي
هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد إذ لا دلالة لعنوان التعضية على ذلك وإنما يدل عليه اقتسام المداخل
وجعل الموصول مبتدأ على أن خبره الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شأنه الجليل إذا عرفت هذا فالأظهر

ان الاقرب من الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل الكتابين وان الموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحيث جرى له المقام على التشبيه من لوائح النظر الجليل لقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ايتاء مماثلا لانزال الكتابين على اهلهما وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم من الكتابين لان الغرض بيان المماثلة بين الايتائين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيقهما في جانب المشبه به بان يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الخ للتنبيه على ما بين الايتائين من التنافي فان الاول على وجه التكرمة والامتنان فشتان بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبها به فان ذلك انما هو لمسلميته عندهم وتقديم وجوده على المشبه زمانا لا لمزية تعود الى ذاته كما في الصلوات فان التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على ابراهيم عليه السلام اتم واكمل مما افاض على النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذلك للتقدم في الوجود للتنصيص عليه في القرآن العظيم وليس في التشبيه فيما نحن فيه شائبة اشعار بافضلية المشبه به من المشبه فضلا عن ايهام افضلية ما تعلق به الاول مما تعلق به الثاني وانما ذكروا بعنوان الاقتسام انكارا لاتصافهم به مع تحقق ما ينفيه من الانزال المذكور وايذانا بانه كان من حقهم ان يؤمنوا بكله حسب ايمانهم بما انزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حالهما او في النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين او كلا علو شأنه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عليه السلام بمكانه واستغناءه به عما سواه ثم نهى عن الالتفات الى زهرة الدنيا وعبر عن ايتائها لاهلها بالتمتيع المنبئ عن وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن بعدم ايمان المنهمكين فيها وامر بمراعاة المؤمنين والاكتفاء عن غيرهم وباظهار قيامه بموجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف ما اوتي من القرآن العظيم ثم رجع الى كيفية ايتائه على وجه ادمج فيه تقبيح شأن المنكرين وسيتلوه حال معاندين بيان مستتبع لكيفية الاحتياج لهم في كونه وحيا صادقا فتأمل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى وقل اني انا النذير المبين بما قد انزلنا في الكتب انكم ستأتي نذير على المقتسمين اهل الكتاب انتهى يريد ان ما في كما موصولة والمراد بالمتابهة المستفادة من الكاف الموافقة وهي ما في حيزها في محل النصب على الحالية من مفعول قل اي قل هذا القول حال كونه كما انزلنا على اهل الكتابين اي موافقا لما فلا ينسحب حمل الاقتسام على التحريف لكونه وصفهم بذلك تعريضا بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء وانما جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي تفريق الاعضاء من ذي الروح المستلزم لازالة حياته وابطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش فنقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء فوربك لنسألنهم اجمعين اي لنسألن يوم القيمة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع عما كانوا يعملون في الدنيا من قول وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا اوليا وتخريجهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتأكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على اعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا اليه عليه السلام اظهار اللطف به عليه السلام فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع المودعة في تضاعيف ما اوحي اليك من السبع المثاني والقرآن العظيم واعرض عن المشركين اي لا تلتفت الى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تقصد الانتقام منهم انا كفيناك المستهزئين بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث بن قيس بن الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال لجبريل عليه السلام امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف

تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واشار الى اخمص العاص وقد دخلت فيه شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي والى انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات الذين يجعلون مع الله الها آخر وصفهم بذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتهوينا للخطب عليه باعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه السلام بل اجترؤوا على العظيمة التي هي الاشراك بالله سبحانه فسوف يعلمون عاقبة ما يأتون وما يذرون ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك وتحلية الجملة بالتأكيد لافادة تحقق ما تضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة فسبح بحمد ربك فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد وكن من الساجدين اي المصلين يكفيك ويكشف الغم عنك وتنزهه عما يقولون ملتبسا بحمده على ان هداك للحق المبين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك دم على ما انت عليه من عبادته تعالى وايثار الاظهار بالعنوان السابق لتأكيد ما سبق من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الامر بالعبادة حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحي طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية مائة وثمانون آيات

اتى امر الله اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان بانه متحقق في نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات واياما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع واتصاله به وبذلك يحسن موقع التفريع في قوله عز وجل فلا تستعجلوه فان النهي عن الشيء وان صح تفريعه على قرب وقوعه او على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال لا اسناده بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع اسبابه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهي الغائب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة او ما يعمها من العذاب حتى يعم النهي عنه واما الثاني فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمهما صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازي يعمهما معا من غير ان يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق بشأن التنزيل الجليل وما روي عن ابن عباس انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فلما نزل فلا تستعجلوه اطمأنوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لما توهم من ان التصدير بالفاء يابى فانه بمعزل عن الدلالة حسبما تحققته بل لان مناط اطمئنانهم انما هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان هو الاتيان الادعائي لا الحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال

المستلزمة للنهي عنه لما ان النهي عن الشيء يقتضي امكانه في الجملة ومدار ذلك الوقوف انما هو النهي عن الاستعجال
المستلزم للامكان لا المقتضي لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه
دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين
فيجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقتضيه الاعجاز
التنزيلي انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل
الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقادا ان احدا يحجزه عن انجاز وعده وامضاء وعيده وقد قالوا
في تضاعيفه ان صح مجيء العذاب فالاصنام يخلصنا عنه بشفاعتها رد ذلك بطريق الاستيناف سبحانه وتعالى
عما يشركون اي تقدس وتنزه بذاته عز وجل عن اشراكهم المؤدي الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او
عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراده بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم
واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم الاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب
وحكاية شنائعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين تفوت هذه النكتة كما تفوت ارتباط المنزه
بالمنزه عنه وقرئ على صيغة الخطاب ينزل الملائكة بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه تنبيها اجماليا ببيان
تقدس جناب الكبرياء وتعاليه عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شيء في شيء وايذان بانه دين اجمع عليه
جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحي
والتنبيه على طريق علم الرسول صلى الله عليه وسلم باتيان ما اوعدهم به وبامرهم به ازاحة لاستبعادهم اختصاصه
عليه السلام بذلك واظهارا لبطلان رأيهم في الاستعجال والتكذيب وايثار صيغة الاستقبال للاشعار
بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة اما جبريل عليه السلام قال الواحدي يسمى الواحد بالجمع اذا كان رئيسا
او هو ومن معه من حفظة الوحي بامر الله تعالى وقرئ تنزل من الانزال بحذف احدى التائين وعلى صيغة المبني للمفعول
من التنزيل بالروح اي بالوحي الذي من جملته القرآن على نهج الاستعارة فانه يحيي القلوب الميتة بالجهل
او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد والباء متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اي ملتبسين بالروح
من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدأ منه او صفة
له على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي بالروح الكائن من امره او متعلق بينزل
ومن للسببية كالباء مثلها في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي ينزلهم بامره على من يشاء من عباده اي ينزلهم به
عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم ملتبسين بان انذروا اي بهذا
القول والمخاطبون به الانبياء الذين نزلت الملائكة عليهم عليهم السلام والآمر هو الله سبحانه والملائكة نقلة للامر
كما يشعر به الباء في المبدل منه وان اما مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ينزلهم ملتبسين بان
الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن
يشاء من عباده انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية كما في قوله تعالى وان اقم
وجهك حسبما مر في اوائل سورة يونس فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور
من نذر بالشيء اذا علمه فحذره وانذره انذارا اي اعلمه وحذره وخوفه في بلاغه كذا في القاموس اي اعلموا الناس
انه لا اله الا انا فالضمير للشان ومدار وضعه ادعاء شهرته المغنية عن التصريح به وفائدة تصدير الجملة الانشائية
من اول الامر بمخالفة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الا شان مبهم له
خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وايراد
مضمونه عن المحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كاف في كونه اعلاما
انذارا وقوله سبحانه فاتقون خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر

من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له في الالوهية
فاتقون في الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد
تمهيد الدليل السمعي للتوحيد شرع في تحرير الادلة العقلية فقيل خلق السموات والارض بالحق اي اوجدهما
على ما هما عليه من الوجه اللائق والنمط اللائق تعالى وتقدس بذاته لا سيما بافعاله التي من جملتها ابداع
هذين المخلوقين عما يشركون عن اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركون به من الباطل التي لا يبدئ
ولا يعيد وبعدما نبه على صنعه الكلي المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلائقه
فبدأ بفعله المتعلق بالانفس فقال خلق الانسان اي هذا النوع غير الاول منه من نطفة جماد لا حس
له ولا حراك سيالة لا يحفظ شكلا ولا وضعا فاذا هو بعد الخلق خصيم منطيق مجادل عن نفسه مكافح
للخصوم مبين لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم
لخالقه منكر له قائل من يحيي العظام وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد هنات الكفرة روي ان ابي بن خلف جاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يا محمد اترى ان الله تعالى يحيي هذا بعدما رم فنزلت والانعام
وهي الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى خلقها او بالعطف
على الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله تعالى لكم فيها دفء اما
متعلق بخلقها وقوله فيها خبر مقدم لدفء وهو مبتدأ وهو ما يدفأ به فيقي من البرد والجملة حال من المفعول
او الظرف الاول خبر للمبتدأ المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تأخر لكان صفة ومنافع هي درها وركوبها وحملها
والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول الكل مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع
لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى ومنها تاكلون اي تاكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم
للايماء الى انها لا تبقى عند الاكل كما في السابق واللاحق فان الدفء والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك
جعلت محلا لهما بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو المعتاد والمعتمد في المعاش وان الاكل
مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التداوي والتفكه مع ان فيه مراعاة للفواصل ويحتمل
ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار المأكولة مكتسب باكراء الابل وبأثمان نتاجها
والبانها وجلودها ولكم فيها مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية جمال اي زينة في اعين الناس ووجاهة
عندهم حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة من حظائرها
الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال
من تزيين الافنية والاكناف بها وتجاوب ثغائها ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها في تينك الوقتين واما
كونها في المرعى فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة
على التسريح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال واتم في استجلاب الانس والبهجة
اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع
وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل
اثقالكم جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل اثقالكم اجسامكم الى بلد قال ابن عباس رضي الله عنه اريد به اليمن ومصر والشام
ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد مكة ولعله نظر الى ان اثقالهم واحمالهم عند القفول من متاجرهم
اكثر وحاجتهم الى الحمولة اشد والظاهر انه عام لكل بلد سحيق لم تكونوا بالغيه واصلين اليه بانفسكم مجردين عن
الاثقال لولا الابل الا بشق الانفس فضلا عن ان تستصحبوها معكم وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة
وقيل المفتوح مصدر من شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع والمكسور بمعنى النصف
كانه يذهب بنصف قوة المرء لما يناله من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية او على تقدير مضاف اي الا بشق قوى الانفس

وهو استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق
الدال على كون الانعام مدارا للنعم السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست
في العموم بحسب المتعلق بالضاربين في الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في جانبين غير مطردة واما سائر النعم الموجودة فعامة
في جميع اصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما وفي عامة الاوقات ان ربكم لرءوف رحيم ولذلك اسبغ عليكم
من النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة والخيل وهو اسم جنس الفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام
اي وخلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل ايضا مما لا ريب في تحققه
وزينة عطف على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعل فاعل الفعل المعلل دون الاول وتاخيره لان الركوب اهم منه
او مصدر فعل اي وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو اي خلقها زينة لتركبوها ويجوز ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل
تركبوها او مفعوله اي متزينين بها او متزينا بها ويخلق ما لا تعلمون اي يخلق في الدنيا غير ما عدد من اصناف النعم
فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد او لاستحضار
الصورة او يخلق في الجنة غير ما ذكر من الدنيوية ما لا تعلمون اي ما ليس من شانكم ان تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله
عليه السلام حكاية عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد
كنعمه الباطنة والظاهرة عن ابن عباس رض ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع
والبحار السبعة يدخل فيه جبرئيل كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق
الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون
الف ملك الكعبة لا يعودون الى يوم القيمة وعلى الله قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد
وقاصد اي مستقيم على طريق الاستعارة او على نهج اسناد حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك
لا يعدل عنه اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن سلكه الى الحق
الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل
قاله ابو البقاء اي عليه عز وجل تقويمها وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها
منحرفة عنه بل ابدعها ابتداء كذلك على نهج قوله سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب
الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب يهتدي بمناره وعلم يستضاء بناره وارسل رسلا
مبشرين ومنذرين وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الناهي
عن كل ما حل من الاسرار وحق الهادي الى سبيل الاستدلال بتلك الادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية عن غيابات الضلالة
ومهاوي الا يرى كيف بين تنزه جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات عن ان يحوم حوله شائبة توهم
الاشراك ثم اوضح سر القاء الوحي على الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم
عن الاشراك ثم كرر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا الى طريقة الاستدلال فبدأ بفعله المتعلق بمحيط
العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون وفصل افعاله المتعلقة بما بينهما
فبدأ بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معاشهم ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم
البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان سبيل التوحيد غب بيان تعديله ايما تعديل فالمراد بالسبيل
الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله تعالى ومنها في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير
الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك وقد مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر
اي بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر جائر اي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو
طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم والضمير في منها

راجع اليها بتقدير المضاف اي من جنسها لما عرفت من ان تعديله وتقويمه ابداعه ابتداء على وجه الاستقامة
والعدالة لا تقويمه بعد انحرافه واياما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل
فان ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما في قوله سبحانه الذي هو
يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يمرضني ويشفين ولكن غير النظم
الكريم تفاديا عن اسناد ما يكرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد اعلامه انه مستقيم
حتى يصح اسناده الى جائر اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير
الاسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الادلة لهداية الناس اليه ولا امكان
لاسناد مثله بالله تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وعليه جائرها حتى يصرف ذلك الاسناد منه تعالى
الى غيره لنكتة تستدعيه ولا تتوهمه متوهم حتى يقتضي الحال دفع ذلك بان يقال الجائر منها ثم تغير سبك
النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراضية جيء بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل
واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر
من نصب الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهو الهداية المعبر عنها بالدلالة على ما يوصل
الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب
وعده بل هو مخل بحكمته حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد واليه اشير
بقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه مستلزمة
لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأ لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشيئة
لان الذي عليه يدور فلك التكليف واليه ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الحقيقي الذي عليه يترتب
الاعمال التي بها ينتظم الجزاء هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد
السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه على نهج الاستعارة على وجه تمثيل من غير ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه
وتعالى عنه علوا كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل
الجنس كما مر وقوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى
بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم جميعا الى الاول وانت خبير بان هذا حق في نفسه ولكنه
بمعزل عن نكتة موجبة لتوسيطه بين ما سيق من ادلة التوحيد وبين ما لحق ولما بين الطريق السوي
على وجه اجمالي وفصل بين الادلة المتعلقة بحال الحيوانات وعقب ذلك ببيان الذي اليه يبعث المخاطبين على
فيما سبق وحثا على حسن التلقي لما لحق اتبع ذلك ذكر ما يدل على من احوال النبات فقيل هو الذي انزل بقدرته
القاهرة من السماء اي من السحاب او من جانب السماء ماء اي نوعا منه وهو المطر وتأخيره عن المجرور
لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا انه انزل من السماء ماء والتنبيه
فيه ما سلف من ان تعند تاخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا له مشتاقا اليه فيتمكن لديه عند وروده
عليه فضل تمكن لكم منه شراب اي ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدأ هو خبره والجملة
صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه ايهام حصر المشروب فيه
حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقوله
تعالى فاسكناه في الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثاني خبر لشراب والجملة صفة لماء وانت خبير
بان ما فيه من الفصل بين المنصوب بين المجرورين وتوسيط الثاني منهما بين الماء وصفته مما لا يليق بجلالة التنزيل الجليل
ومنه شجر من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق
او لا وتبعيضية مجازا لانه لما كان سببه من الماء جعل كانه منه كقوله اسنمة الآبال في ربابه يعني به المطر

الذي ينبت به الكلاء الذي تأكله الابل فتسمن اسفتها وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني
الكلاء فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها
تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت اي الله عز وجل وقرئ بالنون لكم به بما انزل من السماء الزرع والزيتون
والنخيل والاعناب بيان للنعم الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستيناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة
على التجدد والاستمرار او لانه باعتبار ما يتعلق به الدهور او لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرفين على المفعول
الصريح لما مر آنفا مع ما في تقديم اولهما من الاهتمام بادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية
وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما في الثمرية من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور
اصالتها وبقائها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر
مع اندراجها تحت قوله تعالى ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها لكونه غذاء للانعام و
لحصوله بغير صنع من البشر او للارشاد الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده
اكمل من اهتمامه بامر نفسه او لان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما يسام لا تقديم
غذائه فانه غذاء حيواني للانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت من التفعيل مسندا الى الزرع وما عطف عليه
ان في ذلك اي في انزال الماء وانبات ما فصل لآية عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم
والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في ان الحبة والنواة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها
فينشق اسفلها فيخرج منها عروق تنبسط في اعماق الارض وتنشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج
منه ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص
والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحكي لا الى نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبائع
السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شيء في صفات الكمال
فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث
افتقر سلوك هذا الطريق الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر وسخر لكم الليل والنهار
يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها والشمس والقمر يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة
وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات التي من جملتها ما فصل واجمل من ذلك لمصالح
دينا نفعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفهما كيف شاؤا كما في قوله تعالى سبحان الذي سخر لنا
هذا وما كنا له مقرنين بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخير لهم وتصرف
من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصرف بالتسخير ايماء الى ما في المذكورات من صعوبة المأخذ بالنسبة
الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد مستمر وان تجدد تارة والنجوم مسخرات
بامره مبتدأ وخبر اي وسائر النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى
او لما خلقن له بارادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين
والقمرين لم ينسب تسخيرها اليهم باداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير
دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية الدالة على الدوام والاستمرار وقرئ
برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور و
مسخرات مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات بامره او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة
ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى الذي خلقها
ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع اي انواع
من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب

واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه
الممكنة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فيتم حسبان ما ذكر
ادلة على وجود الصانع تعالى وتقدس وعلمه وقدرته واختياره وانت تدري انه ليس الامر كذلك فانه ليس
مما ينازع الخصم ولا يتلعثم في قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر
ليقولن الله فانى يؤفكون وقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد
موتها ليقولن الله الآية وانما ذلك ادلة التوحيد من حيث انه من شأنه لا يتوهم ان يشاركه
شيء في شيء فضلا عن ان يشاركه الجماد في الالوهية ان في ذلك اي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا
ومفصلا لآيات باهرة متكاثرة لقوم يعقلون وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة
ودلالة ما فيها من عظم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من
غير حاجة الى التأمل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالمشار اليه تعاجيب
الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا يتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين علماء
الحكمة ولا ريب في ان احتياجها الى التفكر اكثر وما ذرأ عطف على قوله تعالى والنجوم رفعا ونصبا على انه
مفعول لجعل اي وما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات حال كونه مختلفا الوانه اي اصنافه
فان اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون مسخر لله تعالى او لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات
او جعل ذلك مختلف الالوان اي الاصناف لتتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات
وعقبه بذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول لا يستلزم الثاني لزوما عقليا لجواز كون ما
خلق لهم عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر اي خلق وانبت على ان قوله تعالى مختلفا الوانه
حال من مفعوله ان في ذلك الذي ذكر من التسخيرات ونحوها لآية بينة الدلالة على انه من هذا شأنه واحد
لا ضد له ولا ند له لقوم يذكرون فان ذلك غير محتاج الا الى التذكر لما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية
واما ما يقال من ان اختلافها في الطبائع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمداره ما توخاه من
حسبان ما ذكر دليلا على اثبات الصانع وقد عرفت حقيقة الحال فان ايراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر
من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة حتى به الاستدلال به
على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شيء في الالوهية وهو الذي سخر البحر شروع
في تعداد النعم المتعلقة بالبحر حيوانا ونباتا اي جعله بحيث يتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد
لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الاكل
ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ
عنه جعل البحر مبتدأ اكله وللايذان بكمال القدرة في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق ومن اطلق اللحم عليه رتب
مالك والثوري ان من حلف لا يأكل اللحم حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان العرف ولا ريب في انه لا يفهم
من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا للامر الا ترى الى ان الله تعالى
سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة
وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها عبر في مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن
منهم ولكون لبسهن لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة
تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل هو صوت جري الفلك ولتبتغوا عطف على لتستخرجوا وما عطف عليه
وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة اي
لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانباري او متعلقة بفعل محذوف اي وفعل ذلك لتبتغوا من فضله

من سعة رزقه بركوبها في التجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون باداء حقها
بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا لمسافة طويلة مع
احمال الثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك
وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه عن التصريح به وبحصولهما
معا والقى في الارض رواسي جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه في اول سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل
وتضطرب ولئلا تميد بكم فان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها
ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال
بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي
بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا اي وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى الجعل وسبلا
لعلكم تهتدون بها الى مقاصدكم وعلامات معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل وسهل وريح
وقد نقل ان جماعة يشمون التراب ويتعرفون به الطرقات وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار
حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرئ بضمتين
وسكون وهو جمع كرهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم
كانوا كثيري التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام
الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم
افمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة او يخلق كل شيء كمن لا يخلق
شيئا اصلا وهو تبكيت للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها
وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا وتعقيب الفاء لتوجيه الانكار الى
توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة القاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما
يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سألتهم الآيتين والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها واظهرها
واستتباعه اياها او لكون كل منها خلقا مخصوصا اي ابعد ظهور اختصاصه تعالى ببدائع هذه الشؤون الواضحة
الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة يتصور المشابهة بينه وبين
ما هو بمعزل من ذلك كما هو قضية اشراككم ومداره وان كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث
كانت نسبة تقوم بالمنتسبين اختير ما عليه النظم الكريم رعاية لحق سبق الملكة على العدم وتفاديا عن توسيط
عدمها بينها وبين جزئياتها المفصلة قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد رفع الاصنام
عن محلها بل هو حط عن منزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب في انه اقبح من الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما
هذا شأنه كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة او العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم
بدلالة النص فان من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد وايا ما كان فدخول
الاصنام في حكم عدم المماثلة والمشابهة اما بطريق الاندراج تحت الموصول واما بطريق الالتزام بدلالة النص على الطريقة
البرهانية لا بانها هي المرادة بالموصول خاصة افلا تذكرون اي الا تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فانه لوضوحه
بحيث لا يفتقر الى شيء سوى التذكر وان تعدوا نعمة الله تذكير اجمالي لنعمه تعالى بعد تعداد طائفة منها وكان
الظاهر ايراده عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى افمن
يخلق كمن لا يخلق للمبادرة الى الزام الحجة والقام الحجر اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التي هي ادلة الوحدانية مع ما
فيه من سر ستقف عليه وكما انها من حيثية الانعام ايضا لكنها حيث كانت من مستتبعات الحيثية الاولى
استغني عن التصريح بها ثم بين ما لها بطريق الاجمال ان تعدوا انعمه النافية عليكم ما ذكر وما لم يذكر حسبما تعد

عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا لا تحصوها لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو اجمالا
فضلا عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة ابراهيم بفضل الله سبحانه ان الله لغفور
حيث ستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك رحيم حيث يفيضها
عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون وما تذرون من اصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق
بين الخالق وغيره وكل من ذلك اتمام نعمة فالجملة تعليل للحكم بعدم الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة
لتقدم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون تضمرونه من العقائد والاعمال وما تعلنون اي تظهرونه
منهما وحذف العائد لمراعاة الفواصل اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة
على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرناه في سورة البقرة وسورة
هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما على ابلغ وجه لان علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن او
لان كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية
والذين يدعون شروع في تحقيق كون الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه
شائبة ريب بتعداد اوصافها واحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن
البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح اي والآلهة الذين يعبدهم
الكفار من دون الله سبحانه وقرئ على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب لا يخلقون شيئا من الاشياء اي
ليس من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق
اثبت لهم ذلك صريحا فقيل وهم يخلقون اي شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهيتها
ووجوداتها الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما اثبت لهم وبين ما نفي عنهم
من وصفي المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفاعلية به جل
جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين الاول ومبالغة
في كونهم مصنوعين لعبدتهم واعجز عنهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم وان يجعل
الاول ايضا عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذ القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدعو الى استحقاق
العبادة اصلا ولما ان اثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحياة عنهم لما ان بعض المخلوقين احياء صرح بذلك
فقيل اموات وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل او خبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الاموات مما يعتريه
الحياة سابقا او لاحقا كاجساد الحيوان والنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا احترز عن ذلك فقيل غير احياء اي
لا يعتريها الحياة اصلا فهي اموات على الاطلاق واما قوله تعالى وما يشعرون ايان يبعثون اي ما يشعر
اولئك الآلهة ايان يبعثون عبدتهم ففيه على طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة
عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث من لوازم التكليف وان معرفته وقته مما
لا بد منه في الالوهية الهكم اله واحد لا يشاركه شيء وهو تصريح بالمدعى وتخليص للنتيجة غب اقامة الحجة
فالذين لا يؤمنون بالآخرة واحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم
وذلتهم قلوبهم منكرة للوحدانية جاحدة لها او للآيات الدالة عليها وهم مستكبرون عن الاعتراف بها
او عن الآيات الدالة عليها والفاء للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع
النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى انه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به
سبحانه فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار والاستكبار وتعليق الحكم المذكور على الموصول
للاشعار بكونه معللا بما في حيز الصلة فان الكفر بالآخرة وعاقبها من البعث والجزاء المتنوع الى الثواب على الطاعة
والعقاب على المعصية يؤدي الى قصر النظر على العاجل والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب

لا انكارها وانكارهم وادامها واستكبارهم عن اتباع الرسول عم وتصديقه واما الايمان بها وبما فيها فيدعو لا محالة الى التامل في الآيات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى لا جرم اي حقا وقد مر تحقيقه في سورة هود ان الله يعلم ما يسرون من انكار قلوبهم وما يعلنون من استكبارهم وقولهم للقرآن اساطير الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك انه لا يحب المستكبرين تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اي لا يحب المستكبرين عن التوحيد او عن الآيات الدالة عليها او لا يحب جنس المستكبرين فكيف بالمستكبرين عما ذكر واذا قيل لهم اي لاولئك المتكبرين المستكبرين وبيانا لاضلالهم غب بيان ضلالهم ماذا انزل ربكم القائل الوافدون عليهم او المسلمون او بعضهم على طريق التهكم وماذا منصوب بما بعده او مرفوع اي اي شيء انزل او ما انزله قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل بطريق السخرية احاديث الاولين واباطيلهم وليس من الانزال في شيء قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سؤال وفود الحاج عما انزل عليه ليحملوا متعلق بقالوا اي قالوا ما قالوا ليحملوا اوزارهم الخاصة بهم وهي اوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شيء ببلية اصابتهم في الدنيا كما يكفر بها اوزار المؤمنين يوم القيمة ظرف ليحملوا ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر فاللام للتعليل في نفس الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال او باعتبار حال قولهم لا حال الحمل بغير علم حال من الفاعل اي يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه طريق الضلال ولعل حمله على معنى غير عالمين بانهم يحملون يوم القيمة اوزار الضلال والاضلال على ان يكون العامل في الحال قالوا وفائدته ما سيأتي من قوله تعالى واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون اي من حيث حمل ما ذكر من اوزار الضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيمة والعذاب المذكور انما هو العذاب الدنيوي كما ستقف عليه او حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدة التقييد بها الاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذوي لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه على ان جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق الحقيق بالاتباع وبين المبطل الا ساء ما يزرون اي بئس شيئا يزرونه ما ذكر قد مكر الذين من قبلهم وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى انفسهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم من العذاب العاجل اي قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى فاتى الله اي امره وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهي الاساطين التي تعمده واساسه فضعضعت اركانه فخر عليهم السقف من فوقهم اي سقط عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له القيام بعد تهدم القواعد شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكايد والمنصوبات التي ارادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه وفي ابطاله تعالى تلك الحيل والمكايد وجعله اياها اسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتي ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين واتاهم العذاب اي الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم اساطير الاولين سيأتيهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه ثم يوم القيمة يخزيهم فانه عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي هذا الذي فصل من عذاب هؤلاء او ما هو اعم منه ومما ذكر من عذاب اولئك جزاؤهم في الدنيا ويوم القيمة يخزيهم اي يذلهم بعذاب الخزي على رؤوس الاشهاد واصل الخزي ذل يستحيى منه وثم للايذان بما بين الجزائين من التفاوت مع ما دل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيمة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم في الدنيا مؤذن بان لهم جزاء اخرويا فيبقى النفس مترقبة الى وقته سائلة عنه بانه ماذا مع تيقنها بانه

في الآخرة

في الآخرة فسيق الكلام على وجه يؤذن بان المقصود بالذكر اخزاؤهم لا كونه يوم القيمة والضمير اما للمفترين في حق القرآن الكريم او لهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين وتخصيصه بهم يأباه السباق والسياق كما ستقف عليه ويقول لهم تفضيحا وتوبيخا وهو بيان للاخزاء اين شركائي اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة نفيه توبيخ اثر توبيخ مع استهزائهم الذين كنتم تشاقون اي تخاصمون الانبياء والمؤمنين في شانهم بانهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارهم للشفاعة او المدافعة على طريق الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر بانه يجوز ان يحال بينهم وبين عبدتهم ليتفقدوا في ساعة علقوا بها الرجاء فيها او بانهم لا يشفعون فكانهم غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون انهم متصفون به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا اماكنها على ان قوله ليتفقدوا ليس بسديد فانه قد تبين عندهم الامر فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم وقرئ بكسر النون تشاقون بناء على ان مشاقة الانبياء والمؤمنين لا سيما في شأن متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل قال الذين اوتوا العلم من اهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين اوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اي يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة وتقريعا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدهم به وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ان الخزي الفضيحة والذل والهوان اليوم منصوب بالخزي على رأي من يرى اعمال المصدر المعرف باللام او بالاستقرار في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر في الظروف وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق والسوء اي العذاب على الكافرين بالله تعالى وبآياته ورسله الذين تتوفاهم الملائكة بتأنيث الفعل وقرئ بتذكيره وبادغام التاء في التاء والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول والموصول في محل الجر على انه نعت للكافرين او بدل منه او في محل النصب او الرفع على الذم وفائدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون من آمن منهم ولو في آخر عمره اي على الكافرين المستمرين على الكفر الى ان تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم اي حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واي ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا فالقوا السلم اي فيلقون والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى ويقول اين شركائي وما بينهما جملة اعتراضية جيء بها لما حاق بهم من الخزي على رؤوس الاشهاد اي فيسالمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين ما كنا نعمل في الدنيا من سوء اي من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه اين شركائي كما في سورة الانعام لا عن قول اولي العلم ادعاء لعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء بلى رد عليهم من قبل اولي العلم واثبات لما نفوه اي بلى كنتم تعملون ما تعملون ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا اوانه فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة خالدين فيها ان اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين اي عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم وتأويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين ذلك في اعتقادنا وما المحافظة ان لا كذب ثمة يرده الرد المذكور وما في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وقيل للذين اتقوا اي المؤمنين وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر

عنهم من الجواب ناشئ عن التقوى ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا أي سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم
ولا تغيير في الصورة والمعنى أي أنزل خيرا فإنه جواب مطابق للسؤال حسبما هو الواقع في نفس الأمر وعنوانا وأما
الكفرة فإنهم خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب عن نهج الحق الذي ليس له من دافع غيروا صورته وعدلوا بها عن
سنن السؤال حيث رفعوا الأساطير وما لهم من إنكار النزول روي أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام
الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا
إن لم تلقه كان خيرا لك فيقول أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا للذين أحسنوا
أي أعمالهم أو فعلوا الإحسان في هذه الدار الدنيا حسنة أي مثوبة حسنة مكافأة فيها ولدار الآخرة
أي مثوبتهم فيها خير مما أوتوا في الدنيا من المثوبة أو خير على الإطلاق وتجوز إسناد الخيرية إلى نفس دار الآخرة ولنعم
دار المتقين أي دار الآخرة فحذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين جعل
جوابهم المحكي من جملة إحسانهم ووعدهم بذلك ثوابي الدنيا والآخرة فلا محل له من الإعراب أو بدل من خيرا
أو تفسير له أي أنزل خيرا هو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيبا للسائل جنات عدن خبر مبتدأ محذوف
أي هي جنات ويجوز أن يكون هو المخصوص بالمدح يدخلونها صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذا تجري
من تحتها الأنهار أو كلاهما حال على تقدير علميته لهم فيها أي في تلك الجنات ما يشاؤن الظرف الأول خبر
والثاني حال منه والعامل ما في الأول من معنى الاستقرار أي حاصل فيها ما يشتهون من أنواع المشتهيات وتقديمه
للاحتراز من توهم تعلقه بالمشيئة أو لما مر أن تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس إليه فيتمكن
عند وروده عليها فضل تمكن كذلك مثل ذلك الجزاء الأوفى يجزي الله المتقين اللام للجنس أي كل من يتقي من الشرك
والمعاصي ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولا أوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى أو للعهد فيكون
فيه تحسير للكفرة الذين تتوفاهم الملائكة نعت للمتقين وقوله تعالى طيبين طاهرين من دنس الظلم لأنفسهم
حال من الضمير وفائدته الإيذان بأن ملاك الأمر في التقوى هو الطهارة عما ذكر إلى وقت توفيهم ففيه حث لهم
على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين طيبي النفوس ببشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طيبين بقبض
أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية إلى جناب القدس يقولون حال من الملائكة أي قائلين لهم سلام عليكم قال الرازي
رح إذا استدعيت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عليه السلام فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام
ويبشره بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد أي جنات عدن الخ ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها
في وقته فإن ذلك بشارة عظيمة وإن تراخى المبشر به لا الدخول في القبر الذي هو روضة من رياض الجنة إذ ليس
في البشارة به ما في البشارة بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة أو بالذي كنتم
تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفي التوفي للحشر لأن الأمر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون أي ما ينتظر كفرة مكة
المار ذكرهم إلا أن تأتيهم الملائكة بقبض أرواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وما كانوا منتظرين له
لأنه يلحقهم البتة لحوق الأمر المنتظر بل لمباشرتهم الأسباب الموجبة له المؤدية إليه فكأنهم يقصدون إتيانه ويترصدون
لوروده وقرئ بتذكير الفعل أو يأتي أمر ربك التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للإيذان
بأن إتيانه لطف به صلى الله عليه وسلم وإن كان عذابا عليهم والمراد بالأمر العذاب الدنيوي لا القيامة لأن ما ذكر
انتظاره يجامع انتظار إتيان الملائكة فلا يلائم العطف بأو لأنها ليست نصا في العناد إذ يجوز أن يعتبر منع
الخلو ويراد بإرادة كل ما يتحقق به صدق الأمرين يعذبهم بدلالة قوله تعالى فيما سيأتي ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
فأصابهم الآية صريح في أن المراد به ما أصابهم من العذاب الدنيوي كذلك أي مثل ذلك الفعل من الشرك والظلم
والتكذيب والاستهزاء فعل الذين خلوا من قبلهم من الأمم وما ظلمهم الله بما سيأتي من عذابهم ولكن كانوا

بما كانوا مستمرين عليه من القبائح الموجبة لذلك أنفسهم يظلمون كان الظاهر أن يقال ولكن كانوا هم
الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه أوثر ما عليه النظم الكريم لإفادة أن غائلة ظلمهم آيلة إليهم وعاقبته مقصورة
عليهم مع استلزامه اقتصار ظلم كل أحد على نفسه من حيث الوقوع واقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه
في سورة يونس فأصابهم عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان أن فعلهم ذلك كان ظلما لأنفسهم
سيئات ما عملوا أي أجزية أعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم السبب إيذانا بفظاعته لا على حذف
المضاف فإنه يوهم أن لهم أعمالا غير سيئاتهم وحاق بهم أي أحاط بهم من الحيق الذي هو إحاطة الشر وهو أبلغ من
الإصابة وأفظع ما كانوا به يستهزءون من العذاب وقال الذين أشركوا أي أهل مكة وهو بيان لفن آخر
من كفرهم والعدول عن الإضمار إلى الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم بذلك من أول الأمر لو شاء الله
ما عبدنا من دونه من شيء أي لو شاء عدم عبادتنا للشيء غيره كما تقول المعتزلة ما عبدنا ذلك نحن ولا آباؤنا الذين
نقتدي بهم في ديننا ولا حرمنا من دونه من شيء من السوائب والبحائر وغيرهما وإنما قالوا ذلك تكذيبا للرسول
عليه السلام وطعنا في الرسالة رأسا متمسكين بأن ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع فلو أنه شاء أن نوحده
ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما تقوله الرسل وينقلونه من جهة الله عز وجل لكان الأمر كما شاء من التوحيد
ونفي الإشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت أنه لم يشأ شيئا من ذلك وإنما يقوله الرسل من تلقاء أنفسهم
فأجيب عنه بقوله عز وجل كذلك أي مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من قبلهم من الأمم أي أشركوا بالله
وحرموا ما أحله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطأ وهدوهم إلى الحق فهل على الرسل الذين
يبلغون رسالات الله عز وجل أمره ونهيه إلا البلاغ المبين أي ليس وظيفتهم إلا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا
أو موضحا وإبانة طريق الحق وإظهار أحكام الوحي التي من جملتها تحتم تعلق مشيئة الله تعالى باهتداء من صرف
قدرته واختياره إلى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأما إلجاؤهم إلى ذلك وتنفيذ
قولهم عليهم شاؤا أو أبوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي عليها يدور أمر التكليف
حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقية الرسل أو على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فإن ما يترتب
عليه الثواب والعقاب من أفعال العباد لا بد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية وصرف
اختيارهم الجزئي إلى تحصيله وإلا لكان الثواب والعقاب اضطراريين فالفاء للتعليل كأنه قيل كذلك فعل أسلافهم
وذلك باطل فإن الرسل ليس شأنهم إلا تبليغ أوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونهما قسرا وإلجاء وحيث حملوا على الناس
والجاؤهم إليه الحكمة على الدليل بأنهم في ذلك مأمورون أو بأن ما يبلغونه حق الأنبياء عليهم السلام بيان وبناء حمل
قولهم لو شاء الله الخ على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله أعلم بالصواب ولقد بعثنا في كل أمة رسولا تحقيق لكيفية
تعلق مشيئة الله تعالى بأفعال العباد بعد بيان أن الإلجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما
يدور عليه الثواب والعقاب من الأفعال الاختيارية أي بعثنا في كل أمة من الأمم الخالية رسولا خاصا بهم أن اعبدوا
الله يجوز أن يكون مفسرة لما في البعث من معنى القول وأن تكون مصدرية أي بعثنا بأن اعبدوا الله وحده واجتنبوا
الطاغوت هو الشيطان وكل ما يدعو إلى الضلالة فمنهم أي من تلك الأمم والفاء فصيحة أي فبلغوا ما بعثوا به من الأمر
بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا من هدى الله إلى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد
صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي إلى تحصيله ومنهم من حقت عليه الضلالة أي وجبت وثبتت إلى حين
الموت لعناده وإصراره عليها وعدم صرف قدرته إلى تحصيله وتغيير الأسلوب للإشعار بأن ذلك لسوء اختيارهم كقوله
تعالى وإذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشيئة الهداية وعدمها للإجبار حصل منهم من التوجه إلى الحق وعدمه
لا بطريق القسر والإلجاء حتى يستدل بعدمه على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده فسيروا يا معشر قريش
في الأرض فانظروا في أكنافها كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة

لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم آثار العذاب والهلاك وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار
بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر
على السير لما انه بعده وان مدار الاستدلال هو تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شيء ان تحرص خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهي لغة على هداهم اي ان تطلب هدايتهم
بجهدك فان الله لا يهدي من يضل اي فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة
بسوء اختياره والمراد به قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليه الضلالة
وللاشعار بعلة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اي ان تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك
لان الله لا يهدي من يضله وهؤلاء من جملتهم وقرئ لا يهدى على بناء المفعول اي لا يقدر احد على هداية
من يضله الله وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وادغام تاء يهتدي في الدال ويجوز ان يكون يهدي بمعنى يهتدي وقرئ
يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن اضل وما لهم من ناصرين ينصرونهم في الهداية او يدفعون العذاب
عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الاحاد الى الاحاد
لان المراد نفي طائفة من الناصرين من كل منهم واقسموا بالله شروع في بيان فن آخر من اباطيلهم وهو انكارهم
البعث جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله من يموت ولقد رد الله تعالى
عليهم ابلغ رد بقوله الحق بلى اي بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه
او المحذوف اي وعد بذلك وعدا عليه صفة لوعدا اي وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان
البعث من مقتضيات الحكمة حقا صفة اخرى له او نصب على المصدرية اي حق حقا ولكن اكثر الناس
بشؤون الله عز وتعالى شانه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم
على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما تقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه بمراعاتها لا يعلمون
انه يبعثهم فيبتون القول بعدمه او انه يعلمه حتى يكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا
الا اساطير الاولين ليبين لهم غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت اذ التبيين يعم المؤمنين ايضا فانهم وان
كانوا عالمين بذلك لكنهم عند معاينة حقيقة الحال يتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اي يبعثهم ليبين لهم
بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هي ومعاينتها بصورها الحقيقية الشان الذي يختلفون فيه من الحق
الشامل لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا وليعلم الذين كفروا بالله سبحانه
بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعده الحق انهم كانوا كاذبين في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله
من يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته والاشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف
عليه وجعلهما غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين المستتبع
للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقيق البعث انما كان لتبيين انه حق
وليعلموا انهم كاذبون في انكاره ادعى لهم الى الاعتراف بضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر انك
تصلي لاصلين رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها وانما الغاية
الاصلية للبعث باعتبار ذاته انما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته
وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع اخر وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان
الذين كفروا كانوا كاذبين بل عبر بصيغة العلم لان ذلك ليس مما يتعلق به التبيين الذي هو عبارة عن اظهار ما كان
مبهما قبل ذلك بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القران فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين
فليس من هذا القبيل فانما يتعلق به علم ضروري يحصل لهم من قبل انفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند تفسير قوله
تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين الآية لان علم المؤمنين

بذلك حاصل قبل ذلك ايضا انما قولنا استئناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء واعادة بعد التنبيه
على كيفية البعث ومنه يظهر كيفيته فما كافة وقولنا مبتدا وقوله لشيء اي اي شيء كان مما عز وهان متعلق
به على ان اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية اي لاجل شيء وليس بواضح والتعبير
عنه بذلك باعتبار وجوده عند مشيئته تعالى به لا انه كان شيئا قبل ذلك اذا اردناه ظرف لقولنا
اي وقت ارادتنا لوجوده ان نقول له كن خبر للمبتدا فيكون اما عطف على مقدر ينصح عنه الفاء وينسحب
عليه الكلام اي فنقول ذلك فيكون لقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف
اي فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا امر ولا مامور حتى يقال انه يلزم احد المحالين
اما خطاب المعدوم او تحصيل الحاصل او يقال ان ما يستدعيه انحصار قوله تعالى في كن وليس يلزم منه
انحصار اسباب التكوين فيه كما يفيده قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر
هو الشان الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق وفيه بل انما هو
تمثيل لسهولة تاتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة
المامور المطيع للامر الامر المطاع فالمعنى انما ايجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به ان نوجده في اسرع ما يكون ولما عبر
عنه بالامر الذي هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق فتامل وفي الآية الكريمة من الفخامة
والجزالة ما يحار فيه العقول وذوو الالباب وقرئ بنصب يكون عطفا على نقول او تشبيها له بجواب الامر
والذين هاجروا في الله اي في شان الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا ولعلهم الذين ظلمهم
اهل مكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم بوأهم تعالى المدينة
حسبما وعدهم بقوله سبحانه لنبوئنهم في الدنيا حسنة اي مباءة حسنة وتبوئة حسنة كما قال قتادة وهو الانسب
لما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث آيات من آخرها مكية واما ما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
من انها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهيل اخذهم المشركون فجعلوا
يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام واما صهيب فقال انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم
فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضي الله تعالى عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر نعم العبد صهيب لو لم يخف
الله لم يعصه فانما يناسب ما يحكى عن الاصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية الى آخر
السورة مدنية فيحمل ما نقل عنه من نزول الآية في اصحاب الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين
ولما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شانه الجليل وقرئ لنثوينهم
ومعناه اثواءة حسنة او لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة
واهل الشرق والغرب كافة ولاجر الآخرة اي اجر اعمالهم المذكورة في الآخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر
رضي الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا
ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله
تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد او
لما تالموا لما اصابهم من المهاجرة وشدائدها الذين صبروا على الشدائد من اذية الكفار ومفارقة الاهل والوطن
وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم خاصة يتوكلون منقطعين اليه تعالى معرضين عما سواه
مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى
وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم
وقرئ بالياء مبنيا للمفعول رد لقول قريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من البشر كما هو شبهتهم
لو شاء الله ما عبدنا الخ اي جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى

اليهم بواسطة الملك أوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل فاسألوا أهل الذكر اي أهل الكتاب وعلماء الأحبار أو كل من يذكر
بالعلم والتحقيق ليعلموكم ذلك إن كنتم لا تعلمون حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه تعالى لم يرسل
للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الرسل ولا امرأة ولا صبيا
ولا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد لانها اعم من الرسالة واشارة الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات
والزبر بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر او بما ارسلنا
داخلا تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوزه اي ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او
على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اي ما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا عند من يجوز تأخير صلة ما قبل الا الى
ما بعدها او بما وقع صفة للمستثنى اي رجالا ملتبسين بالبينات او نوحي على المفعولية او الحالية من القائم مقام فاعل
نوحي وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسألوا اعتراض او بقوله لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت
لك فاعطني حقي وأنزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس كافة ويدخل
فيهم اهل مكة دخولا اوليا ما نزل اليهم في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال القرون المهلكة بافانين
العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين لا سيما
بعد ورود الثاني اولا على صيغة الافعال ولما ان التبيين اعم من التصريح بالمقصود ومن الاشارة الى ما يدل عليه دخل
تحته القياس على الاطلاق سواء كان في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله عز وجل ولعلهم يتفكرون اشارة
الى ذلك اي ارادة ان يتأملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما اصاب الاولين
من العذاب أفأمن الذين مكروا السيئات هم اهل مكة الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا
صد اصحابه عن الايمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الانبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لان
المراد تحذيرهم عن اصابة مثل ما اصاب اولئك من فنون العذاب المعدودة السيئات نعت لمصدر محذوف
اي مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل اي عملوا السيئات
فقوله تعالى ان يخسف الله بهم الارض مفعول لامن والسيئات صفة لما هو المفعول اي أفأمن الماكرون
العقوبات السيئات وقوله ان يخسف الخ بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم
الكريم اي أنزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته انباء الامم المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا
في ذلك ألم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على توجيه الانكار الى المعطوفين
معا او أتفكروا فأمنوا على توجيهه الى المعطوف على ان الامن بعد التفكر مما لا يكاد يفعله احد وقيل هو عطف على
مقدر ينبئ عنه الصلة اي مكروا فأمن الذين مكروا الخ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون باتيانه
اي في حالة غفلتهم او من مأمنهم ومن حيث يرجون اتيان ما يشتهون كما حكي فيما سلف مما نزل بالماكرين أو يأخذهم
في تقلبهم اي في حالة تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين بممتنعين او فائتين بالهرب والفرار على ما يوهمه
حال التقلب والسير والفاء اما لتعليل الاخذ او لترتيب عدم الاعجاز عليه دلالة على شدته وفظاعته حسبما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية للدلالة
على دوام النفي لا نفي الدوام أو يأخذهم على تخوف اي مخافة وحذر من الهلاك والعذاب بان يهلك قوما قبلهم
فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن اصابة
العذاب فيهما بالاخذ وعن اصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف التنقص قال الشاعر
تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي يأخذهم على ان ينتقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم
واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلاث بيان قدرة الله تعالى على اهلاكهم باي وجه كان لا الحصر فيها

فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها أولم يروا استفهام
انكاري وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ألم ينظروا ولم يروا متوجهين الى ما خلق
الله من شيء اي من كل شيء يتفيؤا ظلاله اي ترجع شيئا فشيئا حسبما يقتضيه ارادة الخالق تعالى فان التفيؤ
مطاوع الافاءة وقرئ بتأنيث الفعل عن اليمين والشمائل اي الم يروا الى الاشياء التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها
وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعير لهما ذلك من يمين الانسان وشماله سجدا لله حال من الظلال كقوله
تعالى وظلالهم بالغدو والآصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتعالى وتأتيها لارادته
تعالى في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى وهم داخرون اي صاغرون
منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما ان الدخور
من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها
ومغاربها فانها كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما
قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال ان اصحابها من الاجرام داخرة منقادة
لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال
تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة فوصفها بها مغن عن وصف ظلالها ولعل المراد بالموصول الجمادات
من الجبال والاحجار والاشجار التي لا يظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها او اختلاف
مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك بتحركه وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي
لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار
تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي منها
وبعد ما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها ودخورها له سبحانه شرع في بيان سجود
المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال او لا ولله يسجد اي له تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره
استقلالا او اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد الا ان الانسب بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى
وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في السموات وما في الارض قاطبة كائنا ما كان من دابة بيان لما في الارض
وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين والبيان فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود لكل
فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال مثله والملائكة عطف على ما
في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او
يراد به ملائكة السموات وبقوله الملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم وهم اي الملائكة مع علو شأنهم
لا يستكبرون عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من ضمير الفاعل في يسجد مسند
الى الملائكة او استئناف اخبر عنهم بذلك يخافون ربهم اي مالك امرهم وفيه تربية للمهابة واشعار بعلة الحكم
من فوقهم اي يخافونه عز وجل هيبة واجلالا وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون
ان يرسل عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من يخاف الله سبحانه لا يستكبر
عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون اي ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول جري
على سنن الجلالة وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده الى غيره سبحانه وفيه دليل على ان الملائكة
مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعد ما بين ان جميع الموجودات يخصونه بالخضوع والانقياد الطبعي والاختياري وما يجري
مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا لله عز وجل اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه
وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل وقال الله عطفا على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظ الجلالة بالذكر
للايذان بانه تعالى المتعين للالوهية وانما المنهي عنه هو الاشراك به لا ان المنهي عنه مطلق اتخاذ الهين بحيث يتحقق الانتهاء

عنه برفض ايهما كان اي قال الله تعالى لجميع المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين وانما ذكر العدد مع ان صيغة
التثنية مغنية عن ذلك دلالة على ان مساق النهي هي الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة
في قوله تعالى انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية وانها من لوازم الالهية واما الالهية
فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند اليه القول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة على راي من لا يكتفي في تحقق
الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولا يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه فاياي فارهبون من الغيبة
الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل اي ان كنتم راهبين شيئا فاياي
ارهبوا لا غير فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات وما في الارض وله ما في السموات وما
في الارض خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به وتقديم الظرف
لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذلك قوله وله الدين اي الطاعة والانقياد واصبا اي ثابتا واجبا
لا زوال له لما تقرر ان الاله وحده الحقيق بان يرهب فقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء
اي وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف
على مقدر ينسحب عليه السياق اي اعقيب تقرر الشؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للسجود به تعالى وكون ذلك كله
له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذي
شانه ما ذكر تتقون فتطيعون وما بكم اي اي شيء يلابسكم ويصاحبكم من نعمة اية نعمة كانت فمن الله فمن
شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعم بهم سبب للاخبار
بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثم اذا مسكم الضر مساسا يسيرا فاليه تجأرون تتضرعون في كشفه لا الى غيره
والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا
وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية
المعبرة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من النعم وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساس ادنى
ما ينطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعم بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها للمخاطبين
بباء المصاحبة وايراد ما المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقق
وقوع الجواب ثم اذا كشف الضر عنكم وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس الضر
ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجاة الاشراك المدلول عليها بقوله
سبحانه اذا فريق منكم بربهم يشركون فان ترتبها على ذلك في ابعد غاية من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس
جميعا فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون
فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن تبعيضية ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان
بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران
النعمة وانكار كونها من الله عز وجل فتمتعوا امر تهديد بطريق الالتفات الى الخطاب للايذان بتناهي السخط وقرئ بالياء مبنيا
للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد
للتهديد فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد منبئ عن اخذ شديد لحيث لم يذكر
المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف ويجعلون لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم اي يفعلون ما يفعلون
من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك به عند كشفه ويجعلون لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجمادات
التي يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة وسفاهة ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعائد اليها
محذوف او لما لا علم له اصلا وليس من شانه ذلك فما موصولة ايضا والعائد اليها ما في الفعل من الضمير المستكن وصيغة
جمع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء او مصدرية واللام للتعليل اي لعدم علمهم المجعول له

مجهول للعلم بمكانه نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها تالله لتسئلن سؤال توبيخ
وتقريع عما كنتم تفترون في الدنيا بانها آلهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة
الى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة الذين
يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك او تعجب من جراءتهم
على التفوه بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين ما مرفوعة المحل على انه مبتداء والظرف المقدم خبره
والجملة حالية وسبحانه اعتراض في حاق موضعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اي يجعلون لانفسهم
ما يشتهون من البنين يؤدي الى جعل الجعل بمعنى يعم الزعم والاختيار واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها
ظل وجهه اي صار ودام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام
والتشوير وهو كظيم مملوء غيظا يتوارى يستخفي من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوء
والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء ايمسكه اي مترددا في امره محدثا نفسه في شانه ايمسكه
على هون ذل وقرئ هوان ام يدسه يخفيه في التراب بالوأد والتذكير باعتبار لفظ ما وقرئ بالتانيث
الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا شانه عندهم من الهوان والحقارة لله المتعالي عن الصاحبة
والولد والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطا جعلهم ذلك لله سبحانه مع
آبائهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز ان يكون مداره التعكيس لقوله تعالى
تلك اذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالآخرة ممن ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء التي هي
كالمثل في القبح وهو الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وايثار الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع
العار وخشية الاملاق المنادي بكل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار
بان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الاعلى اي الصفة العجيبة الشان
التي هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين
ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوا علوا كبيرا وهو العزيز المتفرد بكمال القدرة لاسيما على مؤاخذتهم بذنوبهم الحكيم الذي يفعل
كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته المتعالية تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم
بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وايذان
بان ما اتوه من القبائح قد تناهى الى امد لا غاية وراءه ما ترك عليها اي على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى
من دابة اي ما ترك عليها شيئا من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى
لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة
وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا
ويكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى لا يستأخرون عن ذلك الاجل اي لا يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار
بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة فذة وهي مثل في قلة المدة ولا يستقدمون اي لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه
لا يتصور الاستقدام عند مجيء الاجل مبالغة في بيان عدم الاستيخار بنظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات
كافرا مع ان لا توبة له راسا قد نظم في سمط من لم تقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك وقد مر في سورة يونس
ويجعلون لله اي يثبتون له سبحانه وينسبون اليه في زعمهم ما يكرهونه لانفسهم ... مما سبق
تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب اي يجعلون له تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف

التيم الكذب وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة لا جرم رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اي حقا ان لهم مكان ما املوا من الحسنى النار التي ليست وراءها عذاب وهي علم في السوء وانهم مفرطون اي مقدمون اليها من افرطته اي قدمته في طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته في طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط في الطاعات وبكسر الراء المخففة من الافراط في المعاصي فلا يكونان من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما ناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اي ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم اي قرينهم وبئس القرين اليوم اي يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية او في الدنيا او يوم القيمة على طريق حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار والولي بمعنى الناصر اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركي قريش والمعنى زين الامم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم وان يكون على حذف المضاف اي ولي امثالهم ولهم في الآخرة عذاب اليم هو عذاب النار وما انزلنا عليك الكتاب اي القرآن الا لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل اي ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبين لهم اي للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين اي للهداية والرحمة لقوم يؤمنون وانما انتصبا لكونهما اثري فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه في الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين لانهم المغتنمون آثاره والله انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء حسبما مر وهذا تكرير لما سبق تأكيدا لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد ماء نوعا خاصا من الماء هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاحيى به الارض بما انبت به فيها من انواع النباتات بعد موتها اي بعد يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب العادي لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة ان في ذلك اي في انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة لآية واية آية دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك اصم وان لكم في الانعام لعبرة عظيمة واي عبرة يحار في دركها العقول ويتيه في فهمها الباب الفحول نسقيكم استيناف لبيان ما ابهم اولا من العبرة مما في بطونه اي بطون الانعام والتذكير ههنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاكباش واخلاق كما ان تأنيثه في سورة المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن ليس لجميعها او لعلى المعنى فان المراد به الجنس وقرئ بفتح النون ههنا وفي سورة المؤمنين من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش المنهضمة بعض الانهضام وكثيف ما يبقى في المعا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الذي يغذو البدن لانهما لا يتكونان في الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد تجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة منها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيطيب طعمه فيصير لبنا ومن تدبر في بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعدادها ومقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته

وتناهي رأفته ورحمته ومن الاولى تبعيضية لما ان اللبن بعض ما في بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه التأخير يبعث للنفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده عليها لا سيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا وتنائيا بحيث لا يتراءى ناراهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر كما في قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا عن شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة الكاملة القاهرة الحاجزة عن بغي احدهما عليه مع كونه مكتنفا بهما سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد وبالتخفيف كهين وهين ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما يدل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم لاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب اي ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرهما وقوله تعالى تتخذون منه سكرا استيناف لبيان كنه الاطعام وكشفه او بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتأكيد او خبر لمبتدأ محذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه فحذف الموصوف انما كان في الكلام كلمة من شائع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعني العصير او لان المراد هو الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم ورزقا حسنا كالتمر والدبس والزبيب والخل والآية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة ان في ذلك لآية باهرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والتأمل واوحى ربك الى النحل اي الهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين ان اتخذي اي بان اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز ان يكون مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وتأنيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة والتأنيث لغة اهل الحجاز من الجبال بيوتا اي اوكارا مع ما فيها من وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر ومما يعرشون اي يعرشه الناس اي يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واسود واصفر واحمر بحسب اختلاف سن النحل والفصل او لاختلاف النور فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن الرسول صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرئ كانما انشط من عقال

وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما
في الصدور فعليكم بالشفائين العسل والقرآن ان في ذلك الذي ذكر من اعاجيب آثار قدرة الله تعالى لآية
عظيمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة
وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا بآلات رقيقة وادوات انيقة وانظار دقيقة جزم قطعا
بان لها خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم لما ذكر سبحانه من عجائب احوال ما ذكر
من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجائب احوال البشر من اول عمره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب
العمر في اربع الاولى سن النشو والنماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل
وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهي سن الشيخوخة ثم يتوفاكم حسبما يقتضيه مشيئته المبنية
على حكم بالغة بآجال مختلفة اطفالا او شبابا او شيوخا ومنكم من يرد قبل توفيه اي يعاد الى ارذل العمر اي اخسه
واحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما روي عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة وقيل خمس وتسعون
سنة وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه رجوع في الحقيقة الى الضعف
بعد القوة لقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا عمر اسوء حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل
والقوة لكيلا يعلم بعد علم كثير شيئا من العلم او من المعلومات او لكيلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشيء وقيل لئلا
يعقل بعد عقله الاول شيئا ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير على كل شيء يميت الشباب النشيط ويبقي الهرم الفاني
وفيه تنبيه على ان تفاوت الآجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان
ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعلكم متفاوتين
فيه فاعطاكم منه افضل مما اعطى مماليككم فما الذين فضلوا فيه على غيرهم برادي رزقهم الذي رزقهم اياه على ما
ملكت ايمانهم على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية فهم اي الملاك والمماليك فيه اي في الرزق
سواء اي لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوي وانما يردون عليهم منه شيئا يسيرا فحيث لا يرضون بمساواة
مماليكهم لانفسهم وهم امثالهم في البشرية والمخلوقية لله عز وجل في شيء لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذي
هو اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة
بذاته تعالى لذاته بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله
المشركون تقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الآية افبنعمة الله
يجحدون حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة عليهم
الى شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله تعالى او حيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعدما انعم الله بها عليهم والباء
لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل اي يشركون به
فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب او ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل انا الذي ارزقهم واياهم فلا يحسبوا
انهم يعطون شيئا وانما هو رزقي اجريه على ايديهم فهم جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم فلا يفهمون ذلك فيجحدون
نعمة الله فهو رد على زعم المفضلين او على زعمهم الموذن بذلك اما المفضلون برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا
في ذلك جميعا مع ان التفضيل ليس الا ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون لا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كأنه
قيل لم يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد يحكى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك الا ورداؤه
رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت والله جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا لتأنسوا بها وتقيموا بذلك
جميع مصالحكم ويكون اولادكم امثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام وجعل لكم من ازواجكم
وضع الظاهر موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره بنين وبان نتيجة الازواج

هو التوليد وحفدة جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد
اي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم وقيل المراد بهم اولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه
المنة فانهن يخدمن اتم خدمة وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين
وقيل الاختان على البنات وتأخير المنصوب في الموضعين عن المجرور لما مر من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور
بمن للايذان من اول الامر بعود منفعة الجعل اليهم امدادا للتشويق وتقوية له اي جعل لمصلحتكم مما يناسبكم ازواجا
وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض
اذ المرزوق في الدنيا انموذج لما في الآخرة افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم وان البحائر ونحوها حرام والفاء
في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف على مقدر اي يكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل او ابعد تحقق
ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه وبنعمة الله تعالى الفائضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به
دائرة البيان هم يكفرون حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص مبالغة
او لرعاية الفواصل والالتفات الى الغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين
تعجيبا لهم مما فعلوه ويعبدون من دون الله لعله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اي يكفرون بنعمة الله
ويعبدون من دونه ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ان جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية
منه اي ما لا يقدر على ان يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للمرزوق فنصب على البدلية
قليلا ومن السموات والارض صفة لرزقا اي كائنا منهما ويجوز كونه تأكيدا لا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ولا يستطيعون
ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم رأسا لانها موات لا حراك بها والضمير للآلهة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم
احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس له فلا تضربوا لله الامثال
التفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشأن النهي اي لا تشركوا به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد الى النهي عن الاشراك
به تعالى في شأن من الشؤون فان ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة اي لا تشبهوا بشأنه شأنا من الشؤون
واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون لا مثلها
في قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عدد من النعم الفائضة
عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بمعزل عن ان يملك لهم من اقطار السموات والارض شيئا من رزق
فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الازواج والاولاد ان الله يعلم تعليل للنهي المذكور ووعيد
على المنهي عنه انه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذرون وانه في غاية العظم والقبح وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه
لما جرأتم عليه وهو تعليل للنهي ايضا او انه تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمون فدعوا رأيكم وقفوا في مواقف الامتثال لما ورد عليكم من الامر والنهي ويجوز
ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوي
الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال ضرب الله مثلا اي ذكر واورد شيئا يستدل به
على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به وعلى تباعدهما بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوه نداء جليا
عبدا مملوكا لا يقدر على شيء بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة من المملوكية والعجز التام
وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبدا لله سبحانه وقد ادمج
فيه ان الحر عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والمأذون اللذين لهما تصرف في الجملة وفي ابهام
المثل ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة ومن رزقناه من موصوفة معطوفة على عبدا اي حرا رزقناه
بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالي ضرب المثل والرزق منا من جنابنا الكبير المتعالي رزقا
حسنا حلالا طيبا او مستحسنا عند الناس مرضيا فهو ينفق منه تفضلا واحسانا والفاء لترتيب الانفاق على الرزق
كأنه قيل ومن رزقناه منا فانفق وايثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الانفاق

واستمرارا ما يتجدد في سراً وجهراً اي حال السر والجهر او انفاق سر وانفاق جهر والمراد بيان عموم انفاقه للاوقات وشمول
انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهراً والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايذان
بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بان يقال وحراً مالكاً للاموال مع كونه ادل على تباين الحال بينه وبين قسيمه
لتوخي تحقيق الحق بان الاحرار ايضاً تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وان مالكيتهم لما يملكونه ليست الا بان رزقهم
الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين
الممثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين هل يستوون
جمع الضمير للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فردان معينان منهما
اي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان الفريقين سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه
وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده ولا في تملكه بل هو مما اعطاهم الله تعالى اياه فحيث لم يستو الفريقان
فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل اذل منه وهو الاصنام الحمد لله اي كله له لانه مولي جميع النعم لا يستحقه
غيره وان ظهرت على ايدي بعض الوسائط فضلاً عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما يظهر على يد
من ينفق فيما ذكر راجع الى الله تعالى كما يلوح به قوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه
لاجلها ونفي العلم عن اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك وانما لا يعملون بموجبه عناداً كقوله تعالى يعرفون نعمة
الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وضرب الله مثلاً اي مثلاً آخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه اوضح
واظهر وبعدما ابهم ذلك لتنتظر النفس الى وروده وتترقبه حتى يتمكن لديها عند وروده فضل تمكن رجلين احدهما
ابكم وهو من ولد اخرس لا يقدر على شيء من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة لقلة فهمه
وسوء ادراكه وهو كل ثقل وعيال على مولاه على من يعوله ويلي امره وهذا بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه
بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقاً وقوله تعالى اينما يوجهه اي حيث يرسله مولاه في امر بيان لعدم قدرته على اقامة
مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه لا يأت بخير بنجح
وكفاية مهم البتة هل يستوي هو مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يأمر بالعدل اي من هو منطيق فهم ذو رأي
وكفاية ورشد ينفع الناس ويحثهم على العدل الجامع لجامع الفضائل وهو في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام الخلق التام
على صراط مستقيم ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لانهما في حاق ما يقابلها فان محصل الصفات المذكورة
عدم استحقاق المأمورية ومحصل هذين الوصفين استحقاق كمال الآمرية المستتبع لحيازة المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب
حيث لم يقل والآخر آمر بالعدل الا يقال لعدم الملاءمة بينه وبين المقصود من بيان التباين بين القرينتين واعلم ان
كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله ضرب
مثلا بخلق الفريقين على ما هما عليه فكان خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه
وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي ولله تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالاً ولا اشتراكاً
غيب السموات والارض اي الامور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالاً
ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما حالاً او مآلاً واما باعتبار الغيبة عن اهلهما والمراد
بيان الاختصاص به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان
الامر كذلك في نفس الامر وفيه اشعار بان علمه سبحانه حضوري فان تحقق الغيوب في انفسها علم بالنسبة اليه سبحانه
وتعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب ما في السموات والارض وما امر الساعة التي هي اعظم ما وقع فيه المماراة من الغيوب
المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما وظهور آثارها فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعها بعينه من الغيوب المختصة به
سبحانه وان كانت اتيتها من الغيوب التي نصبت عليها الادلة اي ما شأنها في سرعة المجيء الا كلمح البصر اي كرجع الطرف
من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو بل امرها فيما ذكر اقرب من ذلك واسرع زماناً بان يقع في بعض من زمانه فان

ذلك وان تصور حركته انما لها هوية اتصالية منطبقة على زمان لها هوية كذلك قابل للانقسام الى ابعاض هي
ازمنة ايضاً بل في آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة او وما امر الاماتة التي التي يستغرب
ويقال له هو كلمح البصر او هو اقرب وانما ما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة الشريفة باتى
ان الله على كل شيء قدير ومن جملة الاشياء ان يجيء بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك وما امر اقامة الساعة التي
كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وتعالى وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين
وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة
التأتي الا كلمح البصر او هو اقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب
السموات والارض عبارة عن يوم القيمة بعينه لما ان علمه بخصوصه غائب عن اهلهما فوضع الساعة موضع الضمير
لتقوية مضمون الجملة والله اخرجكم من بطون امهاتكم عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجاً منتظم
معه في سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل
بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضاً جمع الام زيدت الهاء كما زيدت في اهراق من اراق وشذت
زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئاً في موقع الحال اي غير عالمين شيئاً اصلاً وجعل لكم
السمع والابصار والافئدة عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الاخراج لما ان مدلول
الواو هو الجمع مطلقاً لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج اي جعل لكم هذه الاشياء لا لتحصلوا
بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات
والمناسبات بتكرر الاحساس فتحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع
فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوبات
لما مر مراراً من الايذان من اول الامر بكون المجعول نافعاً لهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها
فضل تمكن لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم به عليكم طوراً غب طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لما انه
طريق تلقي الوحي او لان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدراً في الاصل الم يروا وقرئ
بالتاء الى الطير جمع طائر اي الم ينظروا اليها مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة
له وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشيء منقاداً لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب
للانسان والواقع ههنا تسخير الهواء للطير ليطير فيه كيف يشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران
وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى في جو السماء اي في الهواء المتباعد من الارض
في السمك كما في الجو ابعد منه واضافته الى السماء لما انه في جانبها من الناظر واظهار كمال القدرة ما يمسكهن في الجو
حين قبض اجنحتهن وبسطها ووقوفهن الا الله عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان
سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو حال من الضمير المستتر في مسخرات او من الطير او مستأنف
ان في ذلك الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يتمكن بها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذناباً كذلك
وجعل اجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها ان يخرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام
وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيها بحجم لآيات ظاهرة لقوم يؤمنون اي من شأنهم ان يؤمنوا وانما
خص ذلك بهم لانهم المنتفعون به والله جعل لكم معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما سيأتي من المجرور والمنصوب لما مر من
الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم ولمنفعتهم لتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر
والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة وتأكيد لما سبق من التشويق سكناً فعل بمعنى مفعول اي موضعاً تسكنون فيه
وقت اقامتكم او تسكنون من غير ان تنتقل من مكان الى مكان اي جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون فيه وتطمئنون به وجعل لكم
من جلود الانعام بيوتاً اي بيوتاً اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب والاخبية والفساطيط تستخفونها

يجدونها خفيفة سهلة المأخذ يوم ظعنكم وقت ترحالكم في النقض والحمل والنقل وقرئ بفتح العين ويوم إقامتكم
وقت نزولكم في الضرب والبناء ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها عطف على قوله تعالى من جلود والضمائر للأنعام
على وجه التنويع أي وجعل لكم من أصواف الضأن وأوبار الإبل وأشعار المعز أثاثا أي متاع البيت وأصله الكثرة
والاجتماع ومنه شعر أثيث ومتاعا أي شيئا يتمتع به بفنون التمتع إلى حين أي إلى أن تقضوا منه أوطاركم أو إلى أن يبلى
ويفنى فإنه في معرض البلى والفناء وقيل إلى أن تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل والله جعل لكم مما
خلق من غير صنع من قبلكم ظلالا أشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لأن
تلك الديار غالبة الحر وجعل لكم من الجبال أكنانا مواضع تسكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب والكلام
في الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذي مر غير مرة وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو كل ما يلبس أي جعل لكم ثيابا من
الكتان والصوف وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر أو لأن وقايته هي الأهم لما
مر آنفا وسرابيل من الدروع والجواشن تقيكم بأسكم أي البأس الذي يصل إليكم من بعضكم في الحرب من الضرب
والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام وأضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الأنعام
الخ ثم بما يعم من لا يقدر على ذلك ولا يأويه إلا الظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الخ ثم بما لا بد منه لأحد حيث
قال وجعل لكم سرابيل الخ ثم بما لا غنى عنه في الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم بأسكم ثم قال كذلك أي مثل ذلك الإتمام البالغ
يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون أي إرادة أن تنظروا فيما أسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والأنفسية والآفاقية
فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لأمره وإفراد النعمة إما لأن المراد بها المصدر
أو لإظهار أن ذلك بالنسبة إلى جناب الكبرياء شيء قليل وقرئ تسلمون أي تسلمون من العذاب أو من الشرك وقيل من الجراح
بلبس الدروع فإن تولوا فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له
أي فإن أعرضوا عن الإسلام ولم يقبلوا منك ما ألقي إليهم من البينات والعبر والعظات فإنما عليك البلاغ المبين
أي فلا قصور من جهتك لأن وظيفتك هي البلاغ الموضح أو الواضح وقد بلغت بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع
المسبب يعرفون نعمة الله استئناف لبيان أن توليهم وإعراضهم عن الإسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى أصلا فإنهم
يعرفونها ويعرفون أنها من الله تعالى ثم ينكرونها بأفعالهم حيث يعبدون غير منعمها أو بقولهم إنها بشفاعة آلهتنا أو
بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون أبناءهم ثم أنكروها عنادا ومعنى
ثم استبعاد الإنكار بعد المعرفة لأن حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الإنكار وإسناد المعرفة والإنكار المتفرع عليها
إلى ضمير المشركين على الإطلاق من باب إسناد حال البعض إلى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وإنما القاتل واحد منهم
فإن بعضهم ليسوا كذلك كما يعرب عنه قوله تعالى وأكثرهم الكافرون أي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم
بطريق الكفر الوارد بالكمال من حيث الكمية لا ينافي كمال الرتبة الأولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الأكثر إما
لأن بعضهم لم يعرفوا لنقصان العقل أو للتفريط في النظر أو لم تقم عليه الحجة لأنه لم يبلغ حد التكليف فتدبر ويوم نبعث
من كل أمة شهيدا يشهد لهم بالطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار إذ لا عذر
لهم وثم للدلالة على أن ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الإقناط الكلي وهو عندما يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
أشد من ابتلائهم بشهادة الأنبياء عليهم السلام وأطم ولا هم يستعتبون أي يسترضون أي لا يقال لهم أرضوا ربكم
إذ الآخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر أو خوفهم يوم نبعث الخ أو يوم نبعث يحيق بهم ما
يحيق مما لا يوصف وكذا قوله تعالى وإذا رأى الذين ظلموا العذاب الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم
فلا يخفف عنهم ذلك ولا هم ينظرون أي يمهلون كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم
الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الأوثان أو الشياطين الذين يشاركونهم في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي والضلال

قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك أي نعبدهم أو نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع
العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه فألقوا أي شركاؤهم إليهم القول إنكم لكاذبون فإن تكذيبهم إياهم
فيما قالوا ليس إلا للمدافعة عن غائلة مضمونه وإنما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لأنهم ما كانوا راضين
بعبادتهم لهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن
هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله تعالى عن الشريك والشياطين
وإن كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والإلجاء كما قال إبليس وما كان لي عليكم من سلطان
إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فكأنهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل إنما عبدتم أهواءكم وألقوا أي الذين أشركوا إلى الله
يومئذ السلم الاستسلام والانقياد لحكمه الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا وضل عنهم أي ضاع وبطل
ما كانوا يفترون من أن لله سبحانه شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤوا منهم
الذين كفروا في أنفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق
العذاب الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال
تلسع إحداهن فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد
إلى النار بما كانوا يفسدون متعلق بقوله زدناهم أي زدناهم عذابا بسبب استمرارهم على الإفساد وهو الصد
المذكور ويوم نبعث تكرير لما سبق تثنية للتهديد في كل أمة شهيدا عليهم أي نبيا من أنفسهم من جنسهم
قطعا لمعذرتهم وفي قوله تعالى عليهم إشعار بأن شهادة أنبيائهم على تكون بمحضر منهم وجئنا بك أي آتينا
بك لنظائرك على البعث لكمال العناية بشأنه صلى الله عليه وسلم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع شهيدا على هؤلاء الأمم
وشهدائهم كقوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل على أمتك والعامل في الظرف
محذوف كما مر والمراد به يوم القيامة ونزلنا عليك الكتاب الكامل في الكتابية الحقيق بأن يخص اسم الجنس به
وهو إما استئناف أو حال بتقدير قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء يتعلق بأمور الدين ومن جملة ذلك أحوال الأمم
مع أنبيائهم فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيدا عليهم وكذا من جملته ما أخبر به من بعث الشهداء
[illegible]
[illegible]
قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا [illegible]
الإجماع والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب [illegible]
[illegible]
[illegible] وهدى ورحمة للعالمين [illegible]
[illegible] وبشرى للمسلمين خاصة [illegible]
إن الله يأمر [illegible]
بالعدل [illegible] بالتوسط [illegible]
[illegible] فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية
من العفة المتوسطة بين الخلاعة والجمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور
والجبن [illegible] التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك [illegible]
[illegible] والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر [illegible]
[illegible] والإحسان أي إتيان ما أمر به على الوجه

الأليق

وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفيات كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم
اهتماما بشانه وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا او عقلا
من الافراط في اظهار آثار القوة الغضبية والبغي الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من
آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس
في البشر شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى ولذلك قال ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الآية لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى
يعظكم بما يأمر وينهى وهو اما استئناف واما حال من الضمير في الفعلين لعلكم تذكرون طلبا لان تتعظوا بذلك
واوفوا بعهد الله هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله اذا عاهدتم اي حافظوا على حدودها وما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله
عليه السلام ولا تنقضوا الايمان التي يحلفون بها عند المعاهدة بعد توكيدها حسبما هو المعهود في اثناء العهود
لا على ان يكون النهي مقيدا بالتوكيد محضا وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به
محافظ عليه ان الله يعلم ما تفعلون من نقض الايمان فيجازيكم على ذلك ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض
كالتي نقضت غزلها اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي كالمرأة التي نقضت
غزلها من بعد ابرامه واحكامه انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها
او على انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تشبيه حال الناقض بحال الناقض لمثل هذه المرأة المعتوهة
قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها
وكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم
حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار والمجرور الواقع موقع الخبر اي متشابهين بامرأة شانها هذا حال كونكم
متخذين ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة بان تكون
جماعة هي اربى اي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة اخرى اي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او
لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم
انما يبلوكم الله به اي بان تكونوا امة اربى من امة اي يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر هل تتمسكون
بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم
بحسب ظاهر الحال وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا ولو شاء
الله مشيئة قسر والجاء لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية
الحكمة بل يضل من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئي اليه ويهدي من يشاء
هدايته حسبما يصرف اختياره الى تحصيلها ولتسألن جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا وهذا اشارة الى
ما تلوح به من الكسب الذي يدور عليه امر الهداية والضلال ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي
عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيدا لقوله سبحانه فتزل قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها
عليها ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة اي قدم كانت عزت او هانت
محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء اي العذاب الدنيوي بما صددتم بصدودكم او بصدكم غيركم
عن سبيل الله الذي ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم في الآخرة
عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله اي لا تاخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم
وآياته الناطقة بايجاب المحافظة على العهود والايمان ثمنا قليلا اي لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا وهو ما كانت

قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا انما عند الله عز وجل من النصر
والتغنيم والثواب الاخروي هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز
وهو تعليل للنهي على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى ما عندكم تعليل للخيرية بطريق الاستئناف اي ما تتمتعون به
من نعيم الدنيا بل الدنيا وما فيها جميعا ينفد وان جم عدده وينقضي وان طال امده وما عند الله
من خزائن رحمته الدنيوية والاخروية باق لا نفاد له اما الاخروية فظاهر واما الدنيوية فحيث كانت
موصلة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وفي ايثار الاسم على صيغة المضارع
من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى ولنجزين بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد
من قوله تعالى انما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمي مبالغة في الحمل على الثبات في الدين والالتفات لما تقتضيه ظاهر الحال
من ان يقال ولنجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها اي والله لنجزين الذين صبروا
على اذية المشركين ومشاق الاسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات أجرهم مفعول ثان
اي لنعطينهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الامور المذكورة باحسن ما كانوا يعملون اي لنجزينهم
بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله سبحانه وحسن
ثواب الآخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله تعالى
اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة
الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا انا نعطي الاجر بحسب افرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بان نجزي الحسن بالحسن
والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض
جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل او لنجزينهم بجزاء احسن من اعمالهم واما التفضيل بما يترجح فعله من اعمالهم
كالواجبات والمندوبات او يترجح تركه ايضا كالمحرمات والمكروهات فلا يلائم المقام لان ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوي
فعله وتركه كالمباحات فلا وجه لتعميم مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب
في تحصيل غيرها بابل التعرض لاخراج بعض اعمالهم من مدار الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها
من عمل صالحا اي عملا صالحا اي عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غب ترغيب طائفة
منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الاجر الموفور بهم وبعملهم المذكور وقوله
تعالى من ذكر او انثى للتعميم بيان بالنوعين وهو مؤمن قيد به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب
او تخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية
الحالية على نظمه في سلك الصلة لافادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا
يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع
الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان
موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه ولنجزينهم في الآخرة اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه تكرار وتوحيد الضمير في الضمائر العائدة الى الموصول مراعاة لجانب اللفظ
كما ان الاول [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فاذا قرأت القرآن اي اذا اردت قراءته [illegible]
[illegible] فاستعذ بالله [illegible]
ان يعيذك من الشيطان الرجيم من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان له همزا

قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآية وتوجيه الخطاب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القرآن من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها
للتنبيه على انها لغيره عليه السلام وفي ساير الاعمال الصالحة اهم فانه عليه السلام حيث امر بها عند قراءة القرآن
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عم فيما عدا القراءة من الاعمال والامر للندب
وعند عطاء للوجوب وهذا مذهب الجمهور وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة رض
ومالك وابن سيرين وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه السلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا
اقرانيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ انه الضمير للشأن او للشيطان ليس له سلطان
تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اي اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون
وما يذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة الماضي في الصلة الاولى
للدلالة على التحقيق كما ان اختيار صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستمرار التجددي وفي التعرض لوصف
الربوبية عدة كريمة باعانة المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او لجوابه المنوي اي يعذك ونحوه انما
سلطانه اي تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والالجاء فانه منتف عن الفريقين
كقوله سبحانه حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقد افصح عنه قوله تعالى على الذين
يتولونه اي يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه فان المقسور بمعزل من ذلك والذين هم به سبحانه
وتعالى مشركون او بسبب الشيطان مشركون اذ هو الذي حملهم على الاشراك به سبحانه وقصر سلطانه عليهم
غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على ان لا واسطة في الخارج بين التوكل على الله سبحانه وبين تولي الشيطان
وان كان بينهما واسطة في المفهوم وان من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به
يتم التعليل ففيه مبالغة في الحمل على التوكل والتحذير عن مقابله وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الاولى
لما مر من افادة الاستمرار التجددي كما ان اختيار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز
عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم
الاولى على الثانية التي هي مقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله
تعالى ولو روعي الترتيب السابق لانفصل كل من القرينتين عما يقابلها واذا بدلنا آية مكان آية اي انزلنا آية
من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلا بان نسخناها بها والله اعلم بما ينزل اولا وآخرا بان كلا من ذلك
نزلت حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فان لكل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة في وقت تنقلب مفسدة في وقت آخر
وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع الا مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور حسبما
تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد
الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية وقرئ بالتخفيف
من الانزال قالوا اي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ انما انت مفتر اي متقول على الله تعالى تأمر بشيء ثم تبدو لك
فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات الشيطان وانه وليهم بل
اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان في النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما
ان منهم من يعلم ذلك وانما ينكر عنادا قل نزله اي القرآن المدلول عليه بالآية روح القدس يعني جبريل عم
اي الروح المطهر من الادناس البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قيل حاتم
الجود للمبالغة في ذلك الوصف كأنه طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين اشعار بان التدريج في الانزال مما
تقتضيه الحكمة البالغة من ربك في اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة على تحقيق افاضة آثار

الربوبية عليه عم ما ليس في اضافته الى ياء المتكلم المبنية على التلقين المحض بالحق اي ملتبسا بالحق اي
الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها اثباتا ونسخا وفيه دلالة على ان النسخ حق ليثبت الذين آمنوا على الايمان
بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح بالحال رسخت عقايدهم واطمأنت
قلوبهم وقرئ ليثبت من الافعال وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت
اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم
يقولون غير ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء انما يعلمه اي القرآن بشر على طريق التبيع ظهورا انه نزله روح
القدس عم وتحلية الجملة بنون التأكيد لتحقيق ما يتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم
لاستمرار التجددي في متعلقه فانهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبرا الرومي غلام عامر بن
الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم
يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان
الفارسي رض وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور كذبهم للايذان بان مدار خطائهم
ليس بنسبته عم الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عم معدنا لعلوم الاولين والآخرين لسان
الذي يلحدون اليه اعجمي لا الحاد الامالة من لحد القبر اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير
لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه اي لغة الرجل الذي يميلون اليه القول عن الاستقامة
اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء وبتعريف اللسان وهذا القرآن الكريم لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة
والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره ان القرآن معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه
فكيف يعلمه هذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثناء الطعن باذيال هذه الخرافات الركيكة دليل
على كمال عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي لا يصدقون انها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون
يسمونها تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق والى سبيل النجاة هداية موصلة الى
المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الآخرة عذاب اليم وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم
عليه من الكفر بآيات الله ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافتراء والتعلم من البشر بعد اماطة
شبههم ورد طعنهم وقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله رد لقولهم انما انت مفتر
وقلب الامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله تعالى بواسطة روح القدس
وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى
اعلم ان المفتري هو الذي يكذب بآيات الله ويقول انه افتراء ومعلم من البشر اي تكذيبها على الوجه المذكور
هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقته الكذب والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه كذبا
وافتراء كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية
المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه اعني قوله تعالى لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفتري الكذب ويليق ذلك
بمن لا يؤمن بآيات الله لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه واما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب
فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة واولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بآيات الله هم الكاذبون على الحقيقة او
الكاملون في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب آياته تعالى والطعن فيها بامثال هذه الاباطيل والسر في ذلك ان
الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع ما
لم يقع كذلك مدافعة لله تعالى في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبئ عنه معا او الذين
عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروءة وقيل الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله اي تلفظ
بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بآيات الله بعد بيان حال من لم يؤمن

بها واما من موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الجزاء الآتي عليه او خبر لهما معا او النصب على الذم الا من اكره على ذلك بامر يخاف على نفسه او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب او العذاب او الذم لان الكفر لغة يعم القول كما اشير اليه وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه لا نفس الاكراه لان مقارنة اطمئنان القلب بالايمان للاكراه لا يجدي وانما المجدي مقارنته للكفر الواقع به اي الا من كفر باكراه او الا من اكره فكفر والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من لم يكن كذلك بل من شرح بالكفر صدرا اي اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب عظيم لا يكتنه كنهه من الله اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في الضميرين المجرورين لرعاية جانب المعنى كما ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فابى ابواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكره عليه فقالوا يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه وروي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد عليه السلام قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة واما الثاني فقد صدع بالحق ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد المذكور بانهم بسبب انهم استحبوا الحيوة الدنيا آثروها على الآخرة وان الله لا يهدي الى الايمان والى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجاء القوم الكافرين في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثار الحيوة الدنيا على الآخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بان آثروا الآخرة على الدنيا او بان هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع واليه اشير بقوله تعالى اولئك اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة اذ لا غفلة اعظم من الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا يفضي الا الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه رضي الله تعالى عنهم اي انهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوجبه ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الآتي عليه ويجوز ان يكون ذلك خبرا لها فيكون ان الثانية تأكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لا عن زمان الكفر من بعد ما فتنوا اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالايمان وقرئ على البناء للفاعل اي عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا في سبيل الله وصبروا على مشاق الجهاد ان ربك من بعدها من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة او من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم لغفور لما فعلوا من قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين ايماء الى علة الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم مع ظهور الاثر في الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به عليه الصلوة والسلام

واشعار بان افاضة الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته ولكونهم اتباعا له يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم وما عطف عليه او باذكر او بيوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين تجادل عن نفسها عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس اي تعطى وافيا كاملا ما عملت اي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين الاجزية والاعمال وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم او لا يعاقبون بغير موجب ولا زيادة في عقابهم على ذنوبهم وضرب الله مثلا قرية قيل ضرب المثل صنعته واعتماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما عدي الى الاثنين لتضمينه معنى الجعل وتأخير قرية مع كونها مفعولا اول لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التأخير عن الكل مخل بتجاذب اطراف النظم وتجاوبها ولان ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقبا لوروده وتشوقا اليه لا سيما اذا كان المقدم ما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المتأخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية اما محققة في الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلا لاهل مكة خاصة او لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله بنعمتهم نقمة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا كانت آمنة ذات امن من كل مخوف مطمئنة لا يزعج اهلها مزعج يأتيها رزقها اقوات اهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت اي كفر اهلها بانعم الله اي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس والمراد بها نعمة الرزق والامن المستمر وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة فاذاقها الله اي اذاق اهلها لباس الجوع والخوف شبه اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فان الغمر مع انه في الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا او شبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس الغاشي للابس المناسب للخوف بجامع الاحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية واخرى بطعم المر البشع الملائم للجوع الناشي من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومي اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة لايصال الضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشي مما ذكر من فقد الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة او لمراعاة المقارنة بينها وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه ايضا عطفا على المضاف او اقامة له مقام مضاف محذوف واصله ولباس الخوف بما كانوا يصنعون فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور واسند ذلك الى اهل القرية تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة ولقد جاءهم من تتمة التمثيل جيء بها لبيان ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق ايضا ولقد جاء اهل تلك القرية رسول منهم اي من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعم وانذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون فكذبوه في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة وعدم ذكره للايذان بمفاجأتهم بالتكذيب من غير تلعثم فاخذهم العذاب المستأصل لشأفتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك

وهم ظالمون أي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين
عما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم في ذلك كل حد معتاد وترتيب
العذاب على تكذيب الرسول جرى على سنة الله تعالى حسبما يرشد إليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وترتيب التمثيل فإنه حال أهل مكة سواء ضرب لهم المثل خاصة أو لمن سار سيرتهم كافة تحاذيه حال أهل تلك القرية حذو
القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما تمر
بباله طيف من الخوف وكانت تجبى إليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم وأي رسول يحار في إدراك سمو رتبته العقول
صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بأنعم الله وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم فأذاقهم الله لباس الجوع
والخوف حيث أصابهم بدعائه عليه السلام بقوله اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ما أصابهم من جدب شديد
وأزمة تخصت كل شيء حتى اضطرتهم إلى أكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم
وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم
وقوافلهم ثم أخذهم يوم بدر ما أخذهم من العذاب هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام وأما ما
أجمع عليه أكثر أهل التفسير من أن الضمير في قوله ولقد جاءهم لأهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعدما ذكر مثلهم وأن المراد
بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما أصابهم من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله تعالى
فكلوا مما رزقكم الله مفرع على نتيجة التمثيل وصدهم عما يؤدي إلى مثل عاقبته والمعنى وإذ قد استبان لكم حال من كفر
بأنعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي أولا وآخرا فانتهوا عما أنتم عليه من كفران النعم و
تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم كيلا يحل بكم ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى وأطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم
في أمره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه حلالا طيبا وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها واشكروا نعمة
الله واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الأمر بالشكر وإنما أدخلت على الأمر بالأكل
لكون الأكل ذريعة إلى الشكر فكأنه قيل فاشكروا نعمة الله غب أكلها حلالا طيبا وقد اندرج فيه النهي عن زعم الحرمة
ولا ريب في أن هذا إنما يتصور حين كان العذاب المستأصل متوقعا بعد وقد تمهد مباديه وبعدما وقع ما وقع
فمن ذا الذي يحذره ومن ذا الذي يأمر بالأكل والشكر وحمل قوله تعالى فأخذهم العذاب وهم ظالمون على الإخبار
بذلك قبل الوقوع يأباه التصدي لاستصلاحهم بالأمر والنهي وتوجيه خطاب الأمر بالأكل إلى المؤمنين مع أن
ما يتلوه من خطاب النهي متوجه إلى الكفار كما فعله الواحدي حيث قال فكلوا أنتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله
من الغنائم مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل إن كنتم إياه تعبدون أي تطيعون أو إن صح زعمكم أنكم تقصدون
بعبادة الآلهة عبادته تعالى إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به تعليل لحل
ما أمرهم بأكله مما رزقهم أي إنما حرم هذه الأشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر والسوائب ونحوها فمن اضطر أي دعا
إليه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك غير باغ أي على مضطر آخر ولا عاد أي متجاوز قدر الضرورة فإن ربك غفور
رحيم أي لا يؤاخذه بذلك فأقيم سببه مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية إيماء إلى علة الحكم وفي الإضافة إلى ضميره
إظهار لكمال اللطف به عليه السلام وتصدير الجملة بإنما لحصر المحرمات في الأجناس الأربعة إلا ما ضم إليه كالسباع
والحمر الأهلية ثم أكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل بأهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم اللام صلة مثل
ما في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات أي لا تقولوا في شأن ما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل
والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على
ملاحظة وفكر فضلا عن استناده إلى وحي أو قياس مبني عليه الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى هذا
حلال وهذا حرام بدل منه ويجوز أن يتعلق بتصف على إرادة القول أي لا تقولوا لما تصف ألسنتكم فتقول
هذا حلال وهذا حرام وأن يكون القول المقدر حالا من ألسنتكم أي قائلة هذا حلال إلخ ويجوز أن ينتصب ويتعلق

هذا حلال إلى آخره بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية أي لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم
الكذب أي لا تحلوا ولا تحرموا بمجرد وصف ألسنتكم الكذب وتصويرها بصورة مستحسنة وتزيينها في المسامع
كأن ألسنتهم لكونها منشأ الكذب ومنبع الزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه أوضح
وصف وأبين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرئ
بالجر صفة لما مع مدخولها كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف
وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم أو
بمعنى الكلم الكواذب أو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني لتفتروا على الله الكذب فإن مدار
الحل والحرمة ليس إلا أمر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة إسناد للتحليل والتحريم إلى الله سبحانه من غير أن يكون
ذلك منه واللام لام العاقبة إن الذين يفترون على الله الكذب في أمر من الأمور لا يفلحون لا يفوزون
بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية
منفعة قليلة ولهم في الآخرة عذاب أليم لا يكتنه كنهه وعلى الذين هادوا خاصة دون غيرهم من الأولين والآخرين
حرمنا ما قصصنا عليك أي بقوله تعالى حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الآية من قبل متعلق
بقصصنا أو بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل وإبطال ما يخالفه من زعم اليهود وتكذيبهم
في ذلك فإنهم كانوا يقولون لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى
الأمر إلينا وما ظلمناهم بذلك التحريم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به حسبما نعى عليهم
قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية ولقد ألقمهم الحجر بقوله تعالى كل الطعام كان حلا
لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين روي أنه
عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها أن تحريم ما حرم عليهم من الطيبات
لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا أوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ثم إن ربك للذين
عملوا السوء بجهالة أي بسبب جهالة أو ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب
لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك أي من بعد ما عملوا ما عملوا
والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة وأصلحوا أي أصلحوا أعمالهم أو دخلوا في الصلاح إن ربك
من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى
إن ربك لتأكيد الوعد وإظهار كمال العناية بإنجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام
مع ظهور الأثر في التائبين للإيماء إلى أن إفاضة آثار الربوبية من المغفرة والرحمة بتوسطه عليه السلام وكونهم من أتباعه
كما أشير إليه فيما مر إن إبراهيم كان أمة على حيالها لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد إلا متفرقة في أمة
جمة حسبما قيل ليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد وهو رئيس أهل التوحيد وقدوة أصحاب التحقيق جادل أهل
الشرك وألقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقي ولا تذر وأبطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة أو لأنه
عليه السلام كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من أمه إذا قصده
أو اقتدى به فإن الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته كقوله تعالى إني جاعلك للناس إماما وإيراد ذكره
عليه السلام عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما أحله الله تعالى للإيذان
بأن حقية دين الإسلام وبطلان الشرك وفروعه أمر ثابت لا ريب فيه قانتا لله مطيعا له قائما بأوامره حنيفا
مائلا عن كل دين باطل إلى الدين الحق غير زائل عنه بحال ولم يك من المشركين في أمر من أمور دينهم أصلا وفرعا صرح
بذلك مع ظهوره ردا على كفار قريش في قولهم نحن على ملة إبراهيم عليه السلام وعلى اليهود لقولهم عزير ابن الله في افترائهم
وادعائهم أنه عليه السلام كان على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما

وما كان من المشركين اذ به ينتظم امر ايراد التحريم والسبت سابقا ولاحقا شاكرا لانعمه صفة ثالثة لامة وانما
اوثر صيغة جمع القلة للايذان بانه عم لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عم على خلاف ما هم
عليه من الكفران بانعم الله حسبما بين ذلك بضرب المثل اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم موصل اليه
سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عم بل مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة
الاجتباء وآتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى انه
ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم والالتفات الى التكلم
لاظهار كمال الاعتناء بشانه وتفخيم مكانه عم وانه في الآخرة لمن الصالحين اصحاب الدرجات العالية في الجنة
حسبما سأله بقوله والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم ثم
اوحينا اليك مع علو طبقتك وسمو رتبتك ان اتبع ملة ابرهيم الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان
الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة وتحقيقه ان الوضع
الالهي مهما نسب الى من يؤديه عن الله سبحانه يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه ويعمل به يسمى دينا قال الراغب الفرق بينهما
ان الملة لا يضاف الا الى النبي ولا يكاد يوجد مضافة الى الله سبحانه ولا الى آحاد الامة ولا يستعمل الا في جملة
الشرائع دون آحادها والمراد بملته عم الاسلام الذي عبر عنه آنفا بالصراط المستقيم حنيفا حال من المضاف اليه
لما ان المضاف لشدة اتصاله به عم جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رايت وجه هند قائمة والمأمور بالاتباع
في الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للايذان بان هذه النعمة اجل
النعم الفائضة عليه عم وما كان من المشركين تكرير لما سبق لزيادة تأكيد وتقرير لنزاهته عم عما هم عليه
من عقد وعمل وقوله سبحانه انما جعل السبت اي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك
النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا في كليته حسبما سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا
فان اليهود كانوا يدعون ان السبت من شرائع الاسلام وان ابراهيم عم كان محافظا عليه اي ليس السبت من شرائع
ابراهيم وشعائر ملته التي امرت باتباعها حتى يكون بينه وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وانما شرع ذلك
لبني اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول جري على سنن الكبرياء وايذان بعدم الحاجة الى التصريح
بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على
وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه للايذان بتضمنه للتشديد
والابتلاء المؤدي الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شانه قبل الوقوع ايثارا له على ما امر الله تعالى
واختيارا للعكس لكن لا باعتبار شمول العلية لطرفي الاختلاف وعموم الغائلة للفريقين بل باعتبار حال منشأ
الاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك ان موسى عم امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا وان يكون
ذلك يوم الجمعة فابوا عنه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا
شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله تعالى
الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله تعالى قردة دون اولئك
المطيعين وان ربك ليحكم بينهم اي بين الفريقين المختلفين فيه يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اي يفصل ما
بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه ايماء الى ان ما وقع
في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الآخر بالنسبة الى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي يستدعيه
الاعجاز التنزيلي وقد قيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه اي احلوا الصيد فيه
تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله سبحانه به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة
باختلاف افعالهم بالاحلال تارة وبالتحريم اخرى ووجه ايراده ههنا بانه اريد به انذار المشركين من سخط

الله تعالى على العصاة والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بانعم الله تعالى ولا ريب في ان كلمة بينهم
تحكم بان المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسيط حديث المسخ للانذار المذكور بين حكاية
امر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم عم وبين امره صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليها من قبيل الفصل
بين الشجر ولحائه فتأمل ادع اي من بعثت اليهم من الامة قاطبة فحذف المفعول للتعميم او افعل الدعوة كما في قولهم
فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع فحذف للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غني
عن البيان وانما المقصود الامر بايجادها على وجه مخصوص الى سبيل ربك الى الاسلام الذي عبر عنه تارة بالصراط
المستقيم واخرى بملة ابراهيم عم وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء الى كماله اللائق شيئا
فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير النبي عليه السلام في مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام الشريعة
الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم والايماء الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى بالحكمة اي بالمقالة
المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة اي الخطابات المقنعة والعبر النافعة على وجه
لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم
ويجوز ان يكون المراد بهما القرآن المجيد فانه جامع لهذين الوصفين وجادلهم اي ناظر معانديهم بالتي هي احسن
بالطريقة التي هي احسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات
المشهورة تسكينا لشغبهم واطفاء للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الذي
امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق بعد ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر وهو اعلم بالمهتدين اليه بذلك
وهو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله تعالى اعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الى الطريقة المذكورة فانه تعالى هو اعلم
بحال من لا يرعوي عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من خير
جبلي فما شرعه لك في الدعوة وهو الذي تقتضيه الحكمة فانه كاف في هداية المهتدين وازالة عذر الضالين او
ما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن واما حصول الهداية والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ
هو اعلم بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدي اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما ان مساق الكلام
لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله التي فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة
وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جيء به
على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات وتكرير هو اعلم للتأكيد والاشعار بتباين حال المعلومين ومآلهما من العقاب
والثواب ولما امره عم فيما يختص به من شان الدعوة بما امره به من الوجه الاحسن عقبه بخطاب شامل له ولمن
تابعه فيما يعم الكل فقال وان عاقبتم اي ان اردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحتمي ان اكلت فكل قليلا
بمثل ما عوقبتم به اي بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين
تدان او على نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز حين ما آل الجدال الى القتال
وادى النزاع الى القراع فان الدعوة المأمور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة لصرف الوجوه عن القبلة
المعبودة وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة قاضية بفساد ما يأتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه
آباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وارتجت دونهم
ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه عم لما رأى حمزة رض يوم احد قد مثل به قال لئن اظفرني الله تعالى بهم لامثلن بسبعين
مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما
فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله وان عاقبتم
حث على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الآكد فقيل ولئن صبرتم اي عن المعاقبة بالمثل لهو اي لصبركم ذلك
خير لكم من الانتصار وانما قيل للصابرين مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر ووصفا لهم بصفة تحصل عند ترك

المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول انفسهم بجنس الصابرين
دخولا اوليا ثم امره صلى الله عليه وسلم صريحا بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزائم الامور لزيادة
علمه بشؤنه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل واصبر اي على ما اصابك من جهتهم من فنون الآلام والاذية وعاينت
من اعراضهم عن الحق بالكلية وما صبرك الا بالله استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشيء
من الاشياء الا بالله اي بذكره والاستغراق في مراقبة شؤنه والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عليه السلام
وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه او الا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية
من حيث اشتماله على غايات جميلة وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط ولا تحزن عليهم اي على الكافرين
بوقوع اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والاول هو الانسب
بجزالة النظم الكريم ولا تك في ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل اي لا تكن في ضيق صدر وحرج
ويجوز كون الاول تخفيف ضيق كهين وهين اي في امر ضيق مما يمكرون اي من مكرهم بك فيما يستقبل فالاول نهي عن
التألم بمطلوب من قبلهم فات والثاني عن التألم بمحذور من جهتهم والنهي عنهما مع ان انتفاءهما من لوازم الصبر
المأمور به لاستماعهما على الوجه الاول لزيادة التأكيد واظهار كمال العناية بشأن التسلية والا فهل يخطر ببال من
توجه الى الله سبحانه بشراشر نفسه متنزها عن كل ما سواه من الشواغل من مطلوب فينهى عن الحزن بفواته او محذور
فيكف عن الخوف من وقوعه ان الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الامر والنهي والمراد بالمعية الولاية الدائمة
التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية المتقين
انما هي من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه ان الله مع الصابرين ونظائرها كما مر والمراد
بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني
التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث لولايته تعالى المقرونة ببشارة
قوله سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولي الذين تبتلوا اليه بالكلية وتنزهوا عن كل
ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب وكذا فضلا عن الحزن بفواته او الخوف من وقوعه وهو المعنى بما به
الصبر المأمور به حسبما اشير اليه وبه يحصل الترتيب ويتم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين على احد التفسيرين
كما حقق في مقامه ولا يخفى ان التوقي عن المعاصي لا يكون مدارا لشيء من العزائم المرخص في تركها فكيف بالصبر المشار
اليه ونديده وانما مداره المعنى المذكور وكأنه قيل ان الله مع الذين صبروا وانما اوثر ما عليه النظم الكريم مبالغة في الحث
على الصبر بالتنبيه على انه من خصائص اجل النعوت الجليلة وروادفها كما اريد بقوله تعالى والذين هم محسنون الاشعار
بانه من باب الاحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما نطق به حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله
عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتكرير الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين في
ولايته سبحانه من غير ان يكون احديهما تتمة للاخرى وايراد الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية
اسمية لافادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية متقدمة على التحلية
والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو عليه السلام داخل في زمرتهم دخولا اوليا واما هو عليه السلام
ومن تابعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجليلين وفيه رمز الى ان صنيعه عليه السلام مستتبع
لاقتداء الامة به كقول من قال لابن عباس رضي الله تعالى عنهما عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية
عند صبر الرأس عن هرم بن حيان انه قيل له حين الاحتضار اوص فقال انما الوصية من المال واوصيكم
بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم
عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية والحمد لله وحده

سورة الاسرى مائة احدى عشرة مكية

سبحان الذي اسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عينا جنسا لا شخصا
لم يكن اضافته من قبيل ما في زيد المعارك او حاتم طي وانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحان الخ
وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض
ومنه فرس سبوح اي واسع الجري ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الى الاسم الموضوع له
خاصة لا سيما وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر
كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزه الى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين الحدوث وبين
ما عطف عليه في قوله تعالى كأنه قيل تنزه بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى ليلا
لافادة قلة زمان الاسراء بما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء كما انه على البعضية من حيث
الافراد فان قولك سرت ليلا كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما
اذا قلت سرت الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اي بعضه
وايثار لفظ العبد للايذان بتمحضه عم في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات
النائية حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه او التنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما
في حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين من المسجد
الحرام اختلف في مبدأ الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عنه عم انه قال بينا انا
في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرائيل عم بالبراق وقيل هو دار ام هانئ بنت ابي طالب
والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به او لان الحرم كله مسجد فانه روي عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انه عليه الصلوة والسلام كان نائما في بيتها بعد صلوة العشاء فكان ما كان فقصه فلما قام ليخرج
الى المسجد تشبثت بثوبه لتمنعه خشية ان يكذبه القوم قال عليه السلام وان كذبوني فلما خرج جلس اليه ابو جهل
فقال يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان
آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق
وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته
لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع
طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت
فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين [illegible]
[illegible] وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
عرج بروحه وعن معاوية انه قال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض [illegible] والله سبحانه قادر على كل الممكنات [illegible]

حيطة الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله ولو
لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة الى المسجد الاقصى اي بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية
معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء
عليهم السلام لنريه غاية للاسراء من آياتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدح
في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم
السلام والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقواله عليه السلام
بلا اذن البصير بافعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسراء المذكور
ليس الا لتكرمته عليه السلام ورفع منزلته والا فالاحاطة باقواله وافعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب
والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة وآتينا موسى الكتاب اي التوراة وفيه ايماء الى دعوته عليه السلام الى
الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكر ههنا العروج بالنبي صلى الله عليه وسلم
الى السماء وما كان فيه مما لا يكتنه كنهه حسبما نطق به سورة النجم تربية للاسراء الى قبول السامعين اي آتيناه
بالتورية بعدما اسرينا به الى الطور وجعلناه اي ذلك الكتاب هدى لبني اسرائيل يهتدون بما في مطاويه
ان لا تتخذوا اي بان لا تتخذوا نحو كتبت اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان مصدرية والمعنى آتينا
موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا يتخذوا من دوني وكيلا اي ربا تكلون اليه اموركم والافراد
لما ان فعيلا مفرد في اللفظ جمع في المعنى ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء على قراءة
النهي والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عم
او على انه احد مفعولي لا تتخذوا على قراءة النهي ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو لا تتخذوا بابدال
الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغداديين وقرئ ذرية بكسر الذال انه اي ان نوحا عليه السلام
كان عبدا شكورا كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه ايذان بان انجاء من معه كان ببركة شكره عليه السلام
وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو اعظم مراتب الكفران وقيل الضمير لموسى عليه السلام
وقضينا اي اتممنا واحكمنا منزلين الى بني اسرائيل او موحين اليهم في الكتاب اي في التورية فان الانزال على
موسى عم انزال اليهم لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء المحتوم مجرى القسم
كأنه قيل واقسمنا لتفسدن مرتين مصدر والعامل فيه من غير جنسه اولاهما مخالفة حكم التورية وقتل
شعيا عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام
ولتعلن علوا كبيرا لتستكبرن عن طاعة الله تعالى او لتغلبن الناس بالظلم والعدوان وتفرطن في ذلك
افراطا مجاوزا للحدود فاذا جاء وعد اولاهما اي اولى كرتي الافساد اي حان وقت حلول العقاب الموعود بعثنا
عليكم لمؤاخذتكم بجناياتكم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحروب بختنصر
من اهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل لهراسف وقيل جالوت فجاسوا اي ترددوا لطلبكم بالغلو
والحاء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا خلال الديار في اوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا
علماءهم وكبارهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين
بعضا مما جرت به السنة الالهية وكان ذلك وعدا مفعولا لا محالة بحيث لا صارف عنه ولا مبدل ثم
رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم
عما كنتم عليه من الافساد والعلو وقيل حين قتل بختنصر واستنقذ بنو اسرائيل اساراهم واموالهم ورجع الملك
اليهم وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسب بن لهراسف القى الله تعالى في قلبه

الشفقة عليهم فرد اسارى بني اسرائيل الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بختنصر وقيل
هي قتل داود عليه السلام جالوت وامددناكم باموال كثيرة بعدما نهبت اموالكم وبنين بعدما سبيت اولادكم
وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم من قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون
للذهاب الى العدو كالعبيد والمعيز ان احسنتم اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير
على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد ان يكون الاعمال حسنة في انفسها اولا فعلى الاحسان احسنتم
لانفسكم لان ثوابها لها وان اسأتم اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق او بان لزمها السوء الذاتي او فعلتم
الاساءة فلها اي فعليها وبالها وعن علي كرم الله وجهه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاهما فاذا جاء
وعد الآخرة حان وقت ما وعد من عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق
عليه اي بعثناهم ليسوءوا او معنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم كقوله تعالى
سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على ان الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوء بنون العظمة وفي قراءة
علي رضي الله تعالى عنه لنسوءن على انه جواب اذا وقرئ بالنون الخفيفة وليسوءن واللام في قوله عز وجل
وليدخلوا المسجد عطف على ليسوءوا متعلق بما تعلق به كما دخلوه اول مرة اي في اول مرة وليتبروا اي يهلكوا
ما علوا ما غلبوا او استولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا فظيعا لا يوصف بان سلط الله عز سلطانه عليهم الفرس
فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل جردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما
يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقتموني فقتل على ذلك الوفا فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم
تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي
وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي منهم احدا فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم
بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي وان عدتم الى ما كنتم فيه من الفساد مرة اخرى
عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله سبحانه عليهم النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب
الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون
[illegible] وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا [illegible]
[illegible]
[illegible] ان هذا القرآن [illegible]
[illegible] يهدي للتي هي اقوم [illegible]
[illegible]
[illegible] ويبشر المؤمنين [illegible]
[illegible] الذين يعملون الصالحات [illegible]
[illegible] ان لهم اجرا كبيرا [illegible]
[illegible]
[illegible] وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ويدع الانسان بالشر [illegible]

بالشر بيان لحال المهدي إثر بيان حال الهادي وإظهار لما بينهما من التباين والمراد بالإنسان الجنس أسند إليه حال
بعض أفراده أو حكي عنه حاله في بعض أحيانه فالمعنى على الأول أن القرآن يدعو الإنسان إلى الخير الذي لا خير فوقه
من الأجر الكبير ويحذره من الشر الذي لا شر وراءه من العذاب الأليم وهو أي بعض منه وهم الكفار يدعو لنفسه
بما هو الشر من العذاب المذكور إما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ومن قال فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين إلى غير ذلك مما حكي عنهم و
إما بأعمالهم السيئة المفضية إليه الموجبة له مجازا كما هو ديدن كلهم دعاءه بالخير أي مثل دعائه بالخير المذكور فرضا
لا تحقيقا فإنه بمعزل من الدعاء به وفيه رمز إلى أنه اللائق بحاله وكان الإنسان أي من أسند إليه الدعاء المذكور
من أفراده عجولا يسارع إلى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره أو مبالغا في العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه
لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء على أعمالهم يحمل العجول على اللج والتمادي في استيجاب العذاب
بتلك الأعمال وعلى الثاني أن القرآن يدعو الإنسان إلى ما هو خير وهو في بعض أحيانه كما عند الغضب يدعه
ويدعو الله تعالى عند الغضب على نفسه وأهله وماله بما هو شر وكان الإنسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يتأنى إلى أن يزول
عنه ما يعتريه وروي أنه عليه السلام دفع إلى سودة أسيرا فأرخت كتافه رحمة لأنينه بالليل فهرب فلما أخبرت
به النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة فقال
عليه السلام إني سألت الله تعالى أن يجعل دعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة أو يدعو بما هو شر وهو
يحسبه خيرا وكان الإنسان عجولا غير مستبصر لا يتدبر في أموره حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما
هو شر جدير بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار آيتين شروع في بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالإرشاد
إلى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التي كل واحد منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل
من ينتحيه فإن الجعل المذكور وما عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وإن كانت من الهدايات
التكوينية لكن الإخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك الهدايات
وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودي إذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولو أن الليل أضيفت إلى
ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر آخر ولترتب غاية آية النهار عليها بلا واسطة أي جعلنا
الملوين بهيئاتهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار في فهمها العقول آيتين تدلان على
أن لهما صانعا حكيما قادرا عليما وتهديان إلى ما هدى إليه القرآن الكريم من ملة الإسلام والتوحيد فمحونا
آية الليل الإضافة إما بيانية كما في إضافة العدد إلى المعدود أي محونا الآية التي هي الليل وفائدتها
تحقيق مضمون الجملة السابقة ومحوها جعلها ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعدما لم تكن كذلك بل إبداعها
على ذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أي أنشأهما كذلك والفاء تفسيرية لأن المحو المذكور
وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمماته وجعلنا
آية النهار أي الآية التي هي النهار على نحو ما مر مبصرة مضيئة يبصر فيها الأشياء وصفا لها بحال أهلها أو مبصرة
للناس من أبصره فبصر وإما حقيقية وآية الليل والنهار نيراهما والمحو إما جعله مطموس النور في نفسه
فالفاء كما ذكر وإما نقص ما استفاده من الشمس شيئا فشيئا إلى المحاق على ما هو معنى المحو والفاء للتعقيب وجعل الشمس
مبصرة إبداعها مضيئة بالذات ذات أشعة تظهر بها الأشياء المظلمة لتبتغوا متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية
النهار كما أشير إليه أي جعلناها مضيئة لتطلبوا لأنفسكم في بياض النهار فضلا من ربكم أي رزقا إذ لا يتسنى
ذلك في الليل وفي التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ
إلى الكمال شيئا فشيئا دلالة على أن ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب وإنما الإعطاء إلى الله سبحانه لا بطريق
الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين أعني محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة

لا بأحدهما فقط إذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور أي لتعلموا بتفاوت الجديدين أو نيريهما ذاتا
من حيث الإظلام والإضاءة مع تعاقبهما أو حركاتهما وأوضاعهما وسائر أحوالهما عدد السنين التي يتعلق
بها غرض علمي لإقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب أي الحساب المتعلق بما في ضمنها من الأوقات أي
الأشهر والليالي والأيام وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظمه
الحساب وإنما الذي تعلق به العد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة أعني
حيثية تحققها وتحصلها من عدة أشهر قد تحصل كل واحد منها بطائفة من الساعات مثلا فإن ذلك وظيفة
الحساب بل من حيث إنها فرد من تلك المعدودة يعدها أي يعينها من غير أن يعتبر في ذلك تحصل شيء معين وتحقيقه
ما مر في سورة يونس من أن الحساب إحصاء ما له كمية منفصلة بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة
منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما أشير إليه آنفا والعد إحصاؤه بمجرد تكرير أمثاله من غير
أن يتحصل منه شيء كذلك ولما أن السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل أضيف إليه
العدد وعلق الحساب بما عداها مما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها أسام خاصة وأحكام مستقلة وتحصل
مراتب الأعداد من العشرات والمئات والألوف اعتباري لا يجدي في تحصل المعدودات وتقديم العدد
على الحساب مع أن الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس للتنبيه من أول الأمر على أن متعلق الحساب
ما في تضاعيف السنين من الأوقات أو لأن العلم المتعلق بعدد السنين علم إجمالي بما تعلق به الحساب
تفصيلا أو لأن العدد من حيث إنه لم يعتبر فيه تحصل شيء آخر منه حسبما ذكرنا نازل من الحساب المعتبر فيه
ذلك منزلة البسيط من المركب أو لأن العلم المتعلق بالأول أقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم في مقام الامتنان
والله سبحانه أعلم وكل شيء تفتقرون إليه في المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه
من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله فصلناه تفصيلا أي بيناه في القرآن الكريم بيانا
بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فظهر كونه هاديا للتي هي أقوم ظهورا بينا
وكل إنسان مكلف ألزمناه طائره أي عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار إليه من عش الغيب
ووكر القدر أو ما وقع له في القسمة الأزلية الواقعة حسب استحقاقه من العلم الأزلي من طار له سهم كذا في عنقه
تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط أي ألزمناه عمله بحيث لا يفارقه أبدا بل يلزمه لزوم القلادة أو الغل للعنق
لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون ونخرج له بنون العظمة وقد قرئ بالياء مبنيا للفاعل على أن الضمير لله عز وجل
وللمفعول والضمير للطائر كما في قراءة يخرج من الخروج يوم القيامة وهو البعث للحساب كتابا مسطورا فيه ما ذكر
من عمله نقيرا وقطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين الأوليين وحال من المفعول المحذوف الراجع إلى الطائر على
الأخيرتين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر يلقاه أي يلقى الإنسان منشورا وهما صفتان للكتاب
أو الأول صفة والثاني حال منها وقرئ يلقاه من لقيته كذا أي يلقى الإنسان إياه قال الحسن بسطت لك صحيفتك
ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك
حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيمة اقرأ كتابك أي قائلين لك ذلك عن قتادة
يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار أعماله فإن كل عمل يصدر من
الإنسان خيرا وشرا يحدث منه في جوهر روحه أمر مخصوص إلا أنه يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا
بواردات الحواس والقوى فإذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لأن النفس كانت ساكنة مستقرة في
الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود إلى العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف الأحوال ويظهر على
لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أي كفى نفسك
والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لأنه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه

كذا او بمعنى الحاكي وضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما
لا يتولاه الا الرجال او لانه مبني على تأويل النفس بالشخص على انها عبارة عن نفس المذكر كقول جبلة بن حريث يا نفس
انك باللذات مسرور فاذكر فهل ينفعك اليوم تذكير (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) فذلكة لما تقدم
من بيان كون القرآن هاديا الى اقوم الطرائق ولزوم الاعمال لاصحابها اي من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه
من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لم يهتد (وَمَنْ ضَلَّ) عن الطريقة
التي يهديه اليها (فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) اي فانما وبال الضلال عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل
صاحبه (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) تأكيد للجملة الثانية اي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن
تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منهما وزرها وهذا تحقيق
لمعنى قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه واما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له
نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن
اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو في الحقيقة انتفاع
بحسنة نفسه وتضرره بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له وانما الذي يصل الى
من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون
انما هو جزاء الاضلال لا جزاء الضلال وانما خص التأكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان
لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ) بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص
آثار الهداية والضلال باصحابها وعدم حرمان المهتدين من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها
اي وما صح وما استقام منا بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق
ان نعذب احدا من اهل الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل (حَتَّى نَبْعَثَ) اليهم (رَسُولًا) يهديهم الى الحق
ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي
اما عذاب الاستئصال كما قال الشيخ ابو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي
والاخروي وهو من افراده واياما كان فالبعث غاية لعدم وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا
والاخروي لا يتوهم وقوعه عقيب البعث والدنيوي ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان الا يرى
الى قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زهاء الف سنة وقوله تعالى (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً) بيان لكيفية
وقوع التعذيب بعد البعثة التي جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف
عنه المراد وانما الارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا يقارنه الجزاء الآتي بل هو وقت ما كما
في قوله تعالى اتى امر الله اي واذا اردنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بان نعذب اهلها بما ذكر من مطلق العذاب
اعني عذاب الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصي دونا تقتضيه الحكمة من غير ان يكون له حتم قبل (أَمَرْنَا) بواسطة
الرسول المبعوث الى اهلها (مُتْرَفِيهَا) متنعميها وجبابرتها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول
في الخطاب والباقي اتباع لهم ولان توجه الامر اليهم آكد وعدم التعرض للمأمور به اما لظهور ان المراد به الحق وكذا لان
الله تعالى لا يأمر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدي اليه واما لان المراد وجد منه الامر كما يقال
فلان يعطي ويمنع (فَفَسَقُوا فِيهَا) اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا (فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ) اي كلمة العذاب السابق بحلوله
او بظهور معاصيهم او بانهماكهم (فَدَمَّرْنَاهَا) بتدمير اهلها (تَدْمِيرًا) لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق
وقيل الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير
يقال امرت الشيء فامر اي كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج ويعضده قراءة آمرنا
وامّرنا من الافعال والتفعيل وقد جعلت من الامارة اي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده مقام الزجر عن الضلال

والحث على الاهتداء فان مؤدى ذلك ان طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعامه عليهم بنعم وافرة بطرتهم
وحملتهم على الفسق حملا حقيقيا بان يعبر عنه بالامر به (وَكَمْ أَهْلَكْنَا) اي وكثيرا ما اهلكنا (مِنَ الْقُرُونِ) بيان لكم
وتمييز له والقرن مدة من الزمان يخترم فيها القوم وهي عشرون او ثلاثون او اربعون او ثمانون او مائة وقد ايد
ذلك بانه صلى الله عليه وسلم دعا لرجل فقال عش قرنا فعاش مائة سنة او مائة وعشرون (مِنْ بَعْدِ نُوحٍ) من بعد
زمنه عليه السلام كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت احوالهم في القرآن العظيم ومن لم تقص وعدم نظم قومه عليه السلام في تلك القرون
المهلكة لظهور امرهم على ان ذكرهم مر انفا (وَكَفَى بِرَبِّكَ) اي كفى ربك (بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) يحيط بظواهرها
امرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي الاعمال الظاهرة
او لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل
العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار والزام الحجة من كل وجه (مَنْ كَانَ
يُرِيدُ) باعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كاعمال البر او بطريق ترتب المعلولات على العلل
كالاسباب وباعمال الآخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة الفسقة وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا
والمجاهد لمحض الغنيمة (الْعَاجِلَةَ) فقط من غير ان يريد معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان مع
الاقتصار على مطلق الارادة في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها
كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز ان يراد الحيوة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها لكن الاول انسب بقوله تعالى (عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا) اي في تلك العاجلة فان الحيوة واستمرارها من جملة ما
عجل له فلا انسب بذلك كلمة من كما في تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها (مَا نَشَاءُ) اي ما نشاء تعجيله له
من نعيمها لا كل ما يريد (لِمَنْ نُرِيدُ) تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له باعادة الجار بدل البعض فانه
راجع الى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على ان الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا
بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشيئة والارادة لما ان الحكمة التي
عليها يدور فلك التكوين لا تقتضي وصول كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه واما
ما يتراءى من قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل
كل مؤمل لجميع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله فقد اشير الى تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل الله
تعالى (ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ) مكان ما عجلنا له (جَهَنَّمَ) وما فيها من اصناف العذاب (يَصْلَاهَا) يدخلها وهو حال من الضمير
المجرور او من جهنم او استئناف (مَذْمُومًا مَدْحُورًا) من رحمة الله تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين
ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال ان السورة مكية سوى آيات
معينة (وَمَنْ أَرَادَ) باعماله (الْآخِرَةَ) الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم (وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا) اي السعي اللائق بها وهو
الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص (وَهُوَ مُؤْمِنٌ)
ايمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز
الصلة (فَأُولَئِكَ) اشارة الى الموصول بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد للاشعار
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع
اي اولئك الجامعون لما مر من الخصال الحميدة اعني ارادة الآخرة والسعي الجميل لها والايمان (كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا)
مقبولا عند الله تعالى بحسن القبول مثابا عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه اشعار بانه العمدة فيها
(كُلًّا) التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل واحد من الفريقين لا الفريق الاخير المريد للحيوة بالاسعاف فقط (نُمِدُّ) اي نزيد
مرة بعد مرة بحيث يكون الآنف مددا للسالف وما به الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة وما
اعد للآخر من العطايا الآجلة المثاب عليها المشكور بها السعي وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا

وانما لا على ما الحق عبارة واشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى هؤلاء بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه اي نمد هؤلاء
المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان الاشارة متعرضة لذات المشار اليه بما له من العنوان لا للذات فقط
كالاضمار وفيه تذكير لما به الاستحقاق وتعيين المضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم كونه من افراد الفريق الاخير وتأكيد للقصر
المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء ربك اي من معطاه الواسع بحيث التفصيل وما كان عطاء ربك
اي دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر اظهارا لمزيد الاعتناء بشانه واشعارا بعليته للحكم محظورا ممنوعا عمن يريده
بل هو فائض على من قدر له بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وان وجد منه ما يقتضي الحظر كالكفر وهو في معنى التعليل لشمول
الامداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار بمبدئيتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد وعدم محظورية العطاء
بالتنبيه على استحضار مراتب احد العطائين والاستدلال بها على مراتب الاخر اي انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم
على بعض فيما امددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع وظالع وضالع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك
نعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال الاعلى
كما افصح عنه قوله تعالى وللآخرة اكبر اي هي وما فيها اكبر من الدنيا وقرئ اكثر درجات واكبر تفضيلا لان
التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز ان يراد بما به الامداد العطايا الآجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع
توهم اختصاصها بالفريق الاخير فان تخصيص ارادتهم لها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين
الفريق الثاني ارادة ووصولا مما لا يوهم اختصاصها بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمده بالعطايا العاجلة
لا من ذكرنا ارادته لها فقط من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوي محظورا من احد ممن يريده
وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الآية واعتبار عدم
المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول لتحقيق شمول الامداد له كما فعله الجمهور وقالوا لا يمنعه من عاص لعصيانه
يقتضي كون القصر لمنع توهم اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في الكلام ما يوهم ثبوته له
فضلا عن ايهام اختصاصه لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته
وهو من باب التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح للخطاب فتقعد بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة
من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة او بمعنى العجز من قعد عنه مذموما مخذولا خبران او حالان
اي جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع
بين المدح والنصرة وقضى ربك اي امر امرا مبرما وقرئ واوصى ربك ووصى ربك ان لا تعبدوا اي
بان لا تعبدوا الا اياه على ان ان مصدرية ولا نافية او اي لا تعبدوا على انها مفسرة ولا ناهية لان العبادة غاية
التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل للسعي للآخرة وبالوالدين اي وبان
تحسنوا بهما او واحسنوا بهما احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش اما يبلغن عندك الكبر احدهما عنك
او كلاهما اما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة للتأكيد ولذلك دخل الفعل نون التأكيد ومعنى عندك في كنفك
وكفالتك وتقديمه على المفعول مع ان حقه التأخر عنه للتشويق الى وروده فانه مدار تضاعف الرعاية والاحسان
واحدهما فاعل الفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرئ يبلغان فاحدهما
بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل الى جعل كلاهما تأكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده
مع ان ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فان المقصود نهي كل احد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل
الجمع بالجمع او بالتثنية لم يحصل هذا المرام فلا تقل لهما اي لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع اف وهو
صوت ينبئ عن تضجر او اسم فعل هو اتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون اي لا تتضجر مما

تستقذر منهما او تستثقل من مؤنتهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه
اظهارا للاعتناء بشانه فقيل ولا تنهرهما اي لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ قيل النهي والنهر اخوان وقل لهما
بدل التأفيف والنهر قولا كريما ذا كرم او هو وصف له بوصف صاحبه اي قولا صادرا عن كرم ولطف وهو
القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول على المروءة مثل ان يقول يا ابتاه ويا اماه كدأب
ابراهيم عم اذ قال لابيه يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب ودأب
الدعار وسئل ابن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما
ولا تنظر اليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما وتدعو لهما ان ماتا وان تصل
اوداءهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه واخفض
لهما جناح الذل عبارة عن الانة الجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك فكأنه قيل
واخفض لهما جناحك الذليل وجعل الذل للجناح كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت
بيد الشمال زمامها للقرة زماما وللشمال يدا تشبيها له بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها وشفقة عليها
ولما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعلها الفعال فلا دنيا انسب للمقام من الرحمة من فرط رحمتك
وعطفك عليهما او تعطفك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله
تعالى برحمته الواسعة الباقية وقل رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والاخروية التي من جملتها الهداية الى الاسلام
فلا ينافي ذلك كفرهما كما ربياني الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي رحمة مثل تربيتهما او مثل
رحمتهما علي على ان التربية رحمة ويجوز ان يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر احدهما في احد الجانبين والآخر في الآخر
كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كأنه قيل رب ارحمهما ورببهما كما رحماني وربياني صغيرا
ويجوز ان يكون الكاف للتعليل اي لاجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في
التوصية بهما حيث افتتحهما بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر
في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ما له من موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل تحت
الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله تعالى
في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق
ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي
منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت
تريد موتهما وروي ان شيخا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه لا ينفق علي من
ماله فنزل جبريل عم وقال ان هذا الشيخ قد انشأ في ابنه ابياتا ما قرع سمع بمثلها فاستنشدها فانشدها الشيخ
غذوتك مولودا وعلتك يافعا تعل بما اجني عليك وتنهل اذا ليلة نابتك بالسقم لم ابت لسقمك الا ساهرا اتململ
كأني انا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني وعيني تهمل فلما بلغت السن والغاية التي اليها مدى ما كنت فيك
اؤمل جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك انت المنعم المتفضل فليتك اذ لم ترع حق ابوتي فعلت كما الجار المجاور
يفعل فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انت ومالك لابيك ربكم اعلم بما في نفوسكم من البر والعقوق
ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد فانه تعالى كان للاوابين اي الرجاعين
اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر غفورا لما وقع منهم من نوع تقصير واذية فعلية او قولية وفيه
ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة حقوقهما ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج الجاني على ابويه تحته
اندراجا اوليا وآت ذا القربى اي ذا القرابة حقه توصية بالاقارب اثر التوصية ببر الوالدين ولعل المراد بهم المحارم
وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى والمسكين وابن السبيل فان المأمور به في حقهما المواساة المالية لا محالة

اي آتهما حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكوة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض والبسط
فان الكل من التصرفات المالية ولا تبذر تبذيرا نهي عن صرف المال الى من سواهم ممن لا يستحقه فان
التبذير تفريق في غير موضعه ماخوذ من تفريق الحبات والقائها كيف ما كان من غير تعهد لمواقعه لا عن الاكثار
في صرفه اليهم والا لناسبه الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه وقد نهي عنه بقوله تعالى ولا تبسطها كل
البسط ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين تعليل للنهي عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزا
في قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير
اي كانوا بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين او الصداقة والملازمة اي كانوا اصدقاءهم واتباعهم فيما ذكر
من التبذير والصرف في المعاصي فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة
وسائر ما لا خير فيه من المناهي والملاهي والمقارنة اي قرناءهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه
كفورا من تتمة التعليل اي مبالغا في كفران نعمه تعالى لان شانه ان يصرف جميع ما اعطاه الله تعالى من القوى
والقدر الى غير ما خلقت هي له من انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال الناس وحملهم على الكفر بالله تعالى
وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما امر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر اوصافه
القبيحة للايذان بان التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى الى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر
الذي هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية للاشعار بكمال عتوه فان كفران نعمة الرب
مع كون الربوبية من اقوى الدواعي الى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان واما تعرضن عنهم اي ان
اعتراك من اضطرك الحال الى ان تعرض عن اولئك المستحقين ابتغاء رحمة من ربك اي لفقد رزق من ربك اقامة للمسبب
مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء ترجوها من الله تعالى لتعطيهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس
عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فامر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا يعتريهم الوحشة بسكوته بقوله فقل لهم قولا
ميسورا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر الامر مبنيا وقيل ان يقول رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم
بيسر عليهم فقرهم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيل لمنع الشحيح واسراف
المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد كلا طرفي قصد الامور ذميم وحيث كان قبح الشح مقارنا له معلوما
من اول الامر روعي ذلك في التصوير بافحش الصور ولما كان غائلة الاسراف في آخره بين قبحه في اثره بقوله فتقعد
ملوما اي فتصير ملوما عند الله تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا احتجت وندمت على ما فعلت محسورا
نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وما قيل من انه روي عن جابر رضي الله تعالى عنه
انه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل
عليه السلام داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظر فلم يخرج للصلوة فنزلت فيأباه ان السورة
مكية خلا آيات في آخرها وكذا ما قيل انه عليه السلام اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصين الفزاري
فجاء عباس بن مرداس فانشأ يقول أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان
مرداس في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال عليه السلام يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة
من الابل وكانوا جميعا من المؤلفة القلوب فنزلت ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر تعليل لما
اي يوسعه على بعض ويضيقه على آخرين حسبما تتعلق به مشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة التي
تحوجك الى الاعراض عن السائلين او انفاد ما في يدك اذا بسطتها كل البسط الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا
بصيرا تعليل لما سبق اي يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله
العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن السموات والارض واما العباد فعليهم ان يقتصدوا او ان يراد انه
تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يراد انه

يبسط ويقدر حسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيدا لقوله تعالى ولا تقتلوا
اولادكم خشية املاق اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عن ذلك
نحن نرزقهم واياكم لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على عجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم و
تعليل للنهي المذكور بابطال موجبه في زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الانعام
لاصالتهم في افاضة الرزق او لان الباعث على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وههنا
الاملاق المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكانه قيل نرزقهم من غير ان ينتقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه
واياكم ايضا رزقا الى رزقكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا تعليل آخر ببيان ان المنهي في نفسه منكر عظيم والخطء
الذنب والاثم يقال خطئ خطئا كاثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى
ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها بحذف الهمزة وبكسرها كذلك ولا تقربوا الزنى
بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة فضلا عن مباشرته وانما نهي عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للمبالغة
في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس
المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان من لم يثبت نسبه ميت حكما انه كان
فاحشة فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد وساء سبيلا اي بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدي
الى اختلال امر الانسان وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان فوق راسه
كالظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه انه قال
اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الآخرة سخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود في النار
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان
وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا والاستثناء مفرغ اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق او
ملتبسين او ملتبسة بشيء من الاشياء ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا ملتبسا
بالحق ومن قتل مظلوما بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر اباحته لغير القاتل فان من
عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيده قول الولي انا امرته بذلك ما لم يكن الامر ظاهرا
فقد جعلنا لوليه لمن يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا واستيلاء
على القاتل يؤاخذه بالقصاص او الدية حسبما تقتضيه جنايته او حجة غالبة فلا يسرف في القتل
اي القاتل بان يقتل من لا يحق قتله او الولي بالمثلة او بقتل غير القاتل كما كان يفعله اهل الجاهلية او بقتل اثنين مكان الواحد وقرئ بصيغة
النفي للمبالغة انه كان منصورا تعليل للنهي على ان الضمير للولي اي ان الله تعالى نصره بان اوجب له القصاص او الدية
وامر الحكام بمعونته فلا يبغ ما وراء حقه او للمقتول ظلما على معنى انه تعالى نصره في الدنيا بثبوت القصاص بقتله
وفي الآخرة بالثواب فليكتف الولي بنصر الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا
بالخصلة والطريقة التي هي احسن الخصال والطرائق وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف
على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء [illegible] واوفوا بالعهد

هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء الحسي كايفاء الكيل والوزن
ان العهد اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشانه او لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود كان
مسؤولا اي مسؤولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله تعالى ذلك
يوم مشهود اي مشهود فيه ونظيره ما في قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله فحذف المضاف
وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال له لم نكثت وهلا وفي به تبكيتا
للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت واوفوا الكيل اي اتموه ولا تخسروه اذا كلتم كيلكم للمشترين وتقييد الامر
بذلك لما ان التطفيف يكون هناك واما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا
على الناس يستوفون وزنوا بالقسطاس هو القرسطون وقيل كل ميزان صغيرا كان او كبيرا رومي معرب ولا يقدح
ذلك في عربية القرآن لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية وقرئ بضم القاف المستقيم اي العدل السوي ولعل
الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا
ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة ولذلك لم يكتف بالكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل
المكيال وقد امر بتعديله ايضا في قوله تعالى اوفوا المكيال والميزان بالقسط ذلك اي ايفاء الكيل والوزن بالميزان
خير في الدنيا اذ هو امانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس واحسن تأويلا عاقبة تفعيل
من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع قفا اثره اي تتبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اي قفاه
ومنه القافة جمع القائف ما ليس لك به علم اي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا
لا يدري انه يوصله الى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد
من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي
وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى ياتي
بالمخرج ومنه قول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان رمينا ان السمع والبصر والفؤاد
وقرئ بضم الفاء والواو المقلوبة من الهمزة بعد ضمة الفاء كل اولئك اي كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء
لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة على اصحابها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا
الذي يعم القبيلين جاء لغيرهم ايضا قال ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤولا
اي كان كل من تلك الاعضاء مسؤولا عن نفسه على ان اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون
الاسم ضمير القافي بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسؤولا وقيل الجار والمجرور في محل الرفع قد اسند اليه
مسؤولا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدأ وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى
الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا ويجوز ان يكون من باب الحذف على شريطة
التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود وجوز ان يكون مسؤولا
مسندا الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب ويشكل بما حكي
ابا علي عن قولهم فيك يرغب فقال لا يرتفع ما بعده بانه المرفوع فقال المصدر اي فيك يرغب الرغبة كما في قولهم يعطي
ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع وجوز ان يكون اسم كان او فاعله ضمير كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسؤولا
او مسؤولا صاحبه ولا تمش في الارض التقييد لزيادة التقرير والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق بالمرح مرحا
تكبرا وبطرا واختيالا او هو مصدر وقع موقع الحال اي ذا مرح او ترح مرحا او لاجل المرح وقرئ بالكسر انك لن
تخرق الارض تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك مفاخرة مع الارض وتكبر عليها اي لن تخرق الارض
بدوسك وشدة وطأتك وقرئ بضم الراء ولن تبلغ الجبال التي هي بعض اجزاء الارض طولا حتى يمكن ان تتكبر
عليها اذ ان التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بان المختال من رفع راسه ومشى

على صدوره وتقديمه كل ذلك اشارة الى ما علم في تضاعيف ذكر الاوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين
كان سيئه الذي نهي عنه وهي اثنتا عشرة خصلة عند ربك مكروها مبغوضا غير مرضي او غير مراد بالارادة
الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على ان جميع الاشياء ناطقة بارادته سبحانه وهو تتمة
لتعليل الامور المنهي عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة
عنده تعالى لكافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة ثم تعيين البعض دون توجيهها اليه ابتداء لما ان
البعض المذكور جملة على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك
ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما في آية الليل والنهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى
ما نهي عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به
او مجرى على موصوف مذكر اي امرا مكروها او مجرى مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا
من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة وقرئ سيئاته وقرئ سياته ذلك اي الذي تقدم من التكاليف
المفصلة مما اوحى اليك ربك اي بعض منه اوحيه من الحكمة التي هي علم الشرائع او معرفة الحق لذاته والعمل به
او من الاحكام المحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي ان هذه الآيات ثماني عشرة
كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء
موعظة وهي عشر آيات في التورية ومن اما متعلقة باوحى على انها تبعيضية او ابتدائية واما بمحذوف وقع
حالا من الموصول او من ضميره المحذوف في الصلة اي كائنا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار ولا تجعل
مع الله الها آخر الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وقد كرر
للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه علومه وحكمه وان
بذ فيها اساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عائدة الاشراك اولا حيث قيل
فتقعد مذموما مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجته في العقبى فقيل فتلقى في جهنم ملوما من جهة نفسك ومن جهة
غيرك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى وفي ايراد الالقاء مبنيا للمفعول جري على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك
وجعل له من قبيل خشبة ياخذها آخذ فيطرحها في التنور أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة
اناثا خطاب للقائلين بان الملائكة بنات الله تعالى وسبحانه والاصفاء بالشيء جعله خالصا والهمزة
للانكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور اي افضلكم على جنابه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص
وآثر لذاته اخسها وادناها كما في قوله الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد قصد
ههنا بالتعرض لعنوان الربوبية تشديد النكير وتاكيده واشير بذكر الملائكة عليهم السلام وايراد الاناث مكان
البنات الى كفرة اخرى لهم وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالانوثة التي هي اخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا انكم لتقولون بمقتضى مذهبكم الباطل الذي هو اضافة الولد اليه سبحانه
قولا عظيما لا يقادر قدره في استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه احد حيث
تجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد القهار الباقي لذاته
ثم تضيفون اليه ما تكرهون من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم
من اشرف الخلائق بالانوثة التي هي اخس اوصاف الحيوان فيا لها من ضلالة ما اقبحها وكفرة ما اشنعها واقطعها
ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه في هذا القرآن على وجوه من التقرير في مواضع منه وانما ترك الضمير
تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات الى الغيبة
للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكى للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز
ان يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على اساليب مختلفة ومعنى

التصريف فيه جعله مكانا له اي اوقعنا فيه التصريف كقوله يجرح في عراقيبها نصلي وقد يجوز ان يراد به ابطال
اضافتهم اليه تعالى البنات وانت تعلم ان ابطالها من آثار القرآن ونتائجها وما يزيدهم اي والحال انه ما يزيدهم
ذلك التصريف البالغ الا نفورا عن الحق واعراضا عنه فضلا عن التذكير المؤدي الى معرفة بطلان ما هم عليه
من القبائح قل في اظهار بطلان ذلك من جهة اخرى لو كان معه آلهة كما يقولون اي المشركون
وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم والكاف في محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف
اي كونا مشابها لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة اذا لابتغوا جواب عن مقالتهم الشنعاء
وجزاء للو اي لطلبوا الى ذي العرش اي الى من له الملك والربوبية على الاطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة
كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل بالتقرب اليه
تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة والاول هو الاظهر الانسب لقوله تعالى
سبحانه فانه صريح في ان المراد بيان انه يلزم مما يقولون محذور عظيم من حيث لا يحتسبون واما ابتغاء
السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا هو مما يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو امر معتقدهم
راسا اي تنزه بذاته تنزها حقيقا به وتعالى متباعدا عما يقولون من العظيمة التي هي ان يكون معه آلهة
وان يكون له البنات علوا تعاليا كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا كبيرا لا غاية وراءه كيف لا
وانه سبحانه في اقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتي وما يقولونه من ان لله تعالى شركاء واولادا في ابعد
مراتب العدم اعني الامتناع لا لانه تعالى في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد
من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فان ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى وان
يكون معه آلهة ولا ريب في ان ذلك ليس بداخل في حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من ادنى
مراتب الوجود انما هو بالنسبة الى من شانه ذلك تسبح بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقرئ سبحت له السموات
السبع والارض ومن فيهن من الملائكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح معنى منتظم لما نطق بلسان المقال
وبيان الحال بطريق عموم المجاز وان من شيء من الاشياء حيوانا كان او نباتا او جمادا الا يسبح ملتبسا بحمده
اي ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان ولواحق الحدوث اذ ما من موجود
الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة على ان له صانعا عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة
ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة
المبني للمفعول من باب التفعيل انه كان حليما ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من
الاعراض عن التدبر في الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك في الكفر والاشراك غفورا لمن تاب
منكم واذا قرأت القرآن الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير
من الشرائع جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي الحكم الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة
اوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة وانما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفروا به
من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا بالايمان به في القرآن وتمهيدا لما سينقل عنهم من انكار
البعث واستعجاله ونحو ذلك حجابا يحجبهم من ان يدركوك على ما انت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل
ولذلك اجترؤوا على تفوه العظيمة التي هي قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا وحمل الحجاب على ما روي عن اسماء
بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء ام جميل امرأة ابي لهب وفي يدها
فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رض فلما رآها قال يا رسول الله لقد اقبلت هذه
وانا اخاف ان تراك قال عم انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر رض ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم
مما لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم مستورا ذا ستر كما في قولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس

بمعنى غير حسي او مستورا عن الحس بمعنى غير حسي او مستورا في نفسه بحجاب آخر او مستورا كونه حجابا بحيث
لا يدرون انهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان ان يفقهوه مفعول
لاجله اي كراهة ان يفقهوه او مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوا على كنهه ويعرفوا انه من عند
الله تعالى وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق به وهذه تمثيلات معربة عن كمال
جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له جيء بها بيانا لعدم
فقههم تسبيح لسان المقال اثر بيان عدم فقههم لتسبيح لسان الحال وايذانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور
عدم فهمه الا لمانع قوي يعتري المشاعر فيبطلها وتنبيها على ان حالهم هذا اقبح من حالهم السابق لا حكاية لما قالوا
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه
في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن
سحرا او شعرا او اساطير وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ما ادركوه قد حال
بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم ولا ريب في ان ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام واذا ذكرت ربك في القرآن
وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده ولوا على ادبارهم اي
هربوا ونفروا نفورا او ولوا نافرين نحن اعلم بما يستمعون به ملتبسين به من اللغو والاستخفاف
بعلان عن عبد الدار وعن يساره رجلان يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار اذ يستمعون
اليك ظرف لاعلم وفائدته تاكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم
لا ان العلم يستفاد هناك من احد وكذا قوله تعالى واذ هم نجوى لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل
بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور
المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم او الاول ظرف ليستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن اعلم بما به
الاستماع وقت استماعهم من غير تأخر وبما به التناجي وقت تناجيهم ونجوى مصدر على الحذف بتقدير المضاف
اي ذوو نجوى او هو جمع نجي كقتلى جمع قتيل اي متناجون اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم وفيه دليل
على ان ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم في ذلك ظالمون
مجاوزون للحد اي يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم ان تتبعون ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا او ما
تتبعون باللغو والهزء الا رجلا مسحورا اي مجنونا او رجلا ذا سحر اي رئة يتنفس اي بشرا مثلكم انظر كيف
ضربوا لك الامثال اي مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك عن منهاج المحاجة فلا يستطيعون
سبيلا الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه احد او الى
سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وقالوا ائذا كنا عظاما
ورفاتا استفهام انكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال الى هذا المآل لما بين
غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كان استحالة الامر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به
والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية
وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما
قبلها وهو نبعث او نعاد وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون
للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير
الهمزة في قولهم ائنا لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر
النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان
المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية

بالفعل في حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم
له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما
لا مزيد عليه خلقا جديدا نصب على المصدر من غير لفظه او الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق
قل جوابا لهم وتقريبا لما استبعدوه كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم
اي يعظم عندكم من قبول الحيوة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة
فسيقولون من يعيدنا مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة قل لهم تحقيقا للحق
وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذي اي يعيدكم القادر العظيم الذي فطركم
اخترعكم اول مرة من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شم رائحة الحيوة اليس الذي يقدر
على ذلك بقادر على ان يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شيء قدير فسينغضون اليك
رؤسهم اي سيحركونها نحوك تعجبا وانكارا ويقولون استهزاء متى هو اي ما ذكرته من الاعادة قل لهم
عسى ان يكون ذلك قريبا نصب على انه خبر ليكون او ظرف على ان كان تامة اي ان يقع في زمان قريب ومحل
ان مع ما في حيزها اما نصب على انه خبر لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير عائد الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث
ان يكون قريبا او عسى البعث يقع في زمان قريب او رفع على انه فاعل لعسى وهي تامة اي عسى كونه قريبا
او وقوعه في زمان قريب يوم يدعوكم منصوب بفعل مضمر اي اذكروا او على انه بدل من قريبا على انه ظرف
او بيكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة في الظروف او بضمير المصدر المستكن
في عسى او يكون اعني البعث عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما في قوله وما الحرب الا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار فتستجيبون اي يوم يبعثكم
فتبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة التأتي وبان المقصود منهما الاحضار
للمحاسبة والجزاء بحمده حال من ضمير تستجيبون اي منقادين له حامدين لما فعل بكم مستحضرين له حامدين
له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آثاره ومعاينة احكامها وتظنون عطف على تستجيبون
اي تظنون بعد ما ترون من الامور الهائلة ان لبثتم اي ما لبثتم في القبور الا قليلا كالذي مر
على قرية او ما لبثتم في الدنيا وقل لعبادي اي المؤمنين يقولوا عند محاورتهم مع المشركين التي اي الكلمة
التي هي احسن ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ان الشيطان
ينزغ بينهم اي يفسد ويهيج الشر والمراء ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة والمشادة والمعاداة
والمضارة فلعل ذلك يؤدي الى تأكد العناد وتمادي الفساد فهو تعليل للامر السابق وقرئ بكسر الزاء ان
الشيطان كان قديما للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من ان الشيطان
ينزغ بينهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للايمان او ان يشأ يعذبكم بالاماتة على الكفر
وهذا تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا
بانهم من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى الايمان
وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا
ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول
اية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامر بالعفو وقيل افرط اذية المشركين
بالمؤمنين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا
يهديكم الله يرحمكم الله وربك اعلم بمن في السموات والارض وتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة
التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم للنبوة والولاية من يشاء ممن يستحقه وهو

عليهم اوقاتهم لو ابعد ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون ذلك من الاكابر
والصناديد وذكر من في السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا وذكر من في الارض لرد قولهم لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبرؤ عن العلائق
الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع وآتينا داود زبورا بيان لحيثية تفضيله عليه السلام فان ذلك ايتاء الزبور
لا ايتاء الملك والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم فان نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين
مسطورة في الزبور وان المراد بعباد الله الصالحين في قوله تعالى ان الارض يرثها عبادي الصالحون هو النبي عم
وامته وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه في الاصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب او مصدر بمعناه كالقبول
واما لان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكره صلى الله عليه وسلم وقرئ بضم الزاي
على انه جمع زبر بمعنى مزبور قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه تعالى من الملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون
اي لا يستطيعون كشف الضر عنكم بالكلية كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك ولا تحويلا اي ولا تحويله الى غيركم
اولئك الذين يدعون اي اولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركين من المذكورين يبتغون يطلبون لانفسهم
الى ربهم الوسيلة القربة بالطاعة والعبادة ايهم اقرب بدل من فاعل يبتغون واي موصولة اي
يبتغي من هو اقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه او ضمن الابتغاء معنى الحرص فكانه قيل يحرصون ايهم يكون
اقرب اليه تعالى بالطاعة والعبادة ويرجون رحمته بها ويخافون عذابه بتركها كسائر العباد فاين هم عن
كشف الضر عن الآلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل
عليهم السلام وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب
وان بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وان من قرية بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثر بيان انه حقيق
بالحذر وان اساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم السلام على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية
والمراد بالقرية القرية الكافرة اي ما من قرية من قرى الكفار الا نحن مهلكوها اي مخربوها البتة بالخسف بها
او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك وفي صيغة الفاعل والنكات بمعنى
ما [illegible] من الدلالة على التحقق والتقرر [illegible] قبل يوم القيامة لان الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى
[illegible] ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا او معذبوها [illegible]
عذابا شديدا [illegible]
[illegible]
[illegible] يوم القيامة كان ذلك في الكتاب
اي اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
انه وجد في كتب وهب بن منبه ان الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وارمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر
حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدي
رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل
واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من قبل الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو يحصرهم ويمنعهم الشرب
من الفرات وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الابلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب
الري من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب [illegible]

البلد واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة وقد اخرجه العمري من هذا الوجه
وانت خبير بان تعميم القرية لا يساعده السباق ولا السياق **وما منعنا ان نرسل بالآيات** اي الآيات التي اقترحها
قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك **الا ان كذب بها الاولون** استثناء مفرغ من اعم الاشياء
اي وما منعنا ارسالها بشيء من الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالى
وان كان لحكمه المبنية على الحكم البالغة لا يمنع مانع عن ذلك من التكذيب وغيره لاستحالة العجز عليه تعالى
لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستيصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين
بحكم الاشتراك في العتو والعناد وافضائه الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريمة لما كان منافيا
لارسال ما اقترحوه من الآيات لتعين التكذيب المستتبع للاستيصال المخالف لما جرى به قلم القضاء
من تاخير عقوبات هذه الامة الى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوقع من ايمان بعض اعقابهم عبر عن تلك
المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادي الارسال لا كما زعموا من عدم ارادته تعالى لتاييده
بالمعجزات وفي نسبة الرحمة ايثار الارسال على الايتاء لما فيه من الاشعار بتداعي الآيات الى النزول لولا ان تمسكها
يد التقدير واسناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين كما في قوله تعالى ولو علم
الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج وللايذان بان
مدار عدم الاجابة الى ايتاء مقترحهم ليس الا صنيعهم **وآتينا ثمود الناقة** عطف على ما ينصح عنه النظم الكريم
كانه قيل وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة
فكذبوها وآتينا باقتراحهم ثمود الناقة **مبصرة** على صيغة الفاعل اي بينة ذات ابصار او بصائر يدركها
الناس او اسند اليها حال من يشاهدها مجازا او جاعلتهم ذوي بصائر من ابصره جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول
وبفتح الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف **فظلموا بها** فكفروا بها ظالمين اي لم يكتفوا
بجحد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر وظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان
ثمود عرب مثلهم وان لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم ورودا وصدورا او لانها من
انها حيوان اخرج من الحجر اوضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا **وما نرسل بالآيات**
المقترحة **الا تخويفا** لمن ارسلت هي عليهم مما يعقبها من العذاب المستاصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك
فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ضمير ظلموا اي فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته
والحال انا ما نرسل بالآيات التي هي من جملتها الا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل **واذ قلنا
لك ان ربك احاط بالناس** اي علما كما نقله الامام الثعلبي عن ابن عباس رض فلا يخفى عليه شيء من افعالهم
الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب وقوله تعالى **وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس**
للآخر لا آية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات لاشتراك الكل في كونها امورا
خارقة للعادات منزلة من جناب الله سبحانه لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فتكذيبهم لبعضها مستلزم لتكذيب
الباقي كما ان تكذيب الآخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج من عجائب الارض والسماء حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما
لانه لا فرق بينها وبين الرؤية او لانها وقعت بالليل او لان الكفرة قالوا لعلها رؤيا اي وما جعلنا الرؤيا التي
اريناكها عيانا مع كونها آية عظيمة وآية آية حقيقية بان لا يتلعثم في تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة
الا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم **والشجرة الملعونة في القرآن** عطف على الرؤيا والمراد بلعنها
فيه لعن طاعميها على الاسناد المجازي او ابعادها عن الرحمة فانها تنبت في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة اي وما

جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا
في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها
ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندل تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون ان في كل شجر نارا وقرئ بالرفع على
حذف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك **ونخوفهم** بذلك وبنظائره من الآيات فان الحمل على التخفيف وايثار
صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار **فما يزيدهم** التخويف **الا طغيانا كبيرا** متجاوزا عن الحد
فلو انا ارسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل باشياعهم وقد قضينا بتاخير
العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة على
الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه من عدم الاجابة الى انزال الآيات التي اقترحوها لان
انزالها ليس لمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لاتيت بهذه المعجزات
كما اتى بها موسى وغيره من الانبياء عليهم السلام والصلوة فكانه قيل اذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف بك
قد احاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما
امرك به من تبليغ الرسالة الا يرى ان الرؤيا التي اريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة مع
انها ما اورثت ضعفا لامرك وفتورا في حالك وقد فسرت الاحاطة باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضي
مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في اخباره واولت الرؤيا بما عسى رآه صلى الله عليه وسلم
في المنام من مصارعهم لما روي انه لما ورد ماء بدر قال والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى
الارض ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وبما رآه عام انه سيدخل مكة
واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصدته المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ما ذكر مدنيا بانه يجوز ان يكون
الوحي باهلاكهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع واقعين بعد الهجرة وانت خبير بانه يلزم
منه ان يكون افتتان الناس بذلك واقعا بعد الهجرة [illegible] واقعا عند نزول الآية
[illegible]
أرأيتك هذا الذي كرمت علي

والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه اي اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود له
لم كرمته علي وقيل هذا مبتدأ لحذف حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار
اي اخبرني اهذا من كرمته علي وقيل معنى ارايتك اتاملت كان المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطب به
عقيبه لئن اخرتن الى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله لاحتنكن ذريته اي
لاستاصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا او لاقودنهم حيث ما شئت ولاستولين
عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل حبلا تقودها به وهذا
كقوله لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تسني ذلك المطلب تلقيا من جهة الملائكة عليهم السلام او
استنباطا من قولهم اتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء او توسما من خلقه الا قليلا وهم المخلصون الذين عصمهم الله
تعالى قال اذهب اي امض لشانك الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم
فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية جزاء موفورا اي جزاء
مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة وهو نصب على انه مؤكد لما في قوله فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او
الفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز اي استخف من استطعت منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك
الى الفساد واجلب عليهم اي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك اي باعوانك وانصارك من راكب
وراجل من اهل العبث والفساد وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله عنهم ان له خيلا ورجالا من الجن والانس
فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله فهو من رجل
ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم
وهي قراءة حفص على انه فعل بمعنى فاعل كتعب وتاعب ومعناه وجمعك مثل حدث وحدث وندس وندس ونظائرهما اي بجمعك
الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه
على من يغويه فكانه مغوار وقع على قوم فصوت عليهم صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلعهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده
من خيالة ورجالة حتى استاصلهم وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي
والاولاد بالحث على التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان
الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء
وتاخير التوبة بتطويل الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان شان مواعيده والالتفات الى الغيبة
لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شانه للناس ومن الاشعار بعلية شيطنته للغرور
وهو تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان عبادي الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه ان من تبعه ليس منهم
ولذا الاضافة علة لثبوت الحكم في قوله تعالى ليس لك عليهم سلطان اي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له
سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك
والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة الى ضمير ابليس للاشعار بكيفية
كفايته تعالى لهم اعني سلب قدرته على اغوائهم ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر مبتدأ وخبر والازجاء السوق
حالا بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لنفعكم الفلك ويجريها في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه الذي هو
فضل من قبله او من الربح الذي هو معطيه ومن مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد
وتمهيد للذكر توحيدهم عند مساس الضر وتكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون كشف الضر انه كان بكم ازلا وابدا
رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء
لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة الى الجليلة
والحقيرة وإذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون اي ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون

الله من الملائكة او المسيح وغيرهم الا اياه وحده من غير ان يخطر ببالكم احد منهم وتدعون لكشفه استقلالا
او اشتراكا او ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم
من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم عن التوحيد او اتسعتم في كفران النعمة وكان الانسان كفورا تعليل لما
سبق من الاعراض افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم ان يخسف بكم جانب البر
الذي هو مامنكم اي يقلبه ملتبسا بكم او بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجوانب والجهات
بالنسبة الى قدرته سبحانه وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة او يرسل عليكم من فوقكم وقرئ بالنون حاصبا
ريحا ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك او يصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب ام امنتم
ان يعيدكم فيه في البحر وترك كلمة في لدلالة الى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه تارة
اخرى اسناد الاعادة اليه مع ان العود باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم الى ذلك ففيه ايماء الى
كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا فيرسل عليكم وانتم في البحر وقرئ بالنون قاصفا
من الريح وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته وجعلته كالرميم او التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف
اي تتكسر فيغرقكم بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الاسناد الى ضمير الريح
بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم لنعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اي ثائرا يطالبنا بما فعلنا
انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها ولقد كرمنا بني آدم قاطبة تكريما شاملا
لبرهم وفاجرهم اي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات
وغير ذلك مما لا يكاد يحيطه نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ان كل حيوان يتناول الطعام
بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة القرد لهم في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل
فانه متناول له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته
اذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم نخسف بهم الارض ولم نغرقهم
بالماء وانت خبير بان الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم من الطيبات
اي بفنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم في العلوم والادراكات
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
بهم في الدنيا ما فصلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت احوال الناس في الآخرة بحسب احوالهم واعمالهم

في الدنيا بإمامهم أي بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب أعمالهم التي قدموها فيقال
يا أصحاب كتاب الشر ويا أهل دين كذا يا أهل كتاب كذا وقيل الإمام جمع أم كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم (يا اصحاب كتاب الخير)
بأمهاتهم إجلال عيسى عليه السلام وتشريف الحسنين رضي الله تعالى عنهما والستر على أولاد الزنا فمن أوتي أي
من أولئك المدعوين كتابه صحيفة أعماله بيمينه أي بتخطئة الكتاب المؤتى وتشريفا لصاحبه وتبشيرا له من أول
الأمر بما في مطاويه فأولئك إشارة إلى من باعتبار معناه إيذانا بأنهم حزب مجتمعون على شأن جليل وإشعارا بأن
قراءتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الإيتاء وما فيه من معنى البعد للإشعار
برفعة درجاتهم أي أولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الإيتاء المذكور يقرءون كتابهم الذي أوتوه ويحكى
المبين تبجحا بما يطلعون فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات ولا يظلمون أي لا ينقصون من أجور أعمالهم المرتبة
في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة فتيلا أي قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة أو أدنى شيء فإن الفتيل مثل في القلة
والحقارة ومن كان من المدعوين المذكورين في هذه الدنيا التي فعل بهم ما فعل من فنون التكريم والتفضيل أعمى
فاقد البصيرة لا يهتدي إلى رشده ولا يعرف ما أوليناه من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام
بحقوقها لا يستعمل ما أودعنا فيه من العقول والقوى فيما خلقناه له من العلوم والمعارف الحقة
فهو في الآخرة التي عبر عنها بيوم ندعو أعمى كذلك أي لا يهتدي إلى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لأن العمى الأول
موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على أن عماه في الآخرة أشد من عماه في الدنيا وقرأ أبو عمرو الأول
ممالا والثاني مفخما وأضل سبيلا أي من الأعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه
هو الذي أوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع
أنه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق للإيذان بالعلة الموجبة
له كما في قوله تعالى وأما إن كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى فأما إن كان من أصحاب اليمين وللرمز إلى
علة حال الفريق الأول وقد ذكر في أحد الجانبين المسبب وفي الجانب الآخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك
في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وعلا وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير
فلا راد لفضله وإن كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في أمرك حتى
تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع
عنا وأن تمتعنا باللات سنة وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة فإن قالت العرب لم فعلت فقل إن الله أمرني
بذلك وقيل في قريش حيث قالوا اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة أو قالوا لا نمكنك من استلام
الحجر حتى تلم بآلهتنا فإن مخففة من المشددة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
أي إن الشأن قاربوا أن يفتنوك أي يخدعوك فاتنين عن الذي أوحينا إليك من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا
لتفتري علينا غيره لتقول غير الذي أوحينا إليك مما اقترحته ثقيف وقريش حسبما نقل وإذا لاتخذوك خليلا
أي لو اتبعت أهواءهم لكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا أن ثبتناك على ما أنت عليه من الحق بعصمتنا لك
لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا من الركون الذي هو أدنى ميل أي لولا تثبيتنا لك لقاربت أن تميل إليهم شيئا
يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن أدركتك العصمة فمنعتك من أن تقرب من أدنى مراتب الركون
إليهم فضلا عن نفس الركون وهذا صريح في أنه عليه السلام ما هم بإجابتهم مع قوة الدواعي إليها ودليل على أن
العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته إذا لو قاربت أن تركن إليهم أدنى ركنة لأذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لأن خطأ الخطير أخطر
وكان أصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف وأقيمت
الصفة مقامه ثم أضيفت إضافة موصوفها وقيل الضعف من أسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب

الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك العذاب وإن كادوا الكلام فيه كما في الأول
أي كاد أهل مكة ليستفزونك أي ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الأرض أي الأرض التي أنت فيها وهي أرض
مكة ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون بالرفع عطف على خبر كادوا وقرئ لا يلبثوا بالنصب على أن الجملة معطوفة
على جملة وإن كادوا ليستفزونك خلافك أي بعدك قال خلت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا
أي ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ خلفك إلا قليلا إلا زمانا قليلا وقد كان كذلك فإنهم أهلكوا ببدر
بعد هجرته وقيل نزلت الآية في اليهود حيث حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام
الأنبياء عليهم السلام فإن كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم
بنو قريظة وأجلي بنو النضير بقليل سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدرية أي سن الله تعالى
سنة وهي أن يهلك كل أمة أخرجت رسولها من بين أظهرهم فالسنة لله تعالى وإضافتها إلى الرسل لأنها سنت
لأجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل ولا تجد لسنتنا تحويلا أي تغييرا أقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها
كما ينبئ عنه قوله عليه السلام أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لأن
من نظر إليها حينئذ يدلك عينه وقيل لغروبها من دلكت الشمس أي غربت وقيل أصل الدلوك الميل فينتظم المعنيين
واللام للتأقيت مثلها في قولك لثلاث خلون إلى غسق الليل إلى اجتماع ظلمته وهو وقت صلوة العشاء وليس المراد
إقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل إقامة كل صلوة في وقتها الذي عينه البيان جبريل عليه السلام كما أن أعداد ركعات
كل صلوة موكولة إلى بيانه عليه السلام ولعل الاكتفاء ببيان المبدإ والمنتهى في أوقات الصلوات من غير فصل بينها لما
أن الإنسان فيما بين هذه الأوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف أول وقت العشاء والفجر فإنه باشتغاله
فيما بينهما بالنوم ينقطع أحدهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الأوقات وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب
والتحديد المذكور بيان لمبدإ وقته ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته إلى غروب الشفق وقوله تعالى وقرآن الفجر
أي صلوة الفجر نصب عطفا على مفعول أقم أو على الإغراء قال الزجاج وإنما سميت قرآنا لأنه ركنها كما تسمى ركوعا
وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة له على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو
فسر بالقراءة في صلوة الفجر لدل الأمر بإقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها دلالة ويجوز أن يكون ترغيبا
على تطويل القراءة في صلوة الفجر إن قرآن الفجر أظهر في مقام الإضمار إبانة لمزيد الاهتمام به كان مشهودا يشهده
ملائكة الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي هو أخو الموت
أو يشهده كثير من المصلين أو من حقه أن يشهده الجم الغفير والآية على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس
وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر ومن الليل قيل هو عطف على الإغراء أي الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغري
حرفا ولا يجدي كون معناها التبعيض فإن أو مع ليست اسما بالإجماع ولو كانت بمعنى الاسم الصريح بل
منصوب على الظرفية بمضمر أي قم بعض الليل فتهجد به أي أزل وألق الهجود أي النوم فإن صيغة التفعل تجيء للإزالة
كالتحرج والتحنث والتأثم ونظائرها والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد إضافته إلى الفجر أو للبعض المفهوم
من قوله تعالى من الليل أي تهجد في ذلك البعض على أن الباء بمعنى في وقيل منصوب بتهجد أي تهجد بالقرآن بعض الليل
على طريقة وإياي فارهبون نافلة لك فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الأمة ولعله
هو الوجه في تأخير ذكرها عن ذكر صلوة الفجر مع تقدم وقتها على وقتها أو تطوعا لكن لكونها زيادة على الفرائض بل
لكونها زيادة له صلى الله عليه وسلم في الدرجات على ما قال مجاهد والسدي فإنه مغفور له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر فيكون تطوعه زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الأمة فإن تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع
في فرائضهم وانتصابها إما على المصدرية بتقدير تنفل أو بجعل تهجد بمعناه أو بجعل نافلة بمعنى تهجد فإن ذلك عبادة
زائدة وإما على الحالية من الضمير الراجع إلى القرآن أي حال كونها صلوة نافلة وإما على المفعولية لتهجد إذا جعل بمعنى صلى

قيل وجعل الضمير المجرور للبعض أي فضل في ذلك البعض نافلة لك **عسى أن يبعثك ربك** الذي يبلغك إلى
كمال الذي يربيك من بعد الموت الأكبر كما ابتعثك من النوم الذي هو الموت الأصغر بالصلوة والعبادة **مقاما**
نصب على الظرفية على إضمار فيقيمك أو تضمين البعث معنى الإقامة إذ لا بد أن يكون العامل في مثل هذا الظرف فعلا
فيه معنى الاستقرار ويجوز أن يكون حالا بتقدير مضاف أي يبعثك ذا مقام **محمودا** عندك وعند جميع الناس وفيه
تهوين لمشقة قيام الليل وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام
الذي أشفع لأمتي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مقاما يحمدك فيه الأولون والآخرون وتشرف فيه على جميع
الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد إلا تحت لوائك وعن حذيفة رضي الله عنه يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم
فيه نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين
يديك وبك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت **وقل رب أدخلني**
أي القبر **مدخل صدق** أي إدخالا مرضيا **وأخرجني** أي منه عند البعث **مخرج صدق** أي إخراجا مرضيا ملقى بالكرامة
نحو تلقين للدعاء بما وعده من البعث المقرون بالإقامة المعهودة التي لا كرامة فوقها وقيل المراد إدخال المدينة و
الإخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الإدخال هو المقصود وقيل إدخاله مكة ظاهرا عليها وإخراجه
منها آمنا من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالما وقيل إدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه
منه مؤديا حقه وقيل إدخاله في كل ما يلابسه من مكان أو أمر وإخراجه منه وقرئ مَدخل ومَخرج بالفتح على معنى
أدخلني فأدخل دخولا وأخرجني فأخرج خروجا كقوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف
فلم يبق **واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا** حجة تنصرني على من خالفني أو ملكا وعزا ناصرا للإسلام مظهرا
له على الكفر فأجيبت دعوته عليه السلام بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس فإن حزب الله هم الغالبون
ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الأرض **وقل جاء الحق** أي الإسلام والوحي الثابت الراسخ **وزهق الباطل** أي ذهب وهلك
الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه إذا خرج **إن الباطل كان** كائنا ما كان **زهوقا** أي شأنه أن
يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة كريمة بإجابة الدعاء بالسلطان النصير الذي تقدم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه
عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده في عين واحد
منها ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى ألقى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي
ارم به فصعد فرمى به فكسره **وننزل من القرآن** وقرئ ننزل من الإنزال **ما هو شفاء** لما في الصدور من أدواء الريب
وأسقام الأوهام **ورحمة للمؤمنين** به العاملين بما في تضاعيفه أي ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي
للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فإن كل القرآن كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن
فلا شفاه الله تعالى أو تبعيضية لكن لا بمعنى أن بعضه ليس كذلك بل بمعنى أنا ننزل منه في كل نوبة ما تستدعيه الحكمة من نزوله
حينئذ فيقع ذلك ممن نزل عليهم بسبب وقوع الأحوال الداعية إلى نزوله موقع الدواء الشافي المصادف لأبانه من
المحتاجين إليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تأخير فكل بعض منه متصف بالشفاء لكن لا في كل حين بل عند تحقق
التبعيض باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفاتحة وآيات الشفاء لا ينافيه عده قوله سبحانه **ولا يزيد الظالمين**
أي لا يزيد القرآن كله أو كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين للأشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه
شفاء من الأسقام **إلا خسارا** أي هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كما قيل فإن ما بهم من داء الكفر والضلال
حقيق بأن يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض مبادي الإسلام فيهم وعن زيادته فيهم أيضا بالهلاك حيث
إنهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالآيات النازلة تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا وفيه إيماء إلى أن ما بالمؤمنين
من الشبه والشكوك المعترية لهم في أثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الأمراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة
الموت والهلاك وإسناد الزيادة المذكورة إلى القرآن مع أنهم هم المزدادون في ذلك لسوء صنيعهم باعتبار كونه سببا

لذلك وفيه تعجيب من أمره حيث يكون مدار الشفاء والهلاك **وإذا أنعمنا على الإنسان** بالصحة والنعمة
أعرض عن ذكرنا فضلا عن القيام بموجب الشكر **ونأى بجانبه** أي ثنى بجانبه ولوى عنه
عطفه وولاه ظهره فهو تأكيد للإعراض أو عبارة عن الاستكبار لأنه من ديدن المستكبرين **وإذا مسه**
الشر من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل وفي إسناد المساس إلى الشر بعد إسناد الإنعام إلى ضميره جل جلاله إيذان بأن الخير
مراد بالذات والشر ليس كذلك **كان يؤسا** شديد اليأس من روحنا وهذا وصف للجنس باعتبار بعض أفراده
ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظائره فإن ذلك شأن بعض آخر
منهم وقيل أريد به الوليد بن المغيرة وقرئ ناء إما على القلب كما يقال راء في رأى أو على أنه بمعنى نهض **قل كل** أي كل
أحد منكم وممن هو على خلافكم **يعمل على شاكلته** طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة أو جوهر
روحه وأحواله التابعة لمزاج بدنه **فربكم** الذي برأكم على هذه الطبائع المختلفة **أعلم بمن هو أهدى سبيلا**
أي أسد طريقا وأبين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين **ويسألونك عن الروح** الظاهر
أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدبر البدن الإنساني ومبدأ حياته روي أن اليهود قالوا لقريش
سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عنها جميعا أو سكت فليس بنبي وإن أجاب عن بعض
وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة **قل الروح** أظهر في مقام الإضمار
إظهارا لكمال الاعتناء بشأنه **من أمر ربي** كلمة من بيانية والأمر بمعنى الشأن والإضافة للاختصاص العلمي لا
لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الإضافة الثانية من تشريف المضاف إليه أي هو
من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الأسرار الخفية التي لا تكاد تحوم حولها عقول البشر **وما أوتيتم من العلم**
إلا قليلا لا يمكن تعلقه بأمثال ذلك روي أنه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا
الخطاب قال عم بل نحن وأنتم فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وتارة
تقول هذا فنزلت ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام الآية وإنما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فإن الحكمة الإنسانية
أن يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية بل ما نيط به المعاش والمعاد وذلك بالإضافة إلى معلوماته لا نهاية لها
سبحانه قليل ينال به خير كثير في نفسه أو بالنسبة إلى الإنسان أو هو من الإبداعيات الكائنة بمحض الأمر التكويني من غير
تحصل من مادة وتولد من أصل كأعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه ومآله أنه من عالم الأمر لا من عالم الخلق
وليس هذا من قوله سبحانه إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فإن ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان
الكائن من عالم الأمر أو من عالم الخلق وفيه تنبيه على أنه مما لا يحيط بكنهه دائرة إدراك البشر وإنما الممكن هو
التعريف الإجمالي المندرج تحت ما استثني بقوله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا أي إلا علما قليلا تستفيدونه
من طرق الحواس فإن تعقل المعارف النظرية إنما هو من إحساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما
ولعل أكثر الأشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من أحواله التي يعرف بها معرفة ذاته وأما حمل ما ذكر على السؤال
عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب إخبارا بحدوثه أي كائن بتكوينه حادث بإحداثه بالأمر التكويني فيأباه عدم
ملاءمته لحال السائلين لا سيما اليهود لتعرضهم لتلك علمهم فإن مساق الآية الكريمة أنه مما ينبغي به علمهم ويخفى عنهم وقيل
المراد بالروح خلق عظيم روحاني أعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن ومعنى من أمر ربي من وحيه وكلامه
من كلام البشر **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك** من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع
للعلوم التي أوتيتموها وتحتك عليه حين كادوا يفتنونك عنه ولولاه لكدت تركن إليهم شيئا قليلا وإنما عبر عنه
بالموصول تفخيما لشأنه ووصفا له بما في حيز الصلة ابتداء إعلاما بحاله من أول الأمر وبأنه ليس من قبيل كلام
المخلوق واللام موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشيئة والمراد
من الذهاب به المحو عن المصاحف والصدور وهو أبلغ من الإذهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه أول ما تفقدون

من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم
منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم
فقال يسري عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء وترفع المصاحف وينزع ما في القلوب ثم لا تجد لك به اي بالقرآن
علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك لعلها تسترده
عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة
بتنزيله وترغيبا في المحافظة على اداء حقوقه وتحذيرا من ان لا يقدر قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره ويؤدي حق
النعم واعظمها ان فضله كان عليك كبيرا كارسالك وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك
قل للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شانه الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر لئن اجتمعت
الانس والجن اي اتفقوا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة
في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما
لا لان غيرهما قادر على المعارضة لا يأتون بمثله اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا
عن ان يتوهم ان له مثلا معينا وايذانا بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات
البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان وهو جواب القسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد
جزاء الشرط ولولاها لكان جوابا له بغير جزم لكون الشرط ماضيا كما في قوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول
لا غائب مالي ولا حرم وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي
للمعارضة من كل واحد منهم على الانفراد او من المجموع بان يتألبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد
الانظار قيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدر
اي لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف
عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلان ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور
ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد كما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي لا يأتون بمثله على
كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة
في روم تبديل بعض آياته ببعض ولا مساغ لكون الآية تقريرا لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
كما قيل لكن لا لما قيل من ان الاتيان بمثله اصعب من استرداد عينه ونفي الشيء انما يقرر نفي ما دونه لا نفي ما فوقه
فان اصعبية الاسترداد بغير امره تعالى من الاتيان بمثله مما لا اشتباه فيه بل لان الجملة القسمية ليست مسوقة
الى النبي عليه السلام بل الى المكابرين من قبله عم ولقد صرفنا كررنا ورددنا على انحاء مختلفة توجب
زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ واطمئنان للناس في هذا القرآن المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة
من كل مثل من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فابى اكثر الناس اوثر
الاظهار على الاضمار تاكيدا وتوضيحا الا كفورا اي الا جحودا وانما صح الاستثناء من الموجب لانه في معنى النفي
ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي كأنه قيل ما قبل اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في ابوا الايمان لان
فيه دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا في
الاباء وقالوا عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلي وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما
لا يمكن في العادة وجوده ولا يقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج لن نؤمن لك حتى تفجر
وقرئ بالتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعا عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب
الماء اذا زخر او تكون لك جنة اي بستان يستر اشجارها ما تحتها من العرصة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
اي تجريها بقوة خلالها تفجيرا كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها او ادامة اجرائها كما ينبئ عنه المقام

لا ينبوعا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى وقرئ بالسكون
كسدرة وسدر وهو حال من السماء والكاف في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي اسقاطا مماثلا
لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء او تأتي بالله والملائكة قبيلا اي مقابلا
كالعشير والمعاشر او كفيلا بما تدعيه اي شاهدا بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالة هذه عليها
اي والملائكة قبيلا كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون
لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء اي في معارجها في ذي المعارج
يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك اي لاجل رقيك فيها وحده او لن نصدق رقيك فيها حتى تنزل
علينا كتابا فيه تصديقك نقرؤه نحن من غير ان يتلقى من قبلك عن ابن عباس رض قال عبد الله بن ابي امية
لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تأتيها وتأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة
يشهدون انك كما تقول وما كانوا ليقصدوا بهاتيك الاقتراحات الباطلة الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف
ما اقترحوا من الآيات ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها
منه الجبال قل تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة
التي تكاد السموات يتفطرن منها او عن طلبك ذلك وتنبيها على بطلان ما قالوه سبحان ربي وقرئ
قال سبحان ربي هل كنت الا بشرا لا ملكا حتى يتصور مني الرقي في السماء ونحوه رسولا مأمورا
من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير ان يكون لي خيرة في الامر كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره
الله على ايديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله سبحانه بشيء
منها وقوله بشرا خبر كنت ورسولا صفته وما منع الناس اي الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا مفعول
ثان لمنع وقوله اذ جاءهم الهدى اي الوحي ظرف لمنع او يؤمنوا اي وما منعهم وقت مجيء الوحي المقرون
بالمعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك وما منعهم ان يؤمنوا بذلك وقت مجيئه ذكر
الا ان قالوا في محل الرفع على انه فاعل منع اي الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا منكرين ان يكون رسول
الله تعالى من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد
الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول ايذانا بانه مجرد قول يقولونه بافواههم من غير
ان يكون له مفهوم ومصداق وحصر المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى لما انه معظمها او لانه
المانع بحسب الحال اعني عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذي يتشبثون به من غير
ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب المذكور مع كونه
حاسما لمواد شبههم ملجئا الى الايمان يعكسون الامر ويجعلونه مانعا منه قل لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة و
تحقيقا للحق المزيح للريب لو كان اي لو وجد واستقر في الارض بدل البشر ملائكة يمشون مطمئنين
قارين فيها من غير ان يعرجوا في السماء ويعلموا ما يجب ان يعلم لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يهديهم
الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقي منه واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية
كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وانما الملك يبعث
الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني
ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك
بشرا في قوله تعالى ابعث الله بشرا رسولا وهو الاولى قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت
وبينت لهم ما تقتضيه الحكمة في البعثة ولم يرفعوا اليه رأسا كفى بالله وحده شهيدا على اني اديت ما علي من
مواجب الرسالة اكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب وتوحيد الشهادة الى كونه رسولا باظهار المعجزة

على وفق دعواهم كما لا يخبر لا يساعده قوله تعالى بيني وبينكم وما بعده من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقا للمفارقة وابانة
للمباينة وتمهيد لما احال وبخبر انه كان بعباده من الرسل والمرسل اليهم خبيرا بصيرا محيطا بظواهر احوالهم
وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن
يهد الله كلام مبتدأ يفصل لما اشار اليه الكلام السابق من مجازاة العباد اشارة اجمالية اي من يهده الله
الى الحق بما جاء من قبله من الهدى فهو المهتد اليه والى ما يؤدي اليه من الثواب او المهتدي الى كل مطلوب ومن يضلل
اي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم اوثر ضمير الجماعة اعتبارا لمعنى من غب ما اوثر في مقابله
الافراد نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال اولياء من دونه
من دون الله تعالى انصارا يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية والاخروية او الى طريق النجاة
من العذاب الذي يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما يقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام
الآحاد الى الآحاد ونحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بامر الحشر يوم القيمة على وجوههم
حال من الضمير المنصوب اي كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم او مشيا فقد روي انه قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم
عميا حال من الضمير المجرور في الحال السابقة وبكما وصما لا يبصرون ما تقر اعينهم ولا ينطقون بما يقبل منهم و
لا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز
ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفي القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم
وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه مأواهم جهنم اما حال او استئناف
وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اي كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما تتعلق
به النار وتحرقه زدناهم توقدا بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم
على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما ينبئ عنه قوله تعالى
ذلك اي ذلك العذاب جزاؤهم بانهم اي بسبب انهم كفروا بآياتنا العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة
دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون مبتدأ ثانيا وبانهم خبره والجملة خبر لذلك وان
يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف وقالوا منكرين اشد الانكار أئذا كنا عظاما ورفاتا
أئنا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر مؤكد من غير لفظه اي لمبعوثون بعثا جديدا واما حال اي مخلوقين
مستأنفين أولم يروا اي الم يتفكروا ولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمهما
قادر على ان يخلق مثلهم في الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بالخلق حيث قيل خلقا جديدا
وجعل لهم اجلا لا ريب فيه عطف على اولم يروا فانه في قوة قد رأوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات
والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس وجعل لهم ولبعثهم اجلا محققا لا ريب فيه هو القيمة فأبى الظالمون
وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا كفورا اي جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة
ربي خزائن رزقه التي افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني
وفائدة تلك المبالغة والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم لبخلتم خشية الانفاق مخافة النفاد بالانفاق
اذ ليس في الدنيا احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يتوقعه فاذن هو بخيل بالاضافة
الى جود الله سبحانه وكان الانسان قتورا مبالغا في البخل لان مبنى امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة
العوض بما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله
وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر
ونتق الطور على بني اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاث الاخيرة ويأباه ان هذه الثلث لم تكن منزلة اذ ذاك وقال الاولين

لبني

لا تعلق لها بفرعون وانما فيها ما لا ينوا اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها
فقال ان لا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا
ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا
في السبت فقبل اليهودي يده ورجله عليه السلام ولا يساعده ايضا ما ذكر ولعل جوابه عليه السلام بذكرها لكنه المراد
السائل بخمول الكلام انه كان في التورية مسطورا وقد علم انه ما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
من جهة الوحي فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقيل اي فقلنا له سل بني اسرائيل من فرعون وقل له ارسل معي بني
اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وحال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم على صيغة الماضي وقيل الخطاب للنبي عليه السلام اي فاسألهم عن الآيات لتزداد
يقينا وطمأنينة او ليظهر صدقك اذ جاءهم متعلق بقلنا او بسأل على القراءة المذكورة وبآتينا
او بمضمر نحو اذكر اذا ذكر على تقدير كون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له
فرعون الفاء فصيحة اي فاظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما ارسل به
فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء
يعني الآيات التي اظهرها الا رب السموات والارض خالقهما ومدبرهما
انها لا يريدان بانه لا يقدر على ايتائها ما تلك الآيات لعظام الا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الآيات اي
بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وفي صورة ذلك
العلم العلم بانه عم على كمال الرصانة العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة التكلم اي تعد
علمت يقين ان هذه الآيات آيات باهرة انزلها الله عز سلطانه فكيف يتوهم انحوم حولي سحر واني لاظنك يا فرعون
مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا ولقد قارع عليه السلام
ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عليه السلام يحاكي اليقين فاراد اي فرعون ان يستفزهم
اي يستخفهم ويزعجهم من الارض ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كتب له مستقبل ابنائهم وتحيي نساءهم
فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد
اغراقهم لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة اي الكرة الآخرة او
الحيوة او الساعة او الدار الآخرة اي قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم
من اشقيائكم واللفيف الجماعة من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا
بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا محفوظا وما نزل
على الرسول الا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول الامر وآخره وما
ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فهو تحقيق لحقية بعثته اثر تحقيق حقية
انزال القرآن وقرآنا منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه لتقرأه
على الناس على مكث على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه
تنزيلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات قل للذين كفروا آمنوا به او لا تؤمنوا
فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا ان الذين اوتوا العلم من قبله اي العلماء الذين
قرأوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل
والمحق والمبطل ورأوا فيها نعتك ونعت ما انزل اليك اذا يتلى عليهم اي القرآن يخرون للاذقان
اي يسقطون على وجوههم سجدا تعظيما لامر الله تعالى وشكرا لانجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك وتخصيص
الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ حينئذ يتحقق الخرور عليها وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها

عليها ثم

كما في قوله تخص بها الساجدين والفم وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به او لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك
اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به احسن ايمان من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ويقولون في سجودهم
سبحان ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب وعن خلف وعده ان كان وعد ربنا لمفعولا ان مخففة من الثقيلة
واللام فارقة اي ان الشان هذا ويخرون للاذقان يبكون كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول
لتعظيم امر الله تعالى او الشكر لانجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله
ويزيدهم اي القرآن بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزل
حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة الهين وهو يدعو
الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى في التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما
عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان
في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اوفق لقوله تعالى اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء
بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في اي عوض عن المضاف اليه
وما مزيدة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا
فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وحسن جميع اسمائه يستدعي
حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها على صفات الكمال من الجمال والجلال والاكرام ولا تجهر بصلوتك
اي بقراءة صلوتك بحيث تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها اي بقراءتها
بحيث لا يسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك اي بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا
امرا وسطا فان خير الامور اوساطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون
ويؤمه المهتدون ويوصلهم الى المطلوب وروي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم
حاجتي وعمر رض كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر رض ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك
سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم
تضرعا وخفية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح
ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له شريك في الملك اي الالوهية كما يقوله الثنوية
القائلون بتعدد الالهة ولم يكن له ولي من الذل ناصر يمنعه منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل المذلة
ليدفعها به وفي التعرض في اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من له هذه النعوت دون غيره
اذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك
نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه
والتمجيد واجتهد في الطاعة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور في ذلك روي انه عليه السلام كان اذا
افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين
كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية الحمد لله سبحانه وله الكبرياء ذي العظمة والجبروت

سورة الكهف مائة ايات وهي مكية

الحمد لله الذي انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب اي الكتاب الكامل الغني عن الوصف بالكمال

المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب وهو عبارة عن جميع القرآن او عن جميع المنزل
حينئذ كما مر اوائله وصفه تعالى بالموصول للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شان
التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفي التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا
الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عليه السلام الى اعلى معارج العبادة وتشريف له اي تشريف واشعار بان شان الرسول
ان يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عم وتاخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع ان حقه
التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى ولم يجعل له عوجا اي شيئا من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى
او انحراف عن الدعوة الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان واما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا مع كون
الجبال من الاعيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة
استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني وقيل
الفتح في اعوجاج المنتصب كالعود والحائط والكسر في اعوجاج غيره عينا كان او معنى قيما بالمصالح
الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل
بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها او متناهيا في
الاستقامة فيكون تاكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما
ينبئ عنه الصيغة لا انه نفي عنه العوج مع كونه من شانه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة على لم
عطفية بمضمر ينبئ عنه نفي العوج تقديره جعله قيما واما على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب لان الفصل
بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ قيما لينذر متعلق بانزل وان الفاعل ضمير الجلالة كما في التعليل
المعطوفين عليه والاطلاق وعدم ذكر المفعول الاول للايذان بان ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني وان الاول
ظاهر لا حاجة الى ذكره اي انزل الكتاب لينذر عاقبة الذين كفروا به باسا اي عذابا شديدا من لدنه اي
صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة
وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر بالتشديد وقرئ بالتخفيف المؤمنين اي المصدقين به
الذين يعملون الصالحات اي الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه وايثار صيغة الاستقبال في الصلة
للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لان مدار قبول الاعمال
هو الايمان ان لهم اي بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة اجرا حسنا هو الجنة وما فيها من المثوبات
الحسنى ماكثين حال من الضمير المجرور في لهم فيه اي في ذلك الاجر ابدا من غير انتهاء اي خالدين فيه وهو
نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة
تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بفرقة
خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقي الباس الشديد للايذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم
اي وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة
بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله تعالى والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك اجراء الموصول على الموصوف
كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما في حيز الصلة في الكفر على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضي
في الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه
الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هنا للمؤمنين ايضا بحمله على
معنى مجرد الاخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول المنذر به كما في قوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا يقتضي
خلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول الباس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز ان يكون الفاعل في الافعال
الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول عم ما لهم به اي باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا من علم مرفوع على الابتداء

او الفاعلية لاعتماد الظرف ومن مزيدة لتأكيد النفي والجملة حالية او مستأنفة لبيان حالهم في مقالهم اي ما لهم بذلك شيء من علم اصلا لا لاخلالهم بطريقه مع تحقق المعلوم او امكانه بل لاستحالته في نفسه ولا لآبائهم الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة او ما لهم علم بما قالوه اهو صواب ام خطأ بل انما قالوه رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الآيات وهو الانسب بقوله تعالى كبرت كلمة اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه الى ما لا يكاد يليق بجناب كبريائه والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز او ضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع على الفاعلية تخرج من افواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها والاسناد الى الخروج مع ان الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت للملابسة بها ان يقولون ما يقولون في ذلك الشأن الا كذبا الا قولا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق اصلا وفي الضميرين لهم ولآبائهم مثل حاله عليه السلام في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته تأسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له على الحذر والاشفاق من ذلك فلعلك باخع اي مهلك نفسك على آثارهم غما ووجدا على فراقهم وقرئ بالاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بان المفتوحة اي لان لم يؤمنوا باعمال باخع بحمله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه اسفا مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغضب على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم انا جعلنا ما على الارض استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الاشفاق اي انا جعلنا ما عليها مما يصلح ان يتعلق به التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا زينة مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع واللام في لها اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كائنة لها اي ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكيرها لعذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحيوة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء لنبلوهم متعلق بجعلنا اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم ايهم احسن عملا فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما تبين المحسن من المسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المرتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود واي اما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي هو احسن عملا فحينئذ يحتمل ان تكون الضمة في ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان يكون للاعراب على ما ذكر من جواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شأنها وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما تفعله الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفرقة

باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وانا لجاعلون فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا ما عليها من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير او لادراج المكلفين فيه صعيدا مفعول ثان للجعل والصعيد التراب ووجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه جرزا ترابا لا نبات فيه بعدما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته الابصار يقال ارض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض فهي مجروزة اي ذهب نباتها بالقحط او جراد ويقال جرزها الجراد والشاء والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابق من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم ونحن مجازوهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب اعمالهم ام حسبت الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسبان امته وام منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا في بقائهم على الحيوة مدة طويلة من الدهر من آياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كان لم تغن بالامس عجبا اي آية ذات عجب وضعا له موضع المضاف او وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي اي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله على ما فصل في الصحيحين اذ اوى ظرف للعجب لا لحسبت ومفعول لاذكر اي حين التجأ الفتية اي اصحاب الكهف وايثار الاظهار على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه الى الكهف يجعلونه مأوى لهم فقالوا ربنا آتنا من لدنك من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات فمن ابتدائية متعلقة بآتنا او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له اي آتنا كائنة من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك واصل التهيئة احداث هيئة الشيء اي اصلح ورتب واتمم لنا من امرنا رشدا اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تأخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوقا للسامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا على من امرنا للايذان من اول الامر بكون المسؤول مرغوبا فيه لديهم او اجعل امرنا رشدا كله كما في قولك رأيت منك اسدا فضربنا على آذانهم اي انمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما انها المحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير على يد

الرغبة اي منعهم من التصرف مع عدم ملاءمته لما سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في
فضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات
اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية استجابة
لدعوتهم في الكهف ظرف مكان لضربنا سنين ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه عددا اي ذوات
عدد او تعد عددا على انه مصدر او معدودة على انه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو
الانسب باظهار كمال القدرة او للتقليل وهو الاليق بمقام انكار كون القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة
فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل ثم بعثناهم اي ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم
بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات واياما كان فهو غاية للبعث لا بجعل العلم مجازا عن
الاظهار والتمييز او بحمله على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي يتعلق به الجزاء كما في قوله
تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ونظائرهما التي يحقق
فيها بتحقق متعلقه قطعا فان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة الايام
بين الناس ترتب عليه تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والاظهار العلم
والتميز واما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم الى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم او الاظهار والتميز ويتسنى
نظم شيء من ذلك في سلك الغاية واما الذي ترتب عليه تفرقهم الى المقدر تقديرا غير مصيب والمفوض الى العلم
الرباني وليس شيء منهما من الاحصاء في شيء بل يحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار
مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعا
بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فأت بها من المغرب وهو المراد هاهنا
فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم اي الحزبين اي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض
كما سيأتي احصى اي ضبط لما لبثوا اي للبثهم امدا اي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير
ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم واديانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا
به امر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر هاهنا من تلك الغايات الجليلة
على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سيأتي على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي اليها وهذا اوضح من
التمثيل بان يقال بعثناهم بعث من يريد ان يعلم الخ حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على
الوجه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت اذ غاية ما تم
منه استلزام الارادة لتحقق المراد فيعود المحذور فيصار الى ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختير واختر
هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الاعلام على ان المفعول الاول محذوف والجملة المصدرة باي
في موقع المفعول الثاني فقط ان جعل العلم عرفانيا وفي موقع المفعولين ان جعل يقينيا اي ليعلم الله الناس اي
الحزبين احصى الخ وروى عطاء عن ابن عباس رض ان احد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة
غاية ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدى
كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه
لكونه نكرة وليس معنى احصاء تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى احصاء بل
ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب
الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز ان يراد بالامد معناه الوضعي
بتقدير المضاف اي لزمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان
المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد ما يقع غاية ومنتهى

لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو آن
انبعاثهم من نومهم فان معرفته من تلك الحيثية لا يخفى على احد ولا تسمى احصاء كما مر بل باعتبار كميته المنفصلة
العارضة له بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى مرتبة
معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصاء في الصورة
السابقة نفس المدة المنقسمة الى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة الاخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة
اليها اعني السنة التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه به بالمعنى الثاني
فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية
ويجوز ان يكون موصولا قد حذف عائده من الصلة اي للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما قبل بسنين
عددا فالامد عبارة عن معناه الوضعي على ما حققته وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول وامدا نصب على التمييز
واما ما قيل من ان احصى اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع في سائر الآيات الكريمة نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب
لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولان كونه فعلا ماضيا يشعر بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم
على البعث لا بالاحصاء المتأخر عنه وليس كذلك وادعاء ان مجيء افعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي
مدفوع بانه عند سيبويه قياس مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في ان ما نحن فيه من
ذلك القبيل وامتناع عمله انما هو في غير التمييز من المعمولات واما ان التمييز يجب كونه فاعلا في المعنى فلا يمنع
ان عينه لصحة ان يقال انهم احفظ لهذا الشعر وزنا او تقطيعا او يقال ان العامل في امدا فعل يحذو يدل
عليه المذكور اي يحصي لما لبثوا امدا كما في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث الوقوع في الحذف
بلا فائدة مدفوع بما اشير اليه من فائدة الموافقة للنظائر فرفع ما فيه من الاعتساف والخلل بعزل من السداد
لان مؤداه ان يكون المقصود بالاختبار اظهار افضل الحزبين وتمييزه عن الادنى مع تحقق اصل الاحصاء فيهما
وقد تبين ان لا تحقق له اصلا وان المقصود بالاختبار اظهار عجز الكل عنه رأسا فهو فعل ماض قطعا وتوهم
ايذانه بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم عليه مردود بان صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية
والله تعالى اعلم نحن نقص عليك شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية الخ اي نحن نخبرك
بتفاصيل اخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عم نبأهم النبأ الخبر الذي له شان وخطر بالحق
اما صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص او من نبأهم او صفة له على رأي من يرى حذف الموصول مع بعض
صلته اي نقص قصصا ملتبسا بالحق ونقصه ملتبسين به او نقص نبأهم ملتبسا به او نبأهم الملتبس به روي انهم
حسبما ذكر محمد بن اسحق بن يسار انه قد مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام
وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فانه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال
الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين عيسى عم وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين
القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب في الحيوة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحيوة الابدية قتله
وقطع آرابه وعلقها في سور المدينة وابوابها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص
الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينما هم كذلك اذ دخل اعوان الجبار
فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات
والارض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه الها ولن نقر لما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر بنزع
ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شأنه وامهلهم الى رجوعه ليتأملوا
في امرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فازمعت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء الى الكهف
الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه

آناء الليل واطراف النهار ويبتهلون الى الله سبحانه بالانين والجؤار وفوضوا امر نفقتهم الى يمليخا فكان اذا اصبح
يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار
ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر آباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا
اموالهم وبذروها في الاسواق وفروا الى الجبل فلما رأى يمليخا ما رأى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه قليل
من الزاد فاخبرهم بما شاهد من الهول ففزعوا الى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤوسهم وجلسوا يتحدثون
في امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤوسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله و
رجله فوجدهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم أليس
لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا
لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وعلا منهم إنهم فتية استئناف تحقيقي مبني على تقدير السؤال من قبل المخاطب
والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبي آمنوا بربهم اوثر الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة
ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم وزدناهم هدى بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم
مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا وسياقا من التكلم وربطنا على قلوبهم
اي قويناها حتى اقتحموا مضائق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجترؤوا على الصدع بالحق
من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار
شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم اني لاجد في نفسي شيئا ان
ربي رب السموات والارض فقالوا نحن ايضا كذلك نجد فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض
ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقضي بمقتضاها فان ربوبيته عز وجل لهما تقتضي ربوبيته لما فيهما اي
اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام فحينئذ يكون ما
سيأتي من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعو لن نعبد ابدا
من دونه الها معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين
حيث كانوا يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته
تعالى بطريق الالوهية لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا اذا شططا اي قولا ذا شطط اي تجاوز
عن الحد او قولا هو عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة و
حيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية المعبود والتضرع اليه قيل
لقد قلنا واذا جواب وجزاء اي لو دعونا من دونه الها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا
في الظلم هؤلاء هو مبتدأ وفي اسم الاشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا من دونه آلهة خبره
وفيه معنى الانكار لولا يأتون تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اي هلا يأتون عليهم على الوهيتهم او على
صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان بين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم والقام حجر فمن
اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا والمعنى انه اظلم من كل ظالم
وان كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة كما مر تحقيقه في سورة هود واذ اعتزلتموهم
اي فارقتموهم في الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسماني وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب
موصولة او مصدرية اي اذا اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله او وعبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين
فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الاوثان ويجوز كون
ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه فأووا الى الكهف اي التجئوا اليه
قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه اي اذا اعتزلتموهم اعتزالا

اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف ينشر لكم
ربكم يبسط لكم ويوسع عليكم مالك امركم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم يسهل لكم من امركم
الذي انتم بصدده من الفرار بالدين مرفقا ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدر
كالمرجع وتقديم لكم في الموضعين لما مر مرارا من الايذان من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق
الى وروده وترى الشمس بيان لحالهم بعد ما اووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه
لظهور جريانهم على موجب الامر لكونه صادرا عن رأي صائب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه اذ
اوى الفتية الى الكهف وما لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد
ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف لو رأيته ترى الشمس
اذا طلعت تزاور اي تتزاور وتتنحى بحذف احدى التاءين وقرئ بادغام التاء في الزاي وتزور كتحمر
وتزوار كتحمار وتتزور كلها من الزور وهو الميل عن كهفهم الذي اووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة
ذات اليمين اي جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره اي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم
شعاعها فيؤذيهم واذا غربت اي تراها عند غروبها تقرضهم اي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ذات
الشمال اي جهة ذات شمال الكهف اي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج
خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى وهم في فجوة منه جملة حالية مبينة لكون ذلك امرا بديعا اي تراها تميل
عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرض لاصابتها لولا ان صرفتها عنهم يد التقدير
ذلك اي ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها في الطلوع والغروب مع كونهم في موقع شعاعها
من آيات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى
وهذا قبل ان سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات النعش واقرب المشارق
والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة
لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه وتحلل عفونته وتعدل
هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
من يهد الله فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم والشهادة باصابتهم
المطلوب او الاخبار بتحقق ما املوه من نشر الرحمة وتهيئة المرفق او التنبيه على ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن
المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه فلن
تجد له وليا مرشدا [illegible]
[illegible] وتحسبهم ايقاظا [illegible]
[illegible]

تلتبعهم على دينهم ويؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه او غنمه واختلف في لونه فقيل
كان انمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل توتو وقيل قطمور وقيل ثور قال
خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب
بل كان اسدا باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وابي جعفر
من البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع من المرفق الى رأس الاصبع الوسطى بالوصيد اي موضع الباب من الكهف
لو اطلعت عليهم اي لو عاينتهم وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة وقرئ
بضم الواو لوليت منهم فرارا هربا مما شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية
والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اي فارا او بجعل الفاعل مصدرا مبالغة
كما في قولها فانما هي اقبال وادبار واما على انه مفعول له ولملئت منهم رعبا وقرئ بضم العين اي خوفا يملأ
الصدر ويرعبه وهو اما مفعول ثان او تمييز وذلك لما البسهم الله عز وجل من الهيبة والهيئة كانت اعينهم منفتحة
كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا يساعده قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله
ولا يشعرن بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم في انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل تأخير هذا من ذكر
التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع اذ لو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الذهن ترتيب المجموع
من حيث هو مجموع عليه للاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف
قال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رض ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث قال
لو اطلعت عليهم الآية قال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا
الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد
وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم وحفظنا اجسادهم من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم
ليتساءلوا بينهم اي ليسأل بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية البعث المعلل
فيما سبق بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لسائر آثاره قال قائل
منهم هو رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم في منامكم لعله قال ذلك لما رأى من مخالفة حالهم لما هو
المعتاد في الجملة قالوا اي بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم قيل انما قالوه لانهم دخلوا الكهف غدوة وكان
انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن
الغالب فلم يعزوا الى الكذب قالوا اي بعض آخر منهم بما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله سبحانه ربكم اعلم
بما لبثتم اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه وقيل هذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة
حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالين ولا يساعده
النظم الكريم فان الاستيناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقتضيان ان الكلام جار على منهاج المحاورة والمجاوبة والا قيل
ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة قالوه اعراضا عن التعمق في البحث واقبالا
على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة ووصفها باسم الاشارة يشعر
بان القائل ناولها بعض اصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام القاف في الكاف
وبكسر الواو وبسكون الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى فلينظر ايها اي
اهلها ازكى طعاما احل واطيب واكثر وارخص فليأتكم برزق منه اي من ذلك الازكى طعاما وليتلطف
وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن او في الاستخفاء لئلا يعرف ولا يشعرن بكم احدا من اهل المدينة
فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعلن ما يؤدي الى ذلك فالنهي على الاول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للامر بالتلطف
انهم تعليل لما سبق من الامر والنهي اي ليبالغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم اي

يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم اي ان ثبتم على ما انتم عليه او يعيدوكم في ملتهم
اي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى او لتعودن في ملتنا وقيل كانوا اولا على دينهم
وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذي هو اشد شيء عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة
لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث على
الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية فان امحاض النصح ادخل في القبول واهتمام الانسان بشأن نفسه
اكثر واوفر ولن تفلحوا اذا اي ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بخير ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة
وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى وكذلك اي وكما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازدياد بصيرتهم في اليقين
اعثرنا اي اطلعنا الناس عليهم ليعلموا اي الذين اعثرناهم عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة ان وعد الله
اي وعده بالبعث او موعوده الذي هو البعث او ان كل وعده او كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث او البعث
الموعود دخولا اوليا حق صادق لا خلف فيه او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم
يبعث وان الساعة اي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها
لا شك في قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها من التحلل
والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور فيرد اليهم ارواحهم
فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية
بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرناهم عليهم
حين يتنازعون بينهم امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث
فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول ببعث الارواح دون الاجساد وآخر يقول ببعثهما معا قيل كان ملك المدينة
ثم رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس
مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به
دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى روي
ان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد
كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس
فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك
ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من
ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف
قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه امر
الفتية قبل بعثهم اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال
[illegible] فقالوا
[illegible]
[illegible]
حالهم [illegible]
سبحانه [illegible] او من كلام المتنازعين [illegible] قال الذين غلبوا على امرهم
وهم الملك والمسلمون لنتخذن عليهم مسجدا [illegible]
للدلالة [illegible]

ان اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه
التنازع تعسف لا يخفى مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو مؤخر في الوقوع سيقولون الضمير في
الافعال الثلثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي عليه السلام من اهل الكتاب لكن لا على وجه اسناد كل منها الى الكل
بل الى بعضهم ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة اشخاص رابعهم اي جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم كلبهم قيل قاله
اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلاثة بادغام الثاء في التاء ويقولون خمسة
سادسهم كلبهم قيل قاله نصاريا او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه
او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعا اي راجمين او على المصدر
منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف مستانفا وواقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا اي يرجمون رجما
وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هو ما يقوله المسلمون
بطريق التلقي من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه
بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحي آخر كما قيل قل تحقيقا للحق وردا على الاولين
ربي اعلم اي اقوى علما بعدتهم بعددهم ما يعلمهم اي ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم الا
قليل من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي حين وقعت الواو
وانقطعت العدة وعنه ايضا قوله رضي الله تعالى عنه انا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي آخر لما خفي
عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون اسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه
انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان يساره مرنوش و
دبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم
دقيانوس واسمه كفشططيوس فلا تمار الفاء لتفريع النهي على ما قبله اي اذ قد عرفت جهل اصحاب القولين
الاولين فلا تجادلهم فيهم في شان الفتية الا مراء ظاهرا قدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب
وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل
بمكارم الاخلاق ولا تستفت فيهم في شانهم منهم من الخائضين احدا فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك
مع انه لا علم لهم بذلك قال بعضهم الا قليل من اهل الكتاب فالضمائر الثلثة في الافعال الثلثة لهم وما ذكر من الشواهد
لارشاد المؤمنين الى صحة القول الثالث وفيه تخصيص ما في الاول من التكليف وجعل احد الاقوال الثلثة المنظومة
في سمط واحد ناشئا عن الحكاية مع كون الآخرين بخلافه ووضوح في سبب حذف المفعول في الاثمار والمعنى
حينئذ واذ قد وقفت على ان كلهم ليسوا على خطا في ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا نطق به الوحي المبين من غير تجهيل
لجميعهم فان فيهم مصيبا وان قل والنهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه او احتمال وقوعه بناء على
اصابة بعضهم فالمعنى لا ترجع اليهم في شان الفتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث تلقي
من الوحي ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا
فيدخل فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين
فسألوه عليه السلام فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل
من ان المدلول بالعبارة هو الغد وما بعده ذلك مفهوم بطريق دلالة النص رده ان ما بعده ليس بمعناه في مناط
النهي فان وسعة المحل دليل العدة قليلا مثل الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من النهي اي لا تقولن ذلك
في حال من الاحوال الا حال ملابسته بمشيته تعالى على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان شاء الله او في وقت
من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل مشية اذن فان النسيان ايضا بمشيته تعالى ولا
مساغ لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء اقتران المشية بالفعل ومنافاة الاستثناء لاعتراضها النهي

وقيل الاستثناء جار مجرى التابيد كانه قيل لا تقولنه ابدا كقوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله
واذكر ربك بقولك ان شاء الله متداركا له اذا نسيت اذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي ولو
بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار
ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك الترك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء
المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء
مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعضها امرك ليبعثك ذلك على التدارك او اذكره اذا اعتراك
النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي اي يوفقني
لاقرب من هذا اي لشيء اقرب واظهر من نبا اصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتي رشدا
اي ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وجل ذلك حيث آتاه من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين
كقصص الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا
وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم احياء مضروبا على آذانهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا وهي
جملة مستانفة مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة مناله وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا
في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة وروي عن علي رضي انه قال عند اهل الكتاب انهم
لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلث سنين فيكون
ثلثمائة وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرئ على الاضافة وضعا للجمع موضع المفرد
ومما يحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع قل الله
اعلم بما لبثوا اي بالزمان الذي لبثوا فيه له غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما وخفي من احوال
اهلها واللام للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير مختص بالغيب ابصر به واسمع دل بصيغة التعجب
على ان شان علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شيء ولا
يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفي والجلي والهاء
ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر
ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة كما في كفى به والنصب على
المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية
ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر ابصاره تعالى لما ان الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات ما لهم اي لاهل
السموات والارض من دونه تعالى من ولي يتولى امورهم وينصرهم استقلالا ولا يشرك في حكمه اي في قضائه
او في علم الغيب احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ في نفي الشريك من ان يقال من ولي ولا
شريك وقرئ على صيغة نهي الحاضر على ان الخطاب لكل احد وللنبي عليه السلام والمراد بحكمه تعالى ما اخبر به الكهف
من حيث انتهاؤه بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الخطاب كما هو المعنى امر بالمداومة على دراسته
فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته
لا قادر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد ابدا وان بالغت في الطلب من دونه ملتحدا ملجا تعدل اليه
عند الملمات واصبر نفسك احبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي
على الدوام في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار وقرئ بالغدوة على ان ادخال اللام عليها على
تاويل التنكير والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم وقيل اصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل
وقيل انه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح
الضان حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول للتعليل

الا معاني جزاء الصلاة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة **يريدون** بدعائهم ذلك **وجهه** حال من المستكن
في يدعون اي مريدين لرضاه تعالى وطاعته **ولا تعد عيناك عنهم** اي لا يجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه اي جاوزه
واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو او لا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر اي صرفته عنه على المفعول
محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عم عن الازدراء بهم
لرثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء **تريد زينة الحيوة الدنيا** اي تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب الدنيا
وهي حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وضمير تريد للعينين
واسناد الارادة اليهما مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله لمن زحلوقة زل بها العينان تنهل ومن المستكن في الفعل
على القراءتين الاخريين **ولا تطع** في تنحية الفقراء عن مجلسك **من اغفلنا قلبه** اي جعلناه غافلا لبطلان استعداده
للذكر بالمرة او وجدناه غافلا كقولك اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك وهو من اغفل ابله اي لم يسمه
بالذكر **عن ذكرنا** كاولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه
المؤمنون من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب
الله سبحانه وجهته وانهماكه في الحسيات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرئ اغفلنا قلبه
على اسناد الفعل الى القلب اي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة من اغفلته اذا وجدته غافلا **واتبع هواه و**
كان امره فرطا ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اي متقدم للخيل
او هو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدي الى اتباع الهوى المؤدي الى التجاوز والتباعد عن الحق
والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة **وقل** لاولئك الغافلين المتبعين
هواهم **الحق من ربكم** اي ما اوحي الى الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتي حتى يتصور فيه
التبديل او يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** اما من تمام القول المأمور
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا لترتيبه عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك
بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي عقيب تحقق ان ما اوحي الى حق لا ريب فيه او ان ذلك
الحق من جهة ربكم من شاء ان يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعلل ومن شاء ان يكفر به
فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى
واما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لا على مضمون المأمور به والمعنى قل
لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به او ان يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك فيه فليفعل
فقوله تعالى **انا اعتدنا** وعيد شديد وتأكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر او لما فهم من ظاهر
التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعي الامهال والاهمال وعلى
الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدي اي قل لهم ذلك انا اعتدنا **للظالمين** اي هيأنا للكافرين بالحق
بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع
للشيء في غير موضعه **نارا** عظيمة عجيبة **احاط بهم** اي يحيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق **سرادقها**
اي فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها
وقيل حائط من نار **وان يستغيثوا** من العطش **يغاثوا بماء كالمهل** كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت
وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم **يشوي الوجوه** اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه
وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه **بئس الشراب** ذلك **وساءت** النار **مرتفقا** متكأ واصل
الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وانى ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا **ان الذين آمنوا**
في محل التعليل للحث على الايمان المنفهم من التخيير كانه قيل وللذين آمنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي حالي الفريقين

اي ان الذين آمنوا بالحق الذي اوحي اليك **وعملوا الصالحات** حسبما بين في تضاعيفه **انا لا نضيع اجر من**
احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف اي من احسن عملا منهم او مستغن عنه
كما في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو الذي آمن وعمل الصالحات
اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة **لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار** استئناف لبيان الاجر او
هو الخبر وما بينهما اعتراض او هو خبر بعد خبر **يحلون فيها من اساور من ذهب** من الاولى ابتدائية والثانية
صفة للاساور والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار **ويلبسون ثيابا خضرا** خصت الخضرة
بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة **من سندس واستبرق** اي مما رق من الديباج ومما غلظ
منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين **متكئين فيها على الارائك** على السرر كما
هو شأن المتنعمين **نعم الثواب** ذلك **وحسنت** اي الارائك **مرتفقا** متكأ **واضرب لهم** اي للمؤمنين
والكافرين **مثلا رجلين** مفعولان لاضرب ثانيهما اولهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان اي اضرب للكافرين
والمؤمنين لا من حيث احوالهما المستفادة مما ذكر آنفا من ان للاولين في الآخرة كذا وللآخرين كذا بل من حيث
عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الآخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين
او محققين هما اخوان من بني اسرائيل او شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية الاف دينار
فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه المبار فآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى
وقيل هما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد زوج ام سلمة رضي
جعلنا لاحدهما وهو الكافر **جنتين** بستانين **من اعناب** من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل
او صفة لرجلين **وحففناهما بنخل** اي جعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به و
حففته بهم جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا آخر كقولك غشيته به **وجعلنا بينهما** وسطهما **زرعا** ليكون
كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق **كلتا الجنتين آتت اكلها**
ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للاكل وقرئ بسكون الكاف وقرئ كل الجنتين آتى اكله **ولم تظلم منه** لم تنقص من اكلها **شيئا**
كما يعهد ذلك في سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض الاشجار تأتي بالثمر في بعض
الاعوام دون بعض **وفجرنا خلالهما** فيما بين كل من الجنتين **نهرا** على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرئ
بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير عن ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجي على العكس للايذان باستقلال كل من
ايتاء الاكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم ان المجموع خصلة واحدة
بعضها مترتب على بعض فان ايتاء الاكل متفرع على السقي عادة وفيه ايماء الى ان ايتاء الاكل لا يتوقف على السقي كقوله
تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار **وكان له** لصاحب الجنتين **ثمر** انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره
قال ابن عباس رضي الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة
خاصة **فقال لصاحبه** المؤمن **وهو** اي القائل **يحاوره** اي صاحبه المؤمن وان جاز العكس اي يراجعه
في الكلام من حار اذا رجع **انا اكثر منك مالا واعز نفرا** حشما واعوانا او اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون
معه **ودخل جنته** التي تفرد حولها وعددها وصفاتها وهيئاتها وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها
ولعله لاتصال احداهما بالاخرى واما لان الدخول يكون في واحدة فواحدة **وهو ظالم لنفسه** ضار لها بعجبه وكفره
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل **قال ما اظن**
ان تبيد هذه الجنة اي تفنى **ابدا** لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة موعظة صاحبه
وتذكيره بفناء جنته ونهيه عن الاغترار بها وامره بتحصيل الباقيات الصالحات **وما اظن الساعة قائمة** كائنة
فيما سيأتي **ولئن رددت** بالبعث عند قيامها كما تقوله **الى ربي لاجدن** يومئذ **خيرا منها** اي من الجنة

وقرئ منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاد انه تعالى انما اولاه ما اولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان ذلك استدراج قال له صاحبه استئنافا كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كما مر فائدتها التنبيه من اول الامر على ان ما يتلوه كلام معتنى بشانه مسوق للمحاورة اكفرت حيث قلت ما اظن الساعة قائمة بالذي خلقك اي في ضمن خلق اصلك من تراب فان خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلقه منه لما ان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك اذ به يحصل الغذاء الذي منه يحصل النطفة فتدبر ثم من نطفة هي مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد ثم سواك رجلا اي عدلك وكملك انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب الخ لكنا هو الله ربي اصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة بنقل حركتها او بدونه فتلاقت النونان فكان الادغام وهو ضمير الشان وهو مبتدأ خبره الله ربي وتلك الجملة خبر انا والعائد منها اليه الضمير وقرئ باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه بالهاء ولكن بطرح انا ولكنا انا لا اله الا هو ربي ومدار الاستدراك قوله تعالى اكفرت كانه قال انت كافر لكني مؤمن موحد ولا اشرك بربي احدا فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك ولولا اذ دخلت جنتك قلت اي هلا قلت عندما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للايذان بتحتم القول في آن الدخول من غير ريث لا للقصر ما شاء الله اي الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة مرفوعة المحل او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء افناها لا قوة الا بالله اي هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته تعالى واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا انا اما مؤكد لياء المتكلم او ضمير فصل بين مفعولي الرؤية ان جعلت علمية واقل ثانيهما وحال ان جعلت بصرية فيكون انا حينئذ تاكيدا لا غير لان شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر او ما اصله المبتدأ والخبر وقرئ اقل بالرفع خبرا لانا والجملة مفعول ثان للرؤية او حال وفي قوله تعالى وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك هو جواب الشرط والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله سبحانه ان يقلب ما بي وبك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران اي مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق ومساعدة النظم الكريم فيما سيأتي للاول اليق من السماء فتصبح صعيدا زلقا مصدر اريد به المفعول مبالغة اي ارضا ملساء يزلق عليها لاستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات او يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل ماؤها غورا اي غائرا في الارض اطلق عليه المصدر مبالغة فلن تستطيع له طلبا اي للماء الغائر طلبا فضلا عن وجدانه ورده واحيط بثمره اهلك امواله المعهودة من جنتيه وما فيهما واصله من احاط به العدو وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور واهلك امواله وانما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما انه انما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق في عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء ان يتمتع بها اكثر مما يتمتع به وكان يرى انه لا ينالها ايدي الردى ولذلك قال ما اظن

ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال وهي اي الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها اي دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهما من متمماتها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها وغار ماؤها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اي وهو يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه انما اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما اصابه قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او على رد المهلك او الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله عز وعلا يرونهم مثليهم من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان في نفسه منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه هنالك في ذلك المقام وفي تلك الحال الولاية لله الحق اي النصرة له وحده لا يقدر عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان اي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب فلا يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك الخ كان عن اضطرار وجزع عما دهاه على اسلوب قوله الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع الحق على انه صفة للولاية وبنصبه على انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اي واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل كماء استئناف لبيان المثل اي هي كماء انزلناه من السماء ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير فاختلط به اشتبك بسببه نبات الارض فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع الماء في النبات حتى روي ورف فمقتضى الظاهر فاختلط بنبات الارض وايثار ما عليه النظم الكريم عليه للمبالغة في الكثرة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه فاصبح ذلك النبات الملتف اثر بهجته ونضارته هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح كان لم يغن بالامس وكان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الانشاء والافناء مقتدرا قادرا على الكمال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا بيان لشان ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحيوة الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اثر بيان شان نفسها بما مر من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه كما في الآية المحكية آنفا وقوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وغير ذلك من الآيات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة وممد لكل احد من الآباء والبنين في كل وقت وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقاء النفس والبنون لبقاء النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة اليهم ولانه اقدم منهم في الوجود ولانه زينة بدونهم من غير عكس فان من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين لما انها مصدر في الاصل اطلق على المفعول مبالغة كانهما نفس الزينة والمعنى ان ما يفتخرون به من المال والبنين شيء يتزين به في الحيوة الدنيا وقد علم شانها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من اوصافها التي شانها ان تزول

قبل زوالها **والباقيات الصالحات** هي اعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله و
لا اله الا الله والله اكبر وقيل كل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها اعمال فقراء المؤمنين
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا اوليا اما صلاحها فظاهر واما بقاؤها فلبقاء
عوائدها عند فناء كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا **خير** اي مما نعت شأنه من المال والبنين والخراج
بقاء تلك الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع ان حقهما ان يكونا مقصودي الافادة لا سيما في مقام
اثبات الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان بان
بقاءها امر محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذي
يحتاج الى التعرض له خيريتها **عند ربك** اي في الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحياة
الدنيا لا لافضليتها فيها من المال والبنين مع مشاركة الكل في الاصل اذ لا مشاركة لهما في الخيرية في الآخرة
ثوابا عائدة تعود الى صاحبها **وخير املا** حيث ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا واما ما
من المال والبنين فليس لصاحبه امله ينال وتكرير خير للاشعار باختلاف حيثيتي الخيرية والمبالغة فيها **ويوم
نسير الجبال** منصوب بمضمر اي اذكر حين نقلعها من اماكنها ونسيرها في الجو على هيآتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى
الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب او نسير اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين
مما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة
وقرئ تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل
لتعينه وقرئ تسير **وترى الارض** جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية
وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول **بارزة** اما بروز ما تحت الجبال فظاهر واما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين
الناظر قبل ذلك فالآن اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا **وحشرناهم** جمعناهم الى الموقف من كل اوب وايثار
صيغة الماضي بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء
وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال
كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك **فلم نغادر** اي لم نترك **منهم احدا** يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذي
هو ترك الوفاء والغدير الذي هو ما يتركه السيل في الارض الغائرة وقرئ بالياء وبالفوقانية على اسناد الفعل
الى ضمير الارض كما في قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت **وعرضوا على ربك** شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان
لينظر فيهم بأمره وفي الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره عليه السلام من تربية
المهابة والجري على سنن الكبرياء واظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى **صفا** اي غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه
لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا **لقد
جئتمونا** على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اي مقولا لهم او وقلنا لهم واما كونه عاملا في يوم نسير
كما قيل فبعيد من جزالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه ان هذا القول هو المقصود بالاصالة دون سائر القوارع
مع انه خاص بالتعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض **كما خلقناكم** نعت لمصدر محذوف
اي مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا لكم **اول مرة** او حال من ضمير جئتمونا اي كائنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا
او ما معكم شيء مما تفخرون به من الاموال والانصار كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم
ما خولناكم وراء ظهوركم **بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا** اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع
اي زعمتم في الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من الثقيلة فصل
بحرف النفي بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير
والاول هو موعدا او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع **ووضع الكتاب** عطف على عرضوا داخل تحت

الامور الهائلة التي اريد تذكيرها تذكير وقتها او ورد فيه ما ورد في امثاله من صيغة الماضي دلالة على التقرير
ايضا اي وضع صحائف الاعمال وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها اما وضعها في ايدي اصحابها
يمينا وشمالا واما في الميزان **فترى المجرمين** قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا **مشفقين**
خائفين **مما فيه** من الجرائم والذنوب **ويقولون** عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيرا وقطميرا **يا ويلتنا**
منادين لهلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا اهوالها اي يا ويلتنا احضري
فهذا اوان حضورك **ما لهذا الكتاب** اي اي شيء له وقوله تعالى **لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها**
اي حواها وضبطها جملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب او استئنافية مبنية على سؤال
نشأ من التعجب كأنه قيل ما شأنه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها **ووجدوا ما
عملوا** في الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا **حاضرا** مسطورا عتيدا **ولا يظلم ربك احدا** فيكتب ما لم يعمل من التبعات
او يزيد في عقابه المستحق فيكون اظهارا لمعدلة العلم الازلي **واذ قلنا للملائكة** اي اذكر وقت قولنا لهم **اسجدوا
لآدم** سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله **فسجدوا** جميعا امتثالا بالامر **الا ابليس** فانه لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله
تعالى **كان من الجن** كلام مستأنف مسوق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين كأنه قيل ما له
لم يسجد فقيل كان اصله جنيا **ففسق عن امر ربه** اي خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا كافرا
بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية المنافية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير
قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين
ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى **أفتتخذونه** الخ فان الهمزة
للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب اي اعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه **وذريته** اي اولاده واتباعه
جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة
من الشياطين **اولياء من دوني** فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي **وهم** اي والحال ان ابليس وذريته
لكم عدو اي اعداء كما في قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما فعل بهم ذلك تشبيها
لها بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع
من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا **بئس للظالمين** اي الواضعين للشيء في غير موضعه **بدلا** من الله سبحانه
ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان
ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى **ما اشهدتهم** استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد
بيان الصوارف عن ذلك من خباثة الحسد والفسق والعداوة اي ما احضرت ابليس وذريته **خلق السموات
والارض** حيث خلقتهما قبل خلقهم **ولا خلق انفسهم** اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا
انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور حذارا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الثاني
الى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على عود المعنى اليه فان نفي اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذي
يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما يصحح التولي حضور الولي خلق المتولي وحيث لا حضور
لا مصحح للتولي قطعا واما نفي اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدارية الانكار المذكور في شيء
على ان اشهاد بعضهم خلق بعض لو كان مصححا لتولي الشاهد بناء على دلالته على كمال علمه باعتبار ان له مدخلا
في خلق المشهود في الجملة فهو مخل بتولي المشهود بناء على قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفي الاشهاد المذكور
في نفيها لكمال المصحح للتولي عن المحل وهو المناط للانكار المذكور **وما كنت متخذ المضلين** اي متخذهم وانما
وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتأكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء **عضدا**
اعوانا في شأن الخلق او في شأن من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض احكام الربوبية وفيه

تهكمهم والايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلي الذي لا يكاد يشتبه على البله
والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفي الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم اعوانا على نفي كونهم كذلك
للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وارادته وانهم بمعزل من استحقاق الشهود
والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم في شأنهم ان يبلغوا ذلك المبلغ باحضار الله
عز وجل ولم يكد ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار التكوين
وخصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بايمانهم كما يزعمون فلا تلتفت الى
قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم ووصفهم بالاضلال لتعليل نفي الاتخاذ
وقرئ متخذا المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون بالتخفيف
وبفتحتين بالاتباع وبضمتين على انه جمع عاضد كخدم وراصد **ويوم يقول** اي الله عز وجل للكافرين
توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون العظمة **نادوا شركائي الذين زعمتم** انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل
ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته **فدعوهم** اي نادوهم للاغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم بما امروا
على طريقة الشفاعة اذ معلوم ان لا طريق الى المدافعة **فلم يستجيبوا لهم** فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك وفي
ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم في الحماقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح به **وجعلنا بينهم** بين
الداعين والمدعوين **موبقا** اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا
هلك اي مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في الشدة نفس الهلاك كقول عمر لا يكن حبك
كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الآخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملائكة
وعزيرا وعيسى عليهم السلام ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط
لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان **ورأى المجرمون النار** وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما
لهم بذلك **فظنوا** اي فايقنوا **انهم مواقعوها** مخالطوها واقعون فيها او ظنوا اذ رأوها من مكان بعيد انهم
مواقعوها الساعة **ولم يجدوا عنها مصرفا** انصرافا او مكانا ينصرفون اليه **ولقد صرفنا** اي كررنا
واوردنا على وجوه كثيرة من النظم **في هذا القرآن للناس** لمصلحتهم ومنفعتهم **من كل مثل** من جملتها مثل
الرجلين ومثل الحيوة الدنيا او من كل نوع من انواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة والحسن
والجذب للنفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوه **وكان الانسان** بحسب جبلته **اكثر شيء جدلا** اي اكثر
الاشياء التي يتأتى منه الجدل وهو هاهنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والجدال
الملاواة لان كلا من المجادلين يلتوي على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل
مجادل **وما منع الناس** اي اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم **ان يؤمنوا** من ان يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما
هم فيه من الاشراك **اذ جاءهم الهدى** اي القرآن العظيم الهادي الى الايمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة له
ويستغفروا ربهم مما فرط منهم من انواع الذنوب التي من جملتها مجادلتهم الحق بالباطل **الا ان تأتيهم سنة**
الاولين اي الا طلب اتيان سنتهم او الا انتظار اتيانها او الا تقدير فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه وسنتهم الاستئصال **او يأتيهم العذاب** اي عذاب الآخرة **قبلا** اي انواعا جمع قبيل او عيانا كما في
قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين اي مستقبلا يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على
الحالية من الضمير او العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن الكريم من الامور المستوجبة للايمان بحيث
لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما امتنع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط **وما نرسل**
المرسلين الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال الا حال كونهم **مبشرين** للمؤمنين بالثواب **ومنذرين** للكفرة

والعصاة بالعقاب **ويجادل الذين كفروا بالباطل** باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال
عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا **ليدحضوا به** اي بالجدال **الحق** اي ليزيلوه عن مركزه ويبطلوه من دحض
القدم وهو ازلاقها وهو قولهم للرسل عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك
واتخذوا آياتي التي تخر لها صم الجبال **وما انذروا** اي انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب
والعذاب او وانذارهم **هزوا** استهزاء وقرئ بسكون الزاء وهو ما يستهزأ به **ومن اظلم ممن ذكر بآيات**
ربه وهو القرآن العظيم **فاعرض عنها** ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وان كان مدلوله الوضعي
نفي الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا ان مفهومه العرفي انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما
في حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد **ونسي ما**
قدمت يداه اي عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر
في عاقبتها **انا جعلنا على قلوبهم اكنة** اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع
على قلوبهم **ان يفقهوه** مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوه او مفعول له اي كراهة ان يفقهوه
وفي آذانهم اي جعلنا فيها **وقرا** ثقلا يمنعهم من استماعه **وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا**
اي فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذا جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي عليه السلام المدلول عليه
بكمال عنايته باسلامهم كانه قال عليه السلام ما لي لا ادعوهم فقيل ان تدعهم الخ وجمع الضمير الموصول في
هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه **وربك** مبتدأ
وقوله تعالى **الغفور** خبره وقوله تعالى **ذو الرحمة** اي الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة
دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب
واما الرحمة فهي فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية
او لانه اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل
لو يؤاخذهم اي لو يريد مؤاخذتهم **بما كسبوا** من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم
عن آيات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات **لعجل لهم العذاب** لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار
المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفي المستفاد من مقدم
الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان
انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء
الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه **بل لهم موعد** اسم زمان هو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة على مقدر
كأنه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة **لن يجدوا من دونه موئلا** منجى وملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه
اذا لجأ اليه **وتلك القرى** اي قرى عاد وثمود واضرابهم وهي مبتدأ على تقدير المضاف اي واهل تلك القرى خبره قوله
تعالى **اهلكناهم** او مفعول مضمر مفسر به **لما ظلموا** اي وقت ظلمهم كما فعلت قريش ما حكي عنهم من القبائح وترك
المفعول اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اي لما فعلوا الظلم ولما اما ظرف كما قال ابن عصفور واما حرف
استعمل استعمال الظرف وليس المراد به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره **وجعلنا**
لمهلكهم اي لهلاكهم **موعدا** اي وقتا معينا لا محيد لهم عن ذلك والمقصود الاستشهاد على ما فعل بقريش من تعيين
الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتأخير العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اي لاهلاكهم وبفتحهما **واذ قال موسى**
نصب باضمار فعل اي اذكر وقت قوله عليه السلام **لفتاه** وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهما السلام سمي فتاه لانه كان
يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ فتى وان كان شيخا ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة موعدا
تذكير ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة **لا ابرح** من برح الناقص كزال يزال

أي لا أزال أسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال إذ كان ذلك عند التوجه إلى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله حتى أبلغ فإن ذلك غاية تستدعي ذا غاية تؤدي إليها ويجوز أن يكون أصل الكلام لا يبرح مسيري حتى أبلغ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة إلى التكلم ويجوز أن يكون من برح التام كزال يزول أي لا أفارق ما أنا بصدده حتى أبلغ مجمع البحرين هو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل بحر الكر والرس بإرمينية وقيل إفريقية وقرئ بكسر الميم كالمشرق أو أمضي حقبا أسير زمانا طويلا أتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وكان منشأه من الغيرة أن موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله عز وجل أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا بخطبة بديعة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من أعلم الناس قال أنا فعتب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم إليه عز وجل فأوحى إليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى عليه السلام وقيل إن موسى عليه السلام سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك من هو أعلم مني فدلني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فأخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا الفاء فصيحة كما أشير إليه مجمع بينهما أي مجمع البحرين وبينهما ظرف أضيف إليه اتساعا أو بمعنى الوصل نسيا حوتهما الذي جعل فقدانه أمارة وجدان المطلوب أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه وقيل نسي يوشع أن يقدمه وموسى عليهما السلام أن يأمره فيه بشيء روي أنهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحياة التي لا يصيب ماؤها ميتا إلا حيي وضعا رؤوسهما على الصخرة فناما فلما أصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا أكلا منه وكان ذلك بعد ما استيقظ يوشع عليه السلام وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا مسلكا كالسرب وهو النفق قيل أمسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى أو للخضر عليهما السلام وانتصاب سربا على أنه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه أو من السبيل ويجوز أن يتعلق باتخذ فلما جاوزا أي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل أدلجا وسارا الليلة والغد إلى الظهر وألقي على موسى عليه السلام الجوع فعند ذلك قال لفتاه آتنا غداءنا أي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب لقد لقينا من سفرنا هذا إشارة إلى مسيرهما بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا وإعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للأمر بإيتاء الغداء إما باعتبار أن النصب إنما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع وإما باعتبار ما في أثناء التغدي من استراحة ما قال أي فتاه عليهما السلام أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة أي التجأنا إليها وأقمنا عندها وذكر الأوي إليها مع أن المذكور فيما سبق بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فإن المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة إليه وتمهيدا للعذر فإن الأوي إليها والنوم عندها مما يؤدي إلى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا أسلوب معتاد فيما بين الناس يقول أحدهم لصاحبه إذا نابه خطب أرأيت ما نابني يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وأنه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل فإني نسيت الحوت وفيه تأكيد للتعجيب وتربية للاستعظام المنبي وإيقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع أنه المأمور بإيتائه للتنبيه من أول الأمر على أنه ليس من قبيل

نسيان المسافر زاده في المنزل وأن ما شاهده ليس من قبيل الأحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة أي نسيت أن أذكر لك أمره وما شاهدت منه من الأمور العجيبة وما أنسانيه إلا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى أن أذكره بدل اشتمال من الضمير أي ما أنساني أن أذكره لك وفي تعليق الإنساء بضمير الحوت أولا وبذكره له عليه السلام ثانيا على طريق الإبدال المنبي عن تنحية المبدل منه إشارة إلى أن متعلق النسيان أيضا ليس نفس الحوت بل ذكر أمره وقرئ أن أذكركه وإيثار أن أذكره على المصدر للمبالغة فإن أن مع الفعل يدل على نفس الحدث عند وقوعه ولعل ذلك وإن كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود بمشاهدة أمثالها عند موسى عليه السلام وألفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها واتخذ سبيله في البحر عجبا بيان لطرف آخر من أمر الحوت منبئ عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كأنه قيل حيي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من أولهما أو ثانيهما أو هو المفعول الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف أي اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب أو مصدر فعل محذوف أي تعجب منه عجبا وقد قيل إنه من كلام موسى عليه السلام وليس بذاك قال أي موسى عليه السلام ذلك الذي ذكرت من أمر الحوت ما كنا نبغ وقرئ بإثبات الياء والضمير العائد إلى الموصول محذوف وأصله نبغيه أي نطلبه لكونه أمارة للفوز بالمرام فارتدا أي رجعا على آثارهما طريقهما الذي جاءا منه قصصا يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا أو مقتصين حتى أتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا التنكير للتفخيم والإضافة للتشريف والجمهور على أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل إلياس عليهم السلام آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء وعلمناه من لدنا علما خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب قال له موسى استئناف مبني على سؤال نشأ من السياق كأنه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن استئذانا منه في اتباعه له على وجه التعلم مما علمت رشدا أي علما ذا رشد أرشد به في ديني والرشد إصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي إلى واحد ويجوز أن يكون علة لأتبعك ومصدرا بإضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من نبي آخر ما لا تعلق له بأحكام شريعته من أسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام قال أي الخضر إنك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا إيذانا بأنه يتولى أمورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك أن يشمئز عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى إني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه وخبرا تمييز أي لم يحط به خبرك قال موسى عليه السلام ستجدني إن شاء الله صابرا معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر ولا أعصي لك أمرا عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص وفي وعده هذا الوجدان ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان أو على ستجدني فلا محل له من الإعراب والأول هو الأولى لما عرفت ولظهور تعلقه بالاستثناء حينئذ وفيه دليل على أن أفعال العباد بمشيئة الله سبحانه قال فإن اتبعتني أذن له في الاتباع بعد اللتيا والتي والفاء لتفريع الشرطية على ما مر من التزام موسى عليه السلام للصبر والطاعة فلا تسألني عن شيء تشاهده من أفعالي أي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض حتى أحدث لك منه ذكرا أي حتى أبتدئ ببيانه وفيه إيذان بأن كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من أدب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألني بالنون المثقلة فانطلقا أي موسى والخضر عليهما السلام

على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى عليه السلام الى بني اسرائيل وقيل انهما امرا بسفينة فكلما اهلها فعرفوا
الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة استعمال الركوب في امثال هذه المواقع بكلمة في مع
تجريده عنها في مثل قوله عز وجل لتركبوها وزينة على ما يقتضيه تعديته بنفسه لما اشرنا اليه في قوله تعالى
وقال اركبوا فيها الا ما قيل من ان في ركوبها معنى الدخول خرقها قيل خرقها بعد ما لججا حيث اخذ فاسا
فقلع من الواحها لوحين مما يلي الماء فعند ذلك قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ بالتشديد
للتفريق ولتغرق اهلها من الثلاثي لقد جئت اتيت وفعلت شيئا امرا اي عظيما هائلا من امر الامر اذا
عظم قيل الاصل امر مخفف قال اي الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما قاله من قبل وتحقيق
لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفاء بوعده قال لا تؤاخذني بما نسيت بنسياني او بالذي نسيته
او بشيء نسيته وهو وصيته بان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال الخفية الاسباب قبل بيانه اراد
موسى عليه السلام انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري من ان الاول كان من موسى نسيانا او اخرج
الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام
التي يتقى بها الكذب مع التوسل الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة
ولا ترهقني اي لا تغشني ولا تحملني من امري وهو اتباعه اياه عسرا اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها
علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا الفاء فصيحة اي فقبل عذره فخرجا من السفينة
فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب بالغلمان فقلع عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط
وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال اي موسى عليه السلام اقتلت نفسا زكية طاهرة عن الذنوب وقرئ زاكية
بغير نفس اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا
بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر ههنا
من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه السلام في معرض الجزاء المقصود افادته مع ان الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن
الخضر عليه السلام من الخوارق البديعة لاستشراف النفس الى ورود خبرها لقلة وقوعها في نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان
ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية الاولى لما ان صدور الخوارق منه عليه السلام خرج بوقوعه مرة مخرج العادة فانصرفت
النفس عن ترقبه الى ترقب احوال موسى عليه السلام هل يحافظ على مراعاة شرطه بموجب وعده الاكيد عند مشاهدة خارق آخر او يسارع
الى المناقشة كما في المرة الاولى فكان المقصود افادة ما صدر عنه عليه السلام ففعل ما فعل ولله در شأن التنزيل واما ما قيل
من ان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة في الكلام فليس من دفع الشبهة في شيء بل هو مؤيد
لها فان كون القتل اقبح من مبادي قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة وصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعي
جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضي جعله
كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه
وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة قال الم اقل لك انك لن تستطيع
معي صبرا زيد لك لزيادة المكافحة بالعتاب على نقض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز و
الاستنكار ولم يرعو بالتذكير حتى زاد في النكير في المرة الثانية قال اي موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها
اي بعد هذه المرة فلا تصاحبني وقرئ من الافعال اي لا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا اي
قد اعذرت ووجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى
استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون وقرئ بسكون الدال
كعضد في عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل ابلة بصرة وهي ابعد ارض الله من
السماء وقيل هي برقة وقيل بلدة بالاندلس عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي

لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى استطعما اهلها في محل الجر على انه صفة لقرية
ولعل العدول عن استطعامهم على ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء عن الضيافة
وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع روي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما
بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه اذا انزله وجعله ضيفا
له وحقيقة ضاف مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار فوجدا فيها جدارا يريد
ان ينقض اي يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض الاسراع
في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكواكب لسقوطه بسرعة وقيل
هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة وقيل ان ينقاض من انقاضت السن اذا انشقت طولا
فاقامه قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائتي ذراع قال لو
شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا له على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو
من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر واتخذ افتعل من
تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام الذال
في التاء قال اي الخضر عليه السلام هذا فراق بيني وبينك على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل
والمشار اليه اما نفس الفراق كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر اي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك او السؤال
الثالث اي هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود سانبئك السين للتأكيد لعدم تراخي التنبئة بتأويل
ما لم تستطع عليه صبرا التأويل رجع الشيء الى ماله والمراد به هنا المآل والعاقبة اذ هو المنبأ به دون
التأويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن
واستخراج اليتيمين للكنز وجعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه السلام للصبر دون ان يقال بتأويل ما
فعلت او بتأويل ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به عليه السلام وعتاب اما السفينة التي خرقتها فكانت لمساكين
[illegible]

ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء وانتصابه على التمييز مثل زكوة وأما الجدار
فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع
اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل اسماهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور وكان تحته
كنز لهما من فضة وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن
لا يؤدي زكوتها وسائر حقوقها وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت
لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت
لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم وكان ابوهما
صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء فاراد
ربك اي مالكك ومدبر امورك ففي اضافة الرب الى ضمير موسى عم دون ضميرهما تنبيه له عم على تحتم كمال الانقياد
والاستسلام من الامور المذكورة ان يبلغا اشدهما اي حلمهما وكمال رأيهما ويستخرجا كنزهما من تحت
الجدار ولولا اني اقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية رحمة
من ربك مصدر في موقع الحال اي مرحومين منه او مفعول له او مصدر مؤكد لاراد فان ارادة الخير رحمة
وقيل متعلق بمضمر اي فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده اضافة الرب
الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وعلا وما فعلته عن امري اي عن رأيي واجتهادي تأكيدا
لذلك ذلك اشارة الى العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في
الفخامة تأويل ما لم تسطع اي لم تستطع فحذف التاء للتخفيف عليه صبرا من الامور التي رأيته اي مآله و
عاقبته فيكون انجازا للتنبئة الموعودة او الى البيان نفسه فيكون التأويل بمعناه وعلى كل حال فهو فذلكة لما تقدم
وفي جعل الصلة عين ما مر تكرير للتكير وتشديد للعتاب تنبيه اختلفوا في حيوة الخضر فقيل انه حي وسببه انه كان
على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين الحيوة فنزل واغتسل منها وشرب من مائها واخطأ
ذو القرنين الطريق فعاد قالوا والياس ايضا في الحيوة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل انه ميت لما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر
الارض احد ولو كان الخضر حيا لما عاش بعد مائة عام روي ان موسى عم لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال
لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به ويسئلونك عن ذي القرنين هم اليهود سألوه على وجه الامتحان او
سأله قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر واسمه
الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مرذبة من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان اسود
وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن عون بن زيد
بن كهلان بن سبا بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل انه اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو اول
التبابعة وقيل انه افريدون بن اثفيان الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية
عن القرون الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب شمر بن عبير بن افريقيس الحميري وان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها
وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا علا في الارض غير مفند بلغ المشارق
والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي
نواس وذي النون وذي رعين وذي يزن وذي جدن قال الامام الرازي والاول هو الظاهر لان من بلغ ملكه
من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر اليوناني كما تشهد به كتب
التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم امعن
حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد

بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو
دارا بن دارا وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند والصين [illegible]
وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مدائن كثيرة ورجع الى
العراق ومرض بشهرزور ومات بها انتهى كلام الامام وروي عن اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من
حديد وسماء من خشب فكان يدفن كنوز كل بلد فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف
وسقط عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذه ارض من حديد وسماء
من خشب فايقن بالموت فمات وهو ابن الف وستمائة سنة وقيل ثلاثة الاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب و
ما قاله ابن عساكر من انه بلغني انه عاش ستا وثلثين سنة او ثنتين وثلثين سنة وانه كان بعد داود وسليمان
عليهما السلام فان ذلك انما ينطبق على ذي القرنين الثاني كما سنذكره قلت وما ذكره الامام من تصديه [illegible]
وروده بيت المقدس والذبح [illegible]
ولانه قيل كان نبيا لقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين وظاهره انه تعالى مكن له في الارض وكان له [illegible]
تعالى وآتيناه من كل شيء سببا [illegible]
ان عمر رضي الله تعالى عنه سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء
حتى تسميتم باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا [illegible]
اهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد [illegible] تعالى [illegible]
المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر
الازرقي وغيره انه اسلم على يدي ابراهيم الخليل عم فطاف معه بالكعبة هو واسمعيل وروي انه حج ماشيا فلما
سمع ابراهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه اتي بفرس ليركب فقال لا اركب في بلد فيه
الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوي له الاسباب وبشره ابراهيم بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع
آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم وقال ابو الطفيل سئل عنه علي كرم الله وجهه اكان نبيا ام ملكا فقال لم يكن
نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله فاحبه وناصح الله فناصحه وسخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف في
تسميته بذي القرنين فقيل لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك
وقيل لانه كان في رأسه او في تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه له ذوابتان وقيل لانه كانت صفحتا رأسه من النحاس
وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه
الله تعالى وقيل لانه رأى في منامه انه صعد الفلك فاخذ بقرني الشمس وقيل لانه انقرض في عهده قرنان وقيل لانه
سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا واما
ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيلقوس بن مصر بن هرمس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان بن
يافث بن نون بن سرحون بن رومية بن نوفيل بن رومي الاصفر بن العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما السلام
كذا نسبه ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري باني الاسكندرية الذي يؤرخ بايامه الروم وكان متأخرا عن الاول
بدهر طويل اكثر من الفي سنة كان هذا قبل المسيح عم بنحو من ثلثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو
الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم ثم قال ابن كثير وانما بينا هذا لان كثيرا من الناس يعتقد انهما
واحد وان المذكور في القرآن العظيم هو هذا المتأخر فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والاول كان مؤمنا عبدا صالحا
وملكا عادلا وزيره الخضر عم وقد قيل انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد
كان ما بينهما من الزمان اكثر من الفي سنة فاين هذا من ذاك انتهى قلت المقدوني نسبة الى بلدة من بلاد الروم غربي دار
السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لا زالت محفوفة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما

أو نحو ذلك عند مدينة سيروز واسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم ملحمة
لا يقيم بها احد ولكن بها علائم تحكي كمال عظمها في عهد عمرانها ونهاية شوكة واليها وسلطانها ولقد مررت بها عند
القفول عن بعض المغازي السلطانية فعاينت فيها من تعاجيب الآثار عبرة لأولي الابصار قل لهم في الجواب سأتلو
عليكم اي سأذكر لكم منه اي من ذي القرنين ذكرا اي نبأ مذكورا وحيث كان بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهته الله
عز وجل قيل سأتلو في شأنه او سأتلو من جهته تعالى ذكرا اي قرآنا والسين للتأكيد والدلالة على التحقق المناسب لمقام
تأييده عم وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول من قال سأشكر عمرا ان تراخت منيتي ايادي
لم تمنن وان هي جلت لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لأن هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي
بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سألوه عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال عليه السلام ائتوني غدا
اخبركم فأبطأ عليه خمسة عشر يوما او اربعين يوما كما ذكر فيما سلف فقوله عز وجل انا مكنا له في الارض شروع في تلاوة
الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين هنا الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا
قويا ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله
عز وجل مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والآلات على انواع التصرفات
فيها ما لم نجعل لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكأنه قيل ما لم نمكن لكم فيها اي ما لم نجعلكم
قادرين على ذلك فيها او مكنا لهم في الارض ما لم نمكن لكم وهكذا اذا كان التمكين مأخوذا من المكان بناء على توهم ميمه
اصلية كما اشير اليه في سورة يوسف والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والرأي
والاسباب حيث سخر له السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض
وذللت له طرقها وآتيناه من كل شيء اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه سببا اي طريقا يوصله
اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فأتبع بالقطع اي فأراد بلوغ المغرب فأتبع سببا
يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول فيه
معنى الادراك والاسراع دون الثاني حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد
من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له اوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الاطوال على
القول وجدها اي الشمس تغرب في عين حمئة اي ذات حمأة وهي الطين الاسود من حمئت البئر اذا كثرت
حمأتها وقرئ حامية اي حارة روي ان معاوية رضي الله تعالى عنه قرأ حامية وعنده ابن عباس رضي الله عنهما فقال
حمئة فقال معاوية لعبد الله ابن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ ثم توجه الى كعب الاحبار فقال كيف تجد الشمس
تغرب قال في ماء وطين وكذلك نجده في التوراة فوافق قول ابن عباس رض وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون الياء منقلبة
من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رض بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة
قطعا فلكون قراءة ابن عباس قطعية في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط رآها كذلك اذ ليس
في مطمح نظره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب ووجد عندها اي عند تلك العين قوما قيل
كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيّره الله عز وجل بين ان يعذبهم بالقتل وان
يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل من اول الامر واما ان تتخذ
فيهم حسنا اي امرا ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه وذلك بالدعوة الى الاسلام
والارشاد الى الشرائع ومحل ان مع صلته اما الرفع على الابتداء او الخبرية واما النصب على المفعولية اي اما تعذيبك
واقع او اما امرك تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر او
كان ذلك الهاما لا وحيا بعد ان كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبي قال اي ذو القرنين لذلك النبي او لمن عنده
من خواصه بعدما تلقى امره تعالى مختارا للشق الاخير اما من ظلم اي نفسه ولم يقبل دعوتي واصر على ما كان عليه

من الظلم الذي هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور ومن آمن اعطاه و
كساه ثم يرد الى ربه في الآخرة فيعذبه فيها عذابا نكرا اي منكرا فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة
على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحي اليه وان كان مع النبي او مع من عنده من اهل مشورته واما من آمن بموجب
دعوتي وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى اي فله المثوبة الحسنى او الفعلة
الحسنى والجنة جزاء على انه مصدر مؤكد بمضمون الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به او منصوب بمضمر اي يجزى بها
جزاء والجملة حالية او معترضة بين المبتدأ والخبر المتقدم عليه او حال اي مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا غير منون
على ان تسقط تنوينه لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدأ والحسنى بدل له والخبر الجار والمجرور
وقيل خير بين القتل والاسر والجواب من باب اسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيراعى
في حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب ويجوز ان يكون اما للتوزيع دون التخيير اي ليكن
شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب وسنقول له من امرنا اي مما
نأمر به يسرا اي سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر واطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين ثم اتبع
سببا اي طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي
تطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس فانه مصدر
قيل بلغه في اثنتي عشرة سنة وقيل في اقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب وطوي له الاسباب
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء قيل هم الزنج وعن كعب
ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى
معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم
فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئت تنظر كيف تطلع الشمس قال
فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء
اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه
في الشمس فينضج لهم كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المحل وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذين تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الاسباب والعدد خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا اي طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين اي بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال اي لا يفهمون السامع كلامهم قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم

او بالذات على ان يكون فهم ذي القرنين كلامهم بالهام كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الاسباب
يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج قد ذكرنا انهما من اولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج
من الجيل والديلم واختلف في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية
عظم الجسم وطول القامة يبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب في الاضراس
كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ
عاصم وقد قرئ بغيرها ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب
واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون
الناس ايضا فهل نجعل لك خرجا اي جعلا من اموالنا والفاء لتفريع العرض على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما
واحد كالنول والنوال وقيل الخراج ما على الارض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل رأس والخرج
ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقرئ بالضم قال ما مكني بالادغام وقرئ
بالفك اي ما مكنني فيه ربي وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب خير اي مما تريدون ان
تبذلوه الي من الخرج فلا حاجة الي اليه فاعينوني بقوة اي بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات التي لا بد
منها في البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من مالهم او على عدم قبول خرجهم اجعل
جواب للامر بينكم وبينهم تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير يأجوج ومأجوج لاظهار كمال
العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم ردما اي حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو اكبر من السد واوثق يقال
ثوب ردم اي فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه آتوني زبر الحديد جمع زبرة كغرف وغرفة
وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد خراجهم لان المأمور به الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة
بوصل الهمزة اي جيئوني بزبر الحديد على حذف الباء كما في امرتك الخير ولان ايتاء الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون
الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما لما ان الحاجة اليها
اشد اذ هي الركن في السد ووجودها اعز قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب
والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز
وجل حتى اذا ساوى بين الصدفين اي آتوه اياه فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي
الجبلين من البنيان مساويا لهما في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا
وقرئ سوى من التسوية وسووي على البناء للمجهول قال للعملة انفخوا اي بالكيران في الحديد المبني ففعلوا
حتى اذا جعله اي المنفوخ فيه نارا اي كالنار في الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين
مع انه فعل الفعلة للتنبيه على انه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة قال للذين يتولون امر النحاس من الاذابة
ونحوها آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه وقرئ بالوصل اي جيئوني كانه يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه
للسر الذي وقفت عليه آنفا وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى وقوله تعالى جعل فما اسطاعوا بحذف
تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقي المتقاربين وقرئ بالادغام وفيه جمع الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين
صادا والفاء فصيحة اي فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر او الاتيان فافرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار
صلدا فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا ان يعلوه وينقبوه فما استطاعوا ان يظهروه اي يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه
وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها
حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى ان يكون كالنار او عن افراغ القطر عليها فكانه
سبحانه وتعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شيء

قدير وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضه ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها بحيث لم يبق هناك فجوة
اصلا قال اي ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم هذا اشارة الى السد وقيل الى تمكنه من بنائه والفضل
للمتقدم اي هذا الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذي شانه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اي
اثر رحمة عظيمة عبر عنها بها مبالغة من ربي على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الآثار
الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهي محض وان ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة فاذا
جاء وعد ربي مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة لا خروج يأجوج ومأجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد
بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل
فان بعض الامور التي تحكى تقع بعد مجيئه حتما جعله اي السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة
ما ليس في توجيه الاشارة السابقة الى التمكين المذكور دكاء اي ارضا مستوية وقرئ دكا اي مدكوكا مسوى بالارض
وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك اي المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجيء الوعد بمجيء بعض
مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته وكان وعد ربي اي وعده المعهود او كل ما وعد به فيدخل
فيه ذلك دخولا اوليا حقا ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية
ومقررة لمضمونها وهو آخر ما حكي من قصته وقوله عز وجل وتركنا بعضهم كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على
قوله تعالى جعله دكاء ومحقق لمضمونه اي جعلنا بعض الخلائق يومئذ اي يوم اذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه يموج
في بعض آخر منهم يضطربون اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة
الاولى او وتركنا بعض يأجوج ومأجوج يموج في بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد وروي انهم يأتون
البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا
مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا في اقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون موت نفس واحدة ثم يرسل الله
تعالى طيرا فتلقيهم في البحر ثم يرسل مطرا يغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك
بعد نزول عيسى عليه السلام وقتل الدجال ونفخ في الصور هي النفخة الثانية لقوله تعالى فجمعناهم جمعا ولعل عدم
التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يتعلق بالنشأة
الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يتعلق منها بالنشأة الآخرة اي جمعنا الخلائق بعدما تفرقت وصارت رفاتا
وترابا جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه وعرضنا جهنم اظهرناها وابرزناها
يومئذ للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا
عرضا اي عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم
خاصة الذين كانت اعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب عن ذكري
عن الآيات المؤدية لاولي الابصار المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصائرهم في غطاء عن ذكري
على وجه يليق بشأني او عن القرآن الكريم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون سمعا لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم
للرسول عليه الصلاة والسلام سمعا استماعا للذكر وكلام الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم
عن الادلة السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه او
بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعلية ما فيه لاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال
مشاعرهم فيما عرضت له في الدنيا من الآيات وانهم كانهم انما خلقوا للنار وهي عاقبتهم افحسب الذين
كفروا اي كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى من دوني والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار
الواقع واستقباحه كما في قولك اضربت اباك لا انكار الوقوع كما في قولك اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه
الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى افلا تعقلون منفيا اي

الا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اي اتسمعون فلا تعقلون والمعنى اكفروا بي مع جلالة
شأني فحسبوا ان يتخذوا عبادي من دوني من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطاني وملكوتي
اولياء معبودين ينصرونهم من بأسي وما قيل انها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ
دلالة على ان الحسبان ناشئ من التعامي والتصام وادخل عليها همزة الانكار ذما على ذم وقطعا له عن المعطوف
عليهما لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال المؤكد للذم يأباه ترك الاضمار والتعرض لوصف آخر غير التعامي
والتصام على انهما اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم يذكرا من حيث انهما من افعالهم الاختيارية الحادثة
كحسبانهم ليحسن توزيعه عليهما واصافاته دين قديم لهم لا يمكن جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام الله عز
وجل وتخصيص الانكار بحسبانهم المتأخر عن ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز صلة ان ساد مسد مفعولي
حسب كما في قوله تعالى وحسبوا ان لا تكون فتنة اي افحسبوا انهم يتخذونهم اولياء على معنى ان ذلك
ليس من الاتخاذ في شيء لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام متبرؤن عنهم ولا يتهم بالموت لقولهم
سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف اي افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الاول لان
في هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به في الجملة وقرئ افحسب الذين كفروا اي أفكافيهم ان يتخذوهم اولياء
على الابتداء والخبر او الفعل والفاعل فان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل فالهمزة بمعنى انكار الوقوع
انا اعتدنا جهنم اي هيأناها للكافرين المعهودين عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتداد بسبب
كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل نزلا اي شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل اي الضيف مما حضر
من الطعام وفيه تخطئة في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعتداد العتاد واعداد الزاد
ليوم المعاد فكأنه قيل انا اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفيه ايذان بان لهم
وراء جهنم من العذاب ما هي انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رض بالمثوى قل هل
ننبئكم خطاب ثان للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه من اول الامر والايذان بمعلومية النبأ
للمؤمنين ايضا بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر
عنهم من الاعمال الحسنة في انفسها وفي حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها
غب بيان حالهم باعتبار اعمالهم السيئة في انفسها مع كونها حسنة في حسبانهم الذين ضل سعيهم في اقامة تلك
الاعمال اي ضاع وبطل بالكلية في الحيوة الدنيا متعلق بالسعي لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل
المراد بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس رض وسعد بن ابي وقاص ومجاهد ويدخل في الاعمال ما عملوه من الاحكام المنسوخة
المتعلقة بالعبادات وقيل الرهابنة الذين يحبسون انفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما
يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف لانه جواب السؤال كانه قيل من هم فقيل
الذين الخ وجعله مجرورا على انه نعت للاخسرين او بدل منه او منصوبا على الذم على ان الجواب ما سيأتي من قوله تعالى
اولئك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] اولئك

كلام مستأنف من جهته تعالى مسوق لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم
بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين غير داخل تحت الامر اي اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان
المذكور الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد عقلا ونقلا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة
تقبيح حالهم في الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه من امور الآخرة على ما هي عليه فحبطت لذلك
اعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم اي لاولئك الموصوفين بما مر من حبوط الاعمال وقرئ بالياء
يوم القيمة وزنا اي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لان مدار الاعمال الصالحة وقد حبطت
بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع واما ما هو من اجزية
الكفر فسيجيء بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين
ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير او عدمه لان ذلك في الموحدين بطريق الكمية واما
الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا ذلك بيان لمآل كفرهم وسائر معاصيهم
اثر بيان مآل اعمالهم المحبطة بذلك اي الامر ذلك وقوله عز وجل جزاؤهم جهنم جملة مبينة له او ذلك مبتدأ
والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدل منه وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر
بما كفروا تصريح بان ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي انباء عنها قوله تعالى واتخذوا آياتي ورسلي
هزوا اي مهزوا بهما فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضا ان الذين آمنوا
بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا باضداد ما اتصف به الكفرة اثر بيان ما لهم بطريق الوعيد اي آمنوا بآيات
ربهم ولقائه وعملوا الصالحات من الاعمال كانت لهم فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه ايماء الى
ان اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث
من سوء اختيارهم جنات الفردوس عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة
بالحبشة وقال الضحاك هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرما
وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب وعن كعب انه ليس في الجنان اعلى من جنة
الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة
ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس
فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة نزلا خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على انه حال من نزلا او على انه
بيان او حال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فان جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات
الفردوس نزلا او جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بانها عندما اعد الله لهم على ما جرى على لسان
النبوة من قوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة
الى الضيافة وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر خالدين فيها نصب على الحالية لا يبغون عنها حولا مصدر كالعود
والصغر اي لا يطلبون تحولا اذ لا يتصور ان يكون شيء اعز عندهم وارفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم
ويجوز ان يراد نفي التحول وتأكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين او من الضمير المستكن فيه فيكون حالا متداخلة
قل لو كان البحر اي جنس البحر مدادا وهو ما تمد به الدواة من الحبر لكلمات ربي لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها
ما ذكر من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك لنفد البحر مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه قبل
ان تنفد وقرئ بالياء والمعنى من غير ان تنفد كلمات ربي لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر
وفي اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف
اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير ولو جئنا كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام
الملقن مسوق لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المتقدمة

المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكور عليها دلالة واضحة أي لنفد البحر من غير نفاد كلمات الله تعالى
ولو جئنا بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مددا عونا وزيادة لأن مجموع المتناهين متناه
بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهيا لقيام الأدلة القاطعة على تناهي الأبعاد
وقرئ مددا جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا قل لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى إنما
أنا بشر مثلكم لا أدعي الإحاطة بكلماته التامة يوحى إلي من تلك الكلمات أنما إلهكم إله واحد لا شريك له
في الخلق ولا في سائر أحكام الألوهية وإنما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع وصول
الخير في المستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته وإدخال الماضي على المستقبل للدلالة على أن اللائق بحال المؤمن
الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء أي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى فليعمل لتحصيل تلك الطلبة
العزيزة عملا صالحا في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يشرك بعبادة
ربه أحدا إشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا إشراكا خفيا كما يفعله أهل الرياء ومن
يطلب به أجرا وإيثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير
وللإشعار بعلية العنوان للأمر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا روي أن جندب بن زهير رضي الله
تعالى عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرني فقال إن الله لا يقبل
ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروي أنه عليه السلام قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك
إذا قصد أن يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الأصغر قيل وما الشرك الأصغر قال الرياء وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له
نورا من الأرض إلى السماء وعنه عليه السلام من قرأ عند مضجعه قل إنما أنا بشر مثلكم الخ كان له من مضجعه
نورا يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وإن كان مضجعه بمكة كان له
نورا يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والحمد لله سبحانه على نعمائه العظام

سورة مريم ثمان وتسعون آيات مكية

كهيعص بإمالة الهاء والياء وإظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وإمالة الياء وبتفخيمها وبإخفاء النون قبل الصاد
لتقاربهما وقد سلف أن ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنا لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة
الأعجاز على الوقف سواء جعلت أسماء للسور أو مسرودة على نمط التعديد وإن لزمها التقاء الساكنين لكونه
مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة أن يوقف عليها جريا على الأصل وقرئ بإدغام الدال فيما
بعدها لتقاربهما في المخرج فإن جعلت اسما للسورة على ما عليه إطباق الأكثر فمحلها الرفع إما على أنها خبر لمبتدأ محذوف
والتقدير هذا كهيعص أي مسمى به وإنما صحت الإشارة إليه مع عدم جريان ذكره لأنه باعتبار كونه على جناح الذكر
صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان أو على أنه مبتدأ خبره ذكر رحمة ربك أي المسمى به ذكر
رحمة الخ فإن ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كأنها نفس ذكرها والأول
هو الأولى لأن ما يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا علم بالتسمية
من قبل فحقها الإخبار بها كما في الوجه الأول وإن جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنح إليه أهل التحقيق
فذكر خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة
ذكر رحمة الخ أو اسم إشارة أشير إليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها أي هذا ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدأ قد

حذف خبره أي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير أي هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر
على صيغة الأمر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للإيذان بأن تنزيل
السورة عليه عليه السلام تكميل له عليه السلام وقوله تعالى عبده مفعول لرحمة ربك على أنها مفعول لما أضيف إليها وقيل
للذكر على أنه مصدر أضيف إلى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها وإصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان أي
بلغني وقوله عز وعلا زكريا بدل منه أو عطف بيان له إذ نادى ربه نداء خفيا ظرف لرحمة ربك وقيل
لذكر على أنه مضاف إلى فاعله اتساعا لا على الوجه الأول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله تعالى
واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت ولقد روعي عليه السلام حسن الأدب في إخفاء دعائه فإنه مع كونه بالنسبة
إليه عز وجل كالجهر أدخل في الإخلاص وأبعد من الرياء وأقرب إلى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه
على مبادي لا يليق به تعاطيها في أوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان منه عليه السلام
لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل ثمانين وقيل أكثر منها كما مر في تفسير آل عمران
قال جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الإعراب رب إني وهن العظم مني إسناد الوهن إلى العظم لما أنه عماد البدن
ودعامة الجسد فإذا أصابه الضعف والرخاوة أصاب كله أو لأنه أشد أجزائه صلابة وقواما وأقلها تأثرا
من العلل فإذا وهن كان ما وراءه أوهن وإفراده للقصد إلى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من أفراده ومني
متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها أيضا وتأكيد الجملة لإبراز كمال الاعتناء
بتحقيق مضمونها واشتعل الرأس شيبا شبه عليه السلام الشيب في البياض والإنارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه
فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعالها ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى محل الشعر ومنبته وأخرج الشيب
مخرج التمييز وأطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الأصل
اشتعل شيب رأسي فأسند الاشتعال إلى الرأس كما ذكر ليفيد شمولها فإن وزانه بالنسبة إلى الأصل وزان اشتعل بيته
نارا بالنسبة إلى اشتعل النار في بيته ولزيادة تقريره بالإجمال أولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير
وقرئ بإدغام السين في الشين ولم أكن بدعائك رب شقيا أي لم أكن بدعائي إياك خائبا في وقت من أوقات
العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي والجملة معطوفة على ما قبلها أو حال من ضمير المتكلم إذ المعنى واشتعل رأسي
شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة إثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر
السن وضعف الحال فإنه تعالى بعد ما عود عبده بالإجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه أبدا لا سيما عند اضطراره
وشدة افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن إفاضة ما فيه صلاح المربوب مع الإضافة
إلى ضميره عليه السلام لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الإجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل إذا أراد
العبد أن يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من أسمائه وصفاته وإني خفت الموالي عطف على قوله
تعالى إني وهن مترتب مضمونه على مضمونه فإن ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه عليه السلام من يلي أمره بعد موته ومواليه
بنو عمه وكانوا أشرار بني إسرائيل فخاف أن لا يحسنوا خلافته في أمته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله من ورائي أي
بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق إليه الذهن أي فعل الموالي من بعدي أو جور الموالي وقرئ كذلك أو بالموالي لما فيه
من معنى الولاية أي خفت الذين يلون الأمر من ورائي ولا يجوز تعلقه بخفت لفساد المعنى وقرئ ورايي بالقصر وفتح الياء
وقرئ خفت الموالي من ورائي أي قلوا وعجزوا عن القيام بأمور الدين بعدي أو خفت الموالي القادرون على إقامة
مراسم الملة ومصالح الأمة من خف القوم أي ارتحلوا مسرعين أي درجوا قدامي ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد
فالظرف حينئذ متعلق بخفت وكانت امرأتي عاقرا أي لا تلد من حين شبابها فهب لي من لدنك كلا الجارين متعلق
بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا وتقديم الأول لكون مدلوله أهم عنده
ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن في الأصل ظرف بمعنى أول الغاية زمانا أو مكانا أو غيرهما

من الدعوات وقد مر تفصيله في اوائل سورة آل عمران اي اعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق
الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية وليا اي ولدا من صلبي وتأخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتناء
بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس
مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فيه نوع طول لما بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل
او توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما انبأت
فان ما ذكره عم من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عم عن حصول الولد بتوسط
الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان يكون هناك داع آخر الى الاقبال
على الدعاء المذكور من مشاهدته عم للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا
ربه الآية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعاء هنالك للاكتفاء بذكرها ههنا
فان الاكتفاء بما ذكر في موطن عما ترك في موطن آخر من النكت التنزيلية وقوله تعالى يرثني صفة لوليا وقرئ هو
وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء اي يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء عليهم السلام
لا يورثون المال قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وقيل يرثني الحبورة وكان عم حبرا
ويرث من آل يعقوب يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول اليه امرهم للقرابة
والصحبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اي ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب
بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان من نسل
سليمان عليهما السلام وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل
وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرث ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرئ
يرثني وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرئ اويرث آل يعقوب بالتصغير فغلاما
الى وارث لشدة ما يرثه في حال صغره وقرئ وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني به وارث وقيل من
للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عم انبياء ولا علماء واجعله رب رضيا مرضيا قولا وفعلا وتوسيط رب
بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه يا زكريا على ارادة القول اي قال تعالى يا زكريا انا
نبشرك بغلام اسمه يحيى لكن لا بان يخاطبه عم بذلك بالذات بل بواسطة الملك على ان يحكي له عليه السلام
هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل
عمران وهذا جواب لندائه عم ووعد باجابة دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له و
وهبنا له يحيى الآية بل بعضا حسبما تقتضيه المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم السلام
وان كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا ترى الى دعوة ابراهيم عم في حق ابيه والى دعوة
النبي عم حيث قال وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وعلا ان يهبه يحيى نبيا
مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما السلام ما هو المشهور وقيل بقي بعده
برهة فلا اشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عم تأكيد للوعد وتشريف له عم وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله
تعالى لم نجعل له من قبل سميا اي شريكا له في الاسم حيث لم يسم احد قبله بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عم
فان التسمية بالاسماء البديعة الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها في الاصل
والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عم
مثل في انه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط فانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا فيكون
هذا اجمالا لما نزل بعده من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه
اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به لانه حيي به رحم امه او حيي دين الله تعالى ببعوثه قال

استئناف مبني على سؤال كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حينئذ فقيل قال رب ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى
بواسطة الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم ان
علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما ان علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في عامة الاوقات
انى يكون لي غلام كلمة انى بمعنى كيف او من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقان بها وتقديم الجار على الفاعل لما
مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف
وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له اي انى يحدث كائنا لي غلام او ناقصة اسمها ظاهر وخبرها اما انى
ولي متعلق بمحذوف كما مر او هو لي وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى وكانت امرأتي عاقرا حال من ضمير
المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا حال منه مؤكد للاستبعاد اثر تأكيد اي كانت
امرأتي عاقرا لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي الآن عجوز وقد بلغت انا من اجل كبر السن يبسا وقحولا في المفاصل
والعظام او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو واصله عتوو كقعود فاستثقل توالي
الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع
الواو والياء وسبق احدهما بالسكون وكسرت العين اتباعا لما بعدها وقرئ بفتحها ولعل البدء ههنا بذكر
حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران لما انه قد ذكر حالها في تضاعيف دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه اقصى مراتب
الكبر تتمة لما ذكر قبل واما هنالك فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته لما ان المسارعة الى
بيان قصور شأنه انسب وانما قال عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد
مشاهدته للشواهد المذكورة في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله عز وجل وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه
ذلك باظهار انه من محض لطف الله عز وجل وفضله مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما
قاله ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عم استفهاما عن كيفية
حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والاشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه
وهو بعيد قال استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما سلف والكاف في قوله تعالى كذلك قال ربك مقحمة كما
في مثلك لا يبخل محلها اما النصب على انه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة عن القول
الثاني لا الى قول آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى
هو علي هين جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول كأنه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول
البديع قلت اي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة هين وان كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو
علي هين فالجملة حال من ربك والياء عبارة عن ضميره كما استعيرت او اعتراض وعلى كل حال هي مؤكدة ومقررة
لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وادخال الروع كقول الخلفاء امير
المؤمنين يرسم لك مكان انا ارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى ضميره عم تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان
احكام ربوبيته تعالى عليه من ايجاده من العدم وتصريفه في اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللائق
به مما يقلع اساس استبعاده عم لحصول الموعود ويورثه علما يقينا بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغائب العائد
الى الرب الى ياء العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى له عليه السلام
خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه
ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لان الواو لا تدخل بين المفسر والمفسر واما
الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده تعالى اي قال عز وعلا الامر كما وعدت وهو
واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية
الاولى او حال من المستكن في الجار والمجرور وايا ما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل منهما والكلام

واسناد القول الى الرب ثم الالتفات الى التكلم لما ذكر آنفا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله لزكريا عليه السلام اي قال
تعالى كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة في نفسه وفي امرأته وقوله تعالى قال ربك الخ
استئناف مسوق لازالة استبعاده بعد تقريره اي قال تعالى هو مع بعده في نفسه علي هين والقراءة الثانية ادخل
في افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف اما جعلها للحال فمخل بسداد المعنى لان مآله تقرير صعوبته حال سهولته
عليه سبحانه مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى **وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا** جملة مستأنفة مقررة
لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما
لم ينسب ذلك الى آدم عم وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته
في ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عم لتأكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس من حيث نبه على ان
كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عم من العدم اذ لم يكن فطرته البديعية مقصورة على نفسه بل كانت
انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان ابداعه
عليه السلام على ذلك الوجه ابداعا لكل احد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عم على هذا النمط الساري
الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل
على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا اظهر عنده واجلى وكان حاله اولى بان يكون معيارا لحال
ما بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية
لمقام الامتنان حقه كأنه قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم ولم تك اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما بحتا ونفيا
صرفا واما حمل النفي على المعتد به اي لم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام وفيه تعظيم الكلام وقرئ خلقناك **قال
رب اجعل لي آية** اي علامة تدلني على تحقق المسؤل ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عم لتأكيد البشارة
وتحقيقها كما قيل فان ذلك لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة
عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها
ولا يؤخره الى ان تظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة في سورة آل عمران الى ان هذا السؤال ينبغي ان يكون بعد ما
مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلاث سنين ولا ريب
في ان دعاء زكريا عليه السلام كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى عليه السلام
وهي بنت عشر سنين او بنت ثلاث عشرة سنة والجعل ابداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول الصريح لما
مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير
المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ
وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ **قال آيتك ألا تكلم الناس** اي ان لا تقدر على ان تكلم
بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح **ثلاث ليال** مع ايامهن للتصريح بها في آل عمران **سويا** حال من فاعل تكلم
مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار اي تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوي الخلق
سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس **فخرج على قومه من المحراب** اي من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب
ينتظرون ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا ما لك **فأوحى اليهم** اي اومأ اليهم
لقوله تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض **أن سبحوا** ان مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى اي صلوا او
بكرة وعشيا هما ظرفا زمان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد بهما صلاة الفجر وصلاة العصر او نزهوا ربكم طرفي النهار
ولعله كان مأمورا بان يسبح شكرا ويأمر قومه بذلك **يا يحيى** استئناف طوي قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز
الوعد الكريم اي قلنا يا يحيى **خذ الكتاب** اي التوراة **بقوة** اي بجد واستظهار بالتوفيق **وآتيناه الحكم صبيا**
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الحكم النبوة استنبئ وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه في الدين

روي انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا **وحنانا من لدنا** عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن
والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
اي وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما **وزكاة** اي طهارة من
الذنوب او صدقة تصدقنا بها على ابويه او وفقناه للتصدق على الناس **وكان تقيا** مطيعا متجنبا عن المعاصي
وبرا بوالديه عطف على تقيا اي بارا بهما محسنا اليهما **ولم يكن جبارا عصيا** متكبرا عاقا لهما او عاصيا
لربه **وسلام عليه** من الله عز وجل **يوم ولد** من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم **ويوم يموت** من عذاب القبر
ويوم يبعث حيا من هول القيامة وعذاب النار **واذكر في الكتاب** كلام مستأنف خوطب به النبي صلى الله
عليه وسلم وامر بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن
اذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها اي واذكر للناس **مريم** اي
نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى **اذ انتبذت** ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المأمور به ذكر
نبأها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكي بعده بطريق الاستئناف داخل في حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل
اشتمال من مريم على ان المراد بها نبأها فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه
وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كما في قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اي لان لم تكرمني فهو بدل اشتمال لا محالة وقوله تعالى
من اهلها متعلق بانتبذت وقوله تعالى **مكانا شرقيا** مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الاتيان المترتب
وجوده او اعتبارا على اصل معناه الجار والمجرور وهو الانسب بتأخره عنه اي اعتزلت وانفردت منهم واتت مكانا
شرقيا من بيت المقدس او من دارها لتتخلى للعبادة وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض فاحتجبت بحائط او
بشيء يسترها وذلك قوله تعالى **فاتخذت من دونهم حجابا** وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت
خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك عليه السلام في صورة آدمي شاب امرد وضيء
الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى **فارسلنا اليها روحنا** اي جبريل عليه السلام عبر عنه بذلك توفيرا
للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد الذي هو عدة المقربين في قوله تعالى فاما ان كان
من المقربين فروح وريحان **فتمثل لها بشرا سويا** سوي الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا
وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقى اليه
من كلماته تعالى اذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك
ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته للمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى
قالت اني اعوذ بالرحمن منك فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما فضلا عما ذكر من الحالة
المترتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثيله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها
ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به واستجلاب
آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها وقوله تعالى **ان كنت تقيا** تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به
وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السياق عليه اي فاني عائذة به او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي **قال
انما انا رسول ربك** يريد عليه السلام اني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول ربك
الذي استعذت به **لأهب لك غلاما** اي لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون ذلك حكاية
لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار
بعلة الحكم فان هبة الغلام لها من احكام تربيتها وفي بعض المصاحف امرني ان اهب لك غلاما **زكيا** طاهرا
من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح **قالت انى يكون لي غلام** كما وصفت
ولم يمسسني بشر اي والحال انه لم يباشرني بالنكاح بشر وانما قيل بشر مبالغة في تنزهها من مبادي الولادة

ولم اك بغيا عطف على لم يمسسني داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح اي بعلال لم اكن فاجرة تبغي الرجال وهو فعول بمعنى الفاعل اصلها بغوي فادغمت الواو بعد قلبها ياء في الياء وكسرت الغين للياء وقيل هي فعيل بمعنى الفاعل ولو كان فعيلا لقيل بغية كما يقال بعيدة عن المنكر وانما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اي يبغيها الرجال للفجور بها قال اي الملك كذلك تقريرا لما قالته وتحقيقا لها كذلك اي الامر كما قلت لك وقوله تعالى قال ربك استيناف مقرر له اي قال ربك الذي ارسلني اليك هو اي ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر اصلا علي خاصة هين وان كان مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى ولنجعله آية للناس اما علة لمعلل محذوف اي ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون بها على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اي لنبين عظم قدرتنا ولنجعله آية والواو على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ورحمة عظيمة كائنة منا عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا محكما قد تعلق به قضاؤنا الازلي او قدر وسطر في اللوح ولا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بان نفخ جبريل عم في درعها فدخلت النفخة في جوفها وقيل انه عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملت وضعته وسنها ح ثلث عشرة سنة وقيل عشرين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به اي فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية اي فانتبذت ملتبسة به مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل فاجاءها المخاض اي فالجاها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في غيره كاتى في اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المراة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمها من مات يموت قبل هذا اي هذا الوقت الذي لقيت فيه ما لقيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر عليهم كما روي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة ولم اك شيئا وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده امه وكنت نسيا اي شيئا تافها شانه ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان فيه كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر ما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزا من نسات اذا صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسا كعصا منسيا لا يخطر ببال احد من الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا للسين فناداها اي جبريل عم من تحتها قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها اي من مكان اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عم وقرئ فخاطبها من تحتها بفتح الميم الا تحزني اي لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على انها مصدرية قد حذف عنها الجار قد جعل ربك تحتك اي بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرته بالجري جرى وان امرته بالامساك امسك سريا اي نهرا صغير الحجم روي انه قال ابن عباس رض ان جبريل عم ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه الماء ح كما فعل مثله

بالنخلة فانها لما كانت نخلة يابسة لا راس ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله لها اذ ذاك راسا وخوصا وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سريا اي سيدا نبيلا رفيع الشان جليلا وهو عيسى عم فالتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتاكيد التعليل وتكميل التسلية وهزي الهز تحريك الشيء الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى اليك اي الى جهتك والباء في قوله عز وعلا بجذع النخلة صلة للتاكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة الخ قال الفراء تقول العرب هزه وهز به واخذ الخطام واخذ بالخطام او لالصاق الفعل بمدخولها اي افعلي الهز بجذعها او هزيا لثمرة بهزه وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز اي هزي اليك الرطب كائنا بجذعها تساقط اي تسقط النخلة عليك اسقاطا متواترا حسب تواتر الهز وقرئ تسقط ويسقط من الاسقاط بالتاء والياء وتتساقط باظهار التاءين ويساقط بطرح الثانية ويساقط بادغامها في السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط من السقوط على ان التاء في الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى رطبا على القراءات الثلث الاول مفعول وعلى الست الباقية تمييز وقوله تعالى جنيا صفة له وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول اي رطبا مجنيا اي صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اي طريا طيبا وقرئ جنيا بكسر الجيم للاتباع فكلي واشربي اي من ذلك الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسا وارفضي عنها ما احزنك واهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتقيدين بالاحكام العادية بان اظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سريرة امرك وقرئ بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا اي آدميا كائنا من كان وقرئ ترئن على لغة من يقول لبات بالحج بين الهمزة والياء من التاخي فقولي له ان استنطقك اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا وقد قرئ كذلك او صياما وكانوا يصومون بالسكوت فلن اكلم اليوم انسيا اي بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل امرت بان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال الفراء تسمي كلما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد لم يكن الا حقيقة الكلام وانما امرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وللاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه نص قاطع في قطع الطعن فاتت به قومها اي جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عندما طهرت من نفاسها تحمله اي حاملة له قالوا موبخة لها يا مريم لقد جئت اي فعلت شيئا فريا اي عظيما بديعا منكرا من فري الجلد اي قطعه او جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشيء تحقيقا للاستغراب يا اخت هرون استيناف لتجديد التعيير وتاكيدا للتوبيخ عنوا به هرون النبي عليه السلام وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا تنبيه على ان ارتكاب الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه اي الى عيسى عم ان كلموه والظاهر انها بينت ح نذرها وانها بمعزل من محاورة الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان المامور به بيان نذرها بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به قالوا منكرين لجوابها كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة بدليل انه مسوق للتعجب وقيل هي زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او هي تامة او دائمة كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما قال استيناف مبني على سؤال نشا من سياق النظم الكريم

كما انه قيل فما ذا كان بعد ذلك فقيل قال عليه السلام اني عبد الله انطقه الله عز وجل بذلك ازديادا تحقيقا
للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي لما اشارت
اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا مما فعلت وروي انه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع
واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته فقال ما قال وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا
يتكلم فيه الصبيان آتاني الكتاب اي الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مع ذلك مباركا نفاعا معلما
للخير والتعبير بلفظ الماضي في الافعال الثلثة اما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم او بجعل ما في شرف الوقوع
لا محالة واقعا وقيل اكمله الله عقلا واستنبأه طفلا اينما كنت اي حيثما كنت واوصاني بالصلوة
اي امرني بها امرا موكدا والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا في الدنيا
وبرا بوالدتي عطف على مباركا اي جعلني بارا بها وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به مبالغة او منصوب
بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة والزكوة والتنكير
للتفخيم ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله تعالى لفرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت
ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى على ان التعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه
فان اثبات جنس السلام لنفسه تعريض باثبات ضده لاضداده كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع
الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك اشارة الى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من
معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد
المحسوس عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج البرهاني
حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه قول الحق بالنصب على انه مصدر موكد لقال اني عبد الله وقوله
تعالى ذلك عيسى بن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو قول الحق
الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدل او خبر
ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق فان القول والقول والقال في معنى واحد الذي فيه يمترون
اي يشكون او يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه وقرئ بتاء الخطاب ما كان لله اي
ما صح وما استقام له تعالى ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله
تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان ان شانه تعالى اذا قضى امرا من الامور
ان يتعلق به ارادته فيكون حين بلا تاخير فمن هذا شانه كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب
على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه من تمام كلام عيسى عليه السلام وقيل هو عطف على قوله اني عبد الله داخل
تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولانه تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله
تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل معطوف على الصلوة هذا اي الذي ذكرت من التوحيد
صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها على ما
قبلها تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف فان ما حكي من مقالات عيسى عليه السلام مع
كونها نصوصا قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلفت اليهود والنصارى بالتفريط والافراط او فرق النصارى
فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى الله من ذلك
علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا
بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم اي من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم
القيمة او من وقت شهوده او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء
عليهم السلام والسنتهم وآذانهم وايديهم وارجلهم وسائر آرائهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها

وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يومئذ و
معناه ان اسماعهم وابصارهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ما
كانوا في الدنيا صما عميا او تهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد
ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موقع الرفع وعلى الثاني في حيز النصب لكن الظالمون
اليوم اي في الدنيا في ضلال مبين لا يدرك غايته حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين
موضع الضمير للايذان بانهم في ذلك ظالمون لانفسهم وانذرهم يوم الحسرة اي يوم يتحسر الناس قاطبة اما المسيء
فعلى اساءته واما المحسن فعلى قلة احسانه اذ قضي الامر اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان
ينظرون فينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى
فرح واهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول
الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف وهم في غفلة اي عما يفعل بهم في الآخرة وهم لا يؤمنون وهما جملتان حاليتان
من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين اي مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض
او من مفعول انذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل انا نحن نرث الارض
ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث
لارثه والينا يرجعون اي يردون للجزاء لا الى غيرنا استقلالا او اشتراكا واذكر عطف على انذرهم في الكتاب
اي السورة او في القرآن ابراهيم اي اتل على الناس قصته وبلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم فانهم ينتمون اليه
عليه السلام فلعلهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح انه كان صديقا ملازما للصدق في كل
ما يأتي ويذر او كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله والجملة استيناف
مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلام بذلك من دواعي ذكره نبيا خبر آخر لكان مقيد للاول مخصص له كما في
قوله تعالى من النبيين والصديقين الآية اي كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة
في الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبي صديق اذ قال بدل اشتمال من ابراهيم وما بينهما اعتراض
مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا وتعليق الذكر بالاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث
لما مر مرارا اي كان جامعا بين الاثرين حين قال لابيه آزر متلطفا في الدعوة مستميلا له يا ابت اي
يا ابي فان التاء عوض من ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء لم تعبد
ما لا يسمع ثناءك عليه عند عبادتك له وجؤارك اليه ولا يبصر خضوعك وخشوعك بين يديه او لا يسمع و
لا يبصر شيئا من المسموعات والمبصرات فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا اوليا ولا يغني اي لا يقدر على ان يغني
عنك شيئا في جلب نفع او دفع ضر ولقد سلك عليه السلام في دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج عليه ابدع احتجاج
بحسن ادب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه
علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية
القاصية من التعظيم مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق الرازق المحيي المميت المثيب
المعاقب ونبه على ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا
سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته
وان كان اشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبية فما ظنك بجماد مصنوع من حجر
او شجر ليس له من اوصاف الاحياء عين ولا اثر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم
الالهي مستقلا بالنظر السوي مصدرا لدعوته بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال يا ابت اني قد جاءني

من العلم ما لم يأتك ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان في اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وان كان كذلك بل ابرز نفسه في صورة رفيق له اعرف باحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال فاتبعني اهدك صراطا سويا اي مستقيما موصلا الى اسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدي الى مهاوي الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان فان عبادتك الاصنام عبادة له اذ هو الذي يسولها لك ويغريك عليها وقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي وتأكيد له ببيان انه مستعص على ربك الذي انعم عليك بفنون النعم ولا ريب في ان المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم منه والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة معاداته لآدم عم وذريته فتذكيره داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن للاشعار بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم فتكون للشيطان وليا اي قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وابراز الاعتناء بامره قال استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل فماذا قال ابوه عندما سمع منه عم هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم اي معرض ومنصرف انت عنها بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله تعالى لئن لم تنته لارجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير اي والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان واهجرني اي فاحذرني واتركني مليا اي زمانا طويلا او مليا بالذهاب مطيقا به قال استئناف كما سلف سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يؤذيك لكن سأستغفر لك ربي اي استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل قوله واغفر لابي بقوله تعالى انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وانما المحظور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ له عقلا ولا نقلا واما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا تأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا يرى الى انه عم قال لعمه ابي طالب لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه في ان هذا الوعد من ابراهيم وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى واغفر لابي الآية انما كان قبل انقطاع رجائه عن ايمانه لعدم تبين امره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما حرر في تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما [illegible] بقوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لا يقدح في جوازه لكن لا لان ذلك كان قبل ورود النهي او كانت موعدة وعدها اياه [illegible] ان الاستغفار [illegible] قبل تبين الامر [illegible] اصلا وان الوعد [illegible] المحظور لا يرفع حظره بل لان المراد بما يتأسى به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناء ذلك عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر المرجو ايمانه [illegible] وورود الاستثناء [illegible] مما لا يتردد فيه من العقلاء واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع هنا لورودها على طريق التأكيد القسمي واما

واما جعل الاستغفار [illegible] تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى انه كان بي حفيا اي بليغا في البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله واعتزلكم اي اتباعد عنك وعن قومك وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم تؤثر فيكم نصائحي وادعوا ربي اعبده وحده وقد يجوز ان يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما يساعده السياق والسباق عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اي خائبا ضائع السعي وفيه تعريض بشقائهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب والتنبيه على حقيقة الحق من ان الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وان العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من اقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهور ان الموهوب حينئذ اسمعيل عم لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله هنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاها الله اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما شجرتا الانبياء لهما اولاد واحفاد اولو شأن خطير وذوو عدد كثير هذا وقد روي انه عم لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب والاول هو الاقرب الاظهر وكلا اي كل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى جعلنا نبيا قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى بعضهم اي كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض ووهبنا لهم من رحمتنا هي النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم نبيا للايذان بانها من باب الرحمة وقيل هي المال والاولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر انها عامة لكل خير ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤت احد من العالمين وجعلنا لهم لسان صدق عليا تفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل واذكر في الكتاب موسى قدم ذكره على ذكر اسمعيل عم لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليهم السلام انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله سبحانه اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة للجانب اي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عم او من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه نجيا تقريب تشريف مثل حاله عم بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اي مناجيا حال من احد الضميرين في ناديناه او قربناه وقيل مرتفعا لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا اي من اجل رحمتنا ورأفتنا له او بعض رحمتنا اخاه اي معاضدة اخيه ومؤازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي لا نفسه لانه كان اكبر منه عليهما السلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى هرون عطف بيان له وقوله تعالى نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى انه كان صادق الوعد تعليل لموجب الامر وايراده عم بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان رسولا نبيا فيه دلالة على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم عليهم السلام كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبياء عليهم السلام آباء الامم وكان عند ربه

مرضيا لاتصافه بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة واذكر في الكتاب ادريس وهو
سبط شيث وجد ابي نوح فانه نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام واشتقاقه من الدرس يرده
منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روي انه انزل عليه
ثلاثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا ملازما للصدق في جميع
احواله نبيا خبر آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى
عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء
السادسة او الرابعة روي عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه السلام انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس
فقال يا رب اني قد مشيت فيها يوما وقد اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد
اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت فيه
قال ان عبدي ادريس سألني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى له فرفعه
الى السماء اولئك اشارة الى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم
في الفضل وهو مبتداء وقوله تعالى الذين انعم الله عليهم صفته اي انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية
حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقوله تعالى من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار
ويجوز ان يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح
اي ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم من عدا ادريس عليه السلام فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية
ابراهيم وهم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى
وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا واجتبينا اي ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم
للنبوة والكرامة وقوله تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر
هو الموصول وهذا استئنافا مسوقا لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في
شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اي ساجدين باكين عن النبي
صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي فاجتمع
الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر لمجانسة الياء
وقرئ يتلى بالياء التحتانية لان التانيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد
في سجدته بما يليق بآيتها فههنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة
آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين
لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين عن امرك فخلف من بعدهم خلف يقال لعقب الخير
خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون اي فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء اضاعوا الصلوة وقرئ
الصلوات اي تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب
والانهماك في فنون المعاصي وعن علي رضي الله عنه هم من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف
يلقون غيا اي شرا فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو
لا يعدم على الغي لائما وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي جزاء آثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد
في جهنم يستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الآية في حق الكفرة
فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا اي فاولئك
المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يدخلون الجنة بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول
ولا يظلمون شيئا اي لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا او ينقصون وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضر

ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض ونصب على المدح
وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتداء محذوف اي هي او تلك جنات الخ او مبتداء خبره التي وعد الخ وقرئ جنة عدن نصبا
ورفعا وعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفها اعلام لمعاني الفينة
وهي الساعة التي انت فيها والسحر والامس فجرى لذلك مجرى العدن او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك
لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ووصفه بقوله تعالى التي وعد الرحمن عباده
وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف والتعرض
لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء في قوله تعالى بالغيب متعلقة بمضمر
هو حال من المضمر العائد الى الجنات او من عباده اي وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب اي غائبة عنهم غير
حاضرة او غائبين عنها لا يرونها او بمضمر اي وعدها اياهم بسبب ايمانهم انه كان وعده اي موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات
الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هي مثابة يرجع اليها قيل ماتيا اي ياتيه من وعد له لا محالة بغير خلف
وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل ماتيا اي مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا اي فعله لا يسمعون فيها لغوا
اي فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان
يجتنب عنه في هذه الدار ما امكن الا سلاما استثناء منقطع اي لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم
بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اي لا يسمعون لغوا الا سلاما فحيث استحال كون السلام لغوا
استحال سماعهم له بالكلية كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان
معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره
والا فليس فيها بكرة ولا عشي تلك الجنة مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شان الجنة وتعيين اهلها فان ما في اسم
الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها التي نورث اي نورثها من عبادنا من كان
تقيا اي نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة اقوى ما يستعمل في
التمليك كما استعيرت لها الفاظ الوراثة حيث انها لا تعقب فسخا ولا استرجاعا ولا ابطالا وقيل يورث المتقون من الجنة
المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا واطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ نورثها بالتشديد وما نتنزل الا
بامر ربك حكاية لقول جبريل حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح
ولم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه اربعين يوما او خمسة عشر حتى شق ذلك عليه مشقة شديدة
وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وانزل الله عز وجل هذه الآية وسورة والضحى والتنزل النزول
على مهل لانه مطاوع التنزيل وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق التنزيل على الانزال والمعنى وما ننزل
وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا
وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان
الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا اي تاركا لك بمعنى ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة
بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال
اللائق مضافا الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون
الجنة خاطب بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها
سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لهم
من جهة الله تعالى اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى رب
السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض

وما بينهما كيف يتصور ان يحوم حول ساحته سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدا محذوف او بدل من
ربك والفاء في قوله تعالى **فاعبده واصطبر لعبادته** لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما قبلها من كونه
تعالى رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك لهم او غير ناس لاعمال العاملين والمعنى
فحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا ريب فيه
او حين عرفت انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل على عبادته واصطبر على مشاقها
ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار
باللام لا بعلى الاستيلاء كما في قوله واصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد
والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته **هل تعلم له سميا** التسمي هو الشريك
في الاسم والظاهر ان يراد به هنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض وما بينهما
والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه وآكده فالجملة تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته
العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى لبيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم واستتباعه لذلك على
الكلية حقا او باطلا وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم
بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالمعنى هل تعلم شيئا يسمى بالاله حقا
الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة ح باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الاشعار
باستحقاق العبادة فتدبر **ويقول الانسان** المراد به اما الجنس بأسره واسناد القول الى الكل لوجود القول
فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم
الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتتها فقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال
اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد **أئذا ما مت لسوف اخرج حيا** اي ابعث من الارض او من حال الموت
وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج
لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام
للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر **اولا
يذكر الانسان** من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان
الانسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شؤون التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور وهو السر في
اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل
عليه يقول اي أيقول ذلك ولا يذكر **انا خلقناه من قبل** اي من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه **ولم
يك شيئا** اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا بل خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية
مع كونه ابعد من الوقوع فاذن يبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر
فماله لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ يتذكر ويذكر على الاصل **فوربك** اقسامه باسمه عزت اسماؤه
مضافا الى ضميره عليه السلام لتحقيق الامر بالاشعار بعليته وتفخيم شانه عليه السلام ورفع منزلته **لنحشرنهم** لنجمعن القائلين
بالسوق الى المحشر بعد ما اخرجناهم من الارض احياء ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه
وآكده كانه امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال **والشياطين** عطف
على الضمير المنصوب او مفعول معه روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل
مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين
بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده **ثم لنحضرنهم حول جهنم
جثيا** ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة

ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد على
ركبتيه واصله جثوو بواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها
وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى
وكسرت الجيم اتباعا لها لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين
ثمة على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب
فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول وان
كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون الى شاطئ جهنم جثاة على ركبهم او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة
ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة شاعت دينا من الاديان **ايهم اشد على الرحمن عتيا** اي من كان منهم
اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان
بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طائفة منهم اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب او
ندخل كلا منهم طبقتها اللائقة به وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب
حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك
قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل
شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم او مستانف والفعل واقع على
كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان
فيتعلق بمحذوف كان سائلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله تعالى **ثم
لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا** اي هم اولى بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد
بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلي كالعتي صيغة واعلالا
وقرئ بضم الصاد **وان منكم** التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير
التفات الى المذكور ويؤيد الاول انه قرئ وان منهم اي ما منكم ايها الانسان **الا واردها** اي واصلها
وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل
الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله
تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها **كان على
ربك حتما مقضيا** اي كان ورودهم ايجابا مقضيا قد اوجبه الله عز وجل على ذاته وقضى انه لا بد من وقوعه البتة وقيل
اقسم عليه **ثم ننجي الذين اتقوا** الكفر والمعاصي بما كانوا عليه من حال الجثو على الركب
الى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجى على البناء للمفعول وقرئ ثمة بفتح الثاء اي
هناك ننجيهم **ونذر الظالمين** بالكفر والمعاصي **فيها جثيا** منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على ان المراد بالورود
الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حولها ويلقى الفجرة فيها على هيئاتهم **واذا
تتلى عليهم** الآية الى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم
اي واذا تتلى على المشركين **آياتنا** التي من جملتها ما تلي من الآيات الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال
الكفرة وقوله تعالى **بينات** اي مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه
وسلم او بينات الاعجاز حال مؤكدة من آياتنا **قال الذين كفروا** اي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه
على انهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له او قالوا للذين كفروا وتمردوا على الكفر وعتوا على العتو
وهم النضر بن الحارث واتباعه الفجرة **للذين آمنوا** اي لاجلهم وفي حقهم كقوله تعالى وقال الذين
كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه

ونحن المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى أي الفريقين أي المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا أينا خير نحن أو أنتم مقاما أي مكانا وقرئ بضم الميم أي موضع إقامة ومنزل وأحسن نديا أي مجلسا ومجتمعا يروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك أن خيريتهم حالا وأحسنيتهم منالا مما لا يقبل الإنكار وأن ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده إذ هو المعيار على الفضل والنقص والرفعة والضعة وأن من ضرورته قصور حظ المؤمنين عليه لهوانهم على الله تعالى وهذا كما ترى قياس عقيم ورأي سقيم لكونهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا أي كثيرا من القرون التي كانوا أفضل منهم فيما يتفاخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود وأضرابهم من الأمم العاتية قبل هؤلاء أهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كأنه قيل فلينتظر هؤلاء أيضا مثل ذلك فكم مفعول أهلكنا ومن قرن بيان لإبهامها وأهل كل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم أحسن أثاثا في حيز النصب على أنه صفة لكم وأثاثا تمييز للنسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما لبس منه ورئيا المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والذبح وقرئ ريا على قلب الهمزة ياء وإدغامها أو على أنه من الري وهو النعمة والترفه وقرئ ريا على حذف الهمزة وزيا بالزاي المعجمة من الزي وهو الجمع فإنه عبارة عن المحاسن المجموعة قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ الدنيوية على المؤمنين ببيان مآل أمر الفريقين إما على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذات الفانية المبتهجين بها على أن من على عمومها وإما على وجه خاص بهم على أنها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن في الضلالة لذمهم والإشعار بعلة الحكم أي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الأمور فليمدد له الرحمن أي يمد له ويمهله بطول العمر وإعطاء المال والتمكين من التصرفات وإخراجه على صيغة الأمر للإيذان بأن ذلك مما ينبغي أن يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما أن المد لا يكون إلا للمصرين عليها إذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن المد من أحكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى حتى إذا رأوا ما يوعدون غاية للمد لا لقول المفتخرين كما قيل إذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار لوقوعه في حيز جواب إذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضميرين الأولين باعتبار لفظها وقوله تعالى إما العذاب وإما الساعة تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل فإنه إما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال على طريقة منع الخلو دون الجمع فإن العذاب الأخروي لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى فسيعلمون جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى أي حتى إذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي أو الأخروي فقط فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا من الفريقين بأن يشاهدوا الأمر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون أنهم شر مكانا لا خير مقاما وأضعف جندا أي فئة وأنصارا لا أحسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد أن له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وإنما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون أن لهم أعوانا من الأعيان وأنصارا من الأخيار ويفتخرون بذلك في الأندية والمحافل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين إثر بيان حال الضالين وقيل عطف

على فليمدد لأنه في معنى الخبر حسبما عرفته كأنه قيل من كان في الضلالة يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله عقب ذلك ببيان أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأنه تعالى أراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى والباقيات الصالحات خير على تقديري الاستيناف والعطف كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل أعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى عند ربك أي الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير عند الله والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام لتشريفه ثوابا أي عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الأليم كما أشير إليه بقوله تعالى وخير مردا أي مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتأكيد لها وفي التفضيل مع أن ما للكفرة بمعزل من أن يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم أفرأيت الذي كفر بآياتنا أي بآياتنا التي من جملتها آيات البعث نزلت في العاص بن وائل كان لخباب بن الأرت عليه مال فاقتضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا أكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فإذا بعثت جئني فيكون لي ثمة مال وولد فأعطيك وفي رواية قال لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث فقال إني إذا مت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأقضيك فنزلت فالهمزة للتعجب من حاله والإيذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين ألم تر وأرأيت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجب بأن الأول يعلق بنفس المتعجب منه فيقال ألم تر إلى الذي صنع كذا بمعنى انظر إليه فتعجب من حاله والثاني يعلق بمثل المتعجب منه فيقال أرأيت مثل الذي صنع كذا بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه أشياء وكأنه ذهل عليه قوله عز وجل أرأيت الذي يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي انظر فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حقها أن يؤمن بها كل من يشاهدها وقال مستهزئا بها مصدرا لكلامه باليمين الفاجرة والله لأوتين في الآخرة مالا وولدا أي انظر إليه فتعجب من حالته البديعة وجرأته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل إن أرأيت بمعنى أخبر والفاء على أصلها والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك الذين قالوا أي الفريقين خير مقاما الآية وأنت خبير بأن المشهور استعمال أرأيت في معنى أخبرني بطريق الاستفهام جاريا على أصله أو مخرجا إلى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الأمر بالإخبار لغيره وقرئ ولدا على أنه جمع ولد كأسد جمع أسد أو على أنه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى أطلع الغيب رد لكلمته الشنعاء وإظهار لبطلانها إثر ما أشير إليه بالتعجب منها أي قد بلغ من عظمة الشأن إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي استأثر به العليم الخبير حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا وأقسم عليه أم اتخذ عند الرحمن عهدا بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية للإشعار بعلية الرحمة لإيتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فإن وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما أن كلامه مع خباب كان كذلك وقوله تعالى كلا ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطائه سنكتب ما يقول أي سنظهر أنا كتبنا قوله كقوله إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة أي تبين أني لم تلدني لئيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه فإن نفس الكتبة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فمبنى الأول تنزيل إظهارها منزلة إحداث الأمر المعدوم بجامع أن كلا منهما إخراج من الكمون إلى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه إظهار الكتابة على رؤوس الأشهاد بإحداثها ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فإن كتبة الجريمة سبب لعقوبتها قطعا ونمد له من العذاب مدا مكان ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد أي نطول له من العذاب

ما يستحقه او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه على الله سبحانه واستهزائه بآياته العظام ولذلك
اكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب ونرثه بموته ما يقول اي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما اوتيه
في الدنيا من المال والولد وفيه ايذان بانه ليس لما يقول مصداق موجود سوى ما ذكر اي ننزع عنه ما آتيناه
ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوي عنه
ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه ويأتينا باء معنى الارث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور
والمعنى انما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه
وانت خبير بان ذلك مبني على ان صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به راج لوقوع
مضمونه ولا ريب في ان ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وانما قال ما قال بطريق الاستهزاء وتعليق ما زعم بما ... واتخذوا
من دون الله آلهة حكاية لجناية عامة للكفرة مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود
واستتباعها النقيض مضمونها اي اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا لهم عزا اي ليتعززوا بهم
بان يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده كلا ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وانكار لوقوع ما علقوا به اطماعهم
الفارغة سيكفرون بعبادتهم اي ستجحد الآلهة عبادتهم لها بان ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا
او سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين
ومعنى قوله تعالى ويكونون عليهم ضدا على الاول تكون الآلهة التي كانوا يرجون ان تكون لهم عزا ضد العز
اي ذلا وهوانا او تكون عونا عليهم وآلة لعذابهم حيث تجعل وقود النار وحصب جهنم او حيث كانت عبادتها
اسبابا لعذابهم واطلاق الضد على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه وينافيه باعانته له عليه وعلى الثاني
يكون الكفرة ضدا واعداء للآلهة كافرين بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد
لوحدة المعنى الذي عليه يدور مضادتهم فانهم بذلك كشيء واحد كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم يد على
من سواهم وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم
عاذل والعتابن وقولي ان اصبت لقد اصابن او على معنى كل هذا الرأي كلا وقرئ كلا على اضمار فعل يفسره
ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون الخ الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تعجيب لرسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة وحكته عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من
القبائح من الاقاويل والافاعيل والتمادي في الغي والانهماك في الضلال والافراط في العناد والتصميم على الكفر
من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على مدافعة الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه
على ان جميع ذلك منهم باضلال الشياطين واغوائهم لا لان له مسوغا ما في الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما
تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من ارسالهم عليهم كما يوهمه تعلق الرؤية به
بل مما ذكر من احوال الكفرة من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى تؤزهم ازا فانه
اما حال مقدرة من الشياطين او استيناف وقع جوابا عما نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا تفعل الشياطين
بهم حينئذ فقيل تؤزهم اي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات فان الاز
والهز والاستفزاز اخوات معناها شدة الازعاج فلا تعجل عليهم اي بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا
عن آخرهم وتطهر الارض من فساداتهم والفاء للاشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة الى النهي كما في
قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة وقوله تعالى انما نعد لهم عدا تعليل لموجب النهي ببيان
اقتراب هلاكهم اي لا تستعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها عدا يوم نحشر المتقين منصوب على
بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة
والدواهي العامة كانه قيل يوم نحشر المتقين اي نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة وفدا

وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم
وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء نفعل بالفريقين من الافعال
ما لا يفي ببيانه نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر لهم
بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر الخ وقيل على الظرفية لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة والذي يقتضيه
مقام التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استينافا مبينا لبعض
ما فيه من الامور الداهية وهو الضمير عائد الى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما وقيل
الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من المبني للفاعل
وعلى الثالث ينبغي ان يكون مصدرا من المبني للمفعول وقوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا على الاول
استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك
العباد ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد له بالتحلي بالايمان والتقوى او من امر بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا
اذا امره به فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الايمان والتقوى المؤدي الى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة
على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اي لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة
من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا في الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى
مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه
وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية جناية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى لقد
جئتم شيئا ادا رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب
المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والاد بالكسر والفتح العظيم
المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي اي فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان
جاء واتى يستعملان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى تكاد السموات الخ صفة لادا او استيناف
لبيان عظم شأنه والهول وقرئ يكاد بالتذكير يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ
ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف وتنشق الارض
اي وتكاد تنشق الارض وتخر الجبال اي تسقط وتتهدم وقوله تعالى هدا مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال
اي تهد هدا او مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير الصدر لانه بمعنى التهدم والخرور كما تقيل وتخر الجبال
هدا او مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية اي مهدودة او مفعول له اي لانها تهد وهذا تقرير لكونه
ادا والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك
الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى
لخرب العالم وبددت قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد
او مجرور باضمارها اي تكاد السموات يتفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام
متعلقة بهدا وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم وقيل خبر مبتدأ محذوف
اي الموجب لذلك ان دعوا الخ وقيل فاعل هدا اي هدها دعاء الولد والاولى هو الاول ودعوا من دعا بمعنى سمى
المتعدي الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعي له ولدا ومن دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى
الى فلان اي انتسب اليه وقوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة
لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اي قالوا اتخذ الرحمن ولدا او ان دعوا للرحمن ولدا والحال انه ما يليق
به تعالى اتخاذ الولد ولا يطلب له لو طلب مثلا لاستحالته في نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة

للكل بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فكيف يتسنى ان يجانس من هو مبدأ النعم كلها مولى
اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه ولدا وقد صرح به في قوله عز قائلا ان كل من في السموات والارض
اي ما منهم احد من الملائكة والثقلين الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية والانقياد
وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم اي حصرهم واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة
علمه وقبضة قدرته وملكوته وعدهم عدا اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شيء عنده بمقدار وكلهم
آتيه يوم القيامة فردا اي كل واحد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة
على اتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع لو قيل يأتيه فاذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فانى يتوهم احتمال
ان يتخذ شيئا منهم ولدا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لما فصلت قبائح احوال الكفرة عقب ذلك
بذكر محاسن احوال المؤمنين سيجعل لهم الرحمن ودا اي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها
سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان الموعود من آثارها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب
الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل عليه السلام ثم ينادي في اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم
ذلك ثم انجزه حين ربا الاسلام او لان الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الاشهاد فينزع ما في صدورهم
من الغل الذي كان في الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيامة من الكرامات السنية لما ان الكفرة
سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتلاعن فانما يسرناه اي القرآن بلسانك بان انزلناه على لغتك والباء بمعنى
على وقيل ضمن التيسير معنى الانزال اي يسرنا القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل امر ينساق اليه النظم الكريم كانه
قيل بعد ايحاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما يسرناه بلسانك العربي المبين لتبشر به المتقين
اي الصائرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر والنهي وتنذر به قوما لدا لا يؤمنون به لجاجا وعنادا واللد
جمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن وعد لرسول الله صلى
الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له على الانذار اي قرنا كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء المعاندين
وقوله تعالى هل تحس منهم من احد استئناف مقرر لمضمون ما قبله اي هل تشعر باحد منهم وترى او تسمع لهم ركزا
اي صوتا خفيا واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى
اهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم صوت خفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى
في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى عز وجل

سورة طه مائة وخمس وثلاثون آيات

طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما
الباقون وهما من الفواتح التي يصدر بها السورة الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند
قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة عك وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا ولعل
اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا وما استشهد به من قول الشاعر ان السفاهة طه في خلائقكم
لا قدس الله اخلاق الملاعين ليس بنص في ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طأ على صيغة
الامر من الوطء فقلبت الهمزة في يطأ الفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال لا هناك المرتع وها ضمير الارض على انه خطاب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه لما كان يقوم في تهجده على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة
ولكن يأباه كتابتهما على صورة الحرف كما تأباه التفسير بيا رجل فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من
خصائص حروف المعجم وقرئ طه اما على ان اصله طأ فقلبت همزته هاء كما في امثال هرقت او قلبت الهمزة في يطأ الفا
كما مر ثم بني منه الامر والحق به هاء السكت واما على انه اكتفى في التلفظ بشطري الاسمين واقيما مقامهما في الدلالة
على المسمين فكأنهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول من قال او اكتفى بشطري الكلمتين وعبر
عنهما باسمهما والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان لاسميهما ليقعا معبرا عنهما بل من حيث انهما جزآن
لهما قد اكتفى بذكرهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يراد بضمير التثنية في الموضعين
الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزآن للاسمين ويراد باسمهما الشطران من حيث هما قائمان مقام
الاسمين فالمعنى اكتفى في التلفظ بشطري الكلمتين اي الاسمين وعبر عنهما اي عن الشطرين من حيث هما مسميان بهما من حيث
هما قائمان مقام الاسمين واما حمله على معنى انه اكتفى في الكتابة بشطري الكلمتين تعبيرا على تقدير كونه امرا او كونه
حرف نداء وهما على تقدير كونها كناية الارض وكونها حرف تنبيه وعبر عن ذينك الشطرين في التلفظ باسميهما فبين
البطلان كيف وطأ وها على ما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول اما امر او حرف نداء والثاني
ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم كما مر فالحق ما سلف من ان الكل
من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب
وكذا ما بعدها من قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فانه استئناف مسوق لتسليته عليه السلام عما كان
يعتريه من جهة المشركين من التعب فان الشقاء شائع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب
بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا
كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم الاية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لم يؤمنوا به بعد
ذلك او لصرفه عما كان عليه من المبالغة في العبادة كما يروى انه عليه السلام كان يقوم بالليل حتى ترم
قدماه فقال له جبريل عليه السلام ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها
المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك شقي حيث تركت دين آبائك وان القرآن انزل عليك لتشقى به فرد ذلك بانا ما انزلنا
[illegible]

الرياضات

ما شانهك بالتوبيخ لتأذي لا زجراً لغيرك فان التأديب في الاول مسبب عن الاشفاق والتأذي في الثاني
سبب لزجر الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة من التنافي ولا يخفى أن يراد به التعب وفي الجملة
الجامع للتذكرة لظهور أن ملابسة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية وانما يتصور ذلك ان لو قيل مكان الا
تكثير الثواب فان الاجر بقدر التعب ولكن حيث انه بدل من محل لتشقى كما في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل
لوجوب المجانسة بين البدلين وقد عرفت حالهما بل من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه
بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن
تذكرة لمن يخشى وتجريد التذكرة عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اي لمن في شأنه أن يخشى الله
تعالى ويتأثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع
عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى تنزيلاً مصدر مؤكد لمضمر مستأنف مقرر لما
قبله اي نزل تنزيلا او لما يفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لان يقال انزلناه للتذكرة والاول هو
الانسب بما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية
اي يخشى تنزيلاً من الله تعالى وانت خبير بان تعليق الخشية والخوف ونظائرهما بمطلق غير معهود نعم
قد يعلق ذلك ببعض اجزائه المشتملة على الوعيد ونظائره كما في قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم
سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على انه مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل
الشيء بنفسه ولا بنوعه بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف في عليك او من القرآن
ولا مساغ له الا بان يكون قيداً لانزلنا بعد تقييده بالقيد الاول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرئ
تنزيل على انه خبر لمبتدأ محذوف ومن في قوله تعالى ممن خلق الارض والسموات العلى متعلقة بتنزيلا
او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة الاضافية ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق الالتفات
الى الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات
بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما
كما ينفصح عنه قوله تعالى ما في السموات وما في الارض الآية لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض
لكونه اقرب الى الحس واظهر عنده ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى لتأكيد الفخامة مع ما فيه
من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شأن المنزل عز وجل المستتبع
لتعظيم المنزل الداعي الى تربية المهابة وادخال الروعة المؤدية الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان
واستمالتهم نحو الخشية المفضية الى التذكر والايمان الرحمن رفع على المدح اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة
البقرة ان المرفوع مدحاً في حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعاً له في الاعراب ولذلك التزموا حذف
المبتدأ ليكون في صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول وما قيل من ان
الاسماء الناقصة لا يوصف منها الا الذي وحده مذهب الكوفيين وايّاً ما كان فوصفه بالرحمانية اثر
وصفه بخالقية السموات والارض للاشعار بان خلقهما من آثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات
والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان تنزيل القرآن ايضاً
من احكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى الرحمن علم القرآن او رفع على الابتداء واللام للعهد والاشارة
الى الموصول والخبر قوله تعالى على العرش استوى وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شأنه ان يكون
معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بيّن لا سترة به صريحاً وعلى متعلقة باستوى
قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدأ محذوف كما في قراءة الجر وقد جوزوا ان
يكون خبراً بعد خبر والاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود

على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وان لم يقعد على السرير اصلا والمراد بيان
تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض
سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما وما بينهما من الموجودات الكائنة في الجو دائماً كالهواء والسحاب
او اكثرياً كالطير اي له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا كل ما ذكر ملكاً وتصرفاً واحياء واماتة
وايجاداً واعداماً وما تحت الثرى اي ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الارض لزيادة
التقرير روي عن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين السبع وعن السدي ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض
السابعة وان تجهر بالقول بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته
لجميع الكائنات اي وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى
اي ما اسررته الى غيرك وشيئاً اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته
لنفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيما سيأتي وتنكيره للمبالغة في الخفاء وهذا اما نهي عن الجهر كقوله تعالى
واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه
سبحانه بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة
عنه وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى الله خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما
ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق اي ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله تعالى
لا اله الا هو تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الالوهية به تعالى فان ما اسند اليه
من خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بيناً وقوله تعالى
له الاسماء الحسنى بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية اسماءه وصفاته من غير
تعدد في ذاته تعالى فانه روي ان المشركين حين سمعوا النبي عليه السلام يقول يا الله يا رحمن قالوا نهانا
ان نعبد الهين وهو يدعو الهاً آخر والحسنى تأنيث الاحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر
والمؤنث كمآرب اخرى وآياتنا الكبرى وهل اتاك حديث موسى استئناف مسوق لتقرير امر التوحيد
الذي اليه انتهى مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء كابراً عن كابر وقد خوطب به موسى عليه السلام
حيث قيل له انني انا الله لا اله الا انا وبه ختم عليه السلام مقالته حيث قال انما الهكم الله الذي لا اله الا هو واما
ما قيل ان ذلك لترغيب النبي عليه السلام في الائتساء بموسى عليه السلام في تحمل اعباء النبوة والصبر على
مقاساة الخطوب في تبليغ احكام الرسالة فيأباه ان مساق النظم الكريم لصرفه عليه السلام عن اقتحام المشاق
وقوله تعالى اذ رأى ناراً ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر اي حين رأى ناراً كان كيت وكيت وقيل مفعول
لمضمر مقدم اي اذكر وقت رؤيته ناراً روي انه عليه السلام استأذن شعيباً في الخروج الى امه واخيه
فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور
ولد له ابن في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا
ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو في ذلك اذ رأى ناراً على يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله
امكثوا اي اقيموا مكانكم امرهم بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد
لا لئلا ينتقلوا الى موضع آخر فانه مما لا يخطر بالبال والخطاب للمرأة والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع
اما لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم اني آنست ناراً اي
ابصرتها ابصاراً لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به والجملة تعليل للامر والمأمور به
لعلي آتيكم منها بقبس اي بشعلة مقتبسة من معظم النار وهي المرادة بالجذوة في سورة
القصص وبالشهاب القبس او اجد على النار هدى هادياً يدلني على الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل للمبالغة

او حذف منه المضاف اي ذا هداية او على انه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهديني الى ابواب
الدين فان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في عامة احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول هو الاظهر لان
مساق النظم الكريم لتسلية اهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة الاية وكلمة
او في الموضعين لمنع الخلو دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى على النار ان اهل النار يستعلون
المكان القريب منها او انهم عند الاصطلاء يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الاتيان بهما متوقعا
غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجي وهي اما علة لفعل مضمر يقتضيه الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتخذ
ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم واما حال من فاعله
اي فاذهب اليها لاتيكم او كي اتيكم او راجيا ان اتيكم منها بقبس الاية وقد مر تحقيق ذلك مفصلا في تفسير قوله تعالى
يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون **فلما اتاها** اي النار التي انسها قال ابن
عباس رضي الله عنهما راى شجرة خضراء اطافت بها من اسفلها الى اعلاها نار بيضاء تتقد كاضوء ما يكون
فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها
قالوا النار اربعة اصناف صنف ياكل ولا يشرب وهي نار الدنيا وصنف يشرب ولا ياكل وهي نار الشجر
الاخضر وصنف ياكل ويشرب وهي نار جهنم وصنف لا ياكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام وقالوا
ايضا هي اربعة انواع نوع له نور واحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار ونوع
له نور بلا احراق وهي نار موسى عليه السلام ونوع له احراق بلا نور وهي نار الجحيم وروي ان الشجرة
كانت عوسجة وقيل كانت سمرة **نودي يا موسى** اي نودي فقيل يا موسى **اني انا ربك** او عومل النداء معاملة
القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اي باني وتكرير الضمير لتاكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة
روي انه لما نودي يا موسى قال عليه السلام من المتكلم فقال الله تعالى اني انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام
شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى باني اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء وذلك لان
سماع ما ليس من شانه ذلك من الاعضاء ليس الا من آثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه السلام كلام
ربه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص
بعضو وجهة **فاخلع نعليك** امر عليه السلام بذلك لان الحفوة ادخل في التواضع وحسن الادب ولذلك
كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادي بقدميه تبركا به وقيل لان نعليه
كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان
ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى **انك بالواد المقدس**
طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل
هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرة بعد اخرى **وانا اخترتك** اي اصطفيتك
للنبوة والرسالة وقرئ انا اخترناك بالفتح والكسر والفاء في قوله تعالى **فاستمع** لترتيب الامر والمامور به
على ما قبلها فان الاختيار من موجبات الاستماع والامر به واللام في قوله تعالى **لما يوحى** متعلقة باستمع
وما موصولة او مصدرية اي فاستمع للذي يوحى اليك او للوحي لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من انه
من باب التنازع واعمال الاول فلا بد من اعادة الضمير مع الثاني بل لان قوله تعالى **انني انا الله لا اله**
الا انا بدل مما يوحى ولا ريب ان اختياره ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى **فاعبدني** لترتيب المامور
به على ما قبلها فان اختصاص الالوهية به تعالى من موجبات تخصيص العبادة به تعالى **واقم الصلوة** خصت الصلوة
بالذكر وافردت بالامر مع اندراجها في الامر بالعبادة لفضلها وانافتها على سائر العبادات بما نيطت به
من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى **لذكري** اي لتذكرني فان ذكري كما ينبغي

لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلوة او لتذكرني فيها لاشتمالها على الاذكار او لذكري خاصة لا تشوبه
بذكر غيري او لاخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا اخر او لتكون ذاكرا لي غير ناس
وقيل لذكري اياها وامري بها في الكتب او لان اذكرك بالمدح والثناء وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة
او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول
واقم الصلوة لذكري وقرئ لذكرى بالف التانيث وللذكرى معرفا وللذكر بالتعريف والتذكير وقوله تعالى
ان الساعة آتية تعليل لوجوب العبادة واقامة الصلوة اي كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان
تحقيقا لحصولها بابرازها في معرض امر محقق متوجه نحو المخاطبين **اكاد اخفيها** اي لا اظهرها بان اقول انها
آتية ولولا ان في الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت او اكاد اظهرها بايقاعها من اخفاه
اذا اظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل اخفاه من الاضداد يجيء بمعنى الاظهار
والستر وقوله تعالى **لتجزى كل نفس بما تسعى** متعلق بآتية وما بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير
وما مصدرية اي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الامور المامور بها وتخصيصه في معرض الغاية لاتيانها مع انه لجزاء
كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر او تقاعدا عنه بالمرة او سعيا في تحصيل ما يضاده للايذان بان المراد
بالذات من اتيانها هو الاثابة بالعبادة واما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المامور به
في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان تسعى في الامتثال بالامر وتجد
في تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصي وعليه مدار الامر في قوله تعالى وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله
لكافة المكلفين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط قد علق بالاخيرين
لما ذكر من ان المقصود الاصلي من ابداع تلك البدايع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان
ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد عن سننه المستبين
بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم بحسب القوة والضعف واما
الاعراض عن ذلك والوقوع فيما يقابله فبمعزل من الوقوع فضلا عن ان ينتظم في سلك الغاية لذلك الصنع
البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له وموضع هذا ويجوز ان يراد بالسعي مطلق
العمل **فلا يصدنك عنها** اي عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الاولى
وان كان النهي بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى **من لا يؤمن بها** لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده
لان في المؤخر نوع طول ربما اخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكافر عن صده
عليه السلام لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الانصداد عنها على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه
المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية من اصلها كما في قوله تعالى
حيث كان صد الكافر سببا لانصداده عليه السلام كان النهي عنه نهيا عن الانصداد بالكلية ويجوز ان يكون من باب
النهي عن المسبب وارادة النهي عن السبب على ان يراد نهيه عليه السلام عن اظهار لين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم
اياه عليه السلام كما في قوله لا ارينك ههنا فان المراد نهي المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته **واتبع هواه**
اي ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية **فتردى** اي فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي عن
اهوالها مستتبع للهلاك لا محالة
اي فانت تردى **وما تلك بيمينك يا موسى** شروع في حكاية ما كلفه عليه السلام من الامور المتعلقة بالخلق اثر
حكاية ما امر به من الشؤون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره او بالعكس

بحسب المعنى وأوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا اي وما تلك قارة او مأخوذة بيمينك والعامل
معنى الاشارة كما في قوله تعالى وهذا بعلي شيخا وما تلك موصولة اي ما التي هي بيمينك واياما كان فالاستفهام ايقاظ
وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه قال هي
عصاي نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عليه السلام
وقرئ عصي على لغة هذيل أتوكأ عليها اي اعتمد عليها عند الاعياء او الوقوف على رأس القطيع وأهش بها
اي بها الورق واسقطه على غنمي وقرئ اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته
وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الانحاء والاقبال اي ازجرها منحيا ومقبلا
ولي فيها مآرب اخرى اي حاجات اخر من هذا الباب مثل ما روي انه عليه السلام كان اذا سار القاها
على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض
الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت لغنمه
السباع قاتل بها قيل ومن جملة المآرب انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا
اراد كسره لواه بالشعبتين وكأنه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء
حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها
الله تعالى وليست من خواصها المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على معنى انها من جنس
العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من سؤال العليم الخبير قال استئناف
مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال تعالى فقيل قال ألقها يا موسى لترى من شأنها ما لم يخطر
ببالك من الامور وتكرير النداء لتأكيد التنبيه فألقاها على الارض فاذا هي حية تسعى روي انه عليه السلام حين القاها
انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى
وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما ينبئ عنه
قوله تعالى فاذا هي ثعبان مبين وانما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى
اما صفة لحية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة قال استئنافا كما سبق خذها ولا تخف عن ابن عباس رضي
انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع كل شيء من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خاف ونفر وملكه ما يملك البشر عند مشاهدة
الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار وفي عطف النهي على الامر اشعار بان عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق
المأمور به وقوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى مع كونه استئنافا مسوقا لتعليل الامتثال بالامر والنهي
فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة اخرى على يده عليه السلام
وايذان بكونها مسخرة له عليه السلام ليكون على طمأنينة من امره ولا يعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون اي
سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العصوية قيل بلغ عليه السلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف
الى حيث كان يدخل يده في فمها ويأخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها
على نزع الجار اي الى سيرتها او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرفية اي سنعيدها في طريقتها
او على تقدير فعلها وايقاعها حالا من المفعول اي سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها اي سيرة
الاولى تنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل واضمم يدك الى جناحك امر عليه السلام بذلك بعدما اخذ الحية وانقلبت
عصا كما كانت اي ادخلها تحت عضدك فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر ناحيتاه مستعار
من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى تخرج جواب الامر
وقوله تعالى بيضاء حال من الضمير فيه وقوله تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء اي كائنة
من غير عيب وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوء عن العورة لما ان الطباع تعافه وتنفر عنه روي انه عليه السلام كان آدم

فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشي البصر آية اخرى اي معجزة اخرى غير العصا وانتصابها
على الحالية اما من الضمير في تخرج على انها بدل من الحال الاولى واما من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار
والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ او دونك وقوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بمضمر ينساق
اليه النظم الكريم كأنه قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على ان الكبرى صفة لآياتنا
او نريك بذلك من آياتنا ما هي كبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك
المفعول واياما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما تعلقه بما دل عليه آية اي دللنا بها
لنريك الخ او بقوله تعالى واضمم او بقوله تخرج او بما قدر من خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فيؤدي الى عراء آية
العصا عن وصف الكبر قطعا اذهب الى فرعون تخلص الى ما هو المقصد من تمهيد المقدمات السالفة فصل
عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته اي اذهب اليه بما رأيته من الآيات الكبرى وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقوله
تعالى انه طغى تعليل للامر او لوجوب المأمور به اي جاوز الحد في الكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التي هي
دعوى الربوبية قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حين امر بهذا الامر الخطير
والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه تعالى رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امر عليه السلام بما امر به من الخطب
الجليل تضرع الى ربه تعالى واظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وسأله تعالى ان يوسع صدره
ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤون الحق واحوال الخلق حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره
بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجأش رابط وان يسهل عليه مع ذلك امره الذي هو اجل
الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام
بدونها تأكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا وفي تقديمها وتكريرها اظهار
مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به واحلل عقدة
من لساني روي انه كان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه في صغره وذلك ان فرعون حمله ذات يوم
فاخذ لحيته ونتفها لما كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر
والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها في فيه [illegible]
[illegible] قال الى اي رب تدعوني [illegible] واختلف في زوال العقدة
[illegible]
[illegible]
[illegible] يفقهوا قولي جواب الامر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] واجعل لي وزيرا من اهلي
هرون اخي [illegible]
[illegible]
[illegible]

اعتناء بشأن الوزارة ولي صلة للجعل او متعلق بمحذوف هو حال من وزيرا اذ هو صفة له في الاصل ومن اهلي اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل وقيل مفعولاه لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير ومن اهلي كما مر محتمل للوجهين والاخير في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان آخر وقيل هما وزيرا من اهلي ولي تبيين كما في قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد بان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزيرا مبتدأ والخبر عنه بما بعده **اشدد به ازري واشركه في امري** كلاهما على صيغة الدعاء اي احكم به قوتي واجعله شريكي في امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغي وفصل الاول عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك في الامر فحيث كان من احكام الوزارة توسط بينهما العاطف **كي نسبحك كثيرا ونذكرك** غاية للادعية الثلاثة الاخيرة فان فعل كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الآخر ومضاعفا له بسبب انضمامه اليه مكثر له في نفسه ايضا بسبب تقويته وتاييده اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب او في الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل ما يكون منهما في تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب في اختلاف حاله في حالتي التعدد والانفراد فان كل منهما يصدر عنه بتاييد الآخر من اظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه مثله حال الانفراد **كثيرا** في الموضعين نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف اي ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والافعال التي من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته الباغية من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون واوان المحاجة معه واما ما قيل من ان المعنى كي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك فلا يساعده المقام **انك كنت بنا بصيرا** اي عالما باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان هرون نعم الردء في اداء ما امرته والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل **قال قد اوتيت سؤلك** اي اعطيت مسؤولك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول والايتاء عبارة عن ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام البتة وتقديره اياها حتما فكلها حاصلة له عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل مترتبا بعد بتيسير الامر وشد الازر وباعتباره قيل سنشد عضدك باخيك وقوله تعالى **يا موسى** تشريف له عليه السلام بشرف الخطاب اثر تشريفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى **ولقد مننا عليك** كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب فلأن ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك اي وبالله لقد انعمنا **مرة اخرى** اي في وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك مؤخر من هذا فان اخرى تانيث آخر بمعنى غير والمرة في الاصل اسم للمرور الواحد ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت او لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من افراد ماله افراد متجددة فصار علما في ذلك حتى جعل معيارا لما في معناه من سائر الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها هنا الممتد الذي وقع فيه ما سيأتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى **اذ اوحينا الى امك ما يوحى** ظرف لمننا والمراد بالايحاء اما الايحاء على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين الآية واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم واما الالهام كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واما الاراءة في المنام والمراد بما يوحى ما سيأتي من الامر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشانه ثم فسر ليكون اقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا بالوحي وفيه انه لا يلائم المعنيين الاخيرين للوحي اذ لا يتعين لشانهما ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام او بالاراءة في المنام وان في قوله تعالى **ان اقذفيه في التابوت** مفسرة لان الوحي من باب القول او مصدرية حذف عنها الباء ومعنى القذف هنا الوضع واما في قوله تعالى

الوقت

فاقذفيه في اليم فبالالقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم لا القذف بلا تابوت **فليلقه اليم بالساحل** لما كان القاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والضمائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وان كان هو التابوت اصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له في ذلك **ياخذه عدو لي وعدو له** جواب للامر بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالامر والاشعار بان عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي الى المحبة فان الامر بما هو سبب الهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بان هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صوري وقيل الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه الى نهر فرعون لما روي انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاتى به الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى **والقيت عليك محبة مني** كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك احبك عدو الله وآله وقيل هي متعلقة بالقيت اي احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب لا محالة وقوله تعالى **ولتصنع على عيني** متعلق بالقيت معطوف على علة مضمرة اي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتي وحفظي او بفعل مؤخر هو عبارة عما قبله من القاء المحبة والجملة مبتداء اي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الامر بسكون اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري **اذ تمشي اختك** ظرف لتصنع على ان المراد به وقت وقع فيه مشيها الى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع الى امها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى ولتصنع على عيني اذ لا شفقة اعظم من شفقة الام وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اذ اوحينا على ان المراد به زمان متسع متباعد الاطراف وهو الانسب بما سيأتي من قوله تعالى فنجيناك من الغم الخ فان جميع ذلك من المنن الالهية ولا تعلق لشئ منها بالصنع المذكور واما كونه ظرفا لالقيت كما جوز فربما يوهم ان القاء المحبة يحصل قبل ذلك ولا ريب في ان معظم آثار القائها ظهر عند فتح التابوت **فتقول** اي لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له عليه السلام مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية **هل ادلكم على من يكفله** اي يضمه الى نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبوله ثديها روي انه فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا غلاما في النيل لا يرتضع ثدي امرأة واضطروا الى تتبع النساء فخرجت اخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بامه فقبل ثديها فالفاء في قوله تعالى **فرجعناك الى امك** فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها اي فقالوا دلينا عليها فجاءت بامك فرجعناك اليها **كي تقر عينها** بلقائك **ولا تحزن** اي لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك والا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فان التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن انت بفقد اشفاقها **وقتلت نفسا** هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه **فنجيناك من الغم** اي غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء منه بالمهاجرة الى مدين **وفتناك فتونا** اي ابتليناك ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز في حجزة وبدور في بدرة اي خلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا وفقد الزاد وقد روي ان سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس

فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في اليم
وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة عند كل واحدة
فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم الكريم ان لا تعد اجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة
ان المراد بها ما وقع قبل وصوله عم الى مدين بقضية الفاء في قوله تعالى فلبثت سنين في اهل مدين
اذ لا ريب في ان الاجارة المذكورة وما بعدها تماما وقع بعد الوصول اليهم وقد اشير بذكر لبثه عم فيهم دون
وصوله عم اليهم الى جميع ما قاساه عم في تضاعيف مدة السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحد
منها فتنة واي فتنة ومدين بلدة شعيب عم على ثماني مراحل من مصر ثم جئت اي الى المكان الذي ونس فيه
النار ووقع فيه النداء والجوار وفي كلمة التراخي ايذان بان مجيئه عم كان بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق
وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك على قدر اي تقدير قدرته لان اكلمك واستنبئك في وقت قد
عينته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه
الى الانبياء وهو راس اربعين سنة وقوله تعالى يا موسى تشريف له عم وتنبيه على انتهاء الحكاية التي
هي تفصيل المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية اولا وقوله تعالى واصطنعتك لنفسي تذكير لقوله وانا
اخترتك وتمهيد لارساله عم الى فرعون مؤيدا باخيه حسبما استدعاه بعد تذكير المنن السابقة
تأكيدا لوثوقه عم بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله تعالى من الكرامة العظمى بتقريب الملك
بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض اموره الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة
في قوله تعالى وفتناك ونظيريه السابقين تمهيدا لافراد لفظ النفس اللائق بالمقام فانه ادخل في تحقيق
معنى الاصطناع والاستخلاص اي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي وقوله تعالى اذهب انت واخوك اي
وليذهب اخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع بآياتي اي بمعجزاتي التي
اريتكما من اليد والعصا فانهما وان كانتا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات
مقام ابراهيم فان انقلاب العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا لا يقادر قدره آية اخرى وسرعة حركته مع عظم
جرمه آية اخرى وكونه مع ذلك مسخرا له عم بحيث يدخل يده في فمه فلا يضره آية اخرى ثم انقلابها عصا
آية اخرى وكذلك اليد فان بياضها في نفسه آية وشعاعها آية ثم رجوعها الى حالتها الاولى آية اخرى والباء
للمصاحبة لا للتعدية اذ المراد ذهابهما الى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في اجراء احكام الرسالة
واكمال امر الدعوة لا مجرد اذهابها وايصالها اليه ولا تنيا لا تفترا ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للاتباع
في ذكري اي بما يليق بي من الصفات الجليلة والافعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء الي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ
رسالتي فان الذكر يقع على جميع العبادات وهو اجلها واعظمها وقيل لا تنسياني حيث تقلبتما واستمدا به العون
والتأييد واعلما ان امرا من الامور لا يتأتى ولا يتسنى الا بذكري اذهبا الى فرعون جمعهما في صيغة امر الحاضر
مع غيبة هرون اذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي انه اوحي الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى عم
وقيل سمع باقباله فتلقاه انه طغى تعليل لموجب الامر والفاء في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لترتيب ما بعدها
على طغيانه فان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رض لا تعنفا
في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانها دعوة في صورة عرض ومشورة وقيل ما
سيجيء من قوله تعالى فقولا انا رسولا ربك الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو
مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح وملكا لا ينزع الا بالموت وقرئ لينا
لعله يتذكر بما بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه او يخشى عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير
التثنية اي فقولا له قولا لينا راجيين ان يتذكر او يخشى وكلمة او لمنع الخلو اي باشرا الامر مباشرة من يرجو

ويطمع ان يتم عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه العلم
بما له الزام الحجة وقطع المعذرة قالا ربنا اسند القول اليهما مع ان القائل حقيقة هو موسى عم بطريق
التغليب ايذانا باصالته في كل قول وفعل وتبعية هرون عم له في كل ما ياتي ويذر ويجوز ان يكون هرون
قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قول موسى عم عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكي لنا بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق الانفراد
ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب انا نخاف ان يفرط علينا اي يعجل علينا بالعقوبة
ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ
يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من الاستكبار او الخوف على الملك او غيرهما على
المعاجلة بالعقاب او ان يطغى اي يزداد طغيانا الى ان يقول في شانك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته
واطلاقه من حسن الادب واظهار كلمة ان مع سداد المعنى بدونه لاظهار كمال الاعتناء بالامر والاشعار
بتحقق الخوف من كل منهما قال استئناف مبني على السؤال الناشئ من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الى ضمير الغيبة
للاشعار بانتقال الكلام من مساق الى مساق آخر فان ما قبله من الافعال الواردة على صيغة التكلم حكاية
لموسى عم بخلاف ما سياتي من قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى فان ما قبله ايضا وارد بطريق الحكاية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما اليه فقيل قال لا تخافا مما
توهمتما من الامرين وقوله تعالى انني معكما تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ
والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى اسمع وارى اي ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق
بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سميعا بصيرا والحافظ
الناصر اذا كان كذلك فقد تم الحفظ وبلغت النصرة غايتها فاتياه امر باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه
بعدما امرا بالذهاب اليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده فقولا انا رسولا ربك
امر بذلك تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شانهما ويبنيا جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى
له والفاء في قوله تعالى فارسل معنا بني اسرائيل لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه
مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم من الاسر واخراجهم من تحت يده العادية
ان يذهبوا معهما الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى ولا تعذبهم اي بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب
فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرهما من الاعمال
الشاقة ويقتلون ذكور اولادهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما
وبين ذكر المجيء بالآية لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما
من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة
ولان في بيان مجيء الآية نوع طول كما ترى فتاخير ذلك عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل
من ان ذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا قد جئناك باية من ربك
تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالآية من جهته تعالى
مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى
ضمير المخاطب لتاكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى
ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى اولو جئتك بشيء مبين واما قوله
تعالى فات بآية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها آية من الآيات والسلام المستتبع للسلامة
الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين على من اتبع الهدى بتصديق آيات الله تعالى الهادية

الى الحق وفيه من ترغيبه في اتباعهما على ألطف وجه ما لا يخفى إنا قد أوحي إلينا من جهة ربنا أن العذاب
الدنيوي والأخروي على من كذب أي بآياته تعالى وتولى أي أعرض عن قبولها وفيه من التلطف في الوعيد حيث
لم يصرح بحلول العذاب بهما ما لا مزيد عليه قال أي فرعون بعدما أتياه وبلغاه ما أمرا به وإنما طوي ذكر ذلك
للإيجاز والإشعار بأنهما كما أمرا بذلك سارعا إلى الامتثال به من غير تلعثم وبأن ذلك من الظهور بحيث
لا حاجة إلى التصريح به فمن ربكما يا موسى لم يضف الرب إلى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى إنا رسولا
ربك وقوله تعالى قد جئناك بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل أضافه إليهما لما أن المرسل لا بد
أن يكون ربا للرسول أو لأنهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بأن قالا إنا رسول رب العالمين كما وقع
في سورة الشعراء والاقتصار ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب
السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربهما أي إذا كنتما رسولي ربكما فأخبرا من ربكما الذي أرسلكما وتخصيص
النداء بموسى عليه السلام مع توجيه الخطاب إليهما لما أنه الأصل في الرسالة وهرون وزيره وأما ما قيل من أن ذلك
لأنه قد عرف أن له عليه السلام رتة فأراد أن يفحمه فيرده ما شاهده منه عليه السلام من حسن البيان القاطع لتلك الطمع الفارغ
وأما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعارة كما مر قال أي موسى عليه السلام مجيبا له ربنا إما مبتدأ وقوله
تعالى الذي أعطى كل شيء خلقه خبره أو هو خبر لمبتدأ محذوف والموصول صفته وأيا ما كان فلم يريدا بضمير المتكلم
أنفسهما فقط حسبما أراده اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما في حيز الصلة
أي هو ربنا الذي أعطى كل شيء من الأشياء خلقه أي صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع أو أعطى
مخلوقاته كل شيء تحتاج هي إليه وترتفق به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به أو أعطى كل حيوان نظيره
في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف
جنسه وقرئ خلقه على صيغة الماضي على أن الجملة صفة المضاف أو المضاف إليه وحذف المفعول الثاني إما
للاقتصار على الأول أي كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وإنعامه أو للاختصار مع كونه منويا مدلولا
عليه بقرينة الحال أي أعطى كل شيء خلقه تعالى ما يحتاج إليه ثم هدى أي إلى طريق الانتفاع والارتفاق بما أعطاه
وعرفه كيف يتوصل إلى بقائه وكماله إما اختيارا كما في الحيوانات أو طبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية
والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الأجزاء وتسوية الأجسام متقدما على الهداية التي هي
عبارة عن إبداع القوى المحركة والمدركة في تلك الأجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه السلام جوابه
على نمط رائق وأسلوب لائق حيث بين أنه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الأشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها
بطريق التفضيل وضمنه أن إرساله تعالى إياه إلى الطاغية من جملة هداياته تعالى إياه بعد أن هداه إلى الحق
بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والآلات الظاهرة والباطنة قال فما بال
القرون الأولى لما شاهد اللعين ما نظمه عليه السلام في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف
أن تظهر للناس حقية مقالاته عليه السلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا أراد أن يصرفه عليه السلام عن سننه
إلى ما لا يعنيه من الأمور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع
غفلة فيتسلق بذلك إلى أن يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والأمم
الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فأجاب عليه السلام بأن العلم بأحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب
الرسالة وإنما علمها عند الله عز وجل وأما ما قيل من أنه سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء
من شقي منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى قال علمها عند ربي فإن معناه أنه من الغيوب التي
لا يعلمها إلا الله تعالى وإنما أنا عبد لا أعلم منها إلا ما علمنيه من الأمور المتعلقة بما أرسلت به ولو كان المسؤول
عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة لأجيب ببيان أن من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما

نطق به قوله تعالى والسلام الآيتين في كتاب أي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز أن يكون ذلك
تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى لا يضل
ربي ولا ينسى أي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت أبدا فإنهما محالان عليه سبحانه
وهو على الأول لبيان أن إثباته في اللوح ليس لحاجته تعالى إليه في العلم به ابتداء أو بقاء وإظهار ربي في موقع
الإضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والإشعار بعلة الحكم فإن الربوبية مما يقتضي عدم الضلال والنسيان
حتما ولقد أجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجابها مع أنه لم يخرج
عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص الى البحث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما ستسمع من الالتفات
الذي جعل لكم الأرض مهدا على أن الموصول إما مرفوع على المدح أو منصوب عليه أو خبر مبتدأ محذوف
أي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها أو ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد
كالفراش أو جمع مهد أي جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم وسلك لكم فيها سبلا أي حصل لكم طرقا
ووسطها بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من قطر إلى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها
وأنزل من السماء ماء هو المطر فأخرجنا به أي بذلك الماء وهو عطف على أنزل داخل تحت الحكاية وإنما التفت
إلى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والإيذان بأنه لا يتأتى إلا من قادر مطاع عظيم
الشأن تنقاد لأمره وتذعن لمشيئته الأشياء المختلفة كما في قوله عز وجل ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات
مختلفا ألوانها وقوله تعالى أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة
خلا أن ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى وأما ههنا فحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فأخرجنا به هو المحكي مع كون
ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر مع أنه يفوت حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم أزواجا أصنافا سميت بذلك
لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان أو صفة لأزواجا أي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى
شتى أي متفرقة جمع شتيت ويجوز أن يكون صفة لنبات لما أنه في الأصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني
أنها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها
للبهائم فإن من تمام نعمته تعالى أن أرزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الأنعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم
ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى كلوا وارعوا أنعامكم حال من ضمير فأخرجنا على إرادة القول أي أخرجنا
منها أصناف النبات قائلين كلوا وارعوا أنعامكم أي معديها لانتفاعكم بالذات وبالواسطة آذنين في ذلك
إن في ذلك إشارة إلى ما ذكر من شؤونه تعالى وأفعاله وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبته وبعد منزلته
في الكمال والتنكير في قوله تعالى لآيات للتفخيم كما وكيفا أي لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى
في ذاته وصفاته وأفعاله وعلى نبوة موسى وهرون عليهما السلام لأولي النهى جمع نهية سمي بها العقل لنهيه عن اتباع
الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك أي لذوي العقول الناهية عن الأباطيل التي من جملتها
ما يدعيه الطاغية وتقبله منه الفئة الباغية وتخصيص كونها آيات بهم مع أنها آيات للعالمين باعتبار
أنهم المنتفعون بها منها خلقناكم أي في ضمن خلق أبيكم آدم عليه السلام منها فإن كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام
إذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه السلام بل كانت أنموذجا منطويا على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء
إجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا أبدانكم من النطفة
المتولدة من الأغذية المتولدة من الأرض بوسائط وقيل إن الملك الموكل بالرحم يأخذ من تربة المكان الذي يدفن
فيه المولود فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة وفيها نعيدكم بالإماتة وتفريق الأجزاء وإيثار كلمة
في على كلمة إلى للدلالة على الاستقرار المديد فيها ومنها نخرجكم تارة أخرى بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب
على الهيئة السابقة ورد الأرواح إليها وكون هذا الإخراج تارة أخرى باعتبار أن خلقهم من الأرض إخراج لهم

وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة في الاصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على كل فعل واحد من
الفعلات المتجددة كما مر في المرة ولقد اريناه حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عم وبين فرعون اثر حكاية ما
ذكره عم بجلائل نعمائه الداعية له الى قبول الحق والانقياد له وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها
واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا الى موسى نظرا الى الظاهر لتهويل امر الآيات وتفخيم شانها
واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه في المكابرة والعناد اي وبالله لقد بصرنا فرعون او عرفناه آياتنا حين قال لموسى
ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
وصيغة الجمع مع كونهما اثنين باعتبار ما في تضاعيفهما من بدايع الامور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما
بين في تفسير قوله تعالى اذهب انت واخوك باياتي وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحد منها داهية دهياء
فانه روي انه عم لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض
والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا
من قومه فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا وروي انها انقلبت حية
ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك
الخ ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس
يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره ففي تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة صراحة اكد
بقوله تعالى كلها كانه قيل اريناه آياتنا بجميع مستتبعاتهما وتفاصيلهما قصدا الى بيان انه لم يبق له في ذلك عذر
ولا مساغ لعد بقية الآيات التسع منها لما انها انما ظهرت على يده عم بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين
سنة كما مر في تفسير سورة الاعراف ولا ريب في ان امر السحرة مترقب بعد وابعد من ذلك ان يعد منها ما جعل لاهلاكهم
لا لارشادهم الى الايمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه من الآيات الظاهرة لبني اسرائيل من نتق الجبل والحجر الذي
الحجر الذي تفجر بشربه او الذي انفجرت منه العيون وكذا ان يعد منها الآيات الظاهرة على الانبياء عم بناء على ان حكايته
اياها لفرعون في حكم اظهارها بين يديه لاستلزامه اياها لاستحالة الكذب عليه عم فان حكايته عم اياها لفرعون
مما لم يجر ذكرها على ان ما سيأتي من حمل ما اظهره عم على السحر والتصدي للمعارضة بالمثل ياباه اباء بينا وينطق بان
المراد بها ما ذكرنا قطعا ولولا ذلك لجاز حمل ما فصله عم من افعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية
واحكامها من جملة الآيات فكذب موسى عم من غير تردد وتأخير مع ما شاهد في يده من الشواهد الناطقة بصدقه
جحودا وعنادا وابى الايمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالآيات جميعا وابى ان يقبل شيئا منها او ابى
قبول الحق وقوله تعالى قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى استئناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة
لانكار الواقع واستقباحه وادعاء انه امر محال والمجيء اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدي له
اي اجئتنا من مكانك الذي كنت فيه بعد ما غبت عنا او اقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته من السحر
فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال وانما قاله لحمل قومه على غاية المقت لموسى عم
بابراز ان مراده عم ليس مجرد انجاء بني اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم
بالكلية حتى لا يتوجه الى اتباعه احد ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة وسمى ما اظهره عم من المعجزة الباهرة
سحرا لتجسيرهم على المقابلة ثم ادعى انه يعارضه بمثل ما اتى به عم فقال فلنأتينك بسحر مثله الفاء لترتيب ما
بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك
موعدا اي وعدا كما ينبئ عنه وصفه بقوله تعالى لا نخلفه فانه المناسب لا المكان والزمان اي لا نخلف ذلك الوعد
نحن ولا انت وانما فوض اللعين امر الوعد الى موسى عم للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب وضيق المجال واظهار الجلادة
واراءة انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال الامد ام قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير موسى عم

وتوسيط كلمة النفي بينهما للايذان بمسارعته الى عدم اخلافه وان عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عم ولذلك اكد النفي
بتكرير حرف النفي وانتصاب مكانا سوى بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف وبانه بدل من موعدا على تقدير
مكان مضاف اليه فحينئذ يكون مطابقة الجواب في قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم
الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول
او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي
مسافة الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرئ بكسر السين قيل يوم الزينة يوم عاشوراء
او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما خصه عم بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره
وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهود
على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد وان يحشر الناس ضحى عطف على يوم او الزينة وقرئ
على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك واليوم فتولى فرعون
اي انصرف عن المجلس فجمع كيده اي ما يكاد به من السحرة وادواتهم ثم اتى اي الموعد ومعه ما جمعه من كيده
وفي كلمة التراخي ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد لأي وتلعثم وقوله تعالى قال لهم موسى بطريق الاستئناف
المبني على السؤال الذي يقتضيه ان المترقب من احواله عم والمحتاج الى السؤال والبيان ليس الا ما صدر عنه عم من الكلام
واما اتيانه فامر محقق غني عن التصريح به كانه قيل فماذا صنع موسى عم عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة
فقيل قال لهم بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته التي ستظهر على يدي سحرا كما
فعل فرعون فيسحتكم اي يستأصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره وقرئ فيسحتكم من الثلاثي على لغة
اهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم ونجد وقد خاب من افترى اي على الله كائنا من كان باي وجه كان فيدخل فيه
الافتراء المنهي عنه دخولا اوليا او وقد خاب فرعون المفتري فلا تكونوا مثله في الخيبة والجملة اعتراض مقرر
لمضمون ما قبلها فتنازعوا اي السحرة حين سمعوا كلامه عم كان ذلك غاظهم فتنازعوا امرهم الذي اريد منهم من
مغالبته عم وتشاوروا وتناظروا بينهم في كيفية المعارضة وتجاذبوا اهداب القول في ذلك واسروا النجوى
اي من موسى عم لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى قالوا اي بطريق التناجي والاسرار
ان هذان لساحران الخ فانه تفسير له ونتيجة لتنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر
والتشاور وان مخففة من ان قد اهملت عن العمل واللام هي الفارقة [illegible] وقيل هي نافية واللام بمعنى
الا اي ما هذان الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث بن كعب فانهم [illegible] التثنية
تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر
وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدأ [illegible]
[illegible] يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما
[illegible] ويذهبا بطريقتكم المثلى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم [illegible]

فأجمعوا كيدكم تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من كونهما
ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب فازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه
واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات
سحركم ورتبوها كما ينبغي ثم ائتوا صفا اي مصطفين امروا بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب
الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين
وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقي من بني اسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم
وثلثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلثين الفا والله تعالى اعلم ولعل الموعد كان
مكانا متسعا خاطبهم موسى عم بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر آخر منه ثم امروا بان ياتوا وسطه
على الوجه المذكور وقد فسر المصنف بالمصلى لاجتماع الناس فيه في الاعياد والصلوات ووجه صحته ان يكون
علما لموضع معين من المكان الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله تعالى وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض
تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله من الامرين اي قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون
من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين وعن غلب انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون او من غلب منهم حثا لهم على بذل المجهود في المغالبة هذا هو اللائق بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل
كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى عم ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك ان قالوا ان غلبنا اتبعناه
وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا فنغلبه وان كان من السماء فله امر فيكون اسرارهم من فرعون وملائه
ويحمل قولهم ان هذان لساحران الخ على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد
التنازع والتشاور واستقر رايهم على ذلك وابوا الا المناصبة للمعارضة واما جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه
على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وامروهم بالاجماع والازماع واظهار الجلادة بالاتيان على
وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم قالوا استيناف مبني على السؤال الناشئ
من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا يا موسى
وانما لم يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهورهما اما ان تلقي اي ما تلقيه اولا
على ان المفعول محذوف لظهوره او تفعل الالقاء اولا على ان الفعل منزل منزلة اللازم واما ان نكون اول من
القى ما يلقيه او اول من يفعل الالقاء خيروه عم بما ذكر مراعاة للادب لانه عم مرادا ومن مخائل الخير ورشاد
الراي واظهار الجلادة بارائه انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير وان مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر او مرفوع
بخبرية مبتدا محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر اما القاؤك او القاؤنا قال استيناف كما سلف ناشئ
من حكاية تخيير السحرة اياه عم كانه قيل فماذا قال عليه السلام فقيل قال بل القوا انتم اولا مقابلة للادب بحسن ادبهم
حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم المبالاة بسحرهم ومسارعة لما اوهموا من الميل الى البدء وليبرزوا ما معهم
ويستفرغوا اقصى جهدهم ويستنفدوا قصارى وسعهم ثم يظهر الله تعالى سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه للاعلام بان ما
سيظهرونه سيلقف ما يصنعون من مكايد السحر فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى الفاء فصيحة
معربة عن مسارعتهم الى الالقاء كما في قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فالقوا فاذا حبالهم الخ وهي للمفاجاة والتحقيق
انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بكون متعلقها فعل المفاجاة والجملة
ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى عم وقت ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها
بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال و
العصي وابدال انها تسعى منه بدل اشتمال وقرئ نخيل باسناده اليه تعالى وقيل تخيل بحذف احدى التائين من تتخيل
فاوجس في نفسه خيفة موسى اي اضمر فيها بعض خوف من مفاجاته بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات

وللاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذاك كما ستعرف
وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل قلنا لا تخف اي ما توهمت انك انت الاعلى تعليل لما يوجبه النهي
من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه وآكده كما يعرب عنه الاستيناف وحرف التحقيق وتكرير
الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك اي عصاك
كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما لشانها وايذانا بانها ليست من جنس
المعهودة المستتبعة للآثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر افراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة
لآثار غريبة وعدم اعادة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع آخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي
وحمل الابهام على التحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي بيدك فانه بقدرة الله تعالى
يلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر تين على ان ذلك المعنى انما يليق بما لو فعلت
وهي على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا للامر من لقفه
اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتانيث لكون ما عبارة عن العصا اي تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي
التي خيل اليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف بتشديد
القاف واسقاط احدى التائين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال او الاستيناف والجملة الامرية
معطوفة على النهي متممة بما في حيزها لتعليل موجبه ببيان كيفية غلبته عم وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم
التي منها اوجس في نفسه ما اوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في ان خوفه عم لم يكن مما ذكر
من مخالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له عم والا لعلل بما يزيله من الوعد بما يوجب ايمانهم واتباعهم
له عم وقوله تعالى انما صنعوا الخ تعليل لقوله تعالى تلقف ما صنعوا وما اما موصولة او موصوفة اي
ان الذي صنعوه او ان شيئا صنعوه كيد ساحر بالرفع على انه خبر لان اي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل
به الى تنكير ما اضيف اليه للتحقير وقرئ بالنصب على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة
للبيان كما في علم فقه او على معنى ذي سحر او على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر اي
هذا الجنس حيث اتى اي حيث كان واين اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لبيان العصا وكونها معجزة الهية
مع ما ذكر من تقوية التعليل للايذان بظهور امرها والقي السحرة سجدا الفاء فصيحة
معربة عن محذوف ينساق اليه النظم الكريم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
منازلهم [illegible] قالوا آمنا برب هارون وموسى
عند حكاية كلامهم [illegible]
[illegible]
عليه السلام [illegible]
[illegible] قال آمنتم له
[illegible] قبل ان آذن لكم
[illegible] انه لكبيركم

في فنكم وأعلمكم به وأستاذكم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم أو فعلكم شيئاً دون شيء فلذلك غلبكم ومنه
جهة زورها اللعين وألقاها على قومه وأظهر أن أمر الإيمان منوط بإذنه فلما كان إيمانهم بغير إذنه منه لم يكن معتداً
به وأنهم من تلامذته عليهم فلا عبرة بما أظهروه كما لا عبرة بما أظهروه وقصد بذلك ما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة
في الإيمان بالله تعالى ثم أقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال فلأقطعن أي فوالله لأقطعن أيديكم وأرجلكم
من خلاف أي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتدأ من مخالفة العضو للعضو فإن المبتدي
من المعروض مبتدئ منه لعارض أيضاً وهي مجرورة في حيز النصب على الحالية أي لأقطعنها مختلفات وتعيين
تلك الحال للإيذان بتحقق الأمر وإيقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب السياسة لا لأنها أفظع من غيرها
ولأصلبنكم في جذوع النخل أي عليها وإيثار كلمة في للدلالة على إبقائهم عليها زماناً مديداً تشبيهاً لاستقرارهم
عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه كما لو هو أول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير
وقرئتا بالتخفيف ولتعلمن أينا يريد به نفسه وموسى عليه السلام لقوله تعالى آمنتم له قبل أن آذن لكم واللام مع الإيمان
في كتاب الله تعالى لغير الله تعالى وهذا إنما القصد توضيع موسى عليه السلام والهزء به لأنه لم يكن من التعذيب في شيء وإنما
لإراءة أن إيمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف من قبل موسى عليه السلام حيث رأوا
ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على أنفسهم أيضاً وقيل يريد به رب موسى عليه السلام الذي آمنوا به بقولهم آمنا
برب هارون وموسى أشد عذاباً وأبقى أي أدوم قالوا غير مكترثين بوعيده لن نؤثرك لن نختارك بالإيمان والاتباع
على ما جاءنا من الله تعالى على يد موسى عليه السلام من البينات من المعجزات الظاهرة فإن ما ظهر بيده عليه السلام من العصا كان
مشتملاً على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فإنهم كانوا عارفين بجلائلها ودقائقها والذي فطرنا أي خلقنا
وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتأخيره لأن ما في ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية
ظاهرة وإيراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للإشعار بعلة الحكم فإن خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من جملة
مخلوقاته مما يوجب إيثارهم له عليه سبحانه وتعالى وفيه جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل أن آذن لكم
وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه أي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك الخ ولا مساغ لكون المذكور
جواباً له عند من يجوز تقديم الجواب أيضاً لما أن القسم لا يجاب بلن إلا على شذوذ وقوله تعالى فاقض ما أنت
قاض جواب عن تهديده بقوله لأقطعن الخ أي فاصنع ما أنت صانعه أو فاحكم ما أنت حاكم به وقوله تعالى
إنما تقضي هذه الحياة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق من الأمر بالقضاء أي إنما تصنع ما
تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الحياة الدنيا فحسب وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها إنا آمنا بربنا ليغفر
لنا خطايانا التي اقترفناها من المعاصي والكفر ولا يؤاخذنا بها في الدار الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحياة الفانية
حتى نتأثر بما أوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى وما أكرهتنا عليه من السحر عطف على خطايانا أي
ليغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى عليه السلام بإكراهك وحشرك إيانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع
اندراجه في خطايانا إظهاراً لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الإكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب
المغفرة وقيل أرادوا الإكراه على تعلم السحر حيث روي أن رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط
والباقي من بني إسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وقيل إنه أكرههم على المعارضة حيث روي أنهم قالوا لفرعون
أرنا موسى نائماً ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر فإن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه
ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين و
قولهم بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون والله خير أي في حد ذاته وهو ناظر إلى والذي فطرنا وأبقى أي جزاء ثواباً
كان أو عذاباً أو خيراً ثواباً وأبقى عذاباً وقوله تعالى إنه أي الأمر والشأن تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيراً
وأبقى جزاء وتحقيق له وإبطال لما ادعاه فرعون وتصديرهما بضمير الشأن للتنبيه على فخامة مضمونهما لأنه

وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أول
الأمر إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كأنه قيل إن الشأن الخطير
هذا أي قوله تعالى من يأت ربه مجرماً بأن مات على الكفر والمعاصي فإن له جهنم لا يموت فيها فينتهي عذابه وهذا
تحقيق لكون عذابه أبقى ولا يحيى حياة ينتفع بها ومن يأته مؤمناً به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات
التي من جملتها ما شاهدناه قد عمل الصالحات الصالحة الخالصة جارية مجرى الاسم ولذلك لا يذكر غالباً
مع الموصوف وهي كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل فأولئك إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها كما أن
الإفراد في الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم أي فأولئك
المؤمنون العاملون للصالحات لهم بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة الدرجات العلى أي المنازل الرفيعة ليس
ما يدل على عدم اعتبار الإيمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب لأن ما نيط بالإيمان المقرون بالأعمال الصالحة
هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقاً وهل التشاجر إلا فيه جنات عدن بدل من الدرجات العلى أو بيان
وقد مر أن عدن علم لمعنى الإقامة أو لأرض الجنة لقوله تعالى تجري من تحتها الأنهار حال من الجنات وقوله
خالدين فيها حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار أو الإشارة وذلك إشارة إلى ما أتيح لهم من الفوز
بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم جزاء من تزكى أي تطهر من دنس الكفر والمعاصي بالإيمان
والأعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى أبقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة إلى بيان أشدية عذابه
ودوامه رداً على ما ادعاه فرعون بقوله أينا أشد عذاباً وأبقى هذا وقد قيل هذه الآيات الثلاث ابتداء كلام من الله
تعالى قالوا ليس في القرآن أن فرعون فعل بأولئك المؤمنين ما أوعدهم به ولم يثبت في الأخبار ولقد أوحينا
إلى موسى حكاية إجمالية لما انتهى إليه أمر فرعون وقومه وقد طوي في البين ذكر ما جرى عليهم من الآيات المفصلات
الظاهرة على يد موسى عليه السلام بعدما غلب السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة الأعراف وتصدير الجملة بالقسم
لإبراز كمال العناية بمضمونها وأن في قوله تعالى أن أسر بعبادي إما مفسرة لأن في الوحي معنى القول وإما مصدرية
حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عباده تعالى لإظهار الرحمة والاعتناء بأمرهم والتنبيه على غاية قبح
صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده تعالى وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل أي ... لقد أوحينا إليه
أن أسر بعبادي الذين أرسلتك لإنقاذهم من ملكة فرعون أي سر بهم من مصر ليلاً فاضرب لهم أي فاجعل أو فاتخذ
لهم طريقاً في البحر يبساً أي يابساً على أنه مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرئ يبساً وهو إما مخفف منه أو
وصف كصعب أو جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة أو لتعدده حسب تعدد الأسباط لا تخاف دركاً
حال من المأمور أي آمناً من أن يدرككم العدو أو صفة أخرى للطريق والعائد محذوف وقرئ لا تخف جواباً
للأمر ولا تخشى عطف على لا تخاف داخل في حكمه أي ولا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استئناف أي وأنت
لا تخشى أو عطف عليه والألف للإطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفي الخوف المذكور
للمسارعة إلى إزاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا إنا لمدركون فأتبعهم فرعون بجنوده
أي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال أتبعهم أي تبعهم وذلك إذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده أنه قرئ
فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى أتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى فأتبعهم
فرعون جنوده أي ساقهم خلفهم وأياً ما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوي ذكره ثقة بغاية ظهوره
وإيذاناً بكمال مسارعة موسى عليه السلام إلى الامتثال بالأمر أي ففعل ما أمر به من الإسراء وضرب الطريق وسلوكه
فأتبعهم فرعون بجنوده براً وبحراً روي أن موسى عليه السلام خرج بهم أول الليل وكانوا ستمائة وسبعين ألفاً فأخبر فرعون
بذلك فأتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة ألف فقص أثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب
عليه السلام بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقاً كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عليه السلام بمن معه من الأسباط

ما لمين وتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم اي علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذاك فان مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذي ورطهم للهلكة وايثار الاظهار في قوله تعالى واضل فرعون قومه اي سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد الاخروي وقوله تعالى وما هدى اي ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتاكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن تتصور منه الهداية في الجملة وذلك انما يتصور في حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهدى على ما يختص بالديني منهما يأباه مقام بيان سوقه لجنوده الى مساق الهلاك الدنيوي وجعلهما عبارة عن الاضلال في البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم يا بني اسرائيل حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما افاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي عليه السلام على معنى انه تعالى قد من عليهم بما فعل بآبائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سيأتي من قوله تعالى وما اعجلك الآية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اي وقلنا يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ انجيتكم ونجيتكم وواعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار اي واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام اي اتيان موسى عليه السلام للمناجاة وانزال التورية عليه ونسبة المواعدة اليهم مع كونها لموسى عليه السلام نظرا الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق المصور بالذات هو آدم عليه السلام وقرئ واعدتكم ووعدناكم ونزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح منها ما يكفيه كلوا جملة مستأنفة سيقت لبيان اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم من طيبات ما رزقناكم اي من لذائذه وحلالاته وقرئ رزقتكم وفي البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى ولا تطغوا فيه اي فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبي جواب للنهي اي فيلزمكم عقوبتي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ يحل بضم الحاء من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة والايمان وقوله تعالى ثم اهتدى اي استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي الرتبي وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة اي وقلنا له اي شيء اعجلك منفردا عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخائل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه السلام لكونها نقيصة منافية للحزم اللائق باولي العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب والمعية حيث قال هم اولاء على اثري يعني انهم معي وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية

ولا تقدح في الاستصحاب فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعد ما ذكر عليه السلام ان تقدمه ذلك ليس بامر منكر ذكر انه لامر مرضي حيث قال وعجلت اليك رب لترضى عني بمسارعتي الى الامتثال بامرك واعتنائي بالوفاء بعهدك وزيادة رب لمزيد الضراعة والابتهال رغبة في قبول العذر قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه السلام وهو السر في وروده على صيغة الغائب لا انه التفات من التكلم الى الغيبة لما ان المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كانه قيل من جهة السامعين فماذا قال له ربه فقيل قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اي ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون عليه السلام وكانوا ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا والفاء لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عليه السلام بعجلته لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من احدهما الى الآخر من حيث ان مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فانه روي انهم اقاموا على ما وصى به موسى عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع ايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة وليس من موسى عليه السلام عين ولا اثر واضلهم السامري حيث كان هو المدبر في الفتنة فقال لهم انما اخلف موسى عليه السلام ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام اما باعتبار تحققها في علمه تعالى ومشيئته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونظائره او لان السامري كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه السلام وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار بها وقرئ واضلهم السامري على صيغة التفضيل اي اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه عند رجوعه المعهود اي بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية لا عقيب الاخبار بالفتنة فسببية ما قبل الفاء لما بعدها انما هي باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى غضبان اسفا لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة كما اذا قلت شايعت الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء وان سببية الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كانه قيل فماذا فعل بهم فقيل قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه وآكده اي وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفاء في قوله تعالى افطال عليكم العهد اي الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار المعطوف ونفيه فقط اي وعدكم ذلك فطال زمان الانجاز فاخطأتم بسببه ام اردتم ان يحل اي يجب عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كائن من ربكم اي من مالك امركم على الاطلاق فاخلفتم موعدي اي وعدكم اياي بالثبات على ما امرتكم به الى ان ارجع من الميقات على اضافة المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث اضافته اليه عليه السلام اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كانه قيل انسيتم الوعد بطول العهد فاخلفتموه خطأ ام اردتم حلول الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد مضافا الى فاعله وحمل اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين فمما لا يساعده السباق ولا السياق اصلا قالوا ما اخلفنا موعدك اي وعدنا اياك الثبات على ما امرتنا به وايثاره على ان يقال موعدنا على اضافة المصدر الى فاعله لما مر آنفا بملكنا اي بان ملكنا امورنا يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول لنا السامري ما سوله

مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفنا وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها والكل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا
حملنا اوزارا من زينة القوم استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطاء وقرئ
حملنا بالتخفيف اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس
وقيل كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم وقيل هي
ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها تبعات وآثام حيث لم
تكن الغنائم تحل حينئذ فقذفناها اي في النار رجاء الخلاص عن ذنبها فكذلك اي فمثل ذلك القذف القى
السامري اي ما كان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما
كان الذي القاه التربة التي اخذها من اثر الرسول كما سيأتي روي انه قال لهم انما تأخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار
فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا فاخرج اي السامري لهم للقائلين عجلا
من تلك الحلي المذابة وتأخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان قوله تعالى جسدا اي جثة
ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى له خوار اي صوت عجل نعت له فقالوا اي
السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى فنسي اي غفل عنه وذهب يطلبه في الطور
وهذه الحكاية نتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب الانكار عليها لا
من جهة القائلين والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج والقول المذكور
للتحرز لا للعبدة تحط من الطاهر مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم للسامري وعدم افتتانهم
بتسويله مع كون الاخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفة المعتذرين فافتتانهم بعد ذلك اعظم جناية واكثر
شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وان نسبة الاخلاف الى انفسهم وهم
برآء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع ان القاتل واحد منهم كأنهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما
بيننا بامر كنا نملكه بل تمكنت الشبهة في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال ما قال
فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده سباق النظم الكريم وسياقه وقوله
تعالى افلا يرون الخ انكار وتقبيح من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما اقدموا عليه
من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على احد وهو اتخاذه الها والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي الا يتفكرون فلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا اي انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف
يتوهمون انه اله وقرئ يرجع بالنصب قالوا فالرؤية حينئذ بصرية فان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين
اي الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار بما ذكر مع كونه امرا عدميا
للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا عطف
على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اي افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا او يجلب لهم نفعا او
لا يقدر على ان يضرهم ان لم يعبدوه او ينفعهم ان عبدوه ولقد قال لهم هرون من قبل جملة قسمية
مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول
اي وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كنه الامر من قبل رجوع موسى عليه السلام اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات
وقيل من قبل قول السامري كأنه عليه السلام اول ما ابصره حين طلع من الحفيرة توهم منهم الافتتان به فسارع الى التحذير
وقال لهم يا قوم انما فتنتم به اي اوقعتم في الفتنة بالعجل او اضللتم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة انما
الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله الذي يدعيه القوم لا الى قيده المذكور بالقياس الى قيد آخر على معنى انما فعل بكم
الفتنة لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وان ربكم الرحمن بكسر ان عطفا على انما

وقوله تعالى

ارشادهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء باستمالتهم الى الحق كما ان التعرض
لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل اي ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء في قوله تعالى
فاتبعوني لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين اي اذا كان الامر كذلك فاتبعوني في الثبات على الدين
واطيعوا امري هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شأنه قالوا في جواب هرون عليه السلام لن نبرح عليه على العجل و
عبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى جعلوا رجوعه عليه السلام اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل
لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه عليه السلام بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه عليه السلام
لا يرجع بشيء مبين تعويلا على مقالة السامري روي انهم لما قالوه اعتزلهم هرون عليه السلام في اثني عشر الفا وهم الذين
لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى عليه السلام وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا
صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى قال استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
جوابهم لهرون عليه السلام كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام لهرون حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته بعدما شاهد منهم
ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ قد اخذ بلحيته ورأسه يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بعبادة
العجل وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك المقالة الشنعاء ان لا تتبعن اي ان تتبعني على ان لا مزيدة وهو
مفعول ثان لمنع وعامل في اذ اي اي شيء منعك حين رأيتهم لضلالهم من ان تتبعني في الغضب لله تعالى والمقاتلة
مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعني فان المنع عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك
ان تلحقني وتخبرني بضلالهم فتكون مفارقتك زجرا لهم وفيه ان نصائح هرون عليه السلام حيث لم تزجرهم عما كانوا
عليه فلأن لا تزجرهم مفارقته اياهم عنه اولى والاعتذار بانهم اذا علموا انه يلحقه ويخبره عليهما السلام
بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام فينزجرون عن ذلك بمعزل من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بانهم عاكفون
عليه الى حين رجعه عليه السلام افعصيت امري اي بالصلابة في الدين والمحاماة عليه فان قوله عليه السلام
اخلفني متضمن للامر بهما حتما فان الخلافة لا تتحقق الا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضرا
والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم تتبعني او اخالفتني فعصيت امري
قال يا ابن ام خص الام بالاضافة استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه لامه فان الجمهور
على انهما كانا شقيقين لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اي بشعر رأسي روي انه عليه السلام اخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته
بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عليه السلام حديدا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم
يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى اني خشيت الخ استيناف سيق لتعليل موجب النهي ببيان الداعي
الى ترك المقاتلة وتحقيق انه غير عاص لامره بل ممتثل به اي اني خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا
وتفرقوا ان تقول فرقت بين بني اسرائيل برأيك مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان
دون القوم ونحوه واراد عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذي لا يرجى بعده الاجتماع
ولم ترقب قولي يريد به قوله عليه السلام اخلفني في قومي واصلح يعني اني رأيت ان الاصلاح في حفظ الدهماء
والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك استانيتك لتكون انت المتدارك للامر حسبما رأيت لا سيما وقد كانوا
في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني
قال استيناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامري واعتذار
هرون عليه السلام كأنه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام بعد سماع ما حكي من الاعتذارين واستقرار اصل الفتنة على السامري
فقيل قال موبخا له هذا شأنهم فما خطبك يا سامري اي ما شأنك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه عليه السلام
بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم
من الامم قال اي السامري مجيبا له عليه السلام بصرت بما لم يبصروا به بضم الصاد فيهما وقرئ بكسر الاولى وفتح الثانية

في الثاني وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه وقومه اي علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما
لم يفطنوا له او رأيت ما لم يروه وهو الانسب بما سيأتي من قوله وكذلك سولت لي نفسي لا سيما على القراءة
بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه موسى عم جراءة عظيمة لا تليق بشانه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما
لم يره عم فانها مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان رأى ان جبريل عم جاء راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه
او رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف ان له شانا فاخذ من موطئه حفنة وذلك
قوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول وقرئ من اثر فرس الرسول اي من تربة موطئ فرس الملك الذي
ارسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم
من الاسرار الالهية تاكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة من القبض
اطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد
المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم فنبذتها اي في الحلي
المذابة فكان ما كان وكذلك سولت لي نفسي اي ما فعلته من القبض والنبذ فقوله ذلك اشارة الى مصدر
الفعل المذكور بعده ومحل الكاف في الاصل النصب على انه مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت
لي نفسي تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تاكيد ما افاده
اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التزيين البديع زينت لي نفسي ما فعلته
لا تزيينا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه ان ما فعلته انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء
واغوائها لا بشيء آخر من البرهان العقلي او الالهام الالهي فعند ذلك قال عم فاذهب اي من بين الناس وقوله
تعالى فان لك في الحيوة الخ تعليل لموجب الامر وفي متعلقة بالاستقرار في لك اي ثابت لك في الحيوة او
بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار في الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدأ معنى وقوله
تعالى ان تقول لا مساس لكان انّ اي ثابت لك كائنا في الحيوة اي مدة حياتك ان تفارقهم مفارقة كلية
لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد
يمس احدا او يمسه احد كائنا من كان الا حما من ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى
طوقه لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس
من المعاملات وصار بين الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال
ان قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر في مقابلة جنايته بتلك
العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فانه لما انشأ الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحيوة الموات
عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التي هي من اسباب موت الاحياء وان لك موعدا اي
في الآخرة لن تخلفه اي لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرئ بكسر اللام
والاظهر انه من اخلفت الموعد اي وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز وجل وانظر الى
الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي ظللت مقيما على عبادته فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء
بنقل حركة اللام اليها لنحرقنه جواب قسم محذوف اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد
على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه اي لنذرينه وقرئ بضم السين
في اليم رمادا او مبرودا كانه هباء نسفا بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عم ذلك كله حين كان يشهد
الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين انما الهكم الله
استئناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اي انما معبودكم المستحق للعبادة
الله الذي لا اله في الوجود لشيء من الاشياء الا هو وحده من غير ان يشاركه شيء من الاشياء بوجه من الوجوه

التي من جملتها احكام الالوهية وقرئ الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علما اي وسع
علمه كل ما من شانه ان يعلم بدل من الصلة كانه قيل انما الهكم الذي وسع كل شيء علما لا غيره كائنا ما كان
فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرئ وسّع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة
الاولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول كانه قيل وسع علمه
كل شيء وبه تم حديث موسى عم المذكور لتقرير امر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته وقوله تعالى كذلك
نقص عليك كلام مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل بتنزيل امثال ما مر من
انباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر اي نقص عليك من انباء
ما قد سبق من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصصا مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر المفيد
لزيادة التعيين ومن في قوله تعالى من انباء في حيز النصب اما على انه مفعول نقص باعتبار مضمونه واما
على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك
بعض انباء ما قد سبق او بعضا كائنا من انباء ما قد سبق وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس
من يقول الخ وتاخيره عن عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي مثل ذلك القص البديع
الذي سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لا قصا ناقصا منه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك
وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا اي كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار
حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة بآتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتاخيره عن الجار والمجرور لما
ان مرجع الافادة في الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكرا وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك المذكور في
من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم من اعرض
عنه عن الذكر العظيم الشان المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن اما شرطية او موصولة
وايا ما كانت فالجملة صفة لذكرا فانه اي المعرض عنه يحمل يوم القيمة وزرا اي عقوبة ثقيلة فادحة
على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح
الحامل وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو الانسب بما سياتي من تسميتها حملا وقوله تعالى
خالدين فيه اي في الوزر او في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود
في النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر الثلثة بالنظر الى لفظها وساء لهم
يوم القيمة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام
للبيان كما في هيت لك كانه لما قيل بئس قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم واعادة يوم القيمة لزيادة التقرير وتهويل الامر يوم
ينفخ في الصور بدل من يوم القيمة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة
عن حصره وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا
وقد قرئ ننفخ بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله عز وجل او
لاسرافيل عم وان لم يجر ذكره لشهرته ونحشر المجرمين يومئذ اي يوم ينفخ في الصور وذكره صريحا مع
تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمين زرقا اي حال كونهم زرق العيون وانما
جعلوا كذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى
عدوهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد واصهب السبال وازرق العين او عميا لان حدقة
الاعمى تزرق وقوله تعالى يتخافتون بينهم اي يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب
والهول استئناف لبيان ما ياتون وما يذرون يومئذ او حال اخرى من المجرمين اي يقول بعضهم لبعض بطريق

المخافة ان لبثتم اي ما لبثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم
مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وايقنوا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع
الشهوات او في القبر وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا
ويعدونه من قبيل المحالات لا يتمالكون من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعته وتوقعه كأنهم قالوا
قد بعثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والاخفاء لهم انفظع من ان يمكنهم من الاشتغال بتذكر ايام النعمة والسرور
واستقصارها والتأسف عليها نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اي اعدلهم
رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما ونسبة هذا القول الى امثلهم استرجاح منه تعالى له لكن لا لكونه اقرب
الى الصدق بل لكونه ادل على شدة الهول ويسألونك عن الجبال اي عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل
من ثقيف وقيل مشركو مكة على طريقة الاستهزاء فقل ينسفها ربي نسفا اي يجعلها كالرمل ثم يرسل
عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين فيذرها الضمير اما للجبال باعتبار اجزائها
السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها اي فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه سطوح سائر اجزاء الارض
بعد نسف ما نتأ منها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى
التقديرين يذر الكل قاعا صفصفا لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح سائر اجزاء
الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل السهل وقيل المنكشف من الارض وقيل المستوي الصلب
منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كأن اجزاءها صف واحد من كل
جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير
وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى لا ترى فيها اي في مقار الجبال او
في الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين اي اعوجاجا ما كأنه لغاية خفائه من قبيل ما في المعاني
اي لا تدركه ان تأملت بالمقاييس الهندسية ولا امتا اي نتوا يسيرا استئناف مبين لكيفية ما
سبق من القاع الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول
ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم يومئذ اي يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت
النسف وهو ظرف لقوله تعالى يتبعون الداعي وقيل بدل من يوم القيمة وليس بذاك اي يتبع الناس
داعي الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس
ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة هلموا الى عرض الرحمن فيقبلون من كل
اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن اي خفضت
لهيبته فلا تسمع الا همسا اي صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم
ونقلها الى المحشر يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة لا تنفع الشفاعة من الشفعاء احدا
الا من اذن له الرحمن ان يشفع له ورضي له قولا اي ورضي لاجله قول الشافع في شأنه او رضي
قوله لاجله وفي شأنه واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين
للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما
كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه
فلا سبيل اليه لان حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له ان لا يملكها ولا تصدر عنه اصلا كما في قوله تعالى
لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله تعالى لا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها
بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها عمن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل

اليوم واما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها يعلم
ما بين ايديهم اي ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه
وقيل من امر الآخرة ولا يحيطون به علما اي لا تحيط علومهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته اي من حيث اتصافه
بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك
ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم اي ذلت وخضعت خضوع العناة اي الاسارى
في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى وقد
خاب من حمل ظلما قال ابن عباس رضي الله عنهما خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لاجله
عنت وجوههم او اعتراض كأنه قيل خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها
وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات الخ
قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه الخ كما انه كذلك على الوجه الاول اي
ومن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من انباء
ما قد سبق وهو مؤمن فان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات فلا يخاف ظلما اي منع ثواب
مستحق بموجب الوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقص او لا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم
حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الآيات
المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من احوال القيمة واهوالها اي مثل ذلك الانزال انزلناه اي القرآن كله واضماره
من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شانه وكونه مركوزا في العقول حاضرا في الاذهان قرآنا عربيا ليفهمه العرب
ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر وصرفنا
فيه من الوعيد اي كررنا فيه بعض الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه لعلهم يتقون اي يتقوا الكفر
والمعاصي بالفعل او يحدث لهم ذكرا اتعاظا واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء فتعالى الله استعظام
له تعالى في شئونه التي يصرف عليها عباده من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك اي ارتفع بذاته
وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده
ويخشى وعيده الحق في ملكوتيته والوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان
يقضى اليك وحيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليه السلام الوحي يتبعه عند
تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهي عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار
الالفاظ في الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وامر باستفراغ
العلم واستزادته منه تعالى فقيل وقل رب زدني علما اي سل الله عز وجل زيادة العلم فانه
الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتيه بيانه وليس بذلك
فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته ولقد عهدنا الى آدم من قبل كلام مستأنف
مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القرآن وبيان ان اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان
مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك وعزم عليه
واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف اي
وبالله لقد امرناه ووصيناه من قبل اي من قبل هذا الزمان فنسي اي العهد ولم يهتم به ولم نجد له عزما
تصميم رأي وثباتا على الامر اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولما استطاع ان يغره وقد كان
ذلك منه عليه السلام في بدء امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها
واريها عن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح

حلمه وقال الله تعالى ولم نجد له عزما على الذنب فانه اخطأ ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود
العلمي فله عزما مفعولاه قدم الثاني على الاول لكونه نكرة وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب لان
مصب الفائدة هو المفعول وليس في الاخبار بكون العزم المعدوم مزيد مزية فله متعلقة به قدم على مفعوله لما
مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كانه قيل ولم نصادف له
عزما وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان
عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكر وقت قولنا لهم وتعليق
الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل
على تفاصيل الامور الواقعة فيه فالامر بذكره امر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل
على اعيان الحوادث فاذا ذكر صارت الحوادث كانها موجودة في ذهن المخاطب بوجوداتها العينية اي اذكر ما وقع
في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه فسجدوا الا ابليس قد سبق الكلام فيه مرارا ابى
جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ عن الاخبار بعدم سجوده كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل ابى واستكبر ومفعول
ابى اما محذوف اي ابى السجود كما في قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين او غير منوي بالمرة بتنزيله منزلة اللازم
اي فعل الاباء واظهره فقلنا عقيب ذلك اعتناء بنصحه يا آدم ان هذا الذي رأيت ما فعل عدو لك
ولزوجك فلا يخرجنكما اي لا يكونن سببا لاخراجكما من الجنة والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب
الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا ارينك ههنا والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته
لهما او على الاخبار بها فتشقى جواب النهي واسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته
في الامور واستلزام شقائه شقاءها مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادي المعاش
وذلك من وظائف الرجال ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى تعليل لما يوجبه
النهي فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي البقاء فيها والجد في الانتهاء
عما يؤدي الى الخروج عنها والعدول عن التصريح بان له فيها تمتعا بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا
باصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفي
نقائضها التي هي الجوع والعطش والعري والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع الشقوة
التي حذره عنها للمبالغة في التحامي عن السبب المؤدي اليها على ان الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع ما فيها
سوى ما استثني من الشجرة حسبما ينطق به قوله تعالى يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما
وقد طوي ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتمحض للترغيب ومعنى ان لا تجوع فيها
الخ انه لا يصيبه شيء من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والري والكسوة والكن قد تحصل بعد عروض اضدادها
باعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كلما وقع فيها شهوة وميل الى شيء من الامور المذكورة
تمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه افراده عليه السلام بما ذكر ما مر آنفا وفصل الظمأ عن الجوع في الذكر مع
تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالاشارة
الى ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظمأ لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا
الحال في الجمع بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفي كل واحد من الامور المذكورة
تمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه افراده عليه السلام بما ذكر ما مر آنفا وفصل الظمأ عن الجوع في الذكر
مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالاشارة الى
ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظمأ لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال
في الجمع بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفي كل واحد من الامور المذكورة مقصود

بالذات مذكور بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع
بين كل من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على ان لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة بان المفتوحة
اسما للمكسورة المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لما ان المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة
واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما في حيزيهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط
حينئذ مما لا ريب فيه بيانه ان كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة
من اسمها وخبرها ولا يخفى ان مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الايجابي او السلبي وان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول
كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما للمكسورة
تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المؤولة بالمصدر واما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول المفتوحة حتما فلم يلزم
اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا وانما لم يجوزوا ان يقال ان ان زيدا قائم حق مع اختلاف المناط بل
شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي ان زيدا قائم للتجافي عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وان كانت نائبة
عن المكسورة التي يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في افضاء معناها واجراء احكامها على
مدخولها لكنها حيث لم يكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق اصلا
فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظمأ خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عدم الظمأ والضحو
مطلقا كما فعل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان ان الثابت له تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدري
المحض ان المفيدة له كانه قيل ان لك فيها عدم ظمئك على التحقيق فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه وسوسته او
اسرها اليه قال اما بدل من وسوس او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كانه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل
قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء كان على حاله او بان يكون ملكا
لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وملك لا يبلى اي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه
فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس رضي الله عنهما عريا عن النور الذي كان الله تعالى البسهما حتى بدت فروجهما وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة قد مر تفسيره في سورة الاعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى
ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي
الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي وصفه عليه السلام بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن
امثالها ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جبى اليه كذا فاجتبيته
مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له فتاب عليه اي قبل توبته حين تاب
وقالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وافراده عليه السلام بالاجتباء
وقبول التوبة قد مر وجهه وهدى اي الى الثبات على التوبة والتمسك باسباب العصمة قال استئناف مبني
على سؤال نشأ من الاخبار بانه تعالى قبل توبته وهداه كانه قيل فماذا امره تعالى بعد ذلك فقيل قال لهما اهبطا
منها جميعا اي انزلا من الجنة الى الارض وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب
في اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية ومنشأ الاولاد اي متعادين في امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب
والتحارب فاما يأتينكم مني هدى من كتاب ورسول فمن اتبع هداي وضع الظاهر موضع المضمر مع الاضافة
الى ضميره تعالى للتشريف والمبالغة في ايجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن
ذكري اي عن الهدى الذاكر لي والداعي الي فان له في الدنيا معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك
يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى ككسرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره مقصورة على اعراض
الدنيا وهو متهالك على ازديادها خائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه قد يضيق الله

بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولو أن أهل الكتاب آمنوا إلى قوله تعالى لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وعذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فإن له معيشة ضنكا لأنه جواب الشرط يوم القيامة أعمى فاقد البصر كما في قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما لا أعمى عن الحجة كما قيل قال استئناف كما مر رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا أي في الدنيا وقرئ أعمى بالإمالة في الموضعين وفي الأول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه رأس الآية ومحل الوقف قال كذلك أي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بقوله تعالى أتتك آياتنا واضحة نيرة بحيث لا تخفى على أحد فنسيتها أي عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر أصلا وكذلك ومثل ذلك النسيان الذي فعلته في الدنيا اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وفاقا لكن لا أبدا كما قيل بل إلى ما شاء الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى أهوال القيامة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك عذابا فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا وكذلك أي مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزي من أسرف بالانهماك في الشهوات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وأعرض عنها ولعذاب الآخرة على الإطلاق أو عذاب النار أشد وأبقى أي من ضنك العيش أو منه ومن الحشر على العمى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية والهمزة للإنكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية باللام إما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة إلى المفعول أو لأنها بمعنى التبيين والمفعول محذوف وأيا ما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها والضمير للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى أغفلوا فلم يفعل الهداية لهم أو فلم يبين لهم مآل أمرهم كثرة إهلاكنا للقرون الأولى وقد مر في قوله عز وعلا أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد إلى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون العظمة وقوله تعالى كم أهلكنا الخ إما معلق للفعل ساد مسد مفعوله أو مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والأوجه أن لا يلاحظ له مفعول كأنه قيل أفلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم أهلكنا الخ بيانا لتلك الهداية ومن القرون في محل النصب على أنه وصف لمميز كم أي كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى يمشون في مساكنهم حال من القرون أو من مفعول أهلكنا أي أهلكناهم وهم في حال أمن وتقلب في ديارهم أو من الضمير في لهم مؤكد للإنكار والعامل يهد والمعنى أفلم يهد لهم إهلاكنا للقرون السالفة من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم إذا سافروا إلى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم مع أن ذلك مما يوجب أن يهتدوا إلى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول أي يمكنون من المشي إن في ذلك تعليل للإنكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك إشارة إلى مضمون قوله تعالى كم أهلكنا الخ وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلته وعلو شأنه في بابه لآيات كثيرة عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فإذن هو هاد وأي هاد ويجوز أن يكون كلمة في تجريدية فإنهم لأولي النهى لذوي العقول الناهية عن القبائح التي من أقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على أن مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستأنف سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى أفلم يهد لهم الآية من أن يصيبهم ما أصاب القرون المهلكة أي لولا الكلمة السابقة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جناياتهم لزاما أي لازما لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل بأولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام تلويح بأن ذلك التأخير لتشريفه عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم واللزام إما مصدر لازم وصف به

مبالغة وإما فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم وأجل مسمى عطف على كلمة أي ولولا أجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لما تأخر عذابهم أصلا وفصله عما عطف عليه للمسارعة إلى بيان جواب لولا وللإشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن في كان العائد إلى الأخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التأكيد أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كدأب عاد وثمود وأضرابهم ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل فاصبر على ما يقولون أي إذا كان الأمر على ما ذكر من أن تأخير عذابهم ليس بإهمال بل إمهال وأنه لازم لهم ألبتة فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فإن علمه صلى الله عليه وسلم بأنهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر وسبح ملتبسا بحمد ربك أي صل وأنت حامد لربك الذي يبلغك إلى كمالك على هدايته وتوفيقه أو نزهه تعالى عما ينسبونه إليه مما لا يليق بشأنه الرفيع حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بأنه مولى النعم كلها والأول هو الأظهر المناسب لقوله تعالى قبل طلوع الشمس الخ فإن توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلاة الفجر وقبل غروبها يعني صلاتي الظهر والعصر لأنهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة قوله تعالى قبل طلوع الشمس وقيل صلاة العصر ومن آناء الليل أي من ساعاته جمع إني بالكسر والقصر وآناء بالفتح والمد فسبح أي فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فإن القلب فيهما أجمع والنفس إلى الاستراحة أميل فتكون العبادة فيهما أشق ولذلك قال تعالى إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وأطراف النهار تكرير لصلاتي الفجر والمغرب إيذانا باختصاصهما بمزيد مزية ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الإلباس كقوله من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين أو أمر بصلاة الظهر فإنه نهاية النصف الأول من النهار وبداية النصف الأخير وجمعه باعتبار النصفين أي لأن النهار جنس أو أمر بالتطوع في أجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح أي سبح في هذه الأوقات رجاء أن تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة البناء للمفعول من أرضى أي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك أي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل إلى ما متعنا به من زخارف الدنيا وقوله تعالى أزواجا منهم أي أصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به أو هو حال من الضمير والمفعول منهم أي الذي متعنا به وهو أصناف وأنواع بعضهم على أنه معنى من التبعيضية أو بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر زهرة الحياة الدنيا منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا أي أعطينا أو به على تضمين معناه أو بالبدلية من محل به أو من أزواجا بتقدير مضاف أو بدونه أو بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي لغة كالجهرة في الجهرة أو جمع زاهر وصفا لهم بأنهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا إثر إظهار بهجته حالا أي لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه أو لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك أي ما ادخر لك في الآخرة أو ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى خير مما متعهم به في الدنيا لأنه مع كونه في نفسه أجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف ما متعوه وأبقى فإنه لا يكاد ينقطع بنفسه أو أثره أبدا كما عليه زهرة الدنيا وأمر أهلك بالصلاة أمر بأن يأمر أهل بيته أو التابعين له من أمته بالصلاة بعد ما أمر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة واصطبر عليها وثابر عليها غير مشتغل بأمر المعاش لا نسألك رزقا أي لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك نحن نرزقك وإياهم ففرغ بالك لأمر الآخرة والعاقبة الحميدة للتقوى أي لأهل التقوى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيها على أن ملاك الأمر هو التقوى روي أنه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه حكاية لبعض أقاويلهم الباطلة التي أمر بالصبر عليها أي هلا يأتينا بآية تدل

على صدقه في دعوى النبوة او بآية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد الى حيث لم يعتدوا بما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترءوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى **أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى** اي التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وعلا لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوا تحتها من انكار اتيان الآية باتيان القرآن الكريم الذي هو ام الآيات واس المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادات اي امر كان ولا ريب في ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدأ الافعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الاولين والآخرين على يد امي لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا من اهلها اصلا فاي معجزة تراد بعد وروده واي آية ترام مع وجوده وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الاولى من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية اي شاهدا بحقية ما فيها من العقائد الحقة واصول الاحكام التي اجمعت عليها كافة الرسل وبصحة ما تنطق به من انباء الامم من حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات حقية غيره ما لا يخفى من تنويه شانه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان اليهم مع جعلهم ايا ما به التنبيه على اصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للتنبيه والهمزة لانكار الوقوع والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل ألم يأتهم سائر الآيات ولم تأتهم خاصة بينة ما في الصحف الاولى تقريرا لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتأتى منهم انكاره اصلا وان اجترءوا على انكار سائر الآيات مكابرة وعنادا وقرئ او لم يأتهم بالياء التحتانية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالى **ولو انا اهلكناهم بعذاب** الى آخر الآية جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما قبلها من كون القرآن آية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم القيمة والمعنى لو انا اهلكناهم في الدنيا بعذاب مستأصل من قبله متعلق باهلكنا او بمحذوف هو صفة لعذاب اي بعذاب كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم **لقالوا** اي يوم القيمة **ربنا لولا ارسلت الينا** في الدنيا **رسولا** مع كتاب **فنتبع آياتك** التي جاءنا بها **من قبل ان نذل** بالعذاب في الدنيا **ونخزى** بدخول النار ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء **قل** لاولئك الكفرة المتمردين **كل** اي كل واحد منا ومنكم **متربص** منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم **فتربصوا** وقرئ فتمتعوا **فستعلمون** عن قريب **من اصحاب الصراط السوي** اي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد وقرئ السوء والسوءى والسوي تصغير السوء **ومن اهتدى** من الضلالة ومن في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء وخبرها ما بعدها والجملة سادة مسد مفعولي العلم او مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فيكون معطوفا على محل الجملة الاستفهامية المعلق الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط وقيل العائد الى الاولى محذوف والتقدير من هم اصحاب الصراط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا سورة طه ويس

سورة الانبيا مائة احدى عشرة آية مكية

اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذي ينبئ عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقتراب الساعة واسناده الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الاحوال والاهوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوءهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب كما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض لتعجيل المسرة لما ان بيان كون الخلق

لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تأكيدا للاضافة على ان الاصل المتعارف فيما بين الاوساط اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل عما يقتضيه المقام وانما الذي يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب اعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المنبئ عن التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان العكس بان يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شانه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه في الساعة السابقة هذا واما الاعتذار بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله عز وجل او باعتبار ان كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه ايضا فيصار حينئذ الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره ههنا لان قربه بالنسبة الله تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما وانما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظائره مما لا دلالة فيه على الحدوث واما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة الى شيء آخر **وهم في غفلة** اي في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال لا بد لها من الجزاء **معرضون** اي عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن في معرضون **ما يأتيهم من ذكر** من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم ذلك اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر ومن في قوله تعالى **من ربهم** لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد **محدث** بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملا على محله اي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى **الا استمعوه** استثناء مفرغ محله النصب على انه حال من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور وقوله **وهم يلعبون** حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى **لاهية قلوبهم** اما حال اخرى منه او من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر **واسروا النجوى** كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى اسروها مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها او اسروا نفس التناجي بحيث لم يشعر احد بانهم متناجون وقوله تعالى **الذين ظلموا** بدل من واو اسروا منبئ عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما اسروا به او هو مبتدأ خبره اسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله تعالى **هل هذا الا بشر مثلكم** الخ في حيز النصب على انه مفعول لمضمر هو جواب عن سؤال نشأ عما قبله كانه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا الخ او بدل من اسروا او معطوف عليه او على انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى **افتأتون السحر** للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى **وانتم تبصرون** حال من فاعل تأتون مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر مثلكم اي من جنسكم وما اتى به سحر اتعلمون ذلك فتأتونه وتحضرونه على وجه الاذعان والقبول وانتم تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وعزب عنهم ان ارسال

البشر إلى عامة البشر الذي تقتضيه الحكمة التشريعية قاتلهم الله أنى يؤفكون وإنما أسروا ذلك لأنه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم أمر النبوة وإطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون **قال ربي يعلم القول في السماء والأرض** حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعدما أوحي إليه أحوالهم وأقوالهم بيانا لظهور أمرهم وانكشاف سرهم وإيثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لإثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهاني مع ما فيه من الإيذان بأن علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا كما في علوم الخلق وقرئ قل ربي الخ وقوله تعالى في السماء والأرض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول أي كائنا في السماء والأرض وقوله تعالى **وهو السميع العليم** أي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما أسروه من النجوى فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد **بل قالوا أضغاث أحلام** إضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق إلى حكاية قول آخر مضطرب في مطارب البطلان أي لم يقتصروا على أن يقولوا في حقه عليه السلام هل هذا إلا بشر وفي حق ما ظهر على يديه من القرآن الكريم إنه سحر بل قالوا تخاليط الأحلام ثم أضربوا عنه فقالوا **بل افتراه** من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل أو شبهة أصل ثم قالوا **بل هو شاعر** وما أتى به شعر يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وأبطل ويتذبذب بين فاسد وأفسد فالإضراب الأول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى ثم إلى أنه قول شاعر ولا ريب في أنه كان ينبغي أن يقال قالوا بل أضغاث أحلام ولا اعتذار بأن بل قالوا لما قالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا إلا بشر كأنه قيل وأسروا النجوى قالوا هل هذا إلى قوله بل أضغاث أحلام وإنما صرح بقالوا لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله **فليأتنا بآية** جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية **كما أرسل الأولون** أي مثل الآية التي أرسل بها الأولون كاليد والعصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على أنها صفة لآية ويجوز أن تكون مصدرية فالكاف منصوبة على أنها مصدر تشبيهي أي نعت لمصدر محذوف أي فليأتنا بآية إتيانا كائنا مثل إرسال الأولين بها وأصح ما لتشبيه من حيث إن الإتيان بالآية من فروع الإرسال بها أي مثل إتيان مترتب على الإرسال ويجوز أن يحمل النظم الكريم على أنه أريد كل واحد من الإتيان والإرسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه ذكر الإرسال وفي جانب المشبه به ذكر الإتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن الآخر حسبما مر في آخر سورة يونس **ما آمنت قبلهم من قرية** كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالإيمان كما أشير إليه وبيان أنهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه وأن في ترك الإجابة إليه إبقاء عليهم كيف لا ولو أعطوا ما اقترحوا مع عدم إيمانهم قطعا لوجب استئصالهم لجريان سنة الله عز وجل في الأمم السالفة على أن المقترحين إذا أعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى أن هذه الأمة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله من قرية أي من أهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم وقوله **أهلكناها** أي بإهلاك أهلها لعدم إيمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى **أفهم يؤمنون** لإنكار الوقوع والفاء للعطف إما على مقدر دخلته الهمزة فأفادت إنكار وقوع إيمانهم ونفيه عقيب عدم إيمان الأولين فالمعنى أنه لم تؤمن أمة من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو أجيبوا إلى ما سألوا وأعطوا ما اقترحوه مع كونهم أعتى منهم وأطغى وإما على ما آمنت على أن الفاء متقدمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب إنكار وقوع إيمانهم على عدم إيمان الأولين وإنما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور وقوله عز وجل

حتى لو كان مكان الهمزة هل [illegible] النظم
ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها
فهل هم يؤمنون [illegible] منه سلمه الله

وما أرسلنا قبلك إلا رجالا جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم كما أرسل الأولون من التعريض بعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل أولئك الرسل صلوات الله عليهم أجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا بآية ولأنهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة إلى رده وإبطاله كما مر في تفسير قوله تعالى قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ولأن في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم والحق أن ما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لأن مقتضى الحكمة أن يرسل إلى البشر البشر وإلى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فإن عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك إليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وإنما الذي تقتضيه الحكمة أن يبعث الملك منهم إلى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا إلى جانب وقوله تعالى **نوحي إليهم** استئناف مبين لكيفية الإرسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد إلى خصوصه والمعنى وما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك إلى أمتك إلا رجالا مخصوصين من أفراد الجنس مستأهلين للاصطفاء والإرسال نوحي إليهم بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والأحكام وغيرهما من القصص والأخبار كما نوحي إليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين إلى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون أنك لست بدعا من الرسل وأن ما أوحي إليك ليس مخالفا لما أوحي إليهم فيقولون ما يقولون وقرئ يوحى إليهم بالياء على صيغة المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء وإيذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير إثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه الحقيق بالخطاب في أمثال تلك الحقائق الأنيقة وأما الوقوف عليها بالأخبار من الغير فهو من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه أي إن كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا أهل الكتاب العالمين بأحوال الرسل السالفة عليهم الصلوات ليزول عنكم الشبهة أمروا بذلك لأن إخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم في أمره ففيه من الدلالة على كمال وضوح الأمر وقوة شأن النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى **وما جعلناهم جسدا** بيان لكون الرسل عليهم السلام أسوة لسائر أفراد الجنس في أحكام الطبيعة البشرية إثر بيان كونهم أسوة لهم في نفس البشرية والجسد جسم الإنسان والجن والملائكة ونصبه إما على أنه مفعول ثان للجعل [illegible] من معنى التصيير [illegible] من صغر [illegible] وكبر [illegible] كما في قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة [illegible] وإفراده لإرادة الجنس المنتظم للكثير أيضا وقيل لتقدير المضاف أي ذوي جسد وقوله تعالى **لا يأكلون الطعام** صفة له أي وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الأكل والشرب بل محتاجا إلى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه **وما كانوا خالدين** [illegible] جعلناهم أجسادا متغذية صائرة إلى الموت بالآخرة على حسب آجالهم [illegible]

مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود ولا لهم فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام
بشرا لا ملكا مع ما في ذلك من الرد على قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد
عطف على ما يفهم من حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددي كأنه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم
في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي باهلاك اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين وغيرهم
ممن تستدعي الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال
واهلكنا المسرفين اي المجاوزين الحدود في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم كلام مستأنف مسوق
لتحقيق حقية القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض الناس عما يأتيهم من آياته واستهزاؤهم
به وتسميتهم تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته
صلى الله عليه وسلم ببيان انه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار كمال
الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون المخاطبين في اقصى مراتب النكير اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر
قريش كتابا اي كتابا عظيم الشان نير البرهان وقوله تعالى فيه ذكركم صفة لكتابا مؤكدة لما افاده التنكير التفخيمي
من كونه جليل المقدار بانه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة اي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر
لك ولقومك وقيل ما تحتاجون اليه في امور دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق
وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى افلا تعقلون انكار
توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في امر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها
القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تتفكرون فلا تعقلون
ان الامر كذلك او لا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله تعالى وكم قصمنا من قرية نوع
تفصيل لاجمال قوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية
مفيدة للتكثير محلها النصب على انها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر
بابانة اجزاء المكسور وازالة تأليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى
كانت ظالمة في محل الجر على انها صفة لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه الضمير الآتي اي وكثيرا قصمنا من اهل قرية
كانوا ظالمين بآيات الله تعالى كافرين بها كدأبكم وانشأنا بعدها اي بعد اهلاك اهلها قوما آخرين اي ليسوا
منهم نسبا ولا دينا ففيه تنبيه على استئصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية انشاء
هؤلاء على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله تعالى فلما احسوا بأسنا اي ادركوا عذابنا الشديد ادراكا
تاما كأنه ادراك المشاهد المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم
في فرط الاسراع لا تركضوا اي قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال من الملك او ممن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء
والتوبيخ لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم
التي كنتم تفتخرون بها لعلكم تسألون تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل او تسألون
اذا رأيت مساكنكم خالية وتسألون اين اصحابها او يسألكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون
اموالهم رئاء الناس فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم قالوا لما يئسوا من الخلاص بالهرب وايقنوا بنزول العذاب
يا ويلنا اي يا هلاكنا انا كنا ظالمين اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه العذاب
وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك فما زالت تلك دعواهم اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى
اي دعوة لان المولول كأنه يدعو الويل قائلا يا ويل تعال فهذا اوانك حتى جعلناهم حصيدا اي مثل
الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع خامدين اي ميتين من خمدت النار اذا طفئت
وهو مع حصيدا في حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة

الحصيد والخمود او حال من الضمير المنصوب في جعلناهم او من المستكن في حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده
معنى لانه في حكم جعلناهم امثال الحصيد وما خلقنا السماء والارض اشارة اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع
بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب الهائل والعقاب
النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين المقتدين
بآثارهم ذنوبا مثل ذنوبهم اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر
انواعها وآحادها على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب
واللهو حيث قيل لاعبين لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد
في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما لتكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه
ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب
واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا اي من جهة قدرتنا او من عندنا
مما يليق بشأننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش
وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته للحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا
وقوله تعالى ان كنا فاعلين جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي ان كنا فاعلين لاتخذناه
وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين اي لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء المقدم ولا ارادة
لاتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالي وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة
والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته
كأنه قيل لكنا لا نريده بل شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من قبيله اللهو وتخصيص
شأنه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما سيأتي من الوعيد فيدمغه اي يمحقه بالكلية
كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد بالجرم
الصلب كالصخرة ولمحقه الباطل الدمغ هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي
الى زهوق الروح تصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ بضم الميم فاذا هو زاهق
اي ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان
ما لا يخفى فكأنه زاهق من الاصل ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب
والعقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره في الخبر
وما اما مصدرية او موصولة او موصوفة اي واستقر لكم الويل والهلاك من اجل وصفكم له
سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل او بالذي تصفونه به من الولد او كائنا مما تصفونه تعالى به
وله من في السموات والارض استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة
ونظام كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا
وتصرفا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما استقلالا او استتباعا
ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز
وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته
اي لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبيرا ولا يستحسرون ولا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال
المنبئة عن المبالغة في الحسور للتنبيه على ان عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك

عليهم صح

ولا يعيون صح

لا يستحسرون للإفادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت أصله في الجملة كما أن نفي الظلامية في قوله تعالى وما
أنا بظلام للعبيد لإفادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لإفادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت أصل
الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف على من الأولى وإفرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والأرض
للتعظيم كما في قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حال من الثانية يسبحون الليل والنهار
أي ينزهونه في جميع الأوقات ويعظمونه ويمجدونه دائماً وهو استيناف وقع جواباً عما نشأ مما قبله كأنه قيل
ماذا يصنعون في عبادتهم أو كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ أو حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى لا يفترون
أي لا يتخلل تسبيحهم فترة أصلاً بفراغ أو بشغل آخر أم اتخذوا آلهة حكاية لجناية أخرى من جناياتهم بطريق
الإضراب والانتقال من فن إلى فن آخر من التوبيخ إثر تحقيق الحق ببيان أنه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج
الحكمة وأنهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وأن عباده مذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته منزهون
عن كل ما لا يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها الانداد ومعنى الهمزة في أم المنقطعة انكار الوقوع لا إنكار
الواقع وقوله تعالى من الأرض متعلق باتخذوا أو بمحذوف هو صفة لآلهة وأياً ما كان فالمراد هو التحقير
لا التخصيص وقوله تعالى هم ينشرون أي يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذي يدور عليه الإنكار والتجهيل
والتشنيع لا نفس الاتخاذ فإنه واقع لا محالة أي بل اتخذوا آلهة من الأرض
هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فإن ما اتخذوها آلهة بمعزل من ذلك وهم وإن لم يقولوا
بذلك صريحاً لكنهم حيث ادعوا لها الإلهية فكأنهم ادعوا لها الإنشار ضرورة أنه من الخصائص الإلهية حتماً
ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما أشير إليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للإنشار الموجبة لمزيد الإنكار
كما في قوله تعالى أفي الله شك وقوله تعالى أبالله وآياته كنتم تستهزؤن فإن تقديم الجار والمجرور للتنبيه على
كمال مباينة أمره تعالى لأن يشك فيه ويستهزأ به ويجوز أن يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل فإن
الألوهية مقتضية للاستقلال بالإبداء والإعادة فحيث ادعوا للأصنام الإلهية فكأنهم ادعوا لها الاستقلال
بالإنشار كأنهم جعلوها بذلك متعينين لأصل الإنشار لو كان فيهما آلهة إلا الله إبطال لتعدد الآلهة بإقامة
البرهان على انتفائه بل على استحالته وإيراد الجمع لوروده إثر إنكار اتخاذ الآلهة لا لأن الجمعية معتبرة
وكذا فرض كونها فيهما وإلا بمعنى غير على أنها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها
وإفضائه إلى فساد المعنى لدلالته حينئذ على أن الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البدل لأنه
متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب أي لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله كما
هو اعتقادهم الباطل لفسدتا أي لبطلتا بما فيهما جميعاً وحيث انتفى التالي علم انتفاء المقدم قطعاً بيان
الملازمة أن الإلهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الإطلاق تغييراً وتبديلاً وإيجاداً
وإعداماً وإحياء وإماتة فبقاؤهما على ما هما عليه إما بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول
المعين بعلل متعددة وإما بتأثير واحد منها فالبواقي بمعزل من الإلهية قطعاً واعلم أن جعل التالي فسادهما
بعد وجودهما لما أنه اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما وإلا فالبرهان يقضي باستحالة التعدد على الإطلاق
فإن توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدر وإن تخالفت تعاوقت فلا يوجد موجود أصلاً وحيث انتفى التالي
تعين انتفاء المقدم والفاء في قوله تعالى فسبحان الله لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان
أي فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الأمور التي من جملتها أن يكون له شريك في الألوهية وإيراد
الجلالة في موقع الإضمار للإشعار بعلة الحكم فإن الألوهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملتها تنزهه تعالى عما
لا يليق به ولتربية المهابة وإدخال الروعة وقوله تعالى رب العرش صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل عما
يصفون متعلق بالتسبيح أي فسبحوه عما يصفونه من أن يكون من دونه آلهة لا يسأل عما يفعل استيناف ببيان

أنه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لأحد من مخلوقاته أن يناقشه ويسأله عما يفعله
من أفعاله إثر بيان أن ليس له شريك في الألوهية وهم أي العباد يسألون عما يفعلون نقيراً وقطميراً لأنهم
مملوكون له تعالى مستعبدون ففيه وعيد للكفرة أم اتخذوا من دونه آلهة إضراب وانتقال من
إظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة آلهة حقيقة بإظهار خلوها عن خصائص الإلهية التي من جملتها الإنشار
وإقامة البرهان القاطع على استحالة تعدد الإله على الإطلاق وتفرده سبحانه بالألوهية إلى إظهار
بطلان اتخاذهم تلك الآلهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله عز سلطانه وتبكيتهم بإلجائهم
إلى إقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق أن جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد وبطلان
الإشراك والهمزة لإنكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى
بل اتخذوا متجاوزين إياه تعالى مع ظهور شؤونه الجليلة الموجبة لتفرده بالألوهية آلهة مع ظهور خلوهم
عن خواص الألوهية بالكلية قل لهم بطريق التبكيت وإلقام الحجر هاتوا برهانكم على ما تدعونه من جهة
العقل أو النقل فإنه لا صحة لقول لا دليل عليه في الأمور الدينية لا سيما في مثل هذا الشأن الخطير وما في إضافة
البرهان إلى ضميرهم من الإشعار بأن لهم برهاناً ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى هذا ذكر من معي وذكر من قبلي
إنارة لبرهانه وإشارة إلى أنه مما نطقت به الكتب الإلهية قاطبة وشهدت به ألسنة الرسل المتقدمة
كافة وزيادة تهييج لهم على إقامة البرهان لإظهار كمال عجزهم أي هذا الوحي الوارد في شأن التوحيد المتضمن
للبرهان القاطع العقلي ذكر أمتي أي عظتهم وذكر الأمم السالفة قد أقمته فأقيموا أنتم أيضاً برهانكم وقيل المعنى
هذا كتاب نزل على أمتي وهذا كتاب نزل على أمم الأنبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والصحف فراجعوها و
انظروا هل في واحد منها غير الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لإثبات نقيض مدعاهم
وقرئ بالتنوين والإعمال كقوله تعالى أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً وبه وبمن الجارة على أن مع اسم هو
ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى بل أكثرهم لا يعلمون الحق إضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن
وانتقال من الأمر بتبكيتهم بمطالبة البرهان إلى بيان أنه لا ينجع فيهم المحاجة بإظهار حقية الحق وبطلان الباطل
فإن أكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل فهم لأجل ذلك معرضون أي مستمرون على الإعراض
عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال وإن كررت عليهم البينات والحجج أو معرضون
عما ألقي عليهم من البراهين العقلية وقرئ الحق بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب والمسبب
تأكيداً للسببية وقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون
استيناف مقرر لما أجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الإلهية وأجمعت عليه الرسل عليهم
السلام وقرئ يوحى على صيغة الغيبة مبنياً للمفعول وأياً ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
استحضاراً لصورة الوحي وقالوا اتخذ الرحمن ولداً حكاية لجناية فريق من المشركين جيء بها لإظهار بطلانها
وبيان تنزهه تعالى عن ذلك إثر بيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على الإطلاق وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة
بنات الله تعالى ونقل الواحدي أن قريشاً وبعض أجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك
والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوباً له تعالى نعمة أو منعماً عليه لإبراز كمال
شناعة مقالتهم الباطلة سبحانه أي تنزه بالذات تنزهه اللائق به على أن السبحان مصدر من سبح أي بعد
أو أسبحه تسبيحه على أنه علم للتسبيح وهو مقول على ألسنة العباد أو سبحوه تسبيحه وقوله تعالى بل عباد إضراب و
إبطال لما قالوه كأنه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى مكرمون مقربون عنده وقرئ مكرمون
بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى لا يسبقونه بالقول صفة أخرى لعباد منبئة
عن كمال طاعتهم وانقيادهم لأمره تعالى أي لا يقولون شيئاً حتى يقوله تعالى أو يأمرهم به وأصله لا يسبق قولهم

قوله تعالى فأسند السبق إليهم منسوبا إليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم إياه تعالى لمزيد
تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض الذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول
محل السبق وأداة له ثم أنيب اللام عن الإضافة للاختصار والتجافي عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم
الباء من سابقته فسبقته أسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق وإشعار بأن من سبق قوله تعالى فقد تصدى
لمغالبته تعالى في السبق فغلبه والعياذ بالله تعالى وفيه تنزيه لهم عما نفي عنهم ببيان أن ذلك عندهم بمنزلة الغلبة
بعد المغالبة فأنى يتوهم صدوره عنهم وهم بأمره يعملون بيان لتبعيتهم له تعالى في الأعمال إثر بيان تبعيتهم له
تعالى في الأقوال كأنه قيل هم بأمره يقولون وبأمره يعملون لا بغير أمره أصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة
إلى غير أمره لا إلى أمر غيره يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم استئناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فإنهم
لعلمهم بإحاطته تعالى بما قدموا وأخروا من الأقوال والأعمال لا يزالون يراقبون أحوالهم فلا يقدمون على قول
أو عمل بغير أمره تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى أي يشفع له مهابة منه تعالى وهم مع ذلك من خشيته
عز وجل مشفقون مرتعدون وأصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والإشفاق الخوف مع الاعتناء
فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه أظهر وعند تعديته بعلى ينعكس الأمر ومن يقل منهم أي من الملائكة
فيهم ونفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم إني إله من دونه متجاوزا إياه تعالى فذلك الذي فرض قوله فرض محال نجزيه
جهنم كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وأفعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى
وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهمه أولئك الكفرة ما لا يخفى كذلك نجزي الظالمين
مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها ويتعدون
أطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة إلى النقصان دون الزيادة أي لا جزاء أنقص منه أولم ير
الذين كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالألوهية وكون جميع ما
سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية أي ألم يتفكروا
ولم يعلموا أن السماوات والأرض كانتا أي جماعتا السماوات والأرضين كما في قوله تعالى إن الله يمسك السماوات
والأرض أن تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام والمعنى إما على حذف المضاف وهو بمعنى المفعول أي كانتا ذواتي رتق
أو مرتوقتين وقرئ رتقا أي شيئا رتقا أي مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة والحسن البصري
وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض وقال
كعب خلق الله السماوات والأرض ملتصقتين ثم خلق ريحا فتوسطتهما ففتقتهما وعن الحسن خلق الله تعالى الأرض
في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السماوات وأمسك الفهر
في موضعها وبسط منها الأرض فذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت السماوات
مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سماوات وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة ففتقها فجعلها سبع
أرضين وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء وعليه أكثر المفسرين إن السماوات كانت رتقا مستوية صلبة
لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات فيكون المراد بالسماوات السماء الدنيا والجمع
باعتبار الآفاق أو السماوات جميعا على أن لها مدخلا في الأمطار وعلم الكفرة بالرتق والفتق بهذا المعنى مما
لا سترة به وأما بالمعاني الأول فهم وإن لم يعلموها لكنهم متمكنون من علمها إما بطريق النظر والتفكر فإن الفتق
عارض مفتقر إلى مؤثر قديم وإما بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب وجعلنا من الماء كل شيء حي
أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لأنه من أعظم مواده أو لفرط
احتياجه إليه وانتفاعه به أو صيرنا كل شيء من الماء أي بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني
للاهتمام بالجار إن المفعولين في الأصل مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا أن يتقدم على المبتدأ فإن ذلك

مصحح محض لا مرجح وقرئ حيا على أنه صفة كل ومفعول ثان والظرف كما في الوجه الأول قدم على المفعول للاهتمام
به والتشويق إلى المؤخر أفلا يؤمنون إنكار لعدم إيمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات
الآفاقية والأنفسية الدالة على تفرده عز وجل بالألوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته
وقدرته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الإنكار السابق أي أيعلمون ذلك فلا يؤمنون وجعلنا في الأرض
رواسي أي جبالا ثوابت جمع راسية من رسا الشيء إذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير
العقلاء مما لا ريب في صحته كقوله تعالى أشهر معلومات وأياما معدودات أن تميد بهم أي كراهة أن تتحرك
وتضطرب بهم أو لئلا تميد بهم فحذف اللام ولا لعدم الالتباس وجعلنا فيها أي في الأرض وتكرير الفعل
لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه أو في الرواسي لأنها المحتاجة إلى الطرق فجاجا مسالك
واسعة وإنما قدم على قوله تعالى سبلا وهو وصف له ليصير حالا فيفيد أنه تعالى حين خلقها خلقها كذلك
أو ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على أنه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد لعلهم يهتدون
أي إلى مصالحهم ومهماتهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع بقدرتنا القاهرة أو من الفساد
والانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيئتنا أو من استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها الدالة على وحدانيته
وعلمه وحكمته وقدرته وإرادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة
معرضون لا يتدبرون فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتأكيد
الاعتناء بفحوى الكلام أي هو الذي خلقهن وحده كل أي كل واحد منهما على أن التنوين عوض عن المضاف إليه في فلك
يسبحون أي يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال
من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء
لأن السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أي في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية
أفإن مت بمقتضى حكمتنا فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها
والهمزة لإنكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بإنكار خلودهم ونفيه إنكار
ما هو مدار له وجودا وعدما من شماتتهم بموته عليه السلام فإن الشماتة بما يعتريه أيضا مما لا ينبغي أن يصدر عن العاقل
كأنه قيل أفإن مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت أي ذائقة مرارة مفارقتها
جسدها برهان على ما أنكر من خلودهم ونبلوكم الخطاب إما للناس كافة بطريق التلوين أو للكفرة بطريق الالتفات
أي نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون أو لا فتنة مصدر مؤكد
لنبلوكم من غير لفظه وإلينا ترجعون لا إلى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الأعمال
فهو على الأول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وفيه إيماء إلى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء و
التعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات وإذا رآك الذين كفروا أي المشركون
إن يتخذونك إلا هزوا أي ما يتخذونك إلا هزوا أي مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معك على اتخاذهم إياك هزوا
لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كأنه قيل ما يفعلون بك إلا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله
تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلي في سورة الأنعام أهذا الذي يذكر آلهتكم على إرادة القول أي يقولون أو قائلين ذلك
أي يذكرهم بسوء كما في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ وقوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون في حيز النصب
على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى أنهم يعيبون عليه السلام أن يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال
أنهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد أو بإرشاد الخلق بإرسال الرسل وإنزال الكتب أو بالقرآن
كافرون فهم أحقاء بالعيب والإنكار فالضمير الأول مبتدأ خبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقديم وهم كافرون

بذكر الرحمن والضمير الثاني تأكيد لفظي للأول لوقوع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمعمول
خُلِقَ الإنسانُ مِن عَجَلٍ جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه تنزيلاً لما طبع عليه من الأخلاق
منزلة ما طبع منه من الأركان إيذاناً بغاية لزومه وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجاله
بالوعيد وروي أنها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
الآية وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن المراد بالإنسان آدم عليه السلام وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه
أراد أن يقوم وروي أنه لما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله
تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع في خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق الإنسان خلقاً ناشئاً من عجل
تذكرة ليبيان أنه من دواعي عجلته في الأمور والأظهر أن المراد به الجنس وإن كان خلقه عليه السلام سارياً إلى أولاده وقيل العجل
الطين بلغة حمير ولا تقريب له هنا وقوله سَأُرِيكُمْ آيَاتِي تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد أي سأريكم نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ
بالإتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ أي وقت
مجيء الساعة التي كانوا يوعدون وإنما كانوا يقولونه استعجالاً لمجيئه بطريق الاستهزاء والإنكار كما
يرشد إليه الجواب لا طلباً لتعيين وقته بطريق الإلزام كما في سورة الملك إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أي في وعدكم
بأنه يأتينا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن مجيء الساعة
وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف في مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا إن كنت
من الصادقين فإن قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لإتيانه بطريق العجلة فإن ذلك في قوة
الأمر بالإتيان عجلة كأنه قيل فليأتنا بسرعة إن كنتم صادقين لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا استئناف مسوق لبيان شدة
هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وأنهم إنما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وإيثار صيغة المضارع
في الشرط وإن كان المعنى على المضي لإفادة استمرار عدم العلم فإن المضارع المنفي الواقع موضع الماضي ليس نص
في إفادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه أيضاً بحسب المقام كما في قولك لو تحسن إلي لشكرتك فإن المعنى
أن انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الإحسان لا لانتفاء استمرار الإحسان ووضع الموصول موضع الضمير
للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ
مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه وإضافته إلى الجملة الجارية مجرى الصفة التي
حقها أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند المخاطب مع إنكار الكفرة بذلك للإيذان بأنه من الظهور
بحيث لا حاجة له إلى الإخبار به وإنما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف أي
لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو الحين الذي تحيط بهم النار فيه من كل
جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما أشهر الجوانب واستلزام الإحاطة بهما
الإحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها بأنفسهم من جانب من جوانبهم وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ من جهة الغير
في دفعها لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز أن يكون يعلم متروك المفعول منزلاً منزلة اللازم أي لو
كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى حين إلخ استئناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره إلى ذلك الوقت كأنه قيل حين يرون ما يرون
يعلمون حقيقة الحال بَلْ تَأْتِيهِمْ عطف على لا يكفون أي لا يكفونها بل تأتيهم أي العدة أو النار أو الساعة بَغْتَةً
فَتَبْهَتُهُمْ أي تغلبهم أو تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على أن الضمير للوعد أو الحين وكذا الهاء في قوله فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
رَدَّهَا بتأويل الوعد بالنار أو العدة والحين بالساعة ويجوز عوده إلى النار وقيل إلى البغتة أي لا يستطيعون
دفعها عنهم بالحيلة وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ أي يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لإمهالهم في الدنيا وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ
بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به عليه السلام في ضمن الاستعجال بالعدة ضمنية

بأنه يصيبهم مثل ما أصاب المستهزئين بالرسل السالفة عليهم الصلاة والسلام وتصديرها بالقسم لزيادة
تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له أي وبالله لقد استهزئ برسل
أولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه
فَحَاقَ أي أحاط عقيب ذلك أو نزل أو حل ونحو ذلك فإن معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل إلا في الشر
والحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله وقوله تعالى بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ أي من أولئك الرسل
عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ للمسارعة
إلى بيان لحوق الشر بهم وما إما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد إليها والجار متعلق بالفعل
وتقديمه عليه لرعاية الفواصل أي فأحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به حيث أهلكوا لأجله وإما
مصدرية فالضمير المجرور راجع إلى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل إيثاره على الجمع للتنبيه على أنه
يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط أي فنزل
بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب إيذاناً بكمال الملابسة بينهما أو عين استهزائهم إن أريد بذلك
العذاب الأخروي بناء على تجسم الأعمال فإن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الأخرى
بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وعلى ذلك بني الوزن وقد مر تفصيله في سورة الأعراف وفي قوله تعالى
إنما بغيكم على أنفسكم الآية إلى آخره قُلْ خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم إثر تسليته بما ذكر من مصير أمرهم
إلى الهلاك وأمر له عليه السلام بأن يقول لأولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت مَنْ يَكْلَؤُكُمْ أي يحفظكم بِاللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ أي من بأسه الذي تستحقون نزوله ليلاً ونهاراً وتقديم الليل لما أن الدواهي أكثر فيه وقوعاً
وأشد وقعاً وفي التعرض لعنوان الرحمانية إيذان بأن كالئهم ليس إلا رحمته العامة وبعدما أمر عليه السلام
بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما تقتضيه حالهم لأنهم بحيث لولا أن الله تعالى يحفظهم في الملوين
يحل بهم فنون الآفات فهم أحقاء بأن يكلفوا الاعتراف بذلك فيوبخوا على ما هم عليه من الإشراك أضرب
عن ذلك بقوله تعالى بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ بياناً أن لهم حالاً أخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم
لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلاً عن أن يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الأمن والدعة حفظاً
وكلاءة حتى يسألوا عن الكالئ على طريقة قول من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي و
أحجار وفي تعليق الإعراض بذكره تعالى وإيراد اسم الرب المضاف إلى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته
وتدبيره وتربيته تعالى من الدلالة على كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والغي ما لا يخفى وقوله تعالى
أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا منقطعة وما فيها من معنى بل للإضراب والانتقال عما قبله من بيان جهلهم
بحفظه تعالى إياهم أعلم خوفهم الناشئ عن إعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية إلى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم
وإسنادهم الحفظ إليها والهمزة لإنكار أن تكون لهم آلهة تقدر على ذلك أي بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب
تتجاوز منعنا وحفظنا أو من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الإنكار
والنفي إلى وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر من المنع لا إلى نفس الصفة بأن يقال أم تمنعهم آلهتهم إلخ دلالة
على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلاً عن رتبة المنع ما لا يخفى وقوله عز وعلا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ
وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ استئناف مقرر لما قبله من الإنكار وموضح لبطلان اعتقادهم أي لا يستطيعون أن
ينصروا أنفسهم ولا هم يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم أن ينصروهم وقوله تعالى بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ
حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ إضراب عما توهموا ببيان أن الداعي إلى حفظهم تمتيعنا إياهم بما قدر لهم من الأعمار أو من
الكلاءة ... أي متعناهم بالحياة الدنيا وأمهلناهم حتى طالت أعمارهم فحسبوا
أن لا يزالوا كذلك وأنه بسبب ما هم عليه ... أَفَلَا يَرَوْنَ

اي لا ينظرون فلا يرون انا نأتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها فكيف يتوهمون انهم ناجون من
بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يخربه الله عز وجل من ديارهم على ايدي المسلمين وتضيفها الى دار الاسلام افهم الغالبون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لانكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة
بتسليط المسلمين عليها كأنه قيل ابعد ظهور ما ذكروا ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما مر في قوله تعالى افمن كان على بينة
من ربه وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وفي التعريف تعريض بان المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون
بها قل انما انذركم بعد ما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند
اتيانه ونعي عليهم جهلهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوي
احوالهم امر عليه السلام بان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الصادق الناطق باتيانها وفظاعة
ما فيها من الاهوال اي انما شأني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية
اذ الايمان برهاني لا عياني وقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اما من تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض
قد امر عليه السلام بان يقوله لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما
اوليا او للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصام وتقييد نفي السماع بقوله تعالى اذا ما ينذرون
مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت
والنداء على الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه
فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر
ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم من الاسماع بنصب الصم والدعاء كأنه قيل لهم
ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على ان الفاعل هو عليه السلام وقرئ على البناء للمفعول اي لا يقدر
احد على اسماع الصم وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك بيان لسرعة تأثرهم من مجيء
نفس العذاب اثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد القسمي اي وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة
ادنى شيء من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء
ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى
ونضع الموازين القسط بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها
صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل
فيه من الكلام في سورة الاعراف وافراد القسط لانه مصدر وصف به مبالغة ليوم القيمة التي كانوا
يستعجلونها اي لجزائه او لاجل اهله او فيه كما في قولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس من النفوس
شيئا حقا من حقوقها او شيئا ما من الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء
الظلم على وضع الموازين وان كان اي العمل المدلول عليه بوضع الموازين مثقال حبة من خردل اي مقدار
حبة كائنة من خردل اي وان كان في غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل مثل في الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع
على ان كان تامة اتينا بها اي احضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لاضافته الى
الحبة وقرئ آتينا بها اي جازينا بها من الايتاء بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرئ
اثبنا من الثواب وقرئ جئنا بها وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون
الفرقان وضياء وذكرى للمتقين نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم الى قوله
تعالى واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار كمال الاعتناء
بمضمونه والمراد بالفرقان هو التوراة وكذا بالضياء والذكرى اي وبالله لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتابا
جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكرى يتعظ به الناس

وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانوارها المغتنمون لمغانم آثارها او ذكرى مما يحتاجون اليه من
الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول هو الاوفق لسياق النظم الكريم فانه لتحقيق امر
القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لاسيما التوراة فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذي اقترحه الكفرة
مثله بقولهم فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان وقوله تعالى الذين
يخشون ربهم اي عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب او مرفوع على المدح
بالغيب حال من المفعول اي يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث
لا يتأثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما ينذرونه وقيل من الفاعل وهم من الساعة مشفقون اي
خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار لرعاية الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم
بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون
وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه وهذا اي القرآن الكريم اشير اليه بهذا
ايذانا بغاية وضوح امره ذكر يتذكر به من تذكر وصف بالوصف الاخير للتوراة لمناسبة المقام
وموافقته لما مر في صدر السورة الكريمة مبارك كثير الخير غزير النفع يتبرك به انزلناه اما صفة
ثانية لذكر او خبر آخر افانتم له منكرون انكار لانكارهم بعد ظهور كون انزاله كايتاء التوراة كأنه قيل
ابعد ان علمتم ان شأنه كشأن التوراة في الايتاء والايحاء انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان ذلك بعد
ملاحظة حال التوراة مما لا مساغ له اصلا ولقد آتينا ابراهيم رشده اي الرشد اللائق به وبامثاله
من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على اصلاح
الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده وهما لغتان كالحزن والحزن من قبل اي من قبل ايتاء موسى
وهرون التوراة وتقديم ذكر ايتائهما لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه او
قبل بلوغه ويأباه المقام وكنا به عالمين اي بانه اهل لما آتيناه وفيه من الدليل على انه تعالى عالم
بالجزئيات مختار في افعاله ما لا يخفى اذ قال لابيه وقومه ظرف لآتينا على انه وقت متسع وقع فيه
الايتاء وما ترتب عليه من افعاله واقواله وقيل مضمر مستأنف وقع تعليلا لما قبله اي اذكر وقت قوله
لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم لشيء مصنوع
مشبها بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث سألهم عن اصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة
او شرح الاسم كأنه لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم
لها بطريق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الاغراض قصدا الى تحقيرها واذلالها
وتوبيخا لهم على اجلالها واللام في لها للاختصاص دون التعدية والا لجيء بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف
لها وقد يجوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين اجابوا
بذلك لما ان مآل سؤاله عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام اياهم بالعكوف لها كأنه
قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم حجة يعتد بها التجأوا الى التقليد فابطله عليه السلام
على طريقة التوكيد القسمي حيث قال لقد كنتم انتم وآباؤكم الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة في ضلال
عجيب لا يقادر قدره مبين اي ظاهر بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم
على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم اي والله لقد كنتم مستقرين
على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقية في الجملة قالوا لما سمعوا
مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام اياهم بطريق التوكيد القسمي وترددا
في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد اجئتنا بالحق اي بالجد ام انت من اللاعبين فتقول ما تقول

على وجه المداعبة والمزاح وفي ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم قال
عليه السلام اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها
عاكفين كانه قيل ليس الامر كذلك بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وقيل هو اضراب عن كونه
لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض وصفه تعالى بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته
تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل عن الربوبية اي انشاهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها
انتم واباؤكم وما تعبدون من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم واظهر
في الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التامل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات وانا على ذلكم الذي
ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان من الشاهدين اي العالمين به على سبيل
الحقيقة المبرهن عليه فان الشاهد على الشيء من تحققه وحققه وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه واثباتها
كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه وتالله وقرئ بالباء وهي الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الاصل
وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم اي لاجتهدن في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل
ولعله قاله عم سرا وقيل سمعه رجل واحد بعد ان تولوا مدبرين من عبادتها الى عيدكم وقرئ تولوا من التولي
بحذف احدى التائين ويعضده قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى فجعلهم فصيحة اي فولوا فجعلهم
جذاذا اي قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر وقرئ بالكسر
وهي لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة روي ان آزر
خرج به في يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا
الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم عم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم
صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفاس كان في يده ولم
يبق الا الكبير وعلق الفاس في عنقه وذلك قوله تعالى الا كبيرا لهم اي للاصنام لعلهم اليه اي الى ابراهيم عم
يرجعون فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسألونه عن الكاسر لان من شان المعبود
ان يرجع اليه في الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم عن دفع ما يصيبهم
وعن الاضرار بمن كسرهم قالوا اي حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما رأوا من فعل هذا بآلهتنا على طريقة
الانكار والتوبيخ وانما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا بهؤلاء وهي بين ايديهم مبالغة في التشنيع وقوله تعالى انه
لمن الظالمين استيناف معرب عما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع على انها خبرها والمعنى
الذي فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجرأته على اهانتها وهي حقيقة بالاعظام
او لافراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة بها او بتعريض نفسه للهلكة قالوا اي بعض منهم مجيبين
للسائلين سمعنا فتى يذكرهم اي يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله تعالى يذكرهم اما مفعول ثان لسمع
لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان القائلون سمعوه عم بالذات يذكرهم واما اذا كانوا
قد سمعوا من الناس انه عم يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح يقال له ابراهيم صفة اخرى لفتى اي يطلق
عليه هذا الاسم قالوا اي السائلون فأتوا به على اعين الناس اي بمرأى منهم بحيث يكون نصب اعينهم
في مكان مرتفع لا يكاد يخفى على احد لعلهم يشهدون اي يحضرون عقوبته وقيل لعلهم يشهدون بفعله او
بقوله ذلك فالضمير ليس للناس بل لبعض منهم مبهم او معهود قالوا استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية
قولهم كانه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به اولا فقيل قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم
اقتصارا على حكاية مخاطبتهم اياه عم للتنبيه على ان اتيانهم ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غني عن البيان قال بل
فعله كبيرهم هذا مشيرا الى الذي لم يكسره عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذي هو

الزامهم الحجة على الطف وجه واحسنه بحملهم على التامل في شان آلهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب حيث
ابرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرزه في ذلك المعرض فعلا بجعل الفاس في عنقه وقد قصد
اسناده اليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك الاصنام غاظته عم حين ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله
سبحانه وكان غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه وقيل
هو حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى
الها ان يقدر على ما هو اشد من ذلك ويحكى انه عم قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار
وهو اكبر منها فيكون تمثيلا اراد به عم تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لاشراكهم بعبادته الاصنام واما ما قيل
من انه عم لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب
تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل لذلك بما لو قال لك صاحبك فيما كتبته بخط رشيق وانت شهير
بحسن الخط ءانت كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع الاستهزاء
بالسائل لا نفيها عنك واثباتها له فبمعزل من التحقيق لان خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة
لنفسك وادعاء ظهور الامر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لابتنائه على ان صدوره عن غيرك
محتمل عنده مع استحالته عندك ولا ريب في ان مراده عم من اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا
تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه على احتمال صدوره عن الغير عندهم بل انما مراده عم توجيههم نحو التامل في احوال
اصنامهم كما ينبئ عنه قوله تعالى فاسألوهم ان كانوا ينطقون اي ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل
ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السؤال هو الجواب
وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك على احسن ما نطق به قوله تعالى فرجعوا الى انفسهم
اي راجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه
يستحيل ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يكون معبودا فقالوا اي قال بعضهم
لبعض فيما بينهم انكم انتم الظالمون اي بهذا السؤال لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة او بعبادة
الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤوسهم
اي انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء اعلاه
وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
على ارادة القول اي قائلين والله لقد علمت ان ليس شانهم النطق فكيف تامرنا بسؤالهم على ان ما في
استمرار نفي النطق لا في استمراره كما يوهمه صيغة المضارع قال افتعبدون اي اتعلمون ذلك فتعبدون
من دون الله اي متجاوزين عبادته تعالى ما لا ينفعكم شيئا من النفع ولا يضركم فان العلم بحالة المنافية
للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه عم
من اصرارهم على الباطل البين واظهار للاسف
افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا
اي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا
قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة حرقوه فانه اشد العقوبات وانصروا
آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين اي للنصر او لشيء يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنحاريب بن
نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير خسفت به الارض وروي انهم
لما اجمعوا على احراقه حبسوه في بيت وبنوا الحظيرة بكوثى كقرية من قرى الانباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه
في الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها

فلم يعلموا احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكن احد يحوم حولها فلم يعلموا كيف
يلقونه عم فيها فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف الله تعالى به الارض
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ثم عمدوا الى ابراهيم عم فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها فقال له جبرئيل عليه السلام
هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة
روضة وذلك قوله قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اي كوني ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير
ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مأمورة مطاوعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي
ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي ان الملائكة
اخذوا بضبعي ابرهيم واقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار الا وثاقه
وروي انه عم مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن يسار
وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فرآه جالسا في روضة
مونقة ومعه جليس على احسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه يا ابرهيم هل تستطيع ان تخرج
منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشي فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رأيته معك
قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليؤنسني فقال اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك
فقال عليه السلام لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبح له اربعة
آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم عم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من بدائع المعجزات
فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق
العادات وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عم اذاها كما تراه في السمندل كما يشعر به ظاهر قوله
على ابراهيم وارادوا به كيدا مكرا عظيما في الاضرار به فجعلناهم الاخسرين اي اخسر من كل خاسر حيث
عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه عم على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته
واستحقاقهم لاشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى
الشام وبركاتها العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات
والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه عم نزل بفلسطين ولوط عم بالمؤتفكة
وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة
على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة وكلا اي كل واحد من هؤلاء الاربعة
لا بعضهم دون بعض جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين وجعلناهم
ائمة يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعائه عم بقوله ومن ذريتي يهدون اي الامة الى الحق بامرنا لهم
بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل
الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تعالى واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو
من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وانافته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام
المضاف اليه مقامه وكانوا لنا خاصة دون غيرنا عابدين لا يخطر ببالهم غير عبادتنا ولوطا قيل هو منصوب
بمضمر يفسره قوله تعالى آتيناه اي وآتينا لوطا وقيل باذكر حكما اي حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق
وعلما بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث اي اللواطة
وصفت بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تعالى انهم
كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في جنتنا انه
من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اي اذكر نوحا اي خبره وقوله تعالى اذ نادى اي دعا

الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف المضاف المقدر اي اذكر نبأه الواقع وقت دعائه من قبل اي من قبل هؤلاء
المذكورين فاستجبنا له اي دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر فنجيناه واهله من الكرب
العظيم وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ونصرناه نصرا مستتبعا للانتقام
والانتصار ولذلك قيل من القوم الذين كذبوا باياتنا وحمله على فانتصرنا بما ذكر من دعائه عم
فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى انهم كانوا قوم
سوء تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى فاغرقناهم اجمعين فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك
في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا وداود وسليمان اما عطف على نوحا معمول لعامله واما مفعول
معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى اذ يحكمان ظرف المضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية
الحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر خبرهما وقت حكمهما في الحرث اي في حق الزرع او الكرم المتدلي عناقيده
كما قيل او بدل اشتمال منهما وقوله تعالى اذ نفشت اي تفرقت وانتشرت فيه غنم القوم ليلا بلا راع فرعته
وافسدته ظرف للحكم وكنا لحكمهم اي لحكم الحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام
والوقوع وقرئ لحكمهما شاهدين حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشأنه ففهمناها
سليمان عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ فافهمناها والضمير للحكومة او الفتيا روي انه دخل على داود عم
رجلان فقال احدهما ان غنم هذا دخلت في حرثي ليلا فافسدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام
فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فسمعه داود عم فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي
ارفق بالفريقين فقال ارى ان تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى ارباب
الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك والذي عندي
ان حكمهما عليهما السلام بالاجتهاد فان قول سليمان عم غير هذا ارفق بالفريقين ثم قوله ارى ان تدفع الخ صريح
في انه ليس بطريق الوحي والا لبت القول بذلك ولما ناشد داود عم لاظهار ما عنده بل وجب عليه ان يظهره
بدا وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء السابق ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص
بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان رأي سليمان عم استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق بالفريقين ورأي داود عم
قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او
يفديه عند الشافعي وقد روي انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت واما سليمان عم فقد استحسن
حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب
على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا
فابق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الآبق
ترادا وفي قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عم اليه مع ان الحكم المبني على الاجتهاد
[illegible] وفي الاخبار ان داود عم لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع واما حكم المسألة
في شريعتنا فعند ابي حنيفة رح لا ضمان اذا لم يكن معها سائق او قائد وعند الشافعي يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله
تعالى وكلا آتينا حكما وعلما لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عم بالتفهيم من عدم كون حكم داود عم
حكما شرعيا اي وكل واحد منهما آتيناه حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطأ المجتهد لا يقدح
في كونه مجتهدا وقيل بل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما
على ان قوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره فانه عم كان ابن احدى عشرة سنة وسخرنا
مع داود الجبال شروع في بيان ما يختص بكل منهما من كرامات الله تعالى اثر بيان كرامته العامة يسبحن اي يقدسن الله
عز وجل معه بصوت يتمثل له او بخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال او

استينافا مبينا لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد والطير عطف على الجبال او مفعول معه
وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والطير مسخرات وقيل على العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف
لعدم التاكيد والفصل وكنا فاعلين اي من شاننا ان نفعل امثاله فليس ذلك ببديع منا وان كان بديعا
عندكم وعلمناه صنعة لبوس اي عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال قائلهم البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها
واما بوسها وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلمنا او بمحذوف هو صفة للبوس لتحصنكم اي اللبوس
بتاويل الدرع وقرئ بالتذكير على ان الضمير لداود عم او للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال
من لكم باعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم من باسكم قيل من حرب
عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم فهل انتم شاكرون امر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع
ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وايراد اللام هنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت
فان تسخير ما سخر له عم من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بامره ونهيه والمقهورية
تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود عم فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عم والاقتداء
في عبادة الله عز وعلا عاصفة حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر اي وسخرنا له الريح حال كونها
شديدة الهبوب من حيث انها كانت تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها
شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عم وقرئ الريح
بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة ح حال من ضمير المبتدأ في الخبر والعامل ما فيه
من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او
حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها وهي الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة قال الكلبي كان سليمان
عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله وكنا بكل شيء عالمين
فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين اي وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون
له من نفائسها وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والاول هو الاظهر ويعملون عملا دون ذلك
اي غير ما ذكر من بناء المدن واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية
وهؤلاء اما الفرقة الاولى وغيرها لعموم كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها
بعد ما روعي جانب لفظها بقوله تعالى من الشياطين روي ان المسخر له عم كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى والشياطين
وقوله تعالى وكنا لهم حافظين اي من ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم
جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دابهم ان يفسدوا
بالليل ما عملوا بالنهار وايوب الكلام فيه كما مر في قوله تعالى وداود وسليمان اي اذكر خبر ايوب اذ نادى ربه
اني اي باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر شايع في كل ضرر وبالضم
خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما وانت ارحم الراحمين وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر
نفسه بما يوجبها واكتفى به عن عرض المطلب لطفا في السؤال وكان عم روميا من ولد عيص بن اسحق استنباه الله
تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني
عشرة سنة او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات روي ان امراته ماخير بنت
ميشا بن يوسف عم او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال لها كم كانت مدة الرخاء
فقالت ثمانين سنة فقال انا استحي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي ان ابليس اتاها
على هيئة عظيمة فقال انا اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء فلو سجد لي سجدة لرددت
عليه وعليك جميع ما اخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك

فرجعت الى ايوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال عليه السلام لعلك افتتنت
بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لاضربنك مائة سوط وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيئا من طعامك
وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله احد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب اني مسني
الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع راسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين
ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعت عين
اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك
قوله تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل
والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك قوله تعالى واتيناه اهله ومثلهم معهم وقيل كان ذلك بان
ولد له ضعف ما كان ثم ان امراته قالت في نفسها هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا وياكله السباع
لارجعن اليه فلما رجعت ما رات تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث
كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة ان تاتيه وتسال عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال لها ما
تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت
وقالت بعلي قال اتعرفينه اذا رايته قالت وهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته رحمة
من عندنا وذكرى للعابدين اي اتيناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر
فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم ايوب وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا لهم واسمعيل
وادريس وذا الكفل اي واذكرهم وذو الكفل الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ
من الله تعالى او تكفل منه او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم فان الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة
والضعف كل اي كل واحد من هؤلاء من الصابرين اي على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة
استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من الامر بذكرهم وادخلناهم في رحمتنا اي في النبوة او في نعمة
الاخرة انهم من الصالحين اي الكاملين في الصلاح الكامل الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد
وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون اي واذكر صاحب الحوت وهو يونس
اذ ذهب مغاضبا اي لقومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم
مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم ياتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب
من ذلك وهو من بناء المغالبة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا
فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده انه قرئ مشددا
او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا
او لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كانه تعالى في قوله تعالى ايحسب ان لن يقدر عليه احد
معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا
ومثقلا مبنيا للمفعول فنادى الفاء فصيحة اي فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى في الظلمات
اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل
في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر والليل ان لا اله الا انت اي بانه لا اله الا انت على ان ان مخففة
من ان وضمير الشان محذوف او اي لا اله الا انت على انها مفسرة سبحانك اي انزهك تنزيها لائقا بك
من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي اني كنت من الظالمين لانفسهم بتعريضها
للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة فاستجبنا له اي دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف
وجه واحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له

وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلاثة ايام
وقيل الغم غم الالتقام وقيل الخطيئة وَكَذَلِكَ اي مثل ذلك الانجاء الكامل نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ من غموم دعوا الله
تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى منه وفي الامام نجي بنون واحدة ولذلك اخفي الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف
الفم وقرئ بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت
فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف
اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافى اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر
وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وَزَكَرِيَّا اي اذكر
خبره إِذْ نَادَى رَبَّهُ وقال رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا اي وحيدا بلا ولد يرثني وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فحسبي انت
ان لم ترزقني وارثا فَاسْتَجَبْنَا لَهُ اي دعاءه وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبة في سورة
مريم وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت
حردة وقوله تعالى إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى المتعلقة بالانبياء
المذكورين اي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير وهو السر في ايثار كلمة
في على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تعالى
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ذوي رغب ورهب او راغبين في
الثواب راجين للاجابة او في الطاعة وخائفين العقاب او المعصية او للرغب والرهب وَكَانُوا
لَنَا خَاشِعِينَ اي مخبتين متضرعين او دائمي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم
بهذه الخصال الحميدة وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا اي اذكر خبر التي احصنته على الاطلاق من الحلال والحرام
والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها وتنزيهها عما زعموه في حقها آثر ذي اثير فَنَفَخْنَا فِيهَا اي احيينا عيسى
في جوفها مِنْ رُوحِنَا من الروح الذي هو من امرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل عم وَجَعَلْنَاهَا
وَابْنَهَا اي قصتهما او حالهما آيَةً لِلْعَالَمِينَ فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل فالمراد بالآية
ما حصل بهما من الآية التامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل اريد بالآية الجنس الشامل لكل واحدة
منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية
عليها إِنَّ هَذِهِ اي ملة التوحيد والاسلام اشير اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد
أُمَّتُكُمْ اي ملتكم التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشيء منها والخطاب للناس
قاطبة أُمَّةً وَاحِدَةً نصب على الحالية من امتكم اي غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام لا مشاركة
لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال التبدل لها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل الامم والاعصار
وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من اسم ان وامة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على انهما خبران
وَأَنَا رَبُّكُمْ لا اله لكم غيري فَاعْبُدُونِ خاصة لا غير وقوله تعالى وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ التفات
الى الغيبة لينعي عليهم ما افسدوه من التفرق في الدين وجعل امره قطعا موزعة وينهى قبائح افعالهم
الى الآخرين كانه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي اجمعت عليه كافة الانبياء
كُلٌّ اي كل واحدة من الفرق المتقطعة او كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك الفرق إِلَيْنَا رَاجِعُونَ
بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حسب اعمالهم وايراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى
فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ الخ تفصيل الجزاء اي فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات وَهُوَ
مُؤْمِنٌ بالله ورسله فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ اي لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو
ستر النعمة وجحودها لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح

وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى ونفي نفي الجنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي
لاظهار الاعتداد به وَإِنَّا لَهُ اي لسعيه كَاتِبُونَ اي مثبتون في صحائف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا
وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ اي ممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم وهي لغة كالحل والحلال أَهْلَكْنَاهَا قدرنا
هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ في حيز الرفع على انه مبتدأ خبره
حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل الينا راجعون وما في ان
من معنى التحقيق معتبر في النفي المستفاد من حرام لا في المنفي اي ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء لا ان
عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما
نطق به قوله تعالى كل الينا راجعون لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى
التوبة على ان لا صلة وقرئ انهم لا يرجعون بالكسر على انه استئناف تعليلي لما قبله فحرام خبر مبتدأ محذوف
اي حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعي المشكور ثم
علل بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك [illegible]
المعنى بحذف الكلام عنها اي انهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ
التي يحكى بعدها الكلام وهي غاية لما يدل عليه ما قبلها كأنه قيل يستمرون على ما هم عليه من
الهلاك حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الخ وقيل غاية للحرمة اي يستمر امتناع
رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا حين لا ينفعهم التوبة وعلى الثاني غاية لعدم الرجوع
عن الكفر اي لا يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ويأجوج ومأجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة
اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
وقرئ فتحت بالتشديد وَهُمْ اي يأجوج ومأجوج وقيل الناس مِنْ كُلِّ حَدَبٍ اي نشز من الارض وقرئ جدث
وهو القبر يَنْسِلُونَ اي يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم السين وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ
عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الاولى فَإِذَا هِيَ
شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا جواب الشرط واذا للمفاجأة وهي تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى
اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده
يَا وَيْلَنَا على تقدير قول وقع حالا من الموصول اي يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان حضورك وقيل
هو الجواب للشرط قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ تامة مِنْ هَذَا الذي دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى
للجزاء ولم نعلم انه حق بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اي لم نكن غافلين
عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا
بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ
خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة
الاعذار وما تعبدون عبارة عن اصنامهم لانها التي يعبدونها كما ينبئ عنه كلمة ما وقد روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين تلا الآية قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا
والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة رد عليه بقوله عم ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل
ولا يعارضه ما روي انه عم رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ولا ما روي ان ابن الزبعرى
قال هذا شيء لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عم بل لكل من عبد من دون الله تعالى اذ ليس
منهما ما ينافي عموم كلمة ما لما ان الاول نفي في خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي
في ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص حتما مع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فلعله عم بعدما بين

مدلول النظم الكريم عما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة
ايضا تاكيدا للرد والالزام وتكرير للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج
بعض المعبودين عن حكم مبني على الغضب على العبدة والمعبودين مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة بل بتحقيق الحق
وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شيء حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للاصنام في المعبودية
من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التي امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم
بل كانوا يعبدون الجن الآية فهم الداخلون في الحكم المذكور لاشتراكهم الاصنام في المعبودية من دونه تعالى دون
المذكورين عم وهذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا وجعل
ما سيأتي من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخ بيانا للتجوز او التخصيص فمما لا يساعده السباق
والسياق كما تحققته بتوفيق الله السلم والحصب ما يرمى به ويهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء
وقرئ بسكون الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة انتم لها واردون استيناف او بدل من حصب جهنم
واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا لو كان
هؤلاء اي اصنامهم آلهة كما تزعمون ما وردوها وحيث تبين ورودهم تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة
وهذا كما ترى صريح في ان المراد بما تعبدون هي الاصنام لان المراد اثبات نقيض ما يدعونه وهم انما يدعون الهية
الاصنام لا الهية الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها واما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع
بطريق التكملة باجراء الكلام اليه عند بيان ما يتوله النظم الكريم بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبعرى
عن حال سائر المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الاول مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودون
عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون في حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة
لئلا يتوهم التدافع بين الخبرين وكل اي من العبدة والمعبودين فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها
زفير اي انين وتنفس شديد وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة
لعدم الالتباس وكذا في قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون اي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب
وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام ان الذين سبقت لهم منا الحسنى شروع في بيان حال المؤمنين اثر
شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب
اي سبقت لهم منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي احسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة او سبقت
لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة والاول هو الادخل في الحمل عليها لما ان الاولين مستتبعتان لهما بلا ريب
مقدورات المكلفين بالجملة مع ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران
لسعيه وانا له كاتبون كما ان ما قبلها من قوله انكم وما تعبدون الخ تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وحرام الخ اولئك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم
في الشرف والفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل عنها اي عن جهنم مبعدون لانهم في الجنة وشتان
بينها وبين النار وما روي ان عليا رض خطب يوما فقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلوة
فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها ليس بنص في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس
صوت يحس به اي لا يسمعون صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدا وان كان صوته
في غاية الشدة لا انهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره مسوقة
للمبالغة في تنائيهم عنها وقوله تعالى وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان
خلاصهم عن المهالك والمعاطب اي دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى

لا يحزنهم الفزع الاكبر بيان لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم اكبر
الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة عن الحسن رح انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار
وقيل حين يذبح الموت في صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض
وليس بذاك فان الآمن من ذلك الفزع من استثناه الله تعالى بقوله الا من شاء الله لا جميع المؤمنين الموصوفين
بالاعمال الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك في النفخة الاولى دون الاخيرة كما سيأتي في سورة النمل وتتلقاهم
الملائكة اي تستقبلهم مهنئين لهم هذا يومكم على ارادة القول اي قائلين هذا اليوم الذي كنتم توعدون
في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في ان المراد بالذين سبقت
لهم الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام
خاصة كما قيل يوم نطوي السماء بنون العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله لا يحزنهم الفزع وقيل لتتلقاهم
وقيل حال مقدرة من الضمير المحذوف في توعدون والطي ضد النشر وقيل المحو وقرئ يطوى بالياء والتاء
والبناء للمفعول كطي السجل وهي الصحيفة اي طيا كطي الطومار وقرئ السجل كلفظ الدلو وبالكسر والسجل
على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى للكتب متعلقة بمحذوف هو حال من السجل او صفة له
على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي كطي السجل كائنا للكتب او الكائن للكتب فان الكتب
عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ للكتاب وهو اما مصدر
واللام للتعليل اي كما يطوى الطومار للكتابة او اسم كالامام فاللام كما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك يطوي
كتب اعمال بني آدم اذا رفعت اليه وقيل هو كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدأنا اول خلق نعيده
اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة
والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدأ لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة
لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة
بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف
وعدا مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا انجازه
انا كنا فاعلين لما ذكر لا محالة ولقد كتبنا في الزبور هو كتاب داود عم وقيل هو اسم لجنس
عليه السلام من بعد الذكر اي التورية وقيل اللوح المحفوظ اي وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعدما
كتبنا في التورية او كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعدما كتبنا واثبتنا في اللوح المحفوظ ان الارض يرثها
عبادي الصالحون اي عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز
اهله وعن ابن عباس رض ان المراد ارض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا
اي فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة
الدالة على التوحيد وصحة النبوة لبلاغا اي لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين اي لقوم
همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك بما ذكر وبامثاله من الشرائع والاحكام وغير ذلك من الامور
التي هي مناط السعادة في الدارين الا رحمة للعالمين هو في حيز النصب على انه استثناء من اعم الاحوال
اي وما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لاجل رحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة او ما ارسلناك في حال من الاحوال
الا حال كونك رحمة لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين ومن
لم يغتنم مغانم آثاره فانما فرط في نفسه وحرمها حقها لا انه تعالى حرمه مما يسعده وكونه رحمة في حق الكفار
امنهم من الخسف والمسخ والاستيصال حسبما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قل انما

يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد لانه المقصود الاصلي من
البعثة واما ما عداه من الاحكام المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشيء كقولك انما يقوم زيد اي ما يقوم
الا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك انما زيد قائم اي ليس له الا صفة القيام فهل انتم مسلمون اي مخلصون
العبادة لله تعالى مخصصون لها به تعالى والفاء للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها فان لو افنيه دلالة
على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع فان تولوا عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحي
فقل لهم آذنتكم اي اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء كائنين على سواء في الاعلام به لم اطوه عن احد
منكم او مستوين به انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل
واستقامة راي بالبرهان النير وان ادري اي ما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين
وظهور الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة انه يعلم الجهر من القول اي ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام
وتكذيب الايات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم
عليه نقيرا وقطميرا وان ادري لعله فتنة لكم اي ما ادري لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم
او امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين اي وتمتيع لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة
ليكون ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالحق حكاية لدعائه صلى الله عليه وسلم وقرئ قل رب على صيغة الامر
اي اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه حيث
عذبوا ببدر اي تعذيب وقرئ رب احكم بضم الباء وقرئ احكم على صيغة التفضيل وربي احكم من الاحكام وربنا
الرحمن مبتدا وخبر اي كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى المستعان اي المطلوب منه المعونة خبر آخر للمبتدا
واضافة الرب فيما سبق الى ضميره عم خاصة لما ان الدعاء من الوظائف الخاصة به عم كما ان اضافته ههنا
الى الضمير الجمع المنتظم للمؤمنين ايضا لما ان الاستعانة من الوظائف العامة لهم على ما تصفون من الحال فانهم كانوا
يقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك
مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب آمالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه عليهم
فاصابهم يوم بدر ما اصابهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اقترب حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مدنية خمس وسبعون آيات

يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم بعد من الموجودين القاصرين
عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة وان كان خطاب المشافهة مختصا بالفريق الاول على الوجه الذي
مر تقريره في مطلع سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج
التغليب لعدم تناولها للاناث حقيقة الا عند الحنابلة والمامور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم
من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا اوليا والتعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاييد الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا
وترغيبا اي احذروا عقوبة مالك امركم ومربيكم وقوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم تعليل لموجب الامر
بذكر بعض عقوباته الهائلة فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال
التي لا ملجا منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة
التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها

واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمي كانها هي التي تزلزل الاشياء او اضافته
الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا او بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة
المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها عن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي انها قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها الى الساعة حينئذ لكونها
من اشراطها وفي التعبير عنها بالشيء ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها
الا على وجه الابهام وقوله تعالى يوم ترونها منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة اي وقت
رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها تذهل كل مرضعة اي مباشرة للارضاع عما ارضعت اي تغفل
وتذهب مع دهشة عما هي بصدد ارضاعه من طفلها الذي القمته ثديها والتعبير عنه بما دون من لتاكيد
الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا لا انها تعرف شيئيته لكن لا تدري من هو بخصوصه وقيل
ما مصدرية اي تذهل عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الاذهال
مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل مع نصب كل اي تذهلها الزلزلة وتضع كل ذات حمل حملها اي تلقي
جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي واما على ما روي
عن ابن عباس رض فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف
واطم وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا في النفخة الاولى فتقوم المرضعة
على ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب في ان قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى
يتصور ما ذكر وترى الناس بفتح التاء والراء على خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف
بالجمعية والافراد لما ان المرئي في الاول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب
منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد
بيان تاثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلال مشاعره لان مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها
كانه قيل ويصير الناس سكارى الخ وانما اوثر عليه ما في التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها
من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اي يراهم كل احد سكارى اي كانهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة ولكن
عذاب الله شديد فرهقهم هوله ويطير عقولهم ويسلب تمييزهم فهو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء
وفتح الراء مسندا الى المخاطب من اريتك قائما او رؤيتك قائما والناس منصوب اي تظنهم سكارى وقرئ
ورفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتانيث على تاويل الجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء
اي ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وسكرى كعطشى وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل
ومن الناس كلام مبتدا جيء به اثر بيان عظم شان الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين
لها ومحل الجار الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى او بتقدير ما يتعلق به كما مر اي وبعض الناس
او وبعض كائن من الناس من يجادل في الله اي في شانه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل
وقوله تعالى بغير علم حال من ضمير يجادل موضحة لما تشعر به المجادلة من الجهل اي ملابسا بغير علم روي انها
في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي
عامة له ولاضرابه من العتاة المتمردين ويتبع اي فيما يتعاطاه من المجادلة او في كل ما ياتي وما يذر من الامور
الباطلة التي من جملتها ذلك كل شيطان مريد عات متمرد متجرد للفساد واصله العري المنبئ عن التجرد
كالشجر ولعله ماخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس
والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى كتب عليه
اي على الشيطان صفة اخرى وقوله انه فاعل كتب والضمير للشان اي قدر به لظهور ذلك من حاله ان الشان

قال الازهري روئيت مقلوب في الاصل اريت حاجرت العين ونصبا او ربت وهو بمعنى الظن تمت

من تولاه اي اتخذه وليا وتبعه فانه يضله بالفتح على انه خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف والجملة
جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبر لها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اي من تولاه فشانه انه
يضله من طريق الجنة او طريق الحق او فحق انه يضله قطعا وقيل فانه معطوف على انه وفيه من التعسف ما
لا يخفى وقيل مما لا يخلو عن التمحل والتاويل وقرئ فانه بالكسر على انه خبر لمن او جواب لها وقرئ بالكسر فيهما
على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت ان الله يامر بالعدل والاحسان او على اضمار القول او تضمين الكتب
معناه على راي من يراه ويهديه الى عذاب السعير بحمله على مباشرة ما يؤدي اليه من السيئات يا ايها
الناس اثر ما حكى احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على ما تحتم جادلوا
فيه من البعث ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا له تعالى او من وقوعه وقرئ من البعث
بالتحريك كالجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع التنكير المنبئ عن القلة مع انهم جازمون باستحالته
وايراد كلمة الشك مع تعريضا لهم في ذلك لايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان ارتبتم في البعث
قد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانا خلقناكم اي فانظروا الى مبدا
خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اي خلقنا كل فرد منكم من تراب في ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان خلق
كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا
على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل
منه كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني من النطف الذي هو الصب
ثم من علقة اي قطعة من الدم جامدة متكونة من المني ثم من مضغة اي قطعة من اللحم متكونة من العلقة
وهي في الاصل مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة اي مستبينة الخلق مصورة وغير مخلقة اي لم يستبن خلقها
وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها شيء من الاعضاء ثم ظهرت بعد
ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادي البعيدة الى القريبة ان يقدم غير
المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس
بذاك فان جعل كل واحد من هذه المراتب مبدا لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا
النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الآية مزيد دلالة على عظم قدرته تعالى وكمال سعة استعدادهم لنبين لكم
متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا اي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العقول من
من الحقائق التي من جملتها امر البعث فان من تامل فيما ذكر من الخلق التدريجي تاملا حقيقا جزم جزما ضروريا
بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم رائحة الحيوة قط وانشانه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة
بعد اخرى بتصريفه في اطوار الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة
والتباين فهو قادر على اعادته بل هو اهون في القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين بطريق الالتفات
وقوله تعالى ونقر في الارحام ما نشاء استيناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظمه في سلك ما
عطف عليه في سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متماته ومن مبادي التبيين ايضا لما ان دلالة الاول
على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اي ونحن نقر في الارحام
بعد ذلك ما نشاء ان نقره فيها الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل
اربع سنين وفيه اشارة الى ان بعض ما في الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فيسقط
والتعرض لذلك لا يناسب المقام لان المرام فيما جرى عليه اطوار الخلق وهذا صريح في ان المراد بغير المخلقة ليس
من ولد ناقصا او معيبا وان ما نقل الى هنا من الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرئ نقر بالنصب
ونقر ويقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته ثم نخرجكم اي من بطون امهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام

الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم اطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد
والمتعدد وقرئ يخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم علة لنخرجكم معطوفة على علة اخرى له
مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم
نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل انه معطوف على نبين مخل بجزالة النظم الكريم هذا وقرئ ما قبله من الفعلين بالنصب
حكاية وغيبة فهو حينئذ عطف على نبين مثلهما والمعنى خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين
عليه احداهما ان نبين شؤوننا والثانية ان نقركم في الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم
التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات
واعادة اللام هنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور
التكليف المؤدي الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا الى المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى
كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستعدادهم عبدية الآثار والافعال والاشد
من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالابابيل والعتود وكانها شدة في غير شيء مبنية على لفظ الجمع
ومنكم من يتوفى اي بعد بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد
الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجري على سنن
الكبرياء لتعين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم اي علم كثير شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة
في انتقاص علمه وانتكاس حاله اي ليعود الى ما كان عليه في اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل و
قلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى وترى
الارض هامدة حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة
على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا
فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت وازدادت وقرئ ربات اي
ارتفعت وانبتت من كل زوج اي صنف بهيج حسن رائق يسر ناظره ذلك بان الله هو الحق كلام مستانف
جي به اثر تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانساني والنباتي لبيان ان ذلك من آثار الوهيته تعالى
واحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية وان ما سيكون من وجوده ما لا بد منه من اتيان الساعة والبعث
من اسباب تلك الآثار الجليلة التي يشاهدونها في الانفس والآفاق ومبادي صدورها عنه تعالى فقوله
فوقه الدليل اصله الذي هو المحقق واظهار بطلان انكارهم [illegible]
يحقق المسبب ما يقتضي بطلانه بديهة العقول وانما الحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته
لا الثابت مطلقا وفي ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه في احوال متباينة واحياء
الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدا خبره ما بعده من الجار والمجرور
اي ذلك الصنع البديع حاصل بسبب انه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما
سواه من الاشياء وانه يحيي الموتى اي بسبب انه يحيي الموتى وحاصله انه تعالى قادر على احيائها
بدءا واعادة والا لما احيى النطفة والارض الميتة مرة بعد اخرى وما فيه من صيغة المضارع من التجدد
انما هو باعتبار تعلق القدرة وتعلقها بالاحياء لا نفسه وانه على كل شيء قدير اي مبالغ في القدرة والا
لما اوجد هذه الموجودات الفائقة للحصر التي من جملتها ما ذكر وان الاستدلال على كمال قدرته بالاحياء
المذكور فان المشاهد من احيائه بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها
العقول النظم الكريم كون الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة التامة
وشيئا بها وتخصيص احياء الموتى بالذكر لكونه من جملة الاشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع

في نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به وأن الساعة آتية اي فيما سياتي وايثار صيغة الفاعل على الفعل
للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة وتعليله بان التغير من مقدمات الانصرام و
طلائعه مبني على ما ذكر من العقول وقوله لا ريب فيها اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب
عنها انها في ظهور امرها ووضوح دلائلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة ان يرتاب في اتيانها حسبما
مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها من الجملتين داخلة مثلها في حيز السببية
وكذا قوله عز وجل وأن الله يبعث من في القبور لكن لا من حيث ان اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران
فيما ذكر من افاعيله تعالى تأثير القدرة فيها بل من حيث ان كلا منهما سبب داع له عز وعلا بموجب رأفته بالعباد المبنية
على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على امكانهما
ليتأملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين وينالوا به السعادة
الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم رأسا وهذا كما ترى من احكام حقيته تعالى في افعاله
وابتنائها على الحكم الباهرة كما ان ما قبله من احكام حقيته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل اتيان
الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كانه قيل ذلك بسبب انه تعالى
قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما
وعد وانت خبير بان مآله الاستدلال بحكمته تعالى على اتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل انما
هو في سببية ما ذكر من خلق الانسان واحياء الارض فتأمل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى وان الساعة آتية
ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر ان
الساعة آتية وان الثانية معطوفة على الاولى وقيل المعنى ذلك لتعلموا ان الله هو الحق الآيتين ومن الناس
من يجادل في الله هو ابو جهل ابن هشام حسبما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقيل هو من يتصدى
لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان كما ان الاول من يقلدهم على ان الشيطان عبارة عن المضل المغوي
على الاطلاق بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من يجادل اي كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما ان المراد
بالهدى في قوله تعالى ولا هدى هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي الى المعرفة ولا كتاب منير وحي مظهر
للحق اي يجادل في شانه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون
من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم واما ما قيل من ان المراد به المجادل الاول والتكرير
للتاكيد والتمهيد لما بعده من بيان انه لا سند له من استدلال او وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وقد وصف
باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغني عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلي والسمعي ثاني عطفه حال اخرى من
فاعل يجادل اي ثانيا لجانبه وطاويا لكشحه معرضا متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او عن الاعراض عن
ما فيه لتعطفه ليضل عن سبيل الله متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال وان لم يعترف بانه اضلال
بدا اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادل له من المؤمنين او الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم
واما التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازا
لما اد الى الضلال المبين الذي لا هداية بعده مكنه له في الدنيا خزي جملة
مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريق اي ثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما اصابه يوم بدر
من القتل والصغار ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق اي النار المحرقة ذلك اي ما ذكر من العذاب الدنيوي
والاخروي وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله عز وجل
بما قدمت يداك اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده الى يديه لما ان الاكتساب عادة يكون بالايدي
والالتفات لتاكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل ان في قوله عز وعلا وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على

خبرية المبتدأ المحذوف اي والامر ان الله تعالى ليس بظالم لعبيده بتعذيبهم بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان
تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك
في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من ان محله الجر بالعطف
على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الانفال ومن الناس من يعبد الله على حرف شروع في حال المذبذبين
اي ومنهم من يعبده تعالى كائنا على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون في طرف الجيش
فان احس بظفر وغنيمة قر والا فر فان اصابه خير اي دنيوي من الصحة والسعة اطمأن به اي ثبت على ما كان عليه
ظاهرا لا انه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عنه عاطف وان اصابته
فتنة اي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه او اهله او ماله انقلب على وجهه روي انها نزلت
في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر
ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما
اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد رضي الله عنه ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال فنزلت وقيل في المؤلفة قلوبهم
خسر الدنيا والآخرة بفقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال
والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر مبتدأ محذوف ذلك اي
ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في غاية ما يكون هو الخسران المبين الواضح كونه
خسرانا اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله استئناف مبين لعظم الخسران اي يعبد متجاوزا عبادة الله
تعالى ما لا يضره اذا لم يعبده وما لا ينفعه اي ان عبده اي جمادا ليس من شانه الضر والنفع كما يلوح به تكرير
كلمة ما ذلك الدعاء هو الضلال البعيد عن الحق والهدى مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا عن الطريق
يدعو لمن ضره اقرب من نفعه استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع
ازاحة ما عسى يتوهم من نفي الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبيب ايضا فالدعاء بمعنى
القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره اقرب والجملة صلة للمبتدأ الاول
وقوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير جواب لقسم مقدر هو وجوابه خبر للمبتدأ الاول وايثار من على ما
مع كون معبوده جمادا وايثار صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والامعان في ذمه
اي يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر
النفع اصلا لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع
بالكلية ويجوز ان يكون يدعو الثاني اعادة للاول لا تاكيدا له فقط بل وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال
معبوده اثر بيان حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما
لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة
التفضيل للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول ليدعو ويؤيده القراءة بغير لام اي يعبد من ضره اقرب من نفعه
وايراد كلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به ايضا والجملة القسمية مستأنفة ان الله يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات استئناف جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله عز وجل
يتفضل عليهم بالاغاية وراءه من اجل المنافع واعظم المبرات اثر بيان غاية سوء حال الكفرة وما لهم من غاية
الخسران والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء
ولايته وعشرته ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار صفة لجنات فان اريد بها الاشجار
المتكاثفة الساترة لما تحتها فالجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف اي من

اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح
لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى ان الله يفعل ما يريد تعليل
لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق اي يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم
الرائقة التي من جملتها اثابة من آمن به وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من اشرك به وكذب
برسوله عم ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له عم عقب بقوله عز وجل من كان يظن ان لن ينصره الله
في الدنيا والآخرة تحقيقا لها وتقريرا لثبوتها على ابلغ وجه وآكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى
انه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك
من اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الامور ومباشرة ما يرده من المكايد
فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره ان يختنق حنقا مما يرى
من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه فليمدد بسبب الى السماء فليمدد حبلا
الى سقف بيته ثم ليقطع اي ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل
بعد الاختناق وعلى ان المراد به فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر في قوله تعالى فلينظر هل يذهبن كيده
ما يغيظ تقدير النظر وتصويره اي فليتصور في نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذي هو اقصى ما انتهت اليه
قدرته في باب المضارة والمضادة ما يغيظه من النصر كلا ويجوز ان يراد فلينظر الآن انه ان فعل ذلك
هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل ليقطع المسافة
حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره ويأباه ان مساق النظم الكريم بيان ان الامور المفروضة على تقدير
وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظ ومن البين ان لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب
الامر بالنظر عليها لا سيما قطع الوحي فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة
غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من النصر وآخرون من المشركين
يريدون اتباعه عم ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى
لا تنال الا بمشيئته فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية
الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك اي مثل ذلك الانزال البديع المنطوي
على الحكم البالغة انزلناه اي القرآن الكريم كله وقوله تعالى آيات بينات اي واضحات الدلالة على
معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه بذلك وان الله يهدي به ابتداء او يثبت
على الهدى او يزيد فيه من يريد هدايته او زيادته فيها ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف
مؤخر اي ولان الله يهدي من يريد انزله كذلك او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي والامر ان الله يهدي
من يريد هدايته ان الذين آمنوا اي بما ذكر من الآيات ولما بهداية الله تعالى وبكل ما يجب ان يؤمن به
فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس قيل هم قوم يعبدون النيران
النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى
شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القائلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة والذين اشركوا هم عبدة الاصنام وقوله
تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة في حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصديرها في الجملة بحرف التحقيق
لزيادة التقرير والتأكيد اي يقضي بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل
وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثاني بحسب استحقاق افراد كل منهما وقوله تعالى ان الله
على كل شيء شهيد تعليل لما قبله من الفصل اي عالم بكل شيء من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته
الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة وجزاؤه بما يليق به وقوله تعالى

ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور من اعمال الفرق
المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى
شهيدا على جميع الاشياء التي من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم
والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية بناء على انه من الجلاء بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد
التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه باكمل افعال المكلف في باب الطاعة ايذانا بكونه
في اقصى مراتب التسخر والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم ايضا وهو
الانسب بالمقام لافادة شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما او بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى
والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة
او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس
فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن نفيته استقلوا ذلك
عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء محذوف الخبر ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول هو
الاولى لما فيه من الترغيب في السجود والطاعة وقد جوز ان يكون من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم على الحقيقة
وهم الصالحون والمتقون وان يكون قوله تعالى وكثير معطوفا على كثير الاول للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر
عنهم باستحقاق العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليه العذاب اي بكفره واستعصائه وقرئ
حق بالضم وحقا اي حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله بان كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره
الى الشر فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمي ان الله يفعل ما يشاء من الاشياء
التي من جملتها الاكرام والاهانة هذان تعيين لطرفي الخصام وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل
واحد من الفرق الست وبين البواقي وتحرير لمحله اي فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس خصمان
اي فريقان مختصمان وانما قيل اختصموا في ربهم حملا على المعنى اي اختصموا في شأنه عز وجل وقيل في دينه وقيل
في ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه
وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون
فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله منكم آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم
وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا تفصيل لما اجمل في قوله
تعالى يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم اي قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار اي نيران هائلة كانها ثياب تحيط
بهم احاطة الثياب بلابسها يصب من فوق رؤوسهم الحميم اي الماء الحار الذي انتهت حرارته [illegible]
عنها لو قطرت قطرة منها على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستأنفة او خبر ثان للموصول او حال من ضمير لهم
يصهر به اي يذاب ما في بطونهم من الامعاء والاحشاء وقرئ بتشديد الهاء للتكثير والجلود عطف على ما واخر عنه
اما لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان تأثيرها في الباطن اقدم من تأثيرها في الظاهر مع
ان ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ولهم اي للكفرة مقامع من حديد جمع مقمعة
وهي آلة القمع كلما ارادوا ان يخرجوا منها اي اشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما يروى انها تضربهم
بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا من غم بدل اشتمال من الهاء
[illegible] اعيدوا فيها [illegible]
[illegible] وذوقوا [illegible] على تقدير القول معطوفا على اعيدوا اي
وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة

اي اليهود والصابئين والنصارى ٦ والمجوس والمشركين

وقد غير الأسلوب فيه بإسناد الإدخال إلى الله عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق إيذانا بكمال مباينة حالهم
لحال الكفرة وإظهارا لمزيد العناية بأمر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام (يحلون فيها) على البناء للمفعول
بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الإحلاء بمعنى الإلباس أي يحليهم الملائكة بأمره تعالى وقرئ يحلون
من حليت المرأة إذا لبست حليها ومن في قوله تعالى (من أساور) إما للتبعيض أي بعض أساور وهي جمع أسورة
جمع سوار والياء لما أن ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فإنه بمعنى
يلبسون (من ذهب) بيان للأساور (ولؤلؤا) عطف على محل من أساور أو على المفعول المحذوف أو منصوب
بفعل مضمر يدل عليه يحلون أي يؤتون وقرئ بالجر عطفا على أساور وقرئ لولؤا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا
بقلبهما واوا ثم بقلب الثانية ياء بعد قلبهما واوا وليليا بقلبهما ياء (ولباسهم فيها حرير) غير الأسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا
لكن للإيذان بأن الحرير ثيابهم المعتادة أو للمحافظة على هيئة الفواصل للإيذان بأن ثبوت اللباس
لهم أمر محقق غني عن البيان إذ لا يمكن عراؤهم عنه وإنما المحتاج إلى البيان أن لباسهم ماذا بخلاف الأساور واللؤلؤ
فإنها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث إلى تقديم بيان
التحلية على بيان حال اللباس (وهدوا إلى الطيب من القول) وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا
الأرض نتبوأ من الجنة الآية (وهدوا إلى صراط الحميد) أي المحمود نفسه أو عاقبته وهي الجنة ووجه تأخيره عن
الهداية عن ذكر الهداية إلى القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية إليها رعاية الفواصل
وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الإسلام ووجه التأخير حينئذ أن ذكر الحمد
يستدعي ذكر المحمود (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) ليس المراد به حالا ولا استقبالا وإنما
هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو
حال من فاعل كفروا أي وهم يصدون وخبر إن محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فإن من ألحد في الحرم حيث توعد
بالعذاب الأليم فلأن يعاقب من جمع إليه الكفر والصد عن سبيل الله بأشد من ذلك أحق وأولى (والمسجد الحرام)
عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى (الذي جعلناه للناس) أي كائنا من كان من غير فرق
بين مكي وآفاقي (سواء العاكف فيه والباد) أي المقيم والطارئ وسواء أي مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف
مرتفع به واللام متعلق به ظرف له وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وقرئ سواء
بالرفع على أنه خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على أنه بدل من الناس
(ومن يرد فيه) مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كأنه قيل ومن يرد فيه مرادا ما (بإلحاد) بعدول عن القصد (بظلم) بغير حق
وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الأول بإعادة الجار أو صلة له أي ملحدا بسبب الظلم كالإشراك واقتراف
الآثام (نذقه من عذاب أليم) جواب لمن (وإذ بوأنا) يقال بوأه منزلا أي أنزله فيه ولما لزمه جعل الثاني مباءة
للأول قيل (لإبراهيم مكان البيت) وعليه مبنى قول ابن عباس رض جعلنا أي اذكر وقت جعلنا مكان البيت
مباءة له عم أي مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت مع أن المقصود تذكير
ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما في أصل الاستعمال أي أنزلناه
فيه قيل رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله تعالى إبراهيم عم مكانه بريح
أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على أسه القديم قيل إن الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات
إحداها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت أيام الطوفان والثانية بناء إبراهيم عم والثالثة بناء
قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير رض والخامسة بناء
الحجاج وقد أوردنا ما في هذا البناء من الأقاويل في تفسير قوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت
وأن في قوله تعالى (أن لا تشرك بي شيئا) مفسرة لبوأنا من حيث إنه متضمن لمعنى تعبدنا لأن التبوئة للعبادة

أو مصدرية موصولة بالنهي وقد مر تحقيقه في أوائل سورة هود أي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة
شيئا (وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) أي وطهر بيتي من الأوثان والأقذار لمن يطوف به
ويصلي فيه ولعل التعبير عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف
وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء (وأذن في الناس) أي نادهم وقرئ وآذن (بالحج) بدعوة الحج والأمر به روي
أنه عليه السلام صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله تعالى من في أصلاب الرجال
وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى أن يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر بذلك في حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية (يأتوك) جواب للأمر (رجالا) أي مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم
وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى (وعلى كل ضامر) عطف على رجالا أي وركبانا
على كل بعير مهزول أتعبه بعد الشقة فهزله أو زاد هزاله (يأتين) صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ يأتون
على أنه صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير للناس (من كل فج) طريق واسع (عميق) بعيد وقرئ معيق
يقال بعيق العمق وبعيد المعق بمعنى كالجذب والجبذ (ليشهدوا) متعلق بيأتوك لا بأذن أي ليحضروا (منافع) عظيمة
الخطر كثيرة العدد أو نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام في قوله تعالى (لهم)
(ويذكروا اسم الله) عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي جعله غاية للإتيان إيذان بأنه الغاية القصوى
دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لأنه لا ينفك عنه (في أيام معلومات) هي أيام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى (على ما رزقهم
من بهيمة الأنعام) فإن المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هي عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين
بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر (فكلوا منها) التفات إلى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على
مقدر قد حذف للإشعار بأنه أمر محقق غير محتاج إلى التصريح به كما في قوله تعالى فانفجرت أي فاذكروا اسمه
تعالى على ضحاياكم فكلوا من لحومها والأمر للإباحة [illegible] إذ كانت أهل الجاهلية [illegible] من التحرج فيه أو للندب إلى
مواساة الفقراء ومساواتهم (وأطعموا البائس) أي الذي أصابه بؤس وشدة (الفقير) المحتاج وهذا الأمر للوجوب
وقد قيل به في الأول أيضا (ثم ليقضوا تفثهم) أي ليؤدوا إزالة وسخهم أو ليحكموا بقص الشارب والأظفار ونتف
الإبط والاستحداد عند الإحلال (وليوفوا نذورهم) ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ
بتشديد الواو (وليطوفوا) طواف الركن الذي به تمام التحلل فإنه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع
(بالبيت العتيق) أي القديم فإنه أول بيت وضع للناس أو المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار
سار إليه ليهدمه فمنعه الله عز وجل وأما الحجاج فإنما قصد إخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه
(ذلك) أي الأمر ذلك وهذا وأمثاله يطلق للفصل بين الكلامين أو بين وجهي كلام واحد (ومن يعظم حرمات الله)
أي أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف
وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم (فهو) أي التعظيم (خير له عند ربه) [illegible]
[illegible] (وأحلت لكم الأنعام) [illegible]
على الإطلاق [illegible] (إلا ما يتلى عليكم) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (فاجتنبوا الرجس
من الأوثان) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

فانه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص
فان عبادة الاوثان راس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب ونحوها
والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه عم قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلثا
وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك الماخوذ من الافك الذي هو القلب والصرف فان الكذب منحرف
مصروف عن الواقع وقيل هو قول الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك حنفاء لله مائلين
عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله تعالى غير مشركين به اي شيئا من الاشياء فيدخل في ذلك الاوثان دخولا اوليا وهما حالان
من واو فاجتنبوا ومن يشرك بالله جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب من الاشراك واظهار الاسم الجليل
لاظهار كمال قبح الاشراك فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان
الاهواء المؤدية توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما
واصله تختطفه او تهوي به الريح اي تسقطه وتقذفه في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في
او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا
شبيها بهلاك احد الهالكين ذلك اي الامر ذلك او امتثلوا ذلك ومن يعظم شعائر الله اي الهدايا فانها من معالم الحج
وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الاوفق لما بعد وتعظيمها اعتقاد ان التقرب
بها من اجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها
جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها اي
فان تعظيمها من تقوى القلوب اي من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد
الى من او فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها
وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء لكم فيها اي في الهدايا منافع هي درها ونسلها وصوفها وظهرها الى اجل
مسمى هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه ثم محلها اي وجوب نحرها او وقت نحرها منتهية الى البيت
العتيق اي الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني او الرتبي اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع
دينية اعظم منها في النحر محلها اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها الى البيت العتيق اي منتهية اليه هذا وقد قيل
المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضاء المناسك واقامة شعائر
الحج الى اجل مسمى هو انقضاء ايام الحج ثم محلها اي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق اي منتهيا اليه بان يطوفوا
طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لادنى ملابسة ولكل امة اي لكل اهل دين
جعلنا منسكا اي متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرئ بكسر السين اي موضع نسك وتقديم الجار
والمجرور على الفعل للتخصيص اي لكل امة من الامم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض ليذكروا اسم الله خاصة
دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلي من المناسك تذكر المعبود
على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون من الانعام والخطاب في
قوله تعالى فالهكم اله واحد للكل تغليبا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل امة من الامم
منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وانما قيل اله واحد ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه تعالى واحد في ذاته
كما انه واحد في الهيته للكل والفاء في قوله تعالى فله اسلموا لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته
تعالى وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر اي فاذا كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له التقرب او الذكر واجعلوه
لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك وبشر المخبتين تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي المتواضعين
او المخلصين فان الاخبات من الوظائف الخاصة بهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه تعالى لاشراق
اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب والمقيمي الصلوة

في اوقاتها وقرئ بنصب الصلوة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه
الخيرات والبدن بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمهما وهما جمعا بدنة وقيل الاصل ضم الدال كالخشب وخشبة
والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن
بدانة وحيث شاركها البقرة في الاجزاء عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة
جعلا في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع على انه مبتدأ والجملة خبره وقوله
تعالى من شعائر الله اي من اعلام دينه التي شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى
لكم فيها خير اي منافع دينية ودنيوية جملة مستأنفة مقررة لما قبلها فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا
عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف اي قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن
وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وعلى سنبك الرابع لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على
ثلث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله عز وجل
وصواف على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما في قوله لعلي ارى باق على الحدثان فاذا وجبت جنوبها
سقطت على الارض وهي كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع اي الراضي بما عنده وبما يعطى
يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له في السؤال والمعتر
المعترض للسؤال وقرئ المعتري يقال عره وعراه واعتراه واعتره كذلك مثل ذلك التسخير البديع المفهوم
من قوله تعالى صواف سخرناها لكم مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى تاخذونها منقادة فتعقلونها
وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص
لن ينال الله اي لن يبلغ مرضاته ولن يقع موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر
من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التي يدعوكم الى الامتثال
بامره تعالى وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء قرابينهم فهم به
المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم تكرير للتذكير والتعليل بقوله تعالى لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره
على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هداكم اي ارشدكم الى
طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية او موصولة اي على ما هداكم اليه [illegible]
[illegible] وبشر المحسنين اي المخلصين في كل ما ياتون وما يذرون في امور دينهم ان الله يدافع
عن الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان ان الله تعالى ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون
على صدهم عن الحج [illegible] وصيغة المفاعلة
اما للمبالغة او للدلالة على تكرر الدفع [illegible]
اي يبالغ في دفع غائلة المشركين [illegible]
[illegible] كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله
وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى ان الله لا يحب كل خوان كفور [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] اذن للذين يقاتلون [illegible]
[illegible]
[illegible] بانهم ظلموا [illegible]
[illegible] اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

ووجوههم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه عليه السلام من بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول عليه السلام اصبروا
فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وان
الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر وتأكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بان المراد به ليس مجرد
تخليصهم عن ايدي المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتأكيده
بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم
في حيز الجر على انه صفة للموصول الاول او بيان له او بدل منه او في محل النصب على المدح او في محل الرفع باضمار
مبتدأ والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة بغير حق متعلق باخرجوا اي اخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم
وقوله تعالى الا ان يقولوا ربنا الله بدل من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجبا
للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب وقيل الاستثناء منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين
على الكافرين في كل عصر وزمان وقرئ دفاع لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف
صوامع للرهابنة وبيع للنصارى وصلوات اي وكنائس لليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا
بالعبرية فعربت ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اي ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد
خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع
والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام ولينصرن الله من ينصره
اي والله لينصرن الله من ينصر اولياءه او من ينصر دينه ولقد انجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين
والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على كل
ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم عزيز لا يمانعه شيء ولا يدافعه الذين ان مكناهم في الارض اقاموا
الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف من الله عز وجل للذين اخرجوا من
ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عدة
كريمة على ابلغ وجه والطفه عن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تعالى اثنى عليهم قبل ان يحدثوا
من الخير ما احدثوا قالوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر
مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن رضي الله عنه هم امة محمد عليه السلام
وقيل الذين بدل من قوله من ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد
باظهار اوليائه واعلاء كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله
من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته
عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع اي وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باوحدي في ذلك
فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين رسلهم
من ذكر ومن لم يذكروا انما حذف لكمال ظهور المراد لان المراد نفس الفعل اي فعلت التكذيب قوم نوح الى آخره وكذب
موسى غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لا لان قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط لما
ان ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على ان بني اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى
حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان
في غاية الشناعة لكون آياته في غاية الوضوح وقوله فامليت للكافرين اي امهلتهم حتى انصرمت آجالهم والفاء
لترتيب امهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير

العائد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبي موسى عليه السلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ثم اخذتهم
اي اخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة املائه وامهاله فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بالاهلاك
اي فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله تعالى فكاين من قرية منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى
اهلكناها اي فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى او مرفوع على الابتداء واهلكناها
خبره اي فكثير من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها على وفق قوله تعالى فامليت ثم اخذتهم فكيف كان نكير وهي
ظالمة جملة حالية من مفعول اهلكنا وقوله تعالى فهي خاوية عطف على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك
ليس في حال خوائها فلا محل لها من الاعراب كالمعطوف عليه وعلى الثاني في محل الرفع لعطفه
على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهي ساقطة حيطانها على عروشها اي سقوفها
بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش لتنزيل الحيطان
منزلة كل البنيان لكونها عمدته واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى فهي خالية مع بقاء عروشها
وسلامتها فيكون على بمعنى مع ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر اي فهي خالية وهي على عروشها اي قائمة مشرفة على
عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض وبقيت الحيطان قائمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف
الى المجموع مع كونه حال الحيطان لما مر انفا وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها
لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع البنيان او مجصص اخليناه عن ساكنيه وهذا
يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر
مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم
على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين
فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اي اغفلوا فلم يسيروا فيها فتكون لهم بسبب ما
شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد او آذان
يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم
فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة وذكر الصدور
للتأكيد ونفي توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر قيل لما نزل قوله تعالى ومن كان في هذه
اعمى فهو في الآخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب
كانوا منكرين لمجيء العذاب المتوعد به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا
له على زعمهم كما يحكي عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى ولن يخلف الله وعده اما جملة حالية جيء بها لبيان بطلان
انكارهم لمجيئه في ضمن استعجالهم به واظهار خطائهم فيه كانه قيل كيف ينكرون مجيء العذاب الموعود والحال انه تعالى لا يخلف
وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون جملة مستأنفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطائهم
في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة
عنده تعالى مدة طويلة عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة
الى انكاره ويجترؤن على الاستعجال به ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقدار وقراءة
يعدون على صيغة الغيبة اي يعده المستعجلون اوفق لهذا المعنى وقد جعل الخطاب في القراءة المشهورة لهم ايضا بطريق الالتفات
لكن الظاهر انه للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل امة من موعد
معين واجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملة الاولى حالية كما

او اعتراضية مبينة لخطئهم في الاستعجال ببيان أن سبحانه لا يعجله قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة مبنية على بطلان
بنيانهم على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي بيناه فلا يكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لإنكارهم الذي
دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفي في رد إنكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من أمثالهم فتأمل
وقيل المستعجل به عذاب الآخرة وحمل اليوم على يوم العذاب المستطال لشدته أو على أيام الآخرة الطويلة
حقيقة أو المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سياق النظم الجليل ولا سياقه فإن كلا منهما ناطق بأن المراد
هو العذاب الدنيوي وأن الزمان الممتد هو الذي عين لهم قبل حلوله بطريق الإملاء والإمهال لا الزمان المقارن
له ألا يرى إلى قوله تعالى وكأين من قرية إلى آخره فإنه كما سلف من قوله تعالى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم صريح في أن
المراد هو الأخذ العاجل الشديد بعد الإملاء المديد أي وكم من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه
في الإعراب ورجع الضمائر والأحكام مبالغة في التعميم والتهويل أمليت لها كما أمليت لهؤلاء حتى أنكروا مجيء
ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء وهي ظالمة جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى
ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين أي أمليت لها والحال أنها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء ثم
أخذتها بالعذاب والنكال بعد طول الإملاء والإمهال وقوله تعالى وإلي المصير اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
ومصرح بما أفاده ذلك بطريق التعريض من أن مآل أمر المستعجلين أيضا ما ذكر من الأخذ الوبيل أي إلى حكمي مرجع
الكل جميعا لا إلى أحد غيري لا استقلالا ولا اشتراكا فأفعل بهم ما أفعل مما يليق بأعمالهم قل يا أيها الناس إنما أنا
لكم نذير مبين أنذركم إنذارا بينا بما أوحي من أنباء الأمم المهلكة من غير أن يكون لي دخل في إتيان ما توعدونه
من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الإنذار مع بيان حال الفريقين بعده لما أشير إليه من مساق الحديث
للمشركين وعقابهم وإنما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
لما ندر منهم من الذنوب ورزق كريم هي الجنة الكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته والذين سعوا في آياتنا
معاجزين أي مسابقين أو مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لهم من عاجزه فأعجزه
وعجزه إذا سابقه فسبقه لأن كلا من المسابقين يريد إعجاز الآخر عن اللحاق به وقرئ معجزين أي مثبطين الناس عن الإيمان
على أنه حال مقدرة أولئك الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة أصحاب الجحيم أي ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم
دركة من دركاتها وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو
الناس إليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام
ولذلك شبه صلى الله عليه وسلم علماء أمته بهم فالنبي أعم من الرسول ويدل عليه أنه عليه السلام سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة
وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع إلى المعجزة كتابا منزلا عليه
والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام إلا إذا
تمنى أي هيأ في نفسه ما يهواه ألقى الشيطان في أمنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وإنه ليغان على قلبي
فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون إليه
والإرشاد إلى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته أي يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في شؤون الحق وصيغة المضارع
في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي وإظهار الجلالة في موضع الإضمار لزيادة التقرير والإيذان بأن الألوهية
من موجبات إحكام آياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما من شأنه أن يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد
من قول وفعل عمدا أو خطأ حكيم في كل ما يفعل والإظهار هنا أيضا لما ذكر مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض
التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم إليه
واستمر ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الأخرى وسوس إليه
الشيطان حتى سبق لسانه سهوا إلى أن قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى تابعوه

بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد ثم نبهه جبريل عليهما السلام فاغتم به فعزاه الله
عز وجل بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى
قرأ كقوله تمنى كتاب الله أول ليلة ... تمنى داود الزبور على رسل وأمنيته قراءته وإلقاء الشيطان فيها أن يتكلم بذلك رافعا
صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بأنه أيضا يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى
فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لأنه أيضا يحتمل وفي الآية دلالة على جواز السهو على الأنبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة
ليجعل ما يلقي الشيطان علة لما ينبئ عنه ما ذكر من إلقاء الشيطان من تمكينه تعالى إياه من ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة
يدور عنه سياق النظم الكريم لأن تمكينه تعالى إياه من الإلقاء في حق سائر الأنبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما يأتي وفيه دلالة
على أن ما يلقيه أمر ظاهر يعرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض أي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الآية
والقاسية قلوبهم أي المشركين وإن الظالمين أي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع
ما وصفوا به من المرض والقساوة لفي شقاق بعيد أي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع أن الموصوف به
حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وليعلم الذين أوتوا العلم أنه أي القرآن الحق من ربك
أي هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجليلة لأنه مما
جرت به عادته في جنس الإنس من لدن آدم عليه السلام وفيه أنه لا حاجة إلى تخصيص التمكين فيما سبق بالإلقاء في حقه عليه السلام
لكن يأباه قوله تعالى فيؤمنوا به أي بالقرآن أي يثبتوا على الإيمان به أو يزدادوا إيمانا بردهم ما يلقي الشيطان فتخبت له قلوبهم
بالانقياد والخشية والإذعان لما فيه من الأوامر والنواهي ورجع الضمير لا سيما الثاني إلى تمكين الشيطان من الإلقاء
مما لا وجه له وإن الله لهادي الذين آمنوا أي في الأمور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر
إلى صراط مستقيم هو النظر الصحيح الموصل إلى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله ولا يزال الذين كفروا في مرية
منه أي في شك مما ألقى الشيطان أي من القرآن أو من الرسول صلى الله عليه وسلم والأول هو الأظهر لشهادة ما سبق من قوله تعالى
ثم يحكم الله آياته وقوله أنه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا بآياتنا وأما تجويز كون الضمير لما ألقى الشيطان في
أمنيته في الاستماع له فلأن ذلك ليس ... التي تنتهي إلى الأمد المذكور بل إنما هي في شأن القرآن ولا يجدي ... على
[illegible]
[illegible] القرآن الكريم [illegible]
[illegible] حتى تأتيهم الساعة [illegible] بغتة [illegible]
وقيل الموت أو يأتيهم عذاب يوم عقيم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الملك يومئذ لله [illegible] يحكم بينهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

او عذابها لله تعالى وقوله تعالى **يحكم بينهم** جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كأنه قيل فماذا يصنع بهم فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين به والممارين فيه بالمجازاة وقوله تعالى **فالذين آمنوا** الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه **وعملوا الصالحات** امتثالا لاوامره وانتهاء عن نواهيه **في جنات النعيم** اي مستقرون فيها **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** اي اصروا على ذلك واستمروا **فاولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى **لهم عذاب** جملة اسمية من مبتدأ وخبر متقدم عليه وقعت خبرا لاولئك او لهم خبر لاولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار المجرور لاعتماده على المبتدأ واولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان تجريد الموصول الاول عنها للايذان بان اثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لايجاب الاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى **مهين** صفة لعذاب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى **والذين هاجروا في سبيل الله** اي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى **ثم قتلوا او ماتوا** اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى **ليرزقنهم الله** جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبرا للمبتدأ يضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى **رزقا حسنا** اما مفعول ثان على انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا او مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع ابدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت الرزق حسب تفاوت الارزاق الحسنة روي ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم **وان الله لهو خير الرازقين** فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وقوله تعالى **ليدخلنهم مدخلا يرضونه** بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله او استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال او مصدر ميمي اكد به فعله قال ابن عباس رضي الله عنهما انما قيل يرضونه لانهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه **وان الله لعليم** باحوالهم واحوال معاديهم **حليم** لا يعاجلهم بالعقوبة **ذلك** خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستأنف **ومن عاقب بمثل ما عوقب به** اي لم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية للمشاكلة او لكونه سببا له **ثم بغي عليه** بالمعاودة الى العقوبة **لينصرنه الله** على من بغى عليه لا محالة **ان الله لعفو غفور** اي مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور اي ما ذكر من الصبر والمغفرة من عزم الامور وفيه حث بليغ على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره اولى بذلك وتنبيها على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده **ذلك** اشارة الى النصر وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء وخبره قوله تعالى **بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل** اي بسبب انه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الاشياء المتضادة وعبر عن ذلك بادخال احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص عن الآخر او بتحصيل احدهما في مكان الآخر لكونه اظهر المواد واوضحها **وان الله سميع** بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب **بصير** بجميع المبصرات التي من جملتها افعاله **ذلك** اي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر آنفا وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **بان الله هو الحق** الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل

المعلومات او الثابت الالهية فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا **وان ما يدعون من دونه** الها وقرئ على البناء للمفعول على ان الواو لما فانه عبارة عن الالهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين **هو الباطل** اي المعدوم في حد ذاته او الباطل الوهيته **وان الله هو العلي** على جميع الاشياء **الكبير** عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا **الم تر ان الله انزل من السماء ماء** استفهام تقرير كما ينبئ عنه الرفع في قوله تعالى **فتصبح الارض مخضرة** بالعطف على انزل وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره ولاستحضار صورة الاخضرار **ان الله لطيف** يصل لطفه او علمه الى كل ما جل ودق **خبير** بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا **له ما في السموات وما في الارض** خلقا وملكا وتصرفا **وان الله لهو الغني** عن كل شيء **الحميد** المستوجب للحمد بصفاته وافعاله **الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض** اي جعل ما فيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم لتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر **والفلك** عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء **تجري في البحر بامره** حال من الفلك على الاول وخبر على الآخرين **ويمسك السماء ان تقع على الارض** اي من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على هيئة متداعية الى الاستمساك **الا باذنه** اي بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية في الجسمية لسائر الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبله كقبول غيره **ان الله بالناس لرءوف رحيم** حيث هيأ لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية **وهو الذي احياكم** بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة **ثم يميتكم** عند مجيء آجالكم **ثم يحييكم** عند البعث **ان الانسان لكفور** اي لجحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده **لكل امة** كلام مستأنف جيء به لزجر معاصريه عليه السلام من اهل الاديان السماوية عن منازعته ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع واظهار خطائهم في النظر اي لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية **جعلنا** اي وضعنا وعينا **منسكا** اي شريعة خاصة لا لامة اخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى **هم ناسكوه** صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اي تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام منسكهم التوراة هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما السلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيامة فهم امة منسكهم القرآن ليس الا كما في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء في قوله تعالى **فلا ينازعنك في الامر** لترتيب النهي او موجبه على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة من الامم التي من جملتهم هؤلاء شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم اياه في امر الدين زعما منهم ان شريعتهم ما عين لآبائهم الاولين من التوراة والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء امة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية عن نهيه عليه السلام عن الالتفات الى نزاعهم المبني على زعمهم المذكور واما جعله عبارة عن نهيهم عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه والمبالغة في تثبيته واما ما كان نقل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر النسائك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله تعالى مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل الميتة وما يذبح على النصب من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا ريب في بطلانه **وادع** اي وادعهم او وادع الناس كافة **الى ربك** الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم **انك لعلى هدى مستقيم** اي طريق موصل الى الحق سوي والمراد به اما الدين والشريعة او ادلتهما **وان جادلوك** بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم **فقل** لهم على سبيل الوعيد **الله اعلم بما تعملون** من جملتها المجادلة **الله يحكم بينكم** يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين

يوم القيامة بالثواب والعقاب كما نصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم استيناف
مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير اي قد علمت ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء من الاشياء التي
من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه ان ذلك اي ما في السماء والارض في كتاب هو اللوح كتب فيه قبل حدوثه
فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك اي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله
يسير فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه شيء مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض
اباطيل المشركين واحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم وهي بناء امر دينهم على غير مبني من دليل سمعي او عقلي
واعراضهم عما الزم عليهم من سلطان مبين هو اساس الدين وقاعدته واشد اغراضهم يعبدون ويتجاوزون عبادة الله ما لم ينزل
به اي بجواز عبادته سلطانا اي حجة وما ليس لهم به اي بجواز عبادته علم من ضرورة العقل او استدلاله وما
للظالمين اي للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقتضي بطلانه وكونه ظلما بديهة العقول من نصير يساعدهم بنصرة مذهبهم
وتقرير آرائهم او بدفع العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم واذا تتلى عليهم آياتنا عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض
وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي بينات اي حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الصادقة
او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار
كالمكرم بمعنى الاكرام او الفظيع من التجهم والبسور او الشر الذي يقصدونه بظهور مخايله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب
بقوله تع يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا اي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل
اخذوها تقليدا وهل جهالة اعظم واتم من ان يعبدوا ما لا يوهم صحة عبادته شيء ما اصلا بل يقتضي بطلانها العقل والنقل
ويغضبوا على من يهديهم الى الحق البين بالسلطان المبين ثم هذا المنكر الشنيع كلا والحق وضع الذين كفروا موضع الضمير قل
ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين افانبئكم اي افاخبركم بشر من ذلكم الذي
من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم او مما تبغونهم من الغوائل او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم النار اي هو
النار على انه جواب لسؤال مقدر كانه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى وعدها الله الذين كفروا وقرئ
النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة الفعلية استينافا كالوجه الاول او حالا من النار
باضمار قد وبئس المصير اي النار يا ايها الناس ضرب مثل اي بين لكم حال مستغربة او قصة بديعة رائقة حقيقة
بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة واريد بذلك ما حكي عنهم من
عبادتهم للاصنام فاستمعوا له اي للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله تع ان الذين تدعون
من دون الله الخ بيان المثل وتفسير له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثل الله سبحانه في استحقاق العبادة
على الثاني وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول على الاولين لن يخلقوا ذبابا
اي لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه
ولو اجتمعوا له اي للخلق وهو بجوابه المقدر في موضع الحال جيء به للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين عليه متعاونين
[illegible]
فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها
وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له
بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل
ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما يسلب
عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات
ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو

ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها وافناء الموجودات عن آخرها عزيز غالب على جميع
الاشياء وقد عرفت حال آلهتهم المتوهمة لاذلها العجز عن اقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفي معرفتهم لله الله
يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام بالوحي ومن الناس وهم المختصون
بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى
جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعونهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرائعه واحكامه
كانه تعالى لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شيء من الاشياء بين ان له عبادا مصطفين للرسالة
يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة عز وجل وهو اعلى المراتب واقصى الغايات لمن عداه من الموجود تقريرا
للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة وقولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله
ونحو ذلك من الاباطيل ان الله سميع بصير عالم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور لا الى احد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا يا ايها الذين
آمنوا اركعوا واسجدوا اي في صلوتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا عبر عن الصلوة
بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله تع وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا
ما هو خير واصلح في كل ما تاتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون
اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين باعمالكم والآية آية سجدة عند الشافعي
لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا في الله
اي لله تع ولاجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عم انه رجع عن غزوة تبوك
فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق
الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول
لوجهه ومن اجله هو اجتباكم اي هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو اليه
وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر
لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله عم اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم
وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات
في حقوقه والارش والدية في حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله
بحذف المضاف اي وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم
لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه
المعتد به في الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة
وفي هذا اي في القرآن والضمير لله تع ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم بالمسلمين في القرآن وان لم يكن
منه عم كانت بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم
مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا
على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة اي فتقربوا الى الله تعالى بانواع وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما واعتصموا بالله اي ثقوا به
في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير
اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج
اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وما بقي

قد أفلح المؤمنون الفلاح الفوز بالمرام والنجاة عن المكروه وقيل البقاء في الخير والإفلاح الدخول في ذلك كالإبشار
الذي هو الدخول في البشارة وقد يجيء متعديا بمعنى الإدخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول وكلمة قد
ههنا لإفادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا لتوقع الإخبار به ضرورة أن المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح
لهم لا الإخبار بذلك والمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم فإن إيمانهم وما تفرع
عليه من أعمالهم الصالحة من دواعي الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا أنه إن أريد بالإفلاح حقيقة الدخول
في الفلاح الذي لا يتحقق إلا في الآخرة فالإخبار به على صيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت
وإن أريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها وقرئ أفلحوا على الإبهام والتفسير أو على لغة أكلوني البراغيث
وقرئ أفلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما في قول من قال فلو أن الأطباء كان حولي والمراد بالمؤمنين إما المصدقون بما
علم ضرورة أنه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى الذين
هم في صلوتهم خاشعون وما عطف عليه صفات مخصصة لهم وإما الآتون بفروعه أيضا كما ينبئ عنه إضافة الصلوة
إليهم فهي صفات موضحة أو مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلة من المعاني في الإيمان إجمالا أو تفصيلا كما مر
في أول سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل أي خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم
روي أنه عم كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى مصليا يعبث بلحيته فقال
لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو أي عما لا يعنيهم من الأقوال والأفعال معرضون أي
في عامة أوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك إعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلوة دخولا
أوليا ومدار إعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية إلى الإعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد في أمور الدين كما قيل
فإن ذلك ربما يوهم أن لا يكون في اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو أبلغ من أن يقال لا يلهون من وجوه جعل
الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه وإقامة الإعراض مقام الترك ليدل على
تباعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فإن أصله أن يكون في عرض غير عرضه والذين هم للزكوة فاعلون
وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة للدلالة على أنهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية
والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروة اجتنابه وتوسيط حديث الإعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع
في الصلوة والزكوة مصدر لأنه الأمر الصادر عن الفاعل لا المحل الذي هو موقعه ومعنى الفعل قد مر تحقيقه في تفسير
قوله تع فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز أن يراد بها العين على تقدير المضاف والذين هم لفروجهم حافظون ممسكون لها
فالاستثناء في قوله تع إلا على أزواجهم من نفي الإرسال الذي ينبئ عنه الحفظ أي لا يرسلونها على أحد إلا على أزواجهم وفيه
إيذان بأن قوتهم الشهوية داعية لهم إلى ما لا يخفى وأنهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة
ويجوز أن يكون على بمعنى من وإليه ذهب الفراء كما في قوله تعالى إذا اكتالوا على الناس يستوفون أي حافظون لها من كل
أحد إلا من أزواجهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون أي حافظون لها في جميع الأحوال إلا حال
كونهم والين أو قوامين على أزواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق
لهم فإنهم غير ملومين وحمل الحفظ على القصر عليهن لكون المعنى حافظون فروجهم على الأزواج لا تتعداهن ثم يقال غير حافظين
إلا عليهن تأكيدا على تأكيد تكلف على تكلف أو ما ملكت أيمانهم أي سراريهم عبر عنهن بما إجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير
العقلاء أو لأنوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى فإنهم غير ملومين تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم
منهن أي فإنهم غير ملومين على عدم حفظها منهن فمن ابتغى وراء ذلك الذي ذكر من الحد المتسع وهو أربع من الحرائر وما شاء
من الإماء فأولئك هم العادون الكاملون في العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل صريحا على تحريم المتعة حسبما
نقل عن القاسم بن محمد فإنه قال إنها ليست زوجة له فوجب أن لا تحل له أما أنها ليست زوجة له فلأنهما لا يتوارثان
بالإجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تع ولكم نصف ما ترك أزواجكم فوجب أن لا تحل لقوله تع إلا على أزواجهم

لأن لهم أن يقولوا إنها زوجة له في الجملة وأما أن كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها وأما ما قيل من أنه إن أريد لو كانت
زوجة حال الحيوة لم يفد وإن أريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه
والذين هم لأماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق راعون أي قائمون عليها
حافظون لها على وجه الإصلاح وقرئ لأمانتهم والذين هم على صلواتهم المفروضة عليهم يحافظون يواظبون عليها
ويؤدونها في أوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير لما أن
الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفصلهما للإيذان بأن كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا
في الذكر لربما توهم أن مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة أولئك إشارة إلى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر
من الصفات وإيثارها على الإضمار للإشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار إليهم حسا وما فيه من معنى البعد للإيذان
بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف أي أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة هم الوارثون أي الأحقاء
بأن يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغائب الأموال والذخائر وكرائمها الذين يرثون الفردوس بيان لما
يرثونه وتقييد للوراثة بعد إطلاقها وتفسير لها بعد إبهامها تفخيما لشأنها ورفعا لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس
بأعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل إنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه
تعالى خلق لكل إنسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها أي في الفردوس والتأنيث لأنه اسم للجنة أو لطبقتها العليا وهو البستان
الجامع لأصناف الثمر روي أنه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وفي رواية
ولبنة من مسك مذري وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان خالدون لا يخرجون منها أبدا والجملة إما مستأنفة
مقررة لما قبلها وإما حال مقدرة من فاعل يرثون أو مفعوله إذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها ولقد
خلقنا الإنسان شروع في بيان مبدأ خلق الإنسان وتقلبه في أطوار الخلقة وأدوار الفطرة بيانا إجماليا إثر بيان حال بعض
أفراده السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالإنسان الجنس أي وبالله لقد خلقنا
جنس الإنسان في ضمن خلق آدم عم خلقا إجماليا حسبما تحققته في سورة الحج وغيرها وأما كونه مخلوقا من سلالات جعلت نطفا بعد
أدوار وأطوار فبعيد من سلالة السلالة ما سل من الشيء واستخرج منه فإن فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة يكون مقصودا
منه كالخلاصة وأخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الأول فإنها مقصودة بالسل ومن ابتدائية
متعلقة بالخلق ومن في قوله تع من طين بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة أي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز
أن تتعلق بسلالة على أنها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية كالأولى وقيل المراد بالإنسان آدم عم فإنه الذي خلق من صفوة
سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق ثم جعلناه أي الجنس باعتبار أفراده المغايرة لآدم عم أو جعلنا نسله على حذف
المضاف إن أريد بالإنسان آدم عم نطفة بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر أو المسلول
أو الماء في قرار أي مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تع مكين وصف لها بصفة ما استقر
فيها مثل طريق سائر أو بمكانتها في نفسها فإنها مكنت بحيث هي وأحرزت ثم خلقنا النطفة علقة أي دما جامدا بأن
أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة أي قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها فخلقنا المضغة
أي غالبها ومعظمها أو كلها عظاما بأن صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة
فكسونا العظام المعهودة لحما من بقية المضغة أو مما أنبتنا عليها بقدرتنا مما يصل إليها أي كسونا كل عظم من تلك العظام
ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها
وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الأول فقط وبتوحيد الثاني فحسب ثم أنشأناه خلقا آخر هي صورة البدن
أو الروح أو القوى بنفخه فيه أو المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به أبو حنيفة رح على أن من غصب بيضة
فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لأنه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شأنه في علمه الشامل وقدرته الباهرة
والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة والإشعار بأن ما ذكر من الأفاعيل العجيبة من أحكام الألوهية

ولا يتدانان بأن حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عز وعلا أو لاحظه أن يسارع إلى التكلم به إجلالاً وإعظاماً فتبارك الله تعالى أحسن الخالقين بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على أن الإضافة ليست لفظية وقيل خبر مبتدأ محذوف أي هو أحسن الخالقين خلقاً أي المقدرين تقديراً حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه في قوله تعالى أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه أي أحسن الخالقين خلقاً فالحسن للخلق قيل نظيره قوله عليه السلام إن الله جميل يحب الجمال أي جميل فعله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعاً فاستكن روي أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى عليه السلام إلى قوله خلقاً آخر سارع عبد الله إلى النطق به قبل إملائه عليه السلام فقال عليه السلام اكتب هكذا نزلت فشك عبد الله فقال إن كان محمد يوحى إليه فأنا كذلك فلحق بمكة كافراً ثم أسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت يا عمر وكان رضي الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في أربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن أو ليبدلنه الله خيراً منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه إن طلقكن الآية والرابع فتبارك الله أحسن الخالقين قال بعض المحققين وقعت هذه الواقعة سبباً لسعادة عمر رضي الله عنه وشقاوة ابن أبي سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قادح في إعجازه لما أن الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار أقصر السور على أن إعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها كما يعرب عنه الفاء فإنها اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ثم إنكم بعد ذلك أي بعدما ذكر من الأمور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في اسم الإشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل والكمال وكونه بذلك مما ينزل منزلة الأمور الحسية لميتون لصائرون إلى الموت لا محالة كما يؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذي ينبئ عنه صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون ثم إنكم يوم القيامة أي عند النفخة الثانية تبعثون من قبوركم
للحساب
والمجازاة بالثواب والعقاب ولقد خلقنا فوقكم بيان لخلق ما يحتاج إليه بقاؤهم إثر بيان خلقهم أي خلقنا في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لأن تلك النسبة إنما تعرض لها بعد خلقهم سبع طرائق هي السموات السبع سميت بها لأنها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فإن كل ما فوقه مثله فهو طريقة أو لأنها طرائق للملائكة أو الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات أو عن جميع المخلوقات التي هي من جملتها أو عن الناس غافلين مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ويصل إلى ما في الأرض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء هو المطر والأنهار النازلة من الجنة قيل هي خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في فنون معايشهم ومن متعلقة بأنزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر والعدول عن الإضمار لأن الإنزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو بقدر بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فأسكناه في الأرض أي جعلناه ثابتاً قاراً فيها وإنا على ذهاب به أي إزالته بالإفساد أو التصعيد أو التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على إنزاله وفي تنكير ذهاب إيماء إلى كثرة طرقه ومبالغة في الإيعاد به ولذلك جعل أبلغ من قوله تعالى قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين فأنشأنا لكم به أي بذلك الماء جنات من نخيل وأعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات تأكلون تغذياً أو ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز أن يعود الضميران للنخيل والأعناب أي لكم في ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه وشجرة بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله أي ومما أنشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الأشجار لاستقلالها

بمنافع معروفة قيل هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى تخرج من طور سيناء وهو جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فإما أن يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة أضيف إليها أو المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه على قراءة من كسر السين للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للألف لأنه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعلال كعلباء من السين إذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة من فتح فإنه فيعال ككيسان أو فعلاء كصحراء إذ لا فعلال في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع أيضاً لتعظيمها ولأنه المنشأ الأصلي لها وقوله تعالى تنبت بالدهن صفة أخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالاً منها أي تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية أي تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فإن النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الإنبات وهو إما من لازم بمعنى النبت كما في قول زهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتى إذا أنبت البقل أو على تقدير تنبت زيتونها ملتبساً بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالأول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج منه وكونه إداماً يصبغ فيه الخبز أي يغمس للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وإن لكم في الأنعام لعبرة بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان إثر بيان النعم الواصلة إليهم من جهة الماء والنبات وقد بين أنها مع كونها في نفسها نعمة يتنعمون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من أن يعتبروا بها ويستدلوا بأحوالها على عظم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما أن محل العبرة فيه أظهر مما في النبات وقوله تعالى نسقيكم مما في بطونها تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما في بطونها عبارة إما عن الألبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف أو عن العلف الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء أي تسقيكم الأنعام ولكم فيها منافع كثيرة غير ما ذكر من أصوافها وأشعارها ومنها تأكلون فتنتفعون بأعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها وعليها أي على الأنعام فإن الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع أنواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالإبل ونحوها وقيل المراد هي الإبل خاصة لأنها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فإنها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فالضمير فيه كما في قوله تعالى وبعولتهن أحق بردهن وعلى الفلك تحملون أي في البر والبحر وفي الجمع بينها وبين الفلك في إيقاع الحمل عليها مبالغة في تحملها الحمل وهو الداعي إلى تأخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها عن ذكر منفعة الأكل المتعلقة بعينها ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه شروع في بيان إهمال الأمم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيراً للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفي إيرادها إثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها أي وبالله لقد أرسلنا نوحاً الخ ونسبته الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله في سورة الأعراف وفي سورة هود فقال متعطفاً عليهم ومستميلاً لهم إلى الحق يا قوم اعبدوا الله أي اعبدوه وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى في سورة هود ألا تعبدوا إلا الله وترك التقييد به للإيذان بأنها هي العبادة فقط وأما العبادة بالإشراك فليست من العبادة في شيء رأساً وقوله تعالى ما لكم من إله غيره استئناف مسوق لتعليل العبادة المأمور بها أو تعليل الأمر بها وغيره بالرفع صفة لإله باعتبار محله الذي هو الرفع على أنه فاعل أو مبتدأ خبره لكم أو محذوف ولكم للتخصيص والتبيين أي ما لكم في الوجود أو في العالم إله غيره تعالى وقرئ بالجر باعتبار لفظه أفلا تتقون أي أفلا تتقون أنفسكم عذابه الذي يستوجبه ما أنتم عليه من ترك عبادته تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم أليم وقيل أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم الخ وليس بذاك وقيل أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه الخ وفيما فيه والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أتعرفون ذلك أي مضمون قوله تعالى ما لكم من إله غيره فلا تتقون عذابه بسبب إشراككم

حيث أن كلاً منها اختص من الجمع فإن المطلقات تعم المطلقات الرجعية والمبتوتة وكذا الأنعام تعم الإبل وغيرها منه سلمه الله

في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه فضلا من استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق
ما يوجبه او الانكار يحظون بذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة في الكمية وفي الاول في الكيفية فقال
الملأ اي الاشراف الذين كفروا من قومه وصف الملأ بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم في الكفر
وشدة شكيمتهم فيه اي قالوا لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم اي في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عم
بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة يريد ان يتفضل عليكم اي يريد ان يطلب الفضل عليكم
ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه الصلوة والسلام واغراء لهم على معاداته
عم وقوله تعالى ولو شاء الله لانزل ملائكة بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته
اي ولو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال
فمفعول المشية مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظائره ما سمعنا بهذا
اي بمثل هذا الكلام الذي هو الامر بعبادة الله تع خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عم في دعوى النبوة في آبائنا
الاولين اي الماضين قبل بعثته عم قالوه اما لكونهم وآبائهم في فترة متطاولة واما لفرط غلوهم في التكذيب والعناد
وانهماكهم في الغي والفساد واياما كان فقولهم هذا ينبغي ان يكون هو الصادر عنهم في مبادي دعوته عم كما ينبئ عنه الفاء في قوله
فقال الملأ الخ وقيل معناه ما سمعنا به عم انه نبي فالمراد بآبائهم الاولين الذين مضوا قبلهم في زمن نوح عم وقولهم
المذكور هو الذي صدر عنهم في اواخر امره عم وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عم وقولهم ان هو اي ما هو الا رجل به
جنة اي جنون او جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول فتربصوا به اي احتملوه واصبروا عليه وانتظروا حتى حين
لعله يفيق مما فيه محمول حينئذ على ترامي احوالهم في المكابرة والعناد واجترائهم عما وصفوه عم به من البشرية وارادة التفضل
الى وصفه عم بما ترى وهم يعرفون انه عم ارجح الناس عقلا وارزنهم قولا وعلى الاول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله
انى يؤفكون قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فماذا قال عم بعدما سمع منهم هذه الاباطيل
فقيل قال لما رآهم قد اصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال حتى يئس من ايمانهم بالكلية وقد اوحي اليه انه
لن يؤمن من قومك الا من قد آمن رب انصرني باهلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عم رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا الخ بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي او بدل تكذيبهم فاوحينا اليه عند ذلك ان اصنع الفلك
ان مفسرة لما في الوحي من معنى القول باعيننا ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه عم منه عز وعلا حفاظا وحراسا يكلؤونه
باعينهم من التعدي او من الزيغ في الصنعة ووحينا وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء في قوله تع فاذا جاء
امرنا لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما في قوله تع لا عاصم اليوم من امر الله الا الامر
بالركوب كما قيل ومجيئه كمال الاقتراب او ابتداء ظهوره اي اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تع وفار التنور عطف بيان
لمجيئه روي انه قيل له عم اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك وكان تنور آدم عم فصار الى نوح عم فلما نبع
الماء منه اخبرته امرأته فركبوا واختلف في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة اي في موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم
وقيل كان في عين وردة من الشام وقد مر تفصيله في تفسير سورة هود عم فاسلك فيها اي ادخل فيها يقال سلك فيه
اي دخل فيه وسلكه فيه اي ادخله فيه ومنه قوله تع ما سلككم في سقر من كل اي من كل امة زوجين اي فردين مزدوجين
كما يعرب عنه قوله تع اثنين فانه نص في الفردين دون الجمعين او الفريقين وقرئ بالاضافة على ان المفعول اثنين اي
من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا صريح في ان الامر كان
قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه ان يحمل اما على
حكاية امر آخر تنجيزي ورد عند فوران التنور الذي نيط به الامر التعليقي اعتناء بشأن المأمور به او على ان ذلك هو الامر السابق
بعينه لكن لما كان الامر قبل تحقق المعلق به تحقق ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث عند تحققه فحكي على صورة
التنجيز وقد مر في تفسير قوله تع واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم واهلك منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف

على زوجين او اثنين على القراءتين لاداء الاختلال المعنى اي واسلك اهلك والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم وتأخير الامر
بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها لكونه عريقا فيما امر به من الادخال فانه محتاج الى مزاولة الاعمال منه عم بل الى معاونة
من اهله واتباعه واما هم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان في المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه
يؤدي الى الاخلال بتجاوب اطراف النظم الكريم الا من سبق عليه القول منهم اي القول بهلاك الكفرة وانما جيء بعلى لكون السابق
ضارا كما جيء باللام في قوله تع ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لانجائهم
انهم مغرقون تعليل للنهي او لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء اي انهم مقضي عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر
المعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه فكيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تع فاذا استويت انت
ومن معك اي من اهلك واشياعك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين على طريقة قوله تع فقطع
دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة او منها منزلا مباركا اي انزالا او موضع انزال
يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا اي موضع نزول وانت خير المنزلين امره عم بان يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل
توسلا به الى الاجابة وافراده عم بالامر مع شركة الكل في الاستواء والنجاة لاظهار فضله عم والاشعار بان في دعائه وثنائه مندوحة
عما عداه ان في ذلك الذي ذكر مما فعل به عم وبقومه لآيات جليلة يستدل بها اولو الابصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار
وان كنا لمبتلين ان مخففة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف اي وان الشأن كنا مصيبين قوم
نوح عم ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تع ولقد تركناها
آية فهل من مدكر ثم انشأنا من بعدهم اي من بعد اهلاكهم قرنا آخرين هم عاد حسبما روي عن ابن عباس رضي وعليه
اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود فارسلنا
فيهم جعلوا موضعا للارسال كما في قوله تعالى كذلك ارسلناك في امة ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه
للايذان من اول الامر بان من ارسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تع رسولا منهم اي
من جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وان في قوله تع ان اعبدوا الله مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول اي قلنا لهم
على لسان الرسول اعبدوا الله تع وقوله تع ما لكم من اله غيره تعليل للعبادة المأمور بها او للامر بها او لوجوب الامتثال
افلا تتقون اي عذابه الذي يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصي والكلام في العطف كالذي في قصة نوح عم
وقال الملأ من قومه حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية القول الحق الذي قاله رسولهم [illegible]
[illegible] الذين كفروا [illegible]
[illegible] وكذبوا
بلقاء الآخرة [illegible] وأترفناهم [illegible]
[illegible] في الحياة الدنيا [illegible] ما هذا
الا بشر مثلكم [illegible] يأكل مما تأكلون منه
ويشرب مما تشربون [illegible]
[illegible] ولئن اطعتم بشرا مثلكم [illegible]
[illegible] انكم اذا لخاسرون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ايعدكم [illegible]
[illegible] انكم اذا متم [illegible]

ترابا وعظاما نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب اي كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما
وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية او كان متقدموكم ترابا صرفا ومتأخروكم
عظاما وقوله تع انكم تاكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذي هو قوله تع مخرجون اي من القبور احياء
كما كنتم او مخرجون مبتدأ وانما اذا متم خبره على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو
جزاء الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم
هو الاول وقرئ ايعدكم اذا متم الخ هيهات هيهات تكرير لتاكيد البعد اي بعد الوقوع او الصحة لما توعدون
وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لما ذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون
وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة مبنيين
تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله (وغيره)
ان الحيوة الا حيوتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح
كما في هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت ان
النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تع نموت ونحيى جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحيوة هي الحيوة الدنيا اي يموت
بعضنا ويولد بعض الى انقراض العصر وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو اي ما هو الا رجل افترى على الله
كذبا فيما تدعيه من رسالته وفيما يعدنا من ان الله تعالى يبعثنا وما نحن له بمؤمنين بمصدقين فيما يقوله قال اي
هود عند يأسه من ايمانهم بعد ما سلك في دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله تع رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم
بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي واصرارهم عليه قال تع اجابة لدعائه وعدة بالقبول عما قليل اي عن زمان
قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتاكيد معنى القلة كما زيدت في قوله تع فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة اي عن شيء
قليل ليصبحن نادمين على ما فعلوا من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب فاخذتهم الصيحة لعلهم حين
اصابتهم الريح العقيم اصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة ايضا وقد روي ان شداد بن عاد حين اتم بناء ارم سار اليها
باهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم
قال قائلهم صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان بالحق متعلق بالاخذ اي بالامر الثابت الذي لا دفع
له او بالعدل من الله تع او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء اي كغثاء السيل وهو حميله فبعدا للقوم الظالمين
اخبار او دعاء وبعدا من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اي هلكوا واللام لبيان من قيل
له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ثم انشأنا من بعدهم اي بعد هلاكهم قرونا آخرين هم قوم صالح
ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اي ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذي عين
لهلاكهم اي ما تهلك امة قبل مجيء اجلها وما يستأخرون ذلك الاجل ساعة وقوله تع ثم ارسلنا رسلنا عطف على انشأنا
لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ عن انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى ان ارسال كل رسول متأخر عن انشاء قرن
مخصوص بذلك الرسول كانه قيل ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل
بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم اجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه
اجمالي تترى اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور والالف للتانيث
باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تع كلما جاء امة رسولها كذبوه
استئناف مبين لمجيء كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء اما التبليغ واما حقيقة المجيء للايذان
بانهم كذبوه في اول الملاقاة واضافة الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق ان كل رسول جاء
امته خاصة لا ان كلهم جاؤا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل امة منهم رسولها المعين
لها وقيل لان الارسال لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل اليه فاتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة

اسبابه التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم
جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا وتعجبا كاعاجيب جمع اعجوبة وهي ما يتعجب منه اي جعلناهم احاديث
يتحدث بها تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون اقتصر هاهنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم
اجمالا واما القرون الاولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ثم ارسلنا
موسى واخاه هرون باياتنا هي الايات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات
والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها اذ المراد هي الايات التي كذبوها واستكبروا عنها وسلطان مبين
اي حجة واضحة ملزمة للخصم وهي اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها في الايات لما انها ام آياته عليه السلام
واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما افكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة
طه وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة وشجرة خضراء مثمرة
ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه وغيرها لا يلائم لمقتضى المقام واما
نفس الايات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام الخ عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها لعنوانين جليلين
وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي الى فرعون وملائه اي اشراف قومه خصوا بالذكر لان ارسال بني
اسرائيل منوط بارائهم لا بآراء اعقابهم فاستكبروا عن الانقياد وتمردوا وكانوا قوما عالين متكبرين متمردين
فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار اي كانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد اي قالوا
فيما بينهم بطريق المناصحة انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق على
الجمع كما في قوله تع فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على ان
مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات
افرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها في اعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون
بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب
ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق وبعضها في اسفل سافلين كاولئك الجهلة الذين هم كالانعام بل هم
اضل سبيلا وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون اي خادمون منقادون لنا كالعبيد وكأنهم قصدوا بذلك التعريض
بشانهما عليهما السلام وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة
بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لانكارهم ايمانهما بناء على زعمهم الفاسد
المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ الدنيوية من المال والجاه
كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم
بان مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا
فكذبوهما اي فتموا على تكذيبهما واصروا واستكبروا استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا
اي بعد اهلاكهم وانجاء بني اسرائيل من ملكهم موسى الكتاب اي التورية وحيث كان ايتاؤها لارشاد قومه
الى الحق كما هو شان الكتب الالهية جعلوا كانهم اوتوها فقيل لعلهم يهتدون اي الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع
والاحكام وقيل اريد آتينا قوم موسى فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم
اي من آل فرعون وملائهم ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور ان التورية انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل
واما الاستشهاد على ذلك بقوله تع ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى فما لا سبيل اليه ضرورة
ان ليس المراد بالقرون الاولى ما تناول قوم فرعون بل من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وهود وقوم صالح
وقوم لوط كما سيأتي في سورة القصص وجعلنا ابن مريم وامه آية اي آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها
من غير مسيس بشر فالآية امر واحد نسب اليهما

تامه

من حيث بين فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها او التعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وبما لكونه عم وكونها امه هو الايذان
من اول الامر بحيثية كونهما آية فان نسبته عم اليها مع ان النسب الى الاباء دالة على ان لا اب له اي جعلنا ابن مريم
وحده من غير ان يكون له اب وامه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الاب آية وتقديمه عم لاصالته فيما ذكر من كونه آية
كما ان تقديم امه في قوله تع وجعلناها وابنها آية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليهما من الاحصان والنفخ وآويناهما
الى ربوة اي ارض مرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية
عشر ميلا على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان قراها على الربى وقرئ بكسر
الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم ذات قرار مستقر من ارض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار
وزروع لاجلها يستقر فيها ساكنوها ومعين اي وماء معين جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في المشي او
من الماعون وهو النفع لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك
للايذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره المونق يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جيء بها اثر حكاية ايواء
عيسى عم وامه الى الربوة ايذانا بان ترتيب مبادي التنعم لم يكن من خصائصهم بل اباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل
عليهم السلام ووصوا به اي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الاوامر المتعددة بالرسل بصيغة
الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهابنة من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر
لعيسى عم وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد
وقتادة والسدي والكلبي رحمهم الله تع انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد
بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات المأكل والفواكه
حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالامر للترفيه واعملوا صالحا اي عملا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني
بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة عليم فاجازيكم عليه وان هذه استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على
الوجه المذكور مسوق لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد مما امر به كافة الرسل والامم وانما اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور
امرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة امتكم اي ملتكم وشريعتكم ايها الرسل امة واحدة اي
ملة وشريعة متحدة في اصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة الى الامم المؤمنة للرسل والمعنى ان هذه
جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة وانا ربكم من غير ان يكون لي شريك في الربوبية وضمير الخطاب
في قوله تع فاتقون اي في شق العصا والمخالفة بالاخلال بموجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بي للرسل والامم جميعا على ان
الامر في حق الرسل للتهييج والالهاب وفي حق الامم للتحذير والايجاب والفاء لترتيب الامر او وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص
الربوبية به تع واتحاد الامة فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولان هذه امتكم امة واحدة وانا
ربكم فاتقون اي ان تتقوا فاتقون كما في قوله تع واياي فارهبون وقيل على العطف على ما اي اني عليم بان امتكم امة الخ وقيل
على حذف فعل عامل فيه اي واعلموا ان هذه امتكم الخ وقرئ وان هذه على انها مخففة من ان فتقطعوا امرهم حكاية لما ظهر من
امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها على التفسير الثاني والفاء لترتيب
عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح حالهم اي فتقطعوا امر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة بينهم زبرا اي قطعا
جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الباء وهو حال من امرهم او من واو فتقطعوا او مفعول ثان له فانه متضمن معنى
جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير المضاف اي مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل
كل حزب من اولئك المتحزبين بما لديهم من الدين الذي اختاروه فرحون معجبون معتقدون انه الحق فذرهم
في غمرتهم شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ في غمراتهم
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم

فان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم اي اتركهم على حالهم حتى حين هو
حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والاخرة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وفي التنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل ايحسبون انما نمدهم
به اي نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى من مال وبنين بيان لها وتقديم المال على البنين
مع كونهم اعز منه قد مر وجهه في سورة الكهف لا خبر لان وانما الخبر قوله تع نسارع لهم في الخيرات على حذف الراجع
الى الاسم اي ايحسبون ان الذي نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على ان الهمزة لانكار الواقع
واستقباحه وقوله تع بل لا يشعرون عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون
بشيء اصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا ان ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم
يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد وقرئ
يسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون استئناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات
اثر اقناط الكفار عنها وابطال حسبانهم الكاذب اي من خوف عذابه حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة
يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا ولذلك اخر عن الايمان بالآيات والتعرض لعنوان
الربوبية في المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك والذين يؤتون ما آتوا اي
يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وايا ما كان فصيغة
الماضي في الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الاولى للدلالة على الاستمرار وقلوبهم وجلة
حال من فاعل يؤتون او يأتون اي يؤتون ما آتوه او يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال ان قلوبهم
خائفة اشد الخوف انهم الى ربهم راجعون اي من ان رجوعهم اليه عز وجل على ان مناط الوجل ان لا يقبل
منهم ذلك وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم اليه تع وقيل لان مرجعهم اليه تع والموصولات
الاربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها
متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كأنه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الخ
وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة
استقلال الموصول بها اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم في الفضل
اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم يسارعون في الخيرات اي في نيل الخيرات التي
من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله تع فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الاخرة وقوله تع وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين فقد اثبت لهم ما نفي عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب
حيث لم يقل اولئك نسارع لهم في الخيرات بل اسند المسارعة اليهم ايماء الى استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم
وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان بانهم متقلبون في فنون الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة
كما في قوله تع وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الاية وهم لها سابقون اي اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تع
هم لها عاملون اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون في
الطاعات والعبادات اشد الرغبة فهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها سابقون الناس [illegible] ولا نكلف
نفسا الا وسعها جملة مستأنفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدية الى نيل الخيرات
ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة اي عادتنا جارية على ان لا نكلف نفسا من النفوس الا ما
في وسعها على ان المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار كما مر مرارا او للترخيص فيما هو قاصر عن درجة اعمال
اولئك الصالحين ببيان انه تعالى لا يكلف عباده الا ما في وسعهم فان لم يبلغوا في فعل الطاعات مراتب السابقين فلا
عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود

فليوم اعياء وقوله تعالى ولدينا كتاب الخ تتمة لما قبله ببيان احوال ما كلفوه من الاعمال واحكامها المترتبة
عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الاعمال التي يقرؤنها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله
تعالى ينطق بالحق كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي عندنا كتاب قد اثبت فيه
اعمال كل احد على ما هي عليه او اعمال السابقين والمقتصدين جميعاً لا انه اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال الآخرين
ففيه قطع معذرتهم ايضاً وقوله بالحق متعلق بينطق اي يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتاً ووصفاً ويبينه للناظر
كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم ودقائقها ويرتب عليها اجزيتها ان خيراً فخير وان شراً فشر
قوله تعالى وهم لا يظلمون بيان لتفضله تعالى وعدله في الجزاء اثر بيان لطفه في التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون في الجزاء
بنقص ثواب او بزيادة عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز ان يكون
تقريراً لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب بعض اعمالهم التي من جملتها
اعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة اعمال السابقين بل يكتب كلا منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما
ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئاً منها ليس بظلم على ما تقرر من ان الاعمال الصالحة لا توجب اصل الثواب فضلاً
عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى يعد الاثابة بما دونها نقصاً وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب
حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا تكليف ما في الوسع وكتب الاعمال ليسا مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما
ظلماً لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى بل قلوبهم
في غمرة من هذا اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله اي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي
بين في القرآن من ان لديه تعالى كتاباً ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه
ما سيأتي من قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الخ وقيل مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة ولهم اعمال
سيئة كثيرة من دون ذلك الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها
ما سيأتي من طعنهم في القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامراً تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون
من الاعمال الصالحة المذكورة وفيه انه لا اشعار في وصف اعمالهم الخبيثة بالتخطي للاعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه
من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره هم لها عاملون مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون
يبرحونها حتى اذا اخذنا مترفيهم اي متنعميهم وهم الذين امدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية
لاعمالهم المذكورة مبتدأ لما بعدها من مضمون الشرطية اي لا يزالون يعملون اعمالهم الى حيث اذا اخذنا رؤساءهم بالعذاب
قيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذي اصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم
اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والاولاد
والحق ان المراد بالعذاب الاخروي اذ هو الذي يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد والاقناط عن النصر واما عذاب يوم بدر
فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد بهذا
العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتماً واما عذاب الجوع فان ابا سفيان وان تضرع فيه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روي انه عليه السلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك اذا هم يجأرون
اي فاجؤا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ
بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم ايضاً لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس امرهم وكون ذلك اشق عليهم
ولانهم مع كونهم متنعمين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عداهم
من الحماة والخدم اولى واقدم لا تجأروا اليوم على اضمار القول مسوقاً لردهم وتبكيتهم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم
الفارغة والاغاثة والاعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان بتفويتهم وقت الجؤار وتجويز
كونه جواب الشرط انت خبير بان المقصود الاصلي في الجملة الشرطية هو الجؤار ... ان يكون مفاجأتهم الجؤار ...

اصلاً وقوله تعالى انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي عن الجؤار ببيان عدم افادته ونفعه اي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم
مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سباق النظم الكريم لان جؤارهم ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم
بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الخ صريح في انه تعليل لما ذكرنا من عدم
لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان النصر المنفي متوهماً من الغير لعلل بعجزه وذلته او بعزة الله تعالى وقوته
اي قد كانت آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم على اعقابكم تنكصون اي تعرضون عن سماعها اشد الاعراض فضلاً عن تصديقها
والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به اي بالبيت الحرام او بالحرم والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم
بانهم خدامه وقوامه او بآياتي التي عبر عنه بآياتي على تضمين الاستكبار معنى التكذيب او لان استكبارهم على المسلمين
قد حدث بسبب استماعه ويجوز ان يتعلق الباء بقوله تعالى سامراً اي يسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه حيث كانوا
يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً والسامر كالحاضر في الاطلاق على
الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمراً وسماراً وان يتعلق بقوله تعالى تهجرون من الهجر بالفتح بمعنى القطع او الهذيان
او الترك اي تهذون في شأن القرآن او تتركونه او من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من اهجر في منطقه
اذا افحش فيه وقرئ تهجرون من هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى افلم يدبروا القول الهمزة لانكار الواقع واستقباحه
والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي افعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه
من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلاً عما فعلوا في شأنه من القبائح وام
ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بآخر والهمزة
لانكار الوقوع لا لانكار الواقع اي بل اجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الاولين حتى استبعدوه فوقعوا
فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعني ان مجيء الكتب من جهته تعالى الى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد يتسنى
انكاره وان مجيء القرآن على طريقته فمن اين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن من عذاب الله تعالى ما لم يأت آباءهم الاولين كاسماعيل
واعقابه من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن ادّ فآمنوا
به تعالى وكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر والهمزة لانكار الوقوع
ايضاً اي بل الم يعرفوه بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه من الكمالات
اللائقة بالانبياء عليهم السلام فهم له منكرون اي جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشأنه عليه السلام
ومن ضرورة انتفاء المبني بطلان ما بني عليه او فهم غير عارفين له فهو تأكيد لما قبله ام يقولون به جنة انتقال الى
توبيخ آخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى اي بل ايقولون به جنة اي جنون مع انه ارجح الناس عقلاً واثقبهم ذهناً واتقنهم رأياً
واوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات الاربعة التي اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان به عليه السلام الترقي من الادنى
الى الاعلى حيث وبخوا اولاً بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشيء لو اتصف به
القول لكان سبباً لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم من عدم معرفتهم به وذلك يتحقق بعدم
المعرفة بخير ولا شر ثم بما لو كان فيه لقدح في رسالته بل جاءهم بالحق اضراب عما يدل عليه ما سبق اي ليس الامر
كما زعموا في حق القرآن والرسول بل جاءهم بالحق اي الصدق الثابت الذي لا محيد عنه اصلاً ولا مدخل فيه للباطل بوجه
من الوجوه واكثرهم للحق من حيث هو حق اي حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار كارهون لما في
جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم
بهذا الوصف لا يقتضي الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالاكثر
لان منهم من ترك الايمان استنكافاً من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم تفكره لا كراهة للحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة
بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام اصلاً ولو اتبع الحق اهواءهم استئناف مسوق لبيان ان اهواءهم
الزائغة التي ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اي لو كان ما كرهوه من الحق الذي من جملته ما جاء

بدعوهم موافقا لاهوائهم الباطلة لفسدت السموات والارض ومن فيهن وخرجت عن الصلاح والانتظام
بالمرة لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه من تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى واما ما قيل لو اتبع
الحق الذي جاء به من التوحيد اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر فيأباه انه لا يلائم فرض مجيئه به
وكذا ما قيل لو كان في الواقع الهان لا يناسب المقام واما ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم يخرج عن الالهية فمما لا احتمال
له اصلا بل اتيناهم بذكرهم انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي يقوم به العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه
كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك و
لقومك اي بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل اقبال فهم بما فعلوا من النكوص عن ذكرهم
اي فخرهم وشرفهم خاصة معرضون لا عن غير ذلك مما لا يوجب الاقبال والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع المضمر مزيد
تشنيع لهم وتقريع والفاء لترتيب ما بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من اتيانه بذكرهم لا لترتيب الاعراض على الاتيان
مطلقا فان المستتبع لكون اعراضهم اعراضا عن ذكرهم هو اتيانه بذكرهم لا الاتيان مطلقا وفي اسناد الاتيان بالذكر الى نون
العظمة بعد اسناده الى ضميره عليه السلام تنويه لشأن النبي صلى الله عليه وسلم وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفي ايراد القرآن
الكريم عند نسبته اليه عليه السلام بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى
فان التصريح بحقيته المستلزمة لحقية من جاء به هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون في شأنه واما التشريف
فانما يليق به تعالى لا بالرسول صلى الله عليه وسلم واحد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا
من الاولين وقيل وعظهم ويؤيد ذلك بانه قرئ بذكراهم والتشنيع على الاولين اشد فان الاعراض عن وعظهم ليس في مثابة
اعراضهم عن شرفهم وعن ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة ام تسألهم انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام يقولون
به جنة الى التوبيخ بوجه آخر كأنه قيل ام يزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة خرجا اي جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون بك
وقوله تعالى فخراج ربك خير اي رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الانكار اي لا تسألهم ذلك
فان ما رزقك الله تعالى في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تعليل
الحكم وتشريفه ما لا يخفى والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض وقيل الخرج
ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخرج اخص من الخراج ففي خراج الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقرئ خرجا فخرج و
خراجا فخراج وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة
باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد الزمهم الله عز وعلا واراح عللهم في هذه الآيات
حيث حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة
وصفوا بذلك تشنيعا لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا حياة الا الحياة الدنيا واشعارا بعلة الحكم فان الايمان
بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من اقوى الدواعي الى طلب الحق وسلوك سبيله عن الصراط اي عن جنس الصراط لناكبون
لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم اليه والاول ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما انه ينبئ عن كون
ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اي قحط وجدب
للجوا لتمادوا في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يعمهون اي عامهين
عن الهدى روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز
جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين
قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا
اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد
كان كذلك وقوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب استئناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم
يوم بدر من القتل والاسر وما اصابهم من فنون العذاب التي من جملتها القحط المذكور والكلام جواب قسم محذوف اي وبالله

اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم بذلك اي لم يخضعوا ولم يتذللوا على انه افتعال من الكون لان الخاضع
ينتقل من كون الى كون او افتعال من السكون قد اشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح بل اقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار
وقوله تعالى وما يتضرعون اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا
عذاب شديد هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد اذا هم فيه مبلسون
اي متحيرون آيسون من كل خير اي محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما روئي منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام
قط واما ما اظهره ابو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه تعالى في شيء وانما هو نوع خنوع الى ان يتم غرضه فحاله
كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغى واكثرهم مستمرون على ذلك الى ان يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب
الجوع فانه اشد واعم من القتل والاسر والمعنى اخذناهم اولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم
تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اطم واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاءك اعتاهم واشدهم
شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الاول وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار لتحسوا بها الآيات التنزيلية
والتكوينية والافئدة لتتفكروا بها فيما تشاهدونها وتعتبروا اعتبارا لائقا قليلا ما تشكرون اي شكرا قليلا
تشكرون تلك النعم الجليلة لان العمدة في الشكر صرف تلك القوى التي هي في انفسها نعم باهرة الى ما خلقت هي له وتخصيص
بذلك الخالق الاعظم وهو الذي ذرأكم في الارض اي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون اي تجمعون يوم القيامة
بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه وهو الذي يحيي ويميت من غير ان يشاركه في ذلك شيء من الاشياء وله
خاصة اختلاف الليل والنهار اي هو المؤثر في اختلافهما اي تعاقبهما او تخالفهما ازديادا وانتقاصا او لامره
وقضائه اختلافهما افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون او اتتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل
منا وان قدرتنا تعم جميع الممكنات التي من جملتها البعث وقرئ يعقلون على ان الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين
لغيرهم وقيل على ان الخطاب الاول لتغليب المؤمنين وليس بذاك بل قالوا عطف على مضمر يقتضيه المقام اي فلم يعقلوا بل
قالوا مثل ما قال الاولون اي آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون تفسير
لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد تقدم الكلام فيه لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل
متعلق بالفعل من حيث اسناده الى آبائهم لا اليهم [illegible]
ان هذا الا اساطير الاولين اي الا اكاذيبهم التي سطروها جمع اسطورة كاحدوثة واعجوبة
قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم ان كنتم تعلمون جواب محذوف ثقة بدلالة
الاستفهام عليه [illegible] وفيه من المبالغة في وضوح الامر وفي تجهيلهم ما لا يخفى
سيقولون لله لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها قل اي عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم
افلا تذكرون اي اتعلمون ذلك فلا تذكرون ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قادر على
اعادتها ثانيا فان البدء ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس في قياس العقول وقرئ تتذكرون على الاصل قل
من رب السموات السبع ورب العرش العظيم اعيد لفظ الرب تنويها لشأن العرش ورفعا لمحله من ان يكون تبعا
للسموات وجودا وذكرا وقرئ العظيم بالرفع نعتا للرب سيقولون لله باللام نظرا الى معنى
السؤال فان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وقرئ بغير لام نظرا الى لفظ السؤال قل
توبيخا لهم افلا تتقون اي اتعلمون ذلك ولا تتقون انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون
البعث وتثبتون له شريكا في الربوبية قل من بيده ملكوت كل شيء اي ملكه التام
وقيل خزائنه وهو يجير اي يغيث غيره اذا شاء ولا يجار عليه اي ولا يغيث احد منه احدا
عليه ان كنتم تعلمون اي شيئا ما او ذلك فاجيبوني على ما سبق سيقولون لله اي لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير

ولا يجار عليه قل فانى تسحرون اي فمن اين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به الى ما انتم عليه من الغي فان من لا يكون
مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك بل اتيناهم بالحق الذي لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث وانهم لكاذبون
فيما قالوا من الشرك وانكار البعث ما اتخذ الله من ولد كما يقوله النصارى والقائلون ان الملائكة بنات الله
تعالى عن ذلك علوا كبيرا وما كان معه من اله يشاركه في الالوهية كما يقوله عبدة الاوثان وغيرهم اذن لذهب
كل اله بما خلق جواب لمحاجتهم وجزاء الشرط تحذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يزعمون لذهب كل
واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك
ولعلا بعضهم على بعض فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد
جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات سبحان الله عما يصفون اي يصفونه من ان يكون له انداد واولاد
عالم الغيب والشهادة بالجر على انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وايا ما كان فهو
دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تع بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تع فتعالى عما يشركون
فان تفرده تع بذلك موجب لتعاليه عن ان يكون له شريك قل رب اما تريني اي ان كان لا بد من ان تريني ما يوعدون
من العذاب الدنيوي المستأصل واما العذاب الاخروي فلا يناسبه المقام رب فلا تجعلني في القوم الظالمين
اي قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب ان يستعيذ منه من
لا يكاد يمكن ان يحيق به ورد لانكارهم اياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل امر به هضما لنفسه وقيل لان شؤم الكفرة
قد يحيق بمن وراءهم كقوله تع واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروي انه تعالى اخبر نبيه بان له في امته
نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال
وانا على ان نريك ما نعدهم من العذاب لقادرون ولكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون
او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم بدر او فتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر ان يكون
ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا هائلا مستأصلا لا يظهر على يديه لعدم الحكمة الداعية اليه ادفع بالتي هي
احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي الى الوهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد
والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه
من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام نحن اعلم بما يصفون اي بما يصفونك
به او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وارشاد له عم الى تفويض امره اليه تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين اي وساوسهم المغرية على
خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم
الناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الاسراع او الوثب والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه
واعوذ بك رب ان يحضرون امر عم بان يعوذ به تع من حضورهم بعدما امر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة في التحذير
عن ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهال في الاستدعاء
اي اعوذ بك من ان يحضروني ويحوموا حولي في حال من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن كما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما او حال حلول الاجل كما روي عن عكرمة رح لانها احرى الاحوال بالاستعاذة منها حتى اذا جاء احدهم
الموت حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما
بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة به تع من الشياطين ان يزلوه عم عن الحلم ويغروه على الانتقام لكن
لا بمعنى انه العامل فيها لفساد المعنى بل بمعنى انه معمول للمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون في غاية البعد لفظا
ومعنى اي يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء احدهم اي احدكم الموت الذي لا مرد له وظهرت له احوال الآخرة
قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة رب ارجعون اي ردني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل

[illegible] لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي في الايمان الذي تركته [illegible]
في سلك الرجاء [illegible] الاعمال الصالحة [illegible]
[illegible]
[illegible] كلا [illegible]
[illegible] انها
[illegible] كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم [illegible]
[illegible] برزخ [illegible]
الى يوم يبعثون [illegible]
[illegible] فاذا نفخ في الصور [illegible]
[illegible] فلا انساب
بينهم [illegible] يومئذ [illegible]
[illegible] ولا يتساءلون [illegible]
[illegible] فمن ثقلت موازينه [illegible]
[illegible] فاولئك هم المفلحون [illegible] ومن خفت موازينه
ومن لم يكن له من العقائد والاعمال ما له وزن وقدر عنده تع وهم الكفار لقوله تع فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقد مر
تفصيل ما في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الاعراف فاولئك الذين خسروا انفسهم ضيعوها بتضييع زمان كمالها
وابطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد
الضمير في الصلتين باعتبار لفظه في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار
تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن المعاصي
المؤدية الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين من
الاسنان وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا
ما ابتلوا به من العذاب الم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون حينئذ قالوا ربنا غلبت علينا
اي ملكتنا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى انفسهم وقرئ شقوتنا بالفتح وشقاوتنا
ايضا بالفتح والكسر وكنا بسبب ذلك قوما ضالين عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف
منهم بان ما اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية فمع انه
باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تع انهم يفعلونه باختيارهم ضرورة ان العلم تابع
للمعلوم يرده قوله تع ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اي اخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا
بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فانا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر
عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح في انهم على الايمان والطاعة عند
الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليهما لاحداثهما قال اخسؤوا فيها اي اسكتوا في النار سكوت هوان وذلوا
وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ اي انزجر ولا تكلمون اي باستدعاء الاخراج
من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل الآتي وقيل لا تكلمون رأسا وهو آخر كلام
يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الآتية
وقوله تع انه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اي ان الشان وقرئ بالفتح اي لان الشان كان فريق من عبادي

يكون بهم

وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة رضوان الله تع عليهم اجمعين يقولون في الدنيا ربنا آمنا
فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اي اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لانكم كنتم
تستهزؤن بالداعين بقولهم ربنا آمنا الخ وتتشاغلون بالتهم بهم حتى انسوكم اي الاستهزاء بهم ذكري من فرط
اشتغالكم باستهزائهم وكنتم منهم تضحكون وذلك غاية الاستهزاء وقوله تع اني جزيتهم اليوم استئناف لبيان حسن حالهم
وانهم انتفعوا بما آذوهم بما صبروا بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تع انهم هم الفائزون ثاني مفعولي الجزاء اي جزيتهم فوزهم
بجامع مراداتهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن قال اي الله
عز وجل او الملك المامور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسئوا
فيها الخ وقرئ قل على الامر للملك كم لبثتم في الارض التي تدعون ان ترجعوا اليها عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها فاسئل العادين اي المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك
او الملائكة العادين لاعمار العباد واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي المتعدين فانهم ايضا يقولون ما نقول كانهم
الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة
لبثهم قال اي الله تع او الملك وقرئ قل كما سبق ان لبثتم الا قليلا تصديقا لهم في ذلك لو انكم كنتم تعلمون اي تعلمون شيئا او لكم
من اهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا
اليها افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي الم تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث فعبثا حال
من نون العظمة اي عابثين او مفعول له اي انما خلقناكم للعبث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما ان خلقناكم بغير بعث
من قبيل العبث وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله استعظام
له تعالى ولشؤنه التي تصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اي ارتفع
بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته واحواله وافعاله وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح و
الغايات الحميدة الملك الحق الذي يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدأ واعادة احياء واماتة عقابا واثابة
وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته لا اله الا هو فان كل ما عداه عبيده رب العرش الكريم فكيف بما تحته ومحاط
به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحي الذي منه القرآن الكريم او الخير او البركة او الرحمة
او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع على انه صفة الرب كما في قوله تع ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها آخر
يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة لازمة لالها كقوله تع يطير بجناحيه جئ بها للتاكيد وبناء الحكم عليه
تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء
كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان فالله مثيبه فانما حسابه عند ربه فهو مجازيه على قدر ما يستحقه
انه لا يفلح الكافرون اي ان الشان الخ وقرئ بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه
انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون
بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالاستغفار والاسترحام فقيل وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث
امر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة
بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه السلام انه قال لقد انزلت عشر آيات من اقامهن
دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها نجا وافلح

سورة النور مدنية اربع وستون آيات

سورة خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم
الحاضر المشاهد وقوله تع انزلناها مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة من حيث الصفات
واما كونها مبتدأ محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلناها فيأباه ان مقتضى المقام بيان شأن هذه
السورة الكريمة لا انها في جملة ما اوحي الى النبي عليه السلام سورة شأنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة
المقام يوهم ان غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها
فلا محل له حينئذ من الاعراب وعلى تقدير اقرأ ونحوه او دونك عند من يسوغ حذف اداة الاغراء فمحل انزلناها النصب
على الوصفية وفرضناها اي اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى
وقرئ فرضناها بالتشديد لتأكيد الايجاب او لتعدد الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف وانزلنا فيها
اي في تضاعيف السورة آيات بينات ان اريد بها الآيات التي نيطت بها الاحكام المفروضة وهو الاظهر فكونها
في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على احكامها لا على الاطلاق فانها اسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير
انزلنا مع استلزام انزال السورة لانزالها لابراز كمال العناية بشأنها وان اريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال
الكل على كل واحد من اجزائه وتكرير انزلنا مع ان جميع الآيات عين السورة وانزالها عين انزالها لاستقلالها
بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تع ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله
تع نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا لعلكم تذكرون بحذف احدى التائين وقرئ بادغام الثانية في الذال اي
تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان حقها ان يكون على ذكر منهم
بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها الزانية والزاني شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان احكامها والزانية
هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزاني لان الاصل في الفعل
كون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تع فاجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى [illegible]
[illegible] وقيل الخبر محذوف اي فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي حكمهما وقوله تع فاجلدوا الخ
بيان لذلك الحكم [illegible]
[illegible] آية الرجم [illegible] منسوخة التلاوة [illegible] الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم
[illegible] ولا تأخذكم بهما رأفة [illegible] في دين الله [illegible]
[illegible] ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر [illegible]
وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اي
لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطوف
واقلها ثلثة كما روي عن قتادة وعن ابن عباس رض اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك حكم مؤسس على الغالب المعتاد
جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات
كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من افعال
الزناة وخصائص المشركين كانه قيل الزاني لا يرغب الا في نكاح احداهما والزانية لا يرغب في نكاحها الا احدهما فلا تحوموا
حوله كيلا تنتظموا في سلكهما او تتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي الثانية اما للتعريض بقصرهم

الرغبة عليهن حيث استاذنوا في نكاحهن او لتاكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في التنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على ان مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة **وحرم ذلك** اي نكاح الزواني **على المؤمنين** لما ان فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب واختلال امر المعاش وغير ذلك من المفاسد مما لا يكاد يليق باحد من الاداني والاراذل فضلا من المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي انه عم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطئ بين البطلان **والذين يرمون المحصنات** بيان لحكم العفائف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني ويعتبر في الاحصان هاهنا مع مدلولها الوضعي الذي هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا فيهن بالرمي المنبئ عن صلابة الآلة وايلام المرمي وبعده عن الرامي ايذان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بايرادهن عقيب الزواني ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على ان فيه مؤنة بيان تأخر نزول الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على ان فيه شبه المصادرة كانه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا **ثم لم يأتوا باربعة شهداء** يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تأخير الاتيان بالشهود كما ان في كلمة لم اشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا ان اجتماع الشهود لا بد منه عند الاداء خلافا للشافعي فانه يجوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز ان يكون احدهم زوج المقذوفة خلافا له ايضا وقرئ باربعة شهداء **فاجلدوهم ثمانين جلدة** لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع ان حكم رمي المحصنين ايضا كذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن **ولا تقبلوا لهم شهادة** عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب كما ان الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة من اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة من اهليته السابقة بل من اهلية حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من ان المسلمين لا يعبأون بسب الكفار وقد لحق المقذوف بقذفه من الشين والشنار ما لحقه بقذف المسلم فان ذلك بمعزل مما مر من الاعتبار وتعليل في مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي **ابدا** اي مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه تتمة للحد كانه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله **واولئك هم الفاسقون** كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كانهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى **الا الذين تابوا** استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الآتي ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب وقوله تعالى **من بعد ذلك** لتهويل المتوب عنه اي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل **واصلحوا** اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف **فان الله غفور رحيم** تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كانه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعي رحمه الله الاستثناء

بالنهي فيحل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من الضمير في لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهي بالتوبة فتقبل شهادته بعدها **والذين يرمون ازواجهم** بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا بان يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء الآية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرائط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخيا في النزول بل بكونه ناسخا لعمومها ضرورة تراخي نزولها كما سيأتي فتبقى الآية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ لما بين في موضعه ان دليل النسخ غير معلل **ولم يكن لهم شهداء** يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتأنيث الفعل **الا انفسهم** بدل من شهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول الامر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم في قوله تعالى **فشهادة احدهم** اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى **اربع شهادات** خبره اي فشهادتهم المشروعة اربع شهادات **بالله** متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ اربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على انه اما خبر لمبتدأ محذوف او الخبر اي فشهادة احدهم واجبة **انه لمن الصادقين** اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها للتأكيد **والخامسة** اي الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة اي الجاعلة لها خمسا بانضمامها اليهن وافرادها عنهن مع كونها شهادة ايضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر واظهار الصدق وهي مبتدأ خبره **ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين** فيما رماها به من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم او تلاعن **ويدرأ عنها العذاب** اي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على احد الوجهين بالرجم الذي هو اشد العذاب **ان تشهد اربع شهادات بالله انه** اي الزوج **لمن الكاذبين** اي فيما رماني به من الزنا **والخامسة** بالنصب عطفا على اربع شهادات **ان غضب الله عليها ان كان** اي الزوج **من الصادقين** اي فيما رماني به من الزنا والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ ان بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ ان غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما انها مادة الفجور ولان النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روي ان آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على امرأتي خولة بنت عاصم شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فانكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا تثبت حتى يحكم الحاكم بها فان اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فله ان ينكحها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله تعالى هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك ابدا **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم** التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والاشعار بضيق العبارة عن حصره كانه قيل لولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وانه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع افعاله واحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته انه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف بحال زوجته وانه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعدما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب احدهما حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلى الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو اتم مما درأته عنه

وفي ذلك من احكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى اما على الصادق فنظاهر واما على الكاذب فلمهاله
والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما اعظم شانه
واوسع رحمته وادق حكمته ﴿ان الذين جاؤا بالافك﴾ اي بابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به
حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به ما افك به على الصديقة ام المؤمنين رض وفي
لفظ المجيء اشارة الى انهم اظهروه من عند انفسهم من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضي الله تع عنها فاقرع بيننا في غزوة
غزاها قيل غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فسرنا
حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت
الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا
يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير
ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي وظننت انهم سيفقدونني
ويعودون في طلبي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما رآني عرفني
فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ
راحلته فوطئ على يديها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول
وافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض الناس في حديثي فهلك من هلك
وقوله تع ﴿عصبة منكم﴾ خبر ان اي جماعة وهي من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة
وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تع ﴿لا تحسبوه شرا لكم﴾ استئناف خطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم من اول الامر والضمير للافك ﴿بل هو خير لكم﴾ لاكتسابكم
الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة آية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شانكم وتشديدا لوعيد
لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا ﴿لكل امرئ منهم﴾ اي من اولئك العصبة ﴿ما اكتسب من الاثم﴾ بقدر ما خاض فيه
﴿والذي تولى كبره﴾ اي معظمه وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه ﴿منهم﴾ من العصبة وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه بين الناس
عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به فافراد الموصول باعتبار
الفوج او الفريق او نحوهما ﴿له عذاب عظيم﴾ اي في الآخرة او في الدنيا ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي
مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد
وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى ﴿لولا اذ سمعتموه﴾ تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة
في قوله تع ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا﴾ لتاكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية
جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما
وزجرا لهم عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساءته بانفسهم اي بابناء
جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تع ﴿ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم﴾ وقوله تع ﴿ولا تلمزوا انفسكم﴾ مما لا ريب فيه فاخلالهم
بموجب ذلك الوصف اقبح واشنع والتوبيخ عليه ادخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم ان كان المراد
بالايمان الايمان الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون ايضا
فايجابه له من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين
لولا وفعلها لتخصيص التحضيض باول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تاخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد
ليفيد ان عدم الاتيان به رأسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة اي كان الواجب ان يظن المؤمنون والمؤمنات

اول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا ﴿وقالوا﴾ في ذلك الآن
﴿هذا افك مبين﴾ اي ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق ام المؤمنين حرمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ﴿لولا جاؤا عليه باربعة شهداء﴾ اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين
وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوه منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخائضون باربعة شهداء يشهدون
على ما قالوا ﴿فاذ لم ياتوا بالشهداء﴾ وانما قيل بالشهداء لزيادة التقرير ﴿فاولئك﴾ اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى البعد
للايذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اي اولئك المفسدون ﴿عند الله﴾ اي في حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل
الظاهرة المتقنة ﴿هم الكاذبون﴾ الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك
رتب عليه الحد خاصة واما كلام مبتدأ مسوق من جهته تع للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل اصلا
﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ خطاب للسامعين والمسمعين جميعا ﴿ورحمته في الدنيا﴾ من فنون النعم التي من جملتها الامهال
للتوبة ﴿والآخرة﴾ من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة ﴿لمسكم﴾ عاجلا ﴿فيما افضتم فيه﴾ بسبب ما
خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستهجان بذكره يقال افاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى
﴿عذاب عظيم﴾ يستحقر دونه التوبيخ والجلد ﴿اذ تلقونه﴾ بحذف احدى التاءين ظرف للمس اي لمسكم ذلك العذاب العظيم
وقت تلقيكم اياه من المخترعين ﴿بالسنتكم﴾ والتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال
وفي الثاني معنى الخطف والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه
بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الالق والولق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته
اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه ﴿وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم﴾ اي تقولون قولا مختصا بالافواه
من غير ان يكون له مصداق ومنشأ في القلوب لانه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم كقوله تع يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
﴿وتحسبونه هينا﴾ سهلا لا تبعة له او ليس له كثير عقوبة ﴿وهو عند الله﴾ والحال انه عنده عز وجل ﴿عظيم﴾ لا يقادر قدره
في الوزر واستجرار العذاب ﴿ولولا اذ سمعتموه﴾ من المخترعين او المشايعين لهم ﴿قلتم﴾ تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه
﴿ما يكون لنا﴾ ما يمكننا ﴿ان نتكلم بهذا﴾ وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده
[illegible]

تم الزكية وتوسع اسبابها واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتفخيم شان الايتاء والله عليم باحوال جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها
حكيم في جميع تدبيره وافعاله فانى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق
ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا واظهار الاسم الجليل هنا لتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي والاشعار بعلية الالوهية للعلم والحكمة
ان الذين يحبون اي يريدون ويقصدون ان تشيع الفاحشة اي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي
بالزنا او نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها اي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر
المحبة فانها مستتبعة له لا محالة في الذين آمنوا متعلق بتشيع اي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم
او بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة اي يحبون ان تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنين
وفي شانهم لهم بسبب ما ذكر عذاب اليم في الدنيا من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره والآخرة
من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل والله يعلم جميع الامور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة المذكورة وانتم
لا تعلمون ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال والافعال المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمونه وعاقبوا
في الدنيا على ما تشاهدونه من الاحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور
هذا اذا جعل العذاب الاليم في الدنيا عبارة عن حد القذف وتوسطها له كما اطبق عليه الجمهور واما اذا ابقي على اطلاقه
يراد بالمحبة نفسها من غير ان يقارنها التصدي للاشاعة وهو الانسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها
على ان عذاب من يباشر الاشاعة ويتولاها اشد واعظم ويكون الاعتراض التذييلي اعني قوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون
تقريرا لثبوت العذاب الاليم لهم وتعليلا له ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه
على كمال عظم الجريرة وان الله رؤوف رحيم عطف على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة
الالوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما ان المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال
الرحمة وبالرحيمية التي هي المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما انه المراد بالمعطوف
عليه وجواب لولا محذوف لدلالة المقابلة عليه يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا
مسالكه في كل ما تاتون وما تذرون من الافاعيل التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها
ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان وضع الظاهران موضع ضميريهما حيث لم يقل ومن يتبعها او ومن يتبع خطواته
لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير فانه يامر بالفحشاء والمنكر علة للجزاء وضعت موضعه كانه قيل
فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لان دابه المستمر ان يامر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بامره قطعا والفحشاء ما افرط قبحه كالفاحشة والمنكر
ما ينكره الشرع وضمير انه للشيطان وقيل للشان على راي من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى اسم الشرط او
على ان الاصل يامره وقيل هو عائد الى من اي فان ذلك المتبع يامر الناس بهما لان شان الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه
يترقى من رتبة الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد ولولا فضل الله عليكم ورحمته بما من جملته تلك
الآيات والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى اي ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد
اي ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى منكم بيانية وفي قوله تعالى من احد زائدة واحد في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الاولى
وفي محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية ابدا الى نهاية ولكن الله يزكي يطهر من يشاء من عباده بافاضة
آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم والله سميع مبالغ في سمع الاقوال التي من جملتها ما اظهروه
من التوبة عليم بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص في التوبة واظهار الاسم الجليل للايذان
باستدعاء الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولا يأتل اي لا يحلف افتعال
من الالية وقيل لا يقصر من الالو والاول هو الاظهر لنزوله في شان الصديق رضي حين حلف ان لا ينفق على مسطح بعد
وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يتال اولوا الفضل منكم

في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله تعالى عنه والسعة في المال ان يؤتوا اي على ان لا يؤتوا وقرئ بتاء الخطاب
على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد جيء بها بطريق العطف
تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الايتاء وقيل لموصوفات اقيمت هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية
ظهوره اي على ان لا يؤتوهم شيئا وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغضاء عنه وقد قرئ الامران بتاء الخطاب على وفق
قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم اي بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مبالغ
في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم
بمقابلته كانه قيل الا تحبون ان يغفر الله لكم فهذا من موجباته روي انه صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر رضي الله عنه
فقال بلى احب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا ان الذين يرمون المحصنات اي العفائف
مما رمين به من الفاحشة الغافلات عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها اصلا ففيها
من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات اي السليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سوء المؤمنات اي المتصفات
بالايمان بكل ما يجب ان يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تاخير المؤمنات عما قبلها
مع اصالة وصف الايمان فانه للايذان بان المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة
كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها والجمع باعتبار ان رميها رمي لسائر امهات المؤمنين
لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظائره
وقيل امهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا اوليا واما ما قيل من ان المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها
للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الامة فيأباه ان العقوبات المرتبة على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين
ولا ريب ان رمي غير امهات المؤمنين ليس بكفر فيجب ان يكون المراد بهن على احد الوجهين فانهن خصصن من بين سائر
المؤمنات بجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة عن ان يحوم حوله احد بسوء حتى ان ابن
عباس جعله اغلظ من سائر افراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض
في امر عائشة رضي الله تعالى عنها وهل هو منه رضي الله عنه الا للتهويل امر الافك والتنبيه على انه كفر غليظ لعنوا بما قالوا
في الدنيا والآخرة حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة ابدا ولهم مع ما ذكر من اللعن
الابدي عذاب عظيم هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى يوم تشهد عليهم
اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور وتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة
له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور
المتقدم من معنى الاستقرار لا للعذاب [illegible]
لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على ان ناصبه مضمر [illegible]
[illegible] من الطامة التامة والداهية العامة كانه قيل يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة الى بيان كون الشهادة
ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي يوم اذ تشهد عليهم جوارحهم
باعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذي يحق ان يثبت لهم لا محالة وافيا كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب

حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال المعجز وان يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على انه مفعول لفعل مضمر اي اذكر يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل ويعلمون عند معاينتهم الاهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم ان الله هو الحق الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤون التي يشاهدونها منطبقة عليها المبين المظهر للاشياء كما هي في انفسها او الظاهر انه هو الحق وتغييره بظهور الوحدانية تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس لكثير مناسبة للمقام كما ان تغيير الحق بذي الحق المبين اي العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت ما في القرآن المجيد من آيات الوعيد الواردة في حق كل كفار عنيد وجبار عنيد لا تجد شيئا منها فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو الشان والنباهة وابراز رتبة الصديقة رضي الله تعالى عنها في العفة والنزاهة وقوله تعالى الخبيثات الخ كلام مستأنف مؤسس على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب ان لله تعالى ملكا يسوق الاهل الى الاهل اي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال اي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص والخبيثون ايضا للخبيثات لان المجانسة من دواعي الانضمام والطيبات منهن للطيبين منهم والطيبون ايضا للطيبات منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الاطيبين وخيرة الاولين والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله تعالى عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى اولئك مبرؤون مما يقولون على ان الاشارة الى اهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بعلو الشان مبرؤون مما تقوله اهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء اي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي ان تقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين احقاء بان يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال في شأنهم طيبات الكلم اولئك الطيبون مبرؤون مما يقول الخبيثون في حقهم فمآله تنزيه الصديقة ايضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين اي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها اولئك الطيبون مبرؤون مما يقوله الخبيثون من الخبائث اي لا يصدر عنهم مثل ذلك فما له تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم لهم مغفرة عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب ورزق كريم هو الجنة يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في اوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى كل احد في ملكه والا فالآجر والمعير ايضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء حتى تستأنسوا اي تستأذنوا من يملك الاذن من اصحابها من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يؤذن له او من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما ان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استأنس وتسلموا على اهلها عند الاستيذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم اي الاستيذان مع التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمضمر اي انزل عليكم او قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه فان لم تجدوا فيها احدا اي من

يملك الاذن على ان من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه او احدا اصلا على ان مدلول النص الكريم عبارة هو النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف في ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول حيث حرم مع ما ذكر من العلة فلان يحرم عند انضمام ما هو اقوى منه اليه اعني الاطلاع على العورات اولى فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم اي من جهة من يملك الاذن عند اتيانكم نعرض فيه وقوله حتى يأتي من يأذن لكم او حتى تجدوا من يأذن لكم فقد ابرز التعليق في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الابواب مطلقا بل في تكرير الاستيذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا اي ان امرتم من اهل البيت بالرجوع سواء كان الامر ممن يملك الاذن او لا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستيذان كما في الوجه الاول ولا تلحوا بالاصرار على الانتظار الى ان يأتي الاذن كما في الثاني فان ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة اي قدح هو اي الرجوع ازكى لكم اي اطهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا اي بغير استيذان بيوتا غير مسكونة اي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من غير ان يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى فيها متاع لكم فانه صفة للبيوت او استئناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح اي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والرحال والشري والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا بأس بدخولها بغير استيذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم وروي ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل عليك آية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر انها من جملة ما ينتظمه البيوت لا انها المرادة فقط وفي قوله تعالى والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد او اطلاع على عورات قل للمؤمنين شروع في بيان احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجا اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رأيه عليه السلام لانها تكاليف متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الآمر بها والمتصدي لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الامر امر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا يغضوا من ابصارهم عما يحرم ويقصروا به على ما يحل ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر ذلك اي ما ذكر من الغض والحفظ ازكى لهم اي اطهر لهم من دنس الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما يأتون وما يذرون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه ويحفظن فروجهن بالتستر والتصون عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد ولا يبدين زينتهن كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة في النهي عن ابداء مواضعها ما لا يخفى الا ما ظهر منها عند مزاولة الامور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة وليضربن بخمرهن على جيوبهن ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهي عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فامرن بارسال الخمر الى الجيوب سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم

ولا يبدين زينتهن كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعدما استثني عنه بعض مواد الضرورة
باعتبار المنظور الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود او
آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن
لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب
ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا
من ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن
وصفهن للرجال او ما ملكت ايمانهن اي من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها وقيل من الاماء والعبيد لما
روي انه عم اتى فاطمة رض بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ
رأسها فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك او التابعين غير اولي الاربة من الرجال
اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون
الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرئ غير بالنصب او الطفل الذين لم يظهروا على عورات
النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس
وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين اي ما يخفينه من الرؤية
من زينتهن اي لا يضربن بارجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث
الرجال ميلا اليهن وفي النهي عن ابداء صوت الحلي بعد النهي عن ابداء عينها من المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها
ما لا يخفى وتوبوا الى الله جميعا تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب
لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات الحقيقية بان يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما
انه لا يكاد يخلو احد من المكلفين عن نوع تفريط في اقامة مواجب التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم
شيبتني سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لاسيما اذا كان المأمور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم
تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب
بقوله تع ايها المؤمنون تأكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ ايه المؤمنون
لعلكم تفلحون تفوزون بذلك بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم بعدما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة
والبعيدة امر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك وايامى
مقلوب ايايم جمع ايم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا كما يفصح عنه قول من قال فان تنكحي انكح
وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم اي زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر والصالحين من عبادكم وامائكم
على ان الخطاب للاولياء والسادات واعتبار الصلاح في الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان
يعتني مولاه بشانه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه
ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم مستبدون
في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم في ذلك غرامة
حتى يعتبر في مقابلها غنيمة عائدة اليهم عاجلة او آجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا
فقراء يغنهم الله من فضله ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر احد الجانبين اي لا يمنعن فقر الخاطب
او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب
او وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشية كما في قوله تعالى
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع غني ذو سعة لا يرزؤه انفاق الخلائق اذ لا نفاد لنعمته
ولا غاية لقدرته ومع ذلك عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وليستعفف

ارشاد للعاجزين عن مبادي النكاح واسبابها الى ما هو اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء
اي ليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اي اسباب نكاح او لا يتمكنون مما ينكح به من المال حتى
يغنيهم الله من فضله عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف بهم في استغنائهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله
تعالى اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء والذين يبتغون الكتاب بعدما امر بانكاح صالحي المماليك الاحقاء
بالانكاح امر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة اي يطلبون المكاتبة مما ملكت ايمانكم عبدا كان
او امة وهي ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك قبلته او نحو ذلك فان اداه
اليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت
عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق عنده والتحقيق ان المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود
الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا ريب في ان ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة
كل منهما في الحقيقة الا الاتيان باحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض
لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به الا ان كلا من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه
في نفسه الا منوطا بتحقق الآخر ضرورة ان التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله الا
بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يكاد يتحقق الا بتملكه
من جانب المشتري لم يكن بد من تضمين احدهما الآخر وقت الانشاء فكما ان قول البائع بعت انشاء لعقد البيع على
انه ايقاع لما يتم من قبله اصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمنا ايقاعا متوقفا على رأيه توقفا شبيها بتوقف عقد
الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد الكتابة اي ايقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل
اصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع
على الابتداء خبره فكاتبوهم والفاء لتضمنه معنى الشرط او النصب على انه مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه للندب
لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا يجب كغيره وتجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعي لا يجوز الا
منجما وقد فصل في موضعه ان علمتم فيهم خيرا اي امانة ورشدا وقدرة على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال
وصلاحا لا يؤذي الناس بعد العتق واطلاق العنان وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للموالي ببذل شيء من
اموالهم وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة ويكفي في ذلك اقل ما يتمول وعن علي رض حط الربع وعن ابن عباس رضي الله
عنه الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي للوجوب ويرده قوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اذ لو
وجب الحط لسقط عنه الباقي حتما وايضا لو وجب الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا
معا وايضا هو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى آتوهم اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا عليهم بعد
ان يؤدوا ويعتقوا واضافة المال اليه تعالى ووصفه بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالامر بتحقيق المأمور به كما في قوله تعالى
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تع مع كونه هو المالك الحقيقي له من اقوى الدواعي
الى صرفه الى الجهة المأمور بها وقيل هو امر باعطاء سهمهم من الصدقات فالامر للوجوب حتما والاضافة والوصف لتعيين
المأخذ وقيل هو امر مندوب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا لتبدل
العنوان حسبما ينطق به قوله عم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اي اماءكم فان كلا
من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبني قوله عم ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي
وامتي ولهذه العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلي حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تع على البغاء وهو الزنا
من حيث صدوره عن النساء لانهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تع
ان اردن تحصنا ليس لتخصيص النهي بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها من حكمه كما اذا كان
الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني او لخصوص الزمان او لخصوص المكان او لغير ذلك من الامور المصححة

للإكراه في الجملة بل إنما أنطقه على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور
شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الأمور الداعية إلى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح فإن عبد الله بن أبي
كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه ما لا يخفى فإن من له أدنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من
يحويه حرمه من إمائه فضلا عن أمرهن به أو إكراههن عليه لا سيما عند إرادتهن التعفف فتأمل ودع عنك
ما قيل من أن ذلك لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وما قيل من أنه إن جعل شرطا للنهي لا يلزم من عدمه جواز
الإكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهي لامتناع المنهي عنه فإنهما بمعزل من التحقيق وإيثار كلمة إن على إذا مع تحقق الإرادة
في مورد النص حتما للإيذان بوجوب الانتهاء عن الإكراه عند كون إرادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف إذا كانت
محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بأن الإرادة المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية
يأباه اعتبار تحققها إباء ظاهرا وقوله تعالى **لتبتغوا عرض الحياة الدنيا** قيد للإكراه لكن لا باعتبار أنه مدار
النهي عنه بل باعتبار أنه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لأجل النزر الحقير
أي لا تفعلوا ما أنتم عليه من إكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء
الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل إذ هو الصالح لكونه غاية للإكراه مترتبا عليه لا المطلق
المتناول للطلب السابق الباعث عليه **ومن يكرههن** إلخ جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي وتأكيد وجوب
العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه ورجوع غائلة الإكراه إلى المكرهين أي ومن يكرههن
على ما ذكر من البغاء **فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم** أي لهن كما وقع في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة
ابن عباس رضي الله تعالى عنهم وكما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد إكراههن أي كونهن مكرهات على أن الإكراه مصدر من المبني
للمفعول فإن توسيطه بين اسم إن وخبرها للإيذان بأن ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصري
إذا قرأ هذه الآية يقول لهن والله لهن والله وفي تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين أيضا في الشرطية
دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كأنه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفى به عن العائد إلى اسم الشرط فتجويز
تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالا أو معهن إخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لأمر النهي في مقام التهويل وحاجتهن
إلى المغفرة المنبئة عن سابقة الإثم إما باعتبار أنهن وإن كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما
بحكم الجبلة البشرية وإما باعتبار أن الإكراه قد يكون قاصرا عن حد الإلجاء المزيل للاختيار بالمرة وإما لغاية تهويل
أمر الزنا وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان أنهن حيث كن عرضة للعقوبة
لولا أن تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العقاب **ولقد أنزلنا إليكم
آيات مبينات** كلام مستأنف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤونها المستوجبة
للإقبال الكلي على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لإبراز كمال العناية بشأنه أي وبالله لقد أنزلنا إليكم
في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة إلى بيانه من الحدود وسائر الأحكام والآداب وغير ذلك مما هو من
مبادي بيانها على أن إسناد التبيين إليها مجازي أو آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على أن
بينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ على صيغة المفعول أي التي بينت وأوضحت في هذه
السورة معاني الأحكام والحدود وقد جوز أن يكون الأصل مبينا فيها الأحكام فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول **ومثلا
من الذين خلوا من قبلكم** عطف على آيات أي وأنزلنا مثلا كائنا من قبيل أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة
والأمثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على ألسنة الأنبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضي الله تعالى
عنها المحاكية لقصة يوسف عم وقصة مريم رض وسائر الأمثال الواردة في السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات
المبينة بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتي من التمثيلات **وموعظة** تتعظون بها وتنزجرون عما

لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب نهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها
من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت الآيات بما
يبين الحدود والأحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله تعالى لولا إذ سمعتموه
وغير ذلك من الآيات الواردة في شأن الآداب وإنما قيل **للمتقين** مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الإنزال لقوله
تعالى أنزلنا إليكم حثا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين ببيان أنهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من أنوارها
فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والأمثال والمواعظ فقوله تعالى
الله نور السماوات والأرض إلخ استئناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الإشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه
الذي ستعرفه وأما على الأول فلتحقيق أن بيانه تعالى ليس مقصورا على ما ورد في السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما
يحتاج بيانه من الأحكام والشرائع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل في البيان وأنه
واقع منه تعالى على أتم الوجوه وأكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو أقوى مراتب البيان وأجلاها وعبر عن المنور بنفس النور
تنبيها على قوة التنوير وشدة التأثير وإيذانا بأنه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر بإظهاره كما أن النور نير بذاته
وما عداه مستنير به وأضيف النور إلى السماوات والأرض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما
يليق به من الأمور التي لها مدخل في إرشاد الناس بواسطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الأجرام
العلوية والسفلية فإنهما قطران للعالم الجسماني الذي لا مظهر للنور الحسي سواه أو على شمول البيان لأحوالهما وأحوال
ما فيهما من الموجودات إذ ما من موجود إلا وقد بين من أحواله ما يستحق البيان إما تفصيلا أو إجمالا كيف لا ولا ريب
في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث أو على تعلق البيان بأهلهما كما قال ابن عباس رضي
وبه قال أنس بن مالك رض
الله تعالى عنهما هادي أهل السماوات والأرض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا وأما حمل التنوير على
إخراجه تعالى الماهيات من العدم إلى الوجود إذ هو الأصل في الإظهار كما أن الإعدام هو الأصل في الإخفاء أو على تزيين السماوات
بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها من الأنوار أو بالملائكة عم وتزيين الأرض بالأنبياء عليهم السلام والعلماء
والمؤمنين أو بالنبات والأشجار أو على تدبيره تعالى لأمورهما وأمور ما فيهما فمما لا يلائم المقام ولا يساعده حسن النظام
مثل نوره أي نوره الفائض منه تعالى على الأشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف
آياته بالإنزال والتبيين وقد صرح بكونه نورا أيضا في قوله تعالى وأنزلنا إليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رض
والحسن وزيد بن أسلم رض وجعله عبارة عن الحق وإن شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يأباه مقام بيان
شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولأن المعتبر في مفهوم النور هو الظهور والإظهار كما هو
شأن القرآن الكريم وأما الحق فالمعتبر في مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الإظهار والمراد بالمثل الصفة
العجيبة أي صفة نوره العجيبة **كمشكاة** أي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الإنارة والتنوير **فيها مصباح** سراج
ضخم ثاقب وقيل المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة **المصباح في زجاجة** أي قنديل
من الزجاج الصافي الأزهر وقرئ بفتح الزاي وكسرها في الموضعين **الزجاجة كأنها كوكب دري** متلألئ وقاد شبيه
بالدر في صفائه وزهرته منسوب إليه أو الكواكب العظام المشهورة وقرئ دريء بدال مكسورة وراء مشددة وياء
ممدودة بعدها همزة على أنه فعيل من الدرء وهو الدفع أي مبالغ في دفع الظلام بضوئه أو في دفع بعض أجزائه بعضا
لبعض عند البريق واللمعان وقرئ بضم الدال والباقي على حاله وفي إعادة المصباح والزجاجة معرفين إثر سبقهما منكرين والإخبار
عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بأن يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب دري من تفخيم شأنهما ورفع مكانتهما
بالتفسير إثر الإبهام والتفصيل بعد الإجمال وبإثبات ما بعدهما لهما بطريق الإخبار المنبئ عن القصد الأصلي دون
الوصف المبني على الإشارة إلى الثبوت في الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الأولى الرفع على أنها صفة لمصباح ومحل الثانية
الجر على أنها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط كأنه قيل فيها مصباح هو في زجاجة هي كأنها كوكب دري **يوقد من شجرة**

اي يبتدئ ايقاد المصباح من شجرة مباركة اي كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل اي نما صفت بالبركة
لانها تنبت في الارض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين زيتونة بدل من شجرة وفي ابهامها ووصفها بالبركة ثم
الابدال عنها تفخيم لشانها وقرئ توقد بالتاء على ان الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد
على صيغة الماضي من التفعل اي ابتدا ثقوب المصباح منها وقرئ توقد بحذف احدى التاءين من تتوقد على اسناده الى
الزجاجة لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على قلة او على
صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وقتادة
وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية اي يصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها
فتكون شرقية غربية تاخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوأ وقيل لا نابتة في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها
وهو الشام فان زيتونها اجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها دائما
فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيها في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
اي هو في الصفاء والانارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار اصلا وكلمة لو في امثال هذه المواقع ليست
لبيان انتفاء شيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملحوظا
قصده الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم
الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على ابعدها منه اما لوجود المانع كما في قوله
تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة واما لعدم الشرط كما في هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه
معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او عدم
الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شيء آخر من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة
للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال
على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي
ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الاعطاء في الاول وعدم تحققه في الثاني في جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطي
لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن ولو كان فقيرا
في الفعل الموجب او المنفي اي يعطي كائنا على جميع الاحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه
نار اي يضيء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد في الباب لدلالة الثانية
عليها دلالة واضحة نور خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى على نور متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما افاده
التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه اي ذلك النور الذي عبر به عن القرآن
ومثلت صفته العجيبة الشان بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك لا على انه عبارة عن نور واحد
معين او غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه
بحد معين وتحديد لمراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح
اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل
الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت
وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب ما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة اخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن
النور المشبه به مما لا يليق بشان التنزيل الجليل يهدي الله لنوره اي يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك
النور المتضاعف العظيم الشان واظهاره في مقام الاضمار لزيادة تقريره وتاكيد فخامته الذاتية بفخامة الاضافية الناشئة
من اضافته الى ضمير عز وجل من يشاء هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيقته وكونه من عند الله تعالى
من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئته تعالى

وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب ويضرب الله الامثال للناس في تضاعيف
الهداية حسبما يقتضيه حالهم فان له دخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس
وتصوير لاوابد المعاني بصورة المانوس كما مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة
واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للايذان باختلاف حال ما اسند اليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب
الامثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعلق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة والله بكل
شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان يتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويحجبها
من الناس دون من عداهم لمخالفته للحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان يكون هداية العامة على فنون
مختلفة وطرائق شتى حسبما يقتضيه احوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتاكيد
استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا في بيوت اذن الله ان ترفع
ويذكر فيها اسمه لما ذكر شان القرآن الكريم في بيانه للشرائع والاحكام ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب
والعقاب وغير ذلك من احوال الآخرة واهوالها واشير الى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما
فصل من نور المشكاة واشير الى ان ذلك النور مع كونه في اقصى مراتب الظهور انما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة
الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء
وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقيل هي المساجد التي بناها
نبي من انبياء الله تعالى الكعبة التي بناها ابرهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام
ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر
ببنائها رفيعة لا كسائر البيوت وقيل الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل
العطف التفسيري وايا ما كان ففي التعبير عنه بالاذن تلويح بان اللائق بحال المامور ان يكون متوجها الى المامور به
قبل ورود الامر به ناويا لتحقيقه كانه مستاذن في ذلك فيقع الامر موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع
اذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى يسبح له وقوله تعالى فيها تكرير لها للتاكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة
وللايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط واصل التسبيح التنزيه والتقديس ويستعمل [illegible]
[illegible] كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى [illegible] الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات
بقوله تعالى بالغدو والآصال اي [illegible] على ان الغدو مصدر [illegible]
[illegible] على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] رجال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لا تلهيهم تجارة [illegible]
[illegible]

بلومهم والعاطف يشبهم كما كانه ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم واهمها اي لا يشغلهم نوع من انواع التجارة ولا بيع اي ولا فرد من افراد البياعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على سائر انواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهاء ما عداه نفي الهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفي وتأكيده وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشرى لانه اصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه عن ذكر الله بالتسبيح والتحميد واقام الصلوة اي اقامتها لمواقيتها من غير تأخير وقد اسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما في قوله وأخلفوك عد الامر الذي وعدوا وايتاء الزكوة اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله تعالى يخافون الخ فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم وايا ما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله تعالى يوما مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تتقلب فيه القلوب والابصار صفة ليوما اي تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع وتشخص كما في قوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر او تتغير احوالها وتتقلب فتفقه بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا او تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من اعمالهم المرضية اي يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكوة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى احسن ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف ويزيدهم من فضله اي يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم بخصوصياتها او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه السلام حكاية عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه نظمها في سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكر صفاتهم الجميلة كانه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية كما انها المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا ظاهر الاسباب وللايذان بانهم ممن شاء الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن شاء تعالى ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وخوف اليوم الآخر واهواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذي هو المعني بالنور وبه تم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت الى آخره من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكوة اي كمشكوة في بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق وما بعد قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى بكل شيء عليم كلام متعلق بالمثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبي يؤدي الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهديين بنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال الضلال مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد به في كلام الناس فضلا ان يحمل عليه الكلام المعجز والذين كفروا عطف على ما ينساق اليه ما قبله كانه قيل الذين آمنوا اعمالهم حالا ومآلا كما وصف والذين كفروا اعمالهم اي اعمالهم التي هي من ابواب البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وقرى

الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد الآية كسراب وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري بقيعة متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اي كائن في قاع وهي الارض المنبسطة وقيل جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ بقيعات بتاء ممدودة كديمات اما على انها جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين يحسبه الظمآن ماء صفة اخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الذي هو المطلع المطمع والمقطع المؤيس حتى اذا جاءه اي اذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه لم يجده اي ما حسبه ماء وعلق به شيئا اصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان احوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم ان قصارى امرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الآخرة حتى اذا جاؤها لم يجدوها شيئا كانه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيمة اعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئا ووجدوا الله اي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل فوفاهم اي اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اي حساب اعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضميرين الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها اوفى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد ويناديا بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت اعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية يغتر بها المغترون بظلمات كائنة في بحر لجي اي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل الى اللجة وهي ايضا معظمه يغشاه صفة اخرى للبحر اي يستره ويغطيه بالكلية موج وقوله تعالى من فوقه موج جملة من مبتدإ وخبر محلها الرفع على انها صفة لموج او الجار والمجرور صفة وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما في قوله تعالى نور على نور اي يغشاه امواج متراكمة بعضها على بعض وقوله تعالى من فوقه سحاب صفة لموج الثاني على احد الوجهين المذكورين اي من فوق ذلك الموج سحاب ظلماني ستر اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى كانها بلغت السحاب ظلمات خبر مبتدإ محذوف اي هي ظلمات بعضها فوق بعض اي متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها اذا اخرج اي من ابتلي بها واضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر اليها لم يكد يراها وهي اقرب شيء منه فضلا عن ان يراها ومن لم يجعل الله له نورا الخ اعتراض تذييلي جيء به لتقرير ما افاده التمثيل من كون اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما في حيز الصلة الى علة الحكم وانهم ممن لم يشاء الله تعالى هدايتهم اي ومن لم يشاء الله ان يهديه لنوره الذي هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به فما له من نور اي فما له هداية ما من احد اصلا وقوله تعالى الم تر الخ استئناف

خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بانه تعالى قد افاض عليه عليه السلام اعلى مراتب النور واجلاها وبين
له من اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اي قد علمت علما يقينا شبيها بالمشاهدة في القوة والرسوخ
بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح ان الله يسبح له اي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما
لا يليق بشانه الجليل من نقص او خلل من في السموات والارض اي ما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء
وغيرهم كائنا ما كان او بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا يفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات
الممكنة مركبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف
بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشان من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها
حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة
لسان المقال وأكد ذلك بايثار كلمة من على ما كان كل شيء مما عز وهان وكل فرد من افراد الاعراض والاعيان عاقل المقال
ومخبر صادق بعلو شانه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى
بنعوت الكمال ايضا لما ان مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة في اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الالوهية
ونسبتهم اليه اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من انواع المخلوقات بان يراد
به معنى مجازي شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه يرده ان بعضا
من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي تشاركهم
فيها غير العقلاء وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير ببيان انهم يسبحونه تعالى باعتبار اخس جهاتهم التي هي الجمادية
والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار اشرفها التي هي الانسانية والطير بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر
مع اندراجها في جملة ما في الارض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها
من تلك الجهة لوضوح انبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله صافات
اي تسبحه تعالى حال كونها صافات اجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو
والحركة كيف تشاء من الاجنحة والاذناب الخفيفة وارشادها الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية
بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه
بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الافعال الاختيارية
عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد ادمج في تضاعيفه الاشارة الى ان لكل واحد من الاشياء المذكورة مع ما ذكر
من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه ان كل واحد من الموجودات الممكنة
في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لان يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشانه من الوجود وما يتبعه من الكمالات
ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط
نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة
المعنوية بالصلاة التي هي الدعاء والابتهال لكمال التمثيل وافادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح
في الذكر لتقدمها في الرتبة هذا ويجوز ان يكون التسبيح على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه التنوين في كل انواع الطير وافرادها
وبالصلاة والتسبيح ما الهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين بكل منها لا على ان يكون الطير معطوفا
على كلمة من مرفوعا بما رفعها فانه يؤدي الى ان يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم
وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر ويراد بالتسبيح المخصوص معطوفا على المذكور كما مر في قوله تعالى وكثير من الناس اي وتسبح الطير
تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات اجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه اي دعاءه وتسبيحه اللذين الهمهما الله
عز وجل اياه لبيان كمال رسوخه فيهما وان صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وايقان من غير اخلال
بشيء منهما حسبما الهمه الله تعالى فان الهامه الله تعالى لكل نوع من المخلوقات علوما دقيقة لا يكاد يهتدي اليها جهابذة العقلاء

فلا سبيل الى انكاره اصلا كيف لا وان القنفذ مع كونه ابعد الاشياء من الادراك قالوا انه يحس بالشمال والجنوب
قبل هبوبهما فيغير المدخل الى جحره حتى روي انه كان بقسطنطينية قبل الفتح الاسلامي رجل قد اثرى بسبب ان كان ينذر
بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بانذاره ويتداركون امورهم وكان يقتني في داره قنفذا
باحوال العالم ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لان اصواتها اظهر وجودا واقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى
والله عليم بما يفعلون اي ما يفعلونه [illegible]
الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسندا الى ضمير العقلاء لما مر وعلى الثاني فما
عبارة عما عبر عنه بالتسبيح الخاص بالطير [illegible]
حينئذ من التسبيح [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولله ملك السموات والارض لا لغيره لانه الخالق لهما
ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها ايجادا واعداما بدءا واعادة وقوله تعالى والى الله اي اليه
تعالى خاصة لا الى غيره المصير اي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به
تعالى في المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى في المبدأ واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار
بعلة الحكم ألم تر ان الله يزجي سحابا الازجاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب في سوق شيء يسير او غير معتد به ومنه
البضاعة المزجاة فيه ايماء الى ان السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه اي بين اجزائه بضم
بعضها الى بعض وقرئ يولف بغير همزة ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر اثر
تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى يخرج من خلاله اي من فتوقه حال من الودق لان الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل
المذكور برؤيته خارجا لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق
ومن الاعتناء بتقرير الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال جمع جبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله
وينزل من السماء من الغمام فان كل ما علاك سماء من جبال اي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة فيها
وقوله تعالى من برد مفعول ينزل على ان من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على ان الثانية بدل اشتمال من الاولى
باعادة الجار اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال اي
ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح ببعضية
المنزل وقيل المفعول من جبال على ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اي ينزل من السماء بعض جبال كائنة من برد
اي مشبهة بالجبال في الكثرة وايا ما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما ان في الارض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه من
قاطع والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع
هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل
ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك مستند
الى ارادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح فيصيب به اي بما ينزل من البرد من يشاء ان يصيبه
فينال ما يناله من ضرر في نفسه وماله ويصرفه عن من يشاء ان يصرفه عنه فينجو من غائلته يكاد سنا برقه اي
ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتاليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان
بظهور امره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال في السين وبرقه بضم الراء على
انه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع بضمه يذهب بالابصار اي يخطفها من فرط الاضاءة

وسرعة ورودها في اطلاق الابصار مزيد تهويل للامر وبيان لشدة تأثيرهما كانه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض
وهذا من اقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة
الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغير احوالهما بالحر والبرد ونحوهما
مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها ما ذكر من ازجاء السحاب وما ترتب عليه ان في ذلك اشارة الى ما فصل آنفا
وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته لعبرة لدلالة واضحة على وجود الصانع
القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلي لأولي
الابصار لكل من له بصر والله خلق كل دابة اي كل حيوان يدب على الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة
من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن
نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة خلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها
زحفا بطريق الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع
كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير
الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة
يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا على ما يشاء من الصور والاعضاء والهيئات والحركات
والطبائع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شأن الخلق المذكور و
للايذان بانه من احكام الالوهية ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء واظهار الجلالة لما ذكر مع تأكيد استقلال
الاستيناف التعليلي لقد انزلنا آيات مبينات اي لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية
والله يهدي من يشاء ان يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التأمل في معانيها الى صراط مستقيم
موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول شروع في بيان احوال بعض من لم يشأ الله
هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر وقيل
نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودي يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل في المغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه في ارض وماء فابى ان يحاكم الى الرسول صلى الله عليه وسلم
واياما كان فصيغة الجمع للايذان بان للقائل طائفة يساعدونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان
قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واطعنا اي اطعناهما في الامر والنهي ثم يتولى عن قبول حكمه فريق منهم من بعد
ذلك اي بعد ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك
من معنى البعد للايذان بكونه امرا معتدا به واجب المراعاة وما اولئك اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولي
منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس فان نفيه عن القائلين مقتض لنفيه عنهم على الطريق الابلغ
وتحقيق اكيد وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الكفر والفساد اي وما اولئك الذين يدعون الايمان
والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد والعمل بالمؤمنين اي المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام اي
ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالاخلاص في الايمان والثبات عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول
بينهم لانه المباشر للحكم حقيقة وان كان ذلك حكم الله تعالى حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه والايذان بجلالة محله عنده
تعالى اذا فريق منهم معرضون فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه لكون الحق عليهم وعلمهم بانه عليه السلام
يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق لا عليهم يأتوا اليه مذعنين منقادين لجزمهم
بانه عليه السلام يحكم لهم والجملة لبيان ان الاتيان والمجيء يعديان بالى ولمذعنين على تضمين معنى الاسراع
والاقبال كما في قوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص افي قلوبهم مرض انكار واستقباح لاعراضهم
المذكور وبيان لمنشائه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشائية بينها

فمدار الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وام من الامور الثلاثة بل هو منشائيتها له كانه قيل اذلك الاعراض
المذكور لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم ام لانهم ارتابوا في امر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيتها ام لانهم
يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ثم اضرب عن الكل وابطلت منشائيته وحكم بان المنشأ شيء آخر
من شنائعهم حيث قيل بل اولئك هم الظالمون اي ليس ذلك لشيء مما ذكر اما الاولان فلانه لو كان لشيء منهما
لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ ايضا واما
الثالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف اصلا لمعرفتهم بتفاصيل احواله عليه السلام في الامانة
والثبات على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه
عليه السلام لعلمهم بانه عليه السلام يقضي بالحق فمناط النفي المستفاد من الاضراب في الاولين هو وصف
منشائيتهما للاعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الاصل والوصف جميعا هذا وقد خص الارتياب
بما له منشأ مصحح لعروضه لهم في الجملة والمعنى ام ارتابوا بان رأوا منه عليه السلام تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به
فمدار النفي حينئذ نفس الارتياب ومنشائيته معا فتأمل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما يقتضيه
النظر الجليل انما كان قول المؤمنين بالنصب على انه خبر كان وان مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس
والاول اقوى صناعة لان الاولى للاسمية ما هو اوغل في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بان اذ لا سبيل اليه
للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اختزلت عنه الاضافة لكن قراءة الرفع اقعد بحسب المعنى واوفى
لمقتضى المقام لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على
الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب في ان ذلك ههنا في ان مع ما
في حيزها اتم واكمل فاذن هو احق بالخبرية واما ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت قليلة
الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان
مطلق القول الصادر عن المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول عليه السلام بينهم اي وبين خصومهم
سواء كانوا منهم او من غيرهم ان يقولوا سمعنا واطعنا اي خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا آخر اصلا واما
قراءة النصب فمعناها انما كان قول المؤمنين اي قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم ففيه من جعل
اخص النسبتين وابعدهما حضورا في الاذهان واحقها بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وابراز ما هو بخلافها
في معرض القصد الاصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا الى مصدره مجاوبا لقوله تعالى اذا دعوا
اي ليفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم واولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور القول
المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت
الجميل هم المفلحون اي هم الفائزون بكل مطلب والناجون عن كل محذور ومن يطع الله ورسوله جملة مقررة ل
مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم اي ومن يطعهما كائنا من كان فيما امرا
به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن والاول هو الانسب بالمقام ويخش الله ويتقه
باسكان القاف المبني على تشبيه بكتف وقرئ بكسر القاف والهاء وباسكان الهاء اي يخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه
فيما يستقبل فاولئك الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء هم الفائزون بالنعيم المقيم لا من عداهم
واقسموا بالله حكاية لبعض آخر من اكاذيبهم مؤكدة بالايمان الفاجرة جهد ايمانهم نصب على انه مصدر مؤكد لفعله الذي هو
في حيز النصب على انه حال من فاعل اقسموا اي اقسموا به تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق
الاستعارة من قولهم جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها اي جاهدين بالغين اقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة
وقيل هو مصدر مؤكد لاقسموا اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين لئن
امرتهم اي بالخروج الى الغزو لا عن ديارهم واموالهم كما قيل لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم

اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا فقوله تعالى ليخرجن جواب لاقسموا على طريق حكاية تعلم لا حكاية قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة امر عليه السلام بردها حيث قيل قل اي ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها لا تقسموا اي على ما ينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي اي لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها كذلك مشهور معروف لكل احد وقرئ بالنصب على معنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدأ او خبر او فعل مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية او طاعة معروفة امثل او ليكن طاعة معروفة او اطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام ان الله خبير بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة وما تضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بان مدار شهرة امرها فيما بين المؤمنين اخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بانه تعالى يجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التي منها نفاقهم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر بالقول لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المطلوب في الاول نفي بطريق الردع والتقريع كما في قوله تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون وفي الثاني امر بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة المامور بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على انها ليست من الطاعة في شيء اصلا وقوله تعالى فان تولوا خطاب للمامورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتاكيد الامر بها والحث على الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما ان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لا سيما اذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان في خطابه تعالى اياهم بالذات بعد امره تعالى اياهم بوساطته عليه السلام وتصديه لبيان حكم الامتثال بالامر والتولي عنه اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر من التاكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم انه داخل تحت القول المامور بحكايته من جهته تعالى وانه ابلغ في التبكيت تعكيس للامر فان ولترتيب ما بعدها على تبليغه عليه السلام للمامور به اليهم وعدم التصريح به للايذان بغاية ظهور مسارعته عليه السلام الى تبليغ ما امر به وعدم الحاجة الى الذكر اي ان تتولوا عن الطاعة اثر ما امرتم بها فانما عليه اي فاعلموا انما عليه عليه السلام ما حمل اي امر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وعليكم ما حملتم اي ما امرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله وكونه مؤنة باقية في عهدتهم بعد كانه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة وان تطيعوه اي فيما امركم به من الطاعة تهتدوا الى الحق الذي هو المقصد الاصلي الموصل الى كل خير والمنجي عن كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولي لما في تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين اعتراض مقرر لما قبله من ان غائلة التولي وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا او للعهد اي ما على جنس الرسول كائنا من كان او ما عليه عليه السلام الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح او الواضح على ان المبين من ابان بمعنى بان وقد علمتم انه قد فعله بما لا مزيد عليه وانما بقي ما حملتم وقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم استئناف مقرر لما في قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التي هي من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء والمراد بالذين امنوا كل من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من اي طائفة كان وفي اي وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة عموم

الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب في منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية وعملوا الصالحات عطف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة وبه تم تفسير الطاعة التي امر بها ورتب عليها ما نظم في سلك الوعد الكريم كما اشير اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار اصالة الايمان وعراقته في استتباع الآثار والاحكام وللايذان بكونه اول ما يطلب منهم واهم ما يجب عليهم واما تأخيره عنهما في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فلان من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه الصلوة والسلام من خلص المؤمنين ولا ريب في انهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة مثابرون عليهما فلا بد من وروده بالهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بما لها هذا ومن جعل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللامة عموما على ان من تبعيضية او له عليه السلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا على انها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه بمراحل او بعد عما يليق بشانه بمراحل ليستخلفنهم في الارض جواب للقسم اما بالاضمار او بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة اي ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في مماليكهم او خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة كما استخلف الذين من قبلهم هم بنو اسرائيل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة او هم ومن قبلهم من الامم المؤمنة التي اشير اليهم في قوله تعالى الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد تأكيده بالقسم وما مصدرية اي ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل في الكاف حينئذ الفعل المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل مبني للمفعول جار منه مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة كانه قيل ليستخلفنهم في الارض فيستخلفن فيها استخلافا اي مستخلفية كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه في قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين اي نبتت نباتا حسنا وعليه قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي فلم يبق الا مسحت او مجلف وليمكنن لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتأخيره عنه مع كونه اجل الرغائب الموعودة واعظمها لما ان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير المواعيد بها في الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه ويرجعون اليه في كل ما ياتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكانا لآخر يقال مكن له في الارض اي جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض ونظائره وكلمة في للايذان بان ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة احكامه وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض في الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده ولانه في توسطها بينه وبين وصفه اعني قوله تعالى الذي ارتضى لهم وتاخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تالف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه وليبدلنهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال من بعد خوفهم اي من الاعداء امنا حيث كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما ياتي علينا يوم نامن فيه فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليست معه حديدة فانزل الله عز وجل هذه الآية وانجز وعده واظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد

الوعد بالثبات على التوحيد استيناف ببيان المقتضي للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئا ومن كفر اي اتصف بالكفر بان ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترغيب والترهيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول هو الانسب بالمقام بعد ذلك اي بعد ذلك الوعد الكريم بافضل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها فاولئك البعداء عن الحق التائهون في تيه الغواية والضلال هم الفاسقون الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمأمورين بالطاعة على طريق الترهيب من التولي بقوله تعالى فان تولوا الخ وترغيبه تعالى اياهم في الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا الخ ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكانه قيل فآمنوا واعملوا صالحا واقيموا او فلا تكفروا واقيموا وعطفه على اطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم واطيعوا الرسول امرهم الله سبحانه بالذات بما امرهم به بواسطة الرسول عليه السلام من طاعته التي هي طاعته تعالى في الحقيقة تأكيدا للامر السابق وتقريرا لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للآداب المرضية ايضا اي اطيعوه في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين الخاصين المتعلقين بالصلوة والزكوة على ان المراد بما ذكر ما عداهما من الشرائع اي واطيعوه في سائر ما يأمركم به الخ وقوله تعالى لعلكم ترحمون متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثاني بالاوامر الثلثة اي افعلوا ما ذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة راجين ان ترحموا لا تحسبن الذين كفروا لما بين حال من اطاعه عم واشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه ومآل امره في الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه في الفسق تكميلا لامر الترغيب والترهيب والخطاب اما لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان واما للرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للايذان بان الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على انه مفعول اول للحسبان وقوله تعالى معجزين ثانيهما وقوله تعالى في الارض ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفي فيها لا في غيرها فان ذلك مما لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع اجزائها اي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم في قطر من اقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب وقرئ لا يحسبن بياء الغيبة على ان الفاعل كل احد والمعنى كما ذكر اي لا يحسبن احد الكافرين معجزين له سبحانه في الارض او هو الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عبارة عن انفسهم كانه قيل لا يحسبن الكافرون انفسهم معجزين في الارض والمآل لا يحسبن معجزين مفعولا اولا وفي الارض مفعولا ثانيا فمع عزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة ان مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة في ان يكون المعجزين في الارض وقوله تعالى ومأواهم النار معطوف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية لان المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كانه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأواهم النار او على مقدر يقع تعليلا للنهي كانه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم مدركون ومأواهم النار ولبئس المصير جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله لبئس المصير هي اي النار والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفي ايراد النار بعنوان كونها مأوى ومصيرا لهم اثر نفي فوتهم بالهرب في الارض كل مهرب من الجزالة ما لا غاية وراءه فلله در شأن التنزيل يا ايها الذين آمنوا رجوع الى بيان تتمة الاحكام السالف ذكرها بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالاوامر والنواهي الواردة فيها وفي الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص او للفريقين جميعا بطريق التغليب

روي ان غلاما لاسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضي الله تعالى عنه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله تعالى نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم من العبيد والجواري والذين لم يبلغوا الحلم اي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه اظهر دلائله منكم اي من الاحرار ثلث مرات اي ثلثة اوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للايذان بان مدار وجوب الاستيذان مقارنة تلك الاوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين لا انفسها من قبل صلوة الفجر لظهور انه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على انه بدل من ثلث مرات او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي احدها من قبل الخ وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى من الظهيرة وهي شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر اعني وضع الثياب في هذا الحين دون الاول والآخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنها ايراد الحين مضافا الى فعل حادث منقض وقوعها في النهار الذي هو مئنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فان تحقق التجرد واطراده فيهما امر معروف لا يحتاج الى التصريح به ومن بعد صلوة العشاء ضرورة انه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق في الوقت الممتد المتخلل بين الصلوتين كما في قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي بل ما يعرض منهما لطرفي ذلك الوقت الممتد المذكورين اتصالا عاديا وقوله تعالى ثلث عورات خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى لكم متعلق بمحذوف هو صفة لثلث عورات اي كائنة لكم والجملة استيناف مسوق لبيان علة وجوب الاستيذان اي هن ثلثة اوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في الاصل هي الخلل غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره اطلقت على الاوقات المشتملة عليها مبالغة كانها نفس العورة وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم اي على المماليك والصبيان جناح اي اثم في الدخول بغير استيذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات بعدهن اي بعد كل واحدة من تلك العورات الثلث وهي الاوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع ان كل وقت من تلك الاوقات قبل عورة من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذي هو عبارة عن رفعه اذ الرخصة انما تتصور في فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الاولى كونها في محل الرفع على انها صفة اخرى لثلث عورات واما على القراءة الثانية فهي مستأنفة لا غير اذ لو جعلت صفة لثلث عورات وهي بدل من ثلث مرات لكان التقدير ليستأذنكم هؤلاء في ثلث عورات لا اثم في ترك الاستيذان بعدهن وحيث كان انتفاء الاثم حينئذ مما لا يعلمه السامع الا بهذا الكلام لم يحسن ابرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فان انتفاء الاثم معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى طوافون عليكم استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة وبين غيرها بكونها عورات بعضكم على بعض اي بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شأن المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا اي مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات الدالة على الاحكام اي ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها لا انه تعالى يبينها بعد ان لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام

وليس بواضح مع أنه مؤدّ إلى تخصيص الآيات بما ذكر ههنا والله عليم مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم
أحوالكم حكيم في جميع أفعاله فيشرع لكم ما فيه صلاح أمركم معاشاً ومعاداً وإذا بلغ الأطفال منكم
الحلم لما بيّن فيما مرّ آنفاً حكم الأطفال في أنه لا جناح عليهم في ترك الاستئذان فيما عدا الأوقات الثلاثة عقّب
ببيان حالهم بعد البلوغ دفعاً لما عسى يتوهم أنهم وإن كانوا أجانب ليسوا كسائر الأجانب بسبب اعتيادهم الدخول
أي إذا بلغ الأطفال الأحرار الأجانب فليستأذنوا إذا أرادوا الدخول عليكم وقوله تعالى كما استأذن الذين
من قبلهم في حيّز النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتاً
غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار بلوغهم كما قيل لما أن المقصود بالتشبيه بيان
كيفية استئذان هؤلاء وزيادة إيضاحه ولا يتسنى ذلك إلا بتشبيهه باستئذان المعهودين عند السامع ولا ريب
في أن بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال أحد وإن كان الأمر كذلك في الواقع وإنما المعهود المعروف
ذكرهم أي فليستأذنوا استئذاناً كائناً مثل استئذان المذكورين قبلهم بأن يستأذنوا في جميع الأوقات ويرجعوا
إن قيل لهم ارجعوا حسبما فصّل فيما سلف كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم الكلام فيه كالذي
سبق والتكرير للتأكيد والمبالغة في الأمر بالاستئذان وإضافة الآيات إلى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد
من النساء أي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحاً أي لا يطمعن فيه لكبرهن
فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن أي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لأن اللام في القواعد
بمعنى اللاتي أو للوصف بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات لزينة مما أمر بإخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن
وأصل التبرج التكلف في إظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها
محيطاً بسوادها كله لا يغيب منه شيء إلا أنه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وأن يستعففن بترك الوضع خير لهن
من الوضع لبعده من التهمة والله سميع مبالغ في سمع جميع ما يسمع فيسمع ما يجري بينهن وبين الرجال من المقاولة عليم
فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج كانت
هؤلاء الطوائف يتحرجون من مؤاكلة الأصحاء حذاراً من استقذارهم إياهم وخوفاً من تأذيهم بأفعالهم وأوضاعهم
فإن الأعمى ربما سبقت يده إلى ما سبقت إليه عين أكيله وهو لا يشعر والأعرج يتفسح في مجلسه فيأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه
والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فإذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم
إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو إلى بعض من سماهم الله عز وجل في الآية الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب
بنا إلى بيت غيره ولعل أهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الأكل من أموال الذين كانوا إذا خرجوا إلى الغزو
خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا إليهم مفاتيحها وأذنوا لهم أن يأكلوا مما فيها مخافة أن لا يكون إذنهم عن طيب
نفوسهم وكان غير هؤلاء أيضاً يتحرجون من الأكل في بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة ولا على أنفسكم
أي عليكم وعلى من يماثلكم في الأحوال من المؤمنين حرج أن تأكلوا أي تأكلوا أنتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة
أيضاً يأباه ما قبله وما بعده فإن الخطاب فيهما لغير أولئك الطوائف حتماً من بيوتكم أي البيوت التي فيها أزواجكم
وعيالكم فيدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيتهم بيته لقوله عليه السلام أنت ومالك لأبيك وقوله عليه السلام إن أطيب ما أكل
الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الأولى وفتح
الثانية أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت
خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه من البيوت التي تملكون التصرف فيها بإذن أربابها على الوجه الذي مر بيانه
وقيل هي بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه أو صديقكم أو بيوت صديقكم وإن لم يكن
بينكم وبينهم قرابة نسبية فإنهم أرضى بالتبسط وأسر به من الأقرباء وحكي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الصديق أكبر
من الوالدين وأن الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم

والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين وأضرابهما وهذا فيما إذا علم رضى صاحب البيت بصريح الإذن
أو بقرينة دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ليس عليكم جناح أن
تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بيّن قبله حيث كان فريق من المؤمنين
كبني ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفاً
يأكل معه فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح إلى الرواح
وربما كانت معه الإبل الحفّل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فإذا أمسى ولم يجد أحداً أكل وقيل كان الغني
منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه إلى طعامه فيقول إني أتحرج أن آكل معك وأنا غني وأنت فقير وقيل
كان قوم من الأنصار لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاؤوا وقيل كانوا إذا اجتمعوا
ليأكلوا طعاماً عزلوا للأعمى وأشباهه طعاماً على حدة فبيّن الله تعالى أن ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعاً حال من فاعل
تأكلوا وأشتاتاً عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شتّ على أنه صفة كالحق يقال أمر شتّ أي متفرق أو على أنه في
الأصل مصدر وصف به مبالغة أي ليس عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين فإذا دخلتم شروع في بيان الآداب
التي يجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه إثر بيان الرخصة فيه بيوتاً أي من البيوت المذكورة فسلموا
على أنفسكم أي على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك
تحية من عند الله أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن يكون صلة للتحية فإنها طلب الحياة التي
هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لأنها بمعنى التسليم مباركة لزيادة الخير والثواب ودوامها طيبة
يطيب بها نفس المستمع وعن أنس رضي الله عنه أنه عليه السلام قال متى لقيت أحداً من أمتي فسلم عليه يطل عمرك
وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خيرك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين كذلك يبين الله لكم
الآيات تكرير لتأكيد الأحكام المختتمة به وتفخيمها لعلكم تعقلون أي ما في تضاعيفها من الشرائع والأحكام
وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك بسعادة الدارين وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الأوليين
بما يوجبهما من الجلالة ما لا يخفى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله استئناف جيء به في أواخر الأحكام السابقة
تقريراً لها وتأكيداً لوجوب مراعاتها وتكميلاً لها ببيان بعض آخر من جنسها وإنما ذكر الإيمان بالله ورسوله في حيز
الصلة للموصول الواقع خبراً للمبتدأ مع تضمنه له قطعاً تقريراً لما قبله وتمهيداً لما بعده وإيذاناً بأنه حقيق بأن
يجعل قريناً للإيمان بهما منتظماً في سلكه فقوله تعالى وإذا كانوا معه على أمر جامع الخ معطوف على آمنوا
داخل معه في حيز الصلة أي إنما الكاملون في الإيمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوهما
في جميع الأحكام التي من جملتها ما فصل من قبل من الأحكام المتعلقة بعامة أحوالهم المطردة في الوقوع وأحوالهم الواقعة
بحسب الاتفاق كما إذا كانوا معه عليه السلام على أمر مهم يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والأعياد والحروب وغيرها من الأمور
الداعية إلى اجتماع أولي الآراء والتجارب ووصف الأمر بالجمع للمبالغة وقرئ أمر جميع لم يذهبوا أي من المجمع
مع كون ذلك الأمر مما لا يوجب حضورهم لا محالة كما عند إقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه حتى
يستأذنوه عليه السلام في الذهاب لا على أن نفس الاستئذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هي الإذن
المنوط برأيه عليه السلام والاقتصار على ذكره لأنه الذي يتم من قبلهم وهو المعتبر في كمال الإيمان لا الإذن ولا الذهاب المترتب
عليه واعتباره في ذلك لما أنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص عن المنافق فإن ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم ما
في الذهاب بغير إذنه عليه السلام من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى إن الذين يستأذنونك
أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله تقضي بأن المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم أولاً بأن
الكاملين في الإيمان هم الجامعون بين الإيمان بهما وبين الاستئذان وفي أولئك من تفخيم شأن المستأذنين ما لا يخفى
فإذا استأذنوك بيان لما هو وظيفته عليه السلام في هذا الباب إثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين وأن الإذن

عند الاستئذان ليس بأمر محتوم بل هو مفوض إلى رأيه عليه السلام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي بعد ما تحقق
أن الكاملين في الإيمان هم المستأذنون فإذا استأذنوك لبعض شأنهم أي لبعض أمرهم المهم وخطبهم الملم فأذن لمن
شئت منهم لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة واستغفر لهم الله فإن الاستئذان ولو كان لعذر قوي
لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة إن الله غفور مبالغ في مغفرة فرطات العباد رحيم مبالغ في إفاضة آثار
الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الأمر بالاستغفار لهم لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لإبراز مزيد الاعتناء بشأنه أي لا تجعلوا دعوته عليه السلام
إياكم في الاعتقاد والعمل كدعاء بعضكم بعضا أي لا تقيسوا دعاءه عليه السلام إياكم على دعاء بعضكم
بعضا في حال من الأحوال وأمر من الأمور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه بغير استئذان فإن
ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده أخرى فإن دعاءه
مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل وتقرير الجملة لما قبلها إما من حيث إن استجابته تعالى لدعائه عليه السلام
مما يوجب امتثالهم بأوامره عليه السلام ومتابعتهم لنفي الورود والصدور أكمل إيجاب وإما من حيث إنها موجبة
للاحتراز عن التعرض لسخطه عليه السلام المؤدي إلى ما يوجب هلاكهم من دعائه عليه السلام عليهم وأما ما قيل من أن
المعنى لا تجعلوا نداءه عليه السلام كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن
بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبي الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام
فإن قوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم إلى آخره وعيد للمخالفين أمره عليه السلام فما ذكر من قبل فتوسيط
ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما أن رب تجيء للتكثير حسبما بين
في مطلع سورة الحجر أي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية لواذا أي ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض
حتى يخرج أو بأن يلوذ بمن يخرج بالإذن إراءة أنه من أتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون
أي ملاوذين أو على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة أي يلوذون لواذا والفاء في قوله تعالى فليحذر
الذين يخالفون عن أمره لترتيب الحذر والأمر به على ما قبلها من علمه تعالى بأحوالهم فإنه مما يوجب الحذر البتة أي يخالفون
أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن إما لتضمينه معنى الإعراض أو حمله على معنى يصدون عن أمره دون
المؤمنين من خالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما أن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله
تعالى لأنه الآمر حقيقة أو للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه المقصود بالذكر أن تصيبهم فتنة أي محنة في الدنيا
أو يصيبهم عذاب أليم أي في الآخرة وكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع وإعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير
واستدل به على أن الأمر للإيجاب فإن ترتيب العذاب على مخالفته كما يعرب عنه الحذر عن إصابته مما يوجب وجوب
الامتثال حتما ألا إن لله ما في السموات والأرض من الموجودات بأسرها خلقا وملكا وتصرفا إيجادا وإعداما
بدءا وإعادة قد يعلم ما أنتم عليه أيها المكلفون من الأحوال والأوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة
والإخلاص والنفاق ويوم يرجعون إليه عطف على ما أنتم عليه أي يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للأمر
إليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره
لما أن العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على أبلغ وجه وآكده وفيه إشعار بأن علمه تعالى بنفس
رجعهم من الظهور بحيث لا يحتاج إلى البيان قطعا ويجوز أن يكون الخطاب أيضا خاصا بالمنافقين على طريقة
الالتفات وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل فينبئهم بما عملوا من الأعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الأمر فيرتب عليه
ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة في قوله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم الآية والله
بكل شيء عليم لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء عن النبي صلى الله تعالى عليه من قرأ سورة
النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي تمت

سورة الفرقان مكية سبع وسبعون آيات

تبارك الذي نزل الفرقان البركة النماء والزيادة حسية كانت أو معنوية وكثرة الخير ودوامه أيضا و
نسبتها إلى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وأفعاله التي من جملتها
تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها
عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فإن ما لا يتصور نسبته إليه سبحانه حقيقة من الصيغ
كالتكبر ونحوه لا تنسب إليه تعالى إلا باعتبار غاياتها وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته
لا سيما على الإنسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة
ح يجوز أن يكون لإفادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولاستقلالها
بالدلالة على غاية الكمال وتحققها بالفعل والإشعار بالتعجب المناسب للإنشاء والإنباء عن نهاية التعظيم لم يجز
استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين أي فصل بينهما
سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل بأحكامه أو بين المحق والمبطل بإعجازه أو لكونه مفصولا بعضه من بعض
في نفسه أي في إنزاله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وإيراده عليه السلام بذلك العنوان لتشريفه والإيذان
بكونه عليه السلام في أقصى مراتب العبودية والتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبدا للمرسل ردا على النصارى
ليكون غاية التنزيل أي نزله عليه ليكون هو عليه السلام أو الفرقان للعالمين من الثقلين نذيرا أي منذرا
أو إنذارا كما بالغة أو ليكون تنزيله إنذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على أحوال الكفرة وتقديم اللام
على عاملها لمراعاة الفواصل وإبراز تنزيل الفرقان في معرض الصلة التي حقها أن تكون معلومة الثبوت للموصول
عند السامع مع إنكار الكفرة له لإجرائه مجرى المسلم تنبيها على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله أحد
كقوله تعالى لا ريب فيه الذي له ملك السموات والأرض أي له خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا
السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف الكلي فيهما وفيما فيهما إيجادا وإعداما
وإحياء وإماتة وأمرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على أنه خبر مبتدأ
محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها أو على أنه نعت للموصول الأول أو بيان له أو بدل منه وما بينهما
ليس بأجنبي لأنه تمام صلة ومعلومية مضمونه للكفرة مما لا ريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظائره أو نصب على المدح ولم يتخذ ولدا
كما يزعم يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية
ونظمه في سلك الصلة للإيذان بأن مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد تقرير ما قبله
ولم يكن له شريك في الملك أي ملك السموات والأرض وهو أيضا عطف على الصلة وإفراده بالذكر مع أن ما ذكر
من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والرد في نحورهم
وتوسيط نفي اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله وأصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للأول وخلق كل شيء
أي أحدث كل موجود من الموجودات إحداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته الإرادة المبنية على الحكم البالغة بأن
خلق كلا من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الآثار والأحكام فقدره أي هيأه لما أراد
به من الخصائص والأفعال اللائقة به تقديرا بديعا لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة الإنسان للفهم والإدراك والنظر
والتدبر في أمور المعاد والمعاش واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة وهكذا أحوال سائر

وصفاته

الانواع وقيل اريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه في نفس الامر فالمعنى اوجد كل شيء فقدره في ذلك الايجاد تقديرا واما ما قيل من انه سمي احداثه تعالى خلقا لانه تعالى لا يحدث شيئا الا على وجه التقدير من غير تفاوت ففيه ان ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الاحداث لتجريده عن معنى باعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير الثاني هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى واياما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها في سلك الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضي استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالوهية يقتضي انتظام كل ما سواه كائنا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شيء من ذلك قطعا ومن كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا لله سبحانه او شريكا في ملكه **واتخذوا من دونه آلهة** تعدما بين حقيقة الحق في مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى للفرقان العظيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل عقب بحكاية اباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل عليه على الترتيب واظهار بطلانها والاضمار من غير جري ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم اي اتخذوا لانفسهم متجاوزين الله الذي ذكر بعض شؤون العظمة من اختصاص ملك السموات والارض به تعالى وانتفاء الولد والشريك منه وخلق جميع الاشياء وتقديرها ابدع تقدير آلهة **لا يخلقون شيئا** اي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء اصلا **وهم يخلقون** كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون على ان يختلقوا شيئا وهم يختلقون حيث يختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى **ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا** لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون على التصرف في ضر ما يدفعونه عن انفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه اهم في نفسه اول مراتب النفع واقدمها والتنصيص على قوله تعالى **ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا** اي لا يقدرون على التصرف في شيء منها باماتة الاحياء واحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو اهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع ذلك وفيه ايذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين بانتفاء ما نفي عن آلهتهم من الامور المذكورة مفتقرون الى التصريح بذلك **وقال الذين كفروا ان هذا الا افك** شروع في حكاية اباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وابطالها والموصول اما عبارة عن غلاتهم في الكفر والطغيان وهم النضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم ورويت عن الكلبي ومقاتل ان القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمتابعة الباقين له واما عن كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والايذان بان ما تفوهوا به كفر عظيم وكلمة هذا للتحقير والمشار اليه القرآن اي ما هذا الا كذب مصروف عن وجهه **افتراه** يريدون انه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم **واعانه عليه** اي على اختلاقه **قوم آخرون** يعنون اليهود بان يلقوا اليه اخبار الامم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل جبر ويسار وكانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وقيل عداس وقد مر تفصيله في سورة النحل **فقد جاؤا ظلما** منصوب بجاؤا فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته او بنزع الخافض اي بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم اي جاؤا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرازه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس والجن على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والاحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا تناله عقول البشر ولا يفي بفهمه سوى القوى والقدر **وزورا** اي كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا اليه عليه السلام ما هو بريء منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انهما امران متغايران حقيقة يقع احدهما عقيب الآخر او يحصل بسببه بل على ان الثاني هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى فان ما جاؤه من الظلم والزور هو عين ما حكي عنهم لكنه لما كان مغايرا له في المفهوم واظهر منه بطلانا رتب الاول عليه ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره **وقالوا اساطير الاولين** بعدما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بينوا على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة والاساطير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهي ما سطره المتقدمون من الخرافات **اكتتبها** اي كتبها لنفسه على الاسناد المجازي او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير المتصل فاستتر فيه **فهي تملى عليه** اي تلقى عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب لكونه اميا لا يقدر على ان يتلقاها منه بالقراءة او تملى على الكاتب على ان معنى اكتتبها امر بكتابتها او استكتابها ورجع الضمير المجرور اليه لما ان الاسناد للكتابة في ضمن الامر بها اسناد اليه عليه السلام **بكرة واصيلا** اي دائما او خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم انظر الى هذه الرتبة من الجرأة العظيمة قاتلهم الله انى يؤفكون **قل** لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق **انزله الذي يعلم السر في السموات والارض** وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للايذان بانطوائه على اسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي من جملة معلوماته تعالى اي ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة واساطير الاولين بل هو امر سماوي انزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الاشياء واودع فيه فنون الحكم والاسرار على وجه بديع لا يحوم حوله الاوهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم بذلك ان يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى **انه كان غفورا رحيما** تعليل لما هو المشاهد من تاخير العقوبة اي انه تعالى ازلا وابدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعتين للتاخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه مع كمال استيجابه اياها وغاية قدرته تعالى عليها **وقالوا ما لهذا الرسول** شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء وخبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشانه عليه السلام وتسميته رسولا بطريق الاستهزاء به عليه السلام كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم وقوله تعالى **ياكل الطعام** حال من الرسول والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار اي اي شيء واي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه ياكل الطعام كما ناكل **ويمشي في الاسواق** لابتغاء الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما ان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر واستبعد لانتفاء سببه بل لوجود سبب نقيضه كذلك كل من الاكل والمشي امر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا ان استبعاد المسبب وانكار السبب في الاول بطريق التحقيق وفي الاكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون انه ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل هو الا لحماقة عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد **لولا انزل اليه ملك** اي على صورته وهيئته **فيكون معه نذيرا** تنزلوا عن اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه ويكون ردءا له في الانذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى **او يلقى اليه كنز** تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج الى طلب المعاش ويكون

دليلاً على صدقه وقوله تعالى أو تكون له جنة يأكل منها تنزل من ذلك إلى اقتراح ما هو أيسر منه وأقرب من الوقوع
وقرئ نأكل بنون الحكاية وفيه تجريد مكابرة وفرط تحكم وقال الظالمون هم القائلون الأولون وإنما وضع المظهر موضع
ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه إضلالاً خارجاً عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته صلى الله
عليه وسلم إلى المسحورية أي قالوا للمؤمنين إن تتبعون أي ما تتبعون إلا رجلاً مسحوراً قد سحر فغلب على عقله
وقيل ذا سحر وهي الرئة أي بشراً لا ملكاً على أن الوصف لزيادة التقرير والأول هو الأنسب بحالهم انظر كيف
ضربوا لك الأمثال استعظام للأباطيل التي اجترؤوا على التفوه بها وتعجيب منها أي انظر كيف قالوا في حقك
تلك الأقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الأمثال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال
الشاذة البعيدة من الوقوع فضلوا أي عن طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشيء يمكن صدوره عمن له أدنى
عقل وتمييز فبقوا متحيرين فلا يستطيعون سبيلاً إلى القدح في نبوتك بأن يجدوا قولاً يستقرون عليه وإن
كان باطلاً في نفسه أو فضلوا عن الحق ضلالاً مبيناً فلا يجدون طريقاً موصلاً إليه فإن من اعتاد استعمال أمثال
هذه الأباطيل لا يكاد يهتدي إلى استعمال المقدمات الحقة تبارك الذي أي تكاثر وتزايد خير الذي إن شاء
جعل لك في الدنيا عاجلاً شيئاً خيراً لك من ذلك الذي اقترحوه من أن يكون لك جنة تأكل منها بأن يعجل لك مثل
ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى جنات تجري من تحتها الأنهار بدل من خيراً ومحقق لخيريته مما قالوا لأن ذلك كان
مطلقاً عن قيد التعدد وجريان الأنهار ويجعل لك قصوراً عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع
عطفاً على نفسه لأن الشرط إذا كان ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع كما في قول القائل وإن أتاه خليل يوم مسألة
يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز أن يكون استئنافاً بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على أنه جواب
بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للإيذان بأن عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح مع عدم التعرض لجواب
الاقتراحين الأولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما
للحكمة التشريعية وإنما الذي له وجه في الجملة هو الاقتراح الأخير فإنه غير مناف للحكمة بالكلية فإن بعض الأنبياء
عليهم السلام قد أوتي في الدنيا مع النبوة ملكاً عظيماً بل كذبوا بالساعة إضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة
وانتقال منه إلى توبيخهم بحكاية جنايتهم الأخرى للتخلص إلى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله
تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً إلخ أي أعتدنا لهم ناراً عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت
بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم أو لكل من كذب بها كائناً من كان وهم داخلون
في زمرتهم دخولاً أولياً ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ومدار إعداد السعير لهم وإن لم يكن مجرد
تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاءت به الشريعة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير أشير إلى سببية
تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على قالوا ما لهذا الرسول على معنى بل أتوا بأعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة
وأنكروها والحال أنا قد أعتدنا لكل من كذب بها سعيراً فإن جراءتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما أعد لمن كذب
بها من أنواع العذاب أعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المنبئ عن الوعد بالجنات
في الآخرة مسوق لبيان أن ذلك لا يجدي نفعاً ولا يعود بطائل على طريقة قول من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار
ماذا تحيون من نؤي وأحجار والمعنى أنهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل
ما وعدك في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت أنظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا أن الكرامة ليست إلا بالمال
وجعلوا فقرك ذريعة إلى تكذيبك وقوله تعالى إذا رأتهم إلخ صفة للسعير أي إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد
كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما أي لا تتقاربان بحيث تكون إحداهما بمرأى من الأخرى على المجاز كأن بعضها
يرى البعض ونسبة الرؤية إليها لا إليهم للإيذان بأن التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها إياهم
حقيقة أو تمثيلاً وفي قوله تعالى من مكان بعيد إشعار بأن بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج

ودمنة عدم التراخي في اللبث [illegible] الى الناب
[illegible] كما قال [illegible]
بحسب غاية الكمال لانها [illegible] كانت في غاية
لا وبأ عن [illegible] اذا لم يكن [illegible]
والقناع لها اذا لم يكن سلمه الله تعالى
البعد منه

عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لأمرها قال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة
مائة سنة سمعوا لها تغيظاً وزفيراً أي صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت
يسمع من جوفه هذا وإن الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتتغيظ
وتزفر وقيل إن ذلك لزبانيتها فنسب إليها على حذف المضاف وإذا ألقوا منها مكاناً نصب على الظرفية ومنها
حال منه لأنه في الأصل صفة له ضيقاً صفة لمكاناً مفيدة لزيادة شدة فإن الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة
وهو السر في وصف الجنة بأن عرضها السموات والأرض وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم تضيق جهنم
عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده إنهم يستكرهون في النار
كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الأسفلون يرفعهم اللهب والأعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ
ضيقاً بسكون الياء مقرنين حال من مفعول ألقوا منها مكاناً ضيقاً حال كونهم مقرنين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم
بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطان وفي أرجلهم الأصفاد دعوا هنالك أي في ذلك
المكان الهائل والحالة الفظيعة ثبوراً أي يتمنون هلاكاً وينادونه يا ثبوراه تعال فهذا حينك وأوانك لا تدعوا
اليوم ثبوراً واحداً على تقدير قول إما منصوب على أنه حال من فاعل دعوا أي دعوه مقولاً لهم ذلك حقيقة بأن يخاطبهم
الملائكة به لتنبيههم على خلود عذابهم وأنهم لا يجابون إلى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي
تمثيلاً وتصويراً لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير أن يكون هناك قول ولا خطاب أي دعوه حال كونهم
أحقاء بأن يقال لهم ذلك وإما مستأنف وقع جواباً عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا يكون عند
دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك إقناطاً عما علقوا به أطماعهم من الهلاك وتنبيهاً على أن عذابهم الملجئ
لهم إلى استدعاء الهلاك بالمرة أبدي لا خلاص لهم منه أي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد وادعوا ثبوراً كثيراً
أي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فإن ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما تعلق
به دعاء من تلك الأدعية الكثيرة صار كأنه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحداً
وادعوه أدعية كثيرة فإن ما أنتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء في كل آن وهذا
أدل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب بتعدد أنواعه وألوانه
أو لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى وأما ما قيل من أن المعنى أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحداً إنما هو
ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم
بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم إنما يدعون هلاكاً ينهي عذابهم وينجيهم منه فلا بد أن يكون
الجواب إقناطاً لهم عن ذلك ببيان استحالته ودوامه وإما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد وتقييد النهي والأمر باليوم
لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام المعهودة قل تقريعاً لهم وتهكماً بهم وتحسيراً على ما فاتهم
أذلك إشارة إلى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الأحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للإشعار
بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة أي قل لهم أذلك الذي ذكر من السعير التي أعدت لمن كذب بالساعة
وشأنها كيت وكيت وشأن أهلها ذيت وذيت خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون أي وعدها المتقون وإضافة
الجنة إلى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية
أو الثالثة منها فقط كانت تلك الجنة لهم في علم الله تعالى أو في اللوح أو لأن ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة فحكي
تحققه ووقوعه جزاء على أعمالهم الحسنة من الوعد الكريم ومصيراً ينقلبون إليه لهم فيها ما يشاؤون أي ما
يشاؤونه من فنون الملاذ والمشتهيات وأنواع النعم كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولعل كل فريق منهم يقنع بما
أتيح له من درجات النعيم ولا يمتد أعناق هممهم إلى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوي مراتب
أهل الجنان خالدين حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ وقيل من فاعل يشاؤون كان أي

يشائه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون على ربك وعدا مسئولا اي موعودا حقيقا بان يسال
ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون او مسئولا يسأله الناس في دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى
ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز وفي التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار بانه عليه السلام هو الفائز بآثارها ما لا يخفى ويوم
يحشرهم نصب على انه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل اذلك الخ اي واذكر لهم بعد التقريع والتحسير
يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه
غير مرة او على انه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان بقصور العبارة عن بيانه
اي يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة
الى التكلم وبكسر الشين ايضا وما يعبدون من دون الله اريد به ما يعم العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة
للكل كما ينبئ عنه انك اذا رأيت شبحا من بعيد تقول ما هو ولانه اريد به الوصف لا الذات كانه قيل ومعبوديهم او
لتغليب الاصنام على غيرها تنبيها على انهم مثلها في السقوط عن رتبة المعبودية او اعتبارا لغلبة عبدتها او اريد به الملائكة
والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تكلم بلسان الحال كما قيل في شهادة الايدي والارجل فيقول
اي الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ بنحشر بالياء مع القول
بالنون على طريقة الالتفات الى الغيبة أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء بان دعوتموهم الى عبادتكم كما في قوله تعالى أأنت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ام هم ضلوا السبيل اي عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح
واعراضهم عن المرشد فحذف الجار واوصل الفعل الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والاصل الى السبيل او
للسبيل وتقديم الضميرين على الفعلين لما ان المقصود بالسؤال هو المتصدي للفعل لا نفسه قالوا استئناف مبني
على سؤال نشأ من حكاية السؤال كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة
معصومون او جمادات لا قدرة لها على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتأتى منهم
اضلال عباده او تنزيها له تعالى عن الانداد ما كان ينبغي لنا اي ما صح وما استقام لنا ان نتخذ من دونك
متجاوزين اياك من اولياء نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فانى يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا غيرك فضلا
ان يتخذنا وليا او ان نتخذ من دونك اولياء اي اتباعا فان الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على
الاعلى والاسفل ومنه اولياء الشيطان اي اتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي الى المفعولين كما في قوله تعالى واتخذ
الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء على ان من للتبعيض اي ان نتخذ بعض اولياء وهي على الاول مزيدة لتاكيد
ولعل اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام ولكن متعتهم وآباءهم استدراك مسوق لبيان انهم
هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعي عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا اسباب الهداية اسبابا للضلالة
اي ما اضللناهم ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا
فيها حتى نسوا الذكر اي غفلوا عن ذكرك وعن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك فجعلوا اسباب الهداية
بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية وكانوا اي في قضائك المبني على علمك الازلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال
باختيارهم من الاعمال السيئة قوما بورا هالكين على ان بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد
والجمع او جمع بائر كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى فقد كذبوكم حكاية
لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في
تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب اي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون ايها الكفرة
بما تقولون اي في قولكم انهم آلهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا ويأباه ان تكذيبهم في هذا القول لا تعلق له بما بعده

من عدم استطاعتهم للصرف والنصر اصلا وانما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم انهم آلهتهم وناصروهم واياما كان فالبا
بمعنى في او هي صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء اي كذبوكم بقولهم
سبحانك الآية فما تستطيعون اي ما تملكون صرفا اي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير
اي لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف في اموره اي يحتال فيها وقيل توبة ولا نصرا
اي فردا من افراد النصر لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب
لكن لا على معنى انه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم يدفعون عنهم العذاب
وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة اي فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب
او يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه ومن يظلم منكم ايها المكلفون
كدأبهم الآن حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا في اللجاج كل حد
معتاد نذقه في الآخرة عذابا كبيرا لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على ان الضمير لله سبحانه وقيل
لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في اذاقة العذاب الكبير فان الشرط
في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق جواب عن قولهم ما لهذا الرسول يأكل
الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت هي
مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين
وقيل هي حال والتقدير الا وانهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا
بعضكم تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم
بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم وبما في قوله تعالى لبعض رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول
فتنة اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد البعض الاول فتنة لكل فرد من افراد
البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا مبهما من الاولين فتنة لبعض مبهم من الآخرين ضرورة ان مجموع الرسل من حيث
هو مجموع غير مفتون بمجموع الامم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض مبهم من الآخرين ببعض مبهم من الاولين
بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كانه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم
الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا وانما تعميم الخطاب لجميع
المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض آخر فيأباه قوله
تعالى اتصبرون فانه غاية الجعل المذكور ومن البين ان ليس ابتلاء كل احد من آحاد الناس منوطا بالصبر بل بما
يناسب حاله على ان الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما دل له مما يدل على ان اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره
عنهم هو الصبر لا غير فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسليته عليه السلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا
على ابتلاء المرسلين بامهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم واقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف لنعلم صبركم
وقوله تعالى وكان ربك بصيرا وعد كريم للرسول عليه السلام بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه السلام
بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم وقال الذين لا يرجون لقاءنا شروع في حكاية بعض آخر
من اقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا ما لهذا
الرسول الخ ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ان ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر
عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته من غير ان يمنع مانع من ادراكه بوجه من الوجوه
والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر او لقاء حسابه تعالى كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق
حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم املهم حسن اللقاء وعدم

خوفهم سوء اللقاء لان عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب رأسا اي قال
الذين لا يتوقعون الرجوع الينا او حسابنا المؤدي الى سوء العذاب الذي يستوجبه مقالتهم لولا انزل علينا الملائكة
اي هلا انزلوا علينا ليخبرونا بصدق محمد عليه السلام وقيل هلا انزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب لقولهم او نرى
ربنا من حيث ان كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تع لقد استكبروا
في انفسهم اي في شانها حتى اجترؤا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء وعتوا اي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان
عتوا كبيرا بالغا اقصى غاياته حيث املوا نيل رتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا
يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها الهام الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى
منتهم انفسهم الخبيثة اماني لا تكاد ترنو اليها احداق الامم ولا يمتد اليها اعناق الهمم ولا نالها الا اولو العزم
الماضية من الانبياء عليهم الصلوة والسلام واللام جواب قسم محذوف اي والله لقد استكبروا الآية وفيه من
الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى يوم يرون الملائكة
استيناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان
كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم ينزل الملائكة ايذانا من
اول الامر بان رؤيتهم لهم ليست على طريقة الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية
بما يدل عليه قوله تعالى لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفي الجنس للمبالغة
في نفي البشرى وما قيل من انه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها
مشعران بان هناك بشرى يمنعونها او يفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن اثبات ضدها
كما ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت النذرى لهم على ابلغ
وجه واكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على ان لا غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم
عليه اي اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتاكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف
للاهتمام لا لقصر نفي البشرى على ذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع موضع الضمير
تسجيلا عليهم بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في اخراجهم عن الحكم
الى ان نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت آخر بمعزل من التحقيق
بعيد ويقولون عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبئ عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان
انهم يقولون عند مشاهدتهم لهم حجرا محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور وهجوم نازلة هائلة يضعونها
موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره
حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى انهم يطلبون
نزول الملائكة عليهم السلام ويقترحونه وهم اذا راوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا
يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول باس فظيع ومحجورا صفة لحجرا واردة للتاكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل اليل وقيل
يقولها الملائكة ايناطا للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم
وليس بواضح وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم
واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها
بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم
فافنى عليها بالافساد والتخريق ومزقها كل ممزق بحيث لم يدع لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها
بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم ولا شيء يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع
من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به اعمالهم الحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه

في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين اصحاب
الجنة هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الآية يومئذ اي يوم اذ يكون ما
ذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل اعمالهم هباء منثورا خير مستقرا المستقر المكان الذي يستقر فيه
في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا المقيل المكان الذي يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع
بمغازلتهن سمي بذلك لما ان التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل
اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى انه مزين
بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر
والمقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او الى ما لهم في الآخرة بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تعالى قل اذلك خير
الآية هذا وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة
ويوم تشقق السماء اي تتفتح واصله تتشقق فحذف احدى التاءين كما في تلظى وقرئ بادغام التاء في الشين بالغمام
بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل ونزل الملائكة تنزيلا اي تنزيلا عجيبا غير معهود
قيل تنشق سماء سماء وينزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرئ ونزلت الملائكة ونزل
وننزل على صيغة المتكلم من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة وتنزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون
الذي هو فاء الفعل من ننزل الملك يومئذ الحق للرحمن اي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت
صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ
ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ وفائدة التقييد ان ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون
لغيره ايضا تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين او بمحذوف
هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر وايا ما كان فالجملة بمعناها
عاملة في الظرف اي ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب باذكر فالجملة حينئذ استيناف مسوق لبيان
احواله واهواله وايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة
لعدم استحقاقهم الرحمة كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن
وكان ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله المبالغ في الرحمة لعباده يوما على الكافرين عسيرا شديدا لهم وتقديم
الجار والمجرور لمراعاة الفواصل واما المؤمنون فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيمة
على المؤمنين حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ويوم
يعض الظالم على يديه عض اليدين والانامل واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات من الغيظ والحسرة
لانها من روادفها والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم
فدعاه يوما الى ضيافة فابى عليه السلام ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه
فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان لا ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا
ارضى منك الا ان تاتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام
لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن
ثابت الانصاري وطعن عليه السلام ابيا يوم احد في المبارزة فرجع الى مكة فمات واما جنس الظالم وهو داخل فيه
دخولا اوليا وقوله تعالى يقول الخ حال من فاعل يعض وقوله تعالى يا ليتني الخ محكي به ويا اما لمجرد التنبيه من غير
قصد الى تعيين المنبه والمنادي محذوف اي يا هؤلاء ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا اي طريقا واحدا منجيا
من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة او حصلت في صحبته طريقا ولم اكن ضالا لا طريق لي قط

لا مقتصر لانه معلوم على تقدير انتخابه ايضا
منه سلمه

يا ويلتى بقلب ياء المتكلم ألفا كما في صحارى ومدارى وقرئ على الأصل أي هلكتي تعالي واحضري فهذا أوانك
ليتني لم أتخذ فلانا خليلا يريد من أضله في الدنيا فإن فلانا كناية عن الأعلام كما أن الهن كناية عن الأجناس
وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم إناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن
يعقل من الإناث والفلان والفلانة عن غير العاقل ويختص فل بالنداء إلا في ضرورة كما في قوله في لجة أمسك
فلانا عن فل وقوله اتخذ الخ ثاني عن فل وفلانة وليس فل مرخما من فلان خلافا للفراء واختلفوا في لام فل وفلان
فقيل واو وقيل ياء هذا فإن أريد بالظالم عقبة ففلان كناية عن أبي وإن أريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من
يضله كائنا من كان من شياطين الإنس والجن وهذا التمني منه وإن كان مسوقا لإبراز الندم والحسرة لكنه متضمن
لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته إلى الغير وقوله تعالى لقد أضلني عن الذكر تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح
لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه وإظهار ندمه وحسرته أي والله لقد أضلني عن ذكر الله
تعالى أو عن القرآن أو عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو كلمة الشهادة بعد إذ جاءني وتمكنت منه وقوله تعالى
وكان الشيطان للإنسان خذولا أي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله إما من جهته تعالى أو من تمام كلام الظالم على أنه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالإضلال
الذي هو أخص الأوصاف الشيطانية أو على أنه أراد بالشيطان إبليس لأنه الذي حمله على مخالة المضلين ومخالفة
الرسول الهادي عليه السلام بوسوسته وإغوائه فإن وصفه بالخذلان يشعر بأنه كان يعده في الدنيا ويمنيه بأنه ينفعه
في الآخرة وهو أوفق لحال إبليس وقال الرسول عطف على قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض
مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الأهوال والخطب وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة
لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما يحكى عنهم قدحا في رسالته عليه السلام أي قالوا كيت وكيت وقال الرسول إثر ما
شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث إلى ربه عز وجل يا رب إن قومي يعني الذين حكي عنهم ما حكي
من الشنائع اتخذوا هذا القرآن الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة من فنون العقاب
كما ينبئ عنه كلمة الإشارة مهجورا أي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا إليه رأسا ولم يتأثروا بوعيده وفيه
تلويح بأن من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فإنه روي عنه
صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب
العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر إذا هذى أي جعلوه مهجورا فيه إما على زعمهم الباطل
وإما بأن هجروا فيه إذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وقد جوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر
كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فإن الأنبياء إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم
عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الأنبياء عليهم السلام أي كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون ما يقولون من الأباطيل
جعلنا لكل نبي من الأنبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة إليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى وكفى بربك
هاديا ونصيرا وعد كريم له عليه السلام بالهداية إلى كافة مطالبه والنصر على أعدائه أي كفاك مالك أمرك ومبلغك إلى الكمال
هاديا لك إلى ما يوصلك إلى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب أجله وإجراء أحكامه في أكناف الدنيا إلى يوم القيامة
ونصيرا لك على جميع من يعاديك وقال الذين كفروا حكاية لاقتراحهم الخاص بالقرآن الكريم بعد حكاية اقتراحهم
في حقه عليه السلام والقائلون هم القائلون أولا وإيرادهم بعنوان الكفر لذمهم به والإشعار بعلة الحكم لولا نزل عليه القرآن
التنزيل هاهنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز أن يراد
به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه أي هلا أنزل كله جملة واحدة كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما
لا يكاد يخفى على أحد فإن الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى إعجازها وأما القرآن

أكمل أي باق على الحدثان

الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على الدهور المتحقق في كل جزء من أجزائه المقدرة
بمقدار أقصر السور حسبما وقع به التحدي ولا ريب في أن ما يدور عليه فلك الإعجاز هو المطابقة لما يقتضيه الأحوال
ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على أن فيه فوائد جمة قد أشير إلى بعض منها بقوله تعالى كذلك
لنثبت به فؤادك فإنه استئناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي
ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده وذلك إشارة إلى ما يفهم من كلامهم أي مثل ذلك التنزيل
المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه فرقناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك فإن فيه
تيسيرا لحفظ النظم وفهم المعاني وضبط الأحكام والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة
على أنها منوطة بأسبابها الداعية إلى شرعها ابتداء أو تبديلا بالنسخ من أحوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد في القرآن
المجيد من الأخبار وغيرها متعلقة بأمور حادثة من الأقاويل والأفاعيل ومن قضية تجددها تجدد ما يتعلق بها
كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية إلى حكايتها وإبطالها وبيان ما يؤول إليه حالهم في الآخرة على أنهم في هذا
الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث أمروا بالإتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت
عليهم الأرض بما رحبت فكيف لو تحدوا بالكل وقوله تعالى ورتلناه ترتيلا عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا
للتفخيم أي كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعي والحسن
وقتادة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال
مجاهد جعلنا بعضه في إثر بعض وقيل هو الأمر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل قرأناه عليك بلسان
جبريل شيئا فشيئا في عشرين أو في ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل ولا يأتونك بمثل من الأمثال التي من جملتها
ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الأمثال أي لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل
في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن إلا جئناك في مقابلته بالحق أي بالجواب الحق الثابت
الذي ينحي عليه بالإبطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الأجوبة الحقة القالعة لعروق أسئلتهم الشنيعة
الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى وأحسن تفسيرا عطف على الحق أي جئناك بأحسن تفسيرا أو على محل بالحق
أي آتيناك الحق وأحسن تفسيرا أي بيانا وتفصيلا على معنى أنه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا أن ما يأتون
به له حسن في الجملة وهذا أحسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية أي لا يأتونك بمثل
في حال من الأحوال إلا حال إتياننا إياك الحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة إلى إبطال ما أتوا به وتثبيت
فؤاده عليه السلام ما لا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الأسئلة وبصحة جميع الأجوبة وبإشارته منبئ عن بطلان
السؤال الأخير وصحة جوابه إذ لولا أن تنزيل القرآن على التدريج لما أمكن إبطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما
حصل تثبيت فؤاده عليه السلام من تلك الحيثية هذا وقد جوز أن يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون
كونه عليه السلام عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الأكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة
على معنى لا يأتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة إلا أعطيناك نحن من الأحوال
الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي
أنت عليه في الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فإن المتبادر منه أن يكون ما أعطاه الله تعالى من الحق
مترتبا على ما أتوا به من الأباطيل دافعا لها ولا ريب في أن ما آتاه الله تعالى من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد
آتاه من أول الأمر لا بمقابلة ما حكي عنهم من الاقتراحات لأجل دفعها وإبطالها الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم
أي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون إلى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وأرجلهم إلى فوق روي
عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم
ينسلون نسلا وأما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم إليها فبعيد لأن هول ذلك ليس بحيث يبتنى عليه

تعلق بالتسلية او توجها اليه في الجملة ومحل الموصول اما النصب او الرفع على الذم او الرفع على الابتداء وقوله اولئك بدل منه او بيان له وقوله شر مكانا واضل سبيلا خبر له او اسم الاشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه عم وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تع اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ولقد آتينا موسى الكتاب جملة مستأنفة سيقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم السلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف اي وبالله لقد آتينا موسى التورية اي انزلناها عليه بالآخرة وجعلنا معه الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى اخاه مفعول اول له وقوله تعالى هرون بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تع وزيرا مفعول ثان له وقد مر ثمة معنى الوزير اي جعلناه في اول الامر وزيرا له فقلنا لهما حينئذ اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا هم فرعون وقومه والآيات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدي موسى عم ولم يوصف القوم لهما عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن اظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الامر به بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير اي فذهبا اليهم فارياهم آياتنا كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا فدمرناهم اثر ذلك التكذيب المستمر تدميرا عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض في مطلع القصة لايتاء الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات للايذان من اول الامر ببلوغه عم غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما في التورية من الاحكام اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم وقرئ فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى اي ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله ترتبه عليه لا بتمامه وقد بين سببه بقوله تعالى لما كذبوا الرسل اي نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم وانما يستقيم ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان واما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لانه حينئذ جواب لما وجواب لما لا يفسر ما قبله مع انه مخل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما ان اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى اغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم وجعلناهم اي جعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية اي آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهو مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له او متعلق بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها واعتدنا للظالمين اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب عذابا اليما هو عذاب الآخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعتاد العذاب الذي قد اخبر بوقوعه من قبل او لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولا اوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي وعادا عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل للظالمين اذ هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد وثمودا الكلام فيه وفي نحوه كما فيما قبله وقرئ وثمود على تأويل الحي وعلى انه اسم الاب الاقصى واصحاب الرس هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله تع اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب

حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عم فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عم فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه اي دسوه في بئر وقرونا اي اهل قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اي بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب كثيرا لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شأن تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما ان كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة وكلا منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة اما عن الامم التي لم يذكر اسباب اهلاكهم واما عن الكل فان ما حكي عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسل لا عدم التأثر من الامثال المضروبة اي ذكرنا وانذرنا كل واحد من المذكورين ضربنا له الامثال اي بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل وكلا اي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض تبرنا تتبيرا عجيبا هائلا لما انهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له رأسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة ولقد اتوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها اي وبالله لقد اتى قريش في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت اي اهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت خمس قرى ما نجت منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما البواقي فاهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المرادة بقوله تعالى مطر السوء وانتصابه اما على انه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في انبتها الله نباتا حسنا اي امطار السوء واما على انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيت او اوليت مطر السوء افلم يكونوا يرونها توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه والهمزة لانكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار ما يوجبها من اتيانهم عليها لا لانكار استمرار نفي رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها في الجملة والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام اي الم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها او اكانوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الرؤية معا وفي الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا اما اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا انه اكتفي عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كني عن ذلك بعدم رجاء النشور اي عدم توقعه كانه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق واما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم توقع النشور واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا موضع هزؤ او مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معك على اتخاذهم اياك هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام وقوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اي يستهزئون بك قائلين اهذا الذي الخ والاشارة للاستحقار وبعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته عم مع كونهم في غاية الانكار لبعثه عم بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا ابعث الله

هذا رسولا او اهذا الذي يزعم انه بعثه الله رسولا ان كاد ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اي انه كاد ليضلنا
عن آلهتنا اي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول الى الاضلال لغاية
ضلالهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في امثال
هذا الكلام يجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها وهذا اعتراف
منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات
الى حيث شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم يروى انه من قول ابي جهل وسوف يعلمون
جواب من جهته تعالى لاخر كلامهم ورد لما ينبئ عنه من نسبته عم الى الضلال في ضمن الاضلال اي سوف يعلمون
البتة وان تراخى حين يرون العذاب الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم من اضل سبيلا وفيه ما لا يخفى من الوعيد
والتنبيه على انه تعالى لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبيه على ان ذلك من
الغرابة بحيث يجب ان يرى ويتعجب منه والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به الذي يدور عليه
امر التعجب ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زل عنه ان المفعول الثاني في هذا الباب
هو المتلبس بالحالة الحادثة اي ارايت من جعل هواه الها لنفسه من غير ان يلاحظه وبنى عليه امر دينه معرضا
عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب منه وقوله افانت تكون عليه وكيلا
انكار واستبعاد لكونه عم حفيظا عليه يزجره عما هو عليه من الضلال ويرشده الى الحق طوعا او كرها والفاء لترتيب
الانكار على ما قبله من الحالة الموجبة له كانه قيل ابعد ما شاهدت غلوه في طاعة الهوى وعتوه عن اتباع الهدى
تقسره على الايمان شاء او ابى وقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون اضراب وانتقال
عن الانكار المذكور الى انكار حسبانه عم انهم ممن يسمع او يعقل حسبما ينبئ عنه جده عم في الدعوة واهتمامه بالارشاد
والتذكير لكن لا على انه لا يقع كالاول بل على انه لا ينبغي ان يقع اي بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات
حق السماع او يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن فتعتني بشانهم وتطمع في ايمانهم
وضمير اكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناه كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها وضمير الفعلين للاكثر لا لما اضيف
هو اليه وقوله تعالى ان هم الا كالانعام الجملة مستانفة مسوقة لتقرير النكير وتاكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة اي ما هم
في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات الا كالبهائم التي
هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة بل هم اضل منها سبيلا لانها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها وتعرف من يحسن
اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتاوي الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون
لربهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو اعدى عدوهم ولا يطلبون الثواب
الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهنيء
والمورد العذب الروي ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب الخير لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر
بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها احكام الشرور ولان احكام جهالتها وضلالتها مقصورة
على انفسها لا تتعدى الى احد وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتن والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان
الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة من القوى المودعة فيها بل صارفة لها الى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها في طلب
الكمال واما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك
اعظم العقاب واشد النكال الم تر الى ربك بيان لبعض دلائل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتقرير وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم تشريف له
عم وللايذان بان ما يعقبه من آثار ربوبيته تعالى ورحمته تعالى اي الم تنظر الى بديع صنعه تعالى كيف مد الظل

اي كيف انشاه على اي ظاهر كما من جبل او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا لا انه تعالى مده بعد ان لم يكن كذلك كما
بعد نصف النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بانشائه تعالى واحداثه يأباه سباق النظم الكريم
واما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وانه اطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر
عنها الطبع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود فغير سديد اذ
لا ريب في ان المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل ما
يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه من مواقع
ضح الشمس وما ذكر وان كان في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه المعهودة
ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير رؤيته عم لكيفية مد الظل للتنبيه على ان نظره عليه السلام
غير مقصور على ما يطالعه من الآثار والصنائع بل مطمح انظاره معرفة شؤون الصانع المجيد وقوله تعالى ولو شاء
لجعله ساكنا جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من اول الامر على انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية
وانما المؤثر فيه المشية المحضة والقدرة ومفعول المشية على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها
مضمون الجزاء اي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون
لما ان مقابله الذي تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين المظل وبين الشمس يرى راي العين حركة وانتقالا وحاصله
انه لا يعتريه اختلاف حال بان لا ينسخه الشمس واما التعليل بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمداره الغفول
عما سبق له النظم الكريم ونطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور الحادثة
اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية والتاثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على
وجود المسببات لا لذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس في مقام واحد على انها اعظم من ابقاء الظل
على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهي اولى بالذكر واحق بالايراد في معرض
البيان وقوله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا عطف على مد داخل في حكمه اي جعلناها علامة يستدل بها على احواله
المتغيرة على احوالها من غير ان يكون بينهما سببية وتاثير قطعا حسبما نطقت به الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة
لما ان الجعل المذكور العاري عن التاثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن السببية من مزيد
دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة التراخي وقوله تعالى ثم قبضناه عطف على مد داخل في حكمه
وثم للتراخي الزماني لما ان القبض يكون بعد المد
ويجوز ان يكون للتراخي الرتبي اي ازلناه بعد ما انشاناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيتنا عند ايقاع شعاع الشمس
موقعه من غير ان يكون له تاثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه لما انه قد عبر عن احداثه
بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى الينا للتنصيص على كون مرجعه الى الله تعالى كما ان حدوثه منه عز وجل قبضا
يسيرا اي على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع الشمس لتنتظم بذلك مصالح المخلوقات ويتسهل اسباب معاشهم
وقيل ان الله تعالى خلق الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض لعدم النير وذلك مده
تعالى اياه ثم خلق الشمس وجعلها على الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا
متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا يسيرا غير عسير
او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر
انشاءه بانشائها وقوله تعالى قبضناه على طريقته وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو
الذي جعل لكم الليل لباسا بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وروائع احكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق
وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما يعقبه
من منافعهم وفي تعقيب بيان احوال الظل ببيان احكام الليل الذي هو ظل الارض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه

اي هو الذي جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس والنوم سباتا اي جعل النوم الذي يقع
في الليل سباتا قاطعا عن الافاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة
في انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها وجعل النهار نشورا اي زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه او نفس البعث على طريق المبالغة وفيه اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور
وعن لقمان عم يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرئ بالتوحيد على ارادة الجنس
نشرا تخفيف نشر جمع نشور اي مبشرين وقرئ بشرى وقرئ نشرا بالنون جمع نشور اي ناشرات للسحاب وقرئ
بالتخفيف وفتح النون ايضا على انه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى بين يدي رحمته استعارة بديعة اي قدام المطر
ولا التفات الى نون العظمة في قوله تع وانزلنا من السماء ماء طهورا لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة
ما ذكر من ارسال الرياح اي انزلنا بعظمتنا بما رتبنا من ارسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا في الطهارة وقيل
ما من شأنه ان يكون طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره وهو شرح لبلاغته في الطهارة كما ينبئ عنه قوله تع وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به فان الطهور في العربية اما صفة كما تقول ماء طهورا او اسم كما في قوله عم التراب طهور المؤمن
وقد جاء بمعنى الطهارة كما في قولك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله عم لا صلوة الا بطهور ووصف
الماء به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته
وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم احق بذلك واولى لنحيي به اي بما انزلنا من الماء الطهور
بلدة ميتا بانبات النبات والتذكير لان البلدة بمعنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى
الجامد والمراد به القطعة من الارض عامرة كانت او غامرة ونسقيه اي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الاودية او اجتماعه
في الحياض والمنابع والآبار مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر
الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل القرى والامصار يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما لهم من الانعام
غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق الآيات الكريمة
كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام حيث كانت قنية الانسان وعامة منافعهم ومعايشهم
منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه واسقى وسقى لغتان
وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت نونه ياء وقرئ
اناسي بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كاناعم في اناعيم ولقد صرفناه اي وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشاء
السحاب وانزال القطر من الغايات الجليلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية بينهم اي بين الناس من المتقدمين و
المتأخرين ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق القيام وقيل
الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله في بعض البلاد دون غيرها او في بعض الاوقات دون بعض او جعله تارة وابلا واخرى
طلا وحينا ديمة ومعنى تذكرهم ولا تعطله فابى اكثر الناس ممن سلف وخلف الا كفورا اي لم يفعل الا كفران النعمة
وقلة الاكتراث لها او الا جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار الا
من الانواء وهو كافر بخلاف من يرى ان الكل بخلق الله تعالى والانواء امارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية
نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الامر عليك حسبما نطق به قوله تعالى
ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل فلا تطع الكافرين اي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد
في الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم كانه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة لما انه عم
كان يود ان يدخلوا في الاسلام ويجتهد في ذلك بالنفع عليهم اشد الاجتهاد وجاهدهم به اي بالقرآن بتلاوة
ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير احوال الامم المكذبة جهادا كبيرا فان دعوة كل العالمين على الكل

المذكور جهادا كبيرا لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة وانت خبير بان
مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه شائبة للجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا ان يجعل الباء للملابسة
ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من احكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كانه قيل جاهدهم بالشدة والعنف
لا بالملاءمة والمداراة كما في قوله تع يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله
تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه عم نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير
مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له
عليه السلام وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان سبب
كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فانه بين بنفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية
وهو الذي مرج البحرين اي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا
عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على تخفيف مالح كبرد في بارد
وجعل بينهما برزخا حاجزا غير مرئي من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان
كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجري في خلاله فراسخ
لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثر القدرة
في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية وهو الذي
خلق من الماء بشرا هو الماء الذي خمر به طينة آدم عم او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول
الاشكال والهيئات بسهولة او هو النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم
وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله تع فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا مبالغا في القدرة
حيث قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة
واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله الذي شأنه ما ذكر ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي ما ليس
من شأنه النفع والضر اصلا وهو الاصنام او كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان
الكافر على ربه الذي ذكرت آثار ربوبيته ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس
او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تع
ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين قل لهم ما اسألكم
عليه اي على تبليغ الرسالة الذي ينبئ عنه الارسال من اجر من جهتكم الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
اي الا فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليهما فصور ذلك بصورة
الاجر من حيث انه مقصود الاتيان به واستثنى منه قلعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث
جعل ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه السلام وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل
عليه دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان
مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا
اي مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزيهم جزاء وافيا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم استوى على العرش قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة اخرى للحي وصف بالصفة الفعلية بعد ما وصف
بالابدية التي هي من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده
فان من انشأ هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين في اوقات معينة
مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول احق من يتوكل عليه واولى من يفوض

الامر اليه الرحمن مرفوع على المدح اي هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تاكيد ما ذكر من
وجوب التوكل عليه تعالى وان لم يتبعه في الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما انهما
صورة وحيث لم يتبعا في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف الفعل الناصب
في النصب والرافع ومما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد تم التحقيق
في تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى
فاسأل به اي بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط اذ بعد بيانهما لا يبقى الى السؤال حاجة ولا في تعديته
بالباء فائدة فانها انما تعدى بها لتضمينه معنى الاعتناء المستدعي لكون المسؤول امرا خطيرا مهتما بشأنه غير حاصل للسائل
ظاهر ان نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من ان التقدير ان شككت فيه فاسأل به خبيرا على ان الخطاب له
لهم والمراد ان خبره بمعزل من السداد بل التقدير ان شئت تحقيق ما ذكر او تفصيل ما ذكر فاسأل معتنيا به خبيرا عظيم
الشأن محيطا بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسأل بالرحمن من يجده في الكتب المتقدمة
ليصدقك فيه فلا حاجة الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك
من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبرا وقرئ فسل واذا
قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قالوه لما انهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى او لانهم ظنوا ان المراد به
غيره تعالى ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير ان نعرف ان المسجود له
ماذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بياء الغيبة على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بالسجود للرحمن
نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا هي البروج الاثنا عشر سميت به وهي القصور العالية
لانها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا هي الشمس لقوله تعالى وجعل
الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ قمرا اي ذا قمر وهي جمع قمراء ولعل
ان الليالي بالقمر تكون قمرا اضيف اليها ثم حذف واجري حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما في قول حسان رضه بردى
يصفق بالرحيق السلسل اي ماء بردى ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا
كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس لمن اراد ان يذكر
اي يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر في بدائع صنعه فيعلم انه لا بد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد او اراد
شكورا اي ان يشكر الله تعالى على ما فيهما من النعم او ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر
وقرئ ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وعباد الرحمن كلام مستأنف مسوق لبيان اوصاف خلص عباد الرحمن واحوالهم الدنيوية
والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والاضافة للتشريف وهو مبتدأ خبره ما بعده من الموصول
وما عطف عليه وقيل ما في آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة وقرئ وعباد الرحمن اي عباده المقبولون
الذين يمشون على الارض هونا اي بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه اما على انه حال من فاعل
يمشون او على انه نعت لمصدره اي يمشون مشيا هينا لين الجانب من غير فظاظة او مشيا هينا وقوله تعالى واذا خاطبهم
الجاهلون اي السفهاء كما في قول من قال الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا قالوا سلاما بيان لحالهم
في المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم في انفسهم اي اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسلما منكم ومتاركة لا خير بيننا
ولا شر وقيل سدادا من القول يسلمون به من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها
آية القتال كما نقل عن ابي العالية وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم
اي يكونون ساجدين لربهم وقائمين اي يحيون الليل كلا او بعضا بالصلوة وقيل من قرأ شيئا من القرآن
في صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء

والاول هو الاولى لما فيه من اثبات الاوصاف الكاملة للموصوفين لهم تصلكوا الاشعار بكون من عدا الموصوفين بها خارجين عن رتبة العبودية ومن المبالغة في الحث على الاتصاف بها ما لا يخفى

وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل والذين يقولون اي في اعقاب صلواتهم او في عامة اوقاتهم ربنا اصرف
عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اي شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم
مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم
كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون انها ساءت مستقرا ومقاما تعليل لاستدعائهم
المذكور بسوء حالها في نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز ان يكون تعليلا للاول وحده وليس بذاك وساءت في حكم
بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف فمعناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير
هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها قيل ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال
او تمييز وهو بعيد خال عما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين من جهته تعالى والذين اذا
انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المعاصي
والقتر منع الواجبات والقرب وقرئ بكسر التاء مع فتح الياء وبكسرها مخففة ومشددة مع ضم الياء وكان بين
ذلك اي بين ما ذكر من الاسراف والقتر قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما
وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة او هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز ان يكون
اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين
لا يدعون مع الله الها آخر شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفي الاسراف
والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور ايمانهم لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص
وتهويل امر القتل والزنا بنظمهما في سلكه وللتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه تعالى الها آخر
ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة
في التحريم الا بالحق اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها او لا يقتلونها قتلا ما الا
قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين بالحق ولا يزنون اي الذين لا يفعلون
شيئا من هذه العظائم القبيحة التي جمعهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس
المحرمة التي من جملتها الموؤدة مكبين على الزنا لا يرعوون عنه اصلا ومن يفعل ذلك اي ما ذكر كما هو دأب الكفرة
المذكورين يلق في الآخرة وقرئ يلقى بالتشديد مجزوما اثاما وهو جزاء الاثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى
وقيل هو الاثم اي يلق جزاء الاثم والتنوين على التقليل للتهويل وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب
يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا
جزلا ونارا تأججا وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ نضعف ونضعف له
العذاب بالنون ونصب العذاب ويخلد فيه اي في ذلك العذاب المضاعف مهانا ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني
والروحاني وقرئ يخلد ويخلد مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرئ بالتاء على الالتفات المنبي عن شدة الغضب
ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصي الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا
وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للاعمال السابقة
فاولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الافعال الثلاثة باعتبار لفظه اي اولئك الموصوفون
بالتوبة والايمان والعمل الصالح يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق
طاعاتهم او يبدل بملكة المعصية ودواعيها في النفس ملكة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية وقيل بان يوفقه
لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين
وبالزنا عفة واحصانا وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات ومن تاب
اي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط منه او خرج عن المعاصي ودخل

في الطاعات فانه بما فعل يتوب الى الله اي يرجع اليه تعالى متابا اي متابا عظيم الشأن مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذي يحب التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع اليه تع او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه واذا مروا على طريق الاتفاق باللغو اي ما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم المنطوية على المواعظ والاحكام لم يخروا عليها صما وعميانا اي اكبوا عليها سامعين باذان واعية مجتلين لها بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفي الضد تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا ساعده اهله في طاعة الله عز وجل وشاركوه فيها يبتهج بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم ومن ابتدائية او بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالنظر الى غيرها واجعلنا للمتقين اماما اي اجعلنا بحيث يقتدون بنا في اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تع ثم نخرجكم طفلا او لان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وانت خبير بان مدار الحمل صدور هذا الدعاء اما عن الكل بطريق المعية وانه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الامامة وانه ليس بثابت جزما بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين اماما خلا انه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وابقي اماما على حاله وقيل الامام جمع آم بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له شأن خطير حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم اولئك اشارة الى المتصفين بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يجزون الغرفة والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبينة لما لهم في الآخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم في الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال اي يثابون اعلى منازل الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع كقوله تع وهم في الغرفات آمنون وقيل هي اسم من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها من جهة الملائكة تحية وسلاما اي يحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحيوة والسلامة عن الآفات او يعطون التبقية والتخلية مع السلامة من كل آفة وقيل يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما الكلام فيه كالذي مر في مقابله قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين للناس ان الفائزين بتلك النعماء الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم اصلا اي قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم اي اي عبء يعبأ بكم واي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تع حسبما مر تفصيله فان ما خلق له تع ... فان خلق له الانسان

معرفته تع وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه اي وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة ويجوز ان تكون ما نافية وقوله تع فقد كذبتم بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم اي فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه ايها الكفرة ولم تعملوا عمل اولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين وفائدة الايذان بان مناط نوط الجزاء هو ضرر الاخر مع الاتحاد الجنسي المصحح للاشتراك في الفوز ليس الا اختلافهم في الاعمال فسوف يكون لزاما اي يكون جزاء التكذيب او اثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل امره وللتنبيه على انه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رحمه الله تعالى هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله تعالى وهو موقن بان الساعة آتية وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية مائتان وست وسبعون

طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها في الميم وهو ما مر ودعى على نظام التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة او اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر محله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام او الجر على القسم تلك آيات الكتاب المبين اشارة الى السورة في سورة يونس ... ما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه في الفخامة ... والمراد بالكتاب القرآن ... والمبين الظاهر اعجازه ... لعلك باخع نفسك اي قاتلها ... ألا يكونوا مؤمنين ... ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية ... فظلت اعناقهم لها خاضعين ... وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين ...

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق شنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم اشنع واقبح اي ما يأتيهم من المواعظ القرآنية او من طائفة نازلة من القرآن تذكيرهم اكمل تذكير وتنبيههم عن الغفلة اتم تنبيه كأنها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة محدث تنزيله بحسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا له اعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال ومحله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور اي ما يأتيهم من ذكر في حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه فقد كذبوا اي بالذكر الذي يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى اساطير واخرى شعرا والفاء في قوله تعالى فسيأتيهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسيأتيهم البتة من غير تخلف اصلا انبؤا ما كانوا به يستهزؤن عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بانهم كانوا معارضين للاستهزاء كما اشير اليه حسبما وقع في قوله تعالى وما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انبؤا ما كانوا به يستهزؤن وانباؤه ما يحيق بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك اما لكونها مما انبأ بها القرآن الكريم واما لانهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانباء وفيه تهويل له لان النبأ لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم اي فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزؤن به قبل من غير ان يتدبروا في احواله ويقفوا عليها اولم يروا الهمزة للانكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي افعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا الى الارض اي الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما اعرضوا عنه والى الايمان به وقوله تعالى كم انبتنا فيها من كل زوج كريم استئناف مبين لما في الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج اي صنف بهيج والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده اي كثيرا من كل صنف مرضي كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص النبات بالذكر دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل ان يراد به جميع اصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون ان في ذلك اشارة الى مصدر انبتنا او الى كل واحد من تلك الازواج وايا ما كان ففيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل لآية اي آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر وما كان اكثرهم اي اكثر قومه مؤمنين قيل اي في علم الله تعالى وقضائه حيث علم ازلا انهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم الذي عليه يدور امر التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون في هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى وما اكثرهم مؤمنين وهو الانسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الايمان من جهته تعالى واما نسبة كفرهم الى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منه كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لان ما اشير اليه من التحقيق مما يخفى على بعض العلماء المتقنين كما [illegible] في ذلك باهرة موجبة للايمان وما اكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي والجهالة ونسبة عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من سيؤمن وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور

التي من جملتها الانتقام من هؤلاء الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترؤا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى واذ نادى ربك موسى كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عم اي واذكر لاولئك المكذبين وقت ندائه تعالى اياه عم وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك انهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن لا بقياس حال هؤلاء الجهال باولئك فقط بل بمشاهدة اصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا ان ائت يعني اي ائت على ان ان مفسرة او بان ائت على انها مصدرية حذف عنها الجار القوم الظالمين اي بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح ابنائهم وليس هذا مطلع ما ورد في حيز النداء وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى اني انا ربك الى قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى وايراد ما جرى في قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى واساليب مختلفة قد مر تحقيقه في اوائل سورة الاعراف عند قوله قال انظرني قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له جيء به للايذان بانهم علم في الظلم كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكان الاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة ان نفسه اول داخل في الحكم الا يتقون استئناف جيء به اثر ارساله عم اليهم للانذار تعجيبا من غلوهم في الظلم وافراطهم في العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات المنبئ عن زيادة الغضب كان ذكر ظلمهم ادى الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا حينئذ غيبا لكنهم قد اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرئ بكسر النون اكتفاء عن ياء المتكلم وقد جوزوا ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون نحو الا يا اسجدوا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ما مضى كأنه قيل فماذا قال موسى عم فقيل قال متضرعا الى الله عز وجل رب اني اخاف ان يكذبون من اول الامر ويضيق صدري ولا ينطلق لساني معطوفان على اخاف فارسل اي جبريل عم الى هرون ليكون معي وليعاضدني في تبليغ الرسالة رتب عم استدعاء ذلك على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه من حبسة اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقي الامر في شيء وانما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذره فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب والمراد قتل القبطي وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وهذا اشارة الى القصة المبسوطة في غير هذا الموضع فاخاف ان يقتلون اي بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى قال كلا فاذهبا بآياتنا حكاية لاجابته تعالى الى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت ومن استدعيته وفي قوله تعالى بآياتنا رمز الى انها تدفع ما يخافه وقوله تعالى انا معكم مستمعون تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى وحيث كان [illegible]

سامعون ما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثّل حاله تعالى بحال ذوي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري
بينهم ليمدّ أولياءه ويظهرهم على أعدائهم مبالغة في الوعد بالإعانة أو استعير الاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء للسمع
الذي هو العلم بالحروف والأصوات وهو خبر ثان أو خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى فأتيا فرعون
فقولا إنا رسول رب العالمين لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تأكيد للأمر
بالذهاب لأن معناه الوصول إلى المأتي لا مجرد التوجه إليه كالذهاب وإفراد الرسول إما لاعتبار رسالة
كل منهما أو لاتحاد مطلبهما أو لأنه مصدر وصف به وأن في قوله تعالى أن أرسل معنا بني إسرائيل مفسرة لتضمن
الإرسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى إرسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهما إلى الشام قال أي فرعون
لموسى عم بعدما أتياه وقالا له ما أمرا به يروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب
إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك فأديا إليه الرسالة فعرف موسى عم
فقال عند ذلك ألم نربك فينا في حجرنا ومنازلنا وليدا أي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة ولبثت
فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين وأقام بها عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله عز وجل
ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على أثر ذلك والله أعلم
وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي بعدما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال
وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه وقرئ فِعلتك بكسر الفاء لأنها كانت نوعا من القتل وأنت
من الكافرين أي بنعمتي حيث عمدت إلى قتل رجل من خواصي أو أنت حينئذ ممن تكفرهم الآن وقد افترى عليه أو
جهل أمره عم حيث كان يعايشهم بالتقية وإلا فأين هو عم من مشاركتهم في الدين فالجملة حينئذ حال من إحدى
التاءين ويجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بالهيئة أو ممن يكفرون في دينهم حيث كانت لهم
آلهة يعبدونهم أو من الكافرين بالنعم المعتادين بغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه قال
مجيبا له مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسبه إليه من الكفر فعلتها إذا وأنا من الضالين أي من الجاهلين
وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعمت افتراء أي من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء أو من المخطئين لأنه لم يتعمد
قتله بل أراد تأديبه أو الذاهلين عما يؤدي إليه الوكز أو الناسين كقوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما
الأخرى ففررت منكم لما خفتكم أن تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا أستحقه بجنايتي من العقاب
فوهب لي ربي حكما أي حكمة أو نبوة وجعلني من المرسلين ردا أولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم
كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على أنه كان في الحقيقة
نقمة فقال وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل أي تلك التربية نعمة تمن بها علي ظاهرا وهي في الحقيقة
تعبيدك بني إسرائيل وقصدك إياهم بذبح أبنائهم فإنه السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك وقيل
إنه مقدر بهمزة الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي أن عبدت بني إسرائيل ومحل أن عبدت الرفع على أنه
خبر مبتدأ محذوف أو بدل من نعمة أو الجر بإضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة
وأن عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لأن المنة
منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون لما سمع منه عم تلك المقالة المتينة وشاهد تصلبه
في أمره وعدم تأثره بما قدمه من الإبراق والإرعاد شرع في الاعتراض على دعواه عم فبدأ بالاستفسار عن المرسل
فقال وما رب العالمين حكاية لما وقع في عبارته عم أي أي شيء رب العالمين الذي تدعي أنك رسوله منكرا
لأن يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من إله غيري ونظيره
وعبده عند عامة أجوبته عم قال موسى عليه السلام مجيبا له رب السموات والأرض وما بينهما تعيين ما أراد
بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تغرير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ما تحت مملكته

إن كنتم موقنين أي إن كنتم موقنين بالأشياء محققين لها علمتم ذلك أو إن كنتم موقنين بشيء من الأشياء فهذا أولى بالإيقان
لظهوره وإنارة دليله قال أي فرعون عند سماع جوابه عم خوفا من تأثيره في قلوب قومه وإذعانهم له لمن حوله من أشراف
قومه قال ابن عباس رض كانوا خمسمائة عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة ألا تستمعون مرائيا لهم أن ما سمعوه
من جوابه عم مع كونه مما لا يليق بأن يعتد به أمر حقيق بأن يتعجب منه كأنه قال ألا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا
منه حيث يدعي خلاف أمر محقق لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه قال عم تصريحا بما كان مندرجا تحت جوابه
السابق ربكم ورب آبائكم الأولين وحطا له من ادعاء الربوبية إلى مرتبة المربوبية قال أي فرعون لما رأى
موسى عم بما ذكر غاظه ذلك وخاف من تأثر قومه منه فأراهم أن ما قاله عم مما لا يصدر عن العقلاء صدا
لهم عن قبوله فقال مؤكدا لمقالته الشنعاء بحرفي التأكيد إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ليغيظهم
بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء وأضافه إلى مخاطبيه ترفعا من أن يكون مرسلا
إلى نفسه قال عم رب المشرق والمغرب وما بينهما قاله عم تكميلا لجوابه الأول وتفسيرا له وتنبيها على
جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فإن بيان ربوبيته تعالى للسموات والأرض وما بينهما وإن كان متضمنا لبيان
ربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وما فيها وتغيرات أحوالها
وأوضاعها وكون الأرض تارة مظلمة وأخرى منورة إلى الله تعالى أرشدهم إلى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر
فإن ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات وما فيها على نمط بديع يترتب
عليه هذه الأوضاع الرصينة وكل ذلك أمور حادثة مفتقرة إلى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السموات والأرض
التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين باستمرارها استغناءها عن الموجد المتصرف إن كنتم تعقلون أي إن كنتم تعقلون
شيئا من الأشياء أو إن كنتم من أهل العقل علمتم أن الأمر كما قلته وفيه إيذان بغاية وضوح الأمر بحيث لا يشتبه
على من له عقل في الجملة وتلويح بأنهم بمعزل من دائرة العقل وأنهم المتصفون بما رموه عم به من الجنون قال لما سمع
اللعين منه عم تلك المقالات المبنية على أساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية أمره وأنه ممن لا يجارى
في حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقاولة بالإنصاف ونأى بجانبه إلى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان
[illegible] لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
قال أولو جئتك بشيء مبين [illegible]
ولو جئتك بشيء مبين أي موضح لصدق دعواي يريد به المعجزة فإنها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته
وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده [illegible]
[illegible]

[illegible]

فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من احواله المفروضة فتعلق الحكم بابعدها منه ليظهر تحققه مع ما عداه من الاحوال التي لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الاولوية المصححة للاكتفاء وتذكر العاطف عن تفصيلها كما لو قلت فلان جواد يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اي يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على ان الواو للحال وتصدير المجئ بما ذكر من كلمة لو دون ان ليس لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى اتفعل بي ذلك حال عدم مجيئي بشئ مبين وحال مجيئي به قال فأت به ان كنت من الصادقين اي فيما يدل عليه كلامك من انك تأتي بشئ مبين موضح لصدق دعواك او في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر ثعبانيته لا انه شئ يشبه الثعبان واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اي فجرته فانفجر وقد تقدم بيان كيفية الحال في سورة الاعراف وسورة طه ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين قيل لما رأى فرعون الآية الاولى قال فهل لك غيرها فاخرج يده فقال فرعون يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملأ حوله اي مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في فن السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بامرهم او الى مقام مؤامرتهم بعد ما كان مستقلا في الرأي والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عم قالوا ارجه واخاه اي أخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين اي شرطا يحشرون السحرة يأتوك اي الحاشرون بكل سحار عليم فائق في فن السحر وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم هو ما عينه موسى عم بقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع وحثا لهم على المبادرة اليه لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين اي نتبعهم في دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى عم وليس مرادهم بذلك ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما هو ان لا يتبعوا موسى عم لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد في المغالبة فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا اي اجرا عظيما ان كنا نحن الغالبين لا موسى عم قال نعم لكم ذلك وانكم مع ذلك اذا لمن المقربين عندي قيل قال لهم تكونون اول من يدخل علي وآخر من يخرج عني وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان قال لهم موسى اي بعد ما قال له السحرة اما ان تكون اول من القى القوا ما انتم ملقون ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا اي وقد قالوا عند الالقاء بعزة فرعون انا لنحن الغالبون قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف اي تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التائين من تلقفت ما يأفكون اي ما يقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية له افكا به مبالغة فالقي السحرة ساجدين اي اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كأن ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه امر الهي قد ظهر على يده عم لتصديقه وفيه دليل على ان منتهى ما انتهى اليه علم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شئ لا حقيقة له قالوا آمنا برب العالمين بدل اشتمال من القوا او حال باضمار قد وقوله تعالى رب موسى وهارون بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه وللاشعار بان الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه على ايديهما من المعجزة القاهرة قال اي فرعون للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن او متوقع انه لكبيركم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او علمكم شيئا دون شئ فلذلك غلبكم اراد بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة

ظاهر وتحقيق وتقريع المتهم بين فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا لا ضير اي لا ضرر علينا فيما ذكر انا الى ربنا منقلبون تعليل لعدم الضير اي لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من الاسباب والقتل اهون اسبابه وارجاها انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا تعليل ثان لنفي الضير ان كنا اول المؤمنين اي لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة وأوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الآيات وقرئ بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون تعليل للامر بالاسراء اي يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فاسروا معكم حتى لا يدركوكم قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسيرهم في المدائن حاشرين جامعين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء يريد بني اسرائيل لشرذمة قليلون استقلهم وهم ستمائة الف وسبعون الفا بالنسبة الى جنوده اذ روي انه ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضي خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث وانهم لنا لغائظون اي فاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون يريد انهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج تسارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالاول دال على التجدد والثاني على الثبات وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة اي اقوياء واشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدادة في اجسامهم فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كانت لهم جملة ذلك كذلك اما مصدر تشبيهي لاخرجنا اي مثل ذلك الاخراج العجيب اخرجناهم او صفة لمقام كريم اي من مقام كريم كائن كذلك او خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل اي ملكناها اياهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كانهم ملكوها من حين خروج اربابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها فاتبعوهم اي فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس اي طلوعها فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون جاؤوا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفي التأكيد للدلالة على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما وقرئ لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشئ اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا ارتدع عن ذلك فانهم لا يدركونكم ان معي ربي بالنصرة والهداية سيهدين البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روي ان يوشع عم قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال عم ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى عم بعصاه البحر فكان ما كان وروي ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدي موسى عم فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فامر بما امر به وذلك قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر مسلكا بعدد الاسباط فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف

الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها وأزلفنا ثم الآخرين أي قربنا فرعون وقومه حتى دخلوا
على أثرهم مسالكهم وأنجينا موسى ومن معه أجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا إلى البر ثم أغرقنا
الآخرين بإطباقه عليهم إن في ذلك أي في جميع ما فصل مما صدر عن موسى عم وظهر على يديه من المعجزات القاهرة وما
فعل فرعون وقومه من الأقوال والأفعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وفيما في اسم الإشارة من معنى البعد
لتهويل أمر المشار إليه وتفظيعه كتنكير الآية في قوله تعالى لآية أي آية وآية عظيمة لا تكاد توصف موجبة
لأن تعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شأن النبي صلى الله عليه وسلم بشأن موسى عم وحال أنفسهم بحال أولئك المهلكين
ويجتنبوا تعاطي ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله
كيلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك أو لآية فيما فصل من القصة من حيث حكايته عم إياها على ما هي عليه من غير أن يسمعها
من أحد لآية عظيمة دالة على أن ذلك بطريق الوحي الصادق موجبة للإيمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عم
وما كان أكثرهم أي أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عم مؤمنين لا بأن يقيسوا شأنه بشأن موسى عليهما
السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المكذبين المهلكين ولا بأن يتدبروا في حكايته عم لقصتهم من غير أن يسمعها من أحد
مع كون كل من الطريقين مما يؤدي إلى الإيمان قطعا ومعنى ما كان أكثرهم مؤمنين وما أكثرهم مؤمنين على أن كان زائدة
كما هو رأي سيبويه فيكون كقوله تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو إخبار منه تعالى بما سيكون من [illegible]
بعدما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقريرا لما مر من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه
معرضين فقد كذبوا الخ وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الإيمان واستمرارهم عليه ويجوز
أن يجعل كان بمعنى صار كما فعل ذلك في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار أكثرهم مؤمنين مع ما فعل
من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الإخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال
تحققه وتقرره كقوله تعالى أتى أمر الله الآية وإن ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الأمور من جملته الانتقام
من المكذبين الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم إيمانهم بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة
بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة إلى آخر القصص
السبع بل إلى آخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه وأما ما قيل من أن ضمير أكثرهم لأهل عصر فرعون من القبط
وغيرهم وأن المعنى وما كان أكثر أهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم إلا آسية وحزقيل ومريم ابنة ياموشا التي
دلت على تابوت يوسف عم وبنو إسرائيل بعدما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة إبراهيم
عم إنما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن أمر ربهم وعصوا رسله عليهم السلام كما ينطق به تصدير القصص
بتكذيبهم المرسلين بعدما شاهدوا بأيديهم من الآيات العظام ما يوجب عليهم الإيمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان
وأصروا على ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن أن
يخبر عنهم بعدم إيمان أكثرهم لا سيما بعد الإخبار بإهلاكهم وعد المؤمنين من جملتهم أولا وإخراجهم منها آخرا مع عدم
مشاركتهم لهم في شيء مما حكي عنهم من الجنايات أصلا مما يجب تنزيه التنزيل عن أمثاله فتدبر واتل عليهم عطف على المضمر
العامل في إذ نادى الخ أي واتل على المشركين نبأ إبراهيم أي خبره العظيم الشأن حسبما أوحي إليك لتقف على ذكر
من عدم إيمانهم بما يأتيهم من الآيات بأحد الطريقين إذ قال منصوب بما على الظرفية للنبأ أي نبأه وقت قوله
لأبيه وقومه أو على المفعولية لاتل على أنه بدل من نبأ أي واتل عليهم وقت قوله لهم ما تعبدون على أن
المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سألهم عليه السلام عن ذلك ليبني على جوابهم أن ما يعبدونه بمعزل من استحقاق العبادة
بالكلية قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب الكافي بأن يقولوا أصناما كما
في قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا أنزل ربكم قالوا الحق [illegible] بل أطنبوا

بإهلاكهم

فيه بإظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على أصنامهم قصدا إلى إبراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك
والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة على وإيراد اللام لإفادة
معنى زائد كأنهم قالوا فنظل لأجلها مقبلين على عبادتها أو مستديرين حولها وهذا أيضا من جملة إطنابهم
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم هل يسمعونكم أي هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف
أو يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالى إذ تدعون عليه
وقرئ هل يسمعونكم من الإسماع أي هل يسمعونكم شيئا من الأشياء أو الجواب عن دعائكم وهل يقدرون
على ذلك وصيغة المضارع مع إذ على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها كأنه قيل لهم استحضروا
الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وأجيبوا هل سمعوا أو أسمعوا قط أو ينفعونكم بسبب عبادتكم لها أو يضرون
أي يضرونكم بترككم لعبادتها إذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع أو دفع ضر
قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اعترفوا بأنها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة
واضطروا إلى إظهار أن لا سند لهم سوى التقليد أي ما علمنا أو ما رأينا منهم ما ذكر من الأمور بل وجدنا آباءنا
كذلك يفعلون أي مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أي أنظرتم فعلمتم
أو تأملتم فعلمتم ما تعبدونه أنتم وآباؤكم الأقدمون حق الإبصار أو حق العلم وقوله تعالى فإنهم عدو لي
بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك أي فاعلموا أنهم أعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب
الله تعالى لأنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه أو لأن من يغريهم على عبادتهم ويحملهم
عليها هو الشيطان الذي هو أعدى عدو للإنسان لكنه عم صور الأمر في نفسه تعريضا بهم فإنه أنفع في النصح
من التصريح وإشعارا بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى
الواحد والجماعة ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر الموازنة لهما كالقبول والولوع والحنين والصهيل إلا رب
العالمين استثناء منقطع أي لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل علي
بمنافعهما حسبما يعرب عنه ما وصفه تعالى به من أحكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على أن الضمير لكل
معبود وكان من آبائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى الذي خلقني صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ وما بعده
خبرا غير حقيق بجلالة التنزيل وإنما وصفه تعالى بذلك وما عطف عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى
للعالمين تصريحا بالنعم الخاصة به عم وتفصيلا لها لكونها أدخل في اقتضاء تخصيص العبادة به وقصر الالتجاء
في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى فهو يهدين أي هو يهديني
وحده إلى كل ما يهمني ويصلحني من أمور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار
كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فإنه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له من أمور المعاش والمعاد هداية
مندرجة من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره إما طبعا وإما اختيارا
بالنسبة إلى الأناسي هدايتي الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بنعيمها
والذي هو يطعمني ويسقين عطف على الصفة الأولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف
ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحدة من تلك الصلات نعت
جليل له تعالى مستقل في استيجاب الحكم حقيق بأن يجري عليه تعالى بحيالها ولا يجعل من روادف غيرها وإذا
مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين نظمهما في سلك الصلة لموصول واحد لما أن الصحة والمرض
من متفرعات الأكل والشرب غالبا ونسبة المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى مع أنهما منه تعالى لمراعاة حسن
الأدب كما قال الخضر عم فأردت أن أعيبها وقال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما وأما الإماتة حيث كانت
من معظم خصائصه تعالى كالإحياء بدءا وإعادة وقد نيطت أمور الآخرة جميعا بها وبما بعدها من البعث نظمهما

في شيء واحد في قوله تعالى والذي يميتني ثم يحيين على ان الموت لكونه ذريعة الى نيله عم الحيوة الابدية بمعزل
من ان يكون غير مطبوع عنده عليه السلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكره عم هضما لنفسه
وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه عليه السلام
من الصغائر وتنبيها لابيه وقومه على ان يتاملوا في امرهم فيقفوا على انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها
فان حاله عم مع كونه في طاعة الله تع وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك
المغمورين في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة
هي اختي مما لا سبيل اليه لانها مع كونها معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه السلام
بعد هذه المقالة الجارية بينه وبين قومه اما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عم الى الشام واما الاوليان
فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي الامر وتعليق
مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع انها انما تغفر في الدنيا لان اثرها يومئذ يتبين ولا تخفى ذلك تهويل له واشارة الى
وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر رب هب لي حكما بعد ما ذكر عليه السلام لهم فنون الالطاف الفائضة عليه من الله
تع من مبدا خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة
التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني للعلم
والاعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها
او اجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد اجابه تعالى حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الاخرين
اي جاها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي محبة له
مثنية عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وهو
النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عم انا دعوة ابي ابراهيم واجعلني في الاخرة من ورثة جنة النعيم
وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله تع انه كان
من الضالين اي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه ولا تخزني
بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن بعض الورثة او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا وكل ذلك
مبني على هضم النفس منه عم او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان وهو من الخزي
بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون اي الناس كافة والاضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية
المغنية عنه وتخصيصه بالضالين مما يخل بتهويل اليوم يوم لا ينفع مال ولا بنون بدل من يوم يبعثون جيء به
تاكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه من الاستثناء وهو من اعم المفاعيل اي لا ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى
وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستاهلين للشفاعة احدا الا من اتى الله بقلب سليم اي عن
مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تاييد لكون استغفاره عم لابيه طلبا لهدايته
الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة
وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف اي الا مال من او بنو من اتى الله الاية وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس
المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع اي الا حال من اتى الله بقلب سليم
على انها عبارة عن سلامة القلب كانه قيل الا سلامة قلب من اتى الله الاية وقيل المضاف المحذوف هو ما دل
عليه المال والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله الاية لان غنى الرجل
في دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه ينفعه وازلفت الجنة للمتقين عطف
على لا ينفع وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره
كما ان صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل

بالمتقين اي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون
المحاسن فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين الضالين عن طريق الحق الذي هو الايمان
والتقوى اي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاحوال الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها
ولا يجدون عنها مصرفا وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله اي اين الهتكم الذين كنتم
تزعمون في الدنيا انهم شفعاؤكم في هذا الموقف هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه
عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل فكبكبوا فيها اي القوا في الجحيم على وجوههم
مرة بعد اخرى الى ان يستقروا في قعرها هم اي الالهة والغاوون الذين كانوا يعبدونهم وفي تاخير ذكرهم عن ذكر
الهتهم رمز الى انهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالهم فيزدادوا غما الى غمهم وجنود ابليس اي
شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وسائر فنون الكفر
والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الاولى
اجمعون تاكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى قالوا الخ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية
حالهم كانه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قالوا اي العبدة وهم فيها يختصمون اي قالوا معترفين بخطئهم في
انهماكهم في الضلالة متحسرين معيرين لانفسهم والحال انهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين
مخاطبين لمعبوديهم على ان الله تعالى يجعل الاصنام صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة على الفهم والنطق تالله
ان كنا لفي ضلال مبين ان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشان واللام فارقة بينها وبين النافية
اي ان الشان كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفه بالوضوح للاشباع في اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان خطئهم
في رايهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله اذ نسويكم برب العالمين
ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اي ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه ضعف صناعي من حيث
ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية اي تالله لقد كنا
في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم ايها الاصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته
واذلهم واعجزهم وقولهم وما اضلنا الا المجرمون بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى
قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم من غير ان يستقلوا في تحققه
او يكون بسبب اضلال الغير كانه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال الفاحش الا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين
اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله تع ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي هم
الاولون الذين اقتدوا بهم وايا ما كان ففيه اوفر نصيب من التعريض للذين قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
وعن ابن جريج ابليس وابن ادم القابيل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما
للمؤمنين من الملائكة والانبياء عليهم الصلوة والسلام ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء او فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء على ان عدمهم كناية عن عداوتهم كما ان عدم المحبة في مثل قوله تع
والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله تع الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعنا
في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق على ان المراد بهما عدم اشباههما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان
افراد الصديق لقلته او لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تعالى
فلو ان لنا كرة للتمني كليت لما ان بين معنييهما تلاقيا في معنى الفرض والتقدير كانه قيل فليت لنا كرة اي رجعة
الى الدنيا وقيل هي على اصلها من الشرط وجوابه محذوف كانه قيل فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت ويأباه
قوله تعالى فنكون من المؤمنين لتحتم كونه جوابا للتمني مفيدا لترتب ايمانهم على وقوع الكرة البتة بلا تخلف
كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عيني كما يستدعيه كون لو على اصلها انما يفيد

تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وإيمانهم معا من غير دلالة على استلزام الكرة للإيمان أصلا مع أنه المقصود حتما إن في ذلك أي فيما ذكر من نبأ إبراهيم عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه أهل مكة من عبادة الأصنام و تفصيل ما يؤول إليه أمر عبدتها يوم القيامة من اعترافهم بخطئهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الإيمان وتمنيهم الرجعة إلى الدنيا ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما أزلفت لهم جنات النعيم وبرزت لأنفسهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم من ألوان العذاب وأنواع العقاب لآية أي آية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة لأن تعتبر بها عبدة الأصنام كافة لا سيما أهل مكة الذين يدعون أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام أن يجتنبوا كل الاجتناب عما كانوا عليه من عبادتها خوفا أن يحيق بهم مثل ما حاق بأولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه أو إن في ذكر نبائه وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير أن تسمعه من أحد لآية عظيمة دالة على أن ما تتلوه عليهم وحي صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة للإيمان به قطعا وما كان أكثرهم مؤمنين أي أكثر هؤلاء الذين تتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال وأما أن ضمير أكثرهم لقوم إبراهيم عليه السلام كما توهموا فمما لا سبيل إليه أصلا لظهور أنهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه السلام إلا طغيانا وكفرا حتى اجترؤوا على تلك العظيمة التي فعلوا به عليه السلام فكيف يعبر عنهم بعدم إيمان أكثرهم وإنما آمن له لوط فنجاهما الله عز وجل إلى الشام وقد مر بقية الكلام في آخر قصة موسى عليه السلام وإن ربك لهو العزيز الرحيم أي هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم أو من ذرياتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الأمة وتكذيبهم للمرسلين إما باعتبار إجماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأزمنة والأعصار وإما لأن المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له إلا دابة وبردة وإذ في قوله تعالى إذ قال لهم ظرف للتكذيب على أنه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين إلى تمام الأمر كما أن تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه السلام إلى انتهائها أخوهم أي نسيبهم نوح ألا تتقون الله حيث تعبدون غيره إني لكم رسول من جهته تعالى أمين مشهور بالأمانة فيما بينكم فاتقوا الله وأطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى وما أسألكم عليه أي على ما أنا متصد له من الدعاء والنصح من أجر إن أجري فيما أتولاه إلا على رب العالمين لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عليه السلام من الطمع كما أن نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على أمانته والتكرير للتأكيد والتنبيه على أن كلا منهما مستقل في إيجاب التقوى والطاعة فكيف إذا اجتمعا وقرئ إن أجري بسكون الياء قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون أي الأقلون جاها ومالا جمع الأرذل على الصحة فإنه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالأكبر والأكابر وقيل جمع أرذل جمع رذل كالأكلب وأكالب جمع كلب وقرئ وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال يعنون أنه لا عبرة باتباعهم لك إذ ليس لهم رزانة عقل ولا إصابة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم أنظارهم على حطام الدنيا وكون الأشرف عندهم من هو أكثر منها حظا والأرذل من حرمها وجهلهم بأنها لا تزن عند الله جناح بعوضة وأن النعيم هو نعيم الآخرة والأشرف من فاز به والأرذل من حرمه قال وما علمي بما كانوا يعملون جواب عما أشير إليه من قولهم إنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة أي وما وظيفتي إلا اعتبار الظواهر وبناء الأحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم إن حسابهم أي ما محاسبة أعمالهم والتنقير عن كيفيتها البارزة والكامنة إلا على ربي فإنه المطلع على السرائر والضمائر لو تشعرون أي بشيء من الأشياء أو لو كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون وما أنا بطارد المؤمنين جواب عما أوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق إيمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله تعالى إن أنا إلا نذير مبين كالعلة له أي ما أنا إلا رسول مبعوث لإنذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الأعزاء أو

الأذلاء فكيف يتسنى لي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء أو ما علي إلا إنذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي استرضاء بعضكم بطرد الآخرين قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين أو المرميين بالحجارة قالوه في أواخر الأمر ومعنى قوله تعالى قال رب إن قومي كذبون تموا على تكذيبي وأصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه الأزمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائي إلا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله فافتح بيني وبينهم فتحا أي احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية إجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح ونجني ومن معي من المؤمنين أي من قصدهم أو من شؤم أعمالهم فأنجيناه ومن معه حسب دعائه في الفلك المشحون أي المملوء بهم وبما لا بد لهم منه ثم أغرقنا بعد أي بعد إنجائهم الباقين أي من قومه إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم الكلام فيه كالذي مر خلا أن حمل أكثرهم على أكثر قوم نوح أبعد من السداد وأبعد كذبت عاد المرسلين أنث عاد باعتبار القبيلة وهو اسم أبيهم الأقصى إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون الكلام فيه كالذي مر في أن المراد بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ما ذكر في صدر قصة نوح عليه السلام أي ألا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح والتصدير للتنبيه على أن مبنى البعثة هو الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو إلى الثواب ويبعده من العقاب وأن الأنبياء عليهم السلام مجمعون على ذلك وإن اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الأزمنة والأعصار وأنهم منزهون عن المطامع الدنية والأغراض الدنيوية بالكلية أتبنون بكل ريع أي مكان مرتفع ومنه ريع الأرض لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا يحتاج إليها أو بروج الحمام أو بنيانا تجتمعون إليه للعبث بمن يمر عليهم أو قصورا عالية تفتخرون بها وتتخذون مصانع أي مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون أي راجين أن تخلدوا في الدنيا أي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها وإذا بطشتم بسوط أو سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا هذه الأفعال وأطيعون فيما أدعوكم إليه فإنه أنفع لكم واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون من ألوان النعماء وأصناف الآلاء إجمالا ثم فصلها بقوله أمدكم بأنعام وبنين بإعادة الفعل لزيادة التقرير فإن التفصيل بعد الإجمال والتفسير إثر الإبهام أدخل في ذلك وجنات وعيون إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فإن كفران النعمة مستتبع للعذاب كما أن شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين فإنا لن نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق الثاني عن مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه كأنهم قالوا أم لم تكن من أهل الوعظ ومباشرته أصلا إن هذا ما هذا الذي جئتنا به إلا خلق الأولين أي عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الموت والحياة إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خلق الأولين بفتح الخاء أي اختلاقهم كما قالوا أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا إلا خلق الأولين نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه من الأعمال فكذبوه أي أصروا على ذلك فأهلكناهم بسببه بريح صرصر إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون في ما هاهنا آمنين إنكار لأن يتركوا فيما هم فيه من النعمة أو تذكير بالنعمة في تخلية الله تعالى إياهم

واسباب تنعمهم آمنين وقوله تعالى في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم تفسير لما قبله من المبهم والهضيم
اللطيف اللين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ
القنو او متدلل متكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار
وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط
وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة
التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر وارتسامه او نسب حكم الآمر الى امره مجازا الذين يفسدون في الارض وصف
موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون لبيان خلوص افسادهم عن مخالطة الاصلاح قالوا
انما انت من المسحرين اي الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او من ذوي السحر اي الرئة اي من الانس فيكون قوله
تع ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فأت بآية ان كنت من الصادقين اي في دعواك قال هذه ناقة
اي بعدما اخرجها الله تع من الصخرة بدعائه عم حسبما مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود لها شرب اي
نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتنعوا
بشربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم وصف اليوم
بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى الكل لما ان عاقرها انما عقرها برأيهم ولـ
لذلك عمهم العذاب فاصبحوا نادمين خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينتهم لبادئه ولذلك لم ينفعهم
الندم وان كان بطريق التوبة فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قيل في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء الى انه لو آمن
اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وانت خبير بان
قريشا هم المشهورون بعدم ايمان اكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين أتأتون الذكران من العالمين اي أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم
فيه غيركم او أتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء فيهم مع كونهن اليق بالاستمتاع فالمراد
بالعالمين على الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم
وكلمة من في قوله تعالى من ازواجكم للبيان ان اريد به جنس الاناث وهو الظاهر او للتبعيض ان اريد بها
العضو المباح منهن تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متعدون
متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر
الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط اي عن تقبيح امرنا من عداكم من العالمين الذكر
ان لا يشارككم فيه غيركم او أتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء فيهم مع كونهن
او نهينا عنه او عن دعوى النبوة التي من جملة احكامها التعرض لنا لتكونن من المخرجين اي من المنفيين
من قريتنا وكانهم كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين اي
من المبغضين غاية البغض كانه يقلي الفؤاد والكبد لشدته وهو ابلغ من ان يقال اني لعملكم قال لدلالته على انه
عم من زمرة الراسخين في بغضه المشهورين في قلاه ولعله عم اراد اظهار الكراهة من مساكنتهم والرغبة في الخلاص
من سوء جوارهم ولذلك اعرض عن محاورتهم وتوجه الى الله تع قائلا رب نجني واهلي مما يعملون اي من شؤم
عملهم وغائلته فنجيناه واهله اجمعين اي اهل بيته ومن اتبعه في الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول
العذاب بهم الا عجوزا هي امرأة لوط استثنيت من اهله فلا يضره كونها كافرة لان لها شركة في الاهلية بحق الزوج
في الغابرين اي مقدرا كونها من الباقين في العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد اصابها

قوله الذكر ذكرانهم ومن متعلقة بالذكران الحال كما في قوله تع اتاتون الذكران على الاول اي بالاول اتباعا في التعبير والتعيين عنهم الآية خلا ان في الاول حيث من عداهم من العقلاء انهم اسوء حالا من جميع من عداهم من القبائح حيث يفعلون من القبائح ما لا يفعله احد منهم
منه سلمه الله تعالى
وبالذكران ذكرانه ومن متعلقة بتاتون على الثاني المنطوق اثباتا تعجب الذكران اتيانه كل عام الذكر
منه سلمه الله تعالى

الحجر في الطريق فاهلكها كما مر في سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقي في القرية فلم تخرج مع لوط عم ثم دمرنا الآخرين
اهلكناهم اشد اهلاك وافظعه وامطرنا عليهم مطرا اي مطرا غير معهود قيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة
فاهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف
وهو مطرهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الأيكة
المرسلين الايكة الغيضة التي تنبت ناعم الشجر وهي غيضة تقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا ممن بعث اليهم شعيب
عم وكان اجنبيا منهم فلذلك قيل اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم وقيل الايكة الشجر الملتف وكان
شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم
وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الف اتباعا للفظ اللافظ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اي اتموه اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين
اي حقوق الناس بالتطفيف وزنوا اي الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان
كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا الناس
اشياءهم اي لا تنقصوا شيئا من حقوقهم اي حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم
فيها ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين
اي وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة
قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على ان كلا من
التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب وان نظنك لمن الكاذبين اي فيما تدعيه من النبوة
فاسقط علينا كسفا من السماء اي قطعا وقرئ بسكون السين وهو ايضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة
كالريع والريعة وهي القطعة والمراد بالسماء اما السحاب او المظلة ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى
من التهديد ان كنت من الصادقين في دعواك ولم يكن طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا لما
اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه قال ربي اعلم بما تعملون من الكفر والمعاصي وبما تستحقون بسببه من العذاب
فسينزله عليكم في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه اي فتموا على تكذيبه واصروا عليه فاخذهم عذاب يوم
الظلة حسبما اقترحوا اما ان ارادوا بالسماء السحاب فظاهر واما ان ارادوا المظلة فلان نزول العذاب من جهتها
وفي اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها ايذان بان لهم يومئذ عذابا آخر غير عذاب الظلة وذلك انه
سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليها فاخذهم بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا
الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا وروي ان
شعيبا عم بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة والرجفة واصحاب الايكة
بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم اي في الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية
التامة ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع
التي اوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه عليه السلام عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره
على فواته تحقيقا لمضمون ما مر في مطلع السورة الكريمة من قوله تع وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا
عنه معرضين فقد كذبوا الآية ولعل تكرير كل واحدة من هذه القصص بنحو ذكر مستقل متجدد النزول قابل لان يتبعها
بموجب رحمته الواسعة وما كان اكثرهم مؤمنين [illegible] على التفصيل قصته بعد قصته للابانة
فيها فتدبروا ما في كل واحدة منها من الدواعي الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان وللايذان بان اولئك
الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع علمهم بانه عم لم يسمع شيئا منها من احد اصلا واصروا
على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كان لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق في خاتمة قصة موسى عم

وإنه أي ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص الحكيمة أو القرآن الذي هي من جملته لتنزيل رب العالمين أي منزل من جهته تعالى سمي به مبالغة ووصفه تعالى بربوبية العالمين للإيذان بأن تنزيله من أحكام تربيته تعالى ورأفته للكل كقوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين نزل به أي أنزله الروح الأمين أي جبريل عليه السلام فإنه أمين وحيه تعالى وموصله إلى أنبيائه عليهم السلام وقرئ بتشديد الزاي ونصب الروح والأمين أي جعل الله تعالى الروح الأمين نازلاً به على قلبك أي روحك وإن أريد به العضو فتخصيصه لأن المعاني الروحانية تنزل أولاً على الروح ثم تنتقل منها إلى القلب لما بينهما من التعلق ثم تصعد إلى الدماغ فتنتقش بها لوح المتخيلة لتكون من المنذرين متعلق بنزل به أي أنزله لتنذرهم بما في تضاعيفه من العقوبات الهائلة وإيثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه السلام في سلك أولئك المنذرين المشهورين في حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر بلسان عربي مبين واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو أيضاً متعلق بنزل به وتأخيره للاعتناء بأمر الإنذار وللإيماء إلى أن مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد إنزاله عليه السلام لا إنزاله باللسان العربي وجعله متعلقاً بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدي إلى أن غاية الإنزال كونه عليه السلام من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى في باب الإنذار ما أنذره نوح وموسى عليهما السلام وأشد الزواجر تأثيراً في قلوب المشركين ما أنذره إبراهيم عليه السلام لانتمائهم إليه وادعائهم أنهم على ملته عليه السلام وإنه لفي زبر الأولين أي وإن ذكره أو معناه لفي الكتب المتقدمة فإن أحكامه التي لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الأعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح أولم يكن لهم آية الهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل أغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على أنه تنزيل من رب العالمين وأنه لفي زبر الأولين على أن لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به أو بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه الذي هو قوله تعالى أن يعلمه علماء بني إسرائيل لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أي أن يعرفوه بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من أنزل عليه وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسمها وأن يعلمه خبراً وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسماً والمعرفة خبراً وقد قيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلاً من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث تكن كما في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وقرئ تعلمه بالتاء ولو نزلناه كما هو بنظمه الرائق المعجز على بعض الأعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ الأعجميين وفي لفظ البعض إشارة إلى كون ذلك المنزل عليه واحداً من عرض تلك الطائفة كائناً من كان فقرأه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادات ما كانوا به مؤمنين مع انضمام إعجاز القراءة إلى إعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الأعجمين بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فإنه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم في المكابرة والعناد كذلك سلكناه أي مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه أي أدخلنا القرآن في قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وأنه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الإخبار عن الغيب وقد انضم إليه اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها البشارة بإنزاله وبعثة من أنزل عليه بأوصافه فقوله لا يؤمنون به جملة مستأنفة مسوقة لبيان أنهم لا يتأثرون بأمثال تلك الأمور الداعية إلى الإيمان به بل يستمرون على ما هم عليه حتى يروا العذاب الأليم الملجئ إلى الإيمان به حين لا ينفعهم الإيمان فيأتيهم بغتة أي فجأة في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون بإتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسراً على ما فات من الإيمان

وتمنياً للإمهال لتلافي ما فرطوا فيه وقيل معنى كذلك سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به في موقع الإيضاح والتلخيص له أو في موقع الحال أي سلكناه فيها غير مؤمن به والأول هو الأنسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد أدلة الإعجاز وتأخذ بمبادي الهداية والإرشاد وانقطاع أعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحسن ومجاهد رحمهم الله أدخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين أفبعذابنا يستعجلون بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب طلب الإنظار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أيكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على أحد أو أيغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وتقديم الجار والمجرور للإيذان بأن مصب الإنكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون أي كونهم ممتعين ذلك التمتع المديد على أن ما مصدرية أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها والاستفهام للإنكار والنفي وقيل ما نافية أي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والأول أوفق لصورة الاستخبار وأدل على انتفاء الإغناء بالكلية وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف فقال عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فأبلغت وما أهلكنا من قرية من القرى المهلكة إلا لها منذرون قد أنذروا أهلها إلزاماً للحجة ذكرى أي تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لأنها في معنى الإنذار كأنه قيل مذكرون ذكرى أو الرفع على أنها صفة منذرون بإضمار ذوو أو بجعلهم ذكرى لإمعانهم في التذكرة أو خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية مع أن إهلاكهم قبل الإنذار ليس بظلم أصلاً على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر في سورة آل عمران عند قوله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد وما تنزلت به الشياطين رد لما زعمه الكفرة في حق القرآن الكريم من أنه من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان أنه نزل به الروح الأمين وما ينبغي لهم أي وما يصح وما يستقيم لهم ذلك وما يستطيعون أي ذلك أصلاً إنهم عن السمع أي لكلام الملائكة لمعزولون لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفاء الذوات وقبول فيضان أنوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة إلا لقبول ما لا خير فيه أصلاً من فنون الشرور فمن أين لهم أن يحوموا حول القرآن الكريم المنطوي على الحقائق الرائقة والمغيبات التي لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة عليهم السلام فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور استحالة صدور المنهي عنه عنه تهييجاً وحثاً على ازدياد الإخلاص ولطفاً لسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه وأنذر العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي عشيرتك الأقربين الأقرب منهم فالأقرب فإن الاهتمام بشأنهم أهم روي أنه لما نزلت صعد

الصفا ونادى فخذاً فخذاً حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني
نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار
فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم
ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
اي لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا اراد ان ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن
اتبع لدين او لغيره او للتبعيض على ان المراد بالمؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك
ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون اي مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر
اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على انه بدل من جواب الشرط الذي يراك
حين تقوم اي الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض
قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع
منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا امهم
وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله التي بها يستاهل ولايته بعدما عبر عنه بما ينبئ عن قهر اعدائه ونصر اوليائه
من وصفي العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه انه هو السميع بما تقوله العليم بما تنويه وتعمله هل انبئكم
على من تنزل الشياطين اي تتنزل فحذف احدى التائين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على من لا استفهامها ميتنا انها ليست موضوعة له
بل الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل وقوله تعالى تنزل على كل
افاك اثيم قصر لتنزلهم على كل من اتصف بالافك الكثير والاثم الكبير من الكهنة المتنبئة وتخصيص له بهم بحيث
لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة من ان يحوم حولها شائبة شيء
من تلك الاوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه يلقون السمع اي الافاكون الى الشياطين فيتلقون منهم اوهاما وامارات
لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى واكثرهم
كاذبون اي فيما قالوه من الاقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة
كذبة او يلقون السمع اي المسموع من الشياطين الى الناس واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا
اليهم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكونه عن الجني واما في اكثره فهم كاذبون وما باعتباره
واكثر اقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم صادقين على الاطلاق وليس
معنى الافاك من لا ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض الاحايين
وقيل الضمير للشياطين اي يلقون السمع اي المسموع من الملأ الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم
كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم
لا سبيل الى حمل القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم الى الملأ الاعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لان يلقون كما صح جوابه
اما حال من ضمير تنزل مقيدة لمقارنة التنزل للالقاء او استئناف مبين للغرض من التنزل مبني على السؤال عنه ولا ريب في ان
القاء السمع الى الملأ الاعلى بمعزل من احتمال ان يقارن التنزل او يكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وانما المحتمل لهما الالقاء
بالمعنى الاول فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه من الملأ الاعلى وعلى تقدير
كونه جوابا عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وما يفعلون بهم يلقون اليهم ما سمعوه وحمله على استئناف الاخبار كما
فعله بعضهم غير سديد لان ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور وقبله غير خليق بجزالة التنزيل واما على تقدير كون
ضمير يلقون للافاكين فهو صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع سواء اريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين او القاء
المسموع الى الناس ويجوز ان يكون استئنافا اخبارا بحالهم على كلا التقديرين لان كلا من تلقيهم من الشياطين

والقائم

والقائهم الى الناس يكون بعد التنزل لعل ان يكون استئنافا مبنيا على السؤال على التقدير الاول فقط كأنه قيل ما يفعلون
عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم وقوله تعالى واكثرهم كاذبون على
التقدير الاول استئناف فقط وعلى الثاني يحتمل الحالية من ضمير يلقون اي يلقون ما سمعوه من الشياطين الى الناس
والحال انهم في اكثر اقوالهم كاذبون فتدبر والشعراء يتبعهم الغاوون استئناف مسوق لابطال ما قالوا في
القرآن العظيم من قبيل الشعر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله
صلى الله عليه وسلم بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان احوالهم
المضادة لاحواله عليه السلام والمعنى ان الشعراء يتبعهم اي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون
عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الافعال والاقوال والاحوال لا غيرهم
من اهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون استشهاد على ان
الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم من الجلاء
والظهور بحيث لا يختص برؤية راء دون راء اي الم تر ان الشعراء في كل واد من اودية القيل والقال وفي كل
شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى
سبيل معين من السبل بل يتحيرون في مهاوي الغواية والسفاهة ويتيهون في تيه المجون والوقاحة ديدنهم تمزيق
الاعراض المحمية والقدح في الانساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين
طرفي الافراط والتفريط في المدح والهجاء وانهم يقولون ما لا يفعلون من الافاعيل غير مبالين بما يستتبع
من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم
حولها شائبة الاتصاف بشيء من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق
الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط
المستقيم ناطقا بكل امر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون
الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد
قيل في تنزيهه عليه السلام عن ان يكون من الشعراء ان اتباع الشعراء الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا
كذلك ولا ريب في ان تعليل عدم كونه منهم بكون اتباعه غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالي وقيل الغاوون
الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن
عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ
والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعضه
بعضد الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء
المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث
على طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان
بملاذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين
عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من رشق النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك وسيعلم
الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد ووعيد اكيد لما في سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق
والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما حين عهد اليه وقرئ
اي منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى

سيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانقلاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له عشر
حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلوة والسلام

سورة النمل مكية اربع وتسعون آيات

طس بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا طس اي مسمى به وانما صحت الاشارة اليه قبل ذكره وقد مر وجهه في فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء على ان ما بعده خبره ضعيف لما ذكر هناك تلك اشارة الى نفس السورة لانها التي نوهت بذكر اسمها لا الى آياتها لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها اليها تأبى اضافتها الى القرآن كما سيأتي وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره آيات القرآن والجملة مستأنفة مقررة لما افادته التسمية من نباهة شأن المسمى والقرآن عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الحجر اي تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشأن اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص وكتاب اي كتاب عظيم الشأن مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام واحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام او ظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان ولقد فخم شأنه الجليل بالجمع فيه بين وصف القرآنية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الالهية فكانه كلها وقدم الوصف الاول ههنا نظرا الى تقدم حال القرآنية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكر هناك من الوجه وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه لا يساعده اضافة الآيات اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وآيات كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين في حيز النصب على الحالية من الآيات على انهما مصدران اقيما مقام الفاعل للمبالغة كأنهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او الرفع على انهما بدلان من الآيات او خبران آخران لتلك او لمبتدأ محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون انها تزيدهم هدى قال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الاعمال الصالحة وقوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب او هو من تتمة الصلة والواو حالية او عاطفة له على الصلة الاولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحديون فيه ان الذين لا يؤمنون بالآخرة بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال المؤمنين اي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن زينا لهم اعمالهم القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت النار بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان حسنها في حالا واستتباعها لفنون المنافع مآلا واضافتها اليهم باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم فهم يعمهون يترددون ويتحيرون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع وضر او في الضلال و

الاعراض عنها والفاء على الاول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد المسبب على السبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الامور اولئك اشارة الى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده اي اولئك الموصوفون بالكفر والعمه الذين لهم سوء العذاب اي في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون اي اشد الناس خسرانا لفوت الثواب واستحقاق العقاب وانك لتلقى القرآن كلام مستأنف قد سيق بعد بيان بعض شؤون القرآن الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرفي التأكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اي لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين من لدن حكيم عليم اي اي حكيم واي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيص على علو طبقته عليه السلام في معرفته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان ما في القرآن من العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى اذ قال موسى لاهله منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامر بتلاوة بعض من القرآن الذي يلقاه عليه السلام من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت قوله لاهله في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد فبدا له من جانب الطور نار اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد في المسافة وتأكيد الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عليه السلام الا امرأته لما كنى عنها بالاهل او للتعظيم مبالغة في التسلية او آتيكم بشهاب قبس بتنوينهما على ان الثاني بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اي بشعلة نار مقبوسة اي مأخوذة من اصلها وقرئ بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلتا العدتين منه عليه السلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد للايذان بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي من جانب الطور ان بورك معناه اي بورك على ان ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا او قد او السين او سوف لما ان الدعاء يخالف غيره في كثير من الاحكام من في النار ومن حولها اي من في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله سبحانه نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرئ تباركت الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من في ذلك الوادي وحواليه من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلام وكفاتهم احياء وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى موسى فيها وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم ديني ينتشر بركاته في اقطار الشام وهو تكليمه تعالى اياه واستنباؤه له واظهار المعجزات على يديه وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون من احكام تربيته تعالى للعالمين يا موسى انه انا الله استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة والضمير اما للشأن وانا الله جملة مفسرة له واما راجع الى المتكلم وانا خبره والله بيان له وقوله تعالى العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزات اي انا القوي القادر على ما لا تناله الاوهام من الامور العظام التي من جملتها امر العصا واليد الفاعل كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير رصين والق عصاك عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء اي نودي ان بورك وان الق عصاك حسبما نطق به قوله تعالى وان الق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله

فلما رآها أي بعد قوله ألقها كأنه قيل فألقاها فانقلبت حية تسعى فأبصرها فلما أبصرها تتحرك بسرعة
واضطراب وقوله تعالى كأنها جان أي حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية إما من مفعول رأى مثل تهتز
كما أشير إليه أو من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا
من الخوف ولم يعقب أي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل إذا كر بعد الفر وإنما اعتراه الرعب لظنه أن ذلك
لأمر أريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف أي من غيري ثقة بي ومطلقا لقوله تعالى إني لا يخاف لدي المرسلون
فإنه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الأوقات بل حين يوحى إليهم كوقت الخطاب فإنهم حينئذ مستغرقون
في مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من أحد أصلا وأما في سائر الأحيان فهم أخوف الناس منه سبحانه
أو لا يكون لهم عندي سوء عاقبة ليخافوا منه إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم استثناء
منقطع استدرك به ما عسى يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع أن منهم من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره
عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم وإن صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به
من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطي والاستغفار وتسميته ظلما
لقوله تعالى رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وأدخل يدك في جيبك لأنه كان له مدرعة صوف لا كم لها
وقيل الجيب القميص لأنه يجاب أي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء أي آفة كبرص ونحوه في تسع آيات أي معها أو في جملتها
على أن التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان
في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الأخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها لأنه لم يبعث به إلى فرعون
أو اذهب في تسع آيات على أنه استئناف بالإرسال فيتعلق به إلى فرعون وقومه وعلى الأولين يتعلق بنحو مبعوثا
أو مرسلا إنهم كانوا قوما فاسقين تعليل للإرسال أي خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان فلما جاءتهم
آياتنا وظهرت على يد موسى مبصرة بينة اسم فاعل أطلق على المفعول إشعارا بأنها لفرط وضوحها وإنارتها كأنها
تبصر نفسها لو كانت مما يبصر أو ذوات تبصر من حيث إنها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا عن الهداية أو مبصرة كل من
نظر إليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة أي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها
أي كذبوا بها واستيقنتها أنفسهم الواو للحال أي وقد استيقنتها أي علمتها أنفسهم علما يقينيا ظلما أي للآيات
كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها أي ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لأنفسهم
وليس بذاك وعلوا أي استكبارا عن الإيمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما إما
على العلة من جحدوا بها أو على الحالية من فاعله أي جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين من الإغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين وإنما لم يذكر تنبيها على أنه عند كل ناظر
مشهور وفيما بين كل باد وحاضر ولقد آتينا داود وسليمان علما كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق
من قوله تعالى وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم فإن قصتهما عليهما السلام من جملة القرآن الكريم تلقيه من لدنه تعالى كقصة
موسى عليه السلام وتصديره بالقسم لإظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه أي آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم اللائق به من علم
الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير أو علما سنيا عزيزا وقالا أي قال كل
واحد منهما شكرا لما أوتيه من العلم الحمد لله الذي فضلنا بما آتانا من العلم على كثير من عباده المؤمنين على
أن عبارة كل منهما فضلني إلا أنه عبر عنها عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير إيجازا فإن حكاية الأقوال المتعددة
سواء كانت صادرة عن المتكلم أو عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الأول قوله تعالى يا أيها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر في سورة قد أفلح المؤمنون ويجعل لفهم حسن موقع العطف بالواو إذ المتبادر
من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على إيتاء ما أوتي كل منهما لا على إيتاء ما أوتي نفسه فقط وقيل في العطف بالواو
إشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قيل

ولقد آتينا

ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الآية والكثير المفضل عليهم من لم يؤت
علما أو بأنه تبيين الكثير بالمؤمنين فإن خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي تخصيصهما الأكثر بالذكر رمز إلى أن
البعض مفضلون عليهما وفيه أوضح دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل
ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعلماء على أن يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم
من فضله وأن يتواضعوا ويعتقدوا أنهم وإن فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعما قال أمير المؤمنين
عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر وورث سليمان داود أي النبوة والعلم أو الملك بأن قام مقامه في ذلك دون
سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزات
الباهرة التي أوتيها يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء المنطق في المتعارف كل لفظ
يعبر به عما في الضمير مفردا أو مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت
الحمامة وكل صنف من أصناف الطير يتفاهم أصواته والذي علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم
بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون
ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر أنها
تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله
يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه
وصاح قمري فأخبر أنه يقول سبحان ربي الأعلى وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه
وقال الحدأ يقول كل شيء هالك إلا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه
والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد
من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس وأراد عليه السلام بقوله علمنا وأوتينا بالنون التي يقال لها
نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لكن لا تكبرا وتجبرا بل تمهيدا لما أراده منهم من حسن
الطاعة والانقياد له في أوامره ونواهيه حيث كان على عزيمة المسير والمراد من كل شيء كثرة ما أوتي كما يقال فلان
يقصده كل أحد ويعلم كل شيء ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى وأوتيت من كل شيء وقال ابن
عباس كل ما يهمهم من أمر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والإنس والشياطين والريح إن
هذا إشارة إلى ما ذكر من التعليم والإيتاء لهو الفضل والإحسان من الله تعالى المبين الواضح الذي لا يخفى على أحد
أو إن هذا الفضل الذي أوتيه لهو الفضل المبين على أنه عليه السلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكرا لا فخرا ولعله عليه السلام رتب على الحمد دعوة
الناس إلى الغزو فإن إخبارهم بإيتاء كل شيء من الأشياء التي من جملتها آلات الحرب وأسباب الغزو مما ينبئ عن ذلك
يعني قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده جمع له عساكره من الجن والإنس مباشرة مخاطبته فإنهم كانوا رؤساء
مملكته وعظماء دولته من الثقلين وغيرهم يتبعهم الناس بالكلية وتقديم الجن على الإنس في البيان للمسارعة إلى
الإيذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه فإن الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة
من الحشر والتسخير فهم يوزعون أي يحبس أوائلهم على أواخرهم أي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي
فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر
وفيه إشعار بكمال مسارعتهم إلى السير وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق أواخرهم مع أن التلاحق يحصل
بذلك أيضا لما أن أواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه أوائلهم من السير السريع وهذا إذا لم يكن سيرهم بتسخير الريح
في الجو روي أن معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة
وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عليه السلام ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة

والطير

سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه
وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة
وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليها الشمس وترفع ريح الصبا البساط
فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء
والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود
ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة
واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتي آل داود **حتى اذا اتوا على وادي النمل** حتى هي التي يبتدأ بها الكلام ومع ذلك
هي غاية لما قبلها كما في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل الآية وهي ههنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى
فهم يوزعون من السير كأنه قيل فساروا حتى اذا اتوا الخ ووادي النمل واد بالشام كثير النمل وعلى متعلق باتوا على ما قاله كعب وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق
واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره ولعلهم ارادوا ان ينزلوا
عند منتهى الوادي اذ حينئذ يخافهم ما في الارض لا عند سيرهم في الهواء وقوله تعالى **قالت نملة** جواب اذا كأنها لما رأتهم
متوجهين الى الوادي فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل مرادها تبعها في الفرار فشبه ذلك بمخاطبة
العقلاء ومناصحتهم فاجروا مجراهم حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل **يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم** مع انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل
بضم الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف عنه كالسبع في السبع وقرئ بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشي
وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية **لا يحطمنكم
سليمان وجنوده** نهي في الحقيقة للنمل عن التأخر في دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عم وجنوده عن الحطم
كقولهم لا ارينك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر كقول من قال فقلت له ارحل لا تقيمن عندنا لا جواب له فان
النون لا تدخله في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله لا يحتطمنكم
وقوله تعالى **وهم لا يشعرون** حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك
لم يحطموا او ارادت بذلك الايذان بانها عارفة بشؤون سليمان وسائر الانبياء عليهم السلام من عصمتهم عن الظلم
والايذاء وقيل هو استئناف اي فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك **فتبسم ضاحكا من قولها**
تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى
والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي هي ابعدها من ادراك امثال هذه الامور وابتهاجا بما خصه الله تعالى
به من ادراك همسها وفهم مرادها روي انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عم الريح فوقفت
لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن **وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك** اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه
وارتبطه بحيث لا ينفك عني حتى لا انفك عن شكرك اصلا وقرئ بفتح الياء اوزعني **التي انعمت علي وعلى والدي**
ادرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر **وان اعمل صالحا ترضاه** اتماما
للشكر واستدامة للنعمة **وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين** في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين **وتفقد
الطير** اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها **فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين** كأنه قال
اولا ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك فاخذ يقول أهو غائب **لاعذبنه عذابا
شديدا** قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه
او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه **او ليأتيني بسلطان مبين** بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين
على تقدير عدم الثالث وقرئ ليأتينني بنونين اولاهما مفتوحة مشددة قيل انه عم لما اتم بناء بيت المقدس تجهز

للحج فحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين
الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر
فرأى ارضا حسناء عجيبة خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء
من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك
وكان حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عم
وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة
الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى **فمكث غير بعيد** اي زمانا غير مديد وقرئ بضم الكاف
وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو
النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته
فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف
ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام ارخى ذنبه وجناحيه
يجرهما على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد
سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله **فقال احطت بما لم تحط به** اي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرئ
احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق ولا خفاء في انه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ما هو من حقائق
العلوم ودقائق المعارف التي تكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف ارباب العلم والحكمة على علم رصين وفضل
مبين حتى يكون اثباتها لنفسه بين يدي نبي الله سليمان عم تعديا عن طوره وتجاوزا عن دائرة قدره ونهيا عنه
عم جناية على جناية فيحتاج الى الاعتذار عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام فتحامله عم بذلك مع ما اوتي عم
من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عم في علمه وتنبيها على ان في ادنى
خلقه تعالى واضعفهم من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب
الذي هو فتنة العلماء بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التي لا يعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة
لعدم توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم انه عم لم يشاهده ولم يسمع خبره
من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عم وترغيبه في الاصغاء الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله
فان النفس الى الاعتذار المنبئ عن امر بديع اقبل والى تلقي ما لا تعلمه اميل ثم ايده بقوله **وجئتك من سبإ
بنبإ يقين** حيث فسر ابهامه نوع تفسير واراده عم انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما
جاء به بالنبإ الذي هو الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه والا فما اصدر عنه عم مع ما حكي عنه
ما حكي من الحمد والشكر واستدعاء الايزاع حتى يليق بالحكم الالهية تنبيهه عم على تركه وسبأ منصرف على انه اسم
لحي سموا باسم ابيهم الاكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول
من سبى وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبإ وبينها وبين صنعاء
مسيرة ثلاث وعلى هذه القراءة يجوز ان يراد به القبيلة والمدينة واما على القراءة الاولى فالمراد هو الحي لا غير
وعدم وقوف سليمان عم على نبائهم قبل انباء الهدهد ليس ببديع لا بد له من حكمة داعية اليه البتة وان احتمال
خلو افعاله تعالى عن الحكم والمصالح لان المسافة بين محطهم وبين مأرب وان كانت قصيرة لكن مدة ما
بين نزولهم هناك وبين مجيء الهدهد بالخبر ايضا قصيرة مع اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن اقوى
منه مبني على حكم بالغة يستأثر بها علام الغيوب وقوله تعالى **اني وجدت امرأة تملكهم** استئناف لبيان
ما جاء به من النبإ وتفصيل لما اثر الاجمال وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان ابوها ملك ارض
اليمن كلها وورث الملك من اربعين ابا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الامة وكانت

هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس وانما وجدت على ابتلاء اشير اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عم بابراز نفسه في معرض من يتفقد احوالها ويتعرفها كما هي كما ينبئه وضاله ليعرضها على سليمان عم وضمير ملكهم لسبا على انه اسم الحي او لاهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على انه اسم لها **وأوتيت من كل شيء** اي من الاشياء التي يحتاج اليها الملوك **ولها عرش عظيم** قيل كان ثلثين ذراعا في ثلثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عم اما بالنسبة الى حالها او الى عروش امثالها من الملوك وقد جوز ان لا يكون لسليمان عم مثله وايا ما كان فوصفه بذلك بين يديه عليه السلام لما مر من ترغيبه عم في الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمته عم نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله** اي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى **وزين لهم الشيطان أعمالهم** التي هي عبادة الشمس ونظائرها من اصناف الكفر والمعاصي **فصدهم** بسبب ذلك **عن السبيل** اي سبيل الحق والصواب فان تزيين اعمالهم لا يتصور بدون تقويم طريق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته نسبة طريق الحق الى العوج **فهم** بسبب ذلك **لا يهتدون** اليه وقوله تع **ألا يسجدوا لله** مفعول له اما للصد او للتزيين على حذف اللام منه اي فصدهم لان لا يسجدوا لله تعالى او زين لهم اعمالهم لان لا يسجدوا او بدل على حاله من اعمالهم وما بينهما اعتراض اي زين لهم ان لا يسجدوا وقيل هو في موقع المفعول ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا لله تعالى وقرئ الا يا اسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كما في قوله الا يا اسلمي يا دارمي على البلى ونظائره وعلى هذا يحتمل ان يكون استينافا من جهة الله عز وجل او من سليمان ويوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه وايا ما كان فالسجود واجب وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب **الذي يخرج الخبء في السموات والأرض** اي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تع باستحقاق السجود له من بين سائر اوصافه الموجبة لذلك لما انه ادخل في معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها ما اودعه الله تع في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الارض واشار بعطف قوله **ويعلم ما تخفون وما تعلنون** على يخرج الى انه تع يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما ان المراد يعلمه ما تخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم او للتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم الالهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبايا يعم اشراق الكواكب واظهارها من آفاقها بعد استتارها وراءها وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء الذي هو اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع الذي هو اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ الا تسجدون لله الذي يخرج الخبا من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون **الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم** الذي هو اول الاجرام واعظمها وقرئ العظيم بالرفع على انه صفة الرب واعلم ان ما حكي من الهدهد من قوله الذي يخرج الخبء الى هنا ليس داخلا تحت قوله احطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان عم اورده بيانا لما هو عليه واظهارا لتصلبه في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عم نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته عليه السلام الى غزوها وتسخير ولايتها **قال** استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدهد كانه قيل فماذا فعل سليمان عم عند ذلك فقيل قال **سننظر** اي فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والسين للتاكيد اي سنعرف بالتجربة **أصدقت أم كنت من الكاذبين** كان مقتضى الظاهر ام كذبت وانما عدل عنه الى ما في النظم الكريم للايذان بان كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه

في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فان مساق هذه الاقاويل المتفقة على ترتيب انيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير ان يكون لها مصداق اصلا لا سيما بين يدي نبي عظيم الشان لا يكاد يصدر الا عمن له قدم راسخ في الكذب والافك وقوله تعالى **اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم** استيناف مبين لكيفية النظر الذي وعده عم وقد قاله عم بعدما كتب كتابه في ذلك المجلس او بعده وتخصيصه عم اياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من امناء الجن والاقوياء على التصرف لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذر اصلا **ثم تول عنهم** اي تنح الى مكان قريب تتوارى فيه **فانظر** اي تأمل وتعرف **ماذا يرجعون** بعضهم الى بعض من القول وجمع الضمائر لما ان مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام **قالت** اي بعدما ذهب الهدهد بالكتاب فالقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما امر به وانما طوي ذكره ايذانا بكمال مسارعته الى اقامة ما امر به من الخدمة واشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روي انه عم كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجد الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حولها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارية كاتبة عربية من نسل تبع الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لاشراف قومها **يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم** وصفته بالكرم لكرم مضمونه او لكونه من عند ملك كريم او لكونه مختوما او لغرابة شأنه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد **إنه من سليمان** استيناف وقع جوابا لسؤال مقدر كانه قيل ممن هو وما ذا مضمونه فقالت انه من سليمان **وإنه** اي مضمونه او المكتوب فيه **بسم الله الرحمن الرحيم** وفيه اشارة الى سبب وصفها اياه بالكرم وقرئ انه وانه بالفتح على حذف اللام كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل على انه بدل من كتاب وقرئ ان من سليمان وان بسم الله على ان المفسرة **ألا تعلوا علي** ان مفسرة ولا ناهية اي لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية ومحلها الرفع على انها بدل من كتاب او خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام اي مضمونه ان لا تعلوا او النصب باسقاط الخافض اي بان لا تعلوا علي وقرئ ان لا تغلوا بالغين المعجمة اي لا تجاوزوا الحد **وأتوني مسلمين** اي مؤمنين وقيل منقادين والاول هو اللائق بشان النبوة على ان الايمان مستتبع للانقياد حتما روي ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالته عم دلالة بينة **قالت** كررت حكاية قولها للايذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها **يا أيها الملأ أفتوني في أمري** اي اجيبوني في امري الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للامر ورفعا لمحلهم بالاشعار بانهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقوله **ما كنت قاطعة أمرا** اي من الامور المتعلقة بالمملكة **حتى تشهدون** اي الا بمحضركم وبموجب آرائكم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير **قالوا نحن أولوا قوة** في الاجساد والالات والعدد **وأولوا بأس شديد** اي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب **والأمر إليك** اي هو موكول اليك **فانظري ماذا تأمرين** ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كأنهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الرأي والمشورة وانت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رأيك فلما احست منهم الميل الى الحرب والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف [illegible] على شان سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى **قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية** [illegible] منهاج المقاتلة والحرب

أفسدوها بتخريب عماراتها واتلاف ما فيها من الاموال وجعلوا أعزة أهلها أذلة بالقتل والاسر والاجلاء
وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي
وتقرير له بأن ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق لها من جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا
اثر قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وإني مرسلة إليهم بهدية تقرير لرأيها بعد ما زيفت آراءهم
وأتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للايذان بأنها مزمعة على رأيها لا يلويها عنه
صارف ولا يثنيها عاطف أي وإني مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع المرسلون حتى أعمل بما يقتضيه
الحال روي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة
بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من
ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة
الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري
وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته
بشا لطيفا فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان عليه السلام بذلك فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة
وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وأمر
بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا
على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا
فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن
تقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق
وأخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم أمر بالارضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة
فجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت
الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية
فذلك قوله تعالى فلما جاء سليمان أي الرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل الرسول
ومن معه ويؤيده انه قرئ فلما جاؤا والاول أولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها وتوبيخ
الافراد في قوله تعالى ارجع اليهم أتمدونن بمال وهو انكار لامدادهم اياه عليه السلام بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه
وتوبيخ لهم بذلك وتنكير المال للتحقير وقوله تعالى فما آتاني الله أي مما رأيتم آثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه
خير مما آتاكم أي من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل للانكار ولعله
انما قال لهم هذه المقالة الى آخرها بعدما جرى بينه وبينهم ما حكي من قصة الحق وغيرها كما أشير اليه لا أنه عليه السلام
خاطبهم بها أول ما جاؤه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرئ أتمدوني بالادغام وبنون واحدة وبنونين وحذف
الياء وقوله تعالى بل أنتم بهديتكم تفرحون اضراب عما ذكر من انكار الامداد بالمال الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي
أهدوها اليه عليه السلام فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان
والجواري وغير ذلك وفائدة الاضراب التنبيه على ان امدادهم بالمال منكر قبيح وعده مع انه لا قدر له عنده
مما لا يتنافس فيه المتنافسون أقبح والتوبيخ به أدخل وقيل المضاف اليه المهدى اليه والمعنى بل أنتم بما يهدى
اليكم تفرحون حبا لزيادة المال لما أنكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا ارجع افراد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر
الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للكل أي ارجع أيها الرسول اليهم أي الى بلقيس
وقومها فلنأتينهم أي فوالله لنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها أي لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها
ولنخرجنهم عطف على جواب القسم منها من سبأ أذلة أي حال كونهم أذلة بعدما كانوا فيه من العز

والتمكين

والتمكين وفي جمع القلة تأكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون أي أسارى مهانون حال أخرى مفيدة لكون إخراجهم بطريق
الاسر لا بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لأنه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه
كأنه قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والا فلنأتينهم الخ قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قاله عليه السلام
لما دنا مجيء بلقيس اليه عليه السلام يروى أنه لما رجعت رسلها اليها بما حكي من خبر سليمان عليه السلام قالت قد علمت والله ما هذا بملك
ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان عليه السلام اني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك
ثم آذنت بالرحيل الى سليمان عليه السلام فشخصت اليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف وروي انها أمرت فجعل عرشها
في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله
أوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يريها بعض ما خصه الله عز سلطانه به من إجراء العجائب
على يده مع اطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم لا وتقييد
الاتيان به بقوله تعالى قبل أن يأتوني مسلمين لما أن ذلك أبدع وأغرب وأبعد من الوقوع عادة وأدل على عظيم
قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون اختبارها واطلاعها على بدائع المعجزات في أول مجيئها وقيل لأنها اذا
أتت مسلمة لم يحل له أخذ مالها بغير رضاها قال عفريت من الجن بيان له اذ يقال للرجل
الخبيث المنكر المعفر لأقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا أنا آتيك به أي بعرشها قبل أن تقوم من مقامك
أي مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وآتيك إما صيغة المضارع أو الفاعل وهو الانسب لمقام
ادعاء الاتيان به لا محالة وأوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية أي أنا آت به في تلك المدة البتة
واني عليه أي على الاتيان به لقوي لا يثقل علي حمله أمين لا أختزل منه شيئا ولا أبدله قال الذي عنده
علم من الكتاب فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفيتي قدرتهما على الاتيان به
من كمال التباين أو لاسقاط الاول عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام
وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به أجاب وقيل الخضر أو جبريل أو ملك أيده الله عز
وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب
المنزلة أو اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى أنه علم غير معهود ومن ابتدائية أنا آتيك به قبل أن يرتد
اليك طرفك الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شيء وارتداده انضمامها ولكونه أمرا طبيعيا
غير منوط بالقصد أوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة ما كما في وعد العفريت
استغنى عن التأكيد وطوي عند الحكاية ذكر الاتيان به للايذان بأنه أمر محقق غني عن الاخبار به وجيء بالفاء
الفصيحة لا داخلة على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب
بعصاك الحجر فانفلق ونظائره بل داخلة على الشرطية حيث قيل فلما رآه مستقرا عنده أي رأى العرش
حاضرا لديه كما في قوله عز وجل فلما رأينه أكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن
الاخبار به ببيان ظهور ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام إياه واستغنائه أيضا عن التصريح به اذ التقدير
فأتاه به فرآه فلما رآه الخ فحذف ما حذف لما ذكر وللايذان بكمال سرعة الاتيان به كأنه لم يقع بين الوعد وبين
رؤيته عليه السلام إياه شيء ما أصلا وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه السلام تأكيد لهذا المعنى لايهامه أنه لم يتوسط
بينهما ابتداء الاتيان أيضا كأنه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما في سلك ملكه
قال أي سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن أبناء جنسه من أنبياء الله عليهم السلام وخلص عباده
هذا أي حضور العرش بين يديه في هذه المدة القصيرة أو التمكن من إحضاره بالواسطة أو بالذات كما قيل من فضل ربي
أي تفضله علي من غير استحقاق له من قبلي ليبلوني أأشكر بأن أراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة وأقوم
بحقه أم أكفر بأن أجد لنفسي مدخلا في البين أو أقصر في إقامة مواجبه كما هو شأن سائر النعم الفائضة على العباد

ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يرتبط به عتيدة ويستجلب به مزيدا ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران ومن كفر اي لم يشكر فان ربي غني عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر ايضا قال اي سليمان عم كرر الحكاية مع كون المحكي سابقا ولاحقا من كلامه عم تنبيها على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثاني امر لخدمه نكروا لها عرشها اي غيروا هيئاته بوجه من الوجوه ننظر بالجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدي الى معرفته او الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها لتقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس والحجاب ويأباه تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير ام تكون اي بالنسبة الى علمنا من الذين لا يهتدون اي الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب فان كونها في نفس الامر منهم وان كان امرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عم وقومه امر حادث يظهر بالاختبار فلما جاءت شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عليه السلام اي فلما جاءت بلقيس سليمان عم وقد كان العرش بين يديه قيل اي من جهة سليمان عم بالذات او بالواسطة اهكذا عرشك لم يقل اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من ابراز العرش في معرض الاشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عم بسخافة العقل قالت كانه هو فابانت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب في محاورته عم واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت انه عم اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله بيان من جهته تع لما كان يمنعها من اظهار ما ادعته من الاسلام الى الآن اي صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى انها كانت من قوم كافرين تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد اي انها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهي بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت ملكة سليمان عم وقرئ انها بالفتح على البدلية من فاعل صدها او على التعليل بحذف اللام هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واوتينا العلم الى قوله تع من قوم كافرين من كلام سليمان عم وملائه كانهم لما سمعوا قولها كانه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشانها اصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم الخ اي واوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تع على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة فمما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف قيل لها ادخلي الصرح الصرح القصر وقيل صحن الدار روي ان سليمان عم امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيد في استعظامها لامره وتحققها لنبوته وثباتها على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع فطنة الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فلما راته وهو يحاضر بين يديها كما يعرب عنه الامر بدخولها وحاطت بتفاصيل احوال البحر حسبته لجة وكشفت عن ساقيها وتشمرت لئلا تبتل اذيالها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عليه السلام وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على الجن

ولم تزل بجنة امرهن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع وقرئ ساقيها بالهمز على الجمع في سؤوق واسؤق قال عم حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب انه اي ما توهمته ماء صرح ممرد اي مملس من قوارير من الزجاج قالت حين عاينت تلك المعجزة ايضا رب اني ظلمت نفسي بما كنت عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظني بسليمان حيث ظننت انه يريد اغراقها في اللجة وهو بعيد واسلمت مع سليمان تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى لله رب العالمين من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبيته للعالمين لاظهار معرفتها بالوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس ولقد ارسلنا عطف على قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق له ما قبله من تقرير انه عليه السلام يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا من جملة القرآن الكريم الذي لقيه عم واللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وان في قوله تع ان اعبدوا الله مفسرة لما في الارسال من معنى القول او مصدرية حذف عنها الباء وقرئ بضم النون اتباعا لها للباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال عم للفريق الكافر منهم بعدما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اي بالعقوبة السيئة قبل الحسنة اي التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه لولا تستغفرون الله هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها لعلكم ترحمون بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول قالوا اطيرنا اصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لما انهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تع وقسمته او من عمل العبد اي تشاءمنا بك وبمن معك في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا او لم نزل في اختلاف وافتراق مذ اخترعتم دينكم قال طائركم اي سببكم الذي منه ينالكم ما ينالكم من الشر عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى بل انتم قوم تفتنون اي تختبرون بتعاقب السراء والضراء او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة وهي الحجر تسعة رهط اي اشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورياب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفي وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم يفسدون في الارض لا في المدينة فقط افسادا بحتا لا يخالطه شيء ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالى ولا يصلحون اي لا يفعلون شيئا من الاصلاح او لا يصلحون شيئا من الاشياء قالوا استيناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد اي قال بعضهم لبعض في اثناء المشاورة في امر صالح عم وكان ذلك غب ما انذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام الخ تقاسموا بالله اما امر مقول لقالوا او ماض وقع بدلا منه او حالا من فاعله باضمار قد وقوله تعالى لنبيتنه واهله اي لنباغتن صالحا واهله ليلا ولنقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بياء الغيبة وضم التاء على ان تقاسموا فعل ماض ثم لنقولن لوليه اي لولي صالح وقرئ بالتاء والياء كما قبله ما شهدنا مهلك اهله اي ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم فضلا ان تولينا اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا وانا لصادقون من تمام القول او حال اي نقول ما نقول والحال انا صادقون في ذلك لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا

اي اهلكناهم اهلاكا غير معهود وهم لا يشعرون اي جازيناهم مكرهم من حيث لا يحتسبون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
شروع في بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكر
في انه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى انا دمرناهم اما بدل من عاقبة مكرهم على انه فاعل كان وهي تامة وكيف
حال اي فانظر كيف حصل اي على اي وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما في
عاقبة مكرهم من الابهام اي هي تدميرنا اياهم وقومهم الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت اجمعين
بحيث لم يشذ منهم شاذ واما تعليل لما ينبئ عنه الامر بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة
بحذف الجار اي لانا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم وخبرها كيف كان فلا وجه حينئذ لكون
قوله تعالى انا دمرناهم الخ تعليلا لما ذكر وقرئ انا دمرناهم الخ بالكسر على الاستيناف روي انه كان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر
في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب
وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت
الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في مكانه ونجى صالحا
ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون
الحجارة ولا يرون راميا فتلك بيوتهم جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى خاوية اي خالية او ساقطة متهدمة بما
ظلموا اي بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف
ان في ذلك اي فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم لآية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون اي ما من شأنه ان يعلم من الاشياء
او لقوم يتصفون بالعلم وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه من المؤمنين وكانوا يتقون اي الكفر والمعاصي
اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا في صدر قصة صالح داخل معه في حيز
القسم اي وارسلنا لوطا وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للارسال على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال
وما جرى بينه وبين قومه من الاقوال والاحوال وقيل انتصاب لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل بالعطف
على الذين آمنوا اي وانجينا لوطا وهو بعيد أتأتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح والسماجة وقوله
وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطي القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع
وتبصرون من بصر القلب اي تعلمونها والحال انكم تعلمون علما يقينا بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما
كانوا يعلنون بها أئنكم لتأتون الرجال شهوة تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة
بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرفي التاكيد للايذان بان مضمونها مما لا يصدق وقوعه احد لكمال بعده عن العقول
وايراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي علل بها من دون النساء
متجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بقبحها او تجهلون العاقبة او
الجهل بمعنى السفاهة والمجون اي بل انتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم في حيز الخطاب فما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار
ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه استهزاء وقد مر في سورة الاعراف ان هذا الجواب هو الذي صدر
عنهم في المرة الاخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالامر والنهي لا انه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره فانجيناه واهله
الا امرأته قدرناها اي قدرنا انها من الغابرين اي الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا غير معهود
فساء مطر المنذرين قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب بغيرة قل الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى اثر ما قص الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم قصص الانبياء المذكورين عليهم السلام واخبارهم
الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شانه وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم
وصحة اخبارهم وبين على السنتهم حقية الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وان من اقتدى بهم فقد

اهتدى ومن اعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردى وشرح صدره عليه السلام بما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف
الربانية ونور قلبه بانوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به قوله عز وجل
وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم امره صلى الله عليه وسلم بان يحمده على ما افاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع
وراءها لطامع ولا مطمح من دونها لطامح ويسلم على كافة الانبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه اخبارهم التي هي
جملة المعارف التي اوحيت اليه عليه السلام اداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين وقيل هو امر للوط عليه السلام بان يحمده تعالى على
هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده آلله خير
أم ما يشركون اي الله الذي ذكرت شؤونه العظيمة خير ام ما يشركونه به تعالى من الاصنام ومرجع الترديد
الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان ليس فيما اشركوه
به تعالى شائبة خير ما حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرئ تشركون بالتاء الفوقانية
بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم وجعله
من جملة القول المأمور به يأباه قوله تعالى فانبتنا الخ فانه صريح في ان التبكيت من قبله عز وعلا بالذات وحمله
على انه حكاية منه عليه السلام لما امر به بعبارته كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم تعسف ظاهر من غير
داع اليه وأم في قوله تعالى أم من خلق السموات والأرض منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراءة الاولى
للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه اظهر منه لمزيد التاكيد والتشديد
واما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام كنظائرها الآتية والهمزة لتقرير اي حملهم على الاقرار
بالحق على وجه الاضطرار وافتعالا بما لك احد ممن له ادنى تمييز ولا تقدر على ان لا يعترف بخيرية من خلق جميع
المخلوقات وافاض على كل منها ما يليق به من منافعه من اخس تلك المخلوقات وادناها بل بأن لا خيرية
فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدأ خبره محذوف ومع ام المعادلة للهمزة تعويلا على ما سبق في الاستفهام
الاول خلا ان تشركون ههنا بتاء الخطاب على القراءتين معا وهكذا في المواضع الاربعة الآتية والمعنى
بل امن خلق قطري العالم الجسماني ومبدأ منافع ما بينهما وانزل لكم التفات الى خطاب الكفرة على
القراءة الاولى لتشديد التبكيت والالزام اي انزل لاجلكم ومنفعتكم من السماء ماء اي نوعا منه
هو المطر فانبتنا به حدائق اي بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط ذات بهجة اي ذات حسن ورونق
يبتهج به النظار ما كان لكم اي ما صح وما امكن لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة
ام ما تشركون وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله وتقديم صلتي الانزال على مفعوله لما مر من التشويق
الى المؤخر والالتفات الى التكلم في قوله تعالى فانبتنا لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان بان انبات
تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع ما لها من الحسن
البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييده بقوله تعالى ما كان لكم
الخ سواء كانت صفة لها او حالا وتوحيد وصفها الاول اعني ذات بهجة لما ان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة
على نحو قولهم النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها أإله مع الله اي أإله آخر كائن مع الله الذي ذكر بعض
افعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة وهذا تبكيت لهم بنفي الالوهية عما
يشركونه به تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان احدا
ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انكار الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الالوهية عنه رأسا
لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة الآتية وقيل المراد نفي
ان يكون معه تعالى اله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك النفي فقط كيف لا وهم
لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل باشراكهم به تعالى

في العبادة مما يعترفون به بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية كأنه قيل أإله آخر مع الله الذي ذكر بعض أفعاله
حتى يجعل شريكا له في العبادة وقيل المعنى أغيره يقرن به ويجعل له شريكا في العبادة مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين
فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفي كما في الوجهين السابقين والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى
وما كان معه من اله والاوفق بمقتضى المقام لافادته نفي وجود الاله الآخر معه تعالى رأسا لا نفي معيته في الخلق وفروعه وقرئ
أاله بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ أإلها باضمار فعل يناسب المقام مثل أتدعون او أتشركون
بل هم قوم يعدلون اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكايته لغيرهم اي بل هم قوم عادتهم
العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة في كل امر من الامور فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول
عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد
خال عن الافادة أم من جعل الارض قرارا قيل هو بدل من أم من خلق السموات الخ وكذا ما بعده من الجمل الثلث
وحكم الكل واحد والظاهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبله الى التبكيت بوجه آخر ادخل في الالزام
بجهة من الجهات اي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها
حسبما يدور عليه منافعهم وجعل خلالها اوساطها انهارا جارية ينتفعون بها وجعل لها رواسي اي جبالا
ثوابت تمنعها ان تميد باهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا يحصى
وجعل بين البحرين اي العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا مانعا من الممازجة وقد مر في سورة
الفرقان والجعل في المواقع الثلثة الاخيرة ابداعي وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق أإله مع الله
في الوجود او في ابداع هذه البدائع على ما مر بل اكثرهم لا يعلمون اي شيئا من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان
ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره أم من يجيب المضطر اذا دعاه وهو الذي احوجته شدة من الشدائد والجأته
الى اللجأ والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو المجهود
وعن السدي هو من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر
ويكشف السوء وهو الذي يعتري الانسان مما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض اي خلفاء فيها بان ورثكم سكناها
والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط أإله مع الله الذي يفيض على كافة الانام
هذه النعم الجسام قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التي
اريد بها العدم او ما يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر عنهم ايذان بان مضمونه مركوز في
كل ذكي وغبي وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ تتذكرون على الاصل وتذكرون
ويذكرون ويتذكرون بالتاء والياء مع الادغام أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليالي فيهما على
ان الاضافة للملابسة او في مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا
بين يدي رحمته وهي المطر ولئن صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة
الباردة لانكسار حرها وتموجها للهواء فلا ريب في ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وعلا
والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا أإله مع الله يكون معه اله آخر وقوله تعالى تعالى الله عما يشركون تقرير
وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم اي تعالى وتنزه بذاته المتفردة بالالوهية المستتبعة
لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون
اي عن وجود ما يشركونه به تعالى على الاطلاق فان وجوده مما لا امكان له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا له تعالى او عن
اشراكهم أم من يبدأ الخلق ثم يعيده اي بل أم من يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث ومن يرزقكم من السماء
والارض اي باسباب سماوية وارضية قد رتبها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التي عليها بني امر التكوين خير ام
تشركون في العبادة من جماد لا يتوهم قدرته على شيء ما اصلا أإله مع الله حتى يجعل شريكا له في العبادة وقوله تعالى

آخر موجود

قل هاتوا برهانكم امر له عليه السلام بتبكيتهم اثر تبكيت اي هاتوا برهانا عقليا او نقليا يدل على ان معه
تعالى الها لا على ان غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون
كونه من لوازم الالوهية وان كان منها في الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له
وفي اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم برهانا وانى لهم ذلك ان كنتم صادقين اي في تلك
الدعوى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله بعدما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان
اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقب بذكر ما هو من لوازمه من اختصاصه
بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من امر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة
على استحالة علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كأنه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما
ففيهم من يعلم الغيب او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر
فيهما فان ذلك معنى مجازي عام له تعالى ولاولي العلم من خلقه ومن موصولة او موصوفة وما يشعرون ايان يبعثون
اي متى ينشرون من القبور مع كونه مما لا بد لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان مركبة من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة
والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور عاما لما ذكر لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ما سيأتي من الضمائر الخاصة بهم
قطعا وقيل الكل لمن والاسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم بل ادارك علمهم
في الآخرة لما نفي عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ في تأكيده وتقريره بالاضراب
عنه وبيان انهم في جهل افحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الآخرة مطلقا مع تعاضد اسباب معرفتها على ان
معنى ادارك علمهم في الآخرة تدارك وتتابع علمهم في شأن الآخرة ما ذكر من البعث حال من احوالها حتى انقطع
ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعا لكن لا على معنى انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة
المجاز بتنزيل اسباب العلم ومباديه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم
كلما لاحظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى ما هو اسوأ منه وهو حيرتهم في
ذلك حيث قيل بل هم في شك منها اي في شك مريب من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا فضلا عن
الامور التي ستقع فيها ثم اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم فيه اشد وافظع من الشك حيث قيل بل هم منها عمون
بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادرك علمهم بمعنى انتهى وفني وقد فسره
الحسن البصري باضمحل علمهم وقيل كلا الفعلين على معناهما الظاهر اي تكامل واستحكم وتم اسباب علمهم بان القيامة
كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك وقوله تعالى
بل هم في شك منها اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون اضراب
من وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو اشد منه وافظع من العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك
لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون
وصفهم بالجهل بما بعده من الاضرابات على ما ذكروا واصل ادارك تدارك وبه قرأ ابي فابدلت التاء دالا وسكنت
لتعذر الابتداء بها فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك وقرئ بل ادرك واصله افتعل وقيل ادرك واصله تفعل
وبل أادرك بهمزتين وبل آادرك بالف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك بفتح اللام وتشديد
الدال واصله بل أادرك على الاستفهام وبلى ادرك وبلى أادرك وأم تدارك وأم ادرك فهي ثنتا عشرة قراءة
فما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فهو انكار ونفي وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك
على وجه التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي والانكار وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على ان
شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا بيان لجهلهم بالآخرة و
عمههم منها بحكاية انكارهم البعث ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلته والاشعار بعلة حكمهم الباطل

في قولهم أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون اي لمخرجون من القبور اذا كنا ترابا كما ينبئ عنه مخرجون لا لانه
لان يكون هو العامل في اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الاخراج حينئذ فقط فانهم منكرون
للاحياء بعد الموت مطلقا وان كان التقييد على حاله دليل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية له وقوله
تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتاكيد وتكرير الهمزة في أئنا للمبالغة والتشديد
في الانكار وتحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها
الصدارة كما في قوله تع أفلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما
هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ انا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا اي الاخراج
نحن وآباؤنا من قبل اي من قبل وعد محمد عم وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث اخر
قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التاكيد وقوله تعالى
ان هذا الا اساطير الاولين تقرير اثر تقرير قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين
بسبب تكذيبهم للرسل عليهم السلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الآخر الذي تنكرونه
فان في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولي الابصار وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين في ترك
الجرائم ولا تحزن عليهم لاصرارهم على الكفر والتكذيب ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما يمكرون من مكرهم
فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهو ايضا مصدر ويجوز ان يكون المفتوح مخففا من ضيق
وقد قرئ كذلك اي لا تكن في امر ضيق ويقولون متى هذا الوعد اي العذاب العاجل الموعود ان كنتم
صادقين في اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الاخبار بذلك قل عسى ان يكون
ردف لكم اي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد كالباء في قوله تع ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه بعض الذي تستعجلون وهو عذاب
يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا بان الرمز
من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك يجري وعد الله تعالى ووعيده وآثارهما عليه النظم الكريم على ان يقال عسى
ان يردفكم لكونه ادل على تحقق الوعد وان ربك لذو فضل على الناس اي لذو افضال وانعام على كافة الناس
ومن جملة انعاماته تاخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب ولكن اكثرهم
لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء وان ربك ليعلم
ما تكن صدورهم اي ما تخفيه وقرئ تكن من كننت الشيء اي سترته وما يعلنون من الافعال والاقوال
التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان بان لهم قبائح غير ما يظهرونه وانه تع يجازيهم على الكل و
التعرض للعلن قد مر سره في سورة البقرة عند قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وما من غائبة
في السماء والارض اي من خافية فيهما وهي من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى والتاء
للنقل الى الاسمية الا في كتاب مبين اي بين او مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء العدل
بطريق الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون من جملته ما اختلفوا
في شأن المسيح وتحزبوا فيه احزابا ووقعوا بينهم من العتو والغلو في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم
التناكر في اشياء حتى بلغ المشاقة الى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في
الانصاف وانه لهدى ورحمة للمؤمنين على الاطلاق فيدخل فيهم من آمن من بني اسرائيل دخولا اوليا ان ربك
يقضي بينهم اي بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد حكمه
وقضاؤه العليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما يقضى به والفاء في قوله تعالى فتوكل على الله لترتيب الامر على ما ذكر
من شؤونه عز وجل فانها موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به اي فتوكل على الله الذي هذا شانه فانه موجب على كل احد

الى يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه وقوله تعالى انك على الحق المبين تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه
عم على الحق البين او الفاصل بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل فان كونه عم كذلك مما يوجب الوثوق
بحفظه تع ونصرته وتاييده لا محالة وقوله تع انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للتوكل الذي هو عبارة عن
التبتل الى الله تع وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل اولا بما يوجبه من جهته تعالى اعني
قضائه بالحق وعزته وعلمه تع وثانيا بما يوجبه من جهته عم على احد الوجهين اعني كونه عم على الحق ومن جهته تعالى
على الوجه الآخر اعني اعانته تعالى وتاييده للمحق ثم علل ثالثا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه الاعراض
عن التشبث بما سواه تع فان كونهم كالموتى والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم راسا
وداع الى تخصيص الاعتضاد به تع وهو المعنى بالتوكل عليه تع وانما شبهوا بالموتى لعدم تاثرهم بما يتلى عليهم من القوارع
واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات ولعل المراد تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر
من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر اشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن والعين كما في قوله
تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها والا فبعد تشبيه انفسهم بالموتى
لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمي مزيد مزية ولا تسمع الصم الدعاء اي الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفي بقوله تعالى
اذا ولوا مدبرين لتكميل التشبيه وتاكيد النفي مع صممهم عن الدعاء الى الحق معرضون عن الداعي مولون على ادبارهم
ولا ريب في ان الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ
ولا يسمع الصم الدعاء وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم هداية موصلة الى المطلوب كما في قوله تع انك لا تهدي
من احببت فان الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن
كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في نفي الهداية وقرئ وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع
سماعا يجدي السامع نفعا الا من يؤمن باياتنا اي من من شانهم الايمان بها وايراد الاسماع في النفي والاثبات
دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدي الا من يؤمن لما ان طريق الهداية هو اسماع الآيات التنزيلية فهم
مسلمون تعليل لايمانهم بها كانه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه
لله واذا وقع القول عليهم بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي تستعجلون من بقية ما يستعجلونه من الساعة
ومباديها والمراد بالقول ما نطق من الآيات الكريمة بمجيء الساعة وما فيها من فنون الاهوال التي كانوا يستعجلونها
وبوقوعه دنوه واقترابه كما في قوله تعالى اتى امر الله اي اذا دنا وقرب مصداقه ووقوع مدلوله اخرجنا لهم
دابة من الارض وهي الجساسة وفي التعبير عنها باسم الجنس وتاكيد ابهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة
شانها وخروج اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب
ولا ينجو منها هارب وروي ان لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين
خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين
المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عم وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها خلق الطير وقد روي
عن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام
وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل
من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد
الحرام وروي انها تخرج من الصفا

على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون
وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروي بينا عيسى عم يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض
تحتهم تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام
فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر
بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت
يا فلان من أهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال إن الدابة لتسمع قرع
عصاي هذه وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بئس الشعب شعب جياد مرتين أو ثلثا قيل ولم ذاك
يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله
تع تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون أي تكلمهم بأنهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة
ومباديها أو بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات وقيل بآياته التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة والأول هو الحق
كما ستحيط به علما وقرئ بأن الناس بالباء وإضافة الآيات إلى نون العظمة لأنها حكاية منه تع لمعنى قولها لا لعين عبارتها
وقيل لأنها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى وأثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا
وإنما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف أي بآيات ربنا ووصفهم بعدم الإيقان بها مع أنهم كانوا جاحدين
للإيذان بأنهم كان من حقهم أن يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ إن الناس بالكسر على إضمار
القول أو إجراء الكلام مجراه والكلام في الإضافة كالذي سبق وقيل هو استئناف مسوق من جهته تع لتعليل خروجها
أو تكلمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فإنه صريح في كونه حكاية لعدم إيقانهم السابق في الدنيا والمراد
بالناس إما الكفرة على الإطلاق أو مشركو مكة وقد روي عن وهب أنها تخبر كل من تراه أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن
لا يوقنون وقرئ تكلمهم من الكلم الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة
أيضا منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده ويوم نحشر من كل أمة فوجا بيان إجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة
بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بهذا الحشر هو الحشر
للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع
فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا أي واذكر لهم وقت حشرنا أي جمعنا من كل أمة من أمم الأنبياء عليهم
السلام أو من أهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لأن كل أمة منقسمة إلى مصدق ومكذب
وقوله تع ممن يكذب بآياتنا بيان للفوج أي فوجا مكذبين بها فهم يوزعون أي يحبسون أولهم على آخرهم
حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد أطرافهم
ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وهكذا
يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار حتى إذا جاؤوا إلى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب
قال أي الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب والالتفات لتربية المهابة أكذبتم بآياتي الناطقة بلقاء يومكم هذا
وقوله تع ولم تحيطوا بها علما جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للإنكار والتوبيخ
أي أكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يؤدي إلى العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص في أن
المراد بالآيات فيما سلف في الموضعين هي الآيات القرآنية لأنها هي المنطوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التي
لم يحيطوا بها علما مع وجوب أن يتأملوا فيها لا نفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتم أي أجمعتم بين التكذيب
وعدم التدبر فيها أم ماذا كنتم تعملون أي أي شيء كنتم تعملون بها أو أم أي شيء كنتم تعملون غير ذلك بمعنى أنه لم يكن
لكم عمل غير ذلك كأنهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعاصي مع أنهم ما خلقوا إلا للإيمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا
ثم يكبون في النار وذلك قوله تعالى ووقع القول عليهم أي حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله

ونزوله بما ظلموا بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم بآيات الله فهم لا ينطقون لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم
بشغل شاغل من العذاب الأليم ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه الرؤية قلبية لا بصرية لأن نفس الليل
والنهار وإن كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات أي ألم يعلموا أنا جعلنا الليل بما فيه من الإظلام
ليستريحوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا أي ليبصروا بما فيه من الإضاءة طرق التقلب في أمور المعاش
فبولغ فيه حيث جعل الإبصار الذي هو حال الناس حالا له ووصفا من أوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك
عنها ولم يسلك في الليل هذا المسلك لما أن تأثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار في الإبصار
إن في ذلك أي في جعلهما كما وصفا وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإشعار ببعد درجته في الفضل لآيات أي
عظيمة كثيرة لقوم يؤمنون دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وأن من تأمل
في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة تحار في فهمها العقول ولا يحيط بها إلا الله عز
وجل وشاهد في الآفاق تبدل الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحيوة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو أخو
الموت بالانتباه الذي هو مثل الحيوة قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور قضاء متقنا وجزم
بأنه تعالى قد جعل هذا أنموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وأن الآيات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار
برهانا عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى ويوم ينفخ في الصور إما معطوف على يوم نحشر منصوب
بناصبه أو بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عم عن أبي هريرة رض أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لما فرغ الله تع من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره
إلى العرش حتى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذي نفسي بيده إن عظم دارة
فيه كعرض السموات والأرض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحيوة أحد غير من شاء الله تع وذلك قوله
تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها
ميت إلا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون والذي يستدعيه سياق النظم
الكريم وسباقه أن المراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية وبالفزع في قوله تع ففزع من في السموات ومن في الأرض
ما يعتري الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الأمور الهائلة الخارقة للعادات في الأنفس والآفاق من الرعب
والتهيب الضروري الجبلي وإيراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه مضارعا للدلالة على تحقق
وقوعه إثر النفخ ولعل تأخير بيان الأحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين
من كل أمة لتثنية التهويل بتكرير التذكير إيذانا بأن كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير
على حيالها ولو روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل داهية واحدة قد أمر بذكرها كما مر في قصة البقرة
إلا من شاء الله أي أن لا يفزع بأن يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور
والخزنة وحملة العرش وكل أي كل واحد من المبعوثين عند النفخة أتوه حضروا الموقف بين يدي رب العزة
جل جلاله للسؤال والجواب والمناقشة والحساب وقرئ أتاه باعتبار لفظ الكل كما أن القراءة الأولى باعتبار
معناه وقرئ آتوه أي حاضروه داخرين أي صاغرين وقرئ دخرين وقوله تعالى وترى الجبال عطف على ينفخ داخل
في حكم التذكير وقوله عز وجل تحسبها جامدة أي ثابتة في أماكنها إما بدل منه أو حال من ضمير ترى أو من مفعوله
وقوله تعالى وهي تمر مر السحاب حال من ضمير الجبال في تحسبها أو في جامدة أي تراها رأي العين ساكنة والحال أنها
تمر في الجو مر السحاب التي تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك أن الأجرام العظام إذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها
من قال بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد أدمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال
السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا أيضا مما يقع بعد النفخة
الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الأرض غير الأرض ويغير هيئتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة

فيشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية وقد قالوا في تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضي في المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل ان المراد هي النفخة الاولى والفزع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في قوله فصعق من في السموات ومن في الارض الخ فيختص اثرها بمن كان حيا عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الامم وجوز ان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في ان ذلك مما ينبغي ان ينزه ساحة التنزيل عن امثاله وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التي تكون قبل نفخة الصعق وهي التي اريدت بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة في البحر او كالقنديل المعلق ترجحه الارواح فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه وما هو نص في الباب ما سيأتي من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون صنع الله مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي صنع الله ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شان تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق اخلال نظام العالم وافساد احوال الكائنات بالكلية من غير ان يدعو اليها داعية او يكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادي الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى الذي اتقن كل شيء اي احكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى انه خبير بما تفعلون تعليل لكون ما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسوء وترتيب اجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا بمشاهدة ذلك ان وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما اشير اليه باحاطة علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها اي من جاء منكم او من اولئك الذين اتوه بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة وهم اي الذين جاؤا بالحسنة من فزع اي عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رضي حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يومئذ اي يوم اذ ينفخ في الصور آمنون لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذي يعتري كل من في السموات ومن في الارض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والاهوال ولا يكاد يخلو منه احد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار وبدونه كما في قوله تعالى افأمنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور في القراءة الاولى لا جميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها كان ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه ومن جاء بالسيئة قيل هو الشرك فكبت وجوههم في النار اي كبوا فيها على وجوههم منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات للتشديد او على اضمار القول اي مقولا لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها امر عليه السلام بان يقول لهم ذلك بعدما بين لهم احوال المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة تنبيها لهم على انه قد اتم امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له عليه السلام بعد ذلك شان سوى الاشتغال بعبادة الله عز وجل والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا صلحوا او فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور

انفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه عليه السلام بامر دعوتهم انه عم يظهر لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك احوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شانها او لاجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشريفا لها بعد تشريف وتعظيم اثر تعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا ترى انهم مع كونها محرمة من ان تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي افجر افراد الفجور واشنع آحاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله انى يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى وله كل شيء اي خلقا وملكا وتصرفا من غير ان يشاركه شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات وامرت ان اكون من المسلمين اي اثبت على ما كنت عليه من كوني من جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد اي الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وان اتلو القرآن اي اواظب على تلاوته لينكشف لي حقائقه الرائعة المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا او على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته في الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى فمعنى قوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه حينئذ فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياي فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الي ومن ضل بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه او بمخالفتي فيما ذكر فقل في حقه انما انا من المنذرين وقد خرجت عن عهدة الانذار فليس علي من وبال ضلاله شيء وانما هو عليه فقط وقل الحمد لله اي على ما افاض علي من نعمائه التي اجلها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقني لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى سيريكم آياته من جملة الكلام المامور به اي سيريكم البتة في الدنيا آياته الباهرة التي نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الاشراط وقد عد منها وقعة بدر وياباه قوله تعالى فتعرفونها اي فتعرفون انها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة لانهم لا يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم في الآخرة وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص الخطاب اولا به عليه السلام وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا اي وما ربك بغافل عما تعمل انت من الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن اعمالهم فيعذبهم البتة فلا يحسبوا ان تاخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله تعالى اعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب عليهم السلام ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية ثمان وثمانون آيات

طسم تلك آيات الكتاب المبين قد مر ما يتعلق بمثل الكلام بالاجمال والتفصيل في اشباهه نتلوا عليك اي نقرأ بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز ان يكون التلاوة مجازا من التنزيل من نبأ موسى وفرعون مفعول نتلو اي بعض نبأهما بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلوا ومن مفعوله او صفة لمصدره اي نتلو عليك بعض نبأهما ملتبسين او ملتبسا بالحق او تلاوة ملتبسة بالحق لقوم يؤمنون متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استئناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التاكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده اي انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم

والعدوان وجعل أهلها شيعا أي فرقا يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو أصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الأعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم يستضعف طائفة منهم وهم بنو إسرائيل والجملة إما حال من فاعل جعل أو صفة لشيعا أو استئناف وقوله تعالى يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لما أن كاهنا قال له يولد في بني إسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك إلا لغاية حمقه إذ لو صدق فما فائدة القتل وإن كذب فما وجهه إنه كان من المفسدين أي الراسخين في الإفساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من أولاد الأنبياء عليهم السلام ونريد أن نمن أي نتفضل على الذين استضعفوا في الأرض على الوجه المذكور بإنجائهم من بأسه وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على إن فرعون علا إلخ لتناسبهما في الوقوع في حيز التفسير للنبأ أو حال من يستضعف بتقدير المبتدأ أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الإرادة للاستضعاف مقارنة المراد له لما أن تعلق الإرادة بالمن تعلق استقبالي على أن منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جاز إجراؤها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لإبانة قدر النعمة في المنة بذكر حالهم السابقة المباينة لها ونجعلهم أئمة يقتدى بهم في أمور الدين بعد أن كانوا أتباعا مسخرين لآخرين ونجعلهم الوارثين لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم أئمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الإمامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه أعني قوله تعالى ونمكن لهم في الأرض أي نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيها كيفما يشاؤون وأصل التمكين أن يجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم أي من أولئك المستضعفين ما كانوا يحذرون ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية وأوحينا إلى أم موسى بإلهام أو رؤيا أن أرضعيه ما أمكنك إخفاؤه فإذا خفت عليه بأن يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه فألقيه في اليم في البحر وهو النيل ولا تخافي عليه ضيعة بالغرق ولا شدة ولا تحزني لفراقه إنا رادوه إليك عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل النهي عن الخوف والحزن وإيثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها أي إنا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة روي أن بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني إسرائيل كانت مصافية لأم موسى عليه السلام فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها ثم قالت ما جئتك إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون ولكني وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لأحد فاحتفظي به فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فألقته في تنور مسجور ولم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحى الله تعالى إليها ما أوحى وقد روي أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله والفاء في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما مر من الأمر بالإلقاء وقد حذفت تعويلا على دلالة الحال وإيذانا بكمال سرعة الامتثال أي فألقته في اليم بعدما جعلته في تابوت حسبما أمرت به فالتقطه آل فرعون أي أخذوه أخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس إليه وكان بها برص شديد عجزت الأطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ إلا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الإنس يوم كذا وساعة من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بني إسرائيل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلي وأقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فإذا بتابوت في النيل تضربه

الأمواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ائتوني به فابتدروا بالسفن فأحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فأعياهم فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فإذا هو بصبي صغير في مهده وإذا نور بين عينيه وهو يمص إبهامه لبنا فألقى الله تعالى محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون إلى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعته وقيل لما نظرت إلى وجهه برأت فقالت الغواة من قوم فرعون إنا نظن أن هذا هو الذي نحذر منه رمي في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتي واللام في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا لام العاقبة أبرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له في الترتب عليه بالغرض الحامل وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه السلام نفس الحزن إيذانا بقوة سببيته لحزنهم إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين أي في كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو في أن قتلوا الأجلاء ألوفا ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روي أنه ذبح في طلبه عليه السلام تسعون ألف وليد أو كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم على أيديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على أنه بمعنى متعدين الصواب إلى الخطأ وقالت امرأة فرعون أي لفرعون حين أخرجته من التابوت قرة عين لي ولك أي هو قرة عين لنا لما أنهما لما رأياه أحباه أو لما ذكر من برء بنته من البرص بريقه وفي الحديث أنه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريد عسى أن ينفعنا فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النجابة وذلك لما رأت فيه من العلامات المذكورة أو نتخذه ولدا أي نتبناه فإنه خليق بذلك وهم لا يشعرون حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأته له كيت وكيت وهم لا يشعرون بأنهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني له وقوله إن فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطئهم وقيل حال من أحد ضميري نتخذه على أن الضمير للناس أي وهم لا يعلمون أنه لغيرنا وقد تبنيناه وأصبح فؤاد أم موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى وأفئدتهم هواء أي خلاء لا عقول فيها ويعضده أنه قرئ فزعا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه وقرئ مؤسى بالهمز إجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها فهمزت كما في وجوه إن كادت لتبدي به أي إنها كادت لتظهر بموسى أي بأمره وقصته من فرط الحيرة والدهشة أو الفرح لتبنيه لولا أن ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين أي من المصدقين بوعد الله تعالى أو من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه وقالت لأخته مريم قصيه أي اتبعي أثره وتتبعي خبره دون أن يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالأمر فبصرت به عن جنب أي عن بعد وقرئ عن جنب بسكون النون وعن جانب وهم لا يشعرون أنها تقصه وتتعرف حاله أو أنها أخته وحرمنا عليه المراضع أي منعناه أن يرتضع من المرضعات جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع أو مرضع وهو الرضاع أو موضعه أعني الثدي من قبل أي من قبل قصها أثره فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم أي لأجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في إرضاعه وتربيته روي أن هامان لما سمعها قال إنها لتعرفه وأهله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأتت بأمها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فدفعه إليها فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فقرره في يدها فرجعت به إلى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى فرددناه إلى أمه كي تقر عينها بوصول ولدها إليها ولا تحزن بفراقه ولتعلم أن وعد الله حق أي جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين حق لا خلف فيه ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الأمر كذلك فيدل على أن الغرض الأصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون

بلغ اشده اي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي
الا على راس الاربعين واستوى اي اعتدل قده او عقله آتيناه حكما اي نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء
وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل فعلا يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه تعالى استنباه بعد الهجرة
في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة اي مصر
من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتادون دخولها
ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته
اي ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه اي من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه
الذي من شيعته اي سأله ان يغيثه بالاعانة كما ينبئ عنه تعديته بعلى وقرئ استعانه على الذي من عدوه
فوكزه موسى اي ضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى
حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يكن مامورا بقتل الكفار
او لانه كان مامونا فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان
وسماه ظلما واستغفر عنه جريا على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر انه عدو
مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال قال توسيطه بين كلاميه عم لابانة ما بينهما من المخالفة من حيث انه
دعاء بخلاف الاول رب اني ظلمت نفسي اي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له ذلك انه هو الغفور الرحيم اي
المبالغ في مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم قال رب بما انعمت علي اما قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي
بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد هذا ابدا ظهيرا للمجرمين واما استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون
معينا لمن تؤدي معاونته الى الجرم وعن ابن عباس رض انه عليه السلام لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وهذا يؤيد الاول وقيل
معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب
يترصد الاستقادة او الاخبار فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اي يستغيثه برفع الصوت من الصراخ
قال له موسى انك لغوي مبين اي بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد موسى ان يبطش بالذي
هو عدو لهما اي لموسى والاسرائيلي اذ لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء لبني اسرائيل على الاطلاق وقرئ
يبطش بضم الطاء قال اي الاسرائيلي ظانا انه عليه السلام يبطش به حسبما يوهمه تسميته اياه غويا يا موسى اتريد
ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قالوا لما سمع القبطي قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني
فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك وامر فرعون بقتل موسى عم وقيل قاله القبطي ان تريد اي ما تريد الا ان تكون
جبارا في الارض وهو الذي يفعل كلما يريده من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم الذي لا يتواضع
لامر الله تعالى وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس بالقول والفعل وجاء رجل من اقصى المدينة اي
كائن من آخرها او جاء من آخرها يسعى اي يسرع صفة لرجل او حال منه على ان الجار والمجرور صفة له لا صلة لجاء
فان تخصصه يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان قال يا موسى ان
الملأ يأتمرون بك ليقتلوك اي يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج اي من المدينة
اني لك من الناصحين اللام للبيان لان معمول الصلة لا يتقدمها فخرج منها اي من المدينة خائفا يترقب لحوق الطالبين
قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين اي نحو مدين وهي قرية
شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابرهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية
ايام قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق
فعن له ثلث طرائق فاخذ في الوسطى وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخرين وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق
الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين

اي وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها ووجد عليه اي فوق شفيرها امة جماعة كثيفة من الناس
يسقون اي مواشيهم ووجد من دونهم في موضع اسفل منهم امرأتين تذودان اي تمنعان ما معهما من
الاغنام عن التقدم الى البئر كيلا تختلط باغنامهم مع عدم الفائدة في التقدم قال عليه السلام لما راهما
على ما هما عليه من التاخر والذود ما خطبكما ما شانكما فيما انتما عليه من التاخر والذود ولم لا تباشران السقي
كداب هؤلاء قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء اي عادتنا ان لا نسقي حتى يصرف الرعاة مواشيهم بعد ريها
عن الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا انا لا نسقي اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقي
والذود والاصدار لما ان الغرض هو بيان تلك الافعال انفسها اذ هي التي دعت موسى عم الى ما صنع في حقهما من
المعروف فانه عم انما رحمهما لكونهما على الذياد العجز والعفة وكونهم على السقي غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما
غنما ومسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقي من الاسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال
اما الرعاء فجمع قياسي كصيام وقيام وقوله تع وابونا شيخ كبير ابلاء منهما للعذر اليه عم في توليهما للسقي بانفسهما
كانهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا
شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد من تاخير السقي الى ان يقضي الناس اوطارهم من الماء فسقى لهما رحمة عليهما
والمقادم في حذف مفعوله كما مر انفا روي ان الرعاة كانوا يضعون على راس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال
وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع ولعله عم زاحمهم
في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عم عن ذلك فان الظاهر انه عم غب ما شاهد حالهما سارع الى السقي لهما وقد روي
انه دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما وقيل كانت هناك بئر اخرى عليها الصخرة المذكورة وروي انه عم سالهم دلوا من ماء
فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما
واصدرهما ثم تولى الى الظل الذي كان هناك فقال رب اني لما انزلت الي اي اي شيء انزلته الي من خير جل او قل
وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة المقام فقير اي محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جيء باللام الدعامة لتقوية
العمل وقيل المعنى اني لما انزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون
قاله عليه السلام اظهارا للتبجح والشكر على ذلك فجاءته احديهما قيل كبراهما واسمها صفوراء وقيل
[illegible] تمشي على استحياء [illegible]
[illegible]
[illegible] قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فلما جاءه وقص عليه القصص [illegible]
[illegible] قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم لا سيما في دار نبي من أنبياء الله تعالى عليهم السلام وقيل ليس بمستنكر
عم أن يقبل الأجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روي عن عطاء بن السائب أنه عم رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك
قيل له ليجزيك الخ ولعله عم إنما فعله ليكون ذريعة إلى استدعاء لا إلى استيفاء الأجر قالت إحداهما وهي التي
استدعته إلى أبيها وهي التي زوجها من موسى عليهما السلام يا أبت استأجره أي لرعي الغنم والقيام بأمرها إن خير
من استأجرت القوي الأمين تعليل جار مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار وللمبالغة في ذلك جعل خيرا اسما
لأن وذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على أنه أمين مجرب روي أن شعيبا عم قال لها وما أعلمك بقوته وأمانته
فذكرت ما شاهدت منه عم من إقلال الحجر ونزع الدلو وأنه صوب رأسه حتى بلغته رسالته عم وأمرها بالمشي خلفه
قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني أي تكون أجيرا لي أو تثيبني من أجرته كذا إذا أثبته
إياه فقوله تعالى ثماني حجج على الأول ظرف وعلى الثاني مفعول به على تقدير مضاف أي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد أنه
يقال أجرت داري ومملوكي غير ممدود وآجرت ممدودا والأول أكثر فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفا والمعنى على
أن تأجرني نفسك وقوله تعالى ثماني حجج ظرف كالوجه الأول فإن أتممت عشرا في الخدمة والعمل فمن عندك أي فهو
من عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الإلزام عليك وهذا من شعيب عرض لرأيه على موسى عم واستدعاء منه
للعقد لا إنشاء وتحقيق له بالفعل وما أريد أن أشق عليك بإلزام إتمام العشر أو المناقشة في مراعاة الأوقات
واستيفاء الأعمال واشتقاق المشقة من الشق فإن ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في إطاقته ويوزع
رأيك في مزاولته ستجدني إن شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده
عم بالاستثناء التبرك به وتفويض أمره إلى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى قال ذلك بيني وبينك
مبتدأ وخبر أي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا
لا أنا عما شرطت علي ولا أنت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى أيما الأجلين أي أكثرهما أو أقصرهما قضيت
أي وفيتك بأداء الخدمة فيه فلا عدوان علي تصريح بالمراد وتقرير لأمر الخيرة أي لا عدوان علي بطلب الزيادة
على ما قضيته من الأجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الأجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان في أكثرهما
رأسا للقصد إلى التسوية بينهما في الانتفاء أي كما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان
أو أيما الأجلين قضيت فلا إثم علي يعني كما لا إثم علي في قضاء الأكثر لا إثم علي في قضاء الأقصر فقط وقرئ
أي الأجلين ما قضيت فما مزيدة لتأكيد القضاء كما أنها في القراءة الأولى مزيدة لتأكيد إبهام أي وشياعها
وقرئ أيما بسكون الياء كقول من قال تنظرت نصرا والسماكين أيهما علي من الغيث استهلت مواطره والله على
ما نقول وكيل من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد حفيظ فلا سبيل لأحدنا إلى الخروج عنه أصلا وليس ما
حكي عنهما عم تمام ما جرى بينهما من الكلام في إنشاء عقد النكاح وعقد الإجارة وإيقاعهما بل هو بيان لما عزما
عليه واتفقا على إيقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة إجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك
الشريعة تفصيلا روي أنهما لما أتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي
وكانت عنده عصي الأنبياء عليهم السلام فأخذ عصا هبط بها آدم عليه السلام من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها
حتى وقعت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأنا وقيل
أخذها جبريل عم بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل أودعها شعيبا ملك في
صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة
فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها
ورفعها موسى عم وعن الحسن رضي الله عنه ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة
التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب صلوات الله عليهما إذا بلغت مفرق الطريق

فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين
ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته
وعادت إلى جنب موسى عم دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى
شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى عليه السلام بالشأن ففرح وعلم أن لموسى والعصا
شأنا وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحي إليه في المنام أن اضرب بعصاك
مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه فلما
قضى موسى الأجل فيهما أي متمما للعقدين ويا شر موسى ما التزمه فلما تم الأجل وسار بأهله نحو مصر
بإذن من شعيب عليهما السلام روي أنه قضى أبعد الأجلين ومكث بعد ذلك عنده عشر سنين ثم عزم على العود إلى
مصر فاستأذنه في ذلك فأذن له فخرج بأهله آنس من جانب الطور نارا أي أبصر من الجهة التي تلي الطور نارا قال لأهله
امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أي بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه أو جذوة أي عود غليظ سواء كانت
في رأسه نار أو لا قال ... من النار وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات لعلكم تصطلون
أي تستدفئون فلما أتاها أي النار التي آنسها نودي من شاطئ الوادي الأيمن أي أتاه النداء من الشاطئ الأيمن
بالنسبة إلى موسى عم في البقعة المباركة متصل بالشاطئ أو صلة لنودي من الشجرة بدل اشتمال من شاطئ لأنها
كانت نابتة على الشاطئ أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين وهذا وإن خالف لفظا لما في طه والنمل
لكنه موافق له في المعنى المراد وأن ألق عصاك عطف على أن يا موسى وكلاهما مفسر لنودي والفاء في قوله
تعالى فلما رآها تهتز فصيحة مفضية عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها وإشعارا بغاية سرعة مدلولاتها
أي فألقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رآها تهتز كأنها جان أي في سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها ولى
مدبرا أي منهزما من الخوف ولم يعقب أي لم يرجع يا موسى أي قيل يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين
عن المخاوف فإنه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك أي أدخلها فيه تخرج بيضاء من غير سوء
أي عيب واضمم إليك جناحك أي يديك المبسوطتين لتتقي بهما الحية كالخائف الفزع بإدخال اليمنى تحت العضد
الأيسر واليسرى تحت الأيمن أو بإدخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر هو أن يكون ذلك في وجه العدو إظهار
جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال
الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه من الرهب أي من أجل الرهب أي إذا عراك
الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما وكلها لغات فذانك إشارة
إلى العصا واليد وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان وبرهان
فعلان لقولهم أبره إذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل إذا ابيض ويقال للمرأة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية
الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت لإنارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن ومن في قوله تعالى من ربك متعلقة بمحذوف
هو صفة لبرهانان أي كائنان منه تعالى إلى فرعون وملئه واصلان ومنتهيان إليهم إنهم كانوا قوما فاسقين خارجين
عن حدود الظلم والعدوان فكانوا أحقاء بأن نرسلك إليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين قال رب إني قتلت منهم
نفسا فأخاف أن يقتلون بمقابلتها وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا أي معينا وهو
في الأصل اسم ما يعان به كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة
إني أخاف أن يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند
إليه إسناد الفعل إلى السبب وقرئ يصدقني بالجزم على أنه جواب الأمر قال سنشد عضدك بأخيك أي سنقويك به
فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الأمور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا

اي تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذاك فلا يصلون اليكما باستيلاء او محاجة بآياتنا متعلق بمحذوف قد صرح به
في مواضع أخر اي اذهبا بآياتنا او بنجعل اي نسلطكما بآياتنا او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم جوابه
لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون في قوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما يبينه او صلة له
على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات اي واضحات الدلالة على صحة رسالته وموسى
عليه السلام منه تع والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان اظهرهما موسى عم اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره
في سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى اي سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله تع او سحر موصوف
بالافتراء كسائر اصناف السحر وما سمعنا بهذا اي السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين اي واقعا في ايامهم وقال
موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يريد به نفسه وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه العطف
ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار اي العاقبة المحمودة
في الدار وهي الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات
منها الثواب واما العقاب فمن نتائج اعمال العصاة وسيئات الغواة وقرئ يكون بالياء التحتانية انه لا يفلح
الظالمون اي لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم
من اله غيري قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان من امرهم ما كان فاوقد لي
يا هامان على الطين اي اصنع آجرا فاجعل لي منه صرحا اي قصرا رفيعا لعلي اطلع الى اله موسى كانه
توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له
رصدا يترصد اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولته وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم
كما في قوله تع قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية
فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ
الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا
في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض ارض مصر بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون
بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو انسب بالمقام فاخذناه
وجنوده عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات فنبذناهم في اليم كما مر تفصيله وفيه من تفخيم شان الاخذ
وتهويله واستحقار المأخوذين المنبوذين ما لا يخفى كانه تعالى اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره قوله تع وما
قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
وبينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم اي صيرناهم في عهدهم ائمة يدعون الناس الى النار الى ما يؤدي اليها من الكفر
والمعاصي اي قدوة يقتدي بهم اهل الضلال لما صرفوا اختيارهم الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم ائمة دعاة الى النار
كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والانسب حينئذ ان يكون الجعل بعدهم فيما بين الامم وتكون
الدعوة الى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم
بوجه من الوجوه واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لا يزال يلعنهم
الملائكة عليهم السلام والمؤمنون خلفا عن سلف ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين المبعدين وقيل من
الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه قال ابن عباس رضي الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله
قبيحا وقال ابو عبيدة من المهلكين ويوم القيمة اما متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي
او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل وقبحوا يوم القيمة نحو لعملكم من القالين ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة من بعد
ما اهلكنا القرون الاولى هم اقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون ايتائها بعد اهلاكهم
للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسول

الله صلى الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها واحكامها
المؤديين الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور
وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة للاعتبار كانه قيل ولقد آتينا موسى التوراة
على حين حاجة الى ايتائها بصائر للناس اي انوارا لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا
عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر وهدى اي
هداية الى الشرائع والاحكام التي هي سبل الله تع ورحمة حيث ينال من عمل به رحمة الله تع وانتصاب الكل على الحال
من الكتاب على انه نفس البصائر والهدى والرحمة او على حذف المضاف اي ذا بصائر الخ وقيل على العلة اي آتيناه الكتاب
للبصائر والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد مر تحقيق القول في ذلك عند قوله تع
لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تع وما كنت بجانب الغربي شروع في بيان ان انزال القرآن الكريم ايضا واقع
في زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله عز
وجل ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين
انه بوحي من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تع وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الآية اي وما
كنت بجانب الجبل الغربي او المكان الغربي الذي وقع فيه الميقات على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه
او الجانب الغربي على اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع اذ قضينا الى موسى الامر اي عهدنا اليه واحكمنا امر
نبوته بالوحي وايتاء التوراة وما كنت من الشاهدين اي من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون المختارون للميقات
حتى تشاهد ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبه التوراة له في الالواح فتخبره للناس ولكنا انشأنا قرونا
اي ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة فتطاول عليهم العمر وتمادى الامد فتغيرت الشرائع
والاحكام وعميت عليهم الانباء لا سيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فاوحينا اليك فحذف المستدرك
اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه وقوله تعالى وما كنت ثاويا في اهل مدين نفي لاحتمال كون معرفته عم
للقصة بالسماع ممن شاهدها اي وما كنت مقيما في اهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تع تتلو
عليهم اي تقرأ على اهل مدين بطريق التعلم منهم آياتنا الناطقة بالقصة اما حال من المستكن في ثاويا او خبر
ثان لكنت ولكنا كنا مرسلين اياك وموحين اليك تلك الآيات ونظائرها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا
اي وقت ندائنا موسى اني انا الله رب العالمين واستنبائنا اياه وارسالنا له الى فرعون ولكن رحمة من ربك ولكن
ارسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس
بذاك كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلة الرحمة وتشريفه عم بالاضافة وقد اكتفي عن ذكر المستدرك
هنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفى في الاول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا
على ما هو المقصود واشعارا بانه المراد فيهما ايضا ولله در التنزيل وقوله تعالى لتنذر قوما متعلق بالفعل المعلل
بالرحمة نحو ما ذكرنا ما ارسلناك بالقرآن حتما لما ان المعلل لا تعلق له ما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على انه
خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ما اتاهم من نذير من قبلك صفة لقوما اي لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك
وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل بناء على ان دعوة موسى وعيسى عليهما السلام مختصة
ببني اسرائيل لعلهم يتذكرون اي يتعظون بانذارك وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الامر والثواء في اهل
مدين والتلاوة والنداء للتنبيه على ان كلا من ذلك برهان مستقل على ان حكايته عم للقصة بطريق الوحي الالهي
ولو ذكر اولا نفي ثوائه عم في اهل مدين ثم نفي حضوره عند النداء ثم نفي حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق
للترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل دليل واحد كما مر في قصة البقرة ولولا ان تصيبهم مصيبة
بما قدمت ايديهم اي بما اقترفوا من الكفر والمعاصي فيقولوا عطف على تصيبهم داخل في حيز

لولا الامتناعية على ان مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما ذكر في حيزها للايذان
بانه السبب الملجئ لهم الى قولهم ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي هلا ارسلت الينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات
فنتبع آياتك الظاهرة على يديه وهو جواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال
عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها ما ارسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد
عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية فلما جاءهم اي اهل مكة الحق من عندنا وهو القرآن المنزل عليه عم قالوا
واقترحا لولا اوتي يعنونه عم مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واليد والعصا فلا تعلق لهما بالمقام كسائر
معجزاته عم وقوله تع اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم
الى الحق اي الم يكفروا من قبل هذا القول بما اوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تع قالوا استئناف مسوق
لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تع سحران خبر لمبتدأ محذوف اي يعنون ما اوتي محمد
وما اوتي موسى عليهما السلام سحران تظاهرا اي تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك انهم بعثوا رهطا منهم
الى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عم فقالوا انا نجده في التورية بنعته وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم
بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تع وقالوا انا بكل اي بكل واحد من الكتابين كافرون تصريح بكفرهم بهما
وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا
يعنون موسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك ما قيل
وقيل الا ترى الى قوله تع قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما اوتيا من التورية والقرآن وسميتموهما
سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تع اتبعه جواب للامر اي ان تأتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي به من يدل
بوضوح حجته وسنوح محجته لان الاتيان بما هو اهدى من الكتابين امر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام
للتبكيت والالزام ان كنتم صادقين اي في انهما سحران مختلقان وفي ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم فان
لم يستجيبوا لك اي فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب اهدى منهما كقوله تع فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة
ايذانا بانه عم على كمال امن من امره كان امره عم لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى
الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام فيحذف الدعاء عند ذكره غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله دعاءه فاعلم انما يتبعون
اهواءهم الزائغة من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلا اذ لو كان لهم ذلك لأتوا به ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام
انكاري للنفي اي لا اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اي هو اضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفي الاضل لا لنفي
المساوي كما مر في نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تع لزيادة التقرير والاشباع في التشنيع والتضليل
والا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع
الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرئ بالتخفيف اي انزلنا القرآن عليهم متواصلا
بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة او متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون
فيؤمنون بما فيه الذين آتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل ايتاء القرآن هم به يؤمنون وهم مؤمنوا اهل الكتاب
وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام واذا يتلى اي القرآن عليهم
قالوا آمنا به انه الحق من ربنا اي الحق الذي كنا نعرف حقيته وهو استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم وقوله تع انا كنا من قبله
مسلمين بيان لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وانهم على دين الاسلام
قبل نزول القرآن اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم
بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل
دينهم ومن المشركين ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عم اتبع السيئة الحسنة
تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو من الآخرين اعرضوا عنه تكرما كقوله تعالى واذا

مروا باللغو مروا كراما وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم بطريق المتاركة والتوديع لا نبتغي
الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم انك لا تهدي هداية موصلة الى البغية لا محالة من احببت من الناس
ولا تقدر على ان تدخله في الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود ولكن الله يهدي
من يشاء ان يهديه فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه
لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت
انك لصادق ولكني اكره ان يقال خرع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة بعدي لقلتها ولأقررت بها
عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف
وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف حيث اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا
من ارضنا فرد عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اي الم نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرما ذا امن لحرمة البيت الحرام
الذي تتناحر العرب حوله وهم آمنون يجبى اليه وقرئ تجبى اي يجمع ويحمل اليه ثمرات كل شيء من كل اوب والجملة صفة
اخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة رزقا من لدنا فاذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة اصنام
فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون اي جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون
ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تع من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله تع اذ لو علموا لما
خافوا غيره وانتصاب رزقا على انه مصدر مؤكد لمعنى يجبى او حال من الثمرات على انه بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة
ثم بين ان الامر بالعكس وانهم احقاء بان يخافوا بأس الله تع بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكثيرا
من اهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء في الامن وخفض العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم
خاوية بما ظلموا لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم الا قليلا اي الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم
او لم يبق من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر
ذات ايديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه
او بجعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت وما كان ربك مهلك القرى بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى
المذكورة اي وما صح وما استقام بل استحال في سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمه الماضي وقضائه السابق
ان يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته ان لا يهلكها حتى يبعث في امها اي في اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابع
لكون اهلها افطن وانبل رسولا يتلو عليهم آياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام
الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وفي الالتفات الى نون العظمة من تربية المهابة وادخال
الروعة وقوله تعالى وما كنا مهلكي القرى عطف على ما كان ربك وقوله تع الا واهلها ظالمون استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اي وما كنا مهلكين لاهل القرى بعدما بعثنا في امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه في حال من الاحوال الا حال
كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر باياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك بموجب السنة الالهية لا لعدم
وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه في سورة بني اسرائيل وما اوتيتم من شيء من امور
الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي فهو شيء شأنه ان يتمتع ويتزين به اياما قلائل وما عند الله وهو
الثواب خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم وابقى
لانه ابدي افلا تعقلون الا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير
وقرئ بالياء على الالتفات المبني على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم افمن وعدناه وعدا حسنا اي
وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه اي مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تع ولذلك جيء
بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطفت بالفاء المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا

الذي هو مشوب بالآلام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه بين اهل الدنيا
واهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وبين ما عند الله تع اي أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى
بين الفريقين وقوله تع ثم هو يوم القيمة من المحضرين عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه
ومقرر له كانه قيل كمن متعناه متاع الحيوة ثم نحضره واحضرناه يوم القيمة النار او العذاب وايثار الجملة الاسمية للدلالة
على التحقق حتما وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في الزمان او في الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء
تشبيها المنفصل بالمتصل ويوم يناديهم منصوب بالعطف على يوم القيمة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا او بمضمر
اذكر فيقول تفسير للنداء اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان معا لقيام دلالة
الكلام عليهما قال استئناف مبني على حكاية السؤال كانه قيل فماذا صدر عنهم فقيل قال الذين حق عليهم القول وهم
شركاؤهم من الشياطين او رؤساؤهم الذين اتخذوهم اربابا من دون الله تع بان اطاعوهم في كل ما امروهم به ونهوهم عنه
ومعنى حق عليهم القول انه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد
وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع ايضا لاصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لأملأن جهنم منك
وممن تبعك منهم ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم
بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوه اعتذارا وهؤلاء انما قالوا ما قالوا ردا لقولهم الا انه لم يحك
قول العبدة ايجازا لظهوره ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة
بيان انهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم وانهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله تعالى اغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة
وما قبله تمهيد له اي ما اكرهناهم على الغي وانما اغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم
غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم الاشارة واغويناهم الخبر تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر
والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا
وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تع تبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم اي تهكما
بهم او تبكيتا لهم فدعوهم لفرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة ورأوا العذاب
قد غشيهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمني اي تمنوا
لو انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على ما قبله سئلوا اولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم
للرسل الذين نهوهم عن ذلك فعميت عليهم الانباء يومئذ اي صارت كالعمى عنهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء وقد
عكس مبالغة والتنبيه على ان ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره
وتعدية الفعل بعلى لتضمينه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء اما ما طلب منهم مما اجابوا به الرسل او جميع الانباء وهي
داخلة فيه دخولا اوليا واذا كانت الرسل عليهم السلام يتفوضون العلم في ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب مع تنزههم
عن غائلة المسئول فما ظنك باولئك الضلال من الامم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب
لفرط الدهشة او العلم بان الكل سواء في الجهل فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا اي جمع بين الايمان
والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين اي الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى
للتحقيق على عادة الكرام او للترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء ان يخلقه ويختار ما يشاء
اختياره من غير ايجاب عليه ولا منع له اصلا ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر
عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي
انه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله تع الرسل باختيار
المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة والصلاح سبحان الله اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان
ينازعه احد او يزاحم اختياره وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم

كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله اي المستحق للعبادة لا اله الا هو
لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون في الآخرة
كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده
وله الحكم اي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره قل تقريرا
لما ذكر أرأيتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم
مزيدة كما في دلامص من الدلاص يقال درع دلاص اي ملساء لينة الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها
حول الافق الغائر من اله غير الله صفة لاله يأتيكم بضياء صفة اخرى له عليها يدور امر التبكيت والالزام كما في
قوله تع قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله فمن يأتيكم بماء معين ونظائرهما خلا انه قصد بيان انتفاء الموصوف
بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله الخ لايراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين افلا تسمعون هذا الكلام
الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة
باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة من
متاعب الاشتغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع
افلا تبصرون هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
اي في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا نعمته تع فعل ما فعل
او لتعرفوا نعمة تعالى وتشكروه عليها ويوم يناديهم منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع
اثر تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده سبحانه
وقوله تع ونزعنا عطف على ينادي وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حال من فاعله باضمار قد والالتفات [illegible]
[illegible] من كل امة شهيدا [illegible]
[illegible] فقلنا هاتوا برهانكم [illegible]
[illegible] فعلموا [illegible] ان الحق لله [illegible] وضل عنهم ما كانوا
يفترون [illegible] ان قارون كان من قوم موسى [illegible]
[illegible]

ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبته عز وجل إن الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ
وقرئ واتبع فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة اي ثواب الله تع فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة اليه ولا تنس
اي لا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك وتاخذ منها ما يكفيك وأحسن الى عباد الله
تعالى كما أحسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد
في الأرض بما كان عليه من الظلم والبغي إن الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال مجيبا لناصحه إنما
أوتيته على علم عندي كانه يريد به الرد على قولهم كما احسن الله اليك لانبائه عن انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال
والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله اي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم في
موقع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم الكنوز
والدفائن وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني ورأيي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله
من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا توبيخ له من حيث انه عز وجل على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه
بذلك قراءة في التورية وتلقيا من موسى عليه السلام وسماعا من حفاظ التواريخ وتعجيب منه والمعنى ألم يقرأ التورية
ولم يعلم ما فعل الله تعالى باضرابه من اهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتر به او رد لادعائه العلم وتعظمه
بنفي هذا العلم منه فالمعنى اعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون
سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كان قارون لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك
بان بين ان ذلك لم يكن مما يخص اولئك المهلكين بل الله تع مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة فخرج
على قومه عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تع في زينته اما متعلق بخرج او بمحذوف هو حال من فاعله اي
فخرج عليهم كائنا في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف
على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن
الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رئي فيه المعصفر قال الذين يريدون
الحيوة الدنيا من المؤمنين جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا مثل ما أوتي
قارون وعن قتادة انهم تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه في سبل الخير وقيل كان المتمنون قوما كفارا إنه لذو
حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتاكيد له وقال الذين أوتوا العلم اي باحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي وانما لم يصفوا بارادة
ثواب الآخرة تنبيها على ان العلم باحوال النشأتين يقتضي الاعراض عن الاولى والاقبال على الثانية حتما وان تمني المتمنين
ليس الا لعدم علمهم بهما كما ينبغي ويلكم دعاء بالهلاك شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير مما تتمنون
لمن آمن وعمل صالحا فلا يليق بكم ان تتمنوه غير مكتفين بثوابه تع ولا يلقاها اي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء او
الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة إلا الصابرون اي على الطاعات
وعن الشهوات فخسفنا به وبداره الأرض روي انه كان يؤذي موسى عم كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة
فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى عم بين بني اسرائيل فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل
الف دينار وقيل طشتا من ذهب مملوة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى عم خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى
غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك
فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها عليه السلام ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى
ساجدا لربه يبكي ويقول يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان الله
تعالى بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم
قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه بالله تع وبالرحم وهو لا يلتفت
اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا عليه موسى عليه السلام ليستبد

بداره وكنوزه فدعا الله تع حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة يدفع العذاب عنه وما كان من المنتصرين
اي الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع وأصبح الذين تمنوا مكانه منزلته
بالأمس منذ زمان قريب يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يفعل كل واحد من البسط و
القبض بمحض مشيئته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن وعند
البصريين ما اشبه الامر ان الله يبسط الخ وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك وأن وتقديره ويك اعلم ان الله وانما
يستعمل عند التنبه على الخطأ والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وتندموا على ذلك لولا أن من الله علينا
بعدم اعطائه ايانا ما تمنينا واعطانا مثل ما اعطاه اياه وقرئ لولا من الله علينا لخسف بنا كما خسف به وقرئ لخسف
بنا على البناء للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرئ لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا ويكأنه
لا يفلح الكافرون لنعمة الله تعالى او المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم
وتفخيم كانه قيل تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض اي غلبة وتسلطا
ولا فسادا اي ظلما وعدوانا على العباد كدأب فرعون وقارون وفي تعليق الوعد بترك ارادتهما لا بترك انفسهما مزيد
تحذير منهما وعن علي رض ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة الحميدة
للمتقين اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تع من الاقوال والافعال من جاء بالحسنة فله بمقابلتها خير منها ذاتا
ووصفا وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير تهجين
حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم إلا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة
في المماثلة إن الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به لرادك إلى معاد اي معاد
معاد تتطاول اليه اعناق الهمم ويرنوا اليه احداق الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة
على انه قد وعده وهو بمكة في اذية وشدة من اهلها انه يهاجر منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه
حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابرهيم عليه السلام فنزل جبريل عم فقال له اتشتاق الى مكة
قال نعم فاوحاها اليه قل ربي أعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه اعلم
اي يعلم وقيل باعلم على ان افعل بمعنى فاعل ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعني به نفسه
والمشركين وهو تقرير للوعيد السابق وكذا قوله وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب اي سيردك الى معاد كما القى اليك الكتاب
وما كنت ترجوه إلا رحمة من ربك ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القي
اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم
ولا يصدنك عن آيات الله عن قراءتها والعمل بها بعد إذ أنزلت إليك وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصد المنقول من صد اللازم
وادع إلى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله إلها آخر هذا وما قبله للتهييج
وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته
معدوم له الحكم القضاء النافذ في الخلق وإليه ترجعون للجزاء بالحق والعدل عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ طسم القصص كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا

سورة العنكبوت تسع وستون آيات

الم الكلام فيه كما مر في امثاله من الفواتح الكريمة ان ما بعده لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا اعرابيا

أحسب الناس الحسبان ونظائره لا تتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء لشيء او انتفاء شيء عن شيء بحيث يتحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بان الواقعة صلة للموصول الاسمي او الحرفي فان كلا منها صالحة لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون في قوة ان يقال أحسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد ان يقولوا آمنا وان يقال أحسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشتهيه النفس ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار روي انها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله تعالى أحسب او بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو اشد مما اصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الآيات وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا اي في قولهم آمنا وليعلمن الكاذبين في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما ينبئ عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التاكيد والتقرير اي فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا نفوسهم بذلك لكنهم حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه حكمهم ذلك او بئس حكما يحكمونه حكمهم ذلك من كان يرجو لقاء الله اي يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا او عقابا او ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخط فان اجل الله الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال اي فان الوقت الذي عينه تعالى لذلك لآت لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على التقضي والتصرم دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزء ايضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف اي فليختر من الاعمال ما يؤدي الى حسن الثواب وليحذر ما يسوق الى سوء العذاب كما في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفيه

من الوعد والوعيد مما لا يخفى وقيل لما ياتي ... وصدق بجملته ... اوما اوجب الترتيب والزلفى وهو السميع العليم لاقوال العباد العليم باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقائد ومن جاهد في طاعة الله عز وجل فانما يجاهد لنفسه لعود منفعتها اليها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة له الى طاعتهم وانما امرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي بايتائهما والديه ... او ما هو في حد ذاته حسن ... حسنا كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان في المأمور به نفع عائد الى المأمور او غيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي وقلنا اولهم او افعل بهما احسانا وهو اوفق بالسياق وقيل ... احسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم اي بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها للايذان بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر ... في تعلق التوصية ... ثابت بطريق الاولوية الي مرجعكم اي مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص حين اسلم فانه حيث حلفت امه حمنة بنت ابي سفيان بن امية ان لا تستظل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل والحارث اخواه لامه اسماء فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تاوي بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب واستشار عمر رضي الله تعالى عنه فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر رضي الله تعالى عنه فقال عمر رضي الله تعالى عنه اما اذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلداه كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة الراسخين في الصلاح والكمال فيه فان الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول انبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في حق ابراهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله اي في شأنه تعالى بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس اي ما يصيبه من اذيتهم كعذاب الله في الشدة والهول فيرتد عن الدين مع انه لا قدر لها عند المحنة من عذابه تعالى اصلا ولئن جاء نصر من ربك اي فتح وغنيمة ليقولن بضم اللام نظرا الى المعنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح انا كنا معكم اي مشايعين لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين اي باعلم منهم بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا سواء اوفق لما سبق وما لحق من قوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا اي بالاخلاص وليعلمن المنافقين سواء كان كفرهم باذية الكفرة اولا اي ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق وقال الذين كفروا للذين آمنوا بيان لحملهم المؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر هنا دون ما سبق لما ان مساق

الكلام لبيان جناياتهم وفيما سبق لبيان جناية من اضلوه واللام للتبليغ اي قالوا لهم مخاطبين لهم اتبعوا سبيلنا اي اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه او اتبعونا في طريقتنا ولنحمل خطاياكم اي ان كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين له على امرهم بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقرئ من خطيئاتهم اي وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم التي التزموا ان يحملوا كلها على ان تكون الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض او حال انهم لكاذبون حيث اخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على انجاز ما وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وليحملن اثقالهم بيان لما تستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر اي والله ليحملن اثقال انفسهم كاملة واثقالا مع اثقالهم اي اثقالا اخر تسببوا لها بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من اضلوه شيء ما اصلا وليسألن يوم القيامة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون اي يختلقونه في الدنيا من الاكاذيب والاباطيل التي من جملتها كذبهم هذا ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما شروع في بيان افتتان الانبياء عليهم السلام باذية اممهم اثر بيان افتتان المؤمنين باذية الكفار تأكيدا للانكار على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان الانبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلان يصبر هؤلاء اولى واحرى قالوا كان عمر نوح عم الفا وخمسين سنة بعث على رأس اربعين سنة ودعا قومه تسعمائة وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة واظهار ركاكة رأي الذين يحسبون انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميزين لما في التكرير من نوع بشاعة فاخذهم الطوفان اي عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشيء على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء وهم ظالمون اي والحال انهم مستمرون على الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عم من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية فانجيناه اي نوحا عم واصحاب السفينة اي ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة والقصة آية للعالمين يتعظون بها وابرهيم نصب بالعطف على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه على الاول ظرف للارسال اي ارسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من ابرهيم اعبدوا الله اي وحده واتقوه ان تشركوا به شيئا ذلكم اي ما ذكر من العبادة والتقوى خير لكم اي مما انتم عليه ومعنى التفضيل مع انه لا خير فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل ان كنتم تعلمون اي الخير والشر وتميزون احدهما من الآخر او ان كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى انما تعبدون من دون الله اوثانا بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى الدين الحق اي انما تعبدون من دونه تعالى اوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك وتخلقون افكا اي وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون انها شفعاؤكم عند الله تعالى او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف احدى التائين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا على انه مصدر كالكذب واللعب ونعت بمعنى خلقا ذا افك

ان الذين تعبدون من دون الله بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم لا يملكون لكم رزقا اي لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين واعبدوه وحده واشكروا له على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد اليه ترجعون اي بالموت ثم البعث لا الى غيره فافعلوا ما امرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعا وان تكذبوا اي تكذبوني فيما اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون بالبعث فقد كذب امم من قبلكم تعليل للجواب اي فلا تضرونني بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلي من الرسل عم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا وانما ضروا انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ الذي لا يبقى معه شك وما عليه ان يصدقه قومه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني تكذيبكم بعد ذلك اصلا او لم يروا كيف يبدئ الله الخلق كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر اي الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تع الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة اي قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتأكيده وقرئ يبدأ وقوله تعالى ثم يعيده عطف على اولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابداء وقد جوز العطف على يبدئ بتأويل الاعادة بانشائه تعالى كل سنة مثل ما انشأه في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب ان ذلك اي ما ذكر من الاعادة على الله يسير اذ لا يفتقر فعله الى شيء اصلا قل سيروا في الارض امر لابرهيم عليه السلام ان يقول لهم ذلك اي سيروا فيها فانظروا كيف بدأ الخلق اي كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبائع متغايرة واخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير في الارض مؤذن بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين في اقطارها ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التي شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التي هي محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعر بكون البدء نشأة اولى للتنبيه على انهما شأن واحد من شؤون الله تع حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود لا فرق بينهما الا بالاولوية والآخرية وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة ومحلها النصب على انها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوائد والاصل الانشاءة او بحذف العامل اي ينشئ فينشأون النشأة الآخرة كما في قوله تع وانبتها نباتا حسنا والجملة معطوفة على جملة سيروا في الارض داخلة معها في حيز القول واظهار الاسم الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره في بدأ لابراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تع ان الله على كل شيء قدير تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تع على جميع الاشياء التي من جملتها الاعادة لا يتصور ان يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعد ما اخبر به يعذب اي بعد النشأة الآخرة من يشاء ان يعذبه وهم المنكرون لها حتما ويرحم من يشاء اي يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام من الترغيب واليه تقلبون عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة وما انتم بمعجزين له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم في الارض ولا في السماء اي بالتواري في الارض والهبوط في مهاويها ولا بالتحصن في السماء التي هي افسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا او القلاع الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف معطوف على انتم اي ولا من في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله اي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وافعاله فيدخل فيها النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا اوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته تع لا يناسب المقام ولقائه الذي ينطق

بعد تلك الآيات أولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر بآيات الله تعالى ولقائه يئسوا من رحمتي أي ييأسون منها يوم القيمة
وصيغة الماضي للدلالة على تحققه أو يئسوا منها في الدنيا لإنكارهم البعث والجزاء وأولئك لهم عذاب أليم وفي تكرير
اسم الإشارة وتكرير الإسناد وتنكير العذاب ووصفه بالأليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى أي
أولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تع ولقائه باليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الأوصاف
القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والإيلام فما كان جواب قومه بالنصب على أنه خبر كان واسمها قوله تعالى
إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظائره وليس المراد أنه لم يصدر عنهم بصدد
الجواب عن حجج إبرهيم عم إلا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل إن ذلك هو الذي استقر عليه
جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الأخيرة وإلا فقد صدر عنهم من الخرافات والأباطيل ما لا يحصى فأنجاه الله من النار
الفاء فصيحة أي فألقوه في النار فأنجاه الله تعالى منها بأن جعلها عليه عم بردا وسلاما حسبما بين في مواضع أخر
وقد مر في سورة الأنبياء بيان كيفية إلقائه عم فيها وإنجائه تعالى إياه تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع
أصلا إن في ذلك أي في إنجائه منها لآيات بينة عجيبة هي حفظه تعالى إياه من حرها وإخمادها في زمان يسير وإنشاء
روض في مكانها لقوم يؤمنون وأما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم آثارها محرومون وقال
أي إبراهيم عم مخاطبا لهم إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا أي لتتوادوا بينكم
وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف أي أوثانا آلهة ويجوز أن يكون مودة هو المفعول
بتقدير المضاف أو بتأويلها بالمودودة أو بجعلها نفس المودة مبالغة أي اتخذتم أوثانا سبب المودة بينكم أو مودودة
أو نفس المودة وقرئ مودة منونة منصوبة ناصبة للظرف وقرئت بالرفع والإضافة على أنها خبر مبتدأ محذوف أي
هي مودودة أو نفس المودة أو سبب مودة بينكم والجملة صفة أوثانا أو خبر إن على أن ما مصدرية أو موصولة قد حذف
عائدها وهو المفعول الأول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على أحد الوجهين وقرئ
إنما مودة بينكم والمعنى أن اتخاذكم إياها مودة بينكم ليس إلا في الحيوة وقد أجريتم أحكامه حيث تعلمتم بما تعلم به
مودتكم لها انتصارا متى كما ينبئ عنه قوله تع وانصروا آلهتكم ثم يوم القيمة ينقلب الأمور وتتبدل التوادد تباغضا
والتلاطف تلاعنا حيث يكفر بعضكم ببعض وهم العبدة والأوثان ويلعن بعضكم بعضا أي يلعن كل فريق
منكم ومن الأوثان حيث ينطقها الله تع الفريق الآخر ومأويكم النار أي هي منزلكم الذي تأوون إليه ولا ترجعون
منها أبدا وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي ألقيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه
في مقابلة الجمع أي ما لأحد منكم من ناصر أصلا فآمن له لوط أي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا
إليه من التوحيد فقط فإنه كان منزها عن الكفر وما قيل إنه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغي أن يحمل على ما ذكرنا
أو على أن يراد بالإيمان الرتبة العالية منه وهي التي لا يرتقي إليها إلا الأفراد الكمل ولوط هو ابن أخيه عليهما
السلام وقال إني مهاجر أي من قومي إلى ربي إلى حيث أمرني به إنه هو العزيز الغالب على أمره فيمنعني من أعدائي
الحكيم الذي لا يفعل فعلا إلا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني إلا بما فيه صلاحي وروي أنه هاجر من كوثى من سواد الكوفة
مع لوط وسارة ابنة عمه إلى حران ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له إسحق ويعقوب
ولدا ونافلة حين آيس من ولادة عجوز عاقر وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الأنبياء والكتاب أي جنس الكتاب
المتناول للكتب الأربعة وآتيناه أجره بمقابلة هجرته إلينا في الدنيا بإعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار
النبوة فيهم وانتماء أهل الملل إليه والثناء والصلوة عليه آخر الدهر وإنه في الآخرة لمن الصالحين أي الكاملين
في الصلاح ولوطا منصوب إما بالعطف على نوحا أو على إبرهيم والكلام في قوله تع إذ قال لقومه كالذي مر
في قصة إبراهيم عم إنكم لتأتون الفاحشة أي الفعلة المتناهية في القبح وقرئ أئنكم ما سبقكم بها من أحد
من العالمين جملة مستأنفة مقررة لكمال قبحها فإن إجماع جميع أفراد العالمين على التحاشي عنها ليس إلا لكونها مما تشمئز منه

الطباع وتنفر منه النفوس أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة أي بالفاحشة
حيث روي أنهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النساء بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس
بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل وأخذ المال وتأتون في ناديكم أي تفعلون في مجلسكم الجامع لأصحابكم المنكر
كالجماع والضراط وحل الإزار وغيرها مما لا خير فيه من الأفاعيل المنكرة وعن ابن عباس رض هو الخذف بالحصى
والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الإزار والسباب والفحش في المزاح وقيل
السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله
إن كنت من الصادقين أي فما كان جوابا من جهتهم شيء من الأشياء إلا هذه الكلمة الشنيعة أي لم يصدر عنهم
في هذه المرة من مرات مواعظ لوط عم وقد كان أوعدهم فيها بالعذاب وأما ما في سورة الأعراف من قوله تع وما كان
جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم الآية وما في سورة النمل من قوله تع فما كان جواب قومه إلا أن قالوا
آل لوط من قريتكم الآية فهو الذي صدر عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الأخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عم
وقد مر تحقيقه في سورة الأعراف قال رب انصرني أي بإنزال العذاب الموعود على القوم المفسدين بابتداع
الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والإصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وإنما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال
العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا إبرهيم بالبشرى أي بالبشارة بالولد والنافلة قالوا لإبرهيم عم في تضاعيف
الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر إنا مهلكوا أهل هذه القرية أي قرية سدوم والإضافة لفظية لأن
المعنى على الاستقبال إن أهلها كانوا ظالمين تعليل للإهلاك بإصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وأنواع
المعاصي قال إن فيها لوطا فكيف تهلكونها قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله أرادوا أنهم غير غافلين
عن مكان لوط عم فيها بل عمن لم يتعرض له إبرهيم عم من أتباعه المؤمنين وأنهم معتنون بشأنهم أتم اعتناء حسبما ينبئ
عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم أي والله لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين أي الباقين في العذاب
أو القرية ولما أن جاءت رسلنا المذكورون بعد مفارقتهم لإبرهيم عم لوطا سيء بهم اعتراه المساءة بسببهم
مخافة أن يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة أن صلة لتأكيد ما بين الفعلين من الاتصال وضاق بهم ذرعا أي ضاق
بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته كقولهم ضاقت يده وبإزائه رحب ذرعه بكذا إذا كان مطيقا به قادرا
عليه وذلك أن طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعاينوا
أنه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والتي حتى آلت به الحال إلى أن قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد
لا تخف أي من قومك علينا ولا تحزن أي على شيء وقيل بإهلاكنا إياهم إنا منجوك وأهلك مما يصيبهم من العذاب
إلا امرأتك كانت من الغابرين وقرئ لننجينه ومنجوك من الإنجاء وأيا ما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب
أهلك بإضمار فعل أو بالعطف على محلها باعتبار الأصل إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء استئناف
مسوق لبيان ما أشير إليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذي يقلق المعذب أي يزعجه من قولهم
ارتجز إذا ارتجس واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها
أي من القرية آية بينة وهي قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فإنها كانت باقية بعدها وقيل
الماء الأسود على وجه الأرض لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق إما بتركنا
أو ببينة وإلى مدين أخاهم شعيبا متعلق بمضمر معطوف على أرسلنا في قصة نوح أي وأرسلنا إلى مدين شعيبا فقال
يا قوم اعبدوا الله وحده وارجوا اليوم الآخر أي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الأهوال وافعلوا اليوم من الأعمال
ما تأمنون به غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق إقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا
في الأرض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة الشديدة وفي سورة هود وأخذ الذين ظلموا الصيحة
أي صيحة جبريل عم فإنها الموجبة للرجفة بسبب تموجها للهواء وما يجاورها من الأرض فأصبحوا في دارهم أي بلدهم

او منازلهم ولا ولاقراطهم من القبل جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اي اهلكنا وقرئ وثمودا بتأويل الحي وقد تبين لكم من مساكنهم اي وقد تبين لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذاهبا الى الشام وايابا منه وزين لهم الشيطان اعمالهم من فنون الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون وهامان معطوف على عاد وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اي ادراك فتداركوا نحو الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اي فكل واحد من المذكورين اخذنا بذنبه اي عاقبناه بجنايته لا بعضه بدل كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا تفصيل للاخذ اي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك من انواع الكفر والمعاصي مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل يبني بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التأنيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعكاب وعكبة واما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجموع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت حيث لا يرى شيء يدانيه في الوهن والوهي لو كانوا يعلمون اي شيئا من الاشياء لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ تدعون بالياء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتأكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شأنه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت وان من هذه صفاته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال اي هذا المثل وامثاله نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد الا العالمون الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء على ما ينبغي وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله تعالى فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا مشتملة للمنافع الدينية والدنيوية الدالة على شؤونه المتعلقة بذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لآية للمؤمنين دالة لانهم المنتفعون بها وتخصيص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون بذلك اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث النفس خشية منه مع اقبال التام على طاعته واعراضه عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم في الصلوة منتهى ومزدجر

عن معاصي الله تعالى فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وروي عن انس رضي الله عنه ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام حاله فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله ولذكر الله اكبر اي وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما في قوله فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من ذكر الله هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا بالتي هي احسن اي بالخصلة التي هي احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة على وجه لا يؤدي الى الاعطاء الدنية وقيل منسوخ باية السيف الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ الموافقة بما يليق بحالهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم اي بالذي انزل اليكم من التوراة والانجيل وهو تقرير لتحقيق كيفية الايمان بهما في خاتمة سورة البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد لا شريك له في الالوهية ونحن له مسلمون مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل اي مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب انزلنا اليك الكتاب اي القرآن الذي من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى فالذين آتيناهم الكتاب من الطائفتين يؤمنون به اريد بهم عبد الله بن سلام واضرابه من اهل الكتابين خاصة كأن من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور ومن هؤلاء اي ومن العرب او اهل مكة على الاول او ممن في عصره عليه السلام على الثاني من يؤمن به اي بالقرآن وما يجحد باياتنا عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها الا الكافرون المتوغلون في الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله اي ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على ان تتلو شيئا من كتاب ولا تخطه ولا تقدر على ان تخطه بيمينك حسبما هو المعتاد او ما كان من عادتك ان تتلوه ولا ان تخطه اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط او ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب اصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم الاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عليه السلام عن ذلك بل هو اي القرآن آيات بينات واضحات ثابتة راسخة في صدور الذين اوتوا العلم من غير ان يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد باياتنا مع كونها كما ذكر الا الظالمون المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ آية قل انما الآيات عند الله ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لاحد في ذلك قطعا وانما انا نذير مبين ليس من شأني الا الانذار بما اوتيت من الآيات اولم يكفهم كلام مستأنف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقصر ولم يكفهم آية مغنية

عن سائر الآيات انا انزلنا عليك الكتاب الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل من مدارستها وممارستها يتلى عليهم في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل آية بعد كونها ويكون في مكان دون مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك اي الكتاب العظيم الشأن الباقي على مر الدهور لرحمة اي نعمة عظيمة وذكرى اي تذكرة لقوم يؤمنون اي لقوم همهم الايمان لا التعنت كاولئك المقترحين وقيل ان ناسا من المؤمنين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتب فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بما صدر عني وعنكم يعلم ما في السموات والارض اي من الامور التي من جملتها شاني وشأنكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله تعالى وكفروا بالله مع تعاضد موجبات الايمان به اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بان ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية الموجبة للايمان والآية من قبيل المجادلة بالتي هي احسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما في قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك ولولا اجل مسمى قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح لجاءهم العذاب المعين لهم حسبما استعجلوا به قيل المراد بالاجل يوم القيمة لما روي انه تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب قومه بعذاب الاستيصال وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم باجالهم وفيه بعد ظاهر لما انهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به وليأتينهم جملة مستأنفة مبينة لما اشير اليه في الجملة السابقة من مجيء العذاب عند محل الاجل اي وبالله ليأتينهم العذاب الذي عين لهم عند حلول الاجل بغتة اي فجاءة وهم لا يشعرون اي باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك انه لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسؤلهم فان ذلك اتيان برأيهم وشعورهم لا انه يأتيهم وهم قارون آمنون لا يخطرونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون لما ان اتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على ان ما استعجلوه عذاب الآخرة اي يستعجلونك بالعذاب والحال ان محل العذاب الذي لا عذاب فوقه محيط بهم كأنه قيل يستعجلونك بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم اي سيحيط بهم والمجيء بالجملة الاسمية للدلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها وتنزيل حال السبب منزلة حال المسبب فان الكفر والمعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة لكنها ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر تفصيله في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق واللام في الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا يوم يغشاهم العذاب ظرف لمضمر قد طوي ذكره ايذانا بغاية كثرته وفظاعته كأنه قيل يوم يغشاهم العذاب الذي اشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي به المقال وقيل ظرف للاحاطة من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي من جميع جهاتهم ويقول اي الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة او بعض الملائكة بامره ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب يا عبادي الذين آمنوا خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الاسلم ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتسنى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجبت له الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص

كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون جملة مستأنفة جيء بها حثا على المسارعة في الامتثال بالامر اي كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه ثم راجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب اعمالها فمن كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا اي علالي وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب غرفا حينئذ اما باجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم تجري من تحتها الانهار صفة لغرفا خالدين فيها اي الغرف او في الجنة نعم اجر العاملين اي الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ فنعم الذين صبروا اما صفة للعاملين او نصب على المدح اي صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون اي ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت اي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة وهو السميع المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا العليم المبالغ في العلم فيعلم ضمائركم ولئن سألتهم اي اهل مكة من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله اذ لا سبيل لهم الى انكاره ولا الى التردد فيه فانى يؤفكون انكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه اي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير الله يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسط له من عباده ويقدر له اي يقدر لمن يشاء ان يقدر له منهم كائنا من كان على ان الضمير مبهم حسب ابهام مرجعه او يقدر لمن يبسطه له على التعاقب ان الله بكل شيء عليم فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه له ومن يليق بتقديره له او فيعلم ان كلا من البسط والتقدير في اي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما في وقته ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد يتوهم منه القدرة على شيء ما اصلا قل الحمد لله على ان جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده وان اظهر حجتك عليهم وقيل على ان عصمك من امثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده بل اكثرهم لا يعقلون اي شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه اخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم ذلك وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وازدراء للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء الا لهو ولعب اي الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحيوة في هذا المقام المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون اي لما آثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة ثم ما يحدث فيها من الحيوة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها واستعماله هاهنا وفي امثاله بكلمة في للايذان بان المركوب في نفسه من قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر في سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك فاذا ركبوا في البحر ولقوا شدة دعوا الله مخلصين له الدين اي كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون اي

فاجاؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا اي يتناجون بالاشراك ليكونوا كافرين بما آتيناهم
من نعمة الانجاء التي حقها ان يشكروها فسوف يعلمون اي عاقبة ذلك وغايته حين يرون العذاب اولم يروا
اي الم ينظروا ولم يشاهدوا انا جعلنا اي بلدهم حرما آمنا مصونا عن النهب والتعدي سالما اهله من كل سوء
ويتخطف الناس من حولهم اي والحال انهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب
أفبالباطل يؤمنون اي بعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق وبنعمة الله
يكفرون وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة في الموضعين لاظهار كمال شناعة ما فعلوا
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم كمال شناعة ما فعلوا ان له شريكا اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك
النظم دالا على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا او كذب بالحق لما جاءه اي بالرسول او بالقرآن
وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب آثر ذي اثير أليس في جهنم مثوى
للكافرين تقرير لثوائهم فيها كقول من قال * الستم خير من ركب المطايا * اي لا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا
من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح او انكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب
مع علمهم بحال الكفرة اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة والذين جاهدوا
فينا اي في شأننا ولوجهنا خالصا اطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة لنهدينهم
سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين
اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بمعية النصر والمعونة
وعنه عم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية ستون آيات

الم الكلام فيه كما الذي مر في امثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم في ادنى الارض اي ادنى ارض العرب منهم اذ هي
الارض المعهودة عندهم وهي اطراف الشام او في ادنى ارضهم من العرب على ان اللام عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هي
ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاردن وفلسطين وقرئ في اداني الارض
وهم اي الروم من بعد غلبهم اي من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهي لغة كالجلب والجلب سيغلبون اي
سيغلبون فارس في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة
كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس
اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال ابو بكر رضي الله عنه لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم
على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا اجلا انا حبك عليه فناحبه على عشر قلائص
من كل منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر به ابو بكر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع
ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله
صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين
فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه
الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث اخبرت عن الغيب الذي لا يعلمه
الا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت على ريف
الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة الغلب حينئذ
الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين

وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى ان كلا من كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا
ليس الا بامر الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه
كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ اي يوم اذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح
المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل
غلبة المؤمنين على الكفار وقيل بنصر الله اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل بنصره
تعالى ان ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تناقصوا وتفانوا وفل كل منهما شوكة الآخر وفي ذلك قوة لهم وقيل بعيد
الحديبية ثم انتهوا فوق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو الانسب بقوله تعالى
ينصر من يشاء اي من يشاء ان ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه فانه استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لله الامر من
قبل ومن بعد وهو العزيز المبالغ في العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء ان ينصر عليه كائنا من كان الرحيم المبالغ في الرحمة
فينصر من يشاء ان ينصره اي فريق كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية اما على القراءة المشهورة فلان كلا من الفريقين لا يستحق
الرحمة الاخروية واما على القراءة الاخرى فلان المسلمين وان كانوا مستحقين لها لكن المراد هاهنا نصرهم الذي هو من آثار الرحمة
الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد كانه قيل وعد الله
وعدا لا يخلف الله وعده اي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم في موضع
الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز ان يكون حالا فيكون كالمصدر الموصوف كانه
قيل وعد الله وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ما سبق من شؤونه تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر احوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها
وعكوفهم عليها لا تمتعهم بلاذتها كما قيل فانهما ليسا مما علموه منها بل من افعالهم المترتبة على علمهم وتنكير ظاهرا للتحقير دون الوحدة
كما توهم اي يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا وهم عن الآخرة التي هي الغاية القصوى والمطلب الاسنى هم غافلون
لا يخطرونها بالبال ولا يدرون من الدنيا ما يؤدي الى معرفتها من احوالها ولا يتفكرون فيها كما سيأتي والجملة معطوفة
على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة
خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها
لهم بالبهائم المقصور ادراكاتها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون احوالها التي هي مبادي العلم بامور الآخرة واشعارا
بان العلم المذكور وعدم العلم واحد او لم يتفكروا انكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحيوة الدنيا
مع الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى في انفسهم ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة
كونه في غيرها لتحقيق امره وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق
اما بالعلم الذي يؤدي اليه التفكر ويدل عليه او بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض
ربنا ما خلقت هذا باطلا اي اعلموا ظاهر الحيوة الدنيا فقط واقتصروا النظر عليه ولم يحدثوا التفكر على قلوبهم فيعلموا
انه تعالى ما خلقها وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء من الاشياء الا ملتبسة بالحق او يقولوا هذا القول
معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض
الصحيح الذي هو استشهاد المكلفين بذلك بدعاتها واحوالها المتغيرة على وجود صانعها ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته
واختصاصه بالمعبودية وصحة اخباره التي من جملتها احياؤهم بعد الفناء بالحيوة الابدية ومجازاتهم بحسب اعمالهم
عما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة
على انظارهم في تلك المصنوعات من الآيات والدلائل والامارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان العمل غير مختص
بعمل الجوارح ولذلك فسره عم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقوله تحقيقه

في أوائل سورة هود ثم قوله تعالى وأجل مسمى عطف على الحق أي وبأجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من أن تنتهي
إليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوزوا أن يكون قوله تعالى في أنفسهم صلة للتفكر على معنى أولم يتفكروا
في أنفسهم التي هي أقرب المخلوقات إليهم وهم أعلم بشؤونها وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها
الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد من انتهائها إلى وقت يجازيها الحكيم الذي
دبر أمرها على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة إساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار
على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت وأنت خبير بأن أمر معاد الإنسان ومجازاته بما عمل
من الإساءة والإحسان هو المقصود بالذات والمحتاج إلى الإثبات فجعله ذريعة إلى إثبات معاد ما عداه
مع كونه بمعزل من الحق تعكيس للأمر فتدبر وقوله تعالى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون تذييل مقرر لما قبله
ببيان أن أكثرهم مقتصرون على ما ذكر من الغفلة عن أحوال الآخرة والإعراض عن التفكر فيما يرشدهم إلى معرفتها من خلق السموات
والأرض وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث أولم يسيروا توبيخ
لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة أحوال أمثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه
المقام أي أقعدوا في أماكنهم ولم يسيروا في الأرض وقوله تعالى فينظروا عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ
والمعنى أنهم قد ساروا في أقطار الأرض وشاهدوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الأمم المهلكة كعاد وثمود
وقوله تعالى كانوا أشد منهم قوة إلى آخره بيان لمبدأ أحوالهم ومآلها يعني أنهم كانوا أقدر منهم على التمتع بالحياة الدنيا
حيث كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض أي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن
وغير ذلك وعمروها أي عمرها أولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها أكثر
مما عمروها أي عمارة أكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء إياها كيف لا وهم أهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره
وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وسبوغ عطلهم إذ مدار أمرها على التبسط في البلاد
والتسلط على العباد والتقلب في أكناف الأرض بأصناف التصرفات وهم ضعفة ملجؤون إلى واد لا نفع فيه يخافون
أن يتخطفهم الناس وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات أو الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم أي فكذبوهم
فأهلكهم فما كان الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع أن إهلاكه تعالى إياهم بلا جرم ليس
من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لإظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بإبرازه في معرض ما يستحيل صدوره
عنه تعالى وقد مر في سورة آل عمران ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بأن اجترؤوا على اقتراف ما يوجبه من المعاصي العظيمة
ثم كان عاقبة الذين أساؤوا أي عملوا السيئات وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالإساءة والإشعار
بعلة الحكم السوأى أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات وأفظعها التي هي العقوبة بالنار فإنها تأنيث الأسوأ
كالحسنى تأنيث الأحسن أو مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كأنها نفس السوء وهي مرفوعة على أنها اسم
كان وخبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو أدخل في الجزالة وقوله تعالى أن كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم السلام
ومعجزاته الظاهرة على أيديهم وقوله تعالى وكانوا بها يستهزؤون عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وإيراد الاستهزاء
بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل الله يبدأ الخلق أي
ينشئهم ثم يعيده بعد الموت بالبعث ثم إليه ترجعون للموقف للحساب والجزاء والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ
بالياء ويوم تقوم الساعة التي هي وقت إعادة الخلق ورجعهم إليه يبلس المجرمون أي يسكتون متحيرين لا ينبسون
يقال ناظرته فأبلس إذا سكت وآيس من أن يحتج وقرئ بفتح اللام من أبلسه إذا أسكته ولم يكن لهم من شركائهم
شفعاء يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع أي لم يكن لواحد
منهم شفيع أصلا وكانوا بشركائهم كافرين أي بإلهيتهم وشركتهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه أمرهم وصيغة
الماضي للدلالة على تحققه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وليس بذاك إذ ليس في الإخبار بذلك فائدة يعتد بها

ويوم تقوم الساعة أعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تعالى يومئذ يتفرقون تهويل له إثر تهويل
وفيه رمز إلى أن التفرق يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم وإعادتهم
ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم إلى فريقي المؤمنين
والكافرين كما في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى فأما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون تفصيل وبيان لأحوال ذينك الفريقين والروضة كل
أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره
إذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلف فيه الأقاويل لاحتماله
وجوه جميع المسار فعن ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن أبي بكر بن عياش
التيجان على رؤوسهم وعن وكيع رحمه الله السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم
وفي آخر القوم أعرابي فقال يا رسول الله هل من سماع في الجنة قال عليه السلام يا أعرابي إن في الجنة نهرا حافتاه
الأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوي
فسألت أبا الدرداء رضي الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح وروي أن في الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضة فإذا
أراد أهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا
لماتوا طربا وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل ولقاء الآخرة صرح
بذلك مع اندراجه في تكذيب الآيات للاعتناء بأمره وقوله تعالى فأولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافهم
بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآياته تعالى وبلقاء الآخرة للإيذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم
في سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار ببعد منزلتهم في الشر أولئك
الموصوفون بما فصل من القبائح في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون عنه أبدا فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون إثر ما بين حال
فريقي المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعذاب أمروا بما ينجي
من الثاني ويفضي إلى الأول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشأنه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام
وتقديم الأول على الثاني لما أن التخلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي إذا علمتم
ذلك فسبحوا الله تعالى أي نزهوه عما ذكر سبحانه أي تسبيحه اللائق به في هذه الأوقات واحمدوه فإن الإخبار بثبوت
الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من أهل السموات والأرض في معنى الأمر به على أبلغ وجه وآكده وتوسيطه بين أوقات
التسبيح للاعتناء بشأنه والإشعار بأن حقهما أن يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى
فسبح بحمد ربك وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد
يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه وقوله عليه السلام كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الآيات والأحاديث وتخصيصهما بتلك الأوقات
للدلالة على أن ما يحدث فيها من آيات قدرته تعالى وأحكام رحمته ونعمه شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه
الحمد موجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى وعشيا عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة
الفواصل وتغيير الأسلوب لما أنه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر
في ذلك أنه ليس من الأوقات التي تختلف فيها أحوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها
والدخول فيها كالأوقات المذكورة فإن كلا منها وقت يتغير فيه الأحوال تغيرا ظاهرا أما في الظهيرة فلأنها وقت يعتاد
فيها التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر في سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلوة لاشتمالها عليهما وقد روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة المغرب والعشاء وتصبحون

صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى انها مدنية انه كان يقول ان الواجب بمكة
ركعتان في اي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على انها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي
آخرتين خمس صلوات كل يوم وليلة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله تع وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته
في ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة
والطير من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة من الحيوان ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها
وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى
الله يبدأ الخلق ثم يعيده ومن آياته الباهرة الدالة على انكم تبعثون دلالة اوضح مما سبق فان دلالة بدء خلقهم
على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحي واخراج الميت من الحي ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها ان خلقكم اي
في ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من ان خلقه عم منطويا على خلق ذرياته انطواء اجماليا لم يشم رائحة الحيوة قط
ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه في ذاتكم من صفاتكم ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي فاذا انتم بعد ذلك وقت
كونكم بشرا تنتشرون في الارض وهذا مجمل ما فصل في قوله تع يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من نطفة
الآية ومن آياته الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء ان خلق لكم اي لاجلكم من انفسكم ازواجا
فان خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع آدم عليه متضمن لخلقهن من انفسكم على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم لا من
جنس آخر وهو الاوفق لقوله تع لتسكنوا اليها اي لتالفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعي التضام
والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتنافر وجعل بينكم اي بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء
في الخطاب او على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور اي جعل بينكم وبينهن كما في قوله تع لا نفرق بين احد من رسله
وقيل او بين افراد الجنس اي بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى مودة ورحمة فان المراد بهما ما كان بينهما بعصمة
الزواج قطعا اي جعل بينكم بالزواج الذي شرع لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة
للتعاطف من قرابة او رحم قيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن المودة كناية عن الجماع
والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا ان في ذلك اي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء
المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلته لآيات عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة
لا يقادر قدرها لقوم يتفكرون في تضاعيف تلك الافاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون
ما قبله مع التنبيه على ان ما ذكر ليس باية فذة كما ينبئ عنه قوله تع ومن آياته بل هي مشتملة على آيات شتى ومن
آياته الدالة على ما ذكر من امر البعث وما يتلوه من الجزاء خلق السموات والارض اما من حيث ان القادر
على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان
خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما ينبئ عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله
تع وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا واختلاف السنتكم اي
لغاتكم بان علم كل صنف لغته والهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين
متساويين في الكيفية من كل وجه والوانكم ببياض الوجه وسواده وتوسطه فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء
وهيآتها والوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور
الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وان كانا في غاية التشابه وانما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية
من خلق السموات والارض مع كونه من الآيات الانفسية الحقيقية في سلك ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم للايذان
باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم ان في ذلك اي فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف
الالسنة والالوان لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها للعالمين اي المتصفين بالعلم كما في قوله تع وما يعقلها

الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال الوضوح للآيات وعدم خفائها على احد من الخلق كافة ومن آياته
منامكم بالليل والنهار لاستراحة القوى النفسانية وتقوية القوى الطبيعية وابتغاؤكم من فضله فيهما
فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع في الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول في الاول والثاني في الثاني او ومنامكم بالليل
وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الآيات الواردة في ذلك خلا انه فصل بين القرينين الاولين
والقرينين الاخيرين لانهما زمانان والزمان مع ما وقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ان في ذلك لآيات
لقوم يسمعون اي شانهم ان يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون في تضاعيف هذا البيان ويستدلون
بذلك على شؤونه تعالى ومن آياته يريكم البرق الفعل اما مقدر بان كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر
الوغى وان لا منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او هو على حاله والمحذوف اي
يريكم البرق كقول من قال وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها
واخرى ابتغي فيها او ومن آياته شيء او سحاب يريكم البرق خوفا من الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث للمقيم
ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان اراءتهم البرق مستلزمة لرؤيتهم اياه او للمذكور نفسه على تقدير
مضاف نحو اراءة خوف وطمع او على تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على
الحال نحو كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتخفيف فيحيي به الارض بعد موتها يبسها ان
في ذلك لآيات لقوم يعقلون فانها من الظهور بحيث يكفي في ادراكها مجرد العقل عند استعماله في استنباط
اسبابها وكيفية تكونها ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره اي بارادته تع لقيامهما والتعبير عنها
بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي والاسباب وليس المراد باقامتهما انشاءهما لانه قد بين
حاله بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض ولا اقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تمام
انشائهما وان لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الآية
بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه الى اجلهما الذي نطق به قوله تع فيما قبل ما خلق الله السموات والارض الا بالحق
واجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متاخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة بالبعث في الوجود اخرت
عنهن وجعلت متصلة به في الذكر ايضا فقيل ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون فانه كلام
مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء اجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير
منتظم في سلكها كما قيل ومن آياته قيام السموات والارض على هيآتهما بامره تعالى الى اجل مسمى قدره الله تع لقيامهما
ثم اذا دعاكم اي بعد انقضاء الاجل من الارض وانتم في قبوركم دعوة واحدة بان قال ايها الموتى اخرجوا فاجأتم
الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي ومن الارض متعلق بدعاكم اذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها
يقال دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وله خاصة من
في السموات والارض من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه
كل له قانتون اي منقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شان من شؤونه تعالى وهو الذي يبدأ الخلق
ثم يعيده بعد موتهم وتكريره لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى وهو اهون عليه اي الاعادة اهون
بالاضافة الى قدرتكم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء وقيل اهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة
لما انها مؤولة بان يعيد وقيل هو راجع الى الخلق وليس بذاك واما ما قيل من ان الانشاء بطريق التفضل الذي يتخير
فيه الفاعل بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب الذي لابد من فعله حتما فكان اقرب الى الحصول من الانشاء
المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد باهونية الفعل اقربيته الى الوجود باعتبار كثرة
الامور الداعية للفاعل الى ايجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل اسهلية تأتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته
بوجوده وكونه واجبا بالغير لا تفاوت في ذلك بين ان يكون ذلك التعلق بطريق الايجاب او بطريق الاختيار

وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى العجيب الشان من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية في السموات والارض متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى انه تع قد وصف به وعرف فيهما على السنة الخلائق والسنة الدلائل وقيل متعلق بالاعلى وقيل بمحذوف هو حال منه او من المثل او من ضميره في الاعلى وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على سنن الحكمة والمصلحة ضرب لكم مثلا يتبين به بطلان الشرك من انفسكم اي منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم واعرفها عندكم واظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية وقوله تع هل لكم الخ تصوير للمثل اي هل لكم مما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وما يجري مجراها مما تتصرفون فيه فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتاكيد النفي المستفاد من الاستفهام وقوله تع فانتم فيه سواء تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم وشركائهم متساوين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليهم على ان هناك محذوفا معطوفا على انتم لا انه تعميم للفريقين بطريق التغليب اي هل ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم امثالكم في البشرية واحكامها ان يشارككم فيما رزقناكم وهو معار لكم فانتم وهم فيه سواء شرع يتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم تخافونهم خبر اخر لانتم او حال من ضمير الفاعل في سواء اي تهابون ان تستبدوا بالتصرف فيه بدون رايهم كخيفتكم انفسكم اي خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية اي لا ترضون بان يشارككم فيما هو معار لكم مماليككم وهم امثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث يصنعونه بايديكم ثم تعبدونه كذلك اي مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات اي نبينها ونوضحها لا تفصيلا ادنى منه فان التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وابراز للاوابد المدركات على هيئة المانوس فيكون في غاية الايضاح والبيان لقوم يعقلون اي يستعملون عقولهم في تدبر الامور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الايات للكل لانهم المنتفعون بها بل اتبع الذين ظلموا اعراض عن مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم الى الحق بضرب المثل وتفصيل الايات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كانه قيل لم يعقلوا شيئا من الايات المفصلة بل اتبعوا اهواءهم الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بانهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه او ظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بغير علم اي جاهلين ببطلان ما اتوا منكبين عليه لا يلويهم عنه صارف حسبما يصرف العالم اذا اتبع الباطل علمه ببطلانه فمن يهدي من اضل الله اي خلق فيه الضلال لصرف اختياره الى كسبه اي لا يقدر على هدايته احد وما لهم اي لمن اضله الله تع والجمع باعتبار المعنى من ناصرين يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وآفاته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع فاقم وجهك للدين تمثيل لاقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه بترتيب اسبابه فان من اهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه اي فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تع حنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله الفطرة الخلقة وانتصابها على الاغراء اي الزموا او عليكم فطرة الله فان الخطاب للكل كما ينفصح عنه قوله تع منيبين والافراد في اقم لما ان الرسول صلى الله عليه وسلم امام الامة فامره عليه السلام مستتبع لامرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوى وتسويل الشياطين وقيل على المصدر اي فطر الله فطرة وقوله تع التي فطر الناس عليها صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالامر فان خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او عن ملة الاسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وما

اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه السلام حكاية عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذين يهودانه وينصرانه وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله تعليل للامر بلزوم فطرته تعالى او لوجوب الامتثال به اي لا صحة ولا استقامة لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان وقيل لا يقدر احد ان يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها راسا ووضع فطرة اخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل حينئذ من جهة ان سلامة الفطرة متحققة في كل احد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الاخلال بها بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذلك اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له او الى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء او الى الفطرة ان فسرت بالملة والتذكير بتاويل المذكور او باعتبار الخبر الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيصدون عنه صدودا منيبين اليه حال من الضمير في الناصب لفطرة الله او في اقم لما عرفت من ان الخطاب للكل وما بينهما اعتراض اي راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقوله تع واتقوه اي من مخالفة امره عطف على الفعل المذكور وكذا قوله تع واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين المبدلين لفطرة الله تبديلا من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين باعادة الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وفائدة الابدال التحذير عن الانتماء الى حزب من احزاب المشركين ببيان ان الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا اي تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا اي فرقا تشايع كل منها امامها الذي اضلها كل حزب بما لديهم من الدين المعوج المؤسس على الراي الزائغ والزعم الباطل فرحون مسرورون ظنا منهم انه حق وانى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز ان يكون فرحون صفة لكل على ان الخبر هو الظرف المقدم اعني من الذين فرقوا ولا يخفى بعده واذا مس الناس ضر اي شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم الذين كانوا دعوه منيبين اليه يشركون اي فاجا فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما ان بعضهم ليسوا كذلك كما في قوله تع فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على الطريق او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدي كقوله تع تمتعوا غير انه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ولا التفات الى الغيبة في قوله تع ام انزلنا عليهم للايذان بالاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة سلطانا اي حجة واضحة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كما في قوله تع هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم به تع او بالامر الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطرا واشرا لا حمدا وشكرا وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجؤا القنوط من رحمته تع وقرئ بكسر النون اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه من الصلة والصدقة وسائر المبرات والمسكين وابن السبيل ما يستحقانه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لمن بسط له كما يؤذن به الفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته ويقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة خالية عن العوض

عند المعاملة وقرئ أتيتم بالقصر اي غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربوا ليربو في اموال الناس ليزيد ويزكو
في اموالهم فلا يربو عند الله اي لا يبارك فيه وقرئ لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربوا وما آتيتم من
زكوة تريدون وجه الله اي تبتغون به وجهه تع خالصا فاولئك هم المضعفون اي ذوو الاضعاف
من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة
وقرئ بفتح العين وفي تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم
ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له تع لوازم الالوهية ونفاها
راسا عما اتخذوه شركاء له تع من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه
الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تع سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول
صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تع من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم
في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب
ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار
او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدي الناس بشوم معاصيهم
او بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا
ليذيقهم بعض الذي عملوا اي بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم
بالنون لعلهم يرجعون عما كانوا عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل
ليشاهدوا آثارهم كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على ان ما اصابهم لفشو الشرك فيما بينهم
او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم اي البليغ الاستقامة
من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر احد على رده من الله متعلق بياتي او بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده
الله تع لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون اصله يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق
في السعير من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
اي يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا
وعملوا الصالحات من فضله متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون او يتفرقون بتفريق الله تع فريقين
ليجزي كلا منهما بحسب اعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك في معرض الغاية
وعبر عنه بالفضل لما ان الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب واشير الى جزاء الفريق الآخر بقوله تع انه
لا يحب الكافرين فان عدم محبته تع كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة ومن
آياته ان يرسل الرياح اي الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على ارادة الجنس مبشرات
بالمطر وليذيقكم من رحمته وهي المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي
مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم بها وليذيقكم او
بمحذوف يفهم من ذكر الارسال والتقدير وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا لامر آخر لا تعلق له بما فيكم ولتجري
الفلك بسوقها بامره ولتبتغوا من فضله بتجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر
من الغايات الجليلة ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم كما ارسلناك الى قومك فجاؤهم بالبينات
اي جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببينات فكذبوا الا ان في قوله تع فانتقمنا من الذين
اجرموا فصيحة اي فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول للتنبيه على مكان المحذوف والاشعار
بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث

جعلوا مستحقين على الله ان ينصرهم واشعار بان الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد يوقف على حقا على انه متعلق
بالانتقام ولعل توسيط الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح واحكامها
لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بمواجب شكر النعم المطلوب بقوله تع لعلكم تشكرون عما يتعلق بالنعم المعدودة
المنوطة بارسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك الامم من الانتقام الله الذي يرسل الرياح استيناف
مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في جوها كيف
يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا تارة اي قطعا
وقرئ بسكون السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في
التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده اي بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون فاجاوا
الاستبشار بمجيء الخصب وان كانوا ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي وان الشان
كانوا من قبل ان ينزل عليهم اي المطر من قبله تكرير للتاكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام
ياسهم منه وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح واقرب
من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل ليفيد سرعة تقلب قلوبهم من الياس الى الاستبشار
بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال الياس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية
لمبلسين خبر كانوا واللام فارقة اي آيسين فانظر الى آثار رحمة الله المترتبة على تنزيل المطر من النبات
والاشجار وانواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ اثر بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيي
اي الله تع الارض بعد موتها في حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق لانظر اي فانظر الى احيائه البديع
للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتاويل واياما كان فالمراد بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تع وسعة رحمته
مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث وقرئ تحيي بالتانيث على الاسناد الى ضمير الرحمة ان ذلك العظيم الشان
الذي ذكر بعض شؤونه لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى الحيوانية
كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل
شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي مبالغ في القدرة على جميع الاشياء التي من جملتها احياؤهم لما ان
نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه اي الاثر المدلول عليه بالآثار او النبات المعبر عنه
بالآثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا بعد خضرته ونضارته وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر لظلوا من بعده يكفرون جواب سد مسد الجوابين اي ليظلن وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفي الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى في كل حال ويلجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا بما يرديهم فانك لا تسمع الموتى تعليل لما يفهم من الكلام كانه قيل لا تحزن لعدم اهتدائهم بتذكيرك فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء وقرئ بفتح الياء ورفع الصم اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيئا وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرئ وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع الا من يؤمن

بآياتنا فان اعمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول والمؤمن يتشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لا يتمالكه فهم مسلمون منقادون لما تأمرهم به من الحق الله الذي خلقكم من ضعف مبتدأ وخبر اي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله تع وخلق الانسان ضعيفا اي خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد في الجميع وهو اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المؤخر يخلق ما يشاء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير المبالغ في العلم والقدرة فان الترديد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة اي القيمة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا اي في القبور او في الدنيا والاول اظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سيأتي وليس لبثهم في الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم اهي اربعون سنة او اربعون الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان في الدنيا من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه عليكم او في اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه واكدوه باليمين كانهم من فرط حيرتهم لم يدروا ان ذلك هو البعث الموعود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون انه يكون بعد فناء الخلق كافة ويعدون لذلك زمانا مديدا وان لم يعتقدوا حقيقته فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها ويكذبونهم بالاخبار بوقوعها حيث قالوا فهذا يوم البعث الذي كنتم توعدون ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق فتستعجلون بها استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم وقرئ تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي ولقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كانها في غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل بهم من رد اعتذارهم ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن الناطقة بامثال ذلك ليقولن الذين كفروا لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان انتم الا مبطلون اي مزورين كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة ان وعد الله حق وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة ولا يستخفنك لا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بما تتلو عليهم من الآيات البينات بتكذيبهم اياها وايذائهم لك بالاباطيل التي من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم امثال ذلك وقرئ بالنون الخفيفة وقرئ ولا يستحقنك من الاستحقاق اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين واياما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن استخفافه عم واستحقاقه لكنه في الحقيقة نهي له عم عن التأثر من استخفافهم

والافتنان بتعنتهم على طريق الكناية كما في قوله تع ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عن رسول الله عم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع يومه وليلته سورة لقمن مكية قيل الا آية هي قوله تعالى يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه ينافي ترغيبهما وقيل الا ثلث آيات من قوله تع ولو انما في الارض من شجرة اقلام الخ

سورة لقمان مكية اربع وثلثون آية

الم تلك آيات الكتاب سلف بيانه في نظائره الحكيم اي ذي الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف له بنعته تعالى او اصله الحكيم منزله او قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن في الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اي معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئا بالرفع على انهما خبران آخران لاسم الاشارة او لمبتدأ محذوف للمحسنين العاملين الحسنات فان اريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة قوله الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلث بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بصورة كونه مبتدأ مما لا وجه له اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مرهوب لحيازتهم قطري العلم والعمل وقد مر ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة بلا مزيد عليه ومن الناس محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف ومن في قوله تع من يشتري لهو الحديث موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يشتري او فريق يشتري على ان مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين كما في قوله تع ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من الاحاديث كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من التبيينية ان اريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان اريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل اليه او عن قراءة كتابه الهادي اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليثبت ويستمر على ضلاله او ليزداد فيه بغير علم اي بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل الشر بالخير المحض ويتخذها بالنصب عطفا على ليضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين الاسلام والقرآن اي ويتخذها هزوا مهزوءا به وقرئ بالرفع عطفا على يشتري وقوله تع اولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الفعلين باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر لما ذكر من الاشتراء والاضلال لهم عذاب مهين لما اهانوا به الحق باستيثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه واذا تتلى عليه اي على المشتري فرد الضمير فيه وفيما بعده كما افرد في الفعلين الاولين باعتبار لفظة من بعدما جمع فيما بينهما باعتبار معناها آياتنا التي هي آيات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين ولى

عنها غير معتد بها مستكبرا مبالغا في التكبر كأن لم يسمعها حال من ضمير ولى أو من ضمير مستكبرا والأصل
كأنه فحذف ضمير الشأن وخففت المثقلة أي مشبها حاله بحال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز إلى أن
من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الأمور الموجبة للإقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول
من قال كأنك لم تجزع على ابن طريف كأن في أذنيه وقرا حال من ضمير لم يسمعها أي مشبها حاله بحال من في أذنيه
ثقل مانع من السماع ويجوز أن يكونا استئنافين وقرئ في أذنيه بسكون الذال فبشره بعذاب أليم أي فأعلمه
بأن العذاب المفرط في الإيلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بيان لحال المؤمنين بآياته تعالى إثر بيان حال الكافرين بها أي الذين آمنوا بآياته وعملوا بموجبها لهم بمقابلة ما ذكر من
إيمانهم وأعمالهم جنات النعيم أي نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة خبر إن والأحسن أن يجعل لهم هو الخبر لأن وجنات
النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم أو من جنات النعيم لاشتماله على ضميريهما
والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الأول لنفسه والثاني لغيره لأن قوله تعالى لهم
جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى
الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ليمنعه من إنجاز وعده أو تحقيق وعيده الحكيم
الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة خلق السموات بغير عمد إلخ استئناف مسوق للاستشهاد بما فصل
فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وإبطال أمر الإشراك
وتبكيت أهله والعمد جمع عماد كأهب جمع إهاب وهو ما يعمد به أي يسند يقال عمدت الحائط إذا دعمته
أي بغير دعائم على أن الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى ترونها استئناف جيء به للاستشهاد على ما ذكر
من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك أو صفة لعمد أي خلقها بغير عمد مرئية على أن التقييد للرمز إلى
أنه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمد القدرة وألقى في الأرض رواسي بيان لصنعه البديع في قرار الأرض إثر بيان
صنعه الحكيم في قرار السموات أي ألقى فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الرعد أن تميد بكم
كراهة أن تميل بكم فإن بساطة أجزائها تقتضي تبدل أحيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أو
لشيء من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص وبث فيها من كل دابة من كل نوع من أنواعها وأنزلنا من
السماء ماء هو المطر فأنبتنا فيها بسبب ذلك الماء من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع والالتفات
إلى نون العظمة في الفعلين لإبراز مزيد الاعتناء بأمرهما هذا أي ما ذكر من السموات والأرض وما تعلق
بهما من الأمور المعدودة خلق الله أي مخلوقه فأروني ماذا خلق الذين من دونه مما اتخذتموهم شركاء
له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق أو ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته و
أروني متعلق به وقوله تعالى بل الظالمون في ضلال مبين إضراب عن تبكيتهم بما ذكر إلى التسجيل عليهم بالضلال
البين المستدعي للإعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة أن يفهموا منها شيئا فيهتدوا به إلى العلم
ببطلان ما هم عليه أو يتأثروا من الإلزام والتبكيت فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على أنهم
بإشراكهم واضعون للشيء في غير موضعه ومتعدون عن الحد وظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد
ولقد آتينا لقمان الحكمة كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعوراء من أولاد آزر
ابن أخت أيوب عم أو خالته وعاش حتى أدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل
كان قاضيا في بني إسرائيل والجمهور على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الإنسانية
باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنه صحب
داود عليه السلام شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب أنت فقال
الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وإن داود عم قال له يوما كيف أصبحت

قال أصبحت

قال أصبحت في يدي غيري فتفكر داود عم فيه فصعق صعقة وأنه أمره مولاه بأن يذبح شاة ويأتي بأطيب مضغتين
منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد أيام أمره بأن يأتي بأخبث مضغتين منها فأتى بهما أيضا فسأله عن ذلك فقال هما
أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا ومعنى أن اشكر لله أي اشكر له تعالى على أن أن مفسرة فإن إيتاء الحكمة
في معنى القول وقوله تعالى ومن يشكر إلخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالأمر أي ومن يشكر له تعالى
فإنما يشكر لنفسه لأن منفعته التي هي ارتباط العتيد واجتلاب المزيد مقصورة عليها ومن كفر فإن الله
غني عن كل شيء فلا يحتاج إلى الشكر ليتضرر بكفر من كفر حميد حقيق بالحمد وإن لم يحمده أحد أو محمود بالفعل ينطق
بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكورا لما أن الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال
عم الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فإثباته له تعالى إثبات للشكر له قطعا وإذ قال لقمان لابنه أنعم
وقيل أشكم وقيل ماثان وهو يعظه يا بني تصغير إشفاق وقرئ يا بني بإسكان الياء وبكسرها لا تشرك بالله
قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما إن الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي
أو للانتهاء عن الشرك ووصينا الإنسان بوالديه إلى آخره كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد
في أثناء وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك وقوله تعالى حملته أمه إلى قوله في عامين اعتراض
بين المفسر والمفسر وقوله تعالى وهنا حال من أمه أي ذات وهن أو مصدر مؤكد لفعل هو الحال أي تهن وهنا وقوله
تعالى على وهن صفة للمصدر أي كائنا على وهن أي تضعف ضعفا فوق ضعف فإنها لا تزال يتضاعف ضعفها وقرئ
وهنا على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين أي فطامه في تمام
عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي وعند أبي حنيفة رحمهما الله هي ثلاثون شهرا وقد بين وجهه في موضعه وقرئ
وفصله أن اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية في حقها خاصة ولذلك
قال عم لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك إلي المصير تعليل لوجوب الامتثال بالأمر
أي إلي الرجوع لا إلى غيري فأجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر وإن جاهداك على أن تشرك
بي ما ليس لك به علم أي بشركته له تعالى في استحقاق العبادة علم فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا
معروفا أي صحابا معروفا يرتضيه الشرع وتقتضيه المروءة واتبع سبيل من أناب إلي بالتوحيد والإخلاص
في الطاعة ثم إلي مرجعكم أي مرجعك ومرجعهما ومرجع من أناب إلي فأنبئكم بما كنتم تعملون عند رجوعكم
بأن أجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل إلخ شروع في حكاية بقية وصايا لقمان إثر تقرير
ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتأكيده بالاعتراض أي إن الخصلة
من الإساءة أو الإحسان إن تك مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على أن الضمير للقصة وكان تامة
والتأنيث لإضافة المثقال إلى الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة من الدم أو لأن المراد بها الحسنة
والسيئة فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض أي في أخفى مكان وأحرزه كجوف الصخرة أو أعلاه كمحدب السموات أو أسفله كمقعر الأرض يأت بها الله يحضرها ويحاسب
عليها إن الله لطيف يصل علمه إلى كل خفي خبير بكنهه وبعد ما أمره بالتوحيد الذي هو أول ما يجب على الإنسان
في ضمن النهي عن الشرك ونبهه على كمال علمه تعالى وقدرته أمره بالصلاة التي هي أكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل
بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له يا بني أقم الصلاة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف وانه
عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما أصابك من الشدائد والمحن لا سيما فيما أمرت به إن ذلك إشارة
إلى الكل كما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلته في الفضل
من عزم الأمور أي مما عزمه الله تعالى وقطعه قطع إيجاب مصدر أطلق على المعزوم
أو يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فإذا عزم الأمر أي جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الأمر

والنهي والايذان بان ما بعدها ليس غايته ولا تصعّر خدك للناس اي لا تمله ولا تولّهم صفحة وجهك
كما هو ديدن المتكبرين من الصَّعَر وهو الصَّيَد وهو داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا
تُصْعِر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه واعلاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع
الحال او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر ان الله لا يحب كل مختال فخور
تعليل للنهي او موجبه وتاخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعّر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشي مرحا لرعاية
التواصل واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام
سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة في عمر رضي الله تعالى عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب
المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدّد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص
واقصر ان انكر الاصوات اي اوحشها لصوت الحمير تعليل للامر على ابلغ وجه وآكده مبني على تشبيه الرافعين
اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته
الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس
من بين اصوات سائر الاجناس وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض
رجوع الى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم
للدلائل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له اعم من ان يكون منقادا له يتصرف فيه كيف
يشاء ويستعمله حسبما يريد كعامة ما في الارض من الاشياء المسخرة للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان
او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير ان يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات من الاشياء
التي نيطت بها مصالح العباد معاشا او معادا واما جعله منقادا للامر مذللا على ان معنى لكم لاجلكم فان جميع
ما في السموات والارض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء
وان كان مسخرا له بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة
معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعم وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنه
الغين او الخاء او القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة ومن الناس من يجادل
في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى من جهة الرسول ولا كتاب منير انزله الله
سبحانه بل بمجرد التقليد واذا قيل لهم اي لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع
ما وجدنا عليه آباءنا يريدون به عبادة الاصنام اولو كان الشيطان يدعوهم اي آباءهم لا انفسهم
كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون انفسهم كذلك اي يتبعونهم
ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك الى عذاب السعير فهم متوجهون اليه حسب دعوته والجملة
في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون من سورة
البقرة بالاعتبار ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض اليه جميع اموره واقبل عليه بكليته وحيث عدي
باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد يقال سلمت امري الى فلان وهو محسن في اعماله
وقد مر في آخر سورة النحل فقد استمسك بالعروة الوثقى اي تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو
تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه
والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا والآخرة
الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم بما عملوا في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب ان الله
عليم بذات الصدور تعليل للتنبئة المعبر بها عن التعذيب نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم
وقرئ

زمان بعد امد طويل بالنسبة الى ما يدوم تقليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى
الاحراق الضغط والتضييق ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لغاية وضوح الامر
بحيث اضطروا الى الاعتراف قل الحمد لله على ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا
بل اكثرهم لا يعلمون شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك
يلزمهم لله ما في السموات والارض فلا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن العالمين الحميد
المستحق للحمد وان لم يحمده احد او المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام اي لو ثبت ان الاشجار اقلام وتوحيد الشجرة لما ان المراد تفصيل الآحاد والبحر يمده من بعده اي من بعد
نفاده سبعة ابحر اي والحال ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا وكتبت بتلك الاقلام
بذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان
تنفد كلمات ربي وقرئ يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه اعظم
منها واطم لانها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار العظام اولا ومنها ينصب الى البحر
المحيط ثانيا وايثار جمع القلة في الكلمات للايذان بان ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير ان الله عزيز
لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليهما ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة اي الا كخلقها وبعثها في سهولة التأتي اذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن لان مناط وجود الكل تعلق ارادته
الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله
سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر قيل الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق وما لحق اي الم تعلم علما
قويا جاريا مجرى الرؤية ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي يدخل كل واحد منهما
في الآخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا وسخر الشمس والقمر عطف على يولج والاختلاف
بينهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الآخر متجدد في كل حين واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما
التعدد والتجدد في آثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل كل يجري اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات
اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الايام جريا مستمرا الى اجل مسمى قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيمة
كما روي عن الحسن رحمه الله فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان
الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عليه السلام يجوز ان تكون حالا من الشمس والقمر فان جريانهما
الى يوم القيمة من جملة ما في حيز رؤيته عليه السلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والاجل المسمى
عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج
احد الملوين في الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجها الى
سمت الرأس تزداد القوس التي هي فوق الارض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض اجزاء الليل اليه الى ان يبلغ
المدار الذي هو اقرب المدارات الى سمت الرأس وذلك عند بلوغها الى رأس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد
عن سمت الرأس فلا تزال القسي التي فوق الارض تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض اجزائه الى الليل الى
ان يبلغ المدار الذي هو ابعد المدارات اليومية عن سمت الرأس وذلك عند بلوغها برج الجدي وقوله تعالى وان
الله بما تعملون خبير عطف على ان الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على تقديري خصوص الخطاب وعمومه فان
من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل اعماله ودقائقها
ذلك اشارة الى ما تلي من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى بان الله هو الحق اي بسبب بيان انه تعالى هو الحق الهيته فقط ولاجله لكونها ناطقة بحقية

التوحيد وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ اي ولاجل بيان بطلان الهية ما يدعونه من دونه تع لكونها
شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء والتصريح بذلك مع ان الدلالة على اختصاص حقية الالهية
به تع مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتناء بامر التوحيد وللايذان بان الدلالة
على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال ايضا وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ اي ولبيان
ان الله تعالى هو المرتفع عن كل شيء المتسلط عليه فان ما في تضاعيف الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء
به تعالى اي بيان هذا وقيل ذلك اي ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارئ بها
بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وانت خبير بان حقيته تع وعلوه وكبرياءه
وان كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل له في المناطية قطعا
فلا مساغ لنظمه في سلك الاسباب بل هو تعكيس للامر ضرورة ان الاحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها لا ان
بطلانها يقتضيها أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر
قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجري او بمحذوف هو حال من فاعله اي ملتبسة بنعمته تع وقرئ
الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ اي بعض دلائل
وحدته وعلمه وقدرته وقوله تع إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ تعليل لما قبله اي ان فيما ذكر لآيات
عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من بالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الانفس والآفاق
ويبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن كأنه قيل لكل مؤمن وَإِذَا غَشِيَهُمْ اي علاهم واحاط بهم مَوْجٌ
كَالظُّلَلِ كما يظل من جبل او سحاب وغيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدائد فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ اي
مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ
غدار فانه نقض للعهد الفطري او رفض لما كان في البحر والختر اشد الغدر واقبحه كَفُورٍ مبالغ في كفر نعم الله تع
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ اي لا يقضي عنه وقرئ لا يجزي من
اجزاه اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اي لا يجزي فيه وَلَا مَوْلُودٌ عطف على والد او هو مبتدأ خبره
هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين
ان ينفع اباه الكافر في الآخرة إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بالثواب والعقاب حَقٌّ لا يمكن اخلافه اصلا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ اي الشيطان المبالغ في الغرور بان يحملكم على المعاصي بتزيينها
لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام
انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ
في ابانه الذي قدره والى محله الذي عينه في علمه وقرئ ينزل من الانزال وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ من ذكر او انثى
او تام او ناقص وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ من النفوس مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا من خير او شر وربما تعزم على شيء منها فتفعل
خلافه وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان
عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني فمر الريح
ان تحملني وتلقيني ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عم كان دوام نظري اليه تعجبا منه حيث كنت امرت بان
اقبض روحه بالهند وهو عندك ونسبة العلم الى الله والدراية الى العبد للايذان بانه ان اعمل حيلة وبذل
في التعرف وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ بأية
ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء

التي من جملتها ما ذكر خَبِيرٌ يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان
لقمان رفيقا له يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر سورة السجدة

سورة السجدة مكية تسع وعشرون آية

الم اما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها
قد عرفت سره واما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تع تَنْزِيلُ الْكِتَابِ على الاول
خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ محذوف اي المؤلف من جنس ما ذكر
تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم اي المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان
يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وقوله تع لَا رَيْبَ فِيهِ خبر
ثالث على الوجه الاول وثان على الاخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب وقوله تع مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ متعلق بمضمر
هو حال من الضمير المجرور اي كائنا منه لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ولا وجه حينئذ لانه الخبر ولا ريب
فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك اي كونه منزلا
من رب العالمين ويؤيده قوله تع أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين
فلا بد ان يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث
جيء بأم المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان
حقية ما انكروه حيث قيل بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ باضافة اسم الرب الى ضميره عم بعد اضافته فيما سبق الى العالمين
تشريفا له عم ثم ايد ذلك ببيان غايته حيث قيل لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ
فان بيان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما
يقرر وجود الشيء ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش اضل الناس واحوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل
الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عم اي ما اتاهم من نذير من قبل انذارك او من قبل زمانك والترجي
معتبر من جهته عم اي لتنذرهم راجيا لاهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التأييد انما يتسنى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب
مبتدأ واما على سائر الوجوه فلا تأييد اصلا لان قوله تع من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث
على الوجهين الاخيرين وانما كان يكون من رب العالمين مقصود الافادة لا قيدا لحكم آخر فتدبر اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ قد مر بيانه فيما سلف مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ اي ما لكم اذا جاوزتم رضاه تع احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من بأسه اي ما لكم سواه
ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا
خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ اي الا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او اتسمعونها
فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثاني الى عدم التذكر مع تحقق
ما يوجبه من السماع يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ اي يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة
آثارها واحكامها الى الارض ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ اي يثبت في علمه موجودا بالفعل فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ
مِمَّا تَعُدُّونَ اي في برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها
من الزمان وقيل يدبر امر الحوادث اليومية باثباتها في اللوح المحفوظ فتنزل بها الملائكة ثم تعرج اليه في زمان
هو كالف سنة مما تعدون فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فتنزل به الملك
ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله عند قيام الساعة

اي على تقدير كونه تنزيل الكتاب مبتدأ [illegible]

هو كونه خبرا لمبتدأ محذوف [illegible] على نمط التعديد [illegible] مبتدأ [illegible]

يدبّر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض ثم لا يعرج اليه خالصا الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين
والاعمال الخالصة وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا تقتضي بطء عروجها الى السماء بل قلته وقرئ يعدّون بالياء
ذلك اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وانحصار الولاية
والنصرة فيه وتدبير امر الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدأ خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشأن عالم
الغيب والشهادة فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على عباده وهما خبران آخران وفيه
ايماء الى انه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان الذي احسن كل شيء خلقه خبر آخر او نصب على المدح
اي حسّن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع
المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف
يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن اي يحسن معرفته ويعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلَقه على انه
بدل اشتمال من كل شيء والضمير للمبدل منه اي احسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق
اي احسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمين معنى اعطى اي اعطى كل شيء خلقه اللائق به بطريق
الاحسان والتفضل وقيل هو مفعول اول وكل شيء مفعوله الثاني والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين
الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شيء مما يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى اعطى كل
شيء خلقه ثم هدى وبدأ خلق الانسان من بين جميع المخلوقات من طين على وجه بديع تحار العقول فيه حيث برأ آدم
على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا
كما ينبئ عنه قوله تعالى ثم جعل نسله اي ذريته سميت به لانها تنسل وتنفصل منه من سلالة من ماء
مهين هو المني الممتهن ثم سواه اي عدّله بتكميل اعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه
اضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع وان له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية
وان اقصى ما تنتهي اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى
بالنسبة الى امره كما في قوله تعالى قل الروح من امر ربي وجعل لكم السمع والابصار والافئدة التفات الى
الخطاب واللام متعلقة بجعل والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه
من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم اي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انها مع كونها في انفسها نعما جليلة لا
يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها بان تصرفوا كلا منها الى ما خلق
هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبابصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا
بافئدتكم على حقيتهما قليلا ما تشكرون بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي
اي تشكرون شكرا قليلا او زمانا قليلا وقيل القلة بمعنى النفي ولعل السر في حكاية احوال الانسان
من مبدأ فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية احواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ عن استعداده للفهم وصلاحيته
له وقالوا كلام مستأنف مسوق لبيان اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم
تلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة أئذا ضللنا في الارض اي صرنا
ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها بالدفن وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد
المهملة من صلّ اللحم اذا انتن وقيل من الصلّة وهي الارض اي صرنا من جنس الصلّة
والعامل في اذا ما يدل عليه قوله تعالى أئنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا
المتبادر من تقديم الهمزة انكار تحقق البعث بل هم بلقاء

وهم كافرون اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو ابلغ واشنع منه وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة
وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا قل بيانا للحق وردّا على زعمهم الباطل يتوفاكم ملك الموت لا كما تزعمون
ان الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة اي يقبض ارواحكم بحيث لا يترك فيكم شيئا ولا يترك
منكم احدا على اشد ما يكون من الوجوه وافظعها من ضرب وجوهكم وادباركم الذي وكل بكم اي بقبض ارواحكم واحصاء
آجالكم ثم الى ربكم ترجعون بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون وهم القائلون أئذا ضللنا في الارض
الآية او جنس المجرمين وهم من جملتهم ناكسوا رؤوسهم عند ربهم من الحياء والخزي عند ظهور قبائحهم التي اقترفوها
في الدنيا ربنا اي يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اي صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات
المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيئا فارجعنا الى الدنيا نعمل عملا صالحا حسبما تقتضيه
تلك الآيات وقوله تعالى انا موقنون ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما ان
ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع كانهم قالوا وايقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة
الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا في الاجابة الى
ما سألوه من الرجعة وانّى لهم ذلك ويجوز ان يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه فانهم
حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بان مصيرهم الى النار لا محالة فالمعنى
ابصرنا قبح اعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وسمعنا ان مردنا الى النار وهو الانسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح
هذا وقد قيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك وانت خبير بان تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون باظهار مدلول ما
اخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه وقيل وسمعنا قول الرسل اي سمعناه سمع
طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون منك رؤية في ذلك الوقت وقيل ما ينبئ عنه صلة اذ والمضي
فيها وفي لو باعتبار ان الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا فظيعا لا يقادر قدره
والخطاب لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها
واستفظاعها براءٍ دون راءٍ ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب
من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد الى بيان ان حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة
فلا تختص رؤية راءٍ دون راءٍ بل كل من يتأتى منه فله مدخل في هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال
فظاعة حالهم كما ينبئ عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلّمات فتدبر ولو شئنا لآتينا كل
نفس هداها مقدّر بقول معطوف على ما قدّر قبل قوله تعالى ربنا ابصرنا الخ اي ونقول لو شئنا اي لو تعلقت
مشيئتنا تعلقا فعليا بان نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه في الدنيا
التي هي دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء ولكن حق القول مني اي سبقت كلمتي حيث قلت لابليس عند قوله
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله
تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ اعطاء
الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغي باغوائه ومشيئتنا لافعال
العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم يختاروا الهدى واختاروا الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما اعطيناه الذين
اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي من قوله تعالى انما يؤمن بآياتنا الآية فيكون مناط عدم مشيئة
اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق الفعلي بافعال العباد
عند حدوثها لان المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب
فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطها علمه تعالى ازلا بصرف اختيارهم فيما سيأتي الى الغي وايثارهم له على الهدى
فلو اريدت هي من تلك الحيثية لاستدرك بعدمها ونيط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم

فمن توهم ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار ولاهتدوا ولكن لم نعطهم
لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره فقد اشتبه عليه الشؤون والفاء في قوله تع فذوقوا لترتيب الامر بالذوق
على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع الى الدنيا او على الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى بما نسيتم لقاء يومكم
هذا للايذان بان تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد فقط بل هو وسبق الوعيد ايضا بسبب موجب له من قبلهم كانه قيل
لا رجع لكم الى الدنيا او حق وعيدي فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية
انا نسيناكم اي تركناكم في العذاب ترك المنسي بالمرة وقوله تع وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون تكرير
للتاكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوي للذوق والاشعار بان سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له اسباب
اخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال
كل منها في استيجاب العذاب وفي ابهام المذوق اولا وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستيناف المنبئ عن كمال
السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تع انما يؤمن باياتنا استيناف
مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو اوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل
انكم لا تؤمنون باياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تع ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا خروا سجدا اثر ذي اثير من غير تردد ولا تلعثم
فضلا عن التسويف الى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد اي سقطوا على وجوههم وسبحوا بحمد ربهم اي
ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التي
اجلها الهداية بايتاء الايات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم
للاشعار بعلة التسبيح والتحميد بانهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تع لهم وهم لا يستكبرون اي والحال انهم
خاضعون له تع لا يستكبرون عما يفعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم اي ترتفع وتتنحى عن المضاجع
اي الفرش ومواضع المنام والجملة مستانفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضي الله عنه نزلت فينا
معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وعن انس ايضا انه قال
نزلت في اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء وهي صلوة الاوابين وهو
قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا
العشاء الاخرة والفجر في جماعة والمشهور ان المراد منه صلوة الليل اي التهجد وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي
وجماعة لقوله عم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل وعن النبي
صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلوة والسلام اذا جمع الله الاولين والاخرين
جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم
عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل
فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من ضمير جنوبهم اي داعين له
تعالى على الاستمرار خوفا من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعا في رحمته ومما رزقناهم من المال ينفقون
في وجوه البر والحسنات فلا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم ما اخفي لهم اي
لاولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة من قرة اعين مما تقر به اعينهم وعنه عليه السلام يقول الله عز وجل اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرئ ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم وعلى صيغة المتكلم وما اخفى لهم على البناء
للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ قرات عين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنه
الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي لهم للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة

قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله تعالى ثوابهم أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا اي ابعد
ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت اوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت احواله
لا يستوون التصريح به مع افادة الانكار لنفي المشابهة بالمرة على ابلغ وجه واكده لبناء التفصيل الاتي عليه والجمع
باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تع اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم
جنات المأوى تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر احوالهما في الدنيا واضيفت الجنة الى المأوى لانها المأوى
الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات واياما كان فلا يبعد ان يكون فيه رمز الى ما
ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا نزلا اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب
وانتصابه على الحالية بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة او باعمالهم واما الذين فسقوا اي خرجوا
عن الطاعة فمأواهم اي ملجاؤهم ومنزلهم النار مكان جنات المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها استيناف لبيان كيفية كون النار مأواهم يروى انه يضربهم لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا
قربوا من بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة على انهم
مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم ذوقوا عذاب
النار الذي كنتم به تكذبون على الاستمرار في الدنيا ولنذيقنهم من العذاب الادنى اي عذاب
الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم
لعل الذين يشاهدونه وهم في الحيوة يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه
يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل آيات
الله تع بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها
وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها اي هو
اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا انا من المجرمين اي
كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريرته منتقمون فكيف ممن هو اظلم من كل ظالم واشد جرما من كل مجرم ولقد
آتينا موسى الكتاب اي التورية عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان
ايتاءه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كايتاء التورية لموسى عم فلا تكن في مرية من لقائه من لقاء الكتاب الذي
هو الفرقان كقوله تعالى وانك لتلقى القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك
من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى [illegible]
[illegible] رأيت ليلة اسري بي موسى عم رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي الكتاب الذي
آتيناه موسى هدى لبني اسرائيل قيل لم يتعبد بما في التورية ولد اسمعيل وجعلنا منهم ائمة يهدون
[illegible] الى ما في تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق [illegible] بامرنا
اياهم بذلك او بتوفيقنا له لما صبروا [illegible]
[illegible] على الطاعات [illegible] وكانوا باياتنا التي في تضاعيف
الكتاب يوقنون لامعانهم فيها النظر [illegible]
[illegible] ان ربك هو يفصل اي يقضي بينهم قيل بين الانبياء واممهم وقيل بين المؤمنين
والمشركين يوم القيامة فيميز بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين [illegible]
[illegible] المفعول [illegible] والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم اهلكنا [illegible]

اولم يهد لهم اولم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ
نهد لهم بنون العظمة وقد يجوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ايضا ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم اهلكنا
الخ استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى يمشون في مساكنهم اي يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون
آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشون للتكثير ان في ذلك اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية
العاتية او في مساكنهم لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي التي جرز نباتها اي قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن
فنخرج به من تلك الارض زرعا تأكل منه اي من ذلك الزرع انعامهم كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة
بها وقرئ يأكل بالياء وانفسهم كالحبوب التي يقتاتها الانسان والثمار افلا يبصرون اي الا ينظرون فلا يبصرون
ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تع وفضله ويقولون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين
او يفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح
اي النصر او الفصل بالحكومة ان كنتم صادقين في ان الله ينصركم او يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا
للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين
واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رحمهما الله تعالى يوم فتح مكة والعدول
عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغي ان يسأل عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به
وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كأنه قيل لهم لا تستعجلوا
فكأني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر واما على الآخرين فالموصول عبارة
عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه الاول وكيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح وناسا آمنوا
يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون قيل اي الغلبة عليكم كقوله
تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم كما في قوله تع هل ينظرون الا ان يأتيهم الله
في ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظروه فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه
من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء
بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده
الملك اعطي من الاجر كأنما احيى ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب ثلث وسبعون آيات مكية

يا ايها النبي اتق الله في ندائه عليه السلام بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى
المأمور بها الثبات عليه والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا تطع الكافرين اي
المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له اي فيما يعود بوهن في الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين روي ان
اباسفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه عم في الموادعة التي كانت بينه وبينهم
وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا
وقل انها تشفع وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق
الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين فيما طلبوا اليك ان الله كان عليما
حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك
الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بهما واتبع

اي في كل ما تأتي وتذر من امر الدين ما يوحى اليك من ربك من الآيات التي من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله
الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال ان الله كان بما تعملون
خبيرا قيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقيل له عم وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات
ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل على ضرب من التغليب واياما كان فالجملة تعليل للامر وتأكيد لموجبه اما على
الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب كأنه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه
ثوابا وعقابا واما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كأنه قيل ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرتب على ذلك ما فيه
صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكائد والمفاسد ويأمرك بما ينبغي لك ان تعمله في دفعها
وردها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على الله اي فوض جميع امورك اليه وكفى بالله وكيلا
حافظا موكولا اليه كل الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في القاء الوحي الذي امر عم باتباعه
وهذا مثل ضربه الله تع تمهيدا لما يعقبه من قوله تع وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم
وما جعل ادعياءكم ابناءكم وتنبيها على ان كون المظاهر منها اما وكون الدعي ابنا اي بمنزلة الام والابن
في الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف واحد وقيل هو رد لما كانت
العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او جميل بن اسد الفهري ذو القلبين اي ما جمع الله
قلبين في رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تع ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية وامومة
في امرأة ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة
والبنوة كما في القلب ولا بمعنى نفي الجمع بين احكام الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين احكام الدعوة واحكام
البنوة على الاطلاق بل بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة
واحكام البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة على المظاهر منها واجراء احكام البنوة على الدعي
ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته
بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق والحرمة الى اداء الكفارة
كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهار للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج او
للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاء وقرئ اللائي وقرئ
تظاهرون بحذف احدى التائين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية في الظاء وتظهرون من
الظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وادعياء جمع دعي وهو الذي
يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي واتقياء كأنه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلاء
اسراء ذلكم اشارة الى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من سياق الكلام اي
دعاؤكم بقولكم هذا ابني قولكم بافواهكم فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذن هو بمعزل
من استتباع احكام البنوة كما زعمتم والله يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق لا غير
فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله عز وجل ادعوهم لآبائهم اي انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله تع هو اقسط عند الله
تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تع اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة
مطلقا من القسط بمعنى العدل اي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تع وقضائه فان لم تعلموا
آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه اي فادعوهم بالاخوة
الدينية والمولوية وليس عليكم جناح اي اثم فيما اخطأتم به اي فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو او
النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ
وحكم التبني بقوله هو ابني اذا كان عبدا للقائل العتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب

وكان بحيث يولد مثله بمثل المتبنى ولم يتعلق بنسبه من غيره النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم اي في كل امر من
امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عليه السلام احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم
من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس
بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه
اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وأزواجه أمهاتهم اي منزلات منازلهن في التحريم واستحقاق
التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء وأولوا الأرحام
اي ذووا القرابات بعضهم أولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في
الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزله وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله تع من المؤمنين والمهاجرين
بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين
بحق الهجرة إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف
التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا اي كان ما ذكر من الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التورية
وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم اي اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين
الحق ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين ايذانا
بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع واساطين اولي العزم من الرسل وتقديم
نبينا عليه الصلوة والسلام لابانة خطره الجليل وأخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا عظيم الشأن او موكدا
باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير
الذاتي تفخيما لشأنه كما في قوله تع ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تع فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين
آمنوا معه برحمة منا فقوله تع ليسأل الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع الى
ذكر من اخذ الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ
عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيمة الانبياء ووضع الصادقين
موضع ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه اي ليسأل الانبياء
الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله تع يوم يجمع الله الرسل فيقول ما
ذا أجبتم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما قيل من ان المعنى
ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين
وقوله تع وأعد للكافرين عذابا أليما عطف على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل و
اخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او بان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين
تعسف ظاهر مع انه مفض الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه
على ما دل عليه قوله تع ليسأل الصادقين كأنه قيل فأثاب المؤمنين واعد للكافرين الآية يا أيها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اي كائنة عليكم
إذ جاءتكم جنود ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود
الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق
بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق
في المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين
قريب من شهر لا حرب بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب ونوفل

عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب قد ركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا مضيقا فضربوا
خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى
اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو
اني ادعوك الى الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني ادعوك الى النزال قال يا ابن اخي والله ما احب
ان اقتلك قال علي رضي الله عنه لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة فنزل
واقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على علي فتناولا وتجاولا فضربه علي رض ضربة فيها نفسه فلما قتله انهزمت
خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن
المغيرة المخزومي قتله علي رض وقيل لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تع النصر وذلك قوله
فأرسلنا عليهم ريحا عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسيأتي بقيتها في آخر القصة وجنودا لم تروها
وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم
وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض
وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم
بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وترتيب مبادي الحراب وقيل
من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اي بما يعمله الكفار من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصي بصيرا
ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله إذ جاءوكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي
من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم
اليهود من قريظة والنضير ومن أسفل منكم اي من اسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن تابعهم من الاحابيش
وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة آلاف وإذ زاغت الأبصار عطف على ما قبله داخل معه
في حكم التذكير اي حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا
الى عدوها لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر لان الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها
الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب
في قوله تع وتظنون بالله الظنونا للذين آمنوا على الاطلاق اي تظنون بالله انواع الظنون المختلفة حيث
ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تع منجز وعده في اعلاء دينه كما يعرب عنه ما حكي عنهم من قولهم هذا ما وعدنا
الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون
ما حكي عنهم ما لا خير فيه وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار
وقرئ الظنون بغير الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزاد في القوافي هنالك ظرف زمان او مكان
اي في ذلك الزمان الهائل او في ذلك المكان الدحض ابتلي المؤمنون اي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق
والراسخ من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاي وإذ يقول المنافقون
عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته والذين في قلوبهم مرض اي ضعف
اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من اعلاء الدين والظفر إلا غرورا اي وعدا مقرونا بالغرور قال معتب
بن قشير يعدنا محمد فتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور
وإذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد الله بن ابي واشياعه يا أهل يثرب هم اهل المدينة
وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان تسمى بها كراهة لها وقال هي طيبة او طابة
كأنهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له صلى الله عليه وسلم ونداؤهم اياهم بعنوان اهليتها لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع
اليها لا مقام لكم موضع اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم اي لا قيام او لا موضع قيام لكم فارجعوا

اي الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بانه ليس من قبيل الفرار
المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم في دين محمد عليه السلام فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه
عليه واسلموه الى اعدائه او لا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفارا ليتسنى لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله
ويستأذن فريق منهم النبي معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو
سلمة استأذنوه عليه السلام في الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تعالى يقولون بدل من يستأذن او حال من فاعله او استئناف
مبني على السؤال عن كيفية الاستئذان ان بيوتنا عورة اي غير حصينة معرضة للعدو والسراق فاذن لنا حتى نحصنها
ثم نرجع الى العسكر والعورة في الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة وقد جوز ان يكون تخفيف عورة من عورت
الدار اي اختلت وقرئ بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما ينبئ عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق وما
هي بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون ما يريدون بالاستئذان الا فرارا من القتال ولو دخلت
عليهم اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر
الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو اسند الى الجار والمجرور من اقطارها اي من جميع
جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراد من اهل الدعارة والفساد
ثم سئلوا من جهة طائفة اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا
الآن من الايمان والطاعة لآتوها لاعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرئ لأتوها
بالقصر اي لفعلوها وجاؤها وما تلبثوا بها بالفتنة اي بما اعطوها وما اخروها الا يسيرا ريثما يسع السؤال والجواب
من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد
الا يسيرا والاول هو الاليق بالمقام هذا واما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمناف فانه للعموم
المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل فيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان
انهم اذا دعوا الى الحق تعللوا بشيء يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه آثر ذي اثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف
يثنيهم ففرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى الكفر الى طائفة اخرى
مع ان العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الاعراض عن الحق المجدون
في الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من الترتيب ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار فان
بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة
بدر فراوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وكان عهد الله
مسئولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وقيل مسئولا عن الوفاء به ومجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل بسيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا
لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا قليلا او زمانا
قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد
بكم رحمة فاختصر الكلام او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا
ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضر قد يعلم الله المعوقين منكم اي المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من منافقي المدينة هلم الينا وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر او قرب
ويستوي فيه الواحد والجماعة على لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال اي قربوا
انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا القول خارجون من العسكر متوجهون نحو المدينة ولا يأتون البأس
اي الحرب والقتال الا قليلا اي اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم او
يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى

ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم معناه ولا يأتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا
اشحة عليكم اي بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحال
من فاعل يأتون او من المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم
كالذي يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون او حال من فاعله او لمصدر تدور او حال من اعينهم اي
ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك او ينظرون كائنين
كالذي الخ او تدور اعينهم دورانا كائنا كدوران عينه او تدور اعينهم كائنة كعينه فاذا ذهب الخوف
وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا
غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد او اللسان وقرئ صلقوكم اشحة على الخير نصب على الحال
او الذم ويؤيده القراءة بالرفع اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء لم يؤمنوا بالاخلاص فاحبط
الله اعمالهم اي اظهر بطلانها اذ لم تثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية
اصلا وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا وتخصيص يسره بالذكر مع ان كل شيء عليه تعالى يسير لبيان ان
اعمالهم حقيقة بان يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الاحزاب
لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب
كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب وقرئ
بدى جمع باد كغاز وغزى يسألون كل قادم من جانب المدينة وقرئ يتساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول
بعضهم لبعض ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما يقال رأيت الهلال وتراءيناه فان صيغة التفاعل قد تجرد
عن معنى كون ما اسندت اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور
ونظائره عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا
الا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة حقها ان يؤتسى
بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة يحق التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديد
اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فيها لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب
الله ولقاءه او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر من ايام
الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله
كثيرا اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي بالرسول
صلى الله عليه وسلم من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب بيان لما صدر عن خلص المؤمنين
عند اشتباه الشؤون واختلاف الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم اي لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم
قالوا هذا مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره
وتانيثه فانهما من احكام اللفظ كما مر في قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي
ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية
وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم
وصدق الله ورسوله اي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله او صدقا في النصرة والثواب
كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم اي ما رأوه الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لاوامره
ومقاديره من المؤمنين اي المؤمنين بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله

عليه من الثبات مع الرسول عليه السلام والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله عنهم نذروا انهم اذا لقوا حربا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن
زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق
من صدقني اذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما في قولهم صدقني
سن بكره اي في سنه واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم خاطبوه وخاطبهم قال لكم ما اثر
نحرتني الاعداء ان لم تخزي وقالوا له سنفي بك وحيث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان
مكذوبا فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو ان يلتزم الانسان
شيئا من اعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على
احد الوجهين المذكورين في قوله تع ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية اي فبعضهم او فبعض منهم من خرج عن العهدة
كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر انس بن مالك وغيرهم رضوان الله تع عليهم اجمعين فانهم قد قضوا نذورهم
سواء كان النذر على حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم الاختيارية التي هي المقاتلة المغياة بما ليس منها ولا يدخل
تحت النذر وهو الموت شهيدا او كان مستعارا لالتزام على ما يأتي ومنهم اي وبعضهم او وبعض منهم
من ينتظر اي قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهم ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقتال الى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال الى الموت شهيدا هذا ويجوز
ان يكون النحب مستعارا لالتزام الموت اما بتنزيل التزام اسبابه التي هي افعال اختيارية للناذر منزلة التزامه
نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام المدح واياما كان ففي وصفهم
بالانتظار المنبئ عن الرغبة المنتظر بشهادة حقة بكمال اشتياقهم الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير
للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها واخراج للنظم الكريم عن مقتضى
المقام بالكلية وما بدلوا عطف على صدقوا وفاعله فاعله اي وما بدلوا عهدهم وما غيروه تبديلا
اي تبديلا ما لا اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على احسن ما يكون اما الذين قضوا
فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم اصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للايذان
بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على ان المحتاج الى البيان حالهم
وقد روي ان طلحة رض ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عم اوجب طلحة
الجنة وفي رواية اوجب طلحة وعنه عليه السلام في رواية جابر من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض فلينظر الى
طلحة بن عبيد الله وفي رواية عائشة رض من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة
وهذا يشير الى انه من الاولين حكما ليجزي الله الصادقين بصدقهم متعلق بمضمر مستأنف مسوق بطريق الفذلكة
لبيان ما هو داع الى وقوع ما حكي من الاحوال والاقوال على التفصيل وغاية له كما في قوله تع ليسأل الصادقين
عن صدقهم كانه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا
ويعذب المنافقين بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية ان شاء تعذيبهم او يتوب عليهم ان تابوا
وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق واثباته المعرض به كان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء
كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تع وما زادهم
الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تع ولما رأى المؤمنون الاحزاب كانه قيل ابتلاهم الله تع برؤية
ذلك الخطب ليجزي الآية فتأمل وبالله التوفيق ان الله كان غفورا رحيما اي لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة
وقوله تعالى ورد الله الذين كفروا رجوع الى حكاية بقية القصة وتفصيل تتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله

فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف اما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى ليجزي الله كانه قيل اثر حكاية الامور
المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الخ واما على ارسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة
طامة تحيرت بها العقول والاوهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل ما صدر عن فريقي
اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة باتمام خطبها الجليل ببيان وصولها اليهم
عند غاية احتياجهم اليها اي فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم
الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى بغيظهم حال من الموصول اي ملتبسين به وكذا قوله تعالى
لم ينالوا خيرا متداخل او متعاقب اي غير ظافرين بخير او الثانية بيان للاولى او استيناف وكفى الله المؤمنين القتال
بما ذكر من ارسال الريح والجنود وكان الله قويا على احداث كل ما يريد عزيزا غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم
اي عاونوا الاحزاب المردودة من اهل الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصة وهي ما يتحصن
به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي ولشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف الشديد بحيث اسلموا انفسهم
للقتل واهليهم واولادهم للاسر حسبما ينطق به قوله تع فريقا تقتلون وتأسرون فريقا من غير ان يكون من جهتهم
حراك فضلا عن المخالفة والاستعصاء روي ان جبريل عم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي
انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال أتنزع لامتك والملائكة ما وضعوا السلاح
ان الله يامرك ان تسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى
وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به
فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة
ارقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة مقاتل واسر سبعمائة وقرئ تأسرون بضم السين كما قرئ الرعب
بضم العين ولعل تأخير المفعول في الجملة الثانية مع ان مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في قوله تع ففريقا كذبتم وفريقا
تقتلون وقوله تع فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة الفواصل واورثكم ارضهم وديارهم اي حصونهم واموالهم
نقودهم واثاثهم ومواشيهم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار
في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر رضي الله عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة
دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها اي واورثكم في علمه وتقديره ارضا
لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وقيل خيبر وكان الله على كل شيء قديرا
فقد شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث الارض التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها يا ايها النبي قل لازواجك
ان كنتن تردن الحيوة الدنيا اي السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين اي اقبلن بارادتكن واختياركن
لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن بالجزم جوابا للامر وكذا اسرحكن
اي اعطكن المتعة واطلقكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستيناف روي انهن سألنه ثياب
الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات
اختيارها فشكر لهن ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد [illegible] ان هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق اليهن حتى
يقع الطلاق بنفس الاختيار اولا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق
[illegible]
وابن عباس رضي الله عنهم اذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء ولو اختارت نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان
بن ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها فثلاث طلقات وهو قول الحسن ورواية

عن مالك وروي عن علي رض انها اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها لا يقع شيء اصلا وعليه اجماع فقهاء الامصار وقد روي عن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع معاذيرهن من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق في العقد واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة ومقدرة بدرع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم وان كنتن تردن الله ورسوله اي تردن رسوله وذكر الله عز وجل للايذان بجلالة محله عنده تعالى والدار الآخرة اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا فان الله اعد للمحسنات منكن بمقابلة احسانكن اجرا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف السراح بالجميل يا نساء النبي تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا وفيما بعده بالاضافة اليه عم لانها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام من يأت منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ تات بالفوقانية يضاعف لها العذاب ضعفين اي يعذبن ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم السلام بما لا يعاتب به الامم وقرئ يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ومن يقنت منكن وقرئ بالتاء اي ومن يدم على الطاعة لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة والتقوى واخرى على طلبهن رضى النبي صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى واعتدنا لها في الجنة زيادة على اجرها المضاعف رزقا كريما مرضيا يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف ان اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضاء رسوله آه ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن فلا تخضعن بالقول عند مخاطبة الناس اي لا تجئن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب وقلن قولا معروفا بعيدا عن الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن في بيوتكن امر من قر يقر من باب علم واصله اقررن فحذفت الراء الاولى والقيت فتحتها على ما قبلها كما في قولك ظلن او من قار يقار اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا ثبت واستقر واصله اوقرن ففعل به ما فعل بعدن من وعد او من قر يقر حذفت احدى رائي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن ولا تبرجن اي لا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى اي تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح عليهم السلام وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم عم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلاة وآتين الزكاة امرهن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما اصل الطاعات البدنية والمالية واطعن الله ورسوله اي في كل ما تأمرهما

لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء او المدح اهل البيت مرادا بهم من حواه بيت النبوة ويطهركم من اوضار الاوزار والمعاصي تطهيرا بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته قاضية ببطلان رأي الشيعة في تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة رضي الله عنها وعلي وابنيه رضوان الله تعالى عليهم واما ما تمسكوا به من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل على كونهم من اهل البيت لا على ان من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص واذكرن ما يتلى في بيوتكن اي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها جميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعين التالي لتعم تلاوة جبريل وتلاوة غيره تعليما وتعلما ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي او يعلم من يصلح للنبوة ومن يستاهل ان يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات اي الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق به والقانتين والقانتات في القول والعمل والصابرين والصابرات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من الاعمال الصالحة واجرا عظيما على ما صدر عنهم من الطاعات والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة رضي الله تعالى عنها وقيل لما نزل في نساء النبي عليه السلام ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم جمعهم بين هذه النعوت الجميلة وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اي ما صح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله اي اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم امره وللاشعار بان قضاءه قضاء الله تعالى لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها للنبي عليه السلام فزوجها من زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده ان يكون لهم الخيرة من امرهم اي ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل يجب عليهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه عليه السلام واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضمير لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء ومن يعص الله ورسوله في امر من الامور ويعمل فيه برأيه فقد ضل طريق الحق ضلالا مبينا بين الانحراف عن سنن الصواب واذ تقول اي واذكر وقت قولك للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته وانعمت عليه بالعتق بما وفقك الله له من فنون الاحسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة واراده بالعنوان المذكور لبيان

منافاة لحاله لما اسند عنه عم من اظهار خلاف ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور منه
حتى زيدا أمسك عليك زوجك اي زينب وذلك انه عم ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جبلية
لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك ووقع
في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك أرابك منها شيء فقال لا والله
ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا
بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به
والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قالة
الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا
بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك زوجناكها
وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزويجها منه عم وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر
نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك
ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه لكي لا يكون على المؤمنين حرج ضيق ومشقة في ازواج ادعيائهم اي في تزوجهن
اذا قضوا منهن وطرا فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دليل على ان حكمه وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل
وكان امر الله اي ما يريد تكوينه من الامور او مأموره الحاصل بكن مفعولا مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر
لما قبله ما كان على النبي من حرج اي ما صح وما استقام في الحكمة ان يكون له ضيق فيما فرض الله له اي قسم له وقدر
من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم
تربا وجندلا مؤكد لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة في الذين خلوا مضوا من قبل من الانبياء عليهم السلام
حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عم مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عم ثلثمائة امرأة وسبعمائة
سرية وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين
مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم بالنصب
او بالرفع وقرئ رسالة الله ويخشونه في كل ما يأتون ويذرون لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يحرفون منها حرفا
ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم ولا يخشون احدا الا الله في وصفهم بقصر الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه عليه السلام
من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله تع وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا
فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم
اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه السلام
ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له عم لا لهم ولكن رسول الله اي كان رسول الله
وكل رسول ابو امته لا على الحقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب لحيوتهم الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين
لا ولادة بينهم وبينه عليه السلام فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص وخاتم النبيين اي كان
آخرهم الذي ختموا به وقرئ بكسر التاء اي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رض ولكن نبيا ختم النبيين واياما كان فلو
كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو عليه السلام خاتم النبيين كما يروى انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا
ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين
ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته وكان الله بكل شيء عليما
ومن جملته من الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك مريب يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله بما هو اهله
من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا يعم الاوقات والاحوال وسبحوه ونزهوه عما لا يليق به بكرة
واصيلا اي اول النهار وآخره على ان تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الاوقات بل لابانة فضلهما

على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح به من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا
الفعلين موجهان اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم الخ استئناف
جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين فان صلوته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب
عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى وملائكته عطف على المستكن
في يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلوة الرحمة اولا والاستغفار ثانيا
فان استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين
فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له او الترحم
والانعطاف المعنوي الماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في ان
استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم واما ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فاعتباره
ينزع الى الجمع بين المتغايرين فتدبر ليخرجكم من الظلمات الى النور متعلق بيصلي اي يعتني باموركم هو وملائكته ليخرجكم
بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تع وكان بالمؤمنين رحيما اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي
كان بكافة المؤمنين الذين انتم من زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات وبالواسطة
ويهديكم الى الايمان والطاعة او كان بكم رحيما على ان المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة
الرحمة وقوله تع تحيتهم يوم يلقونه سلام بيان للاحكام الآجلة لرحمته تع بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي
هي الاعتناء بامرهم وهدايتهم الى الطاعة اي ما يحيون به على انه مصدر اضيف الى المفعول يوم لقائه عند الموت او
عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم او من الملائكة بشارة لهم بالجنة او تكرمة
لهم كما في قوله تع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه وقوله تعالى
واعد لهم اجرا كريما بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك
ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم اجر كريم او ولهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب
والتشويق الى الموعود ببيان ان الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع
ما فيه من مراعاة الفواصل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد
اعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيمة
اداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفار بالنار وداعيا
الى الله اي الى الاقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الايمان به من صفاته وافعاله باذنه اي بتيسيره اطلق عليه مجازا
لما انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانها امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال لا يتأتى الا بامداد من جناب
قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وادخال للاعناق في قلادة غير معهودة وسراجا منيرا يستضاء
في ظلمات الجهل والغواية ويقتدى بانواره الى مناهج الرشد والهداية وبشر المؤمنين عطف على مقدر يقتضيه
المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس وبشر المؤمنين منهم بان لهم من الله فضلا كبيرا اي على مؤمني
سائر الامم في الرتبة والشرف او زيادة على اجور اعمالهم بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين
نهي عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار كني عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة
في النهي والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل
ودع اذاهم اي لا تبال باذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار وتوكل على الله في كل ما تأتي وما تذر من الشؤون التي
من جملتها هذا الشان فانه تع يكفيكم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور في كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موقع
الاضمار لتعليل الحكم وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولما وصف عليه السلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب
يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابلة المبشر عليه وهو الامر بالتبشير

حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمسامحة في انذارهم كما تحققه وقوبل الداعي الى الله تعالى
باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء
به تع فان من ايده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشاد
حقيق بان يكتفي به عن كل ما سواه يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي
تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء فما لكم عليهن من عدة بايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها
من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق
الازواج كما اشعر به قوله تع فما لكم وقرئ تعتدونها على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون
فيها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على ان المؤمن من شانه ان يتخير
لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر
في النسب فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة
عندنا في رواية وفي اخرى غير مستحبة وسرحوهن اي اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار
ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي آتيت اجورهن اي مهورهن فانها اجور الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها في العقد وايا ما كان
فتقييد الاحلال له به ليس لتوقف الحل عليه ضرورة انه يصح العقد بلا تسمية ويجب به مهر المثل والمتعة على تقديري الدخول و
عدمه بل لايثار الافضل والاولى له عم كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تع وما ملكت يمينك مما افاء
الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات
عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عليه السلام
خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل
له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال
الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي احللناها لك ايضا ان وهبت
نفسها للنبي اي ملكته بضعها باي عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند ارادته
عليه السلام استنكاحها كما نطق به قوله تع ان اراد النبي ان يستنكحها اي ان يتملك بضعها كذلك اي بلا مهر فان ذلك
جار منه مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح
بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واختلف في اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس رض لم يكن عنده عليه السلام احد منهن بالهبة وقيل
الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وايراده عم
في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت الحكم فيختص به عم حسب اختصاصها
كما ينطق به قوله تع خالصة لك اي خلص لك احلالها خالصة اي خلوصا فان الفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة
او خلص احلال ما احللنا لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تع من دون المؤمنين على الاول
ان الاحلال المذكور في المادة المعهودة غير متحقق في حقهم وانما المتحقق هناك الاحلال بمهر المثل وعلى الثاني ان احلال
الجميع على القيود المذكورة غير متحقق في حقهم بل المتحقق فيه احلال البعض المعدود على الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اي ذلك خلوص لك وخصوص او هي اي تلك المرأة او الهبة خالصة لك لا تتجاوز المؤمنين حيث
لا تحل لهم بغير مهر المثل ولا تصح الهبة بل يجب به المثل وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم اي على المؤمنين في ازواجهم
الخ جملة اعتراض مقررة لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين
ببيان انه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه عم تكرمة له وتوسعة عليه اي قد علمنا ما ينبغي
ان يفرض عليهم في حق ازواجهم وما ملكت ايمانهم وعلى اي حد واي صفة يحق ان يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على

الوجه وتخصيصا لك بشرف الخصال لكيلا يكون عليك حرج اي ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها
من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عم لا باعتبار اختصاصه به عليه السلام لان مدار انتفاء الحرج هو الاول
لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما ولذلك وسع الامر في مواقع الحرج
ترجي من تشاء منهن اي تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها او
تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت
بالرجعة فلا جناح عليك في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق او يمسك فاذا امسك ضاجع
او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق او عزل فاما ان يخلي المعزولة او يبتغيها روي انه ارجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة و
ام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجأ خمسا وآوى اربعا
وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها وقالت لا تطلقني
حتى احشر في زمرة نسائك ذلك اي ما ذكر من تفويض الامر الى مشيئتك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن
كلهن اقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان
رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن
تاكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على انه تاكيد لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانها
وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها فانه امهال
لا اهمال لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرئ بالتاء من بعد من بعد التسع
وهو في حقه كالاربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن
الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والحرمان ولا ان تبدل بهن اي تتبدل بهن اي بهؤلاء التسع
من ازواج بان تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق وارادة الله تعالى لها كرامة وجزاء على ما
اخترن ورضين فقصر رسول الله عليهن وهن التسع التي توفي عليه السلام عنهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر
وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية
وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة
اللاتي احللناهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح ويابا قوله
تعالى ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد ان يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن
بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي ليس من الوظائف البشرية ولو اعجبك حسنهن اي حسن الازواج المستبدلة
وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وقيل تقديره مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه في قوله
تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب اي ممن اعجبه
حسنهن واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة قيل بقوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى
انا احللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رض ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى احل له النساء وقال انس رض مات عليه السلام على التحريم الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول
الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه
يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي صلى الله
عليه وسلم اثر بيان ما يجب مراعاته عليه من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تع الا ان يؤذن لكم استثناء مفرغ من اعم
الاحوال اي لا تدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم ماذونا لكم وقيل من اعم الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم ورد
عليه بان النحاة نصوا على ان الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المؤول فلا يقال آتيك ان يصيح الديك
وانما يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى الى طعام متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه لا ينبغي ان يدخلوا

على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى غير ناظرين اناه اي غير منتظرين وقته او ادراكه
فهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على الوقت والحال معا عند من يجوزه او من المجرور في لكم وقرئ
بالجر صفة فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين وقرئ بالامالة لانه اني الطعام
اي ادركه ولكن اذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهي عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على ان المراد بالاذن
الى الطعام هو الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا الآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبي عم
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته عم باذنه لغير الطعام
ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم ولا مستأنسين لحديث اي لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له
عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او لا تمكثوا مستأنسين لحديث ان ذلكم اي الاستيناس الذي كنتم تفعلونه من
كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه
فيستحيي منكم اي من اخراجكم لقوله تعالى والله لا يستحيي من الحق فانه يستدعي ان يكون المستحيى منه امرا متعلقا
بهم لا انفسهم وما ذلك الا اخراجهم فينبغي ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تع وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء
للمشاكلة وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها واذا سألتموهن الضمير لنساء النبي المدلول عليهن
بذكر بيوته عليه السلام متاعا اي شيئا يتمتع به من الماعون وغيره فاسألوهن اي المتاع من وراء حجاب اي ستر
روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل
انه عم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رض فكره النبي ذلك فنزلت ذلكم اي ما ذكر من عدم
الدخول بغير اذن وعدم الاستيناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر
تطهيرا من الخواطر الشيطانية وما كان لكم اي ما صح وما استقام لكم ان تؤذوا رسول الله اي ان تفعلوا في حياته
فعلا يكرهه ويتأذى به ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اي من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر
من ايذائه عليه السلام ونكاح ازواجه من بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشر والفساد كان عند الله
عظيما اي امرا عظيما وخطبا هائلا لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشان رسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته
حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال ان تبدوا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم
فان الله كان بكل شيء عليما فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود
مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء
اخواتهن استيناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب
يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا
في قوله تع واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء الاخوة وابناء الاخوات فان مناط
عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبينهم [illegible]
[illegible] ولا نسائهن [illegible]
ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله [illegible]
[illegible] ان الله كان على كل شيء شهيدا [illegible]
ان الله وملائكته [illegible]
[illegible] يصلون على النبي [illegible] الاستغفار وقال ابن عباس رضي الله
عنهما اراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون له [illegible]
[illegible]
[illegible]

ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولى به
وسلموا تسليما قائلين اللهم صل على محمد وسلم او نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد امره والآية دليل على وجوب
الصلوة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله صلى الله عليه
وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله عليه السلام من ذكرت عنده فلم يصل علي دخل النار فابعده الله وروي
انه عليه السلام قال وكل الله تعالى بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله
تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند مسلم فلم يصل علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك ويقول
الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عم كما قيل في آية السجدة
وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين
والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شانه صلى الله عليه وسلم ان يصلى عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة
عليه في الصلوة بان يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد فليست بشرط في جواز
الصلوة عندنا وعن ابراهيم النخعي رحمه الله ان الصحابة رض كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك ايها النبي
واما الشافعي رح فقد جعلها شرطا واما الصلوة على غير الانبياء عليهم الصلوة والسلام فتجوز تبعا وتكره استقلالا
لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله
اريد بالايذاء اما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التأذي في حقه تع وقيل في ايذائه تعالى هو
قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه
تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في آياته وفي ايذاء الرسول عليه السلام هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون
وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما واما ايذاؤه عليه السلام
خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل للتعظيم او للايذان بجلالة مقداره عنده تعالى وان ايذاءه عم ايذاء له سبحانه
لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها واعد لهم مع ذلك
عذابا مهينا يصيبهم في الآخرة خاصة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتأذون به من قول او
فعل وتقييده بقوله تعالى بغير ما اكتسبوا اي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بان اذى الله
ورسوله لا يكون الا غير حق واما اذى هؤلاء فمنه ومنه فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اي ظاهرا بينا قيل انها نزلت
في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في اهل الافك وقال الضحاك والكلبي في زناة
يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن وكانوا لا يتعرضون الا للاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر
ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سيأتي من اراجيف المرجفين
يا ايها النبي بعد ما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يأمر بعض المتأذين منهم
بما يدفع ايذاءهم في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله الى صدرها
وقيل هي الملحفة وكل ما يتستر به اي يغطين بها وجوههن وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما مر من ان
المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدي تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين ذلك اي ما ذكر
من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن يميزن عن الاماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وايذائهم فلا يؤذين من جهة
اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بعباده حيث يراعي من مصالحهم امثال هذه
الجزئيات لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه من النفاق واحكامه الموجبة للايذاء والذين في قلوبهم مرض عما هم عليه
من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه والمرجفون في المدينة من الفريقين عما هم عليه من نشر اخبار السوء عن سرايا
المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية واصل الارجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت

به الاخبار الكاذبة لكونها متوقعة غير ثابتة لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء ولنحضنك
على ذلك ثم لا يجاورونك عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول عم اعظم ما يصيبهم
فيها اي في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين نصب على الشتم
او الحال على ان الاستثناء وارد عليه ايضا على راي من يجوزه كما مر في قوله تعالى غير ناظرين اناه ولا سبيل الى انتصابه عن قوله تع
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن
الله ذلك في الامم الماضية سنة وهي ان تقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم السلام وسعوا في توهين امرهم بالارجاف
ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا اصلا لابتنائها على اساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع
يسألك الناس عن الساعة اي عن وقت قيامها كان المشركون يسألونه عم عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود
امتحانا لما ان الله تعالى عمى وقتها في التورية وسائر الكتب قل انما علمها عند الله لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا
وقوله تع وما يدريك خطاب مستقل له عم غير داخل تحت الامر مسوق لبيان انها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء
عن قريب اي اي شيء يعلمك بوقت قيامها اي لا يعلمك به شيء اصلا لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة
في وقت قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم او الوقت وفيه تهديد
للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار في حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتاكيد استقلال الجملة كما اشير اليه ان الله لعن
الكافرين على الاطلاق اي طردهم وابعدهم من رحمته العاجلة والآجلة واعد لهم مع ذلك سعيرا نارا شديدة الاتقاد يقاسونها
في الآخرة خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يخلصهم منها يوم تقلب وجوههم في النار ظرف لعدم
الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر اي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كاللحم يشوى في النار او
في القدر فيدور به الغليان من جهة الى جهة او من حال الى حال او يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التاءين
من تتقلب ونقلب باسناد الفعل الى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما انها اكرم
الاعضاء ففيه مزيد تفظيع للامر وتهويل للخطب ويجوز ان تكون عبارة عن كل الجسد فقوله تع يقولون استئناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كانه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا اطعنا الله و
اطعنا الرسولا فلا نبتلي بهذا العذاب او حال من ضمير وجوههم او من نفسها او هو العامل في يوم وقالوا عطف على يقولون
والعدول الى صيغة الماضي للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار ارادوا به ضربا من التشفي
بمضاعفة عذاب الذين القوهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار
والا فهم في مقام التحقير والاهانة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا الاباطيل والالف للاطلاق كما في اطعنا الرسولا ربنا آتهم
ضعفين من العذاب اي مثلي العذاب الذي آتيتنا لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا اي شديدا عظيما وقرئ كثيرا
وتصدير الدعاء بالنداء مكررا للمبالغة في الجؤار واستدعاء الاجابة يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا
موسى قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة الناس فبرأه الله مما قالوا اي فاظهر براءته مما قالوا في حقه
اي من مضمونه ومؤداه الذي هو الامر المعيب وذلك ان قارون اغرى مومسة على قذفه عم بنفسها بان دفع اليها مالا عظيما
فاظهر الله تع نزاهته عم عن ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما فصل
في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عم لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى راوه
غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل قرفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله
تع على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة
وقرئ وكان عبدا لله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا
عما يؤذي رسوله عليه السلام وقولوا في كل شأن من الشؤون قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا يقال سدد

السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد يصلح لكم اعمالكم
يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل
ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات فقد فاز في الدارين فوزا عظيما لا يقادر قدره
ولا يبلغ غايته انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها لما بين عظم شأن
طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الاليم ومنال الراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شأن
ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر
عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق مرعية اودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم
تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وادائها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة
الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة في قبولهن لها وعن عدم استعدادهن
لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل امرها وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل
الاجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك الامانة
في عظم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك
لابين قبولها واشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل
وتوضيحه وحملها الانسان اي عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده او بتكليفه اياها يوم الميثاق اي تكلفها
والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطري او عن اعترافه
بقوله بلى وقوله تعالى انه كان ظلوما جهولا اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده
وتحمله اي انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة واعترافهم السابق
دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الاول اشير بقوله تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات اي حملها الانسان ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة
فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض افراده ترتب الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز
في معرض الغرض اي كان عاقبة حمل الانسان لها ان يعذب الله هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية
والى الفريق الثاني اشير بقوله تعالى ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات اي كان عاقبة حمله لها ان يتوب الله على هؤلاء من افراده
اي يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم
لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء
بامر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه [illegible]
[illegible]
الناس بابائه وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة الانقياد الشامل
للطبيعي والاختياري وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع
عن ادائها فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة لما امتثلن واتين
بما امرنا به كقوله تعالى اتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يأت بما امرناه به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تع لما خلق
هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا
لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها
جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن
الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه

من القوة الغضبية والشهوية وبالقرب من الحقيق تامل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستيناف وكان الله غفورا
رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه السلام من قرأ
سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر سورة سبا مكية وهي اربع وخمسون آية

سورة السبأ مكية وهي اربع وخمسون آيات

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض اي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة
جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكما تعقيل لجميع المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه
بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع افراده به تعالى على ما بين في فاتحة الكتاب
بيان تنزهه تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها
في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة من جهته عز وجل فما هذا شانه فهو بمعزل من استحقاق
الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى وقوله تعالى وله الحمد في الآخرة بيان
لاختصاص الحمد الاخروي به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي به على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد او بما تعلق به الخبر من الاستقرار
واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الآخرة عن التعيين كما اكتفى فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا
عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة
وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا
اي لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة
والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو الحكيم الذي احكم امور الدنيا والدين
ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة الخبير ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض الخ تفصيل لبعض ما يحيط به
علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات وغيرها
وما يخرج منها كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما
ننزل بالتشديد وبنون العظمة وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم للحامدين على
ذكر من نعمه الغفور للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة ارادوا بضمير المتكلم جنس البشر
قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا بنفي اتيانها نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا
عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان لا يكون الا باتيانها
وحضورها وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزؤ والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه
على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى وربي لتاتينكم تاكيد له على اتم الوجوه واكملها وقرئ ليأتينكم على تاويل الساعة
باليوم او الوقت وقوله تعالى عالم الغيب الخ امداد للتاكيد وتشديد له اثر تشديد وكسر لسورة نكيرهم واستبعادهم
فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شان المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك
في حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب في ان المستشهد به كلما كان اجل واعلى كانت الشهادة آكد واقوى والمستشهد عليه احق
بالثبوت واولى لا سيما اذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه تعالى بعلم الغيب
الذي اشهر افراده وادخلها في الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب وفائدة
الامر بعزوه لرتبة من اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما اصلا فانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا
عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرئ علام الغيب وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح لا يعزب عنه
اي لا يبعد وقرئ بكسر الزاء مثقال ذرة مقدار اصغر نملة في السموات ولا في الارض اي كائنة فيهما ولا اصغر من ذلك

اي من مثقال ذرة ولا اكبر اي منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى الا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ والجملة
مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع على مثقال والمفتوح
على ذرة بانه فتح في حيز الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في
اللوح خارجا عنه لبروزه للمطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا
وعملوا الصالحات علة لقوله تعالى لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز
الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة لهم بسبب ذلك
مغفرة لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالقدح
فيها وصد الناس عن التصديق بها معاجزين اي مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك
لهم عذاب الكلام فيه كالذي مر آنفا ومن في قوله تعالى من رجز البيانية قال قتادة الرجز سوء العذاب وقوله تعالى اليم
بالرفع صفة عذاب اي اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة لرجز
ويرى الذين اوتوا العلم اي يعلم اولو العلم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الامة او
من آمن من علماء اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما رضي الله تعالى عنهم الذي انزل اليك من ربك اي القرآن
هو الحق بالنصب على انه مفعول ثان ليرى والمفعول الاول هو الموصول الثاني وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء
والخبر والجملة هو المفعول الثاني ليرى وقوله تعالى ويرى الخ مستانف مسوق للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين
في الآيات منصوب عطفا على يجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الآن برهانا ويحتجوا
على المكذبين ويجوز ان يراد باولي العلم من لم يؤمن من الاحبار اي ليعلموا يومئذ انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما
ويهدي عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه في تاويله كما في قوله تعالى صافات ويقبضن اي وهاديا كانه قيل ويرى
الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك الحق وهاديا الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل حال
من الذي انزل على اضمار مبتدا اي وهو يهدي كما في قول من قال نجوت وارهنهم مالكا وقال الذين كفروا هم كفار قريش
قالوا مخاطبا بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم وانما قصدوا بالتنكير الطنز والسخرية فاخرجوه
تعالى ينبئكم [illegible] اذا مزقتم كل ممزق [illegible]
كل [illegible] انكم لفي خلق جديد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] افترى على الله كذبا ام به جنة [illegible]
[illegible]
[illegible] بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم [illegible]
من السماء والارض [illegible]

المقام وقوله تعالى إن نشأ الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر إحاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على أنه لم يبق من أسباب وقوعه إلا تعلق المشيئة به أي فعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا إلى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص إن نشأ جريا على موجب جناياتهم نخسف بهم الأرض كما خسفناها بقارون أو نسقط عليهم كسفا أي قطعا من السماء كما أسقطناها على أصحاب الأيكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه إزاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء و تهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض فلم يتفكروا أهم أشد خلقا أم هي إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فتأمل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله وكسفا بسكون السين إن في ذلك أي فيما ذكر من السماء والأرض من حيث إحاطتهما بالناظر من جميع الجوانب أو فيما تلي من الوحي الناطق بما ذكر لآية واضحة لكل عبد منيب شأنه الإنابة إلى ربه فإنه إذا تأمل فيهما أو في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبائح وينيب إليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والإنابة وقد أكد ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا أي آتيناه لحسن إنابته وصحة توبته فضلا على سائر الأنبياء عليهم السلام أي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فإنه معجزة خاصة به عم أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن وتنكيره للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الإضافية كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة له فإذا ورد لها تمكن عندها فضل تمكن يا جبال أوبي معه من التأويب أي رجعي معه التسبيح أو النوحة على الذنب وذلك إما بأن يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة أو بأن يتمثل له ذلك وقرئ أوبي من الأوب أي ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عم يسمع من الجبال ما يسمع من التسبيح معجزة له عم وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها وهو بدل من آتينا بإضمار قلنا أو من فضلا بإضمار قولنا والطير بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لأن إيتاءها إياه عم تسخيرها له فلا حاجة إلى إضماره كما نقل عن الكسائي ولا إلى تقدير مضاف أي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الإعرابية وقد جوز انتصابه على أنه مفعول معه والأول هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لأمره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بأنه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق إلا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على إرادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شأنه تعالى وكمال كبريائه وسلطانه ما لا يخفى على أولي الألباب وألنا له الحديد أي جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير إحماء بنار ولا ضرب بمطرقة أو جعلناه بالنسبة إلى قوته التي آتيناها إياه لينا كالشمع بالنسبة إلى سائر القوى البشرية أن اعمل أمرناه أن اعمل على أن أن مصدرية حذف عنها الباء وفي حملها على المفسرة تكلف لا يخفى سابغات أي دروعا واسعات وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو عم أول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عم حين ملك على بني إسرائيل يخرج متنكرا فيسأل الناس عما يقولون في داود فيثنون عليه فيقيض الله تعالى له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله عنها فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقدر في السرد السرد نسج الدروع أي اقتصد في نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا ولا غلاظا ورد بأن دروعه عم لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه إلانة الحديد وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف جميع أوقاتك إليه بل مقدار ما يحصل به القوت وأما الباقي فاصرفه إلى العبادة وهو الأنسب بقوله تعالى واعملوا صالحا عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عم ولأهله إني بما تعملون بصير تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به ولسليمان الريح أي وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح أي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر أي جريها بالغداة

مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة إما مستأنفة أو حال من الريح وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رض كان يغدو أي من دمشق فيقيل بإصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان عم نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من إصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام إن شاء الله تعالى وأسلنا له عين القطر أي النحاس المذاب أسلناه له من معدنه كما ألان الحديد لداود عليهما السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمي عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة أيام وقوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه إما جملة من مبتدأ وخبر أو من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة بإذن ربه بأمره تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يزغ منهم عن أمرنا أي ومن يعدل منهم عما أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من أزاغه نذقه من عذاب السعير أي عذاب النار في الآخرة روي عن السدي رضي الله عنه كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني يعملون له ما يشاء تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى من محاريب الخ بيان لما يشاء أي من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لأنها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد وتماثيل وصور الملائكة والأنبياء عليهم السلام على ما اعتادوه فإنها كانت تعمل حينئذ في المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عبادتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروي أنهم عملوا أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما وجفان جمع جفنة وهي الصحفة كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ بإثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل وقدور راسيات ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على أنه مفعول له أو مصدر لاعملوا لأن العمل للمنعم شكر له أو لفعله المحذوف أي اشكروا شكرا أو حال أي شاكرين أو مفعول به أي اعملوا شكرا وقليل من عبادي الشكور أي المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لأن التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا إلى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروي أن داود عم جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي فلما قضينا عليه الموت أي على سليمان عم ما دلهم أي الجن أو آله على موته إلا دابة الأرض أي الأرضة أضيفت إلى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال أرضت الأرضة الخشبة أرضا فأرضت أرضا مثل أكلت القوادح الأسنان أكلا فأكلت أكلا تأكل منسأته أي عصاه من نسأت البعير إذا طردته لأنها يطرد بها وقرئ [illegible] عند الوقف ومنساءة [illegible] ومن سأته أي طرف عصاه من سأة القوس وفيها لغتان كما في قحة بالفتح والكسر وقرئ أكلت منسأته فلما خر تبينت الجن من تبينت الشيء إذا علمته بعد التباس عليك أي علمت الجن علما بينا بعد التباس الأمر عليهم أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره إلى أن خر أو من تبين الشيء إذا ظهر وتجلى أي ظهرت الجن وأن مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن أي ظهر أنهم لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين في الحقيقة هو أن مع ما في حيزها لأنه بدل وقرئ تبينت الإنس والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي أن داود عم أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عم فتوفي قبل تمامه فوصى به إلى سليمان عم فاستعمل فيه الجن والشياطين فلما بقي من عمله سنة [illegible] صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك [illegible] الأرضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى فلم يكن ينظر أحد من الشياطين

في صلوته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمن عم قد خر ميتا فنحي عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا
ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات
منذ سنة وكان عمره عم ثلثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس
لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبإ بيان لاخبار بعض الكافرين نعم الله تعالى اثر بيان احوال الشاكرين لها اي
لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا ولعله اخرج
لها بين بين في مسكنهم وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع اي مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مارب بينها
وبين صنعاء مسيرة ثلثة ليال آية دالة بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على
ما يشاء من الامور البديعة المجازي للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمن عليهما السلام جنتان
بدل من آية او خبر لمبتدأ محذوف اي هي جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين
عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك الجماعتين في تقاربهما وتضامهما كانها جنة
واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم على لسان
نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او بيان لكونهم احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب
غفور استيناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به اي بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها وطلب شكركم
رب غفور لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اطيب البلاد هواء واخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى
راسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلي المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيها من موذيات الهوام
شيء فاعرضوا عن الشكر بعد ان اتتهم الآيات الداعية لهم اليه قيل ارسل اليهم ثلثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تع وذكروهم
بنعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم فارسلنا عليهم سيل العرم اي سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو
عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر
الذي يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملكة بلقيس بين الجبلين
بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيها خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ
الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل
العرم اسم الوادي وقرئ العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي صلى الله عليه وسلم
وبدلناهم بجنتيهم اي اذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلهما جنتين ذواتي اكل خمط اي ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما
من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو الحامض والمر من كل شيء وقيل هو ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش
لا ينتفع بها وقيل هو الاراك او كل شجر ذي شوك والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ اكل
خمط بالاضافة وتخفيف اكل واثل وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء وقيل شجر
يشبهه اعظم منه ولا ثمر له وقرئ واثلا وشيئا عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة لان جناه وهو النبق مما
يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح ان السدر صنفان صنف يوكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف
له ثمرة عفصة لا توكل اصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد هنا هو الثاني حتما وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره
الله تعالى من شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى جزيناهم او الى ما
ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول النصب على انه مصدر موكد
للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على انه مفعول ثان له اي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر وذلك التبديل جزيناهم
لا غيره بما كفروا بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم بالرسل وهل نجازي الا
الكفور اي وما نجازي مثل هذا الجزاء الا المبالغ في الكفران او الكفر وقرئ يجازي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل
يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول ايضا وهذا بيان ما اوتوا من النعم الحاضرة وما

وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تع وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها حكاية لما
اوتوا من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا
لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبإ لا على ما بعده
من الجمل الناطقة بافعالهم او بجزائها اي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم اي بين بلادهم وبين
القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين اهلها
او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير اي جعلناها في نسبة
بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال ابناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في اخرى والرائح منها يبيت
في اخرى الى ان يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما اوتوا من انواع النعماء وتوفيرا لها في الحضر والسفر سيروا فيها
على ارادة القول اي وقلنا لهم سيروا في تلك القرى ليالي واياما اي متى شئتم من الليالي والايام آمنين من كل ما تكرهونه
لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان تطاول مدة سفركم وامتدت ليالي واياما كثيرة
او سيروا فيها ليالي اعماركم وايامها لا تلقون فيها الا الامن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور
وتسوية مباديه واسبابه على الوجه المذكور منزلة امرهم بذلك فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وقرئ يا ربنا
بطروا النعمة وسئموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن
والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد لكان اجدر ان نشتهيه وسألوا ان يجعل الله تع بينهم وبين الشام مفاوز
وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله تع لهم الاجابة بتخريب تلك القرى
المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيه داع ولا مجيب وقرئ بعد وربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء
واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا
وبتقدير برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها ودنوها وسهولة سلوكها
لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم يتشاجون على الله تع ويتحازنون عليه وظلموا انفسهم حيث
عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة او غمطوها فجعلناهم احاديث اي جعلناهم بحيث يتحدث الناس
بهم متعجبين من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم كل تفريق على ان الممزق مصدر
او كل مطرح ومكان تفريق على انه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة
على شدة التاثير والايلام ما لا يخفى اي مزقناهم تمزيقا لا غاية وراءه بحيث يضرب به الامثال في كل فرقة ليس بعدها وصال
حتى لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن ابي صالح ان
عمرو بن عامر من اولاد سبا وبينهما اثنا عشر ابا وهو الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب
سد مارب وتغريق سيل العرم الجنتين وعن ابي زيد الانصاري ان عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له فعمد
وقيل انه كان كاهنا وقد علم بكهانته فباع املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة و
جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني اسمعيل عليه السلام وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر
يسئلهم المقام معهم الى ان يرجع اليه رواده الذين ارسلهم الى اصقاع البلاد ويطلبون له موضعا يسعه ومن معه من قومه
فابوا فاقتتلوا ثلثة ايام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد واقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا
فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد كندة وحمير
ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان
فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي امر مكة وحجابة الكعبة
ثم جاءهم اولاد اسمعيل عم فسألوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم في ذلك وروي عن ابن عباس رضه ان فروة بن
مسيك القطيفي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبا فقال هو رجل كان له عشرة اولاد ستة منهم سكنوا اليمن

وهم مذحج وكندة والازد والاشعريون وحمير وانمار ومنهم بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام
وعاملة وغسان لما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدي سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم
خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلث قبائل من اليهود
بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخر منهم بالشام وهم الذين
تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبا يجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان
جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبا وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر
واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى اعلم ان في ذلك اي فيما ذكر
من قصتهم لآيات عظيمة لكل صبار شكور اي شانه الصبر على الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات
والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بها ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي حقق عليهم ظنه
او وجده صادقا وقرئ بالتخفيف اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه وهو بتعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع
من القول وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق
حين تخيل اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين
شاهد آدم عم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة انه يجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه اي اهل سبا او الناس الا فريقا من المؤمنين
الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه
وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى الا لنعلم
من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اي وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق
علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا ليتميز المؤمن من الشاك او
الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وربك على كل
شيء حفيظ اي محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان قل اي للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه
وتبكيتا لهم ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثاني
لقيام صفته اعني قوله تعالى من دون الله مقامه ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون
لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا
بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر في السموات ولا في الارض
اي في امر ما من الامور وذكرهما للتعميم عرفا او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام
او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم اي لآلهتهم فيهما من شرك
اي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا وما له اي لله تعالى منهم من آلهتهم من ظهير يعينه في تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة
عنده اي لا توجد راسا كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وانما علق النفي
بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى الا لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تقع
الشفاعة في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له في الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستاهلين لمقام الشفاعة
فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن في الشفاعة
لجماد لا يعقل ولا ينطق واما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله
تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب او لا تنفع الشفاعة
من الشفعاء المستاهلين لها في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له اي لاجله وفي شانه من المستحقين للشفاعة واما
من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم

فعلى هذا يثبت حرمانهم عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حين حرموها من جهة القادرين
على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموها من جهة العجزة عنها اولى وقرئ اذن له مبنيا للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم
اي قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم
بالف منزل والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها
من الاستعاد بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاستئذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب كانه سئل كيف
يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا ازيل الفزع عن
قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اي المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهتمون بامره
ماذا قال ربكم اي في شان الاذن قالوا اي الشفعاء لانهم المباشرون الاستئذان بالذات المتوسطون بينهم
وبينه عز وجل بالشفاعة الحق اي قال ربنا القول الحق وهو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا
اي ما قاله الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور
شان كل من سواه اي هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا
بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة اي نفي الوجل عنها وافني
من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء وهو من الاسناد المجازي لان الفراغ وهو الخلو حال الظرف عند نفاده فاسند اليه
على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء واصله فرغ الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى
الجار والمجرور وبه يعرب حال التفريغ وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل من يرزقكم من السموات والارض
امر عليه السلام بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بان آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرزاق هو الله تعالى
فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار فسيقولون الله
وحيث كانوا يتلعثمون احيانا في الجواب مخافة الالزام قيل له عم قل الله اذ لا جواب سواه عندهم ايضا وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه
بالعبادة والذين يشركون به في العبادة الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال
وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجريانه
على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وفي اختلاف حرفي الجر الداخلين على الهدى والضلال دلالة
بان الهادي كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كانه منغمس في ظلام لا يدري اين يتوجه
لا يستطيع الخروج منه قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون وهذا ابلغ في الانصاف وابعد
من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه الاجرام الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين
مع ان اعمالهم اكبر الكبائر قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم بيننا ويفصل
بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة
العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء اي الحقتموهم به في استحقاق العبادة
وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة
في الاعتقاد والعبادة بل هو الله العزيز الحكيم
اي الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة
الرتبة العالية وما ارسلناك الا كافة للناس اي الا رسالة
عامة لهم
بشيرا ونذيرا ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ذلك ويقولون متى

هذا الوعد بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا
ان كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به قل لكم ميعاد يوم اي وعد يوم
او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار اعني للتعظيم لا تستأخرون
عنه عند مفاجأته ساعة ولا تستقدمون صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث
جعل الاستئخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا ويجوز ان يكون الاستئخار والاستقدام
غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي
بين يديه اي من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيمة ولو ترى اذ الظالمون المنكرون
للبعث موقوفون عند ربهم اي في موقف المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول اي يتحاورون ويتراجعون القول
يقول الذين استضعفوا بدل من يرجع الخ اي يقول الاتباع للذين استكبروا في الدنيا واستتبعوهم في الغي والضلال
لولا انتم اي لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال الذين
استكبروا للذين استضعفوا استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا
انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم
هم الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا اضرابا عن اضرابهم
وابطالا له بل مكر الليل والنهار اي بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف
اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين اي بل صدنا
مكر في الليل والنهار على ان التنوين عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب
اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية اي بل صدنا مكركم الاغواء في الليل والنهار على
سعة الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية اي بل تكرون الاغواء مكر الليل
والنهار اي مكرا دائما وقوله تعالى اذ تأمروننا ظرف للمكر اي بل مكركم الدائم وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل
له اندادا على ان المراد بمكرهم اما نفس امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
وجعلكم ملوكا فان الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى واي نعمة واما امور اخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال به
من الترغيب والترهيب وغير ذلك واسروا الندامة لما رأوا العذاب اي اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا
من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم وجعلنا الاغلال
في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم والاظهار في موقع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم هل يجزون
الا ما كانوا يعملون اي لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملونه او الا بما كانوا يعملونه على نزع الجار وما ارسلنا في قرية
من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه
من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك
على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير
الا قال مترفوهم مثل ما قال مترفوا اهل مكة في حقه وكادوا به نحو ما كادوا به وقاسوا امور الآخرة الموهومة
او المفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله تع لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين
هانوا عليه تعالى لما حرمهم منها فعلى ذلك الرأي الركيك بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما
نحن بمعذبين اما بناء على انتفاء العذاب الاخروي رأسا او على اعتقاد انه تع اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الآخرة
على تقدير وقوعها قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه يدور امر التكوين ان ربي
يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسط له ويقدر على من يشاء ان يقدر عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين

داع اليه فما يفعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما
معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته
المبنية على الحكم البالغة فلا يقاس على ذلك امر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ ويقدر
بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر
هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات
وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى كلام مستأنف من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق
التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اي وما جماعة اموالكم واولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة
فان الجمع المكسر عقلاءه وغير عقلاءه سواء في حكم التأنيث او بالخصلة التي تقربكم وقرئ بالذي اي بالشيء الذي الا
من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن الصالح
الذي انفق امواله في سبيل الله تعالى وعلم اولاده الخير ورباهم على الصلاح ورشحهم للطاعة وقيل من اموالكم و
اولادكم على حذف المضاف اي الا اموال من الخ فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين
باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي
فاولئك المنعوتون بالايمان والعمل الصالح لهم جزاء الضعف اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده
والجملة خبر لاولئك وفيه تأكيد لتكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لاولئك وما بعده
مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا
الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها
وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف
بالرفع على ان الضعف بدل من جزاء بما عملوا من الصالحات وهم في الغرفات اي غرفات الجنة آمنون من جميع
المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها
معاجزين سابقين لانبيائنا او زاعمين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون لا يجديهم ما عولوا عليه
نفعا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده اي يوسعه عليه تارة ويقدر له اي يضيقه عليه تارة
اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا
واما آجلا وهو خير الرازقين فان غيره واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا
اي المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر متأخر ينساق اليه النظم او مفعول
لمضمر متقدم نحو اذكر ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم
اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فيظهر بقصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم
عن عبادتهم بطلان حال سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون قالوا استئناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فماذا يقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون متنزهين عن ذلك سبحانك
انت ولينا من دونهم والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على التحقق اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة
بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم
بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون انهم
الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مؤمنون
الضمير الاول للانس او المشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرؤ مما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤس الاشهاد اظهارا

لعزمهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليس لترتيب ما بعدها من الحكم على
جواب الملائكة فإنه محقق أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب الإخبار به عليه وتخصيص عدم النفع والضر المعبر لهم
للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة
لعبدتهم في الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع أنه لا بحث عنه أصلا إما لتعميم العجز أو لحمل عدم
النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها أو لأن المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم
مع ثبوته على الإطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل «ونقول للذين ظلموا» عطف على نقول
للملائكة لا على يملك كما قيل لأنه مما يقال يوم القيامة خطابا بالملائكة مترتبا على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ إثر حكاية ما يقال للملائكة أي يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ونقول
كذا وكذا ونقول للمشركين «ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون» يكون من الأحوال والأهوال ما لا يحيط به نطاق
المقال وقوله تعالى «وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات» بيان لبعض آخر من كفراتهم أي إذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلى الله
عليه وسلم آياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك «قالوا ما هذا» يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم
«إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم» فيستتبعكم بما يستبدعه من غير أن يكون هناك دين إلهي
وإضافة الآباء إلى المخاطبين لا إلى أنفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد
«وقالوا ما هذا» يعنون القرآن الكريم «إلا إفك» أي كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع «مفترى» بنسبته
إلى الله تعالى «وقال الذين كفروا للحق» أي لأمر النبوة أو الإسلام أو القرآن على أن العطف لاختلاف العنوان
بأن يراد بالأول معناه وبالثاني نظمه المعجز «لما جاءهم» من غير تدبر ولا تأمل فيه «إن هذا إلا سحر مبين» ظاهر سحريته
وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة إلى
البت بهذا القول الباطل إنكار عظيم له وتعجيب بليغ منه «وما آتيناهم من كتب يدرسونها» فيها دليل على صحة الإشراك
كما في قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون
وقرئ يدرسونها ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس «وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير»
يدعوهم إليه وينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا وقد بان من قبل أن لا وجه له بوجه من الوجوه فمن أين ذهبوا هذا المذهب
الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى «وكذب الذين من قبلهم» من الأمم المتقدمة والقرون
الخالية كما كذبوا «وما بلغوا معشار ما آتيناهم» أي ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من البينات والهدى «فكذبوا رسلي»
عطف على كذب الذين إلخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا إلخ «فكيف كان
نكير» أي إنكاري لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك «قل إنما أعظكم بواحدة» أي ما أرشدكم وأنصحكم إلا
بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى «أن تقوموا لله» على أنه بدل منها أو بيان لها أو خبر مبتدأ محذوف أي هي
أن تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تنتصبوا للأمر خالصا لوجه الله تعالى معرضين عن المماراة
والتقليد «مثنى وفرادى» أي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فإن الازدحام يشوش الأفهام ويخلط الأفكار
وفي تقديم مثنى إيذان بأنه أوثق وأقرب من الاطمئنان «ثم تتفكروا» في أمره صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا
حقيقته وقوله تعالى «ما بصاحبكم من جنة» استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن مثل هذا
الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه إلا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان
وظهور عجزه أو مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه وإذ قد علمتم أنه عليه السلام أرجح العالمين عقلا وأصدقهم قولا
وأنزههم نفسا وأفضلهم علما وأحسنهم عملا وأجمعهم للكمالات البشرية وجب أن تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم إلى ذلك
معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز أن يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز أن تكون ما استفهامية
على معنى ثم تتفكروا أي شيء به من آثار الجنون «إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد» هو عذاب الآخرة

فإنه عليه السلام مبعوث في نسم الساعة «قل ما سألتكم من أجر» أي أي شيء سألتكم من أجر على الرسالة
«فهو لكم» والمراد نفي السؤال رأسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا إن أعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة أريد بها
ما سألهم بقوله تعالى ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا وقوله تعالى لا أسألكم عليه أجرا
إلا المودة في القربى واتخاذ السبيل إليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه قرباهم «إن أجري إلا على الله وهو على كل
شيء شهيد» مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرئ إن أجري بسكون الياء «قل إن ربي يقذف بالحق» أي يلقيه و
ينزله على من يجتبيه من عباده أو يرمي به الباطل فيدمغه أو يرمي به إلى أقطار الآفاق فيكون وعدا بإظهار الإسلام
وإعلاء كلمة الحق «علام الغيوب» صفة محمولة على محل إن واسمها أو بدل من المستكن في يقذف أو خبر ثان لأن أو
خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي أو مقدرا بأعني وقرئ بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة غائب
«قل جاء الحق» أي الإسلام والتوحيد «وما يبدئ الباطل وما يعيد» أي زهق الشرك بحيث لم يبق أثره أصلا
مأخوذ من هلاك الحي فإنه إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة فجعل مثلا في الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد: أقفر
من أهله عبيد فليس يبدي ولا يعيد وقيل الباطل إبليس أو الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده أو لا يبدئ خيرا
لأهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها «قل إن ضللت» عن الطريق الحق «فإنما أضل على نفسي» فإن
وبال ضلالي عليها لأنه بسببها إذ هي الجاهلة بالذات والأمارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى
«وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي» لأن الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرئ ربي بفتح الياء «إنه سميع قريب» يعلم
قول كل من المهتدي والضال وفعله وإن بالغ في إخفائهما «ولو ترى إذ فزعوا» عند الموت أو البعث أو يوم بدر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف
أي لرأيت أمرا هائلا «فلا فوت» فلا يفوتون الله عز وجل بهرب وتحصن «وأخذوا من مكان قريب» من ظهر الأرض
أو من الموقف إلى النار أو من صحراء بدر إلى قليبها أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل
على معنى إذ فزعوا أي فزعوا وأخذوا ويؤيده أنه قرئ وأخذ بالعطف على محله أي فلا فوت هناك وهناك أخذ «وقالوا آمنا
به» أي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم «وأنى لهم التناوش» أي التناول السهل
ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولا سهلا «من مكان بعيد» فإنه في حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل
حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع
في الاستحالة وقرئ بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من نأشت الشيء إذا طلبته وعن أبي عمرو التناؤش بالهمز التناول
من بعد من قولهم نأشت إذا أبطأت وتأخرت ومنه قول من قال: تمنى نئيشا أن يكون أطاعني وقد حدثت
بعد الأمور أمور «وقد كفروا به» أي بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالعذاب الشديد الذي أنذرهم إياه «من قبل»
أي من قبل ذلك أوان التكليف «ويقذفون بالغيب» ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول ع م
من المطاعن أو في العذاب المذكور من بت القول بنفيه «من مكان بعيد» من جهة بعيدة من حاله ع م حيث ينسبونه
عليه السلام إلى الشعر والسحر والكذب وأي بعد أبعد مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شيء من عادته المعروفة فيما
بين الداني والقاصي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه
وقرئ ويقذفون على أن الشيطان يلقي إليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على وقد كفروا به على حكاية الحال الماضية
أو على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الإيمان في الدنيا «وحيل بينهم وبين ما يشتهون»
من نفع الإيمان والنجاة من النار وقرئ بإشمام الضم للحاء «كما فعل بأشياعهم من قبل» أي بأشباههم من كفرة الأمم الدارجة
«إنهم كانوا في شك مريب» أي موقع في الريبة أو ذي ريبة والأول منقول ممن يصح أن يكون مريبا من الأعيان إلى
المعنى والثاني من صاحب الشك إلى الشك كما يقال شعر شاعر والله أعلم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة فاطر مكية خمس واربعون آيات

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا كانه شق العدم باخراجهما منه واضافته محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق جاعل الملائكة الكلام في اضافته وكونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله تعالى رسلا منصوب به على الوجه الثاني من الاضافة بالاتفاق واما على الاول فكذلك عند الكسائي واما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الا معرفا باللام وقال ابو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لانه باضافته الى الاول تعذرت اضافته الى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة اي جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه تعالى وبين خلقه ايضا حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييريا اما على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين اولي اجنحة صفة لرسلا واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها والمعنى ان من الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحة كل منهم ثلاثة وخلقا آخر لكل منهم اربعة اجنحة ويروى ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة بجناحين منها يلفون اجسادهم وبآخرين منها يطيرون فيما امروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبرائيل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سأل جبريل عليه السلام ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج عليه السلام في ليلة مقمرة فاتاه جبرئيل صلوات الله عليهما في صورته فغشي عليه ع م ثم افاق وجبرئيل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل ع م فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير يزيد في الخلق ما يشاء استئناف مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملائكة في عدد الاجنحة ومؤذن بان ذلك من احكام مشيئته تعالى لا لامر راجع الى ذواتهم ببيان حكم كلي بانه تعالى يزيد في اي خلق كان كل ما يشاء ان يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من تخصيص بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد كل ما يشاء ايجابا بينا ما يفتح الله للناس من رحمة عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بانها انفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون واعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام اي اي شيء يفتح الله من خزائن رحمته اية رحمة كانت من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها اي لا احد يقدر على امساكها وما يمسك اي اي شيء يمسك فلا مرسل له اي لا احد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين لما ان مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده اي بعد امساكه وهو العزيز الغالب على كل

ما يشاء من الامور التي من جملتها الفتح والامساك الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي عليها يدور امر التكوين وبعد ما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم اي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها وكما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى ان يكون في الوجود شيء غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري المنادي باستحالة ان يجاب عنه بنعم فقال هل من خالق غير الله اي هل خالق مغاير له تعالى موجود على ان خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتاكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما انه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى يرزقكم من السماء والارض اي بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقادير لا محل له من الاعراب اخل بحيز النفي والا نهار ولا مساغ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق مرفوع المحل او مجروره لان معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه الخبر للمبتدأ ولا لما قيل من انه مفسر لمضمر ارتفع به قوله من خالق على الفاعلية اي هل يرزقكم من خالق الخ لما ان معناهما نفي رازقية خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفي وجوده رأسا مع ان المراد حتما هو الاول الى قوله تعالى لا اله الا هو فانه استئناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة بحيث كان هذا ناطقا بنفي الوجود تعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء في قوله تعالى فاني تؤفكون لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خطابي الناس مسارعة الى تسليته عم بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا اي وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما اقمت عليهم الحجة والزمتهم الحجر فتأس باولئك الرسل في المصابرة على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والحث على المصابرة اي رسل اولو شأن خطير وعدد كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازي كلا منك ومنهم بما انتهى اليه من الاحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا ما لا يخفى من المبالغة في الوعد والوعيد وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والادخل في التهويل يا ايها الناس رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير ان وعد الله المشار اليه بقوله تعالى والى الله ترجع الامور من البعث والجزاء حق ثابت لا محالة من غير خلف فلا تغرنكم الحياة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم زخارفها عن تدارك ما ينفعكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في قوله لا اريتك ههنا ولا يغرنكم بالله وعفوه وكرمه الغرور اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهي للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين في الكيفية وقرئ الغرور على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد ان الشيطان لكم عدو عداوة عامة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به فاتخذوه عدوا بمخالفتكم له في عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على غرضه

في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبها ومنافعها الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته عذاب شديد لا يقادر قدره مديد لا يبلغ مداه والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان مغفرة عظيمة واجر كبير لا غاية لهما أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء للانكار ترتيب ما بعدها على ما قبلها اي أبعد كون حالهم كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتاهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تع فان الله يضل الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تع اي فانه تعالى يضل من يشاء ان يضله لاستحسانه واختياره الضلال فصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين ويهدي من يشاء ان يهديه لصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عم عن التحزن عليهم ببيان انهم ليسوا باهل لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي أبعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تع فلا تذهب نفسك عليهم حسرات دلالة بينة واما تمهيد لصرفه عم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة في دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم اي أبعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تع فان الله يضل من يشاء الخ على انه ممن شاء الله تعالى ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات اما مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عم على احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كأن كلها صارت حسرات وقوله تعالى ان الله عليم بما يصنعون اي من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه الثلثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابي جهل ومشركي مكة والله الذي ارسل الرياح مبتدأ وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تع فتثير سحابا لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها او للدلالة على استمرار الاثارة فسقناه الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها اي يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض وبين البعث الذي شبه به بقوله تعالى كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع على الخبرية اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات في صحة المقدورية وسهولة التأتي من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا بالسنتهم كما في قوله تع الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها فلله العزة جميعا اي له تع وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة اي فليطلبها منه لا من غيره فاستغني عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تع موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تع اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التو

فان علمه تع بسوء صنيعهم موجب لحلول واحد مما ذكر
من العذاب الشديد فتعيين من النصح
من كفرهم عن المبالغة في دعوتهم شيخ زاده
وصرفهم

والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تع هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات اي اليه يصل الكلم الطيب الذي به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطي طلبته بالذات والمستكن في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناء للمفعول والمصعد هو الله سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عم انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود رض ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب الخ والذين يمكرون السيئات بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء واهله بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها صفة للمصدر المحذوف اي يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الرأي في احدى الثلث التي هي الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي امرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان اي مكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به عم هو يبور اي هو يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد ابارهم الله تع بعد ابارة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلث التي اكتفوا في حقه عم بواحدة منهن والله خلقكم من تراب دليل آخر على صحة البعث والنشور اي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا ثم جعلكم ازواجا اي اصنافا او ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته وما يعمر من معمر اي من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد في عمر احد ولا ينقص من عمره اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه اشار عليه السلام بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتي على آخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم الا في كتاب عن ابن عباس رض انه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان ان ذلك اي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محارا للعقول والافهام على الله يسير لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف وملح كحذر وقوله تعالى ومن كل اي من كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وتستخرجون اي من المالح خاصة حلية تلبسونها اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع واما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما تفاوتا فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال الفطرة لا يتساوى الكافر والمؤمن وان اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازته لكماله

اللائق دون الآخر وتفضيل الأجاج على المالح من حيث انه يشارك العذاب في منافع كثيرة والمالح خلو من
المنافع بالحلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان وترى
الفلك فيه اي في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب لكل احد يتأتى منه الرؤية دون المنتفعين
بالبحرين فقط مواخر شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالنقلة
فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة اي فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون اي ولتشكروا على ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده تعالى يولج الليل في النهار و
يولج النهار في الليل بزيادة احدهما ونقص الآخر باضافة بعض اجزاء كل منهما الى الآخر وسخر الشمس والقمر
عطف على يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الآخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين
فامر لا تعدد فيه وانما المتعدد والمتجدد آثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى كل يجري اي بحسب حركته الخاصة
وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريانا مستمرا لاجل مسمى قدره
الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيمة كما روي عن الحسن رض وقيل جريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين بهما في فلكيهما
والاجل المسمى عن منتهى دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمان ذلكم
اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده اخبار
مترادفة اي ذلكم العظيم الشان الذي ابدع هذه الصنائع البديعة الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة على ان
ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدأ في قران قوله تعالى
والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون
بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم استئناف مقرر
لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بانه جماد ليس من شانه السماع ولو سمعوا على الفرض والتقدير
ما استجابوا لكم لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قيل من انهم متبرؤن منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور
منهم في الدنيا ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون
ولا ينبئك مثل خبير اي لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين
والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم
وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم
الفقراء فحسب وان افتقار سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا
والله هو الغني الحميد اي المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد ان يشا يذهبكم
ويات بخلق جديد ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك اي
ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان بآخرين على الله بعزيز بمتعذر ولا متعسر ولا تزر وازرة اي لا تحمل
نفس آثمة وزر اخرى اي نفس اخرى بل انما تحمل كل منهما وزرها واما ما في قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع
اثقالهم من حمل المضلين اثقالا غير اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكلاهما اوزارهم ليس فيها
من اوزار غيرهم شيء وان تدع مثقلة اي نفس اثقلها الاوزار الى حملها ليحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء اي لا تجب
لحمل شيء منه ولو كان اي المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربى ذا قرابة منها كالاب والولد والاخ ذو قربى وهذا نفي للحمل اختيارا
والاول نفي له اجبارا انما تنذر استئناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر اي انما ينذر بهذه الانذارات الذين
يخشون ربهم بالغيب اي يخشونه تعالى غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه وهو
غائب واقاموا الصلوة اي راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اي انما ينفع انذارك

هؤلاء من قومك دون من عداهم من اهل التمرد والعناد ومن تزكى اي تطهر من اوضار الاوزار والمعاصي
بالتأثر من هذه الانذارات فانما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها كما ان من تدنس بها لا يتدنس الا عليها
وقرئ من ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من معظم مبادي التزكي والى الله
المصير لا الى احد غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم احسن الجزاء وما يستوي الاعمى والبصير
اي الكافر والمؤمن ولا الظلمات ولا النور اي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتعدد
فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور اي ولا الثواب ولا العقاب ودخول لا على المتقابلين لتأكيد
نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور
ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك
كرر الفعل واوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين افراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة ان الله يسمع
من يشاء ان يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين
على الكفر بالاموات واشباع في اقناطه عليه السلام من ايمانهم ان انت الا نذير ما عليك الا الانذار واما الاسماع
البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق اي محقين او محقا
انت او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد
الحق وان من امة اي ما من امة من الامم الدارجة في الازمنة الماضية الا خلا اي مضى فيها نذير من نبي
او عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد قرنا آنفا ولان الانذار هو الانسب
بالمقام وان يكذبوك اي تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم فقد كذب الذين من قبلهم من الامم العاتية
جاءتهم رسلهم بالبينات اي المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير
كالتورية والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين
ثم اخذت الذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم للتنصيص بما في حيز الصلة والاشعار بعلة الاخذ فكيف
كان نكير اي انكاري بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها الم تر استئناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف
احوال الناس ببيان ان الاختلاف والتفاوت امر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية
قلبية اي الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به التفات لاظهار كمال الاعتناء
بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة ثمرات مختلفا الوانها اي اجناسها او
على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او اوصافها واشباهها كالالوان [illegible] والحمرة والخضرة [illegible] وهو
الانسب لما في قوله تعالى ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة السوداء
على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف
الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد
ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تأكيد مضمر يفسره ما بعده فان الغرابيب تأكيد للاسود كالفاقع للاصفر
والقاني للاحمر ومن حق التأكيد ان يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها
[illegible] وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام
مختلف الوانه اي ومنهم بعض مختلف الوانه او وبعضهم مختلف الوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من
يقول آمنا بالله وايراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونهما
على تباين الناس في الاحوال الباطنة لما ان اختلاف الجبال والناس والدواب والانعام فيما ذكر من الالوان
امر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار واما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل
على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريري المنبئ عن الحمل على الاقرار

فيها بخلاف احوال الجبال والناس وغيرها فانها مشاهدة غنية عن التأمل ولذلك جردت عن التعليق بالرؤية وتقدير
وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي لقوله تعالى مختلف اي صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك
اي كاختلاف الثمار والجبال وقرئ الوانها وقرئ والدواب بالتخفيف بالعشرة في الهرب من التقاء الساكنين
وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه
عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم اما في الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل واما
في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها اي انما يخشاه تعالى بالغيب
العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشي والعلم
بشؤونه فمن كان اعلم به تعالى كان اخشى منه عز وجل كما قال عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك
عقب بذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل عن هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية
وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان
الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه
معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله اي يداومون على قراءته
او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القرآن وقيل جنس كتب الله تعالى فيكون
ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذلك فان صيغة المضارع منادية باستمرار
مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعها لما سيأتي من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية
الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل بالقرآن
الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاشباع في ذكر استتباعها ما ذكر من
الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل
قطعا لما ان الباقي مشروعا ليس لاحكامها لكن لا من حيث انه حكمها بل من حيث انه حكم القرآن واما تلاوتها
فبمعزل من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبر واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة
وهو خبر ان وقوله تعالى لن تبور اي لن تكسد ولن تهلك بالخسران اصلا صفة للتجارة جيء بها للدلالة على
انها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لانه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من اكرم
الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفي عنها الكساد
وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل عشر دل
عليه ما عد من افعالهم المرضية اي فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل يرجون على ان اللام للعاقبة انه غفور شكور
تعليل لما قبله من التوفية والزيادة اي غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين ويرجون
حال من واو انفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب وهو القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل
اللوح ومن للابتداء هو الحق مصدقا لما بين يديه اي احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال
مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير محيط
ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على سائر
الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة هي الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب اي قضينا بتوريثه
اي نورثه والتعبير عنه بالماضي لتقرره وتحققه وقيل اورثناه من الامم السالفة اي اخرناه عنهم واعطيناه
الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم والامة باسرهم
فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء

الى افضل رسله عليهم الصلوات وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من
بعدهم خلف ورثوا الكتاب الآية فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به وهو المرجأ لامر الله ومنهم مقتصد
يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيء ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قيل هم السابقون الاولون
من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى باذن الله
اي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة ماخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم
والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق من رجحت حسناته بحيث صارت سيئاته
مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما
المقتصدون فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في المحشر ثم يتلقاهم الله
تعالى برحمته وقد روي ان عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق
ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو الفضل الكبير من الله عز وعلا لا ينال الا
بتوفيقه تعالى جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب ومبتدأ خبره يدخلونها
وعلى الاول هو مستأنف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين ومالهم بالذكر
والسكوت عن الفريقين الآخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير
وتحريضا على السعي في ادراك شأو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر
وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة
فهي حالية من اساور هي جمع اسورة جمع سوار من ذهب من الاولى تبعيضية والثانية بيانية اي يحلون بعض
اساور من ذهب كانه افضل من سائر افرادها ولؤلؤا بالنصب عطفا على محل من اساور وقرئ بالجر عطفا
على ذهب اي من ذهب مرصع من لؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير وتغيير الاسلوب قد
مر في سورة الحج وقالوا اي يقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس رضي الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك
حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا
وقرئ الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم
وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن ان ربنا لغفور اي للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة اي دار الاقامة التي لا انتقال
عنها ابدا من فضله من انعامه وتفضله من غير ان يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا فيها نصب تعب
ولا يمسنا فيها لغوب كلال والفرق بينهما ان النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور
والتصريح بنفيه مع استلزام نفي الاول له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا
لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا
على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد استعارها كذلك اي
مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران لا جزاء اخف وادنى منه وقرئ يجزى على البناء
للمفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح
استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول و
تقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم
لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب

من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة
اي الم نمهلكم او الم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر اي يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو
اربعون سنة وعن ابن عباس ستون سنة وروي ذلك عن علي رضي الله عنهم وهو العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن
آدم قال عليه السلام اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تع وجاءكم النذير عطف على الجملة
الاستفهامية لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ لانه في معنى قد شرحنا الخ
والمراد بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل
موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير لانه الذي يقتضيه المقام والفاء في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر
بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير وفي قوله تعالى فما للظالمين من نصير للتعليل ان الله عالم غيب
السموات والارض بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه
احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون
كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول يجمع خلائف والثاني
خلفاء والمعنى انه تع جعلكم خلفاء في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم
منافعها او جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة
فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها فعليه كفره اي وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ولا يزيد
الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته و
مقت الله تع اياهم اي بغضه الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الاخرة الذي ليس بعده شر وخسار والتكرير
لزيادة التقرير والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة
قل تبكيتا لهم ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اي آلهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء
لله تعالى من غير ان يكون له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه سباق النظم الكريم
وسياقه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل اشتمال من ارأيتم كانه قيل اخبروني عن شركائكم اروني اي جزء
خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي ام لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك
شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك
الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا
وقرئ على بينات وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد في اثباته من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون
بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف
واضلال الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا استئناف مقرر لغاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما كراهة زوالهما او يمنعهما ان تزولا لان الامساك
منع ولئن زالتا ان امسكهما اي ما امسكهما من احد من بعده من بعد امساكه تعالى او من بعد الزوال والجملة
سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا غير معاجل
بالعقوبة التي تستوجبها جنايتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا حسبما قال تع تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله
اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم
او من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير واي نذير
اشرف الرسل عليهم السلام ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل

من نفورا او مفعول له ومكر السيئ اصله وان مكروا السيئ اي المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم مكر السيئ وقرئ
بسكون الهمزة في الوصل ولعله اختلاس ظن سكونا او وقفة خفيفة وقرئ مكرا سيئا ولا يحيق المكر السيئ
الا باهله فهل ينظرون اي ما ينتظرون الا سنة الاولين اي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله
تبديلا بان يضع موضع العذاب غير العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم
والفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما
بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتاكيد انتفائهما اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام
واليمن والعراق من آثار دمار الامم الماضية العاتية والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام
اي اقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة واطول اعمارا
فما نفعهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تع وما كان الله ليعجزه
من شيء اي ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض اعتراض مقرر لما ينبئ عنه ما قبله من استئصال الامم السالفة
وقوله تعالى انه كان عليما قديرا اي مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم
بموجبها تعليل لذلك ولو يؤاخذ الله الناس جميعا بما كسبوا من السيئات كما فعل باولئك ما ترك
على ظهرها اي على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها من بني آدم وقيل ومن غيرهم ايضا من شؤم معاصيهم
وهو المروي عن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما ويعضده الاول قوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
وهو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا فخير
وان شرا فشر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس مكية اثنتان وثمانون آيات

يس اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب واسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه
الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة ياسين
بالرفع والنصب اي هذه ياسين او اقرأ ياسين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم
وقد ابوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور
باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة من ان ما كانت من هذه الفواتح مفردة
مثل صاد وقاف ونون او كانت موازنة لمفرد نحو طاسين وياسين وحاميم الموازن لقابيل يتأتى فيها الاعراب
اللفظي ذكره سيبويه في باب اسماء السور من كتابه وقيل هو محرك بالبناء كما في حيث واين حسبما يشهد به قراءة
ياسين بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك لحذف في الحرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رض ان معناه يا انسان
في لغة طي وقالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اصله يا انيسين فاقتصر على شطره كما قيل من الله
في ايمن الله والقرآن الحكيم بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوزوا ان يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار
باء القسم الحكيم اي المتضمن للحكمة او الناطق بها بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازي وقد يجوز ان يكون
الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة
كما مر في صلة سورة لقمان انك لمن المرسلين جواب القسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه عم لست مرسلا
وصيغ الشهادة منه عز وجل من جملة ما اشير اليه بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن
بالاقسام به اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشأنه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته عم من حيث نظمه المعجز المنطوي

على بدايع الحكم يشهد بها من صنو الحبشية ايضا لما ان الاقسام بالنبي المستشهاد به على تحقق مضمون الجملة
القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا ودليلا عليه قطعا وقوله تع على صراط مستقيم خبر آخر لان او حال
من المستكن في الجار والمجرور وعلى انه عبارة عن الشريعة الشريفة بجمالها لاعن التوحيد فقط وفائدته بيان ان
شريعته عم اقوم الشرائع واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي والوصف اثر بيان انه عم من جملة المرسلين
بالشرائع تنزيل العزيز الرحيم نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه بدل من القرآن واياما كان فهو مصدر
بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته في كونه منزلا من عند الله عز وجل كانه نفس التنزيل واظهارا
لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة
التامة والرافة العامة حث على الايمان به ترهيبا وترغيبا واشعار بان تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما
نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه مصدر مؤكد لفعله المضمر اي
نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه استيناف مسوق لبيان ماذكر من فخامة شان القرآن وعلى كل تقدير فيفيد فضل
تاكيد لمضمون الجملة القسمية لتنذر متعلق بتنزيل على الوجه الاول وبعامله المضمر على الوجه الاخير اي لتنذر
به كما في صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه لمن المرسلين اي انك مرسل لتنذر قوما ما انذر آباؤهم
اي لم ينذر آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على ان ما نافية فيكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار
او الذي انذره او شيئا انذره آباؤهم الابعدون على انها موصولة او موصوفة فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او
انذارا بآبائهم الاقدمين على انها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكد اي لتنذر انذارا كائنا مثل انذارهم فهم
غافلون على الوجه الاول متعلق بنفي الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين اي لم ينذر آباؤهم فهم جميعا
لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تع لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين وارد لتعليل
انذاره عم او ارساله بغفلتهم المحوجة اليهما على ان الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اي عما
انذر آباؤهم الاقدمون لامتداد المدة واللام في قوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم جواب القسم
اي والله لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم
الاختيارية على الكفر والانكار وعدم تاثرهم من التذكير والانذار وغلوهم في العتو والطغيان وتماديهم
في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بما حق من القول قوله تع
لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعني بقوله تعالى
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال
جهنم على من تبع ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم باكثرهم انما هو لكونهم
من جملة اولئك المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم اصرارهم
على الكفر الى الموت ظهر ان قوله تع فهم لا يؤمنون متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الخ تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت
اعناقهم فهي الى الاذقان اي فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم
نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق او
ينظرون الى جهته وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
اما تتمة للتمثيل وتكميل له اي وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما
ابصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شيء ما اصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين
بين سدين هائلين قد غطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون شيئا قطعا كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم
محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الادلة والآيات وقرئ سدا بالضم وهي لغة فيه

وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشا وقيل الآيتان
في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى رسول الله صلى الله عليه يصلي ليرضخن رأسه فاتاه وهو عليه السلام
يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم
فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله تع بصره وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم بيان
لشأنهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل اي مستو عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة
البقرة وقوله تع لا يؤمنون استيناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء او حال مؤكدة له او بدل
منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل انما تنذر اي انذارا مستتبعا للاثر
من اتبع الذكر اي القرآن بالتأمل فيه او بالوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان وخشي الرحمن بالغيب
اي خاف عقابه وهو غائب على انه حال من الفاعل او المفعول او خافه في سريرته ولم يغتر برحمته فانه منتقم قهار
كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فبشره
بمغفرة عظيمة واجر كريم لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر
والخشية انا نحن نحيي الموتى بيان لشأن عظيم ينطوي على الانذار والتبشير انطواء اجماليا اي نبعثهم بعد
مماتهم وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو ح عدة كريمة بتحقيق المبشر به ونكتب ما قدموا
اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وآثارهم التي ابقوها من الحسنات كعلم علموه او كتاب الفوه او حبيس
وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتاسيس قوانين الظلم
والعدوان وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي احدثوها وسنوها
لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي آثار المشائين الى المساجد ولعل المراد انها من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء
للمفعول ورفع آثارهم وكل شيء من الاشياء كائنا ما كان احصيناه في امام مبين اصل عظيم الشان مظهر
لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية
ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة
نوح وامرأة لوط واخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا
لكم الامثال على احد الوجهين اي بينا لكم احوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب
القرية مثلا لهؤلاء في الغلو في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اي طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان
لاضرب واصحاب القرية مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكر وبين لهم قصة
هي في الغرابة كالمثل وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية اذ جاءها
المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى في قوله تعالى
اذ ارسلنا اليهم اثنين بناء على انه كان بامره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما
فكذبوهما اي فاتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة فعززنا اي قوينا يقال عزز المطر الارض اذا
لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصد ذكر المعزز به
بثالث هو شمعون فقالوا اي جميعا انا اليكم مرسلون مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب
للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا
يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه
والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر وشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما
الى الملك وقال لهما الكما اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل
ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به

فدعوا واخبروا الى الملك فانتهى به فقال له يوما بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب
بيني وبين ذلك فدعا بهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا
قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله
تعالى حتى انشق له بصر فاخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارايت
لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر
ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت
آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما
انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون
وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم
جبريل عليه السلام فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد
واللجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر فيه ممن يؤمن احد سوى حبيب ولو ان الملك وقوما من حواشيه
آمنوا لكان الظاهر والرسل وساعدهم قبلوا في ذلك وقبلوا كذا فاين النجار والتشهيد وكان له في ذكرهما وجه من
الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة ملائه فيعتزل عنهم متعذرا بعذر من الاعذار
قالوا اي اهل انطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير مزية لكم علينا موجبة
لاختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي لاعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء
مما تدعونه من الوحي والرسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون
استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا
اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة وما علينا اي من جهة ربنا الا البلاغ المبين اي الا تبليغ رسالته
تبليغا ظاهرا بينا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا او
ما علينا شيء نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فاي شيء تطلبون منا حتى
تصدقونا بذلك قالوا لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة
حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها وان كان
مستتبعا لسعادة الدارين او بناء على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بانفسهم
واهليهم واموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روي انه حبس عنهم القطر فقالوا ذلك لئن لم تنتهوا
اي عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم لا يقادر قدره قالوا طائركم اي سبب
شؤمكم معكم لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم ائن ذكرتم اي وعظتم بما فيه سعادتكم
وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين
الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وبغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم
وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم او مصححا
للتوعد اي ليس الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان فلذلك اتاكم الشؤم او في الظلم والعدوان
ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب
النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع
الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي غيره احد قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما
بلغه خبر الرسل عليهم السلام اظهر دينه قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كانه قيل
فماذا قال عند مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا المرسلين تعرض لعنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم

يا قوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون تكرير للتأكيد
وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي والاهتداء الى خير الدنيا والدين وما لي
لا اعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه
اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله واليه ترجعون
مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال ءاتخذ من دونه آلهة انكار ونفي لاتخاذ الآلهة
على الاطلاق وقوله تعالى ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي لا تنفعني شفاعتهم شيئا من النفع ولا
ينقذون من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب اليه
بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك وقرئ ان يردن بفتح الياء على معنى ان يوردني ضرا اي يجعلني
موردا للضر اني اذا اي اذا اتخذت من دونه آلهة لفي ضلال مبين فان اشراك ما ليس من شأنه النفع
ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير الا خيره ضلال بين لا يخفى على احد ممن له تمييز
في الجملة اني آمنت بربكم خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو
الرسل قبل ان يقتلوه فقال ذلك وانما اكد لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضافة الرب الى
ضميرهم روما لزيادة التقرير واظهارا للاختصاص والاقتداء بهم كانه قال بربكم الذي ارسلكم او الذي تدعوننا
الى الايمان به فاسمعون اي اسمعوا ايماني واشهدوا لي به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك
اظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم
عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها حينئذ
كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها
حي يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره
وللمبالغة في المسارعة الى بيانه والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كانه قيل
كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى
قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله
كانه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب
مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء
او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا سعادة وفوزا عظيما
وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر اي
باي شيء غفر لي ربي يريد به تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده
من بعد قتله او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة
ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وما كنا منزلين وما صح
في حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما انا قدرنا لكل شيء سببا حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم
بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصائصك في
الانتصار من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار
شديدة وغيرها ان كانت اي ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بهم جبريل عليه السلام وقرئ
صيحة بالرفع على ان كان تامة وقرئ الا زقية واحدة من زقا الطائر اذا صاح فاذا هم خامدون ميتون
شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد
وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي فهذه من احوالك

التي حقها ان تحضر فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون فان المستهزئين
بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا او يتحسر عليهم المتحسرون او قد تلهف على حالهم
الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه
على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها
والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسره على العباد باجراء الوصل
مجرى الوقف الم يروا اي الم يعلموا وهو معلق عن العمل في قوله تعالى كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل
فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام خلا ان معناه نافذ في قولك الم يروا ان زيدا المنطلق وان لم يعمل
في لفظه انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين
آنفا ومن غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ الم يروا من اهلكنا والبدل حينئذ بدل
اشتمال وان كل لما جميع لدينا محضرون بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية
وتنوين كل عوض من المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعنى ما كلهم
الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف
على ان ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتاكيد والمعنى انه كلهم مجموعون الخ وآية لهم الارض الميتة
بالتخفيف وقرئ بالتشديد قوله تع آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها
بمعنى العلامة او بمضمر هو صفة لها والارض مبتدأ والميتة وقوله تعالى احييناها استئناف مبين لكيفية
كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبر والارض الميتة مبتدأ موصوف واحييناها خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الارض
مبتدأ واحييناها خبر لآية وقيل الخبر لها هو الارض واحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى
لان مصب الفائدة هو كون الارض آية لهم كون الآية هي الارض واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون
تقديم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب اي من انواع
النخل والعنب ولذلك جمعها دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل
دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف
والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اي بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
او العيون ومن مزيدة على راي الاخفش ليأكلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لانه من مبادي الاثمار
اي وجعلنا فيها جنات من نخيل ورتبنا مبادي اثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل باجراء الضمير مجرى
اسم الاشارة وقيل الضمير لله تع بطريق الالتفات الى الغيبة والاضافة لان الثمر بخلقه تع وقرئ بضمتين وهي لغة
فيه او جمع ثمار وبضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوها
وقيل ما نافية والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤيد الاول قراءة عملت بلا ها
فان حذفه من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون انكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايرون هذه النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرونها سبحان الذي خلق الازواج
كلها استئناف مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على آلائه المذكورة واستعظام ما ذكر في حيز الصلة
من بدائع آثاره وغرائب اسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجيب من اخلال الكفرة
بذلك والخطأ له منهم وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه
والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية
ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه
وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس

الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر
مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران اريد به التنزه التام والتباعد الحقيقي عن السوء فيفيد مبالغة من جهة
اسناد التنزه الى الذات المقدسة فالمعنى تنزه ذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا اخبار
من الله تعالى بتنزهه وصف به ذاته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول امر منه وحمل بذلك وتلقين
للمؤمنين ان يقولوه ويعتقدوه ويتحاشوا عن الاخلال به والازواج الاصناف والانواع
مما تنبت الارض بيان لها والمراد كل ما ينبت فيها من الاشياء المذكورة وغيرها ومن انفسهم الذكر
والانثى ومما لا يعلمون اي وازواجا مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته
لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما لا يتعلق بذلك شيء من مصالحهم الدينية والدنيوية وانما اطلعهم على ذلك بطريق الاجمال
على ذلك بطريق الاجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته وسعة
ملكوت سلطانه وآية لهم الليل الكلام فيه كما مر وقوله تعالى نسلخ منه النهار جملة
مبينة لكيفية كونها آية اي نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من السلخ وهو كشف الجلد عن الحيوان وجلده
من الاتصال والاعتلاء لاستعمال تعلقه بالجلد يقال سلخت الاهاب من الشاة المسلوخة فاذا هم مظلمون
اي داخلون في الظلام مفاجأة وفيه دلالة على ان الاصل هو الظلام والنور عارض والشمس تجري لمستقر لها
لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ
بحيث يظن ان لها هناك وقفة او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل
يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب
من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر
لها فانها متحركة دائما وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اي ذلك الجري البديع المنطوي على الحكم الرائقة
التي تحار في فهمها العقول والافهام تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم
والقمر قدرناه بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء اي قدرنا له منازل او قدرنا
ذا منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف
الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح
سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل
كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنها فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس
حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون
والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها اي يصح ويتسهل لها ان تدرك القمر
في سرعة السير فان ذلك يخل بتكوين النبات وتعيش الحيوان او في الآثار والمنافع او في المكان بان تنزل الى منزله
او في سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما قدر لها ولا الليل
سابق النهار اي يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان
الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السبق مكان الادراك لانه الملائم لسرعة سيره وكل اي وكلهم على ان التنوين
عوض من المضاف اليه الذي هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما
فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون
يسيرون بانبساط وسهولة وآية لهم انا حملنا ذريتهم اي اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم
ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تطلق عليهن لاستيماع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما ان استقرارهم

في السفن اشق واستعمالهم فيها ابدع في الفلك المشحون اي المملوء وقيل هو فلك نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم
فيها حمل اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص ذرياتهم بالذكر لانه ابلغ في الامتنان وادخل
في التعجيب الذي عليه يدور كونه آية وخلقنا لهم من مثله مما يركبون من الابل فانها سفائن
البر او مما عاثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد
ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى والهامه بل لمزيد اختصاص اصلها بالقدرة [illegible]
عنه قوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لانها باختيارهم
كما ان التعبير عن ملابسة ذرياتهم بفلك نوح عم بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار وان نشأ نغرقهم
الجنس تام الآية فانهم معترفون بنعمته كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين
له الدين وقرئ نغرقهم بالتشديد وتعليق الاغراق بمحض المشيئة [illegible]
[illegible] فلا صريخ لهم [illegible]
[illegible] ولا هم ينقذون [illegible]
الا رحمة منا ومتاعا [illegible]
[illegible]
[illegible] الى حين [illegible]
[illegible] واذا قيل لهم اتقوا [illegible]
[illegible] ما بين ايديكم وما خلفكم [illegible]
[illegible] لعلكم ترحمون [illegible]
[illegible] وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين [illegible]
[illegible]

وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في حيز النصب على انها حال من مفعول تاتي ومن عليه
المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما تاتيهم من آية من آيات
ربهم في حال من احوالهم الا حال اعراضهم عنها او وما تاتيهم آية منها في حال من احوالها الا حال اعراضهم عنها واذا
قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اي اعطاكم بطريق التفضل والانعام من انواع الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق
وترغيبا في الانفاق على منهاج قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وتنبيها على عظم جناياتهم في ترك الامتثال بالامر
وكذلك من التبعيضية اي اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما اعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين
فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره قال الذين كفروا بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة للذين آمنوا
تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشيئة الله تعالى انطعم اي حسبما تعظوننا به من لو يشاء الله اطعمه
اي على زعمكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره
الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم التي زعموا انهم جعلوها لله
تعالى من الحرث والانعام يوهمون انه تعالى لما لم يشأ اطعامهم وهو قادر عليه فنحن احق بذلك وما هو الا لفرط
جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده باسباب من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك ان انتم
الا في ضلال مبين حيث تامروننا بما يخالف مشيئة الله ويجوز ان يكون جوابا لهم من جهته تعالى او حكاية
لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي فيما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد بقيامها ومعنى
القرب في هذا اما بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد جواب من جهته تعالى ما ينظرون الا صيحة
واحدة هي النفخة الاولى تاخذهم مفاجأة وهم يخصمون اي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم
شيء من مخايلها كقوله تعالى فاخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علاماتها ولا يزعموا
انها لا تاتيهم واصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ
بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين
اذا كان الثاني مدغما وان لم يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية
في شيء من امورهم ان كانوا فيما بين اهليهم ولا الى اهلهم يرجعون اذا كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة
فيموتون حيثما كانوا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بينها وبين الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة الماضي
للدلالة على تحقق وقوعها فاذا هم من الاجداث اي القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم مالك امرهم على الاطلاق
ينسلون يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين قالوا اي
في ابتداء بعثهم من القبور يا ويلنا احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من
اهبنا من هب من نومه اذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وقيل اصله هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل
الى الضمير قيل فيه ترشيح ورمز واستعارة بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار
هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس رض وابي بن كعب وقتادة
رض ان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا اهوال
القيمة دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من انواع العذاب يصير عذاب القبر
في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر اي من
رقادنا او اسم مكان اريد به الجنس فينتظم مراقد الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون جملة من
مبتدا وخبر وما موصولة محذوفة العائد او مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة او المؤمنين عدل به
عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على ان الذي يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا

دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد الخ خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق **ان كانت** اي ما كانت النفخة التي حكيت آنفا **الا صيحة واحدة** حصلت من نفخ اسرافيل عم في الصور **فاذا هم جميع** اي مجموع **لدينا محضرون** من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين امر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن الاسباب ما لا يخفى **فاليوم لا تظلم نفس** من النفوس برة كانت او فاجرة **شيئا** من الظلم **ولا تجزون الا ما كنتم تعملون** اي الا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كانهما شيء واحد او الا بما كنتم تعملون اي بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم وقوله تعالى **ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون** من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار بحسن حال اعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال المساءة والغم والمراد ههنا هو الاول وما في تنكيره من التكبير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار او السماع او ضرب الاوتار او التزاور او ضيافة الله تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او شغلهم عن اهاليهم في النار لا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم كما روي كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان انه من جملة اشتغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو متعلق بمحذوف هو حال من ضمير فاكهون خبر لها اي انهم مستقرون في شغل واي شغل في شغل عظيم الشأن متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون الغين وفي شغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات وقرئ فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهي لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى **هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون** استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على ان هم مبتدأ وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان له قدما عليه لمراعاة الفواصل او هو والجاران بما تعلقا به من الاستقرار اخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول والثاني مستأنف على انه متعلق بمتكئون او خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرئ متكين بلا همز نصبا على الحال من المستكن في الظرفين او احدهما وقيل هم تاكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال وهذا بعض هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظلل والارائك جمع اريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا يكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وقوله تعالى **لهم فيها فاكهة** الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اي لهم فيها كثير من كل نوع من انواع الفواكه وما في قوله تعالى **ولهم ما يدعون** موصولة او موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم الشأن معين او مبهم ايذانا بانه الحقيق بالدعاء دون ما عداه ثم صرح به بعدما لزيادة التقرير بالتحقيق بعد

التشويق كما ستعرفه او هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر واياما كان فهو مبتدأ ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم كون ما عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها او المعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم من مدعو عظيم الشأن او كل ما يدعون به كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور واياما كان ففيه دلالة على انهم في اقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما اشير اليه مثل اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وقال الزجاج هو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالارتحال بمعنى الرحلة وتعضده القراءة بالتخفيف كما ذكر الكواشي وقوله تعالى **سلام** على التقدير الاول بدل من ما يدعون او خبر لمبتدأ محذوف **قولا** مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كانه قيل ولهم سلام او وما يدعون سلام يقال لهم قولا كائنا **من رب رحيم** اي يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك او بدونها مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رض والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين واما على التقدير الثاني فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف متوفر على ان الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك اي ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر اي سلام اي تسليم قولا من رب رحيم او سلامة من الآفات فيكون قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية اي لهم مرادهم سالما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين **وامتازوا اليوم** عطف اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان احوال اهل الجنة لكن لا على ان المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال اولئك ووصف ثوابهم كما مر في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال اهل الجنة كانه قيل اثر بيان كونهم في شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم **ايها المجرمون** الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى واما ما قيل من ان المعطوف عليه هو فاليوم لا تظلم نفس [illegible] ترتيب الامر المذكور عليه [illegible] بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدي نفعا [illegible] بالجملة [illegible] **الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان** من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت [illegible] اليوم [illegible] من الاوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم [illegible] وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل [illegible] **انه لكم عدو مبين** [illegible]

أي على تقدير كون ما عبارة عن مدعو عظيم الشأن منه سلمه الله

على تقدير كون سلام بدلا منه

على تقدير كونه خبر مبتدأ محذوف منه

أي على تقدير كون ما باقية على عمومها منه

عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي وَأَنِ اعْبُدُونِي عطف على ان لا تعبدوا على ان ان فيهما مفسرة للعهد الذي فيه
معنى القول بالنهي والامر او مصدرية حذف عنها الجار اي لم اعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم
النهي على الامر لما ان حق التخلية التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله تع هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فانه اشارة الى عبادته
تع التي هي عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تع هذا صراط علي مستقيم والمقصود بقوله تعالى لاقعدن لهم
صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم واللام في قوله تعالى وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا جواب قسم محذوف والجملة استئناف
مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ببيان ان جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل هو بعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات
النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان والخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ و
التقريع لتضاعف جناياتهم والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتخفيف اللام وبضمة وسكون و
بكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق في جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا
بالياء وهو الصنف من الناس اي وبالله لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذي امرتكم
بالثبات عليه فاصابهم لاجل ذلك ما اصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق اخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله
تعالى أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون
انها لضلالهم او فلم تكونوا تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تع هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ
تُوعَدُونَ استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم اي كنتم توعدون
على ألسنة الرسل عليهم السلام بها بمعاداة الشيطان بمثل قوله تع لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله
تع قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تع قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم
لاملأن جهنم منكم اجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ امر تنكيل واهانة كقوله
تعالى ذق انك انت الخ اي ادخلوها من فوق وقاسوا انواع عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تع الْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَى أَفْوَاهِهِمْ اي نختمها ونمنعها عن الكلام التفات الى الغيبة للايذان بان ذكر احوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم وتحكى
احوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية
وقرئ يختم وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم
جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين ثم يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد
يوم القيامة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام
فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها دلالتها على افعالها وظهور آثار المعاصي
عليها وقرئ وتتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى وكذلك نختم على افواههم
وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ الطمس تعفية شق العين
حتى تعود ممسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون
الجزاء اي لو نشاء ان نطمس على اعينهم لفعلنا وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم
الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشيئة فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار
الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير
فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ اي فارادوا ان يستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه على ان انتصابه بنزع الخافض او بتضمين
الاستباق معنى الابتدار او بالظرفية فَأَنَّى يُبْصِرُونَ الطريق وجهة السلوك وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ بتغيير صورهم
وابطال قواهم عَلَى مَكَانَتِهِمْ اي مكانهم الا ان المكانة اخص كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا
يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا رجوع وذلك قوله تع فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا
يَرْجِعُونَ اي ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة قال ابن عباس رض قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة

لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مُضِيًّا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تع على ما ذكر
من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من
آثار دمار امثالهم احقاء بان تفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما تفعل بهم في الآخرة عقوبة الختم وان المانع من ذلك
ليس الا عدم تعلق المشيئة الالهية بها كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم
المستدعية لها لفعلناها ولكنا لم نشاها جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين الى امهالهم وَمَنْ نُعَمِّرْهُ اي نطل عمره
نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ نقلبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وتنتقص
بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم
والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثي وننكسه من الانكاس أَفَلَا يَعْقِلُونَ اي ايرون ذلك فلا يعقلون ان من
قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم تعلق مشيئته تع بهما وقرئ تعقلون
بالتاء لجري الخطاب قبله وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ رد وابطال لما كانوا يقولون في حقه عم من انه شاعر وما يقوله
شعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى ان القرآن ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف
مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل
الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة
ومن اين اشتبه عليهم الشؤون واختلط بهم الظنون قاتلهم الله انى يؤفكون وَمَا يَنْبَغِي لَهُ وما يصح له الشعر ولا يتأتى
له لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط لتكون الحجة اثبت و
الشبهة ادحض واما قوله عم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله عم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله
ما لقيت فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقرآن اي وما ينبغي
للقرآن ان يكون شعرا إِنْ هُوَ اي ما القرآن إِلَّا ذِكْرٌ اي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تع ان هو
الا ذكر للعالمين وَقُرْآنٌ مُبِينٌ اي كتاب سماوي بين كونه كذلك او فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحاريب ويتلى
في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين ما قالوا لِيُنْذِرَ اي القرآن او الرسول عليه السلام
ويؤيده القراءة بالتاء لينذر من نذر به اي علمه ولينذر مبنيا للمفعول من الانذار مَنْ كَانَ حَيًّا اي عاقلا متأملا
فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا في علم الله تع فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به
وَيَحِقَّ الْقَوْلُ اي يجب كلمة العذاب عَلَى الْكَافِرِينَ المصرين على الكفر وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم
لخلوهم عن آثار الحيوة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقة أَوَلَمْ يَرَوْا الهمزة للانكار والتعجب والواو
للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اي الم يتفكروا ولم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينة
أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ اي لاجلهم وانتفاعهم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا اي مما تولينا احداثه بالذات وذكر الايدي واسناد
العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء به أَنْعَامًا مفعول خلقنا
وتأخيره عن الجارين المتعلقين به مع ان حقه التقدم عليهما لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم منبئا
عن كون المؤخر امرا نافعا خطيرا كما في النظم الكريم فان الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح
عن كونه من الامور الخطيرة يزيدان النفس شوقا اليه ورغبة فيه ولانه في تأخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه
بقوله تع فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ الآيات الثلاث اي فملكناها اياهم وايثار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم
لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقوية لعمله اي فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال
مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم او قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا
وتسخيرنا اياها لهم كما في قول من قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا والاول هو الاظهر

ليكون قوله تعالى وذللناها لهم تأسيسا للنعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اي صيرناها منقادة لهم بحيث
لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تع فمنها ركوبهم الى آخره فان الفاء
فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اي فبعض منها ركوبهم اي مركوبهم اي معظم منافعها الركوب وعدم
التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ
ركوبهم اي ذو ركوبهم ومنها يأكلون اي وبعض منها يأكلون لحمه ولهم فيها اي في الانعام بكلا قسميها منافع
اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران ومشارب من اللبن جمع مشرب
وهذا مجمل ما فصل في سورة النحل افلا يشكرون اي ايشاهدون هذه النعم او اينتفعون بها فلا يشكرون المنعم بها
واتخذوا من دون الله اي متجاوزين الله الذي شاهدوا تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك
النعم المتظاهرة آلهة من الاصنام واشركوها به تعالى لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزبهم
من الامور او يشفعوا لهم في الآخرة وقوله تعالى لا يستطيعون نصرهم الى آخره استئناف سيق لبيان بطلان رأيهم وخيبة
رجائهم وانعكاس تدبيرهم اي لا تقدر آلهتهم على نصرهم وهم اي المشركون لهم اي لآلهتهم جند محضرون يشيعونهم
مساقهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعده مساق النظم الكريم فان الفاء
في قوله تعالى فلا يحزنك قولهم لترتيب النهي على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خذلانهم وحرمانهم عما علقوا به
اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة
واما كونهم معدين لخدمتهم وحفظهم فبمعزل من ذلك والنهي وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقة
متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له عليه السلام عن التأثر منه بطريق الكناية على ابلغ وجه وآكده فان النهي
عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد
النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك هاهنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبئ عنه ما ذكر من
اتخاذهم الاصنام آلهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وانهم شركاء لله سبحانه في المعبودية وغير
ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاي من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تع انا نعلم
ما يسرون وما يعلنون تعليل صريح للنهي بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم
للمجازاة قطعا اي انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية التي لا يعزب عن علمنا شيء منها وفيه فضل تسلية لرسول
صلى الله عليه وسلم وتقديم السر على العلن اما للمبالغة في بيان شمول علمه تع لجميع المعلومات كأن علمه تع بما يسرونه
اقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما في الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء
في نفسه علم بالنسبة اليه تع وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما لان مرتبة السر
متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه مضمر في القلب قبل ذلك فتعلق علمه تع بحالته الاولى
متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة كلام مستأنف مسوق
لبيان بطلان انكارهم البعث بعدما شاهدوا في انفسهم اوضح دلائله واعدل شواهده كما ان ما سبق مسوق لبيان بطلان
اشراكهم بالله تعالى بعدما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام واما ما قيل من انه تسلية ثانية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف
على جملة مقدرة هي مستتبعة للمعطوف كما مر في الجملة الانكارية اي الم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه
من نطفة فالواو هي عين الجملة السابقة اعيدت تأكيدا للنكير السابق وتمهيدا لانكار ما هو احق منه بالانكار والتعجيب
ان المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق اسباب معايشهم وهاهنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب في ان
علم الانسان باحوال نفسه اهم واحاطته بها اسهل واكمل فالانكار والتعجيب من الاخلال بذلك ادخل كأنه قيل الم
يعلموا خلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لانفسهم ايضا مع كون العلم بذلك في غاية الظهور و

نهاية الاهمية على معنى ان المنكر الاول بعيد قبيح والثاني ابعد واقبح ويجوز ان يكون الواو لعطف الجملة الانكارية
الثانية على الاولى على انها متقدمة في الاعتبار وان تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة في الكلام كما هو رأي
الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق باحواله من حيث هو انسان كما في قوله تعالى اولا يذكر
الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تعالى فاذا هو خصيم مبين اي شديد الخصومة والجدال بالباطل
عطف على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار والتعجب كأنه قيل او لم ير انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجأ
خصومتنا في امر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة
واستمراره عليها روي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة
تكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن
اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعدما رم قال صلى الله عليه وسلم
نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا رجل
مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ عطف على خلقنا وغير داخل تحت الانكار والتعجب بل هو
من تتمات شواهد صحة البعث فقوله تعالى وضرب لنا مثلا معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار
واما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلا اي اورد في شأننا
قصة عجيبة في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي انكار احيائنا العظام او قصة عجيبة في زعمه
واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار وهي احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق
وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى ونسي خلقه اي خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال
على بطلان ما ضربه اما عطف على ضرب داخل في حيز الانكار والتعجب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله
تعالى قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل كأنه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال
من يحيي العظام منكرا له اشد النكير مؤكدا له بقوله وهي رميم اي بالية اشد البلى بعيدة من الحياة غاية
البعد فالمثل على الاول هو انكار احيائه تعالى للعظام فانه امر عجيب في نفس الامر حقيق لغرابته وبعده من العقول
بان يعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشاء بل اهون منه في قياس العقل
وعلى الثاني هو احياؤه تعالى لها فانه امر عجيب في زعمه فلذا استبعده وعده من قبيل المثل وانكره اشد الانكار
مع انه في نفس الامر اقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشاء او اهون منه واما على الثالث فلا فرق
بين ان يكون المثل هو الانكار او المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبرا للمؤنث لانه اسم لما بلي من العظام
غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من اثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما اصحابنا
فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن
حي حساس قل تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشاده الى طريقة الاستشهاد بها
يحييها الذي انشأها اول مرة فان قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها وهو بكل خلق عليم
مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص
اصولها وفروعها واوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على
النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب او معطوفة على الصلة والعدول
الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر ليس كانشائه للمنشآت وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر
نارا بدل من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتأكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة اي خلق
لاجلكم ومنفعتكم منه نارا على ان الجعل ابداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تأخرهما عنه
رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقرئ الخضراء

بالنظر الى المعنى وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما
الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فينقدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تع فاذا انتم
منه توقدون ومن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر
على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطرأ عليه اليبوسة والبلى وقوله تع اوليس الذي خلق السموات والارض
الى آخره استئناف مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذي امر ﷺ بان يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة
للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أليس الذي انشأها اول مرة وليس الذي جعل لهم من الشجر
الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر
والقماءة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بان من قدر على خلقهما كان على خلق الاناسي اقدر كما قال تع لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تع بلى جواب من جهته تع وتصريح بما افاده الاستفهام الانكاري
من تقرير ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى وهو الخلاق
العليم عطف على ما يفيده الايجاب اي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفا وكما انما امره اي
شأنه اذا اراد شيئا من الاشياء ان يقول له كن اي يعلق به قدرته فيكون فيحدث من غير توقف على شيء آخر
اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تع فيما اراده بامر الآمر المطاع للمأمور المطيع في سرعة حصول المأمور به من غير توقف
على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عز وعلا
عما وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا في شأنه تعالى والفاء للاشارة الى ان ما فصل من شؤونه
تعالى موجبة لان ينزه وينزه ابلغ ايجاب كما ان وصفه تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بانها مقتضية لذلك
اتم اقتضاء والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء
واليه ترجعون لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس
رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله تع له واعطي
من الاجر كانما قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل
بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون
جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه
حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث
في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال ﷺ ان في القرآن سورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها

سورة الصافات مكية احدى وثمانون ايات

والصافات صفا اقسم الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على ان المراد ايقاع نفس الفعل
من غير قصد الى المفعول والصافات انفسها اي الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة
حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون
وقيل الصافات اقدامها في الصلاة وقيل اجنحتها في الهواء فالزاجرات زجرا اي الفاعلات للزجر او الزاجرات
لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي
وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سيأتي وصفا وزجرا مصدران مؤكدان لما قبلهما
اي صفا بديعا وزجرا بليغا واما ذكرا في قوله تعالى فالتاليات ذكرا فمفعول للتاليات اي التاليات ذكرا

عظيم الشأن من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد
والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر مؤكد كما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات ان اجريت على الكل
فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل اما بكون الفضل للصف ثم للتلاوة واما على العكس وان اجريت كل
واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى ان طوائف الصافات ذوات
فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال
الصافات انفسها في صفوف الجماعات واقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله
تعالى الدارسات شرائعه واحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات انفسهم في مواطن الحرب كانهم بنيان مرصوص
او طوائف قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا وللعدو في المعارك طردا التاليات آيات الله
تعالى وذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف ودلالته على ترتب الصفات في الفضل او ترتب موصوفاتها
فيه كالذي سلف واما الدلالة على الترتيب في الوجود كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب
فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة والغزاة فتأخر التلاوة
عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل من يزجر عن المعاصي والتاليات
كل من يتلو كتاب الله وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاء والذال ان
الهكم لواحد جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المألوف في كلامهم من التأكيد القسمي وتمهيد
لما يعقبه من البرهان الناطق به اعني قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق
فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته
كما ينبئ عنه قوله تع لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان او خبر لمبتدأ محذوف اي مالك السموات والارض
وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية
ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها
تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها واما قوله تع رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء
ومغرباهما انا زينا السماء الدنيا اي القربى منكم بزينة عجيبة بديعة الكواكب بالجر بدل من زينة على ان
المراد بها الاسم اي ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها واوضاع بعضها من بعض زينة واي زينة
وقرئ بالاضافة على انها بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب بيانا لها ويجوز ان يراد
بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوؤها وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا واما
على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل بان زانت الكواكب اياها واصله بزينة الكواكب
وعلى تقدير اضافتها الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها واصله بزينة الكواكب والمراد بالتزيين في
رأي العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كأنها جواهر متلألئة في سطح سماء الدنيا
بصور بديعة واشكال رائعة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر في الستة المتوسطة
ان ثبت ذلك وحفظا منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كأنه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا
من كل شيطان مارد اي خارج عن الطاعة برمي الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل مؤخر معلل به
كأنه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين وقوله تعالى لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء
عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في اثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان
ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذف
اللام كما حذفت من قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا ثم حذف ان واهدر عملها كما في قول من قال الا

ثم للزجر

إن هذا الزاجري أحصر الوسما لما أن كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده فأما اجتماعهما فمن أنكر المنكرات
التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن أمثالها وأصل يسمعون يتسمعون والملأ الأعلى الملائكة وعن ابن
عباس رضي الله عنهما الكتبة وعنه أشراف الملائكة عليهم السلام أي لا يتطلبون السماع ولا الإصغاء إليهم وقرئ لا يسمعون
بالتخفيف ويقذفون يرمون من كل جانب من جميع جوانب السماء إذا قصدوا الصعود إليها دحورا علة
للقذف أي للدحور وهو الطرد أو حال بمعنى مدحورين أو مفعول مطلق مؤكد له لأنهما من واد واحد وقرئ دحورا
بفتح الدال أي قذفا دحورا طاردا مبالغا في الطرد وقد جوز أن يكون مصدرا كالقبول والولوع ولهم عذاب
واصب أي ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى
وأعتدنا لهم عذاب السعير إلا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس اختلاس
كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء
وتشديدها وأصلهما اختطف فأتبعه شهاب أي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا
من السماء ثاقب مضيء في الغاية كأنه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين إذا صعدوا لاستراق السمع
فيقتلهم أو يحرقهم أو يخبلهم قالوا وإنما يعودون مع علمهم بأنه لا يسلم منهم أحد طمعا في السلامة ونيل المراد كراكب السفينة
فاستفتهم فاستخبر مشركي مكة أهم أشد خلقا أي أقوى خلقة وأمتن بنية أو أصعب خلقا وأشق إيجادا
أم من خلقنا من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب خبل الرجل عقلا إذا ذهب عقله
العقلاء على غيرهم ويدل عليه إطلاقه ومجيئه بعد ذلك الآيات وقراءة من قرأ أم من عددنا وقوله تعالى إنا خلقناهم
من طين لازب فإنه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الأمم كعاد وثمود ولأن المراد إثبات
المعاد ورد استحالتهم والأمر فيه بالإضافة إليهم وإلى من قبلهم سواء وقرئ لازم ولاتب بل عجبت أي من قدرة الله
تعالى على هذه الخلائق العظيمة وإنكارهم للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى أنه
بلغ كمال قدرتي وكثرة مخلوقاتي إلى حيث عجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن
هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والتعجب من الله تعالى إما على الفرض والتخييل أو على معنى الاستعظام اللازم له فإنه
روعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء وقيل إنه مقدر بالقول أي قل يا محمد بل عجبت وإذا ذكروا أي وديدنهم
المستمر أنهم إذا وعظوا بشيء لا يذكرون لا يتعظون أو إذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لغاية بلادتهم
وقصور فكرهم وإذا رأوا آية أي معجزة تدل على صدق القائل يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون إنه
سحر أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها وقالوا إن هذا أي ما يرونه من الآية الباهرة إلا سحر مبين ظاهر
سحريته أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أي كان بعض أجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لأنه منقلب
من الأجزاء البادية والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى أئنا لمبعوثون أي نبعث لا نفسه لأن
لأن دونه خطوبا لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الإنكار بالبعث بتوجيهه إلى الحالة المنافية
لغاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في أئنا للمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بإن واللام لتأكيد
الإنكار لا لإنكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فإن تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون
على رأي الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا إنكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الأولى وعن
بطرح الثانية فقط أوآباؤنا الأولون رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه أي وآباؤنا الأولون
أيضا مبعوثون وقيل عطف على محل إن واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الإنكار الجاري مجرى حرف
النفي في قوله تعالى ما أشركنا ولا آباؤنا أي أو آباؤنا كان مرادهم زيادة الاستبعاد بناء على أنهم أقدم فبعثهم أبعد
على زعمهم وقرئ أو آباؤنا قل تبكيتا لهم نعم والخطاب في قوله تعالى وأنتم داخرون لهم ولآبائهم بطريق التغليب و
الجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم أي كلكم مبعوثون والحال أنكم صاغرون أذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة فيه

فإنما هي زجرة واحدة هي إما ضمير مبهم يفسره خبره أو ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر أو تعليل لنهي مقدر
أي إذا كان كذلك فإنما هي إلخ أو لا تستصعبوه فإنما هي إلخ والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه إذا صاح عليها
وهي النفخة الثانية فإذا هم قائمون من مراقدهم أحياء ينظرون يبصرون كما كانوا أو ينتظرون ما يفعل بهم
وقالوا أي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر يا ويلنا أي يا هلاكنا احضر فهذا أوان
حضورك وقوله تعالى هذا يوم الدين تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف أي اليوم الذي نجازى فيه
بأعمالنا وإنما علموا ذلك لأنهم كانوا يسمعون في الدنيا أنهم يبعثون ويحاسبون ويجزون بأعمالهم فلما شاهدوا
البعث أيقنوا بما بعده أيضا وقوله تعالى هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون كلام الملائكة جوابا
لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو أيضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين فرق الهدى
والضلال وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا خطاب من الله عز وجل للملائكة أو من بعضهم لبعض بحشر الظلمة
من مقامهم إلى الموقف وقيل من الموقف إلى الجحيم وأزواجهم أي أشباههم ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته
وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم وما
كانوا يعبدون من دون الله من الأصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله تعالى إن الذين عن المشركين م
سبقت لهم منا الحسنى الآية الكريمة وأنت خبير بأن الموصول عبارة خاصة جيء بها لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم
ولا تخصيص فاهدوهم إلى صراط الجحيم أي عرفوهم طريقها ووجهوهم إليها وفيه تهكم بهم وقفوهم احبسوهم
في الموقف كأن الملائكة سارعوا إلى ما أمروا به من حشرهم إلى الجحيم فأمروا بذلك وعلل بقوله تعالى إنهم مسؤولون
إيذانا من أول الأمر بأن ذلك ليس لعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم
وأعمالهم كما قيل فإن ذلك قد وقع قبل الأمر بهم إلى الجحيم بل عما ينطق به قوله عز وجل ما لكم لا تناصرون بطريق
التوبيخ والتقريع والتهكم أي لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتأخير هذا السؤال إلى ذلك الوقت لأنه
وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة إلى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ أشد وقعا
وتأثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالإدغام بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعون لظهور
عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم وأسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وأقبل بعضهم على بعض
هم الأتباع والرؤساء أو الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة
والجدال قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كأنه قيل كيف يتساءلون فقيل قالوا
أي الأتباع للرؤساء أو الجن للقرناء إنكم كنتم تأتوننا في الدنيا عن اليمين عن أقوى الوجوه وأمتنها أو عن الدين أو عن
الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين الإنسان الذي هو أشرف الجانبين وأقواهما
وأنفعهما ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح أو عن القوة والقهر فتقسروننا على الغي وهو الأوفق للجواب أو عن الحلف
حيث كانوا يحلفون أنهم على الحق قالوا استئناف كما سبق أي قال الرؤساء أو القرناء بل لم تكونوا مؤمنين
أي لم نمنعكم من الإيمان بل لم تؤمنوا باختياركم وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه وما كان لنا عليكم
من سلطان من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين الطغيان مصرين عليه فحق
علينا أي لزمنا وثبت علينا قول ربنا وهو قوله تعالى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين إنا لذائقون
أي العذاب الذي ورد به الوعيد فأغويناكم دعوناكم إلى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم م
الغي على الرشد إنا كنا غاوين فلا عتب علينا في تعرضنا لإغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا أمثالنا
في الغواية فإنهم أي الأتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركين في الغواية
إنا كذلك أي مثل ذلك الفعل البديع الذي تقتضيه الحكمة التشريعية نفعل بالمجرمين المتناهين في الإجرام
وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى إنهم كانوا إذا قيل لهم بطريق الدعوة والتلقين لا إله إلا الله يستكبرون

عن القبول ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم
وتكذيب لهم ببيان أن ما جاء به من التوحيد هو الحق الذي قام به البرهان وأجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فأين
الشعر والجنون من ساحته الرفيع إنكم بما فعلتم من الإشراك وتكذيب الرسول عليه السلام والاستكبار لذائقوا العذاب
الأليم والالتفات لإظهار كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله إلا قليلا
وقرئ لذائقون العذاب على الأصل وما تجزون إلا ما كنتم تعملون أي إلا جزاء ما كنتم تعملون من السيئات
أو إلا بما كنتم تعملونه منها إلا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من ضمير ذائقوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة
إلى تحقيق الحق ببيان أن ذوقهم العذاب ليس إلا من جهتهم لا من جهة غيرهم أصلا وجعله استثناء من ضمير تجزون
على أن الكفرة لا يجزون إلا بقدر أعمالهم دون عباد الله المخلصين فإنهم يجزون أضعافا مضاعفة مما لا وجه
له أصلا لا سيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فإنه ليس في حيز الاحتمال فالمعنى
إنكم لذائقوا العذاب الأليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى أولئك إشارة إليهم
للإيذان بأنهم ممتازون بما اتصفوا به من الإخلاص في عبادته تعالى عن غيرهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه
في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم
في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم إما خبر له وقوله تعالى رزق مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار وإما مبتدأ
ولهم خبر مقدم والجملة خبر لأولئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما أفاده الاستثناء إجمالا بيانا تفصيليا وقيل
هي خبر الاستثناء المنقطع على أنه متأول بالمبتدأ وقوله تعالى معلوم أي معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة
الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
وقوله تعالى فواكه إما بدل من رزق أو خبر مبتدأ مضمر أي ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لأن أرزاق
أهل الجنة كلها فواكه أي ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة
من التحلل المحوج إلى البدل وقيل لأن الفواكه من أتباع سائر الأطعمة فذكرها مغن عن ذكرها وهم مكرمون
عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك أعظم المثوبات وأليقها بأولي الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل
إليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن أرزاق الدنيا وقرئ مكرمون بالتشديد في جنات النعيم أي في جنات
ليس فيها إلا النعيم وهو ظرف أو حال من المستكن في مكرمون أو خبر ثان لأولئك وقوله تعالى على سرر يحتمل
الحالية والخبرية وكذا قوله تعالى متقابلين حال من المستكن فيه أو في مكرمون وقوله تعالى يطاف عليهم إما استئناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية تكامل مجالس أنسهم أو حال من الضمير في متقابلين أو في أحد الجارين وقد
جوز كونه صفة لمكرمون بكأس بإناء فيه خمر أو بخمر فإن الكأس يطلق على نفس الخمر كما في قول من قال وكأس
شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها من معين متعلق بمضمر هو صفة لكأس أي كائنة من شراب معين أو
من نهر معين وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون أو الخارج من العيون من عان الماء إذا نبع وصف
به الخمر وهو للماء لأنها تجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال تعالى وأنهار من خمر بيضاء لذة للشاربين صفتان
أيضا لكأس ووصفها بلذة إما للمبالغة كأنها نفس اللذة أو لأنها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال
ولذ كطعم الصرخدي تركته بأرض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول أي غائلة كما في خمور
الدنيا من غاله إذا أفسده وأهلكه ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف
ومنزوف إذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات إذا خرج دمه كله أفرد هذا بالنفي مع اندراجه فيما قبله
من نفي الغول عنها لما أنه من معظم مفاسدها كأنه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من أنواع الفساد من مغص
أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم ولا هم يسكرون وقرئ ينزفون بكسر الزاي من أنزف الشارب إذا نفد
عقله أو شرابه وقرئ ينزفون بفتح الياء وضم الزاي من نزف ينزف بضم الزاي فيهما وعندهم قاصرات الطرف

قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا إلى غيرهم عين نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين
كأنهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة
فإن ذلك أحسن ألوان الأبدان فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف أي يشربون
فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام
فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة
الماضي للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل منهم في تضاعيف محاوراتهم إني كان لي في الدنيا
قرين مصاحب يقول لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الإيمان والتصديق بالبعث أإنك لمن المصدقين
أي بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق والأول هو الأوفق لقوله تعالى أإذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أإنا لمدينون أي لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء أو لمسوسون يقال دانه أي ساسه
ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل يتصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض إخوانه
فقال أين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى في الآخرة خيرا منه فقال أإنك لمن المصدقين بيوم الدين أو
من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئا فيكون الغرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينئذ
تأكيدا لإنكار الجزاء المبني على إنكار البعث قال أي ذلك القائل بعد ما حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا
هل أنتم مطلعون أي إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو الله
تعالى أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لأريكم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم
قيل إن في الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى أهل النار فاطلع أي عليهم فرآه أي قرينه في سواء الجحيم أي في وسطها وقرئ
فأطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فأطلع وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب
يقال طلع علينا فلان واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون إلى القرين فأطلع أنا أيضا أو عرض عليهم
الاطلاع فقبلوا ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وإن جعل الاطلاع متعديا فالمعنى أنه لما شرط في اطلاعهم كما هو
ديدن الجلساء فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون إياي
فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه أو شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي
قال أي القائل مخاطبا لقرينه تالله إن كدت لتردين أي لتهلكني بالإغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب
وإن هي المخففة من إن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام فارقة أي تالله إن الشأن كدت لتردين ولولا
نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين أي من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأضرابك وقوله تعالى
أفما نحن بميتين رجوع إلى محاورة جلسائه بعد إتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما أتاح الله عز وجل لهم
من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام أي نحن
مخلدون منعمون فما نحن بميتين أي بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين إلا موتتنا الأولى التي كانت في الدنيا وهي
متناولة لما في القبر بعد الإحياء للسؤال قاله تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى
وقيل إن أهل الجنة أول ما دخلوا الجنة لا يعلمون أنهم لا يموتون فإذا جيء بالموت على صورة كبش أملح فذبح
فنودي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى
واغتباطا بها وما نحن بمعذبين كالكفار فإن النجاة من العذاب أيضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها إن
هذا أي الأمر العظيم الذي نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له
وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون أي لنيل هذا المرام
الجليل يجب أن يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا أيضا يحتمل
أن يكون من كلام رب العزة أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم أصل النزل الفضل والريع فاستعير

تمامه
إذا أحسوا من حدثان الدهر مغطيا

الحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز اي اذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير نزلا ام شجرة
الزقوم التي حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية
والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة
صغيرة الورق ذفرة مرة كريهة الرائحة تكون في تهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين
محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف يكون ذلك والنار تحرق الشجر
ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وقرئ نابتة في اصل الجحيم طلعها
اي حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته له في الشكل او الطلوع من الشجر قالوا اول التمر طلع
ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كانه رؤس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه
الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين الحيات الهائلة القبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن
خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها اي من الشجرة او من طلعها والتانيث
مكتسب من المضاف اليه فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك
بابا من العذاب ثم ان لهم عليها اي على الشجرة التي ملأوا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال
استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز ان تكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا
من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم
اي مصيرهم وقرئ كذلك لالى الجحيم اي الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل
الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم و
منازلهم في الجحيم الى شجرة الزقوم فياكلون منها الى ان يتملأوا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ
ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء في الدين
من غير ان يكون لهم ولا لآبائهم شيء يتمسك به اصلا اي وجدوهم ضالين في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة
فضلا عن صلاحية الدليل فهم على آثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق او لا مع ظهور كونهم على
الباطل بادنى تامل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو
اسراع فيه شبه رعدة ولقد ضل قبلهم اي قبل قومك قريش اكثر الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف
وكذا قوله تعالى ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي انبياء اولي عدد كثير وذوي شان خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه
وانذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له راسا والخطاب اما للرسول
صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا
استثني منهم المخلصون بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين اي الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل
بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ولقد نادانا نوح نوع تفصيل
لما اجمل فيما قبل ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه
بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة
بعضهم الذين اخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما اشار اليه بالاستثناء كقوم يونس عليهم السلام ووجه
تقديم قصة نوح على سائر القصص غني عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما في قوله تعالى فلنعم
المجيبون اي وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم
دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة

ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغرق وقيل من اذية
قومه وجعلنا ذريته هم الباقين بحيث اهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا وقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير ابنائه وازواجهم او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم
القيمة قال قتادة رض الناس كلهم من ذرية نوح عم وكان له ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب
وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا
عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح اي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة
انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة قول مقدر اي قلنا وقيل
ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها
ابدا في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل به عم من التكرمة
السنية من اجابة دعائه احسن الاجابة وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه
من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات
السنية التي وقعت جزاء له عم وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل
والشرف والكاف متعلقة بما بعده اي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الاحسان لا جزاء ادنى منه وقوله
تعالى انه من عبادنا المؤمنين تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة
قدرهما ما لا يخفى ثم اغرقنا الآخرين اي المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين وان من شيعته
اي ممن شايعه في اصول الدين لابراهيم وان اختلفت فروع شرائعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق كلي او
اكثري وعن ابن عباس رض من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين
وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة
اذ جاء ربه منصوب باذكر او متعلق بما في الشيعة من معنى المتابعة بقلب سليم اي من آفات القلوب او من العلائق
الشاغلة عن التبتل الى الله عز وجل ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال
لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او لسليم اي اي شيء تعبدون أإفكا آلهة
دون الله تريدون اي اتريدون آلهة من دون الله افكا اي للافك قدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له
على المفعول به لان الاهم مكافحتهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى اتريدون
افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة على انها افك في نفسها للمبالغة او يراد بها عبادتها بحذف
المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين اي بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين
حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به اخس مخلوقاته فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا
او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الاشراك به فنظر نظرة في النجوم قيل كانت له عم
حمى لها نوبة معينة في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فاذا هي قد حضرت فقال اني سقيم وكان صادقا
في ذلك فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم وقيل اراد اني سقيم القلب لكفركم وقيل نظر في علمها او في كتبها او احكامها و
لا منع من ذلك حيث كان قصده عم ايهامهم حين ارادوا ان يخرجوا به عم الى معبدهم ليتركوه فان القوم كانوا
نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب
الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى معبدهم وتركوه في بيت الاصنام وذلك قوله تعالى
فتولوا عنه مدبرين اي هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم اي ذهب اليها في خفية واصله الميل بحيلة
فقال للاصنام استهزاء الا تاكلون اي من الطعام الذي كانوا يصنعونه عندها لتبرك عليه ما لكم لا تنطقون
اي بجوابي فراغ عليهم فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى ضربا باليمين مصدر مؤكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم او

لفعل مضمر هو حال من فاعله اي فراغ عليهم يضربهم ضربا وهو الحال او سنده على انه مصدر بمعنى الفاعل اي فراغ
عليهم ضاربا باليمين اي ضربا شديدا قويا وذلك لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تقتضي
قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما في قوله اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اي بالقوة
وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لانه يقوي الكلام ويؤكده وقيل بسبب الحلف وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم
فأقبلوا إليه اي المأمورون باحضاره عم بعد ما رجعوا من عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسألوا
عن الفاعل فظنوا انه عم فعله فقيل فأتوا به يزفون حال من واو اقبلوا اي يسرعون من زفيف النعام وقرئ يُزفون
من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اي حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول
اي يحملون على الزفيف ويزفون من زفاه يزفيه اذا اسرع ويزفون من وزف يزف اذا عدا كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم
اليه عم قال اي بعدما اتوا به عم وجرى بينه عم وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالى أأنت فعلت
هذا بآلهتنا يا ابراهيم الى قوله تعالى لقد علمت ما هؤلاء ينطقون أتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام
وقوله تع والله خلقكم وما تعملون حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ اي والحال انه تع خلقكم
وخلق ما تعملونه فان جوهر اصنامهم ومادتها بخلقه تع وشكلها وان كان بفعلهم لكنه باقداره تع اياهم عليه
وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد والاسباب وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه
موضع ضمير ما تنحتون للايذان بان مخلوقيتها لله عز وجل ليس من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر اعمالهم
ايضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما على عمومه فينتظم الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه من تحقيق
الحق ببيان ان جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية اي عملكم على انه بمعنى المفعول
وقيل بمعنى فعلكم اذا كان مخلوقا لله تع كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك قالوا ابنوا له بنيانا
فألقوه في الجحيم اي في النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهي شدة التأجج واللام عوض من المضاف اليه اي جحيم ذلك
البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له في سورة الانبياء فأرادوا به كيدا فانه عم لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا
ما قصدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو
شأنه عم بجعل النار عليه بردا وسلاما وقال إني ذاهب إلى ربي اي مهاجر الى حيث امرني ربي كما قال اني مهاجر
الى ربي وهو الشام او الى حيث اتجرد فيه لعبادته تع سيهدين اي الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت القول
بذلك لسبق الوعد او لفرط توكله او للبناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عم حيث قال عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل ولذلك اتى بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين اي بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة
ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخوة في قوله
تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ولقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فانه صريح في ان المبشر
عين ما استوهبه عم ولقد جمع فيه بشارات ثلث بشارة انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما
واي حلم يعادل حلمه عم حين عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين
وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه نعتهما به وحالهما
المحكية بعد اعدل بينة بذلك والفاء في قوله تعالى فلما بلغ معه السعي فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا
على شهادة الحال وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة التخلف والتأخر بعد البشارة كما مر في قوله تع
فلما رأينه اكبرنه ونحو قوله تع فلما رآه مستقرا عنده اي فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبة ان يسعى معه
في اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعي لا بنفسه لان صلة المصدر لا يتقدمه ولا ببلغ لان بلوغهما
لم يكن معا كأنه لما ذكر السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه
قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة قال اي ابراهيم يا بني اني ارى في المنام اني

أذبحك اي ارى هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتأويله وقيل انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول
له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روّى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم ام من الشيطان
فمن ثمه سمي يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فمن ثمه سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة
الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال اذن فهو ذبيح الله فلما ولد
وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك والاظهر الاشهر ان المخاطب اسمعيل عم اذ هو الذي وهب اثر المهاجرة
ولان البشارة باسحق بعده معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين
فاحدهما جده اسمعيل عم والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله تعالى له حفر
بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة
ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في ايام الزبير ولم يكن اسحق ثمه ولان بشارة
اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روي انه صلى الله عليه وسلم
سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله
فالصحيح انه عم قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد من الراوي وما روي من ان يعقوب
كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ اني بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من الرأي وانما شاوره فيه وهو امر
محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون
ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا تُري بضم التاء وكسر الراء وبفتحها مبنيا للمفعول قال يا ابت
افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار اولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا
بايصاله الى الفعل او حذفا دفعة او فعل امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به امرا وقرئ ما تؤمر
وصيغة المضارع للدلالة على ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به ستجدني ان شاء الله من
الصابرين على الذبح او على قضاء الله تعالى فلما اسلما اي استسلما لامر الله تع وانقادا وخضعا له يقال سلم
لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه
من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له انه اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك
معنى استسلم استخلص نفسه لله تعالى وعن قتادة اسلم ابراهيم ابنه واسمعيل نفسه وتله للجبين
صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى منه ما يورث
رقة تحول بينه وبين امر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة بمنى وقيل في الموضع المشرف
على مسجد منى وقيل في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم على الاتيان
بالمأمور به وترتيب مقدماته وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع ثم وضع السكين على قفاه
فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء وجواب لما محذوف ايذانا بانه كان ما كان
مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم به عليهما من دفع البلاء والتوفيق
لما لم يوفق احد لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي
المحسنين تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المأمور به فانه عم
كان مأمورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل إن هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص
عن غيره او المحنة البينة الصعوبة اذ لا شيء اصعب منه وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم
سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة
انه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل عم وقيل
وروي انه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي

حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبرئيل عليه السلام الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله
والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة والفادي في الحقيقة هو ابراهيم واسمعيل وفديناه لانه تعالى
هو المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء او الاسناد وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم قد سلف
بيانه في خاتمة قصة نوح كذلك نجزي المحسنين ذلك اشارة الى ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما اشير اليه فيما
سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر آنفا انه من عبادنا المؤمنين الراسخين في الايمان على وجه
الايقان والاطمينان وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين اي مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا
الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال ليس بشرط وانما الشرط
مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق
اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين
خلودهم وقت الدخول واسحق عم لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل
المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء الى انه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال
والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني
اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهم السلام او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما
محسن في عمله او لنفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب
لا تاثير له في الهداية والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ولقد مننا على موسى وهرون
اي انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم بنو اسرائيل من الكرب العظيم
هو ملكة آل فرعون وتسلطهم عليهم بانواع الظلم والعذاب كما في قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون وقيل هو
الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة ونصرناهم اي اياهما وقومهما على عدوهم فكانوا بسبب ذلك
هم الغالبين عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد ان كان قومهما في اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية
يسومونهم سوء العذاب وهذه التنجية وان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها
لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذي يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنصور
من عدوه من غير تغليبه عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه باظهار ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث
نعمة جليلة على حيالها وآتيناهما بعد ذلك الكتاب المستبين اي البليغ في البيان والتفصيل وهو التوراة
وهديناهما بذلك الصراط المستقيم الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرايع وتفاريع الاحكام
وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون اي ابقينا فيما بين الامم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء
الجزيل انا كذلك الجزاء الكامل نجزي المحسنين الذين هما من جملتهم لا جزاء قاصرا عنه انهما من عبادنا
المؤمنين سبق بيانه وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخي موسى عم بعث
بعده وقيل ادريس لانه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ ابليس وقرئ الياس بحذف الهمزة اذ قال لقومه
الا تتقون اي عذاب الله تعالى اتدعون بعلا اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من
الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه
حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة
يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اي اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين
اي وتتركون عبادته وقد اشير الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى الله ربكم ورب آبائكم الاولين
بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لآبائهم لتاكيد
انكار تركهم عبادته تعالى وللاشعار ببطلان آراء آبائهم ايضا فكذبوه فانهم بسبب تكذيبهم ذلك لمحضرون

اي العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على ان الاحضار المطلق مخصوص بالشر الا عباد الله المخلصين
استثناء من ضمير محضرون وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين هو لغة في الياس كسيناء في سينين وقيل
هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه كالمثالين وقرئ بالاضافة
آل ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين
مر تفسيره وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه اي اذكر وقت تنجيتنا اياه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين
اي الباقين في العذاب او الماضين الهالكين ثم دمرنا الآخرين فان في ذلك شواهد على جلية امره وكونه من جملة المرسلين
وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فان سدوم في طريق الشام
مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل
عنه صباحا والقاصد له مساء افلا تعقلون اتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم
مثل ما اصابهم وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق اي هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان
هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون اي المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين
فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه عم لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان
يامره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق
ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم
نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح
مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عم كان
كثير الصلوة في الرخاء للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه
ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء بان حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما
يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح
ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل
واختلف في مدة لبثه فقيل اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم
اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي انه ابتلعه ضحى ولفظه عشية
وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة
عليه شجرة من يقطين وهو كل ما ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل
من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو الدباء وفائدته ان الذباب لا يقع عليه
وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل
الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه
فيشرب من لبنها وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ارساله السابق
اخبر اولا بانه من المرسلين على الاطلاق ثم اخبر بانه قد ارسل الى امة جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه الى
الفلك وما بعده بينهما لتذكير سببه وهو ما جرى بينه وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تعالى وتعيين
لوقت حلوله وتعليقهم لايمانهم بظهور اماراته كما فصل في سورة يونس ليعلم ان ايمانهم الذي
لم يكن عقيب الارسال كما هو المعتاد بل بعد ما شاهدوا امارات العذاب وقيل هو ارسال آخر اليهم
او الى غيرهم او يزيدون اي في مرأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة الف او يزيدون والمراد
هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا اي بعد ما شاهدوا علائم حلول العذاب ايمانا خالصا فمتعناهم
الى حين قدره الله سبحانه لهم وقيل لعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة

بينهما وبين ارباب الشرائع واولي العزم من الرسل واكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم
امر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه وسلم بتبكيت قريش وابطال مذهبهم في انكار البعث
بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما يلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى
منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل من قبلهم اكثر الاولين وانه تعالى ارسل اليهم منذرين
على وجه الاجمال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها انهم من عباده تع واصفا لهم تارة بالاحسان
واخرى بالايمان ثم امره صلى الله عليه وسلم ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه امر منكر خارج عن العقول بالكلية
وهي القسمة الاولى زعمها كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة
وخزاعة وبني مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون اولئك الرسل الذين هم اعلام الخلق عم
عباده تع فان ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة
بالملائكة بجعلهم اناثا ثم ابطل اصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك
علوا كبيرا ولم ينظمه في سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك اي فاستخبرهم ألربك البنات اللاتي هن اوضع الجنسين
ولهم البنون الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له ادنى شيء من العقل وقوله تعالى أم خلقنا الملائكة اناثا
اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا كما اشير اليه اي بل اخلقنا الملائكة الذين هم من اشرف
الخلائق وابعدهم من صفات الاجسام ورذائل الطبائع اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان وقوله تع وهم شاهدون
استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تع أشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فان امثال هذه
الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل بانوثتهم
شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا اي بل اخلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون ح او عطف على خلقنا اي بل
أهم شاهدون وقوله تع ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله استيناف من جهته تعالى غير داخل تحت الامر بالاستفتاء
مسوق لابطال اصل مذهبهم الفاسد ببيان ان مبناه ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح من غير ان يكون لهم دليل
او شبهة قطعا وانهم لكاذبون في قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على انه خبر مبتدأ محذوف اي
الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان الولد فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والذكر والمؤنث
اصطفى البنات على البنين اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة هو اصطفاؤه
تعالى البنات على البنين والاصطفاء اخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام
ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى
تعسف بعيد ما لكم كيف تحكمون بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقول أفلا تذكرون بحذف احدى
التاءين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اي لا تلاحظون ذلك فلا تذكرون
بطلانه فانه مركوز في عقل كل ذكي وغبي أم لكم سلطان مبين اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر
الى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود اصلا اي بل الكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة
بناته تعالى ضرورة ان الحكم بذلك لا بد له من سند حسي او عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند
نقلي فأتوا بكتابكم الناطق بصحة دعواكم ان كنتم صادقين فيها وفي هذه الآيات من الانباء على السخط العظيم
والانكار الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد الشديد لاباطيلهم وتسفيه احلامهم وتركيك عقولهم وافهامهم مع
استهزائهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم
ويحكى جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان
شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم

وتقصيرا بهم مع عظم شأنهم فيما بين الخلق ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن
قولهم الملائكة بنات الله وانما اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
اي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بان جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة ان الكفرة لمحضرون
النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان الذين يدعي
هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله
حكما مؤكدا وقيل ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم
وهو المراد بقوله تع وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازي وهو القول عندي اقرب الاقاويل وهو
مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله فقال ابو بكر الصديق
رض فمن امهاتهم تبكيتا لهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة
حيث اشركوا به تع الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل يجوز ان يكون الضمير في انهم لمحضرون للجنة
فالمعنى لقد علمت الشياطين ان الله يحضرهم النار ولو كانوا مناسبين له تع او شركاء في استحقاق العبادة
لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله سبحان الله عما يصفون حكاية لتنزيه الملائكة اياه تع عما وصفه
المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى الا عباد الله المخلصين
شهادة منهم ببراءة المخلصين من ان يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين
على ابلغ وجه وآكده على انه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد علمت الملائكة ان المشركين
لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفون به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك
الوصف وقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين
عما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام
وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وفيه ايذان بتبرئهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا
يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان على فلان
امرأته اي افسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى باضلال عباده
واضلالهم الا من هو صال الجحيم منهم اي داخلها لعلمه تعالى بانه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من اهل
النار لا محالة واما المخلصون منهم فانهم بمعزل من افسادكم واضلالكم فهم برآء من ان تفتنوهم ويسلكوا
مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه
لالتقاء الساكنين وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم تبيين لجلية امرهم وتعيين لحيزهم في موقف
العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه واظهار لقصور
شأنهم وقماءتهم اي وما منا احد الا له مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله عز وجل مقصور عليه
لا يتجاوزه ولا يستطيع ان يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روي فمنهم
راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه وقال ابن عباس رض ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك
يصلي او يسبح وروى انه قال عليه السلام اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع
اربع اصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وقال السدي الا له مقام في القربة والمشاهدة
وانا لنحن الصافون في مواقف الطاعة ومواطن الخدمة وانا لنحن المسبحون المقدسون الله سبحانه
عن كل ما لا يليق بجنابه بتكرير ذلك وتحلية كلامهم بفنون التاكيد لابراز ان صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط
هذا هو الذي تقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر في تفسير الآيات الكريمة وجوه اخر فتامل وبالله التوفيق
وان كانوا ليقولون ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة اي ان الشأن

كانت قريش تقول لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين من التورية والانجيل لكنا عباد
الله المخلصين اي لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم والفاء في قوله تع فكفروا به فصيحة كما في قوله تع فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق اي فجاءهم ذكر
واي ذكر سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا به فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وغائلته
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين استيناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه
اي وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا وهم اتباع
المرسلين لهم الغالبون على اعدائهم في الدنيا والاخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم
واساسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رض
ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الاخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات لانتظامها
في معنى واحد وقرئ كلماتنا فتول عنهم فاعرض عنهم واصبر حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر
وقيل يوم الفتح وابصرهم على سوء حال وافظع نكال حل بهم من القتل والاسر والمراد بالامر بابصارهم الايذان
بغاية قربه كانه بين يديه فسوف يبصرون ما يقع حينئذ من الامور وسوف للوعيد دون التبعيد افبعذابنا
يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم اي فاذا نزل العذاب
الموعود بفنائهم كانه جيش قد هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقيل المراد
نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ نزل مبنيا
للمفعول من التنزيل اي نزل العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس
والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة في الصباح سموها صباحا
وان وقعت ليلا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي
قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم
فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اثر تسلية وتاكيد لوقوع الميعاد غب تاكيد مع ما في اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان بان ما يبصره
عليه السلام حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من الوان المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد بالاول
عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه
المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر من الامور التي من جملتها
ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة لا سيما في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض
لعنوان الربوبية المعربة عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره عم اولا والى العزة
ثانيا كانه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به
من الاشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تع وسلام على المرسلين
تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تع عما ذكر وتنويه بشانهم وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع
المارب وقوله تعالى والحمد لله رب العالمين اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه
على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وايذان باستتباعها للافعال الجميلة التي من جملتها افاضته عليهم من فنون
الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة
والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بان ما وعدهم من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين
على كيفية تسبيحه تع وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وعلا في فيضان الكمالات
الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تع وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تع مع ما فيه

من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد عن علي رضي الله تع عنه من احب ان يكتال
بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والصافات اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية خمس وثمانون آيات

ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف
القسم في موقع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر او اقرا لا فتحا كما مر في يا لحم
سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها علم للسورة وقد صرفها من قراها صاد بالتنوين على
انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر امر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى
الذي ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن
نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان جعل اسما للحروف مسرودا على منهاج التحدي او الرمز الى كلام مثل صدق الله
او صدق محمد كما نقل عن اكابر السلف او اسما للسورة خبرا لمبتدأ محذوف او نصبا على اضمار اذكر او اقرا
او امرا من المصاداة فالواو في قوله تع والقرآن ذي الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه
فان اريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان اريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل
الكريم وبالنسمة المباركة واياما كان ففي التكرير مزيد تاكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف
والناموس كما في قوله تع وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين
من الشرائع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد
وجواب القسم على الوجه الاول والرابع محذوف هو ما ينبئ عنه التحدي والامر فان كلا منهما ينبئ عن
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] بل الذين كفروا في عزة وشقاق [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين
[illegible] فنادوا [illegible]
وحلول نقمة [illegible] فنادوا ولات حين مناص [illegible]
واستغاثوا لطلب النجاة ولات ليس الحين حين مناص اي فوت ونجاة من ناصه اي فاته لا من ناص
بمعنى تاخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الاحيان
ولم يبرز الا احد معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هي النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان
وحين مناص منصوب على انه اسمها اي ولا حين مناص لهم او بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع

فهو على الاول اسمها والخبر محذوف اي ليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر اي ولا حين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ في قوله نهيتك عن طلابك ام عمرو بعافية وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان اصله اوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع المضاف اليه من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجير وتقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وما قيل من ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام مما لا وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس وعجبوا ان جاءهم منذر منهم حكاية لاباطيلهم المتفرعة على ما حكي من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا من ان جاءهم رسول من جنسهم بل ادون منهم في الرياسة الدنيوية والمال على معنى انهم عدوا ذلك امرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشد الانكار لا انهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق هذا ساحر فيما يظهره من الخوارق كذاب فيما يسنده الى الله تع من الارسال والانزال اجعل الآلهة الها واحدا بان نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب وذلك لانه خلاف ما الفوا عليه آباءهم الذين اجمعوا على الوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما يأتون وما يذرون من امور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا واما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه له لما انهم لا يدعون ان لآلهتهم علما وقدرة ومدخلا في حدوث شيء من الاشياء حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرئ عجاب بالتشديد وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم اي وانطلق الاشراف من قريش من مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عم في الدين وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة على الوجه المذكور ان امشوا اي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا واصبروا على آلهتكم اي واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل اي اجتمعوا واكثروا وقرئ امشوا بغير ان على اضمار القول وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به اي هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ونفي آلهتنا وابطال امرها لشيء يراد اي من جهته عم امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله من رأيه بوساطة ابي طالب وشفاعته وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل ان هذا الامر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك

لنا منه وقيل ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريده كل احد ثنا من في هذه الاقاويل ولعتر منها ما يساعده النظم الجليل ما سمعنا بهذا الذي يقوله في الملة الآخرة اي الملة النصرانية التي هي آخر الملل فانهم مثلثة او في الملة التي ادركنا عليها آباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا اي ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان كائنا في الملة المترقبة ولقد كذبوا في ذلك افحش كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور ان هذا اي ما هذا الا اختلاق اي كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر اي القرآن من بيننا ونحن رؤساء الناس واشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات الباطلة دليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك من ذكري اي من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤدية الى العلم بحقيته وليس في عقيدتهم ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق بل لما يذوقوا عذاب اي بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عم من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله تع ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما ترشيح لما سبق اي بل الهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الامور الربانية ويتحكموا في التدابير الالهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية وقيل ابوابها جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تع كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد الى آخره استيناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الاوتاد معناه ذو الملك الثابت اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الامر قال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اصحاب الغيضة من قوم شعيب ع م وقوله تع اولئك الاحزاب اما بدل من الطوائف المذكورة كما ان ذلك الكتاب بدل من الم على احد الوجوه فيه فصل تأكيد وتنبيه على انهم

ضمير فيها راجع الى المنازل فيما قبله من قوله
ماذا اؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم
وبعد اياد

الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى إن كل إلا كذب الرسل استئناف جيء به تقريراً لتكذيبهم وبياناً
لكيفيته وتمهيداً لما يعقبه أي ما كل أحد من آحاد أولئك الأحزاب أو ما كل حزب منهم إلا كذب الرسل لأن
تكذيب الواحد منهم تكذيب لهم جميعاً لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب إلا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع
فالاستثناء مفرغ من أعم العام في خبر المبتدأ أي ما كل أحد منهم محكوماً عليه بحكم إلا محكوماً عليه بأنه كذب الرسل
وقيل ما كل واحد منهم مخبراً عنه بخبر إلا مخبراً عنه بأنه كذب الرسل وفي إسناد التكذيب إلى كل الطوائف المذكورة
على وجه الإبهام أولاً والإيذان بأن كلاً منهم حزب على حياله تحزب على رسوله ثانياً وتبيين كيفية
تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثاً فنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأفظعه ولذلك
رتب عليه قوله تعالى فحق عقاب أي ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي كانت توجبه جناياتهم من أصناف
العقوبات المفصلة في مواقعها وأما مبتدأ وقوله تعالى إن كل إلا كذب الرسل خبره بحذف العائد أي إن
كل منهم الخ والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على أنهم
الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ وخبره والمعنى أن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم
هم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر وأما ما قيل من أنه خبر والمبتدأ قوله تعالى وعاد الخ أو قوله قوم
لوط الخ فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله وما ينظر هؤلاء شروع في بيان عقاب كفار مكة إثر
بيان عقاب أضرابهم من الأحزاب الذين أخبر فيما سبق بأنهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فإن ذلك مما يوجب
انتظار السامع وترقبه إلى بيانه قطعاً وفي الإشارة إليهم بهؤلاء تحقير لشأنهم وتهوين لأمرهم وأما جعله
إشارة إلى الأحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر وحضورهم في علم الله عز وجل فليس في حيز الاحتمال
أصلاً كيف لا وأن الانتظار سواء كان حقيقة أو استهزاء إنما يتصور في حق من لم يترتب على أعماله نتائجها
بعد وبعد ما بين عقاب الأحزاب واستئصالهم بالمرة لم يبق مما ذكر بيانه من عقوباتهم أمر منتظر وأما الذي
في صدد الانتظار فكفار مكة حيث ارتكبوا من عظائم الجرائم الموجبة لأشد العقوبات مثل ما ارتكب الأحزاب
أو أشد منه ولما يلاقوا بعد شيئاً من غوائلها أي وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم أمثال أولئك الطوائف
المهلكة في الكفر والتكذيب إلا صيحة واحدة هي النفخة الثانية لا بمعنى أن عقابهم نفسها بما فيها من الشدة
والهول فإنها داهية يعم هولها جميع الأمم برها وفاجرها بل بمعنى أنه ليس بينهم وبين حلول ما أعد لهم من العقاب
الفظيع إلا هي حيث أخرت عقوبتهم إلى الآخرة لما أن تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي صلى الله
عليه وسلم بين أظهرهم خارج عن السنة الإلهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تع وما كان الله ليعذبهم
وأنت فيهم وأما ما قيل من أنها النفخة الأولى فمما لا وجه له أصلاً لما أنه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها إلا من
كان حياً عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعاً عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخراً إليها بل يحل بهم من حين
موتهم ما لها من فواق أي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تع
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة أي قالوا
بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدؤه
الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من
القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين
الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للإمعان في الاستهزاء كأنهم
يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال اصبر على ما يقولون من أمثال هذه المقالات الباطلة واذكر لهم عبدنا
داود أي قصته تهويلاً لأمر المعصية في أعينهم وتنبيهاً لهم على كمال قبح ما اجترؤوا عليه من المعاصي فإنه عم
مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما ألم بصغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة

بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائب وغمه الواصب
ونده الدائم فما ظنك بهؤلاء الكفرة الأذلين من كل ذليل المرتكبين لأكبر الكبائر المصرين على أعظم المعاصي
أو تذكر قصته عم وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة
ذا الأيد أي ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد بمعنى وأياد كل شيء ما يتقوى به إنه أواب رجاع
إلى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الأيد ودليل على أن المراد به القوة في الدين فإنه عم كان يصوم
يوماً ويفطر يوماً ويقوم نصف الليل إنا سخرنا الجبال معه استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين وأوابيته
إلى مرضاته تع ومع متعلقة بالتسخير وإيثارها على اللام لما أشير إليه في سورة الأنبياء من أن تسخير الجبال له
عم لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها إليه عم كتسخير الريح وغيرها لسليمان عم بل بطريق التبعية له عم
والاقتداء به في عبادة الله تع وقيل متعلقة بما بعدها وهو أقرب بالنسبة إليها في سورة الأنبياء يسبحن أي
يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له أو يخلق الله تع فيها الكلام أو بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو
حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالاً بعد حال أو استئناف مبين لكيفية التسخير
بالعشي والإشراق أي وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت
الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ رض أنه عم صلى صلاة الضحى وقال هذه
صلاة الإشراق وعن ابن عباس رض ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية والطير عطف على الجبال محشورة
حال من الطير والعامل سخرنا أي وسخرنا الطير حال كونها محشورة وعن ابن عباس رض كان إذا سبح جاوبته الجبال
بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية كل له
أواب استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه إجمالاً من تسبيح الطير أي كل واحد من الجبال والطير لأجل
تسبيحه رجاع إلى التسبيح ووضع الأواب موضع المسبح إما لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لأنه يرجع إلى
فعله رجوعاً بعد رجوع وإما لأن الأواب هو التواب الكثير الرجوع إلى الله تعالى ومن دأبه إكثار الذكر وإدامة التسبيح
والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل أي كل من داود والجبال والطير لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا
ملكه قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف
مستلئم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحي إليه في المنام أن اقتل المدعى عليه فتأخر
فأعيد الوحي في اليقظة فأعلمه الرجل فقال إن الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت أباً هذا غيلة
فقتله فقال الناس إن أذنب أحد ذنباً أظهره الله تع عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته في القلوب وآتيناه الحكمة
النبوة وكمال العلم وإتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب
أي فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد
روعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والإضمار والإظهار والحذف والتكرار ونحوها وإنما سمي به
أما بعد لأنه يفصل المقصود عما سيق تمهيداً له كالحمد والصلاة وقيل هو الخطاب الفصل الذي ليس فيه إيجاز مخل
ولا إطناب ممل كما جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر وهل أتاك نبأ الخصم استفهام معناه
التعجيب والتشويق إلى استماع ما في حيزه للإيذان بأنه من الأنباء البديعة التي حقها أن تشيع فيما بين كل حاضر وباد
والخصم في الأصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد وما فوقه كالضيف ومعنى خصمان فريقان إذ تسوروا المحراب
أي تصعدوا سوره ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه إذا علا سنامه وتذرأه إذا علا ذروته وإذ
متعلقة بمحذوف أي نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا أو بالنبأ على أن المراد به الواقع في عهد داود عم وإسناد الإتيان
إليه على حذف مضاف أي قصة نبأ الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا بأتى لأن إتيانه الرسول صلى الله
عليه وسلم لم يكن حينئذ وقوله تع إذ دخلوا على داود بدل مما قبله أو ظرف لتسوروا ففزع منهم لما أنهم نزلوا

بعث الله اليه ملكين في صورة انسانين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم
عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم
لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله وفي غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رض ان داود
جزّأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ و
التذكير قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعهم كانه قيل فماذا قالت الملائكة عند
مشاهدتهم لفزعه فقيل قالوا ازالة لفزعه لا تخف خصمان اي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب
الخصم خصما بغى بعضنا على بعض هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط
اي لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط
وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق واهدنا الى سواء الصراط الى وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق
الجور وارشاده الى منهاج العدل ان هذا اخي استيناف لبيان ما فيه الخصومة اي اخي في الدين او في الصحبة والتعرض
لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن
وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ
ولي نعجة بسكون الياء فقال اكفلنيها اي ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي
اي نصيبي وعزني في الخطاب اي غلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته اياي
في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ
وعازني اي غالبني وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست قال
لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به عم المبالغة في انكار فعل صاحبه وتهجين
طمعه في نعجة من ليس له غيرها مع ان له قطيعا منها ولعله عم قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناء
على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم وان كثيرا
من الخلطاء اي الشركاء الذين خلطوا اموالهم ليبغي ليتعدي وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة
وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض غير مراع لحق الصحبة والشركة الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات منهم فانهم يتحامون عن البغي والعدوان وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام
والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض وظن داود انما فتناه الظن مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من
المشابهة الظاهرة اي علم بما جرى في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا
الى السماء حيال وجهه فعلم عم انه تع ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه السلام دون غيره بتوجيه القصر
المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر
الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في مثل قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تاديبا
بل على تخصيص حاله عم بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار
النفي والاثبات معا في خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار
الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو
مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك
الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار
النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة اوريا
وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ في التوبيخ فان التامل فيه
اذا اداه الى الشعور بما هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تاثيرا في قلبه وادعى الى التنبه للخطأ مع ما فيه

من مراعاة حرمته عم بترك المجاهرة والاشعار بانهم استحيوا من التصريح به وتصوير لصورة التحاكم
لالجائه عم الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيههم عم على ان اوريا بصدد الخصام فاستغفر ربه
اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب وخر راكعا اي ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبداؤه او خر للسجود
راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب اي رجع الى الله تع بالتوبة واصل القصة ان
داود عم رأى امرأة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها
وهي ام سليمان عليهما السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروءة حيث كان
يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون
المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه عم لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شانه نبه بالتمثيل على انه لم يكن
ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة
نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا تزوجها بل كان
خطبها داود عم اصلها فكان ذنبه عم ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه السلام دخل
ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة
من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة
جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو
صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله تعالى
على يده او يستشهد ففتح الله تع على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل فاتاه خبر قتله فلم يحزن
كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الاسماع
وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال علي رض من حدث بحديث
داود عم على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء صلوات الله تعالى عليهم
هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجد عنده اقواما فتصنعوا
بهذا التحاكم فعلم غرضهم فهمّ بان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء له من الله تعالى فاستغفر ربه مما همّ به واناب
فغفرنا له ذلك اي ما استغفر منه وروي انه عم بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه الا لصلاة مكتوبة
او لما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت منه العشب الى راسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا
الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه
فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وان له عندنا لزلفى لقربة وكرامة بعد المغفرة
وحسن مآب حسن مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اما حكاية لما خوطب به مبينة
لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله اي وقلنا له او قائلين له
يا داود انا استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين
بالحق وفيه دليل بين على ان حاله عم بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله
تعالى فان الخلافة مقتضية له حتما ولا تتبع الهوى اي هوى النفس في الحكومة وغيرها من امور
الدين والدنيا فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي
مفتوح لالتقاء الساكنين اي فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق
تكوينا وتشريعا وقوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله
في موضع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه لهم عذاب شديد جملة من خبر ومبتدأ
وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية لاستقراره عليه بما نسوا اي بسبب نسيانهم

وقوله تعالى **يوم الحساب** اما مفعول لنسوا فيكون تعليله صريحا لثبوت العذاب الشديد بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعلية ما يستتبعه ويستلزمه اعني الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هو فرد من افراده او ظرف لقوله تعالى لهم اي لهم عذاب شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السري قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر **وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا** كلام مستأنف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظم البديع الذي يحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات العلمية والعملية في استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل آفاقية وانفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل وازحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالها **ذلك** اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا **ظن الذين كفروا** اي مظنونهم فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا **فويل للذين كفروا** مبتدأ وخبر والفاء لافادة ترتيب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تعالى **من النار** تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي اليها من ظنهم وكفرهم اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم **ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض** ام منقطعة وما فيها من بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه وآكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في اقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحيوة الدنيا بل الكفرة اوفر حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين ورد الآخرين الى اسفل سافلين وقوله تعالى **ام نجعل المتقين كالفجار** اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما ادخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت **كتاب** خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن او السورة وقوله تعالى **انزلناه اليك** صفته وقوله تعالى **مبارك** خبر ثان للمبتدأ او صفة لكتاب عند من يجوز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله **ليدبروا آياته** متعلق بانزلناه اي انزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن اسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفائقة والتأويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب اي انت وعلماء امتك بحذف احدى التائين **وليتذكر اولوا الالباب** اي وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف

الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد** وقرئ نعم العبد اي سليمان كما ينبئ عنه تأخيره عن داود مع كونه مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله **انه اواب** اي رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى التسبيح مرجع له تعليل للمدح وهو من حاله ان الضمير المجرور في قوله تعالى **اذ عرض عليه** راجع اليه قطعا واذ منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه **بالعشي** هو من الظهر الى آخر النهار **الصافنات** فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتأخير الصافنات عن الظرفين لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يتحقق الا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع بين يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم **الجياد** جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل هو جمع جيد روي انه عم غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى وبقي ما لم يعرض عليه فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله عز وجل خيرا منها وهو الريح تجري بامره **فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي** قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلوة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر واصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وحب الخير مفعوله كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي او وضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عم ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عم الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيمة وقرئ اني **حتى توارت بالحجاب** متعلق بقوله تعالى احببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض اي انبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى توارت اي غربت الشمس تشبيها لغروبها في مغربها بتواري المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل اي بظلامه **ردوها علي** من تمام مقالة سليمان عم ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كان سائلا قال فماذا قال سليمان فقيل قال ردوها فتأمل والفاء في قوله تعالى **فطفق مسحا** فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اي فردوها عليه فاخذ يمسح السيف مسحا **بالسوق والاعناق** اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اي ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده سوقها واعناقها حبا لها واعجابا بها وليس بذاك وقرئ بالسؤوق على همز الواو لضمها كما في ادؤر وقرئ بالسؤق تنزيلا لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس **ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب** اظهر ما قيل في فتنته عليه السلام ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وجل وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى جرادة من احسن الناس فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها

فامر الشيطان ان تتلو لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبر آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تع باكيا متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عم عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا حينئذ وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره قال بدل من اناب وتفسير له رب اغفر لي اي ما صدر عني من الزلة وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فانه عم لما نشأ في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله تع وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم السلام والصالحين وكون ذلك ادخل في الاجابة وقرئ بفتح الياء انك انت الوهاب تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط فان المغفرة ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا فسخرنا له الريح اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد امره عم الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح تجري بامره بيان لتسخيرها له رخاء اي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد حيث اصاب اي حيث قصد وارادة حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل من الشياطين وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كانه عم فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها وتقدر على الاعمال الصعبة ونحوها وان يكون الاقران في الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه على عكس وعده واوعده هذا اي قوله تع هذا الى آخره اما حكاية لما خوطب به سليمان عم مبينة لعظم شان ما اوتي من الملك وانه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول لقول مقدر هو معطوف على سخرنا او حال من فاعله كما مر في خاتمة قصة داود عم اي وقلنا له او قائلين له هذا الذي اعطيناك من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك عطاؤنا الخاص بك فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق او من العطاء اي هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة قيل فتن سليمان عم بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري

في تاريخه ان سليمان عم ورث ملك ابيه في عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عم الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه عم مع صاحبتها ما ذكره الله وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرها والله تعالى اعلم واذكر عبدنا ايوب عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان عم بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وايوب عم هو ابن عيص بن اسحق اذ نادى ربه بدل اشتمال من عبدنا وايوب عطف بيان له اني باني مسني الشيطان بفتح الياء مسني وقرئ باسكانها واسقاطها بنصب اي تعب وقرئ بفتح النون وبفتحتين وبضمتين للتثقيل وعذاب اي الم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر في قوله اني مسني الضر وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارته والا لقيل انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لانه تع مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لامتحان صبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تع في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عم بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفى ههنا عن ذكره بما في سورة الانبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تع اركض برجلك الخ اما حكاية لما قيل له او مقول لقول مقدر معطوف على نادى اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذا قوله تع هذا مغتسل بارد وشراب فانه ايضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء او مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب والظاهر انظا الكرم وقوله تع ووهبنا له اهله معطوف على مقدر مرتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا ما به من ضر كما في سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروي عن الحسن ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل رحمة منا عليه من قبلنا وذكرى لاولي الالباب ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر فيلحقهم كما لحقه وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير وقلنا اي وقلنا خذ بيدك قبضة من الحشيش لحاجة لان لعامة الصحة فان امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماصر بنت ميشا بن يوسف ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رض قبضة من الشجر فاضرب به اي بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك فان البر يتحقق به انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال وليس في شكواه الى الله تع اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه عم قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت

يمني

ولم آكل الا وبي شبع ولا لبست الا وبي عري فكشف الله تع عنه نعم العبد اي ايوب انه
اواب تعليل المدح اي رجاع الى الله تع واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا
وقرئ عبدنا اما على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيان
عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة
والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار
عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة و
التأمل مع تمكنهم منهما وقرئ اولي الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسر وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع انا
اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم خالصين
لنا بخصلة خالصة عظيمة الشأن كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي وقوله تع ذكرى الدار بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اي
تذكرهم للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في
كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم
لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار في
الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى اي بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم
لا يشوبون ذكراها بهم آخر اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء عليهم
وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار
لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات
في جمع ميت وميت واذكر اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود
بالتذكير واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما في
قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كان اصل ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف
وقيل هو على القراءتين علم اعجمي دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف
في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم
صلوة وكل اي وكلهم من الاخيار المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ذكر اي
شرف لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القرآن وباب منه مشتمل على انباء الانبياء وعن ابن عباس
رض هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب شروع في بيان اجرهم الجزيل في الآجل بعد
بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا
اوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال جنات عدن عطف
بيان لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تع جنات عدن التي وعد الرحمن
عباده او بدل منه او نصب على المدح وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب حال من جنات عدن والعامل
فيها ما في المتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير
مقدر كما هو رأي البصريين اي الابواب منها او اللام القائم مقامه كما هو رأي الكوفيين اذ الاصل
ابوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او على انهما خبران لمحذوف اي هي جنات عدن هي مفتحة متكئين
فيها حال من لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استيناف لبيان حالهم
فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه
والتلذذ دون التغذي فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهن
لا ينظرن الى غيرهم اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران ارسخ او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية

واشتقاقه من التراب فانه يمسهن في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب اي لاجله فان الحساب
علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات اليق بمقام الامتنان والتكريم ان هذا اي
ما ذكر من الوان النعم والكرامات لرزقنا اعطيناكموه ما له من نفاد انقطاع ابدا هذا اي الامر هذا او
هذا كما ذكر وهذا ذكر وقوله تع وان للطاغين لشر مآب شروع في بيان اضداد الفريق السابق جهنم
اعرابه كما سلف يصلونها اي يدخلونها حال من جهنم فبئس المهاد وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم
والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تع لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه
كقوله تع فاياي فارهبون او العذاب هذا فليذوقوه وهذا مبتدأ خبره حميم وغساق وما بينهما اعتراض
وهو على الاول خبر مبتدأ محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين
اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل
المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تع وقرئ بتخفيف
السين وآخر من شكله اي مذوق او عذاب آخر من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ
واخرى اي ومذوقات اخر او انواع عذاب اخرى وتوحيد ضمير شكله بتأويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق
او هو راجع الى الغساق ازواج اي اجناس وهو خبر لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او للثلاثة
او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين
اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم في الكفر والضلالة والاقتحام الدخول في الشيء بشدة قال
الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله تع لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج او صفة
للفوج او حال منه اي مقولا او مقولا في حقهم لا مرحبا بهم اي لا اتوا مرحبا او لا رحبت بهم الدار مرحبا انهم صالوا
النار تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤساء في حق
اتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء
بعضهم مع بعض في حق الاتباع قالوا اي الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم وتوجيه خطابهم للرؤساء في قولهم
بل انتم لا مرحبا بكم الى آخره على الوجهين الاخيرين ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع ان
الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم الى آخره قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة مع
الرؤساء والتحاكم الى الخزنة طمعا في قضائهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اي بل انتم احق بما قيل لنا او
قلتم وقوله تع انتم قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك اي انتم قدمتم العذاب او الصلي لنا واوقعتمونا فيه
بتقديم ما يؤدي اليه من العقائد الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها في اعيننا واغرائنا عليها لا انا باشرناها من
تلقاء انفسنا فبئس القرار اي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم قالوا اي الاتباع
ايضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا اي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين
الى الله تع ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار كقولهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا
من النار اي عذابا مضاعفا اي ذا ضعف وذلك بان يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين
من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعي وقالوا اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم
من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم اتخذناهم سخريا بهمزة استفهام سقطت
لاجلها همزة الوصل والجملة استيناف لا محل لها من الاعراب قالوه انكارا على انفسهم وتأنيبا لها في الاستسخار منهم
ام زاغت عنهم الابصار متصل باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم
ام الازدراء بهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم
توبيخا لها او على انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل ازاغت عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك ام عندك

نعت لاستعارة لاسم الاشارة كما مر في سورة يوسف عليه السلام

تنبيه على الوجوه الثلثة

في الاستخبار الخ

عم وعلى معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم
بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا فقوله تع ام زاغت متصل بقوله تع ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم في النار
أليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصارنا وهم فيها وقد جوز ان تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ
سخريا بضم السين ان ذلك اي الذي حكي من احوالهم لحق لا بد من وقوعه البتة وقوله تع تخاصم اهل النار
خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لذلك وفي الابهام اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك
وقيل بدل من حق او عطف بيان له وقرئ بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه صفة له فقد قيل عليه
ان اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل قل امر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين انما انا منذر من جهته تع انذركم عذابه وما من اله في الوجود
الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة اصلا القهار لكل شيء سواه رب السموات والارض وما بينهما
من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك منها العزيز الذي لا يغلب في امر من اموره الغفار المبالغ
في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما
لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه
قل تكرير الامر للايذان بان المقول امر جليل له شان خطير لا بد من الاعتناء به امرا واتمارا هو اي ما انبأتكم
به من اني منذر من جهته تعالى وانه تعالى واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة وقيل
انه القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد
وقتادة رضي الله تع عنهم نبأ عظيم وارد من جهته تعالى وقوله تعالى انتم عنه معرضون استئناف ناع عليهم
سوء صنيعهم به ببيان انهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلي
عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة اخرى لنبأ وقوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى الخ استئناف
مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبإ من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة
سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر
انبائه ايضا كذلك والملأ الاعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى اذ يختصمون
متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد نفي علمه عم بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه
بحال الملأ الاعلى وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فان علمه عم غير مقصور على ما جرى
بينهم من الاقوال فقط بل عام لها وللافعال ايضا من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلا بد
من اعتبار العموم في نفيه ايضا لا محالة وقوله تع ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين
اجمال اختصامهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عم وتعيينا لسببه الا ان بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئا عن
ثبوته الآن ومن البين عدم ملابسته عم بشيء من مباديه المعهودة تعين انه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل
ذلك امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخباره ما هو داع الى الوحي
ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما انا منذر في ضمن تحقيق علمه عم بقصة الملأ الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما
ضمير عائد الى الحال المقدر او ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى الي حال الملأ الاعلى او ما يوحى الي من الامور الغيبية
التي من جملتها حالهم الا لانما انا نذير مبين من جهته تع فان كونه عم كذلك من دواعي الوحي اليه ومصححاته واما
ان القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور او هو انما انا نذير مبين بلا تقدير الجار وان المعنى ما يوحى الي الا للانذار
او ما يوحى الي الا ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار الى التكلف في توجيه قصر
الوحي على كونه للانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه كيف لا
والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا عما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرئ انما

بالكسر على الحكاية وقوله تعالى اذ قال ربك للملائكة شروع في تفصيل ما اجمل من الاختصام الذي هو
ما جرى بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ
بدل من اذ الاولى وليس من ضرورة البدلية دخول الطرفين في الاختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزهما عليه فان
القصة ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم لتشريفه عم والايذان بان
وحي هذا النبأ اليه تربية وتأييد له عليه السلام والكاف وارد باعتبار حال الآمر لكونه ادل على كونه
وحيا منزلا من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم دون حال المأمور
والا لقيل ربي لانه داخل في حيز الامر اني خالق اي فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة
على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه بشرا قيل اي جسما كثيفا يلاقي ويباشر
وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق
مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية
من طين لم يتعرض لاوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع اخر فاذا
سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه
ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ
ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا اكملت استعداده
وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري فقعوا له امر من وقع وفيه دليل على ان المأمور به
ليس مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين تحية له وتكريما فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه
فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يبق منهم احد الا سجد اجمعون اي بطريق المعية بحيث
لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا وقيل
اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما تقتضيه
هذه الآية الكريمة والتي في سورة الحجر فظاهرها يستدعي ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح
عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر التنجيزي كما تقتضيه ما في سورة البقرة وما
في سورة الاعراف وما في سورة بني اسرائيل وما في سورة الكهف وما في سورة طه من الآيات الكريمة فقد مر
تحقيقه بتوفيق الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا
مغمورا بالوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة
جنسا يتوالدون وهو منهم او منقطع وقوله تعالى استكبر على الاول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم
من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتأمل والتروي وبه يتحقق انه للاباء والاستكبار وعلى الثاني يجوز اتصاله
بما قبله اي لكن ابليس استكبر وكان من الكافرين اي وصار منهم بمخالفته الامر واستكبارا عن الطاعة
او كان منهم في علم الله عز وجل قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي خلقته بالذات
من غير توسط اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عم المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا
الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ استكبرت بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل اي اتكبرت من غير استحقاق
ام كنت من العالين المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ بحذف
همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها وقوله تع قال انا خير منه ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه من السجود
على زعمه واشعار بانه لا يليق ان يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من
صلصال من حمإ مسنون وقوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله عم
ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه

قوله تعالى لما خلقت بيدي واما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تع ونفخت فيه من روحي واما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره قال فاخرج منها الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة الجليل وتعليله بالاباطيل اي فاخرج من الجنة او من زمرة الملائكة وهو المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته في سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التي كنت فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تع خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تع فانك رجيم تعليل للامر بالخروج اي مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وان عليك لعنتي اي ابعادي عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها في قوله تعالى وان عليك اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تعالى وانهم يدعون عليه بلعنة الله وابعاده من الرحمة الى يوم الدين اي يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هي انموذج مما سيلقى مستمرا الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه سيلقى يومئذ من الوان العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل الا يرى الى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تع ويلعن بعضهم بعضا قال رب فانظرني اي امهلني واخرني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذ جعلتني رجيما فامهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله للآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين الى يوم الوقت المعلوم الذي قدره الله تع وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قول من قال فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما له تع من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت في سورة الاعراف كما ترك النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر هنا وفي سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فقد سلف تحقيقه في سورة الاعراف بفضل الله تع وتوفيقه قال فبعزتك الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله تع فبما اغويتني وقوله تع رب بما اغويتني فان اغواءه تع اياه اثر من آثار قدرته تع وعزته وحكم من احكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر اي فاقسم بعزتك لاغوينهم اجمعين اي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم الله تع لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل اي الذين اخلصوا قلوبهم او اعمالهم لله تعالى قال اي الله عز وجل فالحق والحق اقول برفع الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني على انه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر اي لا اقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها

اي فالحق قسمي لاملأن جهنم على ان الحق اما اسمه تعالى او نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به او فانا الحق او فقولي الحق وقوله تع لاملأن الخ جواب لقسم محذوف اي والله لاملأن الخ وقوله تع والحق اقول على تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعني فقولي الحق وقرئا منصوبين على ان الاول مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملأن وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الاول على اضمار حرف القسم ونصب الثاني على المفعولية منك اي من جنسك من الشياطين وممن تبعك في الغواية والضلال منهم من ذرية آدم اجمعين تأكيد للكاف وما عطف عليه اي لاملأنها من المتبوعين والاتباع اجمعين كقوله تع لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح مدار عدم المشيئة في قوله تع ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة الشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليكن في ذلك على ذكر فانه الحري بالتذكير قل ما اسألكم عليه على القرآن او على تبليغ ما يوحى الي من اجر دنيوي وما انا من المتكلفين اي المتصنعين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو اي ما هو الا ذكر من الله عز وجل للعالمين للثقلين كافة ولتعلمن نبأه اي ما انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق بعد حين بعد الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير قال ابو امامة عصمه الله من كل ذنب صغير او كبير والله اعلم

سورة الزمر مكية اثنتان وسبعون اية

تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف هو اسم اشارة اشير به الى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقيل هو ضمير عائد الى الذكر في قوله تع ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل او خبر ثان او حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة او من الكتاب الذي هو مفعول معنى لانه ما اضيف اليه المصدر وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الاول اوفق بمقتضى المقام الذي هو بيان ان السورة او القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان ان تنزيل الكتاب منه تعالى كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم والتعرض لوصفي العزة والحكمة للايذان بظهور اثريهما في الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وبابتناء جميع ما فيه على اساس الحكم الباهرة وقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق شروع في بيان شأن المنزل اليه وما يجب عليه اثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول ايضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء متعلقة بالانزال اي بسبب الحق واثباته واظهاره او بداعية الحق واقتضائه للانزال او بمحذوف هو حال من نون العظمة او من الكتاب اي انزلناه اليك محقين في ذلك او ملتبسا بالحق والصواب اي كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتما والفاء في قوله تع فاعبد الله مخلصا له الدين لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب اليه بالحق اي فاعبده تعالى ممحضا له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبما بين في تضاعيف ما انزل اليك وقرئ برفع الدين على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد الاختصاص المستفاد

من اللام والجملة استيناف وقع تعليلا للامر باخلاص العبادة وقوله تع الا لله الدين الخالص
استيناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له ووجوب الامتثال به على القراءة الاخيرة مؤكد
لاختصاص الدين به تعالى اي الا هو الذي يجب ان يخص باخلاص الطاعة له لانه المتفرد بصفات الالوهية
التي من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر وقوله تع والذين اتخذوا من دونه اولياء تحقيق لحقية
ما ذكر من اخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك اخلاصه
والموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سيأتي من الجملة المصدرة بان والاولياء الملائكة
وعيسى عليهم السلام والاصنام وقوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى حال بتقدير القول من
واو اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من اعم العلل وزلفى مصدر
مؤكد على غير لفظ المصدر ملاق له في المعنى اي والذين لم يخلصوا العبادة لله تع بل شابوها بعبادة
غيره قائلين ما نعبدهم لشيء من الاشياء الا ليقربونا الى الله تقريبا ان الله يحكم بينهم اي وبين خصمائهم
الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تع لا نفرق بين احد من رسله على احد
الوجهين اي بين احد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل
اي بين الخير وبيني وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا فيما هم فيه يختلفون من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد
والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تع في ذلك ادخال الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير
للفريقين هذا هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم واما تجويز ان يكون الموصول عبارة عن المعبودين
على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين
اتخذهم المشركون اولياء قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تع ان الله يحكم بينهم اي بين العبدة
والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء عما فيه من التعسف
بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا
محوجا الى الحكم والفصل وانما ذاك ما بين فريقي الموحدين والمشركين في الدنيا من الاختلاف في الدين الباقي
الى يوم القيمة وقرئ قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك
مزيد مزية وقرئ ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم اتباعا للباء ان الله
لا يهدي اي لا يوفق للاهتداء الى الحق الذي هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب من هو كاذب كفار
اي راسخ في الكذب كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء
لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتمرن في الضلالة والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه لو اراد الله ان
يتخذ ولدا استيناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملائكة بنات الله تع وعيسى ابنه عز وعلا
علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجا
اوليا اي لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لاصطفى اي لاتخذ مما يخلق اي من جملة ما يخلقه او من جنس
ما يخلقه ما يشاء ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب
استناد جميع ما عداه اليه ومن البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ والمتخذ وان المخلوق لا يماثل خالقه
حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه اشير حيث وضع
الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي تقتضيه الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه انتفاءه
اي لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ الولد في شيء اصلا بل انما هو اصطفاء
عبد ولا ريب في ان ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعا فكأنه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولدا
لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق الارادة بل على انه متحقق عند عدمها بطريق الاولوية على منوال

لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تع سبحانه تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تع وتاكيد له ببيان
تنزهه تع اي تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد او اسبحه تسبيحا
لائقا به على انه علم للتسبيح مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحا حقيقا بشانه هو الله الواحد القهار
استيناف مبين لتنزهه تع بحسب الصفات اثر بيان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الالوهية
المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة
بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضي بتنزهه تعالى عما قالوا قضاء متقنا وكذا وصف القهارية
لما ان اتخاذ الولد شان من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن
هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور ان يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تع
خلق السموات والارض بالحق تفصيل لبعض افعاله تعالى الدالة على تفرده تعالى بما ذكر من الصفات
الجليلة اي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم البالغة والمصالح
وقوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان
خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك السموات اي يغشي كل واحد منهما الآخر كانه يلف
عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا
متتابعا تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد وسخر الشمس والقمر جعلهما منقادين
لامره تع وقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى بيان لكيفية تسخيرهما اي كل منهما يجري لمنتهى دورته او منقطع حركته
وقيل تفصيله بغيره الا هو العزيز الغالب القادر على كل شيء من الاشياء التي من جملتها عقاب العصاة
الغفار المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة
وتصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان لبعض آخر
من افعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله في الدلالة ولتعلقه
بالعالم السفلي والبداية بخلق الانسان لعراقته في الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة واسرار
الحكمة واصالته في المعرفة فان الانسان بحال نفسه اعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله
تع ثم جعل منها زوجها عطف على محذوف هو صفة لنفس اي من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها او على معنى
واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فانهما
وان كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الاولى لاستمرارها صارت معتادة واما الثانية فحيث لم تكن
معتادة خارجة عن قياس الاولى كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل في كونها آية و
اجلب للتعجب من السامع فعطفت على الاولى بثم دلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع
الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء
ففيه ثلاث آيات مترتبة خلق آدم عليه السلام بلا اب وام وخلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق
الفائت للحصر منهما وقوله تع وانزل لكم بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر اي قضى او قسم لكم
فان قضاياه وقسمه لكم توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ او احدث لكم باسباب
نازلة من السماء كالامطار واشعة الكواكب من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى هي الابل والبقر
والضان والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر من الاعتناء بما
قدم والتشويق الى ما اخر فان كون الانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة المشوقة الى ما
انزل لا محالة وقوله تع يخلقكم في بطون امهاتكم استيناف مسوق لبيان كيفية خلقهم واطواره المختلفة
الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تع خلقا من بعد خلق

مصدر مؤكد اي يخلقكم فيها خلقاً كائناً من بعد خلق اي خلقاً مدرجاً حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة
لحماً من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة في ظلمات
ثلاث متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم اشارة
اليه تعالى باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة
والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء اي ذلكم العظيم الشان الذي عددت افعاله الله وقوله تعالى ربكم
خبر آخر اي مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به له الملك على الاطلاق
في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى لا اله الا هو والفاء
في قوله تعالى فأنى تصرفون لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شؤونه تعالى اي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور
موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف
عنها ان تكفروا به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر
فان الله غني عنكم اي فاعلموا انه تعالى غني عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما ولا يرضى لعباده الكفر
اي عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به وان تشكروا يرضه
لكم اي يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده
لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء ولا تزر وازرة وزر اخرى بيان لعدم
سراية كفر الكافر الى غيره اصلاً اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم بالبعث بعد الموت
فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون اي كنتم تعملونه في الدنيا من اعمال الكفر والايمان اي يجازيكم بذلك
ثواباً وعقاباً انه عليم بذات الصدور اي بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبيه
واذا مس الانسان ضر من مرض وغيره دعا ربه منيباً اليه راجعاً اليه مما كان يدعوه في حالة
الرخاء لعلمه بانه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده كقوله تعالى ان الانسان
لظلوم كفار ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد اي جعله خائل
مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعهداً له حسن القيام به او من الخول وهو الافتخار اي جعله يخول
اي يختال ويفتخر نسي ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى فيه الى كشفه من قبل
اي من قبل التخويل وقيل نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق
الذكر والانثى وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد واما بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلاً
من ان يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى عما ارضعت وجعل لله انداداً شركاء في العبادة ليضل الناس بذلك
عن سبيله الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليزداد ضلالاً او ليثبت عليه والا فاصل الضلال غير متأخر
عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً خلا ان هذا اقرب
الى الحقيقة لان الجاعل هنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله انهما اضلال
وضلال واما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة اصلاً قل تهديداً لذلك الضال المضل وبياناً
لحاله ومآله تمتع بكفرك قليلاً اي تمتعاً قليلاً او زماناً قليلاً انك من اصحاب النار اي من ملازميها
والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل اذ قد ابيت قبول
ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان تؤمر بتركه لتذوق عقوبته ام من هو قانت آناء الليل من تمام
الكلام المأمور به وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كأنه قيل له تأكيداً للتهديد
وتهكماً به أانت احسن حالاً ومآلاً ام من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على اداء وظائفها في ساعات
الليل حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدأبك حال كونه ساجداً وقائماً اي جامعاً بين الوصفين

الموصوفين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر
يحذر الآخرة حال اخرى على التداخل او الترادف او استئناف وقع جواباً عما نشأ من حكاية حاله
من القنوت والقيام كأنه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه فينجو بذلك
مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة
الى ضمير الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط وانما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال
من التهديد الى التبكيت بتحليف الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كأنه قيل بل امن
هو قانت الخ افضل ام من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل بياناً للحق وتنبيهاً على شرف العلم والعمل
هل يستوي الذين يعلمون حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور والذين لا يعلمون
اي ما ذكر او شيئاً فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين في اعلى
معارج الخير وكون الآخرين في اقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد من منصف و
مكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون
وقوله تعالى انما يتذكر اولو الالباب كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى
بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال
عقولهم كما في قول من قال عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار اي انما يتعظ بهذه
البيانات الواضحة اصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر
بالادغام قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين
وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر باولي الالباب ايذاناً بانهم هم كما سيصرح به اي قل لهم
قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به فان نقل عين
امر الله تعالى ادخل في ايجاب الامتثال به وقوله تعالى للذين احسنوا تعليل للامر او لوجوب الامتثال
وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى للايذان بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا
الصفات في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله
لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق باحسنوا اي عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا
على وجه الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله ان تعبد
الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك حسنة اي حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هو
متعلق بحسنة على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف فالمراد بها الصحة والعافية وارض
الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك
كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له في التفريط اصلاً وقوله تعالى انما يوفى الصابرون الخ
ترغيب في التقوى المأمور بها وايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم
لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة
في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها اي انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة
حقوقها لما اعتراهم في ذلك من فنون الآلام والبلايا التي من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم
بمقابلة ما كابدوا من الصبر بغير حساب اي بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس لا يهتدي اليه حساب
الحساب ولا يعرف وفي الحديث انه ينصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم
ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صباً حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض
مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصاً له الدين اي من كل ما ينافيه

من الشرك والرياء وغير ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص في عبادة
الله تع الذي هو عبادة عما امر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما
يعقبه مما خوطب به المشركون وامرت لان اكون اول المسلمين اي وامرت بذلك لاجل ان اكون
مقدمهم في الدنيا والآخرة لان احراز قصب السبق في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقيده
بالعلة والاشعار بان العبادة المذكورة كما تقتضي لامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين
ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان اقوم بدليل قوله تع وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل
زماني او من قومي او اكون اول من دعا غيره الى ما دعا اليه نفسه قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك
الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة وصف بالعظمة لما فيه من الدواهي
والاهوال قل الله اعبد لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا مخلصا له ديني من كل شوب امر عليه السلام اولا ببيان كونه
مأمورا بعبادة الله تع واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار
بامتثاله بالامر على ابلغ وجه وآكده اظهارا لتصلبه في الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم
بقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم ان تعبدوه من دونه تع وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى
كانهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه امروا به كي يحل بهم العقاب قل ان الخاسرين اي الكاملين في الخسران الذي
هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه الذين خسروا انفسهم واهليهم باختيارهم الكفر لهما اي
اضاعوا واتلفوهما يوم القيمة حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدي واوقعوهما في هلكة لا هلكة
وراءها وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه ان المحذور
ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسرون وذلك غير متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا
مدخل الذين لهم اهل في الجنة وخسروا اهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا ايا ما كان فليس المراد مجرد تعريف
الكاملين في الخسران بما ذكر بل بيان انهم انما تجعل الموصول عبارة عنهم او عما هم مندرجون فيه اندراجا
اوليا فما في قوله تع الا ذلك هو الخسران المبين من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة
بذلك الى بعد منزلة المشار اليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة
على كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تع لهم من فوقهم ظلل من النار الخ نوع
بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف هو حال من ظلل
والاظهر انه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل اي لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكمة بعضها
فوق بعض كائنة من النار ومن تحتهم ايضا ظلل اي اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل للآخرين بل لهما ايضا عند ترديهم في
دركاتها ذلك العذاب الفظيع هو الذي يخوف الله به عباده ويحذرهم اياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما
يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تع بالغة منطوية على غاية
اللطف والرحمة وقرئ يا عبادي والذين اجتنبوا الطاغوت اي البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت
منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد
هو الشيطان ان يعبدوها بدل الاشتمال منه فان عبادة غير الله تع عبادة الشيطان اذ هو الآمر بها والمزين
لها وانابوا الى الله تع واقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا لهم البشرى بالثواب على
ألسنة الرسل والملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك فبشر عباد الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه هم الموصوفون بالاجتناب والانابة باعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم
الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين
يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر

من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على
الابتداء خبره ما بعده من الموصول اي اولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة الذين هداهم الله
للدين الحق واولئك هم اولوا الالباب اي هم اصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم
ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول
النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار بيان لاحوال اضداد المذكورين
على طريقة الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها كما يلوح به
التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين وابتداء الكلام من حق عليه
كلمة العذاب فانت تنقذه على انها شرطية دخل عليها الهمزة لانكار مضمونها ثم الفاء لعطفها على جملة
مستتبعة مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونهما معا اي أانت مالك امر الناس فمن حق عليه
كلمة العذاب فانت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع
موضع الضمير من في النار لذلك ولتشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب
بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده عليه السلام في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار و
يجوز ان يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى افانت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة
وتعيين ما حذف منها وتشديد الانكار وتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير
الاجتهاد في دعائه الى الايمان بصورة الانقاذ من النار كانه قيل اولا أفمن حق عليه العذاب فانت
تخلصه منه ثم شدد النكير فقال افانت تنقذ من في النار وفيه تلويح بانه تعالى هو الذي يقدر على
الانقاذ لا غير وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن
تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف
وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عبادي فاتقون ووصفوا بما عدد لهم من الصفات الفاضلة
وهم المخاطبون ايضا فيما سبق بقوله يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية انه لهم درجات
عالية في جنات النعيم مقابلة لما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم اي لهم علالي بعضها فوق بعض
مبنية بناء المنازل المبنية على الارض في الرصانة والاحكام تجري من تحتها الانهار
في معنى الوعد لانه
من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف فانه
وعد واي وعد لا يخلف الله الميعاد لاستحالة ذلك عليه سبحانه الم تر ان الله انزل من السماء ماء
استئناف وارد لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع
ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار بزهرتها كما في نظائر قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا
الآية او للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء
وما يترتب عليه من آثار قدرته تعالى واحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء
ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع فسلكه ينابيع في الارض اي فادخله ونظمه ينابيع ومجاري
كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها فان الينبوع يطلق على المنبع وعلى النابع فنصبها على الحال
وعلى الاول بنزع الخافض اي في ينابيع ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما
او كيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار
الصورة ثم يهيج اي يتم جفافه ويشرف على ان يثور من منابته فتراه مصفرا
من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا كأن لم يغن بالامس

ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالإخراج **إن في ذلك** إشارة إلى ما ذكر تفصيلا
وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه **لذكرى** لتذكيرا عظيما
لأولي الألباب لأصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك
أن حال الحياة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها
ولا يفتتنون بفتنتها أو يجزمون بأن من قدر على إنزال الماء من السماء وإجرائه في ينابيع الأرض قادر
على إجراء الأنهار من تحت الغرف هذا وأما ما قيل إن في ذلك لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم وأنه
كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال فبمعزل من تفسير الآية الكريمة وإنما يليق ذلك بما لو ذكرت الآثار
الجليلة والأفعال الجميلة من غير إسنادها إلى مؤثر ما وحيث ذكرت مسندة إلى الله عز وجل تعين أن يكون
متعلق التذكير والتنبيه شؤونه تعالى أو شؤون آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله تعالى **أفمن شرح الله**
صدره للإسلام إلى آخره استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى بأولي الألباب
وشرح الصدر للإسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فإنه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس
القابلة للإسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته بنوره فإنه روي أنه عليه السلام قال إذا دخل
النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال عليه السلام الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والتأهب للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله تعالى أفمن حق عليه كلمة العذاب وخبره
محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره أي خلقه متسع الصدر مستعدا
للإسلام فبقي على الفطرة الأصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها **فهو** بموجب ذلك مستقر
على نور عظيم **من ربه** وهو اللطف الإلهي الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية
والتوفيق للاهتداء بها إلى الحق كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى
عليه ظلمات الغي والضلالة فأعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها **فويل للقاسية**
قلوبهم من ذكر الله أي من أجل ذكره الذي حقه أن تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب أي إذا ذكر الله
تعالى عندهم أو آياته اشمأزوا من أجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا وقرئ
عن ذكر الله أو عن قبوله **أولئك** البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب **في ضلال** بعيد
من الحق **مبين** ظاهر كونه ضلالا لكل أحد قيل نزلت الآية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وأبي لهب
وولده وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه وأبي جهل وذريته **الله نزل أحسن الحديث** هو القرآن
الكريم روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا حديثا وعن ابن مسعود وابن عباس
قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى أن فيه مندوحة عن سائر الأحاديث وفي إيقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه
من تفخيم لأحسن الحديث ورفع لمحله والاستشهاد على حسنه وتأكيد استناده إليه تعالى وأنه من عنده لا يمكن
صدوره من غيره والتنبيه على أنه وحي معجز ما لا يخفى **كتابا** بدل من أحسن الحديث أو حال منه سواء اكتسب
من المضاف إليه تعريفا أو لا فإن مساغ مجيء الحال من النكرة المضافة اتفاقي ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة
لاتصافه بقوله تعالى **متشابها** أو لكونه في قوة مكتوبا وكونه متشابها تشابه معانيه في الصحة والإحكام
والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب ألفاظه في الفصاحة وتجاوب
نظمه في الإعجاز **مثاني** صفة أخرى لكتابا أو حال أخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه
وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لأنه يثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى
مفعل من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين أي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا
باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز أن ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رأيت رجلا

حسنا شمائل أي شمائله والمعنى متشابهة مثانيه **تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم** قيل
صفة لكتابا أو حال منه لتخصصه بالصفة والأظهر أنه استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه
بعد بيان أوصافه في نفسه ولتقرير كونه أحسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضا
شديدا وتركيبه من القشع وهو الأديم اليابس قد ضم إليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال
اقشعر جلده وقف شعره إذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد بها إما بيان إفراط خشيتهم
بطريق التمثيل والتصوير أو بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا
بالقرآن وقوارع آيات وعيده أصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم وإذا ذكروا رحمة الله تعالى
تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى **ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله**
أي ساكنة مطمئنة إلى ذكر رحمة الله تعالى وإنما لم يصرح بها إيذانا بأنها أول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى
ذلك أي الكتاب الذي شرح أحوالهم **هدى الله يهدي به من يشاء** أي يهدي به من يصرف مقدوره إلى الاهتداء
بتأمله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى **ومن يضلل الله** أي يخلق فيه الضلالة
لصرف قدرته إلى مباديها وإعراضه عما يرشده إلى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعيده ووعده أصلا أو ومن يخذله
فما له من هاد يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجاء أثر هداه تعالى
يهدي بذلك الأثر من يشاء من عباده ومن يضلل أي ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه وإصراره على
فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط **أفمن يتقي بوجهه** إلى آخره استئناف جار مجرى التعليل
لما قبله من تباين حالي المهتدي والضال والكلام في الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذي مر في نظيريه و
التقدير أكل الناس سواء فمن شأنه أنه يتقي بنفسه بوجهه الذي هو أشرف أعضائه **سوء العذاب**
أي العذاب السيء الشديد **يوم القيامة** لكون يده التي بها كان يتقي المكاره والمخاوف مغلولة إلى عنقه كمن هو
من لا يعتريه مكروه ولا يحتاج إلى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت في أبي جهل **وقيل للظالمين**
عطف على يتقي أي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال
من ضمير يتقي بإضمار قد ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم وللإشعار بعلة الأمر في قوله تعالى
ذوقوا ما كنتم تكسبون أي وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي **كذب الذين من قبلهم**
استئناف مسوق لبيان ما أصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي إثر بيان ما يصيب الكل من العذاب
الأخروي أي كذب الذين من قبلهم من الأمم السالفة **فأتاهم العذاب** المقدر لكل أمة منهم **من حيث**
لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم إتيان الشر منها **فأذاقهم الله الخزي** أي الذل
والصغار **في الحياة الدنيا** كالمسخ والخسف والقتل والسبي والإجلاء ونحو ذلك من فنون النكال
ولعذاب الآخرة المعد لهم **أكبر** لشدته ودوامه **لو كانوا يعلمون** أي لو كان من شأنهم أن يعلموا
شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل** يحتاج إليه الناظر في أمور
دينه **لعلهم يتذكرون** كي يتذكروا به ويتعظوا **قرآنا عربيا** حال مؤكدة من هذا على أن
مدار التأكيد هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلا صالحا أو مدح له **غير ذي عوج** لا اختلاف فيه
بوجه من الوجوه فهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك **لعلهم يتقون** علة
أخرى مترتبة على الأولى **ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون** إيراد لمثل من الأمثال القرآنية
بعد بيان أن الحكمة في ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا
تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها وجعلها مثلا لها كما مر في سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب
ورجلا مفعوله الأول أخر عن الثاني للتشويق إليه وليتصل به ما هو من تتمته التي هي العمدة

في التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان انه في الاصل كذلك لا حاجة اليه والجملة في حيز
النصب على انه وصف لرجلا او الوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده
على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقود اليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه
عبوديته عبدا يتشاركه فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه
ورجلا اي وجعل للموحد مثلا رجلا سلما اي خالصا لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا
وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وكسرها والكل مصادر من سلم له كذا اي خلص نعت بها
مبالغة وحذف سلما ذو وقرئ سالما وسالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجري
عليه من الضير والنفع هل يستويان مثلا انكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على ابلغ وجه وآكده
وايذان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه باستوائهما او يتلعثم في الحكم
بتباينهما ضرورة ان احدهما في اعلا عليين والآخر في اسفل سافلين وهو السر في ابهام الفاضل والمفضول
في الحكم وانتصاب مثلا على التمييز اي هل يستوي حالاهما وصفتاهما والاقتصار في التمييز على الواحد
لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى اكثر اموالا واولادا للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل
يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه الى آخره ومثل رجل الى آخره وقوله تعالى
الحمد لله تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق
الله تعالى وانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا على حمده وعبادته او على ان بيانه تعالى بضرب
المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده و
عبادته وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه
المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك
والاضلال وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرئ
مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته اي انكم جميعا
بصدد الموت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم اي مالك اموركم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك
بلغتهم ما ارسلت من الاحكام والمواعظ التي من جملتها ما في تضاعيف هذه الآيات واجتهدت
في الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام
الجاري في الدنيا بين الانام والاول هو الاظهر الانسب بقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله
فانه الى آخره مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري في شأن الكفر والايمان لا غير
اي اظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بان اضاف اليه الشريك والولد
وكذب بالصدق اي بالامر الذي هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
اذ جاءه اي في اول مجيئه من غير تفكر فيه ولا تأمل ولا تأمل اليس في جهنم مثوى للكافرين
اي لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى التكذيب بالصدق من اول الامر والجمع
باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر السابقة باعتبار لفظها او لجنس الكفرة وهم داخلون في
الحكم دخولا اوليا والذي جاء بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن تبعه كما ان الافراد في الضمائر السابقة باعتبار لفظها او لجنس الكفرة وهم المراد في قوله تعالى
ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو عليه السلام وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل
والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقيل
هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج او الفريق اولئك الموصوفون بما ذكر من المجيء بالصدق و

والمصدق به هم المتقون المنعوتون بالتقوى التي هي اجل الرغائب وقرئ وصدق به بالتخفيف
اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا به اي بسببه
لان القرآن معجزة دالة على صدقه عليه السلام وقرئ صدق به على البناء
للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم في الدنيا من
محاسن الاعمال اي لهم كلما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما
ان بعض ما يشاؤنه من تكفير السيآت والامن من الفزع الاكبر وسائر اهوال القيامة انما يقع قبل دخول
الجنة ذلك الذي ذكر من حصول كلما يشاؤنه جزاء المحسنين اي الذين احسنوا اعمالهم
وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا الى آخره متعلق
بقوله تعالى لهم ما يشاؤن لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة ان التكفير المذكور لا يتصور
كونه غاية لثبوت ما يشاؤنه لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه
فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سيأتي كان في معنى الوعد به كما
في قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه في معنى وعدهم
الله غرفا فينتصب به وعد الله كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار
ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد اسوأ الذي عملوا دفعا لمضارهم ويجزيهم اجرهم باحسن الذي
كانوا يعملون اعطاء لمنافعهم واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون
الكلام واضافة الاسوأ والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل عليه بل من اضافة
الشيء الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيل عليه وانما المعتبر فيهما مطلق الزيادة
المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام سيآتهم وان قلت
واستصغار حسناتهم وان جلت والثاني بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة
ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان امكن في الاول بناء على ان تخصيص الاسوأ
بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوأ لتكفير السيء لكن لما لم يكن
ذلك في الاحسن كان الاحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
في صلة الموصول الثاني دون الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة اليس الله
بكاف عبده انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه وآكده كان الكفاية من التحقق و
الظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه بعدمها او يتلعثم في الجواب بوجوده والمراد بالعبد اما رسول
الله صلى الله عليه وسلم او الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده
وفسر بالانبياء عليهم السلام وكذا قراءة من قرأ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده على صيغة
المغالبة اما من الكفاية لافادة المغالبة فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذا تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش انا نخاف ان تخبلك آلهتنا وتصيبك مضرتها لعيبك
اياها وفي رواية قالوا لتكفن عن شتم آلهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود
ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه
اي الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استيناف وقيل حال ومن يضلل الله
حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه السلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا فما له
من هاد يهديه الى خير ما ومن يهد الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء
يخل بسلوكه اذ لا راد لفضله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى اليس الله بعزيز

غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع **ذي انتقام** ينتقم من اعدائه لاوليائه واظهار الاسم الجليل في موقع
الاضمار لتحقق مضمون الكلام وتربية المهابة **ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله** لوضوح
الدليل وسبوح السبيل **قل** تبكيتا لهم **افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن**
كاشفات ضره اي ما تحققتم ان خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان الهتكم ان ارادني الله
بضر هل يكشفن عني ذلك الضر **او ارادني برحمة** اي او ان ارادني بنفع **هل هن ممسكات رحمته** فيمنعنها
عني وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر
والرحمة بنفسه عليه السلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه مضرة الاوثان ولما فيه من الايذان
بامحاض النصيحة **قل حسبي الله** اي في جميع اموري من اصابة الخير ودفع الشر روي انه عليه السلام لما سألهم
سكتوا فنزل ذلك **عليه يتوكل المتوكلون** لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه تحت ملكوته تعالى
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم التي انتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار
من العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم **اني عامل** اي على مكانتي
فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتاييده
ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى **فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه**
فان خزي اعدائه دليل غلبته عليه السلام وقد عذبهم الله تعالى واخزاهم يوم بدر **ويحل عليه عذاب**
مقيم اي دائم هو عذاب النار **انا انزلنا عليك الكتاب للناس** لاجلهم فانه مناط مصالحهم
في المعاد والمعاش **بالحق** حال من فاعل انزلنا او من مفعوله **فمن اهتدى** بان عمل بما فيه **فلنفسه**
اي انما نفع به نفسه **ومن ضل** بان لم يعمل بموجبه **فانما يضل عليها** لما ان وبال ضلاله مقصور
عليها **وما انت عليهم بوكيل** لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ **الله يتوفى الانفس حين**
موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا
وباطنا كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم **فيمسك التي قضى عليها الموت** ولا يردها الى البدن وقرئ
قضي بالبناء للمفعول ورفع الموت **ويرسل الاخرى** اي النائمة الى بدنها عند التيقظ **الى اجل مسمى**
هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا الفرد منه فان ذلك مما لا امتداد
فيه ولا كمية وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن ادم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس
فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس
وحدها عند النوم قريب مما ذكر **ان في ذلك** اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في احدهما والا
رسال في الاخرى **لآيات** عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته **لقوم يتفكرون**
في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها
من السعادة والشقاوة واخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء
اجالها **ام اتخذوا** اي بل اتخذ قريش **من دون الله** من دون اذنه تعالى **شفعاء** يشفع لهم
عنده تعالى **قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون** الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ
عليه اي قل اتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن ان يملكوا الشفاعة
عند الله تعالى [illegible]
[illegible]
[illegible] **قل**

بما ذكر تحقيقا للحق **لله الشفاعة جميعا** اي هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان يكون المشفوع له مرتضى والشفيع
ماذونا له وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى **له ملك السموات والارض** تقرير له وتاكيد اي له ملكهما وما
فيهما من المخلوقات لا يملك احد ان يتكلم في امر من الامور بدون اذنه ورضاه **ثم اليه ترجعون** يوم القيمة
لا الى احد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد **واذا ذكر الله وحده** دون الهتهم
اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى واذا ذكرت
ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا **واذا ذكر الذين من دونه** فرادى او مع ذكر الله تعالى **اذا هم**
يستبشرون لفرط افتنانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ في بيان حاليهم القبيحتين حيث بين
الغاية فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلئ القلب سرورا حتى تنبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا
وغما ينقبض منه اديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمأزت وفي الثانية ما هو العامل في اذا المفاجاة تقديره
وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا وقت الاستبشار **قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة**
اي التجئ اليه تعالى بالدعاء لما تحيرت في امر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر
على الاشياء بجملتها والعالم بالاحوال برمتها **انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون**
اي حكما يسلم له كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي والاخروي وقوله تعالى **ولو ان للذين**
ظلموا ما في الارض جميعا الى اخره كلام مستأنف مسوق لبيان اثار الحكم الذي استدعاه النبي صلى الله عليه وسلم
وغاية شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر **ومثله معه لافتدوا به من سوء**
العذاب يوم القيمة اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهيهات ولات حين مناص
وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** فظهر لهم
من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين **وبدا لهم سيئات ما كسبوا** سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض عليهم
صحائفهم **وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** اي احاط بهم جزاؤه **فاذا مس الانسان ضر دعانا**
اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما مر من حالتيهم القبيحتين
وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار عليهم اي انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر الالهة فاذا
مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره **ثم اذا خولناه نعمة منا** اعطيناه اياها
تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء **قال انما اوتيته على علم** اي على علم مني بوجوه كسبه
او بانه سيعطاه لما لي من الاستحقاق او على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي والهاء لما ان ما موصولة وان النعمة
والتذكير لما ان المراد شيء من النعمة **بل هي فتنة** اي محنة وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتغيير
السبيل للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الايتاء المنبئ عن الكرامة وانما هو امر مباين له بالكلية
وتانيث الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير **ولكن اكثرهم لا يعلمون** ان الامر كذلك
وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس **قد قالها الذين من قبلهم** الهاء لقوله انما اوتيته على علم
لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي
وهم راضون به **فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون** من متاع الدنيا ويجمعون منه **فاصابهم سيئات ما**
كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء ما كسبوا وتسميتها سيئات لانها في مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة
مثلها **والذين ظلموا من هؤلاء** المشركين ومن للبيان او للتبعيض اي افرطوا في الظلم والعتو
سيصيبهم سيئات ما كسبوا من الكفر والمعاصي كما اصاب اولئك والسين للتاكيد وقد اصابهم اي اصابة
حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر **وما هم بمعجزين** اي فائتين **اولم يعلموا** اي قالوا

ذلك ولم يعلموا اغفلوا ولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء أن يبسط له ويقدر لمن يشاء
أن يقدر له من غير أن يكون لأحد مدخل في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا
إن في ذلك الذي ذكر لآيات دالة على أن الحوادث كلها من الله عز وجل لقوم يؤمنون إذ هم
المستدلون بها على مدلولاتها قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف
في المعاصي وإضافة العباد تخصيص بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن العظيم لا تقنطوا من رحمة الله
لا تيأسوا من مغفرته أولا وتفضله ثانيا إن الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء ولو بعد
حين بتعذيب في الجملة وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى إن الله
لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الإطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل
بقوله تعالى إنه هو الغفور الرحيم على المبالغة وإفادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم
ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص
ضرر الإسراف بأنفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة وإطلاقها وتعليله
بأن الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على أنه المستغني والمنعم على الإطلاق
والتأكيد بالجميع وما روي من أسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص
الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل أكرم الفضلاء أكرم الكاملين غير مسلم وكيف
فيما هو بمنزلة كلام أحد ولا يخل بذلك الأمر بالتوبة والإخلاص في قوله تعالى وأنيبوا إلى ربكم
وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون إذ ليس المدعى أن الآية تدل على حصول
المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن الأمر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا
أحسن ما أنزل إليكم من ربكم أي القرآن أو المأمور به دون المنهي عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ
دون المنسوخ ولعله ما هو أنجى وأسلم كالإنابة والمواظبة على الطاعة من قبل أن يأتيكم العذاب
بغتة وأنتم لا تشعرون بمجيئه لتتداركوا وتتأهبوا له أن تقول نفس أي كراهة أن تقول والتنكير للتكثير
كما في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت فإنه مسلك ربما يسلك عند إرادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه
في مطلع سورة الحجر يا حسرتى بالألف بدلا من الإضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي
بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الأصل أي لحضري فهذا أوان حضورك على ما فرطت أي قصرت
بتفريطي وتقصيري في جنب الله أي جانبه وفي حقه وطاعته وعليه قول من قال
أما تتقين الله في جنب وامق • له كبد حرى وعين ترقرق • وهي كناية فيها مبالغة وقيل
في ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله
وإن كنت لمن الساخرين أي المستهزئين بدين الله تعالى وأهله ومحل الجملة النصب على الحال أي فرطت و
أنا ساخر أو تقول لو أن الله هداني بالإرشاد إلى الحق لكنت من المتقين
من الشرك والمعاصي أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة رجعة إلى الدنيا فأكون من المحسنين
في العقيدة والعمل وأو للدلالة على أنها لا تخلو من هذه الأقوال تحيرا أو تحسرا وتعللا بما لا طائل تحته وقوله
بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تعالى
عليه لما تضمنه قوله لو أن الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لما أن تقديمه يفرق القرائن وتأخير
المردود يخل بالترتيب الوجودي لأنه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير
قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من إسناد الفعل إليه بأن وصفوه بما لا يليق بشأنه كاتخاذ الولد وجوههم
مسودة بما ينالهم من الشدة أو بما يتخيل كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتأنيث

ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله

الجهل والكفر والعصيان

عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفي فيها بالضمير عن الواو على أن الرؤية بصرية أو مفعول ثان
على أنها عرفانية أليس في جهنم مثوى أي مقام للمتكبرين عن الإيمان والطاعة وهو تقرير لما قبله
من رؤيتهم كذلك وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي أي من جهنم وقرئ ينجي من الإنجاء بمفازتهم
مصيبين أمانيهم من فاز بالمطلوب أي ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال عن الموصول مفيدة لمقارنة
تنجيتهم من العذاب بنيل الثواب أي ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم
الذي هو الجنة وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون إما حال أخرى من الموصول أو من ضمير
مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم أو فوزهم بالجنة غير مساس العذاب والحزن وإما من فاعل تفسير نجاتهم منه
والباء للملابسة وقوله تعالى لا يمسهم إلى الآخر تفسير وبيان لمفازتهم أي ينجيهم الله تعالى ملتبسة
نجاتهم الخاصة بهم أي بنفي السوء والحزن عنهم أو للسببية إما على حذف المضاف أي ينجيهم بسبب
مفازتهم التي هي تعاطيهم كما يشعر به إيراده في حيز الصلة أو على إطلاق المفازة على سببها الذي
هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شيء
من خير وشر وإيمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لأسبابها وهو على كل شيء وكيل
متولي التصرف فيه كيفما يشاء له مقاليد السموات والأرض لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف
فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد
لأن الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد أو مقلاد من قلدته
إذا ألزمته وقيل جمع إقليد معرب إكليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل
النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال عليه الصلاة والسلام تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر
وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هو الأول والآخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا أن لله هذه الكلمات
يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها أصابه والذين كفروا
بآيات الله أولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى أن الله تعالى خالق لجميع الأشياء
متصرف فيها كيف يشاء بالإحياء والإماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين
كفروا بآياته التكوينية المنصوبة في الآفاق والأنفس والتنزيلية التي من جملتها تلك الآيات
الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسران وراءه هذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجي الله
وما بينهما اعتراض فتدبر قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون أي أبعد مشاهدة
هذه الآيات غير الله أعبد وتأمروني اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا استلم
بعض آلهتنا نؤمن بإلهك لفرط غباوتهم ويجوز أن ينتصب غير بما دل عليه تأمروني أعبد لأنه
بمعنى تعبدونني وتقولون لي أعبد على أن أصله تأمرونني أن أعبد فحذف أن ورفع ما بعدها كما في
قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى • وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي • ويؤيده قراءة
أعبد بالنصب وقرئ تأمرونني بإظهار النونين على الأصل وبحذف الثانية ولقد أوحي إليك
وإلى الذين من قبلك أي من الرسل عليهم السلام لئن أشركت ليحبطن عملك كلام وارد على
طريقة الفرض لتهييج الرسل وإقناط الكفرة والإيذان بغاية شناعة الإشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى
عنه من لا يكاد يمكن أن يباشره فكيف بمن عداه وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الأولى
موطئة للقسم والأخريان للجواب وإطلاق الإحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم لأن شركهم
منهم أشد وأقبح وأن يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت

عليه

إذا ألزمته

ولتكونن من الخاسرين

وهو كافر ولذلك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه
ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب
الاختصاص ويقتضيه وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته تعالى في انفسهم حق عظمته
حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق بشؤونه الجليلة وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال
العظام التي تتحير فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه
على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل
والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر
او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان
المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال
والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى
من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء ونفخ في الصور يعني النفخة الاولى فصعق
من في السموات ومن في الارض اي خر ميتا او مغشيا عليهم الا من شاء الله قيل هم
جبرئيل وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى هي
النفخة الثانية واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون
وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين
او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له
النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك
اضيف الاسم الجليل الى الارض او بنور خلقه فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضيف
الى الاسم الجليل ووضع الكتاب للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف
الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف وجيء بالنبيين
والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق
وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت
اي جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم وقوله تعالى وسيق الذين كفروا
الى جهنم زمرا الى اخره تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها بالعنف والاهانة
افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة والزمر
جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه حتى اذا جاؤها فتحت
ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم خزنتها تقريعا
وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم وقرئ نذر منكم يتلون عليكم آيات ربكم و
ينذرونكم لقاء يومكم هذا اي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا
تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى قد اتونا وتلوا
ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى لابليس لاملان جهنم منك
وممن تبعك منهم اجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم
الا تكذبون قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل
لتهويل المقول فبئس مثوى المتكبرين اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا
اي فبئس مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار بان كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في ان تخليدهم

لحقت كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد تقدم تحقيقه في سورة
الم السجدة وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى
دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا متفاوتين حسب تفاوت
مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقرئ بالتشديد وجواب
اذا محذوف للايذان بان لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا تحيط به نطاق العبارات كان قيل
حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم من جميع المكاره والآلام طبتم
طهرتم من دنس المعاصي او طبتم نفسا بما اتيح لكم من النعيم فادخلوها خالدين كان ما كان
مما يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض
يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم
من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرث نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل واحد منا في اي
مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين
الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او للابتداء الحفوف
يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية وتقييد او
للمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان اقصى درجات العليين
واعلى لذاتهم هو الاستغراق في شؤونه عز وجل وقضي بينهم بالحق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة
او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي
على ما قضى بيننا بالحق وانزل كلا منا منزلته التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضي
بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الزمر لم يقطع الله تعالى رجاءه يوم القيمة واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي
الله عنها انه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر تمت سورة الزمر بعون الله

سورة المؤمن مكية اثنتان وثمانون آيات

حم بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بامالة الالف وباخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء
الساكنين او نصبها باضمار اقرأ ومنع الصرف للتانيث او للتعريف والتركيب وكونها على زنة
قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه وفي وقعه قوله تعالى تنزيل الكتاب كالذي سلف في الم السجدة
وقوله تعالى من الله العزيز العليم كما في مطلع سورة الزمر على الوجوه كلها ووجه التخصيص
لنعتي العزة والعلم ما ذكرناه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول
صفات اخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة
فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد
عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وصفا لانه لما جعل الزجاج
مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او
تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر
مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر
كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب

مغمورة بصفات الحمد دليل سبقها ورجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على طاعته في اوامره
ونواهيه اليه المصير فحسب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من المطيع والعاصي
ما يجادل في آيات الله اي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق الا الذين كفروا بها واما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا
عن الطعن فيها واما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية
وتوضيح مناهج الحق في مضايق الافهام ومزالق الاقدام وابطال شبه اهل الزيغ والضلال فمن اعظم
الطاعات ولذلك قال عليه السلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في
قوله تعالى فلا يغررك تقلبهم في البلاد لترتيب النهي او لوجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم
بالكفر الذي لا شيء ابغض منه عند الله تعالى ولا اجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد
يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم مأخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق
به قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم
بعد قوم نوح مثل عاد وثمود واضرابهم وهمت كل امة من تلك الامم العاتية برسولهم وقرئ برسولها
ليأخذوه ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما ارادوا من تعذيب او قتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا
بالباطل الذي لا اصل له ولا حقيقة له اصلا ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء فاخذتهم
بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة
للناظرين ولآخذن هؤلاء ايضا لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريمة كما ينبئ عنه قوله تعالى و
كذلك حقت كلمة ربك اي كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على اولئك الامم المكذبة
المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب ايضا على الذين كفروا اي كفروا بك وتحزبوا
عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام فان ذلك للاشعار بان وجوب
كلمة العذاب عليهم من احكام تربيته التي من جملتها نصرته عليه السلام وتعذيب اعدائه وذلك انما يتحقق
بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى انهم اصحاب النار في حيز النصب
بحذف لام التعليل اي لانهم مستحقو اشد العقوبات اشد استحقاق واحق استيجابا وقيل هو في محل الرفع
على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من اصحاب النار اي كما
وجب اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل
الكاف على التقديرين النصب انه نعت لمصدر محذوف الذين يحملون العرش ومن حوله وهم
اعلى طبقات الملائكة عليهم السلام واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم
وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع
على الابتداء خبره يسبحون بحمد ربهم والجملة استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببيان ان اشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين
ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم في الدارين اي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل
ملتبسين بحمده على نعمائه التي لا تتناهى ويؤمنون به ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى
بذكره رأسا لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف اهله والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين
حسبما ينطق به قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فان المشاركة في الايمان اهم
اقوى المناسبات واتمها وادعى الى النصح والشفقة وفي نظم استغفارهم لهم في سلك
وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به واشعار

بوقوعه

بوقوعه عند الله تعالى في موقع القبول روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش
وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق
الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض
السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وفي الحديث
ان الله امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل
خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام
وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف
قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف
صف قد وضعوا ايمانهم على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر ربنا على ارادة
القول اي يقولون ربنا على انه بيان لاستغفارهم او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما
اي وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في
عمومها وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا والفاء في قوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك اي للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة
والعلم وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد ربنا وادخلهم
عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة في الجؤار جنات عدن التي وعدتهم اي وعدتهم
اياها وقرئ جنة عدن ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم اي صلاحا مصححا
لدخول الجنة في الجملة وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اي وادخلها
معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم او على الثاني لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل
اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم بان يكونوا
اعلى درجة من ذرياتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول اين ابي اين ولدي اين زوجي
فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة وسبق الوعد
بالادخال والالحاق لا يستدعي حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه مبنى
قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول اولى لان الدعاء بالادخال فيه صريح و
في الثاني ضمني وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد انك انت العزيز اي الغالب الذي لا يمتنع عليه
الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التي من جملتها انجاز الوعد
وقهم السيئات اي العقوبات لان جزاء السيئة سيئة مثلها او جزاء السيئات على حذف المضاف
وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بالاتباع او المعاصي في الدنيا فقوله تعالى ومن تق السيئات يومئذ فقد
رحمته ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا لهم السبب بعدما سألوا
المسبب وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او الى الادخال او الوقاية او الى مجموعها وما فيه من معنى البعد
لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجته هو الفوز العظيم الذي لا مطمع وراءه لطامع ان
الذين كفروا شروع في بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعدما بين فيما سبق انهم اصحاب
النار ينادون اي من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التي وقعوا
فيما وقعوا باتباع هواها او مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي ابغضوها اشد البغض وانكروها انكر الانكار واظهروا ذلك
على رؤوس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم

انفسكم الامارة بالسوء او مقته اياكم في الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتأبون
قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة او مسارعة الى هواها او اقتداء باخلائكم
المضلين واستحبابا لا ان مقتكم انفسكم الامارة او من مقت بعضكم بعضا اليوم
فانه ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما في الظروف من الاتساع وقيل لمصدر اخر مقته
اي مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين في الاخرة
واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الان
اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد
بانفسهم اضرابهم مما لا داعي اليه قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين صفتان
لمصدري الفعلين المذكورين اي اماتتين واحيائين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما
ايضا بحذف الزوائد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء منبئان عن الموت والحياة
حتما كانه قيل امتنا فمتنا موتتين اثنتين واحييتنا فحيينا حياتين اثنتين على طريقة قول من قال
وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع • من المال الا مسحتا او مجلف • اي لم يدع فلم يبق الا مسحت
الى اخره قيل ارادوا بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء اجالهم
على ان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما في قولهم سبحان من صغر
البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحيائين الاحياء الاول والاحياء للبعث وقيل
ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا وبالثانية ما بعد حيوة القبر وبالاحيائين ما في القبر وما عند
البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حيوة الدنيا
فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع اثارها واحكامها
بل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا كما ينطق به قولهم فاعترفنا
بذنوبنا والتزام العمل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا كما ينطق يجب
ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به
حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذي ارادوه بقولهم فهل الى خروج من سبيل
مع نوع استبعاد له واستشعار يأس منه لا انهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب
في ان الذي كانوا ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس الا الاحياء بعد الموت
واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه في سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف به
يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها في الدنيا لتوقف حيوة القبر عليها
وكذا حال الموتة في القبر فان مقصودهم الاصلي هو الاعتراف بالاحيائين وانما ذكروا الاماتتين
لترتبهما عليهما ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا او تنكير سبيل للابهام اي من سبيل ما كيفما كان
وقوله تعالى ذلكم الى اخره جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم
السيئة اي ذلكم الذي انتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل بانه اي بسبب
ان الشان اذا دعي الله في الدنيا اي عبد وحده اي منفردا كفرتم اي بتوحيده وان
يشرك به تؤمنوا اي بالاشراك به وتسارعوا فيه وفي ايراد اذا وصيغة الماضي في الشرطية
الاولى وان وصيغة المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث
حالكم كذلك فالحكم لله الذي لا يحكم الا بالحق ولا يقضي الا بما تقتضيه الحكمة العلي الكبير
الذي ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب

لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للمشركين ولا نهاية لعقوبتهم كما لا نهاية لشناعتهم فلا سبيل لكم
الى الخروج ابدا هو الذي يريكم آياته الدالة على شؤونه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية
لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة وينزل بالتشديد
وقرئ بالتخفيف من الانزال لكم من السماء رزقا اي سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر
مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل
نعمه الموجبة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما
وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة وما يتذكر بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها
الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه في تضاعيفها من شواهد قدرته الكاملة ونعمته
الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والا
تعاظ فادعوا الله مخلصين له الدين اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر
بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون المخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به
ولو كره الكافرون ذلك وغاظهم اخلاصكم رفيع الدرجات نحو بديع السموات
على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره
بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال اي رفيع درجات ملائكته
اي معارجهم ومصاعدهم الى العرش ذو العرش اي مالكه وهما خبران اخران لقوله تعالى
هو اخبر بهما ايذانا بعلو شانه وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين
له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم
المحيط باكناف العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضي بكون علو شانه
وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية
كالاستواء على العرش وتمهيدا لما يعقبهما من قوله تعالى يلقي الروح من امره فانه خبر اخر
لما ذكر مبني عن انزال الرزق الروحاني الذي هو الوحي بعد بيان انزال الرزق الجسماني الذي
هو المطر اي ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره
بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا اي مبتدئا من
امره او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الروح الكائن من امره
او متعلق بيلقي ومن للسببية كالباء مثلها في قوله مما خطيئاتهم اي يلقي الروح بسبب امره على من
يشاء من عباده وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر اي الله تعالى
او الملقى اليه او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول عليه السلام او الروح لانها تؤنث
يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثاني اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيمة لانه
يتلاقى فيه الارواح والاجسام واهل السموات والارض او هو المفعول الثاني اتساعا او
اصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول
ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق اي خارجون من قبورهم او ظاهرون
لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب
انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم
غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء استئناف لبيان بروزهم وتقرير له
ازاحة لما كان يتوهمونه في الدنيا من الاستتار توهما باطلا او خبر ثان وقيل

حال من ضمير بارزون اي لا يخفى عليه تعالى شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية السابقة او مستأنف يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقع السؤال والجواب لما روي انه يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد في ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها او لما ينطق لسان الحال من تقطع اسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية اليوم تجزى كل نفس بما كسبت الى آخره اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء بالحق او حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب اي تجزى كل نفس من النفوس البارة والفاجرة بما كسبت من خير او شر لا ظلم اليوم بنقص ثواب وزيادة عذاب ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه تعالى اذ لا يشغله تعالى شان عن شان فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه تعالى اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله اليوم تجزى الى آخره فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاقي ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيئه فيكون تعليلا للانذار وانذرهم يوم الآزفة اي القيمة سميت بها لازوفها اي قربها غير ان فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الآزفة وهي مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله كلا اذا بلغت التراقي اذ القلوب لدى الحناجر بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الظرف وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال مقدرة اي انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم ما للظالمين من حميم اي قريب مشفق ولا شفيع يطاع اي لا شفيع يشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها مصدر كالعافية وما تخفي الصدور من الضمائر والاسرار والجملة خبر آخر مثل يلقي الروح للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حق وعدل والذين يدعون من دونه تعالى لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال في حقه يقضي ولا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اي مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جيء بضمير الفصل وحقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ اشد منكم بالكاف كما في كعاد وثمود وآثارا في الارض مثل القلاع الحصينة والمدائن المشيدة يج

وقيل

وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم اخذا وبيلا وما كان لهم من الله من واق يقيهم عذاب الله ذلك اي ما ذكر من الاخذ بانهم بسبب انهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات اي المعجزات او الاحكام الظاهرة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه عند عقابه بعقاب ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي معجزاته وسلطان مبين اي حجة قاهرة وهي اما عين الآيات والعطف لتغاير العنوانين واما بعض مشاهيرها كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانافتها كافراد جبريل وميكائيل مع دخولهما في الملائكة عليهم السلام الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب اي فيما اظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين فلما جاءهم بالحق من عندنا وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث عليه السلام واحس بانه قد وقع ما وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يديه وما كيد الكافرين الا في ضلال اي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمرة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كان ملأه اذا هم بقتله عليه السلام كفوه بقولهم ليس هذا بالذي تخافه فانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس شبهة واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف والظاهر من دأب اللعين انه كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها على قومه وايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه الا ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله وليدع ربه تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه اخوف ما يخاف اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم اي يغير ما انتم عليه من الدين الذي هو عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرئ بالواو الجامعة وقرئ يظهر بتشديد الهاء والظاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون وقال موسى اي لقومه حين سمع بما يقوله اللعين من حديث قتله عليه السلام اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر عليه السلام كلامه بان تأكيدا له واظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لانهما الذي يستدعيه واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته في العياذ به تعالى والتوكل عليه فان في تظاهر النفوس تأثيرا في استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجرأة على الله تعالى وقرئ عت بالادغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان

اسرائيليا او غريبا موحدا يكتم ايمانه اي من فرعون وملائه اتقتلون رجلا اتقصدون قتله
ان يقول لان يقول او كراهة ان يقول ربي الله اي وحده من غير روية وتامل في امره وقد جاءكم
بالبينات والحال انه جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها وعهدتموها من ربكم اضافه
اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدلالا لهم عن رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من
باب الاحتياط فقال فان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى
قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي ان لم يصبكم كله فلا اقل من اصابة بعضه
لا سيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك
قدم من شقي الترديد كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كانه خوفهم
بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد • تراك امكنة اذا لم ارضها •
او يرتبط بعض النفوس حمامها • مردود لانه اراد به بعض نفسه ان الله لا يهدي من هو
مسرف كذاب احتجاج آخر ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى البينات
ولما ايده بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد
المعنى الثاني وصرحا كونه على المعنى الاول لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله
سبيل الصواب ومنهاج النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين على بني اسرائيل في الارض
اي ارض مصر لا يقاومكم احد في هذا الوقت فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا اي فلا تفسدوا
امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما نسب ما يخرجهم من الملك
والظهور في الارض اليهم خاصة ونظم نفسه في سلككم فيما يسوءهم من مجيء باس الله تعالى تطييبا لقلوبهم
وايذانا بانه متناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم شفقة في حق نفسه ليتاثروا بنصحه
قال فرعون بعدما سمع نصحه ما اريكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما
اهديكم بهذا الراي الا سبيل الرشاد اي الصواب اي لا اعلمكم ولا استر عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب
حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد
الشين لمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع
او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى الفعل وقال الذي آمن مخاطبا لقومه يا قوم اني
اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم يعني وقائعهم وجمع الاحزاب
مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل داب قوم نوح وعاد وثمود اي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر و
ايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا
يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لان المنفي عنه
ارادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولوية ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد خوفهم بالعذاب الآخرة
بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيامة لانه ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او
يتصارخون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في سورة الاعراف وقرئ بتشديد
الدال وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير
النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبينما هم يموج بعضهم الى بعض
اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد اي منصرفين عن الموقف
الى النار او فارين منها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه وهو حال اخرى من
ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق النجاة ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب

يعقوب عليهم السلام على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد وقيل
سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة
فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من
بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسولا
مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك اي مثل
ذلك الاضلال يضل الله من هو مسرف في عصيانه مرتاب في دينه شاك فيما تشهد به
البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول
الاول وصفة باعتبار معناه كانه قيل كل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق
بيجادلون اي بغير حجة صالحة للتمسك بها في النبوات اتاهم صفة سلطان كبر مقتا عند
الله وعند الذين آمنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود الى من وتذكيره
باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفادة من يجادلون كذلك اي مثل ذلك الطبع يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين
قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اي بناء مكشوفا
عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات اي الطرق بيان لها وفي ابهامها
ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى بالنصب على جواب
الترجي وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال ليرصد منه احوال الكواكب
التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان
يرى فساد قوله عليه السلام بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك
لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذلك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه
واني لاظنه كاذبا فيما يدعيه من الرسالة وكذلك اي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط زين لفرعون
سوء عمله فانهمك فيه انهماكا لا يرعوي عنه بحال وصد عن السبيل اي سبيل الرشاد والفاعل
في الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون
صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى وما كيد فرعون
الا في تباب اي خسار وهلاك او على انه من صد صدودا اي اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال
اليه وقرئ وصد على انه عطف على سوء عمله وقرئ وصدوا اي هو وقومه وقال الذي آمن اي مؤمن آل
فرعون وقيل موسى عليه السلام يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد اي سبيلا
يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال يا قوم انما هذه
الحيوة الدنيا متاع اي تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان
الاخلاد اليها اس كل شر ومنه يتشعب فنون ما يؤدي الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الآخرة فقال
وان الآخرة هي دار القرار لخلودها ودوام ما فيها من عمل في الدنيا سيئة فلا يجزى في الآخرة
الا مثلها عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر
او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة الذين عملوا ذلك يدخلون الجنة يرزقون فيها
بغير حساب اي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة تفضلا من الله عز وجل ورحمة
وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة بانه لا عبرة بالعمل بدونه وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم
الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة
في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح به الاستفهام دعوتهم الى النار لا دعوته اياهم

الى النجاة كانه قيل اخبرونى كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعوننى الى الشر وقد جعله بعضهم
من قبيل ما لى اراك حزينا اى ما لك تكون حزينا وقوله تعالى تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان
فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لى به بشركته له تعالى فى
العبودية وقيل بربوبيته علم والمراد نفى المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان
موجب للعلم بها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة
والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران
لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى انما تدعونني اليه ليس له
دعوة فى الدنيا ولا فى الاخرة اى حق ووجب عدم دعوة الهتكم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة
مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء
اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو
القطع كما ان بد من لا بد فعل من التبديد اى التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية الاصنام
اى لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل بالجيم وسكون الراء وفعل
وفعل اخوان كرشد ورشد وان مردنا الى الله اى بالموت عطف على ان ما تدعونني اليه داخل فى
حكمه وكذا قوله تعالى وان المسرفين اى فى الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم
اصحاب النار اى ملازموها فستذكرون وقرئ فسيذكرون اى فسيذكر
بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصائح وافوض امرى
الى الله قاله لما انهم كانوا توعدوه ان الله بصير بالعباد فيحرس من يلوذ به من المكاره
فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم
قيل نجا مع موسى عليه السلام وحاق بآل فرعون اى بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء
بذكرهم من ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه كما انه فر الى جبل
فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب
الغرق والقتل والنار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة مسوقة لبيان
كيفية سوء العذاب او النار خبر مبتدأ محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار
ويعرضون استئناف للبيان او بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها او من الآل ولا ينبغى
فى الحيوة ان يكون الحائق بهم ذلك السوء بعينه حتى يرد ان الفرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون
ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفى فى ذلك ان يكون مما يطلق عليه السوء وقرئت
منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار
باحراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود
ان ارواحهم فى اجواف طيور سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين اما
للتخصيص واما فيما بينهما فالله تعالى اعلم بحالهم واما للتابيد هذا ما دامت الدنيا ويوم تقوم
الساعة يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اى عذاب جهنم فانه اشد
مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول
اى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون فى النار اى واذكر لقومك وقت
تخاصمهم فيها فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا وهم رؤساؤهم انا كنا
لكم تبعا اتباعا كخدم فى جمع خادم او ذوى تبع اى اتباع على اضمار المضاف او تبعا على
الوصف بالمصدر مبالغة فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او بالحمل ونصيبا

منصوب

منصوب بمضمر يدل عليه مغنون اى دافعون عنا نصيبا الى آخره او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اى مغنون
عنا حاملين نصيبا الى آخره او منصوب على المصدرية كشيئا فى قوله تعالى لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا فانه فى موقع غنا فكذلك نصيبا قال الذين استكبروا انا كل فيها اى نحن وانتم فكيف
نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لان اسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن
المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى
الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب ان الله قد حكم بين
العباد وقضى قضاء متقنا لا مرد له ولا معقب لحكمه وقال الذين فى النار من الضعفاء والمستكبرين
جميعا لما ضاقت حيلتهم وعيت بهم عللهم لخزنة جهنم اى للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم
فى موضع الضمير للتهويل والتفظيع او لبيان محلهم فيها بان تكون جهنم ابعد دركات النار وفيها
اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملائكة الموكلين بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اى مقدار يوم او فى يوم ما من الايام على انه ظرف لا معيار شيئا من العذاب
واقتصارهم فى الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب فى مقدار قصير من الزمان دون
رفعه راسا او تخفيف قدر كثير منه فى زمان مديد لان ذلك عندهم ما ليس فى حيز الامكان ولا يكاد
يخطر ببالهم قالوا اى الخزنة اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات اى الم تنبهوا على هذا ولم
تك تأتيكم رسلكم بالبينات فى الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من
الكفر والمعاصى كما فى قوله تعالى الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة اوقات الدعاء وتعطيل اسباب الاجابة قالوا
بلى اى اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ
ان انتم الا فى ضلال كبير والفاء فى قوله تعالى قالوا فادعوا فصيحة كما فى قوله من قال فقد جئنا
خراسانا اى اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وفيه
تعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه مع ان سببه من قبلهم كما يفصح عنه الفاء ايهام
ان الاذن فى حيز الامكان وانهم لو اذن لهم فيه لفعلوه ولم يريدوا بامرهم بالدعاء اطماعهم فى الاجابة
بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به فى قولهم وما دعاء الكافرين الا فى ضلال
اى ضياع وبطلان وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا الى آخره كلام مستأنف مسوق
من جهته تعالى لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكى من فروع حكم كلى تقتضيه الحكمة وهو
ان شأننا المستمر انا ننصر رسلنا واتباعهم فى الحيوة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم
من الكفرة بالاستيصال والقتل والسبى وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح فى ذلك ما قد يتفق لهم
من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هى بالعواقب وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد اى يوم
القيمة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند جمع الاولين والآخرين بشهادة الرسل بالتبليغ
وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة
وقرئ لا تنفع بالتاء ولهم اللعنة اى البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار اى جهنم ولقد آتينا موسى
الهدى ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بنى اسرائيل الكتاب وتركنا
عليهم من بعده التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا وتذكرة لاولى الالباب لذوى العقول
السليمة العاملين بما فى تضاعيفه فاصبر على ما نالك من اذية المشركين ان وعد الله اى وعده
الذى ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم

لهم الغالبون او وعده الخاص بك او جميع مواعيده التي من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف فاصبر
واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك تداركا لما فرط منك من ترك الاولى في بعض
الاحايين فانه تعالى كافيك في نصرة دينك واظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي و
الابكار اي ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين
بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشي والابكار وقيل هما صلاة العصر وصلاة الفجر ان
الذين يجادلون في ايات الله ويجحدون بها بغير سلطان اتاهم في ذلك من جهته تعالى
وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان التكلم في امر الدين لا بد من استناده الى سلطان
مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكة وقوله تعالى ان في صدورهم
الا كبر خبر لان اي ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او الا ارادة الرياسة
والتقدم على الاطلاق او الا ارادة ان يكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا ان
فيها موقع جدال ما او ان لهم شيئا يتوهم ان يصلح مدارا لمجادلتهم في الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه
صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة او النبوة وقيل المجادلون
هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور في التورية بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال
يخرج في اخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو اية من ايات الله تعالى فيرجع
الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله اي فالتجئ اليه من
كيد من يحسدك ويبغي عليك وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين انه هو السميع البصير لاقوالكم
وافعالكم وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون
فيه من البعث على منهاج قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقصورهم في النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم وما
يستوي الاعمى والبصير اي الغافل والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء فلا بد
ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في
المسيء لتأكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة
والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او
الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات اي تذكرا
قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس او للكفار ان الساعة لآتية لا ريب فيها اي في
مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
لا يصدقون بها لقصور انظارهم على ظواهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اي اعبدوني استجب لكم
اي اثبكم لقوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
اي صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار
للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على صيغة المبني للمفعول من
الادخال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات
وهدوء الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد تقدم سره مرارا والنهار مبصرا
اي مبصرا فيه او به ان الله لذو فضل عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن اكثر
الناس لا يشكرون لجهلهم بالنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم

ذلكم المتفرد بالانعام المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو
اخبار مترادفة تخصص السابقة منها اللاحقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص
فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه
تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون
اي مثل ذلك الافك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح اصلا يؤفك كل من جحد بايات الله تعالى اي اية كانت
لا افكا اخر له وجه ومصحح في الجملة الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء بيان لفضله
المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم
بيان لفضله المتعلق بانفسهم والفاء في فاحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير اي صوركم احسن
تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة
الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اي اللذائذ ذلكم اي الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة
الله ربكم خبران لذلكم فتبارك الله اي تعالى بذاته رب العالمين اي مالكهم ومربيهم والكل تحت
ملكوته مفتقر اليه في ذاته ووجوده وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه انا لانعدم بالكلية
هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وافعاله فادعوه
فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك الجلي والخفي
الحمد لله رب العالمين اي قائلين ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل
على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات
من ربي من الحجج والايات او من الايات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها فان الايات التنزيلية
مفسرات للايات التكوينية الافاقية والانفسية وامرت ان اسلم لرب العالمين اي ان انقاد له واخلص
له ديني هو الذي خلقكم من تراب اي في ضمن خلق آدم عليه السلام منه حسبما مر تحقيقه مرارا
ثم من نطفة اي خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا
اي اطفالا والافراد لارادة الجنس او لارادة كل واحد من افراده ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة
على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة
والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله
طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد وقبله ايضا ولتبلغوا متعلق
بفعل مقدر بعده اي ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون
ولكي تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبر هو الذي يحيي الاموات ويميت الاحياء والذي يفعل
الاحياء والاماتة فاذا قضى امرا اي اراد امرا من الامور فانما يقول له كن فيكون من غير توقف
على شيء من الاشياء اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير
لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك امر ومأمور والفاء الاولى للدلالة على
ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه الم تر الى الذين يجادلون
في ايات الله انى يصرفون تعجيب من احوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان
تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى
ان الذين يجادلون في ايات الله الى اخره بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود
هو الامنية الفارغة فلا تكرير فيه اي انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين في اياته تعالى الواضحة
الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي الى الاقبال عليها

وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب اى بكل القرآن او بجنس الكتب
السماوية فان تكذيبه تكذيب لها فى محل الجر على انه بدل من الموصول الاول او فى حيز النصب او الرفع على الذم
وانما وصل الموصول الثانى بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة فى بعض المواد لا فى الكل
وصيغة الماضى للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع فى الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها
وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او مطلق الوحى والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال
والتكذيب عندما يشاهدون عقوباتها اذ الاغلال فى اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ
الماضى لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال والجار فى نية التاخير وقيل مبتدأ خبره محذوف لدلالة الاول عليه وقيل خبره يسحبون
والعائد محذوف اى يسحبون بها وهو على الاول حال من المستكن فى الظرف وقيل
استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كانه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون فى الحميم وقرئ
والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا
على المعنى لان قوله تعالى الاغلال فى اعناقهم فى معنى اعناقهم فى الاغلال اى مضمار الباء ويدل عليه القراءة به ثم فى
النار يسجرون اى يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه يسجر بالحب اى ملئ والمراد
بيان انهم يعذبون بانواع العذاب وينقلون من باب الى باب ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون
الله قالوا ضلوا عنا اى يقال لهم ويقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك
قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اى بل تبين لنا انا لم
نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك اى مثل ذلك
الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون الى شئ ينفعهم فى الآخرة او كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم
عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون فى الارض اى تبطرون وتتكبرون
بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون فى البطر والاشر والمبالغة فى التوبيخ
ادخلوا ابواب جهنم اى ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرا خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين
اى عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود فاصبر اى الى ان يلاقوا ما اعد لهم
من العذاب ان وعد الله بتعذيبهم حق كائن لا محالة فاما نرينك اى فان نرك وما مزيدة
لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها بعض الذى نعدهم وهو القتل والاسر
او نتوفينك قبل ذلك فالينا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك
محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم فى حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم فى الآخرة
اشد العذاب واغلظه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع فى هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا و
المذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة آلاف من بنى اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس وما كان لرسول
اى ما صح وما استقام لرسول منهم ان يأتى بآية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا
من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار فى ايثار
بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب فى الدنيا والآخرة قضى بالحق بانجاء المحق
واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اى وقت مجئ امر الله اسم مكان استعير للزمان المبطلون
اى المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا اوليا الله الذى جعل لكم الانعام
قيل هى الابل خاصة اى خلقها لاجلكم ولمصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا منها ومنها تأكلون تفصيل
لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها اى تعلقهما بها وقيل للتبعيض اى لتركبوا
بعضها وتأكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به
الآخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم فى الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار
باصالة الركوب ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها

حاجة فى صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها
بالهودج وهو السر فى فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك فى الحمل لما بينهما من المناسبة التامة
حتى سميت سفاين البر وقيل هى الازواج الثمانية فمعنى الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على
ان كلا منها يجوز تعلقه بكل منها ولا على ان كلا منها يختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه
بما تعلق به الآخر بل على ان بعضها يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل
والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال
قدرته ووفور رحمته فاى آيات الله اى فاى آية من تلك الآيات الباهرة تنكرون فان كلا
منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل فى الجملة وهو ناصب لاى
واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اى هو الشائع المستفيض
والتانيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب
وهى فى اى اغرب لابهامه افلم يسيروا فى الارض اى أقعدوا فلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم من الامم المهلكة وقوله تعالى كانوا اكثر منهم واشد قوة الى آخره استيناف مسوق لبيان
مبادى احوالهم وعواقبها وآثارا فى الارض باقية بعدهم من الابنية والقصور والمصانع وقيل
هى آثار اقدامهم فى الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او
استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اى لم يغن عنهم او اى شئ اغنى عنهم
مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم
اى اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم
بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو علم الانبياء الذى اظهره رسلهم على معنى
ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادى جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم
المؤدى الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم
فلما رأوا باسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا
بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا اى عند رؤيتهم عذابنا
لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لبيان عاقبة
كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم ان ذلك يغنى عنهم فلم يترتب عليه الا عدم
الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما فى قولك شتمنى
عطيته فلم يسقط والثانية تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر فى مثل
هذه الفاء ومبناها على ان التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب و
جعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الى آخره هو انهم كفروا
فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما رأوا باسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كانه
قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختيارى سنة الله التى قد خلت فى عباده اى سن الله
تعالى ذلك سنة ماضية فى العباد وهى من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اى وقت
رؤيتهم الباس اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة فصلت خمسون واثنتان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدا محذوف وهو الاظهر لما مر مرارا او مبتدا خبره تنزيل وهو على الاول خبر بعد خبر وخبر مبتدا محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر آخر او تنزيل مبتدا لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجوه الاول بدل منه او خبر آخر او خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فصلت آياته ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة من احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت اى فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولا قرآنا عربيا نصب على المدح او الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة او من آيات لقوم يعلمون اى معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم المنتفعون به واللام متعلق بمحذوف هو صفة اخرى لقرآنا اى كائنا لقوم الخ او بتنزيل على ان من الرحمن الرحيم ليست بصفة له او بفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرآنا اى بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية او حالان من كتاب او من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب او الخبرية لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون سماع تفكر وتامل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا اى للرسول صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما في القرآن قلوبنا في اكنة اى اغطية متكاثفة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر اى صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدا من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله ومج اسماعهم له كان بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه السلام فاعمل اى على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون اى على ديننا وقيل في ابطال امرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد تلقين للجواب عنه اى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبئ عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر مثلكم مامور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم فان الخطاب في الحكم محكي منتظم للكل لا انه خطاب منه عليه السلام للكفرة كما في مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بما اوحي الي انا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي فتامل والفاء في قوله فاستقيموا اليه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه بالتوحيد والاخلاص في الاعمال واستغفروه مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى وويل للمشركين ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكوة لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكوة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل وهم بالآخرة هم كافرون وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد والكفر مستمر ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر لا يؤتون الزكوة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك الا بالتوحيد وهو ماخوذ من قوله ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون

وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اى لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتاكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في انكار التاكيد واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التاكيد وانما علق كفرهم بالموصول حيث قال بالذي خلق الارض في يومين لتفخيم شانه تعالى واستعظام كفرهم به اى العظيم الشان الذي قدر وجودها اى حكم بانها ستوجد في مقدار يومين او في نوبتين على ان ما يوجد في كل نوبة يوجد باسرع ما يكون فان اليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيراتها وترتيب حركاتها وتجعلون له اندادا عطف على تكفرون داخل في حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد او باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد اى وتجعلون له اندادا والحال انه لا يمكن ان يكون له ند واحد ذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع القرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من ان المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدا خبره ما بعده اى ذلك العظيم الشان الذي فعلتم ما ذكر رب العالمين اى خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف يتصور ان احسن مخلوقاته نعالى ... وقوله تعالى وجعل فيها رواسي عطف على خلق داخل في حكم الصلة والجمل ابداعي وصدرت لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بان الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهي بمنزلة الاعادة والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التاكيد فالفصل بهما كلا فصل على ان فيه فائدة التنبيه على ان مجرد المعطوف عليه كاف في تحقق ترتيب المعطوفات واستحالة ان يحصل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وهو قبيل عطف على مقدر اى خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستانف وايا ما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى من فوقها متعلق بجعل او بمضمر هو صفة لرواسي اى كائنة من فوقها مرتفعة عليها ليكون منافعها معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار وبارك فيها اى قدرا ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوان التي من جملتها الانسان واصناف النبات التي منها ما يشهم وقدر فيها اقواتها اى حكم بالفعل بان يوجد فيما سياتي لاهلها من الانواع المختلفة اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها اى قدر حصولها في يومين واتاها في اربعة ايام اى تتمة اربعة ايام تقريبا كما تقدم سواء مصدر مؤكد لمضمر هو صفة للايام اى استوت سواء اى استواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر فالي هو حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع اى هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اى قدر فيها اقواتها لاجل السائلين الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى ثم استوى الى السماء شروع في بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض واهلها لما ان بيان اعتنائه تعالى بامر المخاطبين وترتيب مبادي معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان اى ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوي على غيره وهي دخان اى امر ظلماني ولعله اريد بها مادتها او عن الاجزاء المتصاغرة التي ركبت هي منها او دخان مرتفع من الماء وانما خص الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى فقال لها وللارض اكتفاء بما ذكر من تقديرها وتقدير ما فيها كانه قيل فقال لها وللارض التي قدر وجودها ووجود ما فيها

ائتيا أي كونا واحدثا على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق إرادته تعالى
بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون هناك آمر ومأمور كما في قوله تعالى كن
وقوله تعالى **طوعا أو كرها** تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا إثبات
الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال أي طائعتين أو كارهتين وقوله تعالى **قالتا أتينا
طائعين** أي منقادين تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما أمرتا وتصوير
لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فإن الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم
لخلافه وإنما قيل طائعين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى
فقضاهن سبع سموات تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالأمر وجوابه لا أنه
فعل مترتب على تكوينها أي خلقهن خلقا إبداعيا وأتقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير إما للسماء
على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الأول وتمييز على الثاني **في يومين** في وقت مقدر
بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الأرض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل في ستة
أيام حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل **وأوحى في كل سماء أمرها** عطف على قضاهن أي خلق في كل منها
ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى كما قاله قتادة والسدي فالوحي عبارة
عن التكوين كالأمر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت أو أوحى إلى أهل كل منها أوامره وكلفهم ما يليق
بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وأيا ما كان فعلى ما تقرر من التفصيل لا دلالة في الآية
على الترتيب بين إيجاد الأرض وإيجاد السماء وإنما الترتيب بين التقدير والإيجاد وأما على تقدير كون الخلق وما
عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم
ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق
السماء وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير وقد روي أن العرش العظيم كان قبل خلق السموات
والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث في الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقي على وجه
الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه
السموات وروي أن الله تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها
يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام
في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وقيل إن خلق جرم الأرض مقدم على خلق السموات
لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن رحمه الله
من أن الله تعالى خلق الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق
منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما
الآية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الأمر بالإتيان إنشاءها وإحداثها بل إنشاء دحوها وجعلها
على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه ائتي يا أرض
مدحوة قرارا ومهادا لأهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الإتيان الحصول على ذلك الوجه كما ينبئ
عنه قراءة آتيا وآتينا من المؤاتاة وهي الموافقة وأنت خبير بأن المذكور قبل الأمر بالإتيان ليس مجرد خلق
جرم الأرض حتى يتأتى ذلك بل خلق ما فيها أيضا من الأمور المتأخرة عن دحوها قطعا فالأظهر
أن يسلك مسلك الأولين ويحمل الأمر بالإتيان على تكوينهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته
أن وجودهما مترتبا على ذلك التكوين وإنما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في أن تكوين
السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكونها على الوجه المذكور وقبل ذلك

وأن يجعل الأرض في قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك إشارة
إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى نفسها ويحمل البعدية إما على التفاوت من
الأول في الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل وإما على أنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض
أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصيلها أكمل وليس ما روي عن الحسن رضي الله عنه
نصا في تأخير دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف على إصعاد الدخان وخلق السماء بالواو
فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الإمام الواحدي عن مقاتل رحمه الله أن خلق السماء مقدم على
إيجاد الأرض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الأمر على إتيانهما حينئذ أيضا على ما ذكر من التوافق
والمؤاتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الأرض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الأرض على
خلق السماء كله على تقدير كلمة ثم للتراخي الزماني وأما على تقدير كونها للتراخي الرتبي كما جنح إليه الأكثرون
فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الأول وعلى ذلك بني الكلام في تفسير قوله تعالى هو الذي
خلق لكم ما في الأرض جميعا الآية وإنما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام
الامتنان حقه **وزينا السماء الدنيا بمصابيح** من الكواكب فإنها كلها ترى متلألئة عليها كأنها فيها
والالتفات إلى نون العظمة لإبراز العناية بالأمر وقوله تعالى **وحفظا** مصدر مؤكد لفعل معطوف
على زينا أي وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قيل و
خلقنا المصابيح زينة وحفظا **ذلك** الذي ذكر بتفاصيله **تقدير العزيز العليم** البالغ في القدرة
والعلم **فإن أعرضوا** متصل بقوله تعالى قل أئنكم إلى آخره فإن أعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم
الأمور الداعية إلى الإيمان أو عن الإيمان بعد هذا البيان **فقل** لهم **أنذرتكم** أي أنذركم وصيغة
الماضي للدلالة على تحقق الإنذار المنبئ عن تحقق المنذر به **صاعقة** أي عذابا هائلا شديد الوقع كأنه صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق أو الصعق يقال
صعقته الصاعقة صعقا وهو من باب فعلته ففعل **إذ جاءتهم الرسل** حال من صاعقة عاد وثمود ولا جاز
جعله ظرفا لأنذرتكم أو صفة لصاعقة لفساد المعنى وأما جعله صفة لصاعقة عاد أي الكائنة إذ جاءتهم
ففيه حذف الموصول مع بعض صلته **من بين أيديهم ومن خلفهم** متعلق بجاءتهم أي من جميع جوانبهم و
اجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمان الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير
عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون
على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم إلى الحق منزلة مجيء أنفسهم فإن هودا أو صالحا كانا داعيين لهم إلى الإيمان
بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم أي من بعدهم فكأن الرسل
قد جاءتهم وخاطبتهم بقوله تعالى **ألا تعبدوا إلا الله** أي بأن لا تعبدوا على أن أن مصدرية أو أي لا تعبدوا
على أنها مفسرة **قالوا لو شاء ربنا** أي إرسال الرسل لا إنزال الملائكة كما قيل فإنه عار عن إفادة ما
أرادوه من نفي رسالة البشر وقد مر فيما سلف **لأنزل ملائكة** أي لأرسلهم لكن لما كان إرسالهم بطريق
الإنزال قيل لأنزل **فإنا بما أرسلتم به** أي على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم **كافرون** لما أنكم بشر مثلنا
من غير فضل لكم علينا روي أن أبا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا
رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر
والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فأتاه فقال يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد
المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت
رئيسنا وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال

حتى كأنما تستحيي ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه السلام بسم الله
الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه عليه السلام وناشده
بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه
وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبات بغية وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا
اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا في الارض شروع
في حكاية ما يخص كل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق اي
فتعظموا فيها على اهلها او استعلوا فيها واستولوا على اهلها بغير الحق اي بغير استحقاق للتعظيم و
الولاية وقالوا مدلين بشدتهم وقوتهم من اشد منا قوة حيث كانوا ذوي اجسام طوال
وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده اولم يروا اي أغفلوا
ولم ينظروا او لم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة
اي قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى
والقدرة على كل قوي وقادر وانما اورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم
الشدة في القوة وفيه ضرب من التهكم بهم وكانوا بآياتنا المنزلة على الرسل يجحدون اي ينكرونها
وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد
على كلمتهم الشنعاء فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو
البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او عاصفة تصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات
جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف او على انه نعت على فعل
او وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء
لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا وقرئ لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح او الى الايام
واضيف العذاب الى الخزي الذي هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما يعرب عنه قوله تعالى
ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الحقيقة وصف به المعذب للمبالغة وهم لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الآيات
التكوينية وارسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى
الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في
الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة
العذاب الهون داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او
ابدل منه بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله شروع في بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان عقوباتهم العاجلة
والتعبير عنهم باعداء الله لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من
الاولين والآخرين ويرده ما سيأتي من قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ نحشر
على بناء الفاعل ونصب اعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها الى النار اي الى موقف الحساب
اذ هناك يتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان
بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم لها منصوب باذكر
او ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايهاما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل
وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة

نجزي

عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالى حتى اذا ما جاؤها اي جميعا غاية ليحشر
او ليوزعون اي حتى اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم و
ابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بان ينطقها الله تعالى او يظهر عليها آثارها
اثر قولها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص
السؤال في قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا
واجلب للخزي والعقوبة مما يشهد به السمع والابصار من الجنايات المكتسبة بتوسطها وقيل المراد
بالجلود الجوارح اي سألوها سؤال توبيخ لما روي انهم قالوا لها فعنكن كنا نناضل وفي رواية بعدا
لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة جمع العقلاء في خطاب الجلود وفي قوله تعالى قالوا انطقنا الله
الذي انطق كل شيء لوقوعها في موضع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء اي انطقنا الله الذي انطق
كل شيء ناطق واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها
وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطرار في الاخبار
وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة
واليه ترجعون فان من قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب
من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع
ليس مجرد الرد الى الحيوة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب
على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا
لجواب الجلود اي ما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك
كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين البعث والجزاء رأسا ولكن ظننتم
ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من القبائح المخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم
وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ بانها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم
عن ابن مسعود رضي الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان
وثقفي فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن كان
على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب ان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري
مجراه من الاعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ليعم ما يحكى من الحال جميع اصناف
الكفرة فتدبر وذلكم اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من البعد للايذان بغاية بعد منزلته في السوء
وهو مبتدأ وقوله تعالى ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم
خبرا فاصبحتم بسبب ذلك الظن السوء الذي اهلككم من الخاسرين اذ صار ما منحوا لنيل سعادة
الدارين سببا لشقاء النشأتين فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي محل ثواء واقامة ابدية لهم بحيث لا براح
لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم او للاشعار
بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم في غيابة دركات النار وان يستعتبوا اي يسألوا العتبى وهو الرجوع
الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون
لفوات المكنة وقيضنا لهم اي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا قرناء جمع قرين اي اخدانا من الشياطين

يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعارضة فزينوا
لهم ما بين أيديهم من امور الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امور الآخرة حيث اروهم ان لا بعث
ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم القول اي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها
وهي قوله تعالى لابليس فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم
اجمعين كما مر آنفا في أمم حال من الضمير المجرور اي كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في
ان المراد باعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل قد خلت صفة
الامم اي مضت من قبلهم من الجن والانس على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم
العذاب والضمير للاولين والآخرين وقال الذين كفروا من رؤساء المشركين لاعقابهم او قال بعضهم لبعض
لا تسمعوا لهذا القرآن اي لا تنقادوا له والغوا فيه وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية
والمكاء او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى كلقى يلقى ولغا يلغو
ان احدى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا اي فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين
او جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا اوليا عذابا شديدا لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا
يعملون اي جزاء سيئات اعمالهم التي هي في انفسها اسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة الملهوفين
وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضي الله عنهما عذابا شديدا يوم بدر واسوأ
الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك مبتدأ وقوله تعالى جزاء اعداء الله خبره اي ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعدائه
تعالى النار عطف بيان للجزاء وذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا
عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله لهم فيها دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار
مبتدأ هي خبره اي لهم فيها دار اقامة على ان في للتجريد وهو ان ينتزع من امر ذي صفة امر آخر مثله مبالغة
لكماله فيها كما يقال في البيضة عشرون منا حديد وقيل هي على معناها والمراد لهم في النار المشتملة على الدركات
دارا مخصوصة هم فيها خالدون جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون منصوب بفعل مقدر اي يجزون جزاء او بالمصدر
السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية
بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اي بسبب ما كانوا يجحدون بالآيات الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه
سبب اللغو وقال الذين كفروا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس
يعنون فريقي شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل
هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير الحق وقرئ ارنا تخفيفا كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطنا اياهما
وقرئ باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا اي ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل
ليكونا من الاسفلين اي ذلا ومهانة او مكانا ان الذين قالوا ربنا الله شروع في بيان حسن احوال
المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما اي قالوا اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته
ثم استقاموا اي ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخي في الزمان او في الرتبة فان الاستقامة لها
الشأن كله وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل
واداء الفرائض بيان لجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية و
الدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء
السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلاثة
عند الموت وفي القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه ألا تخافوا ما تقدمون عليه
فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم فان الغم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار

وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وأن
اما مفسرة او مخففة من الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا على ان الهاء ضمير الشأن وقرئ لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا
على انه حال من الملائكة او استئناف وابشروا اي سروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على السنة
الرسل هذا من بشاراتهم في احد المواطن الثلاثة وقوله تعالى نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا الى آخره من
بشاراتهم في الدنيا اي اعوانكم في اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر
ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة عليهم السلام
وفي الآخرة نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والخصام
ولكم فيها اي في الآخرة ما تشتهي انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون افتعال من الدعاء
بمعنى الطلب اي تدعونه لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم في الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره في
الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي للايذان باستقلال كل منهما نزلا من
غفور رحيم حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظائم الاجور كالنزل للضيف
ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى توحيده تعالى وطاعته عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه
دعا الى الاسلام وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المؤذنين والحق ان حكمها عام لكل من جمع
ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين ابتهاجا بأنه
منهم او اتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان اي مذهبه لا انه تكلم بذلك وقرئ انى بنون واحدة ولا
تستوي الحسنة ولا السيئة جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن
الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة
اساءتهم بالاحسان اي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الآثار والاحكام ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي
وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن الى آخره استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اي ادفع السيئة حيث اعترضتك
من بعض اعاديك بالتي هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الى من اساء فانه احسن من العفو
واخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تعالى
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم بيان لنتيجة الدفع المأمور به اي فاذا فعلت ذلك صار عدوك
المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها اي ما يلقى هذه الخصلة والسجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا
الذين صبروا اي شأنهم الصبر وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل
نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك
من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه به وسوسة الشيطان لانها بعث على الشر وجعل نازغا
على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر اي وان صرفك الشيطان عما وصيت به
من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع باستعاذتك العليم
بنيتك وبصلاحك وفي جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه
ومن آياته الدالة على شؤونه العظيمة الليل والنهار والشمس والقمر كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره لا
تسجدوا للشمس ولا للقمر لانها مخلوقات مسخرة لاوامره مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير
للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث او لانها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية تعليقه
بخالقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها
بذاتها وهو السر في نظم الكل في سلك آياته تعالى ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد من
تخصيصه به سبحانه وتعالى وهو موضع السجود عند الشافعي وعندنا آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى

فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اى دائما وهم لا يسأمون
لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسامون بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة
مستعارة من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اى المطر اهتزت وربت اى تحركت بالنبات وانتفخت لان
النبت اذا دنا ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرئ
ربات اى ارتفعت ان الذى احياها بما ذكر بعد موتها لمحيى الموتى بالبعث انه على كل شئ من الاشياء التى
من جملتها الاحياء قدير مبالغ فى القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون فى آياتنا
بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى افمن يلقى
فى النار خير ام من يأتى آمنا يوم القيامة تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء فى
النار والاتيان آمنا وفيه تهديد شديد انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ان الذين
كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون الخ وخبر ان هو الخبر السابق وقيل مستأنف وخبرها
محذوف وقال الكسائى سد مسده الخبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى وانه لكتاب عزيز اى كثير المنافع عديم النظير
او منيع لا تتأتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه اى لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من
حكيم حميد خبر لمبتدأ محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما ان الصفتين السابقتين مفيدتان
لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه الى آخره اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح
وكل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى ما يقال لك الى آخره تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عما يصيبه من اذية الكفار اى ما يقال فى شأنك وشأن ما انزل اليك من القرآن من جهة كفار قومك الا ما
قد قيل للرسل من قبلك اى الا مثل ما قد قيل فى حقهم مما لا خير فيه ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم
لاعدائهم وقد مضى من قبلك من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وباعدائك ايضا ولو جعلناه
قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا انزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته اى بينت بلسان
نفقهه وقوله تعالى ءاعجمى وعربى انكار مقرر للتحضيض والاعجمى يقال للكلام الذى لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة فى الصفة
كاحمرى والمعنى أكلام اعجمى ورسول او مرسل اليه عربى على ان الافراد مع كون المرسل اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافى
والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا وقرئ اعجمى اى الكلام منسوب الى العجم
وقرئ اعجمى على الاخبار بان القرآن اعجمى والمتكلم او المخاطب عربى ويجوز ان يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها
اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب واياما كان فالمقصود بيان ان آيات الله تعالى على اى وجه
جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به قل هو للذين آمنوا هدى يهديهم الى الحق وشفاء لما فى الصدور
من شك وشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره فى آذانهم وقر على ان التقدير هو اى القرآن فى آذانهم وقر
على ان وقر خبر للضمير المقدر وفى آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو اوفق لقوله تعالى وهو عليهم
عمى وقيل خبر الموصول فى آذانهم ووقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر الموصول
وقيل التقدير والذين لا يؤمنون فى آذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين عطف الموصول على الموصول
الاول اى هو للاولين هدى وشفاء وللآخرين وقر فى آذانهم اولئك اشارة الى الموصول الثانى
باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وملاحظة ما اثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان ببعد منزلته فى الشر مع ما فيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد اى اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من
التصامم عن الحق الذى يسمعونه والتعامى عن الآيات الظاهرة التى يشاهدونها ينادون من مكان بعيد
تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات ولقد آتينا

موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستأنف مسوق لبيان ان الاختلاف فى شأن الكتب عادة قديمة للامم غير مختص
بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اى وبالله لقد آتيناه التوراة فاختلف فيها فمن مصدق لها
ومكذب وهكذا قال قومك فى شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك فى حق امتك
المكذبة وهى العدة بتأخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيامة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم
وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لقضى بينهم باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبى الامم السالفة وانهم
اى كفار قومك لفى شك منه اى من القرآن وجعل الضمير لليهود والثانى للتوراة مما لا وجه له مريب موقع فى الريبة من عمل صالحا بان
آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه اى فلنفسه يعمله او فنفعه لنفسه لا لغيره ومن اساء فعليها ضرره
وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مبنى على تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله او اثابة الغير بعمله وترك
التعذيب بعد اساءة او بلا اساءة منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر فى المقام من التحقيق
والتفصيل فى سورة الانفال اليه يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها قيل الله يعلم او لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرات
من اكمامها اى من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لاختلاف الانواع
وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال ان تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن
مبينة بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع اى حملها وقوله تعالى الا بعلمه استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى وما يحدث
شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشئ من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط ويوم يناديهم اين
شركائى اى بزعمكم كما نص عليه بقوله تعالى الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر او ظرف
لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا آذناك اى اخبرناك
ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة او تبرأنا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا وهو موحد لك او وما منا
من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء اى ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم آذناك
اما لان هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد
تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علم من نفوسهم فكانهم اعلموه او لان معناه الانشاء لا الاخبار بايذان قد كان قبل ذلك
وضل عنهم ما كانوا يدعون اى يعبدون من قبل اى غابوا عنهم او ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا اى ايقنوا
ما لهم من محيص اى مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى لا يسأم الانسان اى لا يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة والنعمة
واسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر اى العسر والضيقة فيؤس قنوط فيبالغ فيه من جهة
البنية ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر اثره فى الشخص فيتضاءل وينكسر اى مبالغ
فى قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما ان اليأس من رحمته تعالى
لا يتأتى الا من الكافر وسيصرح به ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لى
اى حقى استحقه لما لى من الفضل والعمل او لى لا لغيرى فلا يزول عنى ابدا وما اظن الساعة قائمة اى
للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وان نعم الآخرة كذلك فلننبئن
الذين كفروا بما عملوا اى لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرناها بصورها الحقيقية ثم حقيقتها فى
الصورة الاعلى عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفى قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم من سورة يونس ولنذيقنهم
من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه واذا انعمنا على الانسان اعرض اى عن الشكر ونأى بجانبه
اى ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما فى قوله تعالى فى جنب الله ويجوز ان يراد به
عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض
اى كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين
فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذى حكى عنه اليأس والقنوط او شأن

تقوم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى

من دعاء الخير وان مسه الشر

الكل في بعض الاوقات قل أرأيتم اى اخبرونى إن كان اى القران من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد
موجبات الايمان به من أضل ممن هو في شقاق بعيد اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا
لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا الدالة على حقيته وكونه من عند الله في الآفاق هو ما اخبرهم
النبى صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح
والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة وفي أنفسهم هو ما
ظهر بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما في الآفاق اى منازل الامم الخالية وآثارهم
وفي انفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدى في الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه وعلى المسلمين وفي
انفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق اى في اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها
من الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار وفي انفسهم من
لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات
الغريبة كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون ولعله بان معنى السين مع حتى يتبين لهم تلك الآيات توجدت
قبل ذلك انه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما حتى
يتبين لهم بذلك انه الحق اى القران او الاسلام او التوحيد أولم يكف بربك استئناف وارد لتوبيخهم على
ترددهم في شان القران وعنادهم المحوج الى ارادة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة للانكار
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الم تغن ولم يكف بربك والباء مزيدة للتاكيد ولا تكاد تزاد
الا مع كفى وقوله تعالى أنه على كل شيء شهيد الاشياء بدل منه اى الم يغنهم عن ارادة الآيات الموعودة
المبينة لحقية القران ولم يكفهم في ذلك انه تعالى شهيد على جميع الاشياء وقد اخبر بانه من عند الله وقيل معناه ان
هذا الموعود من اظهار آيات الله تعالى في الآفاق وفي انفسهم يرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك
ان القران تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شيء شهيد اى مطلع يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك
دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتامل واما
ما قيل من ان المعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق
سائر الاشياء الموعودة فمع اشعاره بما لا يليق بجلال منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقق
الموعود يرده قوله تعالى ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم اى في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء
وانه صريح في ان عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهي لغة فيها ألا إنه بكل شيء محيط
عالم بجميع الاشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية وهو مجازيهم على كفرهم
ومريتهم لا محالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية خمسون آيات

حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب حم
وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدا محذوف وقيل حم مبتدا وعسق خبره وعلى الثاني الكل خبر واحد
وقوله تعالى كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم كلام مستانف وارد لتحقيق
ان مضمون السورة موافق لما في تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة الى التوحيد
والارشاد الى الحق او ان ايحاءها مثل ايحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شانها والكاف
في حيز النصب على انه مفعول ليوحي على الاول وعلى انه نعت لمصدر مؤكد له على الثاني وذلك على الاول اشارة
الى ما فيها وعلى الثاني الى ايحائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل اى مثل

ما في هذه السورة من المعاني اوحى اليك في سائر السور والى من قبلك من الرسل في كتبهم على ان مناط المماثلة
ما اشير اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد او مثل ايحائها
اوحى اليك عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغاير له كما في قوله تعالى
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الآية على ان مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع
على حكاية الحال الماضية للايذان باستمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وفي جعل مضمون السورة وايحائها
مشبها به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تعالى بوصفى العزة والحكمة وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل
مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر
ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كانه قيل من يوحى فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له و
قوله تعالى له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه السابقة استئناف
مقرر لعزته وحكمته تكاد السماوات وقرئ بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء
الولد له كما في سورة مريم وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان تفعل مطاوع فعل وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن
بالتاء لتاكيد التانيث وهو نادر من فوقهن اى يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم
الآيات وادلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى
لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة حيث جرت في جهة التحت فلان تؤثر في جهة الفوق اولى وقيل الضمير للارض
فانها في معنى الارضين والملائكة يسبحون بحمد ربهم ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده و
يستغفرون لمن في الأرض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة
الى الطاعة واستدعاء تاخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو
فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوهم عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى
ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة ألا إن الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وله
حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه عما
نسب اليه وان ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته
ففيها رمز الى انه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا
من دونه أولياء شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها
وما أنت عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكل اليه امرهم وانما وظيفتك الانذار وكذلك أوحينا إليك
قرآنا عربيا ذلك اشارة الى مصدر اوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرآنا عربيا مفعول لاوحينا
اى ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل
اشارة الى معنى الآية المتقدمة من انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما انت نذير فالكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا
عربيا حال من المفعول به اى اوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين لتنذر أم القرى اى اهلها وهي مكة ومن
حولها من العرب وتنذر يوم الجمع اى يوم القيامة لانه يجمع فيه الخلائق قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم
الجمع وقيل يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل
ثانيهما بالباء وقد حذف هنا ثاني مفعولى الاول واول مفعولى الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ
لينذر بالياء على ان فاعله ضمير القرآن لا ريب فيه اعتراض مقرر لما قبله فريق في الجنة وفريق
في السعير اى بعد جمعهم في الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق و
الضمير للمجموع لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اى ومنهم يوم جمعهم متفرقين اى مساقين
للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم اى في الدنيا أمة واحدة قيل مهتدين

أو ضالين وهو تفصيل لما أجمله ابن عباس رضي الله عنهما في قوله على دين واحد لمعنى قوله تعالى ولكن يدخل من يشاء في رحمته أنه تعالى يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء أن يدخله فيه ولا ريب في أن مشيئته تعالى لكل من الإدخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل أمة واحدة بل جعلهم فريقين وإنما قيل والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير للإيذان بأن الإدخال في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته تعالى كما في الإدخال في الرحمة لا لما قيل من المبالغة في الوعيد وقيل لو شاء لجعلهم مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الإسلام كما في قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة لقسرهم على الإيمان ولكن شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بقوله تعالى من يشاء وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير وأنت خبير بأن فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك بإدخال بعضهم في رحمته إذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره بإخراج بعضهم من بينهم وإدخالهم في عذابه فالذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه أن يراد الاتحاد في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين الآية على أحد الوجهين بأن يراد بهم الذين هم في فترة إدريس أو في فترة نوح عليهما السلام المعنى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة متفقة على الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمته أي شأنه ذلك فيرسل إلى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر بعضهم بالإنذار فيصرفون اختيارهم إلى الحق فيوفقهم الله للإيمان والطاعة ويدخلهم في رحمته ولا يتأثر به الآخرون ويتمادون في غيهم فيبقون في الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون في الآخرة إلى السعير من غير ولي يلي أمرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب أم اتخذوا من دونه أولياء جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء أن يكون للظالمين ولي ولا نصير وأم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها إلى بيان ما بعدها والهمزة لإنكار الوقوع ونفيه على أبلغ وجه وآكده لا لإنكار الواقع واستقباحه كما قيل إذ المراد بيان أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الأولياء في شيء لأن ذلك فرع كون الأصنام أولياء وهو أظهر الممتنعات أي بل اتخذوا متجاوزين الله أولياء من الأصنام وغيرها هيهات وقوله تعالى فالله هو الولي جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد إبطال ولايتها اتخذوا أولياء إن أرادوا أولياء في الحقيقة فالله هو الولي لا ولي سواه وهو يحيي الموتى أي ومن شأنه ذلك وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بأن يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أي ما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أنتم وهم فحكمه راجع إلى الله وهو إثابة المحقين وعقاب المبطلين ذلكم الحاكم العظيم الشأن الله ربي مالكي عليه توكلت في مجامع أموري خاصة لا إلى غيره وإليه أنيب أرجع في كل ما يعن لي من معضلات الأمور لا إلى أحد سواه وحيث كان التوكل أمرا واحدا مستمرا والإنابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها أوثر في الأول صيغة الماضي وفي الثانية صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه إلى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح ولا مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه السلام فاطر السموات والأرض خبر آخر لذلكم أو خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على أنه بدل من الضمير أو وصف للاسم الجليل في قوله تعالى إلى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف من أنفسكم من جنسكم أزواجا نساء وتقديم الجار والمجرور

على

على المفعول الصريح قد مر سره غير مرة ومن الأنعام أي وجعل للأنعام من جنسها أزواجا أو خلق لكم من الأنعام أصنافا أو ذكورا وإناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذرو فيه أي فيما ذكر من التدبير فإن جعل الناس والأنعام أزواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء أي ليس مثله شيء في الشؤون التي من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فإنه إذا نفي عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى ثم سلكت هذه الطريقة في شأن من لا مثل له وقيل مثله صفته صفة وهو السميع البصير المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والأرض أي خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة إنه بكل شيء عليم مبالغ في الإحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي أن يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى وإيذان بأن ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما أن بيان نسبته إلى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على كونه دينا قديما أجمع عليه الرسل والخطاب لأمته عليه الصلاة والسلام أي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من أرباب الشرائع وأولي العزائم من مشاهير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرهم به أمرا مؤكدا وإنما خصصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة إليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شأن موسى عليه السلام وتفرد النصارى في حق عيسى عليه السلام وإلا فما من نبي إلا وهو مأمور بما أمروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الإسلام وما لا يختلف باختلاف الأمم وتبدل الأعصار من أصول الشرائع والأحكام كما ينبئ عنه التوصية فإنها معربة عن تأكيد الأمر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بإيحائه إليه عليه الصلاة والسلام إما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك أوحينا الآية أو ما يعمها وغيرهما مما وقع في سائر المواقع التي من جملتها قوله تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته إليه عليه السلام بالذي لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وللإيحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورة ولما في الإيحاء من التصريح برسالته عليه الصلاة والسلام القامع لإنكار الكفرة والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال الاعتناء بإيحائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عليه الصلاة والسلام للمسارعة إلى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب إليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على أنه تعالى شرعه لكم على لسانه عليه الصلاة والسلام أن أقيموا الدين أي دين الإسلام الذي هو توحيد الله تعالى وطاعته والإيمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد بإقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه والتشمير له ومحل أن أقيموا إما النصب على أنه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو الرفع على أنه جواب عن سؤال نشأ من إبهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو إقامة الدين وقيل محله الجر على أنه بدل من ضمير به وليس بذاك لما أنه مع إفضائه إلى خروجه عن حيز الإيحاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى ولا تتفرقوا فيه للأنبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهي إلى أممهم تمحل ظاهر مع أن الأظهر أنه متوجه إلى أمته عليه الصلاة والسلام وأنهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا أي لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الأصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الأمم باختلاف الأعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى كبر على المشركين شروع في بيان أحوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القويم أي عظم وشق عليهم ما تدعوهم إليه من التوحيد ورفض عبادة الأصنام واستبعدوه حيث قالوا أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وقوله تعالى الله يجتبي إليه من يشاء استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه إشعار بأن منهم من يجيب إلى الدعوة أي الله يجتلب إلى ما تدعوهم

من يشاء ان يجتلبه اليه وهو من صرف اختياره الى ما دعى اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى ويهدي اليه
من ينيب اى يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى وما تفرقوا شروع فى بيان احوال
اهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى احوال اهل الشرك قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود والنصارى
لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اى وما تفرقوا فى الدين الذى دعوا
اليه ولم يؤمنوا كما امن بعضهم الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيته بما شاهدوا فى رسول الله صلى الله
عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقية حسبما وجدوه فى كتابهم او العلم بمبعثه عليه الصلاة والسلام وهو
استثناء مفرغ من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اى وما تفرقوا فى حال من الاحوال او فى وقت من الا
وقات الا حال مجئ العلم او الا وقت مجئ العلم بغيا بينهم حمية وطلبا للرياسة ولولا كلمة سبقت من ربك
بتاخير العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيمة لقضى
بينهم لاوقع القضاء بينهم باستيصالهم لاستيجاب جنايتهم لذلك قطعا وقوله تعالى وان
الذين اورثوا الكتاب الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ
ورثوا وورثوا اى وان المشركين الذين اورثوا القرآن من بعدما اورث اهل الكتاب كتابهم لفى شك
منه مريب من القرآن مريب موقع فى القلق او فى الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغى والمكابرة
بعدما علموا بحقيقته كدأب اهل الكتاب هذا ولما ما قيل من ان ضمير تفرقوا للامم السالفة عليهم
فان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة
الانبياء عليهم فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم وكذا ما قيل
من ان الناس كانوا امة واحدة مؤمنين بعد ما اهلك الله تعالى اهل الارض بالطوفان فلما مات الاباء
واختلف الابناء فيما بينهم وكذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما
اختلفوا للبغى بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستيصال من غير انظار وامهال
على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال هذه الامم وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام
لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء دين قديم اجمع عليه اولئك الاعلام عليهم الصلاة والسلام تاكيدا لوجوب
اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق اممهم عنه ربما يوهم الاخلال
بذلك المرام فلذلك اى فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل انه شرع لهم الدين القويم القديم
الحقيق بان يتنافس فيه المتنافسون فادع اى الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان
كلا من تفرقهم وكونهم فى شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب
للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهى عن التفرق حتى يتوهم
شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما فى قوله تعالى بان ربك اوحى
لها اى فالى ذلك الدين فادع واستقم عليه وعلى الدعوة اليه كما امرت واوحى اليك ولا تتبع
اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اى كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين
آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى الاصول وتاليف لقلوب
اهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها فى خاتمة سورة البقرة وامرت لاعدل
بينكم فى تبليغ الشرائع وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوى بينكم ولا امركم
بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما انهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمامور
محذوف اى امرت بذلك لاعدل او زائدة اى امرت ان اعدل والباء محذوفة الله ربنا وربكم اى خالقنا
جميعا ومتولى امورنا لنا اعمالنا لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان او عقابا ولكم اعمالكم
لا يجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم لا حجة بيننا وبينكم اى لا محاجة ولا خصومة

لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير
فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذه المتاركة محاجزة فى مواقف المجاوبة لا متاركة فى مواطن المحاربة حتى يصار
الى النسخ باية القتال والذين يحاجون فى الله اى فى دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب
له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه او من بعد ما استجاب الله لرسوله
عليه الصلاة والسلام وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم
ونحن خير منكم واولى بالحق حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا وانما
عبر عن باطلهم بالحجة مجاراة زعمهم على زعمهم الباطل وعليهم غضب عظيم لكفرهم بالحق بعد ظهوره
ولهم عذاب شديد لا يقادر قدره الله الذى انزل الكتاب اى جنس الكتاب بالحق ملتبسا
فى احكامه واخباره او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذى يوزن به الحقوق
ويسوى بين الناس او نفس العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن وما يدريك اى اى شئ يجعلك
عالما لعل الساعة التى يخبر بها الكتاب الناطق بالحق قريب اى اى شئ قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى
ذات قرب او الساعة بمعنى البعث والمعنى انها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل
قبل ان يفاجئك اليوم الذى يوزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها
استعجال انكار واستهزاء كانوا يقولون متى هى ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذى نحن عليه ام الذى
عليه محمد واصحابه والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون
انها الحق اى الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون فى الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة
اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفى ضلال
بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه
ابعد وابعد الله لطيف بعباده اى بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون الطافه ما لا يكاد يناله ايدى
الافكار والظنون يرزق من يشاء اى يرزقه كيف يشاء فيختص كلا من عباده بنوع من البر على ما
يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وهو القوى الباهر القدرة الغالب على كل شئ العزيز المنيع الذى لا يغلب
من كان يريد حرث الآخرة الحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل
فى ثمرات الاعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن
لتشبيه الاعمال بالبذور اى من كان يريد باعماله ثواب الآخرة نزد له فى حرثه نضاعف له ثوابه
بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد باعماله حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها
نؤته منها اى شيئا منها حسبما قسمنا له لا ما يريده ويبتغيه وما له فى الآخرة من نصيب اذ
كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله فى سورة الاسراء ام لهم شركاء اى بل الهم شركاء من الشياطين
والهمزة للتقرير والتقريع شرعوا لهم بالتسويل من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث
والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع
اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن الضلالة لهم ولولا
كلمة الفصل اى القضاء السابق بتاخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضى بينهم اى بين
الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ بالفتح عطفا
على كلمة الفصل اى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب
الاليم غالب فى عذاب الآخرة ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل احد ممن يصلح له للقصد الى ان
حالهم غير مختص برؤية راء مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم

اى وباله لاحق بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين امنوا
وعملوا الصالحات في روضات الجنات مستقرون في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند
ربهم اى ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على انه ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف
ليشاؤن ذلك اشارة الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه هو
الفضل الكبير الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين
امنوا وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من ابشر قل لا اسألكم عليه روى انه اجتمع المشركون في مجمع لهم
فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزلت اى لا اطلب منكم على ما انا عليه من التبليغ
والبشارة اجرا نفعا الا المودة في القربى اى الا ان تودوني لقرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى
لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي القربى حال منها اى الا المودة في القربى متمكنة في اهلها او في حق
القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين
وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي واذاني
في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم
القيمة وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تتوددوا الى الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح
وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة اى يكتسب اى حسنة كانت فتتناول مودة ذوي
القربى تناولا اوليا وعن السدي انها المراد وقيل نزلت في الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم
نزد له فيها اى في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وقرئ حسنى ان الله
غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل يقولون
افترى محمد على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القران على ان الهمزة للانكار التوبيخي
كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله عليه الصلاة والسلام وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذي
هو اعظم الفرى وافحشها وقوله تعالى فان يشاء الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان ما قالوا
ببيان انه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القران افتراء
عليه تعالى قول منهم بانه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي عليه الصلاة والسلام بل يشاء عدم صدوره عنه
ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشاء
ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن
الامر كذلك بل تواتر الوحي حينا فحينا تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشاء يجعلك من المختوم
على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عليه
الصلاة والسلام فانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على
قلبك ينسك القران ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل
لو كذب على الله لانساه القران وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمح الله
الباطل ويحق الحق بكلماته استئناف مقرر لنفي الافتراء وغير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار
الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه وهو عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه تعالى يمحو الباطل
الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي هو عليه بالقران وبقضائه الذي لا مرد له بنصرته
عليهم انه عليم بذات الصدور فيجري عليها احكامها اللائقة بها من المحو والاثبات وهو الذي
يقبل التوبة عن عباده التوبة هو الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا

وروى

وروى جابر رضي الله عنه ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك
واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار
توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان
على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها
في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو
عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون كائنا ما كان من خير وشر فيجازي
ويتجاوز عنهما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ما يفعلون بالياء ويستجيب الذين امنوا
وعملوا الصالحات اى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم اى كالوا لهم والمراد اجابة
دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه السلام افضل الدعاء الحمد
لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابرهيم بن ادهم انه قيل له ما لنا ندعو فلا نجاب قال
لانه دعاكم ولم تجيبوه ثم قرا والله يدعو الى دار السلام ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا
بموجب الوعد والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم
على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى
من حيث الكمية او الكيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشاء ان ينزله مما تقتضيه مشيئته انه
بعباده خبير بصير يحيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من اوقاتهم
ما يليق بشأنهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو اغناهم
جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب
كانوا اذا خصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث اى المطر الذي يغيثهم
من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال من بعد ما قنطوا يئسوا منه و
تقييده بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون وينشر رحمته
اى بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان او رحمته الواسعة
المنتظمة لما ذكر انتظاما اوليا وهو الولي الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة الحميد
المستحق للحمد على ذلك لا غيره ومن اياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب
الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤونه العظيمة وما بث فيهما عطف على السموات والارض
من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض فان ما يختص باحد الشيئين
المتجاورين يصح نسبته اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد
ان يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وان يخلق الله في السماء حيوانا
يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية
اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم
اى حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى اذا يشاء متعلق بما قبله لا بقوله تعالى قدير فان المقيد
بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما يدخل الماضي يدخل المضارع وما اصابكم
من مصيبة اى مصيبة كانت فبما كسبت ايديكم اى فهي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها والفاء لان
ما شرطية او متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير

من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فإن ما أصاب غيرهم لأسباب أخر منها تعريضه
للثواب بالصبر عليه وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته
الجوار السفن الجارية في البحر كالأعلام أي كالجبال على الإطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة
إن يشأ يسكن الريح التي تجريها وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر
البحر أي غير جاريات لا غير متحركات أصلا إن في ذلك الذي ذكر من السفن اللاتي تجري تارة وتركد
أخرى على حسب مشيئته تعالى لآيات عظيمة في أنفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه تعالى لكل صبار
شكور لكل من حبس نفسه عن التوجه إلى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في الآية
أو لكل مؤمن كامل فإن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر أو يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى
إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يرسلها فيغرقن بعصفها وإيقاع الإيباق عليهن مع أنه حال أهلهن للمبالغة
والتهويل وأجري حكم على العفو في قوله تعالى ويعف عن كثير لما أن المعنى أو يرسلها فيوبق ناسا وينج
آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف
على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم إلى آخره كما في قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى ولنعلمه من تأويل
الأحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى أو إن يشأ
يجمع بين إهلاك قوم وإنجاء قوم وتحذير قوم ما لهم من محيص أي من مهرب من العذاب والجملة معلق
عنها الفعل فما أوتيتم من شيء مما ترغبون فيه وتتنافسون فيه فمتاع الحياة الدنيا أي فهو متاع تتمتعون
به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير ذات الخلوص نفعه وأبقى زمانا حيث لا يزول ولا يفنى
للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره أصلا والموصول الأول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من
حيث إن إيتاء ما أوتوا سبب للتمتع بها في الحياة الدنيا دخلت جوابه الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه
أنه تصدق أبو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى والذين يجتنبون
كبائر الإثم أي الكبائر من هذا الجنس والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده
عطف على الذين آمنوا ومدح بالنصب والرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على أنهم الأخصاء
بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الإثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الإثم الشرك والذين
استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة نزلت في الأنصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان
فاستجابوا له وأمرهم شورى بينهم أي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا
عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها إذا حزبهم أمر اجتمعوا وتشاوروا ومما رزقناهم ينفقون أي في سبيل
الخير ولعل فصله وقرنه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات والذين إذا أصابهم البغي
هم ينتصرون أي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف
لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فإن كلا منهما فضيلة
محمودة في موقع نفسه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فإن الحلم عن العاجز وعوراء الكريم محمود وعن
المتغلب واللئام مذموم فإنه إغراء على البغي وعليه قول من قال • إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا • ووضع الندى موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى
وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه
في نفسه إساءة إلى الغير بالإشارة إلى أن البادي هو الذي فعله لنفسه فإن الأفعال مستتبعة لأجزيتها
حتما إن خيرا فخير وإن شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي وإطلاق السيئة على الثانية لأنها تسوء من
نزلت به فمن عفا عن المسيء إليه وأصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والإغضاء كما في قوله تعالى فإذا الذي

بينك

بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم فأجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شأن الموعود وخروجه
عن الحد المعهود إنه لا يحب الظالمين المبادئين بالسيئة والمعتدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه
أي بعدما ظلم وقد قرئ به فأولئك إشارة إلى من باعتبار المعنى كما أن الضميرين لها باعتبار اللفظ
ما عليهم من سبيل بالمعاتبة أو المعاقبة إنما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالإ
ضرار أو يعتدون في الانتقام ويبغون في الأرض بغير الحق أي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا
أولئك الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق لهم عذاب أليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن
صبر على الأذى وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض أمره إلى الله تعالى إن ذلك الذي ذكر من الصبر
والمغفرة لمن عزم الأمور أي إن ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم وقد مر
في المواد التي لا تؤدي العفو إلى الشر كما أشير إليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من
ناصر يتولاه من بعد خذلان الله تعالى إياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب أي حين يرونه وصيغة
الماضي للدلالة على التحقق يقولون هل إلى مرد أي رجعة إلى الدنيا من سبيل لعلهم يتأتى منه الرجوع
خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما دهاهم ينظرون من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم
إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر إلى السيف وقال الذين آمنوا إن الخا
سرين المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا أنفسهم وأهليهم بالتعريض للعذاب الخالد
يوم القيامة ظرف لخسروا والقول في الدنيا أو يقال أي يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة
الماضي للدلالة على تحققه وقوله تعالى ألا إن الظالمين في عذاب مقيم إما من تمام كلامهم أو
تصديق من الله تعالى لهم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم
من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا ومن يضلل الله فما له من سبيل يؤدي
سلوكه إلى النجاة استجيبوا لربكم إذ دعاكم إلى الإيمان على لسان نبيه من قبل أن يأتي يوم لا مرد
له من الله أي لا يرده الله بعدما حكم به على أن من صلة مرد أو من قبل أن يأتي من الله يوم
لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ أي مفر تلتجئون إليه وما لكم من نكير أي إنكار لما اقترفتموه لأنه
مدون في صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا عن الكلام
وصرف له من خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له إلى الرسول عليه الصلاة والسلام أي فإن لم
يستجيبوا وأعرضوا عما تدعوهم إليه فما أرسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم إن عليك إلا البلاغ وقد فعلت
وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة أي نعمة من الصحة والغنى والأمن فرح بها أريد بالإنسان الجنس لقوله تعالى
وإن تصبهم سيئة أي بلاء من مرض أو فقر أو خوف بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور بليغ الكفر
ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها
وإسناد هذه الخصلة إلى الجنس لكونها من خواص المجرمين منهم لغلبتهم فيما بين الأفراد وتصدير الشرطية الأولى
بإذا وإسناد الإذاقة إلى نون العظمة للتنبيه على أن إيصال النعمة محقق الوقوع كثير الوقوع وأنه
مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بإن وإسناد الإصابة إلى السيئة وتعليلها بأعمالهم للإيذان بندرة
وقوعها وأنها بمعزل من الانتظام في سلك الإرادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على
أن هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السماوات والأرض فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء
كلها فيها كيفما يشاء ومن جملته أن يقسم النعمة والبلية حسبما يريده يخلق ما يشاء مما تعلق به
يهب لمن يشاء إناثا من الأولاد ويهب لمن يشاء الذكور من غير أن يكون في ذلك مدخل
لأحد أو يزوجهم أي يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ذكرانا وإناثا قالوا معنى يزوجهم

ان تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توأمين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل احوال
العباد في حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى واما صنفين
ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق
به مشيته تعالى لا ما يتعلق به مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب يعدونهن اعظم
البلايا او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التأخير وتغيير العاطف
في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام
المتقدمة وقيل المراد بيان احوال الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابرهيم
ذكورا وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم قدير مبالغ في العلم
والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة وما كان لبشر اي وما صح لفرد من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه من
الوجوه الا وحيا اي الا بان يوحي اليه ويلهم ويقذف في قلبه كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم عليهم السلام في ذبح
ولده وقد روي عن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره او بان يسمعه كلامه الذي يخلقه
في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى او من وراء حجاب فانه تمثيل له بحال الملك
المحتجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة
عليهم السلام او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى او يرسل رسولا اي ملكا فيوحي ذلك الرسول الى
المرسل اليه الذي هو الرسول البشري باذنه اي بامره تعالى وتيسيره ما يشاء ان يوحيه اليه وهذا هو الذي يجري
بينه تعالى وبين الانبياء عليهم الصلاة والسلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا
وقوله تعالى او يرسل مصدران واقعان موقع الحالية وقوله تعالى او من وراء حجاب ظرف واقع موقعها
والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار
مبتدأ وروي ان اليهود قالت للنبي عليه الصلاة والسلام الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه
فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى فنزلت وعن
عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت رضي الله عنها اولم تسمعوا ربكم
يقول فتلت هذه الاية انه علي متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم
الا باحد الوجوه المذكورة حكيم يجري افعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما
خطابا وكذلك اي ومثل ذلك الايحاء البديع اوحينا اليك روحا من امرنا هو القرآن الذي هو للقلوب
بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حياة ابدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه اليه عليهما السلام
ارساله اليه بالوحي ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب اي اي شيء هو ولا الايمان اي الايمان بتفاصيل
ما في تضاعيف الكتاب من الامور التي لا تهتدي اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر
فان درايته عليه السلام له مما لا ريب فيه قطعا ولكن جعلناه اي الروح الذي اوحيناه اليك نورا
نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى
وانك لتهدي تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة بغاية الظهور اي
وانك لتهدي بذلك النور من نشاء هدايته الى صراط مستقيم هو الاسلام وسائر الشرائع والاحكام
وقرئ لتهدي اي ليهديك الله وقرئ لتدعو صراط الله بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه
بقوله تعالى الذي له ما في السموات وما في الارض لتفخيم شانه واستقامته وتاكيد وجوب سلوكه
فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب الا الى الله
تصير الامور اي امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد
للضالين عنه ما لا يخفى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية تسع وثمانون ايات

حم الكلام فيه كالذي في فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل
فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا
باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية
المبين اي المبين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين لطريق الهدى من طرق الضلالة
الموضح لكل ما يحتاج اليه في ابواب الديانة انا جعلناه قرآنا عربيا جواب للقسم لكن لا على ان
مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التي يعرب عنها قوله تعالى لعلكم تعقلون فانها المحتاجة
الى التحقيق والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اي جعلنا ذلك
الكتاب قرآنا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد
الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وينقطع اعذاركم بالكلية وانه في ام الكتاب
اي في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا اي عندنا لعلي رفيع القدر
بين الكتب شريف حكيم ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كأنه قيل بعد
بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم
عليها داخلة في حكمها ففي الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بانه من علو الشأن
بحيث لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام لغيره بل هو بنفسه كاف في الشهادة على ذلك من حيث الاقسام به
كما انه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر اولى منه بالاقسام به واما
مستأنفة مقررة لعلو شأنه الذي انبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وانه لقسم
لو تعلمون عظيم وبعدما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا
بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل أفنضرب عنكم الذكر اي ننحيه ونبعده
عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم
كأنه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اي انهملكم فننحي الذكر عنكم صفحا اي اعراضا
عنكم على انه مفعول له للنحي او مصدر مؤكد لما هو بمعناه فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا
كأنه قيل أفنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اي أفننحيه عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين
اي لان كنتم منهمكين في الاسراف مصرين عليه على ان حكمكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر
والضلالة وتبقوا في العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول
الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم
والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من
نبي الا كانوا به يستهزئون تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال
الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى فاهلكنا
اشد منهم بطشا اي من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عليه الصلاة والسلام ووعيد لهم بمثل
ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية ومضى مثل الاولين في القرآن ومضى مثل الاولين
غير مرة ذكر قصتهم التي حقها ان تسير مسير المثل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
خلقهن العزيز العليم اي ليسندن خلقها الى من هذا شأنه في الحقيقة وفي نفس الامر لا انهم يعبرون

بين العظمة وسلوك هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلايل الصفات والافعال وبما
يستتبعه ذلك من البعث والجزاء امر بين لا ريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاؤا او ابوا وقد جوز ان
يكون ذلك عين مقالتهم وقوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا استئنافا من جهته تعالى اي بسطها
لكم تستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها في اسفاركم لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا
بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر الى التوحيد الذي هو المقصد الاصلي والذي نزل من السماء ماء بقدر
بمقدار يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فانشرنا به اي احيينا بذلك الماء بلدة ميتا خاليا عن النماء
والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة في معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة
لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره كذلك اي مثل ذلك الاحياء الذي هو في الحقيقة اخراج
النبات من الارض تخرجون اي تبعثون من قبوركم احياء وفي التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذي
هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال
وتوضيح مناهج القياس والذي خلق الازواج كلها اي اصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضي
الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تعالى
فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون
اي ما تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب يتعدى بنفسه واستعماله في الفلك ونحوها بكلمة في للرمز الى
مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما مر في سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها لتستووا على ظهوره
اي لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا
استويتم عليه اي تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها باللسان وتقولوا سبحان
الذي سخر لنا هذا متعجبين من ذلك كما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب
قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون
وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وما كنا له مقرنين اي مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده
قرينة لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون
اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها وانا الى ربنا لمنقلبون اي لراجعون
وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتامل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التي هي الانقلاب
الى الله تعالى فيبني اموره في مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله في شيء مما ياتي ويذر امرا ينافيها ومن
ضرورته ان يكون ركوبه لامر مشروع وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله تعالى ولئن سالتهم الى آخره
اي وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعض ذلك الاعز من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته
في حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرئ جزءا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران مبالغ فيه
ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون ام اتخذ مما يخلق بنات ام منقطعة وما فيها من معنى
بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من اخس
صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجب من شانهم وقوله تعالى واصفاكم بالبنين اما عطف على اتخذ داخل
في حكم الانكار او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور والالتفات الى خطابهم لتاكيد الالزام
وتشديد التوبيخ اي بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم افضلهما على معنى هبوا انكم اجترأتم على
اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه اما كان لكم شيء من العقل ونبذ من
الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء انه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين
واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة و
اذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا الخ استيناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا

اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبايحهم ان يعرض
عنهم ويحكى لغيرهم تعجيبا منها اي اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لابد ان يجانس الوالد
ويماثله ظل وجهه مسودا اي صار اسود في الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملوء من الكرب
والكآبة والجملة حال وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له
او من ينشأ في الحلية تكرير للانكار وتنبيه للتوبيخ ومن موصولة منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا اي وجعلوا
من شانه ان يربى في الزينة وهو عاجز عن ان يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد
جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار الوقوع واستبعاده وادخالها بين المعطوفين
لتكرير ما في ام المنقطعة من الانكار وتاكيده والعطف لتغاير العنوانين اي او اتخذ من هذه الصفة الذميمة
صفته وهو مع ما ذكر من القصور في الخصام اي الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه الانسان في العادة غير
مبين غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده
في الجار المتقدم لانه بمعنى النفي وقرئ ينشأ وينشأ من الافعال والتفعيل بمعنى واحد ونظيره علاه
واعلاه وعلاه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر
وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله عز وجل انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد
الرحمن وعند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم اي احضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم
اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ أأشهدوا بهمزتين مفتوحة
ومضمومة وآشهدوا بالف بينهما ستكتب شهادتهم هذه في ديوان اعمالهم ويسئلون عنها يوم القيمة
وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهي قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانها الملائكة و
قرئ يساءلون من المساءلة للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم بيان لفن آخر من كفرهم
اي لو شاء عدم عبادتنا الملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه حق مرضي عنده
تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة
ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احديهما ان عبادتهم له بمشيئته تعالى والثانية ان ذلك مستلزم لكونها مرضية
عنده تعالى ولقد اخطأوا في الثانية حيث جهلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا
ما كان من غير اعتبار الرضا والسخط في شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى ما لهم بذلك اي بما ارادوا بقولهم
ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة
من علم يستند الى سند ما ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز ان يشار بذلك الى اصل
الدعوى كانه لما اظهر وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه
الى ابطال ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او من قبل ادعائهم
ينطق بصحة ما يدعونه فهم به بذلك الكتاب مستمسكون وعليه معولون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة
وانا على آثارهم مهتدون اي لم ياتوا بحجة عقلية او نقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد آبائهم
الجهلة مثلهم والامة الدين والطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهي الحالة التي
يكون عليها الآم اي القاصد وقوله تعالى وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا و
جدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون استيناف مبين لان ذلك دال على ان التقليد فيما بينهم
ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا مستند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بان التنعم وحب
البطالة هو الذي صرفهم عن النظر الى التقليد قال حكاية لما جرى من المنذرين وبين اممهم عند تعللهم
بتقليد آبائهم اي قال كل نذير من اولئك المنذرين لامتهم اولو جئتكم اي أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم

بأهدى بل من أهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وإنما عبر عنها
بذلك مجاراة معهم على مسلك الإنصاف وقرئ قل على أنه حكاية أمر ماض أوحي حينئذ إلى كل نذير لا على خطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فإنه حكاية عن الأمم
قطعا أي قال لكل أمة نذيرها أنا بما أرسلتم به إلى آخره وقد أجمل عند الحكاية للإيجاز كما مر في قوله تعالى
يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه الصلاة والسلام بحمل صيغة الجمع على تغليبه
على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم إلى ما أرسل به الكل من التوحيد لإجماعهم عليه كما في نظائر قوله
كذبت عاد المرسلين مما يعين رده بالكلية قوله تعالى فانتقمنا منهم بالاستئصال فانظر كيف
كان عاقبة المكذبين من الأمم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك وإذ قال إبراهيم أي واذكر لهم
وقت قوله عليه السلام لأبيه وقومه المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله إنني براء مما تعبدون
وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال أو ليقلدوه إن لم يكن لهم بد من التقليد فإنه أشرف آبائهم وبراء مصدر
نعت به مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء بضم الباء ككريم وكرام
وما إما مصدرية أو موصولة حذف عائدها أي إنني بريء من عبادتكم أو معبودكم إلا الذي فطرني استثناء
منقطع أو متصل على أن ما تعم أولي العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام أو صفة على أن ما موصوفة
أي إنني بريء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فإنه سيهدين أي سيثبتني على الهداية أو سيهديني إلى
ما وراء الذي هداني إليه إلى الآن والأوجه أن السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة
على الاستمرار وجعلها أي جعل إبراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها عبارة عنها كلمة باقية في عقبه أي في ذريته
حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله
تعالى ويدعو إلى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء إضراب
عن محذوف ينساق إليه الكلام كأنه قيل جعلها كلمة باقية في عقبه بأن وصى بها بنيه رجاء أن يرجع
إليها من أشرك منهم بدعاء الموحدين علة للجعل أي جعلها باقية في عقبه رجاء أن يرجع إليها من أشرك منهم
بدعاء الموحدين فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول عليه الصلاة والسلام من أهل
مكة وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى
جاءهم هؤلاء الحق أي القرآن ورسول أي رسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة أو مبين
للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرئ متعنا بالخطاب على أنه تعالى اعترض به على ذاته في قوله تعالى وجعلها
كلمة باقية الآية مبالغة في تعييرهم فإن التمتع بزيادة النعم توجب عليهم أن يجعلوه سببا لزيادة الشكر و
الثبات على التوحيد والإيمان فجعلوه سببا لزيادة الكفر وعنوانا لمقتضى مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق
لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم إلى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا إلى كفرهم السابق معاندة الحق
والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر وإنا به كافرون فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين أي من إحدى القريتين مكة والطائف
على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم أي بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود
الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله إلى الرسول
صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بمرتبته بل استنزالا له عليه السلام عنها بأنه لو كان قرآنا لنزل على أحد هؤلاء
بناء على ما زعموا من أن الرسالة منصب جليل لا يليق به إلا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا أنها
رتبة روحانية لا يترقى إليها إلا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل
الإنسية وأما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم عن استحقاق تلك الرتبة بألف منزل

وقوله تعالى أهم يقسمون رحمة ربك إنكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن
قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض أمرها
إليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم فوق بعض في الرزق وسائر مبادي المعاش
درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم و
مخدوم وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنتهم
ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا إلى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر
ولو فوضنا ذلك إلى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فإذا كانوا في تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا
الدنية وهو في طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بأنفسهم في تدبير أمرهم وما يصلحهم من متاع الآخرة وهو أبعد من مناط
العيوق ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بأمرها ورحمة ربك أي النبوة وما يتبعها
من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية وقوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة
واحدة استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى أن حقارة شأنه بحيث لولا أن
يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر إذا رأوا أهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لأعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وأدناهم
منزلة وذلك قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة أي متخذة منها ولبيوتهم بدل
اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن إفراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن
جمع رهن وعن الفراء أنه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا بجمع البيوت
وسقفا كأنه لغة في سقف وسقوفا ومعارج أي وجعلنا لهم معارج من فضة أي مصاعد جمع معرج وقرئ
معاريج جمع معراج عليها يظهرون أي يعلون السطوح والعلالي ولبيوتهم أي وجعلنا لبيوتهم أبوابا
وسررا من فضة عليها أي على السرر يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا أي زينة عطف
على سقفا أو ذهبا عطف على محل من فضة وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا أي وما كل ما ذكر من البيوت
الموصوفة بالصفات المفصلة إلا شيء يتمتع به في الحياة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك إلا متاع الحيوة الدنيا وقرئ
لما بالتخفيف على أن إن هي المخففة واللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على أنها لام العلة وما موصولة
قد حذف عائدها أي للذي هو متاع الحياة كما في قوله تعالى تماما على الذي أحسن والآخرة بما فيها من فنون النعم التي
يقصر عنها البيان عند ربك للمتقين أي عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين أن العظيم هو العظيم في الآخرة
لا في الدنيا ومن يعش أي يتعام ويعرض عن ذكر الرحمن وهو القرآن وإضافته إلى اسم الرحمن للإيذان بنزوله رحمة للعالمين
وقرئ يعش بالفتح أي يعم يقال عشي يعشى إذا كان في بصره آفة وعشا يعشو إذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو
على أن من موصولة قد حذف عائدها أي للذي هو متاع غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن تعرض عنه لفرط اشتغاله
بزهرة الحياة الدنيا وانهماكه في حظوظها الفانية والشهوات نقيض له شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا يزال
يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على إسناده إلى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه أن يرفع يقيض وإنهم أي الشياطين
الذين قيض كل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو ليصدونهم أي قرناءهم فمدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما أن
إفراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها عن السبيل المستبين الذي يدعو إليه القرآن ويحسبون أي العاشون أنهم
أي الشياطين مهتدون أي إلى السبيل المستقيم وإلا لما اتبعوهم أو يحسبون أن أنفسهم مهتدون لأن اعتقاد
كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير
المبتدأ أو من فاعله أو منهما لاشتمالها على ضميريهما أي وإنهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون أنهم مهتدون
إليه وصيغة المضارع في الأفعال الأربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله تعالى حتى إذا جاءنا فإن حتى
وإن كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما أن تكون غاية لأمر ممتد كما مر مرارا وإفراد الضمير

في جاء وما بعده لما ان المراد حكاية مقالة كل واحد من العاشين لقرينه لتهويل الامر وتفظيع الحال والمعنى ان
العاشين على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا واحد منهم مع قرينه يوم
القيمة قال مخاطبا له يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين اى بعد المشرق والمغرب اى بعد
كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثنى واضيف البعد اليهما فبئس القرين اى انت وقوله تعالى ولن ينفعكم
الى آخره حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخا وتقريعا اى لن ينفعكم اليوم اى يوم القيمة تمنيكم
لما عنتم اذ ظلمتم اى لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ ظلمتم
بدل من اليوم اى اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال
اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اى تبين اني لم تلدني لئيمة بل كريمة وقوله تعالى انكم في العذاب مشتركون
تعليل لنفي النفع اى لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويجوز
ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى ان ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها
لتعاونهم في تحمل اعبائها وتقسيمهم احمالها لان لكل منهم ما لا يبلغه طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه ليس
مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التسلي طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر
ببالهم بكون قرنائكم معذبين معكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا
كبيرا وقولكم فزدهم عذابا ضعفا في النار وتطلبون ما يستحقونه بذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ في
المجاهدة في ... لا يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات
القرآن فنزل افانت تسمع الصم او تهدي العمي وهو انكار وتعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم
وهم قد تمرنوا في الكفر واستغرقوا في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال
مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا
ارعواء لهم لا توهم القصور من قبل الهادي ففيه رمز الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء فاما
نذهبن بك اى فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم ونشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم
منتقمون لا محالة في الدنيا والآخرة وما مزيدة للتاكيد بمنزلة لام القسم في انها لا تفارق النون المؤكدة او
نرينك الذي وعدناهم اى او اردنا ان نريك العذاب الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك
بالذي اوحي اليك من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود او اخرناه الى اليوم الآخر
وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل انك على صراط مستقيم تعليل للاستمساك او للامر به
وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسألون يوم القيمة عنه وعن قيامكم بحقوقه واسأل
من ارسلنا من قبلك من رسلنا اى واسأل اممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرءون الكتاب
من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على ان المسؤول عنه عين ما نطقت به ألسنة الرسل لا ما تقوله اممهم
وعلماؤهم من تلقاء انفسهم قال الفراء انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء عليهم
الصلاة والسلام اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون اى هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل
جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والتنبيه على انه ليس ببدع
ابتدعه حتى تكذب ويعادى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ملتبسا بها الى فرعون وملائه فقال
اني رسول رب العالمين اريد باقتصاصه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد
بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ما اشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام فلما جاءهم باياتنا
اذا هم منها يضحكون اى فاجأوا وقت ضحكهم منها اى استهزؤوا بها اول ما رأوها ولم يتاملوا فيها
وما نريهم من آية من الآيات الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل

بذلك الاعتبار على غيرها بحيث يحسب كل من نظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل
بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها او الا وهي مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار
على غيرها واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم
عليه من الكفر وقالوا يا ايه الساحر نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا
يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ ايه الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف
عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى
او بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة اننا لمهتدون اى لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم
لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون فاجأوا وقت نكث عهدهم
بالاهتداء وقد مر تفصيله في الاعراف ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد
ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل
ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي اى من تحت قصري او امري
وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر
فتجري حال منها او الحالية وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبر للمبتدأ افلا تبصرون ذلك يريد به استعظام
ملكه ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين اى ضعيف حقير من المهانة وهي
القلة ولا يكاد يبين اى الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصا له عليه السلام في اعين الناس باعتبار ما كان
في لسانه عليه السلام من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى وام اما منقطعة والهمزة
للتقرير كأنه قال اثر ما عدد اسباب فضله ومبادي خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم اني انا خير وهذه حالي من هذا
الى آخره واما متصلة فالمعنى افلا تبصرون ام تبصرون خلا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت
خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب فان ابصارهم لما ذكر من اسباب فضله سبب
على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا القي عليه اساورة من ذهب اى فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا
لما انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى السوار وقرئ اساور جمع
اسورة وهي جمع سوار وقرئ القي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين
مقرونين به يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستفزهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته
او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوي
فلما آسفونا اى اغضبونا اشد الغضب منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم
اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم
ومصيرهم الى النار وقرئ سلفا جمع سليف اى فريق قد سلف كرغيف ورغف او سالف كصابر وصبر وسلفا جمع سلفة
اى ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين اى عظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون
ولما ضرب ابن مريم مثلا اى ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال اهذا لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال
عليه الصلاة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة اليس النصارى
يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن
وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وارتفعت اصواتهم وذلك قوله تعالى اذا قومك منه اى من ذلك المثل

يصدون اي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرئ يصدون اي من اجل ذلك المثل يعرضون عن الحق اي
يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض اي يزدادون فيه وقيل هو ايضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف و
يعكف وهو الانسب بمعنى المناجات وقالوا آلهتنا خير ام هو حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه
تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء اي ظاهر ان عيسى خير من آلهتنا فحيث كان هو في النار
فلا باس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم ان ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من انه عليه الصلاة
والسلام سكت عند ذلك الى ان نزل قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فان ذلك مع ابهامه
لما يجب تنزيه ساحته عليه الصلاة والسلام عنه من شائبة الافحام فاول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روى
ان قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من اول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله
عليه وسلم ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ثم لم يخص عليه السلام هذا الحكم بالجمع حين
سال الفاجر على الخصوص والعموم علما بما ذكرنا من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لان اخراج بعض المعبودين
عنه عند الحاجة موهم للرخصة في عبادته في الجملة فعممه عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق
الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبدوا
الشياطين التي امرتهم بذلك ان الملائكة والمسيح بمعزل من ان يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك
انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى الآية بل انما كان ما اظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وديدنهم على المكابرة والعناد كما ينطق به
قوله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا اي ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى
يذعنوا له عند ظهوره ببيانك بل هم قوم خصمون اي شداد الخصومة مجبولون على الحرد واللجاج وقيل لما نزل
قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا
ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم آلهتنا خير ام هو حينئذ تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد بهم
الملائكة ومعنى ما ضربوه الى آخره ما قالوا هذا القول الا للجدال وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا ما يريد محمد بهذا
الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون
و يضجرون والضمير في ام هو لمحمد عليه الصلاة والسلام وغرضهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين آلهتهم الاستهزاء به
وقد جوز ان يكون مرادهم التنصل عما انكر عليه السلام عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم
لهم كانهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه
ونحن اشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقوله تعالى ان هو الا
عبد انعمنا عليه اي بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل اي امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره
كالامثال السائرة على الوجه الاول استئناف مسوق لتنزيهه عليه السلام عن ان ينسب اليه ما نسب الى الاصنام
بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان
راي من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد راي من يرى رايهم في شان الملائكة وعلى الثاني والرابع
لبيان انه قياس باطل بباطل او باطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد قصارى امره انا انعمنا
عليه بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بان خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه ابدع
منه فاين هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى تفتخر عبدة الملائكة بكونهم اهدى
منهم او تعتذر بان حالهم اشنع او اخف من حالهم واما على الوجه الثالث فهو رد لهم وتكذيب في افترائهم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان عيسى في الحقيقة وفيما اوحي الى الرسول عليهما السلام ليس الا انه
عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه الصلاة والسلام بمعبوديته او كيف يتوهم الرضى بمعبودية نفسه

وقوله تعالى ولو نشاء الى آخره لتحقيق ان مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله تعالى وانه تعالى قادر
على ابدع من ذلك وابدع مع التنبيه على سقوط الملائكة ايضا من درجة المعبودية اي قدرتنا بحيث لو نشاء لجعلنا اي
لخلقنا بطريق التوالد منكم وانتم رجال ليس من شانكم الولادة ملائكة كما خلقناهم بطريق الابداع في
الارض مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء يخلفون اي يخلفونكم مثل اولادكم فيما تاتون و
تذرون ويباشرون الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع ان شانهم التسبيح والتقديس في السماء فمن شانهم بهذه
المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم المعبودية او انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانه
وان عيسى لعلم للساعة اي انه بنزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصولها به او بحدوثه بغير اب او باحيائه الموتى
دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة في الساعة وقرئ لعلم اي علامة وقرئ للذكر على تسمية
ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه
ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام
ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى
الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما ان فيه الاعلام بالساعة فلا تمترن بها فلا تشكن في وقوعها واتبعون اي واتبعوا
هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول مامور بان يقوله هذا اي الذي ادعوكم اليه او القرآن على ان الضمير في انه له
صراط مستقيم موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعي انه لكم عدو مبين بين العداوة حيث اخرج
ابويكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل

قال قد جئتكم بالحكمة

ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام
كما قال عليه الصلاة والسلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون فيما ابلغه عنه تعالى ان الله
هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد
والتعبد بالشرائع صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عليه الصلاة والسلام او استئناف من
جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام فاختلف الاحزاب اي الفرق المتحزبة من بينهم اي من بين
من بعث اليهم من اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا من المختلفين من عذاب يوم اليم هو يوم القيامة
هل ينظرون اي ما ينتظر الناس الا الساعة ان تاتيهم اي الا اتيان الساعة بغتة اي فجاة لكن
لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى وهم لا يشعرون
الاخلاء المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في الامور الدنيوية يومئذ يوم اذ تاتيهم الساعة بعضهم
لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها اسبابا للعذاب الا المتقين
فان خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات
والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم الذين آمنوا باياتنا صفة
للمنادى او منصوب على المدح وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو
حال من واو آمنوا قيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا
الآية فييئس الكفرة واهل الاديان الباطلة ادخلوا الجنة انتم وازواجكم
نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن
الهيئة او تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما
امروا به بصحاف من ذهب واكواب كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هي كالقصعة وقيل اعظم القصاع
الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها اي في الجنة ما تشتهيه
الانفس من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهي وتلذ الاعين اي تستلذه وتقر بمشاهدته وقرئ وتلذه
وانتم فيها خالدون اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن لخوفه لا محالة

والالتفات للتشريف وتلك الجنة مبتدأ وخبر التي اورثتموها وقرئ ورثتموها بما كنتم تعملون
في الدنيا من الاعمال الصالحة شبّه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصوف
مع صلته خبر وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها كما في
الوجهين لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط منها تأكلون اي بعضها
تأكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت من ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار
ابدا موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين
اي الراسخين في الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم في مقابلة المؤمنين بالآيات في عذاب جهنم خالدون
خبران او خالدون هو الخبر وفي متعلقة به لا يفتّر عنهم اي لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى
اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه اي في العذاب وقرئ فيها اي في النار مبلسون آيسون من النجاة
وما ظلمناهم بذلك ولكن كانوا هم الظالمين لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد ونادوا يا مالك خازن النار
وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه ليقض
علينا ربك اي ليمتنا من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما
ذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمنٍّ للموت لفرط الشدة قال انكم ماكثون اي في العذاب ابدا لا خلاص لكم منه
بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة
لقد جئناكم بالحق في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى
مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق كارهون
لا يقبلونه وينفرون عنه واما الحق المعهود الذي هو التوحيد او القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه
ام ابرموا امرا كلام مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة
وما بعدها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان اريد بالابرام
الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام صورة فهي لانكار الواقع واستقباحه
اي لا بل ابرم مشركوا مكة امرا من كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا حقيقة لانهم او فانا
ترمون كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون
وكانوا يتناجون في انديتهم ويتشاورون في اموره عليه الصلاة والسلام ام يحسبون اي بل
ايحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما حدثوا به انفسهم وغيرهم في مكان خال ونجواهم اي ما تكلموا به
فيما بينهم بطريق التناجي بلى نحن نسمعها ونطلع عليها ورسلنا الذين يحفظون عليهم اعمالهم و
يلازمونهم اينما كانوا لديهم عندهم يكتبون اي يكتبونها او يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال والاقوال
التي من جملتها ما ذكر من سرهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى او حال اي نسمعها والحال ان رسلنا يكتبون
قل اي للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة
ليست لبغضك وعداوتك لهم او لمعبودهم بل انما هو جزمك باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه
عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اي له وذلك
لانه عليه الصلاة والسلام اعلم الناس بشؤونه تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز واولاهم بمراعاة حقوقه ومن
مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على ابلغ الوجوه واقواها وعلى
كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة
من رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن
ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فانا اول الآنفين اي المستنكفين منه او من ان
يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك
وقرئ ولد سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي يصفونه

به من ان يكون له ولد وفي اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام واقواها تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات حيث
كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شيء منها جزءا منه سبحانه وتعالى وفي تكرير اسم الرب تفخيم
لشأن العرش فذرهم حيث لم يعترفوا بالحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلي يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا
في دنياهم فان ما هم فيه من الافعال والاقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الامر
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم القيمة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذي
في السماء اله وفي الارض اله الظرف متعلقة بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبود بالحق
بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر في تفسير البسملة كأنه قيل وهو الذي مستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه
في سورة الانعام وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق
الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا مقدما واله مبتدأ مؤخرا للزوم الجملة حينئذ العائد بخلاف ان يكون
صلة للموصول والجار المتعلقة محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار
وفيه نفي الالهية السماوية والارضية وتخصيص لاستحقاق الالهية به وقوله تعالى وهو الحكيم العليم
اما على الدوام كالعلة وفي بعض الاوقات كالعلة وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة اي العلم بالساعة التي فيها يقوم
القيمة واليه ترجعون للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ يُرجعون بالتاء ولا يملك الذين
يدعون اي يدعونهم وقرئ بالتاء مخففا ومشددا من دونه الشفاعة كما يزعمون الا من شهد بالحق
الذي هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى كان الافراد
اولا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على ان تخاص بالاصنام
ولئن سألتهم من خلقهم اي سألت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الانكار لغاية بطلانه
فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكونه الكل خلقه تعالى وقيله والجزء
اما على انه عطف على الساعة اي عنده علم الساعة وعلم قوله عليه السلام يا رب الى آخره فان القول والقيل
والقال كلها مصادر او على ان الواو للقسم وقوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه وفي الاقسام به من
رفع شأنه عليه السلام وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب عطفا على سرهم ونجواهم
او على محل الساعة او باضمار فعله اي قال قيله وقرئ بالرفع على انه مبتدأ والخبر ما بعده او محذوف وقد جوز عطفه على علم الساعة
فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم واقنط من ايمانهم وقل سلام اي امري سلام منكم ومتاركة فسوف
يعلمون حالهم البتة وان تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ
تعلمون على انه داخل في حيز قل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية سبع وخمسون آيات

حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة انا انزلناه اي الكتاب المبين
الذي هو القرآن في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى
السماء من اللوح واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث
وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما ان نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية
باجمعها او لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة
واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة
انا كنا منذرين استئناف مبين لما يقتضي الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير

من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله تعالى انا انزلناه الاخ اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف
فيها يفرق كل امر حكيم استيناف كما قبله فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة الموافقة
لها يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهو يدل
على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم
من هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ
في ليلة القدر فيدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والخسف
والصواعق ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت
عليهم السلام وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل اي يفرق الله تعالى كل امر حكيم وقرئ نفرق
بنون العظمة **امرا من عندنا** نصب على الاختصاص اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا
وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل امر لتخصيصه بالوصف
او من ضميره في حكيم وقد جوز ان يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الامر والفرقان في المعنى
او لفعله المضمر لان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه اي آمرين او مأمورا **انا كنا مرسلين**
بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى **رحمة من ربك**
غاية للارسال متأخرة عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد وباعث متقدم عليه على ان المراد مبدؤها
اي انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لاقتضاء
رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها
واضافته الى ضميره عليه السلام لتشريفه او تعليل ليفرق او لقوله تعالى امرا على ان قوله تعالى رحمة مفعول
للارسال كما في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له اي يفرق فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا
ارسال رحمتنا ولا ريب في ان كلا من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة
فان الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع اي تلك رحمة وقوله تعالى **انه
هو السميع العليم** تحقيق لربوبيته تعالى وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته **رب السموات و
الارض وما بينهما** بدل من ربك او بيان او نعت وقرئ بالرفع على انه خبر آخر او استيناف
على اضمار مبتدأ **ان كنتم موقنين** اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم
او ان كنتم موقنين في اقراركم بانه تعالى رب السموات والارض وما بينهما اذا سئلتم من خلقها فقلتم
الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك **لا اله الا هو** جملة مستأنفة
مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات والارض الى آخره وما بينهما اعتراض **يحيي ويميت**
مستأنفة كما قبلها وكذا قوله تعالى **ربكم ورب آبائكم الاولين** باضمار مبتدأ او بدل من رب
السموات والارض على قراءة الرفع او بيان او نعت له وقيل فاعل ليميت وفي يحيي ضمير راجع الى رب
السموات وقرئ بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر **بل هم في شك** مما ذكر من شؤونه تعالى
غير موقنين في اقرارهم **يلعبون** لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزؤ ولعب والفاء في
قوله تعالى **فارتقب** لترتيب الارتقاب او الامر به على ما قبلها فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما
اي فانتظر لهم **يوم تأتي السماء بدخان مبين** اي يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه
وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لان في عام القحط يظلم الجو لقلة الامطار وكثرة
العناد او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف

فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث
الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى **يغشى الناس** اي يحيط بهم **هذا عذاب
اليم** اي قائلين ذلك فمشى اليه عليه الصلاة والسلام ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم
وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تعالى **ربنا اكشف عنا العذاب انا
مؤمنون** وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار
الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون رأس
الواحد كرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه
خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من
قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملأ ما بين
المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران
يخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى
انى لهم الذكرى الى آخره رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان
المنبئ عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اي كيف يتذكرون او من اين يتذكرون بذلك ويوفون
بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم **وقد جاءهم رسول مبين** اي والحال انهم شاهدوا
من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشان
وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة ومعجزات باهرة تخر لها صم الجبال **ثم تولوا عنه وقالوا**
في حقه **معلم مجنون** اي قالوا تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى مجنون او يقول بعضهم كذا
وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب
اذا جاع ضغا واذا شبع طغى وقوله تعالى **انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون**
جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ
والتهديد وما بينهما اعتراض اي انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا او زمانا قليلا انكم تعودون
اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين
للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه
وسلم فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا عليه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال
اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون
يوم نبطش البطشة الكبرى اي يوم القيامة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى
انا منتقمون لا لمنتقمون لان ان مانعة عن ذلك اي يوم نبطش ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم
تأتي الخ وقرئ نبطش اي نحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصولة
او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرئ نبطش بضم الطاء وهي لغة **ولقد فتنا قبلهم قوم
فرعون** اي امتحناهم بارسال موسى عليه السلام او فتناهم في التفتيش بالامهال وتوسيع الرزق
عليهم وقرئ بالتشديد للمبالغة او لكثرة القوم **وجاءهم رسول كريم** على الله تعالى او على المؤمنين
او في نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم **ان ادوا الي عباد الله** اي بان
ادوا الي بني اسرائيل وارسلوهم معي او بان ادوا الي يا عباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل
ان مفسرة لان مجيء الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة اي جاءهم بان الشان

ادى الى آخره وقوله تعالى انى لكم رسول امين تعليل للامر او لوجوب المأمور به اى رسول غير ظنين
قد ائتمننى الله تعالى على وحيه وصدقنى بالمعجزات القاهرة وان لا تعلوا على الله اى لا تتكبروا عليه
تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وان كان مسلمت وقوله تعالى انى آتيكم امر جعله تعالى بسلطان
مبين تعليل للنهى اى آتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل او المضارع وفى ايراد
الاداء مع الامين والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى وانى عذت بربى وربكم اى التجأت
اليه وتوكلت عليه ان ترجمون من ان ترجمونى اى تؤذونى ضربا او شتما او ان تقتلونى قيل لما قال
وان لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ بادغام الذال فى التاء وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون اى وان لم
تصدقونى فكونوا بمعزل منى لا علىّ ولا لى ولا تتعرضوا لى بشر واذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم
الى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب الوصلة عنى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن يأباه المقام
فدعا ربه بعد ما تموا على تكذيبه عليه السلام ان هؤلاء اى بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء
عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمى دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم
عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فاسر بعبادى ليلا
باضمار القول اما بعد الفاء اى فقال ربه اسر بعبادى واما قبلها كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر
بعبادى اى بنى اسرائيل فقد دبر الله تعالى ان تتقدموا وقرئ بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون اى
يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته
بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ
انهم بالفتح اى لانهم كم تركوا اى كثيرا تركوا بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة اى تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك الكاف فى محل
النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا اى مثل ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها
قوما آخرين وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وقيل فى حيز الرفع على الخبرية اى الامر كذلك فحينئذ يكون
اورثناها معطوفا على تركوا وعلى الوجه على الفعل المقدر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم
الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال له
بكت عليه السماء والارض وقيل تقديره اهل السماء والارض وما كانوا لما جاء وقت هلاكهم منظرين
ممهلين الى وقت آخر او الى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا ولقد نجينا بنى اسرائيل بما فعلنا بفرعون وقومه
ما فعلنا من العذاب المهين من استعباد فرعون اياهم وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم على الخسف
والضيم من فرعون بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف اى
عذاب فرعون او حال من المهين اى كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه و
تفرعنه وفى ابهام امره اولا وتبيينه بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين نابيا من الايضاح
عن كنه امره فى الشر والفساد مالا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان لكان اى كان متكبرا مسرفا
او حال من الضمير فى عاليا اى كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا فى الاسراف ولقد اخترناهم
على علم اى عالمين بانهم احقاء بالاختيار او عالمين انهم يزيغون فى بعض الاوقات
ويكثر منهم الفرطات على العالمين جميعا لكثرة الانبياء فيهم او على عالمى زمانهم وآتيناهم من الآيات
كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى من عظائم الآيات التى لم يعهد مثلها فى غيرهم ما فيه بلاء
مبين نعمة جليلة او اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون ان هؤلاء يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم
وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماثلهم فى الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل

ما حل بهم ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية
ولا يقصد فيه الى اثبات موتة اخرى كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها
حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ما هى الا موتتنا الاولى التى تعقبها حيوة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست
الموتة الا هذه الموتة التى تعقب حيوة القبر كما تزعمون وما نحن بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا
خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ان كنتم صادقين
فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله
فينشر لهم قصى بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم فى المهمات والملمات اهم خير رد لقولهم
وتهديد لهم اى اهم خير فى القوة والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب الهلاك ام قوم تبع الحميرى الذى سار
بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه
وكان كتب فى عنوان كتابه بسم الله الذى ملك برا وبحرا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا
فانه كان قد اسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما ادرى اكان تبع نبيا او غير نبى وعن ابن عباس رضى الله عنهما
انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم
عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولى باس شديد والاستفهام لتقرير
ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تعالى اهلكناهم استئناف لبيان عاقبة امرهم وقوله تعالى انهم كانوا
مجرمين تعليل لهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا فى غاية القوة والشدة فلان يهلك
هؤلاء وهم شركاؤهم فى الاجرام اضعف منهم فى الشدة والقوة اولى وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما اى ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين منزها عن ان يكون فى خلقها غرض صحيح وغاية
حميدة ما خلقناهما وما بينهما الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اى ما خلقناهما
ملتبسا بشئ من الاشياء الا ملتبسا بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذى هو الايمان
والطاعة والبعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء
ان يوم الفصل اى فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق عن المبطل وفصل الرجل عن اقاربه واحبابه ميقاتهم
وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اى ان ميعاد حسابهم وجزائهم
فى يوم الفصل يوم لا يغنى بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا لفصله مولى
من قرابة او غيرها عن مولى اى مولى كان شيئا اى شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى
الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع
على البدل من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز الذى لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم
لمن اراد ان يرحمه ان شجرت الزقوم وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم فى سورة الصافات طعام الاثيم
اى الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل فى النار حتى يذوب
وقيل دردى الزيت يغلى فى البطون وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة كغلى الحميم غليانا كغليه
خذوه على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه اى جروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وعنف وقرئ
بضم التاء وهى لغة فيه الى سواء الجحيم اى وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان الاصل يصب
من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد
من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اى وقولوا له ذلك استهزاء به
وتقريعا له على ما كان يزعمه وروى ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم منى
فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بى شيئا وقرئ بالفتح اى لانك او عذاب انك ان هذا اى العذاب
ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى

لان المراد جنس الاثيم ان المتقين اى عن الكفر والمعاصى في مقام فى موضع قيام والمراد على الاطلاق فانه
من الخاص الذى شاع استعماله فى معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة امين يأمن صاحبه الآفات والانتقال
وهو من الامن هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان المخيف يخون صاحبه بما يلقى
فيه من المكاره في جنات وعيون بدل من مقام جئ به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل
والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير فى الجار او استيناف والسندس
مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب متقابلين فى المجالس ليستأنس بعضهم ببعض كذلك
اى الامر كذلك اثباتا لهم وزوجناهم بحور عين على الوصف وقرئ بالاضافة اى قرناهم بهن والحور جمع
الحوراء وهى البيضاء والعين جمع العيناء وهى العظيمة العينين واختلف فى انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون
فيها بكل فاكهة اى يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شئ منها بمكان ولا زمان
آمنين من كل ما يسوؤهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يستمرون على الحياة ابدا والاستثناء
منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كانه قيل لا يذوقون فيها الموت
الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ مشددا للمبالغة فى الوقاية
فضلا من ربك اى اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اى ذلك فضل ذلك هو
الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى فانما يسرناه
بلسانك لعلهم يتذكرون فذلكة للسورة الكريمة اى انما انزلنا الكتاب المبين بلغتك كى يفهمه
قومك ويتذكروا به ويعملوا بموجبه واذا لم يفعلوا ذلك فارتقب فانظر ما يحل بهم انهم مرتقبون
ما يحل بك عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم الدخان ليلة الجمعة اصبح مغفورا له صدق رسول الله

سورة الجاثية سبع وثلثون آية وهى مكية

حم الكلام فيه كما فى فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف
اى هذا مسمى به والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد
فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول
مبالغة وعلى الثانى خبر لمبتدأ مضمر يلوح به ما قبله اى المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر
لحم اى المسمى به تنزيل الخ وقد مر مرارا ان الذى يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب
اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على اصله
اى تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع غرابته عن افادة يعتد بها تمحل على تمحل وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم
كما مر فى صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى
ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبيه على
الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحل الآيات اما انفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الآيات
على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما فى قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض وهو الاوفق لقوله تعالى وفي
خلقكم اى من نطفة ثم من علقة متقلبة فى اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما يبث من دابة عطف على
المضاف دون المضاف اليه اى وفيما ينشره ويفرقه من دابة آيات بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم و
الجملة معطوفة على ما قبلها من ايات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب عطفا
على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان فى خلقكم وما يبث من دابة لقوم يوقنون اى من شانهم
ان يوقنوا بالاشياء على ما هى عليه واختلاف الليل والنهار بالجر على اضمار الجار المذكور فى الآيتين

قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما انزل الله من السماء عطف على اختلاف من رزق
اى من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتى القدرة والرحمة فاحيا به الارض بان اخرج
منها اصناف الزروع والثمرات والنبات بعد موتها وعرائها عن آثار الحياة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو اشجارها
عن الثمار وتصريف الرياح من جهة الى اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتأخيره عن انزال
المطر مع تقدمه عليه فى الوجود اما للايذان بانه آية مستقلة ولو روعى الترتيب الوجودى لربما توهم ان مجموع
تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدأ لانشاء المطر
بل له ولسائر المنافع التى من جملتها سوق السفن فى البحار آيات لقوم يعقلون بالرفع على انه مبتدأ
خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على
انها اسم ان والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولى عاملين مختلفين هما ان وفى اقيمت الواو مقامهما
فعملت الجر فى اختلاف والنصب فى آيات وتنكير آيات فى المواقع الثلاثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل
لاختلاف مراتب الآيات فى الدقة والجلاء تلك آيات الله مبتدأ وخبر وقوله تعالى نتلوها عليك
حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو خبر وآيات الله بدل او عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلو او من
مفعوله اى نتلوها محقين او ملتبسة بالحق فباى حديث من الاحاديث بعد الله وآياته اى بعد آيات الله
وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما فى قولهم اعجبنى زيد وكرمه او بعد حديث الله الذى هو القرآن حسبما نطق به
قوله تعالى الله نزل احسن الحديث وهو المراد بآياته ايضا ومناط العطف التغاير العنوانى يؤمنون
بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله صفة اخرى
لافاك وقيل استيناف وقيل حال من الضمير فى اثيم تتلى عليه حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا
ليسمع لان شرطه ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ ثم يصر اى يقيم على كفره واصله من اصرار
الحمار على العانة مستكبرا عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما ينطق به من الحق مزدريا لها
معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت فى النضر بن الحارث وكان يشترى من احاديث الاعاجم ويشغل بها
الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر
والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التى حقها ان تذعن لها القلوب
وتخضع لها الرقاب كما فى قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اى كانه لم يسمعها فخففت
وحذف ضمير الشان والجملة حال من ضمير يصر اى يصر شبيها بغير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره
واستكباره واذا علم من آياتنا شيئا اى اذا بلغه من آياتنا شئ وعلم انه من آياتنا لا انه علمه كما هو عليه
فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجعله محملا فاسدا
يتوصل به الى الطعن والغميزة اتخذها اى الآيات كلها هزوا اى هزئ بها لا بما سمعه فقط وقيل الضمير للشئ
والتأنيث لانه فى معنى الآية اولئك اشارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح و
الجمع باعتبار الشمول للكل كما فى قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر
باعتبار كل واحد واحد لهم بسبب جناياتهم المذكورة عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة توفية لحق
استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى من ورائهم جهنم اى من قدامهم لانهم متوجهون
اليها او من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص
من خلف وقدام ولا يغنى عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله تعالى
او شيئا من الاغناء ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اى الاصنام وتوسيط حرف النفى بين المعطوفين
مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبنى على زعمهم الفاسد

حيث كانوا يطعنون في شفاعتهم وفيه تهكم ولهم فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اي
القرآن هدى في غاية الكمال من الهداية كأنه نفسها والذين كفروا اي بالقرآن وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى
بآيات ربهم لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم لهم عذاب من رجز اي من اشد العذاب أليم
بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب في المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء
الله الذي سخر لكم البحر بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق
لميعانه لتجري الفلك فيه بأمره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها
ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض
من الموجودات بأن جعلها مدارا لمنافعكم جميعا كائنا منه تعالى او سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه مخلوقة
له تعالى او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه تعالى وقرئ منة على المفعول له وعلى انه فاعل سخر على الاسناد المجازي
او خبر مبتدأ محذوف اي ذلك منه ان في ذلك اي فيما ذكر من الامور العظام لآيات عظيمة الشأن كثيرة
العدد لقوم يتفكرون في بدائع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون
لشكرها قل للذين آمنوا حذف المقول لدلالة الجواب عليه فانه جواب له اي قل لهم اغفروا يغفروا للذين
لا يرجون ايام الله اي يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تعالى بأعدائه من قولهم ايام العرب
لوقائعها وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل
آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال
ابن ابي ما قال وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فأرسل ابن ابي غلامه يستقي
فأبطأ عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقي حتى ملأ قرب
النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر رضي الله عنه فقال ابن ابي ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن
كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فأنزلها الله تعالى ليجزي قوما
بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم
اي امروا بذلك ليجزي يوم القيامة قوما اي قوم مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على
اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد
جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير
للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه
بالكل بأن لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى وان يراد
كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزى الجزاء قوما وقرئ لنجزي بنون
العظمة من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم
ترجعون فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب اي التوراة والحكم
اي الحكمة النظرية والعملية والفقه في الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث
كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى و
فضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرها وقيل
على عالمي زمانهم وآتيناهم بينات من الامر دلائل ظاهرة في امر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس
رضي الله عنهما هو العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب
ويكون انصاره اهل يثرب فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته
فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه بغيا بينهم اي عداوة وحسدا لا شكا فيه ان

ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين ثم جعلناك
على شريعة اي سنة وطريقة عظيمة الشأن من الامر اي امر الدين فاتبعها باجراء احكامها في نفسك وفي غيرك
من غير اخلال بشيء منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اي آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة
للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه السلام ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك
من الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض لا توالهم ولا يتبع اهواءهم
الا من كان ظالما مثلهم والله ولي المتقين الذين انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من توليه خاصة
والاعراض عما سواه بالكلية هذا اي القرآن او اتباع الشريعة بصائر للناس فان ما فيه من معالم الدين و
شعائر الشرائع بمنزلة البصائر في القلوب وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم يوقنون
من شأنهم الايقان بالامور ام حسب الذين اجترحوا السيئات استئناف مسوق لبيان تباين
حالي المسيئين والمحسنين اثر بيان حال الظالمين والمتقين وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من
البيان الاول الى الثاني والهمزة لانكار الحسبان لكن بطريق انكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى ام نجعل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار لا بطريق انكار الواقع واستقباحه
والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه
من مساوي الاحوال كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم
معاملتهم في الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم
حال من الضمير في الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميريهما على ان السواء بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم مرتفعان
على الفاعلية والمعنى ام حسبوا ان نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا
يستوون في شيء منهما فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه
في الممات واولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات شتان
بينهما وقد قيل المراد انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم
في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء
حال على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الآية الكريمة وجوه اخر من الاعراب
والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتدأ فتكون
الجملة بدلا من الكاف وقيل حال واياما كان فنفس حسبان التساوي الصريح في ضمن الانكار التوبيخي مع
انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة في الانكار والتشديد في التوبيخ فان انكار
حسبان التساوي انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على ابلغ وجه وآكده ساء ما يحكمون
اي ساء ما يحكمون هذا او بئس شيئا يحكمون به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق استئناف
مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل
المحسن على المسيء في المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك في المحيا فهو
بعد الممات حتما ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها
مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها لاجل ذلك ولتجزى الى آخره او على
علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل وليجزي وهم اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون
بنقص ثواب او بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة اهل السنة
لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره
تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى

كانه عبده اى انطرت فرلينه فان ذلك مما نقضى منه العجب وقرئ الهته هواه لان احدهم كان
يستحسن حجرا ليعبده فاذا راى احسن منه رفضه اليه فكانه اتخذ الهة شتى **واضله الله** وخذله **على**
علم اى عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله التى فطر الناس عليها **وختم على سمعه وقلبه** بحيث
لا يتاثر بالمواعظة ولا يتفكر فى الايات والنذر **وجعل على بصره غشاوة** مانعة عن الاستبصار
والاعتبار وقرئ بفتح العين وضمها وقرئ غشوة **فمن يهديه من بعد الله** اى من بعد اضلال له تعالى اياه
بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه فى الغى **افلا تذكرون** فلا تذكرون وقرئ تتذكرون على
الاصل **وقالوا** بيان لاحكام ضلالهم المحكى اى قالوا من غاية غيهم وضلالهم **ما هى** اى الحيوة **الا حياتنا الدنيا**
التى نحن فيها **نموت ونحيا** اى يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة وقيل نكون نطفا وقبلها
وما بعدها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او نموت بعضنا ونحيى بعضنا وقد يجوزون
ان يريدوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وقرئ نحيى **وما يهلكنا الا الدهر** الا مرور
الزمان وهو فى الاصل مدة بقاء العالم من دهره اى غلبه وقرئ الا دهر يمر وكانوا يزعمون ان المؤثر
فى هلاك الانفس هو مرور الايام والليالى وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بامر الله تعالى ويضيفون
الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله تعالى عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اى فان الله هو
الاتى بالحوادث لا الدهر **وما لهم بذلك من علم** ما مستند الى عقل او نقل **ان هم الا يظنون** ما هم الا قوم قصارى
امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شئ يصح ان يتمسك به فى الجملة هذا معتقدهم الفاسد فى انفسهم **و**
اذا تتلى عليهم اياتنا الناطقة بالحق الذى من جملته البعث **بينات** واضحات الدلالة على ما نطقت به او
مبينات له **ما كان حجتهم** بالنصب على انه خبر كان اى ما كان متمسكا لهم شئ من الاشياء **الا ان قالوا**
ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين فى انا نبعث بعد الموت اى الا هذا القول الباطل
الذى يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم
او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من
الاشياء الا هذا القول الباطل **قل الله يحييكم** ابتداء **ثم يميتكم** عند انقضاء اجالكم لا كما تزعمون
من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر **ثم يجمعكم** بعد البعث منتهين **الى يوم القيامة** للجزاء **لا ريب فيه** اى فى جمعكم
فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالايات دل على
وقوعها حتما والاتيان بابائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه **ولكن اكثر الناس لا**
يعلمون استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو اما من تمام الكلام المامور به او كلام مسوق من جهته تعالى
تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم لجهلهم وتقصيرهم فى النظر والتفكر لا انه فيه شائبة ريب ما **ولله ملك**
السموات والارض بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلى فيهما وفيما بينهما به عز وجل
اثر بيان تصرفه تعالى فى الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة **ويوم تقوم الساعة**
يومئذ يخسر المبطلون والعامل فى يوم يخسر ويومئذ بدل منه وقرئ **وترى كل امة** من الامم المجموعة
جاثية باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية اى جالسة على اطراف الاصابع والجذو اشد استيفازا
من الجثو وعن ابن عباس رضى جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهى الجماعة **كل امة تدعى الى كتابها**
الى صحيفة اعمالها وقرئ كل بالنصب على انه بدل من الاول وتدعى صفة او حال او مفعول ثان **اليوم تجزون**
ما كنتم تعملون اى يقال لهم ذلك وقوله تعالى **هذا كتابنا** الى اخره من تمام ما يقال حينئذ
وحيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامره تعالى اضيف الى نون العظمة تفخيما لشانه وتهويلا لامره فهذا
مبتدا وكتابنا خبره وقوله تعالى **ينطق عليكم** اى يشهد عليكم **بالحق** من غير زيادة ولا نقص

خبر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى **انا كنا نستنسخ** الى اخره تعليل لنطقه عليهم
باعمالهم من غير اخلال بشئ منها اى انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة **ما كنتم تعملون** فى الدنيا من الاعمال
حسنة كانت او سيئة وقوله تعالى **فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته**
اى فى جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوى على الوعد والوعيد **ذلك**
الذى ذكر من الادخال فى رحمته تعالى **هو الفوز المبين** الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه **واما الذين كفروا**
افلم تكن اياتى تتلى عليكم اى فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع الم تكن تاتيكم رسلى فلم تكن اياتى تتلى
عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه **فاستكبرتم** عن الايمان بها **وكنتم قوما مجرمين**
اى قوما عادتكم الاجرام **واذا قيل ان وعد الله حق** اى ما وعده من الامور الاتية او وعده بذلك حق
اى واقع لا محالة او مطابق للواقع **والساعة** التى هى اشهرها وعده **لا ريب فيها** اى فى وقوعها وقرئ
والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقرئ الرفع للعطف على محل ان واسمها **قلتم** لغاية عتوكم **ما**
ندرى ما الساعة اى اى شئ الساعة استغرابا لها **ان نظن الا ظنا** اى ما نفعل الا ظنا وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى
ان اتبع الا ما يوحى الى وقيل ما يعتقد الا ظنا اى لا علما وقيل انما نحن الا نظن ظنا وقيل ما نظن الا
ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى **وما نحن بمستيقنين** اى لامكانه فان مقابل الاستيقان مطلق الظن
لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هى الا حياتنا الدنيا **وبدا لهم** اى ظهر لهم حينئذ
سيئات ما عملوا على ما هى عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاؤها فان جزاء
السيئة سيئة **وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن** من الجزاء والعقاب **وقيل اليوم ننساكم** نترككم فى العذاب
ترك ما ينسى **كما نسيتم** فى الدنيا **لقاء يومكم هذا** اى كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء
الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه **وماويكم النار وما لكم من ناصرين** اى ما لاحد منكم ناصر واحد
يخلصكم منها **ذلكم** العذاب **بانكم** بسبب انكم **اتخذتم ايات الله هزوا** اى مهزوا بها ولم
ترفعوا لها راسا **وغرتكم الحيوة الدنيا** فحسبتم ان لا حياة سواها **فاليوم لا يخرجون منها** اى
من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب
استهانة لهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار **ولا هم يستعتبون** اى لا يطلب منهم
ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه **فلله الحمد** خاصة **رب السموات ورب الارض رب العالمين**
فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب للتاكيد والايذان بان ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة
وقرئ بالرفع الثلاثة على المدح باضمار هو **وله الكبرياء فى السموات والارض** لظهور اثارها واحكامها فيها
واظهارهما فى موقع الاضمار لتفخيم شان الكبرياء **وهو العزيز** الذى لا يغلب **الحكيم** فى كل
ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا حم الجاثية ستر الله عورته
وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف خمس وثلثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذى فى مطلع السورة السابقة
ما خلقنا السموات والارض بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما **وما بينهما** من المخلوقات
الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الفاعيل اى الا خلقا ملتبسا بالحق الذى يقتضيه الحكمة التكوينية
والتشريعية او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من مفعوله اى ما خلقناها فى حال من الاحوال
الا حال ملابستنا بالحق او حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى

الدنيا

العالمين

وصفات كماله واتيانا افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى **واجل مسمى**
عطف على الحق بتقدير مضاف اى وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليه امر الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه
قوله تعالى **والذين كفروا عما انذروا معرضون** فان ما انذروه يوم القيمة وما فيه
من الطامة التامة والاهوال العامة لا آخر اعمارهم ويجوز كون ما مصدرية والجملة حالية اى
ما خلقنا الا بالحق وتقدير الاجل الذى يجازون عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون عنه
وعن الاستعداد له **قل** توبيخا لهم وتبكيتا **ارأيتم** اخبرونى وقرئ ارأيتكم **ما تدعون** ما تعبدونه **من
دون الله** من الاصنام **اروني** تأكيد لارأيتم **ماذا خلقوا من الارض** بيان للابهام فى ماذا **ام لهم
شرك** اى شركة مع الله تعالى **فى السموات** اى فى خلقها او ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة
استحقاق للعبودية فان ما لا مدخل له فى وجود شئ من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق
بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى **ائتوني بكتاب** الخ تبكيت لهم
بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلى بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلى اى ائتونى بكتاب الهى كائن
من قبل هذا الكتاب اى القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم **او اثارة من علم** او بقية
من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة **ان كنتم صادقين** فى دعواكم فانها
لا تكاد تصح ما لم تقم عليها برهان عقلى او سلطان نقلى وحيث لم يقم عليها شئ منهما وقد قامت على خلافها
ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثارة بكسر الهمزة اى مناظرة فانها تثير المعانى واثرة اى شئ اوثرتم
وخصصتم به من علم لا يحيط به غيركم واثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثاء اما المكسورة فبمعنى الاثرة واما
المفتوحة فهى المرة من الاثر اى رواية اى من رواية واما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التى هى اسم ما يخطب به
ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له انكار ونفى لان يكون احد يساوى المشركين
فى الضلال وان كان سبك التركيب لنفى الاضل منهم من غير تعرض لنفى المساوى كما مر غير مرة اى هو اضل من كل
ضال حيث ترك عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العارى عن السمع والقدرة
والاستجابة **الى يوم القيمة** غاية لنفى الاستجابة **وهم عن دعائهم** الضمير الاول لمفعول يدعوا والثانى
لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها **غافلون** لكونهم جمادات وضماير
العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم
بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية **واذا حشر الناس** عند قيام الساعة **كانوا
لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** اى مكذبين بلسان الحال او المقال على ما يروى انه تعالى يحيى الاصنام
فتتبرأ عن عبادتهم وقد يجوز ان يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم
ويبنى ارجاع الضماير واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن
عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين **واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات** واضحات او مبينات **قال الذين كفروا للحق** اى لاجله وفى شأنه وهو عبارة عن الآيات
المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول
موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة **لما جاءهم** اى فى اول ما جاءهم من غير
تدبر وتأمل **هذا سحر مبين** اى ظاهر كونه سحرا **ام يقولون افتراه** اضراب وانتقال من حكاية
شناعتهم السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها وما فى ام من الهمزة للانكار التوبيخى المتضمن
للتعجب اى بل يقولون افترى القرآن **قل ان افتريته** على الفرض **فلا تملكون لى من الله شيئا** اى لا

اولا ريب فى انه تعالى يعاجلنى حينئذ بالعقوبة فكيف اجترئ على ان افترى عليه تعالى كذبا واعرض
نفسى للعقوبة التى لا مناص عنها **هو اعلم بما تفيضون فيه** اى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله
والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى **كفى به شهيدا بينى وبينكم**
حيث يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى **وهو
الغفور الرحيم** وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم
قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح
الدال على انه صفة كقيم او جمع مقدر بمضاف اى ذا بدع وقد جوز ذلك فى القراءة الاولى ايضا قيل
انهم كانوا يقترحون عليه عليه الصلاة والسلام آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة
فامر عليه السلام بان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ما تقترحونه
واخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيوب فان من قبلى من الرسل عليهم الصلاة والسلام ما كانوا
يأتون الا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرونهم الا بما اوحى اليهم **وما ادرى ما يفعل
بى ولا بكم** اى اى شئ يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه
وعن الحسن رضى الله عنه ما ادرى ما يصير اليه امرى وامركم فى الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما يفعل
بى ولا بكم فى الآخرة وقيل هى منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز
ان يكون المنفى هى الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول ان ما عبارة عما ليس علمه
من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما سيقع فى الآخرة فان العلم بذلك من وظائف
النبوة وقد ورد به الوحى الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا وقد روى عن الكلبى ان اصحاب النبى صلى
الله عليه وسلم قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادرى
ما يفعل بى ولا بكم اى اترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض ذات نخيل وشجر وقد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه
وجوز ان يكون ما موصولة والاستفهامية اقضى لحق التراخى عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفى المنسحب اليه
وتأكيده وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى **ان اتبع الا ما يوحى الى** اى ما افعل الا اتباع ما
يوحى الى على معنى قصر افعاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحى لا قصر اتباعه على الوحى كما هو المتسارع
الى الافهام وقد مر تحقيقه فى سورة الانعام وقرئ يوحى على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم
الاخبار عما لم يوح اليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين ان يتخلصوا عن اذية
المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى **وما انا الا نذير** انذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الى
مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة **قل ارأيتم ان كان** اى ما يوحى الى من القرآن
من عند الله لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى **وكفرتم به** حال باضمار قد من الضمير
فى الخبر وسيقت لبيان الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما فى قوله تعالى قل
ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع
وعدمه عندهم باعتبار حاله فى نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به امر محقق عندهم
ايضا وانما ترددهم فى ان ذلك كفر بما من عند الله تعالى ام لا وكذا الحال فى قوله **وشهد شاهد من بنى
اسرائيل** وما بعده من الفعلين فان الكل امور محققة عندهم وانما ترددهم فى انها شهادة وايمان بما هو
من عند الله واستكبار عنه اولا والمعنى اخبرونى ان كان ذلك فى الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد
عظيم الشأن من بنى اسرائيل الواقفين على شؤون الله تعالى واسرار الوحى بما اوتوا من التوراة **على مثله**
اى مثل القرآن من المعانى المنطوية فى التوراة المطابقة لما فى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد

وغير ذلك فانها عبارة عنه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى والمثلية باعتبار تاديتهما بعبارات اخر او على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء في قوله تعالى فآمن للدلالة على انه سارع الى الايمان بالقرآن لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه الصلاة والسلام اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان يسئلهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي عليه الصلاة والسلام اي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارأيتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا اشرنا وابن اشرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته ما في التورية من بعثة النبي عليه الصلاة والسلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب الكلبي بان الآية مدنية وان كانت السورة مكية واستكبرتم عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم وقال الذين كفروا حكاية لبعض آخر من اقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به اي قال كفار مكة للذين آمنوا اي لاجلهم لو كان اي ما جاء به عليه الصلاة والسلام من القرآن والدين خيرا ما سبقونا اليه فان معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوا زعما منهم ان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ويأباه ان السورة مكية لا بد حينئذ من الا ... ادعاء ان الآية نزلت بالمدينة واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا فسيقولون غير مكتفين بنفي خيريته هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك ومن قبله اي من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى كتاب موسى قيل والجملة حالية او مستانفة واياما كان فهو رد لقولهم هذا افك قديم وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيقته قطعا اماما ورحمة حالان من كتاب موسى اي اماما يقتدى به في دين الله تعالى

تعالى وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه وهذا الذين يقولون في حقه ما يقولون كتاب عظيم الشان مصدق اي لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة او لما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او من نفسه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي لينذر الذين ظلموا متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول عليه السلام ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب وبشرى للمحسنين في حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي وهو بشرى وقيل على انه عطف على مصدق ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في امور الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق المكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لا نفي دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا اولئك الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين اصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن في اصحاب وقوله تعالى جزاء منصوب اما بعامل مقدر اي يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة في معنى جازيناهم بما كانوا يعملون من الحسنات العملية والعلمية ووصينا الانسان بان يحسن بوالديه احسانا وقرئ حسنا اي بان يفعل بهما حسنا اي فعلا ذا حسن او كانه في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين ايضا وبفتحهما اي بان يفعل بهما فعلة حسنا حملته امه كرها اي ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله اي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهى به كما اراد بالامد المدة من قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلاثون شهرا تنقضي عليها بمقاساة الشاق ومقاساة الشدائد لاجله وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة تبقى للحمل ذلك وقيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اي اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي قبل اربعين وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده قال رب اوزعني اي الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وان اعمل صالحا ترضاه التنكير للتفخيم والتكثير واصلح لي في ذريتي اي واجعل الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله يجرح في عراقيبها نصلي قال ابن عباس اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر رضي الله تعالى عنهم فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن ابن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اني تبت اليك عما لا ترضاه او عما يشغلني عن ذكرك واني من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم اولئك اشارة الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا من الطاعات فان المباح حسن لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن

ووضعته كرها

على انه قايم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور في أصحاب الجنة اى كائنين فى عدادهم منتظمين فى سلكهم
وعد الصدق مصدر مؤكد لما ان قوله يتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز الذي
كانوا يوعدون على السنة الرسل والذي قال لوالديه عند دعوتهما له الى الايمان أف لكما هو صوت
يصدر عند تضجر واللام لبيان المؤفف له كما فى هيت لك وقرئ أف بالفتح والكسر بغير تنوين وبا
لحركات الثلث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالجمع كما سبق
قيل هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه
وما روى من انها نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنه قبل اسلامه يرده ما سيأتى من قوله
تعالى اولئك الذين حق عليهم القول الاية فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة
رضى الله عنها من قال ذلك أتعدانني أن أخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج وقد
خلت القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله يسألانه ان يغيثه ويوفقه
للايمان ويلك اى قائلين له ويلك وهو فى الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على الايمان
لا حقيقة الهلاك آمن ان وعد الله حق اى البعث اضافه اليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها
على خطائه فى اسناد الوعد اليهما وقرئ أن وعد الله اى آمن بان وعد الله حق فيقول مكذبا لهما ما هذا
الذى تسميانه وعد الله الا اساطير الاولين وهو قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد
فصل فى سورة الم السجدة انهم جميعا كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية
مجرى رؤس اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقى ولكل
من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا مراتب من اجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة
فى مراتب المثوبة وايرادها ههنا بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم اى اجزية اعمالهم وقرئ بنون
العظمة وهم لا يظلمون بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الاخرين والجملة اما حال مؤكدة
للتوفية او استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كأنه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم
حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات
ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى على السيف
اى قتلوا وقيل تعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة أذهبتم طيباتكم اى يقال لهم ذلك وهو
الناصب للظرف وقرئ أأذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخى اى اصبتم واخذتم
ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك
شئ منها فاليوم تجزون عذاب الهون اى الهوان وقد قرئ كذلك بما كنتم فى الدنيا تستكبرون فى
الارض بغير الحق بغير استحقاق لذلك وبما كنتم تفسقون اى تخرجون من طاعة الله عز وجل
اى بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين واذكر اى للكفار مكة
اخا عاد اى هودا عليه السلام اذ انذر قومه بدل اشتمال منه وقت انذاره اياهم بالاحقاف
جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانت عاد اصحاب
عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان
ومهرة وقد خلت النذر اى الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه اى من قبله ومن خلفه
اى من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذر قومه
وبين قوله ألا تعبدوا الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتأكيد وايذانا باشتراكهم

اولئك الذين حق عليهم القول

ومن خلفه م

فى العبادات المخلة والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه
من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم واما جعلها حالا من فاعل انذر على معنى انه عليه السلام
انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد علم ان الرسل الذين بعثوا
قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره مع ما فيه من تكلف تقديما الاعلام الا مهد من بعثه
الخلق اليها بعده من الرسل من تنزيل الآتي منزلة الخالى قالوا أجئتنا لتأفكنا اى تصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها
فأتنا بما تعدنا من العذاب العظيم ان كنت من الصادقين فى وعدك بنزوله بنا قال انما العلم
اى بوقت نزوله او العلم بجميع الاشياء التى من جملتها ذلك عند الله وحده لا علم لى بوقت نزوله ولا
مدخل لى فى اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فيأتيكم به فى وقته المقدر له وأبلغكم ما ارسلت به
من مواجب الرسالة التى من جملتها بيان نزول العذاب ان لم ينتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت
نزوله وقرئ ابلغكم من الابلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون حيث تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل
من الاتيان بالعقاب وتعيين وقته والفاء فى قوله تعالى فلما رأوه فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه
قوله تعالى عارضا اما تمييز او حال او راجع الى ما استعجلوه بقولهم فأتنا بما تعدنا اى فأتاهم فلما رأوه
سحابا يعرض فى افق السماء مستقبل اوديتهم اى متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية كما فى قوله تعالى قالوا
هذا عارض ممطرنا ولذلك وقعا وصفين للنكرة بل هو اى قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل وهو رد عليهم
اى ليس الامر كذلك بل هو ما استعجلتم به من العذاب ريح بدل من ما او خبر لمبتدأ محذوف فيها
عذاب أليم صفة لريح وكذا قوله تعالى تدمر اى تهلك كل شئ من نفوسهم واموالهم بأمر ربها وقرئ
يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصول محذوف او هو الهاء فى ربها ويجوز ان يكون استئنافا واردا
لبيان ان لكل ممكن فناء مقضيا منوطا بامر بارئه ويكون الهاء فى ربها لكونه بمعنى الاشياء وفى ذكر الامر
والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء فى قوله تعالى فأصبحوا
لا يرى الا مساكنهم فصيحة اى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لا يرى الا مساكنهم خطابا
لكل احد يتأتى منه الرؤية تنبيها على ان حالهم بحيث لو حضر كل احد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم
كذلك اى مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي القوم المجرمين وقد مر تفصيل القصة فى سورة الاعراف وقد
روى ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها فى الجو حتى كأنها جرادة قيل اول من
ابصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى ان اول ما عرفوا به انه عذاب
ما رأوا ما كان فى الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم
وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فأمال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها
سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم فى البحر وروى ان هودا عليه
السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضى الله
عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه
الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم اى قررناهم
عادا او قررناهم وما فى قوله تعالى فيما ان مكناكم فيه موصولة او موصوفة وان نافية اى فى
الذى او فى شئ ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادى التصرفات كما فى قوله تعالى
وكم اهلكنا قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان ههنا التفصى عن تكرر لفظة
ما وهو الداعى الى قلب ألفها هاء فى مهما وجعلها شرطية او زائدة مما لا يليق بالمقام وجعلنا لهم سمعا
وابصارا وافئدة ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت معرفته به من فنون النعم

ويستعملوها على شؤون منها عزوجل ووفوا على شكره فما اغنى عنهم سمعهم حيث لم يستعملوه
في استماع الوحي ومواعظ الرسل ولا ابصارهم حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة
في صحائف العالم ولا افئدتهم حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى من شيء اي شيئا من الاغناء
ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى اذ كانوا يجحدون بآيات الله متعلق بما اغنى وهو ظرف جرى
مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه فان قولك اكرمته اذ اكرمني في قوة قولك اكرمته
لاكرامه لانك اذا اكرمته وقت اكرامه فانما اكرمته فيه لوجود اكرامه فيه وكذا الحال في حيث وحاق بهم
ما كانوا به يستهزؤن من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى
قوم لوط وصرفنا الآيات كررناها لهم لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي فلولا
نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب به الى الله تعالى حيث كانوا يقولون
انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا
ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لابد في غير بدل الغلط من
صحة المعنى بدونه ولا ريب في ان قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا اي متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه
تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرئ قربانا بضم الراء
بل ضلوا عنهم اي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيبتهم او ضاعوا عنهم بالكلية وقيل
امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور وذلك اي ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرتهم
افكهم اي اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة شركهم وقرئ أفكهم وكلاهما مصدر كالحذر و
الحذر وقرئ أفكهم على صيغة الماضي فذلك اشارة حينئذ الى الاتخاذ اي وذلك الاتخاذ الذي هذا
ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ أفّكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الافعال اي جعلهم
آفكين وقرئ آفكهم على صيغة الفاعل مضافا الى ضميرهم اي قولهم الآفك اي ذو الافك كما يقال
قول كاذب وما كانوا يفترون عطف على افكهم اي واثر افترائهم على الله تعالى او اثر ما كانوا
يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك افك مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترون من الافك واذ
صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرّفنا بالتشديد للتكثير
لانهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القرآن وما بعده وهو حال مقدرة
من نفرا لتخصيصه بالصفة او صفة اخرى له اي واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا كائنا من الجن
مقدرا استماعهم القرآن فلما حضروه اي القرآن عند تلاوته اي الرسول عند تلاوته له على الالتفات
والاول هو الاظهر قالوا اي قال بعضهم لبعض انصتوا اي اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ عن تلاوته
وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير للرسول عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه
عليه الصلاة والسلام ولوا الى قومهم منذرين مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روي ان الجن
كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة
نفر او تسعة نفر من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا
الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي او في
صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين
وهو لا يشعر بهم فانبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل امره الله تعالى ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف

اليهم نفرا منهم جمعهم له فقال عليه الصلاة والسلام اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا
الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا فقال لا تخرج منه
حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة
كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته عليه السلام ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا
اثني عشر الفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك قالوا اي عند رجوعهم الى قومهم يا قومنا انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى مصدقا قيل قالوه لانهم كانوا على دين اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه اراد به التوراة يهدي الى الحق من العقائد
الصحيحة والى طريق مستقيم موصل اليه وهو الشرائع والاعمال الصالحة يا قومنا اجيبوا داعي الله
وآمنوا به اراد به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعدما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط
المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم
يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان
ويجركم من عذاب اليم معد للكفرة واختلف في ان لهم اجرا غير هذا اولا والاظهر انهم في حكم بني آدم ثوابا
وعقابا وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر
ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعي الله من غير اكتفاء باحد الضميرين للمبالغة في الايجاب تعالى
بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض لتوسيع الدائرة اي فليس بمعجز له
بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى وليس له من دونه اولياء
بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولياء باعتبار معنى من
فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد كما ان الجمع في قوله تعالى اولئك بذلك
الاعتبار اي اولئك الموصوفون بعدم اجابة داعي الله في ضلال مبين اي ظاهر كونه ضلالا بحيث
لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه اولم يروا الهمزة للانكار والواو للعطف على
مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية اي ألم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة والعيان
ان الله الذي خلق السموات والارض ابتداء من غير مثال عيني ولا قانون ينتحيه ولم يعي
بخلقهن اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز عنه يقال عيي بالامر اذا لم يعرف وجهه وقوله
تعالى بقادر في حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها في القراءة الاولى
اشتمال النفي الوارد في صدر الآية على ان وما في حيزها كأنه قيل او ليس الله بقادر على ان يحيي الموتى
ولذلك اجيب عنه بقوله تعالى بلى انه على كل شيء قدير تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان
على المقصود ويوم يعرض الذين كفروا على النار ظرف عامله قول مضمر مقول له أليس هذا
بالحق على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا
عن تذكيره وتأنيثه اذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الاحزاب وقيل هي الى العذاب وفيه تهكم
بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى وربنا
اكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما في الدنيا وانى لهم ذلك قال
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بها في الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله
تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل جواب شرط محذوف اي اذا كان عاقبة امر الكفرة ما
ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر اولو الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم

ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باولى العزم اصحاب الشرايع الذين اجتهدوا في تاسيسها و
تقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى
عليهم الصلاة والسلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله تعالى كنوح صبر على اذية قومه كانوا
يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب
على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون
قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة
صلوات الله عليهم اجمعين ولا تستعجل لهم اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم كانهم يوم
يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة من نهار لما شاهدوا من
شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى بلاغ خبر مبتداء محذوف اي هذا الذي وعظتم به كفاية في
الموعظة او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم
الفاسقون اي الخارجون عن الاتعاظ به او عن الطاعة وقرئ بالفتح وكسر اللام وبفتحها من هلك
وهلك وبنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الاحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا صدق رسول الله وصدق حبيب الله

سورة محمد عليه السلام ثمان وثلثون اية مدنية

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد
صدودا او منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنى عشر رجلا من اهل الشرك
كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم
ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم اي ابطلها واحبطها
وجعلها ضائعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انه حكم
ببطلانها وضياعها فما كانوا يعملونها من اعمال البر كصلة الارحام وقرى الاضياف وفك الاسارى
وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان اي ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سياتي
من قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله تعالى فاذا لقيتم الى آخره والذين امنوا
وعملوا الصالحات قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب
وقيل عام للكل وامنوا بما نزل على محمد خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها
بشانه وتنبيها على سمو مكانه من بين ساير ما يجب الايمان به وانه الاصل في الكل ولذلك اكده بقوله
وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقيقة فيه وقيل حقيقته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا
مقابل الزايل وعلى الاول مقابل الباطل واياما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقوله
نزل على البناء للفاعل ونزل على البناء ونزل على التخفيف كفر عنهم سيئاتهم اي سترها بالايمان
والعمل الصالح واصلح بالهم اي حالهم في الدين والدنيا بالتاييد والتوفيق ذلك اشارة الى ما مر من
اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدا خبره قوله تعالى بان الذين كفروا اتبعوا
الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك كاين بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان كما قال
مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعهم الاضلال المذكور متضمن لبيان سببيته له لكونه اصلا
مستتبعا له قطعا وبسبب ان الاخرين اتبعوا الحق الذي لا محيد عنه كائنا من ربهم وبكتابه ومن الاعمال

الصالحة فباتي بسبب اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له
متضمن لبيان سببيته له لكونه مبدا ومنشا له ايضا فلا تدافع بين الاشعار والتصريح في شيء من الموضعين
ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزايل الذاهب الذي لا اصل له اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم
وابطالها لبيان ان ابطالها لبطلان مبداها وزواله على جعلها بنتج به فليس كما ينبغي لان الكفر والصد
الخبيث منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر بطريق القصر بعد الاشعار لاحتمال قيد في ويجوز ان يراد
بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتها لما ذكر من الاضلال
ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها في الموقعين كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع
يضرب الله اي يبين للناس امثالهم اي احوال الفريقين واوصافهما الجارية في الغرابة مجرى الامثال
وهو اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الاخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في
قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم
وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يترتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان
الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا حذف الفعل وقدم
المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتاكيد بليغ والتعبير به عن القتل لما ينبع صورته و
تهويل امره وارشاد الى القرآن الى ايسر ما يكون منه حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم القتل واغلظتموه من الثخين
وهو الغليظ واثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم
والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون بعد ذلك
منا او تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء او ثابت عند الشافعي رضه وعندنا منسوخ
قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم بالقتل والاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء وانما هو الاسلام
او ضرب العنق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب الاتها واثقالها التي لا تقوم
الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي رحمه الله
لاحد الامور الاربعة او للمجموع والمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين حرب بان لا يبقى
لهم شوكة وقيل بان ينزل ابن مريم عليه السلام واما عند ابي حنيفة رحمه الله فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية
للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد
والمعنى انهم يقتلون ويوسرون حتى تضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزار الحرب اثامها
اي حتى لا يبقى المشركون عن شركهم ومعاصيهم بان يسلموا ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لا
نتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستيصال ولكن لم يشاء ذلك ليبلو بعضكم ببعض
يامركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين ليعاجلهم
على ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اي استشهدوا وقرئ قاتلوا
اي جاهدوا وقاتلوا وقتلوا فلن يضل اعمالهم اي فلن يضيعها وقرئ تضل اعمالهم على البناء للمفعول
ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت يوم احد سيهديهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الثواب
بسبب هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم في الدنيا بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها
لهم بحيث يعلم كل احد منزلته ويهتدي اليه كانه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله في
الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم
وافرزها من عرف الدار فجنتهم كل منهم محدودة مفرزة والجملة اما مستانفة او حال باضمار قد او بدونها يا
ايها الذين امنوا ان تنصروا الله اي دينه ورسوله ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم

في مواطن الحرب ومواقفها او على حبل الاسلام والذين كفروا فتعسا لهم التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط وفعله تعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعا اي فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وقوله تعالى واضل اعمالهم عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية الموصول ذلك اي ما ذكر من التعس واضلال الاعمال بانهم اي بسبب انهم كرهوا ما انزل الله من القران وما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم الامارة بالسوء فاحبط لاجل ذلك اعمالهم وكانوا عملوها من صالح الايمان لا شيوا عليها افلم يسيروا في الارض اي اقعدوا في اماكنهم فلم يسيروا فيها فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبة فان اثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى دمر الله عليهم استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واموالهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به وللكافرين اي ولهؤلاء الكافرين السائرين سيرتهم امثالها امثال عواقبهم او عقوبتهم لكن لا على ان لهؤلاء الامثال مثلا اولئك واضعافه بل مثله فانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حيث تعددت الامم المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدي من كانوا يستخفونهم والقتل بيد المثل اشد الما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر كانه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الاخرة امثالها ذلك اشارة الى ثبوت امثال عقوبة الامم السالفة لهؤلاء بان الله مولى الذين امنوا اي ناصرهم على اعدائهم وقرئ ولي الذين وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله موليهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحكم ولايته تعالى وثمرتها في الاخرة والذين كفروا يتمتعون اي ينتفعون في الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تأكل الانعام غافلين عن عواقبهم والنار مثوى لهم اي منزل سوء واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون او استئناف وكأين كلمة مركبة من الكاف واي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله من قرية تمييز لها وقوله تعالى هي اشد قوة من قريتك صفة كما ان قوله تعالى التي اخرجتك صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف واجري احكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى اهلكناهم اي وكم من اهل قرية هم اشد قوة من اهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان باولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه السلام للايذان باولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة سالب لعمري كان اكثر ناصرا وايسر جرما منك ضرج بالدم وقوله تعالى فلا ناصر لهم بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم بانفسهم والفاء لترتيب ذكرها بيانا على ذكرها بالذات وهو حكاية حال ماضية افمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين حال فريقي منهما من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبي عليه السلام او عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه عليه السلام وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والتقدير اليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة وبرهان ظاهر بين من مالك امره ومربيه وهو القران الكريم وسائر الحجج العقلية كمن زين له سوء عمله من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه اقبح

القبائح واتبعوا بسبب ذلك التزيين اهواءهم الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم فضلا عن حجة تدل عليها وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي وعد المتقون استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة انفا للمؤمنين وبيان كيفية انهارها التي اشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك السيئات من اخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى فيها انهار الى اخرها مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول النظم الكريم وقيل المثل زائد كزيادته في قوله من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ وخبره فيها انهار الخ من ماء غير آسن اي غير متغير الطعم والريح وقرئ اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه بان صار قارصا ولا حازرا كالبان الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار وانما هي تلذذ محض ولذة اما تأنيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت به مبالغة وقرئ لذة بالرفع صفة على انها صفة انهار وبالنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل مصفى اي لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاشربة في الجنة بانواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ولهم مع ما ذكر من صنوف الانهار من كل الثمرات اي صنف من كل الثمرات ومغفرة اي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من ربهم وقوله تعالى كمن هو خالد في النار خبر لمبتدأ محذوف تقديره امن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره امثل الجنة اي مثل اهل الجنة كمن هو خالد في النار عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بانه بمنزلة من يسوي بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة قيل اذا دنى من وجوههم فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما ان جمع ما بعده باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة رضي الله عنهم ماذا قال انفا اي ما الذي قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان على صورة الاستعلام وانفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشيء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ ايضا انفا اولئك الموصوفون بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها الى الخير اصلا واتبعوا اهواءهم الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا الى طريق الحق زادهم اي الله تعالى هدى بالتوفيق والالهام واتاهم تقواهم اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءه او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة اي القيامة وقوله تعالى ان تأتيهم بغتة اي تأتيهم بغتة وهي المفاجأة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تعالى فقد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها رأسا تعليل لمفاجأتها لا لاتيانها مطلقا على انه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة

اى قد جاء اشراطها ولم يتدبروها من مبادى اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجاة لا محالة والاشراط جمع
شرط بالتحريك وهى العلامة والمراد بها بعثته صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى فانى
لهم اذا جاءتهم ذكريهم حكم بخطائهم وفساد رايهم فى تاخير التذكر الى اتيانها استحالة نفع التذكر
حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى اى وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر
مقدم وذكريهم مبتدأ واذا جاءتهم
ومن الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجىء
عن قيد البغتة لان مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تاتيهم على
انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم الخ والمعنى ان تاتيهم الساعة بغتة لانه قد ظهرت اماراتها فكيف لهم
بتذكرهم وامهالهم اذا جاءتهم فاعلم انه لا اله الا الله اى اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد
والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه
واستغفر لذنبك وهو الذى ربما يصدر عنك من ترك الاولى عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبك الجليل
كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشاد له عليه الصلاة والسلام الى التواضع وهضم النفس
العمل وللمؤمنين والمؤمنات اى لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعى غفرانهم وفى اعادة
صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه حسا وفى حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار
لعقابهم فى الذنب وفرط افتقارهم والله يعلم متقلبكم فى الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة
ومثواكم فى العقبى فانها مواطن اقامتكم فلا يامركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به
فانه المهم لكم فى المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شىء منها ويقول الذين آمنوا حرصا
منهم على الجهاد لولا نزلت سورة اى هلا نزلت سورة نؤمر فيها بالجهاد فاذا انزلت سورة محكمة
وذكر فيها القتال بطريق الامر وقرئ وذكر على اسناد ضميره اى سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لم
ينسخ وقرئ فاذا نزلت سورة وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال رايت الذين
فى قلوبهم مرض اى ضعف فى الدين وقيل نفاق وهو الاظهر اللائق لسياق النظم الكريم ينظرون
اليك نظر المغشى عليه من الموت اى تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كدأب من اصابته غشية
الموت فاولى لهم اى فويل لهم وهو افعل من الولى وهو القرب وقيل هو مشتق من الويل واصله
اويل فقلبت العين الى الحرف الذى اللام فوزنه افلع طاعة وقول معروف كلام مستانف اى امرهم طاعة
الخ وقيل او طاعة وقيل قول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابى يقولون طاعة وقول
معروف اى امرنا ذلك فاذا عزم الامر اسند العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما فى قوله تعالى
ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اى خالفوا وتخلفوا وقيل ما قصدوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله
تعالى فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضرنى طعام فلو جئتنى لاطعمتك اى فلو صدقوه تعالى
فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجرى على موجبه لكان اى الصدق خيرا لهم وفيه دلالة
على اشتراك الكل فيما حكى عنهم فى قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه فى الايمان وواطأت
قلوبهم فى ذلك السنتهم فاما كان فالمراد بهم الذين فى قلوبهم مرض وهم المخالفون بقوله تعالى
فهل عسيتم الخ بطريق الالتفات لتاكيد التوبيخ وتشديد التقريع اى فهل يتوقع منكم
ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم
اصله على السلف وتهالكا على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف فى الدين والحرص
على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذى هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد
وانهم دون ما هو شانكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اختلفت اعينكم وضعتم

امرين كما ذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه من الافساد
فى الجاهلية فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه ان الواقع
فى حيز الشرط فى مثل هذا المقام لا بد ان يكون محذوريته باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا شبهة
فى ان الاعراض عن الاسلام راس كل شر وفساد فحقه ان يجعل عمدة فى التوبيخ لا ان يجعل وسيلة للتوبيخ بما دونه
من المفاسد وقرئ وليتم على البناء للمفعول اى جعلتم ولاة وقرئ توليتم اى تولاكم ولاة جور خرجتم معهم
وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التاءين وبنصب
ارحامكم على نزع الجار اى فى ارحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة اهل الحجاز واما
بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا اولئك اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بان
ذكر هناتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره
الذين لعنهم الله اى ابعدهم من رحمته فاصمهم عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم
واعمى ابصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة فى الانفس والآفاق افلا يتدبرون
القرآن اى الا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من
الموبقات ام على قلوب اقفالها فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل
للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير
وتنكير القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شانها بابهام امرها فى القساوة والجهالة كانه قيل على قلوب منكرة
لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها فى القسوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة
الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ
اقفلها واقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اى رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر
وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا
[illegible] من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتاب
جميعا كفروا به عليه السلام بعدما وجدوا نعته عليه السلام فى كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله الشيطان
سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان اى سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء
وقيل من السول المخفف من السؤال لاستمرار القلب فمعنى سول له امرا اوقعه فى امنيته فان السول الامنية وقرئ
سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف اى كيد الشيطان واملى لهم وامد لهم فى الامانى والآمال وقيل امهلهم
الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املى لهم على صيغة المتكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم
فالواو للحال او للاستئناف وقرئ املى لهم على البناء للمفعول اى امهلوا ومد فى عمرهم ذلك اشارة الى ما ذكر
من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدى ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا عن القول
الاتى وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اى بسبب انهم قالوا يعنى المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين
به عليه السلام بعدما وجدوا نعته عليه السلام فى التورية كما قيل فان كفرهم به عليه السلام ليس بسبب هذا القول
ولو فرض صدوره عنهم سواء كان المقول لهم المنافقين او المشركين على راى القائل بل من حين بعثته عليه السلام
للذين كرهوا ما نزل الله اى لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بانه
من عند الله تعالى حسدا وطمعا فى نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى سنطيعكم فى بعض الامر
عبارة قطعا عما حكى عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب
لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين
كانوا يوالونهم ويوادونهم والبعض الذى اشاروا اليه عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم

بالسر قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا ياتون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم من اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اي اخفاءهم لما يقولون لليهود وقرئ اسرارهم اي جميع اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء في الدنيا والتعذيب في الآخرة والفاء في قوله تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على انه خبر لمبتدإ محذوف اي فكيف حالهم او حيلتهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل في الظرف كانه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على انه خبر لمبتدإ محذوف اي فكيف حالهم او حيلتهم اذا توفتهم وقرئ توفاهم لانه اما ماض او مضارع قد حذف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفتهم او من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الا بضرب الملائكة في وجهه ودبره ذلك التوفي الهائل بانهم اي بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر والمعاصي وكرهوا رضوانه اي ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التي لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها ام حسب الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدارا لما نعي عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج الله اضغانهم فام منقطعة وان مخففة من انّ وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اي بل احسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين ان لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها لرسول الله صلعم وللمؤمنين فتبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء لاريناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالارادة فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم التي نسمهم بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتاكيد والفاء لترتيب المعرفة على الارادة واما في قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلوا اخباركم بالخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ نبلو بسكون الواو على ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى بما شاهدوا نعته عليه السلام في التورية وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم بنو قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله بكفرهم وصدهم شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر او لن يضروا رسول الله بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم اي مكايدهم التي نصبوها في ابطال دينه تعالى ومشاقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله في اصحاب القليب فلا تهنوا اي لا تضعفوا وتدعوا الى السلم اي لا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء للدنية ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان على جواب النهي وقرئ فلا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدوره على المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون عن النبإ على احد الوجهين والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى وانتم الاعلون جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى والله معكم فان كونهم الاغلبين وكونه عز وعلا ناصرهم من اقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لاجور الاعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولن يتركم اعمالكم اي ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم فافردته منه من الوتر الذي هو الفرد عبر عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذي هو اضاعة شيء معتد به من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة اهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة اعظم الحقوق واتلافها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها ولا اعتداد بها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم اي ثواب اعمالكم من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون ولا يسئلكم اموالكم بحيث يخل اداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم ان يسئلكموها اي اموالكم فيحفكم اي يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استاصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم اي احقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ يخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان ها انتم هؤلاء اي انتم ايها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذي اي ها انتم الذين تدعون ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شانهم والانفاق في سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل اي ناس يبخلون وهو في حيز الدليل على الشرطية السابقة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن لتضمنه معنى الامساك وللتعدي والله الغني دون من عداه وانتم الفقراء فيما يامركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى وان تتولوا عطف على ان تؤمنوا اي وان تعرضوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما غيركم يخلق مكانكم قوما اخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل اهل فارس لما روي انه عليه السلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل العرب وقيل النخع وقيل العجم والروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا على الله عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح تسع وعشرون اية وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحراب او بدونه وقد فاته بالمظفور به متعلق ماخوذ من فتح باب الدار والمراد به فتح مكة شرفها الله وهو المروي عن انس رضي الله عنه بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه

بصيغة الماضي على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة تاكيدا للتبشير كما
ان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شان المخبر جل جلاله و
عز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له عليه السلام في تلك السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد
وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام و
حجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروى عن
ابن عباس رضي الله عنهما رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم
حتى سألوا الصلح وقد روى انه عليه السلام حين بلغه ان رجلا قال له ما هذا بفتح لقد صددنا
عن البيت وصد هدينا قال بل هو اعظم الفتوح وقد رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسألوكم
القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة حيث اصاب ان بويع بيعة
الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم
على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة
فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه
وقيل فجاش بالماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه السلام من الفتوح وقيل هو ما
فتح الله له عليه السلام من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه
وهو اعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من
فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها
من قابل وهو المروى عن قتادة رضي الله عنه وايا ما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والا
يذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه تعالى لا خصوصية المفتوح **فتحا**
مبينا بينا ظاهر الامر مكشوف الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى **ليغفر لك الله**
غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه السلام في اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق
الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار
بان كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الاخر مترتبة
على صفة من صفاته تعالى **ما تقدم من ذنبك وما تأخر** اي جميع ما فرط منك من ترك
الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل **ويتم نعمته عليك** باعلاء الدين وضم الملك
الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية **ويهديك صراطا مستقيما**
في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل
بعد ذلك من اتضاح سبيل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل **وينصرك الله** اظهار
الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأنه كما يعرب عنه تاكيده بقوله تعالى
نصرا عزيزا اي نصرا فيه عز ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة او
عزيزا صاحبه **هو الذي انزل السكينة** بيان لما افاض عليهم من مبادي الفتح من الثبات
والطمأنينة اي انزلها **في قلوب المؤمنين** بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير
الامن بعد الخوف **ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم** اي يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون
الى ما جاء به عليه السلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم
الآخر عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلاة

والزكاة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد
ذلك ايمانا الى ايمانهم **ولله جنود السموات والارض** يدبر امرها كيف يشاء يسلط بعضها على
بعض تارة ويوقع بينها السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح **وكان الله عليما**
مبالغا في العلم بجميع الامور **حكيما** في تقديره وتدبيره وقوله تعالى **ليدخل المؤمنين والمؤمنات**
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود
السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة
الله في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة **ويكفر عنهم سيئاتهم** اي يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال
في الذكر على التكفير مع ان الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى **و**
كان ذلك اي المذكور من الادخال والتكفير **عند الله فوزا عظيما** لا يقادر قدره لانه
منتهى ما يمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفته في الاصل
فلما قدم عليه صار حالا اي كائنا عند الله اي في علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله **ويعذب**
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفي تقديم المنافقين على المشركين
ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب **الظانين بالله ظن السوء** اي ظن الامر السوء
وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين **عليهم دائرة السوء** اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو
حائق بهم ودائر عليهم وقرئ دائرة السوء بالضم وهما لغتان والكره خلا ان المفتوح
غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما المضموم فجار مجرى الشر **وغضب الله عليهم**
ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين
مع ان حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلهما لما بعدهما للايذان باستقلال كل منهما في الوعيد واصالته من
غير اعتبار استتباع بعضها لبعض **وساءت مصيرا** اي جهنم **ولله جنود السموات والارض**
وكان الله عزيزا حكيما اعاده لما سبق قالوا وفيها التنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود
العذاب وان المراد هنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة **انا ارسلناك شاهدا**
اي على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا **ومبشرا** على الطاعة **ونذيرا** على المعصية **لتؤمنوا**
بالله ورسوله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته **وتعزروه وتوقروه** وتقووه بتقوية دينه و
رسوله وتوقروه وتعظموه **وتسبحوه** وتنزهوه او تصلوا له من السبحة **بكرة واصيلا** غدوة
وعشيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وقرئ الافعال الاربعة
بالياء التحتية وقرئ وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاي المكسورة وقرئ بفتح التاء وضم الزاي
وكسرها وتعززوه من العزة وتوقروه من اوقره بمعنى وقره **ان الذين يبايعونك** اي على قتال
قريش **تحت الشجرة** وقوله تعالى **انما يبايعون الله** خبر ان يعني ان مبايعتك هي مبايعة الله
عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تعالى **يد الله فوق ايديهم** حال
او استئناف مؤكد له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت
بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ انما يبايعون لله اي لاجله ولوجهه **فمن**
نكث فانما ينكث على نفسه اي فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرئ بكسر الكاف
ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو وتوسلا بذلك الى تفخيم
لام الجلالة وقرئ بكسرها ومنه تهيد **فسيؤتيه اجرا عظيما** هو الجنة وقرئ فسنؤتيه بنون
العظمة **سيقول لك المخلفون من الاعراب** هم اعراب من غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل

تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي
ليخرجوا معه عند ارادته السير الى مكة عام الحديبية حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب
او يصدوه عن البيت واحرم عليه السلام وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن
الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله
تعالى اليه عليه السلام بانهم سيعتذرون ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من
يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرئ شغلتنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا
الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم بدل من سيقول او استيناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار قل ردا
لهم عند اعتذارهم اولئك بالاباطيل فمن يملك لكم من الله شيئا اي فمن يقدر لاجلكم من
مشيئة الله تعالى وقضائه على شيء من النفع ان اراد بكم ضرا اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال
وضياعهما حتى تخلفون عن الخروج لحفظها ودفع الضرر عنها وقرئ ضرا بالضم او اراد بكم نفعا
اي ومن يقدر على شيء من الضرر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فاي حاجة الى التخلف
لاجل القيام بحفظها وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضرر والنفع
لما يتوقع على تقدير الخروج يرده قوله تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب
عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع
ما تعملون من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى بل ظننتم الى آخره بدل
من كان الى آخره مفسر لما فيه من الابهام اي بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم
ابدا بان يستاصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان تكونوا معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم
لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة
واما الاهال فاسم جمع كالليالي وقرئ الى اهلهم وزين ذلك في قلوبكم وقبلتموه واشتغلتم بشان
انفسكم غير مبالين وقرئ على البناء للفاعل باسناده الى الله سبحانه وتعالى والى الشيطان وظننتم
ظن السوء المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء او ما يعمه وغيره
من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه السلام فان الجازم بصحتها لا يحوم
حوله ذكره مما ذكر من الاستقبال وكنتم قوما بورا اي هالكين عند الله مستوجبين لسخطه
وعقابه على انه جمع بائر كعائذ وعوذ او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل
البوار من البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
ومن لم يؤمن بالله ورسوله كلام مستانف مبتدأ من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر
لبوارهم ومبين لكيفيته اي ومن لم يؤمن بهما كهؤلاء المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
اي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرين ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر
وانه مستوجب السعير بكفره وتنكير سعير للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات
والارض وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء يغفر لمن يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء ان
يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره عليه
السلام لهم وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي
الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله واما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا
سيقول المخلفون اي المذكورون وقوله تعالى اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ظرف لما قبله

لا شرط لما بعده اي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم ان تاخذوها وتخصكم بها
عما فاتكم من غنائم مكة ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان يبدلوا كلام الله
بان يشاركوا في الغنائم التي خصها باهل الحديبية فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست
فاقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها
بهم حسبما امرهم الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة واياما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة
لا قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل اقناطا لهم لن تتبعونا اي لا تتبعونا فانه نفي
في معنى النهي للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اي عند الانصراف من الحديبية فسيقولون للمؤمنين عند سماع
النهي بل تحسدوننا اي ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ تحسدوننا
بكسر السين وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون اي لا يفهمون الا قليلا اي الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا مور الدنيا
رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد واطم من الجهل المفرط وسوء الفهم في امور الدين
قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ستدعون الى قوم اولي باس
شديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمشركين لقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام
لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل
على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة الى غزوة الا اذ صح انهم وهو اذن فان ذلك
في عهد النبوة مختص وقام نفي الاتباع بما في غزوة خيبر كما قاله محي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى
يسلمون ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس تقبل منه الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا
حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبية
يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض
حرج اي في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج
عن كل من الطوائف المعدودة ومن يطع الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهي يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة ومن يتول فيما عن الطاعة يعذبه وقرئ بنون
العظمة عذابا اليما لا يقادر قدره لقد رضي الله عن المؤمنين هم الذين ذكر شأن مبايعتهم و
لهذه الاية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي و
صيغة المضارع استحضار لصورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله
روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الا
حابيش فرجع فبعث عثمان واخبرهم انه عليه السلام لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما
فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عليه السلام لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا
الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي على الموت
دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا و
خمسمائة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلاث مائة وقوله فعلم ما في قلوبهم عطف
على يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى بايعوك لا على رضي لكن فان رضاه تعالى مترتب على علمه تعالى
بما في قلوبهم من الصدق والاخلاص في مبايعتهم له عليه السلام وقوله تعالى فانزل السكينة عليهم فتحا قريبا
عطف على رضي اي فانزل عليهم الطمانينة والامن وسكون النفس والربط على قلوبهم بالصلح واثابهم

موقع خيبر عقب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ واتاهم **ومغانم كثيرة يأخذونها** هي مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان **وكان الله عزيزا حكيما** غالبا مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه **وعدكم الله مغانم كثيرة** هي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيمة **تأخذونها** في اوقاتها المقدرة لكل واحدة منها **فعجل لكم هذه** يعني مغانم خيبر **وكف ايدي الناس عنكم** اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح **ولتكون آية للمؤمنين** امارة يعرفون بها صدق الرسول في وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة لها بمحذوف مؤخر اي وليكون اية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف او انما تعلق به علة اخرى محذوفة من احد الفعلين اي تعجل لكم هذه وكف ايدي الناس لتغتنموها ولتكون الى الاخر فالواو على الاول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة **ويهديكم** بهذه الاية **صراطا مستقيما** هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تأتون وما تذرون **واخرى** عطف على هذه اي فعجل هذه المغانم ومغانم اخرى **لم تقدروا عليها** وهي مغانم هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة رغبتهم فيها وقوله تعالى **قد احاط الله بها** صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اي قد قدر الله عليها واستولى واظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بمضمر يفسره واحاط الله اي وقضى الله اخرى ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله تعالى اياها بعد اندراجها في جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان تعجيلها **وكان الله على كل شيء قديرا** لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء **ولو قاتلكم الذين كفروا** اي اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر **لولوا الادبار** منهزمين **ثم لا يجدون وليا** يحرسهم **ولا نصيرا** ينصرهم **سنة الله التي قد خلت من قبل** اي سن الله على انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم **ولن تجد لسنة الله تبديلا** اي تغييرا **وهو الذي كف ايديهم** اي ايدي كفار مكة **عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة** اي في داخلها **من بعد ان اظفركم عليهم** وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة ان مكة فتحت عنوة لا صلحا **وكان الله بما تعملون** من مقاتلتهم وهزمهم اولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء **بصيرا** فيجازيكم بذلك **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي** بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف ونحو الهدي بالرفع على صد الهدي وقوله تعالى **معكوفا** حال من الهدي اي محبوسا **ان يبلغ محله** بدل اشتمال منه من الهدي او منصوب بنزع الخافض اي محبوسا من ان يبلغ محله الذي يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروي ان خيامه عليه السلام كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه عليه السلام والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم** لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى **ان تطؤهم** اي توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم اي من الضمير المنصوب في تعلموهم **فتصيبكم منهم** اي من جهتهم **معرة** اي مشقة ومكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار قاتلهم والاثم والتقصير في البحث عنهم وهي مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه **بغير علم** متعلق بان تطؤهم او غير عالمين

وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فتصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى **ليدخل الله في رحمته** متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كانه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدي الى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها من يشاء وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين في اقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية وجوز ان يكون من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين واما قوله تعالى **لو تزيلوا** الى اخره فان فرض التزيل وترتيب التعذيب يقتضي تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل حتما اي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا **لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما** بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها **اذ جعل الذين كفروا** منصوب باذكر على المفعولية او بعذبنا على الظرفية وقيل بمقدر اي احسن الله اليكم وايا ما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء فقوله تعالى **في قلوبهم الحمية** اي الانفة والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له اي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم **حمية الجاهلية** والحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى **فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين** على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول وعلى الثاني على البدل عليه الجملة الامتناعية كانه قيل لم تتزيلوا فلم نعذب فانزل الى اخره وعلى الثالث على المضمر تفسيرا له والسكينة الثبات والوقار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى القرشي ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة القرشي هي الوفا بالعهد لو انا نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا **والزمهم كلمة التقوى** اي كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهلها **وكانوا احق بها** متصفين بمزيد استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار **واهلها** اي مستأهلها **وكان الله بكل شيء عليما** فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه **لقد صدق الله رسوله الرؤيا** رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة امنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت اي صدقه عليه السلام في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحقيقه اراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى **بالحق** اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي

هي التميز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث
الاحلام وقد جوز ان يكون قسما بالحق الذي هو من اسماء الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله تعالى
لتدخلن المسجد الحرام جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف اي والله لتدخلن الى اخره وقوله
ان شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلونه لموت او
غيبة او غير ذلك او هي حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما قاله عليه السلام
لاصحابه **آمنين** حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى **محلقين رؤسكم ومقصرين**
اي محلقا بعضكم ومقصرا اخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فيكون متداخلة **لا تخافون** حال
مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين او مقصرين او استئناف اي لا تخافون بعد ذلك **فعلم ما لم تعلموا**
عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي المتعلق بامر حادث بعد المعطوف عليه اي علم عقيب ما اراه
الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق علما فعليا **فجعل** لاجله **من
دون** اي من دون تحقق مصداق ما اراه من دخول المسجد الحرام الى آخره **ذلك فتحا قريبا** وهو فتح
خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون
آية للمؤمنين واما جعل ما في قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تاخير فتح مكة الى العام القابل
كما جنح اليه الجمهور فيأباه الفاء فان علمه تعالى بذلك متقدم على ارادة الرؤيا قطعا **هو الذي ارسل
رسوله بالهدى** اي ملتبسا به او لاجله **ودين الحق** وبدين الحق الاسلام **ليظهره على الدين كله**
ليعليه على جنس الدين بجميع افراده التي منها ما هو حق من بعض الاحكام المتبدلة
بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهل سائر الاديان اذ ما من
اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تاكيد لما وعد بالفتح وتوطين للنفوس المؤمنين على
انه تعالى سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة **وكفى
بالله شهيدا** على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته عليه السلام باظهار المعجزات **محمد** خبر مبتدا
محذوف وقوله تعالى **رسول الله** بدل او بيان او نعت اي ذلك الرسول بالهدى ودين الحق محمد رسول الله
وقيل محمد مبتدا خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى **والذين معه** مبتدا خبره **اشداء
على الكفار رحماء بينهم** واشداء جمع ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف
دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرافة والرحمة كقوله تعالى اذلة على المؤمنين
اعزة على الكافرين وقرئ اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه او
وقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى **تراهم ركعا سجدا** اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين
لمواظبتهم على الصلوات وهو على الاول خبر اخر او استئناف وقوله تعالى **يبتغون فضلا من
الله ورضوانا** اي ثوابا ورضا اما خبر اخر او حال من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا
او استئناف مبني على سؤال نشا من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كانه قيل ماذا يريدون
بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الى اخره **سيماهم** اي سيمتهم وقرئ سيمياهم بالياء بعد الميم
والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة بالمد وهو مبتدا خبره **في وجوههم** اي في جباههم وقوله
تعالى **من اثر السجود** حال من المستكن في الجار من التاثير الذي يؤثره كثرة السجود وما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله عليه السلام لا تعلبوا صوركم اي لا تسموها انما هو فيما اذا
اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة بمحض رياء ونفاق والكلام في جبهة السجاد لا
يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي

الله عنهم يقال لهما ذوا الثفنات لما احدث كثرة سجودهما في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير قال
قائلهم اي بان علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات وقيل صفرة الوجه من خشية تعالى
وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه السلام
من كثر صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من اثار السجود ومن اثر السجود بكسر الهمزة **ذلك**
اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه
وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى **مثلهم** اي وصفهم العجيب الشان الجاري في الغرابة
مجرى الامثال وقوله **في التورية** حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى **ومثلهم في
الانجيل** عطف على مثلهم الاول كانه قيل ذلك مثلهم في التورية والانجيل وتكرير مثلهم لتاكيد غرابته
وزيادة تقريرها وقوله تعالى **كزرع اخرج شطأه** الى اخره تمثيل مستانف اي هم كزرع اخرج فراخه
وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم عند
قوله تعالى مثلهم في التورية وقرئ شطأه بفتحات وقرئ شطاءه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاه
بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا **فآزره** وقوله **فاستغلظ**
فصار غليظا بعد ما كان دقيقا **فاستوى على سوقه** فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ سؤقه
بالهمزة **يعجب الزراع** بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه
صلى الله عليه وسلم قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس
وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى
ليغيظ بهم الكفار علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكوته واستحكامه لما بعده من قوله
تعالى **وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما** فان الكفار
اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الاخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم للبيان
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتح مكة شرفها الله تعالى

سورة الحجرات ثمان عشرة ايات مدنية

يا ايها الذين امنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي
مزيد اعتنائهم بشانه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم في الامتثال بانه داع
الى المحافظة عليه ومن الاخلال به **لا تقدموا** اي لا تفعلوا التقديم على ان نزل المفعول منزلة اللازم
نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع
ولا تقدموا امرا من الامور على ان حذف المفعول المقصد الى التعميم والاول اوفى بحق المقام لافادته
النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني
وقد جوز ان يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرأ
لا تقدموا بحذف احدى التاءين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى **بين يدي الله و
رسوله** مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان وهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا
قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان
بجلالة محله عند الله عز وجل قبل نزل فيما جرى عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لدى النبي صلى الله
عليه وسلم في تامير الاقرع بن حابس او القعقاع بن معبد **واتقوا الله** في كل ما تأتون وتذرون
من الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن فيه **ان الله سميع** لاقوالكم **عليم** بافعالكم فمن حقه ان يتقى

ويراقب يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي شروع في النهي عن التجاوز
في كيفية القول عند النبي بعد النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الايقاظ
والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشانه اي لا تبلغوا باصواتكم وراء حد
يبلغه عليه السلام بصوته وقرئ لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء زائدة ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه
كجهر بعضكم اي جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا اخفض من صوته عليه السلام وتعهدوا في
مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة ابهة النبوة وجلالة
مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال
ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار
حتى القى الله عز وجل واما عمر رضي الله عنه ان كان يكلمه عليه السلام كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان
ابو بكر رضي الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم
بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان تحبط اعمالكم اما علة للنهي اي لا تجهروا
خشية ان تحبط اعمالكم اي كراهة ان تحبط اعمالكم وقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا او للنهي اي لا تجهروا
لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان مؤديا الى الحبوط فكانه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون
لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك
كفر بل ما يتوهم ان يؤدي اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى
كجهر بعضكم لبعض خلا ان الصوت فوق صوته عليه السلام لما كان من منكر الجفا لمن يقيده بشيء او لا
لم يقع منها في حرب او مجادلة او معاندة عدو او ارهاب عدو ونحو ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ثابت
بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيتاذى بصوته وعن انس رضي الله عنه انه لما نزلت الاية فقد ثابت وتفقده عليه السلام
فاخبر بشانه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف
ان يكون عملي قد حبط فقال له عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل
الجنة واما ما يروى عن الحسن من المؤمنين بلا انزال النهي وانتم لا تشعرون حال من فاعل
تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير فانتهوا عنه وقوله تعالى ان الذين
يغضون اصواتهم عند رسول الله الى آخره ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب
عن الاخلال به اي يخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهي اولئك اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم
شانه وهو مبتدا خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها
كائنة للتقوى خالصة فان الامتحان سبب لمعرفتها واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل
او ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تثبت لهم الا بالاصطبار
عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضي الله عنه
اذهب عنها الشهوات لهم في الآخرة مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره والجملة
خبر آخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة او استئناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا
بسوء حال من ليس مثلهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اي من خارجها من خلفها
او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة
لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات

بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة
من الفعال بمعنى المفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها
حجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه السلام فناداه بعض من وراء
هذه وبعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز ان يكونوا نادوه من
وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت اجلالا له عليه السلام وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن
الفزاري والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة
وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم
اكثرهم لا يعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم
صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها
على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني انك قائم وحتى تفيد
ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه عليه السلام فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت
السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم
ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان اي الصبر المذكور خيرا لهم من الاستعجال لما
فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسئول اذ روي انهم وفدوا
في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما
فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
اي فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه السلام بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان
بينهم وبينه احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه السلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين
بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الامر بالتبيين على فسق المخبر اشارة الى قبول
خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا حذرا ان
تصيبوا قوما بجهالة ملتبسين بجهالة حالهم فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم
الاحرف الثلاثة تدور مع الدوام
في حقهم نادمين مغتمين واعلموا
ان فيكم رسول الله ان بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى لو يطيعكم
في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد الضميرين في فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله كائنا على حالة الى اخره
وهي انكم تريدون ان يتبع عليه السلام رايكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه
ايذان بان بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه
عليه السلام لم يطع رايهم واما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار طاعته عليه السلام
لهم لان عنتهم انما يلزم باستمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس
مرؤسا لا من الطاعة في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا مفسدة وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم
لامتناع استمرار طاعته عليه السلام لهم في ذلك فان المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام
كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق ان الاستمرار الذي تفيده صيغة المضارع يعتبر تارة
بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام
ثم يعتبر ما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار فيتعين ان يكون ذلك بحسب الزيادة فان ما اريد باستمرار الطاعة
استمرارها بحسب تجدد متعلقاتها الكثيرة التي يفصح عنها قوله تعالى في كثير من الامر لا في

فالحق ضرورة هو الاول ان مدار نتاج العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع
الطاعة في ازمان ذلك الامور الكثيرة اصلا وبعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض اليسير منها حتى لو لم
يمتنع ذلك الاستمرار بان لم يوجد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر في وقت من الاوقات
وقع الطلب قطعا فان اريد استمرار الطاعة الواقعة في الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره
فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة انه موجب
لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الطاعة في وقت من الاوقات
وقع العنت حتما واعلم ان الاحق بالاجتهاد والاولى بالاختيار هو الوجه الاول لانه اوفق للقياس
المقتضي لامتناع والامتناع وارد على الاستمرار وحسب وروده كالته ادا المفيدة للاولى على صيغة
المضارع المفيدة الثاني على ان اعتبار الاستمرار وراد اعلى النفي على خلاف القياس بمعونة المقام انما
يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس ولم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله تعالى ولا هم
يحزنون حمل على استمرار نفي الحزن عنهم اذ ليس في نفي استمرار الحزن مزيد فايدة واما اذا انتظم الكلام مع رعاية
موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه بمعزل لا يخفى وقوله تعالى **ولكن الله حبب اليكم الايمان**
الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن صفات الاولين
واحمادا لفعالهم اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم **وزينه في قلوبكم** حتى رسخ حبه فيها
وان ذلك ان لا يتم بما يليق به من الاقوال والافعال **وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان** وكذلك
اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من اثارها واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه معنى انتهاء المحبة و
الكراهة وايصالها اليهم استعملا بكلمة الى وقيل استدراك ببيان عذرهم الاولين كانه قيل ما صدر عنكم
في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم الى الايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان
والاول هو الاظهر لقوله تعالى **اولئك هم الراشدون** اي السالكون الى الطريق السوي الموصل
الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذي في قوله تعالى وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم
المضعفون **فضلا من الله ونعمة** اي انعاما تعليل لحبب وكره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما
بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا **والله عليم** اي مبالغ في العلم اي فيعلم احوال المؤ
وما بينهم من التفاضل **حكيم** يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا**
اي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى **فاصلحوا بينهما** بالنصح والدعاء الى حكم الله **فان بغت** اي تعدت **احديهما**
على الاخرى ولم يتاثر بالنصيحة **فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء** اي ترجع **الى امر الله** اي الى حكمه او الى
ما امر به وان فات اليه فاقعت الى القتال حذرا من قتالكم **فاصلحوا بينهما بالعدل** بفصل ما بينهما
على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح
بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك حيث قيل **واقسطوا** اي واعدلوا
في كل ما تأتون وما تذرون **ان الله يحب المقسطين** فيجازيهم احسن الجزاء والاية نزلت
في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده صلى الله عليه وسلم بالسعف والنعال
لا يخرج عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه فيء الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة من
بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة **انما المؤمنون اخوة** استيناف مقرر لما قبله من الامر
بالاصلاح اي انهم منسوبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية والفاء في قوله تعالى
فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة الدينية موجب للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر
مضافا الى المامورين للمبالغة في تاكيد وجوب الاصلاح وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات

وجوب

وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين
الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم **واتقوا الله** في كل ما تأتون وتذرون من الامور التي من
جملتها ما امرتم به من الاصلاح **لعلكم ترحمون** راجين ان ترحموا على تقواكم **يا ايها الذين امنوا لا**
يسخر قوم من قوم اخرين ايضا منكم وقوله تعالى **عسى ان يكونوا خيرا منهم** تعليل للنهي
او لموجبه اي عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال
لانهم القوامون على النساء وهو في الاصل اما جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او مصدر
نعت به فشاع في الجميع واما تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع
واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعظيم او للقصد الى نهي بعضهم عن سخرية
بعض لما انها مما يجري بين بعض وبعض **ولا نساء** منكن اي ولا يسخر نساء من المؤمنات **من نساء**
منهن **عسى ان يكن** المسخور منهن **خيرا منهن** اي من الساخرات وان مناط الخيرية في الفريقين ليس
ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التي عليها يدور امر السخرية غالبا انما هو
الامور الكامنة في القلوب فلا يجترئ احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله
فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن
فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم واما على الاول فهي التي لا خبر لها **ولا تلمزوا انفسكم**
اي لا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز
فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم **ولا تنابزوا بالالقاب** اي ولا يدع بعضكم بعضا
بلقب السوء فان النبز مختص به عرفا **بئس الاسم الفسوق بعد الايمان** اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان
يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان او اشتهارهم به فان الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس
بالكرم اي بالذم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الاية نزلت
في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرنني يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين
فقال صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم او الدلالة على ان التنابز
فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح **ومن لم يتب** عما نهي عنه **فاولئك هم الظالمون** بوضع العصيان
موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب **يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن** اي كونوا على جانب منه
وابهام الكثير لايجاب الاحتياط والتامل في كل ظن ظن حتى يعلم انه من قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كا
لظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث
يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية **ان بعض الظن اثم** تعليل
للامر بالاحتياط او لموجبه بطريق الاستيناف التحقيقي والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته
منقلبة من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها **ولا تجسسوا** اي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من
الجس لما فيه من معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب كما في قوله تعالى وانا لمسنا
السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم
وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف
بيته **ولا يغتب بعضكم بعضا** اي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس
رضي الله عنهما الغيبة ادام كلاب الناس **ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا** تمثيل وتصوير لما يصدر
عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعا وعقلا وشرعا

مع مبالغات بسبب الاستفهام التقريري واسناد الفعل الى احد للايذان بان احدا من الاحد لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا لا لاكل ميتا واخراج تماثلهما مخرج امر بتقي عنه الاخبارية وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والثاني قوله تعالى **فكرهتموه** لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كانه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرهتموه اي جبلتم على كراهته **واتقوا الله** بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما يصدر عنكم من قبل **ان الله تواب رحيم** مبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يختص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبغي لهما ادا ما وكان اسامة على طعامه صلى الله عليه وسلم فقال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال صلى الله عليه وسلم انكما قد اغتبتما فنزلت **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى** من آدم وحوى او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تاكيد النهي السابق بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب **وجعلناكم شعوبا وقبائل** والشعب الجمع العظيم المنسوب الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب **لتعارفوا** ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب لا لتنسبوا الى الاباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب وقرئ لتعارفوا على الاصل ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا **ان اكرمكم عند الله اتقاكم** ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقي كانه قيل ان الاكرم عند الله هو الاتقى فان تفاخرتم فتفاخروا بالتقوى وقرئ بان المفتوحة على حذف لام التعليل كانه قيل لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم فان الدال على كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العليا فعليه بالتقوى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى **ان الله عليم** بكم وبما عملكم وما عملكم **خبير** ببواطن احوالكم **قالت الاعراب آمنا** نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدب فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما فعلوا **قل** ردا لهم **لم تؤمنوا** اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمانينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما منتم على ما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة **ولكن قولوا اسلمنا** فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا ولم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز عن النهي عن القول بالايمان وللتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا **ولما يدخل الايمان في قلوبكم** بالاخلاص وترك النفاق لا يالتكم ... من اعمالكم لا ينقصكم حال من ضمير قولوا اي لكن قولوا اسلمنا

نسيناه

حال

حال عدم مواطاة قلوبكم لالسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد **وان تطيعوا الله ورسوله** بالاخلاص وترك النفاق **لا يلتكم من اعمالكم** لا ينقصكم **شيئا** من اجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقرئ لا يالتكم من الالت وهي لغة غطفان او شيئا من النقص **ان الله غفور** لما فرط من المطيعين **رحيم** بالتفضل عليهم **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا** لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ان فيهم ما يوجب نفي الايمان منهم وثم للاشعار بان عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس في حال فقط بل وفيما يستقبل ايضا كما في قوله تعالى ثم استقاموا **وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله** في طاعته على تنوعها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد **اولئك** الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة **هم الصادقون** اي الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم روي انه لما نزلت الآية جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى **قل اتعلمون الله بدينكم** اي اتخبرونه بذلك بقولكم آمنا فالتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم وقوله تعالى **والله يعلم ما في السموات وما في الارض** حال من مفعول تعلمون مؤكد لتشنيعهم **والله بكل شيء عليم** تذييل مقرر لما قبله اي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهار الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم **يمنون عليك ان اسلموا** اي يعدون اسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن **قل لا تمنوا علي اسلامكم** اي لا تعدوا اسلامكم منة علي او لا تمنوا علي باسلامكم فنصب بنزع الخافض **بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان** على ما زعمتم ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم **ان كنتم صادقين** في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى كونه ايمانا وسماه اسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم **ان الله يعلم غيب السموات والارض** اي ما غاب فيهما **والله بصير بما تعملون** في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه صدق رسول الله

سورة ق اربعون ايات مكية وهي آيات

ق والقرآن المجيد اي ذي المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى **بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم** اي لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك او من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كانه قيل والقرآن المجيد انزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد في صدر سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع كونهما اوفق شيء لقضية العقول واقربه الى التلقي بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا ثم اضرب عنه وقيل بل عجبوا اي لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما ينبئ عنه وصف القرآن بالمجيد قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن انه لا مجد له ولكن لجهلهم **فقال الكافرون هذا شيء عجيب** تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة

تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه صلى الله عليه وسلم منذرا بالقران وباضمارهم والاشعار
بتعينهم بما اسند اليه وباظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه او عطفا لتعجبهم من البعث
على ان هذا اشارة الى مبهم تفسيره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع الضمير اما لسبق اتصافهم
بما يوجب كفرهم واما للايذان بان تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه وتعالى
عند مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو اشق منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة اشنع من الاول
واعرق في كونه كفرا **ائذا متنا وكنا ترابا** تقرير للتعجب وتاكيد للانكار والعامل في اذا مضمر
غنى عن البيان لغاية شهرته تعالى ودلالة ما بعده عليه اى حين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به
النذير مع كمال التباين بيننا وبين الحياة وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار
ذلك اشارة الى محل النزاع **رجع بعيد** اى عن الاوهام والعادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى الرجوع
الذى هو الجواب فناصب الظرف حينئذ ما ينبئ عنه المنذر من البعث **قد علمنا ما تنقص الارض منهم**
رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد
الموتى وتاكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم
كل ابن ادم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم **وعندنا
كتاب حفيظ** حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغيير والمراد اما تمثيل علمه تعالى
بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب بل اضربوا عنهم الشائعة الى بيان ما هو اشنع منه واقطع وهو
تكذيبهم بالنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة لما جاءهم من غير تامل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على ان اللام
للتوقيت اى وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القران والاخبار بالبعث **فهم في امر مريج** لا قرار له من مرج الخاتم
في اصبعه حيث يقولون تارة هو شاعر وتارة هو ساحر واخرى كاهن **افلم ينظروا** اى اغفلوا او عموا
فلم ينظروا **الى السماء فوقهم** بحيث يشاهدونها كل وقت **كيف بنيناها** اى رفعناها بغير عمد
وزيناها بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع **وما لها من فروج** من فتوق لانشقاقها وسلامتها
من كل عيب وخلل ولعل تاخير هذا لمراعاة الفواصل **والارض مددناها** اى بسطناها **والقينا فيها
رواسي** جبالا ثوابت من رسا الشئ اذا ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاءها لارساء
الارض بها **وانبتنا فيها من كل** شئ **زوج** من كل صنف **بهيج** بهيجة حسن **تبصرة وذكرى**
علتان للافعال المذكورة معنى وان نصبتا بالفعل الاخير او بفعل مقدر بطريق الاستئناف اى فعلنا ما فعلنا
تبصرة وتذكيرا **لكل عبد منيب** اى راجع الى ربه متفكر في بدائع صنائعه وقوله تعالى **ونزلنا من السماء
ماء مباركا** اى كثير المنافع شروع في بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا
وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده **فانبتنا به** اى بذلك **جنات** كثيرة اى اشجار
ذوات ثمار **وحب الحصيد** اى حب الزرع الذى شانه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما و
تخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات **والنخل** عطف على جنات وتخصيص النخل بالذكر وانما
لما وتخصيص مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتاكيد
استقلالها وامتيازها على البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل **باسقات** اى طوالا او حوامل من ابسقت
الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل فهو فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف **لها طلع نضيد**
اى منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات
بطريق الترادف او من ضميرها في باسقات على التداخل او الحال وهو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على
الفاعلية وقوله تعالى **رزقا للعباد** اى لنرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفي تعليله بذلك

بعد تعليل انبتنا الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك
من حيث التذكر والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر
من معنى انبتنا لان الانبات رزق **واحيينا به** اى بذلك الماء **بلدة ميتا** ارضا جدبة لا نماء فيها
اصلا بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تتمتع بها بعد
ما كانت جامدة خامدة وتذكير ميتا بمعنى البلد والمكان **كذلك الخروج** جملة قدم فيها الخبر
للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد رتبتها اى مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شئ مخالف لها وفي التعبير عن
اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالاخراج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر
البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام
الناس وقوله تعالى **كذبت قبلهم قوم نوح** الى آخره استئناف وارد لتقرير حقية البعث
ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم او تعذيب منكريها **واصحاب الرس** قيل هم من بعث اليهم شعيب
صلى الله عليه وسلم كما مر في سورة الفرقان على التفصيل **وثمود وعاد وفرعون** اى هود ليلائم
ما قبله وما بعده **واخوان لوط** قيل كانوا من اصهاره صلى الله عليه وسلم **واصحاب الايكة**
هم من بعث اليهم شعيب صلى الله عليه وسلم غير اهل مدين **وقوم تبع** سبق شرح حالهم في سورة
الدخان **كل كذب الرسل** اى فيما ارسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث التي اجمعوا عليه قاطبة
اى كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم وكذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير
باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار
بالبعث والحشر وكذبت واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على
تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم عن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد
والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع **فحق وعيد** اى فوجب وحل عليهم وعيدي وهي كلمة العذاب
وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم **افعيينا بالخلق الاول** استئناف مقرر لصحة
البعث الذي حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعي بالامر العجز عنه يقال عيي بالامر وعيي به
اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد والمباشرة
كانه قيل اقصدنا بالمطلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة **بل هم في لبس من خلق جديد**
عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كانه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة
في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شانه والاشعار بخروجه عن حدود العادات
والايذان بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته **ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به
نفسه** اى ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والضمير
لما ان جعلت موصولة والباء كما في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء
للتعدية **ونحن اقرب اليه من حبل الوريد** اى اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل
الوريد عبر بالقرب للعلم بقرب الذات تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل في فرط القرب
والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان يكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان
بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده **اذ يتلقى المتلقيان** منصوب
بما في اقرب من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شئ اخفى منه وانما ذكر لنا في كتبهما وحفظهما
لا لاعمال العبد وعرض صحائفها يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تعالى

تفاصيل احوال الحجر بزيادة العلم له وعن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه صلى الله عليه وسلم ان مقعد
ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله و
لا منهما وقد يجوز ان يكون تلقي بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله اذ حفظتنا وكتبتنا
موكلون به **عن اليمين وعن الشمال قعيد** اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس
بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال رماني بامر كنت
منه ووالدي بريا ومن اجل الطوي رماني وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله
تعالى **والملائكة بعد ذلك ظهير** ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه من خير او شر وقرئ ما يلفظ
بالبناء للمفعول **الا لديه رقيب** ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين
بعينه والا فهو صاحب الشمال ولعل تغيير العنوان لما في البيان والافراد وقوله
ما مع ما صدر عنه لان لما ان كلا منهما رقيب لما فوض اليه لا الى ما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى
عتيد اي معد مهيا لكتابة ما امر به من الخير والشر ومن لم يثبته لم يتوهم ان معناه رقيبان عتيدان و
تخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل بالاولى النص واختلف فيما يكتبان فقيل يكتبان
كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله صلى
الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات
امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب
الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر **وجاءت سكرة الموت بالحق** لما ذكر
استبعادهم للبعث ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة
عليهم اتبع ذلك بيان انهم ملاقوه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال
وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة
بالعقل والباء اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي
نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق
الذي لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له واما للملابسة كالتي في قوله
تعالى تنبت بالدهن ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق
بالموت والمعنى انها السكرة التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق الروح او
تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات
الموت **ذلك** اي الموت **ما كنت منه تحيد** اي تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه
شاملة لكل فرد من افراده طبعا **ونفخ في الصور** يعني النفخة الثانية **ذلك** اي وقت ذلك
النفخ على حذف المضاف **يوم الوعيد** اي يوم انجاز الوعيد الواقع في الدنيا او يوم وقوع الوعيد
على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل
على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا للتهويل ولذلك بدئ
ببيان حال الكفرة **وجاءت كل نفس** من النفوس البرة والفاجرة **معها سائق وشهيد**
وان اختلفت كيفية السوق والشهادة بحسبها اختلاف النفوس عملا اي معها ملكان احدهما يسوقها
الى المحشر والآخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها
وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد
جوارحه واعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة كانه قيل

كل النفوس والجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل وقوله تعالى **لقد كنت في غفلة من
هذا** محكي باضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او استئناف مبني على سؤال نشأ
مما قبله كانه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة الى آخره والخطاب لكل اذ ما
من احد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار
تأنيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما في قوله **حليهم من حريب** يا نفس
انك باللذات مسرور **فكشفنا عنك غطاءك** الغطاء الحجاب المغطي لامر المعاد وهو الغفلة و
الانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها **فبصرك اليوم حديد** نافذ لزوال المانع للابصار
وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة **وقال قرينه** اي الشيطان المقيض له المشار اليه **هذا ما لدي
عتيد** اي هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائي واضلالي وقيل قال الملك الموكل به
مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندي عتيد مهيا للعرض وما ان جعلت موصولة فعتيد
صفتها وان جعلت موصوفة فهي بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدأ محذوف **القيا في جهنم كل كفار** خطاب
من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد على تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره
كقول من قال فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا او على ان الالف بدل
من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق **مناع
للخير** كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة
لما منع بني اخيه منه **معتد** ظالم متخط للحق **مريب** شاك في الله وفي دينه **الذي جعل مع الله الها آخر** مبتدأ
متضمن معنى الشرط خبره **فالقياه في العذاب الشديد** او بدل من كل كفار وقوله تعالى فالقياه في
العذاب الشديد تكرير للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه **قال قرينه** اي الشيطان
المقيض له وانما استؤنفت استئناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لانه جواب لمحذوف دل عليه
قوله تعالى **ربنا ما اطغيته** فانه منبئ عن سابقة كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغاني فاجاب
قرينه بتكذيبه باسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على
الجمع بين مفهوميهما اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه **ولكن كان في ضلال بعيد** من الحق فاعنته
عليه بالاغواء والدعوة من غير قسر والجاء كما في قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
قال استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال **لا تختصموا
لدي** اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة في ذلك **وقد قدمت اليكم بالوعيد** على الطغيان في دار
الكسب في كتبي وعلى السنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة
والجملة حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت
لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام
في هذا الوقت فالباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم وقد يجوز ان يكون قدمت واقعا على قوله
تعالى **ما يبدل القول لدي** الى آخره ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول او الفاعل
اي وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به اذ قدمت اليكم موعدا لكم به فلا
تطمعوا ان ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل
العفو تدل على تخصيص الوعيد على قوله تعالى **وما انا بظلام للعبيد** وارد لتحقيق الحق على الوجه
الكلي وتبيين ان عدم تبديل القول وتبديل موجب الوعيد ليس لعز جنابه تعالى لعزيز استحقاق لعذابهم
بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة بغير ذنب لعوجها اشير اليه آنفا اي وما انا بمعذب

للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من
قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال النزاهة تعالى عن ذلك بتصويره
بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر
من التعذيب لغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم
لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كتفاء **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل**
من مزيد سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها
وتباعد اقطارها تطرح فيها من الجن والانس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث
يدخلها من يدخلها وفيها محل فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء
والمزيد اما مصدر كالمحيد والمجيد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او انذر او ظرف لنفخ فيكون
ذلك اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اي يكون من الاحوال والاهوال
ما يقصر عنه المقال **وازلفت الجنة للمتقين** شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجيء النفوس
الى الموقف للحساب وقد مر من تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ اي قربت للمتقين
بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون
اليها فائزون بها وقوله تعالى **غير بعيد** تاكيد للازلاف اي مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها
او حال كونها غير بعيد اي شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون على زنة المصدر الذي يستوي في الوصف به المذكر
والمؤنث او لتاويل الجنة بالبستان **هذا ما توعدون** اشارة الى الجنة والتذكير لما ان المشار اليه
هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما من احكام اللفظ العربي
كما في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب
وقيل الى مصدر ازلفت وتوعدون والجملة لها اعتراض بين المبدل والمبدل منه واما تقرير
بقوله هو كائن للمتقين او من الجنة والعامل ازلفت اي مقولا لهم او مقولا في حقها هذا ما
لكل اواب اي رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار **حفيظ** حافظ لترتيبه من
النقض وقيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى
وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه **من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب** بدل بعد بدل
من موصوف ولا يجوز ان في حكمه لان من لا يوصف به ولا يوصف الا بالذي او مبتدأ خبره **ادخلوها**
بتاويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل
خشي او من مفعوله او صفة لمصدره اي خشية متلبسة بالغيب حيث عقابه وهو غائب عنه او هو
غائب عن الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه راجون
رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى **بسلام**
متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم او بسلام من
جهة الله تعالى وملائكته **ذلك** اشارة الى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الامور **يوم**
الخلود اذ لا انتهاء له ابدا **لهم ما يشاؤون** من فنون المطالب كائنا ما كان **فيها** متعلق بيشاؤون
وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عائده محذوف من صلاته **ولدينا مزيد** هو ما لا يخطر ببالهم
ولم يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب

بشر وقيل ان السحاب يمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فيقول نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد
وكم اهلكنا قبلهم اي قبل قومك **من قرن هم اشد منهم بطشا** اي قوة كعاد واضرابهما
فنقبوا في البلاد اي خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا في اقطارها وجالوا في اكناف الارض كل مجال
حذار الموت واصل النقب والنقب والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة على
ان شدة بطشهم اقدرتهم على النقب وقيل هي عاطفة في المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الخ وقرئ
بالتخفيف **هل من محيص** اي هل لهم من مخلص من امر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال
من واو فنقبوا اي فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص او على اجراء النقب لما فيه من معنى التتبع
والتفتيش مجرى القول او هو كلام مستانف وارد لنفي ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل
مكة اي ساروا في مسايرهم واسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم
ويعضده القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي
اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم **ان في ذلك** اي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر
في السورة **لذكرى** لتذكرة وعظة **لمن كان له قلب** اي قلب سليم يدرك به ما فيه ما يشاهده من الامور
ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع بمجرد مشاهدة الاثار
من غير تذكر **او القى السمع** الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فان من فعله فيقف على
جلية الامر فينزجر عما يؤدي اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع والقاء السمع لا يجدي بدون
سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى **وهو شهيد** بفطنته لان من لا يحضر ذهنه كانه غائب وتجريد
القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عرى قلبه عنها فمن لا قلب له اصلا **ولقد خلقنا السموات**
والارض وما بينهما من اصناف المخلوقات **في ستة ايام وما مسنا** بذلك مع كونه مما لا تفي به
القوى والقدر **من لغوب** من اعياء ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم انه تعالى
بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى
عما يقولون علوا كبيرا **فاصبر على ما يقولون** اي ما يقوله المشركون في شان البعث من الاباطيل المبنية
على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذا بلا فاعيل بلا لغوب قادر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله
اليهود من مقالات الكفر **وسبح بحمد ربك** اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في
اخباره التي من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى على ما انعم به عليك من اصابة الحق و
غيرها **قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** هما وقتا الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة **ومن الليل فسبحه**
وسبحه بعض الليل **وادبار السجود** واعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت
الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوة والمراد بما قبل
طلوع صلوة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاآن والتهجد وما يصلى بادبار السجود
النوافل بعد المكتوبات **واستمع** اي لما يوحى اليك من احوال القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به
يوم ينادي المنادي اي اسرافيل او جبرائيل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية واللحوم
المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركم ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرائيل
ينادي بالحشر **من مكان قريب** بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس
وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الاعادة مثل
يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادي المنادي والصيحة النفخة الثانية **بالحق** متعلق
بالصيحة والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى **ذلك يوم الخروج** اي يوم يسمعون الصيحة

ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور انا نحن نحيي ونميت في الدنيا من غير
ان يشاركنا في ذلك احد والينا المصير للجزاء في الاخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا
اشتراكا يوم تشقق الارض عنهم بحذف احدى التائين من تتشقق وقرئ بتشديد
الشين وتشقق بالبناء للمفعول للتفعيل وتنشق سراعا مسرعين ذلك حشر وبعث وجمع وسوق
علينا يسير اي هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسير به تعالى نحن اعلم بما يقولون
من نفي البعث وتكذيب الايات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه وما انت عليهم بجبار بمسلط
تجبرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت مذكر فذكر بالقران من يخاف وعيد واما
من عداهم فنحن نفعل بهم ما يوجبه اقوالهم ويستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية ستون ايات

والذاريات ذروا اي الرياح التي تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال
فالحاملات وقرا اي السحب الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول
بالمصدر فالجاريات يسرا اي السفن الجارية في البحر او الرياح الجارية في مهابها او السحب الجارية
في الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف اي جريا ذا
يسر فالمقسمات امرا اي الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب
التي يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد جوز ان يكون يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة
اختلاف الذات فانها كما تذرو ما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم
الامطار بتصريف السحاب في الاقطار فان حملت الامور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب
الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فهي لترتيب ما صدر عن الريح
من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الى الجو حتى ينعقد سحابا فتجري به الى ما امرت به فتقسم المطر
قوله تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم وفي تخصيص الامور
المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها امور
بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية
ووصف الوعد بالصدق والدين الجزاء ووقوعه حصوله والسماء ذات الحبك قال ابن عباس
وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوي وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة
البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق فالمراد بالطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب
او المعقولة التي يسلكها النظار او النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها
كما تزين الموشى طرائق الوشي وهي اما جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن
القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل انكم لفي قول مختلف
اي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه صلى الله عليه وسلم تارة شاعر واخرى ساحر وفي شان القران
الكريم تارة شعر وتارة سحر واخرى اساطير وفي هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء
كما يلوح به ما تقدم من الضحاك ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل النكتة
في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها باختلاف طرائق السموات وتباعدها واختلاف
غاياتها وليس بذاك يؤفك عنه من افك اي يصرف عن القران او الرسول صلى الله عليه وسلم

من صرف اذ لا صرف اشد منه واشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز ان يكون
الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افكهم عن ذلك القول وقرئ من افك الناس وهم قريش
حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره
واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له
وهم اصحاب القول المختلف كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين الذين هم في غمرة من الجهل
والضلال ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اي متى وقوع يوم الجزاء
ولكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة يوم هم
على النار يفتنون جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون
يوم خبر المبتدأ محذوف اي هو يوم هم الخ والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه قرئ بالرفع
ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى هذا الذي كنتم به تستعجلون جملة من مبتدأ
وخبر ولعله تحت القول المضمر اي هذا ما كنتم تستعجلون به على سبيل الاستهزاء ويجوز ان يكون
بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا
يقادر قدرها آخذين ما آتاهم ربهم اي قابلين لما اعطاهم راضين به على معنى ان كل ما
آتاهم حسن مرضي يتلقى بحسن القبول انهم كانوا قبل ذلك في الدنيا محسنين اي لاعمالهم
الصالحة آتين بها على ما كان ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاعمال
ما اشار اليه عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل على ان قليلا ظرف
او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة لمصدر محذوف وما مزيدة في الوجهين ويجوز ان تكون
مصدرية او موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه
مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي
هو الفرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لان تجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا
بل يحيونه كله لما ان ما النافية لا تعمل ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم يستغفرون اي هم
مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الاسحار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء
الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم له و
اطنابهم فيه وفي اموالهم حق اي نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى
على الناس للسائل والمحروم المستجدي والمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفي
الارض آيات للموقنين اي دلائل واضحة على شؤونه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة
كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها والسالكين في مناكبها وفيها
سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مغيبة وانها تلقح بالوان
النبات وانواع الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب
منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وفي انفسكم اي وفي
انفسكم آيات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانفس له نظير يدل دلالته على ما انفرد به من
الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط
الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون اي الا تنظرون فلا تبصرون بعين
البصيرة وفي السماء رزقكم اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق

المطر لانه سبب الاقوات

وما توعدون من الثواب لان الجنة في السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في
السماء وقيل انه مستانف خبره قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق على ان الضمير لما واما على
الاول فهو لما ذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار لكلام الاشارة مثل ما انكم تنطقون
اي كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيقته ونصبه على الحال من المستكن في لحق او على
انه وصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان
كانت عبارة عن وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده القراءة
بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور
والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك آخر معهما
عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم عليه السلام او لانهم
كانوا في حسبانه كذلك المكرمين اي المكرمين عند الله تعالى او عند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه
وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او لما في الضيف من معنى الفعل او المكرمين ان فسر باكرام ابراهيم
فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما قال اي ابراهيم سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع لقصد
الثبات والدوام حتى تكون تحيته صلى الله عليه وسلم احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين و
قرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم عليه السلام للسلام الذي هو علم الاسلام او لانهم
اجنبيا من عهدهم من الناس او لاوضاعهم واشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه السلام
انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لا انه خاطبهم به جهارا او سألهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل ولا
لكشفوا احوالهم عند ذلك ولم يتصل صلى الله عليه وسلم لمقدمات الضيافة فراغ الى اهله اي ذهب
اليهم على خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى ويبادر به حذرا من ان يكفه ويعذره
او يصير منتظرا والفاء في قوله تعالى فجاء بعجل سمين فصيحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها
وايذانا بكمال سرعة المجيء والطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق قد ذبح عجلا
فحنذه فقربه اليهم بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد قال الا تاكلون انكار لعدم تعرضهم للاكل
فاوجس منهم اضمر في نفسه خيفة لتوهم انهم جاؤا للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة جاؤا للعذاب
قالوا لا تخف قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم
وبشروه بواسطتهم بغلام هو اسحق عليه السلام عليم عند بلوغه واستوائه فاقبلت امراته
لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرة ومحله النصب على الحالية
او المفعولية وفي سورة الصافات وبشرناه ان جعلت اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمني فصكت
وجهها اي لطمته من الحياء لما انها وجدت حرارة دم لطمت وقيل ضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل
المتعجب وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك القول الكريم قال ربك
وانما نحن نخبرك به عنه تعالى لا انا نقوله من تلقاء انفسنا انه هو الحكيم العليم فيكون قوله
حقا وفعله متقنا لا محالة روي ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا
جذوعه مورقة مثمرة ولم يكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابراهيم عليه السلام ايضا حسبما
شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر هاهنا اكتفاء بما ذكر هنالك كما انه لم يذكر هنالك اكتفاء بما ذكر هاهنا وفي
سورة هود قال اي ابراهيم عليه السلام لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر فما خطبكم
اي فما شأنكم الخطير الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا

الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اي بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها
حسبما فصل في سائر السور الكريمة حجارة من طين متحجر هو السجيل مسومة اي مرسلة من اسمة
اي ارسلتها او معلمة من السومة وهي العلامة وقد مر تفصيله في سورة هود عند ربك للمسرفين
المجاوزين الحد في الفجور وقوله تعالى فاخرجنا الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم
لوط بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى من الملائكة وبين ابراهيم عليهم السلام من الكلام والفاء
فصيحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع اخر كانه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا
بقولنا فاسر باهلك الخ من كان فيها اي في قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين
ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين قيل هم لوط واهل بيته الذين نجوا قيل كانوا ثلاثة
عشر وتركنا فيها اي في القرية اية علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل هي تلك الاحجار
او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن للذين يخافون العذاب الاليم اي من شانهم ان يخافوه لسلامة
فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها
اية وفي موسى عطف على قوله تعالى وفي الارض او على قوله تعالى وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية
كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه قيل هو منصوب باية وقيل بمحذوف اي كائنة
وقت ارسالنا وقيل بتركنا الى فرعون بسلطان مبين هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة
فتولى بركنه اي فاعرض عن الايمان بها كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه
وعسكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون
كانه نسب ما ظهر على يديه عليه السلام من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل باختياره
وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم
القدرة الربانية ونهاية قماءة فرعون وقومه ما لا يخفى وهو مليم اي آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان
والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وصفت بالعقيم
لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او القاح شجر وهي
الدبور او الجنوب ما تذر من شيء اتت عليه اي جرت عليه الا جعلته كالرميم هو كل ما رم
وبلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو قوله
تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة ايام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد
غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فعتوا عن امر ربهم اي استكبروا عن الامتثال
فاخذتهم الصاعقة قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم
واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم
الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي المرة من الصعق
وهم ينظرون اليها ويعاينونها فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم
جاثمين وما كانوا منتصرين ممتنعين منه كما لم ينتصروا بانفسهم وقوم نوح اي فاهلكنا قوم نوح
فان ما قبله يدل عليه او واذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل
هو معطوف على مفعول فاخذناه من قبل اي من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين
عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي والسماء بنيناها بايد اي بقوة وانا لموسعون
لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة اي القادرون على الانفاق او لموسعون السماء او الارض او الرزق
والارض فرشناها وبسطناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء اي من

اي من الاجناس **خلقنا زوجين** اي نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين السماء والارض والليل والنهار
والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك **لعلكم تذكرون** اي فعلنا ذلك كله كي تذكروا فتعرفوا انه خالق
الكل ورازقه وانه يستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجميع اي فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى **ففروا
الى الله** مقدر بقول خطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء لترتيب الامر على ما يحكى
من اثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن احكام رحمته المستدعية للفرار اليها قيل كانه قيل لهم اذا كان الامر
كذلك فاسرعوا الى الله الذي هذه شئونه بالايمان والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما العطف
على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كانه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله تعالى الى آخره وقوله
انى لكم منه نذير مبين تعليل للامر بالفرار اليه تعالى او لوجوب الامتثال فان كونه عليه السلام منذرا منه
تعالى موجب عليه عليه السلام ان يامرهم بالفرار اليه وعليهم ان يمتثلوا به اي انى لكم من جهته تعالى منذر بين
كونه منذرا منه تعالى لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به وفي امره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم
بان يامرهم بالهرب اليه من عقابه وتعليله بانه عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه
وعدكم من نجاتهم من المرهوب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى **ولا تجعلوا مع الله الها آخر**
نهي موجب للفرار من جهة العذاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى **انى لكم** اي من الجعل
المنهي **منه نذير مبين** فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته الباء بتضمينه معنى الفرار تعالى من جهته
اي مهرب او نحو غيره كانه قيل وفروا من ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا او قولا الها آخر وفيه تاكيد لما قبله
من الامر بالفرار من العذاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بل بالنهي عن سببه كانه قيل وايجاب
الفرار منه كذلك اي الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله تعالى ما اتى
الذين من قبلهم الى آخره تفسير له اي ما اتاهم من رسول من رسل الله الا قالوا في حقه ساحر او مجنون
ولا سبيل الى انتصاب الكاف بأتى لامتناع عمل ما بعدها النافية فيما قبلها **اتواصوا به** انكار وتعجب
من حالهم واجماعهم تلك الكلمة الشنيعة التي لا تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن
التفوه بها اي اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى **بل هم قوم طاغون** اضراب
عن كون مداره التواصي على بتراضيهم بذلك واثبات كونه امرا اقبح من التواصي واشنع منه من
الطغيان الشامل للكل على ان صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب
وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك سبب في طباعهم **فتول عنهم** فاعرض عن جدالهم فقد كررت
عليهم الدعوة فابوا الا الاباء **فما انت بملوم** على التولي بعدما بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ
كل حد معهود **وذكر** اي فعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة او فذكرهم وقد حذف الضمير
لظهور الامر **فان الذكرى تنفع المؤمنين** اي الذين قدر الله تعالى ايمانهم او الذين امنوا بالفعل
فانهم تزداد بصيرة وقوة اليقين **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** استئناف
مقرر للامر مفيد لتعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوهم الى التذكير ويوجب
عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن على الانس في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود ومعنى
خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها متمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن بجعل كونها
مطلوبة منهم بتنزيل ترتبها لغاية على ما هي عليه ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض
له فان امتناع افعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهي رحمة منه تعالى
وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض على ما هو غرض له
بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لاستكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه

ولما

واما بمعنى نهاية كمالية يفضي اليها فاعل الحق تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج ومعنى
الاحسان يرون وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء وعبارة اهل
اللغة بالمقدار وبه يتحقق تناول الامر واما ارى الفاعل لها فليس من تفصيل اللام حتى يلزم من عدم
صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة ان تعوق البعض لا عن الوصول الى الغاية مع تفاصيل
المبادئ وتمام المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك
لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليؤمروا بعبادتي في قوله تعالى وما
امروا الا ليعبدوا الله الها واحدا وقيل المراد السعداء كما ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد
واختاره البغوي معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن رب العزة كنت
كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريقة
اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل
بغيرها كمعرفة الفلاسفة **ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون** بيان لكون شانه
تعالى مع عباده متعاليا عن ان يكون كشان السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا
بهم في تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل
اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي **ان الله
هو الرزاق** الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غني عنه وقرئ اني انا الرزاق **ذو القوة
المتين** بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو او خبر لمضمر وقرئ بالجر على انه وصف للقوة على تاويل
الاقتدار والايد **فان للذين ظلموا** اي ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيبهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم او وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة **ذنوبا** اي نصيبا وافرا
من العذاب **مثل ذنوب اصحابهم** مثل انصباء نظرائهم من الامم المحكية وهو ماخوذ
من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء **فلا يستعجلون** وهو جواب لقولهم
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي لا يطلبوا مني ان اعجل في المجيء به يقال استعجله اي حثه على العجلة و
امره بها ويقال استعجله اي طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب
لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين **فويل للذين كفروا** وضع الموصول موضع ضميرهم
تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم
على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك ومن في قوله تعالى
من يومهم الذي يوعدون للتعليل اي يوعدونه يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الانسب بما في صدر
السورة الكريمة الآية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوي عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ والذاريات اعطاه الله تسع عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية احدى وستون ايات

والطور الطور بالعبرانية الجبل والمراد به طور سيناء وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه
السلام كلام الله تعالى عز وجل **وكتاب مسطور** مكتوب على وجه الانتظام فان
السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او اللوح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور او
ما يكتب في اللوح او ما يكتبه الحفظة **في رق منشور** الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه

الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم والاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس **والبيت المعمور** اى الكعبة عمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او البيت وهو فى السماء الرابعة وعمارته كثرة غاشيته من الملائكة **والسقف المرفوع** اى السماء ولا يخفى حسن تعقيبه بالعنوان المذكور **والبحر المسجور** اى المملوء وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روى ان الله تعالى يجعل البحار نارا يسجر بها نار جهنم **ان عذاب ربك لواقع** اى لنازل حقا جواب للقسم وقوله تعالى **ماله من دافع** اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن دافع له مبتدأ للظرف او مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتاكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها اما لانها امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التى من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى **يوم تمور السماء مورا** ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد فى المجئ والذهاب وقيل هو تحرك فى تموج قيل تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف اجزاؤها **وتسير الجبال سيرا** اى تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتاكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اى مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما **فويل يومئذ للمكذبين** اى اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كذلك كما ذكر فويل يوم ان يقع ذلك لهم **الذين هم فى خوض** اى اندفاع عجيب فى الاباطيل والاكاذيب **يلعبون** يلهون **يوم يدعون الى نار جهنم دعا** اى يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى **هذه النار التى كنتم بها تكذبون** اى يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحى الناطق بها وقوله تعالى افسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا وكانه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر ام سدت ابصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون **اصلوها فاصبروا او لا تصبروا** اى ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه **سواء عليكم** اى الامران فى عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه وقوله تعالى **انما تجزون ما كنتم تعملون** تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع **ان المتقين فى جنات ونعيم** اى فى جنات اى جنات ونعيم على ان التنوين للتفخيم او فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع **فاكهين** ناعمين متلذذين **بما آتاهم ربهم** وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر او خبر آخر **ووقاهم ربهم عذاب الجحيم** عطف على آتاهم على ان ما مصدرية او على خبر ان او حال باضمار قد اما من المستكن فى الخبر او فى الحال او من فاعل آتى او من مفعوله او منهما واظهار الرب فى موضع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل **كلوا واشربوا** اى يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا **هنيئا** وهو الذى لا تنغيص فيه **بما كنتم تعملون** بسببه او بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا اى هنأكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه **متكئين على سرر مصفوفة** مصطفة **وزوجناهم بحور عين** وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتاويل المشهور وقرئ بعيس عين والباء لما ان للتزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق او للسببية اى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمام اليهم وقوله تعالى **والذين آمنوا** الخ كلام مستانف مسوق

لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم فى الايمان وهو مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله تعالى **واتبعتهم ذريتهم** عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى **بايمان** متعلق بالاتباع اى اتبعتهم ذريتهم بايمان فى الجملة قاصر عن ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم فى الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ وهم ذرياتهم للمبالغة فى الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقرئ اتبعتهم **الحقنا بهم ذرياتهم** اى فى الدرجة كما روى انه عليه السلام قال ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية **وما التناهم** وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق **من عملهم** من ثواب عملهم **من شئ** بان اعطينا بعض مثوبات آبائهم فينتقص مثوبتهم وينحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ التناهم بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب وآلتناهم من آلت يؤلت ولتناهم من ولت يلت ولتناهم من لات يليت والكل بمعنى الواحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اى بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بمجالسة الاخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعناهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان دانى المنزلة وهو ايمان الذرية كانه قيل بشئ من الايمان لا يؤهلهم لدرجات الآباء الحقناهم بهم **كل امرئ بما كسب رهين** قيل هو فعيل بمعنى المفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان عمله فكه والا اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن اى دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب الآباء شئ فالجملة تعليل لما قبلها **وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون** وزدناهم على ما كان لهم من مبادى التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء والوان الآلاء **يتنازعون فيها** اى يتعاطون هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع **كاسا** اى خمرا تسمية لها باسم محلها **لا لغو فيها** اى فى شربها حيث لا يتكلمون فى اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام **ولا تأثيم** ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اى ينسب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف كما هو دأب المنادمين فى الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن الكلام ويفعلون افعال الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم بالفتح **ويطوف عليهم** بالكاس **غلمان لهم** اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم **كأنهم لؤلؤ مكنون** مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك **واقبل بعضهم على بعض يتساءلون** اى يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سائلا ومسؤولا لا انه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معينا **قالوا** اى المسؤولون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة **انا كنا قبل** اى فى الدنيا **فى اهلنا مشفقين** ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة **فمن الله علينا** بالرحمة والتوفيق للحق **ووقانا عذاب السموم** عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد **انا كنا من قبل ندعوه** اى نعبده او نسأله الوقاية **انه هو البر** المحسن **الرحيم** الكثير الرحمة الذى اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه **فذكر** فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل اليك من الآيات والذكر

والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه
بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون ام يقولون
شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر
وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع اى بل يقولون ننتظر به
نوائب الدهر قل تربصوا فانى معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى وفيه
عدة كريمة باهلاكهم ام تأمرهم احلامهم اى عقولهم بهذا اى بهذا التناقض فى المقال فان الكاهن
يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق
مخيل فكيف يجتمع اوصاف هؤلاء فى واحد وامر الاحلام به مجاز عن اداءها اليه ام هم قوم طاغون
مجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون من الاكاذيب
الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اى اختلقه من تلقاء نفسه
بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التى لا يخفى على احد بطلانها كيف
لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم
من العرب والعجم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن فى المعنى التى استقل بها من حيث النظم ومن
حيث المعنى ان كانوا صادقين فيما زعموا فان صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله
بمقتضى مشاركتهم له عليه السلام فى البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار
وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقائع والايام ولا ريب فى ان القدرة
على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعى الامر بذلك ام خلقوا من غير شئ ام احدثوا وقدروا
هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل لا شئ من عبادة وجزاء ام هم
الخالقون لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه وتعالى ام خلقوا السموات والارض بل
لا يوقنون اى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين لما
قالوا والا لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك اى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا
النبوة من شاؤوا ويمسكوها عمن شاؤوا او اعلمهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت
الحكمة اختياره ام هم المسيطرون اى الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف ما شاؤوا وحتى
يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد واسكان
الطاء ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون فيه صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم
من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الامور التى يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون
بها المطامع الفارغة فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة تصدق استماعه ام له البنات
ولكم البنون تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بان من هذا رايه لا يعد من العقلاء فضلا
عن الترقى الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب للتشديد فى
ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ ام تسئلهم اجرا رجوع الى خطابه عليه السلام واعراض
عنهم اى بل اتسألهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم لاجل ذلك من مغرم من التزام غرامة فادحة مثقلون
محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ام عندهم الغيب اى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب فهم يكتبون
ما فيه حتى يتكلموا فى ذلك بنفى او اثبات ام يريدون كيدا هو كيدهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة فالذين كفروا هم المذكورون ووضع الموصول
موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم داخلون

فيهم دخولا اوليا هم المكيدون اى الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم
ارادوا ان يكيدوه وهو ما اصابهم يوم بدر او هم المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله
غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون اى عن اشراكهم او عن شركة
ما يشركونه وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا لتعذيبهم يقولوا من فرط طغيانهم
وعنادهم سحاب مركوم اى هم فى الطغيان بحيث لو اسقطناه عليهم حسبما قالوا او تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا
انه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا يومهم الذى فيه يصعقون
على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة او من اصعقته وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين
وهو يوم تصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من
كان حيا حينئذ بذلك ولان قوله تعالى يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا اى شيئا من الاغناء بدل
من يومهم ولا يخفى ان التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعى استعمالهم له طمعا فى الانتفاع به
وليس ذلك الا ما اندرج فى امره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذى من جملته مناصبتهم يوم بدر
واما النفخة الاولى فليست مما يجرى فى مدافعة الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه
مع ما قابله من الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم ولا هم ينصرون من جهة الغير فى دفع
العذاب عنهم وان للذين ظلموا اى لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل اى
هؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون ما لاقوه من القتل اى قبله وهو القحط
الذى اصابهم سبع سنين او ورائهم كما فى قوله يريد العذاب من دونها وهو ودونها وهو عذاب
القبر وما بعده من فنون عذاب الاخرة وقرئ دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا يعلمون
شيئا اصلا واصبر لحكم ربك بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة
الاحزان ومعاناة الغموم فانك باعيننا اى فى حفظنا وعنايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين
لمعنى يجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ وسبح اى نزهه تعالى عما لا يليق
ملتبسا بحمد ربك على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم من مقامك وقال الضحاك والربيع
اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك
وقوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض الليل بالتسبيح لما ان العبادة فيه اشق على النفس
وابعد من الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار النجوم اى وقت ادبارها من اخر الليل
اى غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشائين وادبار النجوم صلاة الفجر
وقرئ وادبار النجوم بالفتح اى فى اعقابها اذا غربت وخفيت عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الطور كان حقا على الله تعالى ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه فى جنته صدق رسول الله

سورة النجم مكية احدى وستون ايات

والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب لها او جنس النجوم وهويه غروبه وقيل
طلوعه يقال هوى هويا بوزن قبول اذا غرب وهويا بوزن دخول اذا علا وصعد و
اما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل فى اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ
عن معنى الاستقبال كما فى قولك اتيك اذا احمر البسر والاقسام بذلك على نزاهته عليه السلام

عن شائبة الضلال والغواية من البلاغة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه اما على الاولين فلان النجم شأنه ان يهتدى به السارى اذا سلك البيداء كأنه قيل والنجم الذى يهتدى به السابلة الى سواء السبيل **ما ضل صاحبكم** اى ما عدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة **وما غوى** اى وما اعتقد باطلا قط واما على اى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما يتوهمونه من الضلال والغواية فى شئ اصلا واما على الثالث فلانه تنويه بشأن القرآن كما اشير اليه فى مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه السلام ومدار رشاده كأنه قيل والقرآن الذى هو علم فى الهداية الى مصابيح الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد عليه السلام وما غوى والخطاب لقريش وايراده عليه السلام بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله الشريفة واحاطتهم جيدا ببراءته بالكلية واتصافه عليه السلام بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له عليه السلام ومشاهدتهم لمحاسن شئونه العظيمة تقتضى ذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوى على الوجه الاخير ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب والشمال من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما يحكى من تدلى جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام فهذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل واما حمل هويه على انتثاره يوم القيامة او على انقضاض النجم الذى يرجم به وحمل النجم على النبات او حمل هويه على سقوطه على الارض او ظهوره فمما لا يناسب المقام **وما ينطق عن الهوى** وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه اصلا فان المراد استمرار نفى النطق عن الهوى لا نفى استمرار النطق عنه كما مر مرارا **ان هو** اى الذى ينطق به من القرآن **الا وحى** من الله تعالى وقوله تعالى **يوحى** صفة مؤكدة لوحى واقعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى **علمه شديد القوى** اى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة فى ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذى تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء وقلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده فى اسرع من رجع الطرف **ذو مرة** اى حصافة فى عقله ورأيه ومتانة فى دينه **فاستوى** عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما اوحى بيان لكيفية التعليم اى فاستقام على صورته التى خلقه الله عليها دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه فى صورته التى جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فطلع له جبريل عليهما السلام من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخر رسول الله صلعم فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه احد من الانبياء فى صورته غير النبى عليهما السلام فانه رآه فيها مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تعالى **وهو بالافق الاعلى** اى افق الشمس حال من فاعل استوى **ثم دنا** اى اراد الدنو من النبى عليهما السلام **فتدلى** اى استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا من النبى يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وادلى دلوه والدوالى الثمر المعلق **فكان** اى مقدار ما بينهما **قاب قوسين** اى مقدارهما من القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار فلان جبريل عليه السلام كما فى قولك هو منى معقد الازار **او ادنى** اى على تقديركم كما فى قوله تعالى او يزيدون والمراد تمثيل ذلك ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما يوحى اليه بنفى البعد الملبس **فاوحى** اى جبريل **الى عبده** اى

اى عبد الله تعالى باضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما فى قوله تعالى ما ترك على ظهرها **ما اوحى** اى من الامور العظيمة التى لا يفى بها العبارة او فاوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما اوحى قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك **ما كذب الفؤاد** اى فؤاد محمد عليه السلام **ما رأى** اى ما رآه ببصره من صورة جبريل عليهما السلام اى ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته **افتمارونه على ما يرى** اى اتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة وايراده لما فيه من الحالية لما رآه تمارونه من المرية وهى المجادلة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كل من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه اى افتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اى جحده **ولقد رآه نزلة اخرى** اى وبالله لقد رأى جبريل فى صورته مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة اخرى لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر **عند سدرة المنتهى** هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيلة تنبع من اصلها الانهار التى ذكرها الله تعالى فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء او منتهى الجنة وقيل اليها ينتهى علم الخلائق واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهى اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهى اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشئ الى مكانه كقولك اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير عندها سدرة منتهى العلوم او اضافة الملك على حذف الجار والمجرور اى سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال الله تعالى الى ربك المنتهى **عندها جنة المأوى** اى الجنة التى يأوى اليها المتقون او ارواح الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى **اذ يغشى السدرة ما يغشى** ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل او يغشى الاتيان يقال الآن عند كل حين او ما يغشى والاول هو اللائق بالمقام وفى ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه اى ولقد رآه عند السدرة المنتهى وقت ما غشيها ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفى بالبيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة او للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات انوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث لم يصبها ما اصابه من الدك وقيل يغشاها فراش من ذهب او جراد وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر **ما زاغ البصر** اى ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه **وما طغى** وما جاوزه مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة مما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التى امر برؤيتها وامكن منها وما جاوزها **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** اى والله لقد رأى الآيات التى هى كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فارى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف اى شيئا عظيما من آيات ربه وان يكون من مزيدة **افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى** هى اصنام كانت لهم

فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش لانهم كانوا يادونها ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء
على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزبيب ويطعم الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات
عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى
تانيث الاعز كانت لغطفان وهي شجرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها
فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على راسها وهي تقول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها
فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وقيل لخزاعة وقيل لثقيف
لعلها سميت مناة لان دماء النسائك تمنى عندها اي تراق وقرئ ومناءة وهي مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون
عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهي المتاخرة الوضيعة المقدار وجوز ان يكون الاولية
والتقدم عندهم اللات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام
بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا افرايتم اللات والعزى الاية والهمزة للانكار والفاء
لتوجيهها الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله تعالى الشافية لاحاطة المنافاة ومفعولها الثاني محذوف
لدلالة الحال عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من اثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته
واحكام قدرته ونفاذ امره في الملائكة الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رايتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها
بنات له تعالى وقيل المعنى افرايتم هذه الاصنام ان عبدتموها مع حقارتها شركاء لله تعالى مع ما تقدم من
عظمته وقيل اخبروني عن الهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة وفي الاية السابقة
وقيل المعنى اظننتم ان هذه الاصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل اظننتم انها تشفع لكم في الاخرة وقيل افرايتم
هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو اللائق كما يشهد به قوله تعالى الكم
الذكر وله الانثى فانه توبيخ مبني على الاول وحيث كان مدار تفضيل جانبهم على جانبه
تعالى بنسبتهم اليه البنات مع اختيارهم لانفسهم الذكور وجب ان يكون مناط الاذن نفس تلك
النسبة حتى يتبين بناء التوبيخ الثاني عليه وظاهر ان ليس من التقريرات المذكورة من تلك النسبة عين
ولا اثر واما ما قيل ان هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الثاني الاول
لما ان الاصل اخبروني ان اللات والعزى ومناة الكم الذكر وله هو الانثى اي تلك الاصنام توضع
موضعها الانثى مراعاة للفواصل وتحقيق مناط التوبيخ مع ما فيه من التمحلات التي ينبغي تنزيه
ساحة التنزيل عن امثالها يقتضي اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جانب الله تعالى
من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه تلك اشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية
اذا قسمة ضيزى اي جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز
وهو الجور لكنه بكسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم تات في الوصف
وقرئ ضئزى بالهمز من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به وقرئ ضيزى اما انه على مصدر وصف
كدعوى له على انه صفة كسكرى وعطشى ان هي الضمير للاصنام اي ما الاصنام باعتبار
الوصفية التي تدعونها الا اسماء مختصة ليس تحتها مما تنبئ مع عنه من معنى الالوهية
شيء ما اصلا وقوله تعالى سميتموها صفة للاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها
اسماء لا جعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا نسبت الى الاسم فمعناها
جعله اسما للمسمى وان نسبت الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير هنا
المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التي يسمونها الهة اسماء مجردة ليس لها
مسميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الاية لا ان هناك

مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هي الاسماء الثلاث المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام
لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والتقرب اليها بالقرابين وانت خبير بانه لو سلم دلالة الاسماء
المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للاصنام فليس في سلبها عنها مزيد فائدة بل انما هي في سلبها الالوهية
كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان الانتقال الموصوف يقتضي انتفاء الوصف
بطريق الاولوية اي ما هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها انتم واباؤكم بمقتضى اهوائكم الباطلة
ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون التفات من الخطاب الى الغيبة للايذان
بان تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل
بموجبها الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق توهما باطلا وما تهوى الانفس اي ما تشتهيه انفسهم الامارة
بالسوء ولقد جاءهم من ربهم الهدى قيل هي حال من فاعل يتبعون او اعتراض واياما كان ففيه
تاكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اي شخص كان قبيح وممن هداه
الله تعالى بارسال الرسول عليه السلام وانزال الكتاب اقبح ام للانسان ما تمنى ام منقطعة وما فيها
من بل للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير مستند الا الى توهم وهوى نفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدي نفعا اصلا
والهمزة للانكار والنفي اي ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التي من جملتها اطماعهم الفارغة
في شفاعة الالهة ونظائرها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود فلله الاخرة والاولى تعليل للانتفاء ان يكون
للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص امور الاخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء ان يكون له امر من
الامور وقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا اقناط لهم عما علقوا به اطماعهم
من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم من شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير
محلها الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اي وكثير
من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى شيئا من الاشياء في وقت من الاوقات الا من بعد ان ياذن
الله لهم في الشفاعة لمن يشاء ان يشفعوا له ويرضى ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان
واما من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعة بالف معزل فاذا كان
حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ان الذين لا يؤمنون بالاخرة وبما فيها
من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة المنزهين عن سمات النقصان على
الاطلاق اي يسمون كل واحد منهم تسمية الانثى فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بان كلا منهم
بنته سبحانه وهي التسمية بالانثى وفي تعليقها بعدم الايمان بالاخرة اشعار بانها في الشناعة والفظاعة
واستتباع العقوبة في الاخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا وقوله تعالى وما لهم به
من علم حال من فاعل يسمون اي يسمونهم والحال انهم لا علم لهم بما يقولون اصلا وقرئ بها اي بالملائكة
او بالتسمية ان يتبعون في ذلك الا الظن وان الظن اي جنس الظن كما يلوح به الاظهار في موضع الاضمار لا يغني من الحق شيئا من الاغناء فان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة
الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به في شان المعارف الحقيقية وانما يعتد به في العمليات وما
تؤدي اليها فاعرض عمن تولى عن ذكرنا اي عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى
وصفهم بما في حيز صلته من الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها اي فاعرض عمن اعرض عن ذكرنا
المفيد للعلم اليقيني وهو القران المنطوي على علوم الاولين والاخرين المذكر للامور الاخرة اي او اعرض
عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع لذكر الاخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والمرهوب عنها ولم
يرد الا الحياة الدنيا راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهي عن دعوته والاعتناء بشانه فان

فان من اعرض عما ذكروا انهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الا
الدعوة على خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل **ذلك** اى ما ادّاهم الى ما هم فيه من التولى
وقصر الارادة على الحياة الدنيا **مبلغهم من العلم** لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى تجدى بهم
الدعوة والارشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها
والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لما قبلها المتفرع على
قصر الارادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى **ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله**
وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو اعلم لزيادة التقرير
والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا
وبمن اهتدى من شأنه الاهتداء في الجملة اى هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوى عن الضلالة ابدا وبمن
يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك في دعوتهم فانهم من القبيل الاول وفي
تعليل الامر بالاعراض عليه السلام من الاعتناء بامرهم باثار العلم واحوال الفريقين عليه
تعالى بما عاملهم بموجب علمه تعالى من مجزى كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعد ووعيد ضمنا كما
سيأتي صريحا **ولله ما في السموات وما في الارض** اى خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا
ولا اشتراكا وقوله تعالى **ليجزى** الى آخره متعلق بما دل عليه اعلم الى آخره وما بينهما اعتراض مقرر
لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه باحوالهم الا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال
من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزى **الذين اساؤا بما عملوا** اى بعقاب ما عملوا من
الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما عملوا **ويجزى الذين احسنوا** اى
اهتدوا **بالحسنى** اى بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة او بسبب ما عملوا الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه
قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض كأنه قيل خلق ما فيهما ليجزى الى آخره متعلق وقيل متعلق
بضل واهتدى على ان اللام للعاقبة اى هو اعلم بمن ضل ليؤول امره الى ان يجزيه الله تعالى بعمله
وبمن اهتدى ليؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء
بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزاءين **الذين يجتنبون كبائر الاثم** بدل من الموصول
الثاني وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره او بيان او نعت
او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه
وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك **والفواحش** وما فحش من الكبائر خصوصا **الا**
اللمم اى ما قل او صغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر وقيل هي النظرة والغمزة والقبلة وقيل
هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس الحين
بعد الحين والاستثناء منقطع **ان ربك واسع المغفرة** حيث يغفر الصغائر باجتناب
الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة ليس لخلوه عن
الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له ان يغفر لمن يشاء ما يشاء من الذنوب
فيغفرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته
تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى **هو اعلم** اى باحوالكم يعلمها **اذ انشأكم**
في ضمن انشاء ابيكم آدم **من الارض** انشاء اجماليا حسبما مر تحقيقه مرارا **واذ انتم اجنة**
وقت كونكم اجنة **في بطون امهاتكم** على اطوار مختلفة مرتبة لا يخفى عليه خافية حال من احوالكم
وعمل من اعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله والجملة استئناف

مقرر لما قبلها فالفاء في قوله تعالى **فلا تزكوا انفسكم** لترتيب النهى عن تزكية النفس على ما سبق
من ان عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم
اى اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بطهارة عن المعاصي بالكلية او بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير
بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته **هو اعلم بمن اتقى** المعاصي جميعا وهو استئناف مقرر للنهى
ومشعر بان فيهم من يتقيها باسرها وقيل كان اناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا
وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كانت بطريق الاعجاب او الرياء واما من اعتقد ان ما عمله
من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة
بالطاعة طاعة وذكرها شكر **افرأيت الذي تولى** اى عن اتباع الحق والثبات عليه **واعطى**
قليلا اى شيئا قليلا **واكدى** اى قطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية اى الصلابة كالصخرة فلا
يمكنه ان يحفر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين
وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه
بعض ماله فارتد واعطاه بعض وعمل بالسوء وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي كان يوافق
النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل في ابي جهل كان ربما يوافق رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بعض الامور وكان يقول والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله تعالى واعطى قليلا
واكدى والاول هو المناسب والاشهر لما بعده من قوله تعالى **اعنده علم الغيب فهو يرى** الى آخره
اى اعنده علم الامر المغيب التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيمة **ام لم ينبأ بما في صحف موسى**
وابراهيم الذي وفى اى وفر واتم ما ابتلى به من الكلمات او ما بلغ في الوفاء بما عاهد الله في
تخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل عليهما السلام حين
القي في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد وروى انه كان يمشي في كل يوم فرسخا
يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لما ان صحفه التي هي التوراة اشهر عندهم
واكثر **الا تزر وازرة وزر اخرى** انه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس اخرى على ان
المخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف فالجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر
على انها بدل بما في صحف موسى او الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما في صحفهما فقيل هو ان لا تزر
الى آخره والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدح في ذلك قوله عليه السلام
من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك وزر الاضلال
الذي هو وزره وقوله تعالى **وان ليس للانسان الا ما سعى** بيان لعدم انتفاع الانسان
بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه اثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه واما شفاعة
الانبياء والاستغفار والملائكة عليهم السلام ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم
وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الامور النافعة للانسان مع انها ليست من عمله قطعا فحيث
كان مناط منفعة كل منها عمله الذي هو الايمان والصلاح لم يكن شيء منها نفعا من غير عمله
جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وان مخففة كاختها معطوفة عليها
وكذا قوله تعالى **وان سعيه سوف يرى** اى يعرض عليه ويكشف عنه يوم القيمة في صحيفته و
ميزانه من اريته الشيء **ثم يجزاه** اى يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله
وجزاه عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى
الجزاء الاوفى ويبدل عنه كما في قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا **وان الى ربك المنتهى**

اى انتهاء الخلق ورجوعهم اليه تعالى لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسر الهمزة على الابتداء
وانه هو اضحك وابكى اى هو خلق قوتى الضحك والبكاء **وانه هو امات واحيى** لا يقدر
على الاماتة والاحياء غيره فان اثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت
عنده بفعل الله تعالى على العادة **وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا
تمنى** تدفق فى الرحم او تخلق وتقدر منها الولد من منى بمعنى قدر **وان عليه النشاة الاخرى**
اى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهى ايضا مصدر نشا **وانه هو اغنى
واقنى** واعطى القنية وهى ما يتاثل من الاموال وافرد له بالذكر لانها اشرف الاموال وارضى و
تحقيقه جعل الرضى له قنية **وانه هو رب الشعرى** اى رب معبودهم وهى الشعرى وهى اشد ضياء من الغميصا
وكانت خزاعة تعبدها عليه السلام به لمخالفته اياهم فى دينهم **وانه اهلك عادا الاولى**
هم قوم هود وعاد الاخرة ارم وقيل الاولى بحذف الهمزة وقبل ضمتها الى اللام وعاد الاولى
بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة الاولى ونقل حركتها الى لام التعريف **وثمود** عطف على عاد
لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ ثمودا بالتنوين **فما ابقى** اى احدا من الفريقين **وقوم نوح** عطف
عليه ايضا **من قبل** اى من قبل اهلاك عاد وثمود **انهم كانوا هم اظلم واطغى** من الفريقين حيث
كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه ويحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام
حتى لا يكون به حراك وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة **والمؤتفكة** هى قرى قوم لوط ائتفكت
باهلها اى انقلبت بهم **اهوى** اى اسقطها الى الارض بان رفعها بجناح جبريل عليه السلام الى
السماء **فغشيها ما غشى** من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه **فباى
آلاء ربك تتمارى** تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك او لكل احد واسناد فعل التمارى الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد
متعلقه فان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة صدور الفعل المتعدد ووقوعه
بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها المعنى الاول
فقط كما فى قولك تداعوه وقد تجرد عنه ايضا فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فى نحو ما نحن فيه ان
المراد بتعدد الآلاء فتدبر والآلاء وتسمية الامور المعدودة آلاء مع ان بعضها نقم لما انها
ايضا نعم من حيث انها نعمة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم منها وعبر للمعتبرين **هذا
نذير من النذر الاولى** هذا اشارة الى القرآن والنذير مصدر او الى الرسول صلى الله
عليه وسلم والنذير بمعنى المنذر واما كان للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير او
متضمن للوعيد اى هذا القرآن نذير من قبيل الانذارات المتقدمة التى سمعتم عاقبتها او
هذا الرسول نذير من جنس المنذرين وفى تعقيبه بقوله تعالى **ازفت الآزفة** اشعار
بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيامة اى دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى قوله اقتربت الساعة
ليس لها من دون الله كاشفة اى ليس لها كاشفة بتاخيرها الا الله تعالى فانه المؤخر لها او
ليس لها كاشفة لوقتها الا الله كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها من غير الله تعالى كشف على
ان كاشفة مصدر كالعاقبة **افمن هذا الحديث** اى القرآن **تعجبون** انكارا **وتضحكون** استهزاء
مع كونه ابعد شئ من ذلك **ولا تبكون** حزنا على ما فرطتم فى شانه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق
بالامم المذكورة **وانتم سامدون** اى لاهون او مستكبرون من سمد البعير فى سيره اذا رفع راسه
او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير او خاشعون جامدون

من السمود بمعنى الحيرة والخشوع كما فى قول من قال رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا فالجملة حال من فاعل لا تبكون خلا
ان تقوم لها على الوجه قيد للنفى والانكار واردة على نفى البكاء والسمود معا على الوجه الاول
قيد للنفى والانكار متوجه الى نفى البكاء ووجود السمود والاول اوفى بحق المقام فتدبر والثانى
فى قوله تعالى **فاسجدوا لله واعبدوا** ترتيب الامر وموجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة
القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع اى اذا كان الامر كذلك فاسجدوا
لله الذى انزله واعبدوه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النجم اعطاه الله
عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة شرفها الله تعالى صدق رسول الله

سورة القمر مكية خمس وخمسون ايات

اقتربت الساعة وانشق القمر روى ان الكفار سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اية
فانشق القمر قال ابن عباس رضى الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال
ابن مسعود رضى الله عنه رايت حراء بين فلقتى القمر عن عثمان بن عطاء عن ابيه ان معناه سينشق يوم
القيامة ويرده قوله تعالى **وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** فانه ناطق بانه قد وقع و
انهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقرئ وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات
اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد او الاستحكام اى واذا اراد آية من آيات الله تعالى يعرضوا
عن التامل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد لم تات به محمد عليه السلام على
من المراد لا يكاد يختلف بحال كسائر انواع السحر وقوى مستحكم لا يمكن ازالته وقيل يستمر ذاهبا
يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب بحالهم فى العناد والمكابرة ويؤيده ما
سيانى لرده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة **وكذبوا** اى بالنبى صلى الله عليه وسلم
وما عاينوا من قدرة الله تعالى من المعجزات **واتبعوا اهواءهم** التى زينها الشيطان لهم وكذبوا
الآية التى هى انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر او سحر القمر والحال وصيغة
الماضى للدلالة على التحقق وقوله تعالى **وكل امر مستقر** استئناف مسوق لاقناطهم عما
علقوا به اما لهم الفارغة من عدم استقرار امره عليه السلام حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته وعلى
رسوخه اى وكل امر من الامور منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر
النبى صلى الله عليه وسلم فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيقته وعلو شانه وابهام المستقر عليه
للتنبيه على ظهور كمال الحال وعدم الحاجة الى التصريح وقيل المعنى كل امر من امرهم وامره عليه السلام
مستقر اى سيثبت ويستقر على حالة خذلانه او نصره فى الدنيا وشقاوة او سعادة فى
الآخرة وقرئ بالفتح على انه مصدر اى كل امر ذو مستقر اى ذو استقرار وذو موضع
استقرار وذو زمان استقرار وبالكسر والجر على انه صفة وكل عطف على الساعة اى اقتربت
الساعة وكل امر مستقر **ولقد جاءهم** اى فى القرآن وقوله تعالى **من الانباء** انباء القرون
الخالية او انباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده اى وبالله لقد جاءهم من الانباء
ما فيه مزدجر اى ازدجار من تعذيب او وعيدا وموضع ازدجار على ان فى تجريدية و
المعنى انه فى نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب
وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها **حكمة بالغة** غايتها لا خلل فيها وهى بدل مما او خبر محذوف

وقرئ بالنصب حالا منها موصولة او موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها **فما تغني النذر** نفي للغناء او انكار له والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع الدالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمرارها وما منصوبة على الوجه الثاني اي فاي اغناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار **فتول عنهم** لعلمك بان الانذار لا يؤثر فيهم البتة **يوم يدع الداع** منصوب بيخرجون او باذكر والداعي اسرافيل عليه السلام ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا **الى شيء نكر** اي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة وقرئ نكر بالتخفيف وانكر بمعنى انكر **خشعا ابصارهم** حال من فاعل يخرجون والتقديم لان العامل متصرف اي **يخرجون من الاجداث** اذلة ابصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر على ان الجملة حال **كانهم جراد منتشر** في الكثرة والتموج والتفرق في الاقطار **مهطعين الى الداع** مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه **يقول الكافرون** استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال واهله بسوء الحال كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون **هذا يوم عسر** اي صعب شديد وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة **كذبت قبلهم قوم نوح** شروع في تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تاثرهم بها تقريرا لفحوى قوله تعالى فما تغني النذر اي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى **فكذبوا عبدنا** تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اي تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه **وقالوا مجنون** اي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون **وازدجر** عطف على قالوا اي وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من جملة قالوا اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته **فدعا ربه اني** اي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول **مغلوب** اي من جهة قومي مالي قدرة على الانتقام منهم **فانتصر** اي فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرر ياسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون **ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر** منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب **وفجرنا الارض عيونا** اي جعلنا الارض كلها كانها عيون منفجرة واصله فجرنا عيون الارض فغير قضاء لحق المقام **فالتقى الماء** اي ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقيق ان التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا **على امر قد قدر** اي كائنا على حال قدرها الله تعالى من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان **وحملناه** اي نوحا عليه السلام **على ذات الواح** اخشاب عريضة **ودسر** ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها **تجري باعيننا** بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا **جزاء لمن كان كفر** اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لانه كان نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله تعالى على امته ورحمة ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر للكافرين

ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة **آية** يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة **فهل من مدكر** اي معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء دالا والادغام فيها **فكيف كان عذابي ونذر** استفهام تعظيم وتعجيب اي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار **ولقد يسرنا القرآن** الى آخره جملة قسمية وردت في آخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار اي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم وشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد **للذكر** اي للتذكر والاتعاظ **فهل من مدكر** انكار ونفي للمتعظ على ابلغ وجه وآكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وقيل يسرناه على تسهيل حفظه بحسن نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام **كذبت عاد** اي هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له عليه السلام روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى **فكيف كان عذابي ونذر** لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي وانذاري لهم وقوله تعالى **انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا** استئناف ببيان ما اجمل اولا اي ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت **في يوم نحس مستمر** اي شؤم او مستمر عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او مشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر **تنزع الناس** تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى **كانهم اعجاز نخل منقعر** اي منقلع عن مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل وهي اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤوس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تانيثها في قوله تعالى اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله تعالى **فكيف كان عذابي ونذر** تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرير وما قيل ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** الكلام فيه كالذي مر فيما سبق **كذبت ثمود بالنذر** اي بالانذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع **فقالوا ابشرا منا** اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده **واحدا** اي منفردا لا تبع له او واحدا من آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا وتاخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى **نتبعه** خبره والاول اوجه للاستفهام **انا اذا** اي على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة **لفي ضلال** عن الصواب **وسعر** اي جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر اي نيران جمع سعير فعكسوا عليه عليه السلام لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول **أألقي الذكر** اي الكتاب والوحي **عليه من بيننا** وفينا من هو احق منه بذلك **بل هو كذاب اشر** اي ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه

وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر من تكذيب بحكاية لما قاله تعالى لصالح وعدا
له ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتاكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب
اي سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذي حمله اشره وبطره على الترفع الصالح هو ام
من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او على حكاية ايجابهم به صالح وقرئ الكذاب
الاشر كقولهم حذر في حذر وقرئ الاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير وقيل المراد
بالغد يوم القيمة ويأباه قوله تعالى انا مرسلوا الناقة الخ فانه استيناف مسوق لبيان
مبادي الموعود حتما اي مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا فتنة لهم اي امتحانا لهم فارتقبهم
اي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذيتهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم
لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته فنادوا
صاحبهم هو قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث
له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي
تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر الكلام فيه كالكلام في الذي في صدر قصة عاد
انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام فكانوا اي فصاروا كهشيم
المحتظر اي كالشجر اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم
الحظيرة او الشجرة المتخذ لها ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر
انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر
اي في سحر وهو اخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه او ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اي انعاما
منا وهو علة لنجينا كذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة
ولقد انذرهم لوط بطشتنا اي اخذتنا الشديدة بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوها متشاكين
ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها
كساير الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون
لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط فذوقوا عذابي ونذر اي فقلنا لهم ذوقوا على السنة
الملائكة او ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب ولقد صبحهم بكرة
غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار
وفي وصفه بالاستقرار ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهي به فذوقوا عذابي ونذر
حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى بتشديد العذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر مر ما فيه من الكلام ولقد جاء آل فرعون النذر صدرت قصتهم بالتوكيد
القسمي لابراز الاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الايات وكثرتها وهول ما لاقوه من
العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اي وبالله
لقد جاءهم الانذارات وقوله تعالى كذبوا باياتنا كلها استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
مجيء النذر كانه قيل فماذا فعل اهله حينئذ فقيل كذبوا بجميع اياتنا وهي الايات التسع فاخذناهم اخذ
عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة
وعدة او مكانا من اولئكم الكفار المعدودين والمعنى انه اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر
من الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوء حالا وقوله تعالى
ام لكم براءة في الزبر اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه اخر الكم

براءة وامن من تبعة ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوايلها في الكتب السماوية فلذلك تصرون
على ما انتم عليه وقوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت المذكور الى
الوجه آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن
ذروة الخطاب وحكاية قبايحهم لغيرهم اي بل ايقولون واثقين بشوكتهم نحن اولو حزم ورأي امرنا
مجتمع لا نرام ولا نضام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد باعتبار
لفظ الجميع وقوله تعالى سيهزم الجمع رد وابطال لذلك والسين للتاكيد اي سيهزم جمعهم البتة
ويولون الدبر اي الادبار وقرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس وارادة ان كل واحد منهم يولي دبره
وقد كان ذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت
سيهزم الجمع ويولون الدبر علمت انه عز وجل بل الساعة موعدهم اي ليس هذا تمام عقوبتهم بل
الساعة موعد اصل عذابهم وهذا من طلايعه والساعة ادهى وامر اي في اقصى غاية من الفظاعة
والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موضع
اضمارها لتربية تهويلها ان المجرمين من الاولين والآخرين في ضلال وسعر اي في
هلاك ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى يوم يسحبون
الخ منصوب بما يفهم من قوله تعالى في ضلال اي كاينون في ضلال وسعر يوم يسحبون في
النار على وجوههم واما بيقولون يوم يسحبون انا كل شيء من الاشياء خلقناه بقدر
اي ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التي عليها يدور امر التكوين او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل
وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على انه مبتدا وخلقناه خبره وما
امرنا الا واحدة اي الا كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن او الا فعلة واحدة هو الايجاد
بلا معالجة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر و
لقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم في الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر يتعظ بذلك
وكل شيء فعلوه من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل في الزبر اي في ديوان الحفظة وكل صغير وكبير
من الاعمال مستطر في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة ان المجرمين الخ
ما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين ليتبين التفاوت والتعقيب بين حاليهم
الحال بطريق الاجمال فقيل ان المتقين اي من الكفر والمعاصي في جنات عظيمة الشأن ونهر
كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس وقرئ بضم الهاء جمع نهر في مقعد
صدق اي في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر اي مقربين عند مليك
لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شيء الا وهو تحت ملكوته فسبحانه ما اعظم شأنه عن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل ليلة
بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر تمت

سورة الرحمن عز وجل مدنية ست وسبعون آيات

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السابقة من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب
كل ضرب منها ان القران قد يسر لتذكر الناس واتعاظهم ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك
عدد في هذه السورة الكريمة ما فاض على كافة الانام من فنون نعم الدينية والدنيوية والا
فاقية والانفسية وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بموجب شكرها وبدأ بتعليم القران

فقيل الرحمن علم القرآن لانه اعظم النعم شانا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة
الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية ما من مرصد يرنو اليه احداق الامم الا وهو
منشأه ومناطه ولا مقصد يمتد اليه اعناق الامم الا وهو منهجه وصراطه واسناد تعليمه
الى اسم الرحمن للايذان بانه من آثار الرحمة الواسعة واحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على اصا
اصالته وجلالة قدره ثم قيل خلق الانسان علمه البيان تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية
التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة و
البيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه
ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث اخبار مترادفة
للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودهما على منهاج التعديد الشمس والقمر بحسبان
اي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكائنات السفلية
وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم اي النبات الذي ينجم
اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر اي الذي له ساق يسجدان اي ينقادان له تعالى
فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن
الرابط اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوي اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى ان حال الشمس
والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى ان كون سجود النجم والشجر لسواه تعالى كانه قيل بحسبانه والقمر
والنجم يسجدان له لما خلت الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وسط العاطف بينها وبين
الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن
حيث ان كلا من حال العلويين والسفليين من باب الانقياد لامر الله عز وجل والسماء رفعها
اي خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ احكامه وقضاياه ومتنزل اوامره ومحل
ملائكته وفيه التنبيه على كبرياء شانه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء
ووضع الميزان اي شرع العدل وامر به بان وفر على كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه
حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات قيل فعلى هذا الميزان
القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى وانزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو
ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك
والمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم
به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا في الميزان اي لئلا تطغوا على ان ان
ناصبة ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان او اي لا تطغوا على انها مفسرة
لما في الشرع من معنى القول ولا ناهية اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على
ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط اي قوموا وزنكم بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان
بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوه
امر اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي
هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للوصية وتاكيدا للامر باستعماله والحث
عليه وقرئ ولا تخسروا في الميزان بحذف الجار وايصال الفعل والارض وضعها اي خفضها
مدحوة على الماء للانام اي خفضها على الماء رحمة للانام اي الخلق قيل المراد به كل ذي روح
وقيل كل ما على ظهر الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى فيها فاكهة الى آخره استئناف

سوق للتقرير ما افاده الجملة الثانية من كون الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع
العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن على ان يكون الحال هو الجار والمجرور
وفاكهة رفع على الفاعلية اي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام
هي اوعية الثمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم
من ثمره وجماره وجذوعه والحب هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ذو العصف هو ورق
الزرع وقيل التبن والريحان قيل هو الرزق اريد به اللب اي فيها ما يتلذذ به من الفواكه
والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي له عصف هو علف الانعام
وريحان هو مطعوم الناس وقرئ والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان
او اخص ويجوز ان يراد ذا الريحان بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والريحان اما فيعلان
فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف او فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف او للفرق بينه وبين
الروحاني هو ما له روح قال القرطبي فبأي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله
للانام وسينطق به قوله تعالى ايها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من
فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن
المالكية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بآلائه تعالى
كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند اليه من النعم الدينية والنبوية الجليلة
واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم
باسناده الى غيره تعالى استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم لآلهتهم به تعالى في
العبادة من دواعي اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب
لما ان دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب
بها لا محالة اي فاذا كان الامر كما فصل فباي فرد من افراد الآلاء تكذبان ومن تكذيبا بتلك الآلاء تكذبان
مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق خلق الانسان من صلصال كالفخار
تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذات كل واحد من الثقلين والصلصال
الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم
حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا تنافي بين الآية الناطقة باحدهما وبين ما نطق باحد الاخرين وخلق
الجان اي الجن او ابا الجن من مارج من لهب صاف من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب
من مرج اذا اضطرب فباي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم رب
المشرقين ورب المغربين بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي الذي فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة
رب مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة
وقيل على الابتداء والخبر مرج وقرئ بالجر على انه بدل من ربكما فباي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك
من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته الى غير ذلك
مرج البحرين اي ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب
يلتقيان اي يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما في رأي العين وقيل ارسل بحري فارس
والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان ينشعبان منه بينهما برزخ اي حاجز من قدرة الله عز وجل
او من الارض لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان
حديهما باغراق ما بينهما فباي آلاء ربكما تكذبان وليس منهما شيء يقبل التكذيب يخرج منهما اللؤلؤ

والمرجان

الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فنسبة خروجهما حينئذ الى البحرين
مع انهما انما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب او لانهما
لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من جميع البحر ولكن
من بعضه وهو الاظهر وقرئ مبنيا للمفعول من الاخراج ونصبهما للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان
وهوان المعظمة فباى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء
وحذف الياء كقوله من قال لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات
الشرع والمصنوعات وقرئ بكسر الشين اى الرافعات الشرع او اللاتى ينشئن الامواج بجريهن
في البحر كالاعلام كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل فباى آلاء ربكما تكذبان
من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على
خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه وتعالى كل من عليها اى على الارض من الحيوانات او المركبات
ومن للتغليب وبنى التغليب فان هالك لا محالة ويبقى وجه ربك ابدا ذاته تعالى ذو الجلال
والاكرام اى ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذى عنده الجلال والاكرام للمخلصين
من عباده وهذه من عظيم صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال
والاكرام وعنه عليه السلام انه مر برجل يصلى وهو يقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب
لك وقرئ ذى الجلال والاكرام على انه صفة ربك واياما كان ففى وصفه تعالى بذلك بعد
ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه
حسبما ينبئ عنه قوله تعالى فباى آلاء ربكما تكذبان فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم
بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء يسأله من في السموات والارض قاطبة ما يحتاجون
اليه في ذواتهم بالنعم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال
او بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه
من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود
اصلا فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر في تفسير قوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها من سورة ابرهيم عليه السلام كل يوم اى كل وقت من الاوقات هو في
شأن من الشؤون التي من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا ويفني آخرين
ويأتى باحوال ويذهب باحوال حسبما تقتضيه مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من
شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون
ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فباى آلاء ربكما تكذبان مع مشاهدتكم لما ذكرنا من احسانه
سنفرغ لكم اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة عند انتهاء شؤون الخلق المشار
اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شأن فلا يبقى حينئذ الا شأن واحد وهو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق
التمثيل وقيل هو مستعار من قول المهدد لصاحبه افرغ لك اى ساتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني
والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ لكم مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ
اليكم ايها الثقلان هما الانس والجان سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهما او
لانهما مثقلان بالتكليف فباى آلاء ربكما تكذبان ومن جملتها التنبيه على ما سيلقونه
يوم القيمة للتحذير عما يؤدى الى تكذيبان باقوالكما واعمالكما يا معشر الجن والانس هما الثقلان
خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة

مخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لا تفى بما كلفوه ان استطعتم ان قدرتم على ان
تنفذوا من اقطار السموات والارض ان تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى او من اقطار
سمواتى وارضى فانفذوا منها وخلصوا انفسكم من عقابى لا تنفذون على النفوذ الا بسلطان
اى بقوة وقهر وانتم من ذلك بمعزل بعيد روى ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن
والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به فباى آلاء ربكما تكذبان
اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة يرسل عليكما شواظ قيل
هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل اللهب الاخضر المنقطع من النار
وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين من نار
متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة شواظ اى كائن من نار والتنوين للتفخيم ونحاس اى دخان وقيل
صفر مذاب يصب على رؤوسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة
بنصب شواظا ونحاسا وقرئ ونحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس اى نقتل بالعذاب
فلا تنتصران اى لا تمتنعان فباى آلاء ربكما تكذبان فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصى
لطف ونعمة واى نعمة فاذا انشقت السماء اى انصدعت يوم القيمة فكانت وردة كوردة
حمراء وقرئ وردة بالرفع على ان كان تامة اى حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول
من قال ولئن بقيت لارحلن بغزوة تحوى الغنائم او يموت كريم كالدهان خبر ثان لكانت اى نعت
لوردة او حال من اسم كانت اى كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به كالحزام والادام
وقيل هو الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اى يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال
فباى آلاء ربكما تكذبان مع عظم شأنها فيومئذ اى يوم اذ تنشق السماء حسبما ذكر لا يسأل
عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون
الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه
ففى موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة فافراده لما ان المراد فرد من
الانس كانه قيل لا يسأل عن ذنبه انسى ولا جنى فباى آلاء ربكما تكذبان مع كثرة منافعها فان
الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدى اليه واما ما قيل مما انعم الله به على عباده المؤمنين فلا تعلق
بالمقام وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم استئناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون
بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصى والاقدام
الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى
خذوا حذركم ونحوه واخذ به اذا كان المأخوذ شيئا من ملابسات المقصود بالاخذ ومنه قوله تعالى
لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى وقول المستغيث خذ بيدى اخذ الله بيدك اى يجمع بين نواصيهم واقدامهم
في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصى وتارة بالاقدام فباى
آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على ارادة القول
او يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ على ان الجملة استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية الاخذ بالنواصى
والاقدام كانه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الخ او يقال من اصحاب النواصى والاقدام
لان الالف واللام عوض من المضاف اليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها اى بين النار
يحرقون بها وبين حميم آن ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون منه وقيل
اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباى آلاء ربكما تكذبان وقد اشير الى ان ما مثال

مخوطبا

هذه الامور من قبيل الآلاء مرارًا **ولمن خاف مقام ربه** شروع فى تعداد الآلاء الفايضة عليهم فى الآخرة
بعد تعداد ما وصل اليهم فى الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية واعلم ان ما عدد من هذه الآية وبين
خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما ان نفسها الآلاء جليلة واصلة اليهم فى الآخرة كذلك حكاياتها
الواصلة اليهم فى الدنيا الآلاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعى فى تحصيل ما يؤدى الى نيلها من الايمان و
الطاعة فاما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو فى شان من النعم الدينية والدنيوية
الانفسية والآفاقية الآخلية واصلة اليهم فى الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة
على ما يؤدى الى استدامتها واما ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الآية من الاحوال الهائلة
التى ستقع فى الآخرة فليست هى من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها الموجبة للانزجار عما يؤدى الى الابتلاء بها
من الكفر والمعاصى كما اشير اليه فى تضاعيف تعدادها وبعائه تعالى مرجعه الذى يقف فيه العباد للحساب
يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامه تعالى على احوال من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه
للحساب باحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل او هو مقحم للتعظيم **جنتان** جنة للخائف
الانسى وجنة للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائف منكما او لكل واحد جنة لعقيدته
واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصى او جنة يثاب بها وجنة يتفضل بها عليه
او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد **فبأى آلاء ربكما تكذبان** وقوله تعالى **ذواتا
أفنان** صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة
موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن اى ذواتا انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن اى
ذواتا اغصان متشعبة من فروع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق وتثمر **فبأى آلاء ربكما
تكذبان** وليس فيهما شىء يقبل التكذيب **فيهما عينان تجريان** صفة اخرى لجنتان اى فى كل واحدة
منهما عين تجرى كيف يشاء صاحبها فى الاعالى والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن
تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل فقيل احديهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة
للشاربين قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه تجريان فى الدنيا من مخافة الله عز وجل
فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى **فيهما من كل فاكهة زوجان** اى صنفان معروف وغريب
او رطب ويابس صفة اخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض لما مر آنفا **فبأى آلاء ربكما تكذبان**
وقوله تعالى **متكئين** حال من الخائفين لان من خاف فى معنى الجمع او نصب على المدح **على فرش بطائنها
من استبرق** من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل ظهائرها من
سندس وقيل من نور **وجنى الجنتين دان** اى ما يجتنى من اشجارهما من الثمار قريب يناله القائم
والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضى الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله ان شاء قائما وان
شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقرئ جنا بكسر الجيم **فبأى آلاء ربكما تكذبان** وقوله تعالى
جنتان لما عرفت انهما لكل خائفين من الثقلين او لكل خائف حيث تعدد وقد اعتبر الجمعية فى قوله تعالى
متكئين وقيل فيهما من الاماكن والقصور وقيل فى الآلاء المعدودة من الجنتين والفاكهة والفرش **فيهن
قاصرات الطرف** نساء يقصرن اعينهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم **لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان** اى لم يمس الانسيات احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول
عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم الميم
والجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصيصها بالاضافة **فبأى آلاء
ربكما تكذبان** وقوله تعالى **كأنهن الياقوت والمرجان** اما صفة لقاصرات الطرف او حال منها

اى كأنهن مثلها اى مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجه والمرجان اى صغار الدر فى بياض البشرة وصفائها
فان صغار الدر اصفى بياضا من كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها
كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء **فبأى آلاء ربكما تكذبان** وقوله تعالى **هل جزاء الاحسان
الا الاحسان** استئناف مقرر لمضمون ما فصل قبله اى ما جزاء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب
فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى **ومن دونهما جنتان** مبتدأ وخبر اى من دون تينك
الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين **فبأى آلاء
ربكما تكذبان** وقوله تعالى **مدهامتان** صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من
التنبيه على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ اى خضراوان يضربان
الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة
على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه **فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل
ورمان** عطف الاخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكائيل على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة
النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال ابو حنيفة رحمه الله من حلف لا يأكل
فاكهة فاكل رمانا ورطبا لم يحنث **فبأى آلاء ربكما تكذبان** وقوله تعالى **فيهن خيرات**
صفة اخرى لجنتان كالجملة التى قبلها والكلام فى جمع الضمير كالذى مر فيما مر وخيرات مخفف من خيرات
لان خيرا الذى بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل **حسان** اى حسان الخلق والخلق **فبأى آلاء ربكما
تكذبان** وقوله تعالى **حور** بدل من خيرات **مقصورات فى الخيام** قصرن فى خدورهن يقال
امرأة قصيرة وقصورة اى مخدرة ومقصورات الطرف على ازواجهن وقيل ان الخيمة من خيامهن
درة مجوفة **فبأى آلاء ربكما تكذبان** وقوله تعالى **لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان** كالذى مر نظيره
فى جميع الوجوه **فبأى آلاء ربكما تكذبان** وقوله تعالى **متكئين** نصب على الاختصاص **على رفرف خضر**
الرفرف اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما تدلى من الاسرة من عالى الثياب وقيل هو ضرب
من البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول
الفسطاط رفارف وقرئ رفارف **وعبقرى حسان** العبقرى منسوب الى عبقر تزعم
العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شىء عجيب والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما قرئ
فى رفرف على لفظ الجمع وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقرى كمدائنى نسبة الى جمع ما قرئ اسم البلد
فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى **تبارك اسم ربك** تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر فى
السورة الكريمة من الآيات الناطقة على الاسماء اى تعالى اسمه الجليل الذى من جملته ما صدرت به السورة من
اسم الرحمن المنبئ عن افاضته الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشأنه من الامور التى من جملتها جحود
نعمائه وتكذيبها واذا كان حال الاسم بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة
وقيل مقحم كما فى قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما **ذى الجلال والاكرام** وصف الرب تكميلا لما
ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على انه نعت للاسم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله تعالى عليه صدق رسول الله وصدق حبيب الله

سورة الواقعة تسع وتسعون آية مكية

اذا وقعت الواقعة اى اذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان
بتحقق وقوعها لا محالة كأنها واقعة فى نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع فى حيز الشرط
لانه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كانه

كانه قيل اذا وقعت الواقعة وليكون من الاهوال ما لا يفي به المقال وقيل بالنفي المفهوم من قوله تعالى **ليس**
لوقعتها كاذبة اى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى وتكذب فى نفسها كما تكذب
اليوم واللام فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى وهذه الجملة على الوجه الاول اعتراض مقرر
مضمون للشرط على ان الكاذبة مصدر كالعاقبة اى لاجل وقعتها وفى حقها كذبت اصلا
بل كان ما ورد فى حقها من الاخبار فى شانها حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى **خافضة**
رافعة خبر مبتداء محذوف اى خافضة لاقوام رافعة لاخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها
فان له توابع العظام شانها كذلك او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات
ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلت الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها نثر الكواكب
واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال فى الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد
فى التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى **اذا رجت الارض**
رجا اى زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجعل لتعلق بخافضة ورافعة
اى تخفض وترفع وقت توقع الارض الى عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض
وبدل من اذا وقعت **وبست الجبال بسا** اى فتلت حتى صارت مثل السويق الملتوت وسيرت
عن اماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست
اى ارتجت ودبست **فكانت** اى صارت بسبب ذلك **هباء** غبارا **منبثا** منتشرا
وكنتم خطاب للامة الحاضرة فقط **ازواجا** اى اصنافا **ثلاثة** فكل صنف يكون مع صنف
اخر فى الوجود او فى الذكر فهو زوج وقوله تعالى **فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة**
واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة تقسيم وهو تنويع للازواج الثلاثة مع الاشارة
الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى واصحاب الميمنة مبتداء وقوله ما اصحاب
الميمنة خبره على ان ما الاستفهامية مبتداء ما بعدها خبره والجملة خبر للاول والاصل ما هم اى اى
شئ هم فى حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها يطلب
بها الصفة والحال تقول ما زيد فتقول عالم او طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه
ادخل فى التفخيم وكذا الكلام فى قوله تعالى واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والمراد
تعجيب السامع من شان الفريقين فى الفخامة والفظاعة كانه قيل واصحاب الميمنة
فى غاية حسن الحال واصحاب المشأمة فى غاية سوء الحال وتكلموا فى الفريقين فقيل اصحاب
الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب المشأمة اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم
بالميامن وتشأمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها
بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار
وقيل اصحاب اليمن واصحاب الشوم كان السعداء ميامين على انفسهم بطاعاتهم والاشقياء
مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى **والسابقون السابقون** هو القسم الثالث من الازواج
الثلاثة ولعل تاخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام واقدمهم فى التفصيل تقرير ذكرهم
بمحاسن احوالهم على انه ادمهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احوالهم لنفس السبق من
جميع الوجوه وتكلموا فيهم ايضا وقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور
الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين
صلوا الى القبلتين كما قال الله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل
هم الذين سبقوا الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون فى الخيرات واما ما كان فالجملة مبتداء

وخبره المعنى والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم تقول فى النحو شعرى
شعرى وفيهم تفخيم لشانهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل لا يخفى
فقيل والسابقون الى طاعة الله تعالى السابقون الى رحمته والسابقون الى الخير السابقون
الى الجنة وقوله تعالى **اولئك** اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد قرب العهد بالمشار اليه
للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل ومحل الرفع على الابتداء وخبره ما بعده اى اولئك الموصوفون بذلك النعت
الجليل **المقربون** اى الذين قربت فى الجواد الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم وقربت الى حضرة
القدس نفوسهم الزكية بهذا الطرز ما ذكر فى اعراب هذه الجمل واشهره والذى يقتضيه جزالة التنزيل ان قوله
تعالى واصحاب الميمنة خبر مبتداء محذوف وكذا قوله تعالى واصحاب المشأمة وقوله تعالى والسابقون
فان الترتيب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلاثة بيان انفس الاقسام واما اوصافها
واحوالها فحقها ان يتبين بعد ذلك باسنادها اليه والتقدير فاحدها اصحاب الميمنة والاخر اصحاب
المشأمة والثالث السابقون خلا انه لما اخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما تفصيلا مترتبا
لكن لا على ان ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على ما راه سيبويه وامثاله بل على انها جملة مستقلة
بين القسمين تنبيه على تراخي احوالها فى الخير والشر ابنا اجما ليا يشعر ان الاحوال كل منهما خبر لما بعدها
فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة امر بديع كما يفيده كونه خبرا لا بيان ان امرا بديعا
اصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتداء وكذا الحال فى اصحاب المشأمة واما القسم الاخيرة فحيث قرن
بيان محاسن احوالهم بذكرهم لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتداء والاظهار
فى مقام التفخيم واولئك مبتداء ثان او بدل من الاول وما بعده خبر له او للثانى والجملة خبر الاول
وقوله تعالى **فى جنات النعيم** متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره او كائنين فى جنات النعيم
وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه اى الاخبار بكونهم فيها بعد كونهم مقربين ليس فيه مزيد
وقرئ فى جنة النعيم وقوله تعالى **ثلة من الاولين** خبر مبتداء محذوف اى هم امم جمة من الاولين
او هم الامم السالفة من اولاد ادم الى نبينا عليهما السلام وعلى ما بينهما من الانبياء العظام **وقليل**
من الاخرين اى من هذه الامة ولا يخالفه فى قوله عليه السلام اذا متى يكثرون سائر الامم
فان اكثرية سابقى الامم السالفة من سابقى هذه الامة لا يمنع تابعى هؤلاء من تابعى اولئك ولا
يرد قوله تعالى واصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين لان اكثرية كل من المقربين وليين
فى نفسها لا ينافى اكثرية احدهما من الاخرى سيما فى ان الثلتين من هذه الامة قد روى مرفوعا ان الا
والاخرين هنا ايضا متقدموا هذه الامة ومتاخروهم واشتقاق الثلة فى الثل وهو الكسر
على سرر موضونة حال اخرى من المقربين او من ضميرهم فى الحال الاخرى وقيل خبر اخر والموضونة المنسوجة
بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو النسج **متكئين عليها متقابلين**
حال من الضمير المستكن مما تعلق به على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من اقفاء بعض
وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والاداب **يطوف عليهم** حال اخرى او استيناف
اى يدور حولهم للخدمة **ولدان مخلدون** اى مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها
وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا
عليها روى ذلك عن على رضى الله عنه وفى الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة **باكواب** جمع كوب وهو اناء لا عروة له ولا خرطوم
واباريق اى انية ذات عرى وخراطيم **وكاس من معين** اى خمر جارية من العيون قيل انما
افرد الكاس لانها لا تسمى كاسا الا اذا كانت مملوءة **لا يصدعون عنها** اى بسببها

حقيقة لا يصيبهم صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون اي لا يصدع
بعضهم بعضا ولا ينزفون لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وفاكهة مما
يتخيرون اي يختارونه ويأخذون خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون وقرئ ولحوم
طير وحور عين بالرفع عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرئ بالجر
عطف على جنات النعيم فانه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف
عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب اي ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون صفة
لحور او حال جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم او مصدر مؤكد اي يجزون
جزاء لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا ولا تأثيما اي نسبة الى الاثم اي لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع
كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر الا قيلا اي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها
لغوا الا سلاما او صفة او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولون سلاما سلاما والمعنى انهم
يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم عليه الا سلام الآخر بدءا او ردا وقرئ سلام
سلام على الحكاية وقوله تعالى واصحاب اليمين شروع في تفصيل ما اجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة اثر تفصيل
شؤون السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى ما اصحاب اليمين جملة استفهامية مسوقة للتفخيم والتعجيب من حالهم
وقد عرفت كيفية سبكها اجملا اما الرفع على انها خبر للمبتدأ او معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى في سدر مخضود
وهو على الاول خبر ثان للمبتدأ او خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما ابهم في قوله تعالى ما اصحاب
اليمين من علو الشأن اي هم في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كانه خضد شوكه اي
قطع وقيل مخضود اي مثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح منضود قد نضد
حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز او ام غيلان وله انوار كثيرة منتظمة طيبة
الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرأ طلع وما
بان الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل او نحولها فقال اي القرآن لا يهاج ولا يحرك وعن ابن عباس رضي الله عنهما
نحوه وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب
يسكب لهم اينما شاؤوا وكيف ما ارادوا بلا تعب ونحوه او مصبوب سائل يجري على الارض في غير اخدود
كانه مثل حال السابقين باقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين باكمل ما يتصوره لاهل البوادي
لبعد التفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة بحسب الانواع والاجناس لا مقطوعة في وقت من الاوقات
كفواكه الدنيا ولا ممنوعة عن متناولها بوجه من الوجوه لا تحظر عليها كما تحظر على بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة
كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الى آخره كقوله تعالى وحور عين وفرش مرفوعة اي رفيعة القدر او منضدة
مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على
الارائك قال الله تعالى هم وازواجهم على الارائك ويدل عليه قوله تعالى انا انشأناهن انشاء وعلى التفسير
الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفراش التي هي المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء
جديدا او ابدعناهن من غير ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا
عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن
وجدوهن ابكارا وذلك قوله تعالى فجعلناهن وقوله تعالى عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها
الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء اترابا مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا
ازواجهن واللام في قوله تعالى لاصحاب اليمين متعلق بانشأنا او جعلنا او باترابا كقولك هذا ترب
لهذا اي مساوية في السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا اي كائنات لاصحاب اليمين او خبر مبتدأ

بياض صحيح

محذوف اي هم لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وهو بعيد بل
هو خبر مبتداء محذوف ختمت به قصة اصحاب اليمين اي هم امة من الاولين وامة من الآخرين وقد مر
الكلام فيهما وعن ابي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين اي من سابقي هذه الامة وثلة
من الآخرين هذه الامة في آخر الزمان وعن سعيد بن جبير وابن عباس رضي الله عنهم في هذه الآية
قال قال رسول الله صلعم هم جميعا من امتي واصحاب الشمال شروع في تفصيل احوالهم التي اشير عند
التشريع والى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى ما اصحاب
الشمال عين المفصل في نظيره وكذا في قوله تعالى في سموم وحميم والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء
المتناهي في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا كريم فيه خير ما
في الجملة معنى ذلك ظل ما ثم نفي عنه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل
وقرئ لا بارد ولا كريم وقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل لابتلائهم من العذاب اي انهم
كانوا قبل ذلك من سوء العذاب في الدنيا منعمين بانواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة و
المقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها وكانوا يصرون على الحنث العظيم
اي الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث الحلم ومنه المؤاخذة بالذنب وكانوا
يقولون لغاية عتوهم وعنادهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما كان بعض اجزائنا من اللحم والجلد
ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا
متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا
تعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص الانكار به فانهم
منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في
حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتاكيد النكير وتحلية الجملة بان لتاكيد الانكار لا للانكار كما عسى
يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على راي
الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم
ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم و
مرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم
في الضلال مزية عليه وتكرير الهمزة في قوله تعالى او آباؤنا الاولون لتاكيد النكير والواو للعطف
على المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك للفصل بالهمزة يعنون ان بعث آبائهم الاولين ابعد
من الوقوع وقرئ او آباؤنا قل ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ان الاولين والآخرين من الامم الذين
من جملتهم انتم وآباؤكم وفي تقديم الاولين مبالغة في الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم
اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي لمجموعون بعد البعث وقرئ لمجمعون
الى ميقات يوم معلوم اي الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة ثم انكم
ايها الضالون عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا او رتبة المكذبون اي
بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون بعد البعث والجمع ودخول جهنم من شجر من زقوم
من الاولى للابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اي مبتدئون الاكل من شجر هو زقوم
وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو صفة لشجر اي كائن من زقوم فمالئون منها البطون اي بطونكم
من شدة الجوع فشاربون عليه عقب ذلك بلا ريث من الحميم اي الماء الحار في الغاية وتأنيث
ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى وقرئ من شجرة فضمير عليه للزقوم وقيل للاكل وقوله تعالى

فشاربون شرب الهيم كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا اي لا يكون شربكم شربا
معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع
اهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على جمع اهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتمسك جمع على فعل
كسحاب وسحب ثم خففت وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار
في احشائهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤا بطونهم وهو في غاية الحرارة والمرارة
مسلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه وقرئ شرب
الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر وقرئ بالكسر على انه اسم المشروب هذا الذي ذكر من الوان العذاب
نزلهم يوم الدين اي يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم
بعدما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون
الزاء تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة
تحت القول وهو قوله ثم نحن خلقناكم فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق
الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها اي فهلا تصدقون فان ما لا يحققه العمل ولا
يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان
من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الوجه كما ستحيط به خبرا افرأيتم ما تمنون اي تقذفون
في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى مناها ءانتم تخلقونه اي تقدرونه
وتصورونه بشرا سويا ام نحن الخالقون له من غير دخل شيء فيه وام منقطعة لان ما بعدها
جملة فالمعنى بل نحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون من بعد نحن
بطريق التاكيد لا بطريق الخبرية نحن قدرنا بينكم الموت اي قسمناه عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت
معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا بالتخفيف وما نحن بمسبوقين اي
انا قادرون على ان نبدل امثالكم لا يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتي مكانكم اشباهكم من الخلق و
ننشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والاطوار لا تعهدون بمثلها قال الحسن اي نجعلكم قردة و
خنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فمن هذا شانه كيف يعجز عن اعادتكم
وقيل المعنى وما يسبقنا احد فيهرب من الموت ويغير وقته وعلى ان نبدل الى آخره اما حال من فاعل
قدرنا او علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض ولقد علمتم النشأة الاولى في خلقهم من نطفة
ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هي فطرة آدم عليه السلام من التراب فلولا تذكرون ان من قدر عليها قدر على
النشأة الاخرى حتما فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة
القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثي وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى
النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور افرأيتم ما تحرثون اي تبذرون
حبه وتعملون في ارضه ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف ام نحن الزارعون لا انتم
والكلام في ام كما مر لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما متفتتا متكسرا بعد ما انبتناه وصار بحيث
طمعتم في حيازة غلاله فظلتم بسبب ذلك تفكهون تعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن
ما يكون من الحال او تندمون على ما تعبتم فيه او على ما اقترفتم عليه من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه
التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون وقرئ فظلتم بالكسر فظللتم على الاصل
انا لمغرمون اي لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ
ائنا على الاستفهام والجملة على القرائتين مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون

اي قائلين او تقولون انا لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون افرأيتم الماء الذي تشربون عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المتوسطة به أأنتم انزلتموه من المزن اي من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون له بقدرتنا لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع اثباتها في الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق بين المطعوم والمشروب في اللاهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان ان عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى فلولا تشكرون تحضيض على شكر الكل افرأيتم النار التي تورون اى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد أأنتم انشأتم شجرتها التي منها الزناد وهي المرخ والعفار ام نحن المنشئون لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الاشياء التي لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما ان التعبير عن نفخ الروح بالانشاء في قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر كذلك وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة استئناف مبين لمنافعها اى جعلناها تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم او تذكرة وانموذجا من نار جهنم لما روي عن النبي عم ناركم هذه التي يوقد بها بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة في امر البعث فانه ليس بابدع من اخراج النار من الشجر الرطب ومتاعا منفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او تخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها لان المقيمين او النازلين بالقرب منها ليسوا مضطرين الى الاقتداح بالزناد فقد جوز ان يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم اختصاص حاجتهم ولا بسبب نفعها لا يؤكل الا بالطبخ وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروي والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى اما تنزيها له تعالى عما يقول الجاحدون بوحدانيته الكافرون بنعمته تعالى مع عظمها وكثرتها او تعجبا من امرهم في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور امرها او شكرا على تلك النعم السابقة اي فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى او بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب فلا اقسم اي فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في قوله تعالى لئلا يعلم او فلانا اقسم بحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم او لا لامر اوضح من ان يحتاج الى القسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن المقسم بمواقع النجوم اي بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير او لان ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها ومجاريها فان له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض مقصود به المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله وانه لقسم لو تعلمون بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى انه لقرآن كريم اي كثير النفع باشتماله على اصول العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي او كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو اما متروك اريد به نفي علمهم او محذوف ثقة بظهوره اي لعظمتموه او لعلمتم بموجبه في كتاب مكنون اي مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون اما صفة اخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية ودنس الاوزار او للقرآن فالمراد المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي اي لا ينبغي ان يمسه الا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله عم

المسلم

المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمتطهرون من يطهرهم بمعنى طهره والمتطهرون من القسم او غيرهم بالاستغفار او غيره تنزيل من رب العالمين صفة اخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلا افبهذا الحديث الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن الكريم انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اى شكر رزقكم انكم تكذبون اي تضعون التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم انكم تكذبون اى تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى الانواء والاول هو الاوفق لسياق النظم الكريم فان قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم الى آخره تبكيت مبني على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر اسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفية اى فهلا اذا بلغت النفس اى الروح وقيل نفس احدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج وانتم حينئذ ايها الحاضرون حول صاحبها تنظرون الى ما هو فيه من الغمرات ونحن اقرب اليه منكم حيث لا تعرفون من حاله الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها ولا ان تقدروا على دفع ادنى شيء منها ونحن المستولون لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت ولكن لا تبصرون لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا وقوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين اي غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى ترجعونها اي النفس الى مقرها هو العامل في اذا والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية مكررة للتاكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ان كنتم صادقين في اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى فاما ان كان من المقربين الى آخره بيان لحال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اي فاما ان كان الذي بين حاله من السابقين من الازواج الثلاثة عبر عنهم باجل اوصافهم فروح اي فله استراحة وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لانها سبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان ورزق وجنة نعيم اي ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين عبر عنهم بالعنوان الذي ذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبئ عن شأنهم سواء ذكر للمؤمنين الاولين وقوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية انشاء سلام بعضهم على بعض والا لقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف واما ان كان من المكذبين الضالين وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله ثم انكم ايها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بالسبب وبما ابتلوا به من العذاب فنزل اي فله نزل كائن من حميم يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وتصلية جحيم اي ادخال في النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لالوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اي الذي ذكر في السورة الكريمة لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين وقيل اضافة الحق الى اليقين والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقية ما فصل في تضاعيف السورة

الكريمة عما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الامور التي من جملتها الاشراك به والتكذيب
باياته الناطقة بالحق عن النبي صلعم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم يصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مدنية ثمان وعشرون ايات

سبح لله ما في السموات والارض التسبيح تنزيهه تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح
في الارض والسماء اذا ذهب فيهما وحيث اسند هاهنا الى غير العقلاء ايضا فان ما في السموات والارض يعم جميع
ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما او جزءا كما مر في آية الكرسي اريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان
المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من افراد الموجودات
يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو
المراد بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى وسبحوه واللام اما مزيدة
للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له او للتعليل اي فعل التسبيح لاجل الله وخالصا لوجهه ومجيئه في بعض
الفواتح ماضيا وفي البعض مضارعا للايذان بتحققه في جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حق من شأنه
الاختيار ان يسبحه تعالى في جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وهو العزيز الغالب القادر الذي لا يمانعه ولا ينازعه شيء الحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة
والمصلحة والجملة اعتراض تذييلي مقررة لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله له ملك السموات والارض
اي التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلمه ومما لا نعلمه
وقوله تعالى يحيي ويميت استئناف مبين لبعض احكام الملك وجعله حالا من ضمير له وهو على كل شيء من
الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة قدير مبالغ في القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات
لما انه مبدئها ومبدعها والآخر الباقي بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها
فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهي فانية والظاهر وجوده لكثرة دلائله الواضحة
والباطن حقيقة فلا تحوم حولها العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما
والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود في جميع الاوقات والظهور والخفاء وهو بكل شيء عليم
لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
بيان لبعض احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها قد مر بيانه في سورة سبأ وهو معكم اينما كنتم تمثيل للاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم
عنه اينما داروا وقوله تعالى والله بما تعملون بصير عبارة عن احاطته باعمالهم فتأخيره عن الخلق لما ان
المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه وقوله تعالى له ملك السموات
والارض تكرير للتأكيد تمهيدا لقوله تعالى والى الله ترجع الامور اي اليه وحده لا الى غيره استقلالا
او اشتراكا ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل مر تفسيره مرارا وقوله تعالى وهو عليم اي مبالغ في العلم
بذات الصدور اي بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان
احاطته باعمالهم التي يظهرونها امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه اي جعلكم خلفاء
في التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق
وترغيبا لهم في الانفاق فان من علم انها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى
من المصارف هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء عمن كان قبلكم فيما كان في ايديهم بتوريثه اياكم واعتبروا

بحالهم

بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به فالذين امنوا منكم وانفقوا حسبما
امروا به لهم بسبب ذلك اجر كبير وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان
والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبر وقوله عز وجل وما لكم لا تؤمنون بالله استئناف
مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار ان يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على ان لا
تؤمنون به حال من ضمير في لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار اي اي شيء حصل لكم غير مؤمنين على
توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى
وما لي لا اعبد الذي فطرني فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى
لانكار الوقوع كما في قولك أأضرب اباك كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه
فقط كما فيما نحن فيه وما في قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الحالية محققا فان
كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع
ونفيه المفضي الى نفي المسبب ايضا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الى آخره فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا
قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما قد انكر ونفي سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تعالى والرسول
يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد
توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اي واي عذر في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله
وقد اخذ ميثاقكم حال من مفعول يدعوكم اي وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم من قبل وذلك بنصب الادلة
والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا
موجب لا موجب وراءه هو الذي ينزل على عبده حسبما يعنيكم من المصالح آيات بينات واضحات ليخرجكم
الله تعالى او العبد بها من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤوف
رحيم حيث يدعوكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية و
قوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان
بانكار ان يكون لهم في ذلك ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهوره مما سبق
وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ اي واي شيء لكم في ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ما هو له
في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض
حال من فاعل لا تنفقوا ومفعوله مؤكد للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق
موجب الانفاق اشد في القبح وادخل في الانكار فان بيان بقاء جميع ما في السموات والارض من الاموال
بالآخرة لله تعالى من غير ان يبقى احد من اصحابها اقوى في ايجاب الانفاق عليهم من بيان انها لله تعالى
في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كانه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى
لكم منها شيء بل تبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية
المهابة وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب
تفاوت احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري الافضل وعطف القتال
على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو من
الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقيل قبل الفتح والفتح
فتح مكة اولئك اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضمير السابق بالنظر
الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم
في الفضل ومحله الرفع على الابتداء اي اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجليلين اعظم درجة

وارفع منزلة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل
عزة الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين
والانصار الذين قال فيهم النبي صلعم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء
فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وكلا
اي وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع
على الابتداء اي وكل وعده الله اجره والله بما تعملون خبير بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت
الاية في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من آمن واول من انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى
ضرب ضربا اشرف به على الهلاك وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب بليغ من
الله تعالى الى الانفاق في سبيل الله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من
ذا الذي ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه
وتحري اكرم المال وافضل الجهاد فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قيل اي
يقرض الله احد فيضاعفه له اي فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه
الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف
اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدا اي فهو يضاعفه وقرئ
يضعفه بالرفع والنصب يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او
لقوله تعالى فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى يسعى نورهم حال
من مفعوله قيل نورهم الضياء الذي يرى بين ايديهم وبايمانهم وقيل هداهم وبايمانهم كتبهم اي
يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود
رضي الله عنه يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل
القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله ينطفئ تارة ويلمع اخرى قال الحسن يستضيئون به
على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات مقدرة بقول هو حال او
استئناف اي يقال لهم بشراكم اليوم اي ما تبشرون به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ذلك اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة هو الفوز العظيم الذي لا
غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين
آمنوا انظرونا اي انتظرونا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على
ركاب ترف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون
بالنور الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم
انظارا لهم نقتبس من نوركم اي نستضئ واصله اتخاذ القبس قيل طردا لهم وتهكما بهم من جهة
المؤمنين او من جهة الملائكة ارجعوا وراءكم اي الى الموقف فالتمسوا نورا اخر وقد علموا ان لا نور وراءهم
وانما قالوا تخييبا لهم او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال
الصالحة او ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نورا ولا دلوا بالنور وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما
بهم فضرب بينهم بين الفريقين بسور اي حائط والباء زائدة له باب باطنه اي باطن السور او الباب
وهو الجانب الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره وهو الطرف الذي يلي النار من قبله من جهته العذاب
وقرئ فضرب بالبناء للفاعل ينادونهم استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور
ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم الم نكن في الدنيا معكم يريدون به موافقتهم لهم في الظاهر قالوا بلى كنتم

معنا بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم
في امر الدين وغرتكم الاماني الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس امر الاسلام حتى جاء امر الله اي الموت
وغركم بالله الكريم الغرور اي الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية
فداء وقرئ تؤخذ بالتاء ولا من الذين كفروا اي ظاهرا وباطنا مأواكم النار لا تبرحونها ابدا هي مولاكم اي اولى
بكم وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اي مكان لقول القائل انه كريم
او مكانكم عن قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم تتولاكم كما
توليتم موجباتها وبئس المصير اي النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله استئناف ناع عليهم
تثاقلهم في امور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروي
ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن
ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن اي الم يجئ وقت
ان تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء عما نهوا عنه
من غير توان ولا فتور من انى الامر اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى ان وقرئ الما يأن وفيه دلالة
على ان المنفي متوقع وما نزل من الحق اي القرآن وهو عطف على ذكر الله وان كان هو المراد به ايضا اذ العطف
لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف كما في قوله تعالى انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع الانقياد التام لاوامره
ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التي من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق في سبيل الله
وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للفاعل فانزل ولا تكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع
وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهي عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان
وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله
ورقت قلوبهم فطال عليهم الامد اي الاجل وقرئ الامد بتشديد الدال اي الوقت الاطول وغلبهم الجفا
وزالت عنهم الروعة التي كانت من الكتابين فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اي خارجون
من حدود دينهم رافضون لما في كتابيهم بالكلية اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل
لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير
عن القساوة قد بينا لكم الآيات التي من جملتها هذه الآيات لعلكم تعقلون كي تعقلوا ما فيها وتعملوا
بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ان المصدقين والمصدقات اي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ
كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا
قيل هو عطف على ما في المصدقين من معنى الفعل فانه في حكم الذين صدقوا او اصدقوا على القراءتين وعقب
بان فيه فصلا بين اجزاء الصلة باجنبي وهو المصدقات واجيب بان المعنى ان الناس الذين تصدقوا
وتصدقن واقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس بعطف
على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كانه قيل ان المصدقين على العموم تغليبا واخص
المصدقات من بينهم كالقول ان الذين آمنوا ولا سيما وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على ان
مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الاجر كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصدق
الداعية الى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روي انه عم قال يا معشر النساء تصدقن فاني رأيتكن
اكثر اهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كانه قيل والذين اقرضوا الله

او القرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة
يضاعف لهم على البناء للمفعول مسند الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدرهما في حيز الصلة
على حذف مضاف اي ثواب الصدقة وقرئ بالبناء على الفاعل اي يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف
بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم مر ما فيه من الكلام والذين آمنوا بالله ورسله كافة وقد
مر بيان كيفية الايمان بهم في خاتمة سورة البقرة اولئك اشارة الى الموصول الذي هو مبتدأ وما
فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه وقد تكرر سره مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى هم
مبتدأ ثالث خبره الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للثاني وهو مع خبره خبر للاول او هم
ضمير الفصل وما بعده خبر اولئك والجملة خبر للموصول اي اولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء
المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق حيث آمنوا واستشهدوا في سبيل
الله وهم المبالغون في التصديق حيث آمنوا وصدقوا بجميع اخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة
لله تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان او على الامم يوم القيمة قوله تعالى لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات ما
وصفوا به من نعوت الكمال على انه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول او الخبر هو
الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الاول على الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء
اي لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف اداة التشبيه تنبيها على
قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين
الفريقين الاولين من الاجر والنور وبين تمام الفريقين الاخيرين بل بين تمام الاول من الاصل والاضعاف
وبين ما للاخيرين من الاصل بدون الاضعاف واما على الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى لهم
الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ
وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم اجرهم الى آخره والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك الموصوفون بتلك الصفة
القبيحة اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر في الاموال والاولاد بعدما بين حال الفريقين في الآخرة شرح حال الحيوة الدنيا التي اطمأن بها
الفريق الثاني واشير الى انها من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلاء فضلا عن فانها
مع ذلك سريعة الزوال والاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار نباته اي الحراث نباته اي النبات
الحاصل به ثم يهيج اي يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا بعد ما رأيته ناضرا مونقا وقرئ
مصفارا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن للجفاف وانما المرتب عليه رؤيته كذلك
ثم يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير في لعب لانه في معنى
الوصف وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحيوة الدنيا بتقدير المضاف اي مثل الحيوة الدنيا كمثل الى
آخره وبعدما بين حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها اشير الى فخامة شان
الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا في تحصيل نعيمها وتحذيرا من عذابها الاليم
وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الآخرة عذاب شديد لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من احوال
الحيوة الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور اي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور
ان الهتك عن طلب الآخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة
سابقوا اي سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم
اي الى موجباتها من الاعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي كعرضهما جميعا

واذا كان

واذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة
لتقدم التخلية على التحلية اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان
الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك الذي وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه تفضلا و
احسانا يؤتيه من يشاء ايتاءه من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك يؤتي من يشاء مثل ذلك
الفضل الذي لا غاية وراءه ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة في الزرع والثمار ولا في
انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب اي الا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى او في اللوح المحفوظ من قبل ان نبرأها
اي نخلق الانفس والمصائب والارض ان ذلك على الله يسير لاستغنائه فيه على
القدرة والمدة لكيلا تأسوا اي اخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم اي
اعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم
جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرئ بما اتاكم من الاتيان وفي القراءة الاولى اشعار بان فوات
النعم يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما
اوتيتم والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب
بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر
بها لا محالة وفي تخصيص التنزيل بالنهي عن الفرح المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به او مبتدأ خبره محذوف يدل
عليه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن
انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق ق
لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو
الاظهر بالبينات اي بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي جنس الكتاب الشامل للكل والميزان ليقوم الناس
بالقسط اي بالعدل روي ان جبرائيل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل
اريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان وانزلنا الحديد قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة
اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن الحسن
وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تعالى وقضاياه واحكامه تنزل من
السماء وقوله تعالى فيه بأس شديد لان آلات الحروب انما تتخذ منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة
الا والحديد او ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله عطف على محذوف
يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره و
رسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة في مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف مؤخر والواو
اعتراضية اي وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله
تعالى بالغيب حال من فاعل ينصر او مفعوله اي غائبا منهم او غائبين منه وقوله تعالى ان الله قوي عزيز
اعتراض تذييلي جيء به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم للجهاد وتعريضهم
للقتال ليس لحاجته في اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما
هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو غني بقدرته وعزته عنهم في كل ما
يريده ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا الى آخره وتكرير القسم
لاظهار مزيد الاعتناء بالامر اي وبالله لقد ارسلناهما وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأنا هم
وأوحينا اليهم الكتاب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم فمنهم اي من الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم

بذكر الرسالة والمرسلين يهتد الى آخره وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول
عن السنن المقابلة المبالغة فى الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم ثم قفينا على آثارهم برسلنا
اي ثم ارسلنا بعدهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى
عيسى ابن مريم والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهم من الرسل لا للذرية فان الرسل
المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب و
جعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة اى وفقناهم للتراحم والتعاطف
بينهم ونحوه فى شان اصحاب النبي صلعم ورهبانية ابتدعوها منصوب اما بفعل مضمر يفسره الظاهر وابتدعوا
رهبانية ابتدعوها واستحدثوها وهى المبالغة فى العبادة وبالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة
المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ بضم الراء كانها منسوبة
الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع
عيسى عم فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم واختاروا
الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى ما كتبناها عليهم
جملة مستأنفة وقيل صفة اخرى لرهبانية والنفي على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله تعالى
الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اى ما فرضناها نحن عليهم رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء
رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى فما رعوها حق رعايتها من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل
نكثه لا سيما اذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء
متصل من اعم العلل اى ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها لشيء من الاشياء الا ليتقولوا بها
رضوان الله تعالى ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها
فما رعاها كلهم بل بعضهم فآتينا الذين آمنوا منهم ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلعم بعد رعاية
رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفروا بها استتباع الاجر اجرهم وكثير منهم
فاسقون خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى اي ما آتينا الذين آمنوا منهم اجورهم من المراعين
لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض
لايمانهم برسول الله صلعم وكفرهم به مما لا يساعده المقام يا ايها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا
الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله من رحمته لا ايمانكم بالرسول ومن قبله من الرسل عليهم السلام لكن
لا على معنى ان شريعتهم باقية بعد البعثة بل على انها كانت حقة قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون
به يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويغفر لكم ما اسلفتم من
الكفر والمعاصي والله غفور رحيم اي مبالغ فى المغفرة والرحمة وقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب
متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله
يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم
ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون فى الياء وان فى قوله تعالى ان لا يقدرون على شيء من فضل الله
مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة فى حيز النصب على انها
مفعول يعلم اي ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة و
لا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى وان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء عطف على ان لا يقدرون وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبله وقد جوزوا ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا

يؤتكم كفلين من

الله

الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلعم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين فى قوله تعالى
اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم فى الايمان لا نفرق بين احد من
رسله وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا
الفضل عليهم وقرئ ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم
المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ ان تقدروا بهذا وقيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبي
صلعم واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي صلعم والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذي
هو عبارة عما اوتوه من سعادة الدارين على ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم
عليه فيكون قوله ان الفضل بيد الله الى آخره عطفا على ان لا يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرئ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية اثنى وعشرون آيات

قد سمع الله قرئ باظهار الدال وبادغامها فى السين قول التي تجادلك في زوجها اى تراجعك
الكلام فى شأنه وفيما صدر عنه فى حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك وتشتكي الى الله عطف
على تجادلك اي تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله اى تجادلك وهى متضرعة اليه تعالى وهى خولة
بنت ثعلبة ابن مالك بن خزامة الخزرجية ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم
على ما قال لها ما اظنك الا قد حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه فقالت اشكو
الى الله فاقتي ووجدي وجعلت تراجع رسول الله صلعم وكلما قال عم حرمت عليه هتفت وشكت
ه الى الله تعالى فنزلت وفى كلمة قد اشعار بان الرسول الله عم والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله
حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روي انه عم قال لها عند استفتائها ما عندي فى امرك شيء
وانها كانت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انى اشكو اليك فانزل على لسان نبيك وينبغي وينعه
تعالى لقولها اجابة دعائها لا الحرد عليه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما اى يعلم
تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي
نظمها فى سلك الخطاب تغليبا تشريفا لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان
الحافها المسألة ومبالغتها فى التضرع الى الله ومدافعته عم اياها بجوابه مبني على التوقف وترقب
الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الاجابة وقيل هي حال وهو بعيد وقوله عز وجل ان الله سميع
بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق اى مبالغ فى العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته ان يسمع
تحاوركما ويرى ما يقارنه من الهيآت التي من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار
الاسم فى الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتأكيد استقلال الجملتين و
قوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم شروع فى بيان الظهار فى نفسه وحكمه المترتب عليه
شرعا بطريق الاستئناف والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد مر
تفصيله فى الاحزاب والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفى منكم تهجين لعادة العرب وتقبيح لما دأبهم
ون فيه فانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من ظاهر ويظهرون
ويظهرون وقوله تعالى ما هن امهاتهم خبر الموصول اى ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت
وقرئ بالرفع امهاتهم على لغة تميم وبامهاتهم ان امهاتهم اى ما هن الا اللائي ولدنهم فلا تشبه
بهن فى الحرمة الا من الحقها الشرع بهن من المرضعات وازواج النبي صلعم فدخلن بذلك فى حكم الامهات
واما الزوجات فابعد شيء من الامومة وانهم ليقولون بقولهم هذا منكرا من القول على مناط التأكيد

ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اي عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به
تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما وزورا اي محرفا عن الحق وان الله لعفو غفور
رحيم اي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله تعالى
والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا
منكرا بطريق التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما اوليا اي والذين يظاهرون يقولون ذلك
القول المنكر ثم يعودون لما قالوا اي بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى ان
تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى متعاقبتان كثيرا كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم وقوله تعالى بان ربك اوحى لها وقوله تعالى واوحي الى نوح فتحرير رقبة اي فتداركه
او فعليه او فالواجب اعتاق رقبة اي رقبة كانت وعند الشافعي يعتبر شرط الايمان والفاء
للسببية وفائدة الدلالة على تكرر وجوب بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على
انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله تعالى ونرثه ما يقول اي المقول
عنه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا اي
من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع
شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم
مس عليه ان يستأنف عند ابي حنيفة ذلكم اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به
اي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره
بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم
في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون من الاعمال
التي من جملتها التكفير وما يوجب من جناية الظهار خبير اي عالم ببواطنها ومجازيكم بها فحافظوا
على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين اي فعليه صيام
شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطأ فمن لم يستطع اي الصيام بسبب
من الاسباب فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه
على المس لكن لا يستأنف ان مس في خلال الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من البيان او لتعليم الاحكام والتنبيه
عليها وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا ومحله اما الرفع على الابتداء او النصب بمضمر معلل بما
بعده اي ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في
جاهليتكم وتلك اي اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيها من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة
حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ
وعلى طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادونهما
ويشاقونهما فان كلا من المتعاديين كما انه يكون في عدوة غير عدوة الآخر وشق غير شقه
كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير ان لورود المحادة في اثناء ذكر حدود الله وترك حدود
المعادة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه كبتوا اي اخزوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا
وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة اتى امر الله وقيل اصل
الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام
وقد انزلنا آيات حال من واو كبتوا بمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات بينات واضحات فيمن
حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة

ما جاء به

ما جاء به وللكافرين اي بتلك الآيات او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا اوليا عذاب
مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار او بمهين او
باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا يبقى منهم غير مبعوث او مجتمعين في حالة
واحدة فينبئهم بما عملوا من القبائح بان يصورها عنهم او منصوب بما في تلك النشأة من الصور
الهائلة على رؤوس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى احصاه
الله استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة او عن سببها كانه قيل
كيف ينبئهم بأعمالهم وهي اعراض متقضية متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يفته منه شيء فقوله تعالى
ونسوه حينئذ حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور وقيل لم ينبئهم بذلك
فقيل احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه توبيخ
وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر من الامور قط والجملة اعتراض
تذييلي مقرر للاحصاء به تعالى وقوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض استشهاد على شمول
شهادته تعالى كما في قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وفي قوله تعالى الم تر انهم في كل واد
يهيمون اي الم تعلم علما يقينا كالمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار
فيهما او بالجزئية منهما وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الى آخره استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه
تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ بالتاء باعتبار تأنيث النجوى وان
كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي ثلثة نفر اي من سارتهم على ان نجوى مضافة الى ثلثة او على
انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف اي من اهل نجوى ثلثة او بجعلهم نجوى في انفسهم مبالغة
الا هو اي الله عز وجل رابعهم اي جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى شاركهم في الاطلاع عليها
وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة اي ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين
بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين واما لان الكلام على اغلب عادات
المتناجين لحكم بعد ذلك قيل ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة
وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى بان
جعل لا لنفي الجنس اينما كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض ثم ينبئهم وقرئ ينبئهم بالتخفيف بما عملوا يوم
القيامة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء
الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون
فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلعم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب
لرسول الله صلعم والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار
صورته العجيبة وقوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول عطف عليه داخل في
حكمه اي بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عليه السلام وذكره عليه
السلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه عليه السلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم
وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان ومعصيات الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله
فيقولون السلام عليك او انعم صباحا والله سبحانه وتعالى يقول وسلام على المرسلين ويقولون في انفسهم
اي فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا
يصلونها يدخلونها فبئس المصير اي جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم في انديتكم وفي خلواتكم
فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجوا

بحذف احدى التائين وتناجوا بالبر والتقوى اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية
الرسول صلعم واتقوا الله الذي اليه تحشرون وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم
بكل ما تاتون وما تذرون انما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان من الشيطان
لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن الذين امنوا خبر اخرى اي انما جيء ليحزن
المؤمنين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس بضارهم اي الشيطان او التناجي بضار المؤمنين
شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن الله اي بمشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا
بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره وضره يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا اي توسعوا ليفسح
بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ وتفاسحوا وقوله تعالى في المجالس
متعلق بقيل وقرئ في المجلس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول صلعم وكانوا يتضامون به تنافسا
في القرب منه عليه السلام وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة
كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل ياتي الصف ويقول تفسحوا فيابون لحرصهم على الشهادة وقرئ
في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيها فافسحوا
يفسح الله لكم اي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل
انشزوا اي انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به من صلاة او جهاد او غيرهما من اعمال الخير
فانشزوا فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر
وحسن الذكر في الدنيا والايواء الى غرف الجنان في الاخرة والذين اوتوا العلم منهم خصوصا
درجات عالية بما جمعوا من البر في العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضي للعمل المقرون به
مزيد رفعة لا يدرك شاوه العمل العاري عنه وان كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدى بغيره
وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير
تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ يعملون بالياء التحتانية يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول
في شانكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه السلام فقدموا بين يدي نجواكم صدقة اي فتصدقوا
قبلها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم لرسول الله صلعم وانتفاع الفقراء والزجر عن
الافراط في السؤال والتميز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب
او للوجوب لكنه انتسخ بقوله تعالى اأشفقتم فهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متنزل حتى عنه
نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله اية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته
فكنت اذا ناجيته عليه السلام تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم
يتفق للاغنياء مناجات في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك
اي التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله
تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم منبئ على الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد في المناجاة
بلا تصدق أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اي اخفتم الفقر من تقديم
الصدقات او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين
فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان رخص لكم بان لا تفعلوا وفيه
اشعار بان اشفاقكم ذنب تجاوز الله عنه لما راى منكم من الافعال ما قام مقام توبتكم واذ على
ما هاهنا من المضي وقيل بمعنى اذا كما في قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم وقيل بمعنى ان فاقيموا الصلوة و
اتوا الزكوة اي فاذا فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه على اقامة الصلوة

واتيا

واتياء الزكوة واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط
والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر تعجب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون
اليهود اولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اي الم تنظر الى الذين تولوا اي والوا
قوما غضب الله عليهم وهم اليهود كما انبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه
ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة مستأنفة او حال من فاعل تولوا
ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجب وصيغة
المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى وهم يعلمون حال من
فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوه فان الحلف على ما يعلم انه كذب في غاية القبح وفيه
دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روي انه عليه السلام كان في حجرة
من حجراته فقال يدخل عليكم الان رجل جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان
ازرق فقال له رسول الله صلعم على ما تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال له عليه السلام فعلت
فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما شتموه فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما
انهم ساء ما كانوا يعملون فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به واصروا عليه
اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة اي ايمانهم الذي اظهروا
لاجل الاسلام جنة وقاية وسترة دون دمائهم واموالهم فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة
عن التستر بما اظهروا بالفعل واما على القراءة الاولى فهي عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة و
تهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويخلصوا عن المؤاخذة المسبوقة لوقوع الجناية بالجناية واتخاذ
الجنة للايمان تكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما في قوله تعالى فصدوا اي الناس عن سبيل الله
في خلال امنهم بتثبيطهم عن الدخول في الاسلام وتضعيف امر الاسلام عندهم فلهم عذاب مهين
وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله اي من عذاب الله شيئا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لينصرن يوم القيمة
بانفسنا واموالنا واولادنا اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اي
ملازموها ومقاربوها هم فيها خالدون لا يخرجون منها ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف
لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون له اي لله تعالى يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون لكم
في الدنيا ويحسبون في الاخرة انهم بتلك الايمان الفاجرة على شيء من جلب منفعة او دفع مضرة
كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية
الا انهم هم الكاذبون البالغون في الكذب الى غاية لا مطمع وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدي
علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين استحوذ عليهم
الشيطان اي استولى عليهم من حوذ الابل اذا استولت عليها
وجمعها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اي ملكهم فانساهم ذكر الله بحيث لم يذكروه
بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون من القبائح حزب الشيطان اي جنوده واتباعه الا
ان حزب الشيطان هم الخاسرون اي الموصوفون بالخسران الذي لا غاية وراءه حيث فوتوا على انفسهم
النعيم المقيم واخذوا بدله العذاب الاليم وفي تصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق واظهار حزب في
موقع الاضمار باحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد ما لا يخفى ان الذين يحادون
الله ورسوله استئناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه

لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله

بما في خبر المبتدأ الصلة على ان موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم **اولئك** بما انطوا
من التحلي والموادة **في الاذلين** اي في جملة من هو في اذل خلق الله من الاولين والآخرين لان ذلة
المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من حادة
الله كذلك **كتب الله** استيناف وارد لتعليل كونهم في الاذلين اي قضى واثبت في اللوح وحيث ذكر
مجرى القسم اجيب بما يجاب به فقيل **لاغلبن انا ورسلي** اي بالحجة وبالسيف وما يجري مجراه او باحدهما
قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ
ورسلي بفتح الياء **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر** مفعول الثاني الخطاب للنبي صلعم اي لكل
احد وتجد متعد الى اثنين بقوله تعالى يوادون من حاد الله ورسوله **ان الله قوي عزيز** على
النصر لا يغلب عليه في مراده مفعوله الثاني او الى احدهما فهو حال من مفعوله لتخصصه
بالصفة وقيل صفة اخرى له اي قوما جامعا بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة اعداء
الله ورسوله والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمنع و
لا يوجد بحال وان جد في طلبه كل احد **ولو كانوا** اي من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار
معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها **اباءهم** اي اباء الموادين **او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم**
فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة وقدم على التفصيل مرارا **اولئك** اشارة الى الذين
لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم وانهم ما فيه من معنى البعد لارتفاع درجتهم في
الفضل وهو مبتدأ خبره **كتب في قلوبهم الايمان** اي اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم
الايمان فان اجزاء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا فلا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه **وايدهم** اي
قواهم **بروح منه** اي من عند الله تعالى وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل
الضمير للايمان لحيوة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ويدخلهم الى آخره بيان لآثار رحمته الآجلة
او بيان الطاعة الدنيوية اي ويدخلهم في الآخرة **جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا** وبة
لا يبين وقوله تعالى **رضي الله عنهم** استيناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من آثار رحمته
العاجلة والآجلة وقوله تعالى **ورضوا عنه** بيان لابتهاجهم بما اوتوا عاجلا وآجلا وقوله تعالى
اولئك حزب الله تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل **الا ان حزب الله هم المفلحون** بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين والكلام في تحلية الجملة
لطف من التاكيد كما مر في نظيرها عن النبي صلعم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة عت

سورة الحشر مكية اربع وعشرون آيات

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر سورة
الحديد وفي تكرير الموصول منها لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي
انه صلعم لما قدم المدينة صالح بني النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام
يوم بدر قالوا نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم وعاهدهم
ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه يوم بدر قالوا هو النبي الذي بعثه في التورية لا ترد له راية
فلما كان يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا
عند الكعبة على قتاله عليه السلام فامر عم محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه
من الرضاع ثم صبحهم بالكتائب وقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عليه السلام عشرة ايام
ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله المنافق اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم وان

خرجتم

خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم احدى
وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم
الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم فجلوا الى الشام وآل حيي بن اخطب فانهم
لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض الى قوله والله على
كل شيء قدير وقوله تعالى **هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم** بيان لبعض آثار عزة
الله تعالى واحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير راجع اليه
تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مساعدة تامة من المقام او على جعله مستعارا
لاسم الاشارة كما في قوله تعالى قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله
يأتيكم به اي بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج كانه في الجلد توليع البهق كما هو المشهور كانه قيل ذلك
المنعوت بالعزة والحكمة الذي اخرج الى آخره ففيه اشعار بان في الاخراج حكمة باهرة وقوله تعالى
لاول الحشر اي في اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج
من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى الشام و
قيل انه حشرهم والآن حشر يكون بالشام **ما ظننتم** ايها المسلمون **ان يخرجوا** من ديارهم بهذا الذل
والهوان لشدة باسهم وقوة منعتهم **وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله** اي ظنوا ان حصونهم ما
نعتهم او تمنعهم من بأس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على
كمال وثوقهم بحصانة حصونهم مرتفع على الفاعلية واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالى
معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفع
على الفاعلية **فاتاهم الله** اي امر الله تعالى العذاب او النصر وقدرته المقدرة لهم **من حيث
لم يحتسبوا** ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما اضعف قوتهم وفل شوكتهم
وسلب قلوبهم الامن والطمانية وقيل الضمير في اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ
فآتاهم اي فآتاهم الله العذاب او النصر **وقذف في قلوبهم الرعب** اي اثبت فيها الخوف الذي يرعبها
اي يملؤها **يخربون بيوتهم بايديهم** ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة افواه الازقة ولئلا
يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل **وايدي المؤمنين**
حيث كانوا يخربونها ازالة لتحصنهم وتمكنهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم
لما انهم السبب فيه فكانهم كلفوهم اياه وامروهم به قيل الجملة حال او تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد
للتكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب النقض والهدم **فاعتبروا يا اولي
الابصار** فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا يكاد يهتدي اليه الافكار
واتقوا مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصي وانتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا على
تعاضد الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل في موضعه
ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اي الخروج عن اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع **لعذبهم في
الدنيا** بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة **ولهم في الآخرة عذاب النار** استيناف غير متعلق بجواب
لولا جيء به لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة **ذلك** اي ما حاق
بهم وما سيحيق **بانهم** بسبب انهم **شاقوا الله ورسوله** وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح
ومن يشاق الله وقرئ يشاقق الله كما في الانفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها المشاقة
عليه السلام وليوافق قوله تعالى **فان الله شديد العقاب** وهو اما نفس الجزاء وقد حذف منه العائد

الى من عند من يلتزمه اى شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف اى يعاقبه الله فان الله شديد
العقاب واما ما كان فالشرطية بجملة ما قبلها او تعزيز لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهانى كانه
قيل ذلك الذى حاق بهم من العذاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من
يشاق الله كائنا من كان له ذلك عقاب شديد فاذا لهم عقاب شديد ما قطعتم من لينة اى
اى شيء قطعتم من نخلة وهى من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كريحة ويجمع على الوان
وقيل من اللين ويجمع على لين وهى النخلة الكريمة او تركتموها الضمير لما وتأنيثه لتفسيره بالسببية كما
فى قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قائمة على اصولها كما كانت من قبل ان تتعرضوا
لها بشيء ما وقرئ على اصلها اكتفاء على الاكثر من الواو بالضم او على انه جمع كرهن وقرئ قائما على اصوله ذهابا
الى لفظ ما فباذن الله فذلك اى قطعها او تركها بامر الله تعالى وليخزى الفاسقين اى وليذل
اليهود ويغيظهم اذن فى قطعها وتركها لانهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون فى اموالهم كيف احبوا
ويتصرفون فيها حسب ما شاؤا من القطع والترك يزدادون تغيظا ويتضاعفون حسرة واستدل به
على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة
بالقطع ان كانت من الالوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هى
الكرام ليكون غيظهم اشد وقوله تعالى وما افاء الله على رسوله شروع فى بيان حال ما اخذ من اموالهم
وفيه اشعار بانه كان حقيقيا بان يكون بعد بيان ما حل من انفسهم من العذاب العاجل والآجل
وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع اى ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان
حقيقا بان يكون له عليه السلام وانما وقع فى ايديهم ليرجعوها فرجعه الله الى مستحقه لانه تعالى خلق
الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم اى من
بنى النضير فما اوجفتم عليه اى فما " على تحصيله وتغنيمه من الوجيف وهو سرعة السير
من خيل ولا ركاب هى ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب الفرس فانما
يسمونه فارسا ولا واحد له من لفظها وانما الواحد منها راحلة والمعنى ما قطعتم بها شقة بعيدة
ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كان قراهم على ميلين من المدينة فمشوا اليها
مشيا وما كان فيهم راكب الا النبى صلى الله عليه وسلم فافتتحها صلحا من غير ان يجرى بينهم مسايفة كانه
قيل ما افاء الله على رسوله مما جعلتموه بكد اليمين وعرق الجبين ولكن الله يسلط رسله على من يشاء
اى سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبى
صلى الله عليه وسلم على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير ان يقتحموا مضايق الخطوب ويقاسوا شدائد
الحروب فلا حق لهم فى اموالهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء تارة على الوجوه المعهودة
واخرى على غيرها وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى لبيان مصارف الفيء بعد بيان
افادته عليه السلام من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين الصادرة الاولى لزيادة التقرير
ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشموله لما بالقرى ايضا فلله وللرسول ولذى القربى و
اليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف فى الفيء فقيل يسدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله الى عمارة
الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الان سهم الرسول صلى الله عليه
وسلم الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسة كا
لغنيمة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والان على الخلاف
المذكور كيلا يكون اى الفيء الذى حقه ان يكون للفقراء يعيشون به دولة بضم الدال وقرئ بفتحها

وهى ما يدول للانسان اى يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل دولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم بكسرها وبالضم
فى المال وبالفتح فى النصرة اى كيلا يكون جنبا بين الاغنياء منكم يتكاثرون به او لكيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤسا
منكم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عزيز وقيل الدولة بالضم التداول كالغرفة اسم لما يغترف فالمعنى
كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى
كيلا يكون ذا تداول بينهم او اخذه كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على ان كان تامة اى
كيلا يقع دولة على ما فصل من المعانى وما آتاكم الرسول اى ما اعطاكم من الفيء او من الامر فخذوه فانه حقكم
او فتمسكوا به فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او عن تعاطيه فانتهوا عنه واتقوا الله فى مخالفته عليه السلام
ان الله شديد العقاب فيعاقب من خالف امره ونهيه للفقراء المهاجرين بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان
النبى عليه السلام لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بنى النضير
فمست ظاهرا الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة واحوجهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا
يبتغون فضلا من الله ورضوانا اى طالبين منه رزقا فى الدنيا ومرضاه فى الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم
للفيء من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده وينصرون الله ورسوله
عطف على يبتغون فهى حال مقدرة اى ناوين نصرة الله تعالى ورسوله ومقدمته فان خروجهم من بين الكفار
راغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واى نصرة اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات حيث ظهر ذلك بما فعلوا
ظهورا بينا والذين تبوؤا الدار والايمان كلام مستأنف مسوق لمدح الانصار صيغة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم
باختصاص الفيء بهم احسن رضا واكمله ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على
تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا
وماء باردا وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض عنه
اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومنشأه من قبلهم اى من قبل هجرة المهاجرين على المعانى الاول ومن قبل
تبوء المهاجرين على الاخير وقيل ان يجعلوا الدار الايمان مباءة ولزموه واخلصوه على المعانى الاول عبارة عن اقامة
كانت حقيقته التى من قلبها اظهار عامة شعائره واحكامه ولاريب فى تقدم الانصار على المهاجرين لظهوره
عن اظهارها بعضها الا عن اخلاصه قلبا واعتقادا ولا يستقيم تقديمهم عليهم فى ذلك يحبون من هاجر اليهم خبر الموصول
اى يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لحبهم الايمان ولا يجدون فى صدورهم اى فى نفوسهم حاجة اى شيئا محتاجا
اليه تعالى ما حذفه حاجتكم اى ما يحتاج اليه وقيل مرحانة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اى مما اعطى
المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون اى يقدمون المهاجرين على انفسهم فى كل شىء من اسباب المعاش حتى ان من كان
عنده امرأتان نزل عن احداهما وزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة اى حاجة وخلة واصلها خصاص
البيت وهى فرجه والجملة فى حيز الحال وقد عرفت وجه مرارا وكان النبى صلعم قسم اموال بنى النضير على المهاجرين
ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم
ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم
ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها
فنزلت وهذا صريح فى ان قوله تعالى والذين تبوؤا الخ مستأنف غير معطوف على الفقراء والمهاجرين نعم
يجوز عطفه على اولئك فان ذلك انما استدعى شركة الانصار المهاجرين فى الصدقة دون الفيء فيكون قوله تعالى
يحبون الخ اى يعطف عليه استئنافا مقررا لمضمون الصدق وما مع معطوفه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب
عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك اشارة الى من باعتبار معناها العام المنتظم للمذكورين انتظاما
اوليا هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء

عليهم وقرئ يوقّ بالتشديد والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد ما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الاية قد استوعبت جميع المؤمنين وايّاً ما كان فالموصول مبتدأ خبره يقولون الى آخره والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة في الدين والسبق بالايمان كما ان ما عطفت عليه من الجملة السابقة لمدح الانصار اي يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا اي في الدين الذي هو اعز واشرف عندهم من النسب الذين سبقونا بالايمان وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم ولا تجعل في قلوبنا غلا غمرا وهو الحقد للذين آمنوا على الاطلاق ربنا انك رؤف رحيم اي مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلعم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى يقولون الى آخره استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته واللام في قوله تعالى لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب للتبليغ والمراد باخوتهم اما توافقهم في الكفر او صداقتهم ومعاونتهم واللام فيه اي في قوله تعالى لئن اخرجتم اي من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى لنخرجن معكم جواب للقسم اي والله لئن اخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن في صحبتكم اينما ذهبتم ولا نطيع فيكم اي في شأنكم احدا يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان طال الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم او خذلانكم وليس بذلك فان تقدير القتال بوقت بعد ولئن وعدهم له على ذلك التقدير ليس بمجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بعد نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى وان قوتلتم لننصرنكم اي لنعاوننكم على عدوكم على ان دعويهم الحذ لان اليهود مما لا يكونون صدوا عن رسول الله صلعم والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيها مرة انما لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم واظهار نصرتهم وكفرهم ولا ريب في ان ما نفعله عليه السلام عند ذلك قتلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم ولعل الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا ان خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة في الدين والله يشهد انهم لكاذبون فيما عندهم المذكورة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الى آخره تكذيب لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على الاجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير ذلك سرا ثم خلفوهم وفيه حجة بينة على صحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون اي المنافقون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او ليهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية على انه مصدر المبني للمفعول في صدورهم من الله اي رهبتهم منكم اشد من رهبة الله ذلك اي اليسر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله كانهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى بانهم اي بسبب انهم قوم لا يفقهون شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم اي اليهود والمنافقون يعني لا يقدرون على قتالكم جميعا اي مجتمعين متفقين في موطن من المواطن الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان يصحروكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار بامالة فتح الدال وجدر وجدر وهما الجدار بأسهم بينهم شديد استئناف سيق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في انفسهم فان بأسهم بالنسبة الى اقرانهم ٤٢
شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون اي لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم ويجتمع كلمتهم على قوس واحدة فيتفقون في نية الضلال وتشتت قلوبهم حسبما تفرق فنونه واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم فهم ان من

للسداد وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم اي مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل اهل مكة او بني قينقاع على ما قيل انهما اخرجا قبل بني النضير قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل لا يتقادر قدمه والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك في الدنيا والآخرة لا ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهو ما نطق به قوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهي اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم اخرا وقد اجمل في النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين فاسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم الى آخره ومثل المنافقين في اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اي اغراه الاغراء المنقول فلما كفر قال اني بريء منك ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبري من الشيطان يكون يوم القيامة وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وقوله اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما بالنصب على انه خبر كان واسمها انهما في النار وقرئ بالعكس وقد مر انه اوضح خالدين فيها وقرئ خالدان فيها على انه خبر ان وفي النار لغو وذلك جزاء الظالمين اي الخلود في النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي في كل ما تأتون وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي اي شيء قدمت من الاعمال ليوم القيمة عبر عنه بذلك اما لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتفخيم والتهويل كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كانه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتأكيد والاول في اداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى ان الله خبير بما تعملون اي من المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجبه واوامره ونواهيه حق رعايتها فانساهم بسبب ذلك انفسهم اي جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الاهوال ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار الذين نسوا الله تعالى واستحقوا الخلود في النار واصحاب الجنة الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل تقديم اصحاب النار في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين بزيادة ونقصان وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة في الاية الكريمة على ان المسلم لا يقتص بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء في الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وبصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى اصحاب الجنة هم الفائزون فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين اي هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه لو انزلنا هذا القرآن العظيم الشان المنطوي على فنون القوارع على جبل من الجبال لرأيته مع كونه علما في القسوة وعدم التأثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية الله اي متشققا منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شان القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذي لا اله الا هو وحده عالم الغيب والشهادة اي ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب

على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به والمعدوم والموجود او السر والعلانية هو الرحمن الرحيم
هو الله الذي لا اله الا هو كرر لابراز الاعتناء بامر التوحيد الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن
وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته ها
العزيز الغالب الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر احوالهم اي اصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب
حاجة او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله عما يشركون تنزيه له تعالى عما يشركونه تعالى او عن
اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التي لا يمكن ان يشاركه تعالى في شيء منها اصلا هو الله الخالق
المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريا من التفاوت وقيل المميز بعضها عن بعض بالاشكال
المختلفة المصور الموجد لصورها وكيفياتها له الاسماء الحسنى لدلالتها على المعاني الحسنة يسبح له ما في
السموات والارض ينطق بتنزيهه عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات كافة فا
مع كثرتها وسعتها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلعم من قرا سورة الحشر غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ع

سورة الممتحنة مدنية ثلث عشرة ايات

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك انه لما تجهز رسول الله
صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلعم يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة
بني المطلب فنزل جبرائيل عم بالخبر فبعث رسول الله صلعم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد فقال
انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت
فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت فسل علي سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلعم حاطبا
فقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرا ملصقا
في قريش ليس فيهم من يحمي اهلي فاردت ان اخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله
صلعم وقبل عذره تلقون اليهم بالمودة اي توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبي صلعم بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة حال من فاعل لا تتخذوا
او صفة لاولياء وابراز الضمير في الصفات الجارية على غير من هي له انما يشترط في الاسم دون الفعل او استئناف
وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم
بمعنى جعلوا ما هو سبب الايمان سبب الكفر يخرجون الرسول واياكم اي من مكة حال من كفروا او استئناف
مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه تغليب
المخاطب على الغائب والتفات من التكلم الى الغيبة للاشعار بما اوجب الايمان من الربوبية والالوهية
ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي
وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اي تسرون اليهم المودة والاخبار
بسبب المودة وانا اعلم اي والحال اني اعلم منكم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولي على ما تسرون فاي طائل
لكم في الاسرار وقيل اعلم مضارع والباء زائدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان
قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم ما تسرون وما تعلنون ومن يفعله منكم اي الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل
فقد اخطأ طريق الحق والصواب ان يثقفوكم اي ان يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء اي يظهروا ما في قلوبهم
من العداوة ويرتبوا عليها احكامها ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوءكم من القتل
والاسر والشتم وودوا لو تكفرون اي تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايذان بتحقق ودادتهم قبل ان

يثقفوهم

يثقفوهم ايضا لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم
محاباة عليهم يوم القيامة بجلب نفع او دفع ضر يفصل بينكم استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد
يومئذ اي يوم القيامة يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الاخر حسبما نطق به قوله
يوم يفر المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شانه وقرئ يفصل ويفصل
مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ويفصل ونفصل بالنون والله بما تعملون بصير فيجازيكم به قد كانت لكم اسوة
حسنة اي خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى في ابراهيم والذين معه اي من
اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا
اسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف لخبر كان انا برآء منكم جمع بريء كظريف و
ظراف وقرئ براء كظراف وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة ومما تعبدون من دون الله من
الاصنام كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وبالهتكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء ابدا اي هذا دابنا معكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب
العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله تعالى اسوة
حسنة فان استغفاره عليه السلام لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب
الجحيم كما نطق النص لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى به اصلا اذ المراد ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد
على الاعراض عنه بما ياتي من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه على الاسوة انما يفيد
عدم وجوب الاستدعاء للايمان والمغفرة للكافر مع رجاء ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه
فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا واما تعليل عدم كون استغفاره عليه السلام لابيه الكافر مما ينبغي ان يؤتسى به
فان كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه فبمعزل من السداد بالكلية لان تناول النهي لاستغفاره عليه السلام
لابيه كان قبل ذلك قطعا وانما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لا ما يجوز فعله من الجملة وتجويز ان يكون استغفا
عليه السلام له بعد النهي عما هو الموهوم من ظاهر قوله تعالى والموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه
الاستثناء الى العدة بالاستغفار بقوله وما اغنى لاجل الاية لانه كانت هي الحاملة له عليه السلام على الاستغفار
وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله تعالى ساستغفر لك ربي لورودها على طريق
التوكيد القسمي واما كون الاستغفار دائرا عليها وترتب التبرء على تبين الامر فقد مر تحقيقه في سورة التوبة
وقوله تعالى وما املك لك من الله من شيء من تمام القول المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك
اي لاستغفرن لك وليس في طاقتي الا الاستغفار فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في
نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وقوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك
انبنا واليك المصير الى آخره من تمام ما نقل عن ابراهيم عليه السلام ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم
الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير الى الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله
عز وجل في جميع امورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا
فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيعذبونا بعذاب لا نطيقه واغفر لنا ما فرط منا من الذنوب
ربنا انك انت العزيز الغالب الذي لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه الحكيم الذي لا يفعل
الا فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والجؤار واما جعل الاستئناف تلقينا للمؤمنين من
جهته تعالى وامرا لهم بان يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط
منهم بحملها رضاهم من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم لقد كان لكم فيهم اي
في ابراهيم ومن معه اسوة حسنة تكرير للمبالغة في الحث على الائتساء بهم عليهم السلام ولذلك صدر بالقسم

وقوله تعالى لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر بدل من لكم فائدته للايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر
لا يترك الاقتداء بهم فان تركه من مخايل عدم الايمان كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
فانه مما يوعد بامثاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من اقاربكم المشركين
مودة بان يوافقوكم في الدين وعدهم الله بذلك لما راى منهم من التصلب في الدين والتشديد في معاداة ابائهم
وابنائهم وسائر قراباتهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطمينا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اباح لهم
الفتح فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم والله قدير اي مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب
وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور
لما فرط منكم في موالاتهم من قبل وما بقي من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم اي لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى ان تبروهم بدل من الموصول وتقسطوا اليهم بالقسط
اي العدل ان الله يحب المقسطين اي العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت
ابي بكر رضي الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلعم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها
وتحسن اليها انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وقيل المراد بهم
خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلعم ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وظاهروا على اخراجكم وهم سائر اهلها ان تولوهم
بدل اشتمال من الموصول اي انما ينهاكم عن توليهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في موضع
العداوة او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب يا ايها الذين آمنوا بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقي
الكافرين اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من بين الكفار فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة
قلوبهن للسانهن في الايمان روي ان رسول الله صلعم كان يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من
بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت بالتماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله الله اعلم
بايمانهن لانه المطلع على ما في قلوبهن والجملة اعتراض فان علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات علما يمكنكم تحصيله
وتبلغه طاقتكم بعد الاستبراء والتحري من الاستدلال بالعلامات والدلائل والاستشهاد بالامارات والمخايل وهو
الظن الغالب وانما سمي علما ايذانا بانه جار مجرى العلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى
ازواجهن الكفرة لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم والتكرير اما
لتاكيد الحرمة او لان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد وآتوهم ما انفقوا اي واعطوا
ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت
الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلعم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد
اردد علي امراتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان في الرجال دون النساء
فاستحلفها رسول الله صلعم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن
فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن اجورهن بشرط ايتاء المهور في نكاحهن ايذانا
بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهو ما يعتصم به من عقد وسبب
اي لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امراة كافرة
بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي رحمه الله هي المسلمة تلحق بدار الحرب
فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرئ ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف
احدى التائين من تتمسكوا واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا
من مهور ازواجهن المهاجرات ذلكم حكم الله الذي ذكر وقوله تعالى يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله
على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة

روي انه لما نزلت الاية ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان
يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى وان فاتكم اي سبقكم وانفلت منكم
شيء من ازواجكم الى الكفار اي احد من ازواجكم وقد قرئ كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير والاشباع
في التعميم او شيء من مهور ازواجكم فعاقبتم اي فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به
على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب
في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرات التي
تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا البدل
الفائت من الغنيمة وقرئ فاعقبتم وفعقبتم بالتشديد وفعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وكسرها قيل جميع من
لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وفاطمة بنت امية وبروع
بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابي جهل وكلثوم بنت جرول واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون
فان الايمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك اي مبايعات
لك اي قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ عن بيعة الرجال شرع في بيعة النساء
على ان لا يشركن بالله شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن
اريد به واد البنات وقرئ ولا يقتلن بالتشديد ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
كانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كني عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها
الذي تحمله فيه بين يديها ورجليها ولا يعصينك في معروف اي تامرهن به من معروف وتنهاهن عن منكر والتقييد
بالمعروف مع ان الرسول صلعم لا يامر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص
الامور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن فبايعهن اي على ما ذكر وما
لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته في المبايعة من الصلوة والزكوة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام
وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها
واستغفر لهن الله زيادة على ما في ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه السلام بمقابلة
الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ان الله غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن
اذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته عليه السلام لهن فروي انه يوم لما فرغ
من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي
انه كلف امراة وقعت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن
وروي انه عليه السلام بايعهن وبين يديه وايديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة
رضي الله عنها والله ما اخذ رسول الله صلعم على النساء قط الا بما امره الله تعالى وما مست كف رسول الله صلعم
كف امراة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وكانت المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله
صلعم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى آخر الاية فاذا اقررن بذلك من قولهن
قال لهن انطلقن فقد بايعتكن يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم عامة الكفرة
وقيل اليهود لما روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد
يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم للرسول المنعوت في التوراة
المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور اي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا
على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها وابتلاءهم بعذابها الابد والمراد وصفهم بكمال
الياس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار في موقع

الاضمار للاشعار بعلته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مكية اربع عشرة ايات

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في نظيره يا ايها الذين آمنوا لم
تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه
اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه ونزلت وما قيل من ان النازل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا بين الاحتمال وروي انهم قالوا يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت
هل ادلكم على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه التزام ان
ترتيب الايات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم
اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا
حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد اذى المسلمين يوم
بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله اخر فنزلت في المنتحل وقيل في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم
بهم وبايمانهم وليس كما يستحقونه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية وقد حذفت الفها تخفيفا لكثرة
استعمالها كما في عم وفيم ونظائرهما معناها لاي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلونه من الخير والمعروف لان
مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان
ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون
ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون بيان لغاية
قبح ما فعلوه وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص
بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان
قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في ان ما قالوه
عبارة عن الوعد بالقتال لا عما تقوله المتمدح او المنتحل او ادعاه المنافق اذ مناط التعيير والتوبيخ
هو اخلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ويقتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل او
المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين انفسهم او مصفوفين وقوله تعالى كانهم بنيان
مرصوص حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه
الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه كلام مستأنف مقرر لما قبله من
شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عم بطريق التلوين اي واذكر لهؤلاء
المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا
الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بامره وعصوه اشد
عصيان حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون
الى قوله انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك وآذوه عليه السلام كل الاذى عليه السلام
كل الاذى يا قوم لم تؤذونني اي بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به وقوله تعالى وقد تعلمون اني رسول الله اليكم
جملة حالية مؤكدة لانكار الايذاء ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره اي
والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها اهلاك عدوكم
وانجاؤكم من ملكته اني رسول الله اليكم لارشدكم الى خير الدنيا والاخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا

في تعظيمي

في تعظيمي وتسارعوا الى طاعتي فلما زاغوا اي اصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلام واستمروا
عليه ازاغ الله قلوبهم اي صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله
والله لا يهدي القوم الفاسقين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته اي لا يهدي
القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لا هداية موصلة
الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة والاظهار في موضع الاضمار لذمهم
بالفسق وتعليل عدم الهداية او جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمهم دخولا اوليا واياما كان فوصفهم
بالفسق ناظر الى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين
هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم واما ما قيل بصدد بيان ما قيل اسباب
الاذية من انهم كانوا يؤذونه عليه السلام بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود اياته و
عصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع
حق الله تعالى وحقه فمما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم اما معطوف على اذ الاولى
معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها يا بني اسرائيل ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه
في قوله تعالى اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية فان تصديقه عليه السلام اياها من
اقوى الدواعي الى تصديقهم اياه وقوله تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدي معطوف على مصدقا
داع الى تصديقهم عليه السلام مثله من حيث ان البشارة به واقعة في التورية والعامل فيهما ما في
الرسول من معنى الارسال لا الجارة فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل
اي ارسلت اليكم حال كوني مصدقا لما تقدمني من التورية ومبشرا بمن يأتي من بعدي من رسول اسمه احمد
اي محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ
من بعدي بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة قالوا هذا سحر مبين مشيرين الى
ما جاء به او اليه عليه السلام وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر ومن اظلم ممن
افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي اي الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذي يوصله
الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل بتسميه كلامه الذي هو دعاء عباده الى
الحق هذا سحرا اي هو اظلم من كل ظالم وان لم يتعرض لظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعي
يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم
لعدم توجههم اليه يريدون ليطفئوا نور الله اي يريدون ان يطفئوا دينه وكتابه او حجته النيرة
واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا ابا لك
او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله بافواههم بطعنهم فيه ومثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه
ليطفئه والله متم نوره اي مبلغه الى غايته بنشره في الافاق واعلائه وقرئ متم نوره بلا اضافة ولو كره
الكافرون اي ارغاما لهم والجملة في حيز الحال على حين مرادا هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن
او بالمعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان المخالفة له ولقد انجز
الله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولو كره
المشركون ذلك وقرئ هو الذي ارسل نبيه يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم
وانفسكم استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كانهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله ورسوله
الى آخره وهو خبر بمعنى الامر جيء به للايذان بوجوب الامتثال فكانه قد وقع فاخبروا بوقوعه ويؤيده قراءة من

قوله

قرأ امنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ذلكم اشارة الى ما ذكر من
الايمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة خير لكم على الاطلاق او من اموالكم وانفسكم
ان كنتم تعلمون اى ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم وان كنتم تعلمون انه خير لكم
فان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم و
اموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او الشرط او لاستفهام
دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم
بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات
عدن ذلك اى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة الموصوفة بما ذكر من الاوصاف الجليلة الفوز
العظيم الذي لا فوز وراءه واخرى ولكم اي هذه النعم العظيمة نعمة اخرى عاجلة تحبونها وترغبون فيها
وفيه نوع توبيخ بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار او تحبون او يعطيكم
خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف وفتح قريب اى
عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص او على المصدر اى
تنصرون نصرا وتفتح فتحا وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا وبشر او على تؤمنون
فانه في معنى امنوا كانه قيل امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا ايها الرسول بما وعدتهم عليهما
عاجلا وآجلا يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرئ انصارا لله بلا اضافة لان المعنى كونوا بعض
انصار الله وقرئ كونوا انتم انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اى من
جندي متوجها الى نصرة الله كما تقتضيه قوله قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة
احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة للفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار
المعنى كونوا انصار الله كما قال الحواريون نحن انصاره حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله او قل
لهم كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا
فآمنت طائفة من بني اسرائيل اى بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين وكفرت طائفة
اخرى به وقاتلوهم فايدنا الذين امنوا على عدوهم اى قويناهم بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى
عليه السلام فاصبحوا ظاهرين غالبين عن النبي صلعم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا
وهو يوم القيامة رفيقه

سورة الجمعة مدنية احدى عشرة آيات

يسبح لله ما في السموات وما في الارض تسبيحا مستمرا الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات
الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اى في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن وقيل
بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم اى كائنا من
جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم صفة
اخرى لرسولا معطوفة على يتلو اى يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من خبائث العقائد والاعمال
ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية
التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل
بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة
للشكر فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة وهو السر
في التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على

حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف النبوية من الاحكام والشرائع وان كانوا من قبل لفي
ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى
يتوهم من تعلمه عليه السلام من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة وآخرين منهم عطف
على الاميين وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عليه السلام وتعليمه يعم الجميع
لما يلحقوا بهم صفة لآخرين اي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز الحكيم المبالغ في العزة
والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه من كافة البشر ذلك الذي امتاز به
من بين سائر الافراد فضل الله واحسانه يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم
الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة مثل الذين حملوا التوراة اى علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها
اي لم يعملوا بما في تضاعيفها من الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلعم كمثل الحمار يحمل اسفارا اى كتبا
من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد به
معينا فهو في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبني بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات
الله اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر به مثل
القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم او بئس مثل الذين كذبوا الى آخره على ان مثل القوم فاعل
بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف او بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء على ان الموصول صفة
القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين التكذيب في موضع التصديق او الظالمين
لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد قل يا ايها الذين هادوا اى تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من
دون الناس كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون
لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان
زعمتم ذلك فتمنوا الموت اى فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم صادقين
جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من
ايقن بانه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الاكدار ولا يتمنونه ابدا اخبار
بما سيكون منهم والباء في قوله تعالى بما قدمت ايديهم متعلقة بما يدل عليه النفي اى يأبون التمني بسبب
ما عملوا من الكفر والمعاصي التي هي سبب موجب لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط
عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اى بهم وايثار الاظهار
على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون من الامور التي من جملتها
ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما سبق مقرر لمضمونه اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم
والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر
كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد كما ينبئ عنه قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فان ذلك انما يقال
لهم بعد ظهور فرارهم من التمني قال عليه السلام لو تمنوا لماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اى ان الموت
الذي تفرون منه ولا تجترؤن على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم فانه ملاقيكم ثم تردون الى
عالم الغيب والشهادة البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار
الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الذي لا يخفى عليه
خافية فينبئكم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي بان يجازيكم بها يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة
اى فعل النداء لها اى اذن لها من يوم بيان لاذا وتفسير لها وقيل بمعنى في كما في قوله تعالى اروني ماذا خلقوا

من الارض اي في الارض وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن
لؤي وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة
ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه ونذكر الله فيه ونصلي ونشكره فقالوا يوم السبت لليهود ويوم
الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا على سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه
يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله اية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بني عمرو بن عوف واقام بها
يوم الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة
في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اى امشوا واقصدوا الى الخطبة
وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اي السعي الى ذكر الله وترك البيع خير لكم من مباشرته فان نفع الاخرة
اجل وابقى ان كنتم تعلمون اي الخير والشر الحقيقيين وان كنتم اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اي اديت و
فرغ منها فانتشروا في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله اي الربح قال الامر للاطلاق بعد الحظر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله
وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل التطوع واذكروا الله كثيرا اى ذكرا كثيرا ولا تخصوا ذكره
بالصلوة لعلكم تفلحون كي تفوزوا بخير الدارين واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي ان اهل المدينة
اصابهم جوع وغلا شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي عليه السلام يخطب يوم
الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فما بقي معه عليه السلام الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر
وقيل اربعون فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو خرجوا جميعا لاضرم عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت
العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو فهو مذموم في نفسه وقيل تقديره اذا راوا
تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما
اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من
النفع المتوهم والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يات بها في امصار المسلمين

سورة المنافقون احدى عشرة ايات

اذا جاءك المنافقون اى حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان
اي بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى
والله يعلم انك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب من انهم قالوا عن اعتقاد كما اشير اليه واماطة
لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اى والله يشهد انهم لكاذبون
فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب والاظهار في موضع الاضمار لذمهم و
الاشعار بعلة الحكم اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي من جملتها ما حكي عنهم جنة اى وقاية عما يتوجه اليهم
من المؤاخذة بالقتل والسبي وغير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة
ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متاخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع
الجناية والاتخاذ لجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى
فصدوا عن سبيل الله اي فصدوا من اراد الدخول في الاسلام بانه عليه السلام ليس برسول ومن اراد الانفاق

في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب في ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم وقرئ ايمانهم
بمعنى قوله تعالى اي ما اظهروه على السنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دماءهم
واموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا فاستمروا على ما كانوا عليه من الصدود والصد ومعنى بسبيله تعالى انهم ساء ما
كانوا يعملون من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما
تقدم من القول الناعي عليهم انهم اسوأ الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب و
الاستتار بالايمان الصوري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار
ببعد منزلته في الشر بانهم اي بسبب انهم امنوا اى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الاسلام
ثم كفروا اى ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله او نطقوا بالايمان عند المؤمنين
ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واطمانوا به وقرئ على البناء للفاعل
وقرئ فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيقته اصلا واذا رايتهم تعجبك اجسامهم
لضخامتها بها ويروعك منظرهم لصباحة وجوههم وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة السنتهم
وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من امثاله وهم رؤساء
المدينة وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن
يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى كانهم خشب مسندة في حيز الرفع على
انه خبر لمبتدأ محذوف ام كلام مستانف لا محل له شبهوا في جلوسهم في مجلس رسول الله صلعم مستندين
فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والخير وقرئ خشب على انه جمع
خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو جمع خشباء هي الخشبة التي نخر جوفها اي فسد شبهوا بها في نفاقهم
وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدرة ومدر يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لضعف قلوبهم
لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح
دماءهم واموالهم هم العدو اي هم الكاملون في العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادي العدو
الكاشح الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي والجملة مستانفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما
لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء في قوله تعالى فاحذرهم لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى الاعداء
قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك
قوله تعالى انى يؤفكون تعجيب من حالهم اي كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من الكفر والضلال واذا
قيل لهم عند ظهور جنايتهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم عطفوها
استكبارا ورايتهم يصدون يعرضون عن القائل او عن الاستغفار وهم مستكبرون عن ذلك سواء
عليهم استغفرت لهم كما جاؤوك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف الاستفهام ثقة بدلالة
ام عليه وقرئ استغفرت باشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل الفا ام لم تستغفر لهم لما ذكر من اصرارهم
على قبائحهم واستكبارهم عن الاعتذار والاستغفار لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم
في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح
المنهمكين في الكفر والنفاق والمراد اما هم باعيانهم والاظهار في موقع الاضمار لبيان غلوهم في الفسق
او الجنس وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا وقوله تعالى هم الذين يقولون اى للانصار لا
تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم
او لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته جاز لهم
ان ينفضوا مزاودهم وقوله تعالى ولله خزائن السموات والارض رد وابطال لما زعموا ان عدم انفاقهم

يؤدي الى انفضاض الفقراء من حوله عليه السلام ببيان ان خزائن الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطي
من يشاء ويمنع من يشاء ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤونه ولذلك يقولون
من مقالات الكفرة ما يقولون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان
جهجاه بن سعيد اجير عمر رض نازع سنانا الجهني حليف ابن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين
وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابي فقال
للانصار لا تنفقوا الى آخره والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه
وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اي ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم
ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روي ان عبد الله بن ابي لما اراد ان
يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لاضربن
عنقك فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي عليه السلام لابنه جزاك الله
عن رسوله وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اي لا يشغلكم الاهتمام
بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلوة وسائر العبادات المذكرة
للمعبود والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية
ومن يفعل ذلك اي التلهي بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم
الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم اي بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا
للآخرة من قبل ان يأتي احدكم الموت بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل
للاهتمام بما قدم والتشويق الى المؤخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتني اي امهلتني
الى اجل قريب اي امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمني وقرئ فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم
عطفا على محل فاصدق كأنه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقرئ واكون بالنصب عطفا على لفظه وقرئ
واكون بالرفع اي وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها اي آخر
عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اوله الى آخره والله خبير بما تعملون فيجازيكم عليه ان
خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا الى الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التغابن مكية ثمان عشرة آيات

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه
تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه والمولي لاصول
النعم وفروعها واما ملك غيره فاسترعاء من جانبه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل
شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي
الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم كافر اي فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف
ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم
جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم
فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما
بينهم والانسب بمقام التوبيخ وقيل معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم

مؤمن

مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم المقام والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه
ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما لا يجديكم من الكفر والعصيان خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة
المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم حيث براكم في احسن تقويم واودع فيكم
من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته
وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة واليه المصير في النشأة الاولى
لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما في السموات
والارض من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما
تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد
وتشديد لهما وقوله والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم
اي محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار
الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة قيل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات
على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان لاختصاصها ببعض الانحاء الم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل
كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة
على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة اي الم يأتكم خبر الذين كفروا
من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك اي
ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وسيذوقونه في الآخرة بانه بسبب ان الشأن كانت تأتيهم رسلهم بالبينات
اي بالمعجزات الظاهرة فقالوا عطف على كانت ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم
الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدوننا كما قالت ثمود ابشرا
منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل
الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر
فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم واستغنى الله اي اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث
اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غني عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم
حميد يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا
الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما في حيزه والمراد بالموصول كفار مكة اي
زعموا ان الشأن لن يبعثوا بعد موتهم ابدا قل ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه بلى اي تبعثون وقوله
وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم اي لتحاسبن ولتجزون باعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتأكيد ما
افادته كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق امر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين
وذلك اي ما ذكر من البعث والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء في قوله فآمنوا
فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره اي اذا كان الامر كذلك فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
والنور الذي انزلنا وهو القرآن فانه باعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة
لابراز كمال العناية بامر الانزال والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه خبير فيجازيكم عليه والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى اسم الجلالة لتربية
المهابة وتأكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله يجازيكم
ويعاقبكم يوم يجمعكم او مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون
اي لاجل ما فيه من الحساب والجزاء ذلك يوم التغابن اي غبن الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء

لوكانوا سعداء فبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما
من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان
التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه لا ما يقع في امور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا
يكفر اي الله عز وجل وقرئ بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيمة ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا وقرئ ندخله بالنون ذلك اي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنة الفوز العظيم الذي لا فوز
وراه ولا نظير له على النجاة من اعظم الهلكات والظفر باجل المطلوبات والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اي النار كان هاتين الايتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن ما اصاب
من مصيبة من المصائب الدنيوية الا باذن الله اي بتقديره وارادته كانها بذاتها متوجهة الى الانسان
متوقفة على اذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند اصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم
ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه اي يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة
والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدا قلبه
بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء من الاشياء التي من جملتها القلوب واحوالها عليم فيعلم ايمان المؤمن ويهدي قلبه
الى ما ذكر واطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر للتاكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح
مورد التولي في قوله تعالى فان توليتم اي عن اطاعة الرسول وقوله تعالى فانما على رسولنا البلاغ المبين تعليل
للجواب المحذوف اي لا باس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول
مضافا الى نون العظمة مقام اضماره لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته عليه السلام
محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه الله لا اله الا هو جملة من مبتدأ وخبر اي هو المستحق للمعبودية لا غيره وفي اضمار
خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف النحاة معروف وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا
ولا اشتراكا فليتوكل المؤمنون واظهار الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية
مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واو
لادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمونكم في امور الدين او الدنيا فاحذروهم الضمير للعدو
وقد يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لي او للازواج والاولاد جميعا فالمامور به على الاول الحذر عن
الكل وعلى الثاني الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن بعض لجميع الفريقين لاشتمالهم
على العدو وان تعفوا عن ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة
التوبة وتصفحوا بترك التثريب والتعيير وتغفروا باخفائها وتمهيد عذرها فان الله غفور رحيم فيعاملكم
بمثل عملكم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين ارادوا الهجرة من مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا
لا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الاولين قد فقهوا في
الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون
بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم
الخير فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعونكم
في الاثم من حيث لا تحتسبون والله عنده اجر عظيم لمن اثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي
في تدبير مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه
واطيعوا اوامره وانفقوا مما رزقناكم في الوجوه التي امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا لانفسكم
اي ايتوا خيرا وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة
خيرا لانفسكم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر اي يكن

خيرا

خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مرام ان تقرضوا الله بصرف اموالكم
الى المصارف التي عينها قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة
واكثر وقرئ يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب والله شكور اي يعطي الجزيل
بمقابلة الفذ والقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه خافية
العزيز الحكيم البالغ في القدرة والحكمة عن النبي صلعم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق مدنية احدى عشرة آيات

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به صلعم مع عموم الخطاب لامته ايضا لتشريفه عليه السلام واظهار
جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عم وتغليبه عليهم لا لان نداءه
كندائهم فان ذلك الاعتبار لو كان في حيز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق بشموله لحكمه الكل قطعا والمعنى اذا اردتم
تطليقهن وعزمتم عليه كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فطلقوهن لعدتهن اي مستقبلات لها كما في قولك اتيته
لليلة بقيت من شهر كذا فان المراة اذا طلقت في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها
والمراد ان يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة و
احصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء كوامل واتقوا الله ربكم في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي
وصفه تعالى بربوبيته لهم تاكيد للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق
الى ان تنقضي عدتهن واضافتها اليهن وهي لازواجهن لتاكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن
ولا يخرجن ولو باذنكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج والمعنى لا يخرجن باستبدادهن اما اذا اتفقا على الخروج
جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان ياتين بفاحشة مبينة استثناء من الاول قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد
عليهن وقيل الا ان يبذون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبالغة
في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجاتها وبعد منزلتها حدود الله التي عينها للعباد ومن
يتعد حدود الله اي حدوده المذكورة بان اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي
والاشعار بعلة الحكم في قوله تعالى فقد ظلم نفسه اي اضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله لا تدري
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله
ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن
تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه اشد
واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا
للنبي عليه السلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك لا تدري ايها المتعدي عاقبة الامر لعل
الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض
عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه برجعة او استئناف نكاح فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن
راجعوهن بمعروف بحسن معاشرة واتفاق لائق او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها
تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله تعالى
واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي رحمه الله انه للوجوب في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند
الحاجة خالصا لوجهه تعالى ذلكم اشارة الى الحث على الشهادة والاقامة او على جميع ما في الاية يوعظ به من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى ومن يتق الله الى آخره جملة اعتراضية مؤكدة

لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله تعالى
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بولغ له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم
يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور يجعل له مخرجا مما عسى يقع في
شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب ويرزقه من حيث لا يحتسب
اي من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم
يوعظ به من كان يؤمن بالله الى آخره فالمعنى ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من
غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا وعن النبي صلعم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا
ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال عم اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله
فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنه سالما فاتى رسول الله صلعم
فقال اسر ابني وشكى له الفاقة فقال عليه السلام اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ففعل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ومن
يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه في جميع اموره ان الله بالغ امره بالاضافة اي منفذ امره وقرئ بنصب امره
على انه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجملة خبر ان وبالغ امره مرتفع به على الفاعلية اي نافذ امره وقرئ بالغا امره
على انه حال وخبر ان قوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا اي تقديرا او توقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب
التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره تعالى لا يبقى
الا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن وقد قدروه بستين
سنة وبخمس وخمسين ان ارتبتم اي شككتم وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن بعد لصغرهن
اي فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة لدلالة ما قبله عليه واولات الاحمال اجلهن اي منتهى عدتهن ان
يضعن حملهن سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما صح من قول ابن مسعود رض
من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية
ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلعم فقال لها قد حللت فتزوجي ومن يتق الله
في شأن احكامه ومراعاة حقوقها يجعل له من امره يسرا اي يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة
الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل
والمراد بالجمع ان الخطاب كما يفصح عنه قوله تعالى امر الله انزله اليكم لا انها الفرق بين الخاص والمنقضي لا التعيين
خصوصية المخاطبين وتقدم نحو قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله ومن سورة البقرة ومن يتق الله
بالمحافظة على احكامه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة وقوله تعالى
اسكنوهن من حيث سكنتم استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كانه قيل كيف نعمل
بالتقوى في شأن المعتدات فقيل اسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى
من وجدكم اي من وسعكم اي مما تطيقونه عطف بيان من قوله من حيث سكنتم وتفسير له ولا
تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن وتلجئوهن الى الخروج وان كن اي المطلقات اولات حمل فانفقوا
عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لهن فان ارضعن لكم بعد ذلك
فآتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف اي تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل في
الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة وان تعاسرتم اي تضايقتم فسترضع
له اخرى اي فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته

ومن قدر

ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وان قل اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه
لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها جل او قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب
له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قال سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكاين
من قرية اي كثير من اهل قرية عتت اي اعرضت عن امر ربها ورسله بالعتو والتمرد والعناد فحاسبناها
حسابا شديدا بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا عظيما
وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله تعالى ونادى
اصحاب الجنة فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا هائلا لا خسر وراءه اعد الله لهم عذابا شديدا
للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قيل اعد الله لهم العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يراد بالحساب
استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم عاجلا وان يكون عتت وما عطف عليه
صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله تعالى وكاين الذين آمنوا منصوب باضمار اعني بيان للمنادى او عطف
بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله قد انزل الله اليكم ذكرا هو جبريل عليه السلام سمي به
لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن كما ينبئ عنه ابداله قوله تعالى رسولا منه او لانه مذكور في السموات
او في الامم او اريد به بالذكر الشرف كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك فانه في نفسه شرف اما لانه ذو مجد
وشرف عند الله تعالى كقوله عند ذي العرش مكين او هو النبي صلعم وعليه الاكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته
على تلاوة القرآن او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح او لانه مسبب عن انزال الوحي
اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او بذكرا على اعمال المصدر
المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تعالى يتلو عليكم آيات الله مبينات نعت لرسولا وآيات الله
القرآن ومبينات حال منها اي حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ مبينات اي
بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات واللام في قوله تعالى ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات
متعلقة بيتلو او بانزل وفاعل الخرج على الاول ضمير الرسول عليه السلام او ضمير الجلالة والموصول عبارة
عن المؤمنين بعد انزاله اي ليحصل لهم الرسول او الله تعالى ما هم عليه الان من الايمان والعمل الصالح
او ليخرج من علم او قدر انه سيؤمن من الظلمات الى النور من الضلال الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
حسبما بين في تضاعيف ما انزل من الآيات يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ
ندخله بالنون وقوله تعالى خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في
الضمائر الثلاث باعتبار لفظها وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير في خالدين
بطريق التداخل وافراد ضمير له باعتبار اللفظ ايضا وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله تعالى المؤمنين
من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي وخلق من الارض مثلهن
في العدد وقرئ بالرفع على انه مبتدأ ومن الارض خبره واختلف في كيفية طبقات الارض قال
الجمهور على انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض
وفي كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف
السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما في البخاري وغيره
[illegible] انه النبي صلعم كان اذا رأى قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم
رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما اذرين نسألك خير
هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها
[illegible]

وعلى هذا اختصر دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق
ففي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها نظر لان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم
ويستمدون الضياء منها والثاني لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يستمدونه وحكى الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس رضه انها سبع ارضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء يتنزل الامر بينهن وينفذ
ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن
من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر لتعلموا ان الله على كل شيء قدير متعلق بخلق او يتنزل او بمضمرهما اي فعل
ذلك لتعلموا ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء وان الله قد احاط بكل شيء علما لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة
ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اي اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر
من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجائب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء اصلا
وقرئ ليعلموا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله عليه السلام

سورة التحريم مدنية اثنتا عشرة ايات

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة
فقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به
عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل
نساءه فنزل جبرائيل عليه السلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه عم
شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا انا نشم منك ريح المغافير وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل
تبتغي مرضات ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف لبيان ما دعاه اليه مؤذن بعدم صلاحيته
لذلك والله غفور يبالغ في الغفران قد غفر لك هذه الزلة رحيم قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محاباة على
عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او بالاستثناء متصلا حتى
لا يحنث والاول هو المراد ههنا والله موليكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فشرعه لكم الحكيم المتقن
في احكامه وافعاله فلا يامركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه الحكمة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة
حديثا اي حديث تحريم مارية او العسل او امر الخلافة فلما نبات به اي اخبرت حفصة عائشة بالحديث وافشته لها
وقرئ انبات به واظهره الله عليه اي اطلع الله تعالى النبي صلعم على افشاء حفصة عرف اي النبي صلعم حفصة بعضه
بعض الحديث الذي افشته قيل هو حديث الامامة روي انه عليه السلام قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك
بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى بها اباها واعرض عن بعض اي عن تعريف بعض تكرما قيل
هو حديث مارية فلما نباها به اي اخبر النبي صلعم حفصة بما عرفه من الحديث قالت من انباك هذا اي افشاءها
للحديث قال نباني العليم الخبير الذي لا يخفى عليه خافية ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات
للمبالغة في العتاب فقد صغت قلوبكما الفاء للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق اي فقد وجد منكما
ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله صلعم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ
فقد زاغت قلوبكما وان تظاهرا عليه باسقاط احدى التائين وقرئ على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا اي ان
تتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين اي فلم
يعدم من يظاهره فان الله ناصره وجبريل رأس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه قال ابن
عباس رضه اراد بصالح المؤمنين ابا بكر وعمر رضهما وقد روي ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال عكرمة

ومقاتل

ومقاتل وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوي
والظهير الصوري كيف لا وان جبريل ظهير له عليهما السلام يؤيده بالتاييدات الالهية وهما وزيراه
وظهيراه في تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة ولان بيان مظاهرتهما له عليه السلام
اشد تاثيرا في قلوبهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اريد به جنس الصالحين
كما هو المشهور والملائكة مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك قيل اي بعد
نصرة الله عز وجل وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين ظهير اي فوج مظاهر له كانهم يد واحدة
على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امراتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله بعد ذلك من فضل
نصرتهم على غيرهم من حيث ان نصرة الجميع نصرة الله تعالى بهم ومظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته
وهذا ما قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان لفضل
مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهيرا له عليه السلام ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد
منزلتها وجبر لفضلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
اي يعطيه عليه السلام بدلكن ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل
على انه عليه السلام لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن وتعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة
وما علق بما لم يقع لم يجب وقوعه وقرئ ان يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات
او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب
عابدات متعبدات او متذللات للرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي الصائم
سائحا لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات وقرئ سيحات ثيبات وابكارا وسط
بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات و
اهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم
عبارة عن النفس المتغلبة على الفاعلين والمخاطبين على تغليب المخاطبين اي قوا انتم واهلوكم انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة
نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وامر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه
في سورة البقرة للمبالغة في التحذير عليها ملائكة تلي امرها وهم الزبانية غلاظ
شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون
الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها
ويؤدون ما يؤمرون به [illegible]
يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم مقول القول [illegible] اي يقال لهم ذلك عند ادخال الملائكة اياهم النار [illegible] انما تجزون ما كنتم تعملون
من الكفر والمعاصي [illegible] يا ايها
الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اي بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد
المجازي وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فياتوا بها على طريقتها وذلك ان
يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون اليها
[illegible]
[illegible]
الطاعة [illegible] وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار

وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم
عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور
اثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا وهو مصدر نصح
فان النصح والنصوح كالشكر والشكور اى ذات نصوح او تنصح او توبوا لنصح انفسكم على انه
مفعول له عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار
ورود صيغة الاطماع للجرى على سنن الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة له وان العبد
ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ فى اقامة وظائف العبادة يوم لا يخزى الله النبى ظرف
ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبى وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى نورهم يسعى
بين ايديهم وبايمانهم اى على الصراط وهو على الاول استئناف او حال وكذا قوله تعالى يقولون ربنا
اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين وهو على الثانى
خبر آخر للموصول اى يقولون اذا طفئ نور المنافقين بالجنة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين
فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة ومأويهم جهنم سيرون فيها عذابا غليظا وبئس المصير
اى جهنم او مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب المثل فى مثال هذه المواقع عبارة عن ايراد
حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها فى الغرابة اى جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا ومثلا على ان
مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى امرأة نوح وامرأة لوط اى حالهما مفعوله
الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى كانتا تحت
عبدين من عبادنا صالحين بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح اى كانتا فى عصمة نبيين
عظيمى الشان متمكنتين من تحصيل خير الدنيا والآخرة وحيازة سعادتهما وقوله تعالى فخانتاهما
بيان لما صدر عنهما من الخيانة العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبى صلى الله عليه وسلم اى فخانتاهما
بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة فى خيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى فلم يغنيا الخ بيان لما ادى اليه
خيانتهما اى فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج من الله اى من عذابه تعالى شيئا اى شيئا من الاغناء وقيل
لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع الداخلين اى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين
لا وصلة بينهم وبين الانبياء عليهم الصلاة والسلام وضرب الله مثلا للذين آمنوا
امرأة فرعون اى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين فى ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت
اعدى اعداء الله وهى فى اعلى غرف الجنة وقوله تعالى اذ قالت ظرف لمحذوف اشير اليه اى ضرب الله
مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة قريبا من رحمتك او فى اعلى درجات المقربين
روى انها لما قالت ذلك اريت بيتها فى الجنة من درة وانتزع روحها ونجنى من فرعون
وعمله اى من نفسه الخبيثة وعمله السئ ونجنى من القوم الظالمين من القبط التابعين له
فى الظلم ومريم ابنة عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل وضرب مثلا للذين آمنوا
حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا التى
احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرئ فيها اى فى مريم عليها السلام من روحنا من
روح خلقناه بلا توسط وصدقت بكلمات ربها وكتبه بصحفه المنزلة اى بما اوحى الى
انبيائه وكتبه بجمع كتبه المنزلة وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل
وكانت من القانتين اى من عداد المواظبين على الطاعة فالتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها
لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هرون اخى موسى عليهما السلام

ومن

وعنه النبى صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية ابنة مزاحم ومريم بنت
عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضل عائشة على النساء
كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله تعالى توبة نصوحا

سورة الملك مكية ثلثون آيات

تبارك الذى بيده الملك البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه
ايضا ونسبتها الى الله تعالى عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته
وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة فى ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه انما ينسب
اليه سبحانه وتعالى باعتبار غاياتها وعلى الثانى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة
حينئذ يجوز ان يكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث
متعلقاتها واستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وابانتها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره سبحانه
وتعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ فى حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما فى حيز الصلة
على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل اى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة
وفعلا الذى بقبضة قدرته التصرف الكلى فى كل الامور وهو على كل شئ من الاشياء قدير مبالغ
فى القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة
لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى فى جلائل الامور ودقائقها وقوله تعالى الذى خلق الموت
والحيوة شروع فى تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح
واستتباعهما لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه فى حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت
عند اصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة واما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى خلق الموت
فى صورة كبش املح لا يمر بشئ ولا يجد رائحته شئ الا مات وخلق الحياة فى صورة فرس بلقاء لا يمر بشئ ولا يجد رائحته
شئ الا حيى فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحياة فمعنى خلقه حينئذ تقديره او ازالة
الحياة واياما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطارئ وبالحياة ما قبله وما بعده لظهور مدارهما لما
ينطق به قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا فان استدعاءهما ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا
ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحيوة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل واللام متعلقة
بخلق اى خلق موتكم وحياتكم وعلى ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم
ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير
مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع
فى طاعته فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به وكما ان الاول اشرف من الثانى كذلك الحال
فى عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد آثر ذى اثير وانما طريقها النظر والتفكر فى
بدائع صنع الله تعالى والتدبر فى آياته المنصوبة فى الانفس والآفاق وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى
امر الله عز وجل الذى هو عمل القلب ضرورة ان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض
وتعليق فعل البلوى اى تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذى يقتضى عدم ايراد المفعول
اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره وكذلك
اجرى مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل
لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات

والمقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة في الباقين
ايضا لكمال تعاضد الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن
الانتظام في سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له
ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة
نقائضهما ما لا يخفى وهو العزيز الغالب الذي لا يفوته من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم
الذي خلق سبع سموات قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه انه نصب او رفع
على المدح متعلق بالموصولين السابقين وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين
يؤمنون بالغيب في سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه سبحانه وتعالى ومع الموصول الثاني
في كونه مدارا للبلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم
ايكم احسن عملا وقوله تعالى طباقا صفة لسبع سموات اي مطابقة على انه مصدر طابقه النعل اذا
وصف به المفعول او مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها اي طوبقت طباقا وقوله تعالى ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار
بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبان في ابداعها نعمة جليلة او استئناف
والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتأكيد النفي اي ما ترى فيه شيئا
من تفاوت اي اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر
وقرئ من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى
التسبب حيث اخبر اولا بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك
بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره
فانفطر ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير
والتكثير كما في لبيك وسعديك اي رجعة بعد رجعة وان كثرت ينقلب اليك البصر خاسئا
اي بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وهو
حسير اي كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بيان لكون
خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم
لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد زينا اقرب السموات الى الارض بمصابيح اي بكواكب مضيئة
بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كأنها كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في
سائر السموات وما ذاك الا لان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق تحار في فهمه الافكار وطراز
فائق يهيم في دركه الانظار وجعلناها رجوما للشياطين اي وجعلنا لها فائدة اخرى
هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما
بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم
به واعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير بعد الاحراق في الدنيا بالشهب وللذين كفروا
بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير
وللذين على لهم وبئس المصير اي جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها اي لجهنم وهو متعلق بمحذوف
وقع حالا من قوله تعالى شهيقا لانه في الاصل صفته فلما قدمت صارت حالا اي سمعوا كائنا
لها شهيقا اي صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع وقالوا الشهيق في الصدر والزفير
في الحلق وهي تفور اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها منهم ومن

ومن طرح فيها قبلهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق برده قوله تعالى تكاد تميز وتفرق من
الغيظ اي من شدة الغضب عليهم فانه تصريح بان من آثار الغضب عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها تغيظا
وزفيرا واي سموم شنتهم اللاتي من شدة ما تقاسونه من العذاب الاليم والجملة اما حال من فاعل
تفور او خبر آخر وقوله تعالى كلما القي فيها فوج اي كلما القي فيها جماعة من الكفرة سألهم
خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذابهم وحسرة على حسرة الم يأتكم
نذير يتلو عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم كما وقع في سورة الزمر يعني تخويفا
ايضا قالوا اعترف بانه تعالى قد ازاح عليهم بالكلية بلى قد جاءنا نذير جامعين بين حرف
الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسرا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم
وتمهيدا لما وقع منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك اي قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير
اي واحد حقيقة او حكما كانبياء بني اسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما انزل الله تعالى
عليه من آياته فكذبنا ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى وقلنا في حق ما تلاه من الآيات افراطا
في التكذيب وتماديا في النكير ما نزل الله من شيء من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات
عليكم ان انتم اي ما انتم في ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها الا في ضلال كبير
بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة في
التكذيب وتماديا في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه يلوح بعمومه حتما واما اقامة
تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية لا مساغ لاعتباره
في جنسهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع المنذرين على ما لا يختلف من
الشرائع والاحكام باختلاف العصور والاعوام وانى لهم ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر
حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف
عام اي اهل نذير او منعوت به للمبالغة فيتعين كون الخطاب في الجميع ومن اعتبر الجمعية بما اوله الثلاثة ثم
على التقدير الاول لم يحسن اعتبارها بالتغليب فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط عليه الظنون وقد جوز
ان يكون الكلام من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا
وهلاكهم او عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتأمل
وكن على الحق وقالوا ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل لو كنا نسمع كلاما او نعقل
شيئا ما كنا في اصحاب السعير اي في عدادهم ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم
عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا
بها فاجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم الذي هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله فسحقا
وقرئ بضمتين مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قوله تعالى فاسحقهم الله اي ابعدهم من
رحمته سحقا اي اسحاقا او لفعل مترتب على ذلك الفعل اي فاسحقهم الله فسحقوا اي بعدوا سحقا كما في
قوله تعالى ... والكلام اخبار او دعاء واللام في قوله تعالى لاصحاب السعير
للبيان كما في هيت لك وفيه تغليب الشياطين والعاجزين في عذابهم بطريق التغليب ان الذين يخشون ربهم
بالغيب اي يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالغيب الذي هو قلوبهم لهم مغفرة
عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوي السر والجهر
بالنسبة الى علمه تعالى كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضي نزلت في المشركين
كانوا يتكلمون فيما بينهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوحي اليه فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل

اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلم وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى **انه عليم بذات الصدور** بلام الاستغراق او وصف الضماير بجملتها لمرّ الى الالتفات وتعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبتها من الجزالة ما لا يخفى كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا يكاد يفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وقوله تعالى **الا يعلم من خلق** انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اي الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته جميع الاشياء التي هما من جملتها وقوله تعالى **وهو اللطيف الخبير** حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفي اي الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطي ويمنع على معنى الا يكون عالما وهو مبالغ في العلم **هو الذي جعل لكم الارض ذلولا** لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعول الجعل مع ان حقه التاخير عنها للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى **فامشوا في مناكبها** لترتيب الامر على الجعل المذكور اي فاسلكوا مترجمة في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذلل فان منكب البعير ارق اعضائه وابعدها عن ان يطاه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتاتى المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل **وكلوا من رزقه** والتمسوا من نعم الله تعالى **واليه النشور** اي المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا في شكر نعمه والائه **أأمنتم من في السماء** اي الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تاويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السماء اي أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان **ان يخسف بكم الارض** بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتاكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعم اي يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار اي من ان يخسف **فاذا هي تمور** اي تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان **ام امنتم من في السماء** اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه اخر اي بل امنتم من في السماء **ان يرسل عليكم حاصبا** اي حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هو سحاب فيها حجارة **فستعلمون** عن قريب البتة **كيف نذير** اي انذاري عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء **ولقد كذب الذين من قبلهم** من قبل كفار مكة من الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم **فكيف كان نكير** اي انكاري عليهم بانزال العذاب اي كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمي لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى **اولم يروا** اعتبارا واستدلالا على تعاجيب قدرته تعالى **الى الطير فوقهم صافات** باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا **ويقبضن** ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر في ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات **ما يمسكهن** في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع **الا الرحمن** الواسع رحمته كل شيء بان برأهن على اشكال وخصائص وهيأهن للجري في الهواء

من الصف والقبض **انه بكل شيء بصير** يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات قوله تعالى **امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن** تبكيت لهم بنفي ان يكون لهم ناصر غيره تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية وعضده قوله تعالى ان امسك رزقه كما في قوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا في المعنى خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع وتحققه وهنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التامل في ما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب اثار قدرة الله تعالى الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهامية وهي مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وايثار هذا لتحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه من دون الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم او نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى او ينصركم من عذاب كائن من عند الله عز وجل وتوهم ان ام معادلة بقوله تعالى او لم يروا الى الطير الاية مع القول بان من استفهامية مما لا يقرب له اصلا قوله تعالى **ان الكافرون الا في غرور** اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال اي ما هم في زعمهم انهم محفوظون من النوائب بحفظ الهتهم لا بحفظه تعالى فقط وان الهتهم يحفظهم من باس الله الا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم الاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار في موضع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى **امن هذا الذي يرزقكم ان امسك** اي الله عز وجل **رزقه** اسباب المطر وسائر اسبابه كالذي مر في تفصيله قوله تعالى **بل لجوا في عتو ونفور** منبئ عن مقدر يستدعيه المقام كانه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتاثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو اي عناد واستكبار وطغيان ونفور اي شراد عن الحق وقوله تعالى **افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى** الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحاليهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عتو وعنود ونفور وعدم اهتدائهم في مسلك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا اي ساقطا على وجهه يقال كبه فاكب اي خر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذي يؤمه **امن يمشي سويا** اي قائما سالما من الخبط والعثار **على صراط مستقيم** مستوي الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة **قل هو الذي انشاكم** انشاء بديعا **وجعل لكم السمع** لتسمعوا ايات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها **والابصار** لتنظروا بها الى الايات التكوينية الشاهدة بشؤون الله عز وجل **والافئدة** لتتفكروا بها في ما تسمعونه وتشاهدونه من الايات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الايمان والطاعة **قليلا ما تشكرون** اي باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا اما نعت لمحذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم **قل هو الذي ذراكم في الارض** اي خلقكم وكثركم لا غيره **واليه تحشرون** للجزاء لا الى غيره اشتراكا او استقلالا فابنوا امركم على ذلك **ويقولون** من فرط عتوهم وعنادهم **متى هذا الوعد** اي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى **ان كنتم صادقين** خطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا يتلون صلى الله عليه وسلم في الوعد وتلاوة الايات المتضمنة

وجواب الشرط محذوف اي ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته
قل انما العلم اي العلم بوقته عند الله عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى انما علمها عند ربي وانما
انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود لا محالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار
والفاء في قوله تعالى فلما رأوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد
اتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه الخ كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده الا ان
المقدر هناك امر واقع مرتب على ما قبله بالفاء وههنا امر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة
الاستئناف وقوله تعالى زلفة حال من مفعول رأوه اما بتقدير المضاف اي ذا زلفة وقرب او على
انه مصدر بمعنى الفاعل اي مزدلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة او ظرف اي رأوه في مكان ذي زلفة
سيئت وجوه الذين كفروا بأن علتها الكآبة ورهقتها القترة والذلة ووضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم هذا الذي كنتم
به تدعون اي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه تفتعلون من الدعاء
وقيل هو من الدعوى اي تدعون ان لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون هذا وقد روي عن مجاهد
ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد قل أرأيتم اي اخبروني ان اهلكني الله اي اماتني
والتعبير بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك ومن معي من
المؤمنين او رحمنا بتأخير آجالنا فنحن في جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين فمن يجير
الكافرين من عذاب اليم اي لا ينجيكم منه احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم
للتسجيل عليهم بالهلاك بالكفر وتعليل نفي الاجارة قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم الى اجابته عبادته
مولى النعم كلها آمنا به وحده لما علمنا ان كل ما سواه فانه نعمة او منعم عليه وعليه توكلنا لا
على غيره اصلا لما علمنا ان كل ما عداه كائنا من كان بمعزل من النفع والضر فستعلمون عن قريب البتة
من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية قل أرأيتم اخبروني ان اصبح
ماؤكم غورا اي غائرا في الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به
فمن يأتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك
فكأنما احيا ليلة القدر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا سرمدا الى يوم الدين

سورة ن مكية اثنتان وخمسون آية

ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر
كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف
للتعريف والتأنيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدي
باحد الطريقين المذكورين ثمة او اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف فالواو في قوله
تعالى والقلم للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه واياما كان فان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فا
ستحقاقه للاعظام بالاقسام به ظاهر وان اريد به الجنس فاستحقاقه لما في ايدي الناس لذلك لكثرة
منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله تعالى لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرئ بادغام
النون في الواو وما يسطرون الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على ان المراد به اصحابه كأنه
قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم على ان ما موصولة او وسطرهم على انها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل
الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى
ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كأنه
قيل انت بريء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ
الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه

السلام لتشريفه عليه السلام والايذان بانه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه في العلو الى الغاية لا غاية وراءها
والمراد تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما كانوا ينسبونه عليه السلام اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع
جزمهم بانه عليه السلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصافة العقل ورزانة الرأي
وان لك بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة لاجرا لثوابا
عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مع عظمه لقوله تعالى عطاء غير مجذوذ او غير ممنون
عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا واسطة وانك لعلى خلق عظيم لا يدرك شأوه
احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه
عليه السلام فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون والجملتان معطوفتان
على جواب القسم فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة امركم بغلبة الاسلام واستيلائكم
عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال
مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر بأيكم المفتون اي ايكم الذي فتن بالجنون والباء
مزيدة او بأيكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او بأي الفريقين منكم الجنون
أبفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبي جهل
ابن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا
يخفى على احد منهم وتأكيد لما فيه من الوعد اي هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدي الى سعادة
الدارين وهام في تيه الضلال متوجها الى ما يقتضيه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون الذي
لا يفرق بين النفع والضر يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيهجره وهو اعلم بالمهتدين
الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلا من الفريقين
حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى
فلا تطع المكذبين لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عليه السلام وضلالهم
او على جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم اي دم على ما انت
عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك او نهي عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما في ضميره
عليه السلام استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن
فانه تعليل للنهي او للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير اي احبوا لو تلاينهم و
تسامحهم في بعض الامور فيدهنون اي فهم يدهنون حينئذ او فهم الآن يدهنون طمعا
في ادهانك وقيل هو عطف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك
وابا ما سلك من يدهنهم بالادهان على ان ادهانهم امر محقق لا يناسب ادخاله تحت التمني
واياما كان فالمعنى فيما بينهم حقيقة الادهان الذي هو اظهار الملاينة واضمار خلافها وأما في
جانبه عليه السلام فالمعتبر بالنسبة الى ودادتهم اليه عليه السلام وفي بعض المصاحف فيدهنوا
على انه جواب للتمني المفهوم من ودوا او انه ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على انه عطف على تدهن
بناء على ان لو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع
مفعولا لودوا كأنه قيل ودوا ان تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا
مفعول ودوا اي ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف
في الحق والباطل وتقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه ادخل في الزجر

بلغ مقابلة على الاصل ... قابلة الاعتبار

مهين ◦ اي حقير الراي والتدبير ◦ هماز ◦ عياب طعان ◦ مشاء بنميم ◦ مضرب نقال للحديث
من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية ◦ مناع للخير ◦ اي
بخيل او مناع الناس من الخير الذي هو الايمان والطاعة والانفاق ◦ معتد ◦ متجاوز في الظلم
اثيم ◦ كثير الاثام ◦ عتل ◦ جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة ◦ بعد ذلك ◦ اي بعد
ما عد من مثالبه ◦ زنيم ◦ دعي مأخوذ من الزنمة وهي الهنة من الجلد الماعز تقطع فتخلى متدلية
في حلقها وفي قوله تعالى بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه واقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة
فانه كان دعيا في قريش وليس منهم ادعاه المغيرة بعد ثماني عشر من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق
اصله من ثقيف وعداده في زهرة ◦ ان كان ذا مال وبنين ◦ متعلق بقوله تعالى ◦ اذا تتلى
عليه اياتنا قال اساطير الاولين ◦ استيناف جار مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه الجملة
الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا
بالمال والبنين كذب باياتنا وفيه انه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون
لسائر قبائحه دخل في ذلك وقرئ ان كان على معنى الان كان ذا مال كذب بها او تطيعه لان كان
ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر
لغناه فكانه اشترط غناه في الطاعة ◦ سنسمه على الخرطوم ◦ بالكي على اكرم مواضعه لغاية
اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم
القيمة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة ◦ انا بلوناهم ◦ اي اهل مكة بالقحط بدعوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ◦ كما بلونا اصحاب الجنة ◦ وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه
الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت
الصرام ويترك لهم ما احصاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخفاه القطاف من العنب وما بقي على البساط
التي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا
ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى ◦ اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ◦ ليقطعنها
داخلين في الصباح ◦ ولا يستثنون ◦ اي لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط
من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد
او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله ابوهم والجملة مستأنفة ◦ فطاف عليها ◦ اي على الجنة
طائف من ربك ◦ بلاء طائف وقرئ طيف من ربك مبتدئ من جهته تعالى ◦ وهم نائمون ◦ غافلون
عما جرى به المقادير اي احترقت فاسودت وقيل كالنهار اي يبست ◦ فاصبحت كالصريم ◦ كالبستان
الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل اي احترقت فاسودت وقيل كالنهار
اي يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال ◦ فتنادوا
مصبحين ◦ اي نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين في الصباح ◦ ان اغدوا ◦ اي اغدوا على ان
ان مفسرة او بان اغدوا على انها مصدرية اي اخرجوا غدوة ◦ على حرثكم ◦ بستانكم
وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمنه معنى الاقبال او الاستيلاء ◦ ان كنتم صارمين ◦
قاصدين للصرم ◦ فانطلقوا وهم يتخافتون ◦ اي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفي
وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنها الخفود للخفاش ◦ ان لا يدخلنها ◦ اي الجنة ◦ اليوم
عليكم مسكين ◦ ان مفسرة للتخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي
المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا ارينك هاهنا ◦ وغدوا على حرد

قادرين ◦ اي على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت
درها والمعنى انهم ارادوا ان يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال
لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة
او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها
او غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد والحرد وقد قرئ به
اي لم تقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة اي غدوا قاصدين
الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة ◦ فلما رأوها قالوا ◦ في بديهة
رؤيتهم ◦ انا لضالون ◦ اي طريق جنتنا وما هي بها ◦ بل نحن محرومون ◦ قالوه بعدما
تأملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الاول اي لسنا ضالين بل نحن محرومون
حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا ◦ قال اوسطهم ◦ اي رأيا او سنا ◦ الم اقل لكم لولا
تسبحون ◦ لولا تذكرون الله تعالى وتتوبوا اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين
عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها
قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى ◦ قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين
وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما في التعظيم او لانه تنزيه له تعالى عن ان يجري في ملكه ما لا يشاء
فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون ◦ اي يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه
ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره ◦ قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين ◦ متجاوزين حدود
الله عسى ربنا ان يبدلنا وقرئ بالتشديد اي يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة
خيرا منها انا الى ربنا راغبون ◦ راجون العفو طالبون للخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع
وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروي انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع
ابونا فدعوا الله وتضرعوا اليه فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى امر جبريل عليه
السلام ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من الشام ويأخذ من الشام جنة يقال لها الحيوان
فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل
الاسود القائم وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني
تعبا وعن الحسن رضي الله عنه قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم ام على
حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف في امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا
حكاه القشيري ◦ كذلك العذاب ◦ جملة من مبتدأ وخبر مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد
اي مثل الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ◦ ولعذاب الاخرة اكبر ◦ اعظم واشد
لو كانوا يعلمون ◦ انه اكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ◦ ان للمتقين ◦ اي من الكفر والمعاصي ◦ عند ربهم ◦ اي
في الاخرة او في جوار القدس ◦ جنات النعيم ◦ جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه
من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى ◦ افنجعل المسلمين كالمجرمين ◦ تقرير لما سبق
قبل من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الاخرة وما وعد الله به
فيها فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في
الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف
على مقدر تقتضيه المقام اي انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد
الرد وتشديده ◦ ما لكم كيف تحكمون ◦ تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لا يصدر

عن عاقل ام لكم كتاب نازل من السماء فيه تدرسون اى تقرؤن ان لكم فيه لما تخيرون اى ما
تختارونه وتشتهونه وصل ان لكم بالفتح لانه مدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس
كما هو لقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين وتخير الشيء واختاره اخذ خيره
ام لكم ايمان علينا اى عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية فى التوكيد وقرئ بالغة بالنصب على الحال
والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم الى يوم القيمة لا تخرج
عن عهدتها حتى نحكم يوميذ ونعطيكم ما تحكمون او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل
منها يمين ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم علينا ايمان ام اقسمنا لكم سلهم تلوين
الخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب اى سلهم مبكتا لهم
ايهم بذلك لكم الخارج عن العقول زعيم اى قايم يتصدى لتصحيحه ام لهم شركاء يشاركونهم
فى هذا القول ويذهبون مذهبهم فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين فى دعواهم اذ لا
اقل من التقليد وقد نبه من هذه الآيات الكريمة على ان ليس لهم شيء يتوهم ان يتشبثوا به
حتى التقليد الذى لا يغنى من تشبث بذيله وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين فى الآخرة
يوم يكشف عن ساق اى يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك واصله
تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها
الحرب شمرا وقيل ساق الشيء اصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اى يوم يكشف عن اصل الامر
فيظهر حقايق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ تكشف بالتاء
على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر
الشين من اكشف الامر اذا دخل فى الكشف وناصب الظرف فليأتوا او مضمر مقدم اى اذكر يوم الامر
او مؤخر اى يوم يكشف عن ساق يكون من الاهوال وعظايم الاحوال ما لا يبلغه الوصف ويدعون
الى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه فى الدنيا وتحسرا لهم على تفريطهم فى ذلك فلا يستطيعون
لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضى
الله عنه تعقم اصلابهم اى ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث وتبقى اصلابهم
طبقا واحدا اى فقارة واحدة خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم مرتفع
به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها ترهقهم ذلة تلحقهم وتغشاهم ذلة شديدة
وقد كانوا يدعون الى السجود فى الدنيا والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير او لان
المراد به الصلاة او ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف وهم سالمون متمكنون منه ازاحة
للعذر فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك ذكره ثقة بظهوره فذرنى ومن يكذب
بهذا الحديث اى كله الى فانى اكفيكه او كله اى حسبك من الايقاع والانتقام منه اى يكل امره وتخلى بينى
وبينه فانى عالم بما يستحقه من العذاب والمطيق له الفاء لترتيب الامر على ما قبلها من احوالهم المحكية اى
اذا كان حالهم فى الآخرة كذلك فذرنى ومن يكذب بالقرآن وتوكل على فى الانتقام منه وقوله تعالى
سنستدرجهم استيناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير
لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فى يكذب باعتبار لفظها اى سنستنزلهم فى العذاب درجة
بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام
عليهم بل يزعمون انه اثارة لهم وتفضيل على المومنين مع انه سبب لهلاكهم وأملى لهم وامهلهم
ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم ان كيدى متين لا يوقف عليه ولا
يدفع

ولا يدفع بشيء وتسميته ذلك كيدا لكونه فى صورة الكيد ام تسألهم على الابلاغ والارشاد اجرا
دنيويا فهم لاجل ذلك من مغرم اى غرامة مالية مثقلون مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون
عنك ام عندهم الغيب اى اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون
به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت
اى يونس عليه السلام اذ نادى فى بطن الحوت وهو مكظوم مملوءا غيظا والجملة حال من
ضمير نادى وعليها يدور النهى لا على الندا فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف
محذوف اى لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى
ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير
الفعل بالضمير وقرئ تداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان فيه تداركه لنبذ بالعراء بالارض
الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها
يعتمد جواب لولا لانها هى المنتفية لا النبذ بالعراء كما مر بالحال الاولى والجملة الشرطية استيناف وارد
لبيان كون المنهى عنه امرا محذورا مستتبعا للعايلة وقوله تعالى فاجتباه ربه عطف على مقدر اى فتداركه
نعمة من ربه فاجتباه بان رد اليه الوحى وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنبأه ان صح انه
لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا
يكون تركه اولى روى انها نزلت باحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين
وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقرئ ليزلقونك
بفتح الياء من زلقه بمعنى ازلقه ويرهقونك وان هى المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة
عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد
يصرعنى اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روى انه كان فى بنى
اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفى الحديث ان العين لتدخل الرجل
القبر والجمل القدر ولعله من خصايص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان يقرأ هذه
الآية لما سمعوا الذكر اى وقت سماعهم القرآن على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد
بغضهم وحسدهم عند سماعه ويقولون لغاية حيرتهم فى امره عليه السلام ونهاية جهلهم بما فى تضاعيف
القرآن من تعاجيب الحكم وبدايع العلوم المحجوبة عن العقول المنهمكة باحكام الطبايع ولتنفير الناس
عنه انه لمجنون وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه السلام رد ذلك ببيان علو شانه
وسطوع برهانه فقيل وما هو الا ذكر للعالمين على انه حال من فاعل يقولونه مفيدة لغاية بطلان
قولهم وتعجيب السامعين من جرأتهم على التفوه بتلك العظيمة فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا
ومحيط بجميع حقايقه خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل
الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة

مكية احدى وخمسون آيات

الحاقة اى الساعة او الحالة الثابتة الوقوع
الواجبة المجيء لا محالة او التى تحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب والعقاب او التى تحق فيها الامور
اى تعرف على الحقيقة من حقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن
فيها من اولى العلم وايا ما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافها بهذه الصفة وجريانها
مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها ما الحاقة على ان ما مبتداء ثان والحاقة خبره والجملة خبر

للمبتدا الاول والاصل ما هي اي اي شيء في حالها وصفتها فان ما يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر
موضع الضمير تاكيدا لهولها هذا ما ذكروه في اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق في سورة الواقعة
ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع
وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدا وكون الحاقة
خبرا وقوله تعالى وما ادريك ما الحاقة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها
عن دائرة علوم المخلوقات على معنى ان عظم شانها ومدى هولها وشدتها بحيث لا يكاد يبلغه دراية احد
ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك واعظم فما تسنى الاعلام وما في حيز الرفع على الابتداء
وادريك خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدا وخبر على الوجه الذي عرفته محلها النصب
على اسقاط الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادريكم به فلما
وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها
من الجملة الواقعة خبرا للمبتدا الاول مؤكدة لهولها كما عرفته كذبت ثمود وعاد بالقارعة
اي بالحاقة التي تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض
والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى
القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عليه السلام اثر تقرير
ان ما دريه عليه السلام بها احوالها كما في قوله تعالى وما ادريك ما هيه نار حامية ونظائره خلا ان
المبين هناك نفس المسؤول عنها وههنا حال من احوالها كما في قوله تعالى وما ادريك ما ليلة
القدر ليلة القدر خير من الف شهر فكما ان المبين هناك نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها فكذلك
المبين ههنا هول الحاقة وعظم شانها وكونها حقيقة باهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادريك
ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بالواقعة المجاوزة للحد
وهي الصيحة او الرجفة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت لها صرصرة او
شديدة البرد تحرق ببردها عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها
او على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله سخرها عليهم الى آخره استئناف جيء به بيانا لكيفية اهلاكهم
بالريح اي سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعات
جمع حاسم وشهود جمع شاهد من حسمت الداء اذا تابعت بين كيه ونحسات حسمت كل خير واستاصلته
او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر
لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة الاربعاء
الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح
في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر
والمؤتمر والمعلل ومطفي الجمر وقيل مكفي الظعن فترى القوم ان كنت حاضرا حينئذ فيها في مهابها
او في تلك الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اي اصول نخل خاوية متآكلة
الاجواف فهل ترى لهم من باقية اي بقية او نفس باقية او بقاء على انها مصدر كالكاذبة و
الطاغية وجاء فرعون ومن قبله اي ومن تقدمه وقرئ ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه
ويؤيده انه قرئ ومن معه والمؤتفكات اي قوم لوط اي اهلها بالخاطئة بالخطا او بالفعلة
او بالافعال ذات الخطا التي من جملتها تكذيب البعث والقيامة فعصوا رسول ربهم اي فعصى
كل امة رسولها حين نهاهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح فاخذهم اي الله عز وجل اخذة رابية

اي زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح من ربا الشيء اذا زاد انا لما طغى الماء بسبب
اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه عليه السلام فيما اوحي اليه من
الاحكام التي من جملتها احوال القيامة حملناكم اي في اصلاب آبائكم في الجارية في سفينة نوح
عليه السلام والمراد حملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة
كما يعرب عنه كلمة في فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اي رفعناكم فوق
الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم
محض عصمته تعالى انما السفينة سبب صوري لنجعلها اي لنجعل الفعلة التي هي عبارة عن انجاء
المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة
قهره وسعة رحمته وتعيها اي تحفظها والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غير
نفسك من وعاء وقرئ وتعيها بسكون العين تشبيها بكتف اذن واعية اي اذن من شانها ان تحفظ
ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها
وان من هذا شانه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ اذن بالتخفيف فاذا
نفخ في الصور نفخة واحدة شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شانها
باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ
نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل على الجار والمجرور والمراد النفخة الاولى التي عندها خراب
العالم وحملت الارض والجبال اي قلعتا ورفعتا من اماكنهما بمجرد القدرة الالهية او بتوسط
الزلزلة او الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة اي فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضها
ببعض ضربة واحدة حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء
ومنه الدكان فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة اي قامت القيامة وانشقت السماء لنزول
الملائكة فهي اي السماء يومئذ واهية ضعيفة مسترخية بعدما كانت محكمة والملك اي الجنس
المعروف بالملك على ارجائها اي جوانبها جمع رجا بالقصر اي تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجأون
الى اكنافها وحافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية
يومئذ ثمانية من الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم
الله تعالى باربعة اخرى فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش
فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم
على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك
في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد
على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم اثمانية الاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم
الا الله تعالى ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد
من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها اقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا فشؤونه
تعالى اجل من كل ما يحيط به فلك العبارة والاشارة يومئذ تعرضون اي تسألون وتحاسبون
عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر ليعرفهم احوالهم وروي ان في يوم القيامة
ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب

فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم
اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار
النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال من مرفوع تعرضون اى تعرضون غير خاف
عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة فى العدل او فى غير خافية
يومئذ من الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية فاما من اوتى كتابه
بيمينه تفصيل لاحكام العرض فيقول تبجحا وابتهاجا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه ثلاث
لغات اجودهن ها يا رجل وها يا امرأة وهؤم يا رجال وهاؤم يا رجلان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف
اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى الاضمار حيث امكن والهاء
فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب ايثارها فى
الامام انى ظننت انى ملاق حسابيه اى علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح فى الاعتقاد
ما يجرى فى النفس من الخطرات التى لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو فى عيشة راضية ذات رضى على
النسبة بالصيغة كما يقال دارع فى النسبة بالحرف او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك يكون
لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم فى جنة عالية مرتفعة المكان لانها فى السماء او الدرجات
او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية ينالها القاعد
كلوا واشربوا باضمار القول والجمع باعتبار المعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم
بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة فى الايام الخالية اى الماضية فى الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام وروى
بقوله تعالى وخصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيم وكلوا واشربوا واما من اوتى كتابه بشماله
ورأى ما فيه من الاعمال القبيحة فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما شاهد
من سوء العاقبة يا ليتها يا ليت الموتة التى متها كانت القاضية اى القاطعة لامرى ولم ابعث بعدها
ولم الق ما القى فضمير ليتها للموتة ويجوز ان يكون للحالة بعده من الحالة اى يا ليت هذه الحالة كانت
الموتة التى قضت على لانه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وتجوز ان يكون للحياة الدنيا اى يا
ليت الحياة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عنى ماليه مالى من المال والاتباع على ان ما نافية والمفعول
محذوف او استفهامية للانكار اى شئ اغنى عنى ما كان لى من اليسار هلك عنى سلطانيه اى تسلطى على الناس
او حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا او تسلطى على القوى والالات فعجزت عن استعمالها فى العبادات خذوه
حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار فغلوه اى شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اى لا تصلوه
الا الجحيم وهى النار العظمى ليكون الجزاء وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس ثم فى سلسلة ذرعها
اى طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطيع
حراكا وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به
وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينها وبين السلك فى السلسلة فى الشدة انه كان
لا يؤمن بالله العظيم تعليل بطريق الاستئناف التحقيقى ووصفه تعالى بالعظيم للايذان بانه المستحق
للعظمة فمن نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل
طعامه او على اطعام فضلا ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على ان تارك الحض بهذه المنزلة فما
ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة قالوا تخصيص الامرين
بالذكر لما انه اقبح العقائد والكفر واشنع الرذائل قسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم اى قريب
حميم يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه ولا طعام الا من غسلين

الا من

اى من غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا يأكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا
من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطأ المقابل للصواب دون الخطأ المقابل للعمد عن ابن عباس رضى الله عنهما
انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها والخاطون انهم يريدون الذين يتخطون
الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم اى فاقسم على ان لا مزيدة للتاكيد واما حملها على
معنى نفى الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى بما تبصرون
وما لا تبصرون كما مر فى سورة الواقعة اى اقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والاخرة
وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول
منتظم للكل انه اى القرآن لقول رسول يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم
على الله تعالى وهو النبى او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون
ايمانا قليلا تؤمنون ولا بقول كاهن كما تزعمون ذلك تارة اخرى قليلا ما تذكرون
اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون على ان القلة بمعنى النفى اى لا تؤمنون ولا تذكرون قيل
ذكر الايمان مع ذكر الشاعرية والتذكر مع ذكر الكاهنية لما ان عدم مشابهة القرآن الشعر امر بين لا ينكره
الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احواله صلى الله عليه وسلم ومعانى القرآن
المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم وانت خبير بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تأمل قطعا وقرئ
بالياء فيهما تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل
سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كأنها جمع افعولة من القول
كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين اى بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اى نياط قلبه بضرب عنقه
وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه
بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال قائلهم اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
فما منكم من احد اى احد عنه اى عن القتل والمقتول حاجزين دافعين وصف لاحد
لانه عام وانه اى القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين
فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين وانه لحق اليقين
الذى لا يحوم حوله ريب ما فسبح باسم ربك العظيم اى فسبح باسم ربك العظيم تنزيها له عن الرضا
بالتقول عليه شكرا على ما اوحى اليك عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا
يسيرا

سورة المعارج مكية اربع واربعون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل اى دعا داع بعذاب واقع اى استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث
حيث قال انكارا واستهزاء ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
وقيل ابو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهرى وذلك انه لما بلغه
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله تعالى عنه من كنت مولاه فعلى مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد
حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من اسفله فهلك
من ساعته وقيل هو الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل عذابهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى
ما مر او من السيلان ويؤيده سال سيل اى اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه
اما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهرى واما فى الآخرة فهو
عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب اى كائن للكافرين او صلة لواقع او متعلق بسأل اى
دعا للكافرين صفة اخرى بعذاب واقع وقوله تعالى ليس له دافع صفة اخرى لعذاب او حال منه

لتخصصه بالصفة او بالكل او من الضمير في الكافرين على تقدير كونه صفة العذاب او استيناف من الله متعلق
بواقع او بدافع اي ليس له دافع من جهة الله تعالى ذي المعارج ذي المصاعد التي يصعد فيها الملائكة
بالاوامر والنواهي وهي عبارة عن السموات المرتبة بعضها فوق بعض تعرج الملائكة والروح
اي جبرئيل عليه السلام افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما حفظة على الناس
اليه اي عرشه تعالى والى حيث يهبط منه اوامره تعالى وقيل هو من قبيل قول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب
الى ربي اي الى حيث امرني به في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما يعده الناس وهو بيان
لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى انها من الارتفاع بحيث لو قدر
قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة
والروح الى عرشه تعالى في يوم كان مقداره خمسين الف سنة اي يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان في خمسين
الف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيمة
واستطالته اما لانه كذلك في الحقيقة او لشدته على الكفار او لتدبره ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان
فذلك في حق الكافرين واما في حق المؤمن فلا لما روي ابو سعيد الخدري رضي الله عنه انه قيل لرسول الله عم
ما اطول هذا اليوم فقال عليه السلام والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمنين حتى انه يكون اخف من
صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء
وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك مما يضجره عليه السلام او كان عن تضجر واستبطاء للنصر او سال سائل
او سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام انهم يرونه اي العذاب الواقع
او يوم القيمة على تقدير تعلق في يوم بواقع بعيدا اي يستبعدونه بطريق الاحالة وكذلك يسألون به
ونراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالبعد والقرب معتبران بالنسبة
الى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل متعلق
بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او بمضمر دل عليه واقع او مضمر مؤخر اي يوم تكون السماء
كالمهل اه يكون من الاهوال ما لا يوصف وبدل من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا
ولعل الاقرب ان قوله تعالى سال سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك
عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المفهوم بالوقوع على الكافرين
لا ما دعا به النضر او ابو جهل او الحرث فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى فاسأل به
خبيرا وقوله تعالى ليس له دافع الى اخره استيناف مسوق لبيان وقوع المسؤول عنه لا محالة وقوله
تعالى ليس له دافع اه استيناف لبيانه الى فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه
بعيدا ونراه قريبا تعليلا للامر بالصبر كما ذكرنا وقوله تعالى يوم تكون اه متعلق بليس له دافع
او بما يدل هو عليه اي يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب من نحو من الفلزات وقيل
دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال
منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته
الريح ولا يسأل حميم حميما اي لا يسأل قريب قريبا من احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما
يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للفاعل اي لا يطلب حميم حميما او لا يسأل منه حاله يبصرونهم
اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التساؤل الا اشتغالهم بحال انفسهم وقيل ما يغني
عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والاول ادخل في التهويل وجمع الضمير لعموم الحميم
وقرئ يبصرونهم والجملة استيناف يود المجرم اي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى

لو يفتدي

لو يفتدي من عذاب يومئذ اي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه
حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها
ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الى اخره والجملة استيناف
لبيان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى وقيل هي بمنزلة الناصبة فلا يكون لها جواب
وينسبك الى يفتدي بما قرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ يومئذ
بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ ايضا وانتصابه بعذاب
لانه في تعذيب وفصيلته اي عشيرته التي فصل عنهم التي تؤويه اي تضمه في النسب او عند الشدائد
ومن في الارض جميعا من الثقلين او الخلائق ومن للتغليب ثم ينجيه عطف على يفتدي اي يود
لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت
يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات كلا ردع للمجرم عن الودادة وتصريح
امتناع الانجاء بالافتداء انها اي النار المدلول عليها بذكر العذاب وهو مبهم ترجم عنه الخبر
الذي قوله تعالى لظى وهي علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب نزاعة للشوى نصب على الاختصاص
او حال مؤكدة والشوى الاطراف او جميع شواه وهي جلد الراس وقرئ نزاعة بالرفع على انه
خبر ثان وقيل يدعوا وتقول الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان
فصيح ثم تلتقطهم كما تلتقط الحب وقيل تدعو اهلك وقيل زبانيتها من ادبر اي عن الحق
وتولى اعرض عن الطاعة وجمع فاوعى اي جمع المال في وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته وتشاغل به عن
الدين وزهى باقتنائه حرصا وتاسيا ان الانسان خلق هلوعا الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه
وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تعالى واذا مسه الشر اي الفقر او المرض
ونحوهما جزوعا مبالغا في الجزع مكثرا منه واذا مسه الخير منوعا مبالغا في المنع والامساك
والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبايع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف
لجزوعا والثانية لمنوعا الا المصلين استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الاتية من المطبوعين
على القبايح الماضية لاستاعهم عنها بالاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان
بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الاجل على العاجل على خلاف القبايح المذكورة الناشية
من الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها
شاغل والذين في اموالهم حق معلوم اي نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا
الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكوة المفروضة والصدقات الموظفة للسائل الذي
يسألونه والمحروم لا يسأله فيظن انه غني فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي باعمالهم
حيث يتعبون انفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا في المثوبة الاخروية بحيث يستدل
بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم
مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه عز وجل كقوله تعالى والذين
يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى ان عذاب ربهم غير
مامون اعتراض مؤذن بانه لا ينبغي لاحد ان يامن عذابه تعالى وان بالغ في الطاعة والذين هم
لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين سلف
في سورة المؤمنين فمن ابتغى اي طلب لنفسه وراء ذلك وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات
فاولئك المبتغون هم العادون المتعدون لحدود الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم

راعون لا يخلون بشيء من حقوقها والذين هم بشهاداتهم قائمون اى مقيمون لها بالعدل احياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الامانة لفضلها وقرئ لاماناتهم وبشهاداتهم على ارادة الجنس والذين هم على صلاتهم يحافظون اى يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وتكريرها ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها واناقتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما فى قول من قال * الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم * ايذانا بان كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للاخر اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره فى جنات اى مستقرون فى جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى مكرمون خبر اخر وهو الخبر وفى جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل او بمضمر هو حال من الضمير فى الخبر اى مكرمين كائنين فى جنات فما للذين كفروا قبلك مهطعين مسرعين نحوك مادى اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عن اليمين وعن الشمال عزين اى فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزؤن بكلامه عليه السلام ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم فنزلت ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان كلا ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ انا خلقناهم مما يعلمون قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم من اجل ما تعلمون كما فى قول الاعشى * ازمعت من ال ليلى ابتكارا * وشطت على ذى هوى ان تزارا * وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من ان يتبوأ منازل الكاملين فمن اين لهم ان يطمعوا فى دخول الجنة وهم مكبون على الكفر وانكار البعث وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمتى لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها ولا يخفى ما فى كل من التمحل والاقرب انه كلام مستأنف قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما نزل عليه من الوحى وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما اخرين فان قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الاولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة فى قوله تعالى فلا اقسم برب المشارق والمغارب والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون فاقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اى نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتى بدلهم بخلق اخرين ليسوا على صفتهم وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم فذرهم يخوضوا فى باطلهم الذى من جملته ما حكى عنهم ويلعبوا فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى كما وهم فان قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الاخراج سراعا حال من مرفوع يخرجون اى

مسرعين

مسرعين كانهم الى نصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد ايضا يوفضون يسرعون خاشعة ابصارهم وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور اثاره فيها ترهقهم ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك الذى ذكر ما سيقع فيه من الاحوال الهائلة اليوم الذى كانوا يوعدون فى الدنيا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عليه السلام مكية تسع وعشرون ايات

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اى بان انذرهم على ان ان مصدرية حذف منها الجار واوصل اليها الفعل فان حذفه مع ان وان مطرد وجعلت صلتها امرا كما فى قوله تعالى وان اقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية فى الموصول انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس للموصول الحرفى كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء فى الدلالة على المصدر استويا فى صحة الوصل بها فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر والنهى والمضى والاستقبال كانه قيل ارسلناه بالانذار وقيل معناه ارسلناه بان قلنا له انذر اى بالامر بالانذار ويجوز ان يكون ان مفسرة لما فى الارسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائى كما هو المعروف وقرئ انذر بغير ان على ارادة القول من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عاجل او اجل لئلا يبقى لهم عذر ما اصلا قال استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية ارساله عليه السلام بالوجه المذكور كانه قيل فماذا فعل عليه السلام فقيل قال لهم يا قوم انى لكم نذير مبين منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون متعلق على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم اى بعض ذنوبكم وهو ما سلف فى الجاهلية فان الاسلام يجبه ويؤخركم الى اجل مسمى هو الامد الاقصى الذى قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح فى ان لهم اجلا اخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى ان اجل الله اى ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر اذا جاء وانتم على ما انتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذى هو بقاؤكم على الكفر فلا يجئ ويتحقق شرط التأخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور فى قوله تعالى من قبل ان يأتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت له حتما وحمله على الاجل المسمى لو كنتم تعلمون اى لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما امرتكم به قال اى نوح عليه الصلوة والسلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو اعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال فى تلك المدد الطوال بعد ما بذل فى الدعوة غاية المجهود وجاوز فى الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت العلل رب انى دعوت قومى الى الايمان والطاعة ليلا ونهارا اى دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائى الا فرارا مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما فى قوله تعالى زادتهم ايمانا وانى كلما دعوتهم اى الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم فى اذانهم اى سدوا مسامعهم من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم اى بالغوا فى التغطى بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم واصروا

اي اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنه واقبل عليها واستكبروا
عن اتباعي وطاعتي استكبارا شديدا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت
لهم اسرارا اي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة
وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او للتراخي بعضها من بعض
وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او اريد بدعوتهم جاهرتهم صفة لمصدر اي
دعوتهم دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدر في موقع الحال اي مجاهرا فقلت استغفروا ربكم
بالتوبة على الكفر والمعاصي انه كان غفارا للتائبين كانهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه
وان كنا على الباطل فكيف تقبلنا بعدما عكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم بما يمحق ما سلف منهم
ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو اوقع في قلوبهم واحب اليهم من الفوائد العاجلة وقيل
لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين
سنة فوعدهم انهم ان امنوا ان يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه يرسل السماء عليكم
مدرارا اي كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة او السحاب ويمددكم باموال وبنين ويجعل
لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها انهارا جارية ما لكم لا ترجون لله وقارا
انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون
حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على ان الانكار متوجه الى السبب فقط
مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ولله متعلق
بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تاخر لكان صفة له اي اي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله
تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له وقد خلقكم اطوارا اي والحال انكم
على حالة منافية لما انتم عليه بالكلية وهي انكم تعلمون انه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم اغذية ثم
اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم لحوما ثم انشاكم خلقا اخر فان التقصير في توقير من هذه
شؤونه في القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل
الرجاء بمعنى الامل اي ما لكم لا تاملون له تعالى توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون على حال
تاملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صفة للوقار والاول
هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية فان الانسب بحال الكفرة استبعاد ان يعتقدوا وقار الله تعالى
وعظمته مع مشاهدتهم لاثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد حتما واما عدم رجائهم لتعظيم الله
اياهم في دار الثواب فليس في حيز الاستبعاد والانكار مع ان في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف
وفي قوله ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر
يقتضي ان يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صفة للوقار يوجب
كون الوقار وصفا له تعالى وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على احدكم بالعقوبة اي اي عذر
لكم في ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ما لكم لا تخشون لله عقابا
ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هي لغة حجازية يقولون
لم ارج اي لم ابال وقوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اي مطابقة بعضها
فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا اي منورا لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه
في السماء الدنيا لما انها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون في الكل او لان كل واحد منها شفاف
لا يحجب ما وراءها فيرى الكل كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها

كان في الكل وجعل الشمس سراجا تزيل ظلمة الليل ويبصر اهل الدنيا في ضوئها وجه الارض ويشاهدون
الافاق كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما
هو نور في الجملة والله انبتكم من الارض نباتا اي انشاكم منها فاستعير الانبات
للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكون من الارض ونباتا اما مصدر مؤكد لانبتكم بحذف
الزوائد ويسمى مصدرا ولما ترتب عليه من فعل اي انبتكم من الارض فنبتم نباتا ويجوز ان يكون
الاصل انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في كل منهما
بما ذكر في الاخرى كما تري في قوله تعالى ام تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل وقوله تعالى
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ثم يعيدكم فيها
بالدفن عند موتكم ويخرجكم منها عند البعث والحشر اخراجا محققا لا ريب فيه والله جعل
لكم الارض بساطا تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم والتوسيط لكم بين جعل
ومفعوله مع ان حقه التاخر كما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق الى المؤخر
فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له
فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة جمع فج وهو
الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ او بمضمر هو
حال من سبلا اي كائنة من الارض ولو تاخر لكان صفة لها قال نوح اي لفظ الحكاية لطول العهد
بحكاية مناجاته لربه اي قال مناجيا له تعالى رب انهم عصوني اي تموا على عصياني فيما امرتهم به
مع ما بالغت في ارشادهم بالعظة والتذكير واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اي واستمروا
على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم في
الاخرة فصاروا اسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة
لهم بسبب الاموال والاولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرئ وولده بالضم
والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما ان
الافراد في الضمائر الاول لفظها مكرا كبارا اي كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والاول
ابلغ منه وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه واغراؤهم لهم على اذية نوح عليه السلام وقالوا
لا تذرن الهتكم اي لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اي ولا تذرن عبادتها ولا تخصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق
لانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عنهم الى العرب فكان ود لكلب
وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين ادم ونوح وقيل
من اولاد ادم عليه السلام ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم
ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على
صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو
ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وقد اضلوا اي الرؤساء كثيرا خلقا
كثيرا او الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا
عطف على قوله تعالى انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اي قال انهم عصوني
وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء
عليهم به والمطلوب هو الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما في قوله تعالى

ان المجرمين في ضلال وسعر ويؤيده ما سيأتي من دعائه عليه السلام مما خطيئاتهم اي من اجل
خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يرزيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم
المعدودة وغيرها من خطاياهم اغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر فادخلوا نارا المراد بها اما عذاب القبر
فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب او عذاب جهنم
والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها
اولانه تعالى اعدهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي لم يجد
احد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبانها غير قادرة على نصرهم
وتهكم بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا عطف على نظيره السابق
وقوله مما خطيئاتهم الى اخره اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من الاول بان ما اصابهم من الاغراق
والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال والاخر عن حكاية
دعائه هذا وديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم اي احد
وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا
انك ان تذرهم عليها كلا او بعضها يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا كفارا
اي من الان سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال
مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعد ما جربهم
واستقرا احوالهم قريبا من الف سنة رب اغفر لي ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش
كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحوا وقرئ ولولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل
مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه السلام بخروجه الا
بعد ما قيل انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات عمهم بالدعاء
اثر ما خص به من يتصل به دينا ونسبا ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم
ايضا لكن لا على وجه العذاب لهم بل لتشديد عذاب ابائهم وامهاتهم بارادة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم
من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك
فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى ارحام نسائهم وايبس اصلاب ابائهم قبل الطوفان باربعين
سنة او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان
من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية عشرون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي وقد
قرئ به من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد واذن في وعد ووزن انه بالفتح لانه فاعل
اوحي والضمير للشان استمع اي القرآن كما ذكر في الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن
النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع
من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام
لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبره الله تعالى بذلك
وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا قرآنا كتابا مقروءا
عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي
الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به اي بذلك القرآن ولن نشرك بربنا احدا حسبما نطق به ما فيه
من دلائل التوحيد وانه تعالى جد ربنا قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بان في احد عشر موضعا

عطف

عطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي ارتفع عظمته
من جد فلان في عيني اي عظم مكانه او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى
وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة
عطفا على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول واما اندراج الجمل الاتية تحت الايمان
والتصديق كما يقتضيه العطف على الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى ما
اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لحكم جد تعالى جده وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق
ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد
والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد
فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه وانه كان يقول سفيهنا اي ابليس او مردة الجن على الله شططا
اي قولا ذا شطط اي بعد عن القصد ومجاوزة الحد او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو
نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا
عالمين بقول سفهائهم من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا كانه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله
سفيهنا في حقه تعالى كان شططا واما تعلقهما بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن
على الله كذبا فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اي كنا نظن ان لن يكذب
على الله احد ابدا وكذبا نصب على انه نعت قولا وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول او وصف للمصدر
المحذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا فيه وقرئ لن تقول بحذف احدى التائين فيكون كذبا مصدرا مؤكدا
لان الكذب هو التقول وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل
من العرب اذا امسى في واد قفر وخاف يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم
فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى اياه اضلوهم حتى استعاذوا
بهم فزادوهم اي زاد الرجال العائذون الجن رهقا اي تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين غيا بان
اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اي الانس كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا الى اخره فيكون هذه
الاية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاقرب انهما لذلك على كل تقدير عطفا على انه استمع اذ لا معنى لادراجها
تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى وانا لمسنا السماء وما بعدها من الجمل المصدرة فلما يتعين
ان يكون معطوفة على ذلك على ان الوحي غير عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل الي كيت وكيت وبهذه العبارات
اي طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه
واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا اي حراسا اسم جمع كخدم مفرده حارس ولذلك قيل
شديدا قويا وهم الملائكة يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهي الشعل المقتبسة من نار الكواكب وانا
كنا نقعد قبل هذا منها من السماء مقاعد للسمع حالة عن الحرس والشهب او صالحة للترصد
والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اي لاجل السمع او بمضمر صفة لمقاعد اي مقاعد كائنة للسمع فمن يستمع الان
في مقعد من المقاعد يجد له شهابا رصدا له ولاجل يصده عن الاستماع بالرجم اي ذوي شهاب راصدين
على انه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انه كان
قبل المبعث ايضا لكنه كثر الرجم بعد المبعث وزاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق
اصلا فقالوا ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قولهم وانا لا ندري اشر اريد
بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر
من الاداب الشريفة القرآنية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره وانا منا الصالحون

اى الموصوفون بصلاح الحال فى شان انفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه
الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ومنا دون ذلك اى قوم دون ذلك
فحذف الموصوف وهم المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور لا فى الايمان والتقوى كما توهم فان
هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى كنا طرائق قددا واما حالهم بعد استماعه
فستحكى بقوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وانا منا المسلمون اى كنا قبل هذا ذوى طرائق
اى مذاهب او مثل طرائق فى اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا اى مختلفة متفرقة جمع قدة
من قد كالقطعة من قطع وانا ظننا اى علمنا الآن ان لن نعجز الله اى ان الشان لن نعجز الله كائنين فى الارض
اينما كنا فى اقطارها ولن نعجزه هربا اى طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اى القرآن الذى هو الهدى بعينه
آمنا به من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما انزله فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا اى نقصا فى
الجزاء ولا رهقا ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس احدا ولا رهق ظلم احد فلا
يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله تعالى ان يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف والاول ادل
على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق
الحق الذى هو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى تحروا
توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون الجائرون عن سنن الاسلام فكانوا
لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة والجملة
معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحى الى ان الشان لو استقام الجن والانس او كلاهما على الطريقة
التى هى ملة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا اى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير
بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى اى لو ثبت
الجان ابوهم على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يستكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم
يكفر وتبعه ولده فى الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه
وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق
استدراجا لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته
او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا اى شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به
مبالغة وان المساجد لله عطف على قوله تعالى انه استمع اى واوحى الى ان المساجد مختصة بالله تعالى
وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا اى فلا تعبدوا فيها مع الله احدا غيره وقيل المراد بالمساجد
المسجد الحرام والجمع لان كل ناحية منه مسجد لقبيلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها
لانها جعلت مسجدا للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل مواضع السجود على ان المراد نهى السجود لغير الله
تعالى وقيل اعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع المصدر الميمى وانه من جملة الوحى اى
واوحى الى ان الشان لما قام عبد الله اى النبى صلى الله عليه وسلم وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو
المقتضى لقيامه وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اى يعبده وذلك
قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله فى الاحقاف كادوا اى الجن يكونون عليه لبدا متراكمين
من ازدحامهم تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء اصحابه به قياما وركوعا
وسجودا لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه السلام يعبد الله وحده
مخالفا للمشركين كان المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه
على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهى بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد

ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله
الا ان يظهره على من ناواه قل انما ادعوا ربى اى اعبده ولا اشرك به احدا فى العبادة فليس
ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب او الاطباق على عداوتى وقرئ قال على انه حكاية لقوله عليه السلام
عن شؤون غيره وقوله تعالى الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع
وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة او من ملتحدا اى لن اجد من دونه ملتجأ الا ان ابلغ عنه
ما ارسلنى به وقيل الا مركبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناها ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب
محذوف لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته الاصلية اى لا املك لكم الا
تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التى ارسلنى بها ومن يعص الله ورسوله فى الامر بالتوحيد اذ الكلام
فيه فان له نار جهنم وقرئ بفتح الهمزة على فجزاؤه ان له نار جهنم خالدين فيها فى النار او فى
جهنم والجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية وقوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون غاية لمحذوف يدل
عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه السلام واستقلالهم لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم
عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون من فنون العذاب فى الآخرة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا
واقل عددا وحمل ما يوعدون على ما رأوه يوم بدر يأباه قوله تعالى قل ان ادرى اى ما ادرى
اقريب ما توعدون ام يجعل له ربى امدا فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون
ذلك الموعود انكارا له واستهزاء به فقيل انه كائن لا محالة واما وقته فما ادرى متى يكون عالم الغيب
بالرفع هو بدل من ربى او بيان له ويأباه الفاء فى قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا اذ يكون
النظم حينئذ ام يجعل له عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب
عدم الاظهار على تفرده اى بعلم الغيب على الاطلاق اى فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به
جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه الا من ارتضى من رسول اى الا رسولا
ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا
اما لكونه من مبادى رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها
كعامة التكاليف الشرعية التى امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها فى الآخرة وما تتوقف
هو عليه من احوال الآخرة التى من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التى هى من وظائف
الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التى من جملتها قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا
على ان بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفى كرامات الاولياء
المتعلقة بالكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعى احد
من الاولياء ما فى مرتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحى الصريح وقوله تعالى
فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء
وبيان لكيفيته اى فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة
يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهر عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى
ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ
المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذى
هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذى اريد اظهاره
المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع
جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد ابلغوا رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا

للجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو
الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى بابرازاعتنائه تعالى بامرهما والاشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة
والتحذير عن التفريط فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها
فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم وبهم الى امتهم كما هي من غير اختلاف ولا تغليط بعد ما
ابلغها الرصد اليهم كذلك قوله تعالى **واحاط بما لديهم** اي بما عند الرصد او الرسل عليهم السلام
حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور جيء به لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالابلاغ
عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور اي سلكهم بين يديه ومن خلفه لترتيب علمه تعالى بما ذكر والحال
انه تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا **واحصى كل شيء** مما كان وما سيكون **عددا** اي
فردا فردا وهو تمييز من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شيء
وقيل حال اي معدودا محصورا او مصدر بمعنى احصى وايا ما كان ففائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء
ليس على وجه كلي اجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا على التفصيل وذلك لان اصل
الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ
بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه هذا واما ما قيل من قوله تعالى واحاط بما لديهم الخ معطوف
على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كأنه قيل قد علم ذلك واحاط بما لديهم فبمعزل من السداد عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية تسع عشرة ايات

يا ايها المزمل اي المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ على الاصل وقرئ
المزمل مخففا مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بهذا لما كان من الحالة
حيث كان عليه السلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه امر ولا يعنيه شأن فامر ان
يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عليه السلام على خديجة وقد جئث فرقا اول
ما اتاه جبريل عليه السلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل
فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصفه بالتزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما في قوله عليه السلام
لعلي رضي الله تعالى عنه حين غاضب فاطمة رضي الله تعالى عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب
قم يا ابا تراب ملاطفة واشعارا بانه غير عاتب عليه وقيل المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي حمله
والزمل الحمل وازدمله احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعليته للقيام او للامر به فان تحمله
عليه السلام لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة **قم الليل** اي قم الى الصلاة وانتصاب
الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وفتحها **الا قليلا** استثناء
من الليل وقوله تعالى **نصفه** بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل اي قم نصفه والتعبير عن النصف
المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة
القيام في اكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع اغنائه عن العائدة خلاف الظاهر **او انقص منه**
اي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الاولى **قليلا** اي نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث
لا ينحط الى نصف النصف **او زد عليه** اي زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه السلام
بين ان تقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير حالا وليس بسديد
اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء الذي ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء

القاري عنه واما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذي
هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس
الى ما هو عار عنه بالكلية ولا اعتداد بتساوي النصفين مع كونه تمحلا ظاهر اعتراف فان الحق
هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير في منه وعليه
للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل والزيادة عليه وقيل
الضميران للاقل من النصف كأنه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد
قليلا وقيل والذي يليق بجلالة التنزيل هو الاول والله اعلم بما في كتابه الجليل **ورتل
القرآن** في اثناء ما ذكر من القيام اي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف **ترتيلا** بليغا
بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا **انا سنلقي عليك** اي
سنوحي اليك وايثار الالقاء عليه كقوله تعالى **قولا ثقيلا** وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف
شاقة ثقيلة على المكلفين لا سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام مأمور
بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه عليه السلام من
القيام وقيل معنى كونه ثقيلا انه رزين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على التأمل فيه
لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار
او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضي الله عنهما اذا انزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له
جلده عن عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه
وان جبينه ليرفض عرقا **ان ناشئة الليل** اي ان النفس التي تنشأ من مضجعها اي
العبادة اي تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض او ان قيام الليل على ان الناشئة مصدر
مصدر من نشأ كالعاقبة فان العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ان ساعات
الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ **هي اشد
وطئا** اي هي خاصة اشد ثبات قدم او كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء اي
اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اريد بها النفس او يواطئ فيها قلب النائم لسانه ان
اريد بها العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص **واقوم
قيلا** واشد مقالا واثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات **ان لك في النهار سبحا
طويلا** اي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة
فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي
وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه **و
اذكر اسم ربك** ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد
وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم **وتبتل اليه** اي وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق
العزيمة في مراقبته حيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه السلام عن العوائق الصادة
عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل **تبتيلا** مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية
الفواصل **رب المشرق والمغرب** مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره لا اله الا هو
وقرئ بالجر على انه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه **لا اله الا هو** و
الفاء في قوله تعالى **فاتخذه وكيلا** لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية
والربوبية به تعالى **واصبر على ما يقولون** مما لا خير فيه من الخرافات **واهجرهم هجرا جميلا**

بان يجانبهم ولا يداريهم ولا يكافئهم ويكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى وذرني
والمكذبين اي دعني واياهم وكل امرهم الي فاني اكفيكهم اولي النعمة ارباب التنعم وهم صناديد
قريش ومهلهم قليلا زمانا قليلا ان لدينا انكالا جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل
للامر اي ان لدينا امورا مضادة لتنعمهم وجحيما وطعاما ذا غصة ينشب في الحلوق ولا يكاد
يساغ كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا اخر من العذاب مؤلما لا يقادر قدره ولا يدرك
كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اي تضطرب وتتزلزل
ظرف للاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اي عذابا واقعا يوم ترجف
وكانت الجبال مع صلابتها وارتفاعها كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل
بمعنى مفعول مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر وا سيل انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا
شاهدا عليكم يشهد يوم القيمة بما صدر منكم من الكفر والمعاصي كما ارسلنا الى فرعون رسولا
هو موسى عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخوله في التشبيه فعصى فرعون الرسول الذي ارسلناه
اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه
قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى فاخذناه
اخذا وبيلا خارج من التشبيه جيء به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ما حاق به لا محالة والوبيل
الثقيل الغليظ من قولهم كلا وبيل اي وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخم فكيف
تتقون اي كيف تقون انفسكم ان كفرتم اي بقيتم على الكفر يوما اي عذاب يوم يجعل الولدان
من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي شيبا شيوخا جمع اشيب اما حقيقة او تمثيلا
واصله ان الهموم والاهوال اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب وقد يجوز
ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك السماء منفطر اي منشق وقرئ منفطر متشقق
والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت
حقيقتها وزال عنها اسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشيء وقيل لتاويل السماء بالسقف
وقيل هو من باب النسب اي ذات انفطار والباء في قوله تعالى به مثلها في فطرت العود با
لقدوم كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله او اليوم وهو مضاف
الى مفعوله ان هذه اشارة الى الايات المنطوية على القوارع المذكورة تذكرة موعظة فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته تعالى
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل منهما استعير له الادنى لما ان المسافة
بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى
وقرئا بالجر عطفا على ثلثي الليل وطائفة من الذين معك اي ويقوم معك طائفة من
اصحابك والله يقدر الليل والنهار وحده لا يقدر على تقديرهما احد اصلا فان تقديم
الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى علم
ان لن تحصوه اي علم ان الشان لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات
ابدا فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه فاقرءوا ما تيسر
من القرآن فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقرآن كما عبر عنها
بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم
نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة اية من القرآن

في ليلة

في ليلة لم يحاسب وقيل من قرأ مائة اية كتب من القانتين وقيل خمسين اية علم ان سيكون منكم
مرضى استئناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف واخرون يضربون في الارض
يسافرون فيها للتجارة يبتغون من فضل الله وهو الربح وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم
واخرون يقاتلون في سبيل الله واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعي الى الترخيص
فاقرءوا ما تيسر منه من غير تحمل المشاق واقيموا الصلاة اي المفروضة واتوا الزكوة الواجبة
وقيل هي زكاة الفطر اذ لم يكن بمكة زكوة ومن فسرها بالزكوة المفروضة جعل اخر السورة مدنية
واقرضوا الله قرضا حسنا اريد به الانفاقات في سبيل الخيرات او اداء الزكوة على احسن الوجوه
وانفعها للفقراء وما تقدموا لانفسكم من خير اي خير كان مما ذكر وما لم يذكر تجدوه عند الله
هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوا وهو
تاكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من في حكم المعرفة ولذلك يمتنع حرف التعريف وقرئ
هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في كافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو من تفريط
ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون ايات

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي اول سورة نزلت روي عن
جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك
رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين
السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل
جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري انه قال اول ما نزل سورة اقرأ الى قوله ما لم يعلم فحزن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عليه السلام وقال
انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع
من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان
سموه واذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية
وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره اي الذي على الاصل قم اي من مضجعك او قم
قيام عزم فانذر اي فافعل الانذار واحدثه وقيل انذر قومك لقوله تعالى وانذر عشيرتك
الاقربين او جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا
ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة
وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ما كان
اي اي شيء حدث فلا تدع تكبيره اي الله تعالى ان المقصود الاول من الانذار والقيام ان يكبر
ربه وينزهه عن الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع من جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق
بجنابه وثيابك فطهر مما ليس بطاهر فانه واجب في الصلاة واولى واحب
في غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها ايضا
فان طولها يؤدي الى جرها على القاذورات وهو اول ما امر به عليه السلام من رفض

العادات المذمومة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات
يقال فلان طاهر الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومكارم الاخلاق والرجز
فاهجر اي واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الاثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان
كالذكر والذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعطه مستكثرا اي لا تعطيه او طالبا للكثير على انه نهي عن
الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو
جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله
صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق واحسن الاداب او للتنزيه
وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا لحال الوقف او ابدال من تمنن كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر
على انه من المن الذي في قوله تعالى منا ولا اذى لان من من لا يعطي مستكثرا وبما يعتد به وقرئ
بالنصب باضمار ان مع عملها كقول من قال الا ايها الزاجري احضر الوغاء وقرئ باثباتها
ويجوز في قراءة الرفع ان تحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغا بالرفع ولربك اي لوجهه تعالى
فاصبر فاستعمل الصبر وقيل على اذى المشركين وقيل على اداء الفرائض فاذا نقر في الناقور
اي نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء
للسببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه
والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر
على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
ببعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير
متمكن والخبر يوم عسير وعلى متعلقة وقيل يومئذ ظرف للخبر والتقدير وذلك الوقت وقوع يوم
عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة للعسير او حال من المستكن فيه وقوله تعالى
غير يسير تاكيد يسر عليهم فيشعر بيسره على المؤمنين واختلف في ان المراد به يوم النفخة الاولى
او الثانية والحق انها الثانية وهي التي يختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذي
هو الاصعاق يعم البر والفاجر على انها مختصة بمن كان حيا حينئذ وقد جاء في الاخبار ان في
الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من
ثقبه روح الى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى ذرني ومن خلقت
وحيدا حال اما من الياء او ذرني وحدي معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اي خلقته
وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اي ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا
ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف له
عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه لكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه
لانه كان زنيما كما او وحيدا في الشرارة وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدودا
بالنماء من مراله وهو من نهر اخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له في الطائف بستان لا ينقطع
ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف دينار وقال قتادة
ستة الاف دينار وقال سفيان الثوري اربعة الاف دينار وقال الثوري الف الف دينار و
بنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لكونهم
مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا في الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل
كان عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة

وهشام والعاص والقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا
وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ثم يطمع ان ازيد
على ما اوتيه وهو استبعاد واستنكار لمعاندته المنعم وقيل انه كان يقول ان كان
محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب
وقوله تعالى انه كان لاياتنا عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقي فان معاندة
ايات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي
استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه صعودا
ساغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة او الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب
الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع
يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله
عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر
وقدر تعليل للوعيد او بيان لعناده لاياته تعالى اي فكر ماذا يقول في شان
القرآن وقدر في نفسه ما يقوله فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض
الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية لما كرروه من قولهم قتل
كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله
ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك
روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من
كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما
يعلى فقال قريش صبا والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال ابن اخيه ابو جهل انا
اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل
رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى
شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم
قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه
وما الذي يقوله الا سحر يؤثره عن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين
منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد
على اصلها من التراخي الزماني ثم نظر اي في القرآن مرة بعد مرة ثم عبس قطب وجهه لما
لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ما ذا يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قطب في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر اي يروى ويتعلم والفاء
للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث وتلبث وقوله تعالى ان
هذا الا قول البشر تاكيد لما قبله ولذلك لم يعطف سأصليه سقر بدل من سارهقه
صعودا وما ادريك ما سقر اي شيء اعلمك ما سقر فما الاولى مبتدأ وادريك خبره وما الثانية
خبر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتعظيم وسقر مبتدأ اي اي شيء هي في وصفها
لما مر ان ما قد يطلب بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى
لا تبقي ولا تذر بيان لوصفها وحالها وايجاز للوصف الضمني الذي يلوح به وما ادريك ما

وقيل حال من سقر وليس بذاك اي لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي
على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة للبشر مغيرة لاعالي الجلد مسودة لها
قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين و
قرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اي ملكا او صنفا او صفا او نقيبا من الملائكة
يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ بسكون عين عشر حذرا من توالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد
وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن وما جعلنا اصحاب النار اي المدبرين لامرها القائمين
بتعذيب اهلها الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق
واقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى واشدهم باسا عن النبي صلى الله عليه وسلم لاحدهم
مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزل
عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد ابن اسيد
كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فنزلت اي ما جعلناهم رجالا
من جنسكم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي ما جعلنا عددهم الا العدد الذي تسبب لافتتانهم
وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين في نفس
الامر بل جعله في القرآن ايضا كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم
لتولي هذا العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سياتي من استيقان اهل الكتاب
وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى
الحيوانية الاثني عشر والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفرة وكل صنف
يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف او صف يتولاه
وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون
خمسة منها معروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ به من انواع العذاب يتولاه الزبانية
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب متعلق بالجعل على المعنى المذكور اي ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه الصلوة
والسلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا اي
يزداد ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك
الى ايمانهم بسائر ما انزل ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون تاكيد لما قبله من الاستيقان
وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب
في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من
اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم
باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده
ورسوخهم في ذلك وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بما سيكون في
المدينة بعد الهجرة والكافرون المصرون على التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي اي شيء اراد بهذا
العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب وافراد قولهم
هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة كذلك يضل الله من يشاء
اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه ثم قدم
على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف
اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لايات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء

هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الايات الى جانب الهداية لا اضلالا وهداية ادنى منهما وما يعلم
جنود ربك اي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات
والوقوف على حقايقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة
وما هي اي سقر او عدة خزنتها او الايات الناطقة باحوالها الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا
ردع لمن انكرها او انكار ونفي لان يكون لهم تذكرة والقمر والليل اذ ادبر وقرئ اذا دبر اذا ادبر بمعنى دبر
كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه والصبح اذا
اسفر اي اضاء او انكشف انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر
جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع في جمع القا
صعاء كانها جمع قاصعة اي لاحدى البلايا او لاحدى الدواهي الكبر على معنى ان البلايا الكبر او الدواهي الكبر
كثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظيرة لها نذيرا للبشر تمييز لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه
الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه خبر بعد خبر لان او لمبتدا محذوف لمن شاء منكم ان يتقدم
او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى او لم يشأ ذلك فيضله
وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتاخر مبتدا فيكون قوله تعالى فمن شاء فليكفر كل نفس رهينة
مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة والا لقيل رهين
لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء الا اصحاب اليمين فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم
كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله
الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم في
جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كانه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل
من ضميرهم في قوله تعالى يتساءلون وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم ان يسال بعضهم بعضا على ان يكون
كل واحد منهم سائلا ومسئولا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت
في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا
كما في قولك تراءى القوم اي رأى كل واحد منهم الاخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني ويقصد بها الدلالة على الاول
فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال لمعنى يتساءلون عن المجرمين يسألونهم عن احوالهم
وقد يحذف المسئول لكونه عين المسئول عنه وقوله تعالى ما سلككم في سقر مقدر بقول هو حال من فاعل
يتساءلون اي يسألونهم قائلين اي شيء ادخلكم فيها فتامل ودع عنك ما تكلف فيه المتكلفون قالوا اي المجرمون
مجيبين للسائلين لم نك من المصلين للصلوات الواجبة ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار نفي الاطعام
لا على نفي استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة وكنا نخوض
مع الخائضين اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم الجزاء اضافه
الى الجزاء مع ان فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد مضت
بقية الدواهي وتاخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها فانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين
بيوم الدين وبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى اخر عمرهم حسبما نطق
به قولهم حتى اتانا اليقين اي الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا
والفاء في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب
على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار

الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اى فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاى شئ حصل لهم
معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتاخذ الدواعى الى الايمان به وقوله تعالى
كانهم حمر مستنفرة حال من المستكن فى معرضين بطريق التداخل اى مشبهين بحمر نافرة
فرت من قسورة اى من اسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هى جماعة الرماة الذين
يتصيدونها شبهوا فى اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت
فى نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد كل امرء
منهم ان يؤتى صحفا منشرة عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة
ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتى كل واحد منا بكتب من السماء
عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل
علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا ردع لهم عن تلك الجراة
بل لا يخافون الآخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف لهم عن اعراضهم
انه اى القرآن تذكرة واى تذكرة فمن شاء ان يذكره ذكره وحاز بسببه
سعادة الدارين وما يذكرون بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى
فمن شاء ذكره اذ لا تاثير لمشيئة العبد وارادته فى افعاله وقوله تعالى الا ان يشاء الله
استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال اى وما يذكرون بعلة من العلل او فى حال من الاحوال
الا بان يشاء الله ذلك وهذا تصريح بان افعال العباد بمشيئة الله عز وجل وقرئ تذكرون
على الخطاب التفاتا وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى اى حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن
به ويطاع واهل المغفرة حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه الصلاة
والسلام وكذب به

سورة القيمة مكية وهى تسع وثلاثون ايات

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم
قالوا انها صلة مثلها فى قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هى للنفى لكن لا لنفى نفس الاقسام
بل لنفى ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كان معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه باقسامى
به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل من ان المعنى نفى الاقسام لوضوح
الامر فقد عرفت ما فيه فى قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفى ورد لكلام معهود
قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اى ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيمة كقولك لا والله
ان البعث حق واياما كان ففى الاقسام على تحقق البعث بيوم القيمة من الجزالة ما لا مزيد عليه
وقد مر تفصيله فى سورة يس وسورة الزخرف ولا اقسم بالنفس اللوامة اى بالنفس
المتقية التى تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن فى التقوى وفيه طرف من البراعة التى فى القسم
السابق او بالنفس التى لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت فى الطاعات او بالنفس المطمئنة
اللائمة للنفس الامارة وقيل بالجنس لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة و
لا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت

يا ليتنى كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام
بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل
بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تتلوم على فعلها الذى خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه
قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن والمراد بالانسان الجنس
والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف
اى ايحسب ان الشأن لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تفرقها ورجوعها
رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها فى اقطار الارض والقتها فى
البحار وقيل ان عدى بن ابى ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبى صلى الله عليه
وسلم يقول فيهما اللهم اكفنى جارى السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثنى عن يوم
القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم
لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام بلى اى نجمعها حال كوننا قادرين على ان نسوى بنانه
اى نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او
على ان نسوى اصابعه التى هى اطرافه وآخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اى نحن قادرون بل يريد
الانسان ليفجر امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك
الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام اى بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين
يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه يسئل ايان يوم القيمة اى متى يكون
استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر اى تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش
بصره وقرئ بفتح الراء وهى لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اى انفتح وانفرج
وخسف القمر اى ذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر بان يطلعهما الله
من المغرب وقيل جمعا فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران فى النار
وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اى يوم اذ تقع هذه الامور اين
المفر اى الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اى موضع الفرار وقد جوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع
كلا ردع عن طلب المفر وتمنيه لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه
وتخلصت به فهو وزرك الى ربك يومئذ المستقر اى اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه
استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤ الانسان
يومئذ اى يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال بما قدم اى عمل من عمل خيرا كان او شرا
فيثاب بالاول ويعاقب بالثانى واخر اى لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثانى او بما
قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به فى حياته
وبما اخر فخلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة اى حجة
بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتى من الجملة
الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا
مبصرة او عين بصيرة والتاء للمبالغة ومعنى بل الترقى اى ينبؤ الانسان باعماله بل هو يومئذ
عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك ولو القى معاذيره
اى ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن فى بصيرة او من مرفوع
ينبؤ اى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة

او ينبئ بما عاد ولو اعتذر الحاضر والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم للمنكر وقيل هو جمع للمعذار
وهو الستر اى ولو ارخى ستوره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحى نازع جبريل
عليه السلام بالقراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر عليه السلام
بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحى ثم يعقبه بالدراسة الى ان يرسخ
فيه فقيل لا تحرك به اى بالقرآن لسانك عند القاء الوحى لتعجل به اى لتأخذه على عجلة مخافة
ان يتفلت منك ان علينا جمعه فى صدرك بحيث لا يذهب عليك شئ من معانيه وقرآنه
اى اثبات قراءته فى لسانك فاذا قرأناه اى اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد
القراءة الى نون العظمة للمبالغة فى ايجاب التالى فاتبع قرآنه فكن مقفيا له ولا تراسله
ثم ان علينا بيانه اى بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه كلا ردع له صلى الله عليه
وسلم عن عادة العجلة وترغيب له فى الاناءة واكد ذلك بقوله بل تحبون العاجلة
وتذرون الآخرة على تعميم الخطاب للكل اى بل انتم يا بنى آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم
عليه تعجلون فى كل شئ ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الا
غترار بالعاجل فيكون جمع الضمير فى الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على بنية
الغيبة وجوه يومئذ ناضرة اى وجوه كثيرة النور والنور وهى وجوه المخلصين المؤمنين يوم
اذ تقوم القيمة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على ان وجوه مبتدأ وناضرة خبره و
يومئذ منصوب بناضرة وناظرة فى قوله تعالى الى ربها ناظرة خبر ثان للمبتدأ او نعت
لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصح وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام تفصيل على ان
ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب
الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه ان يخبر به ومعنى كونها
ناظرة الى ربها انها تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف
ولا على جهة وليس هذا فى جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان
الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى
ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس وهى وجوه الكفرة تظن تتوقع اربابها ان يفعل
بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة اى ارتدعوا
عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذى ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة
اذا بلغت التراقى اى بلغت النفس اعالى الصدر وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال
وقيل من راق اى قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو
من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقى وظن انه
الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها والتفت الساق بالساق و
التفت ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة
اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان فى اكفانه الى ربك يومئذ المساق اى الى الله
والى حكمه يساق لا الى غيره فلا صدق ما يجب تصديقه من الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن
العظيم الذى نزل عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان
المذكور فى قوله تعالى ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى
حق المؤاخذة كما مر ولكن كذب ما ذكر من الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم

وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون
اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى اى ويل لك اصله اولاك الله ما تكرهه
واللام مزيدة كما فى ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل هو افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون
او فعلى من آل يؤل بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اى يتكرر عليه ذلك مرة بعد اخرى ايحسب
الانسان ان يترك سدى اى يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك فى قبره فلا يبعث وقوله
تعالى الم يك نطفة من منى يمنى الى آخره استئناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره
لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان علقة اى بقدرة الله تعالى
لقوله تعالى ثم جعلنا النطفة علقة فخلق اى فقدر بان جعلها مضغة مخلقة فسوى فعدل وكمل نشأته
فجعل منه اى من الانسان الزوجين اى الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين أليس ذلك
العظيم الشأن الذى انشأ هذا الانشاء البديع بقادر على ان يحيى الموتى وهو اهون من البدء فى
قياس العقل روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عليه الصلوة والسلام
من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة صدق رسول الله و

سورة الدهر احدى وثلثون آيات مكية

هل اتى استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل أهل أتى على الانسان قبل زمان قريب
حين من الدهر اى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا
غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اى غير مذكور
او صفة اخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف اى لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس فالا
ظهار فى قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة التقرير او آدم عليه السلام وهو المروى
عن ابن عباس وقتادة والثورى وعكرمة والشعبى قال ابن عباس فى رواية ابى صالح عنه مرت به اربعون
سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفى رواية الضحاك عنه انه خلق من طين
فاقام اربعين سنة ثم من حمأ مسنون فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين سنة
فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردى عن ابن عباس رضى الله عنهما
ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه
عليه السلام والثانى بيان خلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته
وصف النطفة به لان المراد بها مجموع المائين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظة
وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد
ويخلق بينهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء
المرأة قال القرطبى وقد روى هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل امشاج الوان و
اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى نبتليه حال من فاعل
خلقنا اى مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتى او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة
كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما نصرفه فى بطن امه نطفة ثم علقة الى آخره فجعلناه سميعا
بصيرا ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب من
الابتلاء ولذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل
بانزال الآيات ونصب الدلائل اما شاكرا واما كفورا حالان من مفعول هديناه اى
مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية فى حالتيه جميعا او للتفصيل او التقسيم

اي هديناه الى ما يوصل اليها في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم
كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا او كفورا على وصف السبيل بوصف
سالكه مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب اي اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد
اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بان الانسان قلما
يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط انا اعتدنا للكافرين من افراد الانسان الذي
هديناه السبيل سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون
وتقديم وعيدهم مع تأخيرهم للجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
فاما الذين اسودت وجوههم الاية ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين
احسن على ان في وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا
للتناسب ان الابرار شروع في بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين و
ايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر او بار
كرب وارباب وشاهد واشهاد وقيل هو من يبر خالقه اي يطيعه وقيل من يمتثل بامره تعالى
وقيل من يؤدي حق الله تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر يشربون من
كاس هي الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى
الثاني تبعيضية او بيانية كان مزاجها اي ما يمزج به كافورا اي ماء كافور وهو اسم عين
في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كاس وقوله تعالى عينا
بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور
وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير
مضاف اي يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تعالى يشرب بها عباد الله صفة
عينا اي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من
وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن ابي عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكاس والمعنى يشربون
العين بتلك الكاس يفجرونها تفجيرا اي يجرونها حيث شاؤا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم
بل يجري جريا بقوة واندفاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله يوفون بالنذر استئناف مسوق لبيان
ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كأنه قيل ماذا
يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله تعالى
عليهم ويخافون يوما كان شره عذابه مستطيرا فاشيا منتشرا في الاقطار غاية
الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون
الطعام على حبه اي كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تعالى لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون ذلك بطيب النفس او كائنين على حب الله
تعالى او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سيأتي من قوله تعالى لوجه الله تعالى
مسكينا ويتيما واسيرا اي اسير الكفار فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالاسير فيدفعه
الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله
على ارادة قول هو في موقع الحال من فاعل يطعمون اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال
ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة الصديقة
رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول المبعوث ما ذا قالوا

قالوا فاذا ذكروا دعا ثم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا وهو تقرير وتأكيد لما قبله انا نخاف من ربنا يوما
اي عذاب يوم عبوسا تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في الشدة والضراوة قمطريرا
شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم
ارادة الجزاء والشكور اي انا نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما فوقاهم الله شر ذلك اليوم
بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم
نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة
هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا يأكلون منه ما شاؤا وحريرا
يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا
فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا لعلي رضي الله عنه لو نذرت على ولدك فنذر
علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهما
شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها
صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال
السلام عليكم اهل بيت محمد انا مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة
فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف
عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن
والحسين رضي الله عنهما فاقبلوا الى النبي فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع
قال عليه الصلوة والسلام ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد
التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها
يا محمد هناك الله تعالى في اهل بيتك فاقرأه السورة متكئين فيها على الارائك حال من هم
في جزاهم والعامل فيه جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك هي السرر في الحجال وقوله
تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اما حال ثانية من الضمير او من المستكن في متكئين و
المعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى
ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها عطف على ما قبلها
حال مثلها او صفة لمحذوف معطوف على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها
على انهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ دانية بالرفع على
انه خبر لظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان
ظلالها دانية قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة
في التنعيم على معنى انه لو كان هناك شمس مؤذية لكانت اشجارها مظلة عليهم مع انه لا شمس
ثمة ولا قمر وذللت قطوفها تذليلا اي سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل اخذها من الذل
وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم مذللة قطوفها او معطوفة
على دانية اي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة فعلية معطوفة
على جملة اسمية ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب الكوب الكوز العظيم الذي
لا اذن له ولا عروة كانت قواريرا قواريرا من فضة اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة
وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة الاكواب وقرئ بتنوين قوارير الثاني ايضا

وتربا بين تنوينه وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير قدروها تقديرا صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها انهم
قدروها في انفسهم وارادوا ان يكون على مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او
قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف
عليهم فالمعنى قدروا اشرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها على البناء للمفعول اي جعلوا قادرين لها
كما شاؤا فان قدر منقول من قدرت الشي ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا اي ما يشبه
الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج اطيب ما تستطيبه العرب الزما وتستلذه عينا بدل من
زنجبيل وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا حينئذ بدل من كاسا
كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او نصب على الاختصاص فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة
انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة
الباء والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعة بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة
ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء اذا رايتهم
حسبتهم لؤلؤا منثورا لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم
ومنازلهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض واذا رايت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر
ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة رايت نعيما وملكا كبيرا اي هنيئا واسعا
وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال
له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم عاليهم ثياب
سندس خضر يعلوهم عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدا مؤخر والجملة صفة اخرى لولدان
كانه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الى اخره وقيل حال من ضمير عليهم او حسبتهم اي يطوف
عليهم ولدانا عاليا للمطوف عليهم ثياب الى اخره وحسبتهم لؤلؤا منثورا عاليهم الى اخره وقرئ عاليهم
بالرفع على انه مبتدا خبره ثياب اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على
سندس بالمعنى لكونه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثاني
وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل
علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله
تعالى اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف حسب اختلاف
اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة
او حال من ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين وسقاهم ربهم
شرابا طهورا هو نوع اخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين
ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الملازم للصور الحسية والركون الى ما سوى
الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القصوى القاصية من منازل
الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار ان هذا على اضمار القول اي يقال لهم ان
هذا الذي ذكر من فنون الكرامات كان لكم جزاء بمقابلة اعمالكم الحسنة وكان سعيكم
مشكورا مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا اي مفرقا
منجما لحكمة بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان فاصبر لحكم ربك
بتاخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ولا تطع منهم اثما او كفورا اي كل واحد
من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي لك اليه واو للدلالة على انهما سيان في

في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر
بعليتهما له فلا بد ان يكون النهي عن الاطاعة في الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الاثم عتبة
فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة
في العتو واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره في جميع الاوقات او دم على صلوة الفجر
والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعله صلوة المغرب
والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد كلفة وخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له قطعا
من الليل طويلا ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة وينهمكون في لذاتها الفانية ويذرون وراءهم
اي امامهم لا يستعدون له او ينبذون وراء ظهورهم يوما ثقيلا لا يعباون به ووصفه با
الثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه
نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا اسرهم اي احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم
بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا ريب فيه هو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله
يستبدل قوما غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة اشارة الى السورة و
الايات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي فمن شاء ان يتخذ اليه سبحانه سبيلا اي وسيلة
توصله الى ثوابه اتخذه اي تقرب اليه بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله
تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اي وما تشاؤن
اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيته تعالى تحصيله لكم اذ لا
دخل لمشيته العبد الا في الكسب وانما التاثير والخلق لمشيته الله عز وجل وقرئ يشاؤن بالياء وقرئ
الا ما يشاء الله وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيته مبنية على اساس العلم والحكمة
والمعنى انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستاهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه ويقتضيه حكمته
وقوله تعالى يدخل من يشاء في رحمته بيان لاحكام مشيته المترتبة على علمه وحكمته اي يدخل
في رحمته من يشاء ادخاله فيها وهو الذي يصرف مشيته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما
يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة والظالمين وهم الذين صرفوا مشيتهم الى خلاف
ما ذكر اعد لهم عذابا اليما اي متناهيا في الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما
قبله منصوب اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وقرئ بالرفع
على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا اقسام من الله تعالى بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره
فعصفن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالامر وبطوائف اخرى نشرن
اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الاقطار او نشرن النفوس الموتى
بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين
او نذرا للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها
غاية للالقاء حقيقية بالاعتناء بها او للاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل

بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوف بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو جئ بهن
على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر لا الاستحقاق
او اقسام برياح ارسلهن فعصفن ورياح رحمة نشرت السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله
فيجعله كسفا او سحائب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن ساير الاصناف بالشكل و
اللون وساير الخواص او فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا او عذرا
للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لاثار رحمته تعالى في الغيث ويشكرونه
واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الانواء واسناد القاء الذكر اليهن بكونهن سببا في حصوله
اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسام بايات القران المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعصفن ساير الكتب بالنسخ ونشرن اثار الهدى في مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين
الحق والباطل فالقين ذكر الحق في اكناف العالمين والعرف اما نقيض النكر وانتصابه على العلة
اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب المعروف الى الانبياء عليهم السلام
والمؤمنين او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال والعذر والنذر مصدران لعذر
اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا او على العلة وقرئ بالتثقيل
انما توعدون لواقع جواب القسم اي ان الذي توعدونه من مجيء القيمة كائن لا محالة
فاذا النجوم طمست محيت ومحقت وذهب بنورها واذا السماء فرجت صدعت
وفتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف
ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مقارها بسرعة من انتسفت الشيء اذا
اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت اي عين
لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحصوله اذ لا يتعين
لهم قبله او بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما
لاي يوم اجلت مقدر بقول هو جواب لاذا في قوله تعالى واذا الرسل اقتت او حال
من مرفوع اقتت اي يقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك
اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي
يفصل فيه بين الخلائق وما ادريك ما يوم الفصل ما مبتدأ وادريك خبره اي اي شيء جعلك
داريا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم
الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل
بعيد عكسه ويل يومئذ للمكذبين اي في ذلك اليوم الهائل وويل في الاصل مصدر منصوب
ساد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ
ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود واضرابهم لتكذيبهم به وقرئ
نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الاخرين بالرفع على ثم نحن نتبعهم الاخرين
من نظرائهم السالكين لسلكهم في الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم نتبعهم
وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد بالاخرين المتاخرين هلاكا من المذكورين كقوم
لوط وشعيب عليهما السلام كذلك مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بالمجرمين اي سنفعل بكل من اجرم
على ذلك ويل يومئذ للمكذبين بايات الله تعالى وانبيائه وليس بتكرير
لما ان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا لعذاب الدنيا الم نخلقكم اي الم نقدركم من ماء مهين

اي من نطفة قذرة مهينة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم اي مقدار معلوم
من الوقت الذي قدره الله تعالى للولادة تسعة اشهر او اقل منها او اكثر فقدرنا اي فقدرناه
وقرئ مشددا او فقدرنا على ذلك على ان المراد بالقدرة ما يقارنه وجود المقدور بالفعل فنعم القا
درون نحن ويل يومئذ للمكذبين لقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا الكفات
اسم لما يكفت اي يضم ويجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع اي الم نجعلها
كفاتا تكفت احياء كثيرة على ظهرها احياء وامواتا غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به
للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار ارتفاعها وقيل
بتنكير احياء وامواتا لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية
من محذوف اي كفاتا تكفتكم احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي اي جبالا ثوابت شامخات
طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كذا وذوالجن واشهر معلومات و
تنكيرها للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء فراتا بان خلقنا فيها انهارا
ومنابع ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم العظيمة انطلقوا خصوصا الى ظل اي ظل دخان جهنم
كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا
او كرها الى ظل ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ذي ثلاث شعب كما هو شان الدخان العظيم تراه يتفرق
ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم
حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار
القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة
الغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة
فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ الظل ولا
يغني من اللهب اي غير مغن لهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور
في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر وهي اعناق الابل
او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ كالقصر جمع قصرة كانه جمالة
قيل هو جمع جمال او جمالة جمع جمل وقيل اسم جمع كالحجارة صفر فان الشرار بما فيه من النارية
يكون اصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع
والاختلاط والحركة وقرئ جمالات جمع جمالة وجمالات بالضم جمع جمالة وهو الحبل الغليظ من حبال السفن و
قلوس الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اشارة الى وقت
دخولهم النار اي هذا يوم لا ينطقون فيه لان السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيامة طويل له
مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت منها باليوم او لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك كلا
نطق وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن ليدل
على نفي الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن ويل
يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم
والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم
وتقتدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين
اذ ظهر لهم ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب ان المتقين من الكفر والتكذيب في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون
اي مستقرون في انواع الترفه وانواع النعم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون مقدرا بقول هو حال من ضمير
المتقين في الظرف اي مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة انا كذلك اي مثل ذلك

للجزاء العظيم يجزي المحسنين اي في عقايدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منه ويل يومئذ للمكذبين حيث نال اعداؤهم
هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال
من المكذبين اي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفاني
عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على ان كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستانف
خوطب المكذبون في الدنيا بعد ما لحالهم وقرر ذلك بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ
والتقريع واذا قيل لهم اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا
هذا الاستكبار والنخوة اركعوا لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار
وقيل اذا امروا بالصلوة والركوع لا يفعلون اذ روي انه نزل حين امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه
ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين
وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة فباي حديث بعده اي بعد القران الناطق
باحاديث الدارين واخبار النشاتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة
يؤمنون اذا لم يؤمنوا به على الخطاب عن النبي عم من قرا سورة المرسلات كتب انه ليس من المكذبين

سورة النبأ مكية وهي اربعون آية

عم اصله عما فحذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها او قصدا للخفة لكثرة استعمالها وقد قرئ
على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شان المسؤل عنه وهوله وخروجه عن حد الاجناس المعهودة
اي عن اي شيء عظيم الشان يتساءلون اي اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا
واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من احواله ووصف
من اوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقايق الاشياء ومسميات اسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح
لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب وقيل كانوا يسالون عنه الرسول صلى الله عليه وسلم
استهزاء كقولهم يتداعونهم ويترامونهم وتحقيقه ان صيغة التفاعل في الافعال المتعدية موضوعة لافادة صدور
الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر حينئذ للفعل مفعول متعدد كما في المثال المذكور او واحد
وقد يحذف لظهوره كما في ما نحن فيه فالمعنى عن اي شيء يسال هؤلاء القوم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
وربما يجرد عن صدور الفعل عن المتعدد ايضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله
تعالى فبأي آلاء ربك تتمارى وقوله تعالى عن النبا العظيم بيان لشان المسؤل عنه اثر تفخيمه بابهام امره
وتوجيه اذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب
للتنبيه على انه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دايرة علوم الخلق خليق بان يعتنى بمعرفته ويسال
عنه كانه قيل عن اي شيء يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبا العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان مراعاة لترتيب السؤال هذا
هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ عمه والاظهر انه
مبني على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبا العظيم وقد قيل عن الثانية استفهام
مضمر كانه قيل عما يتساءلون عن النبا العظيم والنبا الخبر الذي له شان وخطر وقد وصف بقوله تعالى الذي هم فيه
مختلفون بعد وصفه بالعظم تاكيدا للخطر اثر تاكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم
عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اي هم راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم
باستحالته يقول ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن
بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل

الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله
على الاختلاف بالنفي والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين
ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى كلا سيعلمون الخ فانه
صريح في ان المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له اذ عليهم يدور الردع والوعيد لا على المؤمنين ايضا وتخصيصهما
بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله هذا
ما ادى اليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي
صلى الله عليه وسلم بان يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فان الافتعال
والتفاعل صيغتان متواخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى غير ذلك يجري في كل منهما
ما يجري في الاخرى لا على انه بعضهم لبعض لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما
ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقيقة في شيء منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته عليه السلام فكلا ردع
لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستيناف وتعليل للردع والسين
للتقريب وللتاكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه الآية
فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن لقائها
بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال
اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التاكيد والتشديد
وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة وقيل الاول للبعث والثاني
للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع
والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى الم نجعل
الارض مهادا والجبال اوتادا الخ استيناف مسوق لتحقيق النبا المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد
الناطقة بحقيقته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القرآن
او نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة
في الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية
للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها ارساها بها كما يرسى البيت بالاوتاد وخلقناكم عطف على المضارع
المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة اما جعلنا الخ فان الهمزة على ما يقتضيه الانكار التقرير فانه في قوة ان يقال قد
جعلنا ازواجا اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاش والمعاد ويتسنى
التناسل وجعلنا نومكم سباتا اي موتا فانه احد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع احكام
الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في
منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لازاحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام
كما ستعرفه وجعلنا الليل الذي يقع فيه النوم غالبا لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل
المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد ادخل
فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى وجعلنا
النهار معاشا اي وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذي هو اخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذي جعل لكم
الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من عدو
او بياتا له او نحو ذلك لا يناسبه المقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل
المعايش والحوائج وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الدهور
وكون المقصود والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف
على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة

لله فاذا اورده عليها يمكن عندها فضل تمكن **وجعلنا سراجا وهاجا** هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الاية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واياما كان فنفيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء اخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الاية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلالئ من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء **وانزلنا من المعصرات** هي السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنا حيضها او الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات سواء اريد بها السحائب او الرياح فقد كان بها كما يقال اعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه ان الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصلح ان تجعل مبدا للانزال **ماء ثجاجا** اي منصبا بكثرة يقال ثج الماء اي سال بكثرة وثجه اي اساله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجح الماء مصابه **لنخرج به** بذلك الماء **حبا** يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما **ونباتا** يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تاخره عن النبات في الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الانسان **وجنات** الجنة في الاصل هي المرة من مصدر جنه اذا ستره يطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير بن ابي سلمى

كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا

وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى **الفافا** اي ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف ككلف واكنان او لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم بان فيما ذكر من افعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيقته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كانه قيل الم نفعل هذه الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجب للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون منه استهزاء وقوله تعالى **ان يوم الفصل كان ميقاتا** شروع في بيان سر تاخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قايلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا اي ان يوم فصل الله عز وجل بين الخلايق كان في علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين والاخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتاخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه ولا ريب في ان ما عد من التراكيب ... على ان الدنيا ستنتهي عند النفخة الاولى

يوم ينفخ في الصور اي نفخة ثانية بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تاخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع في مبداه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه واثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة واحدة لا يبقى عندها في الحياة غير من شاء الله وذلك قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر بالاخرى فينفخ نفخة فلا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والفاء في قوله تعالى **فتاتون افواجا** فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فتبعثون من قبوركم فتاتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا افواجا اي امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم او زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله تعالى عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحشر الناس يوم القيمة فقال عليه السلام يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء الذين خالفت اعمالهم اقوالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فالذين يؤذون جيرانهم واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء **وفتحت السماء** عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقرئ فتحت بالتشديد وهو الانسب بقوله تعالى **فكانت ابوابا** اي كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد حتى صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله اي امره وباسه في ظلل من الغمام وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فتنفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء **وسيرت الجبال** اي في الجو على هيئاتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب اي تراها راي العين ساكنة في اماكنها والحال انها تمر مر السحاب التي تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحوا من الانحاء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت في غاية السرعة لا سيما من بعيد وعليه قول من قال بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى **فكانت سرابا** اي فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اي غبارا منتشرا وهي وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكون بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها

رتق نصفا فينزلها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم
تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل وبروز
الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية ان جهنم كانت مرصادا شروع في تفصيل احكام الفصل
الذي اضيف اليه اليوم اثر بيان هوله وجه تقديم بيان حال الكفار غني عن البيان والمرصاد اسم للمكان
الذي يرصد فيه كالمضمار الذي هو اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه اي
انها كانت في حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها للطاغين
متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا اي كائنا للطاغين وقوله تعالى مآبا بدل منه اي مرجعا يرجعون اليه لا
محالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز ان يتعلق بنفس
مآبا على انها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصادا لطائفة
كونها معدة لها وقيل انها مرصاد لاهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها
وهي مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى انها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ
منهم احد وقرئ ان بالفتح على تعليل قيام الساعة بانها مرصاد للطاغين لابثين فيها حال مقدرة من المستكن
في للطاغين وقرئ لبثين وقوله تعالى احقابا ظرف للبثهم اي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب
آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيها ما يدل على تناهي
تلك الاحقاب ولو اريد بالحقب ثمانون سنة وسبعون الف سنة وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا
شرابا الا حميما وغساقا جملة مبتدأة اخبر عنهم بانهم لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر
النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا بالتخفيف وهو ما يسيل من
صديدهم جزاء اي جوزوا بذلك جزاء وفاقا ذا وفاق لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة او وافقها
وفاقا وقرئ وفاقا على انه فعال من وفقه كذا اي لاقه انهم كانوا لا يرجون حسابا تعليل لاستحقاقهم الجزاء
المذكور اي كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم وكذبوا بآياتنا الناطقة بذلك كذابا اي تكذيبا مفرطا و
لذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف
وهو مصدر كذب قال فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا
اي وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب
وقرئ كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية اي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد
البليغ في الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وكل شيء من الاشياء التي من جملتها
اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره احصيناه اي حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر
مؤكد لاحصيناه لان الاحصاء والكتبة من واد واحد او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او في صحف
الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم
بالآيات وفي الالتفات المنبئ عن التشديد في التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل
ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي صلعم ان هذه الآية اشد
ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا شروع في بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال
الكفرة اي ان للذين يتقون الكفر وسائر قبائح اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم او موضع فوز وقيل نجاة
مما فيه اولئك او موضع نجاة وقوله تعالى حدائق واعنابا اي بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروما
بدل من مفازا وكواعب اي نساء فلكت ثديهن وهن النواهد اترابا اي لدات وكاسا دهاقا اي مترعة
يقال ادهق الحوض اي ملأه لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في الكاس لغوا ولا كذابا اي لا ينطقون بلغو

ولا

ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف اي لا يكذبونه او لا يكاذبه جزاء من ربك مصدر مؤكد
منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه في قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم مزيد
تشريف له عليه السلام عطاء اي تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء
حسابا صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر اقيم مقام الوصف او بولغ فيه من احسبه الشيء اذا كفاه حتى
قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرئ حسابا بالتشديد على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات
والارض وما بينهما بدل من ربك وقوله تعالى الرحمن صفة له وقيل صفة للاول وايا ما كان ففي ذكر ربوبيته
تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى لا يملكون منه خطابا استئناف مقرر لما
افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون
لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتدأ مضمر وقيل الثاني نعت للاول وقيل الاول
مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون خبر آخر وهو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الاول
مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمعناه على رأي
من يقول به والاوجه ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون الثاني نعتا للاول ولا يملكون
استئنافا على حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في الدلالة لان المرفوع او المنصوب
مدحا تابع لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة
البقرة وقرئ بجر الاول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده او على انه خبر مبتدأ مضمر وما بعده
استئناف او خبر ثان او حال او مضمر لا يملكون لاهل السموات والارض اي لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء
انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشيء من نقص
العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه وآكده وقيل ليس في ايديهم مما يخاطب الله تعالى به ويأمر به
في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه يوم
يقوم الروح والملائكة صفا قيل الروح خلق اعظم من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل
هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا اعظم منه عن ابن عباس رضه انه قال اذا كان يوم القيمة قام
هو وحده صفا والملائكة كلهم صفا وعنه عن النبي صلعم انه قال الروح جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم
رؤس وايد وارجل لا يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول ابي صالح ومجاهد قال لو ما ينزل
من السماء ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم اشراف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل
جبريل وصفا حال اي مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد كان او متعددا والملائكة صف
وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله
تعالى لا يتكلمون وقوله تعالى الا من اذن له الرحمن وقال صوابا بدل من ضمير يتكلمون العائد الى اهل
السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه و
كبرياء ربوبيته وتهويل يوم القيمة والبعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة الى مقطعها
والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى ان اهل السموات والارض اذا
لم يقدروا يومئذ على ان يتكلموا بشيء من جنس الكلام الا من اذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك
المأذون له قولا صوابا اي حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه
مراما لا على معنى ان الروح والملائكة مع كونهم افضل الخلائق واقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا
بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال

فمن سلكه مع تجويزه ان يكون يوم ظرف ليملكون فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقيل
الا من الى آخره منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك
الشخص صوابا اى حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موضع الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة
البالغة لا ان احدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى ذلك اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحله
الرفع على الابتداء خبره ما بعده اى ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين
هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال اليوم الحق اى الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا
عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول
المشية محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به حسب القاعدة
المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كأنه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق
اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان و
الطاعة وقال قتادة مآبا اى سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما في قوله
من استطاع اليه سبيلا انا انذرناكم اى بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي
او بها وبسائر القوارع الواردة في القرآن عذابا قريبا هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب
بالنسبة اليه تعالى وان رأوه بعيدا وسيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها
وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فانه اما بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اى عذابا كائنا يوم ينظر المرء اى
يشاهد ما قدمه من خير او شر على ان ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف او ينظر اى شيء قدمت يداه
على انها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني
كنت ترابا ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم وقيل معنى تمنيه ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او
ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود
الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني
من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلعم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة

سورة النازعات مكية ست واربعون آيات

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسام من الله عز وجل
بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومجاهد
رضي الله عنه او ارواح الكفرة كما قاله علي رضي الله عنه وابن مسعود رضي الله عنه وسعيد بن جبير ومسروق رضي الله
وينشطونها اى يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص
الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها
وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير العنواني
منزلة التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم للاشعار بان كل واحد
من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال
والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما
بغير مهلة كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد اى اغراقا

في النزع حيث تنزعها من اقاصي الاجساد وقال ابن مسعود رضي الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت
كل شعرة ومن تحت الاظافر واصول القدمين ثم تفرقها في جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها في جسده
فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا على
المصدرية واما امرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة
يسبحون في مضيهم اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف
تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من احوال القيامة عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن
يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة
ما لا يخفى وقد جوز ان يكون اقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك
حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها
بعضا فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبيين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها
من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بنفس
الغزاة او ايديهم التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب
العدو فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب وتخرج من
دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظهور والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من
اسبابه هذا والذي يليق بشأن التنزيل هو الاول وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة منصوب بالجواب المضمر و
المراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة اى تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة
كالارض والجبال وهي النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله
تتبعها الرادفة اى الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث
اى لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع
فيه النفختان وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم
ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حي الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا
بعث وقام [illegible]
[illegible] قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة [illegible]
[illegible]
قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات [illegible]
[illegible]
[illegible]
الاضطراب قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خائفة وجلة وقال السدي زائلة عن اماكنها كما في قوله تعالى
اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى يقولون أئنا لمردودون في الحافرة حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون
بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها

للقلوب والابصار اى يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه ائنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة اى في الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرته اى طريقته التي جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيته وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية اى منسوبة الى الحفر والرفاء او كقولهم نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة وهي بمعنى المحفورة وقوله تعالى ائذا كنا عظاما نخرة تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون اى ائذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شيء من الحياة وقرئ اذا كنا على الخبر واسقاط حرف الانكار ونخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير قالوا حكاية لكفر آخر هي متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم في كافة اوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع اى قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما انكروه من الردة في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع تلك اذا كرة خاسرة اى ذات خسران او خاسر اصحابها اى ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة التي عبروا عنها بالكرة فان مدار ذلك كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هي صيحة واحدة اى حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها وقيل هي راجعة الى الرادفة فقوله تعالى فاذا هم بالساهرة حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجاة اى فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هي وجه الارض وقيل هي ارض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهم ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هي ارض يجددها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هي اسم الارض السابعة يأتي بها الله فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين يبدل الله الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى هل اتاك حديث موسى كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتاك ان اعتبر هذا اول ما اتاه عليه السلام من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه السلام في استماع حديثه كانه قيل هل اتاك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز في الاقتصاص حمل على التقرير اى قد اتاك حديثه وقوله تعالى اذ ناداه ربه بالواد المقدس ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لناديه او المقدس اى ناداه نداءين او المقدس مرة بعد اخرى اذهب الى فرعون على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء اى ناداه اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول انه طغى تعليل للامر او لوجوب الامتثال به فقل له بعد ما اتيته هل لك رغبة وتوجه الى ان تزكى بحذف احدى التائين من تتزكى اى تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه فتخشى اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشي الله تعالى اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر امر النبي صلعم بان يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ويستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والفاء في قوله تعالى فاراه الآية الكبرى فصيحة تفصح عن جملة قد طويت تعويلا على تفصيلها في السور الاخر فانه عليه السلام

مارآه اياها عقيب هذا الامر بل بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التعريف والتبصير فان اللعين حين ابصرها عرفها وادعاء سحريتها انما كان ارادة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه عليه السلام بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة في قوله تعالى ولقد اريناه آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها او هما جميعا وهو قول مجاهد فانهما كالآية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل اذهب انت واخوك باياتي باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين الآيتين من الآيات التسع انما ظهرت على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف ولا ريب في ان هذا مطلع القصة وامر السحرة مترتب بعد فكذب موسى عليه السلام وسمى معجزته سحرا وعصى الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان واقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين وقومه مامورين بعبادته عز وجل وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لا بارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر فقط ثم ادبر اى تولى عن الطاعة او انصرف عن المجلس يسعى يجتهد في معارضة الآية او ادبر ثم اقبل اى انشأ يسعى في موضعه او بري تحاشيا عن وصفه بالادبار وقيل ابصرها هاربا من الثعبان فانه روي انه عليه السلام لما القى العصا انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه وقيل انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا يأباه ان ذلك كان قبل الاجتراء على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه قوله فحشر اى فجمع السحرة لقوله فارسل في المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده اى ما يكاد به من السحرة والآلة وقيل جنوده ويجوز ان يراد جمع الناس فنادى في المجمع بنفسه او بواسطة المنادى فقال انا ربكم الاعلى قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة فاخذه الله نكال الآخرة والاولى النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذي ينكل من رآه او سمعه ويمنعه من تعاطي ما يفضي اليه ومحله النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى وهو الاحراق في الآخرة والاغراق في الدنيا وقيل مصدر لاخذ اى اخذه الله تعالى اخذ نكال وقيل مفعول له اى اخذه لاجل نكال الآخرة وقيل نصب على نزع الخافض اى اخذ بنكال الآخرة والاولى واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما يؤدي اليها لا محالة وقيل المراد بالآخرة والاولى قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري قيل كان بين الكلمتين اربعون سنة فالاضافة اضافة المسبب الى السبب ان في ذلك اى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به لعبرة عظيمة لمن يخشى اى لمن من شأنه ان يخشى وهو من من شأنه المعرفة وقوله تعالى ءانتم اشد خلقا خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله عز وجل بقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة اى اخلقكم بعد موتكم اشد اى اشق واصعب في تقديركم ام السماء اى ام خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة ادناها كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض

بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى بناها الى آخره بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله ام السماء
وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من التنبيه على تعينه وتفخيم شانه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى
رفع سمكها بيان للبناء اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة
خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به من
الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى فلان امر فلان اذا اصلحه واغطش ليلها
اي جعله مظلما يقال غطش الليل واغطشه الله تعالى كما يقال ظلم واظلمه وقد مر هذا في قوله تعالى واذا اظلم
عليهم قاموا ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحاها اي ابرز نهارها عبر عنه بالضحى لانه اشرف
اوقاتها واطيبها فكان احق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تاخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عنه
بالاخراج فان اضافة النور بعد الظلمة اتم في الانعام واكمل في الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء
لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز ان تكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس اي ابرز ضوء شمسها والتعبير عنه
بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها ومهدها لسكنى اهلها
وتقلبهم في اقطارها وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها اخرج منها ماءها بان فجر منها عيونا واجرى انهارا
ومرعاها اي رعيها وهو في الاصل موضع الرعي وقيل هو مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف
لانها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له فان السكنى لا تتاتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية امر
المعاش من الماكل والمشرب حتما واما لانها حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور او بدونه عند الكوفيين والاخفش
كما في قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم والجبال منصوب بمضمر يفسره ارساها اي اثبتها واثبت بها الارض
ان تميد باهلها وهذا تحقيق الحق وتنبيه على ان الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها
بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت في انفسها فضلا عن اثباتها
للارض وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء
عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بامر الماكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع
ضميري الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تاخر دحو الارض عن خلق السماء وما فيها كما روي
عن الحسن من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان
وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما
الآية وقد مر في سورة حم السجدة ان قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله تعالى ثم استوى
الى السماء وهي دخان الآية ان حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة
لا على تقديرها ينبئ عما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء
فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل
التفسير وقد روي ان العرش كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا
فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدا ثم فتقها
فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم
الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم
الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالاقرب كما قيل تاويل
هذه الآية بان يجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها
ويحمل بعدية الدحو عنها على البعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لا في الوجود لما عرفت من ان انتصاب
الارض بمضمر مقدم وقد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر وتتعين البعدية في الوجود

وفائدة تاخيره في الذكر اما التنبيه على انه قاصر في الدلالة على القدرة الباهرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء
واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر
واحاطتهم بتفاصيل احواله اكمل وليس ما روي عن الحسن رحمه الله نصا في تاخر دحو الارض عن خلق السماء
فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو وهي بمعزل من الدلالة على الترتيب
هذا على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها
الظاهرة واما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما
لا دلالة على ترتيب اصلا اذا علق كلمة ثم فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سبق تفصيل
الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم
لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم
ما ياكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعي لتناول الماكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف
وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر اي متعكم بذلك متاعا او مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى اخرج منها ماءها
ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى اي الداهية العظمى التي تطم على سائر
الطامات اي تعلوها وتغلبها وهي القيامة او النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق الى المحشر
وقيل التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان احوال
معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الى آخره والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ
المتاع يوم يتذكر الانسان ما سعى قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر انه منصوب باعني كما قيل تفسيرا للطامة
الكبرى فان الابدال بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز ان يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوح
باضافته الى الفعل على رأي الكوفيين اي يتذكر فيه كل احد ما عمله من خير او شر بان يشاهده مدونا في صحيفة
اعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى احصاه الله ونسوه ويجوز ان تكون ما مصدرية
وبرزت الجحيم عطف على جاءت اي اظهرت اظهارا بينا لا يخفى على احد لمن يرى كائنا من كان يروى انه يكشف عنها
فتتلظى فيراها كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن تراه على ان فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى
اذا رأتهم من مكان بعيد او على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى فاما من طغى
الى آخره جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى الآية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف
تقديره انقسم الراؤن قسمين فاما الخ والذي يستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل
ان الجواب المحذوف كان من عظائم الشؤن ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل
فاما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان وآثر الحيوة الدنيا الفانية التي هي على جناح الزوال
فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخرة الابدية بالايمان والطاعة فان الجحيم التي ذكر شانها هي المأوى
اي هي مأواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول اللام
في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي فصل او مبتدأ وقيل ان الآية في النضر وابيه الحرث المشهورين
بالغلو في الكفر والطغيان واما من خاف مقام ربه اي مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر
الانسان ما سعى ونهى النفس عن الهوى عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحيوة الدنيا وزهرتها
ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها فان الجنة هي المأوى له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان في
ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
استشهد رضي الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما دل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الانسان اي فاذا جاءت
الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما

واخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حالا من الانسان
باضمار قد او بدونه على اختلاف الروايتين والجزاء محذوف عن العائد وقوله تعالى فاما من طغى الى آخره تفصيل
لحال الانسان الذي يتذكر ما سعى وتقسيم له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين يسألونك عن الساعة ايان
مرساها متى ارساؤها اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما
ان مرسى السفينة حيث ينتهي اليه ويستقر فيه وقوله تعالى فيم انت من ذكراها انكار ورد لسؤال المشركين عنها اي
في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله كانك حفي عنها اي ما انت من ذكرها
لهم وتبيين وقتها في شيء لان ذلك فرع علمك منه وانى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال
بصدد التعليل فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستيناف
تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال اي فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت
خاتم الانبياء المبعوث في قيام الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه
المرتبة من العلم فمعنى قوله الى ربك منتهاها على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها اي علمها بكنهها وتفاصيل
امرها ووقت وقوعها لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك ببعثك
فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك واما على الوجه الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شيء ما كائنا من
كان فلاي شيء يسألونك عنها وقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله
تعالى فيم انت من ذكراها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه السلام في ذلك الشأن فان انكار كونه
عليه السلام في شيء من ذكراها مما يوهم بظاهره انه ليس له عليه السلام ان يذكرها بوجه من الوجوه فازيح ببيان
ان المنفي عنه عليه السلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عنها فالمعنى انما انت منذر من يخشاها
وظيفتك الامتثال بما امرت من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا لا تعيين و
وقتها الذي لم يفوض اليك فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى
انت من ذكراها ببيان ان ارساله عليه السلام وهو خاتم الانبياء عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما نطق به قوله
عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح
للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع
به وقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها اما تقرير وتأكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة مجيء
المنذر به لا سيما على الوجه الاول اي كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد او ضحاه فلما ترك
اليوم اضيف ضحاه الى عشية واما رد لما ادمجوه في سؤالهم فانهم كانوا يسألونه عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها
وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد
الوعيد بها الا عشية او ضحاها والمبادر كون اللبث في الدنيا او في القبور لا يقتضيه المقام واما الذي تقتضيه
المقام باعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا لاستبطائهم والجملة على الاول حال من
من الموصول فانه على تقدير الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كما ان قوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من النهار حال من ضمير
المفعول في نحشرهم اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة خلا ان التشبيه هناك في الاحوال الظاهرة
من الزي والهيئة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كانه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد
الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستأنفة لا محل لها من الاعراب عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله تعالى في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس مكية اثنى واربعون ايات

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ابي ربيعة الفهري
وام مكتوم ام ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة
وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء
ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم
تشاغله عليه السلام بالقوم فكره رسول الله صلعم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول
الله صلعم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين
وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه الاعمى علة لتولى او عبس على اختلاف الرأيين اي لان جاءه الاعمى والتعرض
لعنوان عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام على قطع كلامه عليه السلام بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق و
الرأفة واما لزيادة الانكار كانه قيل تولى لكونه اعمى كما ان الالتفات في قوله تعالى وما يدريك لذلك فان الشاكي
ادخل في تشديد العتاب واي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى لعله يزكى استيناف
وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بان له شأنا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير و
ادراكه مؤذن بانه تعالى يدريه ذلك اي لعله يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع
تحقق التزكي واردة على سنن الكبرياء او على اعتبار معنى الترجي بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض
عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت
وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر اصلا وقوله تعالى او يذكر
عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع
عطفا على يذكر اي او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير في لعله للكافر
فالمعنى انك طمعت في ان يتزكى او يذكر فتقربه الذكرى اي موعظة الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك
ان ذلك مرجو الوقوع اما من استغنى اي عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها
القرآن فانت له تصدى اي تتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد
تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصدى بالادغام وتصدى
بالصاد وقرئ تصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك الى التصدي له داع من الحرص والتهالك
على اسلامه وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عن اسلم
حال عن ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار اي اي شيء عليك في ان لا يتزكى ومآله النفي ايضا واما من
جاءك يسعى اي حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام الرشد وخصال الخير وهو يخشى اي الله تعالى
وقيل يخشى اذية الكفار في اتيانك وقيل يخشى الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من
فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لها عنه والتهى وتلهى وقرئ
تتلهى اي يلهيك شأن الصناديد وفي تقديم ضميره عليه السلام على الفعلين تنبيه على ان مناط
الانكار خصوصيته عليه السلام اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للمستغني ويتلهى عن الفقير
الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضمونهما روي انه صلعم ما عبس بعد ذلك
في وجه فقير قط ولا تصدى لغني كلا ردع له عليه السلام عما عوتب عليه من التصدي لمن استغنى
عما عنده من معالم الدين والاعراض عن الاقبال والطاعة مع التوجه الى الكريم بالاهتمام بامره
معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشد وقوله تعالى انها تذكرة اي موعظة يجب ان يتعظ بها
ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان رتبة القرآن العظيم الذي استغنى عنه من تصدى له
وتحقيق انه في نفسه موعظة حقيقية بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى

فمن شاء ذكره اي حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعله المستغني فلا حاجة الى الاهتمام بامره فالضميران للقرآن
وتأنيث الاول لكونه خبره وقيل الاول للسورة او للآيات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لانها في معنى الذكر
والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات وان كانت متصفة بما سيأتي من الصفات الشريفة لكنها ليست مما
القي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة
واما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد اخطأ واساء الادب وخبط خبطا يقضي منه التعجب والعجب
فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى في صحف متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب
فيها والحث على حفظها اي كائنة في صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لأن مكرمة عند الله عز وجل مرفوعة اي
في السماء السابعة او مرفوعة المقدار والذكر مطهرة منزهة عن مساس ايدي الشياطين بايدي سفرة اي كتبة
من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بايدي رسل من الملائكة يسفرون
بالوحي بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام على انه جمع سفير من السفارة وحملهم على الانبياء عليهم السلام بعيد فان
وظيفتهم التلقي من الوحي الى الكتب وارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرائع والاحكام لا مجرد السفارة اليهم
وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الاسفار او على اصحابه صلى الله عليه وسلم وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة
لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة
المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي ان المراد بها في قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء
السفرة الكرام البررة كرام عند الله عز وجل او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء وقيل
مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه اي يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه قتل الانسان دعاء عليه
باشنع الدعوات وقوله تعالى ما اكفره تعجب من افراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد اما من
استغنى عن القرآن الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار
انتظامه له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء على
سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية له وراءه وقوله تعالى من اي شيء خلقه شروع في بيان افراطه في الكفران
بتفصيل ما افاض عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك
وفي الاستفهام من مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله من نطفة خلقه تحقير له اي من اي شيء حقير مهين خلقه و
قوله تعالى ثم السبيل يسره منصوب بمضمر يفسره الظاهر اي ثم سهل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم والهمه ان ينتكس او
يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه ثم اماته
فاقبره اي جعله ذا قبر يواري فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان
يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه وعد الاماتة من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحياة الابدية
والنعيم المقيم ثم اذا شاء انشره اي اذا شاء انشاره انشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة وفي
تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بان وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه و
قوله لما يقض ما امره بيان لسبب الردع اي لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده
ما امره الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في ان سياق
الآية الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر ان ذلك لا
يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه احد من افراده كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة
هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما امرت فالوجه ان يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم اما
على ان المحكوم عليه هو المستغني او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض
افراده وقد اسند الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم

بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما على ان مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلي دون
السلب الكلي فالمعنى لما يقض جميع افراده ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل من
فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده اي حقا لم
يعمل بما امره به وقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل
النعم المتعلقة بحدوثه اي فلينظر الى طعامه الذي عليه يدور امر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى انا صببنا
الماء اي الغيث بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستئناف
وقرئ اني بالامالة اي كيف صببنا الى آخره اي صببنا صبا عجيبا ثم شققنا الارض اي بالنبات شقا بديعا لائقا
بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة وحمل شقها على ما بالكراب يجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل
اسناد الفعل الى سببه يأباه كلمة ثم والفاء في قوله تعالى فانبتنا فيها حبا فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين
انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض
بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى هذه المرتبة على ان مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه
تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المنعم عليه
في حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى وعنبا عطف على حبا وليس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه فلا ضير
في خلو انبات العنب عن شق الارض وقضبا اي رطبة سميت بمصدر قضبه اي قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها
وتكررها نفس القطع وزيتونا ونخلا الكلام فيهما كما في العنب وحدائق غلبا اي عظاما وصف به الحدائق
لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا اي مرعى من ابه اذا
امه اي قصده لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤوب للشتاء
وعن الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله
ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده
فقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا
فدعوه متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام
لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد اي متعكم بذلك
متاعا او لفعل مترتب عليه اي متعكم بذلك فتمتعتم متاعا اي تمتعا كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان
ما ذكر من الافعال الثلاثة في معنى التمتيع فاذا جاءت الصاخة شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان مبادئ
خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة
زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصخ لها الخلائق اي يصيخون لها من صخ لحديثه اذا
اصاخ له اي استمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصيخون لها وقيل هي الصيحة التي تصخ الآذان اي
تصمها لشدة وقعها وقيل هي مأخوذة من صخه بالحجر اي صكه وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه اما منصوب باعني تفسيرا للصاخة او بدل منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على رأي الكوفيين وقيل
بدل من اذا جاءت كما مر في قوله تعالى يوم يتذكر الانسان اي يوم يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في
الدنيا لاشتغاله بحال نفسه واما لعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئا او للحذر من مطالبتهم بالتبعات فيأباه
قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فانه استئناف وارد لبيان سبب الفرار اي لكل واحد من المذكورين
شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به واما الفرار حذرا من مطالبتهم او بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما انه يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه ويفر ابراهيم عليه السلام من ابيه
ولوط عليه السلام من امرأته ونوح عليه السلام من ابنه فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى ان الرجل يوم القيامة

واقربائه لشغله بما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة اي يهمه من عناه الامر اذا اهمه اي اوقعه في الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل وقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة بيان لمآل امر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهيا فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها في حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اي مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ذلك من قيام الليل وفي الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله ضاحكة مستبشرة بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ووجوه يومئذ عليها غبرة اي غبار وكدورة ترهقها اي تعلوها وتغشاها قترة اي سواد وظلمة اولئك اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بسواد الوجوه وغبرتها هم الكفرة الفجرة الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله الى سواد وجوههم الغبرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير وهي تسع وعشرون آية مكية

اذا الشمس كورت اي لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك اما رفعها وازالتها من مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء واما لف ضوئها المنبسط في الآفاق المنتشر في الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوالها اللازم لزوال الملزوم او القيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض وعن ابي صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضي الله عنهما تكويرها ادخالها في العرش وصدارة الترتيب على الادارة قوله وارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور عند النحاة على الابتداء واذا النجوم انكدرت اي انقضت وقيل تناثرت وتساقطت روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يبقى يومئذ نجم الا سقط في الارض وعنه رضي الله عنهما ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بايدي ملائكة من نور فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى ان الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم واذا الجبال سيرت اي عن اماكنها بالرجفة الحاصلة لا في الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية واذا العشار جمع عشراء وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت تركت مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ بالتخفيف عطلت واذا الوحوش حشرت اي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد واذا البحار سجرت اي احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف واذا النفوس زوجت اي قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها او بكتابها او بعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين واذا الموءودة اي المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها واذا ولدت ابنا حبسته سئلت باي ذنب قتلت توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار

كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقرئ سألت اي خاصمت او سألت الله تعالى او قاتلها وانما قيل قتلت لما ان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقرئ كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية واذا الصحف نشرت اي صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اي فرقت بين اصحابها عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور واذا الجحيم سعرت اي اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله تعالى وخطايا بني آدم وقرئ سعرت بالتخفيف واذا الجنة ازلفت اي قربت من المتقين كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا اي فيما بين النفختين وهن من اول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست في الآخرة اي بعد النفخة الثانية وقوله تعالى علمت نفس ما احضرت جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما في سياقها وما عطف عليها من الخصال مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم في كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها على ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب من آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان وايا ما كان فاسناد احضارها الى النفس مع انها تحضر بامر الله عز وجل كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية لانها لما عملتها في الدنيا فكأنها احضرتها في الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور احسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه ههنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس او لبعض منها للايذان بان ثبوته لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل احد ولو جيء بعبارة تدل على خلافه وللرمز الى ان تلك النفوس العاملة مع توفر افرادها وتكثر اعدادها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء الذي اشير الى بعض بدائع شؤونه المنبئة عن عظم سلطانه واما ما قيل من ان هذا من قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعوله من قال قد اترك القرن مصفرا انامله وبقول من قال حين سئل

عن عدد فرسانه رب فارس عندي وعنى المقاتلة قاصدا بذلك التمادي في تكثير فرسانه واظهار براءته
من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان تتزيد فمن لوائح النظر الجليل ان الكلام المحكي عنه
فيما ذكر من الامثلة مما يقبل الافراط والتمادي فيه فانه في الاول كثيرا ما يود وفي الثاني كثيرا ما يترك وفي الثالث
كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد
بعكس ما ذكر من التمادي في التكثير حسبما فصل واما فيما نحن فيه فالكلام الذي عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت
كما صرح به القائل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادي فيه وانما الذي عكس فيه من
المبالغة من ذكرناه فتامل ويجوز ان يكون ذلك للاشعار بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت
وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة ان تكون هي التي علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك
لمن تنصحه ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود
لا متيقن به او نادر الوقوع بل تريد ان العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى فيه الندم او قلما يقع فيه
فكيف به اذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع فلا اقسم بالخنس اي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهي
ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى الجوار
الكنس لانها تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها
تحت ضوئها من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب
تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها والليل اذا عسعس
اي ادبر ظلامه او اقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس
ادبر وعليه قول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل هي لغة قريش خاصة
وقيل معنى اقبال ظلامه ادنى لقوله تعالى والصبح اذا تنفس لانه اول النهار وقيل ادباره اقرب من تنفس
الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح انه اي
القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة لقول رسول كريم هو جبرائيل عليه السلام قاله من جهة الله
عز وجل ذي قوة شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال
بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف عند ذي العرش مكين ذي مكانة رفيعة عند الله تعالى عندية اكرام
وتشريف لا عندية مكان مطاع فيما بين الملائكة المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه ثم امين
على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر الاوصاف
وما صاحبكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجنون كما بهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم تفاصيل
احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته عليه السلام عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل عليه
عليهما السلام للتفاوت البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه السلام انما
يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما ولقد رآه اي وبالله لقد رأى
رسول الله جبرائيل عليهما السلام بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو اي رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بضنين اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ
والتعليم وقرئ بظنين اي بمتهم من الظنة وهي التهمة وما هو بقول شيطان رجيم اي قول بعض المسترقة
للسمع وهو نفي لقولهم انه لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر القرآن والفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها
هذا الطريق الواضح فاين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى لمن شاء
منكم بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى ان يستقيم مفعول شاء اي لمن شاء منكم الاستقامة بتحري

الحق

الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤون اي الاستقامة مشيئة
مستتبعة لها في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا وقت ان يشاء الله تعالى تلك المشيئة اي المستتبعة
للاستقامة فان مشيئتكم لا تستتبعها بدون مشيئة الله تعالى لها رب العالمين مالك الخلق ومربيهم اجمعين عن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة التكوير اعاذه الله تعالى ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار تسع عشرة آيات

اذا السماء انفطرت اي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة
تنزيلا وقوله وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس واذا الكواكب
انتثرت اي تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما
البرزخ وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند
الحسن رحمه الله تعالى وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف
مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل ايضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور بعثرت اي قلب
ترابها واخرج موتاها وقيل بحثرت لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى
علمت نفس ما قدمت واخرت جواب اذا لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من ان المراد
بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد
كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذي مر تفصيله في نظيره ومعنى ما قدمت واخرت
ما اسلف من عمل خير او شر واخر من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم
وعن ابن عباس ايضا ما قدمت من معصية واخرت من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من امواله لنفسه
واخر لورثته وقيل ما قدم من فرض وقيل اول عمله وآخره ومعناه علمها بهما علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر
يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي
التامة والعواقب الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه
ليس مما يصلح ان يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل
عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال
على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات
الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة
للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك بدءا اقدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها
وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك
بالتشديد اي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي
صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة اي ركبك في اي صورة شاءها واختارها
لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها
لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي مع كونه موجبا
للشكر والطاعة وقوله تعالى بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد
الردع بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترئون على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء
والبعث رأسا او بدين الاسلام الذي هما من جملة احكامه فلا تصدقون سؤالا وجوابا ولا ثوابا ولا عقابا
وقيل كانه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الى آخره وقال القفال الي

الامر كما يقولون من انه لا بعث ولا نشور ثم قيل انتم لا تستيقنون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله
تعالى وان عليكم لحافظين حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقق ما يكذبون به اي تكذبون بالجزاء و
الحال ان عليكم من قبلنا لحافظين لاعمالكم كراما لدينا كاتبين لها يعلمون ما تفعلون من الافعال قليلا وكثيرا او
يضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وانه عند الله
عز وجل من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم
والتهويل ما لا يخفى وقوله تعالى يصلونها اما صفة لجحيم او استئناف مبني على سؤال نشأ عن تهويلها كانه
قيل ما لهم فيها فقيل يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به وما هم عنها بغائبين طرفة
عين فان المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة كما مر مرارا من ان الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها
استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما يفيده من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل معناه وما كانوا
غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض
الجنة او حفرة من حفر النيران وقوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين تفخيم لشأن يوم
الدين الذي يكذبون به اثر تفخيم وتهويل لامره بعد تهويل ببيان انه خارج عن دائرة دراية الخلق على اي صورة
تصوروه فهو فوقها وكيف ما تخيلوه فهو اطم من ذلك واعظم اي واي شيء جعلك داريا ما يوم الدين على
ان ما استفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو رأي سيبويه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدأ
ولا ريب في ان مناط افادة الهول والفخامة هاهنا هو ما لا يوم الدين اي اي شيء عجيب هو في الهول والفظاعة
لما مر غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال
في الجواب كاتب او طبيب وفي اظهار يوم الدين في موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله بيان اجمالي لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق
بطريق انجاز الوعد فان نفي ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن
من قوله تعالى وما ادراك فقد ادراه اي فقد بينها وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوي عنه ويوم مرفوع على
انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس شيئا
من الاشياء الى آخره او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه صلى الله عليه وسلم
الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الى آخره فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون ولسيدانك فانه عار عن افادة
ما يفيده ما قبله كما ان ابداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حينئذ الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين وهي ست وثلثون ايات

ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا
قبل ان يبلغ قعره وقيل واياما كان فهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والتطفيف البخس في
الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من
اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها عليه السلام وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل
باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة
فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم
عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل
الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون الى آخره صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل اي
اذا اكتالوا من الناس حقوقهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونها وافية وافرة وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى
الاستيلاء او للاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي تتضمنه كلمة اذا
لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد
الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا باي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس الكيل وتحريك المكيال
والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان ذلك للدلالة على ان اكتيالهم على الناس مع اقتضائه لعدم شمول الحكم
لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع ان الشائع فيما بينهم يقتضي ان يكون معنى
الاستيفاء اخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في عوض الحق فلا يكون مدارا
للذم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يجدي نفعا فان اعتبار
كون المكيل لهم حالا كان او مآلا لا يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وهكذا حال ما نقل عن الفراء من ان
من وعلى تعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال
اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتأمل وقد جوزوا ان يكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها
على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر بتقديم
الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق
القلب اي الافراد او التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في ان الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاخذ الوافي
مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع في الفعل
لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم للناس اي اذا كالوا لهم او
وزنوا لهم للبيع ونحوه يخسرون اي ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله
ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا اي جنيت لك وجعل البارز تأكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة النظم الجليل ولعل
ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا
متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين
لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى
الا يظن اولئك انهم مبعوثون استئناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم
واولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة
الى الشيء متعرضة من حيث انها له بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك
الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه
من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون بذلك الوصف
الشنيع الهائل انهم مبعوثون ليوم عظيم لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ويحاسبون فيه على مقدار
الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا مشابها للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على امثال
هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين اي لحكمه وقضائه منصوب
باضمار اعني وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبر لمبتدأ مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبني على الفتح لاضافته
الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين ويؤيده قراءة الرفع والجر وفي هذا الانكار
والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى
بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم وتفاقم الاثم في التطفيف وامثاله ما لا يخفى كلا ردع عما كانوا عليه

من التطفيف الغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى إن كتاب الفجار لفي سجين الى آخره تعليل للردع
او وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع الذي هو ديوان الشر دون فيه اعمال
الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق
لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في مكان مظلم وحش وهو مسكن
ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اي ما يكتب من اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون
فيه قبائح اعمال المذكورين وقوله تعالى كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير
فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم وقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين
متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى الذين يكذبون بيوم
الدين اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم وما يكذب به الا كل
معتد اي متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه عن الاعادة
مع مشاهدته للبدء اثيم اي منهمك في الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات
التامة الباقية وحملته على انكارها اذا تتلى عليه آياتنا الناطقة بذلك قال من فرط جهله واعراضه عن
الحق الذي لا تحيد عنه اساطير الاولين اي هي حكايات الاولين قال الكلبي المراد بالمعتدي الاثيم هو الوليد بن
المغيرة وقيل النضر بن الحارث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ اذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ أإذا
تتلى على الاستفهام الانكاري كلا ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون بيان لما ادى بهم الى التفوه بتلك العظيمة اي ليس في آياتنا ما يصح
ان يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر
والمعاصي حتى صارت كالصدأ في المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان
العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدأ يقال
ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم اي رسخ فيه وقرئ بادغام اللام في الراء
كلا ردع وزجر عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل
هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن ابي
مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته ثم انهم لصالوا الجحيم اي لداخلوا النار وثم لتراخي الرتبة
فان صلي الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة ثم يقال لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية
هذا الذي كنتم به تكذبون فذوقوا عذابه كلا ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر اثر زجر وقوله تعالى ان كتاب
الابرار لفي عليين استئناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا ببيان
سوء حال كتابهم وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان
الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمي بذلك
اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون
تكريما له وتعظيما والكلام في قوله تعالى وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم كما مر في نظيره وقوله تعالى يشهده
المقربون صفة اخرى لكتاب اي يحضرونه ويحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيامة ان الابرار لفي نعيم شروع
في بيان محاسن احوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شأن الفجار على الارائك اي على الاسرة في
الحجال ولا يكاد تطلق الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه في الحجلة ينظرون اي الى ما شاؤوا مد اعينهم اليه من
رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال
ابصارهم عن الادراك تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي بهجة التنعم وماءه ورونقه والخطاب لكل احد ممن

له حظ

له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء يسقون
من رحيق شراب خالص لا غش فيه مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل
لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك اي مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع
وفي ذلك اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده او الى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته
وبعد منزلته او لكونه في الجنة اي في ذلك خاصة دون غيره فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبون
بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون واصل التنافس التغالب في
الشيء النفيس واصله من النفس لعزتها قال الواحدي نفست الشيء انفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه
كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستأثر به وقال البغوي واصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس
الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اي يضن به ومزاجه من تسنيم عطف على ختامه صفة اخرى
لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اي ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان من بيانية او تبعيضية
او من نفسه على انها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تأتيهم من
فوق روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا نصب على الاختصاص وجوز ان يكون حالا من تسنيم
مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة فالباء مزيدة
او بمعنى من وقوله تعالى ان الذين اجرموا الى آخره حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جيء بها تمهيدا لذكر بعض احوال
الابرار في الجنة كانوا في الدنيا من الذين آمنوا يضحكون اي يستهزئون بفقراء المؤمنين كعمار وصهيب وخباب وبلال
وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اي كانوا من الذين
آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى أفي الله شك او لمراعاة الفواصل واذا
مروا اي فقراء المؤمنين بهم بالمشركين وهم في انديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا يتغامزون اي يغمز بعضهم
بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا اي المشركون من مجالسهم الى اهلهم انقلبوا فكهين ملتذين بذكرهم بالسخرية منهم
وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين قيل
هما بمعنى وقيل فكهين اشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين واذا رأوهم اينما كانوا
قالوا ان هؤلاء لضالون اي نسبوا المسلمين ممن رأوهم وان لم يعرفوهم الى الضلال بطريق التأكيد وما ارسلوا عليهم اي على
المسلمين حافظين حال من واو قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون
عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترءوا عليه
من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز ان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا ان
هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل
عليهم نقلا له بالمعنى كما في قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة كما في قولك حلف لافعلن فاليوم الذين آمنوا
اي المؤمنون من الفقراء من الكفار يضحكون اي من الكفار وهو الاظهر وان امكن العكس ايضا
حين يرونهم اذلاء مغلولين قد غشيتهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد
التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور لتحقيق المقابلة اي فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم
كما كانوا يضحكون في الدنيا وقوله تعالى على الارائك ينظرون حال من فاعل يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين
اليهم والى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها
اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المؤمنون منهم وقوله تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون
فانه صح فان ضحك المؤمنين منهم [illegible] الى الكفار من الجانب والشاكلة [illegible] والتشويق والتأنيب
الجانب فقد قرئ بادغام اللام في الثاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم

سورة الانشقاق وهي خمس وعشرون آيات

إذا السماء انشقت أي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله تعالى عنه تنشق من المجرة وأذنت لربها واستمعت أي انقادت وأذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت إرادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليها للإشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى أتينا طائعين في الإنباء عن كون ما نسب إلى السماء والأرض من الانشقاق والمد وغيرهما جارياً على مقتضى الحكمة كما أشير إليه فيما سلف وحقت أي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد ولكن لا بعد أن لم يكن كذلك بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة بذلك لكن لا على أن المدار خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التي يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها أمر من الأمور فحق الجملة أن تكون اعتراضاً مقرراً لما قبلها لا معطوفة عليه وإذا الأرض مدت أي بسطت بإزالة جبالها وآكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً أو زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى أمده أي زاده وألقت ما فيها أي رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز كقوله وأخرجت الأرض أثقالها وتخلت وخلت عما فيها غاية التخلي حتى لم يبق فيها شيء منه كأنها تكلفت في ذلك أقصى جهدها وأذنت لربها في الإلقاء والتخلي وحقت أي وهي حقيقة بذلك أي شأنها ذلك بالنسبة إلى القدرة الربانية وتكرير كلمة إذا مع اتحاد الأفعال المنسوبة إلى السماء والأرض ووقوعها في الوقت الممتد الذي هو مدلولها قد مر سره فيما مر يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً أي جاهد ومجد إلى الموت وما بعده من الأحوال التي مثلت باللقاء مبالغ في ذلك فإن الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده إذا خدشه فملاقيه أي فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً إلى آخره قيل جواب إذا كما في قوله تعالى فإما يأتينكم مني هدى أي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا أيها الإنسان إلى آخره اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والإيذان بقصور العبارة عن بيانه أو للتعويل على ما مر في سورتي التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا أيها الإنسان إلى آخره تقديره لاقى الإنسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يا أيها الإنسان على إضمار القول ومعنى يسيراً سهلاً لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضي الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنها وينقلب إلى أهله مسروراً أي عشيرته المؤمنين مبتهجاً بحاله قائلاً هاؤم اقرءوا كتابيه وقيل إلى أهله في الجنة من الحور والغلمان وأما من أوتي كتابه وراء ظهره أي يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً أي يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعو يا ثبوراه تعال فإنه أوانك وأنى له ذلك ويصلى سعيراً أي يدخلها ويقاسي حرها كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كما في قوله تعالى ونصله جهنم إنه كان في أهله فيما بين أهله وعشيرته في الدنيا مسروراً مترفاً بطراً مستبشراً كديدن الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم أمور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزيناً متفكراً في حاله ومآله كسنة الصلحاء والمتقين والجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى إنه ظن أن لن يحور تعليل لسروره في الدنيا أي ظن أن لن يرجع إلى الله تعالى تكذيباً للمعاد وأن مخففة من أن سادة مع ما في حيزها مسد مفعولي الظن أو أحدهما على الخلاف المعروف بلى إيجاب لما بعد لن وقوله تعالى إن ربه كان به بصيراً تحقيق وتعليل له أي بلى ليحورن البتة إن ربه الذي خلقه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء بصيراً بحيث لا تخفى منها خافية فلا بد من رجعه

وحسابه

وحسابه ويرجع إلى أهله حيناً فرحاً وقيل نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأشد وأخيه الأسود فلا أقسم بالشفق هي الحمرة التي تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب أو البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة القلب والليل وما وسق وما جمعه وستره يقال وسقه فاتسق واستوسق أي جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوي إلى مكانه من الدواب وغيرها والقمر إذا اتسق أي اجتمع وتم بدراً ليلة أربع عشرة لتركبن طبقاً عن طبق أي لتلاقن حالاً بعد حال كل واحدة منها مطابقة لأختها في الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الأوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن أحوالاً بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها وقرئ لتركبن بالإفراد على خطاب الإنسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لأفراده كالقراءة الأولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء أي ليركبن الإنسان وعن طبق في محل النصب على أنه صفة لطبقاً أي طبقاً مجاوزاً لطبق أو حال من الضمير في لتركبن أي لتركبن طبقاً مجاوزين أو مجاوزاً أو مجاوزة لطبق على حسب القراءة فما لهم لا يؤمنون لترتيب ما بعدها من الإنكار والتعجيب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة وأهوالها الموجبة للإيمان والسجود أي إذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فأي شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين أي أي شيء يمنعهم من الإيمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقاً على ما قبلها أي فأي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس في المفصل سجدة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة بل الذين كفروا يكذبون بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته والله أعلم بما يوعون بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب علماً فعلياً فبشرهم بعذاب أليم لأن علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتماً إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع من الضمير المنصوب في فبشرهم والموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل إن أريد به من آمن منهم لهم أجر غير ممنون أي غير مقطوع أو ممنون به عليهم استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم وتبيين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج اثنتان وعشرون آيات

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها وأبواب السماء فإن النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور واليوم الموعود أي يوم القيامة وشاهد ومشهود أي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للإبهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما أو للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد النبي صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وأمته لقوله وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم إلا وينادي إني يوم جديد وإني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام قتل أصحاب الأخدود قيل هو جواب القسم على حذف

اللام منه للطول والاصل لقتل على قولهن قال حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال
وقيل تقديره لقد قتل وانما كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية دالة على الجواب كانه قيل اقسم بهذه
الاشياء انهم اي كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين
على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان
وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقونه من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة
اولئك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء بان يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض
وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما
ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم من الايام دابة قد حبست الناس فقيل
كانت الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك
يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال
ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به
الى الجبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت
بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع وتأخذ
سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال
الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران
فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق
فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي وما هي الا غميضة فصبرت قيل اخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته
وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات
ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت
ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامر بالاخاديد وايقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين اراد الله
بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار
اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا
في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا النار
بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من
الحطب وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا
بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود كما في قوله تعالى وبات على النار الندى
والمحلق وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما
امر به او انهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وقيل
على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا
هو الذي يستدعيه النظم الكريم وينطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة لما القوا المؤمنين في
النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله تعالى المؤمنين منها سالمين والى هذا القول
ذهب الربيع بن انس والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق وما نقموا منهم اي ما انكروا
منهم وما عابوا الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء مفرغ عن براءتهم مما يعاب وينكر بالكلية على منهاج
قوله ولا عيب فيهم غير ان ضيوفهم تلام بنسيان الاحبة والوطن ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى

عقابه

عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض للاشعار بمناط ما ذكر
وقوله تعالى والله على كل شيء شهيد وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التي من
جملتها اعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتما ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي محنوهم في دينهم
ليرجعوا عنه والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة بالمفتونين المطروحين في الاخدود واما الذين بلوهم في ذلك
بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا ثم لم يتوبوا اي عن كفرهم وفتنتهم فان ما
ذكر من الفتنة في الذين لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله تعالى فلهم عذاب جهنم جملة وقعت خبرا لان او
لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الاحسن والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ولا ضير في نسخه بان وان خالف
الاخفش والمعنى لهم في الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الاطلاق من المفتونين وغيرهم لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح
جنات تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة
عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا ذلك
اشارة الى الجنات الموصوفة والتذكير لتأويلها بما ذكر للاشعار بان مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيه المتنافسون
فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه باوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شان الضمير
فاذا اشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما وانما اشير اليها بما يفيده قوله تعالى جنات الى آخره من
حيازتهم فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا اي ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد
منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك المذكور العظيم الشان الفوز الكبير الذي يصغر
عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق
على المفعول مبالغة وعلى الثاني مصدر على حاله ان بطش ربك لشديد استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة و
الظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان
اخذه اليم شديد انه هو يبدئ ويعيد اي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شيء منهما
ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة وهو الغفور لمن تاب
الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اي ذو السلطنة القاهرة وقرئ
ذي العرش على انه صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة
وقرئ بالجر على انه صفة للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد بحيث لا يتخلف عن ارادته
مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى هل اتاك حديث الجنود استئناف مقرر
لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود بدل من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم
ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت
ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤون الله تعالى وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى بل
الذين كفروا في تكذيب اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم اشد منهم في الكفر والطغيان كانه قيل ليس حالهم
مجرد ذلك بل هم اشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستمرون في تكذيب شديد للقرآن الكريم
الناطق بذلك لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكونه ما نطق به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح

امره وظهور حاله بالبينات الباهرة والله من ورائهم محيط تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله بعدم فوت المحاط المحيط وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اى ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اى قرآن رب مجيد في لوح محفوظ اى من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع على انه صفة قرآن وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة التي فيها اللوح عن النبي صلعم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية سبع عشرة ايات

والسماء والطارق الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع في التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال طرق الخيال ولا كليلة مدلج سدكا بارحلنا ولم يتعرج والمراد ههنا الكوكب البادي بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود قيل الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى وما ادراك ما الطارق تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدأ وادراك خبره وما الثانية خبر والطارق مبتدأ حسبما بين في نظائره اى اى شيء اعلمك ما الطارق وقوله تعالى النجم الثاقب خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ مما قبله كانه قيل ما هو فقيل هو النجم المضيء في الغاية كانه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدي وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة لا يسكنها وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه افكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال محله ما لا يخفى وقوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اى ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تعالى ويرسل حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما مخففة على ان ان المخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة اى ان الشان كل نفس لعليها حافظ والفاء في قوله فلينظر الانسان مم خلق للتنبيه على ان ما يتبع من ان كل نفس عليها حافظ يحصي عليها كل ما تصدر عنها من قول وفعل يستوجب على الانسان ان يتفكر في مبدأ فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملي على حافظه ما يرديه وقوله تعالى خلق من ماء دافق استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من المائين في الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب اى صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك يشبهه ويسرع الافراط في الجماع الضعف فيه وله خليفة هي النخاع وهو في الصلب

وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هي صالب انه الضمير للخالق تعالى فان قوله تعالى خلق يدل عليه اى ان ذلك الذي خلقه ابتداء مما ذكر على رجعه اى اعادته بعد موته لقادر لبين القدرة يوم تبلى السرائر اى يتعرف ويتصفح ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه فما له اى للانسان من قوة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينصره والسماء ذات الرجع اى المطر سمي رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض وارادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه اوبا او لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا والارض ذات الصدع هو ما يتصدع عنه الارض من النبات او مصدر من المبني للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من شواهده وهو السر في التعبير عنه وعن المطر بالرجع وذلك في تشقق الارض بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر في مواقع من التنزيل لا في تشققها بالعيون انه اى القرآن الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده لقول فصل اى فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كانه نفس الفصل وما هو بالهزل ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة انهم اى اهل مكة يكيدون في ابطال امره واطفاء نوره كيدا حسبما تفي به قدرتهم واكيد كيدا اى اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون فمهل الكافرين اى لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك او لا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدهم قطعا وقوله تعالى امهلهم بدل من مهل وقوله تعالى رويدا اما مصدر مؤكد لمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اى امهلهم امهالا رويدا اى قريبا كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما او قليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة هو في الاصل تصغير رود وانشد كانها ثمل تمشي على رود اى على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر ارود بالترخيم وله في الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا وكونه حالا نحو سار القوم رويدا اى متمهلين وفي ايراد البدل بصيغة لاجل التكثير وتقييده برويدا على احد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه عليه السلام من قرأ سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة ايات

سبح اسم ربك الاعلى اى نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره اى خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه وقوله تعالى والذي قدر اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه وكذا حال ما بعده اى قدر اجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها فهدى اى فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له طبعا او اختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات فلو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرأيت في كل منها ما يحار فيه العقول يحكى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها مع عماها

لبعض البساتين على شجرة الزرنباغ لا تخطيها فتحك عينها بمنقارها فتخرج باصرة باذن الله عز وجل ويروى ان التمساح
لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما يأكله من فمه حيث قيض الله تعالى له طائرا قد جعل غذاءه من ذلك فاذا رآه
التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحت قرنين لئلا يطبق التمساح
عليه فمه هذا وافنون هداياته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية
مما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير والذي اخرج المرعى اي انبت ما ترعاه الدواب غضا
طريا يرف فجعله بعد ذلك غثاء احوى اي درينا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة الخضرة و
الري فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بيان لهدايته تعالى الخاصة برسوله صلى الله عليه وسلم
اثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه السلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين
وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس اجمعين والسين اما للتاكيد واما لان المراد اقراء ما اوحي اليه حينئذ وما
سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء اي سنقرئك ما نوحي اليك الآن وفيما
بعد على لسان جبرائيل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امي
لا تدري ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك اية اخرى لك مع ما في تضاعيف ما تقرؤه من الايات البينات من حيث الاعجاز
ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهي والالف لمراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى فاضلونا السبيلا وقوله
الا ما شاء الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي لا تنسى مما تقرؤه شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان نسخ
تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات
وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط اية في قراءته في الصلوة فحسب ابي
انها نسخت فسأله فقال عليه السلام نسيتها وقيل نفي النسيان راسا فان القلة قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان
حينئذ النسيان بالكلية اذ هو المنفي رأسا الا ما قد ينسيه ثم يذكره انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما قبله اي يعلم ما ظهر وما
بطن من الامور التي من جملتها ما اوحي اليك فينسي ما يشاء انساءه ويبقي محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما
من مصالح دينكم ونيسرك لليسرى عطف على سنقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد
لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه السلام مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسر لي
امري للايذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كانه عليه السلام جبل
عليها كما في قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له اي نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في
كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقي الوحي والاحاطة بما فيه
من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء
في قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى اي فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما في تضاعيفه من
الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعدما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد حرصا على
ايمانهم وما كان يزيد ذلك لبعضهم الا كفرا وعنادا وامر عليه السلام بان يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بان
يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا
ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فاعرض عمن تولى
عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكورين واخبار عن حالهم واستبعاد لتأثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على
قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول انسب لقوله تعالى سيذكر
من يخشى اي سيتذكر بتذكيرك من من شانه ان يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك
بالتذكير فيتفكر في امر ما تذكر به فيقف على حقيته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذا كما في قوله تعالى وانتم الاعلون

اذ كنتم

ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم مؤمنين وقيل هي بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى فانها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل
هناك محذوف فالتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس
والجرجاني والزهراوي ويتجنبها اي الذكرى الاشقى من الكفرة لتوغله في عداوة النبي عليه السلام وقيل نزلت
في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى اي الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل هي
الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم
ثم لا يموت فيها حتى يستريح ولا يحيى حياة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت
والحيوة افظع من الصلي قد افلح اي نجا من المكروه وظفر بما يرجوه من تزكى اي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره
واتعاظه بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلوة وقيل تزكى تفعل من الزكوة
وكلمة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر
فيها وينتظره وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى اقام الصلوات الخمس لذكري كقوله تعالى اقم الصلوة لذكري
اي كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى اي تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه اي كبره يوم العيد فصلى اي
صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح
لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار
الحيوة الدنيا هو الرضاء والاطمينان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى ان الذين لا يرجون
لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الآية او للكل فالمراد بايثارها هو اعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس
غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ
وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة ولتشديد العتاب في حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى والآخرة
خير وابقى حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب اي تؤثرونها على الآخرة والحال ان الآخرة خير
في نفسها لما ان نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالصة عن شائبة الغائلة ابدي لا انصرام له
عدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره ان هذا اشارة الى
ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى وقيل الى ما في السورة جميعا لفي الصحف الاولى اي ثابت فيها معناه
صحف ابراهيم وموسى بدل من الصحف الاولى وفي ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم
شأنها ما لا يخفى روي انه انزل الله عز وجل مائة واربعة كتب انزل على آدم عليه السلام عشر
صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف عليهم السلام والتورية
والانجيل والزبور والفرقان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد
كل حرف انزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلوات والسلام

سورة الغاشية وهي ست وعشرون آية مكية

هل اتاك حديث الغاشية قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان الآية قال قطرب اي
قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق الى استماعه
والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر
وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهي القيامة من قوله
تعالى يوم يغشاهم العذاب الآية وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم
غواش والاول هو الحق فان ما سيأتي من حديثها ليس بمختص باهل النار بل يعم اهل الجنة ايضا
وقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة الخ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام

التشويق كأنه قيل من جهته عليه السلام ما أتاني حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ أي يوم إذ غشيت قيل
قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن أتاه عليه السلام حديثها فأخبره عليه السلام عنها فقال وجوه يومئذ أي يوم
وجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لأنها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى عاملة ناصبة خبران آخران
لوجوه إذ المراد بها أصحابها أي تعمل أعمالا شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والأغلال والخوض في النار خوض
الإبل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها
فهي يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت في أعمال لا تجدي عليها في الآخرة وقوله تعالى تصلى أي تدخل
نارا حامية أي متناهية في الحر خبر آخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد عرفت أن الصفة
حقها أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في أن صلي النار وما قبله
من الخشوع والعمل والنصب أمور متساوية في الانتساب إلى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع
قيدا مفروغا عنه عن مقصود الإفادة وبعضها مناطا للإفادة تحكم بحت ولعل أن يكون هذا وما بعده من الجملتين
استئنافا مبينا لتفاصيل أحوالها تسقى من عين آنية أي متناهية في الحر كما في قوله تعالى ويحم آن ليس
لهم طعام إلا من ضريع بيان لطعامهم إثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الإبل ما دام
رطبا وإذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون
عنده ويذلون ويتضرعون إلى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك وهذا طعام بعض أهل النار والزقوم
والغسلين للآخرين لا يسمن ولا يغني من جوع أي ليس من شأنه الإسمان والإشباع كما هو شأن طعام الدنيا
وإنما هو شيء يضطرون إلى أكله من غير أن يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على أن لهم استعدادا للشبع والسمن
إلا أنه لا يفيدهم شيئا منهما على أنه لا استعداد من جهتهم ولا إفادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك أن
جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للإنسان عند استدعاء
الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له إلى المطعوم بحيث يلتذ بهما عند الأكل والشرب ويستغني بهما
عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرام
عند اضطرام النار في أحشائهم إلى إدخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب وأما أن يكون لهم شوق
إلى مطعوم ما أو التذاذ به عند الأكل واستغناء به عن الغير أو استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة
عن اضطرارهم عند أكل الضريع والتهابه في بطونهم إلى شيء مائع بارد يطفئه من غير أن يكون لهم التذاذ
بشربه أو استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روي أنه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم إلى أكل الضريع
فإذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم إلى شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع أمعاءهم وتنكير الجوع للتحقير
أي لا يغني من جوع ما وتأخير نفي الإغناء عنه لمراعاة الفواصل والتوسل به إلى التصريح بنفي كلا الأمرين إذ
لو قدم لما احتيج إلى ذكر نفي الإسمان ضرورة استلزام نفي الإغناء عن الجوع إياه بخلاف العكس ولذلك كررت لا لتأكيد
النفي وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة شروع في رواية حديث أهل الجنة وتقديم حكاية أهل النار لأنه أدخل
في التهويل للغاشية وتفخيم حديثها ولأن حكاية حسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار مما يزيد المحكي
حسنا وبهجة والكلام في إعراب الجملة كالذي مر في نظيرتها وإنما لم يعطف عليها إيذانا بكمال تباين مضمونيهما ونعمة
ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم أو متنعمة لسعيها راضية أي لعملها الذي
عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته في جنة عالية مرتفعة المحل أو علية المقدار لا تسمع أي أنت أو الوجوه
فيها لاغية لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو فإن كلام أهل الجنة كله أذكار وحكم وقرئ لا يسمع على البناء
للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية فيها عين جارية أي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علمت نفس
فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك أو المقدار وأكواب جمع كوب وهو إناء لا عروة له موضوعة أي بين أيديهم

ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها إلى بعض وزرابي أي بسط فاخرة جمع زربية مبثوثة
أي مبسوطة أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبني
عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون إنكاره والهمزة للإنكار والتوبيخ والفاء
للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما في قوله تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة
في حيز الجر على أنها بدل اشتمال من الإبل أي أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله
عز وجل فلا ينظرون إلى الإبل التي هي نصب أعينهم يستعملونها كل حين إلى أنها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا
عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئاتها اللائقة بتأتي ما يصدر عنها من
الأفاعيل الشاقة كالنهوض بالأوقار الثقيلة وجر الأثقال الفادحة إلى الأقطار النازحة وفي صبرها على الجوع
والعطش حتى إن أظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا
يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للإنسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيفما شاء
ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير وإلى السماء التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار كيف رفعت رفعا سحيق المدى
بلا عماد ولا إمساك بحيث لا يناله الفهم والإدراك وإلى الجبال التي ينزلون في أقطارها وينتفعون بمياهها وأشجارها
كيف نصبت نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد وإلى الأرض التي يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت سطحا
بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق وقرئ سطحت مشددا وقرئ الأفعال
الأربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار إلى كيفية خلق
هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الإنكار والنفور ويسمعوا إنذارك ويستعدوا
للقائه بالإيمان والطاعة والفاء في قوله فذكر لترتيب الأمر بالتذكير على ما ينبئ عنه الإنكار السابق من عدم النظر
أي فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى إنما أنت مذكر تعليل للأمر وقوله
تعالى لست عليهم بمصيطر تقرير له وتحقيق لمعنى الإنذار أي لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما أنت
عليهم بجبار وقرئ بالسين على الأصل وبالإشمام وقرئ بفتح الطاء قيل هي لغة بني تميم فإن سيطر عندهم متعد
وقوله تعالى إلا من تولى وكفر استثناء منقطع أي لكن من تولى وكفر منهم فإن لله الولاية والقهر فيعذبه
الله العذاب الأكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل متصل من قوله فذكر أي فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه
وتولى فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الأول أنه قرئ ألا من تولى على التنبيه وقوله تعالى إن إلينا إيابهم
تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر أي إن إلينا رجوعهم بالموت والبعث لا إلى أحد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا
وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما أن إفراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ إيابهم على أنه فيعال مصدر
فيعل من الإياب أو فعال من الأوب قيل قلبت واوه الأولى ياء كديوان ثم قلبت الواو الثانية ياء وأدغمت فيها الأولى
ثم إن علينا حسابهم في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان فإن ترتيب الحساب على الإياب لا يستدعي
تقديم جزئه وعطفه الثانية على الأولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة عن منزلة الإياب وتقديم الظرف في
الجملتين للتشديد في الوعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية ثلثون آيات

والفجر أقسم سبحانه بالفجر كما أقسم بالصبح حيث قال والصبح إذا تنفس وقيل المراد به صلاته وليال عشر هي عشر ذي الحجة ولذلك
فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو العشر الأول من المحرم ولذلك فسر الفجر بفجر أول المحرم وتنكيرها للتفخيم والشفع
والوتر أي الأشياء كلها شفعها ووترها أو شفع هذه الليالي ووترها وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم

النحر بيوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر
والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء والليل اذا يسر اي يمضي
كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة
او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اي صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقرئ باثباتها على الاطلاق وحذفها في الوقف
خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف هل في ذلك قسم الى آخره تحقيق
وتقرير لفخامة شان المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على
ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما
الى الامور المقسم بها والتذكير بتاويل ما ذكر كما مر تحقيقه او الى الاقسام بها وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف والفضل اي هل فيما ذكر من الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يراه
حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور
الامر او هل في اقسامي بتلك الاشياء اقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر
العقل لانه يحجر صاحبه اي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا
من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن
كما ينبئ عنه قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك بعاد الى آخره فانه استشهاد بعلمه عليه السلام بما يدل عليه من تعذيب عاد
واضرابهم المشاركين لقومه عليه السلام في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى الم تر الى الذين حاج ابراهيم في ربه
الآية وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كانه قيل الم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب
هؤلاء ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام
قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد
الآخرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد في القرآن خبر عاد الاولى الا في سورة الاحقاف وقوله تعالى ارم عطف
بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم
او ارضهم التي كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة وايا ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وقرئ باسكان
الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم ذات العماد صفة لارم اي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة
ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد او
ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات
العماد والارم العلم اي بعاد اهل اعلام ذات العماد على انها اسم بلدتهم وقرئ أرّم ذات العماد اي
جعلها الله تعالى رميما بدلا من فعل ربك وقيل هي جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة وروي
انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا و
دانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحارى عدن في ثلثمائة سنة وهي
مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار
والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة
من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره
معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين
في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة فقال
هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم اي لم يخلق مثلهم في عظم الاجرام والقوة
حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على اهل الحي فيهلكهم

او لم يخلق

او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرئ لم تخلق على اسناده الى الله تعالى وثمود عطف على
عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام
وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد والذين جابوا الصخر بالواد
اي قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل هم اول من نحت
الجبال والصخور والرخام وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وفرعون ذي الاوتاد وصف بذلك
لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد والذين طغوا في البلاد اما مجرور على انه
صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اي طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى فاكثروا
فيها الفساد اي بالكفر وسائر المعاصي فصب عليهم اي انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب
ما فعلت من الطغيان والفساد ربك سوط عذاب اي عذابا شديدا لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم
من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم في
الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة
شيء مائع او جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه
ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المصبوب وقيل السوط
خلط الشيء بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر الصب بالشدة ايضا لان السوط يطلق
على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ في تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكرر تعلقه بالمعذب كما في المعنى الاول فانه كل واحد
من هذه المعاني مما يفيد الاستمرار في نفسه وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه
صلى الله عليه وسلم سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده
كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالى فاما الانسان الى آخره
متصل بما قبله كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يهمه
ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها اذا ما ابتلاه ربه اي عامله معاملة من يبتليه بالغنى
واليسار والفاء في قوله تعالى فاكرمه ونعمه تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء فيقول ربي اكرمن اي فضلني
بما اعطاني من المال والجاه حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل تفضل به عليه ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو خبر
للمبتدا الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل
ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء
ليتضح اختلال قوله المحكي واما اذا ما ابتلاه اي واما هو اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه حسبما تقتضيه
مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيقول ربي اهانن ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة
في شيء بل التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ
اكرمني واهانني باثبات الياء وبالاسكان في الوقف كلا ردع للانسان عن مقالته المحكية
وتكذيب له في الحالتين قال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه
علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر وقوله تعالى بل لا تكرمون اليتيم الخ انتقال وترق من ذمه بالقبيح الى ذمه
بما هو اقبح منه والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جناياته للمشافهة بالتوبيخ تشديدا للتقريع
وتاكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اي بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على
تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به
وقرئ لا يكرمون بالياء ولا تحاضون اي لا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين اي على اطعامه

وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ تحضون بالياء والتاء وتأكلون التراث اي الميراث واصله وراث أكلا لما اي ذا لم
اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من حلال
وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرئ يحبون بالياء كلا ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى
اذا دكت الارض دكا دكا الى آخره استئناف جيء به بطريق الوعيد تعليلا للردع اي اذا دكت الارض دكا متتابعا
حتى انكسر وذهب كل ما عليه وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع
بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء وايا ما كان
فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية وجاء ربك اي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور
السلطان من احكام هيبته وسياسته وقيل جاء امره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل والملك صفا صفا
اي مصطفين او ذوي صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم
محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين
الف زمام كل زمام معه سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم في
صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى يتذكر الانسان اي يتذكر ما فرط
فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره واحكامه او بمعاينة عينه على ان الاعمال تتجسم في النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات
بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ وقوله تعالى وانى له الذكرى اعتراض جيء به لتحقيق انه
ليس يتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه في اوانه وانى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق
بما تعلق به الخبر اي ومن اين تكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل هناك مضاف محذوف اي وانى
له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على ان تذكره ليس
من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت لحياتي
وهو بدل اشتمال من يتذكر او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل
يقول يا ليتني عملت لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس في هذا التمني
شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة
واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا واما ما قيل من ان المحجور قد يتمنى
ان كان ممكنا منه فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفي الفعل يعتقد انه محجور عن الطرف الآخر وليس كذلك
بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اي طرف كان من افعاله الاختيارية يحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف
والزام الحجة فيومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد
الهاء لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد
من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابي بن
خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل
عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة [illegible]
اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته او المطمئنة الى الحق التي سكنت... اطمأنت بالاطمئنان لانها ترقت في معارج
الاسباب والمسببات الى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغني به في وجودها وسائر شؤونها
عن غيرها بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك وقيل
هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده انه قرئ يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك
بالذات كما كلم موسى عليه السلام او على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل
عند الموت ارجعي الى ربك اي الى موعده او الى امره راضية بما اوتيت من النعم المقيم مرضية عند الله عز وجل

فادخلي في عبادي في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي وادخلي جنتي معهم اي انتظمي في سلك المقربين واستضيئي
بانوار رحمتي فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي اجساد عبادي التي
فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي
وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي رضي الله عنهما والظاهر العموم عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة والله اعلم

سورة البلد مكية وهي عشرون آيات

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على ان الانسان خلق مغمورا في مقاساة الشدائد ومعاناة المتاعب
واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد اما لتشريفه صلى الله عليه وسلم بجعل حلوله عليه السلام به
مناطا لاعظامه بالاقسام به او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة
الاستهلال وبيان انه عليه السلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه
وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او
لتسليته عليه السلام بالوعد بفتحه على معنى وانت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع
فيه ما تريد من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له عليه السلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا
احلت له فاحل له عليه السلام فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن
صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم
الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها
ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا
وبيوتنا فقال عليه السلام الا الاذخر ووالد عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم وبقوله تعالى وما ولد
اسمعيل والنبي صلوات الله تعالى وسلامه عليهم اجمعين حسبما ينبئ عنه المعطوف عليه فانه حرم ابراهيم
ومنشأ اسمعيل ومسقط رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم كتنكير والد
وايرادهم بعنوان الوالد ترشيح لمضمون الجواب وايماء الى انه متحقق في حالتي الوالدية والولدية وقيل آدم
عليه السلام ونسله وهو انسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة ما لا يناسبه
فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولد لقد خلقنا الانسان في كبد اي تعب ومشقة فانه لا يزال
يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده
واصله كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته اذا اهلكه
وهو تسلية لرسول الله صلعم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى ايحسب لبعضهم الذي
كان عليه السلام يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحي وكان
شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله
كذا فيجذبه عشرة فينقطع قطعا ولا تزل قدماه اي ايظن هذا القوي المارد المتضعف للمؤمنين
ان لن يقدر عليه احد ان مخففة من ان واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف اي ايحسب انه لن يقدر على
الانتقام منه احد يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم
ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق وان الله تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه
الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على
النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر او الثديين واصل النجد المكان

المرتفع فلا اقتحم العقبة اى فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى وما ادراك ما العقبة اى اى شيء اعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة فك رقبة اى هو اعتاق رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة اى مجاعة يتيما ذا مقربة اى قرابة او مسكينا ذا متربة اى افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا او يتيما والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة على عباده او بموجبات رحمته تعالى من الخيرات اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان ببعد درجتهم في الشرف والفضل اى اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة اصحاب الميمنة اى اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشأمة اى الشمال او الشؤم عليهم نار مؤصدة مطبقة من اصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرئ بغير همزة من اوصد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس وهي خمس عشرة آية مكية

والشمس وضحاها اى ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل الضحى ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها بان طلع بعد غروبها وقيل اذا تلا طلوعه طلوعها وقيل اذا تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها اى جلى الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكانه جلاها مع انها التي تبسطه او جلى الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها اى الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض وحيث كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا في قولك اقسم بالله حق ان يعطف بها على معمول الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا والسماء وما بناها اى ومن بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كانه قيل والقادر العظيم الشان الذي بناها وجعلها مصدرية يخل بالنظم الكريم وكذا الكلام في قوله تعالى والارض وما طحاها اى بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما سواها اى انشأها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه السلام او للتكثير وهو الانسب للجواب فالهمها فجورها وتقواها اى افهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل قد افلح من زكاها اى فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله تعالى وقد خاب من دساها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به ايضا اصالة اى خسر من نقصها واخفاها بالفجور واصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وانما الجواب محذوف تقديره لدلالة قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها عليه كانه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلعم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الاول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية اى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله تعالى او صلة للتكذيب اى كذبت بما اوعدت به من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطاء وهو ايضا مصدر كالرجعى

اذ انبعث اشقاها منصوب بكذبت او بالطغوى اى حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضفته يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضى به فقال لهم رسول الله اى صالح عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر في اضافة الناقة اليه تعالى في قوله تعالى ناقة الله اى ذروا ناقة الله وسقياها ولا تذودوها عنها في نوبتها فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها اى فعقرها الاشقى واسند الفعل الى الكل لرضاهم به قال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم المحكي والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب فسواها اى الدمدمة بينهم لم يفلت منها صغير ولا كبير او فسوى ثمود بالارض او في الهلاك ولا يخاف عقباها اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقى بعض الابقاء وذلك انه تعالى لا يفعل فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شانه الخوف والواو للحال او للاستئناف وقرئ فلا يخاف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكانما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر والنجوم

سورة الليل احدى عشرة آيات مكية

والليل اذا يغشى اى حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى اى والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل ماله توالد وقيل هما آدم وحواء وقرئ والذكر والانثى وقرئ والذي خلق الذكر والانثى وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى جواب القسم وشتى جمع شتيت اى ان مساعيكم لاشتات مختلفة وقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الى آخره تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين لاحكامها اى فاما من اعطى حقوق ماله واتقى محارم الله التي نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخصلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها واما من بخل بماله فلم يبذله في سبيل الخير واستغنى اى زهد فيما عنده تعالى كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وكذب بالحسنى اى بما ذكر من المعاني المتلازمة فسنيسره للعسرى اى للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الاول باعطاء الطاعة والثاني بالبخل بما امر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى وما يغني عنه ماله اى ولا ينفعه او اى شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به اذا تردى اى هلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى استئناف مقرر لما قبله اى ان علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى وما يؤدي اليه من طريق الضلال وما يؤدي اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين ان الهداية هي الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا وان لنا للآخرة والاولى اى التصرف الكلي فيهما

كيف نشاء فنعمل فيهما ما نشاء من الافعال التي نحن حملنا ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وجبل ان
لنا كلاهما في الدنيا والآخرة فلا نضرنا تركهم الاهتداء بهدانا فانذرتكم نارا تلظى بحذف احدى التائين من تتلظى
اى تتلهب وقرئ على الاصل لا يصلاها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق لا يصلاها الا زمانا وقد مر
قوله تعالى الذي كذب وتولى اى كذب بالحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها اى سيبعد عنها الاتقى البالغ في اتقاء
الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها او صليها الابدي واما من دونه ممن يتقي الكفر دون المعاصي فلا يبعد
عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر السابق الذي يؤتي ماله يعطيه ويصرفه
في وجوه البر والحسنات وقوله يتزكى اما بدل من يؤتي داخل في حكم الصلة لا محل له او في محل النصب على انه حال من
ضمير يؤتي اى يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة وما لاحد عنده من نعمة تجزى
مقرر لكون ايتائه للتزكي خالصا لوجه الله تعالى اى ليس لاحد عنده نعمة من شانها ان تجزى وتكافأ فيقصد بايتاء
ما يؤتى مجازاتها وقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من
نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية او على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتي ماله
الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة والآيات نزلت في حق ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة
كان يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان المشركين عذبوا بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبي صلعم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لابي
بكر رضي ان بلالا يعذب في الله فعرف مراده صلعم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له
اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزل قوله تعالى
ولسوف يرضى جواب قسم مضمر اى والله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجملها
انبه يتحقق الرضا وقرئ مبنيا للمفعول من الارضاء عن رسول الله صلعم من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى احدى عشرة آيات مكية

والضحى هو وقت ارتفاع الشمس في صدر النهار قال وتخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التي كلم فيها موسى عم والقي فيها السحرة
سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما في قوله تعالى ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل
اى جنس الليل اذا سجى اى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل و
جعفر الصادق ان المراد بالضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عم وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى ما ودعك ربك جواب القسم
اى ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف اى ما تركك وما قلى اى وما ابغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره
من قبل او للقصد الى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع ان فيه مراعاة للفواصل روى ان الوحي تأخر عن رسول الله صلعم
اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف ولزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم
وتبشيرا له عم بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبي عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى
ضميره عم وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلى انه تعالى مواصله بالوحي والكرامة في الدنيا بشره عم بان ما سيؤتى
في الآخرة اجل واعظم من ذلك فقيل وللآخرة خير لك من الاولى لانها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق وهذه
فانية مشوبة بالمضار وما اوتي عليه السلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو في الدنيا عن
بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع انه عندما اعد له عم في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل
يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون امته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته
وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادى بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالآخرة
آخرة عمره عم اى لنهاية امرك خير من بدايته لا تزال تتزايد قوته وتتصاعد رفعته وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى

عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الامر واعلاء الدين
بالفتوح الواقعة في عصره عم وفي ايام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام في مشارق
الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها الا الله عز وجل وقد انبأ ابن عباس عن شمة منها حيث قال
عليه السلام في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابها المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف
تقديره ولانت سوف يعطيك الى آخره لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد وجمعها مع سوف للدلالة على ان
الاعطاء كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التأكيد قد استثنى النحاة منها
صورتين احديهما ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لسأعطيك والثانية ان يفصل بينهما
بمعمول الفعل كقوله تعالى لا الى الله تحشرون وقد قال ابو علي الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقائم بل
هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نوني التأكيد فكانه قيل وليعطينك وكذلك اللام في قوله تعالى
الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما افاض عليه عليه السلام من اول امره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر
الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي وتقرير المنفي على ابلغ وجه وآكده كانه
قيل وجدك الى آخره والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روى
ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه
الله تعالى عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه وقرئ فأوى وهو اما من اواه بمعنى آواه او من اوى له اذا رحمه وقوله
ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما اشير اليه او على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كانه قيل اما وجدك
يتيما فآوى ووجدك غافلا عن الشرائع التي لا تهتدي اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في
صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب
بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادي من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا
يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي صلعم قائم تحت شجرة يلعب
بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل
ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء
جبرائيل عم فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة فهدى فهداك الى مناهج الشرائع المنطوية
في تضاعيف ما اوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جدك وعمك ووجدك عائلا
اى فقيرا وقرئ عيلا وقرئ عديما فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنائم
قال عم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك فاغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحقر
وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال
ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل يريد الآخرة يجيء الى باب احدكم
فيقول اتبعثون الى اهليكم شيئا وقيل المراد بالسائل ههنا الذي يسأل عن الدين واما بنعمة ربك فحدث شكرها
واشاعتها واظهار آثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم من فنون النعم التي من جملتها النعم
المعدودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله تعالى وهداك واغناك فمهما يكن من
شيء فلا تنس نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلث واقتد بالله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فتعطف على
اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها
نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عم للضلال وتعليمه للشرائع والاحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلمه من
الكتاب والحكمة عن النبي عم من قرأ سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل سائل ويتيم

سورة الانشراح مكية وهي ثمان آيات

ألم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلاً لأحوال النفس ومخزناً لسرائرها من العلوم والإدراكات والملكات
والإرادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الأنسية
أي ألم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والإفادة فما صدك الملابسة بالعلائق
الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق وقيل
أريد به ما روي أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه
إيماناً وعلماً ولعله تمثيل لما ذكر أو أنموذج جسماني مما سيظهر له عم من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح
بالاستفهام الإنكاري عن انتفائه للإيذان بأن ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير بلى وزيادة
الجار والمجرور مع توسطه بين الفعل ومفعوله للإيذان من أول الأمر بأن الشرح من منافعه عليه السلام ومصالحه
مسارعة إلى إدخال المسرة في قلبه عم وتشويقاً له إلى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى
ووضعنا عنك وزرك عطف على ما أشير إليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا
عنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر آنفاً من القصد إلى تعجيل المسرة والتشويق
إلى المؤخر ولما أن في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب أطراف النظم الكريم أي حططنا عنك عبأك
الثقيل الذي أنقض ظهرك أي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعي إلى
الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه السلام مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من عدم إحاطته علماً
بتفاصيل الأحكام والشرائع أو من تهالكه على إسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع
وتمهيد عذره بعد أن بلغ وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك ورفعنا لك ذكرك
بعنوان النبوة وأحكامها أي نوهنا حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والأذان والإقامة وجعل طاعته طاعته تعالى
وصلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمي رسول الله ونبي الله والكلام في العطف وزيادة لك
كالذي سلف وقوله تعالى فإن مع العسر يسراً تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام وللمؤمنين كأنه قيل خولناك
ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فإن مع العسر يسراً كثيراً وفي كلمة مع إشعار بغاية سرعة
مجيء اليسر كأنه مقارن للعسر إن مع العسر يسراً تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة
كقولك إن للصائم فرحتين أي فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله صلعم لن يغلب عسر يسرين فإن المعرف
إذا أعيد يكون الثاني عين الأول سواء كان معهوداً أو جنساً وأما المنكر فيحتمل أن يراد بالثاني فرد مغاير لما أريد
بالأول فإذا فرغت أي من التبليغ أو من الغزو فانصب فاجتهد في العبادة واتعب شكراً لما أوليناك من النعم السالفة
ووعدناك من الآلاء الآنفة وقيل فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وقيل إذا فرغت من دنياك فانصب في
صلاتك وإلى ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فإنه القادر على إسعافك لا غيره وقرئ فرغب أي رغب
الناس إلى طلب ما عنده عن رسول الله صلعم من قرأ سورة ألم نشرح لك فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني والله أعلم بالصواب

سورة التين وهي ثمان آيات مكية

والتين والزيتون هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالإقسام بهما لاختصاصهما
بخواص جليلة فإن التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل
البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروي عن أبي ذر أنه
أهدي للنبي صلعم سل من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن

فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم
ويطول الشعر وهو أمان من الفالج وأما الزيتون فهو فاكهة وإدام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه
بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلاً وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل
ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيباً واستاك به وقال سمعت النبي صلعم يقول نعم السواك الزيتون
من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكي وسواك الأنبياء قبلي وقيل
هما جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون وقيل
التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لأنهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة
التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون
بيت المقدس وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا وعن ابن عباس
التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام
والزيتون المسجد الأقصى والصحيح هو الأول قال ابن عباس هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي
تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وطور سينين
هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء علمان للموضع الذي هو فيه ولذلك أضيف إليهما وسينون
كيبرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الإعرابية وهذا البلد الأمين
أي الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو مكة شرفها الله تعالى وأمانتها أنها تحفظ من دخلها كما يحفظ الأمين
ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن في قوله تعالى حرماً آمناً
بمعنى ذي أمن ووجه الإقسام بها تلك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح والتبيين
لقد خلقنا الإنسان أي جنس الإنسان في أحسن تقويم أي كائناً في أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة
ومعنى حيث براه تعالى مستوي القامة متناسب الأعضاء متصفاً بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والتكلم والسمع
والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي أنموذجات من الصفات السبحانية وآثار لها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك
بقوله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه و
قال إن النفس الإنسانية مجردة ليست حالة في البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف
تستعمله كيف ما شاءت فإذا أرادت فعلاً من الأفاعيل الجسمانية تلقيه إلى ما في القلب من الروح الحيواني الذي
هو أعدل الأرواح وأصفاها وأقربها منها وأقواها مناسبة إلى عالم المجردات إلقاء روحانياً وهو يلقيه بواسطة
ما في الشرايين من الأرواح إلى الدماغ الذي هو منبت الأعصاب التي فيها القوى المحركة للإنسان فتحرك ذلك
يحرك من الأعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فمن
عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وأفعالها تسنى له أن يترقى إلى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه و
يطلع على أنه سبحانه منزه عن كونه داخلاً في العالم أو خارجاً عنه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبه
فيه من الملائكة الذين يستدل على شؤونهم بما ذكر من الأرواح والقوى المرتبة في العالم الإنساني الذي هو نسخة
للعالم الأكبر وأنموذج له منه وقوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين أي جعلناه من أهل النار الذين هم أقبح من كل
قبيح وأسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في أعلى
عليين وقيل رددناه إلى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه
في الخلق وأياً ما كان فأسفل سافلين إما حال من المفعول أي رددناه حال كونه أسفل سافلين أو صفة لمكان محذوف
أي رددناه مكاناً أسفل سافلين والأول أظهر وقرئ أسفل السافلين وقوله تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
على الأول استثناء متصل من ضمير رددناه فإنه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع أي لكن الذين كانوا صالحين من الهرم

فلهم اجر غير ممنون غير مقطوع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين للرسول عليه السلام اي فاي شيء يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريقة الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فاي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان أليس الله بأحكم الحاكمين اي أليس الذي فعل ما ذكر بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والتين اعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا

سورة العلق مكية وهي عشر آيات

قيل هي اول سورة نزلت والاكثرون على ان الفاتحة اول ما نزل ثم هذه اقرأ اي ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل او لا والاقرب ان هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم اول ما نزل عليه عليه السلام كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى باسم ربك متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اي اقرأ ملتبسا باسمه تعالى اي مبتدئا به لتتحقق مقارنته لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله تعالى الذي خلق لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم اي الذي له الخلق واستأثر به او خلق كل شيء وقوله تعالى خلق الانسان على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثاني افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشانه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المامور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير بالتفخيم فطرته وقوله تعالى من علق اي دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر في تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى اقرأ اي افعل ما امرت به تاكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وربك الاكرم الى آخره فانه كلام مستانف وارد لازاحة ما ابداه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام ما انا بقارئ يريد ان القراءة شان من يكتب ويقرأ وانا امي فقيل له وربك الذي امرك بالقراءة مبتدئا باسمه الاكرم الذي علم بالقلم اي علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم بدل اشتمال من علم بالقلم اي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول اولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم ما لا يحيط به العقول ما لا يخفى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان

لم يسبق

لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر وقوله تعالى ان الانسان ليطغى اي يجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى آخر السورة نزل في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى ان رآه استغنى مفعول له اي يطغى لان رأى نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد كما في علمتني وظننتني وجعلهم في الرؤية البصرية ايضا وجعل من ذلك قول عائشة رضي الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبرائيل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى ان الى ربك الرجعى تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر اي ان الى مالك امرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب ان يراها كل من يتاتى منه الرؤية ويقضي منها العجب روي ان ابا جهل قال في ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلي لاطأن عنقه فرآه عليه السلام في الصلوة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه صلى الله عليه وسلم واستعظام النهي وتاكيد التعجيب منه والرؤية ههنا بصرية واما في قوله تعالى أرأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى وما في قوله تعالى أرأيت ان كذب وتولى فقلبية معناه اخبرني فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئي اجري الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من يصلح للخطاب ونظم الامر بالتقوى في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس بمحتمل التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التي هي كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما في قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لأرأيت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثاني سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لأرأيت لا يكون الا جملة استفهامية او قسمية والمعنى اخبرني ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او آمرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن ألم يعلم بان الله يرى اي يطلع على احواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل وانما افرد التكذيب والتولي بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستانف ولم ينظما في سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الامر واستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب واما القسم الاول فامر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل أرأيت الاولى بمعنى اخبرني مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وأرأيت في الموضعين تكرير للتاكيد ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله تعالى عن صلوته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكانه قال يا كافر اخبرني ان كانت صلوته هدى ودعاؤه الى الله تعالى امرا بالتقوى اتنهاه وقيل هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة

كلا ردع للناهي اللعين وخسوء له واللام في قوله تعالى لئن لم ينته موطئة للقسم اي والله لئن لم ينته عما هو عليه
ولم ينزجر لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف
وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لاسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام
عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز ابدالها عن
المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئ بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطأ
على الاسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ فليدع ناديه اي اهل
ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون روي ان ابا جهل مر برسول الله صلعم فقال
اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحد
زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير كانسي واصلها زباني فقيل
زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلعم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا
ردع بعد ردع وزجر اثر زجر لا تطعه اي دم على ما انت عليه من معاصاته واسجد وواظب على سجودك وصلوتك
غير مكترث به واقترب وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله صدق رسول الكريم

سورة القدر مدنية وهي خمس ايات

انا انزلناه في ليلة القدر تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح
كانه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله
تعالى وما ادريك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها الا
علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر فانه بيان اجمالي لشانها اثر تشويقه عليه السلام الى
درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادرائها وقد عبر ببيان كيفية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين
من تاكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزاله كله الى السماء الدنيا كما روي انه عليه السلام جملة واحدة
في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي عليه السلام
نجوما في ثلث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انزلناه في شان ليلة القدر و
فضلها كما في قول عمر رض خشيت ان ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي من ان ينزل في قرآن
فالانسب ان يجعل الضمير حينئذ للسورة التي هي جزء من القرآن واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان
في العشر الاواخر في اوتارها واكثر الاقوال انها السابعة منها ولعل السر في اخفائها تعريض من يريدها للفوز
الكثير باحياء الليالي الكثيرة لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها
وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي انه صلعم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل
الله الف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل
فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين
من اولئك العباد وقيل ارى النبي صلعم اعمار الامم كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل
ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل كان ملك سليمان
خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله العمل في تلك الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى
تنزل الملائكة والروح فيها استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ ما
قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة اي تنزل الملائكة والروح
في تلك الليلة من كل سماء الى الارض او الى السماء الدنيا باذن ربهم متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من فاعله اي ملتبسين
باذن ربهم اي بامره من كل امر اي من اجل كل امر قضاه الله عز وجل لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل امر
حكيم وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه
سلام هي اي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء او ما
هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرجع
او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم او لنفس
تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله
بالمبتدأ مغتفر في الجار عن النبي صلعم من قرأ سورة القدر اعطي له من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة البينة مدنية ثمان ايات

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم
من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيائهم و
المشركين اي عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول منفكين اي عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان
بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون
ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي
يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع
ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسألونهم عن
رسول الله صلعم هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عم وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله
بعد التحامه كالعظم اذا انفك عن مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اي لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور
بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه حتى تاتيهم البينة التي كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق
على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال
المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي تلت وقوله تعالى رسول من الله بدل من البينة
عبر عنه صلى الله عليه وسلم بالبينة للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود في الكتابين وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو
صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى
يتلو صفة اخرى له او حال من المستكن في متعلق الجار صحفا مطهرة اي منزهة عن الباطل لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وعن ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه وهو امي لا يقرأ ولا يكتب باعتبار تلاوة ما في المسطور فيها
فيها كتب قيمة صفة لصحفا او حال من ضميرها في مطهرة والمجوز لكون الصفة الحالية جارية فقط
وكتب مرفوعا على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من
الانفكاك لم يكن لاشتباه في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر
في وصفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار
التي من جملتها نعوت النبي صلعم بعد ذكرهم فيما سبق بعنوان كونهم من اهل الكتاب ولا لان هؤلاء الهؤلاء
باعتبار انفكاكهم على الرأي المذكور في حكم وارد فاصدر عنهم عقيبه الاتفاق عند الاخبار بوقوعه
بالانفكاك وبيان كيفية وقوعه بالتوقي اعتبارا الاستقلال الكلي في وقوع اهل الكتاب وانما كان
انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى الا من بعد

جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما تفرقوا في وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة
على ان رسول الله صلعم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي والحال انهم
ما امروا بما امروا في كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى ان اي الا بان يعبدوا الله ويعضده قراءة الا ان
يعبدوا الله مخلصين له الدين اي جاعلين دينهم خالصا لله تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين حنفاء
مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلوة و
الزكوة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها
التي هما من جملتها وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وما فيه من معنى
البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تأويل الدين بالملة
هذا وتحقيق قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا قبل [illegible] عليه الكلام من انهم لا ينفكون عن دينهم
الى مبعثه ويعدون ان ينفكوا منه حينئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الى آخره بيان لاخلافهم
الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم من دينهم الباطل حسبما وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم منه
ومثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك مما انا فيه حتى استغني فيستغني فيزداد فسقا فيقول له واعظه
لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وانت خبير بان هذا انما يتسنى بعد التساوق
على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بان يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجمعوا على دينهم الا
من بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من الكفر ومنهم من عرف وعاند كما جرى القائل
فلا فتأمل ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا
وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها
انهم يصيرون اليها يوم القيمة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم
لموجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار الا انها ظهرت في هذه النشأة بصورة عرضية
وستخلعها في النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين في سورة الاعراف
خالدين فيها حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخولها والعذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية
فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد
للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اي اولئك البعداء المذكورون هم شر البرية اي شر الخليقة اي اعمالا وهو الموافق لما سياتي
في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرئ البريئة
على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لمحاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية
من شفع الترهيب بالترغيب اولئك المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة هم
خير البرية وقرئ خيار البرية وهو جمع خير كجيد وجياد جزاؤهم بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات عند ربهم جنات عدن
تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان
اريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر واياما كان فالمراد جريانها بغير اخدود خالدين فيها ابدا متنعمين
بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء المؤذن بكونه ما منحوه في مقابلة ما وصفوا
به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة اليهم وجمع الجنات
وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها نعيما وتأكيد الخلود بالابد من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضي الله عنهم
استئناف مبين لما تفضل عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم ورضوا عنه حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من
المآرب ناصيتها واتيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك اي ما ذكر من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه

فان الخشية التي هي من خصائص العلماء بشئون الله تعالى مناط لجميع الكمالات العلمية المستتبعة للسعادة الدينية
والدنيوية ثم التعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلية الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا صدق رسول الله

سورة الزلزال ثمان آيات مدنية

اذا زلزلت الارض اي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها اي الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة الالهية
المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذي لا يقادر قدره او زلزالها
الداخلة في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاء وهو اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف وقولهم ناقة
خزعال نادر وقيل الزلزال ايضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله تعالى
واخرجت الارض اثقالها اي ما في جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الارض في موضع
الاضمار لزيادة التقرير او للايماء الى تبدل الارض غير الارض او لان اخراج الاثقال حال بعض اجزائها وقال الانسان
اي كل فرد من افراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة ما لها زلزلت هذه المرتبة الشديدة
من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهدوه من الامر الهائل وقد سيرت الجبال في الجو وصيرت
هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول على ان المؤمن يقوله بطريق الاستعظام
والكافر بطريق التعجب يومئذ بدل من اذا وقوله تعالى تحدث اخبارها عامل فيهما ويجوز ان يكون اذا منتصبا بمضمر
اي يوم اذا زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها و
اخراج اثقالها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن النبي صلعم انها تشهد على
كل احد بما عمل على ظهرها وقرئ تنبئ اخبارها وقرئ تنبئ من الانباء بان ربك اوحى لها اي تحدث اخبارها بسبب ايحاء
ربك لها وامره اياها بالتحديث على احد الوجهين ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها كانه قيل تحدث باخبارها بان
ربك اوحى لها لان التحديث يستعمل بالباء وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر
يصدر الناس من قبورهم الى الموقف للحساب اشتاتا متفرقين بحيث طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه
فزعين كما مر في قوله تعالى فتأتون افواجا وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار
ليروا اعمالهم اي اجزية اعمالهم خيرا كان او شرا وقرئ ليروا بالفتح وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا [illegible] والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع الشمس من الهباء واياما
كان [illegible] حقيقة بالسعادة والثانية بالشقاوة
كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من ان حسنة الكافر
تؤثر في نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا [illegible]
ان يعتبر من الجزاء [illegible]
[illegible] ما روي عن ابن عباس [illegible]
[illegible]
خيرا وعاقب بسيئة [illegible] النبي صلعم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله صدق

سورة العاديات وهي احدى عشرة آيات

والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى ضبحا مصدر منصوب اما بفعله المحذوف
الواقع حالا منها اي تضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها [illegible] العاديات فان العدو [illegible]

للضبح كانه قيل والضابحات او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اي ضابحات فالموريات قدحا الايراء اخراج النار
والقدح الصك يقال قدح فاورى اي فالتي تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه
الثلثة فالمغيرات اسند الاغارة التي هي مباغتة العدو للنهب او القتل او الاسر اليها وهي حال اهلها ايذانا بانها
العمدة في اغارتهم صبحا اي في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون
عليهم صباحا ليروا ما ياتون وما يذرون وقوله تعالى فاثرن به عطف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل اذ
المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن به اي فهيجن بذلك الوقت نقعا اي غبارا وتخصيص اثارته
بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان الايراء الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله
در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التأثير
فيه معنى الاظهار فوسطن به اي فتوسطن بذلك الوقت او فتوسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء
والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان
توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى ان
ان الانسان لربه لكنود اي لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان بعض افراده روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث خيلا فمضى شهر لم يأته خبرها فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها
على القوم ونعيا على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود وفي تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا
مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء في حق اربابها ما ارجفوا انهم لمنغمسون
في الكنود وانه على ذلك اي وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه وانه لحب الخير
اي المال كما في قوله تعالى ان ترك خيرا لشديد اي قوي مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر
وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل اي انه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه
بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب
المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا وقوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر
ما في القبور الى آخره تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أيفعل ما يفعل
من القبائح او الا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعث من في القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة
العقلاء وقرئ بحثر وبحث وبحثر وبحث على بنائهما للفاعل وحصل اي جمع محصلا او ميز خيره من شره وقرئ
حصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا ما في الصدور من الاسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر
والمعاصي فضلا عن الاعمال الجلية ان ربهم اي المبعوثين كني عنهم بعد الاحياء الثاني بضمير العقلاء بعدما عبر
عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب
في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الآية بعد قوله ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا بصلاحيتهم
للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك بهم بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها يومئذ
يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور لخبير اي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا
للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم فلا يتعلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم
ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرئ ابي السمال ان ربهم
بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة وهي احدى عشرة آيات

القارعة القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الاولى

وفتنتها فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع
والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم
بالتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى ما القارعة على ان ما
الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة ان محط الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في ان مدار افادة
الهول والفخامة هاهنا هو كلمة ما لا القارعة اي اي شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع
الضمير تأكيدا للتهويل وقوله تعالى وما ادراك ما القارعة تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم
الخلق على معنى ان عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية احد حتى يدريك وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك
هو الخبر ولا سبيل الى العكس هاهنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول
الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت في موقع المفعول الثاني
له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ الاول اي واي شيء اعلمك ما شأن القارعة
ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم باعلامها انجز ذلك بقوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث على ان يوم مرفوع
على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين اي هي يوم يكون الناس
فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعي كتطاير الفراش الى النار
او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر القارعة وتشويقه عليه السلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك
ما هي هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون
الى آخره وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف في تفرق اجزائها وتطايرها في الجو
حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند
حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيآتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيآت الهائلة ليشاهدها
اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية
كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ
يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي
هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى
فاما من ثقلت موازينه الى آخره بيان اجمالي لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان
الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله سبحانه كما قاله الفراء
او جمع ميزان قال ابن عباس انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحائف الاعمال
فينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه
قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى معرفة مقادير
الاجسام فكيف يمكن ان يعرف به مقادير الاعمال التي هي اعراض منقضية وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة
بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان اي فمن ترجحت مقادير
حسناته فهو في عيشة راضية اي ذات رضى او مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعتد بها او ترجحت
سيئاته على حسناته فامه اي فمأواه هاوية هي من اسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روي ان اهل
النار يهوي فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم للباب الاسفل منها وعبر عن المأوى بالام لان اهلها يأوون اليها
كما يأوي الولد الى امه وعن قتادة وعكرمة والكلبي ان المعنى فام رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها
منكوسا والاول هو الموافق لقوله تعالى وما ادراك ما هيه نار حامية فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها

عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن النبي صلعم من قرأ سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر وهي ثمان ايات مكية

الهيكم التكاثر اي شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روي ان بني عبد مناف وبني عبد سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي افنانا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى الهكم التكاثر بالاحياء حتى زرتم المقابر اي حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرئ أألهيكم على الاستفهام التقريري كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة سوف تعلمون سوء مغبة ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتأكيد وفي ثم الدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله لترون الجحيم جواب قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم اي عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو عن ذلك بمعزل بعيد وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي صلعم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف اية

سورة العصر وهي ثلث ايات مكية

والعصر اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضلها او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى او بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة ان الانسان لفي خسر اي خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى وتواصوا بالحق الى اخره بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن اثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها اداؤها او على ما يبلو الله عز وجل به عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضى بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق اليه من فعل وترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضا به ظاهرا وباطنا عن النبي صلعم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع ايات مكية

ويل لكل همزة لمزة ويل مبتدأ خبره لكل وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضري بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم به وقيل نزلت في الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلعم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصوم القبيح فله ذنوب منه مثل ذنوبهم الذي جمع مالا بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى وعدده وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده او جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام يحسب ان ماله اخلده اي يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد صاحبه في الحيوة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا بمخلد وروي ان الاخنس كان له اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف والجملة حال من فاعل جمع كلا ردع له عن حسبانه الباطل وقوله تعالى لينبذن جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع اي والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة في الحطمة اي في النار التي شأنها ان تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها او يلقى كما ان شأنه كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى وما ادريك ما الحطمة لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التي تنالها عقول الخلق وقوله تعالى نار الله خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لشأن المسئول عنها اي هي نار الله الموقدة بامر الله عز وجل وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل امرها ما لا مزيد عليه التي تطلع على الافئدة اي تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما في الجسد واشده تالما بادنى اذى يمسه او لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة انها عليهم مؤصدة اي مطبقة من اوصدت الباب وآصدته اي اطبقته في عمد ممددة اما حال من الضمير المجرور في عليهم اي كائنين في عمد ممددة اي موثقين فيها مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص او خبر مبتدأ مضمر اي هم في عمد او صفة لمؤصدة قاله ابو البقاء اي كائنة في عمد ممددة بان توصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وقرئ عمد بضمتين عن النبي صلعم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

سورة الفيل وهي خمس ايات مكية

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب لرسول الله صلعم والهمزة لتقرير رؤيته بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اي الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الاثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله صلعم فان ذلك من الارهاصات لما روي ان القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلعم وتفصيلها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبأ جيشه وقدم

قيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى طيرا سودا وخضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله وآرابه ومات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه في شأنها فلما رآه ابرهة عظم في عينه وكان رجلا وسيما جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فنزل ابرهة عن سريره وجلس معه على بساطه وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر لا تكلمني فيه ألهاك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا سيحميه ثم رجع واتى باب الكعبة فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينتظرون ماذا يفعل ابرهة فارسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلعم وعن عائشة رضي الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وفيه [illegible] الى النبي صلعم الم يجعل كيدهم في تضليل الآية بيان اجمالي لما فعل الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كانه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان دمرهم واشنع تدميرهم وارسل عليهم طيرا ابابيل اي خراقيق وجماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل ابابيل مثل اباديد وشماطيط لا واحد لها ترميهم بحجارة صفة لطير وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع او لتأنيثه باعتبار المعنى من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم الديوان الذي يكتب فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على آداب القرآن عن النبي صلعم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله تعالى ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش اربع آيات مكية

لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك اصحاب الفيل لايلاف قريش وقيل بما قبله من قوله فجعلهم كعصف مأكول ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتهم فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والايلاف من قولك آلفت المكان ايلافا اذا الفته وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفتهم وقيل يقال الفته الفا والافا وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد ايلافهم رحلة الشتاء والصيف بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم وافرادها مع ان المراد رحلتي الشتاء والصيف لامن الالتباس وفي اطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا منها بواسطة كونهم من جيرانه من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اراد به القحط الذي اكلوا فيه الجيف والعظام وآمنهم من خوف عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة قريش اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون سبع آيات مكية

ارأيت الذي يكذب بالدين استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه والخطاب لرسول الله صلعم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارأيتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء او بالاسلام ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد قيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فاتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم اي يتركه ويجفوه ولا يحض اهله وغيرهم من الموسرين على طعام المسكين واذا كان حال من ترك ذلك مع القدرة عليه فالفاء في قوله فويل للآية اما للربط ما بعده بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراءون اي يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون اي الزكاة او ما يتعاور عادة فان عدم المبالاة بالصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم للتوسل به الى بيان انه لم يقبح اني منع المطعم عن الفقير وقيل انه عزلة ان كان للزكاة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلث آيات

انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر اي الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخير الدارين والرياسة العامة المستتبعة لسعادة الدين والدنيا وفوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي صلعم انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن فصل لربك فدم على الصلاة خالصا لوجه الله خلاف الساهين عنها المرائين فيها شكرا لانعامه فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية وقيل بوضع اليمين على الشمال في الصلاة ورفع اليدين للتكبير الى النحر ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبي صلعم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون ست آيات مكية

قل يا أيها الكافرون هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لا يتأتى منهم الايمان ابدا روي ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا لا أعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اي لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وايثار ما في اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشأن الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان وقيل قوله ولا انا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تأكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى لكم دينكم تقرير لقوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله ولي دين تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لآلهتكم او استلامي اياها ولان ما وعدتموه عن الاشراك وحيث كان مبنيا على قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة على ترك التوحيد في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون هذا تقريرا لقوله ولا انا عابد ما عبدتم اي ولي ديني لا دينكم كما هو في قوله تعالى لكم والسلم في قوله المعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك فتأمل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وتعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر مدنية وهي ثلث آيات

اذا جاء نصر الله اي اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك والفتح اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر الفتوح وعلق به امره عليه الصلاة والسلام بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء للايذان بانهما متوجهان نحوه عليه الصلاة والسلام وانهما على جناح الوصول اليه عليه الصلاة والسلام عن قريب روي انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان بعض ما في حيزها اعني رؤية دخول الناس الخ غير منقضي بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب فاقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن ورأيت الناس اي ابصرتهم او علمتهم يدخلون في دين الله اي ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الاول حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى افواجا حال من فاعل يدخلون اي جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وقبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روي انه عليه السلام لما فتح مكة قيل له

العرب بعضها لبعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فليس لكم به يدان وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل حرمه المحترم واحمده على جميل صنعه هذا على الرواية الاولى واما على الثانية فلعله [illegible] على ذلك استعظاما للنعم لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه روي انه لما فتح باب مكة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما تقوله الظلمة حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى عن عائشة رضي الله عنها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه عليه السلام اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة روي انه لما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال عليه السلام انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال عليه السلام لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك لانها تدل على كمال امر الدعوة وتمام امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وروي انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا وآبائنا واولادنا وعنه عليه السلام انه دعا فاطمة رضي الله تعالى عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي [illegible] انه كان توابا [illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء [illegible] يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وهي خمس آيات

تبت اي هلكت يدا ابي لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب ايثار التباب على الهلاك واسناده الى يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به عليه السلام وتب اي وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله من قال جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويؤيده قراءة وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا وللاشتهار بها ولكراهة اسمه القبيح وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وقرئ ابو لهب بسكون الهاء ما اغنى عنه ماله وما كسب اي لم يغن عنه حين حل به التباب على ان ما نافية او اي شيء اغنى عنه على انها استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وما كسبه من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع او ماله الموروث من ابيه والذي كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم او عمله الذي ظن انه على شيء كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده روي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد في طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الامر كما اخبر به القرآن سيصلى نارا وقرئ بضم الياء وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتأكيد الوعيد وتشديده اي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الآخرة نارا ذات لهب اي نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصا في انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن ان يكون مكلفا بانه لا يؤمن ابدا فيكون مامورا بالجمع

يوم فتح مكة

النقيضين كما هو المشهور فان صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلعم اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر **وامرأته** عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي صلعم وكان عليه الصلوة والسلام يطؤه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة **حمالة الحطب** بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد انها تحمل يوم القيمة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرئ بالرفع على انه خبر وامرأته مبتدأ وقرئ حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ مرية بالتصغير للتحقير **في جيدها حبل من مسد** جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر في الجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل وقيل من اي ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل واوبارها والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف قال مرة الهمداني كانت ام جميل تاتي كل يوم باباله من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها عن النبي صلعم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مكية وهي اربع ايات

قل هو الله احد الضمير للشان وهو مبتدأ وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره للايذان بانه من الشهرة والنباهة بحيث يحضره كل احد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي اصله القصد اطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الى الرابط لانها عين الشان الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة به التنبيه من اول الامر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما امامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة احد مبدلة من الواو واصله وحد لا كهمزة تلازم النفي ويراد به العموم كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين وما في قوله عليه السلام ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم فانها اصلية وقال مكي اصل احد وحد فابدلت الواو همزة فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احديهما تخفيفا وقال ثعلب ان احدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال احد واثنان كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل احد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى او هو لما سئل عنه اي الذي سألتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا صف لنا ربك الذي تدعونا اليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ والله خبره واحد بدل منه او خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف وقرئ هو الله احد بغير قل وقرئ الله احد بغير قل هو وقرئ قل هو الواحد وقوله تعالى **الله الصمد** مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده اي هو السيد المصمود اليه في الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى

بين اولا الوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه في وجودها الذاتي وبقائها وسائر احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض احكام جزئية مندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل **لم يلد** تنصيصا على ابطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي اي لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شيء ليمكن ان يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى اني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه او يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه **ولم يولد** اي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا او لاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بانه لم يولد الاعتراف بانه لا يلد فهو تقريب من عطف لا يستقدمون على لا يستأخرون كما مر تحقيقه **ولم يكن له كفوا احد** اي لم يكافئه احد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التاخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفي المكافاة عن ذاته تعالى وقد جوز ان يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من احد وليس بذاك واما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غني عن البيان وقرئ بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على اشتات المعارف الالهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث النبوي انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه روي عن النبي صلعم انه قال اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد اي ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه عليه الصلوة والسلام سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة صدق

سورة الفلق مدنية وهي خمس ايات

قل اعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول [illegible] وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وتعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى واما الاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه فلا ارتياب للعائذ في قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليه **من شر ما خلق** اي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم اختصاص الاستعاذة بالمضار البدنية وانها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا لاضافة الرب الى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل واضافة الشر الى ما خلق لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر الذي اوجد بمجرد امر كن من غير مادة فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة وقوله تعالى **ومن شر غاسق اذا وقب** تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة اي ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا

امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى
الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وتقييده بقوله تعالى
اذا وقب اى دخل ظلامه في كل شئ لان تحدثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل
وقيل الغاسق القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده لما روي عن عائشة رضها انها
قالت اخذ رسول الله صلعم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب
وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون تعده
نحسا ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر المورث للمرض الا في ذلك الوقت وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق
الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه
هجومه ومن شر النفاثات في العقد اي ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن
عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدونه وقرئ النافثات كما قرئ النفثات بغير الف وتعريفها اما للعهد
او للايذان بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روي ابن عباس وعائشة رضها انه كان
غلام من اليهود يخدم النبي صلعم وكان عنده اسنان من مشطه عليه الصلوة والسلام فاعطاها اليهود فسحروه عليه الصلوة
والسلام فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي وبناته وهن النافثات في العقد فدفنها في بئر اروس فمرض النبي
صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فارسل
عليه الصلوة والسلام عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر فكانه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة
البئر وهي الصخرة التي توضع في قعر البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة
مغرزة بالابر فجاؤا بها النبي صلعم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه الصلوة
والسلام خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام صلعم كانما انشط من عقال فقالوا يا رسول الله
افلا نقتل الخبيث فقال عم اما انا فقد عافاني الله عز وجل واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة رضها ما غضب
النبي صلعم غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد
ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها ومن شر حاسد اذا حسد اي
اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا وفعلا والتقييد
بذلك لما ان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير عن النبي صلعم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى

سورة الناس مدنية وهي ست آيات

قل اعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس اي مالك امورهم ومربيهم بافاضة
ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ملك الناس عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق
تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا
قوله تعالى اله الناس فانه لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي
لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية
المقتضية للقدرة على التصرف الكلي فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام
جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى
الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسابه اليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس
هو فرد من افراده من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وامره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة
ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته
رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل
مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام
حقه واما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف
والتقرير والتشريف بالاضافة من شر الوسواس هو اسم بمعنى الوسوسة وهي الصوت الخفي كالزلزال
بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة الخناس
الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكره
تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع او النصب على الذم من الجنة والناس بيان للذي يوسوس
على انه ضربان جني وانسي كما قال عز وجل شياطين الانس والجن او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم
من جهة الجن ومن جهة الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق على الجن ايضا حسب اطلاق
النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط الياء كسقوطها
في قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان حق
الله تعالى الا من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا
لاداء حقوق شكره قال العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة والارشاد وهادي
الغواة الى سنن الرشاد باري البرية مالك الرقاب عليك توكلي واليك متاب انت المغيث لكل خائف ملهوف
والمجير لكل هائل مخوف اعوذ بحرمك المأمون من غوائل ريب المنون والتجئ الى حرزك الحصين وآوي الى كنفك
العزيز واسئلك من خزائن برك المخزون في مكامن سرك المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من امور الدنيا
والدين واعوذ بك من فنون الفتن والشرور لا سيما الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها فرحا
والافتتان بزخارفها وزينتها فاعذني بجنابك واعني بعنايتك وافض علي من سوارق الانوار
الربانية وبوارق الآثار السبحانية ما يخلصني من العوائق الظلمانية ويجردني من العلائق الجسمانية و
هذب نفسي الابية من دنس الطبائع والاخلاق ونور قلبي القاسي بلوامع الاشراق ليستعد للعروج
على معارج الانس ويتصدى للحضور في حظائر القدس وثبتني على مناهج الحق والهدى وارشدني الى
مسالك البر والتقوى واجعل اعز مرامي ابتغاء رضاك واشرف اماني يوم التلاق يوم يقوم الاشهاد
والناس لرب العالمين لقاءك واحشرني مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

وحسن اولئك رفيقا وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى
يوم الدين والحمد لله رب
العالمين م
وكمل الخط
تم